BOBST LIBRARY
3 1142 02771 6011

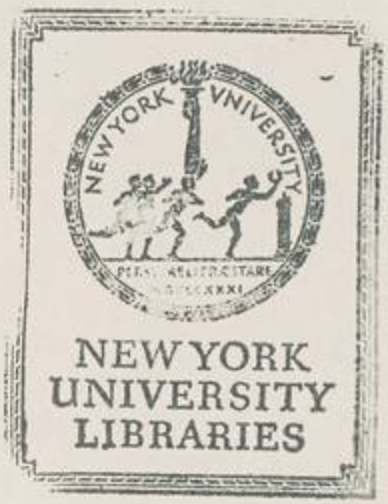

GENERAL UNIVERSITY
LIBRARY

FD 111,07

011
26

FRONT

2993-1-10

FD. 111.07
al-Tabarī
Min Kitāb jāmi' al-bayān
909
V. 14-17
Near East
BP
130
.4
.T28
V. 14-17
c-1

الجـــزء الرابع عشر

من كتاب جامع البيان فى تفسير القرآن تأليف
الامام الكبير والمحدث الشهير من أطبقت
الأئمة على تقدمه فى التفسير أبى جعفر
محمد بن جرير الطبرى المتوفى
سنة ٣١٠ هجرية رحمه
الله وأثابه رضاه
آمـــين

﴿ وبهامشه تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للعلامة نظام الدين
الحسن بن محمد بن حسين القمى النيسابورى قدست أسراره ﴾

« فى كشف الظنون » قال الامام جلال الدين السيوطى فى الاتقان وكتابه
« أى الطبرى » أجل التفاسير وأعظمها فانه يتعرض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على
بعض والاعراب والاستنباط فهو يفوق بذلك على تفاسير الأقدمين * وقال النووى
أجمعت الامة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبرى * وعن أبى حامد الاسفرايينى أنه
قال لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا اه

﴿ تنبيـــه ﴾

طبعت هذه النسخة بعد تصحيحها على الاصول الموجودة فى خزانة الكتبخانة
الخديوية بمصر بالاعتناء التام نسأل الله تعالى حسن الختام

طبع هذا الكتاب على نفقة حضرة السيد عمر الخشاب الكتبى الشهير بمصر ونجله
حضرة السيد محمد عمر الخشاب حفظهما الله ووفقنا واياهما لما يحبه ويرضاه

﴿ الطبعـــة الاولى ﴾

بالمطبعة الكبرى الأميريه ببولاق مصر المحميه
سنة ١٣٢٨ هجريه

﴿ سورة الحجر مكية بالاجماع وحروفها ألف وسبعمائة وواحد وسبعون وكلماتها ستمائة وأربعة وخمسون وآياتها تسع وتسعون ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون وقالوا يا أيها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون لو ما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين ما ننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذا منظرين انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ولقد أرسلنا من قبلك فى شيع الاولين وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين لا يؤمنون به وقد خلت سنة الأولين ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون ولقد جعلنا فى السماء بروجا وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم الا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين والارض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل شئ موزون وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين وان من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين

﴿ تفسير سورة الحجر ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ﴾ أما قوله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه الر فقد تقدم بيانها فيما مضى قبل وأما قوله تلك آيات الكتاب فانه يعنى هذه الآيات آيات الكتب التى كانت قبل القرآن كالتوراة والانجيل وقرآن يقول وآيات قرآن مبين يقول يبين من تأمله وتدبر رشده وهداه كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقرآن مبين قال تبين والله هداه ورشده وخيره حدثنا المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن مجاهد الر فواتح يفتتح بها كلامه تلك آيات الكتاب قال التوراة والانجيل حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا هشام عن عمرو عن سعيد عن قتادة فى قوله الر تلك آيات الكتاب قال الكتب التى كانت قبل القرآن القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ﴾ اختلفت القراء فى قراءة قوله ربما فقرأت ذلك عامة قراء أهل المدينة وبعض الكوفيين ربما بتخفيف الباء وقرأته عامة قراء الكوفة والبصرة بتشديدها والصواب من القول فى ذلك عندنا أن يقال انهما قراءتان مشهورتان ولغتان معروفتان بمعنى واحد قد قرأ بكل واحدة منهما أئمة من القراء فبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب واختلف أهل العربية فى معنى ما التى مع رب فقال بعض نحويى البصرة أدخل مع رب ما ليتكلم بالفعل بعدها وان شئت جعلت ما بمنزلة شئ فكأنك قلت رب شئ يود أى رب ودوده الذين كفروا وقد أنكر ذلك من قوله بعض نحويى الكوفة وقال المصدر لا يحتاج الى عائد والود قد

وقع على لو ربما يودون لو كانوا أن يكونوا قال واذا أضمر الهاء فى لوليس بفعول وهو موضع المفعول ولا ينبغى أن يترجم المصدر بشئ وقد ترجمه بشئ ثم جعله وذائم أعاد عليه عائدا فكان الكسائى والفراء يقولان لاتكاد العرب توقع رب على مستقبل وانما يوقعونها على الماضى من الفعل كقولهم ربما فعلت كذا وربما جاءنى أخوك قالا وجاء فى القرآن مع المستقبل ربما يود وانما جاز ذلك لان ما كان فى القرآن من وعد ووعيد وما فيه فهو حق كأنه عيان فجرى الكلام فيما لم يكن بعد منه مجراه فيما كان كما قيل ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت كأنه ماض وهو منتظر لصدقه فى المعنى وأنه لامكذب له وأن القائل لقول اذا نهى أو أمر فعصاه المأمور يقول أما والله لرب ندامة لك تذكر قولى فيها لعله بأنه سيندم والله ووعده أصدق من قول المخلوقين وقد يجوز أن يجعب ربما الدائم وان كان فى لفظ يفعل يقال ربما يموت الرجل فلا يوجد له كفن وان أوليت الاسماء كان معها ضمير كان كما قال أبو دواد

ربما الجامل المؤبل فيهم * وعناجيج بينهن المهار

فتأويل الكلام ربما يود الذين كفروا بالله فجحدوا وحدانيته لو كانوا فى دار الدنيا مسلمين كما حدثنا على بن سعيد بن مسروق الكندى قال ثنا خالد بن نافع الاشعرى عن سعيد بن أبى بردة عن أبى بردة عن أبى موسى قال بلغنا أنه اذا كان يوم القيامة واجتمع أهل النار فى النار ومعهم من شاء الله من أهل القبلة قال الكفار لمن فى النار من أهل القبلة ألستم مسلمين قالوا بلى قالوا فما أغنى عنكم اسلامكم وقد صرتم معنا فى النار قالوا كانت لنا ذنوب فأخذنا بها فسمع الله ما قالوا فأمر بكل من كان من أهل القبلة فى النار فأخرجوا فقال من فى النار من الكفار يا ليتنا كنا مسلمين ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عمرو بن الهيثم أبو قطن القطعى وروح القيسى وعفان بن مسلم واللفظ لابى قطن قالوا ثنا القاسم بن الفضل بن عبد الله بن أبى جروة قال كان ابن عباس وأنس بن مالك يتأولان هذه الآية ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قالا ذلك يوم يجمع الله أهل الخطايا من المسلمين والمشركين فى النار وقال عفان حين يحبس أهل الخطايا من المسلمين والمشركين فيقول المشركون ما أغنى عنكم ما كنتم تعبدون زاد أبو قطن قد جمعنا وإياكم وقال أبو قطن وعفان فيغضب الله لهم بفضل رحمته ولم يقله روح بن عبادة وقالوا جميعا فيخرجهم الله وذلك حين يقول الله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين حدثنا الحسن قال ثنا عفان قال ثنا أبو عوانة قال ثنا عطاء بن السائب عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال يدخل الجنة ويرحم حتى يقول فى آخر ذلك من كان مسلما يدخل الجنة قال فذلك قوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ذلك يوم القيامة يتمنى الذين كفروا لو كانوا موحدين حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن سلمة بن كهيل عن أبى الزعراء عن عبد الله فى قوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال هذا فى الجهنميين اذا رأوهم يخرجون من النار حدثنى المثنى قال أخبرنا مسلم بن ابراهيم قال ثنا القاسم قال ثنا ابن أبى فروة العبدى أن ابن عباس وأنس بن مالك كانا يتأولان هذه الآية ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين يتأولانها يوم

وانا لنحن نحيى ونميت ونحن الوارثون ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حما مسنون والجان خلقناه من قبل من نار السموم واذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من صلصال من حما مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس أبى أن يكون مع الساجدين قال يا ابليس مالك ألا تكون مع الساجدين قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حما مسنون قال فاخرج منها فانك رجيم وان عليك اللعنة الى يوم الدين قال رب فأنظرنى الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم قال رب بما أغويتنى لأزينن لهم فى الارض ولأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين قال هذا صراط على مستقيم ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين وان جهنم لموعدهم أجمعين لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم ان المتقين فى جنات وعيون ادخلوها بسلام آمنين ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين نبئ عبادى أنى أنا الغفور الرحيم وأن عذابى هو العذاب الاليم ﴿ القراآت ﴾ ربما بفتح الباء مخففة أبو جعفر ونافع وعاصم غير الشمونى وربما بضم الباء خفيفة الشمونى الباقون بالفتح والتشديد ما ننزل بالنون الملائكة بالنصب حمزة وعلى وخلف وعاصم غير أبى بكر وحماد ما تنزل بضم التاء وفتح الزاى

المشددة الملائكة بالرفع أبو بكر وحماد الباقون مثله ولكن بفتح التاء ما تنزل بالادغام البزى وابن فليح سكرت خفيفة ابن كثير فتحة بالتشديد يزيد الريح على التوحيد حمزة وخلف صراط علي بكسر اللام ورفع الياء على النعت يعقوب الآخرون على جارا ومجرورا وعبر بكسر العين حمزة وعلى وابن كثير وابن ذكوان والاعشى ويحيى وحماد الباقون بضمها نبئ عبادى مثل نبئنا عبادنا

أنى بالفتح فيهما أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو والآخرون بالاسكان ۞ الوقوف الوقف كوفى مبين ○ مسلمين ○ يعلمون ○ معلوم ○ وما يستأخرون ○ لمجنون ○ ط لأن التحضيض له صدر الكلام الصادقين ○ منظرين ○ لحافظون ○ الاولين ○ يستهزؤن ○ المجرمين ○ الاولين ○ يعرجون ○ مسحورون ○ للناظرين لا رجيم لا ○ مبين ○ موزون ○ رازقين ○ خزائنه ز لاتفاق الجملتين مع الفصل بين معنيى الجمع فى التقدير والتفريق فى التنزيل فأسقينا كموه ج لاحتمال ما بعده الاستئناف أو الحال بخازنين ○ الوارثون ○ المستأخرين ○ يحشرهم ط عليم ○ مسنون ○ ج لاتفاق الجملتين مع تقدم المفعول فى الثانية السموم ○ مسنون ○ ساجدين ○ أجمعون ○ لا الا ابليس ط الساجدين ○ مسنون ○ رجيم ○ الدين ○ يبعثون ○ من المنظرين لا ○ المعلوم ○ أجمعين لا ○ المخلصين ○ مستقيم ○ الغاوين ○ أجمعين ○ أبواب ط مقسوم ○ وعيون ○ لارادة القول بعده آمنين ○ متقابلين ○ بمخرجين ○ الرحيم لا الاليم ○ ۞ التفسير قال جار الله (تلك) اشارة الى ما تضمنته السورة من الآى والكتاب والقرآن المبين السورة وتنكير القرآن للتفخيم وقال آخرون الكتاب والقرآن المبين هو الكتاب الذى وعد الله محمدا صلى الله عليه وسلم والمعنى تلك الآيات آيات ذلك الكتاب الكامل فى كونه كتابا وفى كونه قرآنا مفيد اللبيان أما قوله (ربما يود) فذكر السكاكى أن فيه سبع لغات أخر بعد المشهورة رب بالراء مضمومة والباء مخففة مفتوحة أو مضمومة أو مسكنة ورب بالراء مفتوحة والباء كذلك مشددة وربة بالتاء مفتوحة والباء كذلك أى مفتوحة مخففة

يحبس الله أهل الخطايا من المسلمين مع المشركين فى النار قال فيقول لهم المشركون ما أغنى عنكم ما كنتم تعبدون فى الدنيا قال فيغضب الله لهم بفضل رحمته فيخرجهم فذلك حين يقول ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء بن السائب عن مجاهد عن ابن عباس قال ما يزال الله يدخل الجنة ويرحم ويشفع حتى يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة فذلك قوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن هشام الدستوائى قال ثنا حماد قال سألت ابراهيم عن هذه الآية ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال حدثت أن المشركين قالوا لمن دخل النار من المسلمين ما أغنى عنكم ما كنتم تعبدون قال فيغضب الله لهم فيقول للملائكة والنبيين اشفعوا فيشفعون فيخرجون من النار حتى ان ابليس ليتطاول رجاء أن يخرج معهم قال فعند ذلك يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين حدثنى المثنى قال ثنا حجاج قال ثنا حماد عن ابراهيم أنه قال فى قول الله عز وجل ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال يقول من فى النار من المشركين للمسلمين ما أغنت عنكم لا اله الا الله قال فيغضب الله لهم فيقول من كان مسلما فليخرج من النار قال فعند ذلك يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن حماد عن ابراهيم فى قوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال ان أهل النار يقولون كنا أهل شرك وكفر فما شأن هؤلاء الموحدين ما أغنى عنهم عبادتهم اياه قال فيخرج من النار من كان فيها من المسلمين قال فعند ذلك يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن حماد عن ابراهيم عن خصيف عن مجاهد قال يقول أهل النار للموحدين ما أغنى عنكم ايمانكم قال فاذا قالوا ذلك قال أخرجوا من كان فى قلبه مثقال ذرة فعند ذلك يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين حدثنى المثنى قال ثنا مسلم قال ثنا هشام عن حماد قال سألت ابراهيم عن قول الله عز وجل ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال الكفار يعيرون أهل التوحيد ما أغنى عنكم لا اله الا الله فيغضب الله لهم فى أمر النبيين والملائكة فيشفعون فيخرج أهل التوحيد حتى ان ابليس ليتطاول رجاء أن يخرج فذلك قوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا عبد السلام عن خصيف عن مجاهد قال هذا فى الجهنميين اذا رأوهم يخرجون من النار يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا حماد عن عطاء بن السائب عن مجاهد قال اذا فرغ الله من القضاء بين خلقه قال من كان مسلما فليدخل الجنة فعند ذلك يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنى الحسن قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء وحدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال يوم القيامة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عبد الوهاب بن عطاء عن جويبر

شددة وانما دخل على المضارع مع أنه مختص بالماضى لان المترقب فى أخبار الله بمنزلة الماضى المقطوع به فى تحققه فكأنه قيل ربما ود وماهذه كافة أى تكف رب عن العمل فتتهيأ بذلك للدخول على الفعل وقيل ان ما بمعنى شئ أى رب شئ يود الذين كفروا ورب للتقليل فأورد عليه أن تمنيهم يكثر ويتواصل فما معنى التقليل وأجيب بانه على عادة العرب اذا أرادوا التكثير ذكروا لفظا وضع لاجل التقليل كما اذا أرادوا اليقين ذكروا لفظا وضع للشك والمقصود اظهار الترفع والاستغناء عن التصريح بالتعريض فيقولون ربما ندمت على مافعلت ولعلك تندم على فعلك وان كان العلم حاصلا بكثرة الندم ووجوده بغير شك أرادوا لو كان الندم قليلا أو مشكوكا فيه لحق عليك أن لا تفعل هذا الفعل لان العقلاء يتحرزون من الغم القليل كما يحذرون من الغم الكثير ومن الغم المظنون كما من المتيقن فمعنى الآية لو كانوا يودون الاسلام مرة واحدة كان جديرا بالمسارعة اليه فكيف وهم يودونه فى كل ساعة وقوله (لو كانوا مسلمين) اخبار عن ودادتهم كقولك حلف بالله ليفعلن ولو قيل لو كنا مسلمين جاز من حيث العربية كقولك حلف بالله لافعلن ومتى تكون هذه الودادة قال الزجاج ان الكافر كلما رأى حالا من أحوال العذاب أو رأى حالا من أحوال المسلم ودلو كان مسلما وعلى هذا فقد قيل فى وجه التقليل ان العذاب يشغلهم عن كثير التمنى فلذلك قلل وقال الضحاك هى عند الموت اذا شاهد أمارات العذاب وقيل اذا اسودت وجوههم روى عن النبى صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة اجتمع أهل النار ومعهم من شاء الله من أهل القبلة فقال الكفار لهم ألستم مسلمين قالوا بلى قالوا فما أغنى عنكم اسلامكم وقد صرتم معنا فى النار فيغضب الله لهم فيأمر لكل من كان من أهل القبلة بالخروج فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية وروى مجاهد عن ابن عباس أنه قال مايزال الله يرحم المؤمنين ويخرجهم من النار ويدخلهم الجنة بشفاعة الملائكة والانبياء حتى انه تعالى فى آخر الامر يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة فهنالك يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين (ذرهم)

عن الضحاك فى قوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال فيها وجهان اثنان يقولون اذا حضر الكافر الموت ولو كان مسلما ويقول آخرون بل يعذب الله ناسا من أهل التوحيد فى النار بذنوبهم فيعرفهم المشركون فيقولون ما أغنت عنكم عبادة ربكم وقد ألقاكم فى النار فيغضب لهم فيخرجهم فيقول ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن أبى جعفر عن الربيع عن أبى العالية فى قوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال نزلت فى الذين يخرجون من النار حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وذلك والله يوم القيامة ودوا لو كانوا فى الدنيا مسلمين حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين (١) حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء عن مجاهد عن ابن عباس قال مايزال الله يدخل الجنة وبشفع حتى يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة فذلك حين يقول ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ذر يا محمد هؤلاء المشركين يأكلوا فى هذه الدنيا ماهم آكلوه ويتمتعوا من لذاتها وشهواتهم فيها الى أجلهم الذى أجلت لهم ويلههم الأمل عن الاخذ بحظهم من طاعة الله فيها وتزودهم لمعادهم منها بما يقربهم من ربهم فسوف يعلمون غدا اذا وردوا عليه وقد هلكوا على كفرهم بالله وشركهم حين يعاينون عذاب الله أنهم كانوا من تمتعهم بما كانوا يتمتعون فيها من اللذات والشهوات كانوا فى خسار وتباب ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم ﴾ يقول تعالى ذكره وما أهلكنا يا محمد من أهل قرية من أهل القرى التى أهلكنا أهلها فيما مضى الا ولها كتاب معلوم يقول الا ولها أجل مؤقت ومدة معروفة لانهلكهم حتى يبلغوها فاذا بلغوها أهلكناهم عند ذلك فيقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فكذلك أهل قريتك التى أنت منها وهى مكة لانهلك مشركى أهلها الا بعد بلوغ كتابهم أجله لأن من قضائى أن لا أهلك أهل قرية الا بعد بلوغ كتابهم أجله ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون ﴾ يقول تعالى ذكره ما يتقدم هلاك أمة قبل أجلها الذى جعله الله أجلا لهلاكها ولا يستأخر هلاكها عن الاجل الذى جعل لها أجلا كما حدثنى المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى فى قوله ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون قال نرى أنه اذا حضر أجله فانه لا يؤخر ساعة ولا يقدم وأما مالم يحضر أجله فان الله يؤخر ماشاء ويقدم ماشاء ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وقالوا يا أيها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون لو ما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين ﴾ يقول تعالى ذكره وقال هؤلاء المشركون لك من قومك يا محمد يا أيها الذى نزل عليه الذكر وهو القرآن الذى ذكر الله فيه مواعظ خلقه انك لمجنون فى دعائك ايانا الى أن نتبعك ونذر آلهتنا ولو ما تأتينا بالملائكة قالوا هلا تأتينا بالملائكة شاهدة لك على صدق ما تقول ان كنت من الصادقين يعنى ان كنت صادقا فى أن الله تعالى بعثك الينا رسولا وأنزل عليك كتابا فان الرب الذى

(١) أى بمثل حديث بشر قبله فتنبه كتبه مصححه

ظاهره أمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه يخليهم وشأنهم فاحتجت الاشاعرة به على أنه سبحانه وتعالى قد يصد عن الايمان وبفعل المكلف ما يكون مفسدة فى الدين وقالت المعتزلة ليس هذا اذنا وتجويزا وانما هو تهديد ووعيد وقطع طمع النبى عن ارعوائهم وفيه أن من أهل الخذلان ولا يجىء منهم الا ما هم فيه ولا زاجر لهم ولا واعظ الا معاينة ما ينذرون به حين لا ينفعهم الا

وفى الآية تنبيه على أن ايثار التلذذ والتمتع وما يؤدى اليه طول الامل ليس من أخلاق المؤمنين و (معنى (يلههم الامل) يشغلهم الرجاء عن الايمان والطاعة لهيت عن الشئ بالكسر ألهى لها اذا سلوت عنه وتركت ذكره وأضربت عنه وألهانى غيره عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم خط خطا وقال هذا الانسان وخط آخر الى جنبه وقال هذا أجله وخط آخر بعيدا منه فقال هذا الامل فبينما هو كذلك اذ جاءه الاقرب (فسوف يعلمون) سوء صنيعهم مزيد تأكيد للتهديد ثم ذكر ما هو نهاية فى الزجر والتحذير فقال (وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب) أى مكتوب (معلوم) وهو أجلها الذى كتب فى اللوح قال جار الله قوله ولها كتاب جملة واقعة صفة لقرية والواو لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف وذكر السكاكى فى المفتاح أن هذا سهو لان الفصل بين الموصوف والصفة لا يجوز ولكن الجملة حال من قرية ومثل هذا جائز ولو كان ذو الحال نكرة محضة كقولك جاءنى رجل وعلى كتفه سيف لعدم التباس الحال بالوصف لامكان الفاصلة بالواو وكيف وقد زادت الفاصلة فى الآية بكلمة الاو ذو الحال قريب من المعرفة اذ التقدير وما أهلكنا قرية من القرى من قبل افادة من الاستغراق قال قوم المراد بهذا الهلاك عذاب الاستئصال الذى كان ينزله الله بالمكذبين المعاندين من الامم السالفة وقال آخرون

فعل ما تقول بدّ لا يتعذر عليه ارسال ملك من ملائكته معه حجة لك علينا وآية على نبوتك وصدق مقالتك والعرب تضع موضع لوما لولا وموضع لولا لوما من ذلك قول ابن مقبل

لوما الحياء ولوما الدين عبتكما * ببعض ما فيكما اذ عبتما عورى

يريد لولا الحياء وبنحو الذى قلنا فى معنى الذكر قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك نزل عليه الذكر قال القرآن

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ما ننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذا منظرين﴾ اختلفت القراء فى قراءة قوله ما تنزل الملائكة فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة ما تنزل الملائكة بالتاء تنزل وفتحها ورفع الملائكة بمعنى ما تنزل الملائكة على أن الفعل للملائكة وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة ما نسنزل الملائكة بالنون فى تنزل وتشديد الزاى ونصب الملائكة بمعنى ما تنزل الله الملائكة حينئذ منصوب بوقوع تنزل عليها وقرأ بعض قراء أهل الكوفة ما تنزل الملائكة برفع الملائكة والتاء فى تنزل وضمها على وجه ما لم يسم فاعله قال أبو جعفر وكل هذه القراءات الثلاث متقاربات المعانى وذلك أن الملائكة اذا نزلها الله على رسول من رسله تنزلت اليه واذا تنزلت اليه فانما تنزل بانزال الله اياها اليه فبأى هذه القراءات الثلاث قرأ ذلك القارئ فمصيب الصواب فى ذلك وان كنت أحب لقارئه أن لا يعدو فى قراءته احدى القراءتين اللتين ذكرت من قراءة أهل المدينة والاخرى التى عليها جمهور قراء الكوفيين لان ذلك هو القراءة المعروفة فى العامة والاخرى أعنى قراءة من قرأ ذلك ما تنزل بضم التاء من تنزل ورفع الملائكة شاذة قليل من قرأ بها فتأويل الكلام ما تنزل ملائكتنا الا بالحق يعنى بالرسالة الى رسلنا أو بالعذاب لمن أردنا تعذيبه ولو أرسلنا الى هؤلاء المشركين على ما يسألون ارسالهم معك آية فكفروا لم ينظروا فيؤخروا بالعذاب بل عوجلوا به كما فعلنا ذلك بمن قبلهم من الامم حين سألوا الآيات فكفروا حين أتتهم الآيات فعاجلناهم بالعقوبة وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله ما تنزل الملائكة الا بالحق قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء وحدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ما تنزل الملائكة الا بالحق قال بالرسالة والعذاب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله القول فى تأويل قوله تعالى ﴿انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون﴾ يقول تعالى ذكره انا نحن نزلنا الذكر وهو القرآن وانا له لحافظون قال وانا للقرآن لحافظون من أن يزاد فيه باطل ما ليس منه أو ينقص منه ما هو منه من أحكامه وحدوده وفرائضه والهاء فى قوله له من ذكر الذكر وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنى الحسن قال ثنا

أراد الموت والاول أقرب لانه فى الزجر أبلغ وكأنه قيل ان هذا الامهال لا ينبغى أن يغتر به العاقل فان لكل شبابة أمة وقتا معينا فى نزول العذاب لا يتقدم ولا يتأخر وقيل أراد مجموع الامرين قال صاحب النظم اذا كان السبق واقعا على شخص فعناه وخلف كقولك سبق زيد عمرا أى جازه وخلفه وأنه قصر عنه وما بلغه واذا كان واقعا على زمان فعلى العكس كقولك سبق فلان عام

معناه مضى قبل اتيانه ولم يبلغه فمعنى الآية أنه لا يحصل أجل أمة قبل وقته ولا بعده كما فى كل حادث وقدم بحث الأجل فى أول سورة الانعام وأنث الامة أولا ثم ذكرها آخرا فى قوله (وما يستأخرون) حملا على اللفظ والمعنى وحذف متعلق يستأخرون وهو عنه للعلم به ولما بالغ فى تهديد الكفار شرع فى تعديد بعض شيمهم ومطاعنهم فى النبى فالأولى أنهم كانوا (٧) يحكمون عليه بالجنون لانهم كانوا يسمعون منه صلى الله عليه وسلم ما لا يوافق آراءهم ولا يطابق أهواءهم وانما نادوه بيا أيها الذى نزل عليه الذكر مع أنهم كانوا لا يقرون بنزول الوحى عليه تعكيسا للكلام استهزاء وتهكما أو أرادوا يا أيها الذى نزل عليه الوحى فى زعمه واعتقاده وعند أصحابه وأتباعه الثانية (لو ما تأتينا بالملائكة) لو ما حرف تحضيض مركب من لو المفيدة للتمنى ومن ما المزيدة فأفاد المجموع الحث على الفعل الداخل هو عليه والمعنى هلا تأتينا بالملائكة ليشهدوا على صدقك ويعضدوك على انذارك والمراد هلا تأتينا بملائكة العذاب ان كنت صادقا فى أن تكذيبك يقتضى التعذيب العاجل فأجاب الله سبحانه عن شبههم بقوله (ما ننزل الملائكة الا بالحق) قالت المعتزلة أى تنزيلا متلبسا بالحكمة والمصلحة والغاية الصحيحة ولا حكمة فى أن تأتيكم عيانا فان أمر التكليف حينئذ يؤول الى الاضطرار والالجاء ولا فائدة تعود عليكم لانه تعالى يعلم اصراركم على الكفر فيصير انزالهم عبثا أولا حكمة فى انزالهم لانهم لو نزلوا ثم لم تؤمنوا وجب عذاب الاستئصال وذلك قوله (وما كانوا اذا منظرين) فان التكليف يزول عند نزول الملائكة وقد علم الله من المصلحة أن لا يهلك هذه الأمة ويمهلهم لما علم من ايمان بعضهم أو ايمان أولادهم وقالت الاشاعرة الا بالحق أى الا بالوحى أو العذاب قال صاحب النظم لفظ اذن مركبة من اذ بمعنى حين ومن أن الدالة على مجىء فعل بعده فخففت الهمزة بحذفها بعد نقل حركتها وكأنه قيل وما كانوا منظرين اذ أن كان ما طلبوا وقال غيره اذن جواب وجزاء تقديره ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين وما أخر عذابهم ثم أنكر على الكفار استهزاءهم فى قولهم يا أيها الذى نزل عليه الذكر فقال على سبيل التوكيد (انا نحن نزلنا الذكر) ثم دل على كونه آية منزلة من

نبابة قال ثنا ورقاء حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله وانا له لحافظون قال عندنا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون قال فى آية أخرى لا يأتيه الباطل والباطل ابليس من بين يديه ولا من خلفه فأنزله الله ثم حفظه فلا يستطيع ابليس أن يزيد فيه باطلا ولا ينقص منه حقا حفظه الله من ذلك حدثنى محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وانا له لحافظون قال حفظه الله من أن يزيد فيه الشيطان باطلا أو ينقص منه حقا وقيل الهاء فى قوله وانا له لحافظون من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم يعنى وانا لمحمد حافظون ممن أراده بسوء من أعدائه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولقد أرسلنا من قبلك فى شيع الاولين وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولقد أرسلنا يا محمد من قبلك فى الامم الاولين رسلا وترك ذكر الرسل اكتفاء بدلالة قوله ولقد أرسلنا من قبلك عليه وعنى بشيع الاولين أمم الاولين واحدتها شيعة ويقال أيضا لاولياء الرجل شيعته وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس ولقد أرسلنا من قبلك فى شيع الاولين يقول أمم الاولين حدثنى المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا هشام عن عمرو عن سعيد عن قتادة فى قوله ولقد أرسلنا من قبلك فى شيع الاولين قال فى الامم وقوله وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن يقول وما يأتى شيع الاولين من رسول من الله يرسله اليهم بالدعاء الى توحيده والاذعان بطاعته الا كانوا به يستهزؤن يقول الا كانوا يسخرون بالرسول الذى يرسله الله اليهم عتوا منهم وتمردا على ربهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين لا يؤمنون به وقد خلت سنة الاولين ﴾ يقول تعالى ذكره كما سلكنا الكفر فى قلوب شيع الاولين بالاستهزاء بالرسل كذلك نفعل ذلك فى قلوب مشركى قومك الذين أجرموا بالكفر بالله لا يؤمنون به يقول لا يصدقون بالذكر الذى أنزل اليك والهاء فى قوله نسلكه من ذكر الاستهزاء بالرسل والتكذيب بهم كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين قال التكذيب حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين لا يؤمنون به قال اذا كذبوا سلك الله فى قلوبهم أن لا يؤمنوا به حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن جيد عن الحسن فى قوله كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين قال الشرك حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا حماد بن سلمة عن جميد قال قرأت القرآن كله على الحسن فى بيت أبى خليفة ففسره أجمع على الاثبات فسألته عن قوله كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين قال أعمال سيعملونها لم يعملوها حدثنى المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن حماد بن سلمة عن جميد الطويل قال قرأت القرآن كله على

عنده فقال (وانا له لحافظون) لانه لو كان من قول البشر أو لم يكن آية لم يبق محفوظا من التغيير والاختلاف وقيل الضمير في له لرسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله والله يعصمك من الناس والقول الاول أوضح ووجه حفظ القرآن قيل هو جعله معجزا مباينا لكلام البشر حتى لو زادوا فيه شيأ ظهر ذلك للعقلاء ولم يخف (٨) فلذلك بقي مصونا عن التحريف وقيل حفظ بالدرس والبحث ولم يزل طائفة يحفظونه ويدرسونه ويكتبونه في القراطيس باحتياط بليغ وجد كامل حتى ان الشيخ المهيب لو اتفق له لحن في حرف من كتاب الله لقال له بعض الصبيان أخطأت ومن جملة اعجاز القرآن وصدقه أنه سبحانه أخبر عن بقائه محفوظا عن التغيير والتحريف وكان كما أخبر بعد تسعمائة سنة فلم يبق للوحدشك في اعجازه وههنا نكتة هي أنه سبحانه تولى حفظ القرآن ولم يكله الى غيره فبقي محفوظا على مر الدهور بخلاف الكتب المتقدمة فانه لم يتول حفظها وانما استحفظها الربانيين والأحبار فاختلفوا فيما بينهم ووقع التحريف ثم ذكر أن عادة هؤلاء الجهال مع جميع الانبياء كذلك والغرض تسلية النبي صلى الله عليه وسلم وفي الكلام اضمار والتقدير (ولقد أرسلنا من قبلك) رسلا الا أنه حذف ذكر الرسل لدلالة الارسال عليه ومعنى (في شيع الاولين) في أممهم وأتباعهم وقد مر معنى الشيعة في آخر الانعام قال جار الله معنى أرسلنا فيهم جعلناهم رسلا فيما بينهم قال الفراء اضافة الشيع الى الاولين من اضافة الموصوف الى الصفة كقوله حق اليقين وبجانب الغربي وقوله (وما يأتيهم) حكاية حال ماضية وانما كان الاستهزاء بالرسل عادة الجهلة في كل قرن لان الفطام عن المألوف شديد وكون الانسان مسخرا لأمر من هو مثله أو أقل حالا منه في المال والجاه والقبول أشد على أن السبب الكلي فيه هو الخذلان وعدم التوفيق من الله سبحانه ووقوعهم عن مظاهر القهر في الازل قوله (كذلك نسلكه) السلك ادخال الشئ في الشئ كالخيط في المخيط وقالت الاشاعرة الضمير في نسلكه يجب عوده الى أقرب المذكورات وهو الاستهزاء الدال عليه يستهزؤن وأما الضمير في قوله (لا يؤمنون به) فيعود الى الذكر لأنه لو عاد الى الاستهزاء

الحسن فما كان يفسره الا على الاثبات قال وقفته على نسلكه قال الشرك قال ابن المبارك سمعت سفيان يقول في قوله نسلكه قال نجعله **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله كذلك نسلكه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به قال هم كما قال الله هو أضلهم ومنعهم الايمان يقال منه سلكه يسلكه سلكا وسلوكا وأسلكه يسلكه اسلاكا ومن السلوك قول عدي بن زيد

وكنت لزاز خصمك (١) لم أعرد * وقد سلكوك في يوم عصيب

ومن الاسلاك قول الآخر

حتى اذا أسلكوهم في قتائدة * شلا كما تطرد الجمالة الشردا

وقوله وقد خلت سنة الاولين يقول تعالى ذكره لا يؤمن بهذا القرآن قومك الذين سلكت في قلوبهم التكذيب حتى يروا العذاب الاليم أخذا منهم سنة أسلافهم من المشركين قبلهم من قوم عاد وثمود وضربائهم من الامم التي كذبت رسلها فلم تؤمن بما جاءها من عند الله حتى حل بها سخط الله فهلكت وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله كذلك نسلكه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به وقد خلت سنة الاولين وقائع الله فيمن خلا قبلكم من الامم ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون ﴾ اختلف أهل التأويل في المعنيين بقوله فظلوا فيه يعرجون فقال بعضهم معنى الكلام ولو فتحنا على هؤلاء القائلين لك يا محمد لو ما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين بابا من السماء فظلت الملائكة تعرج فيه وهم يرونهم عيانا لقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد ابن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون يقول لو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلت الملائكة تعرج فيه لقال أهل الشرك انما أخذ أبصارنا وشبه علينا وانما سحرنا فذلك قولهم لو ما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن ابن عباس فظلوا فيه يعرجون فظلت الملائكة يعرجون فيه يراهم بنو آدم عيانا لقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون لو ما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين قال ما بين ذلك الى قوله ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون قال رجع الى قوله لو ما تأتينا بالملائكة ما بين ذلك قال ابن جريج قال ابن عباس فظلت الملائكة تعرج فنظروا اليهم لقالوا انما سكرت أبصارنا قال قريش تقوله **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون قال قال ابن عباس لو فتح الله عليهم من السماء بابا فظلت الملائكة تعرج فيه يقول يختلفون فيه جائين وذاهبين لقالوا انما سكرت أبصارنا **حدثت**

---

(١) التعريد سرعة الذهاب في الهزيمة وسبق في سورة هود لم أعدد بالدال وهو تصحيف فتنبه . منه

وعدم الايمان بالاستهزاء حق وصواب لم يتوجه اللوم على الكفار ولا يلزم من تعاقب الضمائر عودها على شئ واحد وان كان الأحسن ذلك والحاصل أن مقتضى الدليل عود الضمير الى الاقرب الا اذا منع مانع من اعتباره وقال بعض الادباء منهم قوله لا يؤمنون به تفسير للكناية فى قوله نسلكه أى نجعل فى قلوبهم أن لا يؤمنوا به فثبتت دلالة الآية على أن الكفر والضلال والاستهزاء ونحوها من الافعال كلها بخلق الله وايجاده وقالت المعتزلة الضميران يعودان الى الذكر لانه شبه هذا السلك بعمل آخر قبله وليس الا تنزيل الذكر والمعنى مثل ذلك الفعل نسلك الذكر فى قلوب المجرمين ومحل لا يؤمنون به نصب على الحال أى غير مؤمن به أو هو بيان لقوله كذلك نسلكه والحاصل أنا نلقيه فى قلوبهم مكذبا مستهزأ به غير مقبول نظيره ما اذا أنزلت بلئيم حاجة فلم يجبك اليها فقلت كذلك أنزلها باللئام تعنى مثل هذا الانزال أنزلها بهم مردودة غير مقضية واعترض بأن النون انما يستعمله الواحد المتكلم اظهارا للعظمة والجلال ومثل هذا التعظيم انما يحسن ذكره اذا فعل فعلا يظهر له أثر قوى كامل أما اذا فعل بحيث يكون منازعه ومدافعه غالبا عليه فانه يستقبح ذكره على سبيل التعظيم والأمر ههنا كذلك لانه تعالى سلك استماع القرآن وتحفيظه وتعليمه فى قلب الكافر لاجل أن يؤمن به ثم انه لم يلتفت اليه ولم يؤمن به فصار فعل الله كالهدر الضائع وصار الشيطان كالغالب المدافع فكيف يحسن ذكر النون المشعر بالتعظيم فى هذا المقام أما قوله (وقد خلت سنة الاولين) فقيل أى طريقتهم التى بينها الله فى اهلاكهم حين كذبوا برسلهم وبالذكر المنزل عليهم وهذا يناسب تفسير المعتزلة وفيه وعيد لأهل مكة على تكذيبهم وقيل قد مضت سنة الله فى الاولين بأن يسلك الكفر والضلال فى قلوبهم وهذا قول الزجاج ويناسب تفسير الاشاعرة ثم حكى اصرارهم على الجهل والتكذيب بقوله (ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا) أى هؤلاء الكفار (فيه يعرجون) يتصاعدون (لقالوا انما سكرت أبصارنا) هو من سكر الشراب أو من سكر سد الشق يقال

عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون يعنى الملائكة يقول لو فتحت على المشركين بابا من السماء فنظروا الى الملائكة تعرج بين السماء والارض لقال المشركون نحن قوم مسحورون سحرنا وليس هذا بالحق ألا ترى أنهم قالوا قبل هذه الآية لو ما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا هشام عن عمر عن نصر عن الضحاك فى قوله ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون قال لو أنى فتحت بابا من السماء تعرج فيه الملائكة بين السماء والارض لقال المشركون بل نحن قوم مسحورون ألا ترى أنهم قالوا لو ما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين * وقال آخرون انما عنى بذلك بنو آدم ومعنى الكلام عندهم ولو فتحنا على هؤلاء المشركين من قومك يا محمد بابا من السماء فظلوا هم فيه يعرجون لقالوا انما سكرت أبصارنا ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون قال قتادة كان الحسن يقول لو فعل هذا ببنى آدم فظلوا فيه يعرجون أى يختلفون لقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون وأما قوله يعرجون فان معناه يرقون فيه ويصعدون يقال منه عرج يعرج عروجا اذا رقى وصعد وواحدة المعارج معرج ومعراج ومنه قول كثير

الى حسب عودنا المرء قبله * أبوه له فيه معارج سلم

وقد حكى عرج يعرج بكسر الراء فى الاستقبال وقوله لقالوا انما سكرت أبصارنا يقول لقال هؤلاء المشركون الذين وصف جل ثناؤه صفتهم ما هذا بحق انما سكرت أبصارنا واختلفت القراء فى قراءة قوله سكرت فقرأ أهل المدينة والعراق سكرت بتشديد الكاف بمعنى غشيت وغطيت هكذا كان يقول أبو عمرو بن العلاء فيما ذكر لى عنه وذكر عن مجاهد أنه كان يقرأ لقالوا انما سكرت **حدثنى** بذلك الحرث قال ثنا القاسم قال سمعت الكسائى يحدث عن حمزة عن شبل عن مجاهد أنه قرأها سكرت أبصارنا خفيفة وذهب مجاهد فى قراءته ذلك كذلك الى حبست أبصارنا عن الرؤية والنظر من سكور الريح وذلك سكونها وركودها يقال منه سكرت الريح اذا سكنت وركدت وقد حكى عن أبى عمرو بن العلاء أنه كان يقول هو مأخوذ من سكر الشراب وأن معناه قد غشى أبصارنا السكر وأما أهل التأويل فانهم اختلفوا فى تأويله فقال بعضهم معنى سكرت سدت ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا ورقاء **وحدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء **وحدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل **وحدثنى** المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله سكرت أبصارنا قال سدت **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا حجاج يعنى ابن محمد عن ابن جريج قال أخبرنى ابن كثير قال سدت **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله سكرت أبصارنا يعنى سدت فكأن مجاهدا ذهب فى قوله وتأويله ذلك بمعنى

سكر النهر اذا سدّه وحبسه من الجرى والتركيب يدل على قطع الشئ من سننه الجارى عليه ومنه السكر فى الشراب لانه ينقطع عما كان عليه من المضاء فى حال الصحو فعنى الآية حيرت أبصارنا ووقع بها من فساد النظر ما يقع بالرجل السكران أو حبست عن أفعالها بحيث لا ينفذ نورها ولا تدرك الاشياء على حقائقها عن ابن عباس المراد لو ظل المشركون يصعدون فى تلك المعارج ويظرون الى ملكوت الله تعالى وقدرته وسلطانه والى عبادة الملائكة الذين هم من خشية ربهم مشفقون لتشككوا فى تلك الرؤية ولقالوا مصرين على كفرهم وجهلهم كما جحدوا سائر المعجزات من انشقاق القمر وما خص به النبى صلى الله عليه وسلم من القرآن المعجز الذى لا يستطيع الجن والانس أن يأتوا بمثله قال فى الكشاف ذكر الظلول يعنى أنه قال فظلوا ولم يقل فباتوا ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون وقال انما سكرت ليدل على أنهم يبتون القول بأن ذلك ليس إلا تسكيرا للابصار وقيل الضمير فى فظلوا للملائكة أى لو أريناهم الملائكة يصعدون فى السماء عيانا لقالوا ان السحرة سحرونا وجعلونا بحيث نشاهد هذه الاباطيل التى لا حقيقة لها وههنا سؤال وهو أنه كيف جاز من جم غفير أن يصيروا شاكين فيما يشاهدونه بالعين السليمة فى النهار الواضح وأجيب بأنهم قوم مخصوصون لم يبلغوا مبلغ التواتر وكانوا وُساة قليلى العدد فجاز تواطؤهم على المكابرة والعناد لاسيما اذا جعهم غرض معتبر كدفع حجة أو غلبة خصم ولما أجاب عن شبه منكرى النبوة بما أجاب وكان القول بالنبوة مفرعا على القول بالصانع أتبعه دلائل ذلك فقال (ولقد جعلنا فى السماء بروجا) وهى اثنا عشر عند أهل النجوم وذلك أنهم قسموا نطاق الفلك الثامن عندهم باثنى عشر قسما متساوية ثم أجيز بمنتهى كل قسم وبأوله مبتدأة أبو من أول الحمل نصف دائرة عظيمة مارة بقطبى الفلك فصار الفلك أيضا منقسما باثنتى عشرة قطعة كل منها تشبه ضلعا من أضلاع البطيخ تسمى برجا ولا شك أن هذه البروج مختلفة الطباع كل ثلاثة منها على طبيعة عنصر من العناصر الاربعة فلذلك يسمى الحمل والاسد والقوس

سدت الى أنه بمعنى منعت النظر كما يسكر الماء فيمنع من الجرى بحبسه فى مكان بالسكر الذى يسكر به * وقال آخرون معنى سكرت أخذت ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة عن ابن عباس لقالوا انما سكرت أبصارنا يقول أخذت أبصارنا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس انما أخذ أبصارنا وشبه علينا وانما سحرنا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة لقالوا انما سكرت أبصارنا يقول سحرت أبصارنا يقول أخذت أبصارنا حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن أبى حماد قال ثنا شيبان عن قتادة قال من قرأ سكرت مشددة يعنى سدت ومن قرأ سكرت مخففة فانه يعنى سحرت وكأن هؤلاء وجهوا معنى قوله سكرت الى أن أبصارهم سحرت فشبه عليهم ما يبصرون فلا يميزون بين الصحيح مما يرون وغيره من قول العرب سكر على فلان رأيه اذا اختلط عليه رأيه فيما يريد فلم يدر الصواب فيه من غيره فاذا عزم على الرأى قالوا ذهب عنه التسكير * وقال آخرون هو مأخوذ من السكر ومعناه غشى على أبصارنا فلا نبصر كما يفعل السكر بصاحبه فذلك اذا دير به وغشى بصره كالسماد ير فلم يبصر ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله انما سكرت أبصارنا قال سكرت السكران الذى لا يعقل * وقال آخرون معنى ذلك عميت ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عبد الوهاب بن عطاء عن الكلبى سكرت قال عميت * وأولى هذه الاقوال بالصواب عندى قول من قال معنى ذلك أخذت أبصارنا وسحرت فلا تبصر الشئ على ما هو به وذهب حدا بصارها وانطفأ نوره كما يقال للشئ الحار اذا ذهبت فورته وسكن حدّ حره قد سكر يسكر قال المثنى بن جندل الطهوى

جاء الشتاء واجثأل القبر * واستخفت الأفعى وكانت تطبر

* وجعلت عين الحرور تسكر *

أى تسكن وتذهب وتنطفئ وقال ذو الرمة

قبل انصداع الفجر والتهجر * وخوضهن الليل حين يسكر

يعنى حين تسكن فورته وذكر عن قيس أنها تقول سكرت الريح تسكر سكورا بمعنى سكنت وان كان ذلك عنها صحيحا فان معنى سكرت وسكرت بالتخفيف والتشديد متقاربان غير أن القراءة التى لا أستجيز غيرها فى القرآن سكرت بالتشديد لاجماع الحجة من القراء عليها وغير جائز خلافها فيما جاءت به مجمعة عليه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولقد جعلنا فى السماء بروجا وزيناها للناظرين ﴾ يقول تعالى ذكره ولقد جعلنا فى السماء الدنيا منازل للشمس والقمر وهى كواكب ينزلها الشمس والقمر وزيناها للناظرين يقول وزينا السماء بالكواكب لمن نظر اليها وأبصرها * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء وحدثنى المثنى قال أخبرنا

مثلثة نارية والثور والسنبلة والجدى مثلثة أرضية والجوزاء والميزان والدلو مثلثة هوائية والسرطان والعقرب والحوت مثلثة مائية ثم ان كانت أجزاء الفلك مختلفة فى الماهية على ما يجوزه المتكلمون أو كانت متساوية فى تمام الماهية مختلفة فى التأثير كما يقول به الحكيم فعلى التقديرين يكون اختصاص كل جزء بطبيعة معينة أو بتأثير معين مع تساوى الكل فى حقيقة الجسمية دالا على صانع حكيم ومدبر قدير الدليل الآخر قوله (وزيناها) أى بالشمس والقمر والنجوم (للناظرين) بنظر الاعتبار والاستبصار وقال المنجمون ان الكواكب الثابتة كلها على الفلك الثامن وهذا لا ينافى الآية على ما يمكن أن يسبق الى الوهم لانها سواء كن فى سماء الدنيا أو فى سموات أخر فوقها فلا بد أن يكون ظهورها فى السماء الدنيا فتكون السماء الدنيا مزينة بها والآية لا تدل الا على هذا القدر ونظير هذه الآية قوله تعالى فى حم السجدة وزينا السماء الدنيا بمصابيح ومثله فى سورة الملك الدليل الثالث قوله (وحفظناها) أى البروج أو السماء (من كل شيطان رجيم الا من استرق السمع) نصب على الاستثناء المنقطع أى لكن من استرق وجائز أن يكون مخفوضا أى الا ممن استرق وعن ابن عباس يريد الخطفة اليسيرة (فاتبعه) أى أدركه ولحقه (شهاب مبين) ظاهر للبصرين والشهاب شعلة نار ساطع وقد يسمى الكوكب شهابا لاجل لمعانه وبريقه قال ابن عباس كانت الشياطين لا يحجبون من السموات وكانوا يدخلونها ويسمعون أخبار الغيوب من الملائكة فيلقونها على الكهنة فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها وهذا هو المراد بحفظ السموات كما لو حفظ أحد نا منزله ممن يتجسس

أبو حذيفة قال ثنا شبل **وحدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ولقد جعلنا فى السماء بروجا قال كواكب **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولقد جعلنا فى السماء بروجا وبروجها نجومها **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة بروجا قال الكواكب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وحفظناها من كل شيطان رجيم الا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين﴾ يقول تعالى ذكره وحفظنا السماء الدنيا من كل شيطان لعين قد رجمه الله ولعنه الا من استرق السمع يقول لكن قد يسترق من الشياطين السمع مما يحدث فى السماء بعضها فيتبعه شهاب من النار مبين يبين أثره فيه اما بابخباله وافساده أو باحراقه وكان بعض نحويى أهل البصرة يقول فى قوله الا من استرق السمع هو استثناء خارج كما قال ما أشتكى الا خيرا يريد أذكر خيرا وكان ينكر ذلك من قيله بعضهم ويقول اذا كانت الا بمعنى لكن عملت عمل لكن ولا يحتاج الى اضمار اذكر ويقول لو احتاج والامر كذلك الى اضمار اذكر احتاج قول القائل قام زيد لا عمرو الى اضمار اذكر ۞ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا عفان بن مسلم قال ثنا عبد الواحد بن زياد قال ثنا الاعمش عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال تصعد الشياطين أفواجا تسترق السمع قال فينفرد المارد منها فيعلو فيرمى بالشهاب فيصيب جبهته أو جنبه أو حيث شاء الله منه فيلتهب فيأتى أصحابه وهو يلتهب فيقول انه كان من الامر كذا وكذا قال فيذهب أولئك الى اخوانهم من الكهنة فيزيدون عليه أضعافه من الكذب فيخبرونهم به فاذا رأوا شيأ مما قالوا قد كان صدقوهم بما جاؤهم به من الكذب **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فى قوله وحفظناها من كل شيطان رجيم الا من استرق السمع قال أراد أن يخطف السمع وهو كقوله الا من خطف الخطفة **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الا من استرق السمع وهو نحو قوله الا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله الا من استرق السمع قال خطف الخطفة **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله الا من استرق السمع هو كقوله الا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب كان ابن عباس يقول ان الشهب لا تقتل ولكن تحرق وتخبل وتجرح من غير أن تقتل **حدثنى** الحرث قال ثنا القاسم قال ثنى حجاج عن ابن جريج من كل شيطان رجيم قال الرجيم الملعون قال وقال القاسم عن الكسائى أنه قال الرجم فى جميع القرآن الشتم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل شئ موزون﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله والارض مددناها والارض دحوناها فبسطناها وألقينا فيها رواسى يقول وألقينا فى ظهورها رواسى يعنى جبالا ثابتة كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله والأرض مددناها وقال فى آية أخرى والارض بعد ذلك دحاها وذكر لنا أن أم القرى مكة منها دحيت الارض قوله وألقينا فيها رواسى رواسيها جبالها وقد بينا معنى الرسو فيما مضى بشواهده المغنية عن اعادته وقوله وأنبتنا فيها من كل شئ

يخشى منه الفساد والاسراق السعى فى استماع الكلام مستخفيا قال الحكماء ان الارض اذا سخنت بالشمس ارتفع منها بخار يابس فاذا بلغ النار التى دون الفلك احترق بها واشتعل لدهنية فيه فيحدث منها أنواع النيران من جملتها الشهب فلا ريب أنها كانت موجودة قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم الا أنها لم تكن مسلطة على الشياطين وانما قيض كونها رجوما للشياطين فى زمن عيسى عليه السلام ثم فى زمن

موزون يقول وأنبتنا في الارض من كل شئ يقول من كل شئ بقدر مقدر وبحد معلوم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** المثنى قال ثنا عبدالله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وأنبتنا فيها من كل شئ موزون يقول معلوم **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وأنبتنا فيها من كل شئ موزون يقول معلوم **حدثني** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا اسمعيل بن أبي خالد عن أبي صالح أو عن أبي مالك في قوله من كل شئ موزون قال بقدر **حدثنا** المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن اسمعيل ابن أبي خالد عن أبي صالح أو عن أبي مالك مثله **حدثني** المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا شريك عن خصيف عن عكرمة من كل شئ موزون قال بقدر **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا علي يعني ابن الجعد قال أخبرنا شريك عن خصيف عن عكرمة من كل شئ موزون قال بقدر **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن خصيف عن عكرمة قال بقدر **حدثنا** أحمد قال ثنا سفيان عن حصين عن سعيد بن جبير من كل شئ موزون قال معلوم **حدثنا** مجاهد بن موسى قال ثنا يزيد قال أخبرنا عبدالله بن يونس قال سمعت الحكم بن عتيبة وسأله أبو مخزوم عن قوله من كل شئ موزون قال من كل شئ مقدور **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا عبدالله بن يونس قال سمعت الحكم وسأله أبو عروة عن قول الله عز وجل من كل شئ موزون قال من كل شئ مقدور هكذا قال الحسن وسأله أبو عروة **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و **حدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء و **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء و **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل و **حدثني** المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبدالله عن ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله من كل شئ موزون قال مقدور بقدر **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد من كل شئ موزون قال مقدور بقدر **حدثني** المثنى قال ثنا علي بن الهيثم قال ثنا يحيى بن زكريا عن ابن جريج عن مجاهد قال مقدور بقدر **حدثنا** المثنى قال ثنا علي بن الهيثم قال ثنا يحيى بن زكريا عن اسمعيل بن أبي خالد عن أبي صالح من كل شئ موزون قال بقدر **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأنبتنا فيها من كل شئ موزون يقول معلوم **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة مثله **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله من كل شئ موزون يقول معلوم * وكان بعضهم يقول معنى ذلك وأنبتنا في الجبال من كل شئ موزون يعني من الذهب والفضة والنحاس والرصاص ونحو ذلك من الاشياء التي توزن ذكر من قال ذلك **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وأنبتنا فيها من كل شئ موزون قال الاشياء التي توزن * وأولى القولين

فهؤلاء الجن ان قدروا على خرق السماء ناقض قوله سبحانه هل ترى من فطور وان لم يقدروا فكيف يمكنهم استماع أسرار الملائكة من ذلك البعد البعيد ولم لا يسمعون كلام الملائكة حال كونهم في الارض وأجيب بأنا سلمنا أن بعد ما بين كل سماء ذلك القدر الا أن نحن الفلك لعله قدر قليل وقد روى الزهري عن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم جالس في نفر من أصحابه اذ رمي بنجم فاستنار فقال ما كنتم تقولون في الجاهلية اذا حدث مثل هذا قالوا كنا نقول يولد عظيم أو يموت عظيم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يرمى لموت أحد ولا لحياته ولكن ربنا تعالى اذا قضى الامر في السماء سبحت حملة العرش ثم سبح أهل السماء وسبح أهل كل سماء حتى ينتهي التسبيح الى هذه السماء و يستخبر أهل السماء حملة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم ولا يزال ينتهي ذلك الخبر من سماء الى سماء الى أن ينتهي الخبر الى هذه السماء و يتخطف الجن فيرمون فما جاؤا به على وجهه فهو حق ولكنهم يزيدون * آخر الشياطين مخلوقون من نار فكيف تحرق النار النار والجواب أن الاقوى قد يبطل الاضعف وان كان من جنسه * آخر إن هذا الرجم لو كان من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم فكيف بقي بعد وفاته الجواب هذا من المعجزات الباقية والغرض منه ابطال الكهانة * آخر إن الشهب قد تحدث بالقرب من الارض والالم عندنا يمكن الاحساس بها فكيف تمنع الشياطين من الوصول الى الفلك حين الاسراق وأجيب بأن البعد عندنا غير مانع من السماع فلعله تعالى أجرى عادته بأنهم اذا وقعوا في تلك المواضع سمعوا كلام الملائكة * آخر لو كان يمكنهم نقل أخبار الملائكة الى الكهنة فكيف لم يقدروا على

نقل أسرار المؤمنين الى الكفار وأجيب بأنه تعالى أقدرهم على شئ وأعجزهم عن شئ ولا يسئل عما يفعل وأقول لعل السبب فيه أن نسبتهم الى الروحانيات أكثر * آخر اذا جوزتم في الجملة اطلاع الجن على بعض المغيبات فقد ارتفع الوثوق عن إخبار النبي صلى الله عليه وسلم عن بعض الغيوب فلا يكون دليلا على صدقه لا يقال انه تعالى أخبر أنهم عجزوا عن ذلك بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم لانا نقول

عندنا بالصواب القول الاول لاجماع الحجة من أهل التاويل عليه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين ﴾ يقول تعالى ذكره وجعلنا لكم أيها الناس في الارض معايش وهي جمع معيشة ومن لستم له برازقين * اختلف أهل التأويل في المعنى في قوله ومن لستم له برازقين فقال بعضهم عنى به الدواب والانعام ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسين قال ثنا ورقاء وحدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء وحدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح وحدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبدالله جميعا عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ومن لستم له برازقين الدواب والانعام حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * وقال آخرون عنى بذلك الوحش خاصة ذكر من قال ذلك حدثني محمد ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور في هذه الآية ومن لستم له برازقين قال الوحش فتأويل من في ومن لستم له برازقين على هذا التأويل بمعنى ما وذلك قليل في كلام العرب * وأولى ذلك بالصواب وأحسن أن يقال عنى بقوله ومن لستم له برازقين من العبيد والاماء والدواب والانعام فمعنى ذلك وجعلنا لكم فيها معايش والعبيد والاماء والدواب والانعام واذا كان ذلك كذلك حسن أن توضع حيث مكان العبيد والاماء والدواب من وذلك أن العرب تفعل ذلك اذا أرادت الخبر عن البهائم معها بنو آدم وهذا التأويل على ما قلناه وصرفنا اليه معنى الكلام اذا كانت من في موضع نصب عطفا به على معايش بمعنى جعلنا لكم فيها معايش وجعلنا لكم فيها من لستم له برازقين وقيل ان من في موضع خفض عطفا به على الكاف والميم في قوله وجعلنا لكم بمعنى وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين وأحسب أن منصورا في قوله هو الوحش قصد هذا المعنى واياه أراد وذلك وان كان له وجه في كلام العرب فبعيد قليل لأنها لا تكاد تظاهر على معنى في حال الخفض وربما جاء في شعر بعضهم في حال الضرورة كما قال بعضهم

هلا سألت بذي الجماجم عنهم * وأبي نعيم ذي اللواء المخرق

فردا أبا نعيم على الهاء والميم في عنهم وقد بينت قبح ذلك في كلامهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وان من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم ﴾ يقول تعالى ذكره وما من شئ من الامطار الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر لكل أرض معلوم عندنا حده ومبلغه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا يزيد بن أبي زياد عن رجل عن عبدالله قال ما من أرض أمطر من أرض ولكن الله يقدره في الارض ثم قرأ وان من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن يزيد بن أبي زياد عن أبي جحيفة عن عبدالله قال ما من عام بأمطر من عام ولكن الله يصرفه عمن يشاء ثم قرأ وان من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم

صدق هذا الكلام مبني على صحة نبوته فلو أثبتنا صحة نبوته به لزم الدور والجواب أنا نعرف صحة نبوته بدلائل أخر حتى لا يدور ولكن لا ريب أن إخباره عن بعض المغيبات مؤكد لنبوته وان لم يكن مثبتا لها الدليل الرابع قوله (والارض مددناها وألقينا فيها رواسي) وقدم تفسير مثله في أول سورة الرعد الدليل الخامس قوله (وأنبتنا فيها) أي في الارض أو في الجبال الرواسي (من كل شئ موزون) بميزان الحكمة ومقدر بمقدار الحاجة وذلك أن الوزن سبب معرفة المقدار فأطلق اسم السبب على المسبب وقيل أي له وزن وقدر في أبواب النعمة والمنفعة وقيل أراد أن مقاديرها من العناصر معلومة وكذا مقدار تأثير الشمس والكواكب فيها وقيل أي مناسب أي محكوم عليه عند العقول السليمة بالحسن واللطافة يقال كلام موزون أي مناسب وفلان موزون الحركات وقيل أراد ما يوزن من نحو الذهب والفضة والنحاس وغيرها من الموزونات كأكثر الفواكه والنبات (وجعلنا لكم فيها) أي في الارض أو في تلك الموزونات (معايش) ما يتوصل به الى المعيشة وقدم في أول الأعراف (ومن) عطف على معايش أي جعلنا لكم من (لستم له برازقين) أو عطف على محل لكم لا على المجرور فقط فانه لا يجوز في الاكثر الا باعادة الجار والتقدير وجعلنا لكم معايش ولمن لستم له برازقين وأراد بهم العيال والمماليك والخدم الذين رازقهم في الحقيقة هو الله تعالى وحده لا الآباء والسادات والمخادم ويدخل فيه بحكم التغليب غير ذوي العقول من الانعام والدواب والوحش والطير كقوله وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وقد يذكر غير من يعقل بصفة من يعقل بوجه ما من الشبه كقوله يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم والدواب تشبه ذوي العقول من

جهة أنها طالبة لارزاقها عند الحاجة يحكى أنه قلت مياه الاودية فى بعض السنين واشتد عطش الوحوش فرفعت رأسها الى السماء فانزل الله المطر ثم بين غاية قدرته ونهاية حكمته فقال (وان من شئ الا عندنا خزائنه) قال جمع من المفسرين أراد بالشئ ههنا المطر الذى هو سبب لأرزاق بنى آدم وغيرهم من الطير والوحش وذلك أنه لما ذكر معايشهم بين أن خزائن المطر الذى هو سبب المعايش عنده أى فى أمره وحكمه وتدبيره قوله (وما ننزله الا بقدر معلوم) عن ابن عباس يريد قدر الكفاية وقال الحكم ما من عام بأكثر مطرا من عام آخر ولكنه يمطر قوم ويحرم آخرون وربما كان فى البحر واعلم أن لفظ الآية لا يدل على هذين القولين فلو ساعدهما نقل صحيح أمكن أن يقبلهما العقل والا كان شبيه تحكم والظاهر عموم الحكم وان ذكر الخزائن تمثيل لاقتداره على كل مقدور والمعنى ان جميع الممكنات مقدورة ومملوكة له يخرجها من العدم الى الوجود كيف شاء وهى وان كانت غير متناهية بالقوة لان كلا منها يمكن أن يقع فى أوقات غير محصورة على سبيل البدل وكذا الكلام فى الاحياز وسائر الاعراض والاوصاف فاختصاص ذلك الخارج الى الوجود بمقدار معين وشكل معين وحيز ووقت معين الى غير ذلك من الصفات المعينة دون اضدادها لابد أن يكون بتخصيص مخصص وتقدير مقدر وهو المراد من قوله وما ننزله الا بقدر معلوم وقد يتمسك بالآية بعض المعتزلة فى أن المعدوم شئ قيل المراد أن تلك الذوات والماهيات كانت مستقرة عند الله بمعنى أنها كانت ثابتة من حيث انها حقائق وماهيات ثم انه تعالى نزل أى أخرج بعضها من العدم الى الوجود * الدليل السادس قوله (وأرسلنا الرياح) ومن قرأ الريح فاللام للجنس (لواقح) قال ابن عباس معناه ملاقح جمع ملقحة لانها تلقح السحاب بمعنى أنها تحمل الماء وتمجه فى السحاب أو لانها تلقح الشجر أى تقويها وتميلها الى أن يخرج ثمرها قاله الحسن وقتادة والضحاك وقد جاء فى كلام العرب فاعل بمعنى مفعل قال * ومختبط مما تطيح الطوائح * يريد المطاوح جمع مطيحة وقال ابن الانبارى تقول العرب أبقل النبت فهو باقل أى مبقل وقال الزجاج معناه ذوات لقحة لانها تعصر السحاب

حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا ابراهيم بن مهدى المصيصى قال ثنى على بن مسهر عن يزيد بن أبى زياد عن أبى جحيفة عن عبد الله بن مسعود ما من عام بأمطر من عام ولكن الله يقسمه حيث شاء عاما ههنا وعاما ههنا ثم قرأ وان من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج وان من شئ الا عندنا خزائنه قال المطر خاصة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا اسمعيل ابن سالم عن الحكم بن عتيبة فى قوله وما ننزله الا بقدر معلوم قال ما من عام بأكثر مطرا من عام ولا أقل ولكنه يمطر قوم ويحرم آخرون وربما كان فى البحر قال وبلغنا أنه ينزل مع المطر من الملائكة أكثر من عدد ولد ابليس وولد آدم يحصون كل قطرة حيث تقع وما تنبت ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين﴾ اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة القراء وأرسلنا الرياح لواقح وقرأه بعض قراء أهل الكوفة وأرسلنا الريح لواقح فوحد الريح وهى موصوفة بالجمع أعنى بقوله لواقح وينبغى أن يكون معنى ذلك أن الريح وان كان لفظها واحدا فمعناها الجمع لانه يقال جاءت الريح من كل وجه وهبت من كل مكان فقيل لواقح لذلك فيكون معنى جمعهم نعتها وهى فى اللفظ واحدة معنى قولهم أرض سباسب وأرض أغفال وثوب أخلاق كما قال الشاعر

جاء الشتاء وقميصى أخلاق * شراذم يضحك منى التواق

وكذلك تفعل العرب فى كل شئ اتسع * واختلف أهل العربية فى وجه وصف الرياح باللقح وانما هى ملقحة لا لاقحة وذلك أنها تلقح السحاب والشجر وانما توصف باللقح الملقوحة لا الملقح كما يقال ناقة لاقح وكان بعض نحويى البصرة يقول قيل الرياح لواقح لفعلها على لافح كأن الرياح لقحت لان فيها خيرا فقد لقحت بخير قال وقال بعضهم الرياح تلقح السحاب فهذا يدل على ذلك المعنى لانها اذا أنشأته وفيها خير وصل ذلك اليه وكان بعض نحويى الكوفة يقول فى ذلك معنيان أحدهما أن يجعل الريح هى التى تلقح بمرورها على التراب والماء فيكون فيها اللقاح فيقال ريح لاقح كما يقال ناقة لاقح قال ويشهد على ذلك أنه وصف ريح العذاب فقال عليهم الريح العقيم فجعلها عقيما اذا لم تلقح قال والوجه الآخر أن يكون وصفها باللقح وان كانت تلقح كما قيل ليل نائم والنوم فيه وسر كاتم وكما قيل المبروز والمختوم فجعل مبروزا ولم يقل مبرزا بناء على غير فعله أى ان ذلك من صفاته فجاز مفعول لمفعل كما جاز فاعل لمفعول اذا لم يرد البناء على الفعل كما قيل ماء دافق * والصواب من القول فى ذلك عندى أن الرياح لواقح كما وصفها به جل ثناؤه من صفتها وان كانت قد تلقح السحاب والأشجار فهى لاقحة ملقحة ولقحها حملها الماء والقاحها السحاب والشجر عملها فيه وذلك كما قال عبد الله بن مسعود حدثنا أبو كريب قال ثنا المحاربى عن الاعمش عن المنهال بن عمرو عن قيس بن سكن عن عبد الله بن مسعود فى قوله وأرسلنا الرياح لواقح قال يرسل الله الرياح فتحمل الماء فتجرى السحاب فتدر كما تدر اللقحة ثم تمطر حدثنى أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن المنهال عن قيس بن سكن

سكن عن عبد الله وأرسلنا الرياح لواقح قال يبعث الله الريح فتلقح السحاب ثم تمريه فتدر كما تدر اللقحة ثم تمطر **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا أسباط بن محمد عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن قيس بن السكن عن عبد الله بن مسعود فى قوله وأرسلنا الرياح لواقح قال يرسل الرياح فتحمل الماء من السماء ثم تمرى السحاب فتدر كما تدر اللقحة فقد بين عبد الله بقوله يرسل الرياح فتحمل الماء أنها هى اللاقحة بحملها الماء وان كانت ملقحة بالقاحها السحاب والشجر * وأما جماعة أخر من أهل التأويل فانهم وجهوا وصف الله تعالى ذكره اياها بأنها لواقح الى أنه بمعنى ملقحة وأن اللواقح وضعت موضع ملاقح كما قال نهشل بن حرى

لبيك يزيد(١) بائس لضراعة * وأشعث ممن طوحته الطوائح

يريد المطاوح وكما قال النابغة

كليني لهم يا أميمة ناصب * وليل أقاسيه بطيء الكواكب

يعنى منصب ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ثنا سفيان عن الأعمش عن ابراهيم فى قوله وأرسلنا الرياح لواقح قال تلقح السحاب **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن الأعمش عن ابراهيم مثله **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن الأعمش عن ابراهيم مثله **حدثنى** يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبى رجاء عن الحسن قوله وأرسلنا الرياح لواقح قال لواقح للشجر فتلقح أو للسحاب قال وللسحاب تمريه حتى يمطر **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا اسحق بن سليمن عن أبى سنان عن حبيب بن أبى ثابت عن عبيد بن عمير قال يبعث الله المبشرة فتثير الأرض قما ثم يبعث الله المثيرة فتثير السحاب ثم يبعث الله المؤلفة فتؤلف السحاب ثم يبعث الله اللواقح فتلقح الشجر ثم تلا عبيد وأرسلنا الرياح لواقح **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأرسلنا الرياح لواقح يقول لواقح للسحاب وان من الريح عذابا وان من الريح رحمة **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة لواقح قال تلقح السحاب فى السحاب **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن ابن عباس لواقح قال تلقح الشجر وتمرى السحاب **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وأرسلنا الرياح لواقح الرياح يبعثها الله فتلقح السحاب فتلقحه فيمتلئ ماء **حدثنا** أبو كريب قال ثنا أحمد بن يونس قال ثنا عبيس بن ميمون قال ثنا أبو المهزم عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الريح الجنوب من الجنة وهى الريح اللواقح وهى التى ذكر الله تعالى فى كتابه وفيها منافع للناس **حدثنى** أبو الجماهر الحمصى أو الحضرمى محمد بن عبد الرحمن قال ثنا عبد العزيز بن أبى حازم قال ثنا عبيس بن ميمون أبو عبيدة عن أبى المهزم عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر مثله سواء وقوله فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه يقول تعالى ذكره وأنزلنا من السماء مطرا فأسقيناكم ذلك المطر لشرب أرضكم ومواشيكم ولو كان معناه أنزلناه لتشربوه

(١) الذى فى التفسير الكبير بائس ذو ضراعة وأشعث مما الخ ولعل ما هنا رواية كتبه مصححه

يختلفوا فى قوله وسقاهم ربهم شرابا طهورا ويقال سقيته لشفته وأسقيته لماشيته وأرضه (وما أنتم له بخازنين) نفى عنهم ما أثبته لنفسه فى قوله وان من شئ الا عندنا خزائنه أى نحن الخازنون للماء لا أنتم أراد عظيم قدرته وعجز من سواه * الدليل السابع قوله (وانا لنحن نحيى ونميت) والغرض الاستدلال بانحصار الاحياء والاماتة فيه على أنه واحد فى ملكه وملكه قال أكثر المفسرين انه وصف النبات فيما قبل فهذا الاحياء مختص بالحيوان ومنهم من يحمله على القدر المشترك بين احياء النبات وبين احياء الحيوان (ونحن الوارثون) مجاز عن بقائه بعد هلاك ما عداه كما مر فى آخر آل عمران فى قوله ولله ميراث السموات والارض قوله (ولقد علمنا) عن ابن عباس فى رواية عطاء (المستقدمين) يريد أهل طاعة الله والمستأخرين يريد المتخلفين عن طاعته ويروى أنه صلى الله عليه وسلم رغب الناس فى الصف الاول فى الجماعة فازدحم الناس عليه فأنزل الله الآية والمعنى انا نجزيهم على قدر نياتهم وقال الضحاك ومقاتل يعنى فى صف القتال وقال ابن عباس فى رواية أبى الجوزاء كانت امرأة حسناء تصلى خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قوم يتقدمون الى الصف الاول لئلا يروها وآخرون يتخلفون ويتأخرون ليروها فاذا ركعوا جافوا أيديهم لينظروا من تحت آباطهم فنزلت وقيل المستقدمون هم الاموات والمستأخرون هم الاحياء وهذا القول بالنسبة لما قبل الآية ولما بعدها وقيل المستقدمون هم الامم السالفة والمستأخرون هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقال عكرمة المستقدمون من خلق والمستأخرون من لم يخلق بعد والظاهر العموم وأن علمه تعالى شامل لجميع الذوات والاحوال الماضية والمستقبلة

فلا ينبغي أن تخص الآية بحالة دون أخرى ثم نبه على أن الحشر والنشر أمر واجب ولا يقدر على ذلك أحد الا هو فقال (وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم) فلحكمته بنى أمر العباد على التكليف والجزاء ولعلمه قدر على توفية مقادير الجزاء * الدليل الثامن الاستدلال على خلق الانسان خاصة وذلك أنه لا بد من انتهاء الناس الى انسان أول ضرورة امتناع القول بوجود حوادث لا أول لها وقد أجمع المفسرون على أنه آدم عليه السلام ورأيت في كتب الشيعة عن محمد بن علي الباقر رضي الله عنه أنه قد انقضى قبل آدم الذي هو أبونا ألف ألف آدم أو أكثر وكيف كان فلا بد من انسان هو أول الناس والأقرب أنه تعالى خلق آدم من تراب ثم من طين ثم من حمأ مسنون ثم من صلصال كالفخار وقد كان قادرا على خلقه من أي جنس من الاجسام كان بل كان قادرا على خلقه ابتداء وانما خلقه على هذا الترتيب لمحض المشيئة أو لما كان فيه من زلة الملائكة والجن أو لغير ذلك من المصالح ولا شك أن خلق الانسان من هذه الامور أعجب من خلق الشئ من شكله وجنسه والصلصال الطين اليابس الذي يصلصل أي يصوت وهو غير مطبوخ فاذا طبخ فهو فخار وقيل هو تضعيف صل اذا أنتن والحمأ الاسود المتغير من الطين وكذلك الحمأة بالتسكين والمسنون المصور من سنة الوجه أي صورته قاله سيبويه وقال أبو عبيدة المسنون المصبوب المفرغ أي أفرغ صورة انسان كما تفرغ الصورة من الجواهر المذابة وقال ابن السكيت سمعت أبا عمرو يقول معناه متغير منتن وكأنه من سننت الحجر على الحجر اذا حككته به فالذي يسيل منهما سنين ولا يكون الا منتنا قال في الكشاف قوله من حما صفة صلصال أي خلقه من صلصال كائن من حما قلت ولا يبعد أن يكون بدلا أي خلقه من حما قال وحق مسنون بمعنى مصور أن يكون صفة لصلصال كأنه أفرغ الحمأ فصور منها تمثال انسان أجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غيره بعد ذلك الى جوهر آخر قوله (والجان) قال الحسن ومقاتل وقتادة وهو رواية عطاء عن ابن عباس يريد ابليس وعن ابن عباس في رواية أخرى هو أبو الجن كما دم أبي الناس وهو

لقيل فسقينا كموه وذلك أن العرب تقول اذا سقت الرجل ماء شربه أو لبنا أو غيره سقيته بغير ألف اذا كان لسقيه واذا جعلوا له ماء لشربه أرضه أو ماشيته قالوا أسقيته وأسقيت أرضه وماشيته وكذلك اذا استسقيت له قالوا أسقيته واستسقيته كما قال ذو الرمة

وقفت على رسم لمية ناقتي * فما زلت أبكي عنده وأخاطبه
وأسقيه حتى كاد مما أبثه * تكلمني أحجاره وملاعبه

وكذلك اذا وهبت لرجل اهابا ليجعله سقاء قلت أسقيتكه اياه وقوله وما أنتم له بخازنين يقول واستم بخازني الماء الذي أنزلنا من السماء فأسقينا كموه فتمنعوه من أسقيه لان ذلك بيدي والي أسقي من أشاء وأمنعه من أشاء كما حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال سفيان وما أنتم له بخازنين قال بمانعين ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وانا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين ﴾ يقول تعالى ذكره وانا لنحن نحيي من كان ميتا اذا أردنا ونميت من كان حيا اذا شئنا ونحن الوارثون يقول ونحن نرث الارض ومن عليها بأن نميت جميعهم فلا يبقى حي سوانا اذا جاء ذلك الأجل وقوله ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك ولقد علمنا من مضى من الأمم فتقدم هلاكهم ومن قد خلق وهو حي ومن لم يخلق بعد ممن سيخلق ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن أبيه عن عكرمة ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين قال المستقدمون من قد خلق ومن خلا من الامم والمستأخرون من لم يخلق حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم قال ثنا عمرو بن قيس عن سعيد بن مسروق عن عكرمة في قوله ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين قال هم خلق الله كلهم قد علم من خلق منهم الى اليوم وقد علم من هو خالقه بعد اليوم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن التيمي عن أبيه عن عكرمة قال ان الله خلق الخلق ففرغ منهم فالمستقدمون من خرج من الخلق والمستأخرون من بقي في أصلاب الرجال لم يخرج حدثني محمد بن أبي معشر قال أخبرني أبو معشر قال سمعت عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود يذاكر محمد بن كعب في قول الله ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين فقال عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود خير صفوف الرجال المقدم وشر صفوف الرجال المؤخر وخير صفوف النساء المؤخر وشر صفوف النساء المقدم فقال محمد بن كعب ليس هكذا ولقد علمنا المستقدمين منكم الميت والمقتول والمستأخرين من يلحق بهم من بعد وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم فقال عون بن عبد الله وفقك الله وجزاك خيرا حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر عن أبيه قال قال قتادة المستقدمين من مضى والمستأخرين من بقي في أصلاب الرجال حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا سعيد بن منصور قال ثنا أبو الاحوص قال ثنا سعيد بن مسروق عن عكرمة وخصيف عن مجاهد في قوله ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين قالا من مات ومن بقي حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله

قول الاكثرين والتركيب يدل على السبق والتوارى عن الاعين وقدمر فيما سلف ولاسيما فى تفسير الاستعاذة فى أول الكتاب (خلقناه من قبل) قال ابن عباس أى من قبل خلق آدم و (السموم) الريح الحارة النافذة فى المسام تكون فى النهار وقد تكون بالليل ومسام البدن الخروق الخفية التى يبرز منها العرق وبخار الباطن ولاشك أن تلك الريح فيها نار ولها لفح على ماورد فى الخبر أنه لفح جهنم قال ابن مسعود هذه السموم جزء من سبعين جزأ من سموم النار التى خلق الله منها الجان ولا استبعاد فى خلق الله الحيوان من النار فانا نشاهد السمندل قد يتولد فيها وعلى قاعدة الحكيم كل ممتزج من العناصر فانه يمكن أن يغلب عليه أحدها وحينئذ يكون مكانه مكان الجزء الغالب والحرارة مقوية للروح لامضادة لها ثم انه لما استدل بحدوث الانسان الاول على كونه قادرا مختارا ذكر بعده واقعته والمراد بكونه بشرا أنه يكون جسما كثيفا يباشر ويلاقى والملائكة والجن لايباشرون للطافة أجسامهم والبشرة ظاهر الجلد من كل حيوان (فاذا سويته) عدلت خلقته وأكملتها أوسويت أجزاء بدنه بتعديل الاركان والاخلاط والمزاج التابع لذلك اعتدالا نوعيا أوشخصيا (ونفخت فيه من روحى) النفخ اجراء الريح فى تجاويف جسم آخر فمن زعم أن الروح جسم لطيف كالهواء سار فى البدن فمعناه ظاهر ومن قال انه جوهر مجرد غير متحيز ولاحال فى متحيز فمعنى النفخ عنده تهيئة البدن لاجل تعلق النفس الناطقة به قال جار الله ليس ثم نفخ ولامنفوخ وانما هو تمثيل لتحصيل مايحيا به فيه وتمام الكلام فى الروح سوف يجىء ان شاء الله فى قوله ويسئلونك عن الروح ولاخلاف فى أن الاضافة فى قوله روحى للتشريف والتكريم

ولقد علمنا المستقدمين منكم قال كان ابن عباس يقول آدم صلى الله عليه وسلم ومن مضى من ذريته ولقد علمنا المستأخرين من بقى فى أصلاب الرجال **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين قال المستقدمون آدم ومن بعده حتى نزلت هذه الآية والمستأخرون قال كل من كان من ذريته «قال أبو جعفر» أظنه أنا قال مالم يخلق وما هو مخلوق **حدثنا** أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن أبيه عن عكرمة قال المستقدمون ماخرج من أصلاب الرجال والمستأخرون مالم يخرج ثم قرأ وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم * وقال آخرون عنى بالمستقدمين الذين قد هلكوا والمستأخرين الاحياء الذين لم يهلكوا ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين يعنى بالمستقدمين من مات ويعنى بالمستأخرين من هو حى لم يمت **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ولقد علمنا المستقدمين منكم يعنى الاموات منكم ولقد علمنا المستأخرين بقيتهم وهم الاحياء يقول علمنا من مات ومن بقى **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين قال المستقدمون منكم الذين مضوا فى أول الامم والمستأخرون الباقون * وقال آخرون بل معناه ولقد علمنا المستقدمين فى أول الخلق والمستأخرين فى آخرهم ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن عامر فى هذه الآية ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين قال أول الخلق وآخره **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا ابن أبى عدى عن داود عن الشعبى فى قول الله ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين قال ما استقدم فى أول الخلق وما استأخر فى آخر الخلق **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا على بن عاصم عن داود بن أبى هند عن عامر فى قوله ولقد علمنا المستقدمين منكم قال فى العصر والمستأخرين منكم فى أصلاب الرجال وأرحام النساء * وقال آخرون بل معنى ذلك ولقد علمنا المستقدمين من الامم والمستأخرين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء **وحدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال أخبرنا ورقاء **وحدثنى** المثنى قال أخبرنا أبو حذيفة قال ثنا شبل جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد المستقدمين منكم قال القرون الاول والمستأخرين أمة محمد صلى الله عليه وسلم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا محمد بن عبيد قال ثنى عبد الملك عن قيس عن مجاهد فى قوله ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين قال المستقدمون مامضى من الامم والمستأخرون أمة محمد صلى الله عليه وسلم **حدثنى** المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن عبد الملك عن قيس عن مجاهد بنحوه **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى

مثل ناقة الله وبيت الله والفاء فى قوله (فقعوا) تدل على أن وقوعهم فى السجود كان واجبا عليهم عقيب التسوية والنفخ من غير تراخ قال المبرد قوله (كلهم) أزال احتمال أن بعض الملائكة لم يسجدوا وقوله (أجمعون) أزال احتمال أنهم سجدوا متفرقين وقال سيبويه والخليل أجمعون توكيد بعد توكيد ورجح الزجاج هذا القول لان أجمع معرفة فلا

يقع حالا ولو صح أن يكون حالا وكان منتصبا لأفاد المعنى الذى ذكره المبرد ثم استثنى ابليس من الملائكة وقد سلف وجه الاستثناء فى أول سورة البقرة ثم استأنف على تقدير سؤال سائل هل سجد فقال (أبى أن يكون مع الساجدين) يعنى اباء استكبار ثم قال سبحانه وتعالى خطابا تقريع وتعنيف لا تعظيم وتشريف يا ابليس (١٨) مالك ألا تكون مع الساجدين) وقال بعض المتكلمين خاطبه على لسان بعض رسله لان تكليم الله بلا واسطة منصب شريف فكيف بناله اللعين قال جار الله حرف الجر مع أن محذوف ومعناه أى غرض لك فى الامتناع من السجود (قال لم أكن لأسجد) اللام لتأكيد النفى أى لا يصح منى وبينا فى حالى أن أسجد (لبشر) وحاصل شبهة اللعين أنه روحانى لطيف وآدم جسمانى كثيف وأصله نورانى شريف وأصل آدم ظلمانى خسيس فعارض النص بالقياس فلا جرم أجيب بقوله (فاخرج منها) أى من الجنة أو من السماء أو من جملة الملائكة وضرب يوم الدين أى يوم الجزاء حدا للعنة جريا على عادة العرب فى التأبيد كما مر فى قوله مادامت السموات والارض أو أراد اللعن المجرد من غير تعذيب حتى اذا جاء ذلك اليوم عذب بما ينسى اللعن معه قال صاحب الكشاف وأقول هذا ان أريد باللعن مجرد الطرد عن الحضرة أما ان أريد به الابعاد عن كل خير فيتعين الوجه الاول الاعند من أثبت لابليس رجاء العفو وانما ذكر اللعنة ههنا بلام الجنس لانه ذكر آدم بلفظ الجنس حيث قال انى خالق بشرا ولما خصص آدم بالاضافة الى نفسه فى سورة ص حيث قال لما خلقت بيدى خصص اللعنة أيضا بالاضافة فقال وان عليك لعنتى فافهم (قال رب فأنظرنى) قدم مثله فى أول الأعراف ومعنى (الوقت المعلوم) أن ابليس لما عاين وأشار اليه بعينه صار كالمعلوم والمراد منه الوقت القريب من البعث الذى يموت فيه الخلائق كلهم وعمل ليشمل الموت اللعين أيضا وقيل لم يجب الى ذلك وأنظره الى يوم لا يعلمه الا الله (قال رب بما أغويتنى) قدم مباحثه فى الاعراف ومفعول (لأزينن) محذوف أى أزين لهم المعاصى فى الارض أى فى الدنيا التى هى دار الغرور أو أراد أنه اذا قدر على الاحتيال لآدم وهو فى السماء

عن عبد الملك عن مجاهد بنحوه ولم يذكر قيسا * وقال آخرون بل معناه ولقد علمنا المستقدمين منكم فى الخير والمستأخرين عنه ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين قال كان الحسن يقول المستقدمون فى طاعة الله والمستأخرون فى معصية الله حدثنى المثنى قال ثنا عمرو ابن عون قال أخبرنا هشيم عن عباد بن راشد عن الحسن قال المستقدمين فى الخير والمستأخرين يقول المبطئين عنه * وقال آخرون بل معنى ذلك ولقد علمنا المستقدمين منكم فى الصفوف فى الصلاة والمستأخرين فيها بسبب النساء ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر بن سليمن عن أبيه عن رجل أخبرنا عن مروان بن الحكم أنه قال كان أناس يستأخرون فى الصفوف من أجل النساء قال فأنزل الله ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا جعفر بن سليمن قال أخبرنى عمرو بن مالك قال سمعت أبا الجوزاء يقول فى قول الله ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين قال المستقدمين منكم فى الصفوف فى الصلاة والمستأخرين حدثنى محمد بن موسى الحرسى قال ثنا نوح بن قيس قال ثنا عمرو بن مالك عن أبى الجوزاء عن ابن عباس قال كانت تصلى خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة قال ابن عباس لا والله ما ان رأيت مثلها قط فكان بعض المسلمين اذا صلوا استقدموا وبعض يستأخرون فاذا سجدوا نظروا اليها من تحت أيديهم فأنزل الله ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين حدثنا أبو كريب قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا نوح بن قيس وحدثنا أبو كريب قال ثنا مالك بن اسمعيل قال ثنا نوح بن قيس عن عمرو بن مالك عن أبى الجوزاء عن ابن عباس قال كانت تصلى خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة حسناء من أحسن الناس فكان بعض الناس يستقدم فى الصف الاول لئلا يراها ويستأخر بعضهم حتى يكون فى الصف المؤخر فاذا ركع نظر من تحت ابطيه فى الصف فأنزل الله فى شأنها ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين * قال أبو جعفر وأولى الاقوال عندى فى ذلك بالصحة قول من قال معنى ذلك ولقد علمنا الاموات منكم يا بنى آدم فتقدم موته ولقد علمنا المستأخرين الذين استأخر موتهم ممن هو حى ومن هو حادث منكم ممن لم يحدث بعد لدلالة ما قبله من الكلام وهو قوله وانا نحن نحيى ونميت ونحن الوارثون وما بعده وهو قوله وان ربك هو يحشرهم على أن ذلك كذلك لان كان بين هذين الخبرين ولم يجر قبل ذلك من الكلام ما يدل على خلافه ولا جاء بعد وجائز أن تكون نزلت فى شأن المستقدمين فى الصف لشأن النساء والمستأخرين فيه لذلك ثم يكون الله عز وجل عم بالمعنى المراد منه جميع الخلق فقال جل ثناؤه لهم قد علمنا ما مضى من الخلق وأحصيناهم وما كانوا يعملون ومن هو حى منكم ومن هو حادث بعدكم أيها الناس وأعمال جميعكم خيرها وشرها وأحصينا جميع ذلك ونحن نحشر جميعهم فنجازى كلا بأعماله ان خيرا فخير وان شرا فشر فيكون ذلك تهديدا ووعيدا للمستأخرين فى الصفوف لشأن النساء ولكل من تعدى حده

التزيين لأولاده وهم فى الارض أقدر أو أراد لأجعلن مكان التزيين عندهم الارض بأن أزين الارض فى أعينهم وأحدثهم أن الزينة هى
الارض وحدها كقوله وان يعتذروا بالمحل من ذى ضروعها * من الضيف يجرح فى عراقيبها نصلى أراد يجرح عراقيبها نصلى
الا عبادك منهم المخلصين الا من اتبعك من الغاوين (قال) الله تعالى (هذا صراط على مستقيم) أى هذا طريق الاخلاص طريق
مستقيم على أن أراعيه أو على مرورة أى على رضوانى وكرامتى (ان عبادى ليس لك عليهم سلطان) تقريره وتأكيده
(الا من اتبعك من الغاوين) وقرأ على بالتنوين فهو من علو الشرف أى الاخلاص أو طريق التفويض الى الله والايمان بقضائه
(وان جهنم لموعدهم أجمعين) طريق رفيع (مستقيم) لاعوج له وقال جار الله هذا اشارة الى ما بعده وهو قوله ان عبادى ليس
لك عليهم سلطان قال الكلبى المذكورون فى هذه الآية هم الذين استثناهم ابليس وذلك أنه لما ذكر الاعبادك بين به أنه
لا يقدر على اغواء المخلصين فصدقه الله تعالى فى الاستثناء قائلا (ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا
من اتبعك) أى ولكن من اتبعك من الغواة فلك تسلط عليهم وهذا يناسب أصول الاشاعرة وقال
آخرون هذا تكذيب لابليس وذلك أنه أوهم بما ذكر أن له سلطانا على عباد الله الذين لا يكونون
مخلصين فبين تعالى أنه ليس له على أحد منهم سلطان ولا قدرة أصلا الا الغواة لا بسبب الجبر والقسر بل من جهة الوسوسة والتزيين
بقوله وما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم وهذا يناسب أصول الاعتزال (وان جهنم لموعدهم أجمعين) قال ابن عباس يريد ابليس
ومن الغاوين (لها سبعة أبواب) أى سبع طبقات بعضها فوق بعض أعلاها للموحدين والثانى لليهود والثالث للنصارى والرابع

عمل بغير ما أذن له به و وعد المتقدم فى الصفوف لسبب السباق وسارع الى محبة الله ورضوانه فى
أفعاله كلها وقوله وان ربك هو يحشرهم يعنى بذلك جل ثناؤه وان ربك يا محمد هو يجمع جميع
الأولين والآخرين عنده يوم القيامة أهل الطاعة منهم والمعصية وكل أحد من خلقه المستقدمين
منهم والمستأخرين وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال
ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وان ربك هو يحشرهم قال أى الاول والآخر حدثنا
الحسن بن محمد قال ثنا أبو خالد القرشى قال ثنا سفيان عن أبيه عن عكرمة فى قوله وان
ربك هو يحشرهم قال هذا من هاهنا وهذا من هاهنا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين
قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس وان ربك هو يحشرهم قال وكلهم
ثم يحشرهم ربهم حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا على بن عاصم عن داود بن أبى هند عن
عمر وان ربك هو يحشرهم قال يجمعهم الله يوم القيامة جميعا قال الحسن قال على قال داود سمعت
عكرمة يفسر قوله انه حكيم عليم يقول ان ربك حكيم فى تدبيره خلقه فى احيائهم اذا أحياهم وفى
وفاتهم اذا أماتهم عليم بعددهم وأعمالهم وبالحى منهم والميت والمستقدم منهم والمستأخر كما حدثنا
محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال كل أولئك قد علمهم الله يعنى
المستقدمين والمستأخرين ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولقد خلقنا الانسان من صلصال
من حمإ مسنون﴾ يقول تعالى ذكره ولقد خلقنا آدم وهو الانسان من صلصال واختلف أهل
التأويل فى معنى الصلصال فقال بعضهم هو الطين اليابس لم تصبه نار فاذا نقرته صل فسمعت له
صلصلة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد وعبد الرحمن بن مهدى
قالا ثنا سفيان عن الاعمش عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال خلق آدم
من صلصال من حما ومن طين لازب وأما اللازب فالجيد وأما الحمأ فالحمأة وأما الصلصال فالتراب
المرفق وانما سمى انسانا لانه عهد اليه فنسى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا
سعيد عن قتادة قوله ولقد خلقنا الانسان من صلصال قال والصلصال التراب اليابس الذى يسمع
له صلصلة حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة من صلصال
من حمإ مسنون قال الصلصال الطين اليابس يسمع له صلصلة حدثنا ابن وكيع قال ثنا
محمد بن عبد الرحمن عن الحسن بن صالح عن مسلم عن مجاهد عن ابن عباس من صلصال قال
الصلصال الماء يقع على الارض الطيبة ثم يحسر عنها فتشقق ثم تصير مثل الخزف الرقاق حدثنا
ابن وكيع قال ثنا يحيى بن سعيد عن سفيان عن الاعمش عن مسلم عن سعيد بن جبير
عن ابن عباس قال خلق الانسان من ثلاثة من طين لازب وصلصال وحمإ مسنون والطين اللازب
هو الجيد والصلصال المرفق الذى يصنع منه الفخار والمسنون الطين فيه الحمأة حدثنى
محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله
ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمإ مسنون قال هو التراب اليابس الذى يبل بعد يبسه
حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن مسلم عن مجاهد قال

للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وعن ابن عباس فى رواية ابن جريج ان جهنم لمن ادعى الربوبية
والظى لعبدة النار والحطمة لعبدة الاصنام وسقر لليهود والسعير للنصارى والجحيم للصابئين والهاوية للموحدين وقيل ان قرار جهنم نفسها
بسبعة أقسام لكل قسم باب معين لكل (٣٠) باب جزء من أتباع ابليس مقسوم فى قسمة الله سبحانه والسبب فيه أن مراتب الكفر
مختلفة بالغلظ والخفة فلاجرم
صارت مراتب العقاب أيضا
متفاوتة بحسبها ثم عقب الوعيد
بالوعد فقال (ان المتقين فى جنات
وعيون) فزعم جمهور المعتزلة أنهم
الذين اتقوا جميع المعاصى والآلم
يفد المدح وقال جمهور الصحابة
والتابعين هم الذين اتقوا الشرك
بالله واحتجوا عليه بأنه اذا اتقى مرة
واحدة صدق عليه أنه اتقى وكذا
الكلام فى الضارب والكاتب
فليس من شرط صدق الوصف
كونه آتيا بجميع أصنافه وأفراده
الا أن الامة أجمعوا على أن التقوى
عن الشرك شرط فى حصول هذا
الحكم والآية أيضا وردت عقيب
قوله الا عبادك منهم المخلصين ان
عبادى ليس لك عليهم سلطان
فلزمه اعتبار الايمان فى هذا الحكم
والظاهر أن لا يراد شرط آخر لان
التخصيص خلاف الظاهر فكلما
كان أقل كان أوفق لمقتضى الاصل
فثبت أن المتقين يتناول جميع
القائلين بكلمة الاسلام وهى لا اله
الا الله محمد رسول الله قولا واعتقادا
سواء كان من أهل الطاعة أو من
أهل المعصية ثم ان الجنات أقلها
أربع لقوله تعالى ولمن خاف مقام
ربه جنتان ثم قال ومن دونهما
جنتان وأما العيون فاما أن يراد
بها الانهار المذكورة فى قوله فيها
أنهار من ماء غير آسن الآية واما
أن يراد بها منابع غير ذلك ثم ان
كل واحد من المتقين يحتمل أن
يختص بعين وينتفع بها كل من فى خدمته من الحور والولدان ويكون ذلك على قدر حاجتهم وعلى حسب شهوتهم قال
ويحتمل أن يجرى من بعضهم الى بعض لانهم مطهرون من كل حقد وحسد فان قيل اذا كانوا فى جنات فكيف يعقل أن يقول لهم
تعالى وبعض الملائكة (ادخلوها) فالجواب لعل المراد أنهم لما ملكوا الجنات فكلما أرادوا أن ينتقلوا من جنة الى أخرى قيل لهم ذلك وهم

الصلصال الذى يصلصل مثل الخزف من الطين الطيب حدثت عن الحسين قال سمع
معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول الصلصال طين صلب يخالطه الكثيب حدثنى
المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد من صلصال قال
التراب اليابس * وقال آخرون الصلصال المنتن وكأنهم وجهوا ذلك الى أنه من قولهم صل اللحم
وأصل اذا أنتن يقال ذلك باللغتين كلتيهما بفعل وأفعل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو
قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن
قال ثنا ورقاء وحدثنا الحسن قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء وحدثنى المثنى قال
ثنا اسحق قال ثنا عبدالله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد من صلصال الصلصال المنتن
* والذى هو أولى بتأويل الآية أن يكون الصلصال فى هذا الموضع الذى له صوت من الصلصلة وذلك
أن الله تعالى وصفه فى موضع آخر فقال خلق الانسان من صلصال كالفخار فشبهه تعالى ذكره بما
كان كالفخار فى يبسه ولو كان معناه فى ذلك المنتن لم يشبهه بالفخار لان الفخار ليس بمنتن فيشبه به
المنتن غيره وأما قوله من حمإ مسنون فان الحمأ جمع حمأة وهو الطين المتغير الى السواد وقوله مسنون يعنى
المتغير * واختلف أهل العلم بكلام العرب فى معنى قوله مسنون فكان بعض نحويى البصرة
يقول عنى به حمأ مصور تام وذكر عن العرب أنهم قالوا سن على مثال سنة الوجه أى صور
قال وكأن سنة الشئ من ذلك أى مثاله الذى وضع عليه قال وليس من الآسن المتغير لانه من سن
مضاعف * وقال آخرون منهم هو الحمأ المصبوب قال والمصبوب المسنون وهو من قولهم سننت الماء
على الوجه وغيره اذا صببته وكان بعض أهل الكوفة يقول هو المتغير قال كأنه أخذ من سننت الحديد
على الحجر وذلك أن يحك أحدهما بالآخر يقال منه سننته أسنه سنا فهو مسنون قال و يقال للشئ
يخرج من بينهما سنين و يكون ذلك منتنا وقال منه سمى المسن لان الحديد يسن عليه وأما أهل
التأويل فانهم قالوا فى ذلك نحوما قلنا ذكر من قال ذلك حدثنا عبيدالله بن يوسف الجبيرى قال
ثنا محمد بن كثير قال ثنا مسلم عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله من حمإ مسنون قال
المنتنة حدثنى يحيى بن ابراهيم المسعودى قال ثنا أبى عن أبيه عن جده عن الاعمش عن سعيد
عن سعيد بن جبير عن ابن عباس من حمإ مسنون قال الذى قد أنتن حدثنا أبو كريب قال
عثمان بن سعيد قال ثنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس من حمإ
مسنون قال منتن حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه
عن ابن عباس قوله من حمإ مسنون قال هو التراب المبتل المنتن فجعل صلصالا كالفخار حدثنى
محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال
ورقاء وحدثنا الحسن قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى
جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد من حمإ مسنون قال منتن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين
قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا
سعيد عن قتادة من حمإ مسنون والحمأ المسنون الذى قد تغير وأنتن حدثنا محمد بن عبدالاعلى

(سلام) أى مع السلامة من آفات النقص والانقطاع قوله (ونزعنا ما فى صدورهم من غل) قدم تفسيره فى الاعراف (اخوانا) نصب على الحال وكذلك (على سرر متقابلين) والمراد بالاخوة اخوة الدين والتعاطف والسرر جمع سرير قيل هو المجلس الرفيع المهيأ للسرور وقال الليث سرير العيش مستقره الذى يطمئن عليه حال سروره وفرحه والتركيب يدور على العزة والنفاسة ومنه قولهم سر الوادى لأفضل موضع منه ومنه السر الذى يكتم عن ابن عباس يريد على سرر من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت وعن مجاهد تدور بهم الاسرة حيثما داروا فيكونون فى جميع أحوالهم متقابلين والتقابل التواجه نقيض التدابر وتقابل الاخوان يوجب اللذة والسرور ليكون كل منهم مقبلا على الآخر بالكلية وتقابل الاعداء يكون تقابل التضاد والتمانع فيكون موجبا للتباغض والتخالف واعلم أن الثواب منفعة مقرونة بالتعظيم خالصة عن الآفات آمنة من الزوال فقوله ان المتقين اشارة الى المنفعة وقوله ادخلوها رمز الى أنها مقرونة بالتعظيم وقوله ونزعنا الى قوله (لا يمسهم فيها نصب) أى تعب تلويح الى كونها سالمة من المنغصات الا أن قوله ونزعنا ما فى صدورهم اشارة الى نفى المضار الروحانية وقوله لا يمسهم اشارة الى نفى المضار الجسدانية وقوله (وما هم منها بمخرجين) مفيد لمعنى الخلود ثم لما ذكر الوعد والوعد زاده تقريرا وتمكينا فى النفوس فقال (نبئ عبادى) وفيه من التوكيدات ما لا يخفى منها اشهاد رسوله واعلامه ومنها تشريفهم باطلاق لفظ العباد عليهم ثم باضافتهم الى نفسه ومنها التوكيد بأن وبالفصل وبصيغتى الغفور والرحيم مع نوع تكرر وكل ذلك يدل على أن جانب الرحمة أغلب كما قال سبقت رحمتى غضبى ۞ التأويل

قال ثنا محمد بن ثور عن معمر من حامسنون قال قد أنتن قال منتنة **حدثنى** المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال ثنا هشيم عن جويبر عن الضحاك فى قوله من حامسنون قال من طين لازب وهو اللازق من الكثيب وهو الرمل **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله من حامسنون قال الحمأ المنتن * وقال آخرون منهم فى ذلك هو الطين الرطب ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله من حامسنون يقول من طين رطب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿والجان خلقناه من قبل من نار السموم﴾ يقول تعالى ذكره والجان وقد بينا فيما مضى معنى الجان ولم قيل له جان وعنى بالجان ههنا ابليس أبا الجن يقول تعالى ذكره وابليس خلقناه من قبل الانسان من نار السموم كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والجان خلقناه من قبل وهو ابليس خلق قبل آدم وانما خلق آدم آخر الخلق فحسده عدو الله ابليس على ما أعطاه الله من الكرامة فقال أنا نارى وهذا طينى فكانت السجدة لآدم والطاعة لله تعالى ذكره فقال اخرج منها فانك رجيم واختلف أهل التأويل فى معنى نار السموم فقال بعضهم هى السموم الحارة التى تقتل ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن شريك عن أبى اسحق عن التيمى عن ابن عباس فى قوله والجان خلقناه من قبل من نار السموم قال السموم الحارة التى تقتل **حدثنى** المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن أبى اسحق عن التيمى عن ابن عباس والجان خلقناه من قبل من نار السموم قال هى السموم التى تقتل فأصابها اعصار فيه نار فاحترقت قال هى السموم التى تقتل * وقال آخرون يعنى بذلك من لهب النار ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن مغراء عن جويبر عن الضحاك فى قوله والجان خلقناه من قبل من نار السموم قال من لهب من نار السموم **حدثنا** أبو كريب قال ثنا عثمان عن سعيد قال ثنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس قال كان ابليس من حى من أحياء الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم من بين الملائكة قال وخلقت الجن الذين ذكروا فى القرآن من مارج من نار **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا أبو داود قال ثنا شعبة عن أبى اسحق قال دخلت على عمرو بن الأصم أعوده فقال ألا أحدثك حديثا سمعته من عبد الله سمعت عبد الله يقول هذه السموم جزء من سبعين جزأ من السموم التى خرج منها الجان قال وتلا والجان خلقناه من قبل من نار السموم وكان بعض أهل العربية يقول السموم بالليل والنهار وقال بعضهم الحرور بالنهار والسموم بالليل يقال سم يومنا يسم سموما **حدثنى** المثنى قال ثنا محمد بن سهل بن عسكر قال ثنا اسمعيل بن عبد الكريم قال ثنى عبد الصمد ابن معقل قال سمعت وهب بن منبه وسئل عن الجن ما هم وهل يأكلون أو يشربون أو يموتون أو يتناكحون قال هم أجناس فأما خالص الجن فهم ريح لا يأكلون ولا يشربون ولا يموتون ولا يتوالدون ومنهم أجناس يأكلون ويشربون ويتناكحون ويموتون وهى هذه التى منها السعالى والغول وأشباه ذلك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا

من صلصال من حمإ مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس أبى أن يكون مع الساجدين قال يا ابليس ما لك ألا تكون مع الساجدين قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون قال فاخرج منها فانك رجيم وان عليك اللعنة الى يوم الدين قال رب فأنظرنى الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم قال رب بما أغويتنى لأزينن لهم فى الأرض ولأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين قال هذا صراط على مستقيم ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين وان جهنم لموعدهم أجمعين﴾ يقول تعالى ذكره واذكر يا محمد اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس أبى أن يكون مع الساجدين قال يا ابليس ما لك ألا تكون مع الساجدين قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون قال فاخرج منها فانك رجيم وان عليك اللعنة الى يوم الدين قال رب فأنظرنى الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم قال رب بما أغويتنى لأزينن لهم فى الأرض ولأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين قال هذا صراط على مستقيم ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين وان جهنم لموعدهم أجمعين ۞ التأويل

يا أيها الذين كفروا أى النفوس الكافرة لو كانوا مستسلمين لاوامر الله ونواهيه وذلك انما يكون عند استيلاء سلطان الذكر على القلب والروح وتنور صفاتها بنور الذكر فيغلب النور على ظلمة النفس وصفاتها وتبدلت أحوالها من الامارية الى الاطمئنان فتمنت حين ذاقت حلاوة الاسلام وطعم الايمان لو كانت من بدء الخلق مسلمة مؤمنة كالقلب والروح ثم هدد النفس التى ذاقت حلاوة الاسلام ثم عادت الميشوم

الى طبعها واستحلت المشارب الدنيوية بقوله ذرهم يأكلوا وما أهلكنا من قرية من القرى البدنية بافساد استعدادها الاولها كتاب مكتوب
في علم الله من سوء أعماله وأحواله ما تسبق من أمة أجلها متى يظهر منها ما هو سبب هلاكها وما يستأخرون لحظة بعد استيفاء أ
هلاكها وقالوا يعني النفوس المتمردة مخاطبا للقلب الذاكر لوما تأتينا بصفات الملائكة المنقادين وفيه اشارة الى أن النف

من صلصال من حمامسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾ يقول تعا
ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذكر يا محمد اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلص
من حمامسنون فاذا سويته يقول فاذا صورته فعدلت صورته ونفخت فيه من روحي فصار بشرا ح
فقعوا له ساجدين سجود تحية وتكرمة لا سجود عبادة وقد حدثني جعفر بن مكرم قال
أبو عاصم قال ثنا شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس قال لما خلق الله الملائكة قال
خالق بشرا من طين فاذا أنا خلقته فاسجدوا له فقالوا لا نفعل فأرسل عليهم نارا فأحرقتهم وخ
ملائكة أخرى فقال اني خالق بشرا من طين فاذا أنا خلقته فاسجدوا له فأبوا قال فأرسل عليهم
فأحرقتهم ثم خلق ملائكة أخرى فقال اني خالق بشرا من طين فاذا أنا خلقته فاسجدوا له فأبوا فأرسل
عليهم نارا فأحرقتهم ثم خلق ملائكة فقال اني خالق بشرا من طين فاذا أنا خلقته فاسجدوا له فقال
سمعنا وأطعنا الا ابليس كان من الكافرين الاولين ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ فسج
الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس أبى أن يكون مع الساجدين قال يا ابليس مالك ألا تكون مع
الساجدين ﴾ يقول تعالى ذكره فلما خلق الله ذلك البشر ونفخ فيه الروح بعد أن سواه فسج
الملائكة كلهم جميعا الا ابليس فانه أبى أن يكون مع الساجدين في سجودهم لآدم حين سجدوا له
يسجد له معهم تكبرا وحسدا وبغيا فقال الله تعالى ذكره يا ابليس مالك ألا تكون مع الساجدين
يقول ما منعك من أن تكون مع الساجدين فأن في قول بعض نحويي الكوفة خفض وفي قول بعض
أهل البصرة نصب بفقد الخافض ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ قال لم أكن لأسجد لبش
خلقته من صلصال من حمامسنون قال فاخرج منها فانك رجيم وان عليك اللعنة الى يوم الدين
يقول تعالى ذكره قال ابليس لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمامسنون وهو من طي
وأنا من نار والنار تأكل الطين وقوله فاخرج منها يقول قال الله تعالى ذكره لابليس فاخرج من
فانك رجيم والرجيم المرجوم صرف من مفعول الى فعيل وهو المشتوم كذلك قال جماعة من
أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتا
فانك رجيم والرجيم الملعون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن
جريج قوله فاخرج منها فانك رجيم قال ملعون والرجم في القرآن الشتم وقوله وان عليك اللعنة
الى يوم الدين يقول وان غضب الله عليك باخراجه اياك من السموات وطرده عنها الى يوم المجازا
وذلك يوم القيامة وقد بينا معنى اللعنة في غير موضع بما أغنى عن اعادته ههنا ۞ القول في تأويل
قوله تعالى ﴿ قال رب فأنظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم
يقول تعالى ذكره قال ابليس رب فاذ أخرجتني من السموات ولعنتني فأخرني الى يوم تبعث
خلقك من قبورهم فتحشرهم لموقف القيامة قال الله له فانك ممن أخرهلاكه الى يوم الوقت
المعلوم لهلاك جميع خلقي وذلك حين لا يبقى على الارض من بني آدم ديار ۞ القول في تأويل
قوله تعالى ﴿ قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الارض ولأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم
المخلصين ﴾ يقول تعالى ذكره قال ابليس رب بما أغويتني باغوائك لأزينن لهم في الارض

من الى طبعها واستحلت المشارب الدنيوية بقوله ذرهم يأكلوا وما أهلكنا من قرية من القرى البدنية بافساد استعدادها الاولها كتاب مكتوب في علم الله من سوء أعماله وأحواله ما تسبق من أمة أجلها متى يظهر منها ما هو سبب هلاكها وما يستأخرون لحظة بعد استيفاء أ هلاكها وقالوا يعني النفوس المتمردة مخاطبا (٢٢) للقلب الذاكر لوما تأتينا بصفات الملائكة المنقادين وفيه اشارة الى أن النف

الامارة لا تؤمن بما أنزل الله الى القلوب من أنوار الالهية حتى تصير مطمئنة مستعدة لهذه الصفات ولو أنزلت قبل أوانها وكمال استعداد القلوب ما كانوا اذا منظرين مؤخرين من الهلاك لضيق نطاق طاقتهم انا نحن نزلنا كلمة لا اله الا الله في قلوب المؤمنين كتب في قلوبهم الايمان والمنافق يقول ذلك ولكن لم ينزل في قلبه ولم يحفظ ولو فتحنا على من أسلكنا الكفر في قلوبهم بابا من سماء القلب لأنكر وافتح الباب ولقد جعلنا في سماء القلب بروج الاطوار فكما أن البروج منازل السيارات فكذلك الاطوار منازل شموس المشاهدات وأقمار المكاشفات وسيارات اللوامع والطوالع وزيناها الاهل النظر السائرين الى الله وحفظناها من وساوس الشيطان وهواجس النفس الأمارة ولكن من استرق السمع من النفس والشيطان فأدركه شعلة من أنوار تلك الشواهد فيضمحل الباطل ويتبين الحق والارض مددناها فيه أن أرض البشرية تميل كنفس الحيوانات الى أن أرساها الله بجبال العقل وصفات القلب وجعلنا لكم فيها معايش هي أسباب الوصول والوصال ومن لستم له برازقين وهو جوهر المحبة وان غذاءه من مواهب الحق وتجلي جماله فقط ولكل شئ خزانة فلصورة الاجسام خزانة ولاسمها خزانة ولمعناها خزانة وكذا لونها ولطعمها وخواصها من المنافع والمضار وكذا ظلمتها ونورها وملكها وملكوتها وما من شئ الا وفيه لطف الله وقهره مخزون وقلوب العباد خزائن صفات الله تعالى بأجمعها وأرسلنا رياح العناية لواقح لاشجار القلوب بأنها الكشوف وبأثمار الشواهد كما قال بعضهم اذا هبت رياح الكرم على أسرار العارفين أعتقهم من هواجس أنفسهم ورعونات طبائعهم وكان

وظهر فى القلوب نتايج ذلك وهى الاعتصام بالله والاعتماد عليه فأنزلنا من سماء الهداية ماء الحكمة وما أنتم له بخازنين فى أصل الخلقة فان المخلوق لا يوصف بالحكمة الا مجازا وانا نحن نحيى قلوب أوليائنا بأنوار جمالنا ونميت نفوسهم بسطوة جلالنا ونحن الوارثون بعد افناء وجودهم ليبقوا ببقائنا وان ربك هو يحشر المستقدمين الى حظائر قدسه والمستأخرين الى أسفل سافلين الطبيعة فخاطب ابليس النفس بقوله وان عليك اللعنة الى يوم الدين أى الى أن تطلع شمس شواهدنا من مشرق الروح وتصير أرض النفس مشرقة وتتبدل صفاتها الذميمة المظلمة بالاخلاق الروحانية الحميدة الى يوم يبعثون أى يبعث الارواح فى قيامة العشق وهو الوقت المعلوم الذى يتجلى الرب فيه لارواح العشاق فينعكس نور التجلى من الارواح الى النفوس فتجعلها مطمئنة

وكأن قوله بما أغويتنى خرج مخرج القسم كما يقال بالله أو بعزة الله لأغوينهم وعنى بقوله لأزينن لهم فى الارض لأحسنن لهم معاصيك ولأحببنها اليهم فى الارض ولأغوينهم أجمعين يقول ولأضلنهم عن سبيل الرشاد الا عبادك منهم المخلصين يقول الا من أخلصته بتوفيقك فهديته فان ذلك ممن لا سلطان لى عليه ولا طاقة لى به وقد قرئ الا عبادك منهم المخلصين فمن قرأ ذلك كذلك فانه يعنى به الا من أخلص طاعتك فانه لا سبيل لى عليه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك الا عبادك منهم المخلصين يعنى المؤمنين حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا هشام قال ثنا عمرو عن سعيد عن قتادة الا عبادك منهم المخلصين قال قتادة هذه ثنية الله تعالى ذكره ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال هذا صراط علىّ مستقيم ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين﴾ اختلفت القراء فى قراءة قوله قال هذا صراط علىّ مستقيم فقرأه عامة قراء الحجاز والمدينة والكوفة والبصرة هذا صراط على مستقيم بمعنى هذا طريق الىّ مستقيم فكان معنى الكلام هذا طريق مرجعه الى فأجازى كلا بأعمالهم كما قال الله تعالى ذكره ان ربك لبالمرصاد وذلك نظير قول القائل لمن يتوعده ويتهدده طريقك على وأنا على طريقك فكذلك قوله هذا صراط معناه هذا طريق على وهذا طريق الىّ وكذلك تأول من قرأ ذلك كذلك ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنى الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء وحدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل وحدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله هذا صراط علىّ مستقيم قال الحق يرجع الى الله وعليه طريقه لا يعرج على شئ حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه حدثنا أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا مروان بن شجاع عن خصيف عن زياد بن أبى مريم وعبد الله بن كثير أنهما قرآها هذا صراط علىّ مستقيم وقالا على هى الى وعنزلتها حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عبد الوهاب بن عطاء عن اسمعيل بن مسلم عن الحسن وسعيد عن قتادة عن الحسن هذا صراط علىّ مستقيم يقول الىّ مستقيم وقرأ ذلك قيس بن عباد وابن سيرين وقتادة فيما ذكر عنهم هذا صراط علىّ مستقيم برفع علىّ على أنه نعت للصراط بمعنى رفيع ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى حماد قال ثنى جعفر البصرى عن ابن سيرين أنه كان يقرأ هذا صراط على مستقيم يعنى رفيع حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله هذا صراط علىّ مستقيم أى رفيع مستقيم قال بشر قال يزيد قال سعيد هكذا نقرؤها نحن وقتادة حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عبد الوهاب عن هرون عن أبى العوام عن قتادة عن قيس بن عباد هذا صراط على مستقيم يقول رفيع * والصواب من القراءة فى ذلك عندنا قراءة من قرأ هذا صراط علىّ مستقيم على التأويل الذى ذكرناه

يقول الله تعالى ذكره ان عبادى الذين أخلصتهم بتوفيقى وهديتهم لدينى ليس لك يا ابليس عليهم سلطان تضلهم به عن سبيل الرشاد الا من اتبعك من الغاوين يعنى الا من سبق فى علمى أنه من أهل الضلالة فاخترمته قبل بلوغ حلم أو أدركته بعد بلوغ الحلم فمات على كفر فانه يصير لك بما سبق له من الشقاء فى علمى فأضله عن سبيل الرشاد وأوبقه بسوء أعماله وأوجب له الخلود فى نار جهنم وبئس المصير

من أعوانهما وأكثر ما يستعمل الانسان هذه المشاعر انما يستعملها فى الاحوال الدنيوية المفضية الى الهلاك فلا جرم صارت أبوابا لجهنم فاذا استعملها فى تحصيل السعادات الباقية بحسب تصرف العقل الغريزى صرن مع العقل أبوابا بل أسبابا لحصول الجنة ادخلوها بسلام والسلام من الله الجذبات آمنين من موانع الخروج والدخول بعد الوصول فان السير فى الله لا يمكن الا بالله وجذباته ولهذا قال جبرئيل ليلة

المعراج لو دنوت أنملة لاحترقت وتزعنافه أن تزع الغل من الصدور لا يكون الا بنزع الله وأن الارواح القدسية مطهرات عن علائق القوى الشهوانية والغضبية مبرآت من حوادث الوهم والخيال ومعنى تقابلهم أن النفوس المصفاة عن كدورات عالم الاجسام ونوازع الخيال والاوهام اذا وقع عليها أنوار جمال الله أو جلاله انعكست منها الى من فى مثل درجاتها كما تتعاكس المرايا الصافية المتحاذية فيزداد كل منها فى نفسها بخفاء صفاتها وفى قوله نبئ عبادى اشارة الى أن سلوك السالكين وطير الطائرين يجب أن يكون على قدمى الرجاء والخوف وجناحى الانس والجن والله الموفق للصواب

﴿ ونبئهم عن ضيف ابراهيم اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال انا منكم وجلون قالوا لا توجل انا نبشرك بغلام عليم قال أبشرتمونى على أن مسنى الكبر فبم تبشرون قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون قال فما خطبكم أيها المرسلون قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين الا آل لوط انا لمنجوهم أجمعين الا امرأته قدرنا انها لمن الغابرين فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون وأتيناك بالحق وانا لصادقون فأسر بأهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون وقضينا اليه ذلك الامر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وجاء أهل المدينة يستبشرون قال ان هؤلاء ضيفى فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون قالوا أولم ننهك عن العالمين قال هؤلاء بناتى ان كنتم فاعلين لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون فأخذتهم الصيحة مشرقين فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ان فى ذلك لآيات للمتوسمين وانها لبسبيل مقيم ان فى ذلك لآية للمؤمنين وان كان أصحاب الأيكة لظالمين فانتقمنا منهم وانهما لبامام مبين ابن

ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين فأخذتهم الصيحة مصبحين فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وان الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل ان ربك هو الخلاق

عن مجاهد والحسن البصرى ومن وافقهما عليه لاجماع الحجة من القراء عليها وشذوذ ما خالفها وقوله ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين يقول تعالى ذكره ان عبادى ليس لك عليهم حجة الا من اتبعك على ما دعوته اليه من الضلالة ممن غوى وهلك حدثنى المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن عبيد الله بن موهب قال ثنا يزيد بن قسيط قال كانت الانبياء لهم مساجد خارجة من قراهم فاذا أراد النبى أن يستنبئ ربه عن شئ خرج الى مسجده فصلى ما كتب الله له ثم سأل ما بدا له فبينما نبى فى مسجده اذ جاء عدو الله حتى جلس بينه وبين القبلة فقال النبى صلى الله عليه وسلم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فقال عدو الله أرأيت الذى تعوذ منه فهو هو فقال النبى صلى الله عليه وسلم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فردد ذلك ثلاث مرات فقال عدو الله أخبرنى بأى شئ تنجونى فقال النبى صلى الله عليه وسلم بل أخبرنى بأى شئ تغلب ابن آدم مرتين فأخذ كل واحد منهما على صاحبه فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى ذكره يقول ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين قال عدو الله قد سمعت هذا قبل أن تولد قال النبى صلى الله عليه وسلم ويقول الله تعالى ذكره واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم وانى والله ما أحسست بك قط الا استعذت بالله منك فقال عدو الله صدقت بهذا تنجونى فقال النبى صلى الله عليه وسلم فأخبرنى بأى شئ تغلب ابن آدم قال آخذه عند الغضب وعند الهوى

﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وان جهنم لموعدهم أجمعين لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم ﴾ يقول تعالى ذكره لابليس وان جهنم لموعد من تبعك أجمعين لها سبعة أبواب يقول لجهنم سبعة أطباق لكل طبق منهم يعنى من أتباع ابليس جزء يعنى قسما ونصيبا مقسوما وذكر أن أبواب جهنم طبقات بعضها فوق بعض ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد ابن جعفر قال ثنا شعبة قال سمعت أبا هرون الغنوى قال سمعت حطان قال سمعت عليا وهو يخطب قال ان أبواب جهنم هكذا ووضع شعبة احدى يديه على الاخرى حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبى هرون الغنوى عن حطان بن عبد الله قال قال على تدرون كيف أبواب النار قلنا نعم كنحو هذه الابواب فقال لا ولكنها هكذا فوصف أبو هرون أطباقا بعضها فوق بعض وفعل ذلك أبو بشر حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا اسمعيل بن ابراهيم عن أبى هرون الغنوى عن حطان بن عبد الله عن على قال هل تدرون كيف أبواب النار قالوا كنحو هذه الابواب قال لا ولكن هكذا ووصف بعضها فوق بعض حدثنا هرون ابن اسحق قال ثنا مصعب بن المقدام قال أخبرنا اسرائيل قال ثنا أبو اسحق عن هبيرة عن على قال أبواب جهنم سبعة بعضها فوق بعض فيمتلئ الاول ثم الثانى ثم الثالث ثم تمتلئ كلها حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا اسرائيل عن أبى اسحق عن هبيرة عن على قال أبواب جهنم سبعة بعضها فوق بعض وأشار بأصابعه على الاول ثم الثانى ثم الثالث حتى تملأ كلها حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا يونس بن أبى اسحق عن أبيه عن هبيرة بن مريم قال سمعت عليا يقول ان أبواب جهنم بعضها فوق بعض فيملأ الاول ثم الذى يليه الى آخرها حدثنا الحسن

العليم ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم لا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين
وقل انى أنا النذير المبين كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون فاصدع بما تؤمر
وأعرض عن المشركين انا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف (٣٥) يعلمون ولقد نعلم أنك يضيق صدرك

ابن محمد قال ثنا على قال أخبرنا محمد بن يزيد الواسطى عن جهضم قال سمعت عكرمة يقول
فى قوله لها سبعة أبواب قال لها سبعة أطباق حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى
حجاج عن ابن جريج قوله لها سبعة أبواب قال أولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم
ثم الهاوية والجحيم فيها أبو جهل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة
قوله لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم وهى والله منازل بأعمالهم ۞ القول فى تأويل قوله
تعالى ﴿ان المتقين فى جنات وعيون ادخلوها بسلام آمنين ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا على
سرر متقابلين﴾ يقول تعالى ذكره ان الذين اتقوا الله بطاعته وخافوه فتجنبوا معاصيه فى
جنات وعيون يقال لهم ادخلوها بسلام آمنين من عقاب الله أو أن تسلبوا نعمة أنعمها الله عليكم
وكرامة أكرمكم بها قوله ونزعنا ما فى صدورهم من غل يقول وأخرجنا ما فى صدور هؤلاء المتقين
الذين وصف صفتهم من حقد وضغينة بعضهم لبعض * واختلف أهل التأويل فى الحال التى
ينزع الله ذلك من صدورهم فقال بعضهم ينزع ذلك بعد دخولهم الجنة ذكر من قال ذلك حدثنى
المثنى قال ثنا أبو غسان قال ثنا اسرائيل عن بشر البصرى عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبى
أمامة قال يدخل أهل الجنة الجنة على ما فى صدورهم فى الدنيا من الشحناء والضغائن حتى اذا توافوا
وتقابلوا نزع الله ما فى صدورهم فى الدنيا من غل ثم قرأ ونزعنا ما فى صدورهم من غل حدثنا القاسم
قال ثنا الحسين قال ثنا أبو فضالة عن لقمان عن أبى أمامة قال لا يدخل مؤمن الجنة حتى ينزع
الله ما فى صدورهم من غل ثم ينزع منه مثل السبع الضارى حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج
ابن المنهال قال ثنا سفيان بن عيينة عن اسرائيل عن أبى موسى سمع الحسن البصرى يقول
قال على فينا والله أهل بدر نزلت الآية ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين
حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عيينة ونزعنا ما فى صدورهم
من غل قال من عداوة حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن يزيد الواسطى عن جويبر عن
الضحاك ونزعنا ما فى صدورهم من غل قال العداوة حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن فضيل عن
عطاء بن السائب عن رجل عن على ونزعنا ما فى صدورهم من غل قال العداوة حدثنا ابن وكيع
قال ثنا أبى عن سفيان عن منصور عن ابراهيم قال جاء ابن جرموز قاتل الزبير يستأذن على على
فحجبه طويلا ثم أذن له فقال له أما أهل البلاء فتحجفوهم قال على بفيك التراب انى لأرجو أن أكون
أنا وطلحة والزبير ممن قال الله ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين حدثنا ابن
وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن جعفر عن على نحوه حدثنا ابن وكيع قال ثنا
أبى عن أبان بن عبد الله البجلى عن نعيم بن أبى هند عن ربعى بن حراش بنحوه وزاد فيه قال فقام الى
على رجل من همدان فقال الله أعدل من ذلك يا أمير المؤمنين قال فصاح على صيحة ظننت أن
القصر تدهده لها ثم قال اذا لم نكن نحن فمن هم حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا أبو معاوية
الضرير قال ثنا أبو مالك الاشجعى عن أبى حية مولى لطلحة قال دخل عمران بن طلحة على
على بعد ما فرغ من أصحاب الجمل فرحب به وقال انى لأرجو أن يجعلنى الله وأباك من الذين قال الله

بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن
من الساجدين واعبد ربك حتى
يأتيك اليقين ۞ القراآت اذ دخلوا
وبابه مدغما أبو عمرو وحمزة وعلى
وخلف غير هشام انا نبشرك بسكون
الباء وضم الشين حمزة الآخرون
بالتشديد تبشرون بالتشديد وكسر
النون المخففة نافع مثله ولكن
مشددة النون ابن كثير الباقون
بفتح النون على أنها علامة رفع بقنط
بكسر النون أبو عمرو وسهل
ويعقوب وعلى وخلف وكذلك بابه
الآخرون بالفتح آل لوط مدغما حيث
كان شجاع لمنجوهم بالتخفيف
يعقوب وحمزة وعلى وخلف الباقون
بالتشديد قدرنا بالتخفيف حيث كان
أبو بكر وحماد بناتى إن بفتح الياء أبو
جعفر ونافع الى أنا بفتح ياء المتكلم
جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو
۞ الوقوف ابراهيم ○ ج لئلا يصير اذ
دخلوا ظرفا لنبئهم فانه محال سلاما
ط وجلون ○ عليم ○ تبشرون
○ القانطين ○ الضالون ○
المرسلون ○ مجرمين ○ لا للاستثناء
آل لوط ط أجمعين ○ لا قدرنا
لا لأن الجملة بعده مفعول والكسر
لدخول اللام فى الخبر الغابرين ○
المرسلون ○ لا لأن ما بعده جواب
لما منكرون ○ يمترون ○
لصادقون ○ تؤمرون ○ مصبحين
○ يستبشرون ○ فلا تفضحون
○ لا للعطف ولا تخزون ○ العالمين
○ فاعلين ○ ط لابتداء القسم

يعمهون ○ مشرقين ○ لا لاتصال انقلابها بالصيحة من سجيل ○ ط
للمؤمنين ○ مقيم ○ للمؤمنين ○ ط لتمام القصة لظالمين ○ لا لاتصال الانتقام بظلمهم منهم ○ ط لأن الواو للابتداء فلو وصل لشابه الحال وهو
للعالمين ○ ط لتمام قصتهم المرسلين ○ لا لأن الواو بعده للحال أى وقد آتيناهم معرضين ○ لا للعطف آمنين ○ ط مصبحين ○ ط للاتصال

معنى يكسبون ○ م لتمام القصص الاباالحق ط الجميل ○ العليم ○ العظيم ○ للمؤمنين ○ المبين ○ ج لجواز تعلق الكاف بفرا
فأخذتهم أو بقوله فانتقمنا ولجواز تعلقها بمحذوف أى أنزلنا عليهم العذاب كما أنزلنا وتمام البحث سيجىء فى التفسير المقتسمين ○ لا عضين
أجمعين ○ لا يعملون ○ المشركين ○ المستهزئين (٣٦) ○ لا آخر ج لابتداء التهديد مع الفاء يعلمون ○ يقولون ○ لا لاتصال الا
بالتسبيح تسلية الساجدين ○ لا
للعطف اليقين ○ ۞ التفسير إنه
سبحانه عطف (ونبئهم) على نبئ
عبادى ليكون سماع هذه القصص
مرغبا فى الطاعة الموجبة للفوز
بدرجات الاولياء ومحذرا من المعصية
المستتبعة لدركات الاشقياء ولما فى
قصة لوط من ذكر انجاء المؤمنين
واهلاك الظالمين وكل ذلك يقوى
ماذكر من أنه غفور رحيم للمؤمنين وأن
عذابه عذاب أليم للكافرين وعند
المعتزلة غفور للتائبين معذب لغيرهم
وقد مر تفسير أكثر هذه القصة فى
سورة هود فنذكر الآن ما هو مختص
بالمقام فقوله (وجلون) معناه
خائفون خافهم لامتناعهم من الاكل
أو لدخولهم بغير اذن وفى غير وقت
(انا نبشرك) استئناف فى معنى تعليل
النهى عن الوجل بشروه بالولد الذكر
وبكونه عليما فقيل أرادوا بعلمه
نبوته وقيل العلم مطلقا وقوله (على
أن مسنى) فى موضع الحال أى مع
هذه الحالة استفهم منكرا للولادة
فى حالة الهرم لانها أمر عجيب عادة
لا لأنه شك فى قدرة الله تعالى ولذلك
قال (فبم تبشرون) ما استفهامية
دخلها معنى التعجب كأنه قال
فبأى أعجوبة تبشرونى أو انكم
لا تبشرونى بشئ فى الحقيقة لان
ذلك أمر غير متصور فى العادة
وأحسن ما قيل فيه أن لا يكون
قوله بما صلة للتبشير بل يكون
سؤالا عن الوجه والطريقة يعنى
اذا كان الطريق المعتاد ممتنعا فبأى طريق تبشرونى بالولد فلذلك قالوا فى جوابه (بشرناك بالحق) أى باليقين الذى لا لبس فيه أو بشرناك بالولد بطريق هو حق وذلك قول الله تعالى ووعده وانه قادر على خلق الولد من غير أبوين فضلا من شيخ فان
وعجوز عاقر قال أبو حاتم حذف نافع ياء المتكلم مع النون واسقاط الحرفين لا يجوز وأجيب بأنه لم يحذف الا الياء اكتفاء بالكسرة ونون

اخوانا على سرر متقابلين ورجلان جالسان على ناحية البساط فقالا الله أعدل من ذلك نقتلهم
بالامس وتكونون اخوانا فقال على قوما أبعد أرض وأسحقها فنحن هم اذا ان لم أكن أنا وطلحة وزبير
لنا أبو معاوية الحديث بطوله **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا عفان قال ثنا عبد الواحد
قال ثنا أبو مالك قال ثنا أبو حبيبة قال قال على لابن طلحة انى لأرجو أن يجعلنى الله وأياك
من الذين نزع ما فى صدورهم من غل و يجعلنا اخوانا على سرر متقابلين **حدثنا** الحسن بن محمد
قال ثنا حماد بن خالد الخياط عن أبى الحويرية قال ثنا معاوية بن اسحق عن عمران بن
طلحة قال لما نظر لى على قال مرحبا بابن أخى فذكر نحوه **حدثنا** الحسن قال ثنا يزيد
ابن هرون قال أخبرنا هشام عن محمد قال استأذن الاشتر على على وعنده ابن لطلحة فحبسه ثم أذن
له فلما دخل قال انى لأراك انما حبستنى لهذا قال أجل قال انى لأراه لو كان عندك ابن لعثمان
لحبستنى قال أجل انى لأرجو أن أكون أنا وعثمان ممن قال الله ونزعنا ما فى صدورهم من غل
اخوانا على سرر متقابلين **حدثنا** الحسن قال ثنا اسحق الازرق قال أخبرنا عوف عن
ابن سيرين بنحوه **حدثنا** الحسن قال ثنا يعقوب بن اسحق الحضرمى قال ثنا السكن
ابن المغيرة قال ثنا معاوية بن راشد قال قال على انى لارجو أن أكون أنا وعثمان ممن قال الله
ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا
سعيد عن قتادة قال ثنا ابن المتوكل الناجى أن أبا سعيد الخدرى حدثهم أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من
بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا أذن لهم فى دخول الجنة قال فوالذى نفس
محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله فى الجنة منه بمنزله الذى كان فى الدنيا وقال بعضهم ما يشبه بهم الا أهل
جمعة انصرفوا من جمعتهم **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا عفان بن مسلم قال ثنا يزيد
ابن زريع قال ثنا سعيد بن أبى عروبة فى هذه الآية ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا على
سرر متقابلين قال ثنا قتادة أن أبا المتوكل الناجى حدثهم أن أبا سعيد الخدرى حدثهم قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه الى قوله وأذن لهم فى دخول الجنة ثم جعل سائر الكلام
عن قتادة قال وقال قتادة فوالذى نفسى بيده لأحدهم أهدى بمنزله ثم ذكر باقى الحديث نحو حديث
بشر غير أن الكلام الى آخره عن قتادة سوى أنه قال فى حديثه قال قتادة وقال بعضهم ما يشبه بهم
الا أهل الجمعة اذا انصرفوا من الجمعة **حدثنى** نصر بن عبد الرحمن الأودى قال ثنا عمر بن
زرعة عن محمد بن اسمعيل الزبيدى عن كثير النواء قال سمعته يقول دخلت على أبى جعفر محمد
ابن على فقلت ولى ليكم وسلمى سلمكم وعدوى عدوكم وحربى حربكم انى أسألك بالله أتبرأ من
أبى بكر وعمر فقال قد ضللت اذا وما أنا من المهتدين تولهما يا كثير فأدركك فهو فى رقبتى ثم تلا هذه
الآية اخوانا على سرر متقابلين يقول اخوانا يقابل بعضهم وجه بعض لا يستدبره فينظر فى قفاه
وكذلك تأوله أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا مؤمل قال
ثنا سفيان قال ثنا حصين عن مجاهد فى قوله على سرر متقابلين قال لا ينظر أحدهم فى
قفا صاحبه **حدثنا** ابن بشار قال ثنا يحيى وعبد الرحمن ومؤمل قالوا ثنا سفيان عن

الوقاية لم يوردها كما أوردت فى قراءة التشديد وانما كسرنون الجمع لاجل الياء وكلتا اللغتين فصيحة قيل عظم فرحه بتلك البشارة فدهش عن الجواب المنتظم فتكلم بالكلام المضطرب وقيل طلب مزيد الطمأنينة كقوله ولكن ليطمئن قلبى عن ابن عباس يريد بالحق ماقضى الله أن يخرج من صلب ابراهيم اسحق ومن صلب اسحق أكثر الانبياء وقوله (فلا تكن (٣٧) من القانطين) لايدل على أنه كان قانطا فقد ينهى عن الشىء ابتداء كقوله ولاتطع الكافرين ولذلك أنكر ابراهيم نهيهم بقوله (ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون) أى المخطؤن طريق الصواب أو الكافرون نظيره انه لاييأس من روح الله الا القوم الكافرون وفيه أنه لم يستنكر ذلك قنوطا من رحمته ولكن استبعاد الله فى العادة التى أجراها الله هما لغتان قنط يقنط مثل ضرب يضرب وقنط يقنط مثل علم يعلم وزعم الفارسى أن الاولى أعلى اللغتين ثم سأل عما لاجله أرسلهم الله حيث قال (فما خطبكم) والخطب الشأن العظيم فسئل انهم لما بشروه بالولد الذكر العليم فما وجه السؤال عن مجيئهم وأجاب الأصم بأن المراد ما الامر الذى وجهتم فيه سوى البشرى وقال القاضى انه علم أن المقصود لو كان التبشير فقط لكان الملك الواحد كافيا وقيل علم أنه لو كان تمام الغرض البشارة لذكروها أول ما دخلوا قبل أن يوجس ابراهيم منهم خيفة قلت لعله استصغر أمر التبشير اما لاجل التواضع واما لأنه واقعة خاصة فسألهم عن الامر الذى هو أعظم من ذلك وأعم تعظيما لشأنهم (قالوا انا أرسلنا) زعم صاحب الكشاف أن الارسال ههنا فى معنى التعذيب والاهلاك كارسال الحجر أو السهم الى المرمى وأقول كأنه لاحاجة الى هذا التجوز لقوله فى سورة الذاريات انا أرسلنا

ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله والسرر جمع سرير كالجدد جمع جديد وجمع سرر وأظهر التضعيف فيها والرا آن متحركتان لخفة الاسماء ولا تفعل ذلك فى الافعال لثقل الافعال ولكنهم يدغمون فى الفعل ليسكن أحد الحرفين فيخفف فاذا دخل على الفعل ما يسكن الثانى أظهروا حينئذ التضعيف ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿لا يمسهم فيها نصب وماهم منها بمخرجين نبئ عبادى أنى أنا الغفور الرحيم وأن عذابى هو العذاب الاليم﴾ يقول تعالى ذكره لا يمس هؤلاء المتقين الذين وصف صفتهم فى الجنات نصب يعنى تعب وماهم منها بمخرجين يقول وماهم من الجنة ونعيمها وما أعطاهم الله فيها بمخرجين بل ذلك دائم أبدا وقوله نبئ عبادى أنى أنا الغفور الرحيم يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم أخبر عبادى يا محمد أنى أنا الذى أستر على ذنوبهم اذا تابوا منها وأنا بوا بترك فضيحتهم بها وعقوبتهم عليها الرحيم بهم أن أعذبهم بعد توبتهم منها عليها وأن عذابى هو العذاب الاليم يقول وأخبرهم أيضا أن عذابى لمن أصر على معاصى وأقام عليها ولم يتب منها هو العذاب الموجع الذى لا يشبهه عذاب هذا من الله تحذير لخلقه التقدم على معاصيه وأمر منه لهم بالانابة والتوبة **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله نبئ عبادى أنى أنا الغفور الرحيم وأن عذابى هو العذاب الاليم قال بلغنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال لو يعلم العبد قدر عفو الله لما تورع من حرام ولو يعلم قدر عذابه لبخع نفسه **حدثنى** المثنى قال أخبرنا اسحق قال أخبرنا ابن المكى قال أخبرنا ابن المبارك قال أخبرنا مصعب بن ثابت قال ثنا عاصم بن عبد الله عن ابن أبى رباح عن رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال طلع البنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الباب الذى يدخل منه بنوشيبة فقال ألا أراكم تضحكون ثم أدبر حتى اذا كان عند الحجر رجع الينا القهقرى فقال انى لما خرجت جاء جبرئيل صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان الله يقول لم تقنط عبادى نبئ عبادى أنى أنا الغفور الرحيم وأن عذابى هو العذاب الاليم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ونبئهم عن ضيف ابراهيم اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال انا منكم وجلون قالوا لا توجل انا نبشرك بغلام عليم﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأخبر عبادى يا محمد عن ضيف ابراهيم يعنى الملائكة الذين دخلوا على ابراهيم خليل الرحمن حين أرسلهم ربهم الى قوم لوط ليهلكوهم فقالوا سلاما يقول فقال الضيف لابراهيم سلاما قال انا منكم وجلون يقول قال ابراهيم انا منكم خائفون وقد بينا وجه النصب فى قوله سلاما وسبب وجل ابراهيم من ضيفه واختلاف المختلفين ودلالنا على الصحيح من القول فيه فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وأما قوله قالوا سلاما وهو يعنى به الضيف فجمع الخبر عنهم وهم فى لفظ واحد فان الضيف اسم للواحد والاثنين والجمع مثل الوزن والقطر والعدل فلذلك جمع خبره وهو فى لفظ واحد وقوله قالوا لا توجل يقول قال الضيف لابراهيم لا توجل لا تخف انا نبشرك بغلام عليم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال أبشرتمونى على أن مسنى الكبر فبم تبشرون﴾ يقول تعالى ذكره قال ابراهيم للملائكة الذين بشروه بغلام عليم أبشرتمونى على أن مسنى الكبر فبم تبشرون يقول فبأى شىء تبشرون وكان مجاهد يقول فى ذلك ما **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء **وحدثنا** الحسن بن

الى قوم مجرمين لنرسل عليهم حجارة من طين فالتقدير انا أرسلنا اليهم لنهلكهم (الا آل لوط) وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا لاختلاف الجنسين فان القوم موصوفون بالاجرام دون آل لوط ويكون قوله (انا لمنجوهم) جاريا مجرى خبر لكن كانه قيل لكن قوم لوط منجون ويكون قوله الا امرأته استثناء من الاستثناء أى أرسلنا اليهم لنهلكهم الا آل لوط (الا امرأته) كقول المقر لفلان على عشرة الا ثلاثة الا واحدا وجوز

فى الكشاف أن يكون قوله الا آل لوط مستثنى من الضمير فى مجرمين حتى يكون الاستثناء متصلا أى الى قوم قد أجرموا كلهم الا آل لوط وحدهم ولم لا يجوز الاستثناء من الاستثناء بناء على أن آل لوط مستثنى من معمول أرسلنا أو مجرمين والامر أنه من معمول منجوهم وقد عرفت ما فيه على أنه اذا جعل الارسال بمعنى الاهلاك كما قرره هو آل الامر الى ما ذكرنا فلا ادرى لم استبعده مع وفور فضله قال

أهل اللغة قدرت الشئ وقدرته بالتخفيف والتثقيل جعلت الشئ على مقدار غيره ومنه قدر الله الاقوات أى جعلها على مقدار الكفاية وقدر الامور أى جعلها على مقدار ما يكفى فى أبواب الخير والشر وقيل فى معنى قدرنا كتبنا وقال الزجاج دبرنا وقيل قضينا والكل متقارب والمشدد فى هذا المعنى أكثر استعمالا وانه جواب سؤال كأنه قيل ما بالها استثنيت من الناجين فقيل (قدرنا انها لمن الغابرين) أى الباقين فى الهوالك ويقال للماضى أيضا غابر وهو من الاضداد قال فى الكشاف علق فعل التقدير مع أن التعليق من خصائص أفعال القلوب لانه فى معنى العلم وانما أسندوا الفعل الى أنفسهم مع أن التقدير بالله عز وجل بيانا لاختصاصهم به تعالى كما يقول خاصة الملك دبرنا كذا أو أمرنا بكذا ولعل المدبر والآمر هو الملك وحده ثم ان الملائكة لما بشروا ابراهيم عليه السلام بالولد وأخبروه بأنهم مرسلون الى قوم مجرمين ذهبوا بعد ذلك الى لوط وذلك قوله (فلما جاء آل لوط المرسلون قال) أى لوط (انكم قوم منكرون) تنكركم نفسى وتنفر منكم وذلك أنهم هجموا عليه فلم يعرفهم وخاف أن يطرقوه بشر فلذلك (قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون) أى ما جئناك بما توهمت بل جئناك بما فيه فرجك وتشفيك من عدوك وهو العذاب الذى كنت تخوفهم به وهم يشكون فى وقوعه (وأتيناك بالحق) باليقين الثابت وقال الكلبى قال

محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء وحدثنى المثنى قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله قال أبشرتمونى على أن مسنى الكبر فبم تبشرون قال عجب من كبره وكبر امرأته حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقال على أن مسنى الكبر ومعناه لأن مسنى الكبر وبأن مسنى الكبر وهو نحو قوله حقيق على أن لا أقول على الله الا الحق بمعنى بأن لا أقول وعلته فى الكلام أتيتك أنك تعطى فلم أجدك تعطى ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون﴾ يقول تعالى ذكره قال ضيف ابراهيم له بشرناك بحق يقين وعلم منا بأن الله قد وهب لك غلاما عليما فلا تكن من الذين يقنطون من فضل الله فييأسون منه ولكن أبشر بما بشرناك به واقبل البشرى واختلفت القراء فى قراءة قوله من القانطين فقرأته عامة قراء الامصار من القانطين بالألف وذكر عن يحيى بن وثاب أنه كان يقرأ ذلك القنطين * والصواب من القراءة فى ذلك ما عليه قراء الامصار لاجماع الحجة على ذلك وشذوذ ما خالفه وقوله قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون يقول تعالى ذكره قال ابراهيم للضيف ومن ييأس من رحمة الله الا القوم الذين قد أخطؤا سبيل الصواب وتركوا قصد السبيل فى تركهم رجاء الله ولا يخيب من رجاه فضلوا بذلك عن دين الله واختلفت القراء فى قراءة قوله ومن يقنط فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة ومن يقنط بفتح النون الا الاعمش والكسائى فانهما كسرا النون من يقنط فأما الذين فتحوا النون منه ممن ذكرنا فانهم قرؤا من بعد ما قنطوا بفتح القاف والنون وأما الاعمش فكان يقرأ ذلك من بعد ما قنطوا بكسر النون وكان الكسائى يقرؤه بفتح النون وكان أبو عمرو بن العلاء يقرأ الحرفين جميعا على النحو الذى ذكرنا من قراءة الكسائى * وأولى القراآت فى ذلك بالصواب قراءة من قرأه من بعد ما قنطوا بفتح النون ومن يقنط بكسر النون لاجماع الحجة من القراء على فتحها فى قوله من بعد ما قنطوا فكسرها فى ومن يقنط أولى اذ كان مجمعا على فتحها فى قنط لان فعل اذا كانت عين الفعل منها مفتوحة ولم تكن من الحروف الستة التى هى حروف الحلق فانها تكون فى يفعل مكسورة أو مضمومة فأما الفتح فلا يعرف ذلك فى كلام العرب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال فما خطبكم أيها المرسلون قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين الا آل لوط انا لمنجوهم أجمعين الا امرأته قدرنا انها لمن الغابرين﴾ يقول تعالى ذكره قال ابراهيم للملائكة فما شأنكم ما أمركم أيها المرسلون قالت الملائكة له انا أرسلنا الى قوم مجرمين يقول الى قوم قد اكتسبوا الكفر بالله الا آل لوط يقول الا اتباع لوط على ما هو عليه من الدين فانا لن نهلكهم بل ننجيهم من العذاب الذى أمرنا أن نعذب به قوم لوط سوى امرأة لوط قدرنا انها من الغابرين يقول قضى الله فيها انها لمن الباقين ثم هى مهلكة بعد وقد بينا معنى الغابر فيما مضى بشواهده ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون﴾ يقول تعالى ذكره فلما أتى رسل الله آل لوط أنكرهم لوط فلم يعرفهم وقال لهم انكم قوم منكرون أى ننكركم لا نعرفكم فقالت له الرسل بل نحن رسل الله جئناك بما كان فيه قومك يشكون أنه نازل بهم من عذاب الله على كفرهم به حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث

قال بالعذاب الذى لا شك فيه (وانا لصادقون) فيما أخبرناك به (فأسر بأهلك بقطع من الليل) أى فى آخره وقدم فى سورة هود وزاد ههنا قوله (واتبع أدبارهم) لانه اذا ساقهم وكان من ورائهم علم بنجاتهم ولا يخفى حالهم ففى الآية زيادة بيان لكيفية الاسراء ثم زاد فى البيان فقال (ولا يلتفت

منكم أحد) ولم يستثن امرأته اكتفاء بما مر فى السورة من قوله الا آل لوط انا لمنجوهم أجمعين الا امرأته قال جار الله انما أمر باتباع أدبارهم ونهى عن الالتفات ليكون فارغ البال من حالهم فيخلص قلبه لشكر الله ولئلا يتخلف منهم أحد لغرض له فيصيبه العذاب ولئلا يشاهدوا عذاب قومهم فيرقوا لهم مع أنهم ليسوا من أهل الرقة عليهم وليوطنوا نفوسهم على المهاجرة ولا يتحسروا على ما خلفوا وجوز أن يكون النهى عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التوانى لأن من يلتفت لابد أن يقع له أدنى وقفة (وامضوا حيث تؤمرون) قال الجوهرى مضى الشئ مضيا ذهب ومضى فى الامر مضيا أنفذه وقال فى الكشاف عدى وامضوا الى حيث تعديته الى الظرف المبهم لان حيث مبهم فى الامكنة وكذلك الضمير فى تؤمرون قلت حاصل الكلام يرجع الى قوله اذهبوا الى المكان الذى تؤمرون بالذهاب اليه أو أنفذوا أمر الذهاب الى هنالك عن ابن عباس انه الشام وقيل مصر وقال المفضل حيث يقول لكم جبرئيل وكانت قرية معينة ما عمل أهلها عمل قوم لوط ثم أخبر عن حالهم مجملا فقال (وقضينا) ضمن معنى أوحينا ولذلك عدى بالى كأنه قيل وأوحينا (اليه ذلك الامر) مقضيا مبتوتا ثم فسر ذلك الامر بقوله (أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين) أى يستأصلون عن آخرهم حال ظهور الصبح ودخولهم فيه وفى هذا الاجمال والتفسير تفخيم لشأن الامر وتعظيم له ثم حكى ما أبدى قوم لوط من الفعال بعد نزول الملائكة فقال (وجاء أهل المدينة) أى أهل سدوم التى ضرب بقاضيها المثل فقيل أجور من قاضى سدوم (يستبشرون) بظهور السرور بمجىء الملائكة لانهم رأوهم مردا حسان الوجوه (قال) لوط لما قصدوا أضيافه (ان هؤلاء ضيفى فلا تفضحون) فضيحة ضيفى لان الضيف يجب اكرامه فاذا أسىء اليه فى دار المضيف كان ذلك اهانة وفضيحة للمضيف يقال فضحه يفضحه فضحا وفضيحة أظهر من أمره ما يلزمه العار (واتقوا الله ولا تخزون) مر فى هود (قالوا) فى جواب لوط (أولم ننهك عن العالمين) أى ألسنا نهيناك عن أن تكلمنا فى شأن أحد من الناس اذا قصدناه بالفاحشة وكانوا يتعرضون لكل أحد وكان لوط عليه السلام ينهاهم عن ذلك فأوعدوه

قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء **وحدثنى** الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء **وحدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل **وحدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله قال انكم قوم منكرون قال أنكرهم لوط وقوله بما كانوا فيه يمترون قال بعذاب قوم لوط **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وأتيناك بالحق وانا لصادقون فأسر بأهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون﴾ يقول تعالى ذكره قالت الرسل للوط وجئناك بالحق اليقين من عند الله وذلك الحق هو العذاب الذى عذب الله به قوم لوط وقد ذكرت خبرهم وقصصهم فى سورة هود وغيرها حين بعث الله رسله ليعذبهم به وقولهم وانا لصادقون يقولون انا لصادقون فيما أخبرناك به يا لوط من أن الله مهلك قومك فأسر بأهلك بقطع من الليل يقول تعالى ذكره مخبرا عن رسله أنهم قالوا للوط فأسر بأهلك بقية من الليل واتبع يا لوط أدبار أهلك الذين تسرى بهم كن من ورائهم وسر خلفهم وهم أمامك ولا يلتفت منكم وراءه أحد وامضوا حيث يأمركم الله وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن عن ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولا يلتفت منكم أحد لا يلتفت وراءه أحد ولا يعرج **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ولا يلتفت منكم أحد لا ينظر وراءه أحد **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل **وحدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة واتبع أدبارهم قال أمر أن يكون خلف أهله يتبع أدبارهم فى آخرهم اذا مشوا **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فأسر بأهلك بقطع من الليل قال بعض الليل واتبع أدبارهم أدبار أهله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقضينا اليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وجاء أهل المدينة يستبشرون﴾ يقول تعالى ذكره وفرغنا الى لوط من ذلك الامر وأوحينا أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين يقول أن آخر قومك وأولهم مجذوذ مستأصل صباح ليلتهم وأن من قوله أن دابر فى موضع نصب ردا على الامر بوقوع القضاء عليها وقد يجوز أن تكون فى موضع نصب بفقد الخافض ويكون معناه وقضينا اليه ذلك الامر بأن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله وقلنا ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وعنى بقوله مصبحين اذا أصبحوا أو حين يصبحون وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين يعنى استئصال هلاكهم مصبحين **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال

نظيره لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين وقيل نهوه عن ضيافة الناس وانزالهم (قال هؤلاء بناتي) من الصلب أو أراد نساء أمته كما مر في هود قال جار الله (ان كنتم فاعلين) شك في قبولهم لقوله كأنه قال وما أظنكم تفعلون وقيل ان كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما أحل الله دون ما حرم ثم قالت الملائكة للوط عليه السلام (لعمرك) مبتدأ محذوف الخبر لكثرة الاستعمال أي قسمي أو هو مما أقسم به والعمر والعمر بالفتح والضم واحد الا أنهم خصوا القسم بالمفتوح اتباعا للاخف فان الحلف كثير الدور على ألسنتهم (انهم لفي سكرتهم) غوايتهم التي أذهبت عقولهم حتى لم يميزوا بين خطئهم وصوابك (يعمهون) يتحيرون فكيف يقبلون قولك الذي تأمرهم به من ترك البنين الى البنات وقيل انه سبحانه خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقسم بحياته صلى الله عليه وسلم كرامة له صلى الله عليه وسلم وما أقسم بحياة أحد قط وذلك يدل على أنه أكرم الخلق على الله (فأخذتهم الصيحة مشرقين) داخلين في الشروق وهو بزوغ الشمس كان ابتداء العذاب من أول الصبح لقوله مصبحين أليس الصبح بقريب وغلبته كانت عند طلوع الشمس قال المفسرون هي صيحة جبرئيل قلت ويحتمل أن تكون صيحة قلب المدائن وارسال الحجارة عليهم قال بعض المفسرين انما قال (وأمطرنا عليهم) وفي سورة هود وأمطرنا عليها لانه أراد ههنا من شذ من القرية منهم وقيل سبب تخصيص هذه السورة بجمع المذكر هو بناء القصة على قوله انا أرسلنا الى قوم مجرمين (ان في ذلك لآيات للمتوسمين) للمتفرسين وحقيقة التوسم التثبت في النظر حتى يعرف حقيقة سمة الشيء فعبر به عن التأمل والتفكر (وانها) يعني تلك القرى وآثارها (لبسبيل مقيم) ثابت يسلكه الناس المارة من الحجاز الى الشام يشاهدون آثار قهر الله وغضبه هنالك قال بعضهم انما جمع الآيات في قوله ان في ذلك لآيات للمتوسمين لأنه أشار الى ما تقدم عن ضيف ابراهيم وقصة لوط وقلب المدينة وامطار الحجارة عليها وعلى من غاب منهم وقال في الثانية وانها أي القرية لبسبيل وهذه واحدة من تلك الآيات فلذلك قال (ان في ذلك لآية للمؤمنين) وقيل ما جاء من

ابن زيد في قوله وقضينا اليه ذلك الامر قال أوحينا اليه وقوله وجاء أهل المدينة يستبشرون يقول وجاء أهل مدينة سدوم وهم قوم لوط لما سمعوا أن ضيفا قد ضاف لوطا مستبشرين بنزولهم مدينتهم طمعا منهم في ركوب الفاحشة كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وجاء أهل المدينة يستبشرون استبشروا بأضياف نبي الله صلى الله عليه وسلم لوط حين نزلوا ما أرادوا أن يأتوا اليهم من المنكر ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ ﴿قال ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون قالوا أولم ننهك عن العالمين﴾ يقول تعالى ذكره قال لوط لقومه ان هؤلاء الذين جئتموهم تريدون منهم الفاحشة ضيفي وحق على الرجل اكرام ضيفه فلا تفضحون أيها القوم في ضيفي وأكرموني في ترككم التعرض لهم بالمكروه وقوله واتقوا الله يقول وخافوا الله في وفي أنفسكم أن يحل بكم عقابه ولا تخزون يقول ولا تذلوني ولا تهينوني فيهم بالتعرض لهم بالمكروه قالوا أولم ننهك عن العالمين يقول تعالى ذكره قال للوط قومه أولم ننهك أن تضيف أحدا من العالمين كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أولم ننهك عن العالمين قال ألم ننهك أن تضيف أحدا ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ ﴿قال هؤلاء بناتي ان كنتم فاعلين لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون فأخذتهم الصيحة مشرقين﴾ يقول تعالى ذكره قال لوط لقومه تزوجوا النساء فأتوهن ولا تفعلوا ما قد حرم الله عليكم من اتيان الرجال ان كنتم فاعلين ما آمركم به ومنتهين الى أمري كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال هؤلاء بناتي ان كنتم فاعلين أمر هم نبي الله لوط أن يتزوجوا النساء وأراد أن يقي أضيافه ببناته وقوله لعمرك يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وحياتك يا محمد ان قومك من قريش لفي سكرتهم يعمهون يقول لفي ضلالتهم وجهلهم يترددون وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى قال ثنا مسلم بن ابراهيم قال ثنا سعيد بن زيد قال ثنا عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسا أكرم على الله من محمد صلى الله عليه وسلم وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره قال الله تعالى ذكره لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا يعقوب بن اسحق الحضرمي قال ثنا الحسن بن أبي جعفر قال ثنا عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس في قول الله لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون قال ما حلف الله تعالى بحياة أحد الا بحياة محمد صلى الله عليه وسلم قال وحياتك يا محمد وعمرك وبقائك في الدنيا انهم لفي سكرتهم يعمهون **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون وهي كلمة من كلام العرب لفي سكرتهم أي في ضلالتهم يعمهون أي يلعبون **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان قال سألت الاعمش عن قوله لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون قال في غفلتهم يترددون **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة في سكرتهم قال في ضلالتهم يعمهون قال يلعبون **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال قال مجاهد يعمهون قال يترددون **حدثني** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله لعمرك يقول لعيشك انهم لفي سكرتهم يعمهون قال يتمادون

حدثني أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن ابراهيم قال كانوا يكرهون أن يقول الرجل يرى برونه كقوله وحياتي وقوله فأخذتهم الصيحة مشرقين يقول تعالى ذكره فأخذتهم صاعقة العذاب وهي الصيحة مشرقين يقول اذا أشرقوا ومعناه اذا أشرقت الشمس ونصب مشرقين ومصبحين على الحال بمعنى اذا أصبحوا واذا أشرقوا يقال منه صيح بهم اذا أهلكوا وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج فأخذتهم الصيحة مشرقين قال حين أشرقت الشمس ذلك مشرقين ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ان في ذلك لآيات للمتوسمين ﴾ يقول تعالى ذكره فجعلنا عالي أرضهم سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل (١) كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن عكرمة وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل من طين وقوله ان في ذلك لآيات للمتوسمين يقول ان في الذي فعلنا بقوم لوط من اهلاكهم واحلالنا بهم من العذاب لعلامات ودلالات للمتفرسين المعتبرين بعلامات الله وعبره على عواقب أمور أهل معاصيه والكفر به وانما يعني تعالى ذكره بذلك قوم نبي الله صلى الله عليه وسلم من قريش يقول فلقومك يا محمد في قوم لوط وما حل بهم من عذاب الله حين كذبوا رسولهم وتمادوا في غيهم وضلالهم معتبر وبنحو الذي قلنا في معنى قوله للمتوسمين قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني عبد الاعلى بن واصل قال ثنا يعلى بن عبيد قال ثنا عبد الملك بن أبي سليمان عن عباس عن مجاهد في قوله ان في ذلك لآيات للمتوسمين قال للمتفرسين حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نضيل عن عبد الملك وحدثنا الحسن الزعفراني قال ثني محمد بن عبيد قال ثني عبد الملك عن قيس عن مجاهد ان في ذلك لآيات للمتوسمين قال للمتفرسين حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء وحدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة قال ثنا شبل جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال المتوسمين المتفرسين قال * توسمت فيك الخير نافلة * حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن عبد الملك ابن أبي سليمان عن قيس عن مجاهد ان في ذلك لآيات للمتوسمين قال المتفرسين حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس ان في ذلك لآيات للمتوسمين يقول للناظرين حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن يزيد عن جويبر عن الضحاك للمتوسمين قال للناظرين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان في ذلك لآيات للمتوسمين للمعتبرين حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قوله للمتوسمين قال للمعتبرين حدثني محمد بن عمارة قال ثني حسن بن مالك قال ثنا محمد بن بكير عن عمرو بن قيس عن عطية عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة

(١) لعل الأصل من سجيل أي من طين كما يظهر بالتأمل فتنبه كتبه مصححه

المؤمن فانه ينظر بنور الله ثم قرأ ان في ذلك لآيات للمتوسمين وان في ذلك لبسبيل مقيم يقول تعالى ذكره وان قرى قوم لوط لبطريق مقيم لم يندرس بعد ولا يزال الناس يرون آثارها ويمرون عليها ذاهبين وجائين وكذلك طريق مكة وقرى ثمود وديارهم بالحجر وطريق الشام وقرى قوم شعيب بمدين وطريق اليمن وقرى عاد بالاحقاف وطريق العراق وقرى قوم لوط بسدوم وطريق مصر وقرى قوم فرعون بأرض مصر وطريق الحبشة وقرى قوم نوح بأرض الجزيرة وطريق فارس وقرى قوم هود بأرض اليمن وطريق الهند وقرى قوم صالح بالحجر وطريق خراسان وقرى قوم شعيب بمدين وطريق اليمن وقرى عاد بالاحقاف وطريق العراق وقرى قوم لوط بسدوم وطريق مصر وقرى قوم فرعون بأرض مصر وطريق الحبشة وقرى قوم نوح بأرض الجزيرة وطريق فارس وقرى قوم هود بأرض اليمن وطريق الهند وقرى قوم صالح بالحجر وطريق خراسان

حدثني أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن ابراهيم قال كانوا يكرهون أن يقول الرجل يرى برونه كقوله وحياتي وقوله فأخذتهم الصيحة مشرقين يقول تعالى ذكره فأخذتهم صاعقة العذاب وهي الصيحة مشرقين يقول اذا أشرقوا ومعناه اذا أشرقت الشمس ونصب مشرقين ومصبحين على الحال بمعنى اذا أصبحوا واذا أشرقوا يقال منه صيح بهم اذا أهلكوا وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج فأخذتهم الصيحة مشرقين قال حين أشرقت الشمس ذلك مشرقين ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ان في ذلك لآيات للمتوسمين ﴾ يقول تعالى ذكره فجعلنا عالي أرضهم سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل (١) كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن عكرمة وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل من طين وقوله ان في ذلك لآيات للمتوسمين يقول ان في الذي فعلنا بقوم لوط من اهلاكهم واحلالنا بهم من العذاب لعلامات ودلالات للمتفرسين المعتبرين بعلامات الله وعبره على عواقب أمور أهل معاصيه والكفر به وانما يعني تعالى ذكره بذلك قوم نبي الله صلى الله عليه وسلم من قريش يقول فلقومك يا محمد في قوم لوط وما حل بهم من عذاب الله حين كذبوا رسولهم وتمادوا في غيهم وضلالهم معتبر وبنحو الذي قلنا في معنى قوله للمتوسمين قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني عبد الاعلى بن واصل قال ثنا يعلى بن عبيد قال ثنا عبد الملك بن أبي سليمان عن عباس عن مجاهد في قوله ان في ذلك لآيات للمتوسمين قال للمتفرسين حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نضيل عن عبد الملك وحدثنا الحسن الزعفراني قال ثني محمد بن عبيد قال ثني عبد الملك عن قيس عن مجاهد ان في ذلك لآيات للمتوسمين قال للمتفرسين حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء وحدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة قال ثنا شبل جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال المتوسمين المتفرسين قال * توسمت فيك الخير نافلة * حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن عبد الملك ابن أبي سليمان عن قيس عن مجاهد ان في ذلك لآيات للمتوسمين قال المتفرسين حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس ان في ذلك لآيات للمتوسمين يقول للناظرين حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن يزيد عن جويبر عن الضحاك للمتوسمين قال للناظرين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان في ذلك لآيات للمتوسمين للمعتبرين حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قوله للمتوسمين قال للمعتبرين حدثني محمد بن عمارة قال ثني حسن بن مالك قال ثنا محمد بن بكير عن عمرو بن قيس عن عطية عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة

(١) لعل الأصل من سجيل أي من طين كما يظهر بالتأمل فتنبه كتبه مصححه

المؤمن فانه ينظر بنور الله ثم قرأ ان في ذلك لآيات للمتوسمين وان في ذلك لبسبيل مقيم يقول تعالى ذكره وان قرى قوم لوط لبطريق مقيم لم يندرس بعد ولا يزال الناس يرون آثارها ويمرون عليها ذاهبين وجائين وكذلك طريق مكة وقرى ثمود وديارهم بالحجر وطريق الشام وقرى قوم شعيب بمدين وطريق اليمن وقرى عاد بالاحقاف وطريق العراق وقرى قوم لوط بسدوم وطريق مصر وقرى قوم فرعون بأرض مصر وطريق الحبشة وقرى قوم نوح بأرض الجزيرة وطريق فارس وقرى قوم هود بأرض اليمن وطريق الهند وقرى قوم صالح بالحجر وطريق خراسان

ثم آن من الآيات فلجمع الدلائل وما جاء من الآية فلوحدانية المدلول عليه فلماذ كر عقيبه المؤمنين وهم مقرون بوحدانيته وحد الآية
ثم في العنكبوت خلق الله السموات والارض بالحق ان في ذلك لآية للمؤمنين ثم أجمل قصة قوم شعيب فقال (وان كان أصحاب الأيكة
لظالمين) إن مخففة من الثقيلة ولذلك دخلت اللام الفارقة في خبرها كانوا أصحاب غياض ومواضع ذات شجر فنسبوا اليها
والايكة الشجر الملتف والضمير في قوله (وانهما) يعود الى قرى قوم لوط والى الايكة وقيل بل الى الايكة ومدين لان شعيبا كان مبعوثا اليهما فدل بذكر أحد الموضعين ههنا وهو الايكة على الآخر (لبامام مبين) لبطريق واضح قال الفراء والزجاج سمي الطريق اماما لانه يؤم ويتبع وقال ابن قتيبة لان المسافر يأتم به حتى يصير الى الموضع الذي يريده ثم ختم القصص بقصة ثمود فقال (ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين) وهو واد بين الشأم والمدينة وجمع المرسلين لان تكذيب نبي واحد وهو صالح كتكذيب جميع الانبياء أولأن القوم كانوا براهمة منكرين لكل الرسل أو أراد صالحا ومن معه من المؤمنين (وآتيناهم) أي أعطينا رسولهم (آياتنا) أراد الناقة وكانت فيها آيات خروجها من الصخرة وعظم خلقها وكثرة لبنها الى غير ذلك كما حكينا في الاعراف (فكانوا عنها) أي عن النظر فيها والاعتبار بها (معرضين) وفيه أن التقليد مذموم والاستدلال واجب (وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين) من أن تنهدم ويتداعى بنيانها أو يقع سقفهم عليهم أو آمنين من عذاب الله أو من حوادث الدهر (فما أغنى عنهم) لم يدفع عنهم شيأ من عذاب الله (ما كانوا يكسبون) من بناء البيوت الوثيقة ومن جمع الاموال والعدد

لما فرغ من القصص قال (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق) أي متلبسة بالفوائد والغايات والحكم الصحيحة منها اشتغال المكلفين بالعبادة والطاعة حتى لو تركوها وأعرضوا عنها وجب في الحكمة اهلاكهم وتطهير الارض منهم وهذا النظم يناسب أصول المعتزلة قال الجبائي فيه بطلان مذهب الجبرية الذين يزعمون أن أكثر ما خلق الله بين السموات والارض من الكفر والمعاصي باطل

وأجيب بأن أفعال العباد من جملة ما بين السموات والارض فوجب أن يكون الله خالقها ويمكن أن يقال فى وجه النظم ان هذا ابتداء شر
فى تسلية النبى صلى الله عليه وسلم وتصبيره على أذيات قومه بعد اقتصاص أحوال الامم السالفة ومعاملاتهم مع أنبيائهم وتأييد هذا
قوله (وان الساعة لآتية) معناه ان الله سينتقم لك فيها من أعدائك ويجازيك واياهم على حسناتك وسيآتهم فانه ما

السموات والارض وما بينهما الا بالحق والعدل فكيف يليق بحكمته وفضله اهمال أمرك ولما صبره على أذى قومه رغبه فى الصفح فقال (فاصفح الصفح الجميل) أى فأعرض عنهم اعراضا جميلا بحلم واغضاء ان كان اللام للجنس فالمراد هذا النوع من الصفح لا الذى يشتمل على حقد واجتهال ومكروان كان للعهد فلعل المراد ما أمر به فى نحو قوله خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وقيل هذا منسوخ بآية السيف والاظهر أن حسن المعاشرة والمخالقة مأمور به ما أمكن فلا حاجة الى ارتكاب النسخ (ان ربك هو الخلاق) كثير الخلق (العليم) الكامل العلم يعلم ما يجرى بين الخلائق من الاحوال والاخلاق وان كثروا وكثرت فيجازيهم يوم القيامة على حسب ذلك وقيل أراد انه الذى خلقكم وعلم ما هو الأصلح لكم فاليوم الصفح أصلح فاصفحوا الى أن يكون السيف أصلح ثم حثه على الصفح والتجاوز بذكر النعم العظام التى خصه بها فقال (ولقد آتيناك سبعا من المثانى) أكثر المفسرين على أن المراد بها فاتحة الكتاب وهو قول عمر وعلى رضى الله عنهم وابن مسعود وأبى هريرة والحسن وأبى العالية ومجاهد والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة وذلك أنها سبع آيات والمثانى جمع مثناة من التثنية أو جمع مثنية لانها تثنى فى كل صلاة وقال الزجاج تثنى بما يقرأ بعدها معها وأيضا قسمت بنصفين قسم ثناء وقسم دعاء وقد ورد الحديث فى هذا المعنى قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين وقد مر فى أول الكتاب وأيضا كلماتها مثناة مثل الرحمن الرحيم اياك واياه الصراط صراط عليهم واشتمالها على ثناء الله تعالى وتحميده مقرر ومما يتفرع على هذا القول ما نقل القاضى عن أبى بكر الأصم

المؤمن فانه ينظر بنور الله ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم ان فى ذلك لآيات للمتوسمين حدثنى أحمد بن محمد الطوسى قال ثنا محمد بن كثير مولى بنى هاشم قال ثنا عمرو بن قيس الملائى عن عطية عن أبى سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثله حدثنى أحمد بن محمد الطوسى قال ثنا الحسن بن محمد قال ثنا الفرات بن السائب قال ثنا ميمون بن مهران عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فان المؤمن ينظر بنور الله حدثنا عبد الأعلى واصل قال ثنى سعيد بن محمد الجرمى قال ثنا عبد الواحد بن واصل قال ثنا أبو بشر الرقى عن ثابت البنانى عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله عبادا يعرفون الناس بالنور حدثنى يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ان فى ذلك لآيات للمتوسمين قال المتفكرون والمعتبرون الذين يتوسمون الاشياء ويتفكرون فيها ويعتبرون حدثنى عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله للمتوسمين هى للناظرين حدثنى أبو شرحبيل الحمصى قال ثنا سليمن بن سلمة قال ثنا المؤمل بن سعيد بن يوسف الرحبى قال ثنا أبو المعلى أسد بن وداعة الطائى قال ثنا وهب بن منبه عن طاوس بن كيسان عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احذروا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله وينطق بتوفيق الله ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وانها لبسبيل مقيم ان فى ذلك لآية للمؤمنين﴾ يقول تعالى ذكره وان هذه المدينة مدينة سدوم لبطريق واضح مقيم يراها المجتازبها لا خفاء بها ولا يبرح مكانها فيجهل ذو لب أمرها وغب معصية الله والكفر به * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء وحدثنا الحسن بن محمد قال ثنا المحاربى قال ثنا ورقاء وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنى المثنى قال ثنا اسحاق قال ثنا عبد الله عن ورقاء وحدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وانها لبسبيل مقيم قال لبطريق معلم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وانها لبسبيل مقيم يقول بطريق واضح حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وانها لبسبيل مقيم قال طريق السبيل الطريق حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله لبسبيل مقيم يقول بطريق معلم وقوله ان فى ذلك لآية للمؤمنين يقول تعالى ذكره ان فى صنيعنا بقوم لوط ما صنعنا بهم لعلامة ودلالة بينة لمن آمن بالله على انتقامه من أهل الكفر به وانقاذه من عذابه اذا نزل بقوم أهل الايمان به منهم حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن سماك عن سعيد بن جبير فى قوله فى ذلك لآية قال هو كالرجل يقول لاهله علامة ما بينى وبينكم أن أرسل اليكم خاتمى أو آية كذا وكذا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن سفيان عن سماك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان فى ذلك لآية قال أما ترى الرجل يرسل بخاتمه الى أهله فيقول هاتوا خذى هاتوا خذى

رأوه

قال كان ابن مسعود لا يكتب فى مصحفه فاتحة الكتاب فقيل كانه رأى أنه تعالى عطف عليه قوله والقرآن العظيم والعطف يوجب المغايرة يوجب أن تكون السبع المثانى غير القرآن والجواب أنه قد يكون بعطف الجزء على الكل كقوله وملائكته وجبريل أو بالعكس كما فى الآية والمقصود فى الوصفين تميز البعض عن الكل تنبيها على مزية ذلك البعض وشرفه فان قلت ليس لعطف الكل على البعض نظير والاستدلال بالآية استدلال بصورة النزاع من غير دليل قلنا يكفى بقوله ولقد آتيناك دليلا على أنه من القرآن وعن ابن عمر وسعيد بن جبير فى رواية أن السبع المثانى هى السبع الطوال سميت بذلك لما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك أو لانها تثنى على الله بأفعاله العظمى وصفاته الحسنى وأنكر الربيع هذا القول لان هذه السورة مكية وأكثر تلك السور مدنية وأجيب بأن المراد من الايتاء انزالها الى السماء الدنيا والمكية والمدنية فى ذلك سيان وضعف بأن اطلاق لفظ الايتاء على ما لم يصل بعد اليه خلاف الظاهر وقال قوم السبع المثانى هى التى دون الطوال والمئين وفوق المفصل واحتجوا عليه بما روى ثوبان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله أعطانى السبع الطوال مكان التوراة وأعطانى المئين مكان الانجيل وأعطانى المثانى مكان الزبور وفضلنى ربى بالمفصل قال الواحدى والقول فى تسمية هذه السور مثانى كالقول فى تسمية الطول مثانى وروى عن ابن عباس واليه ذهب طاوس أنها هى القرآن لقوله سبحانه كتابا متشابها مثانى وأنها سبعة أسباع كرر فيها دلائل التوحيد والنبوة والتكاليف ومعنى العطف على

(٥ - (ابن جرير) - رابع عشر)

* هذا القول الجمعية كقوله * الى الملك القرم وابن الهمام * وكانه قيل آتيناك سبعا من المثانى ولكونه سبعا من المثانى وكونه قرآنا عظيما قال الزجاج ووافقه صاحب الكشاف ومن فى من المثانى للبيان أو للتبعيض اذا أردت بسبع الفاتحة أو الطول وللبيان اذا أردت الأسباع ولما عرف رسوله نعمه الدينية ورغبه فيها نفره من اللذات العاجلة الزائلة لان كل

رأوه علموا أنه حق ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وان كان أصحاب الأيكة لظالمين فانتقمنا منهم وانهما لبامام مبين ﴾ يقول تعالى ذكره وقد كان أصحاب الغيضة ظالمين يقول كانوا بالله كافرين والأيكة الشجر الملتف المجتمع كما قال أمية

كبكا الحمام على فرو * ع الايل فى الغصن الجوانح

* وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** اسحق بن ابراهيم بن حبيب بن الشهيد قال ثنا عتاب بن بشير عن خصيف قال فى قوله أصحاب الايكة قال الشجر وكانوا يأكلون فى الصيف الفاكهة الرطبة وفى الشتاء اليابسة **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وان كان أصحاب الايكة لظالمين ذكر لنا أنهم كانوا أهل غيضة وكان عامة شجرهم هذا الدوم وكان رسولهم فيما بلغنا شعيب صلى الله عليه وسلم أرسل اليهم والى أهل مدين أرسل الى أمتين من الناس وعذبتا بعذابين شتى أما أهل مدين فأخذتهم الصيحة وأما أصحاب الأيكة فكانوا أهل شجر متكاوس ذكر لنا أنه سلط عليهم الحر سبعة أيام لا يظلهم منه ظل ولا يمنعهم منه شئ فبعث الله عليهم سحابة فخلوا تحتها يلتمسون الروح فيها فجعلها الله عليهم عذابا بعث عليهم نارا فاضطرمت عليهم فأكلتهم فذلك عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن أبى حماد قال ثنا عمرو بن ثابت عن أبيه عن سعيد بن جبير قال أصحاب الأيكة أصحاب غيضة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قوله وان كان أصحاب الايكة لظالمين قال قوم شعيب قال ابن عباس الايكة ذات آجام وشجر كانوا فيها **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله أصحاب الأيكة قال هم قوم شعيب والايكة الغيضة **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنا عمرو بن الحرث عن سعيد بن أبى هلال عن عمرو بن عبد الله عن قتادة أنه قال ان أصحاب الايكة والايكة الشجر الملتف وقوله فانتقمنا منهم وانهما لبامام مبين يقول تعالى ذكره فانتقمنا من ظلمة أصحاب الايكة وقوله وانهما لبامام مبين يقول وان مدينة أصحاب الايكة ومدينة قوم لوط والهاء والميم فى قوله وانهما من ذكر المدينتين لبامام يقول لبطريق يأتمون به فى سفرهم ويهتدون به مبين يقول يبين لمن ائتم به استقامته وانما جعل الطريق اماما لانه يؤم ويتبع * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله وانهما لبامام مبين يقول على الطريق **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فانتقمنا منهم وانهما لبامام مبين يقول طريق ظاهر **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و**حدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء و**حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء و**حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء و**حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله وانهما لبامام مبين قال بطريق معلم **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وانهما لبامام مبين قال طريق واضح **حدثت**

نعمة وان عظمت فانها بالنسبة الى نعمة القرآن ضئيلة حقيرة ومنه الحديث من لم يتغن بالقرآن أى لم يستغن به فليس منا وقول أبى بكر بن أوتى القرآن فرأى أن أحدا أوتى من الدنيا أفضل مما أوتى فقد صغر عظيما وعظم صغيرا فمن حق قارئ القرآن الواقف على معانيه أن لا يشغل سره بالالتفات الى الدنيا وزهرتها قال الواحدى انما يكون ما ذا عينيه الى الشئ اذا أدام النظر نحوه وادامة النظر اليه تدل على استحسانه وتمنيه وقال فى الكشاف معنى (لا تمدن) لا تطمح ببصرك طموح راغب فيه متمن له (الى ما متعنا به أزواجا منهم) أى أصنافا من الكفار قاله ابن قتيبة وقال الجوهرى الأزواج القرناء وقال بعضهم لا تمدن عينيك أى لا تحسدن أحدا على ما أوتى من الدنيا وضعف بأن الحسد منهى عنه مطلقا فكيف يحسن تخصيص الرسول به ويمكن أن يجاب بأن المراد منه نهى التكوين كقوله ولا تكونن من المشركين أو المراد الغبطة فهى محظورة عليه صلى الله عليه وسلم لجلالة منصبه وان كانت جائزة لأمته ويروى أنه وافت من بلاد الشام سبع قوافل لبهود بنى قريظة والنضير فيها أنواع البز والطيب والجوهر فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها ولأنفقناها فى سبيل الله فقال لهم الله عز وجل لقد أعطيتكم سبع آيات هى خير من هذه القوافل السبع وانما قال فى هذه السورة لا تمدن بغير واو العطف لانه لم يسبقه طلب بخلاف ما فى سورة طه ثم لما نهاه عن الالتفات الى أموالهم وأمتعتهم نهاه عن الالتفات اليهم أنفسهم وان لم يحصل لهم فى قلبه قدر ووزن فقال (ولا تحزن عليهم) أى على أنهم لم يؤمنوا فيتقوى بمكانهم الاسلام وينتعش بهم المؤمنون وكما أمره بالتكبر على الاغنياء والترفع عنهم اذا كانوا كفارا أمره بالتواضع للفقراء اذا كانوا مؤمنين فقال (واخفض جناحك للمؤمنين) الخفض نقيض الرفع وجناحا الانسان يداه وخفضهما كناية عن اللين والرفق وانما قال فى سورة الشعراء بزيادة لمن اتبعك لانه قبله وأنذر عشيرتك الاقربين فلو لم يذكر هذه الزيادة لكان الظاهر أن اللام للعهد فصار الامر بخفض الجناح مختصا بالأقربين

عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله لبإمام مبين بطريق مستبين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين﴾ يقول تعالى ذكره ولقد كذب سكان الحجر وجعلوا السكناهم فيها ومقامهم بها أصحابها كما قال تعالى ذكره ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فجعلهم أصحابها لسكناهم فيها ومقامهم بها والحجر مدينة ثمود وكان قتادة يقول فى معنى الحجر ما حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة أصحاب الحجر قال أصحاب الوادى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى يونس عن ابن شهاب وهو يذكر الحجر مساكن ثمود قال قال سالم بن عبد الله ان عبد الله بن عمر قال مررنا مع النبى صلى الله عليه وسلم على الحجر فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم الا أن تكونوا باكين حذرا أن يصيبكم مثل ما أصابهم ثم زجر فأسرع حتى خلفها حدثنى زكريا بن يحيى بن أبان المصرى قال ثنا أبو يوسف يعقوب بن اسحق بن أبى عباد المكى قال ثنا داود بن عبد الرحمن عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن ابن سابط عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو بالحجر هؤلاء قوم صالح أهلكهم الله الا رجلا كان فى حرم الله منعه حرم الله من عذاب الله قيل يا رسول الله من هو قال أبو رغال وقوله وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين يقول وأريناهم أدلتنا وحججنا على حقيقة ما بعثنا به اليهم رسولنا صالحا فكانوا عن آياتنا التى آتيناهموها معرضين لا يعتبرون بها ولا يتعظون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين فأخذتهم الصيحة مصبحين فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون﴾ يقول تعالى ذكره وكان أصحاب الحجر وهم ثمود قوم صالح ينحتون من الجبال بيوتا آمنين من عذاب الله وقيل آمنين من الخراب أن تخرب بيوتهم التى نحتوها من الجبال وقيل آمنين من الموت وقيل فأخذتهم الصيحة مصبحين يقول فأخذتهم صيحة الهلاك حين أصبحوا من اليوم الرابع من اليوم الذى وعدوا العذاب وقيل لهم تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام وقوله فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون يقول فما دفع عنهم عذاب الله ما كانوا يجترحون من الاعمال الخبيثة قبل ذلك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وان الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل ان ربك هو الخلاق العليم﴾ يقول تعالى ذكره وما خلقنا الخلائق كلها سماءها وأرضها وما بينهما يعنى بقوله وما بينهما مما فى أطباق ذلك الا بالحق يقول الا بالعدل والانصاف لا بالظلم والجور وانما يعنى تعالى ذكره بذلك أنه لم يظلم أحدا من الامم التى اقتص قصصها فى هذه السورة وقصص اهلاكه اياها بما فعل به من تعجيل النقمة له على كفره به فيعذبه ويهلكه بغير استحقاق لانه لم يخلق السموات والارض وما بينهما بالظلم والجور ولكنه خلق ذلك بالحق والعدل وقوله وان الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان الساعة وهى الساعة التى تقوم فيها القيامة لجائية فارض بها للمشركى قومك الذين كذبوك وردوا عليك ما جئتهم به من الحق فاصفح الصفح الجميل يقول فأعرض عنهم اعراضا جميلا واعف عنهم عفوا

حسنا

ة فزيدلمن اتبعك ليعلم أن هذا التشريف شامل لجميع متبعيه من الأمة ولما بعثه على الرفق بأهل الايمان أمره بالانذار لكل المكلفين
ل وقل انى أنا النذير المبين) ويدخل تحت كونه نذيرا كونه مبلغا لجميع التكاليف لان كل ما كان واجبا ترتب على تركه عذاب وكل
كان حراما ترتب على فعله عقاب ويدخل فى كونه مبينا كونه شارحا لجميع مراتب أهل التكاليف من الجنة والنار فالانذار بالنار
والاحذار بالجنة هو الاخبار عن
موجب الحرمان عنها وفى متعلق
قوله (كما أنزلنا) وجهان بعد ما مر به
فى الوقوف أحدهما أن يتعلق
بقوله ولقد آتيناك أى أنزلنا
عليك مثل ما أنزلنا (على المقتسمين)
ومن هم قيل أهل الكتاب (الذين
جعلوا القرآن عضين) أى أجزاء
جمع عضة وأصلها عضوة فعلة من
عضى الشاة اذا جعلها أجزاء
واعضاء أو فعلة من عضهته اذا بهته
فالمحذوف منها الهاء لا الواو وعن
عكرمة العضه السحر بلسان
قريش يقولون للساحرة عاضهة
ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
العاضهة والمستعضهة فينقصانها
الهاء أيضا وجمعت العضة بالمعانى
جمع العقلاء لما لحقها من الحذف
فجعلوا الجمع بالواو والنون عوضا
عما لحقها من الحذف كسنين
فمعنى الآية أن اليهود اقتسموا
القرآن الى حق وباطل وجزؤه
فقالوا بعضه حق موافق للتوراة
والانجيل وبعضه باطل مخالف
لهما ويجوز أن يراد بالقرآن
ما يقرؤنه من كتبهم وقد اقتسموه
بتحريفهم وتكذيبهم والاقرار
بالبعض والتكذيب بالبعض
كقوله أفتؤمنون ببعض الكتاب
وتكفرون ببعض وفى هذا تسلية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن
تكذيب قومه وعداوتهم ولهذا
وسط بين المتعلق بقوله لاتمدن
الآية لانه مدد للتسلية لما فيه من

ا وقوله ان ربك هو الخلاق العليم يقول تعالى ذكره ان ربك هو الذى خلقهم وخلق كل شئ
وعالم بهم وبتدبيرهم وما يأتون من الافعال وكان جماعة من أهل التأويل تقول هذه الآية
سوخة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فاصفح الصفح
جميل ثم نسخ ذلك بعد فأمره الله تعالى ذكره بقتالهم حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده
سوله لا يقبل منهم غيره حدثنى المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن جويبر
الضحاك فى قوله فاصفح الصفح الجميل فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون وأعرض عن
شركين وقل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله وهذا النحو كله فى القرآن أمر الله به نبيه
لى الله عليه وسلم أن يكون ذلك منه حتى أمره بالقتال فنسخ ذلك كله فقال خذوهم واحصروهم
عدوا لهم كل مرصد حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن جابر عن مجاهد فاصفح
صفح الجميل قال هذا قبل القتال حدثنى المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير
سفيان بن عيينة فى قوله فاصفح الصفح الجميل وقوله وأعرض عن المشركين قال كان هذا قبل
نزل الجهاد فلما أمر بالجهاد قاتلهم فقال أنا نبى الرحمة ونبى الملحمة وبعثت بالحصاد ولم أبعث
زراعة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم﴾ اختلف
أهل التأويل فى معنى السبع الذى آتى الله نبيه صلى الله عليه وسلم من المثانى فقال بعضهم عنى
بالسبع السور من أول القرآن اللواتى يعرفن بالطول وقائلو هذه المقالة مختلفون فى المثانى
ما هى فكان بعضهم يقول المثانى هذه السبع وانما سمين بذلك لانهن ثنى فيهن الامثال والخبر والعبر ذكر
من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن يونس عن ابن سيرين عن ابن
مسعود فى قوله ولقد آتيناك سبعا من المثانى قال السبع الطول حدثنا أبو كريب قال ثنا
ابن يمان عن سفيان عن سعيد الجريرى عن رجل عن ابن عمر قال السبع الطول حدثنا أبو كريب
قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن منصور عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله ولقد آتيناك سبعا من
المثانى قال السبع الطول حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن منصور عن مجاهد
عن ابن عباس مثله حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن الحجاج عن الوليد
ابن العيزار عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال هن السبع الطول ولم يعطهن أحدا الا النبى صلى
الله عليه وسلم وأعطى موسى منهن اثنتين حدثنا ابن وكيع وابن حميد قالا ثنا جرير عن الاعمش
عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أوتى النبى صلى الله عليه وسلم سبعا من المثانى
وأوتى موسى ستا فلما ألقى الالواح رفعت اثنتان وبقيت أربع حدثنا الحسن بن محمد
قال ثنا على بن عبد الله بن جعفر قال ثنا جرير عن الاعمش عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير
عن ابن عباس مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن اسرائيل عن أبى اسحق عن
مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله سبعا من المثانى قال البقرة وآل عمران والنساء
والمائدة والانعام والاعراف قال اسرائيل وذكر السابعة فنسيتها حدثنى يعقوب بن ابراهيم
قال ثنا هشيم عن أبى بشر عن سعيد بن جبير فى قوله ولقد آتيناك سبعا من المثانى قال هى

عن الالتفات الى دنياهم والتأسف على كفرهم ومن الاقبال بالكلية على المؤمنين * الوجه الثانى أن يتعلق بقوله النذير المبين وعلى
يكون بد من التزام اضمار أو زيادة أما الاضمار فأن يكون التقدير أنا النذير عذابا كما أنزلنا كقولك رأيت كالقمر فى الحسن أى وجها
وأما الزيادة فأن تكون الكاف زائدة كقوله ليس كمثله شئ ويمكن أن يقال الكاف بمعنى مثل ولا حاجة الى الالتزام والتقدير أنذر

قريش مثل ما أنزلنا على المقتسمين وهم اما اليهود ويراد بالعذاب ما جرى على قريظة والنضير فيكون قد جعل المتوقع بمنزلة الواقع
الاعجاز لانه اخبار عما سيكون وقد كان واما غيرهم من أهل مكة أو من قوم صالح قال ابن عباس هم الذين اقتسموا طرق مكة ومداخلها
الموسم فقعدوا في كل مدخل متفرقين لينفروا الناس عن الايمان بالله ورسوله يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج
فانه ساحر ويقول الآخر كذاب
والآخر شاعر فأهلكهم الله يوم
بدر وقبله بآفات وكانوا قريبا من
أربعين منهم الوليد بن المغيرة
والعاص بن وائل والاسود بن عبد
المطلب وقال عكرمة اقتسموا
القرآن استهزاء وكان يقول
بعضهم سورة البقرة لي ويقول
الآخر سورة آل عمران لي وقال
مقاتل اقتسموه قال بعضهم سحر
وبعضهم شعر وبعضهم كذب
وبعضهم أساطير الاولين وقال ابن
زيد المقتسمون هم الذين تقاسموا
بالله لنبيتن صالحا كما سيجيء في
سورة النمل فرمتهم الملائكة
بالحجارة وقتلوهم وعلى هذا يكون
قوله الذين جعلوا منصوبا بالنذير
أي أنذر المعضين الذين يجزؤن
القرآن الى سحر وشعر وأساطير
مثل ما أنزلنا على المقتسمين ثم أقسم
على سبيل الوعيد فقال (فوربك
لنسألنهم) الآية وقد مر تفسير مثله
في أول الأعراف وذلك قوله
فلنسألن الذين أرسل اليهم
والاظهر أن الضمير عائد الى جميع
المكلفين المنذرين وأن السؤال
يكون عن جميع الأعمال وقد
يخص الضمير بالمقتسمين والسؤال
بالاقتسام ثم شجع نبيه قائلا
(فاصدع) أي اجهر (بما تؤمر)
وأظهره وفرق بين الحق والباطل
وأصل الصدع الشق والفصل ومنه
سمي الصبح صديعا كما سمي فلقا
وصدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا

السبع الطول البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف ويونس حدثنا
بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير في هذه
ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم قال البقرة وآل عمران والنساء والمائدة
والأنعام والأعراف ويونس فيهن الفرائض والحدود حدثنا ابن وكيع قال ثنا
عن شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير بنحوه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي
أبي خالد عن خصوات عن سعيد بن جبير قال السبع الطول حدثني يعقوب قال
هشيم قال أبو بشر أخبرنا عن سعيد بن جبير قال هن السبع الطول قال وقال مجاهد
السبع الطول قال ويقال هن القرآن العظيم حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا
قال ثنا سعيد عن جعفر عن سعيد في قوله سبعا من المثاني قال البقرة وآل عمران
والمائدة والانعام والاعراف ويونس تثنى فيها الأحكام والفرائض حدثنا الحسن بن
الصباح قال ثنا هشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال هن السبع الطول
الحسن بن محمد قال ثنا سعيد بن منصور قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن
ابن جبير في قوله سبعا من المثاني قال البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف
ويونس قال قلت ما المثاني قال يثنى فيهن القضاء والقصص حدثنا أحمد بن اسحق
ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير
آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم قال البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأعراف
والأعراف ويونس حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن عبد
عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال السبع الطول حدثنا الحسن بن محمد
ثنا أبو خالد القرشي قال ثنا سفيان عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير
ابن عباس مثله حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا أبو خالد عن سفيان عن أبي اسحق
سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا سفيان عن
عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله حدثنا أبو كريب قال ثنا
ادريس قال سمعت ليثا عن مجاهد قال هي السبع الطول حدثنا الحسن بن محمد بن عبيد
ثنا عبد الملك عن قيس عن مجاهد في قوله ولقد آتيناك سبعا من المثاني قال هي السبع
حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و حدثني الحرث قال
الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله تعالى ولقد آتيناك
سبعا من المثاني والقرآن العظيم قال من القرآن السبع الطول السبع الاول حدثنا
ابن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا
وكيع قال ثنا ابن فضيل وابن نمير عن عبد الملك عن قيس عن مجاهد قال هن
الطول حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن ابن أبي نجيح
مجاهد قال السبع الطول حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن نمير عن سفيان عن عبد

قال النحويون الجار محذوف والمعنى بالذي تؤمر به من الشرائع مثل أمرتك الخير وجوز أن تكون
ما مصدرية أي بأمرك وشأنك مصدر من المبني للمفعول وقالوا وما زال النبي صلى الله عليه وسلم مستخفيا حتى نزلت هذه الآية ثم قال (و
عن المشركين) أي لا تبال بهم ولا تلتفت الى لومهم ايالك على اظهار الدعوة وهذا لا ينافي آية القتال حتى يلزم النسخ على ما ظن بل يؤ

ن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال هي الامثال والخبر والعبر حدثنا ابن
بكير قال ثنا ابن نمير عن اسمعيل عن خوات عن سعيد بن جبير قال هي السبع الطول
يعني موسى وأعطى محمد صلى الله عليه وسلم سبعا حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ
يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله سبعا من المثاني يعني السبع الطول
وقال آخرون عني بذلك سبع آيات وقالوا هن آيات فاتحة الكتاب لانهن سبع آيات وهم
أيضا مختلفون في معنى المثاني فقال بعضهم انما سميت مثاني لانهن يثنين في كل ركعة من الصلاة
ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال أخبرنا ابن علية عن سعيد الجريري عن
أبي نضرة قال قال رجل منا يقال له جابر أو جوبر طلبت الى عمر حاجة في خلافته فقدمت المدينة
فلما قضيت بين أن أتخذ منزلا وبين المسجد فاخترت المسجد منزلا فأرقت نشوا من آخر الليل فاذا الى
جنبي رجل يصلي يقرأ بأم الكتاب ثم يسجد قدر السورة ثم يركع ولا يقرأ فلم أعرفه حتى جهر فاذا هو
عمر فكانت في نفسي فغدوت عليه فقلت يا أمير المؤمنين حاجة مع حاجة قال هات حاجتك قلت اني
كنت لما قضيت بين أن أتخذ منزلا وبين المسجد فاخترت المسجد فأرقت نشوا من آخر الليل فاذا
الى جنبي رجل يقرأ بأم الكتاب ثم يسجد قدر السورة ثم يركع ولا يقرأ فلم أعرفه حتى جهر فاذا هو
أبي وليس كذلك نفعل قبلنا قال وكيف تفعلون قال يقرأ أحدنا أم الكتاب ثم يفتتح السورة
يقرؤها قال مالهم يعلمون ولا يعملون مالهم يعلمون ولا يعملون مالهم يعلمون ولا يعملون وما تبغي عن
السبع المثاني وعن التسبيح صلاة الخلق حدثني طليق بن محمد الواسطي قال أخبرنا يزيد عن
الجريري عن أبي نضرة عن جابر أو جوبر عن عمر بنحوه الا أنه قال فقال يقرأ القرآن ما تيسر
قياما ويسبح أحيانا ما لهم رغبة عن فاتحة الكتاب وما يبتغي بعد المثاني وصلاة الخلق التسبيح
حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان عن السدي عن عبد خير عن علي قال
السبع المثاني فاتحة الكتاب حدثنا نصر بن عبد الرحمن قال ثنا حفص بن عمر عن الحسن
بن صالح وسفيان عن السدي عن عبد خير عن علي مثله حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن
يمان عن سفيان عن السدي عن عبد خير عن علي مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي
حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد جميعا عن سفيان عن السدي عن عبد خير عن
علي مثله حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا ثنا ابن ادريس قال ثنا هشام عن ابن
سيرين قال سئل ابن مسعود عن سبع من المثاني قال فاتحة الكتاب حدثني يعقوب قال
ثنا ابن علية قال أخبرنا يونس عن الحسن في قوله ولقد آتيناك سبعا من المثاني قال فاتحة
الكتاب قال وقال ابن سيرين عن ابن مسعود هي فاتحة الكتاب حدثني المثنى قال ثنا
عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن يونس عن ابن سيرين عن ابن مسعود سبعا من المثاني قال
فاتحة الكتاب حدثني سعيد بن يحيى الاموي قال ثنى أبي قال ثنا ابن جريج قال
أخبرنا أبي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال في قول الله تعالى ولقد آتيناك سبعا من
المثاني قال هي فاتحة الكتاب فقرأها علي ستا ثم قال بسم الله الرحمن الرحيم الآية السابعة قال

ان عمر والآية لا تفيد الا هذا القدر لكن المفسرين ذكروا عددهم وأسماءهم مع اختلاف بينهم والأشهر على ما رواه عروة بن الزبير أنهم خمسة
من الأشراف الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب والحرث بن الطلاطلة وعن
ابن عباس ماتوا كلهم قبل يوم بدر
وقال جبرئيل عليه السلام لرسول
الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن
أكفيكهم فأومأ الى ساق الوليد فر
ينبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف
تعظما لاخذه فأصاب عرقا في عقبه
فقطعه فمات وأومأ الى أخمص
العاص بن وائل فدخلت فيها شوكة
فقال لدغت لدغت فانتفخت رجله
حتى صارت كالرحى ومات وأشار الى
عيني الاسود بن المطلب فعمي وأشار
الى أنف الحرث فامتخط قيحا فمات
والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد
في أصل شجرة فجعل ينطح رأسه
بالشجر ويضرب وجهه بالشوك
حتى مات ثم زاد في تسلية نبيه صلى
الله عليه وسلم فقال (ولقد نعلم أنك
يضيق صدرك بما يقولون) من
المطاعن فيك وفي القرآن لان
الجبلة البشرية والمزاج الانساني
يقتضي ذلك ثم أمره لكشف
ما نابه بأربعة أشياء بالتسبيح
والتحميد والسجود والعبادة الى
اتيان اليقين عن ابن عباس هو الموت
سمي بذلك لانه أمر متيقن ولا يجب
الاخلال بالعبادة مادام المكلف حيا
وهذا كما قيل في تحديد مدة طلب
العلم انه من المهد الى اللحد وكيف
يصير الاقبال على الطاعات سببا
لزوال ضيق القلب قال المحققون
لانه ينكشف له أضواء عالم
الربوبية فيهون في نظره المصالح
الدنيوية فلا يستوحش من

فقرها ولا يستأنس بوجدانها وقال أهل السنة اذا نزل بالعبد بعض المكاره فعليه أن يفزع الى الله بالذكر الدائم والسجود وسائر أنواع
الطاعة فكأنه يقول وجب علي عبادتك سواء أعطيتني الخيرات أو ألقيتني في المكاره وقالت المعتزلة من اعتقد تنزيه الله عن القبائح سهل
عليه تحمل المشاق لانه يعلم أنه تعالى عدل منزه عما لا فائدة فيه ولا غرض فيطيب قلبه ۞ التأويل في بشارة ابراهيم اشارة الى أن الطالب

صادق وان كان مسنا ضعيف القوى كما قيل الصوفى بعد الاربعين بارد فانه ينبغى ان لا يقنط من رحمة الله ويتقرب اليه بالاعمال التى
ليتقرب اليه ربه بأصناف الالطاف وجذبات الاعطاف فيخرج من صلب روحه ورحم قلبه غلاما عليما بالعلوم اللدنية وهو واعظ الله التى
قلب المؤمن ان فى ذلك لآيات لاصحاب القلوب المتوسمين بشواهد أحكام الغيب وما خلقنا سموات الارواح وأرض الاشباح

بينهما من النفوس والقلوب والأسرار والخفيات الا بالحق أى الا لمظهر الحق ومظهره هو الانسان المخصوص بذلك من بين سائر المخلوقات وان الساعة يعنى قيامة العشق لآتية لنفوس الطالبين الصادقين من أصحاب الرياضات لان أنفسهم تموت بالرياضة ومن مات فقد قامت قيامته فاصفح أيها الطالب الصادق عن النفس المرتاضة بأن تداويها وتواسيها فان فى قيامة العشق يحصل من تزكية النفس فى لحظة واحدة ما لا يحصل بالمجاهدة فى سنين كثيرة ومن هنا قيل جذبة من جذبات الرحمن توازى عمل الثقلين ان ربك هو الخلاق لصور المخلوقات ولمعانيها ولحقائقها العليم بمن خلقه مستعدا لمظهرية ذاته وصفاته ومظهر يتهما وليس ذلك فى السموات والارض وما بينهما الا الانسان الكامل وغيره مختص بمظهرية الصفات دون الذات وان كان ملكا فلهذا قال ولقد آتيناك سبعا أى سبع صفات ذاتية لله تبارك وتعالى السمع والبصر والكلام والحياة والعلم والارادة والقدرة من المثانى أى من خصوصية المظهرية والمظهرية للذات والصفات والقرآن العظيم ولهذا صار خلقه عظيما لانه كان خلقه القرآن لا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا من أهل الدنيا والآخرة واخفض جناحك للمؤمنين بهذا المقام ليصلوا بجناح همتك اليه على المقتسمين الذين قسموا قهر الله على أنفسهم فصار وا مظاهر القهر الذين جعلوا القرآن

سعيد وقرأها ابن عباس على كما قرأها عليك ثم قال الآية السابعة بسم الله الرحمن الرحيم فقال
ابن عباس قد أخرجها الله لكم وما أخرجها لأحد قبلكم حدثنى يونس قال أخبرنا
وهب قال أخبرنى ابن جريج أن أباه حدثه عن سعيد بن جبير قال قال لى ابن عباس فاتحة
بسم الله الرحمن الرحيم ثم قرأ فاتحة الكتاب ثم قال تدرى ما هذا ولقد آتيناك سبعا من المثانى
حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس
قوله ولقد آتيناك سبعا من المثانى يقول السبع الحمد لله رب العالمين والقرآن العظيم وهى
هن السبع الطول وهن المئون حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن
ابن جريج عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال فاتحة الكتاب حدثنى عمران بن موسى
القزاز قال ثنا عبد الوارث قال ثنا اسحق بن سويد عن يحيى بن يعمر وعن أبى فاختة فى هذه
الآية ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم قالا هى أم الكتاب حدثنى المثنى قال
وهب بن جرير قال ثنا شعبة عن السدى عمن سمع عليا يقول الحمد لله رب العالمين هى السبع
المثانى حدثنا أبو المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة قال سمعت العلاء بن عبد الرحمن
يحدث عن أبيه عن أبى بن كعب أنه قال السبع المثانى الحمد لله رب العالمين حدثنا أبو كريب
قال ثنا ابن يمان عن أبى جعفر الرازى عن الربيع عن أبى العالية فى قول الله تعالى ولقد
آتيناك سبعا من المثانى قال فاتحة الكتاب سبع آيات قلت للربيع انهم يقولون السبع الطول
فقال لقد أنزلت هذه وما أنزل من الطول شئ حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال
حجاج عن أبى جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية قال فاتحة الكتاب قال وانما سميت
المثانى لانه يثنى بها كلما قرأ القرآن قرأها فقيل لابى العالية ان الضحاك بن مزاحم يقول هى
السبع الطول فقال لقد نزلت هذه السورة سبعا من المثانى وما أنزل شئ من الطول حدثنا
كريب قال ثنا ابن يمان قال ثنا سفيان عن أبيه عن سعيد بن جبير قال فاتحة الكتاب حدثنا
أبو كريب قال ثنا ابن يمان وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى جميعا عن سفيان عن الحسن
ابن عبيد الله عن ابراهيم قال فاتحة الكتاب حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا
سفيان عن الحسن بن عبيد الله عن ابراهيم مثله حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان وحدثنا
ابن وكيع قال ثنا أبى وحدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد جميعا عن هرون بن
ابراهيم البربرى عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال السبع من المثانى فاتحة الكتاب حدثنا
كريب قال ثنا ابن يمان عن ابن جريج عن أبى مليكة ولقد آتيناك سبعا من المثانى قال فاتحة
الكتاب قال وذكر فاتحة الكتاب لنبيكم صلى الله عليه وسلم لم تذكر لنبى قبله حدثنا أبو كريب
قال ثنا ابن ادريس عن ليث عن شهر بن حوشب فى قوله ولقد آتيناك سبعا من المثانى قال فاتحة
الكتاب حدثنى محمد بن أبى خداش قال ثنا محمد بن عبيد قال ثنا هرون البربرى عن عبد الله
ابن عبيد بن عمير الليثى فى قول الله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثانى قال هى الحمد لله رب العالمين
حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبى رجاء قال سألت الحسن عن قوله تعالى ولقد آتيناك

سبعا

عضين أى جزؤه فى الاستعمال فقوم قرؤه ليقال لهم القراء وبه يأكلون وقوم حفظوه ليقال لهم الحفاظ وبه يجرون الرزق وقوم حصلوا تفسيره
وتأويله اظهارا للفضل وطلبا للشهرة وقوم استنبطوا معانيه وفقهه على وفق آرائهم ومذاهبهم فكفروا اذ فسروا القرآن برأيهم

انا كفيناك المستهزئين الذين يستعملون الشريعة بالطبيعة استهزاء بدين الله الذين يجعلون مع الله الها آخر من الهوى والدنيا فسبح بحمد ربك لأنك لست منهم وكن من الساجدين سجدة الشكر واعبد ربك بالاخلاص حتى يأتيك اليقين أى الى الابد لان كل مقام يحصل فيه اليقين بالعيان بعد العرفان فانه يحصل فوقه مقام آخر مشكوك فيه الى أن يحصل برد اليقين فيه أيضا فهناك مراتب لا تتناهى فاليقين يكون اشارة الى الأبد والله أعلم

سبعا من المثانى والقرآن العظيم قال هى فاتحة الكتاب ثم سئل عنها وأنا أسمع فقرأها الحمد لله رب العالمين حتى أتى على آخرها فقال تثنى فى كل قراءة **حدثنا** أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال فاتحة الكتاب **حدثنا** أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن ليث عن مجاهد قال فاتحة الكتاب **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم ذكر لنا أنهن فاتحة الكتاب وأنهن يثنين فى كل قراءة **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة سبعا من المثانى قال فاتحة الكتاب تثنى فى كل ركعة مكتوبة وتطوع **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حماد بن زيد وحجاج عن ابن جريج قال أخبرنى أبى عن سعيد بن جبير أنه أخبره أنه سئل ابن عباس عن السبع المثانى فقال أم القرآن قال سعيد ثم قرأها وقرأ منها بسم الله الرحمن الرحيم قال أبى قرأها سعيد كما قرأها ابن عباس وقرأ فيها بسم الله الرحمن الرحيم قال سعيد قلت لابن عباس فما المثانى قال هى أم القرآن استثناها الله لمحمد صلى الله عليه وسلم فرفعها فى أم الكتاب فذخرها لهم حتى أخرجها لهم ولم يعطها لاحد قبله قال قلت لابى أخبرك سعيد أن ابن عباس قال له بسم الله الرحمن الرحيم آية من القرآن قال نعم قال ابن جريج قال عطاء فاتحة الكتاب وهى سبع بسم الله الرحمن الرحيم والمثانى القرآن **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن عطاء أنه قال السبع المثانى أم القرآن **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يحيى ابن واضح قال ثنا عبد الله العتكى عن خالد الحنفى قاضى مرو فى قوله ولقد آتيناك سبعا من المثانى قال فاتحة الكتاب * وقال آخرون عنى بالسبع من المثانى معانى القرآن ذكر من قال ذلك **حدثنى** اسحق بن ابراهيم بن حبيب بن الشهيد الشهيدى قال ثنا عتاب بن بشير عن خصيف عن زياد بن أبى مريم فى قوله سبعا من المثانى قال أعطيتك سبعة أجزاء مروانه وبشر وأنذر واضرب الأمثال واعدد النعم وآتيتك نبأ القرآن * وقال آخرون من الذين قالوا عنى بالسبع من المثانى فاتحة الكتاب المثانى هو القرآن العظيم ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عمران ابن عيينة عن حصين عن أبى مالك قال القرآن كله مثانى **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن حصين عن أبى مالك قال القرآن كله مثانى **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا عبيد أبو زيد عن حصين عن أبى مالك قال القرآن مثانى وعد البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف وبراءة **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن جريج عن مجاهد وعن ابن طاوس عن أبيه قال القرآن كله يثنى **حدثنى** محمد ابن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال المثانى ما ثنى من القرآن ألم تسمع لقول الله تعالى ذكره الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول المثانى القرآن يذكر الله القصة الواحدة مرارا وهو قوله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال عنى بالسبع المثانى السبع اللواتى هن آيات أم الكتاب لصحة الخبر بذلك

(سورة النحل مكية غير ثلاث آيات وان عاقبتم الخ حروفها سبعة آلاف وسبعمائة وسبعة كلمها ألف وثمنمائة وأحد وأربعون آياتها مائة وثمان وعشرون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا اله الا أنا فاتقون خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرؤف رحيم والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون وما ذرأ لكم فى الارض مختلفا ألوانه ان فى ذلك لآية لقوم يذكرون وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون وعلامات وبالنجم هم يهتدون أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم والله يعلم ما تسرون وما تعلنون والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيأ وهم

يخلقون أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون الهكم اله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون لا جرم أن
الله يعلم ما يسرون وما يعلنون انه لا يحب المستكبرين ۞ القراآت تشركون وما بعده بتاء الخطاب حمزة وعلي وخلف والآخرون على
الغيبة تنزل بالفتحات الثلاث الملائكة بالرفع (٤٠) سهل وروح وزيد وأبو زيد مثله لكن بضم التاء الفوقانية جبلة ينزل من الانزال

الملائكة بالنصب ابن كثير وأبو عمرو ورويس والباقون بالتشديد من التنزيل بشق الانفس بفتح الشين يزيد الباقون بكسرها تنبت بالنون يحيى وحماد الآخرون بياء الغيبة والشمس والقمر والنجوم مسخرات كلها مرفوعات ابن عامر وافق حفص والمفضل في النجوم مسخرات الباقون بنصب الجميع على أن مسخرات حال يسرون ويعلنون بالياء التحتانية فيهما الخزاز عن هبيرة الآخرون بتاء الخطاب يدعون على الغيبة سهل ويعقوب وعاصم غير الاعشى الباقون على الخطاب ۞ الوقوف فلا تستعجلوه ط يشركون ○ فاتقون ○ بالحق ط يشركون ○ مبين ○ ج خلقها ج لاحتمال تمام الكلام واحتمال أن يكون لكم متعلقا به والوقف حينئذ على لكم تأكلون ○ ص للعطف تسرحون ○ ص لذلك الأنفس ط رحيم ○ لا لأن الخيل مفعول خلق وزينة ط مالا تعلمون ○ جائز ط أجمعين ○ تسيمون ○ الثمرات ط يتفكرون ○ والنهار ط لمن قرأ والشمس وما بعده بالرفع ومن نصب الشمس والقمر ورفع النجوم وقف على القمر ومن نصب الكل وقف على بأمره ط يعقلون ○ لا لان ما بعده مفعول سخر ألوانه ط يذكرون ○ تلبسونها ج لان قوله وترى فعل مستأنف مع اتصال المعنى تشكرون ○ لا تهتدون ○ لا لان قوله وعلامات عطف على سبلا وعلامات ط يهتدون ○ لا يخلق ط صلى تذكرون ○ لا تحصوها ط رحيم ○ وما تعلنون ○ وهم يخلقون ○ ط لان التقدير هم أموات غير أحياء ج لاختلاف الجملتين وما يشعرون ○ لا لان ما بعده مفعول يبعثون ○ واحد ط لان ما بعده مبتدأ مع الفاء مستكبرون ○ وما يعلنون ○ المستكبرين ○

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي حدثنيه يزيد بن مخلد بن خداش الواسطي قال ثنا خالد ابن عبد الله عن عبد الرحمن بن اسحق عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أم القرآن السبع المثاني التي أعطيتها **حدثني** أحمد بن المقدام العجلي قال ثنا يزيد ابن زريع قال ثنا روح بن القاسم عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي اني أحب أن أعلمك سورة لم ينزل في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها قال نعم يا رسول الله قال اني لأرجو أن لا تخرج من هذا الباب حتى تعلمها ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي يحدثني فجعلت أتباطأ مخافة أن يبلغ الباب قبل أن ينقضي الحديث فلما دنونا قلت يا رسول الله ما السورة التي وعدتني قال ما تقرأ في الصلاة فقرأت عليه أم القرآن فقال والذي نفسي بيده ما أنزل في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها انها السبع من المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيته **حدثنا** أبو كريب قال ثنا زيد بن حباب العكلي قال ثنا مالك بن أنس قال أخبرني العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب مولى لعروة عن أبي سعيد مولى عامر بن فلان أو ابن فلان عن أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له اذا افتتحت الصلاة بم تفتتح قال الحمد لله رب العالمين حتى ختمها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيت **حدثنا** أبو كريب قال ثنا أبو أسامة عن عبد الحميد بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب عن أبيه عن أبي هريرة عن أبي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أعلمك سورة ما أنزل في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها قلت بلى قال اني لأرجو أن لا تخرج من ذلك الباب حتى تعلمها فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقمت معه فجعل يحدثني ويده في يدي فجعلت أتباطأ كراهية أن يخرج قبل أن يخبرني بها فلما قرب من الباب قلت يا رسول الله السورة التي وعدتني قال كيف تقرأ اذا افتتحت الصلاة قال فقرأت فاتحة الكتاب قال هي هي وهي السبع المثاني التي قال الله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيت **حدثنا** أبو كريب قال ثنا المحاربي عن ابراهيم بن الفضل المدني عن سعيد المقبري عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الركعتان اللتان لا يقرأ فيهما كالخداج لم يتما قال رجل أرأيت ان لم يكن معي الا أم القرآن قال هي حسبك هي أم القرآن هي السبع المثاني **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن نمير عن ابراهيم بن الفضل عن المقبري عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الركعة التي لا يقرأ فيها كالخداج قلت لابي هريرة فان لم يكن معي الا أم القرآن قال هي حسبك هي أم الكتاب وأم القرآن والسبع المثاني **حدثنا** أبو كريب قال ثنا خالد بن مخلد عن محمد ابن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ما أنزل الله في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها يعني أم القرآن وانها هي السبع المثاني التي آتاني الله تعالى **حدثني** يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة عن رسول الله

التفسير هذه السورة تسمى سورة النعم أيضا وحكى الاصم عن بعضهم أن كلها مدنية * وقال الآخرون من أولها الى قوله كن فيكون مدنية وماسواه مكى وعن قتادة بالعكس منه قال أهل النظم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم بعذاب الدنيا تارة وهو القتل والاستيلاء عليهم كما حصل فى يوم بدر وتارة بعذاب القيامة ثم ان القوم لما لم يشاهدوا شيأ من ذلك أقبلوا على تكذيبه وكانوا يستعجلون ما وعدوا به استهزاء وروى أنه لما نزلت اقتربت الساعة قال الكفار فيما بينهم ان هذا يزعم أن القيامة قد اقتربت فأمسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما تأخرت قالوا ما نرى شيأ فنزلت اقترب للناس حسابهم فأشفقوا وانتظروا قربها فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيأ مما تخوفنا به فنزلت (أتى أمر الله) فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم فنزلت (فلا تستعجلوه) فاطمأنوا والحاصل أن قوله أتى أمر الله جواب عن شبهتهم اجراء لما يجب وقوعه مجرى الواقع كما يقال لمن طلب الاغاثة وقرب حصولها جاءك الغوث فلا تجزع أو المراد أن أمر الله بذلك وحكمه قد وقع وأتى فأما المحكوم به فانما لم يقع لانه تعالى حكم بوقوعه فى وقت معين فقبل مجىء ذلك الوقت لا يخرج الى الوجود فلا تستعجلوه ولا تطلبوا حصوله قبل حضور ذلك الوقت ثم ان المشركين كأنهم قالوا هب يا محمد أنا سلمنا صحة ما تقول من أنه تعالى حكم بانزال العذاب علينا اما فى الدنيا واما فى الآخرة الا أنا نعبد هذه الاصنام لانها شفعاؤنا عند الله فكيف نستحق العذاب بسبب هذه العبادة فأجاب الله عن هذه الشبهة بقوله (سبحانه وتعالى عما يشركون) كما مر فى أول سورة يونس والمراد تنزيه نفسه عن الاضداد والانداد وأن يكون لأحد من الارواح والاجساد أن يشفع عنده الا باذنه أو يستعجل فى حكم من أحكامه أو قضية قبل أوانه ثم انهم كأنهم قالوا سلمنا أنه تعالى يقضى على طائفة باللطف وعلى الآخرين بالقهر ولكن كيف صرت واقفا على أسرار الله تعالى فى ملكه وملكوته دوننا ومن أين حصل لك هذا الفضل علينا فأزال الله سبحانه شبهتهم بقوله (ينزل الملائكة) الآية والمراد أن له بحكم

صلى الله عليه وسلم قال هى أم القرآن وهى فاتحة الكتاب وهى السبع المثانى **حدثنا** الحسن ابن محمد قال ثنا يزيد بن هرون وشبابة قالا أخبرنا ابن أبى ذئب عن المقبرى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى فاتحة الكتاب قال هى فاتحة الكتاب وهى السبع المثانى والقرآن العظيم **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا عفان قال ثنا عبد الرحمن بن ابراهيم قال ثنا العلاء عن أبيه عن أبى هريرة قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبى بن كعب فقال أتحب أن أعلمك سورة لم ينزل فى التوراة ولا فى الانجيل ولا فى الزبور ولا فى الفرقان مثلها قلت نعم يا رسول الله قال فكيف تقرأ فى الصلاة فقرأت عليه أم الكتاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ما أنزلت سورة فى التوراة ولا فى الانجيل ولا فى الزبور ولا فى الفرقان مثلها وانها السبع المثانى والقرآن العظيم **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا وهب بن جرير قال ثنا سعيد بن حبيب عن حفص بن عاصم عن أبى سعيد بن المعلى أن النبى صلى الله عليه وسلم دعاه وهو يصلى فصلى ثم أتاه فقال ما منعك أن تجيبنى قال انى كنت أصلى قال ألم يقل الله يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم قال ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأعلمنك أعظم سورة فى القرآن فكأنه بينها أو نسى فقلت يا رسول الله الذى قلت قال الحمد لله رب العالمين هى السبع المثانى والقرآن العظيم الذى أوتيته فاذ كان الصحيح من التأويل فى ذلك ما قلنا الذى به استشهدنا فالواجب أن تكون المثانى مرادا بها القرآن كله فيكون معنى الكلام ولقد آتيناك سبع آيات مما يثنى بعض آيه بعضا واذا كان ذلك كذلك كانت المثانى جمع مثناة وتكون آى القرآن موصوفة بذلك لان بعضها يثنى بعضا وبعضها يتلو بعضا بفصول تفصل بينها فيعرف انقضاء الآية وابتداء التى تليها كما وصفها به تعالى ذكره فقال الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم وقد يجوز أن يكون معناها كما قال ابن عباس والضحاك ومن قال ذلك أن القرآن انما قيل له مثانى لان القصص والاخبار كررت فيه مرة بعد أخرى وقد ذكرنا قول الحسن البصرى أنها انما سميت مثانى لانها تثنى فى كل قراءة وقول ابن عباس انها انما سميت مثانى لان الله تعالى ذكره استثناها لمحمد صلى الله عليه وسلم دون سائر الانبياء غيره فادخرها له * وكان بعض أهل العربية يزعم أنها سميت مثانى لان فيها الرحمن الرحيم مرتين وأنها تثنى فى كل سورة يعنى بسم الله الرحمن الرحيم وأما القول الذى اخترناه فى تأويل ذلك فهو أحد أقوال ابن عباس وهو قول طاوس ومجاهد وأبى مالك وقد ذكرنا ذلك قبل وأما قوله والقرآن العظيم فان القرآن معطوف على السبع بمعنى ولقد آتيناك سبع آيات من القرآن وغير ذلك من سائر القرآن كما **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و**حدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله والقرآن العظيم قال سائره يعنى سائر القرآن مع السبع من المثانى **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله والقرآن العظيم يعنى الكتاب كله * القول فى تأويل قوله تعالى ﴿لا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا

المالكية أن يختص بعض عبيده بانزال الوحى عليه ويامره بان يكلف سائر العباد بمعرفة توحيد الله وبعبادته فظهر بهذا البيان أن هذه الآيات منتظمة على أحسن الوجوه قال الواحدى روى عطاء عن ابن عباس أنه أراد بالملائكة ههنا جبرئيل وحده وتسمية الواحد بالجمع اذا كان رئيسا مطاعا جائزة وعلى هذا التفسير (٤٢) فالمراد بالروح كلام الله تعالى كقوله وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا قال المحققون الروح الأصلى هو القرآن الذى فيه بيان المبدإ والوسط والمعاد فيه يحصل اشراق العقل وبالعقل يكمل ضياء جوهر الروح وبالروح يكمل حال الجسد فهو الاصل والباقى فرع عليه وبهذه المناسبة يسمى جبرئيل روحا وعيسى روحا وعن أبى عبيدة أن الروح ههنا جبرئيل والباء بمعنى مع أى تنزل الملائكة مع جبرئيل وذلك أنه فى أكثر الاحوال كان ينزل ومعه أقوام من الملائكة كما فى يوم بدر وحنين وكان ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ملك الجبال وملك البحار وخزان الجنة وغيرهم قال فى الكشاف (بالروح من أمره) أى بما يحيى القلوب الميتة بالجهل من وحيه أو بما يقوم فى الدين مقام الروح فى الجسد وقال غيره من أمره معناه أن ذلك التنزيل والنزول لا يكون الا بامر الله كقوله وما نتنزل الا بأمر ربك قال الزجاج (أن أنذروا) بدل من الروح أى ينزلهم بأن أنذروا وأن اما مفسرة لان تنزيل الوحى فيه معنى القول واما مخففة من الثقيلة وضمير الشأن مقدر أى بأن الشأن أقول لكم أنذروا أى أعلموا الناس قولى (لا اله الا أنا) وهو اشارة الى استكمال القوة النظرية وقوله (فاتقون) رمز الى استكمال القوة العملية ومنه يعلم أن النفس متى كملت من هاتين الجهتين حصل لها روح حقيقى وحياة أبدية وسعادة سرمدية قال الامام فخر الدين الرازى انا لا نعلم كون جبريل صادقا ولا معصوما من الكذب والتلبيس الا بالدلائل السمعية وصحة الدلائل السمعية موقوفة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم وصدقه يتوقف على أن هذا القرآن معجز من قبل الله لا من قبل شيطان خبيث والعلم بذلك يتوقف على العلم بأن جبرئيل صادق مبرأ عن التلبيس وأفعال الشياطين وحينئذ يلزم الدور وهذا مقام صعب أقول قد ذكرنا مرارا أن

منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لا تتمنين يا محمد ما جعلنا من زينة هذه الدنيا متاعا للاغنياء من قومك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر يتمتعون فيها فان من ورائهم عذابا غليظا ولا تحزن عليهم يقول ولا تحزن على ما متعوا به فيعجل لهم فان لك فى الآخرة ما هو خير منه مع الذى قد عجلنا لك فى الدنيا من الكرامة باعطائنا السبع المثانى والقرآن العظيم يقال منه مد فلان عينه الى مال فلان اذا اشتهاه وتمناه وأراده وذكر عن ابن عيينة أنه كان يتأول هذه الآية قول النبى صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن أى من لم يستغن به ويقول ألا تراه يقول ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم لا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم فأمره بالاستغناء بالقرآن عن المال قال ومنه قول الآخر من أوتى القرآن فرأى أن أحدا أعطى أفضل مما أعطى فقد عظم صغيرا وصغر عظيما * وبنحو الذى قلنا فى قوله أزواجا قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد لا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم الاغنياء الامثال الاشباه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله لا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم قال نهى الرجل أن يتمنى مال صاحبه وقوله واخفض جناحك للمؤمنين يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وألن لمن آمن بك واتبعك واتبع كلامك وقربهم منك ولا تجف بهم ولا تغلظ عليهم يأمره تعالى ذكره بالرفق بالمؤمنين والجناحان من بنى آدم جنباه والجناحان الناحيتان ومنه قول الله تعالى ذكره واضمم يدك الى جناحك قيل معناه الى ناحيتك وجنبك * القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقل انى أنا النذير المبين كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقل يا محمد للمشركين انى أنا النذير الذى قد أبان انذاره لكم من البلاء والعقاب أن ينزل بكم من الله على تماديكم فى غيكم كما أنزلنا على المقتسمين يقول مثل الذى أنزل الله تعالى من البلاء والعقاب على الذين اقتسموا القرآن فجعلوه عضين ثم اختلف أهل التأويل فى الذين عنوا بقوله المقتسمين فقال بعضهم عنى به اليهود والنصارى وقال كان اقتسامهم أنهم اقتسموا القرآن وعضوه فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه ذكر من قال ذلك حدثنى عيسى بن عثمن الرملى قال ثنا يحيى بن عيسى عن الاعمش عن أبى ظبيان عن ابن عباس فى قول الله كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين قال هم اليهود والنصارى آمنوا ببعض وكفروا ببعض حدثنا أبو كريب ويعقوب بن ابراهيم قالا ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين قال هم أهل الكتاب جزؤه فجعلوه أعضاء أعضاء فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه حدثنا محمد بن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن الاعمش عن أبى ظبيان عن ابن عباس فى قوله كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين قال الذين آمنوا ببعض وكفروا ببعض حدثنا ابن

المثنى

الفرق بين المعجز والسحر هو أن صاحب المعجز يدعو الى الخير وصاحب السحر يدعو الى الشر والفرق بين الملك والشيطان هو أن الملك يلهم بالخير والشيطان يوسوس بضده واذا كان الامر كذلك فكيف تشتبه المعجزة بالسحر وجبرئيل بابليس ومن أين يلزم الدور ولما بين الله سبحانه أن روح الارواح وروح الاجساد هو أن يعرف الحق لذاته والخير لاجل أن يعمل به أتبعه دلائل التوحيد مبتدئا من

المثنى قال ثنا ابن أبي عدى عن شعبة عن سليمن عن أبي ظبيان عن ابن عباس قال المقتسمين أهل الكتاب الذين جعلوا القرآن عضين قال يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض **حدثني** مطر ابن محمد الضبي قال ثنا أبو عاصم قال ثنا شعبة قال ثنا أبو بشر عن سعيد بن جبير أنه قال في قوله كما أنزلنا على المقتسمين قال هم أهل الكتاب **حدثنا** ابن بشار قال ثنا محمد ابن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير أنه قال في هذه الآية كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين قال هم أهل الكتاب آمنوا ببعضه وكفروا ببعضه **حدثني** المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله الذين جعلوا القرآن عضين قال هم أهل الكتاب جزؤه فجعلوه أعضاء فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه **حدثني** المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال جزؤه فجعلوه أعضاء كأعضاء الجزور **حدثني** المثنى قال ثنا عمرو ابن عون قال أخبرنا هشيم عن منصور عن الحسن قال هم أهل الكتاب **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله كما أنزلنا على المقتسمين قال هم اليهود والنصارى من أهل الكتاب قسموا الكتاب فجعلوه أعضاء يقول أحزابا فآمنوا ببعض وكفروا ببعض **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس المقتسمين آمنوا ببعض وكفروا ببعض وفرقوا الكتاب * وقال آخرون المقتسمون أهل الكتاب ولكنهم سموا المقتسمين لان بعضهم قال استهزاء بالقرآن هذه السورة لي وقال بعضهم هذه لي ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن سماك عن عكرمة أنه قال في هذه الآية الذين جعلوا القرآن عضين قال كانوا يستهزؤن يقول هذا لي سورة البقرة ويقول هذا لي سورة آل عمران * وقال آخرون هم أهل الكتاب ولكنهم قيل لهم المقتسمون لاقتسامهم كتبهم وتفريقهم ذلك بايمان بعضهم ببعضها وكفره ببعض وكفر آخرين بما آمن به غيرهم وايمانهم بما كفر به الآخرون ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن عبد الملك عن قيس عن مجاهد كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين قال هم اليهود والنصارى قسموا كتابهم ففرقوه وجعلوه أعضاء **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثني الحسن قال ثنا ورقاء **وحدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد كما أنزلنا على المقتسمين قال أهل الكتاب فرقوه وبدلوه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد كما أنزلنا على المقتسمين قال أهل الكتاب * وقال آخرون عني بذلك رهط من كفار قريش بأعيانهم ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين رهط خمسة من قريش عضهوا كتاب الله * وقال آخرون عني بذلك رهط من قوم صالح الذين تقاسموا على تبييت صالح وأهله ذكر من قال ذلك **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن

الاشرف وهو السماويات الى الأدون وهو الارضيات فقال (خلق السموات والارض بالحق) وقدمر تفسيره مثله مرارا وقوله (تعالى عما يشركون) تنزيه لذاته عن يشاركه في الازلية والقدم والتدبير والتأثير والصنع والابداع فالفائدة المطلوبة من هذا الكلام غير الفائدة المطلوبة من مثله في أول السورة كما ذكرنا فلا تكرار ثم ان أشرف الاجسام بعد الفلكيات بدن الانسان فلهذا عقب المذكور بقوله (خلق الانسان من نطفة) قالت الاطباء ان الغذاء اذا وصل الى المعدة حصل له هناك هضم واذا وصل الى الكبد حصل له فيها هضم ثان وفي العروق له هضم ثالث وفي جواهر الاعضاء هضم رابع وحينئذ يصير جزأ من العضو المغتذى شبيها به ثم عند استيلاء الحرارة على البدن وقت هيجان الشهوة يحصل ذوبان لجملة الاعضاء وتجتمع منه النطفة في أوعيتها وعلى هذا تكون النطفة جسما مختلفة الاجزاء والطبائع وان كانت تخيل في الحس أنها متشابهة الاجزاء وكيفما كان فالمقتضى لتولد البدن منها ليس هي الطبيعة الحاصلة لجوهر النطفة ودم الطمث لان الطبيعة تأثيرها بالذات والايجاب لا بالتدبير والاختيار والقوة الطبيعية اذا عملت في مادة متشابهة الاجزاء وجب أن يكون فعلها هو الكرة

وعلى هذا الحرف عول الحكماء في قولهم البسائط يجب أن تكون أشكالها الطبيعية في الكرة واذا عملت في مادة مختلفة الاجزاء وكل مركب فانه ينحل الى بسائط فانه يلزم أن يكون الحيوان على شكل كرات مضمومة بعضها الى بعض وكلا الامرين غير مطابق للواقع فعلمنا أن حدوث هذه الاعضاء على هذا الترتيب الخاص ليس بالطبيعة وانما هو بتدبير الفاعل المختار وهو الله سبحانه وكيف لا والنطفة رطوبة سريعة

الاستحالة فالاجزاء الموجودة فيها لا تحفظ الوضع والنسبة فالجزء الذى هو مادة الدماغ يمكن حصوله فى الاسفل والجزء الذى هو مادة القلب قد يحصل فى الفوق فلا يكون حدوث أعضاء الحيوان على هذا الترتيب الخاص دائما ولا أكثريا وحيث كان كذلك علمنا أن حدوثها باحداث مدبر مختار ثم ان نزلنا عن جميع هذه المراتب فلا خلاف بين الحكيم وبين المتكلم ان الطبيعة خرقاء وأنها ليست واجبة الوجود لذاتها فلا بد من الانتهاء الى الصانع الحكيم الخبير أما قوله (فاذا هو خصيم مبين) فقد ذكروا فيه وجهين الاول فاذا هو منطيق مجادل عن نفسه مبين للحجة بعد أن كان نطفة لا حس به ولا حراك وتقرير ذلك أن النفوس الانسانية فى أول الفطرة أقل فهما وذكاء من نفوس سائر الحيوانات ألا ترى أن ولد الدجاجة كما يخرج من البيضة يعرف الصديق من العدو فيهرب من الهرة ويلتجئ الى الام ويميز بين الغذاء الذى يوافقه والذى لا يوافقه وحال الطفل بخلاف ذلك فانتقاله من تلك الحالة الخسيسة الى أن يقوى على معرفة الالهيات والفلكيات والعنصريات وعلى ايراد الشكوك والشبهات على النتائج والمقدمات انما يكون بتدبير اله مختار قدير ينقل الارواح من النقصان الى الكمال ومن الجهالة الى المعرفة * الوجه الثانى أن المراد فاذا هو خصيم لربه منكر على خالقه قائل من يحيى العظام وهى رميم فعلى الوجه الاول جوز أن يكون الخصيم فعيلا بمعنى مفاعل كالاكيل والشريب وأن يكون بمعنى مختصم وعلى الوجه الثانى تعين كونه بمعنى مفاعل والترجيح من الوجهين للاول بناء على أن هذه الآيات مسوقة لتقرير الدلائل على وجود الصانع الحكيم وقدرته لا لأجل وصف الانسان بالتمادى فى القحة والكفران وقد يرجح الثانى بما روى أن أبى بن خلف الجمحى جاء بعظم رميم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أترى الله يحيى هذا بعد ما قد رم فنزلت ثم أردف تكوين الانسان بتكوين الحيوانات التى ينتفع بها الانسان فى ضروراته من الاكل والركوب وحمل الاثقال وفى غير الضروريات من الاغراض الصحيحة كالتزين والجمال فقال (والانعام خلقها) هى الازواج الثمانية المذكورة فى سورة الانعام

وهب قال قال ابن زيد فى قوله كما أنزلنا على المقتسمين قال الذين تقاسموا بصالح وقرأ قول الله تعالى وكان فى المدينة تسعة رهط يفسدون فى الارض ولا يصلحون قالوا تقاسموا بالله حتى بلغ الآية * وقال بعضهم هم قوم اقتسموا طرق مكة أيام قدوم الحاج عليهم كان أهلها يعشوهم فى عقابها وتقدموا الى بعضهم أن يشيع فى الناحية التى توجه اليها لمن سأله عن نبى الله صلى الله عليه وسلم من القادمين عليهم أن يقول هو مجنون والى آخر انه شاعر والى بعضهم انه ساحر * والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال ان الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يعلم قومه الذين عضوا القرآن ففرقوه أنه نذير لهم من سخط الله تعالى وعقوبته أن يحل بهم على كفرهم ربهم وتكذيبهم نبيهم ماحل بالمقتسمين من قبلهم ومنهم وجائز أن يكون عنى بالمقتسمين أهل الكتابين التوراة والانجيل لانهم اقتسموا كتاب الله فأقرت اليهود ببعض التوراة وكذبت ببعضها وكذبت بالانجيل والفرقان وأقرت النصارى ببعض الانجيل وكذبت ببعضه وبالفرقان وجائز أن يكون عنى بذلك المشركون من قريش لانهم اقتسموا القرآن فسماه بعضهم شعرا وبعض كهانة وبعض أساطير الاولين وجائز أن يكون عنى به الفريقان وممكن أن يكون عنى به المقتسمون على صالح من قومه فاذ لم يكن فى التنزيل دلالة على أنه عنى به أحد الفرق الثلاثة دون الآخرين ولا فى خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ولا فى فطرة عقل وكان ظاهر الآية محتملا ما وصفت وجب أن يكون مقضيا بأن كل من اقتسم كتاب الله بتكذيب بعض وتصديق بعض واقتسم على معصية الله ممن حل به عاجل نقمة الله فى الدار الدنيا قبل نزول هذه الآية فداخل فى ذلك لانهم لأشكالهم من أهل الكفر بالله كانوا عبرة وللمتعظين بهم منهم عظة * واختلف أهل التأويل فى معنى قوله الذين جعلوا القرآن عضين فقال بعضهم معناه الذين جعلوا القرآن فرقا مفترقة ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله الذين جعلوا القرآن عضين قال فرقا حدثنا أبو كريب ويعقوب بن ابراهيم قالا ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال جزؤه فجعلوه أعضاء فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال جزؤه فجعلوه أعضاء كأعضاء الجزور حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا طلحة عن عطاء الذين جعلوا القرآن عضين قال المشركون من قريش عضوا القرآن فجعلوه أجزاء فقال بعضهم ساحر وقال بعضهم شاعر وقال بعضهم مجنون فذلك العضون حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله جعلوا القرآن عضين جعلوا كتابهم أعضاء كأعضاء الجزور وذلك أنهم تقطعوه زبرا كل حزب بما لديهم فرحون وهو قوله فرقوا دينهم وكانوا شيعا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة الذين جعلوا القرآن عضين عضهوا كتاب الله زعم بعضهم أنه سحر وزعم بعضهم أنه شعر وزعم بعضهم أنه كاهن «قال أبو جعفر» هكذا قال كاهن وانما هو كهانة وزعم بعضهم أنه أساطير الاولين حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن الاعمش

وهى الضأن والمعز والابل والبقر وان شئت قلت الابل والبقر والغنم قال فى الكشاف وأكثر ما يقع هذا اللفظ على الابل قلت ويمكن أن يستدل على ذلك بقوله بعد ذلك وتحمل أثقالكم لان هذا الوصف لا يليق الا بالابل وانتصابها بمضمر يفسره الظاهر ويجوز أن يكون معطوفا على الانسان أى خلق الانسان والانعام ثم قال (خلقها لكم) أى ما خلقها الا لكم (٤٥) ولمصالحكم يا جنس الانسان قال صاحب النظم

عن أبى ظبيان عن ابن عباس الذى جعلوا القرآن عضين قال آمنوا ببعض وكفروا ببعض حدثنى يونس قال أخبرنى ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله الذين جعلوا القرآن عضين قال جعلوه أعضاء كما تعضى الشاة قال بعضهم كهانة وقال بعضهم هو سحر وقال بعضهم شعر وقال بعضهم أساطير الاولين اكتتبها الآية جعلوه أعضاء كما تعضى الشاة فوجه قائلو هذه المقالة قوله عضين الى أن واحدها عضو وأن عضين جمعه وأنه مأخوذ من قولهم عضيت الشئ تعضية اذا فرقته كما قال رؤبة * وليس دين الله بالمعضى * يعنى بالمفرق وكما قال الآخر

وعضانى عوف فأما عدوهم * فأرضى وأما الغر منهم فغيرا

يعنى بقوله وعضانى سبابهم وقطعاهم بألسنتهما * وقال آخرون بل هى جمع عضة جمعت عضين كما جمعت البرة برين والعزة عزين فاذا وجه ذلك الى هذا التأويل كان أصل الكلام عضهة ذهبت هاؤها الاصلية كما نقصوا الهاء من الشفة وأصلها شفهة ومن الشاة وأصلها شاهة يدل على أن ذلك الاصل تصغيرهم الشفة شفيهة والشاة شويهة فيردون الهاء التى تسقط فى غير حال التصغير اليها فى حال التصغير يقال منه عضهت الرجل أعضهه عضها اذا بهته وقذفته ببهتان وكأن تأويل من تأول ذلك كذلك الذين عضهوا القرآن فقالوا هو سحر أو هو شعر نحو القول الذى ذكرناه عن قتادة وقد قال جماعة من أهل التأويل انه انما عنى بالعضة فى هذا الموضع نسبتهم اياه الى أنه سحر خاصة دون غيره من معانى الذم كما قال الشاعر * للماء من عضاتهن زمزمه * يعنى من سحرهن ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا ابن عيينة عن عمرو عن عكرمة الذين جعلوا القرآن عضين قال سحرا حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة عضين قال عضهوه وبهتوه حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال كان عكرمة يقول العضه السحر بلسان قريش تقول للساحرة انها العاضهة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل وحدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله جعلوا القرآن عضين قال سحرا أعضاء الكتب كلها وقريش فرقوا القرآن قالوا هو سحر * والصواب من القول فى ذلك أن يقال ان الله تعالى ذكره أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يعلم قوما عضوا القرآن أنه لهم نذير من عقوبة تنزل بهم بعضهم اياه مثل ما أنزل بالمقتسمين وكان عضههم اياه قذفهموه بالباطل وقيلهم انه شعر وسحر وما أشبه ذلك وانما قلنا ان ذلك أولى التأويلات به لدلالة ما قبله من ابتداء السورة وما بعده وذلك قوله انا كفيناك المستهزئين على صحة ما قلنا وانه انما عنى بقوله الذين جعلوا القرآن عضين مشركى قومه واذ كان ذلك كذلك فمعلوم أنه لم يكن فى مشركى قومه من يؤمن ببعض القرآن ويكفر ببعض بل انما كان قومه فى أمره على أحد معنيين اما مؤمن بجميعه واما كافر بجميعه واذ كان ذلك كذلك فالصحيح من القول فى معنى قوله الذين جعلوا القرآن عضين قول الذين زعموا أنهم عضهوه فقال بعضهم هو سحر وقال بعضهم هو شعر وقال بعضهم هو كهانة وما أشبه ذلك

وأحسن الوجهين أن يكون الوقف عند قوله خلقها بدليل أنه عطف عليه قوله ولكم فيها جمال والدفء اسم ما يدفأ به كالملء اسم ما يملأ به وهو الدفاء من لباس معمول من صوف أو وبر أو شعر قال الجوهرى الدفء نتاج الابل وألبانها وما ينتفع به منها والدفء أيضا السخونة وقوله (ومنافع) قالوا المراد نسلها ودرّها والمنافع بالحقيقة أعم من ذلك فقد ينتفع بها فى البيع والشراء بالنقود والاثواب وبسائر الحاجات أما قوله (ومنها تأكلون) بتقديم الظرف المؤذن بالاختصاص فلان الاكل منها هو الاصل الذى يعتمده الناس فى مآكلهم عادة وأما الاكل من غيرها كالدجاج وصيد البر والبحر فكغير المعتد به الجارى مجرى التفكه ويحتمل أن يراد أن غالب أطعمتكم انما يحصل منها لانكم تحرثون بالبقر وتكتسبون باكراء الابل وتشترون بنتاجها وألبانها وجلودها جميع ما تشتهون من الاطعمة قوله (حين تريحون) الاراحة رد الابل الى مراحها حيث تأوى اليه ليلا ويقال سرح القوم ابلهم سرحا اذا أخرجوها بالغداة الى المرعى وقدم الاراحة لان الجمال فيها أظهر حين تقبل ملأى البطون حافلة الضروع ثم تأوى الى الحظائر حاضرة لاهلها قوله (بشق الانفس) من قرأ بفتح الشين فمعناه المشقة فيكون مصدر شق الامر عليه شقا وحقيقته راجعة الى الشق الذى هو الصدع ومن قرأ بالكسر فمعناه النصف كأنه يذهب نصف قوته لما يناله من الجهد قال جار الله معنى المضى فى قوله لم تكونوا راجع الى الفرض والتقدير أى لو لم يخلق الابل لم تكونوا الا كذلك وانما لم يقل لم تكونوا حاملها الى ذلك البلد ليطابق قوله وتحمل أثقالكم لاجل المبالغة كأنه قيل قد علمتم أنكم لا تبلغونه بأنفسكم الا بجهد ومشقة وذهاب قوة فضلا أن تحملوا على ظهوركم أثقالكم

و يجوز أن يكون العائد الى الاثقال محذوفا أى لم تكونوا بالغيها الا بالشق أو المراد بالاثقال الاجساد عن ابن عباس أنه فسر البلد بمكة الى اليمن والى الشام والى مصر قال الواحدى هذا قوله والمراد كل بلد لو تكلفتم بلوغه على غير ابل شق عليكم وخص ابن عباس هذه البلاد لانها أكثر متاجر أهل مكة (ان ربكم لرؤف رحيم) (٤٦) والالم يخلق هذه الحوامل لأجل تيسير هذه المصالح احتج منكرو الكرامات بالآية على امتناع طى الارض كما ينقل عن بعض الاولياء والجواب أن الامتناع العادى لاينافى الامكان الذاتى (والخيل والبغال والحمير) معطوفات على الانعام أى وخلق هؤلاء المركوب والزينة فانتصب على أنه مفعول له معطوف على محل (لتركبوها) وانما لم يقل ولتتزينوا بها ليكون المعطوف والمعطوف عليه على سنن واحد لان الركوب فعل المخاطبين وأما الزينة ففعل الزائن وهو الخالق والتحقيق فيه أن الركوب أحد الامور المعتبرة فى المقصود بخلاف التزين بالشئ فانه قلما يلتفت اليه أرباب الهمم العالية لانه يورث العجب والتيه غالبا وكأنه قال خلقتها لتركبوها فتدفعوا عن أنفسكم بواسطتها ضرر الاعياء والمشقة وأما التزين بها فهو حاصل فى نفس الامر ولكنه غير مقصود بالذات احتجت المعتزلة القائلون بأن أفعال الله معللة بالمصالح بأن قوله لتركبوها يقتضى أن هذه الحيوانات مخلوقة لهذه المصلحة والجواب أن استتباع الغاية والفائدة مسلم ولكن التعليل ممنوع واحتج الحنفية بالآية على تحريم لحوم الخيل من وجوه أحدها افراد هذه الانواع الثلاثة بالذكر فيجب اشتراك الكل فى الحكم لكن البغال والحمير محرمان فكذا الخيل وثانيها أن منفعة الاكل أعظم منة من الركوب والتزين فلو كان أكل لحم الخيل جائزا لكان هذا المعنى أولى بالذكر وثالثها أن قوله فيما قبل ومنها تأكلون يقتضى الحصر فيجب أن لايجوز أكل ما عدا الانعام الا بدليل منفصل والاصل عدمه ورابعها أن قوله لتركبوها يقتضى أن تمام المقصود من خلق هذه الاشياء الثلاثة هو الركوب والزينة فلو كان حل أكلها مقصودا لزم أن يكون ما فرض تمام المقصود بعض المقصود هذا محال والجواب أن تحريم

من القول أو عضوه ففرقوه بنحو ذلك من القول واذا كان ذلك معناه احتمل قوله عضين أن يكون جمع عضه واحتمل أن يكون جمع عضو لان معنى التعضية التفريق كما يعضى الجزور والشاة فتفرق أعضاء والعضه البهت و رميه بالباطل من القول فهما متقاربان فى المعنى ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فوربك لنسئلنهم أجمعين عما كانوا يعملون فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فوربك يا محمد لنسألن هؤلاء الذين جعلوا القرآن فى الدنيا عضين فى الآخرة عما كانوا يعملون فى الدنيا فيما أمرناهم به وفيما بعثناك به اليهم من آى كتابى الذى أنزلته اليهم وفيما دعوناهم اليه من الاقرار بربه ومن توحيدى والبراءة من الانداد والاوثان وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس قال سمعت ليثا عن بشير عن أنس فى قوله فوربك لنسئلنهم أجمعين قال عن شهادة أن لا اله الا الله حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن ليث عن بشير بن نهيك عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم فوربك لنسئلنهم أجمعين قال عن لا اله الا الله حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن ليث عن بشير عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم نحوه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن ليث عن مجاهد فى قوله فوربك لنسئلنهم أجمعين عما كانوا يعملون قال عن لا اله الا الله حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن هلال عن عبد الله بن عكيم قال قال عبد الله والذى لا اله غيره ما منكم من أحد الا سيخلو الله به يوم القيامة كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر فيقول ابن آدم ماذا غرك منى يا ابن آدم ماذا عملت فيما علمت ابن آدم ماذا أجبت المرسلين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى جعفر عن الربيع عن أبى العالية فوربك لنسئلنهم أجمعين عما كانوا يعملون قال يسأل العباد كلهم عن خلتين يوم القيامة عما كانوا يعبدون وعما أجابوا المرسلين حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا الحسين الجعفى عن فضيل بن مرزوق عن عطية العوفى عن ابن عمر لنسئلنهم أجمعين عما كانوا يعملون قال عن لا اله الا الله حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فوربك لنسئلنهم أجمعين عما كانوا يعملون ثم قال فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان قال لا يسألهم هل عملتم كذا وكذا لانه أعلم بذلك منهم ولكن يقول لهم عملتم كذا وكذا حدثنا ابن وكيع قال ثنا يونس بن بكير عن محمد بن اسحق عن محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال أنزل الله تعالى ذكره فاصدع بما تؤمر فانه أمر من الله تعالى ذكره نبيه صلى الله عليه وسلم بتبليغ رسالته قومه وجميع من أرسل اليه ويعنى بقوله فاصدع بما تؤمر فامض وافرق كما قال أبو ذؤيب

وكأنهن ربابة وكأنه * يسر يفيض على القداح ويصدع

يعنى بقوله يصدع يفرق بالقداح وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فاصدع

خيل محل النزاع وتحريم الحمير بنص الكتاب ممنوع لما روى عن جماعة من الصحابة أنه صلى الله عليه وسلم نهى عام خيبر عن لحوم الحمر الاهلية فلو كان الآية دلالة على تحريم لحم الخيل لفهموه منها قبل ذلك العام لان الآية مكية عند الاكثرين ولو فهموا منها التحريم قبل ذلك لم يبق لتخصيص التحريم بهذه السنة فائدة واذا لم يكن الحمير والخيل محرمين لم يكن تحريم البغال المتولدة منهما وجه وأيضا

بما تؤمر يقول فامضه **حدثني** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فاصدع بما تؤمر يقول افعل ما تؤمر **حدثني** الحسين بن يزيد الطحان قال ثنا ابن ادريس عن ليث عن مجاهد فى قوله فاصدع بما تؤمر قال بالقرآن **حدثني** نصر بن عبد الرحمن الأودى قال ثنا يحيى بن ابراهيم عن سفيان عن ليث عن مجاهد فاصدع بما تؤمر قال هو القرآن **حدثني** أبو السائب قال ثنا ابن فضيل عن ليث عن مجاهد فى قوله فاصدع بما تؤمر قال بالقرآن **حدثني** أبو السائب قال ثنا ابن فضيل عن ليث عن مجاهد فى قوله فاصدع بما تؤمر قال الجهر بالقرآن فى الصلاة **حدثنا** أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن ليث عن مجاهد فاصدع بما تؤمر قال بالقرآن فى الصلاة **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء **وحدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فاصدع بما تؤمر قال اجهر بالقرآن فى الصلاة **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو أسامة قال ثنا موسى بن عبيدة عن أخيه عبد الله بن عبيدة قال مازال النبى صلى الله عليه وسلم مستخفيا حتى نزلت فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين فخرج هو وأصحابه **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فاصدع بما تؤمر قال بالقرآن الذى يوحى اليه أن يبلغهم اياه وقال تعالى ذكره فاصدع بما تؤمر ولم يقل بما تؤمر به والامر يقتضى الباء لان معنى الكلام فاصدع بأمرنا فقد أمرنا أن تدعو الى ما بعثناك به من الدين خلقى وأذنا لك فى اظهاره ومعنى ما التى فى قوله بما تؤمر معنى المصدر كما قال تعالى ذكره يا أبت افعل ما تؤمر معناه افعل الامر الذى تؤمر به وكان بعض نحويى أهل الكوفة يقول فى ذلك حذفت الباء التى يوصل بها تؤمر من قوله فاصدع بما تؤمر على لغة الذين يقولون أمرتك أمرا وكان يقول للعرب فى ذلك لغتان احداهما أمرتك أمرا والاخرى أمرتك بأمر فكان يقول ادخال الباء فى ذلك واسقاطها سواء واستشهد لقوله ذلك بقول حصين بن المنذر الرقاشى ليزيد بن المهلب

أمرتك أمرا جازما فعصيتنى * فأصبحت مسلوب الامارة نادما

فقال أمرتك أمرا ولم يقل أمرتك بأمر وذلك كما قال تعالى ذكره ألا ان عادا كفروا ربهم ولم يقل كفروا بربهم وكما قالوا ممددت الزمام وممددت بالزمام وما أشبه ذلك من الكلام وأما قوله وأعرض عن المشركين يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم بلغ قومك ما أرسلت به واكفف عن حرب المشركين بالله وقتالهم وذلك قبل أن يفرض عليه جهادهم ثم نسخ ذلك بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم كما **حدثني** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وأعرض عن المشركين وهو من المنسوخ **حدثني** المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن جويبر عن الضحاك فى قوله وأعرض عن المشركين وقل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله وهذا النحو كله فى القرآن أمر الله تعالى ذكره نبيه صلى الله

كون معظم المنة فى الاكل بالنسبة الى هذه الانواع ممنوع بل الركوب والزينة هما أعظم المنافع فيها ولهذا جعلا تمام المقصود منها فكأنما أعطى الاكثر والمعظم حكم الكل واقتضاء الحصر فى قوله ومنها تأكلون ممنوع بل لعل الظرف قدم لرعاية الفاصلة ثم ان أنواع الغرائب والعجائب المخلوقة فى هذا العالم لا حد لها ولا حصر فلهذا أشار الى ما بقى منها على سبيل الاجمال فقال (و يخلق ما لا تعلمون) أى كنهه وتفاصيله بل نوعه وجنسه فان مركبات العالم السفلى وغرائب العالم العلوى لا يعلمها الا موجدها روى عطاء ومقاتل والضحاك عن ابن عباس أنه قال ان عن يمين العرش نهرا من نور مثل السموات السبع والارضين السبع والبحار السبعة يدخل فيه جبرئيل عليه السلام كل سحر و يغتسل فيزداد نورا الى نوره وجمالا الى جماله ثم ينتفض فيخلق الله تعالى من كل نقطة تقع من رأسه كذا وكذا ألف ملك يدخل منهم كل يوم سبعون ألف ملك البيت المعمور وفى الكعبة أيضا سبعون ألفا ثم لا يعودون اليه الى يوم القيامة وقيل المراد ما خلق فى الجنة والنار مما لم يبلغه فهم أحد ولا وهمه ولما ذكر بعض دلائل التوحيد بين أنه انما ذكرها ازاحة للعذر وازالة للشبهة ليهلك من هلك عن بينة و يحيا من حى عن بينة فقال (وعلى الله قصد

سبيل) ذكر صاحب الكشاف أن السبيل للجنس والقصد مصدر بمعنى الفاعل يقال سبيل قصد وقاصد أى مستقيم كأنه يقصد الوجه الذى توجه السالك لا يعدل عنه والجور الميل عن الاستقامة احتجت المعتزلة بالآية على مسألتين من أصولهم احداهما أنه يجب على الله تعالى الارشاد والهداية لان كلمة على للوجوب والمضاف محذوف أى وعلى الله بيان قصد السبيل فالمعنى أن هداية الطريق الموصل الى الحق واجبة

عليه والثانية أنه لا يضل أحدا ولا يغويه والا لقبل وعلى الله قصد السبيل وعليه جائرها أو وعليه الجائر فلما غير أسلوب الكلام قائلا (ومنها جائر) دل على أنه أراد أن يبين ما يجوز اضافته اليه من السبيلين وما لا يجوز والجواب عن الاول بعد تسليم افادة كلمة على الوجوب أنه وجوب بحسب الفضل والكرم لا بمعنى استحقاق الذم على الترك وعن الثانى أن دلالة قوله ومنها جائر على ما ذكرتم ليست دلالة المطابقة ولا التضمن ولا الالتزام لان قول القائل من السبيل سبل منحرفة لا يفيد الا الاخبار بوجود الانحراف فى بعض السبل فأما أن فاعل تلك السبيل من هو فلا دلالة للكلام عليه أصلا على أن قوله (ولو شاء لهداكم أجمعين) يناقض ما ادعيتم وتفسير المشيئة بمشيئة الالجاء والقسر أو بالهداية الى الجنة خلاف الظاهر كما مر مرارا ولما استدل على وجود الصانع الحكيم بعجائب أحوال الحيوانات أراد أن يذكر الاستدلال على المطلوب بغرائب أحوال النبات فقال (هو الذى أنزل من السماء ماء) وقوله (لكم) متعلق بانزل أو بشراب خبر له والشراب ما يشرب كالطعام لما يطعم والمراد أن الماء النازل من السماء قسمان بعضه يبقى لاجل الشرب كما هو ويحتمل أن يكون الماء المحتبس فى الآبار والعيون منه كقوله فأسكناه فى الارض وبعضه يحصل منه شجر يرعاه المواشى قال الزجاج كل ما ينبت من الارض فهو شجر لأن التركيب يدل على الاختلاط ومنه تشاجر القوم اذا اختلط أصوات بعضهم بالبعض ومعنى الاختلاط حاصل فى العشب والكلا وفيما له ساق وقال ابن قتيبة المراد بالشجر فى الآية الكلأ وفى حديث عكرمة لا تأكلوا من الشجر فانه سحت أراد الكلأ وقيل الشجر كل ما له ساق كقوله والنجم والشجر يسجدان والعطف يقتضى التغاير فلما كان النجم ما لا ساق له وجب أن يكون الشجر ما له ساق وأجيب بأن عطف الجنس على النوع جائز وبأن قوله

(فيه تسيمون) من سامت الماشية اذا رعت وأسامها صاحبها وهو من السومة العلامة لانها تؤثر بارعى علامات فى الارض يقتضى أن يكون الشجر هو العشب ليمكن الرعى ورد بأن الابل قد تقدر على رعى الاشجار الكبار وحين ذكر مرعى الحيوان أتبعه ذكر غذاء الانسان فقال

عليه وسلم أن يكون ذلك منه ثم أمره بالقتال فنسخ ذلك كله فقال خذوهم واقتلوهم الآية

﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿انا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم انا كفيناك المستهزئين بك يستهزؤن بك ويسخرون منك فاصدع بأمر الله ولا تخف شيأ سوى الله فان الله كافيك ناصبك وآذاك كما كفاك المستهزئين وكان رؤساء المستهزئين قوما من قريش معروفين ذكر أسمائهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى محمد قال كان عظماء المستهزئين حدثنى يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير خمسة نفر من قومه وكانوا ذوى أسنان وشرف فى قومهم من بنى أسد بن عبد العزى بن قصى الاسود بن المطلب أبو زمعة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى قد دعا عليه لما كان يبلغه من أذاه واستهزائه فقال اللهم أعم بصره وأثكله ولده ومن بنى زهرة الاسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة ومن بنى مخزوم الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم ومن بنى سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى العاص بن وائل ابن هشام بن سعيد بن سعد بن سهم ومن خزاعة الحرث بن الطلاطلة بن عمرو بن الحرث بن عمرو بن ملكان فلما تمادوا فى الشر وأكثروا برسول الله صلى الله عليه وسلم الاستهزاء أنزل الله تعالى ذكره فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين انا كفيناك المستهزئين الى قوله فسوف يعلمون قال محمد بن اسحق فحدثنى يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير أو غيره من العلماء أن جبرئيل أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يطوفون بالبيت فقام وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنبه فمر به الاسود بن المطلب فرمى فى وجهه بورقة خضراء فعمى ومر به الاسود بن عبد يغوث فأشار الى بطنه فاستسقى بطنه فمات منه حبنا ومر به الوليد بن المغيرة فأشار الى أثر جرح بأسفل كعب رجله كان أصابه قبل ذلك بسنتين وهو يجر سبله يعنى ازاره وذلك أنه مر برجل من خزاعة يريش نبلا له فتعلق سهم من نبله بازاره فخدش رجله ذلك الخدش وليس بشئ فانتقض به فقتله ومر به العاص بن وائل السهمى فأشار الى أخمص رجله فخرج على حماره بالطائف فوقص على شبرقة فدخل فى أخمص رجله منها شوكة فقتلته «قال أبو جعفر» الشبرقة المعروف بالحسك منه حبنا والحبن الماء الاصفر ومر به الحرث بن الطلاطلة فأشار الى رأسه فامتخ قيحا فقتله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن أبى محمد القرظى عن رجل عن ابن عباس قال كان رأسهم الوليد بن المغيرة وهو الذى جعهم حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن زياد عن سعيد بن جبير فى قوله انا كفيناك المستهزئين قال كان المستهزئين الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وأبو زمعة والاسود بن عبد يغوث والحرث بن عيطل فأتاه جبرئيل فأومأ باصبعه الى رأس الوليد فقال ما صنعت شيأ قال كفيت وأومأ بيده الى أخمص العاص فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما صنعت شيأ فقال كفيت وأومأ بيده الى عين أبى زمعة فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما صنعت شيأ قال كفيت وأومأ باصبعه الى رأس الاسود فقال النبى صلى الله عليه وسلم دع لى خالى فقال كفيت وأومأ باصبعه الى بطن الحرث فقال النبى صلى الله

ينبت لكم به الزرع) الذى هو الغذاء الاصلى (والزيتون) الذى هو فاكهة من وجه وغذاء من وجه لكثرة مافيه من الدهن (والنخيل والاعناب) اللتين هما أشرف الفواكه ثم أشار الى سائر الثمرات بقوله (ومن كل الثمرات) كما أجمل الحيوانات التى لم يذكرها بقوله ويخلق مالا تعلمون قال فى الكشاف انما لم يقل وكل الثمرات بل زاد من التبعيضية لان كلها لا يكون الا فى

عليه وسلم ماصنعت شيأ فقال كفيت قال فر الوليد على فين لخراعة وهو يجر ثيابه فتعلقت بثوبه بروة أو شوكة وبين يديه نساء فجعل يستحيى أن يطأ من ينتزعها وجعلت تضرب ساقه فخدشته فلم يزل مريضا حتى مات وركب العاص بن وائل بغلة له بيضاء الى حاجة له بأسفل مكة فذهب ينزل فوضع أخمص قدمه على شبرقة فخكت رجله فلم يزل يحكها حتى مات وعمى أبو زمعة وأخذ الاكلة فى رأس الاسود وأخذ الحرث الماء فى بطنه **حدثنى** يعقوب قال ثنا هشيم عن أبى بشر عن سعيد بن جبير فى قوله انا كفيناك المستهزئين قال هم خمسة رهط من قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وأبو زمعة والحرث بن عيطلة والاسود بن قيس **حدثنى** المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن أبى بشر عن سعيد بن جبير فى قوله انا كفيناك المستهزئين قال الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل السهمى والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب والحرث ابن عيطلة **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة فى قوله انا كفيناك المستهزئين قال هم خمسة كلهم هلك قبل بدر العاص بن وائل والوليد بن المغيرة وأبو زمعة بن عبد الأسود والحرث بن قيس والاسود بن عبد يغوث **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن عمرو عن عكرمة انا كفيناك المستهزئين قال الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن عبد يغوث والحرث بن عيطلة **حدثنا** المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن أبى بكر الهذلى قال قلت للزهرى ان سعيد بن جبير وعكرمة اختلفا فى رجل من المستهزئين فقال سعيد هو الحرث بن عيطلة وقال عكرمة هو الحرث بن قيس فقال صدقا كانت أمه تسمى عيطلة وأبوه قيس **حدثنى** المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن حصين عن الشعبى قال المستهزئين سبعة وسمى منهم أربعة **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن جابر عن عامر انا كفيناك المستهزئين قال كانوا من قريش خمسة نفر العاص بن وائل السهمى كفى بصداع أخذه فى رأسه فسال دماغه حتى كان يتكلم من أنفه والوليد بن المغيرة المخزومى كفى برجل من خزاعة أصلح سهمه فندرت منه شظية فوطئ عليها فمات وهبار بن الاسود وعبد يغوث بن وهب والحرث بن عيطلة **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن جابر عن عامر انا كفيناك المستهزئين قال كلهم من قريش العاص بن وائل فكفى بأنه أصابه صداع فى رأسه فسال دماغه حتى لا يتكلم الا من تحت أنفه والحرث بن عيطلة بصفر فى بطنه وابن الاسود فكفى بالجدرى والوليد بن رجلا ذهب ليصلح سهمه فوقعت شظية فوطئ عليها وعبد يغوث فكفى بالعمى ذهب بصره **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وعن مقسم انا كفيناك المستهزئين قال هم الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وعدى بن قيس والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب مروا رجلا رجلا على النبى صلى الله عليه وسلم ومعه جبرئيل فاشار به رجل منهم قال جبرئيل كيف تجد هذا فيقول بئس عبد الله فيقول جبرئيل كفاكه وأما الوليد بن المغيرة فمر تحت سهم بردائه فذهب يجلس فقطع أكحله فنزف فمات وأما

النباتى لان النعمة فيه أعظم لانه أسرع تشبيها ببدن الانسان وفى ذكر الغذاء النباتى قدم غذاء الحيوان وهو الشجر على غذاء الانسان وهو الزرع وغيره بناء على مكارم الاخلاق وهو أن يكون اهتمام الانسان بحال من تحت يده أكمل من اهتمامه بحال نفسه وانما عكس الترتيب فى قوله كلوا وارعوا أنعامكم بناء على ماهو الواجب فى نفس الامر كقوله صلى الله عليه وسلم ابدأ بنفسك ثم بمن تعول قوله (وسخر لكم الليل والنهار) معنى تسخيرهما للناس تصييرهما نافعين لهم بحسب مصالحهم على سنن واحد يتعاقبان دائما كالعبد المطواع وكذا الكلام فى تسخير الشمس والقمر والنجوم كما مر فى الاعراف وفى سورة ابراهيم وهذا حسم لمادة شبهة من يزعم أن حركات الافلاك هى المقتضية لتعاقب الليل والنهار ومسيرات الكواكب هى المستدعية للحوادث السفليات فانه ان سلم لهم ذلك فلابد لتلك الحركات والمسيرات من الانتهاء الى صانع قديم منزه عن التغير والامكان مبرإ عن الحدوث والنقصان وهو الله سبحانه (ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) قال جار الله جمع الآية وذكر العقل لان آثار العلو أظهر دلالة على القدرة الباهرة وأبين شهادة للكبرياء والعظمة وقال غيره انما جمع الآيات لتطابق قوله مسخرات ومثله فى هذه السورة فى موضع آخر مسخرات

فى جو السماء ما يمسكهن الا الله ان فى ذلك لآيات وأقول انما جمع لان كلا من تسخير الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم آية فى نفسها تباين الليل والنهار وتخالف مسيرات الكواكب كما هو مقرر فى علم الهيئة بخلاف قوله ينبت لكم فان مطلق الانبات آية واحدة وكذا قوله (وما ذرأ لكم فى الارض) أى خلق لكم فيها من حيوان وشجر وثمر وغير

ذلك (مختلفا ألوانه) فان ذرء هذه الاشياء على حالة اختلاف الالوان والاشكال مع تساوى الكل فى الطبيعة الجسمية وفى تأثير الفلكيات فيها آية واحدة على وجود الصانع تعالى شأنه ولست أدعى الامكان هذه الاعتبارات والا ففى كل شئ له آية * تدل على أنه واحد وانما خص المقام الاول بالتفكر لامكان ايراد الشبهة المذكورة (٥٠) وخص المقام الثانى بالعقل لذكره بعد اماطة الشبهة وازاحة العلة فمن لم يعترف بعدها بالوحدانية فلا عقل له وخص المقام الثالث بالتذكر لمزيد الدلالة فمن شك بعد ذلك فلا حس له ومن جملة الآيات التى هى فى الحقيقة انعامات على الانسان تسخير البحر بالركوب عليه والانتفاع به أكلا ولبسا والمراد باللحم الطرى السمك قال ابن الاعرابى لحم طرى غير مهموز ومصدره طراوة يقال شئ طرى أى غض بين الطراوة وقال قطرب طر واللحم وطرى طراوة والمراد فى الآية السمك وما فى معناه قال فى الكشاف وصفه بالطراوة لأن الفساد يسرع اليه فيسارع الى أكله خيفة الفساد عليه وقال المتكلمون انه لما خرج من البحر المالح الزعاق الحيوان الذى لحمه فى غاية العذوبة علم أنه لم يحدث بحسب الطبع بل حدث بقدرة الله تعالى وحكمته بحيث أظهر الضد من الضد قال أكثر الفقهاء ومنهم أبو حنيفة والشافعى من حلف أن لا يأكل لحما فأكل سمكا لم يحنث لان اللحم لا يتناوله عرفا ومبنى الايمان على العرف والعادة ولهذا لو قال لغلامه اشتر لحما فجاء بالسمك كان حقيقا بالانكار عليه ورد عليهم الامام فخر الدين الرازى بأنه اذا قال لغلامه اشتر لحما فجاء بلحم العصفور كان حقيقا بالانكار مع أنكم تقولون انه يحنث بأكل لحم العصفور فثبت أن العرف مضطرب والرجوع الى نص القرآن متعين فليس فوق بيان الله بيان ولقائل أن يقول لعل الانكار فى هذه الصورة بعد تسليمه انما جاء من قبل ندرة شراء العصفور أو شراء لحمه فانه انما يشترى كله ولم يجئ من اطلاق اللحم على لحمه ومن منافع البحر استخراج الحلية منه قالوا أراد بالحلية اللؤلؤ والمرجان والمراد بلبسهم لبس نسائهم لانهن من جملتهم ولان تزيينهن لاجلهم ولقائل أن يقول لا مانع من تزيين الرجال باللآلئ ونحوها

الاسود بن عبد يغوث فأتى بغصن فيه شوك فضرب به وجهه فسالت حدقتاه على وجهه فكان يقول دعوت على محمد دعوة ودعا على دعوة فاستجيب لى واستجيب له دعا على أن أعمى فعميت ودعوت عليه أن يكون وحيدا فريدا فى أهل يثرب فكان كذلك وأما العاص بن وائل فوطئ على شوكة فتساقط لحمه عن عظامه حتى هلك وأما الاسود بن المطلب وعدى بن قيس فان أحدهما قام من الليل وهو ظمآن فشرب ماء من جرة فلم يزل يشرب حتى انفتق بطنه فمات وأما الآخر فلدغته حية فمات **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة وعثمان عن مقسم مولى ابن عباس فى قوله انا كفيناك المستهزئين ثم ذكر نحو حديث ابن عبد الاعلى عن ابن ثور **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين هم رهط خمسة من قريش عضهوا القرآن زعم بعضهم أنه سحر وزعم بعضهم أنه شعر وزعم بعضهم أنه أساطير الاولين أما أحدهم فالاسود بن عبد يغوث أتى على نبى الله صلى الله عليه وسلم وهو عند البيت فقال له الملك كيف تجدك هذا قال بئس عبد الله على أنه خالى قال كفيناك ثم أتى عليه الوليد بن المغيرة فقال له الملك كيف تجدك هذا قال بئس عبد الله قال كفيناك ثم أتى عليه عدى بن قيس أخو بنى سهم فقال الملك كيف تجدك هذا قال بئس عبد الله قال كفيناك ثم أتى عليه الاسود بن المطلب فقال له الملك كيف تجدك هذا قال بئس عبد الله قال كفيناك ثم أتى عليه العاص بن وائل فقال له الملك كيف تجدك هذا قال بئس عبد الله قال كفيناك فأما الاسود بن عبد يغوث فأتى بغصن من شوك فضرب به وجهه حتى سالت حدقتاه على وجهه فكان بعد ذلك يقول دعا على محمد بدعوة ودعوت عليه بأخرى فاستجاب الله له فى واستجاب الله لى فيه دعا على أن أثكل وأن أعمى فكان كذلك ودعوت عليه أن يصير شريدا طريدا فطردناه مع يهود يثرب وسراق الحجيج وكان كذلك وأما الوليد بن المغيرة فذهب يرتدى فتعلق بردائه سهم غرب فأصاب أكحله أو أبجله فأتى فى كل ذلك فمات وأما العاص بن وائل فوطئ على شوكة فأتى فى ذلك جعل يتساقط لحمه عضوا عضوا فمات وهو كذلك وأما الاسود بن المطلب وعدى بن قيس فلا أدرى ما أصابهما ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر نهى أصحابه عن قتل أبى البخترى وقال خذوه أخذا فانه قد كان له بلاء فقال له أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يا أبا البخترى انا قد نهينا عن قتلك فهلم الى الأمنة والامان فقال أبو البخترى وابن أخى معى فقالوا لم نؤمر الا بك فراودوه ثلاث مرات فأبى الا وابن أخيه معه قال فأغلظ للنبى صلى الله عليه وسلم الكلام فحمل عليه رجل من القوم فطعنه فقتله فجاء قاتله وكأنما على ظهره جبل أو ثقل مخافة أن يلومه النبى صلى الله عليه وسلم فلما أخبر بقوله قال النبى صلى الله عليه وسلم أبعده الله وأسحقه وهم المستهزؤن الذين قال الله انا كفيناك المستهزئين وهم الخمسة الذين قيل فيهم انا كفيناك المستهزئين استهزؤا بكتاب الله ونبيه صلى الله عليه وسلم **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد انا كفيناك المستهزئين هم من قريش **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل وزعم ابن أبى نجيح أنهم العاص بن وائل السهمى

سهمي والوليد بن المغيرة الوحيد والحرث بن عدي بن سهم بن العيطلة والاسود بن المطلب بن أسد
عبد العزى بن قصي وهو أبو زمعة والاسود بن عبد يغوث وهو ابن خال رسول الله صلى الله عليه
سلم **حدثني** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرني
عمرو بن دينار عن ابن عباس نحو حديث محمد بن عبد الاعلى عن محمد بن ثور غير أنه قال كانوا
ثة نفر عدهم وقال كلهم مات قبل بدر وقوله الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون
يد من الله تعالى ذكره وتهديد للمستهزئين الذين أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم أنه قد كفاه
رهم بقوله تعالى ذكره انا كفيناك يا محمد الساخرين منك الجاعلين مع الله شريكا في عبادته
وفي يعلمون ما يلقون من عذاب الله عند مصيرهم اليه في القيامة وما يحل بهم من البلاء
القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك
ن من الساجدين ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولقد نعلم يا محمد أنك يضيق
صدرك بما يقول هؤلاء المشركون من قومك من تكذيبهم اياك واستهزائهم بك وبما جئتهم به
من عندك فسبح بحمد ربك يقول فافزع فيما نابك من أمر تكرهه منهم الى الشكر لله
تعالى عليه والصلاة يكفك الله من ذلك ما أهمك وهذا نحو الخبر الذي روي عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم أنه كان اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ واعبد
ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم واعبد ربك حتى يأتيك
الذي هو موقن به وقيل يقين وهو موقن به كما قيل خمر عتيق وهي معتقة وبنحو الذي قلنا
قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد
وسفيان قال ثنى طارق بن عبد الرحمن عن سالم بن عبد الله واعبد ربك حتى يأتيك
اليقين قال الموت **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني**
الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله **حدثني**
المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل **وحدثني** المثنى قال ثنا اسحق
قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله **حدثني** عباس بن
محمد قال ثنا حجاج قال قال ابن جريج أخبرني ابن كثير أنه سمع مجاهدا يقول حتى يأتيك اليقين
الموت **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واعبد ربك حتى
يأتيك اليقين قال يعني الموت **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن
قتادة حتى يأتيك اليقين قال اليقين الموت **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال
أخبرنا معمر عن قتادة مثله **حدثني** المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك
عن مبارك بن فضالة عن الحسن في قوله حتى يأتيك اليقين قال الموت **حدثنا** ابن وكيع
قال ثنا أبي عن سفيان عن طارق عن سالم مثله **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال
قال يزيد في قوله واعبد ربك حتى يأتيك اليقين قال الموت اذا جاءه الموت جاءه تصديق ما قال الله
له في شأنه من أمر الآخرة **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني يونس بن يزيد عن

الحاجة الى هذا التكلف (١) استدل الامام فخر الدين بالآية في ابطال قول الشافعي انه لا زكاة في الحلي قال لان اللام فيما روي عنه صلى
الله عليه وسلم أنه قال لا زكاة في الحلي تنصرف الى المعهود السابق ولا معهود الا ما في الآية من الحلية فصار معنى الحديث لا زكاة في اللآلئ
ونحوها باطل بالاتفاق ولقائل أن يقول لم لا يجوز أن تكون اللام للجنس فتشمل المصوغ من الذهب والفضة أيضا فيكون
الحديث مخصصا بالآية ان ثبت صحته ومن عجائب البحر ومنافعه قوله سبحانه (وترى الفلك مواخر فيه) قال أهل اللغة مخر السفينة شقها الماء بصدرها وعن الفراء أنه صوت دوي الفلك بالرياح وقال ابن عباس مواخر أي جواري وانما حسن هذا التفسير لانها لا تشق الماء الا اذا كانت جارية وقوله (لتبتغوا من فضله) أي تتجروا فيه فتطلبوا الربح من فضل الله واذا وجدتم فضله واحسانه فلعلكم تقدمون على شكره واعلم أن قوله مواخر فيه جاء على القياس لان موضع الظرف المتعلق بمواخر بعد مضي مفعولي ترى وأما في سورة الملائكة فقدم الظرف ليكون موافقا لقوله ومن كل تأكلون ولتقدم الجار في قوله ومن كل تأكلون حذف لفظة منه هناك والواو في ولتبتغوا في هذه السورة للعطف على لام العلة في لتأكلوا وقوله وترى الفلك مواخر فيه اعتراض في السورتين يجري مجرى المثل ولهذا وحد الخطاب في قوله وترى وقبله وبعده جمع أي لو حضرت أيها المخاطب لرأيته بهذه الصفة ويمكن أن يقال انما قال في الملائكة فيه مواخر بتقديم الظرف لئلا يفصل بين لام العلة وبين متعلقها وهو مواخر وليكتنف المتعلق المتعلقان وانما بنينا الكلام على أن قوله فيه متعلق بمواخر لا بترى لقرب هذا وبعد ذاك والله أعلم قوله (أن تميد بكم) أي أن تميد الارض بكم والباء للتعدية أو للمصاحبة والميد الحركة والاضطراب يمينا وشمالا يروى أنه تعالى خلق الارض فجعلت تمور على وجه الماء فقرأ الملائكة ما هي بمقر أحد على ظهرها فأصبحت وقد أرسيت بالجبال لم تدر الملائكة كم خلقت قال جمهور المفسرين ان السفينة اذا استوت على وجه الماء فانها تميل من جانب الى جانب وتضطرب فاذا وضعت الاحرام الثقيلة في تلك السفينة استقرت على وجه الماء فهكذا

قوله واستدل الى قوله بالاتفاق بمراجعة عبارة الفخر تعلم ما فيه اه كتبه مصححه

الارض تستقر على الماء بسبب ثقل الجبال واعترض عليه بأن السفينة انما تضطرب على الماء لتخلخلها وخفتها بسبب الهواء الداخل تجاويف الخشب ومسامها أما الارض بجسم كثيف ثقيل من شأنها الرسوب فى الماء على ما هو مشاهد من حال أجزائها المنفصلة عنها كان طبيعة الكل كذلك فكيف يعقل طفوها (٥٢) حتى توجب الجبال ارساءها وثباتها وان لم تكن طبيعة الكل كذلك حتى تكون مائدة وقد أرساها الله تعالى بالجبال فالرسو والرسوخ انما يتصور على جسم واقف وليس الا الماء فينقل الكلام الى وقوف الماء فى حيزه المعين فان كان بحسب الطبيعة فهذا خلاف التقدير لانا نفينا القول بالطبائع الموجبة لهذه الاحوال وان لم يكن بالطبع بل كان واقفا بتخليق الفاعل المختار وتسكينه فى حيزه المخصوص فلم لا نقول مثله فى تسكين الارض هذا تلخيص ما قاله الامام فخر الدين الرازى ونسب المقام الى الصعوبة والاشكال واستخرج لحله وجها مبنيا على قوانين الحكمة وهو أن الارض جسم كرى والكرة اذا كانت صحيحة الاستدارة فانها تتحرك بأدنى سبب فلما أحدث الله سبحانه على وجه الكرة هذه الخشونات الجارية مجرى الاوتاد منعتها عن السلاسة والحركة قلت فى هذا الحل خلل أما أولا فلكونه مبنيا على غير قواعد أهل التفسير وأما ثانيا فلما ثبت فى الحكمة أن نسبة أعظم جبل فى الارض وهو ما ارتفاعه فرسخان وثلث فرسخ الى جميع الارض كنسبة خمس سبع عرض شعيرة الى كرة قطرها ذراع ولا ريب أن ذلك القدر من الشعيرة لا يخرج الكرة المذكورة عن صحة الاستدارة بحيث يمنعها عن سلاسة الحركة فكذا ينبغى أن يكون حال الجبال بالنسبة الى كرة الارض والجواب الصحيح على قاعدة أهل الشرع أن يقال لا نسلم أن الارض بكليتها لها طبيعة موجبة لحالة من الاحوال وعلى تقدير التسليم فلا نسلم أن لها طبيعة الرسوب بل لعل طبيعتها الطفو فلهذا احتاجت الى الرواسى وأما قوله لم أوقف الله الماء فى حيزه ولم يوقف من غير ارساء فلا يخفى سقوطه مع القول بالفاعل المختار فللوسائط والاسباب مدخل فى الامور العادية وان لم نقل بتأثيرها هذا والله أعلم

ابن شهاب أن خارجة بن زيد بن ثابت أخبره عن أم العلاء امرأة من الانصار قد بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرته أنهم اقتسموا المهاجرين قرعة قالت وطار لنا عثمان بن مظعون فأنزلناه فى أبياتنا فوجع وجعه الذى مات فيه فلما توفى وغسل وكفن فى أثوابه دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا عثمان بن مظعون رحمة الله عليك أبا السائب فشهادتى عليك أكرمك الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك أن الله أكرمه قالت بأبى أنت يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما هو فقد جاءه اليقين ووالله انى لأرجو له الخير حدثنا أبو كريب قال ثنا مالك بن اسمعيل قال ثنا ابراهيم بن سعد قال ثنا ابن شهاب عن خارجة بن زيد عن أم العلاء امرأة من نسائهم عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه حدثنى موسى بن عبد الرحمن المسروقى قال ثنا جعفر بن عون قال أخبرنا ابراهيم بن اسمعيل عن محمد بن شهاب أن خارجة بن زيد حدثه عن أم العلاء امرأة منهم عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه الا أنه قال فى حديثه فقال النبى صلى الله عليه وسلم أما هو فقد جاءه اليقين

(تفسير سورة النحل)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

القول فى تأويل قوله تعالى (أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون) يعنى تعالى ذكره أتى أمر الله فقرب منكم أيها الناس ودنا فلا تستعجلوا وقوعه ثم اختلف أهل التأويل فى الامر الذى أعلم الله عباده مجيئه وقربه منهم ما هو وأى شئ هو فقال بعضهم هو فرائضه وأحكامه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا ابن المبارك عن جويبر عن الضحاك فى قوله أتى أمر الله فلا تستعجلوه قال الاحكام والحدود والفرائض * وقال آخرون بل ذلك وعيد من الله لأهل الشرك به أخبرهم أن الساعة قد قربت وأن عذابهم قد حضر أجله فدنا ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال لما نزلت هذه الآية يعنى أتى أمر الله فلا تستعجلوه قال رجال من المنافقين بعضهم لبعض ان هذا يزعم أن أمر الله أتى فأمسكوا عن بعض ما كنتم تعملون حتى تنظروا ما هو كائن فلما رأوا أنه لا ينزل شئ قالوا ما نراه نزل شئ فنزلت اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون فقالوا ان هذا مثلها أيضا فلما رأوا أنه لا ينزل شئ قالوا ما نراه نزل شئ فنزلت ولئن أخرنا عنهم العذاب الى أمة معدودة ليقولن ما يحبسه ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون حدثنا أبو هشام الرفاعى قال ثنا يحيى بن يمان قال ثنا سفيان عن اسمعيل عن بكر بن حفص قال لما نزلت أتى أمر الله رفعوا رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا أبو بكر بن شعيب قال سمعت أبا صادق يقرأ يا عباد الله أتى أمر الله فلا تستعجلوه * وأولى القولين فى ذلك عندى بالصواب قول من قال هو تهديد

رض عند الزلازل لا تنافى حكم الله بعدم اضطرابها لان اثبات الحركة لجزء الشئ لا ينافى نفيها عن كله وشبهوا الزلزلة وهى حركة قطعة من
رض لاحتقان البخارات فى داخلها وطلبها المنفذ باختلاج يحصل فى جزء معين من بدن الحيوان قوله سبحانه (وأنهارا) معطوف على رواسى
ى جعل فيها رواسى وأنهارا الأن الالقاء ههنا بمعنى الجعل والخلق كقوله وألقيت عليك (٥٣) محبة منى وكذا قوله (وسبلا) أى أظهرها
وبينها لاجل أن تهتدوا بها فى أسفاركم ولما ذكر أنه أظهر فى الارض سبلا معينة ذكر أنه أظهر فى تلك السبل علامات مخصوصة وهى كل ما يستدل به السابلة من جبل وسهل وغير ذلك يحكى أن جماعة يشمون التراب فيعرفون به الطرقات قال الاخفش تم الكلام عند قوله (وعلامات) وقوله (وبالنجم هم يهتدون) كلام منفصل عن الاول والمراد بالنجم الجنس كما يقال كثر الدرهم فى أيدى الناس وعن السدى هو الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدى قال بعض المفسرين أراد بقوله هم يهتدون أهل البحر لتقدم ذكر البحر ومنافعه وقيل أراد أعم من ذلك فأهل البر أيضا قد يحصل لهم الاهتداء بالنجوم فى الطرق والمسالك وفى معرفة القبلة وانما جىء بالضمير الغائب لعوده الى السائرين الدال عليهم ذكر السبل وقال فى الكشاف كأنه أراد قريشا فقد كان لهم اهتداء بالنجوم فى مسايرهم وكان لهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم فكان الشكر أوجب عليهم والاعتبار ألزم لهم فخصوا بتقديم النجم واقحام لفظ هم كأنه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء يهتدون ثم لما عدد الآيات الدالة على الصانع ووحدانيته واتصافه بجميع صفات الكمال أراد أن يوبخ أهل الشرك والعناد فقال (أفمن يخلق

ل الكفر به ورسوله واعلام منه لهم قرب العذاب منهم والهلاك وذلك أنه عقب ذلك بقوله
حانه وتعالى عما يشركون فدل بذلك على تقريعه المشركين به ووعيده لهم وبعد فانه لم يبلغنا أن
حدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم استعجل فرائض قبل أن تفرض عليهم فيقال لهم
ى أجل ذلك قد جاء تكم فرائض الله فلا تستعجلوها وأما مستعجلوا العذاب من المشركين فقد
لوا كثيرا وقوله سبحانه وتعالى عما يشركون يقول تعالى ذكره تنزيها لله وعلوا له عن الشرك
ى كانت قريش ومن كان من العرب على مثل ما هم عليه يدين به واختلفت القراء فى قراءة
له وتعالى عما يشركون فقرأ ذلك أهل المدينة وبعض البصريين والكوفيين عما يشركون
ا على الخبر عن أهل الكفر بالله وتوجيه للخطاب بالاستعجال الى أصحاب رسول الله صلى الله عليه
م وكذلك قرؤا الثانية بالياء وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة بالتاء على توجيه الخطاب بقوله فلا
ستعجلوا الى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقوله وتعالى عما تشركون الى المشركين
قراءة بالتاء فى الحرفين جميعا على وجه الخطاب للمشركين أولى بالصواب لما بينت من التأويل أن
له انما هو وعيد من الله للمشركين ابتدأ أول الآية بتهديدهم وختم آخرها بنكير فعلهم واستعظام
كفرهم على وجه الخطاب لهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ينزل الملائكة بالروح من
مره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا اله الا أنا فاتقون ﴾ اختلفت القراء فى قراءة قوله
ل الملائكة فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة ينزل الملائكة بالياء وتشديد الزاى ونصب
لائكة بمعنى ينزل الله الملائكة بالروح وقرأ ذلك بعض البصريين وبعض المكيين ينزل الملائكة
اء وتخفيف الزاى ونصب الملائكة وحكى عن بعض الكوفيين أنه كان يقرؤه تنزل الملائكة
اء وتشديد الزاى والملائكة بالرفع على اختلاف عنه فى ذلك وقد روى عنه موافقة سائر قراء
* وأولى القراآت بالصواب فى ذلك عندى قراءة من قرأ ينزل الملائكة بمعنى ينزل الله
لائكة وانما اخترت ذلك لان الله هو المنزل ملائكته بوحيه الى رسله فاضافة فعل ذلك اليه
ا أحق واخترت ينزل بالتشديد على التخفيف لانه تعالى ذكره كان ينزل من الوحى على من
شاء بعد شئ والتشديد به اذ كان ذلك معناه أولى من التخفيف فتأويل الكلام ينزل الله
لائكته بما يحيا به الحق ويضمحل به الباطل من أمره على من يشاء من عباده يعنى على من يشاء
ن رسله أن أنذروا أنه لا اله الا أنا فاتقون فى موضع خفض ردا على الروح والثانية فى موضع نصب بأنذروا
ومعنى الكلام ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده بأن أنذروا عبادى سطوتى
بكفرهم بى واشراكهم فى اتخاذهم معى الآلهة والاوثان فانه لا اله الا أنا يقول لا تنبغى الالوهة
ولا يصلح أن يعبد شئ سواى فاتقون يقول فاحذرونى بأداء فرائضى وافراد العبادة واخلاص
ى وبسنتى فان ذلك نجاتكم من الهلكة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر
ن ذلك حدثنا المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله
لائكة بالروح يقول بالوحى حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى
ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده

يخلق) أى كالاصنام التى لا تخلق شيأ الا أنه أجراها مجرى أولى العلم فاطلق عليها لفظ من التى هى لأولى العقل بناء على زعمهم أنها آلهة
حمل المشاكلة بينه وبين من يخلق أو أراد أن من يخلق ليس كمن لا يخلق من أولى العلم فكيف بما لا علم عنده أو أراد كل ما عبد من دون
طبائه أولو العلم منهم واعلم أن أهل البيان يقولون ان المشبه به يجب أن يكون أقوى وأتم فى وجه الشبه من المشبه ليلتحق الاضعف

بالاقوى فى وجه الشبه كقولك وجهه كالقمر ولا ريب أن الخالق أقوى من غير الخالق فكان حق النظم فى الظاهر أن يقال أفمن لا يكن يخلق والقرآن ورد على العكس ووجهه عند العلماء زيادة التوبيخ ليكون كأنهم جعلوا غير الخالق أقوى حالا وأعرف من الخالق فى الكشاف انهم جعلوا الله من جنس المخلوقات وشبهوه بها حين جعلوا غيره مثله فى التسمية والعبادة فأنكر عليهم

ولوضوح كون هذا الامر منكرا عند من له أدنى عقل بل حس قال (أفلا تذكرون) وفيه مزيد توبيخ وتجهيل لانه لجلائه كالحاصل الذى يحصل عند العقل بأدنى تذكر ومع ذلك هم عنه غافلون قال بعض الاشاعرة فى الآية دلالة على أن العبد غير خالق لافعال نفسه لان الآية سيقت لبيان امتيازه بصفة الخالقية أجابت المعتزلة بأن المراد أفمن يخلق ما تقدم ذكره من السموات والارض والانسان والحيوان والنبات والبحار والجبال والنجوم أو نقول معنى الآية ان كل ما كان خالقا يكون أفضل ممن لا يكون خالقا وهذا القدر لا يدل على أن كل من كان خالقا فانه يجب أن يكون الها نظيره قوله ألهم أرجل يمشون بها أراد به أن الانسان أفضل من الصنم والافضل لا يليق به عبادة الاخس فكذا ههنا وقال الكعبى فى تفسيره نحن لا نطلق لفظ الخالق على العبد ومن أطلق ذلك فقد أخطأ الا فى مواضع ذكرها الله تعالى كقوله واذ تخلق من الطين فعلى هذا لا يتوجه عليهم السؤال الا أن أصحاب أبى هاشم يطلقون لفظ الخالق على العبد حتى ان أبا عبد الله البصرى قال اطلاق لفظ الخالق على العبد حقيقة وعلى الله مجاز لان الخلق عبارة عن التقدير وهو الظن والحسبان ثم لما فرغ من تعديد الآيات التى هى بالنسبة الى المكلفين نعم قال (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) وقد مر تفسيره فى سورة ابراهيم قال العقلاء ان كل جزء من أجزاء البدن الانسانى لو ظهر فيه أدنى خلل لتنغص العمر على الانسان وتمنى أن ينفق الدنيا لو كانت فى ملكه حتى يزول عنه ذلك الخلل فسبحانه يدبر أحوال بدن الانسان على الوجه الملائم له غالبا مع أن الانسان لا علم له بوجود ذلك الجزء ولا بمصالحه ومفاسده فليكن هذا

يقول ينزل الملائكة (١) حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحد
الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا
وحدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مج
فى قول الله بالروح من أمره انه لا ينزل ملك الا ومعه روح حدثنا القاسم قال ثنا الحس
قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال مجاهد قوله ينزل الملائكة بالروح من أمره قال لا ينزل
الا معه روح ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده قال بالنبوة قال ابن ج
وسمعت أن الروح خلق من الملائكة نزل به الروح ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر
حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن أبيه عن الربيع بن أنس فى قوله ينزل الملا
بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا اله الا أنا فاتقون قال كل كلم تكلم
فهو روح منه وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا الى قوله ألا الى الله تصير الامور حدثنا
قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ينزل الملائكة بالروح من أمره يقول ينزل بال
والوحى من أمره على من يشاء من عباده فيصطفى منهم رسلا حدثنا محمد بن عبد الا
قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من ع
قال بالوحى والرحمة وأما قوله أن أنذروا أنه لا اله الا أنا فاتقون فقد بينا معناه وبنحو الذى
فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد
قتادة قوله أن أنذروا أنه لا اله الا أنا فاتقون انما بعث الله المرسلين أن يوحد الله وحده
أمره ويجتنب سخطه ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴿خلق السموات والارض بالحق
عما يشركون﴾ يقول تعالى ذكره معرفا خلقه حجته عليهم فى توحيده وأنه لا تصلح الالوهة
خلق ربكم أيها الناس السموات والارض بالعدل وهو الحق منفردا بخلقها لم يشركه فى ذلك
واحد انها شريك ولم يعنه عليه معين فأنى يكون له شريك تعالى عما يشركون يقول جل
علا ربكم أيها القوم عن شركهم ودعواكم الهادونه فارتفع عن أن يكون له مثل أو نظير
أو ظهير لأنه لا يكون الها الا من يخلق وينشئ بقدرته مثل السموات والارض ويبتدع الاشياء
فيحدثها من غير شئ وليس ذلك فى قدرة أحد سوى الله الواحد القهار الذى لا تنبغى العبادة الا
تصلح الالوهة لشئ سواه ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴿خلق الانسان من نطفة فاذا هو
مبين﴾ يقول تعالى ذكره ومن حجته عليكم أيضا أيها الناس أنه خلق الانسان من نطفة فأحد
من ماء مهين خلقا عجيبا قلبه تارات خلقا بعد خلق فى ظلمات ثلاث ثم أخرجه الى ضياء الدنيا
ما تم خلقه ونفخ فيه الروح فغذاه ورزقه القوت ونماه حتى اذا استوى على سوقه كفر بنعمة
وجحد مدبره وعبد من لا يضر ولا ينفع وخاصم الهه فقال من يحيى العظام وهى رميم ونسى
خلقه فسواه خلقا سويا من ماء مهين ويعنى بالمبين أنه يبين عن خصومته بمنطقه ويجادل به
فذلك ابانته وعنى بالانسان جميع الناس أخرج بلفظ الواحد وهو فى معنى الجميع ﴿القول فى
تأويل قوله تعالى﴿والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون﴾ يقول تعالى ذكره

---

(١) أى بنحو ما قبله فى حديث المثنى عن ابن عباس تأمل كتبه مصححه

حاضرا فى ذهنك وقس عليه سائر نعم الله تعالى حتى تعرف تقصيرك وقصورك عن شكر أدنى نعمة فضلا عن جميعها ولهذا ختم الآية بقوله (ان الله لغفور رحيم) يغفر التقصير الصادر عنكم فى أداء شكر النعمة ويرحمكم حيث لا يقطعها عنكم بالتفريط ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها كانوا مع اشتغالهم بعبادة غير الله يسرون ضروبا من الكفر والمكايد فى حق (٥٥) الرسول صلى الله عليه وسلم فأوعدهم بقوله (والله يعلم ما تسرون وما تعلنون) وفيه أيضا تعريض وتوبيخ بسبب أن الاله يجب أن يكون عالما بالسر والعلانية والاصنام التى عبدوها جمادات لا شعور لها أصلا فكيف يحسن عبادتها ثم زاد فى التوبيخ فقال (والذين يدعون) أى الآلهة الذين يدعونهم الكفار (من دون الله لا يخلقون شيأ) وقد ذكر هذا المعنى فى قوله كمن لا يخلق وزاد ههنا قوله (وهم يخلقون) أى يخلق الله أو بالنحت والتصوير وهم لا يقدرون على نحو ذلك فهم أعجز من عبدتهم ففى هذه الآية زيادة بيان لانه نفى عنهم صفة الكمال وأثبت صفة النقصان وكذلك قوله أموات غير احياء يستلزم ذمهم مرتين لان من الاموات ما يعقب موته حياة كالنطفة والجسد الانسانى الذى فارقه الروح وأما الجمادات فأموات لا تقبل الحياة أصلا وفيه أن الاله الحق يجب أن يكون حيا لا يعقبه موت وحال هذه الاصنام بالعكس وفيه أن هؤلاء الكفار فى غاية الغباوة وقد يقرر المعنى الواحد مع الغبى الجاهل بعبارتين مختلفتين تنبيها على بلادته (وما يشعرون) الضمير فيه للآلهة أما الضمير فى (أيان يبعثون) فاما للآلهة أيضا ويؤيده ما روى عن ابن عباس أن الله تعالى يبعث الاصنام لها أرواح ومعها شياطينها فيؤمر بالكل الى النار واما للداعين أى لا يشعر الآلهة متى يبعث

حجة عليكم أيها الناس ما خلق لكم من الانعام فسخرها لكم وجعل لكم من أصوافها وأوبارها وأشعارها ملابس تدفؤن بها ومنافع من ألبانها وظهورها تركبونها ومنها تأكلون يقول ومن الانعام ما تأكلون لحمه كالابل والبقر والغنم وسائر ما يؤكل لحمه وحذفت ما من الكلام لدلالة من عليها * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى وعلى بن داود قال المثنى أخبرنا وقال ابن داود ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله والانعام خلقها لكم فيها دفء يقول الثياب حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون يعنى بالدفء الثياب والمنافع ما ينتفعون به من الاطعمة والأشربة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنى المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تعالى لكم فيها دفء قال لباس ينسج ومنها مركب ولبن ولحم حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد لكم فيها دفء لباس ينسج ومنافع مركب ولحم ولبن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قوله لكم فيها دفء ومنافع قال نسل كل دابة حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل باسناده عن ابن عباس مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع يقول لكم فيها لباس ومنفعة وبلغة حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور قال قال ابن عباس والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون قال هو منافع وما كل حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع قال الدفء اللحف التى جعلها الله منها حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن بكر عن ابن جريج قال بلغنى عن مجاهد والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع قال نتاجها وركوبها وألبانها ولحومها

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرؤف رحيم﴾ يقول تعالى ذكره ولكم فى هذه الانعام والمواشى التى خلقها الله لكم جمال حين تريحون يعنى ترددونها بالعشى من مسارحها الى مراحها ومنازلها التى تأوى اليها ولذلك سمى المكان المراح لانها تراح اليه عشيا فتأوى اليه يقال منه أراح فلان ماشيته فهو يريحها اراحة وقوله وحين تسرحون يقول وفى وقت اخراجكموها غدوة من مراحها الى مسارحها يقال منه سرح فلان ماشيته يسرحها تسريحا اذا أخرجها للرعى غدوة وسرحت الماشية اذا خرجت للمرعى تسرح سرحا وسروحا فالسرح بالغداة والاراحة بالعشى ومنه قول الشاعر

كأن بقايا الاتن فوق متونه * مدب الدبى فوق النقا وهو سارح

* وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا

عبدتهم فيكون فيه تهكم بالمشركين من حيث ان آلهتهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف يكون لهم وقت جزاء منهم على عبادتهم وفيه أنه ليس من البعث وأنه من لوازم التكليف واما للاحياء أى لا يعلم هؤلاء الآلهة متى تبعث الاحياء تهكما بحالها الان شعور الجماد محال فكيف شعور ما لا يعلمه حى الا الحى القيوم سبحانه وجوز فى الكشاف أن يراد بالذين يدعوهم الكفار الملائكة فان ناسا منهم كانوا يعبدونهم

ومعنى أنهم (أموات) أى لا بد لهم من الموت (غير أحياء) أى غير باقية حياتهم ولا علم لهم بوقت بعثهم ولما زيف طريقة عبدة الاصنام صرح بما هو الحق فى نفس الامر فقال (الهكم اله واحد) ثم ذكر ما لاجله أصر الكفار على شركهم فقال (فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة للوحدانية أو لكل كلام يخالف هواهم (٥٦) (وهم مستكبرون) عن قبول الحق وذلك أن المؤمن بالبعث والجزاء يؤثر فيه الترغيب والترهيب فينقاد للحق أسرع وأما الجاحد للمعاد فلا يقبل الا ما يوافق رأيه ويلائم طبعه فيبقى فى ظلمة الانكار (لا جرم) أى حقا (أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون) فيجازيهم على ما أسروا من الاستكبار وأعلنوا من العناد (انه لا يحب المستكبرين) عن التوحيد فيختص بالمشركين أو كل مستكبر فيدخل هؤلاء دخولا أوليا لان الكلام فيهم ﴿التأويل﴾ الناس طبقات ثلاث الغافلون والخطاب معهم بالعتاب اذا كانوا مشتاقين الى الدنيا وزخارفها وهم أصحاب النفوس والعاقلون والخطاب معهم بوعد الثواب لرغبتهم فى الطاعات والاعمال الصالحات وهم أرباب العقول والعاشقون والخطاب معهم بوصل رب الارباب لاشتياقهم الى جمال ذى الجلال حين قال فى الازل أنى أمر الله استعجل أرواح كل طبقة منهم للخروج من العدم الى الوجود لنيل المقصود وطلب المفقود فخاطبهم بقوله فلا تستعجلوه فانه سيصيب كل طبقة منكم ما كتب له فى القسمة الازلية والله سبحانه منزه عن أن يشاركه فى الحكم أحد فلا مبدل لكلماته بالروح من أمره أى بما يحيى القلوب من المواهب الربانية من أمره أو ارد على الجوارح بالتكاليف الشرعية وعلى النفوس بآداب الطريقة وعلى القلوب بالاشارات وعلى الارواح بملازمة الحضرة للمكاشفات وعلى الاسرار بالمراقبات للمشاهدات وعلى الخفيات بتجلى الصفات لافناء الذوات وخلق

على من يشاء من عباده من الانبياء والاولياء أن أنذروا أعلموا أوصاف وجودكم ببذلها فى أنانيتى أنه لا اله الا أنا فاتقون عن أنانيتكم بأنانيتى خلق سموات الارواح وأرض الاشباح وجعلها مظهرا لأفاعيله فهو الفاعل لما يظهر على الارواح والاشباح تعالى عما يشركون

يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وذلك أعجب ما يكون اذا راحت عظاما ضروعها طوالا أسنمتها وحين تسرحون اذا سرحت لرعيها **حدثنا** محمد ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون قال اذا راحت كأعظم ما تكون أسنمة وأحسن ما تكون ضروعا وقوله وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس يقول وتحمل هذه الانعام أثقالكم الى بلد آخر لم تكونوا بالغيه الا بجهد من أنفسكم شديد ومشقة عظيمة كما **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن جابر عن عكرمة وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس قال لو تكلفوه لم تبلغوه الا بجهد شديد **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن شريك عن سماك عن عكرمة الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس قال لو كلفتموه لم تبلغوه الا بشق الانفس **حدثنى** المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن سماك عن عكرمة الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس قال البلد مكة **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء **وحدثنى** المثنى قال أخبرنا أبو حذيفة قال ثنا شبل **وحدثنى** المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله الا بشق الانفس قال مشقة عليكم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس يقول بجهد الانفس **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة بنحوه * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الامصار بكسر الشين الا بشق الانفس سوى أبى جعفر القارئ فان المثنى **حدثنى** قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن أبى حماد قال ثنى أبو سعيد الرازى عن أبى جعفر قارئ المدينة أنه كان يقرأ لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس بفتح الشين وكان يقول انما الشق شق النفس وقال ابن أبى حماد وكان معاذ الهراء يقول هى لغة تقول العرب بشق وبشق وبرق وبرق والصواب من القراءة فى ذلك عندنا ما عليه قراء الامصار وهى كسر الشين لاجماع الحجة من القراء عليه وشذوذ ما خالفه وقد ينشد هذا البيت بكسر الشين وفتحها وذلك قول الشاعر

وذى ابل يسعى ويحسبها له * أخى نصب من شقها ودؤوب

ومن شقها أيضا بالكسر والفتح وكذلك قول العجاج * أصبح مسحول يوازى شقا * وشقا بالفتح والكسر ويعنى بقوله يوازى شقا يقاسى مشقة وكان بعض أهل العربية يذهب بالفتح الى المصدر من شققت عليه أشق شقا وبالكسر الى الاسم وقد يجوز أن يكون الذين قرؤا بالكسر أرادوا الا بنقص من القوة وذهاب شئ منها حتى لا يبلغه الا بعد نقصها فيكون معناه عند ذلك لم تكونوا بالغيه الا بشق قوى أنفسكم وذهاب شقها الآخر ويحكى عن العرب خذ هذا الشق لشقة الشاة بالكسر فأما فى شققت عليك شقا فلم يحك فيه الا النصب وقوله ان ربكم لرؤف رحيم يقول تعالى ذكره ان ربكم أيها الناس ذو رأفة بكم ورحمة ومن رحمته بكم خلق لكم الانعام لمنافعكم ومصالحكم

خلق السموات والارض أدلة لكم على وحدانية ربكم ومعرفة الهكم لتشكروه على نعمه عليكم
وبد كم من فضله ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة
خلق مالا تعلمون ﴾ يقول تعالى ذكره وخلق الخيل والبغال والحمير لكم أيضا لتركبوها وزينة
فعل وجعلها لكم زينة تتزينون بها مع المنافع التى فيها لكم للركوب وغير ذلك ونصب الخيل
والبغال عطفا على الهاء والالف فى قوله خلقها ونصب الزينة بفعل مضمر على ما بينت ولو لم يكن
معها او وكان الكلام لتركبوها زينة كانت منصوبة بالفعل الذى قبلها الذى هى به متصلة ولكن
لما حول الواو آذنت بأن معها ضمير فعل و بانقطاعها عن الفعل الذى قبلها * وبنحو الذى قلنا فى ذلك
قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر
عن قتادة لتركبوها وزينة قال جعلها لتركبوها وجعلها زينة لكم وكان بعض أهل العلم يرى أن فى
هذه الآية دلالة على تحريم أكل لحوم الخيل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى
بن واضح قال ثنا أبو ضمرة عن أبى اسحق عن رجل عن ابن عباس قوله والخيل والبغال والحمير
لتركبوها قال هذه للركوب والانعام خلقها لكم فيها دفء قال هذه للاكل حدثنى يعقوب
قال ثنا ابن علية قال ثنا هشام الدستوائى قال ثنا يحيى بن أبى كثير عن مولى نافع بن علقمة
عن ابن عباس كان يكره لحوم الخيل والبغال والحمير وكان يقول قال الله والانعام خلقها لكم فيها
دفء ومنافع ومنها تأكلون فهذه للاكل والخيل والبغال والحمير لتركبوها فهذه للركوب حدثنا
ابن وكيع قال ثنا أبى عن ابن أبى ليلى عن المنهال عن سعيد عن ابن عباس أنه سئل عن لحوم الخيل
فكرهها وتلا هذه الآية والخيل والبغال والحمير لتركبوها الآية حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال
ثنا قيس بن الربيع عن ابن أبى ليلى عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه سئل
عن لحوم الخيل فقال اقرأ التى قبلها والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون والخيل
والبغال والحمير لتركبوها وزينة فجعل هذه للاكل وهذه للركوب حدثنا ابن وكيع قال ثنا
يحيى بن عبد الملك بن أبى غنية عن أبيه عن الحكم والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها
تأكلون فجعل منه الاكل ثم قرأ حتى بلغ والخيل والبغال والحمير لتركبوها قال لم يجعل لكم فيها
اكلا قال وكان الحكم يقول الخيل والبغال والحمير حرام فى كتاب الله حدثنا أحمد قال ثنا
أبو أحمد قال ثنا ابن أبى غنية عن الحكم قال لحوم الخيل حرام فى كتاب الله ثم قرأ والانعام خلقها
لكم فيها دفء ومنافع الى قوله لتركبوها وكان جماعة غيرهم من أهل العلم يخالفونهم فى هذا
التأويل ويرون أن ذلك غير دال على تحريم شئ وأن الله جل ثناؤه انما عرف عباده بهذه الآية
وسائر ما فى أوائل هذه السورة نعمه عليهم ونبههم به على حجته عليهم وأدلته على وحدانيته وخطأ
قول من يشرك به من أهل الشرك ذكر بعض من كان لا يرى بأسا بأكل لحم الفرس حدثنا
ابن وكيع قال ثنا أبى عن شعبة عن مغيرة عن ابراهيم عن الاسود أنه أكل لحم الفرس حدثنا
ابن وكيع قال ثنا أبى عن شعبة عن الحكم عن ابراهيم عن الاسود بنحوه حدثنا أحمد قال
ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم قال نحر أصحابنا فرسا فى النجع وأكلوا منه
ولم يروا به بأسا * والصواب من القول فى ذلك عندنا ما قاله أهل القول الثانى وذلك أنه لو كان فى قوله

---

٨ - (ابن جرير) - رابع عشر) لتبتغوا الأسرار الخفية عن الملائكة وألقى فى أرض البشرية جبال الوقار والسكينة لئلا تميد
صفات البشرية عن جادة الشريعة والطريقة وأنهارا من ماء الحكمة وسبلا الى الهداية والعناية وعلامات من الشواهد والكشوف وبنجم
الجنة الالهية هم يهتدون فيخرجون من ظلمات الوجود المجازى الى نور الوجود الحقيقى أفمن يخلق الله فيه هذه الكمالات كمن لا يخلقها فيه

بلد عالم الجبروت ان ربكم لرؤف رحيم
اذا أفنيتم أنفسكم فى جبروته يبقيكم
ببقاء عظموته والخيل والبغال
والحمير أى صفاتها خلقت فيكم
لانها مراكب الروح عند السير الى
عالم الجبروت وزينة عند رجوعه
بالجذبة الى مستقره الذى أهبط
منه و يخلق فيكم حينئذ ما لا تعلمون
وهو قبول فيض الله بلا واسطة
وعلى الله قصد السبيل بجذبة ارجعى
ومنها جائر يعنى نفوسكم تحيد عن
الفناء وبذل الوجود هو الذى أنزل
من سماء الكرم ماء الفيض منه
شراب المحبة لقلوبكم ومنه شجر
القوى البشرية ودواعيها فيه
ترعون مواشى نفوسكم ينبت لكم
زرع الطاعات وزيتون الصدق
ونخيل الاخلاق الحميدة وأعناب
الواردات الربانية ومن كل ثمرات
المعقولات والمشاهدات والمكاشفات
وسخر لكم ليل البشرية ونهار
الروحانية وشمس الروح وقمر القلب
ونجوم الحواس والقوى وتسخيرها
استعمالها على وفق الشريعة وقانون
الطريقة وما ذرأ لكم فى أرض
جبلتكم من الاستعدادات يتلون
فى كل عالم بلونه من عوالم
الملكية والشيطانية والحيوانية
وسخر لكم بحر العلوم لتأكلوا
منه الفوائد الغيبية السنية
الطرية وتستخرجوا منه جواهر
المعانى فيلبس بها أرواحكم
النور والبهاء وترى فلك الشرائع
والمذاهب جوارى فى بحر العلوم

من الملائكة وغيرهم وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وهي قسمان نعمة الاعطاف وهي ما يتعلق بوجود النعمة ظاهرة وباطنة ونعمة الاتقاء وهي ما يتعلق بوجود المنعم من الذوات والصفات والله يعلم ما تسرون من أداء شكر نعمه بالقلوب وما تعلنون من أداء الشكر بالاجساد والذين يدعون من دون الله من الهوى والدنيا لا يخلقون شيأ من المنافع وهم يخلقون بتعب الطلب في تحصيلها أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثهاد واعي البشرية فالذين لا يؤمنون بالآخرة بما في عالم الغيب قلوبهم منكرة لاهل الحق لانهم لا يتجاوزون عالم الحس يعلم ما يسرون من الانكار وما يعلنون من الاستكبار الله حسبي ﴿ واذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الاولين ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ثم يوم القيامة يخزيهم ويقول أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم قال الذين أوتوا العلم ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم فألقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤن كذلك يجزي الله المتقين الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون فأصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت

تعالى ذكره لتركبوها دلالة على أنها لا تصلح اذ كانت للركوب للاكل لكان في قوله فيها دفء ومنا
ومنها تأكلون دلالة على أنها لا تصلح اذ كانت للاكل والدفء للركوب وفي اجماع الجميع على ا
ركوب ما قال تعالى ذكره ومنها تأكلون جائز حلال غير حرام دليل واضح على أن أكل ما
تركبوها جائز حلال غير حرام الا بما نص على تحريمه أو وضع على تحريمه دلالة من كتاب أو
الى رسوله صلى الله عليه وسلم فأما بهذه الآية فلا يحرم أكل شيء وقد وضع الدلالة على تحريم لحم
الحمر الاهلية بوجيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى البغال بما قد بينا في كتابنا كتا
الاطعمة بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع اذ لم يكن هذا الموضع من مواضع البيان عن تحري
ذلك وانما ذكرنا ما ذكرنا الدليل على أن لا وجه لقول من استدل بهذه الآية على تحريم لحم الخير
حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن عبد الكريم عن عطاء عن جابر قا
كنا نأكل لحم الخيل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت فالبغال قال أما البغال فلا وقر
ويخلق ما لا تعلمون يقول تعالى ذكره ويخلق ربكم مع خلقه هذه الاشياء التي ذكر هل
ما لا تعلمون مما أعد في الجنة لأهلها وفي النار لأهلها مما لم تره عين ولا سمعته أذن ولا خطر على قل
بشر ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين
يقول تعالى ذكره وعلى الله أيها الناس بيان طريق الحق لكم فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فا
يضل عليها والسبيل هي الطريق والقصد من الطريق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه كما قال الرا
* فصد عن نهج الطريق القاصد * وقوله ومنها جائر يعني تعالى ذكره ومن السبيل م
عن الاستقامة معوج فالقاصد من السبل الاسلام والجائر منها اليهودية والنصرا
وغير ذلك من مال الكفر كلها جائر عن سواء السبيل وقصدها سوى الحنيفية المسلمة وقيل و
جائر لان السبيل يؤنث ويذكر فأنث في هذا الموضع وقد كان بعضهم يقول وانما قيل و
لان السبيل وان كان لفظها لفظ واحد فمعناها الجمع * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأو
ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال أخبرنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عبا
قوله وعلى الله قصد السبيل يقول البيان حدثنا محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني
قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وعلى الله قصد السبيل يقول على الله البيان أن
الهدى والضلالة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحا
قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثني المثنى قال أخبرنا أبو حذيفة قال ثنا ش
وحدثني المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح
مجاهد وعلى الله قصد السبيل قال طريق الحق على الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال
حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتاد
وعلى الله قصد السبيل يقول على الله البيان بيان حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته حدثني يو
قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وعلى الله قصد السبيل قال السبيل طري
الهدى حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن جويبر عن الضحاك وعلى الله قصد السبي

الضلالة فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين انما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون والذين هاجروا (٥٩) في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا

قال انا رتها حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله وعلى الله قصد السبيل يقول على الله البيان يبين الهدى من الضلالة ويبين السبيل التي تفرقت عن سبيله ومنها جائر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومنها جائر أي من السبل سبل الشيطان وفي قراءة عبد الله بن مسعود ومنكم جائر ولو شاء الله لهداكم أجمعين حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ومنها جائر قال في حرف ابن مسعود ومنكم جائر حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس في قوله ومنها جائر يعني السبل المتفرقة حدثني علي بن داود قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله ومنها جائر يقول الاهواء المختلفة حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله ومنها جائر يعني السبل التي تفرقت عن سبيله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج ومنها جائر السبل المتفرقة عن سبيله حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ومنها جائر قال من السبل جائر عن الحق قال وقال الله ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله وقوله ولو شاء لهداكم أجمعين يقول ولو شاء الله لطف بجميعكم أيها الناس بتوفيقه فكنتم تهتدون وتلزمون قصد السبيل ولا تجورون عنه فتتفرقون في سبل عن الحق جائرة كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولو شاء لهداكم أجمعين قال لو شاء لهداكم أجمعين لقصد السبيل الذي هو الحق وقرأ ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا الآية وقرأ ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها الآية ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون﴾ يقول تعالى ذكره والذي أنعم عليكم هذه النعم وخلق لكم الانعام والخيل وسائر البهائم لمنافعكم ومصالحكم هو الرب الذي أنزل من السماء ماء يعني مطرا لكم من ذلك الماء شراب تشربونه ومنه شراب أشجاركم وحياة غروسكم ونباتها فيه تسيمون يقول في الشجر الذي ينبت من الماء الذي أنزل من السماء تسيمون يعني ترعون يقال منه أسام فلان ابله يسيمها اسامة اذا أرعاها وسومها أيضا يسومها وسامت هي اذا رعت فهي تسوم وهي ابل سائمة ومن ذلك قيل للمواشي المطلقة في الفلاة وغيرها للرعي سائمة وقد وجه بعضهم معنى السوم في البيع الى أنه من هذا وأنه ذهاب كل واحد من المتبايعين فيما ينبغي له من زيادة ثمن ونقصانه كما تذهب سوائم المواشي حيث شاءت من مراعيها ومنه قول الاعشى

ومشى القوم بالعماد الى المر ... عى وأعيا المسيم أين المساق

ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن النضر بن عربي عن عكرمة ومنه شجر فيه تسيمون قال ترعون حدثنا أحمد بن سهيل الواسطي قال ثنا قرة بن عيسى عن النضر بن عربي عن عكرمة في قوله فيه تسيمون قال ترعون حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس قال ترعون حدثني علي بن داود قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس مثله حدثني

انقطاع النظم مع اتصال المعنى الضلالة ط المكذبين ○ ناصرين ○ أيمانهم لا لأن ما بعده جواب القسم يموت ط لا يعلمون ○ لا لتعلق لام كي كاذبين ○ فيكون ○ حسنة ط أكبر م لان جواب لو محذوف أي لو كانوا يعلمون لما اختاروا الدنيا على الآخرة ولو وصل لصار قوله ولأجر الآخرة متعلقا بشرط أن لو كانوا يعلمون وهو محال يعلمون ○ لا بناء على أن الذين صبروا بدل الذين هاجروا

يعلمون الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون ﴿القرآت شركاي مثل هداي زمعة عن ابن كثير والخزاعي عن البزي وقرأ الخزاز عن هبيرة شركائي الذين مرسلة الياء الباقون بفتح الياء وكذلك في الكهف والقصص تشاقون بكسر النون نافع الآخرون بفتحها تتوفاهم وما بعده بالامالة حمزة وخلف لا يهدي بفتح الياء وكسر الدال عاصم وحمزة وعلي وخلف الباقون بضم الياء وفتح الدال كن فيكون بالنصب ابن عامر وعلي الباقون بالرفع ﴿الوقوف ربكم لا لأن ما بعده جواب اذا الأولين ○ لا لتعلق اللام يوم القيامة لا لأن قوله ومن أوزار مفعول ليحملوا بغير علم ط ما يزرون ○ لا يشعرون ○ فيهم ط الكافرين ○ لا بناء على أن ما بعده صفة أنفسهم ص لطول الكلام من سوء ط تعملون ○ خالدين فيها ط المتكبرين ○ أنزل ربكم ط خيرا ط حسنة ط خير ط المتقين ○ لا لأن ما بعده بدل يشاؤن ط المتقين ○ طيبين ○ لا لان ما بعده حال آخر سلام عليكم لا لأن قوله ادخلوا مفعول يقولون تعملون ○ أمر ربك ط من قبلهم ط يظلمون ○ يستهزؤن ○ من شيء الثاني ط من قبلهم ج للاستفهام مع الفاء المبين ○ الطاغوت ج

يتوكلون ۝ التفسير لما بالغ فى تقرير دلائل التوحيد أراد أن يذكر شبهات منكرى النبوة مع أجوبتها فالشبهة الاولى أنهم طعنوا فى القرآن وعدوه من قبيل الاساطير قال النحويون ماذا منصوب بأنزل بمعنى أى شئ أنزله ربكم أو ما مبتدأ وذا موصولة والجملة صلتها والمجموع خبر المبتدا وعلى التقديرين فقوله أساطير الاولين بالرفع ليس بجواب للكفار والا لكان المعنى الذى أنزله ربنا أساطير الاولين والكفار لا يقرون بالانزال فهو اذن كلام مستأنف أى ليس ماتدعون انزاله منزلا بل هو أساطير الاولين وقال فى الكشاف معناه المنزل أساطير الاولين وذكر فى دفع التناقض أنه على السخرية كقوله ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون وجوز كونه منصوبا ولم يقرأ به واختلفوا فى السائل فقيل هو كلام بعضهم لبعض وقيل هو قول المسلمين لهم وقيل هو قول المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سألهم وفود الحاج عما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا أحاديث الأولين وأباطيلهم ليس فيه شئ من العلوم والفصاحة والحقائق والدقائق ثم انه تعالى اقتصر فى جواب شبههم على محض الوعيد لانه قد ثبت بالتحدى كما مر ذكره مرارا أن القرآن معجز تحدوا بالقرآن جملة ثم بعشر سور ثم بسورة فعجزوا عن المعارضة فكان طعنهم فيه بعد ذلك مجرد المكابرة والعناد فلم يستحقوا فى الجواب الا التهديد والوعيد واللام فى قوله (ليحملوا) ليس لام الغرض لانهم لم يصفوا القرآن بكونه أساطير لغرض حمل الأوزار ولكن لما كانت عاقبتهم ذلك حسن التعليل به فكان لام العاقبة وقوله (كاملة) معناه انه تعالى لا يخفف من عقابهم شيأ وفيه دليل على أنه تعالى قد يسقط بعض العقاب عن المؤمنين لان هذا المعنى لو كان حاصلا فى حق الكل لم يكن لتخصيص هؤلاء الكفار بهذا التكميل فائدة قال مختلفا

محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ومنه شجر فيه تسيمون يقول شجر ترعون فيه أنعامهم وشاءهم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس فيه تسيمون قال ترعون **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية وأبو خالد عن جويبر عن الضحاك فيه ترعون **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد عن الضحاك فى قوله تسيمون يقول ترعون أنعامكم **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن طلحة بن أبى طلحة القناد قال سمعت عبد الله بن عبد الرحمن بن أبزى قال فيه ترعون **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله شجر فيه تسيمون يقول ترعون **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال ترعون **حدثنا** محمد ابن سنان قال ثنا سليمن قال ثنا أبو هلال عن قتادة فى قول الله شجر فيه تسيمون قال ترعون **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ومنه شجر فيه تسيمون قال ترعون قال الاسامة الرعية وقال الشاعر

مثل ابن برزعة أو كآخر مثله * أولى لك ابن مسيمة الاجمال

قال يا ابن راعية الاجمال ۝ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون﴾ يقول تعالى ذكره ينبت لكم ربكم بالماء الذى أنزل لكم من السماء زرعكم وزيتونكم ونخيلكم وأعنابكم ومن كل الثمرات يعنى من كل الفواكه غير ذلك أرزاقا لكم وأقواتا واداما وفاكهة نعمة منه عليكم بذلك وتفضلا وحجة على من كفر به منكم ان فى ذلك لآية يقول جل ثناؤه ان فى اخراج الله بما ينزل من السماء من ماء ما وصف لكم لآية يقول لدلالة واضحة وعلامة بينة لقوم يتفكرون يقول لقوم يعتبرون مواعظ الله ويتفكرون فى حجه فيتذكرون وينيبون ۝ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾ يقول تعالى ذكره ومن نعمه عليكم أيها الناس مع التى ذكرها قبل أن سخر لكم الليل والنهار يتعاقبان عليكم هذا لتصرفكم فى معاشكم وهذا لسكنكم فيه والشمس والقمر لمعرفة أوقات أزمنتكم وشهوركم وسنيكم وصلاح معايشكم والنجوم مسخرات لكم بأمر الله تجرى فى فلكها لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون يقول تعالى ذكره ان فى تسخير الله ذلك على ما سخره لدلالات واضحات لقوم يعقلون حجج الله ويفهمون عنه تنبيهه اياهم ۝ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما ذرأ لكم فى الارض مختلفا ألوانه ان فى ذلك لآية لقوم يذكرون﴾ يعنى جل ثناؤه بقوله وما ذرأ لكم وسخر لكم ما ذرأ لكم أى ما خلق لكم فى الارض مختلفا ألوانه من الدواب والثمار كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما ذرأ لكم فى الارض يقول وما خلق لكم مختلفا ألوانه من الدواب ومن الشجر والثمار نعم من الله متظاهرة فاشكروها لله **حدثنا** الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال من الدواب والاشجار والثمار ونصب قوله مختلفا لان قوله وما فى موضع نصب بالمعنى الذى وصفت واذ كان ذلك كذلك وجب أن يكون

الواحدى لفظة من فى قوله (ومن أوزار الذين) ليست للتبعيض فانه لا يخفف عن الاتباع بعض أوزارهم لقوله صلى الله عليه وسلم أيما داع دعا الى الضلال فاتبع كان عليه وزر من اتبعه لا ينقص من آثامهم شئ ولكنها للابتداء أى ليحملوا ما قد نشأ من أوزار الاتباع أو للبيان

أى ليحملوا ماهو من جنس أوزارتبعهم ومعنى (بغير علم) أن هؤلاء الرؤساء انما يقدمون على هذا الاضلال جهلا منهم بما يستحقونه من العذاب الشديد على ذلك الاضلال وقال فى الكشاف بغير علم حال من المفعول أى يضلون من لا يعلم أنهم ضلال وانما وصف بالضلال واحتمال الوزر من أضلوه وان لم يعلم لانه كان عليه أن يبحث وينظر بعقله حتى يميز بين المحق والمبطل ثم أوعدهم بما هو النهاية فى التهديد فقال (ألا ساء ما يزرون) وزرهم ثم حكى حال أضرابهم من المتقدمين فقال (قد مكر الذين من قبلهم) ذهب أكثر المفسرين الى أن المراد به نمرود بن كنعان بنى صرحا عظيما ببابل طوله خمسة آلاف ذراع وقيل فرسخان ورام الصعود الى السماء ليقاتل أهلها فأهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا وألقت رأس الصرح فى البحر فأحدث نمرود وتبلبلت يومئذ ألسن الناس من الفزع فتكلموا بثلاثة وسبعين لسانا ولذلك سميت ببابل وكان لسان الناس قبل ذلك بالسريانية وابتلاه الله ببعوضة دخلت دماغه والحكاية مشهورة والأصح أن الآية عامة فى جميع المبطلين الذين يحاولون الحاق الضرر بالمحقين وعلى القول الاول معنى قوله (فأتى الله) أى أمره وحكمه (بنيانهم من القواعد) وهى أساطين البناء التى تعمده أو الأساس أنه أسقط السقف عليهم بعد هدم القواعد وفائدة زيادة قوله (من فوقهم) التنصيص على أن الابنية تهدمت وهم ما تواتحتها وعلى الثانى يكون الكلام محض التمثيل والمراد أنهم سوّ وا منصوبات وحيلا ليمكروا بها رسل الله بفعل الله هلاكهم فى تلك الحيل كحيل قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين فأتى البنيان من الاساطين بأن ضعفت فسقط عليهم السقف فهلكوا ونحوه من حفر بئرا لأخيه فقد وقع فيه بعبارة أخرى من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا ثم بين أن عذابهم غير مقصور على عذاب الدنيا بل الله تعالى يخزيهم يوم القيامة بمخالفتهم النار انك من تدخل النار فقد أخزيته (ويقول) مع ذلك لاجل الاهانة والتوبيخ (أين شركائى) الاضافة لأدنى الملابسة أو هى حكاية لاضافتهم استهزاء وتوبيخا (الذين كنتم تشاقون) تخاصمون المؤمنين فى شأنهم ومن قرأ بكسر النون فعلى حذف ياء المتكلم لان مشاقة المؤمنين

مختلفا ألوانه حالا من ما والخبر دونه تام ولو لم تكن ما فى موضع نصب وكان الكلام مبتدأ من قوله وما ذرأ لكم لم يكن فى مختلف الا الرفع لأنه كان يصير مرافع ما حينئذ ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ يقول تعالى ذكره والذى فعل هذه الافعال بكم وأنعم عليكم أيها الناس هذه النعم الذى سخر لكم البحر وهو كل نهر ملحا كان ماؤه أو عذبا لتأكلوا منه لحما طريا وهو السمك الذى يصطاد منه وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وهو اللؤلؤ والمرجان كما حدثنى المثنى قال أخبرنا اسحق قال أخبرنا هشام عن عمرو عن سعيد عن قتادة فى قوله وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا قال منهما جميعا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها قال هذا اللؤلؤ حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لتأكلوا منه لحما طريا يعنى حيتان البحر حدثنى المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا حماد عن يحيى قال ثنا اسمعيل بن عبد الملك قال جاء رجل الى أبى جعفر فقال هل فى حلى النساء صدقة قال لا هى كما قال الله تعالى حلية تلبسونها وترى الفلك يعنى السفن مواخر فيه وهى جمع ماخرة * وقد اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله مواخر فقال بعضهم المواخر المواقر ذكر من قال ذلك حدثنا عمرو بن موسى القزاز قال ثنا عبد الوارث قال ثنا يونس عن الحسن فى قوله وترى الفلك مواخر فيه قال المواقر * وقال آخرون فى ذلك ما حدثنا به عبد الرحمن بن الاسود قال ثنا محمد بن ربيعة عن أبى بكر الاصم عن عكرمة فى قوله وترى الفلك مواخر فيه قال ما أخذ عن يمين السفينة وعن يسارها من الماء فهو المواخر حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن أبى مكين عن عكرمة فى قوله وترى الفلك مواخر فيه قال هى السفينة تقول بالماء هكذا يعنى تشقه * وقال آخرون فيه ما حدثنا ابن كيع قال ثنا أبو أسامة عن اسمعيل عن أبى صالح وترى الفلك مواخر فيه قال تجرى فيه متعرضة * وقال آخرون فيه بما حدثنى به محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وترى الفلك مواخر فيه قال تمخر السفينة الرياح ولا تمخر الريح من السفن الا الفلك العظام حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنى المثنى قال أخبرنا أبو حذيفة قال ثنا شبل وحدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نحوه غير أن الحرث قال فى حديثه ولا تمخر الرياح من السفن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله مواخر قال تمخر الريح * وقال آخرون فيه ما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وترى الفلك مواخر فيه تجرى بريح واحدة مقبلة ومدبرة حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال تجرى مقبلة ومدبرة بريح واحدة حدثنا المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا يحيى بن سعيد عن يزيد بن ابراهيم قال سمعت الحسن وترى الفلك مواخر فيه قال مقبلة ومدبرة بريح واحدة والمخر فى كلام العرب صوت هبوب الريح اذا اشتد هبوبها وهو فى هذا

مشاقة الله ثم ذكر على سبيل الاستئناف (قال الذين أوتوا العلم) عن ابن عباس هم الملائكة وقال الآخرون هم الانبياء والعلماء من امهم الذين كانوا يعظونهم ولا يلتفتون اليهم فيقولون ذلك يوم القيامة شماتة بهم قالت المرجئة قولهم (ان الخزى اليوم والسوء على الكافرين) يدل على أن ماهية الخزى والسوء مختصة بالكافرين فينتفى عن غيرهم أما قوله (فادخلوا السلم) فعن ابن عباس المراد انهم أسلموا وأقروا

بالعبودية عند الموت وقيل انه فى يوم القيامة وقولهم (ما كنا نعمل من سوء) أرادوا الشرك قالوه على وجه الكذب والجحود ومن لم يجوز الكذب على أهل القيامة قال أرادوا فى اعتقادهم وظنونهم فرد عليهم أولو العلم أو الملائكة بقولهم (بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون) فى الدنيا فلا ينفعكم هذا الكذب وانه يجازيكم على الكفر الذى علمه منكم قال فى الكشاف وهذا أيضا من الشماتة وكذلك (فادخلوا أبواب جهنم) وفى ذكر الابواب اشارة الى تفاوت منازلهم فى دركات جهنم ثم قال (فلبئس مثوى المتكبرين) عن قبول التوحيد وسائر ما أتت به الانبياء والفاء للعطف على فاء التعقيب فى فادخلوا واللام للتأكيد يجرى مجرى القسم موافقة لقوله بعد ذلك ولنعم دار المتقين ولا نظير لهما فى كل القرآن ثم أتبع أوصاف الاشقياء أحوال السعداء فقال (وقيل للذين اتقوا) الآية وانما ذكر الجواب ههنا بالنصب ليكون الجواب مطابقا كما كشوفا بينا من غير تلعثم أى أنزل خيرا أو (قالوا خيرا) لا شرا كما قاله الكفار أو قالوا قولا خيرا ولو رفعوا لأوهم أنه كلام مستأنف كما فى جواب الكفار وليس بمنزل روى أن أحياء العرب كانوا يبعثون أيام الموسم من يأتيهم بخبر النبى صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوافد كفه المقتسمون وأمروه بالانصراف كما مر فكان الوافد يقول كيف أرجع الى قومى دون أن أستطلع أمر محمد وأراه فيلقى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخبرونه بصدقه وأنه نبى مبعوث فهم الذين قالوا خيرا وجوز فى الكشاف أن يكون (للذين أحسنوا) وما بعده بدلا من خيرا كأنه فسر الخير بهذا القول وجوز أن يكون كلاما مبتدأ على سبيل الوعد فيكون قولهم الخير من جملة احسانهم

الموضع صوت جرى السفينة بالريح اذا عصفت وشقها الماء حينئذ بصدرها يقال منه مخرت السفينة تمخر مخرا ومخورا وهى ماخرة ويقال امتخرت الريح وتمخرتها اذا نظرت من أين هبوبها وتسمعت صوت هبوبها ومنه قول واصل مولى ابن عيينة كان يقال اذا أراد أحدكم البول فليتمخر الريح يريد بذلك لينظر من أين مجراها وهبوبها ليستدبرها فلا ترجع عليه البول وترده عليه وقوله ولتبتغوا من فضله يقول تعالى ذكره ولتتصرفوا فى طلب معايشكم بالتجارة سخر لكم كما حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولتبتغوا من فضله قال تجارة البر والبحر وقوله ولعلكم تشكرون يقول ولتشكروا ربكم على ما أنعم به عليكم من ذلك سخر لكم ما سخر من هذه الاشياء التى عددها فى هذه الآيات ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون ﴾ يقول تعالى ذكره ومن نعمه عليكم أيها الناس أيضا أن ألقى فى الارض رواسى وهى جمع راسية وهى الثوابت فى الارض من الجبال وقوله أن تميد بكم يعنى أن لا تميد بكم وذلك كقوله يبين الله لكم أن تضلوا والمعنى أن لا تضلوا وذلك أنه جل ثناؤه أرسى الارض بالجبال لئلا تميد خلقه الذى على ظهرها وقد كانت مائدة قبل أن ترسى بها كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن عن قيس بن عباد ان الله تبارك وتعالى لما خلق الارض جعلت تمور قالت الملائكة ما هذه بمقرة على ظهرها أحدا فأصبحت صباحا وفيها رواسيها حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج ابن المنهال قال ثنا حماد عن عطاء بن السائب عن عبد الله بن حبيب عن على بن أبى طالب قال لما خلق الله الارض قصت وقالت أى رب أتجعل على بنى آدم يعملون على الخطايا ويجعلون على الخبث قال فأرسى الله عليها من الجبال ما ترون ومالا ترون فكان اقرارها كالحم يترجرج والميد هو الاضطراب والتكفؤ يقال مادت السفينة تميد ميدا اذا تكفأت بأهلها ومالت ومنه الميد الذى يعترى راكب البحر وهو الدوار * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أن تميد بكم أن تكفأ بكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة عن الحسن فى قوله وألقى فى الارض رواسى أن تميد بكم قال الجبال أن تميد بكم قال قتادة سمعت الحسن يقول لما خلقت الارض كادت تميد فقالوا ما هذه بمقرة على ظهرها أحدا فأصبحوا وقد خلقت الجبال فلم تدر الملائكة مم خلقت الجبال وقوله وأنهارا يقول وجعل فيها أنهارا فعطف بالانهار على الرواسى وأعمل فيهما ما أعمل فى الرواسى اذ كان مفهوما معنى الكلام والمراد منه وذلك نظير قول الراجز

تسمع فى أجوافهن صورا * وفى اليدين حشة وبورا

والحشة اليبس فعطف بالحشة على الصوت والحشة لا تسمع اذ كان مفهوما المراد منه وأن معناه وترى فى اليدين حشة وقوله وسبلا وهى جمع سبيل كما الطرق جمع طريق ومعنى الكلام جعل

لكم أيها الناس في الارض سبلا وفجاجا تسلكونها وتسيرون فيها في حوائجكم وطلب معايشكم رحمة بكم ونعمة منه بذلك عليكم ولو عماها عليكم لهلكتم ضلالا وحيرة * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وسبلا أي طرقا حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة سبلا قال طرقا وقوله لعلكم تهتدون يقول لكي تهتدوا بهذه السبل التي جعلها لكم في الارض الى الأماكن التي تقصدون والمواضع التي تريدون فلا تضلوا وتتحيروا ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ ﴿وعلامات وبالنجم هم يهتدون﴾ اختلف أهل التأويل في المعنى بالعلامات فقال بعضهم عنى بها معالم الطرق بالنهار ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس وعلامات وبالنجم هم يهتدون يعني بالعلامات معالم الطرق بالنهار وبالنجم هم يهتدون بالليل * وقال آخرون عنى بها النجوم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا يحيى عن سفيان عن منصور عن ابراهيم وعلامات وبالنجم هم يهتدون قال منها ما يكون علامات ومنها ما يهتدون به حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن منصور عن مجاهد وعلامات وبالنجم هم يهتدون قال منها ما يكون علامة ومنها ما يهتدى به حدثني المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا وكيع عن سفيان عن منصور عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا قبيصة عن سفيان عن منصور عن ابراهيم مثله * قال المثنى قال اسحق خالف قبيصة وكيعا في الاسناد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وعلامات وبالنجم هم يهتدون والعلامات النجوم وان الله تبارك وتعالى انما خلق هذه النجوم لثلاث خصلات جعلها زينة للسماء وجعلها يهتدى بها وجعلها رجوما للشياطين فمن تعاطى فيها غير ذلك فقد رأيه وأخطأ حظه وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به حدثنا محمد ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وعلامات قال النجوم * وقال آخرون عنى بها الجبال ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الكلبي وعلامات قال الجبال * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب أن يقال ان الله تعالى ذكره عدد على عباده من نعمه انعامه عليهم بما جعل لهم من العلامات التي يهتدون بها في مسالكهم وطرقهم التي يسيرونها ولم يخصص بذلك بعض العلامات دون بعض فكل علامة استدل بها الناس على طرقهم وفجاج سبلهم فداخل في قوله وعلامات والطرق المسبولة الموطوءة علامة للناحية المقصودة والجبال علامات يهتدى بهن الى قصد السبيل وكذلك النجوم بالليل غير أن الذي هو أولى بتأويل الآية أن تكون العلامات من أدلة النهار اذ كان الله قد فصل منها أدلة الليل بقوله وبالنجم هم يهتدون واذ كان ذلك أشبه وأولى بتأويل الآية فالواجب أن يكون القول في ذلك ما قاله ابن عباس في الخبر الذي رويناه عن عطية عنه وهو أن العلامات معالم الطرق وأما راتها التي يهتدى بها الى المستقيم منها نهارا وأن يكون النجم الذي يهتدى به ليلا هو الجدي

(ولدار الآخرة خير) منها ثم بين الخيرية بقوله (ولنعم دار المتقين) دار الآخرة فحذف المخصوص بالمدح لتقدم ذكره ثم قال (جنات عدن) أي هي هذه فيكون المبتدأ محذوفا أو الجنات مبتدأ وما بعدها خبر أو جنات عدن هي المخصوص بالمدح فالجنات يدل على القصور والبساتين والعدن على الدوام والاقامة وقوله (تجري من تحتها الانهار) على أنه حصل هناك أبنية مرتفعة هم عليها والانهار تجري من تحتهم وقوله (لهم فيها ما يشاؤن) أبلغ من قوله في موضع آخر فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين وفي تقديم الظرف دلالة على أن الانسان لا يجد كل ما يريده الا في الجنة وقوله (الذين تتوفاهم الملائكة) أكثر المفسرين على أن هذا التوفي هو قبض الارواح وقوله (طيبين) أي طاهرين عن دنس الكفر والمعاصي أو دنس الكفر وحده وهذه كلمة جامعة تشمل أنواع البراءة عن العلائق الجسمانية فلا يكون لصاحب هذه الحالة تألم بالموت دليله قوله (يقولون سلام عليكم) يروى أنه اذا أشرف العبد المؤمن على الموت جاءه ملك فيقول السلام عليك يا ولي الله الله يقرأ عليك السلام ويبشره بالجنة فذلك قوله (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) وعن الحسن أن المراد بهذا التوفي هو وفاة الحشر لانه لا يقال عند قبض الروح في الدنيا ادخلوا الجنة والاولون قالوا البشارة بالجنة بمنزلة الدخول فيها قوله سبحانه (هل ينظرون) قيل انه جواب شبهة أخرى لمنكري النبوة فانهم طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليهم ملكا من السماء يشهد على صدقه في ادعاء النبوة فقال تعالى هل ينظرون في تصديق نبوتك (الا أن تأتيهم الملائكة) شاهدين بذلك ويحتمل أن يقال انهم لما طعنوا في القرآن بأنه أساطير الاولين أوعدهم الله تعالى بما أوعدهم ووصف القرآن

بكونه حقا وصدقا وذكر جزاء المتقين ثم ذكر أن أولئك الكفار لا ينزجرون عن كفرهم بسبب البينات التي ذكرناها الا اذا جاءتهم الملائكة بالتهديد أو لقبض الارواح أو أتاهم أمر ربك وهو العذاب المستأصل أو القيامة (كذلك فعل الذين من قبلهم) فأصابهم الهلاك المعجل (وما ظلمهم الله) بتدميرهم فانه أنزل (٦٤) بهم ما استحقوه بكفرهم (فأصابهم سيئات ما عملوا) أي جزاء سيئات أعمالهم أو على باب الطباق والمشاكلة كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها (وحاق بهم) أي نزل بهم على وجه الاحاطة عقاب استهزائهم الشبهة الثالثة لمنكري النبوة انهم تشبثوا بمسئلة الجبر فقالوا (لو شاء الله ما عبدنا) الآية وقدم في تفسير مثلها في آخر سورة الانعام وذكرنا أسرار المتشابه هناك وكذا استدلال المعتزلة بها وجواب الاشاعرة عنها وزاد بعض الاشاعرة فقالوا ان المشركين ذكروا هذا الكلام على جهة الاستهزاء كما قال قوم شعيب انك لأنت الحليم الرشيد ولو قالوا ذلك معتقدين كانوا مؤمنين وقال آخرون انه سبحانه أجاب عن شبهتهم وهي أنه لما كان الكل من الله كان بعثة الانبياء عبثا بقوله (كذلك فعل الذين من قبلهم) يعني أنهم اعترضوا على أحكام الله وطلبوا لها العلة فعل من تقدمهم من الكفرة (فهل على الرسل الا البلاغ المبين) أي ما عليهم الا التبليغ فأما تحصيل الايمان فليس اليهم ثم انه أكد هذا المعنى بقوله (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا) الى قوله (ومنهم من حقت عليه الضلالة) وفيه دلالة على أن أمر الله قد لا يوافق ارادته فانه يأمر الكل بالايمان ولا يريد الهداية الا للبعض اذ لو أرادها للكل لم يكفر أحد ولم ينزل العذاب على قوم لكنه كفر ونزل لقوله فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ثم خصص الخطاب قائلا لرسوله (ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدي من يضل) لا يرشد أحدا أضله قال ابن عباس وقال الفراء لا يهدي معناه لا يهتدي ومن قرأ على البناء للمفعول فمعناه لا تقدر أنت ولا أحد على هداية من أضله الله فلن يكون مهديا منصورا يخفى أن أول الآية ظاهره يوافق مذهب المعتزلة أما قوله كذلك فعل الذين من قبلهم الى آخر الآيات فانهم قد صاروا فيه الى التأويل

والفرقدان لان بها اهتداء السفر دون غيرها من النجوم فتأويل الكلام اذا وجعل لكم أيها الناس علامات تستدلون بها نهارا على طرقكم في أسفاركم ونجوما تهتدون بها ليلا في سلككم

القول في تأويل قوله تعالى ﴿أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم﴾ يقول تعالى ذكره لعبدة الأوثان والأصنام أفمن يخلق هذه الخلائق العجيبة التي عددناها عليكم وينعم عليكم هذه النعم العظيمة كمن لا يخلق شيأ ولا ينعم عليكم نعمة صغيرة ولا كبيرة يقول أتشركون هذا في عبادة هذا يعرفهم بذلك عظم جهلهم وسوء نظرهم لانفسهم وقلة شكرهم لمن أنعم عليهم بالنعم التي عددها عليهم التي لا يحصيها أحد غيره قال لهم جل ثناؤه موبخهم أفلا تذكرون أيها الناس يقول أفلا تذكرون نعم الله عليكم وعظيم سلطانه وقدرته على ما شاء وعجز أوثانكم وضعفها ومهانتها وأنها لا تجلب الى نفسها نفعا ولا تدفع عنها ضارا فتعبدوها بذلك خطأ مما أنتم عليه مقيمون من عبادتكموها واقراركم لها بالالوهة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون والله هو الخالق الرازق وهذه الاوثان التي تعبد من دون الله تخلق ولا تخلق شيأ ولا تملك لاهلها ضرا ولا نفعا قال الله أفلا تذكرون وقيل كمن لا يخلق هو الوثن والصنم ومن لذوي التمييز خاصة فجعل في هذا الموضع لغيرهم لتغليب ذوي التمييز بين من يخلق ومن لا يخلق ومحكي عن العرب اشتبه علي الراكب وجمله فما أدري من ذا ومن ذا حيث جمعا وأحدهما انسان حسنت من فيهما جميعا ومنه قول الله عز وجل فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع وقوله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تطيقوا أداء شكرها ان الله لغفور رحيم يقول جل ثناؤه ان الله لغفور لما كان منكم من تقصير في شكر بعض ذلك اذا تبتم وأنبتم الى طاعته واتباع مرضاته رحيم بكم أن يعذبكم بعد الانابة اليه والتوبة

القول في تأويل قوله تعالى ﴿والله يعلم ما تسرون وما تعلنون والذين تدعون من دون الله لا يخلقون شيأ وهم يخلقون﴾ يقول تعالى ذكره والله الذي هو الهكم أيها الناس يعلم ما تسرون في أنفسكم من ضمائركم فتخفونه عن غيركم فما تبدونه بألسنتكم وجوارحكم وما تعلنونه بألسنتكم وجوارحكم وأفعالكم وهو محص ذلك كله عليكم حتى يجازيكم به يوم القيامة المحسن منكم باحسانه والمسيء منكم باساءته ومسائلكم عما كان منكم من الشكر في الدنيا على نعمه التي أنعمها عليكم فيها التي أحصيتم والتي لم تحصوا وقوله والذين تدعون من دون الله لا يخلقون شيأ وهم يخلقون يقول تعالى ذكره وأوثانكم الذين تدعون من دون الله أيها الناس آلهة لا تخلق شيأ وهي تخلق فكيف يكون الها ما كان مصنوعا مدبرا لا تملك لانفسها نفعا ولا ضرا

القول في تأويل قوله تعالى ﴿أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون﴾ يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين من قريش والذين تدعون من دون الله أيها الناس أموات غير أحياء وجعلها جل ثناؤه أمواتا غير أحياء اذ كانت لا أرواح فيها كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون وهي هذه الاوثان التي تعبد من دون الله أموات لا أرواح فيها ولا تملك لاهلها ضرا ولا نفعا وفي رفع الاموات وجهان أحدهما أن يكون

خبر الذين والآخر على الاستئناف وقوله وما يشعرون يقول وما تدرى أصنامكم التى تدعون من دون الله متى تبعث وقيل انما عنى بذلك الكفار أنهم لا يدرون متى يبعثون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ الهكم اله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون ﴾ يقول تعالى ذكره معبودكم الذى يستحق عليكم العبادة وافراد الطاعة له دون سائر الاشياء معبود واحد لانه لا تصلح العبادة الا له فأفردوا له الطاعة وأخلصوا له العبادة ولا تجعلوا معه شريكا سواه فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة يقول تعالى ذكره فالذين لا يصدقون بوعد الله ووعيده ولا يقرون بالمعاد اليه بعد الممات قلوبهم منكرة يقول تعالى ذكره مستنكرة لما نقص عليهم من قدرة الله وعظمته وجميل نعمه عليهم وأن العبادة لا تصلح الا له والألوهة ليست لشئ غيره وهم مستكبرون يقول وهم مستكبرون عن افراد الله بالالوهة والاقرار له بالوحدانية اتباعا منهم لما مضى عليه من الشرك بالله أسلافهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة لهذا الحديث الذى مضى وهم مستكبرون عنه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ لا جرم أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون انه لا يحب المستكبرين ﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله لا جرم حقا أن الله يعلم ما يسر هؤلاء المشركون من انكارهم ما ذكرنا من الانباء فى هذه السورة واعتقادهم نكير قولنا لهم الهكم اله واحد واستكبارهم على الله وما يعلنون من كفرهم بالله وفريتهم عليه انه لا يحب المستكبرين يقول ان الله لا يحب المستكبرين عليه أن يوحدوه ويخلعوا ما دونه من الآلهة والانداد كما حدثنا محمد بن عمرو بن على قال ثنا جعفر بن عون قال ثنا مسعر عن رجل أن الحسن بن على كان يجلس الى المساكين ثم يقول انه لا يحب المستكبرين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ واذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الاولين ﴾ يقول تعالى ذكره واذا قيل لهؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة من المشركين ماذا أنزل ربكم أى شئ أنزل ربكم قالوا الذى أنزل ما سطره الاولون من الباطل من الاباطيل وكان ذلك كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الاولين يقول أحاديث الاولين وباطلهم قال ذلك قوم من مشركى العرب كانوا يقعدون بطريق من أتى نبى الله صلى الله عليه وسلم فاذا مر بهم أحد من المؤمنين يسأله عن نبى الله صلى الله عليه وسلم قالوا لهم أساطير الاولين يريدون أحاديث الاولين وباطلهم حدثنى يحيى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله أساطير الاولين يقول أحاديث الاولين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون ﴾ يقول تعالى ذكره يقول هؤلاء المشركون الذين سألهم ماذا أنزل ربكم الذى أنزل ربنا فيما يزعم محمد عليه أساطير الاولين لتكون لهم ذنوبهم التى هم عليها مقيمون من تكذيبهم بالله وكفرهم بما أنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم ومن ذنوب الذين يصدونهم عن الايمان بالله يضلون يفتتون منهم بغير علم وقوله ألا ساء ما يزرون يقول الاساء الاثم الذى يأثمون والثقل الذى يحملون * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون يقول ليحملوا خطاياهم كاملة يوم القيامة ومن خطايا الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ﴾ يقول تعالى ذكره قد مكر الذين من قبل هؤلاء المشركين بالله من الامم برسله وأنبيائه فأتى الله بنيانهم من القواعد يقول فأتى الله بنيان مكرهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم يقول فسقط عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون يقول من حيث لا يعلمون ولا يدرون

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم يقول أتى أمر الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون يقول من حيث لا يعلمون ولا يدرون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ثم يوم القيامة يخزيهم ويقول أين شركائى الذين كنتم تشاقون فيهم قال الذين أوتوا العلم ان الخزى اليوم والسوء على الكافرين ﴾ يقول تعالى ذكره ثم يوم القيامة يخزى الله هؤلاء المشركين الذين كانوا يكذبون رسله ويكفرون به ويقول لهم أين شركائى الذين كنتم تشاقون فيهم يقول أين شركائى الذين كنتم تعادون المؤمنين فيهم قال الذين أوتوا العلم يقول قال الذين أوتوا العلم بالله وبما أنزل على رسوله من المؤمنين ان الخزى اليوم والسوء على الكافرين يقول ان الهوان اليوم والعذاب على الكافرين بالله

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ثم يوم القيامة يخزيهم ويقول أين شركائى الذين كنتم تشاقون فيهم قال الذين أوتوا العلم ان الخزى اليوم والسوء على الكافرين يقول ان الهوان اليوم والعذاب على الكافرين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم فألقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون ﴾ يقول تعالى ذكره الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم يقول الذين تقبض أرواحهم الملائكة وهم ظالمو أنفسهم بكفرهم بالله وشركهم به فألقوا السلم يقول فألقوا الاستسلام لله عند الموت وقالوا ما كنا نعمل من سوء يقول ما كنا نعمل من معصية الله بل كنا نعمل بطاعته فكذبهم الله فقال بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون يقول بلى قد كنتم تعملون السوء وتعصون الله وتكفرون به

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم فألقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون يقول بلى قد كنتم تعملون السوء وتعصون الله وتكفرون به ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين ﴾ يقول تعالى ذكره فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها يقول ماكثين فيها أبدا فلبئس مثوى المتكبرين يقول فلبئس مأوى المتكبرين عن توحيد الله وعبادته

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين يقول فلبئس مأوى المتكبرين عن توحيد الله وعبادته ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين ﴾ يقول تعالى ذكره وقيل للذين اتقوا الله فخافوه فأطاعوه ماذا أنزل ربكم على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم قالوا خيرا يقول قالوا أنزل ربنا خيرا للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة يقول للذين أحسنوا العمل فى الدنيا بطاعة الله حسنة ولدار الآخرة خير يقول ولثواب الآخرة خير من ثواب الدنيا ولنعم دار المتقين يقول ولنعم دار المتقين الجنة

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين يقول ولثواب الآخرة خير من ثواب الدنيا ولنعم دار المتقين الجنة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ جنات عدن يدخلونها تجرى من تحتها الأنهار لهم فيها ما يشاءون كذلك يجزى الله المتقين ﴾ يقول تعالى ذكره هى جنات عدن يقول هى بساتين عدن يدخلونها يقول يدخلها المتقون تجرى من تحتها الأنهار يقول تجرى من تحت أشجارها وقصورها الأنهار لهم فيها ما يشاءون يقول لهم فيها ما يشتهون كذلك يجزى الله المتقين يقول كما جزى هؤلاء المتقين الذين وصف صفتهم بما وصفهم به من الاحسان فى الدنيا بالجنة فى الآخرة كذلك يجزى الله المتقين

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله جنات عدن يدخلونها تجرى من تحتها الأنهار لهم فيها ما يشاءون كذلك يجزى الله المتقين يقول كما جزى هؤلاء المتقين الذين وصف صفتهم بما وصفهم به من الاحسان فى الدنيا بالجنة فى الآخرة كذلك يجزى الله المتقين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ﴾ يقول تعالى ذكره الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقول الذين تقبض أرواحهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم يقول يقولون لهم عند قبض أرواحهم سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون يقول ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون فى الدنيا من طاعة الله

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون يقول ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون فى الدنيا من طاعة الله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتى أمر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ يقول تعالى ذكره هل ينظر هؤلاء المشركون بالله الا أن تأتيهم الملائكة لقبض أرواحهم أو يأتى أمر ربك بعذابهم كذلك فعل الذين من قبلهم يقول كما فعل هؤلاء المشركون بالله من قبلهم من الامم الذين كذبوا رسلهم وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون يقول ولكن الله لم يظلمهم بما عذبهم به من العذاب بل هم ظلموا أنفسهم بما استوجبوا به العذاب من الله

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتى أمر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون يقول ولكن الله لم يظلمهم بما عذبهم به من العذاب بل هم ظلموا أنفسهم بما استوجبوا به العذاب من الله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فأصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون ﴾ يقول تعالى ذكره فأصاب هؤلاء المشركين بالله من قبل مشركى قومك يا محمد سيئات ما عملوا يقول سيئات ما عملوا من الكفر بالله وتكذيب رسله وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون يقول ونزل بهم ما كانوا به يستهزءون من العذاب الذى كانوا يكذبون به ويقولون لنبيهم متى هو آت

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فأصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون يقول ونزل بهم ما كانوا به يستهزءون من العذاب الذى كانوا يكذبون به ويقولون لنبيهم متى هو آت ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شئ كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين ﴾ يقول تعالى ذكره وقال الذين أشركوا بالله لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شئ يقول لو شاء الله ما عبدنا نحن ولا آباؤنا من دونه من شئ من الاوثان والآلهة ولا حرمنا من دونه من شئ من البحائر والسوائب والوصائل والحوامى كذلك فعل الذين من قبلهم يقول كما فعل هؤلاء المشركون بالله من قبلهم من الامم الذين كذبوا رسلهم وعبدوا من دون الله ما عبدوا من الآلهة والاوثان وحرموا ما حرموا من البحائر والسوائب والوصائل والحوامى فهل على الرسل الا البلاغ المبين يقول فهل على الرسل الا أن يبلغوا الحق وان الله برىء من الظلم وخلق القبائح والمنكرات ومن أمة الا وقد بعث الله فيهم رسولا يأمرهم بالخير الذى هو عبادة الله وينهاهم عن الشر الذى هو عبادة الطاغوت (فمنهم من هدى الله) لانه من أهل اللطف ومنهم من ثبت عليه الخذلان لانه عرفه مصمما على الكفر أو المراد منهم من حكم الله عليه بالاهتداء ومنهم من صار محكوما عليه بالضلال لظهور ضلاله أو منهم من هداه الله الى الجنة ومنهم من أضله عنها (فسيروا فى الارض فانظروا) ما فعلت بالمكذبين حتى لا يبقى لكم شبهة فى أنى لا أقدر الشر ولا أشاؤه ثم ذكر عناد قريش وحرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على ايمانهم وعرفه أنهم من قسم من حقت عليه الضلالة وأنه لا يلطف بمن يخذل لانه عبث والله تعالى متعال عن العبث فهذا تفسير الفريقين لاشتمال آيات مسئلة الجبر والقدر على الجهتين وعليك الاختيار بعقلك دون هواك الشبهة الرابعة قدحهم فى الحشر والنشر ليلزم ابطال النبوة وذلك أنهم (أقسموا بالله جهد أيمانهم) أى اغلاظ الايمان كما مر فى المائدة كأنهم ادعوا علما ضرورا بأن الشئ اذا فنى وصار عدما محضا فانه لا يعود بعينه بل العائد يكون شيأ آخر فأكدوا ادعاءهم بالقسم الغليظ فأجاب الله عن شبهتهم بقوله (بلى) وهو اثبات لما بعد النفى أى بلى يبعثهم وقوله (وعدا) مصدر مؤكد لما دل عليه بلى لأن يبعث موعد من الله تعالى أى وعد البعث (وعدا عليه حقا) لا خلاف فيه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أنهم يبعثون أو أن وعد الله حق ثم ذكر لمية حقية البعث فقال (ليبين) أى يبعث كل من مات من المؤمنين والكافرين ليبين (لهم) الحق الذى اختلفوا فيه بيانا عيانيا لا يشتبه فيه المطيع بالعاصى والمحق بالمبطل والمظلوم بالظالم والصادق بالكاذب وجوز بعضهم أن يكون قوله ليبين متعلقا بقوله ولقد بعثنا أى بعثناه ليبين لهم ما اختلفوا فيه وأنهم كانوا على الضلالة قبله مفترين على الله الكذب فى ادعاء الشريك له وفى قولهم مجرد هواهم هذا حلال الله وهذا

حرام ثم برهن على امكان البعث بقوله (انما قولنا) وهو مبتدأ خبره آن نقول وقد فسرنا مثل هذه الاية فى سورة البقرة وذكرنا فيه مباحث عميقة لفظية ومعنوية فلا حاجة الى الاعادة والغرض أنه سبحانه لا مانع له من الايجاد والاعدام ولا تتوقف آثار قدرته الا على مجرد الارادة والمشيئة فكيف يمتنع عليه البعث الذى هو أهون من الابداء قال فى الكشاف قرئ فيكون بالنصب عطفا على نقول فلن يكون مانع من كونه منصوبا باضمار أن لوقوعه فى جواب الامر بعد الفاء وقد مر فى البقرة احتج بعض الاشاعرة بالآية على قدم القرآن قال انه لو كان حادثا لافتقر الى أن يقال له كن ثم الكلام فى هذا اللفظ كالكلام فى الاول وتسلسل والجواب بعد تسليم أن هذا ليس مثلا وأن ثم قولا أن اذا لا تفيد التكرار فلا يلزم فى كل ما يحدثه الله تعالى أن يقول له كن وكيف يتصور أن تكون لفظة كن قديمة والكاف مقدم على النون بزمان محصور ولو سلم فلا يجوز من قدم لفظة كن قدم القرآن على أن قوله انما قولنا لشئ اذا أردناه يقتضى كون القول واقعا بالارادة وما كان كذلك فهو محدث وأنه علق القول بكلمة اذا ولا شك أنها للاستقبال وكذا قوله (أن نقول) ثم ان كلمة (كن) متقدمة على المكون بزمان واحد والمتقدم على المحدث بزمان يكون محدثا فتلخص من هذه الدلائل أن الكلام المسموع لا بد أن يكون محدثا هذا تلخيص ما قاله الامام فخر الدين الرازى ولعل لنا فيه نظرا ولما حكى الله سبحانه عن الكفار ما حكى من انكار البعث والجزاء لم يبعد منهم والحالة هذه ايذاء المسلمين وانزال الضرر والهوان بهم وحينئذ يلزمهم أن يهاجروا تلك الديار فذكر ثواب المهاجرين قائلا (والذين هاجروا فى الله) أى فى حقه وسبيله (من بعد ما ظلموا لنبوئنهم فى الدنيا) مثوبة (حسنة) أو مباءة حسنة هى المدينة أو اهم أهلها ونصروهم قاله الحسن والشعبى وقتادة المدينة وقيل لتنزلنهم منزلة حسنة هى الغلبة على أهل مكة الذين ظلموهم بل على العرب قاطبة بل على أهل المشرق والمغرب قال ابن عباس نزلت فى جماعة منهم صهيب وبلال وعمار وخباب جعل المشركون يعذبونهم ليردوهم عن الاسلام فقال صهيب أنا رجل كبير ان كنت معكم لا

ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار من أضلوا احتمالهم ذنوب أنفسهم وذنوب من أطاعهم ولا يخفف ذلك عمن أطاعهم من العذاب شيأ **حدثنا** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نحوه الا أنه قال ومن أوزار الذين يضلونهم حملهم ذنوب أنفسهم وسائر الحديث مثله **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد **وحدثنى** المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبدة عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم قال حملهم ذنوب أنفسهم وذنوب من أطاعهم ولا يخفف ذلك عمن أطاعهم من العذاب شيأ **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة من ذنوبهم وذنوب الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم يقول يحملون ذنوبهم وذلك مثل قوله وأثقالا مع أثقالهم يقول يحملون مع ذنوبهم ذنوب الذين يضلونهم بغير علم **حدثنى** المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون قال قال النبى صلى الله عليه وسلم أيما داع دعا الى ضلالة فاتبع فان عليه مثل أوزار من اتبعه من غير أن ينقص من أوزارهم شئ وأيما داع دعا الى هدى فاتبع فله مثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شئ **حدثنى** المثنى قال أخبرنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن رجل قال قال زيد بن أسلم انه بلغه أنه يمثل للكافر عمله فى صورة أقبح ما خلق الله وجها وأنتنه ريحا فيجلس الى جنبه كلما أفزعه شئ زاده فزعا وكلما تخوف شيأ زاده خوفا فيقول بئس الصاحب أنت ومن أنت فيقول وما تعرفنى فيقول أنا عملك كان قبيحا فلذلك ترانى قبيحا وكان منتنا فلذلك ترانى منتنا فأطيئ الى أركبك فطالما ركبتنى فى الدنيا فير كبه وهو قوله ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾ يقول تعالى ذكره قد مكر الذين من قبل هؤلاء المشركين الذين يصدون عن سبيل الله من أراد اتباع دين الله فراموا مغالبة الله ببناء بنوه برعمهم الارتفاع الى السماء لحرب من فيها وكان الذى رام ذلك فيما ذكر لنا جبارا من جبابرة النبط فقال بعضهم هو نمرود بن كنعان وقال بعضهم هو بختنصر وقد ذكرت بعض أخباره فى سورة ابراهيم وقيل ان الذى ذكر فى هذا الموضع هو الذى ذكره الله فى سورة ابراهيم ذكره قال ذلك **حدثنى** موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى أما الذى حاج ابراهيم فى ربه بابراهيم فأخرج يعنى من مدينته قال فلقى لوطا على

ن كنت عليكم لم أضركم فافتدى منهم بماله وهاجر فلما راه أبو بكر قال له ربح البيع ياصهيب وقال له عمر نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه
الضمير فى قوله (لو كانوا يعلمون) فاما أن يرجع الى الكفار أى لو علموا أن الله يجمع لهؤلاء المستضعفين خير الدارين لرغبوا فى دينهم واما أن
ود الى المهاجرين أى لو علموا أن أجر الآخرة أكبر لزادوا فى اجتهادهم وصبرهم ثم مدحهم بقوله (الذين صبروا) على هم الذين

أو أعنى الذين والمراد صبرهم على العذاب وعلى مفارقة الوطن الذى هو حرم الله وعلى المجاهدة فى سبيل الله بالنفوس والاموال قال المحققون الصبر حبس النفس على خلاف ما تشتهيه من اللذات العاجلة وهو مبدأ السلوك والتوكل هو الانقطاع بالكلية عما سوى الحق وهو آخر الطريق والله ولى التوفيق فان العارفين بالصبر سارو او بالتوكل طاروا ثم فى الله حار واحسبى الله ونعم الوكيل ﴿ وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الارض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون أو يأخذهم فى تقلبهم فما هم بمعجزين أو يأخذهم على تخوف فان ربكم لرؤف رحيم أولم يروا الى ما خلق الله من شئ يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون ولله يسجد ما فى السموات وما فى الارض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فاياى فارهبون وله ما فى السموات والارض وله الدين واصبا أفغير الله تتقون وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون ثم

لدينة وهو ابن أخيه فدعاه فآمن به وقال انى مهاجر الى ربى وحلف نمرود أن يطلب اله ابراهيم
أخذ أربعة أفراخ من فراخ النسور فرباهن باللحم والخبز حتى كبرن وغلظن واستعلجن فربطهن
بتابوت وقعد فى ذلك التابوت ثم رفع لهن رجلا من لحم فطرن حتى اذا ذهبن فى السماء أشرف
نظر الى الأرض فرأى الجبال تدب كدبيب النمل ثم رفع لهن اللحم ثم نظر فرأى الارض محيطا بها
البحر كأنها فلكة فى ماء ثم رفع طويلا فوقع فى ظلمة فلم ير ما فوقه وما تحته ففزع فألقى اللحم فاتبعته
منقضات فلما نظرت الجبال اليهن وقد أقبلن منقضات وسمعت حفيفهن فزعت الجبال وكادت
ان تزول من أمكنتها ولم يفعلن وذلك قول الله تعالى وقد مكروا ومكرهم وعند الله مكرهم وان
كان مكرهم لتزول منه الجبال وهى فى قراءة ابن مسعود وان كاد مكرهم فكان طيرورتهن به
من بيت المقدس ووقوعهن به فى جبل الدخان فلما رأى أنه لا يطيق شيأ أخذ فى بنيان الصرح
بنى حتى اذا شيده الى السماء ارتقى فوقه ينظر بزعم الى اله ابراهيم فأحدث ولم يكن يحدث وأخذ
الله بنيانه من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون يقول
من مأمنهم وأخذهم من أساس الصرح فتنقض بهم فسقط فتبلبلت ألسن الناس يومئذ من
الفزع فتكلموا بثلاثة وسبعين لسانا فلذلك سميت بابل وانما كان لسان الناس قبل ذلك
السريانية حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه
عن ابن عباس قوله قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد قال هو نمرود حين بنى
الصرح حدثنى المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق عن معمر عن زيد
ابن أسلم ان أول جبار كان فى الأرض نمرود فبعث الله عليه بعوضة فدخلت فى منخره فمكث
أربعمائة سنة يضرب رأسه بالمطارق أرحم الناس به من جمع يديه فضرب بهما رأسه
وكان جبارا أربعمائة سنة فعذبه الله أربعمائة سنة كملكه ثم أماته الله وهو الذى كان
بنى صرحا الى السماء وهو الذى قال الله فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف
من فوقهم وأما قوله فأتى الله بنيانهم من القواعد فان معناه هدم الله بنيانهم من أصله
والقواعد جمع قاعدة وهى الاساس وكان بعضهم يقول هذا مثل للاستئصال وانما معناه
ان الله استأصلهم وقال العرب تقول ذلك اذا استؤصل الشئ وقوله فخر عليهم السقف من
فوقهم اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك فقال بعضهم معناه فخر عليهم السقف من
فوقهم أعالى بيوتهم من فوقهم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا
سعيد عن قتادة قوله قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد إى والله لأتاها
أمر الله من أصلها فخر عليهم السقف من فوقهم والسقف أعالى البيوت فأتفكت بهم بيوتهم
فأهلكهم الله ودمرهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون حدثنا محمد بن عبد الأعلى
قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فخر عليهم السقف من فوقهم قال أتى الله بنيانهم
من أصوله فخر عليهم السقف حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى
وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنى المثنى قال أخبرنا

كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم
تسئلن عما كنتم تفترون ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى
من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألا ساء ما يحكمون للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى وهو

العزيز الحكيم ﴿ القرآت نوحى بالنون حفص غير الخزاز الباقون بالياء مجهولا أولم تر وابتاء الخطاب حمزة وعلى وخلف تنفيؤ بتاء التانيث
أبو عمرو وسهل ويعقوب الآخرون على الغيبة ۞ الوقوف لا تعلمون ○ لا لتعلق الباء والزبر ط يتفكرون ○ لا يشعرون ○ لا للعطف
بمعجزين ○ لا كذلك على تخوف ط للفصل (٦٨) بين الاستخبار والاخبار رحيم ○ داخرون ○ لا يستكبرون ○ مايؤمرون
○ اثنين ج للابتداء بانما مع اتحاد القائل واحد ج للعدول مع الفاء فارهبون ○ واصبا ط تتقون ○ تجأرون ○ ج لأن ثم لترتيب الاخبار مع شدة اتصال المعنى يشركون ○ لا لتعلق لام كى آتيناهم ط للعدول والفاء للاستئناف تعلمون ○ رزقناهم ط تفترون ○ سبحانه لا لان مابعده من جملة مفعول يجعلون وسبحانه معترض للتنزيه يشتهون ○ كظيم ○ ج لاحتمال أن مابعده وصف لكظيم أو استئناف مابشر به ط لان التقدير يتفكر فى نفسه المسألة فى التراب ط مايحكمون ○ السوء ج لتضاد الجملتين معنى مع العطف لفظا الأعلى ط الحكيم ○ ۞ التفسير الشبهة الخامسة أن قريشا كانوا يقولون الله أعلى وأجل من أن يكون رسوله بشرا فأجاب سبحانه بقوله (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا) والمراد أن هذه عادة مستمرة من أول زمان الخلق والتكليف وزعم أبو على الجبائى أنه لم يبعث الى الانبياء الا من هو بصورة الرجال من الملائكة قال القاضى ولعله أراد الملك الذى يرسل الى الانبياء بحضرة أممهم كما روى أن جبرئيل عليه السلام كان يأتى فى صورة دحية وفى صورة سراقة وانما قيدنا بحضرة الامم لان الملائكة قد يبعثون على صورتهم الاصلية عند ابلاغ الرسالة من الله الى نبيه كما روى أنه صلى الله عليه وسلم رأى جبرئيل على صورته التى هو عليها مرتين وعليه تأولوا قوله ولقد رآه نزلة أخرى ثم انهم كانوا مقرين بأن اليهود والنصارى أصحاب العلوم والكتب فأمرهم الله أعنى قريشا بأن يرجعوا اليهم فى هذه المسألة ليبينوا لهم ضعف هذه الشبهة وسقوطها وذلك قوله (فاسئلوا أهل الذكر) قال بعض الأصوليين فيه دليل على أنه يجوز للمجتهد تقليد مجتهد آخر فيما يشتبه عليه واحتج

أبو حذيفة قال ثنا شبل و حدثنى المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فأتى الله بنيانهم من القواعد قال مكر نمرود كنعان الذى حاج ابراهيم فى ربه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله ۞ وقال آخرون عنى بقوله فخر عليهم السقف من فوقهم أن العذاب أتاهم من السماء ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فخر عليهم السقف من فوقهم يقول عذاب من السماء لما رأوه استسلموا وذلوا ۞ وأولى القولين بتأويل الآية قول من قال معنى ذلك تساقطت عليهم سقوف بيوتهم اذ أتى أصولها وقواعدها أمر الله فأتفكت بهم منازلهم لان ذلك هو الكلام المعروف من قواعد البنيان وخر السقف وتوجيه معانى كلام الله الى الأشهر الأعرف منها أولى من توجيهها الى غير ذلك ما وجد اليه سبيل وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون يقول تعالى ذكره وأتى هؤلاء الذين مكروا من قبل مشركى قريش عذاب الله من حيث لا يدرون أنه أتاهم منه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ثم يوم القيامة يخزيهم ويقول أين شركائى الذين كنتم تشاقون فيهم قال الذين أوتوا العلم ان الخزى اليوم والسوء على الكافرين﴾ يقول تعالى ذكره فعل الله بهؤلاء الذين مكروا الذين وصف الله جل ثناؤه أمرهم ما فعل بهم فى الدنيا من تعجيل العذاب لهم والانتقام بكفرهم وجحودهم وحدانيته ثم هو مع ذلك يوم القيامة مخزيهم فذلهم بعذاب أليم وقائل لهم عند ورودهم عليه أين شركائى الذين كنتم تشاقون فيهم أصله من شاققت فلانا فهو يشاقنى وذلك اذا فعل كل واحد منهما بصاحبه مايشق عليه يقول تعالى ذكره يوم القيامة تقريعا للمشركين بعبادتهم الاصنام أين شركائى يقول أين الذين كنتم تزعمون فى الدنيا أنهم شركائى اليوم مالهم لا يحضرونكم فيدفعوا عنكم ما أنا محل بكم من العذاب فقد كنتم تعبدونهم فى الدنيا وتتولونهم والولى ينصر وليه وكانت مشاقتهم الله فى أوثانهم مخالفتهم اياه فى عبادتهم كما حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله أين شركائى الذين كنتم تشاقون فيهم يقول تخالفون فيهم وقوله قال الذين أوتوا العلم ان الخزى اليوم والسوء على الكافرين يعنى الذلة والهوان والسوء يعنى عذاب الله على الكافرين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم فألقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون﴾ يقول تعالى ذكره قال الذين أوتوا العلم ان الخزى اليوم والسوء على من كفر بالله فجحد وحدانيته الذين تتوفاهم الملائكة يقول الذين تقبض أرواحهم الملائكة ظالمى أنفسهم يعنى وهم على كفرهم وشركهم بالله وقيل انه عنى بذلك من قتل من قريش ببدر وقد أخرج اليها كرها حدثنى المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا يعقوب بن محمد الزهرى قال ثنى سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة قال كان ناس بمكة أقروا بالاسلام ولم يهاجروا فأخرج بهم كرها الى بدر فقتل بعضهم فأنزل الله فيهم الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم وقوله فألقوا السلم يقول فاستسلموا الأمر

قياس بالآية قالوا لو كان حجة لما وجب على المكلف السؤال بل كان عليه أن يستنبط ذلك الحكم بواسطة القياس وأجيب بانه قد ثبت العمل بالقياس لاجماع الصحابة والاجماع أقوى من ظاهر النص أما قوله (بالبينات) ففي متعلقه وجوه منها أن يتعلق بأرسلنا داخلا تحت حكم الاستثناء مع رجالا وأنكر الفراء ذلك قال ان صلة ما قبل الا لا تتأخر الى ما بعد الا لان المستثنى منه هو مجموع ما قبل الا مع صلته كما لو قيل ما أرسلنا بالبينات الا رجالا ولما لم يصر هذا المجموع مذكورا بتمامه امتنع ادخال الاستثناء عليه ومنها أن يتعلق بر الاصفة له أي رجالا متلبسين بالبينات ومنها أن يتعلق بأرسلنا مضمرا نظيره ما مر الا أخولك ثم تقول مر بزيد قاله الفراء ومنها أن يتعلق بيوحى أي يوحى اليهم بالبينات ومنها أن يتعلق بالذكر بناء على أنه بمعنى العلم ومنها أن يتعلق بلا تعلمون أي ان كنتم لا تعلمون بالبينات و بالزبر فاسألوا وقال في الكشاف الشرط ههنا في معنى التبكيت والالزام كقول الاجير ان كنت عملت لك فأعطني حقي قلت أراد أن عدم علمهم مقرر كما أن عمل الاجير ثابت وسلم جار الله أن مثل قوله فاسألوا جواب الشرط على هذا الوجه وأما على الوجوه المتقدمة فلزم أنه اعتراض بناء على أن جواب الشرط هو ما دل عليه قوله وما أرسلنا الخ وعندي أن هذا الجزم ليس بحتم ويجوز على كل الوجوه أن يكون مثل فاسألوا جوابا والله أعلم وأهل الذكر أهل التوراة كقوله ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر يعني التوراة وقال الزجاج سلوا كل من يذكر بعلم وتحقيق وقوله بالبينات والزبر لفظ جامع لكل ما تتكامل به الرسالة لان مدارها على المعجزات الدالة على صدق من يدعي الرسالة وهي البينات وعلى التكاليف التي هي في باب العبادة وهي للزبر ثم قال (وأنزلنا اليك الذكر) أي القرآن الذي هو موعظة وتنبيه وتذكير لاهل الغفلة والنسيان وبين الغاية في تنبيه على الانزال وهي تبيين الاحكام والشرائع بالنسبة الى الرسول وارادة التأمل والتفكر في المبدإ والمعاد بالاضافة الى المكلفين وفي هذا النص دلالة على أن القرآن كله مجمل ومن هنا ذهب بعضهم الى أنه متى وقع التعارض بين القرآن والخبر وجب تقديم الخبر لأن

تقادوا له حين عاينوا الموت قد نزل بهم ما كنا نعمل من سوء وفي الكلام محذوف استغنى بفهم سامعيه بما دل عليه الكلام عن ذكره وهو قالوا ما كنا نعمل من سوء يخبر عنهم بذلك أنهم كذبوا في قولهم ما كنا نعصي الله اعتصاما منهم بالباطل رجاء أن ينجوا بذلك فكذبهم الله فقال بل كنتم تعملون السوء وتصدون عن سبيل الله ان الله عليم بما كنتم تعملون يقول ان الله ذو علم بما كنتم تعملون في الدنيا من معاصيه وتأتون فيها ما يسخطه ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين﴾ يقول تعالى ذكره يقال لهؤلاء الظلمة أنفسهم حين يقولون لربهم ما كنا نعمل من سوء ادخلوا أبواب جهنم يعني طبقات جهنم خالدين فيها يعني ماكثين فيها فلبئس مثوى المتكبرين يقول فلبئس منزل من تكبر على الله ولم يقر بربوبيته و يصدق بوحدانيته جهنم ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين﴾ يقول تعالى ذكره وقيل للفريق الآخر الذين هم أهل ايمان وتقوى لله ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا يقول قالوا أنزل خيرا وكان بعض أهل العربية من الكوفيين يقول انما اختلف الاعراب في قوله قالوا أساطير الاولين وقوله خيرا والمسئلة قبل الجوابين كلهما واحدة وهي قوله ماذا أنزل ربكم لأن الكفار جحدوا التنزيل فقالوا حين سمعوه أساطير الاولين أي هذا الذي جئت به أساطير الاولين ولم ينزل الله منه شيأ وأما المؤمنون فصدقوا التنزيل فقالوا خيرا بمعنى أنه أنزل خيرا فانتصب بوقوع الفعل من الله على الخير فلهذا افترقا ثم ابتدأ الخبر فقال للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وقد بينا القول في ذلك فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته وقوله للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة يقول تعالى ذكره للذين آمنوا بالله في هذه الدنيا و رسوله وأطاعوه فيها ودعوا عباد الله الى الايمان والعمل بما أمر به حسنة يقول كرامة من الله ولدار الآخرة خير يقول ولدار الآخرة خير لهم من دار الدنيا وكرامة الله التي أعدها لهم فيها أعظم من كرامته التي عجلها لهم في الدنيا ولنعم دار المتقين يقول ولنعم دار الذين خافوا الله في الدنيا فاتقوا عقابه بأداء فرائضه وتجنب معاصيه دار الآخرة * و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وهؤلاء مؤمنون فيقال لهم ماذا أنزل ربكم فيقولون خيرا للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة أي آمنوا بالله وأمروا بطاعة الله وحثوا أهل طاعة الله على الخير ودعوهم اليه ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤن كذلك يجزي الله المتقين﴾ يعني تعالى ذكره بقوله جنات عدن بساتين للمقام وقد بينا اختلاف أهل التأويل في معنى عدن فيما مضى بما أغنى عن اعادته يدخلونها يقول يدخلون جنات عدن وفي رفع جنات أوجه ثلاثة أحدها أن يكون مرفوعا على الابتداء والآخر بالعائد من الذكر في قوله يدخلونها والثالث على أن يكون خبر النعم فيكون المعنى اذا جعلت خبر النعم ولنعم دار المتقين جنات عدن ويكون يدخلونها في موضع حال كما يقال نعم الدار دارا تسكنها أنت وقد يجوز أن يكون

القرآن محمل والخبر مبين له وأجيب بمنع الكلية فى القرآن ما هو محكم وقوله لتبين محمول على المتشابهات المجملات قال بعض من نفى القياس لو كان القياس حجة لما وجب على الرسول أن يبين للمكلفين ما أنزل الله عليه من الاحكام بل كان له أن يفوض بعضها الى رأى القائس وأجيب بأنه لما بين أن القياس من جملة الحجج فالقياس أيضا راجع الى بيان الرسول ثم لما ذكر شبهات المنكرين مع أجوبتها شرع فى التهديد والوعيد والانذار والتنبيه فقال (أفأمن الذين مكروا السيئات) أى المكرات السيئات أراد أهل مكة ومن حول المدينة قال الكلبى عنى بهذا المكر اشتغالهم بعبادة غير الله والأقرب أن المراد سعيهم فى ايذاء الرسول صلى الله عليه وسلم وايذاء أصحابه على سبيل الخفية (أن يخسف الله بهم الارض) كما خسف بقارون (أو يأتيهم العذاب) أو ملائكة العذاب من السماء (من حيث لا يشعرون) كما فعل بقوم لوط (أو يأخذهم فى تقلبهم فما هم بمعجزين) فائتين الله وذكر المفسرون فى هذا التقلب وجوها منها أنه تعالى يأخذهم فى أسفارهم ومتاجرهم فانه قادر على أن يهلكهم فى السفر كما أنه قادر على أن يهلكهم فى الحضر وهم لا يفوتون الله بسبب ضربهم فى البلاد البعيدة ومنها أنه يأخذهم بالليل والنهار فى أحوال اقبالهم وادبارهم وذهابهم ومجيئهم وحقيقته فى حال تصرفهم فى الامور التى يتصرف فيها أمثالهم ومنها أنه أراد فى حال ما يتقلبون فى قضاء أوطارهم بوجوه الحيل فيحول الله بينهم وبين مقاصدهم وحيلهم والتقلب بالمعنى الاول مأخوذ من قوله لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد وبالمعنى الثالث من قوله وقلبوا لك الامور (أو يأخذهم على تخوف) على حالة تخوفهم وتوقعهم للبلاء بأن يكون قد أهلك قوما قبلهم فكان أثر الخوف باقيا فيهم ظاهرا عليهم فهو خلاف قوله من حيث لا يشعرون وقيل التخوف التنقص والمعنى أنه يأخذهم بطريق النقص شيأ بعد شئ فى ديارهم وأموالهم وأنفسهم حتى يأتى الفناء على الكل عن عمر أنه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال فهل تعرف العرب ذلك فى أشعارها قال نعم

اذا كان الكلام بهذا التأويل يدخلونها من صلة جنات عدن وقوله تجرى من تحتها الانهار يقول تجرى من تحت أشجارها الانهار لهم فيها ما يشاؤن يقول للذين أحسنوا فى هذه الدنيا فى جنات عدن ما يشاؤن مما تشتهى أنفسهم وتلذ أعينهم كذلك يجزى الله المتقين يقول كما يجزى الله هؤلاء الذين أحسنوا فى هذه الدنيا بما وصف لكم أيها الناس أنه جزاهم به فى الدنيا والآخرة كذلك يجزى الذين اتقوه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾ يقول تعالى ذكره كذلك يجزى الله المتقين الذين تقبض أرواحهم ملائكة الله وهم طيبون بتطييب الله اياهم بنظافة الايمان وطهر الاسلام فى حال حياتهم وحال مماتهم كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنى المثنى قال أخبرنا أبو حذيفة قال ثنا شبل وحدثنى المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله الذين تتوفاهم الملائكة طيبين قال أحياء وأمواتا قد رأى الله ذلك لهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقوله يقولون سلام عليكم يعنى جل ثناؤه أن الملائكة تقبض أرواح هؤلاء المتقين وهى تقول لهم سلام عليكم صيروا الى الجنة بشارة من الله تبشرهم بها الملائكة كما حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى أبو صخر أنه سمع محمد بن كعب القرظى يقول اذا استنقعت نفس العبد المؤمن جاءه ملك فقال السلام عليك ولى الله الله يقرأ عليك السلام ثم نزع بهذه الآية الذين تتوفاهم الملائكة طيبين الى آخر الآية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس قوله فسلام لك من أصحاب اليمين قال الملائكة يأتونه بالسلام من قبل الله وتخبره أنه من أصحاب اليمين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا الاشب أبو على عن أبى رجاء عن محمد بن مالك عن البراء قال قوله سلام قولا من ربهم قال يسلم عليه عند الموت وقوله بما كنتم تعملون يقول بما كنتم تصيبون فى الدنيا أيام حياتكم فيها طاعة الله وطلب مرضاته ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتى أمر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ يقول تعالى ذكره هل ينتظر هؤلاء المشركون الا أن تأتيهم الملائكة لقبض أرواحهم أو يأتى أمر ربك بحشرهم لموقف القيامة كذلك فعل الذين من قبلهم يقول جل ثناؤه كما يفعل هؤلاء من انتظارهم ملائكة الله لقبض أرواحهم أو اتيان أمر الله فعل أسلافهم من الكفرة بالله لان ذلك فى كل مشرك بالله وما ظلمهم الله يقول جل ثناؤه وما ظلمهم الله باحلال سخطه بهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بمعصيتهم ربهم وكفرهم به حتى استحقوا عقابه فحل لهم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة قال بالموت وقال فى آية أخرى ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة

قول شاعر نازهير تخوف الرحل منها تامكا قردا * كما تخوف عود النبعة السفن قوله تامكا قردا أى سنامامرتفعا متراكما والسفن ما ينحت
الشئ ومنه السفينة لانها تسفن وجه الماء بالمر فى البحر فقال عمر أيها الناس عليكم بديوانكم قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه
تفسير كتابكم ثم ختم الآية بقوله (فان ربكم لرؤف رحيم) فذهب المفسرون الى أن معناه أنه يمهل فى أكثر الامر لانه رؤف رحيم
فلا يعجل بالعذاب وأقول يحتمل أن
يكون قوله فان تعليلا لقوله أفأمن
كقوله ما غرك بربك الكريم ولما
خوف الماكرين بما خوف أتبعه
ذكر ما يدل على كمال قدرته فى تدبير
أحوال العالم العلوى والسفلى
وسكانهما فقال (أولم يروا الى ما خلق
الله) قال جار الله ما مبهمة بيانه (من
شئ) وقال أهل المعانى قوله (يتفيؤ
ظلاله) اخبار عن شئ وليس بوصف
له ويتفيأ يتفعل من الفئ وأصله
الرجوع ومنه فيئة المولى وقال
الازهرى تفيؤ الظلال رجوعها
بعد انتصاف النهار فالتفيؤ لا يكون
الا بالعشى وما انصرف عنه الشمس
والقمر والذى يكون بالغداة ظل
وقال ثعلب أخبرت عن أبى عبيدة
أن رؤبة قال كل ما كانت عليه
الشمس فزالت عنه فهو فئ وظل
ومالم يكن عليه الشمس فهو ظل
وقوله ظلاله أضاف الظلال الى
مفرد ومعناه الاضافة الى ذوى
الظلال ووجه حسنه كون
المرجوع اليه واحدا فى اللفظ وان
كان كثيرا فى المعنى وهو قوله الى
ما خلق نظيره لتستووا على ظهوره
أضاف الظهور وهو جمع الى ضمير
مفرد لانه يعود الى واحد أريد به
الكثرة وهو ما تركبون قال الجوهرى
تفيأت الظلال أى تقلبت وقوله
(عن اليمين والشمائل) قال
أهل التفسير ومنهم الفراء انه
وحد اليمين لانه أراد واحدا من
ذوات الأظلال وجمع الشمائل
لما أراد كلها لان قوله ما خلق الله لفظ مفرد ومعناه جمع وقيل ان العرب اذا ذكرت صيغتى جمع عبرت عن احداهما بلفظ الواحد كقوله
وجعل الظلمات والنور ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وقيل المراد باليمين النقطة التى هى مشرق الشمس وانها واحدة والشمائل عبارة
عن الانحراف الواقع فى تلك الاظلال بعد وقوعها على الارض وهى كثيرة وانما عبر عن المشرق باليمين لان أقوى جانبى الانسان يمينه ومنه

الملائكة وهو ملك الموت وله رسل قال الله تعالى أو يأتى أمر ربك وذا كم يوم القيامة حدثنى المثنى
قال أخبرنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد هل ينظرون الا أن تأتيهم
الملائكة يقول عند الموت حين تتوفاهم أو يأتى أمر ربك ذلك يوم القيامة ۞ القول فى تأويل
قوله تعالى ﴿فأصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن﴾ يقول تعالى ذكره فاصاب
هؤلاء الذين فعلوا من الامم الماضية فعل هؤلاء المشركين من قريش سيئات ما عملوا يعنى عقوبات
ذنوبهم ونقم معاصيه التى اكتسبوها وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن يقول وحل بهم من عذاب
الله ما كانوا يستهزؤن منه ويسخرون عند انذارهم ذلك رسل الله ونزل ذلك بهم دون غيرهم من
أهل الايمان بالله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من
دونه من شئ نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شئ كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل
الا البلاغ المبين﴾ يقول تعالى ذكره وقال الذين أشركوا بالله فعبدوا الأوثان والأصنام من دون
الله ما نعبد هذه الاصنام الا لأن الله قد رضى عبادتنا هؤلاء ولا نحرم ما حرمنا من البحائر والسوائب
الا أن الله شاء منا ومن آبائنا تحريمها ورضيه لو لا ذلك لقد غير ذلك ببعض عقوباته أو بهدايته ايانا
الى غيره من الافعال يقول تعالى ذكره كذلك فعل الذين من قبلهم من الامم المشركة الذين استن
هؤلاء سنتهم فقالوا مثل قولهم وسلكوا سبيلهم فى تكذيب رسل الله واتباع أفعال آبائهم الضلال
وقوله فهل على الرسل الا البلاغ المبين يقول جل ثناؤه فهل أيها القائلون لو شاء الله ما أشركنا ولا
آباؤنا على رسلنا الذين نرسلهم بانذاركم عقوبتنا على كفركم الا البلاغ المبين يقول الا أن تبلغكم
ما أرسلنا اليكم من الرسالة ويعنى بقوله المبين الذى يبين عن معناه لمن أبلغه ويفهمه من أرسل اليه
۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت
فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة
المكذبين﴾ يقول تعالى ذكره ولقد بعثنا أيها الناس فى كل أمة سلفت قبلكم رسولا كما بعثنا فيكم
بأن اعبدوا الله وحده لا شريك له وأفردوا له الطاعة وأخلصوا له العبادة واجتنبوا الطاغوت
يقول وابعدوا من الشيطان واحذروا أن يغويكم ويصدكم عن سبيل الله فتضلوا فمنهم من هدى الله
يقول فمن بعثنا فيهم رسلنا من هدى الله فوفقه لتصديق رسله والقبول منها والايمان بالله والعمل
بطاعته ففاز وأفلح ونجا من عذاب الله ومنهم من حقت عليه الضلالة يقول وممن بعثنا رسلنا اليه من
الامم آخرون حقت عليهم الضلالة فجاروا عن قصد السبيل فكفروا بالله وكذبوا رسله واتبعوا
الطاغوت فأهلكهم الله بعقابه وأنزل عليهم بأسه الذى لا يرد عن القوم المجرمين فسيروا فى الارض
فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين يقول تعالى ذكره لمشركى قريش ان كنتم أيها الناس غير
مصدقى رسولنا فيما يخبركم به عن هؤلاء الأمم الذين حل بهم ما حل من بأسنا بكفرهم بالله وتكذيبهم
رسوله فسيروا فى الارض التى كانوا يسكنونها والبلاد التى كانوا يعمرونها فانظروا الى آثار الله فيهم
وآثار سخطه النازل بهم كيف أعقبهم تكذيبهم رسل الله ما أعقبهم فانكم ترون حقيقة ذلك وتعلمون
به صحة الخبر الذى يخبركم به محمد صلى الله عليه وسلم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان تحرص
على هداهم فان الله لا يهدى من يضل وما لهم من ناصرين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله

تظهر الحركة القوية وكذا جانب الشرق أقوى جوانب الفلك ومنه تظهر الحركة اليومية التي هي أسرع الحركات وأقواها ويمكن أن يقال
ان الانسان اذا توجه الى الشرق الذي هو أولى الجوانب بالاعتبار لشرفه كان الجنوب يمينه والشمال شماله ولا ريب أن وصول الشمس
الى فلك نصف النهار يختلف بحسب البلاد وقد يتفق انتقالها من الجنوب الى الشمال وبالعكس في بلد واحد اذا كان عرضه

ناقصا عن الميل الكلي ومن المعلوم
أن الشمس حين وصولها الى نصف
النهار ان كانت في جنوب سمت
الرأس وقع ظلها الى جانب الشمال
وان كانت في شماله وقع ظلها الى
الجنوب فيحتمل أن يراد بتفيؤ
الاظلال تقلبها في هاتين الجهتين
والله أعلم أما قوله (سجدا لله) فانه حال
من الظلال ومعنى سجودها انقيادها
لأمر الله منتقلة من جانب الى جانب
حسب تحرك النير على نسب
مخصوصة ومقادير معلومة ذكرنا
بعضها في كتبنا النجومية وقد بنى
المتأخرون على الاظلال مسائل
كثيرة منها الشكل الموسوم بالظلي
مع فروعه وذكر بعضهم في تفسير
هذا السجود أن هذه الاظلال واقعة
على الارض ملصقة بها على هيئة
الساجد وقوله (وهم داخرون) حال
أخرى من الظلال وانما جمع بالواو
والنون لانهم أشبهوا العقلاء من
حيث طاعتها لله سبحانه وقال جار
الله اليمين والشمائل استعارة عن
يمين الانسان وشماله بجانبي الشيء
أي ترجع الظلال من جانب الى
جانب منقادة لله غير ممتنعة عليه
فيما سخرها له من التفيؤ والأجرام
في أنفسها داخرة أيضا صاغرة
منقادة لأفعال الله فيها لا تمتنع (ولله
يسجد ما في السموات وما في الارض
من دابة) قال الاخفش أي من
الدواب وأخبر بالواحد كما تقول
ما أتاني من رجل مثله وما أتاني من
الرجال مثله وقال ابن عباس يريد
كل ما دب على الارض والوجه في تخصيص الدابة والملائكة بالذكر أنه علم من آية الظلال أن الجمادات بأسرها من
منقادة له فبين في هذه الآية أن الحيوانات بأسرها أيضا كذلك ثم عطف عليها الملائكة اما لشرفها واما لأنها ليست مما يدب ولكنها تطير
بالجناحين وبين النوعين مغايرة لقوله ومما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه وعلى قاعدة الحكماء وجه المغايرة أنها أرواح مجردة

عليه وسلم ان تحرص يا محمد على هدى هؤلاء المشركين الى الايمان بالله واتباع الحق فان الله لا يهدي
من يضل ۞ اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الكوفيين فان الله لا يهدي من يضل
بفتح الياء من يهدي وضمها من يضل وقد اختلف في معنى ذلك قارؤه كذلك فكان بعض نحويي
الكوفة يزعم أن معناه فان الله من أضله لا يهتدي وقال العرب تقول قد هدى الرجل يريد قد
اهتدى وهدى واهتدى بمعنى واحد وكان آخرون منهم يزعمون أن معناه فان الله لا يهدي من
أضله بمعنى أن من أضله الله فان الله لا يهديه وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والشام والبصرة فان الله
لا يهدي بضم الياء من يهدي ومن يضل وفتح الدال من يهدي بمعنى من أضله الله فلا هادي له
وهذه القراءة أولى القراءتين عندي بالصواب لان يهدي بمعنى يهتدي قليل في كلام العرب
غير مستفيض وأنه لا فائدة في قول قائل من أضله الله فلا يهديه لأن ذلك مما لا يجهله أحد ولو
كان ذلك كذلك فالقراءة بما كان مستفيضا في كلام العرب من اللغة بما فيه الفائدة العظيمة
أولى وأحرى فتأويل الكلام لو كان الامر على ما وصفنا ان تحرص يا محمد على هداهم فان من
أضله الله منهم فلا هادي له فلا تجهد نفسك في أمره وبلغه ما أرسلت به لتتم عليه الحجة ومالهم من
ناصرين يقول ومالهم ناصر ينصرهم من الله اذا أراد عقوبتهم فيحول بين الله وبين ما أراد من
عقوبتهم وفي قوله ان تحرص لغتان فمن العرب من يقول حرص يحرص بفتح الراء في فعل
وكسرها في يفعل وحرص يحرص بكسر الراء في فعل وفتحها في يفعل والقراءة على الفتح في
الماضي والكسر في المستقبل وهي لغة أهل الحجاز ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وأقسموا
بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ يقول
تعالى ذكره وحلف هؤلاء المشركون من قريش بالله جهد أيمانهم حلفهم لا يبعث الله من
يموت بعد مماته وكذبوا وأبطلوا في أيمانهم التي حلفوا بها كذلك بل سيبعثه الله بعد مماته وعد
عليه أن يبعثهم وعد عباده والله لا يخلف الميعاد ولكن أكثر الناس لا يعلمون يقول ولكن
أكثر قريش لا يعلمون وعد الله عباده أنه باعثهم يوم القيامة بعد مماتهم أحياء وبنحو الذي
قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال
ثنا سعيد عن قتادة قوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت تكذيبا بأمر الله
بأمر نا فان الناس صاروا في البعث فرقتين مكذب ومصدق ذكر لنا أن رجلا قال لابن عباس
ناسا بهذا العراق يزعمون أن عليا مبعوث قبل يوم القيامة ويتأولون هذه الآية فقال ابن عباس كذب
أولئك انما هذه الآية للناس عامة ولعمري لو كان علي مبعوثا قبل يوم القيامة ما أنكحنا نساءه
ولا قسمنا ميراثه حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة
قال ابن عباس ان رجالا يقولون ان عليا مبعوث قبل يوم القيامة ويتأولون وأقسموا بالله جهد
أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون قال لو كنا نعلم
أن عليا مبعوث ما تزوجنا نساءه ولا قسمنا ميراثه ولكن هذه للناس عامة حدثني المثنى قال
ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن أبيه عن الربيع في قوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله

ليست من شأنها الحركة والدب قال جار الله من دابة يجوز أن يكون بيانا لما فى السموات وما فى الارض جميعا على أن فى السموات خلقا لله يدبون فيها كما يدب الاناسى فى الارض وأن يكون بيانا لما فى الارض وحده وبرادعا فى السموات الخلق الذى يقال له الروح وأن يكون بيانا لما فى الارض وحده وبرادعا فى السموات الملائكة وكرر ذكرهم على معنى والملائكة خصوصا من بين الساجدين لانهم أطوع الخلق وأعدلهم ويجوز أن يرادبما فى السموات ملائكتهن وبقوله والملائكة ملائكة الارض من الحفظة وغيرهم انتهى كلامه ثم شرع سبحانه فى صفة الملائكة وذكر عصمتهم فقال (وهم لا يستكبرون يخافون) على أنه حال منهم أو بيان لنفى استكبارهم لان الخوف أثر عدم الاستكبار وقوله (من فوقهم) اما أن يتعلق بيخافون والمعنى يخافون ربهم أن يرسل عليهم عذابا من فوقهم واما أن يكون حالا من الرب أى يخافونه غالبا قاهرا وبحث الفوقية قد تقدم فى الانعام فى قوله وهو القاهر فوق عباده زعم بعض الطاعنين فى عصمة الملائكة أنه تعالى وصفهم بالخوف وحصول الخوف نتيجة تجويز الاقدام على الذنوب وهب أنهم فعلوا كل ما أمروا به فمن أين علم أنهم تركوا كل ما نهوا عنه والجواب عن الاول أنهم انما يخافون من العذاب لقوله تعالى ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم فمن هذا الخوف يتركون الذنب وعن ابن عباس أن هذا الخوف خوف الاجلال كقوله انما يخشى الله من عباده العلماء ولا ريب أنه كلما كانت معرفة جلال الله أتم كانت الهيبة والحيرة أعظم وعن الثانى أن النهى عن الشئ أمر بتركه وفى الآية دلالة على أن ابليس لم يكن من الملائكة لانه أبى واستكبر وانهم لا يستكبرون وقد يستدل بها على أن الملك أفضل من البشر بل من كل المخلوقات والا لما خصهم بالذكر من بينها ولخلوبواطنهم وظواهرهم عن الاخلاق الذميمة وانغماس البشر فى الدواعى الشهوية والغضبية ولهذا ورد فى حقه قتل الانسان ما أكفره وقال صلى الله عليه وسلم ما منا الا من قد عصى أو هم بمعصية غير يحيى بن زكريا وقال

من يموت قال حلف رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم عند رجل من المكذبين فقال والذى يرسل الروح من بعد الموت فقال وانك لتزعم أنك مبعوث من بعد الموت وأقسم بالله جهد يمينه لا يبعث الله من يموت حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى جعفر عن الربيع عن أبى العالية قال كان لرجل من المسلمين على رجل من المشركين دين فأتاه يتقاضاه فكان فيما تكلم به والذى أرجوه بعد الموت انه لكذا فقال المشرك انك لتزعم أنك تبعث بعد الموت فأقسم بالله جهد يمينه لا يبعث الله من يموت فأنزل الله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن عطاء بن أبى رباح أنه أخبره أنه سمع أبا هريرة يقول قال الله سبنى ابن آدم ولم يكن ينبغى له أن يسبنى وكذبنى ولم يكن ينبغى له أن يكذبنى فأما تكذيبه اياى فقال وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت قال قلت بلى وعدا عليه حقا وأما سبه اياى فقال ان الله ثالث ثلاثة وقلت قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ليبين لهم الذى يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين ﴾ يقول تعالى ذكره بل ليبعثن الله من يموت وعدا عليه حقا ليبين لهؤلاء الذين يزعمون أن الله لا يبعث من يموت ولغيرهم الذى يختلفون فيه من احياء الله خلقه بعد فنائهم وليعلم الذين يجحدون صحة ذلك وأنكروا حقيقته أنهم كانوا كاذبين فى قيلهم لا يبعث الله من يموت كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ليبين لهم الذى يختلفون فيه قال للناس عامة ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ انما قولنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون والذين هاجروا فى الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم فى الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ﴾ يقول تعالى ذكره انا اذا أردنا أن نبعث من يموت فلا تعب علينا ولا نصب فى احيائنا هم ولا فى غير ذلك مما نخلق ونكون ونحدث لانا اذا أردنا خلقه وانشاءه فانما نقول له كن فيكون لا معاناة فيه ولا كلفة علينا واختلفت القراء فى قراءة قوله يكون فقرأه أكثر قراء الحجاز والعراق على الابتداء وعلى أن قوله انما قولنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن كلام تام مكتف بنفسه عما بعده ثم يبتدأ فيقال فيكون كما قال الشاعر * يريد أن يعربه فيعجمه * وقرأ ذلك بعض قراء أهل الشام وبعض المتأخرين من قراء الكوفيين فيكون نصبا عطفا على قوله أن نقول له وكأن معنى الكلام على مذهبهم ما قولنا لشئ اذا أردناه الا أن نقول له كن فيكون وقد حكى عن العرب سماعا أريد أن آتيك فيمنعنى المطر عطفا بيمنعنى على أن آتيك وقوله والذين هاجروا فى الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم فى الدنيا حسنة يقول تعالى ذكره والذين فارقوا قومهم ودورهم وأوطانهم عداوة لهم فى الله على كفرهم الى آخرين غيرهم من بعد ما ظلموا يقول من بعد ما نيل منهم فى أنفسهم بالمكاره فى ذات الله لنبوئنهم فى الدنيا حسنة يقول لنسكننهم فى الدنيا مسكنا يرضونه صالحا وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله والذين هاجروا فى الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم قال هؤلاء أصحاب محمد ظلمهم أهل مكة فأخرجوهم من ديارهم حتى لحق طوائف منهم

أيضا صلى الله عليه وسلم الشيخ فى قومه كالنبى فى أمته فضل الشيخ على الشاب لتقادم عهده وطول مدته ولاشك أن الملائكة خلقوا قبل البشر بسنين متطاولة وقرون متمادية وأنهم سنوا الطاعة والعبودية ومن سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها وتمام البحث فى هذه المسئلة مذكور فى أول سورة البقرة وفى قوله (٧٤) (مايؤمرون) دلالة على أن الملائكة مكلفون بالامر والنهى والوعد والوعيد راجين خائفين ولما بين أن كل ماسواه فى عالمى الارواح والاجسام فانه منقاد خاضع لجلاله وكبريائه أتبعه النهى عن الشرك قائلا (وقال الله لاتتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد) فسئل ان التثنية والواحد حيث كانا يدلان على العدد الخاص فما الفائدة فى وصف الهين باثنين ووصف اله بواحد وأجيب بوجوه منها قول صاحب النظم ان فيه تقديما وتأخيرا أى لاتتخذ وا اثنين الهين ومنها أنه كررت العبارة لاجل المبالغة فى التنفير عن اتخاذ الشريك ومنها قول لاهل المعانى ان فائدة الوصف والبيان هى أن يعلم أن النهى راجع الى التعدد لا الى الخمسة ولهذا الوقت انما هو اله ولم تؤكده بواحد سبق الى الوهم أنك تثبت الالهية لا الوحدانية وكيف لايحتاج المقام الى التوكيد والاثنينية منافية للالهية لاستلزام تعدد الواجب كون كل منهما مركبا من جزأين مابه الاشتراك فى الوجوب الذاتى ومابه الامتياز ولكن التركب يوجب الافتقار الى البسائط والافتقار ينافى الوجوب ودليل التمانع أيضا يعين على المطلوب كما لو أراد أحدهما تحريك جسم معين وأراد الآخر تسكينه أوقوى أحدهما على مخالفة الآخر أولا يقوى أوقدر أحدهما على أن يستر ملكه عن الآخر أو لايقدر ثم نقل الكلام عن الغيبة الى التكلم على طريقة الالتفات قائلا (فاياى فارهبون) وقدم مثله فى أول البقرة ثم لما قرر وحدته وأنه يجب الذكر أن يخص بالرهبة منه والرغبة اليه ذكر أن الكل ملكه فقال (وله مافى السموات والارض) فقالت الاشاعرة ليس المراد من كونها له أنها مفعولة لأجله ولغرض طاعته لأن فيها المباحات والمحظورات التى يؤتى بها لغرض الشهوة واللذة لالغرض الطاعة فالمراد أن كلها

بالحبشة ثم بوأهم الله المدينة بعد ذلك فجعلها لهم دار هجرة وجعل لهم أنصارا من المؤمنين حدثت عن القاسم بن سلام قال ثنا هشيم عن داود بن أبى هند عن الشعبى لنبوئنهم فى الدنيا حسنة قال المدينة **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله والذين هاجروا فى الله من بعد ماظلموا لنبوئنهم فى الدنيا حسنة قال هم قوم هاجروا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل مكة بعد ظلمهم وظلمهم المشركون * وقال آخرون عنى بقوله لنبوئنهم فى الدنيا حسنة لنرزقنهم فى الدنيا رزقا حسنا ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء **وحدثنى** المثنى قال أخبرنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد لنبوئنهم لنرزقنهم فى الدنيا رزقا حسنا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنى** الحرث قال ثنا القاسم قال ثنا هشيم عن العوام عمن حدثه أن عمر بن الخطاب كان اذا أعطى الرجل من المهاجرين عطاءه يقول خذ بارك الله لك فيه هذا ماوعدك الله فى الدنيا وماذخر لك فى الآخرة أفضل ثم تلا هذه الآية لنبوئنهم فى الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون * وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال معنى لنبوئنهم لنحلنهم ولنسكننهم لان التبوأ فى كلام العرب الحلول بالمكان والنزول به ومنه قول الله تعالى واقد بوأنا بنى اسرائيل مبوأ صدق وقيل ان هذه الآية نزلت فى أبى جندل بن سهيل ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق قال ثنا جعفر بن سليمن عن داود بن أبى هند قال نزلت والذين هاجروا فى الله من بعد ماظلموا الى قوله وعلى ربهم يتوكلون فى أبى جندل بن سهيل وقوله ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون يقول ولثواب الله اياهم على هجرتهم فيه فى الآخرة أكبر لأن ثوابه اياهم هنالك الجنة التى يدوم نعيمها ولايبيد وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال قال الله ولأجر الآخرة أكبر إى والله لما يثيبهم الله عليه من جنته أكبر لو كانوا يعلمون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون﴾ يقول تعالى ذكره هؤلاء الذين وصفنا صفتهم وآتيناهم الثواب الذى ذكرناه الذين صبروا فى الله على ما نابهم فى الدنيا وعلى ربهم يتوكلون يقول وبالله يثقون فى أمورهم واليه يستندون فى نوائب الامور التى تنوبهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وما أرسلنا من قبلك يا محمد الى أمة من الامم للدعاء الى توحيدنا والانتهاء الى أمرنا ونهينا الا رجالا من بنى آدم نوحى اليهم وحينا لا ملائكة يقول فلم نرسل الى قومك الا مثل الذى كنا نرسل الى من قبلهم من الامم من جنسهم وعلى منهاجهم فاسئلوا أهل الذكر يقول لمشركى قريش وان كنتم لاتعلمون أن الذين كنا نرسل الى من قبلكم من الامم رجال من بنى آدم مثل محمد صلى الله عليه وسلم وقلتم هم ملائكة أى ظننتم أن الله كلهم قبلا فاسئلوا أهل

بتخليقه وتكوينه ومن جملة ذلك أفعال العباد ثم قال (وله الدين واصبا) فالدين الطاعة والواصب الدائم ومفازة واصبة بعيدة لا غاية لها ويقال للمريض وصب لكون ذلك المرض لازما له وانتصابه على الحال والعامل فيه ما فى الظرف من معنى الفعل قال ابن قتيبة ليس من أحد يدان له ويطاع الا انقطع ذلك بسبب فى حال الحياة أو الموت الا الحق سبحانه فان طاعته واجبة أبدا ويحتمل أن يكون الدين بمعنى الملة أى وله الدين ذا كلفة ومشقة ولذلك سمى تكليفا أو وله الجزاء سرمدا لا يزول يعنى الثواب والعقاب وقال بعض المتكلمين المحققين قوله وله ما فى السموات والارض اشارة الى احتياج الكل اليه فى حال حدوثه وقوله وله الدين أى الانقياد واصبا اشارة الى أن جميع الممكنات مفتقرة الى فيضه وجوده فى حال وجوده لان الصحيح أن الممكن حال بقائه لا يستغنى عن المرجح ثم أنكر أن يكون الممكن مع شدة افتقاره اليه يخشى غيره فقال (أفغير الله تتقون) ثم من عليهم بقوله (وما بكم من نعمة فمن الله) ما بمعنى الذى و بكم صلته ومن نعمة حال من الضمير فى الجار أو بيان لما وقوله فمن الله الخبر وقيل ما شرطية وفعل الشرط محذوف أى ما يكن وقال جار الله معناه أى شئ حل بكم أو اتصل بكم من نعمة فهو من الله قال الاشاعرة أفضل النعم نعمة الايمان والآية تفيد العموم فهو من نعم الله والنعمة اما دينية وهى معرفة الحق لذاته ومعرفة الخير لاجل العمل به واما دنيوية نفسانية أو بدنية أو خارجة كالسعادات المالية وغيرها وكل واحدة من هذه جنس تحتها أنواع لا حصر لها والكل من الله فعلى العاقل أن لا يشكر الا اياه ثم بين تلون حال الانسان بعد استغراقه فى بحار نعم الله قائلا (ثم اذا مسكم الضر فاليه تجارون) ما تتضرعون الا اليه والجؤار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة (ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون) قال جار الله يجوز أن يكون الخطاب فى قوله وما بكم عاما ويريد بالفريق الكفرة وأن الخطاب للمشركين ومنكم للبيان لا للتبعيض كأنه قال فاذا فريق كافر وهم أنتم ويجوز أن يكون فيهم من اعتبر كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد أقول وأظهر الوجهين الأول والمعنى أن فريقا

الذكر وهم الذين قد قرؤا الكتب من قبلهم التوراة والانجيل وغير ذلك من كتب الله التى أنزلها على عباده وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربى عن ليث عن مجاهد فاسئلوا أهل الذكر قال أهل التوراة حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربى عن سفيان قال سألت الاعمش عن قوله فاسئلوا أهل الذكر قال سمعنا أنه من أسلم من أهل التوراة والانجيل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون قال هم أهل الكتاب حدثنا أبو كريب قال ثنا عبيد الله عن اسرائيل عن أبى يحيى عن مجاهد عن ابن عباس فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون قال قال المشركى قريش ان محمدا فى التوراة والانجيل حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس قال لما بعث الله محمدا رسولا أنكرت العرب ذلك أو من أنكر منهم وقالوا الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا مثل محمد قال فأنزل الله أكان للناس عجبا أن أوحينا الى رجل منهم وقال وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر فاسئلوا أهل الذكر يعنى أهل الكتب الماضية أبشرا كانت الرسل التى أتتكم أم ملائكة فان كانوا ملائكة أنكرتم وان كانوا بشرا فلا تنكروا أن يكون محمد رسولا قال ثم قال وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم من أهل القرى أى ليسوا من أهل السماء كما قلتم * وقال آخرون فى ذلك ما حدثنا به ابن وكيع قال ثنا ابن يمان عن اسرائيل عن جابر عن أبى جعفر فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون قال نحن أهل الذكر حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون قال الذكر القرآن وقرأ انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقرأ ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم الآية * القول فى تأويل قوله تعالى ﴿بالبينات والزبر وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون﴾ يقول تعالى ذكره أرسلنا بالبينات والزبر رجالا نوحى اليهم فان قال قائل وكيف قيل بالبينات والزبر وما الجالب لهذه الباء فى قوله بالبينات فان قلت جالبها قوله أرسلنا وهى من صلته فهل يجوز أن تكون صلة ما قبل الا بعدها وان قلت جالبها غير ذلك فما هو وأين الفعل الذى جلبها قيل قد اختلف أهل العربية فى ذلك فقال بعضهم الباء التى فى قوله بالبينات من صلة أرسلنا وقال الا فى هذا الموضع ومع الجحد والاستفهام فى كل موضع بمعنى غير وقال معنى الكلام وما أرسلنا من قبلك بالبينات والزبر غير رجال نوحى اليهم ويقول على ذلك ما ضرب الا أخوك زيدا وهل كلم الا أخوك عمرا بمعنى ما ضرب زيدا غير أخيك وهل كلم عمرا الا أخوك ويحتج فى ذلك بقول أوس بن حجر

أبنى لبينى لستم بيد * الا يد ليست لها عضد

ويقول لو كانت الا بغير معنى غير لفسد الكلام لان الذى خفض الباء قبل الا لا يقدر على اعادته بعد الا لخفض اليد الثانية ولكن معنى الا معنى غير ويستشهد أيضا بقول الله عز وجل لو كان

منكم يبقى على مثل ما كان عليه عند الضر فى أن لا يفزع الا الى الله وفريقا يتغير عن حاله فيشرك بالله ولعل هذه صفة لازمة لجوهر الانسان ولهذا قال (ليكفروا) كأنهم جعلوا غرضهم فى الشرك كفران النعمة ويجوز أن تكون لام العاقبة يعنى عاقبة تلك التضرعات ما كانت الا هذا الكفران والمراد بقوله (بما آتيناهم) كشف (٧٦) الضر وازالة المكروه أو القرآن والشرائع أو جميع النعم الظاهرة والباطنة التى أنعم الله بها على الانسان ثم قال على سبيل التهديد وبطريقة الالتفات نظرا الى أول الكلام (فتمتعوا فسوف تعلمون) عاقبة كفركم ومثله فى الروم كما سيجىء وأما فى العنكبوت فانه قال ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا بالعطف على القياس ثم حكى نوعا آخر من قبائح أعمال بنى ادم فقال (ويجعلون لما لا يعلمون) الضمير الاول للمشركين والثانى قيل لهم وقيل للاصنام التى لا توصف بالعلم والشعور ورجح الاول بأن نفى العلم عن الحى حقيقة وعن الجماد مجاز وبأن جمع السلامة بالعقلاء أليق وقدر جح الثانى بأن الاول يفتقر الى الاضمار كما لو قيل ويجعلون لما لا يعلمون فى طاعته نفعا ولا فى الاعراض عنه ضرا وقال مجاهد يعلمون أن الله خلقهم ويضرهم وينفعهم ثم يجعلون لما لا يعلمون أنه يضرهم (نصيبا) أو ويجعلون لما لا يعلمون الاهيتها أو السبب فى صيرورتها معبودة والمراد بجعل النصيب ما مر فى الانعام فى قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا وقيل البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى عن الحسن وقيل هم المنجمون الذين يزعمون موجودات هذا العالم على الكواكب السبعة فيقولون لزحل كذا وكذا من المعادن والنبات والحيوان وللمشترى كذا الى آخر الكواكب ثم أوعدهم الله بقوله (تالله لتسئلن عما كنتم تفترون) على الله من أن له شريكا وأن الأصنام أهل للتقرب اليها مع أنه لا شعور لها بشئ أصلا أو المراد بالافتراء قولهم هذا حلال وهذا حرام من غير اذن شرعى أو قولهم ان لغير الله تأثيرا فى هذا العالم ومتى يكون هذا السؤال قيل عند القرب من الموت ومعاينة ملائكة العذاب وقيل فى القبر والأقرب أنه فى الآخرة وهذا فى هؤلاء قال

فيهما آلهة الا الله ويقول الا بمعنى غير فى هذا الموضع وكان غيره يقول انما هذا على كلامين يريد وما أرسلنا من قبلك الا رجالا أرسلنا بالبينات والزبر قال وكذلك قول القائل ما ضرب الا أخوك زيدا معناه ما ضرب الا أخوك ثم يبتدئ ضرب زيدا وكذلك ما مر الا أخوك بزيد ما مر الا أخوك ثم يقول مر بزيد ويستشهد على ذلك ببيت الاعشى

وليس مجيرا ان أتى الحى خائف * ولا قائلا الا هو المتعيبا

ويقول لو كان ذلك على كلام لكان خطأ لان المتعيبا من صلة القائل ولكن جاز ذلك على كلامين وكذلك قول الآخر

نبئتهم عذبوا بالنار جارهم * وهل يعذب الا الله بالنار

فتأويل الكلام اذا وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم أرسلناهم بالبينات والزبر وأنزلنا اليك الذكر والبينات هى الادلة والحجج التى أعطاها الله رسله أدلة على نبوتهم شاهدة لهم على حقيقة ما أتوا به الهم من عند الله والزبر هى الكتب وهى جمع زبور من زبرت الكتاب وزبرته اذا كتبته وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد ابن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس بالبينات والزبر قال الزبر الكتب حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بالبينات والزبر قال الآيات والزبر الكتب حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال الزبر الكتب حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وبالزبر يعنى بالكتب وقوله وأنزلنا اليك الذكر يقول وأنزلنا اليك يا محمد هذا القرآن تذكيرا للناس وعظة لهم لتبين للناس يقول لتعرفهم ما أنزل اليهم من ذلك ولعلهم يتفكرون يقول ويتذكر وا فيه ويعتبروا به أى بما أنزلنا اليك وقد حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق قال ثنا الثورى قال قال مجاهد ولعلهم يتفكرون قال يعتبرون ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون ﴾ يقول تعالى ذكره أفأمن الذين ظلموا المؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فراموا أن يفتنوهم عن دينهم من مشركى قريش الذين قالوا اذ قيل لهم ماذا أنزل ربكم أساطير الاولين صدا منهم لمن أراد الايمان بالله عن قصد السبيل أن يخسف الله بهم الارض على كفرهم وشركهم أو يأتيهم عذاب الله من مكان لا يشعر به ولا يدرى من أين يأتيه وكان مجاهد يقول عنى بذلك نمرود بن كنعان حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الارض الى قوله أو يأخذهم على تخوف قال هو نمرود بن كنعان وقومه حدثنا القاسم

الاقوام خاصة كقوله فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون فى الامم عامة قوله (ويجعلون لله البنات) نوع آخر من القبائح وكانت خزاعة وكنانة تقول الملائكة بنات الله قال الامام فخر الدين الرازى أظن أن ذلك لان الملائكة يستترون عن العيون كالنساء ومنه اطلاق التأنيث على الشمس لاستتارها عن أن تدرك بالابصار لضوئها الباهر ونورها القاهر (سبحانه) تنزيه لذاته عن نسبة الولد اليه أو تعجب من قولهم ومحل ما فى قوله (ولهم ما يشتهون) اما الرفع على الابتداء أو النصب أى وجعلوا لهم ما يشتهون يعنى البنين وأبى الزجاج جواز النصب وقال لان العرب لا تقول جعل له كذا وهو يعنى نفسه وانما تقول جعل لنفسه كذا فلو كان منصوبا بالقيل ولانفسهم ما يشتهون ثم ذكر غباوة كراهتهم للاناث التى جعلوها لله تعالى فقال (واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه) أى صار (مسودا) ويحتمل أن يكون استعمل ظل لان وضع الحمل يتفق بالليل غالبا فيظل نهاره مسود الوجه (وهو كظيم) مملوء غما وحزنا وغيظا على المرأة قال أهل المعانى جعل اسوداد الوجه كناية عن الغم والكآبة لان الانسان اذا قوى فرحه انبسط الروح من قلبه ووصل الى الأطراف ولاسيما الى الوجه لما بين القلب والدماغ من التعلق الشديد فاستنار الوجه وأشرق واذا قوى غمه انحصر الروح فى داخل القلب ولم يبق منه أثر قوى على الوجه فيتربد الوجه لذلك ويصفر أو يسود (يتوارى) يستخفى (من القوم من سوء ما بشر به) من أجل سوء المبشر به ولم يظهر أياما يحدث نفسه ويدبر فيها ماذا يصنع بها وذلك قوله (أيمسكه) أى يحبسه (على هون) ذل وهوان والظاهر أن هذا صفة المولود أى يمسكها على هوان منه لها وقال عطاء عن ابن عباس انه صفة الاب أى يمسكها مع الرضا بهوان نفسه (أم يدسه فى التراب) أى يئده والدس اخفاء الشئ فى الشئ وانما ذكر الضمير فى يمسكه ويدسه باعتبار ما بشر به كانوا مختلفين فى قتل البنات فمنهم من يحفر الحفيرة ويدفنها الى أن تموت ومنهم من يرميها من شاهق جبل ومنهم من يغرقها ومنهم من يذبحها وكانوا يفعلون ذلك تارة للغيرة والحمية وأخرى خوفا من الفقر والفاقة ولزوم النفقة روى أن رجلا قال يارسول الله والذى بعثك بالحق ما أحد حلاوة الاسلام

قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وانما اخترنا القول الذى قلناه فى تأويل ذلك لأن ذلك تهديد من الله أهل الشرك به وهو عقيب قوله وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون فكان تهديد من لم يقر بحجة الله الذى جرى الكلام بخطابه قبل ذلك أحرى من الخبر عمن انقطع ذكره عنه وكان قتادة يقول فى معنى السيئات فى هذا الموضع ما حدثنا به بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أفأمن الذين مكروا السيئات أى الشرك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أو يأخذهم فى تقلبهم فما هم بمعجزين أو يأخذهم على تخوف فان ربكم لرؤوف رحيم﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله أو يأخذهم فى تقلبهم أو يهلكهم فى تصرفهم فى البلاد وترددهم فى أسفارهم فما هم بمعجزين يقول جل ثناؤه فانهم لا يعجزون الله من ذلك ان أراد أخذهم كذلك وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى وعلى بن داود قالا ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله أو يأخذهم فى تقلبهم يقول فى اختلافهم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أو يأخذهم فى تقلبهم فما هم بمعجزين قال ان شئت أخذته فى سفره حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة أو يأخذهم فى تقلبهم فى أسفارهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة مثله * وقال ابن جريج فى ذلك ما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج أو يأخذهم فى تقلبهم قال التقلب أن يأخذهم بالليل والنهار وأما قوله أو يأخذهم على تخوف فانه يعنى أو يهلكهم بتخوف وذلك بتنقص من أطرافهم ونواحيهم الشئ بعد الشئ حتى يهلك جميعهم يقال منه تخوف مال فلان الانفاق اذا انتقصه ونحو تخوفه من التخوف بمعنى التنقص قول الشاعر

تخوف السير منها تامكا قردا * كما تخوف عود النبعة السفن

يعنى بقوله تخوف السير تنقص سنامها وقد ذكرنا عن الهيثم بن عدى أنه كان يقول هى لغة لأزد شنوءة معروفة لهم ومنه قول الآخر

تخوف عدوهم مالى وأهدى * سلاسل فى الحلوق لها صليل

وكان الفراء يقول العرب تقول تخوفته أى تنقصته تخوفا أى أخذته من حافاته وأطرافه قال فهذا الذى سمعته وقد أتى التفسير بالحاء وهما بمعنى قال ومثله ما قرئ بوجهين قوله ان لك فى النهار سبحا وسبخا وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن المسعودى عن ابراهيم بن عامر بن مسعود عن رجل عن عمر أنه سألهم عن هذه الآية أو يأخذهم فى تقلبهم فما هم بمعجزين أو يأخذهم على تخوف فقالوا ما نرى الا أنه عند تنقص ما يرد من الآيات فقال عمر ما أرى الا أنه على ما تنتقصون من معاصى الله قال فخرج رجل ممن كان عند عمر فلقى أعرابيا فقال يافلان ما فعل ربك قال قد تخيفته يعنى تنقصته قال فرجع الى عمر فأخبره فقال قد رأى الله ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى

وقد كانت لى فى الجاهلية ابنة وأمرت امرأتى أن تزينها وأخرجتها فلما انتهيت الى وادبعيد القعر ألقيتها فقالت يا أبتى قتلتنى فكلما ذكرت قولها لم ينفعنى شئ فقال صلى الله عليه وسلم ما فى الجاهلية فقد هدمه الاسلام وما فى الاسلام يهدمه الاستغفار ولا ريب أن الانثى التى هذا محلها عندهم كانت فى غاية الكراهية والتنفير ومع ذلك (٧٨) أثبتوها لله المتعالى عن الصاحبة والولد فلذلك قال (ألا ساء ما يحكمون للذين لا يؤمنون بالآخرة) ولهذا يقدمون على القتل والايذاء (مثل السوء) وصفة السوء وهى الحاجة الى الاولاد الذكور وكراهة الاناث ووأدهن خشية الاملاق والتزام الشح البالغ (ولله المثل الأعلى) وهو اضداد صفات المخلوقين من الغنى الكامل والجود الشامل (وهو العزيز) الذى لا يغالب فلا يستضر بأن ينسب اليه ما لا يليق به (الحكيم) فى خلق الذكور والاناث أو فى الوعيد على قتل البنات قال القاضى ان هؤلاء المشركين استحقوا الذم باضافة البنات الى الله وانه أسهل من اضافة الفواحش والقبائح كلها اليه وهذا شأن المجبرة وأجابت الاشاعرة بأنه ليس كل ما قبح منا فى العرف فانه يقبح من الله ألا ترى أن رجلا لو زين اماءه وعبيده وبالغ فى تحسين صورهن وتقوية الشهوة فيهم وفيهن ثم جمع بين الكل وأزال الحائل والمانع فان هذا بالاتفاق حسن من الله تعالى وقبيح من كل الخلق فعلمنا أن التعويل على هذه الوجوه المبنية على العرف انما يحسن اذا كانت مسبوقة بالدلائل القطعية اليقينية وقد ثبت بالبراهين القطعية امتناع الولد على الله تعالى فلا جرم حسنت تقويتها بهذه الوجوه الاقناعية أما أفعال العباد فقد ثبت بالدلائل اليقينية أن خالقها هو الله تعالى فكيف يمكن الحاق احدى الصورتين بالاخرى والله أعلم ۞ التأويل أن يخسف الله بهم أرض البشرية ودركات السفل أو يأتيهم العذاب بالمكر والاستدراج من حيث لا يشعرون أنه من أين أتاهم من قبل الاعمال الدنيوية أو من قبل الاعمال الاخروية أو يأخذهم فى تقلبهم من أعمال الدنيا الى أعمال الآخرة بالرياء ومن أعمال الآخرة الى أعمال الدنيا بالهوى أو يأخذهم على تخوف تنقص من مقاماتهم ودرجاتهم بلا شعورهم فان ربكم لرؤف بالعباد

عن أبيه عن ابن عباس أو يأخذهم على تخوف يقول ان شئت أخذته على أثر موت صاحبه وتخوف بذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس على تخوف قال التنقص والتفزيع حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أو يأخذهم على تخوف على تنقص حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنى المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبدالله عن ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد على تخوف قال تنقص حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أو يأخذهم على تخوف فيعاقب أو يتجاوز حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أو يأخذهم على تخوف قال كان يقال التخوف التنقص ينتقصهم من البلدان من الاطراف حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله أو يأخذهم على تخوف يعنى يأخذ العذاب طائفة ويترك أخرى يعذب القرية ويهلكها ويترك أخرى الى جنبها وقوله فان ربكم لرؤف رحيم يقول فان ربكم ان لم يأخذ هؤلاء الذين مكروا السيئات بعذاب معجل لهم وأخذهم بموت وتنقص بعضهم فى أثر بعض لرؤف بخلقه رحيم بهم ومن رأفته ورحمته بهم لم يخسف بهم الارض ولم يعجل لهم العذاب ولكن يخوفهم وينقصهم بموت ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أولم يروا الى ما خلق الله من شئ يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون﴾ اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والمدينة والبصرة أولم يروا بالياء على الخبر عن الذين مكروا السيئات وقرأ ذلك بعض قراء الكوفيين أولم تروا بالتاء على الخطاب * وأولى القراءتين عندى بالصواب قراءة من قرأ بالياء على وجه الخبر عن الذين مكروا السيئات لان ذلك فى سياق قصصهم والخبر عنهم ثم عقب ذلك الخبر عن ذهابهم عن حجة الله عليهم وتركهم النظر فى أدلته والاعتبار بها فتأويل الكلام اذا أولم يرهؤلاء الذين مكروا السيئات الى ما خلق الله من جسم قائم شجرا أو جبلا أو غير ذلك يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل يقول يرجع من موضع الى موضع فهو فى أول النهار على حال ثم يتقلص ثم يعود الى حال أخرى فى آخر النهار وكان جماعة من أهل التأويل يقولون فى اليمين والشمائل ما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أولم يروا الى ما خلق الله من شئ يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله أما اليمين فأول النهار وأما الشمال فآخر النهار حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة بنحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل قال الغدو والآصال اذا فاءت الظلال ظلال كل شئ بالغدو سجدت لله واذا فاءت بالعشى سجدت لله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل يعنى بالغدو والآصال تسجد الظلال لله غدوة الى أن ينتهى الظل ثم تسجد لله الى الليل يعنى ظل كل شئ وكان ابن عباس يقول فى قوله يتفيأ ظلاله ما حدثنا المثنى قال

اذ أعطاهم حسن الاستعداد رحيم حين لا يأخذهم بعد افساد الاستعداد فى الحال لعلهم يتوبون فى المآل فيقبل توبتهم بالفضل والنوال ماخلق الله من شئ وهو عالم الاجسام فان عالم الارواح خلق من لا شئ يتفيأ ظلاله فان الاجسام ظلال الارواح فتارة تميل بعمل أهل السعادة الى أصحاب اليمين وأخرى تميل بعمل أهل الشقاء الى أصحاب الشمال سجدا لله منقادين لأمره مسخرين لما خلقوا لاجله وانما

أخبرنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله يتفيأ ظلاله يقول تميل واختلف فى معنى قوله سجدا لله فقال بعضهم ظل كل شئ سجوده ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة يتفيأ ظلاله قال ظل كل شئ سجوده **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا اسحق الرازى عن أبى سنان عن ثابت عن الضحاك يتفيأ ظلاله قال سجد ظل المؤمن طوعا وظل الكافر كرها * وقال آخرون بل عنى بقوله يتفيأ ظلاله كلا عن اليمين والشمائل فى حال سجودها قالوا وسجود الاشياء غير ظلالها ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد **وحدثنى** نصر بن عبد الرحمن الاودى قالا ثنا حكام عن أبى سنان عن ثابت عن الضحاك فى قول الله أولم يروا الى ما خلق الله من شئ يتفيأ ظلاله قال اذا فاء الفئ توجه كل شئ ساجدا قبل القبلة من نبت أو شجر قال فكانوا يستحبون الصلاة عند ذلك **حدثنى** المثنى قال أخبرنا الحمانى قال ثنا يحيى بن يمان قال ثنا شريك عن منصور عن مجاهد فى قول الله يتفيأ ظلاله قال اذا زالت الشمس سجد كل شئ لله عز وجل * وقال آخرون بل الذى وصف الله بالسجود فى هذه الآية ظلال الاشياء فانما يسجد ظلالها دون التى لها الظلال ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله أولم يروا الى ما خلق الله من شئ يتفيأ ظلاله قال هو سجود الظلال ظلال كل شئ ما فى السموات وما فى الارض من دابة قال سجود ظلال الدواب وظلال كل شئ **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أولم يروا الى ما خلق الله من شئ يتفيأ ظلاله ما خلق من كل شئ عن يمينه وشمائله فلفظ ما لفظ عن اليمين والشمائل قال ألم تر أنك اذا صليت الفجر كان ما بين مطلع الشمس الى مغربها ظلا ثم بعث الله عليه الشمس دليلا وقبض الله الظل * وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال ان الله أخبر فى هذه الآية أن ظلال الاشياء هى التى تسجد وسجودها ميلانها ودورانها من جانب الى جانب وناحية الى ناحية كما قال ابن عباس يقال من ذلك سجدت النخلة اذا مالت وسجد البعير وأسجد اذا أميل للركوب وقد بينا معنى السجود فى غير هذا الموضع بما أغنى عن اعادته وقوله وهم داخرون يعنى وهم صاغرون يقال منه دخر فلان لله يدخر دخرا ودخورا اذا ذل له وخضع ومنه قول ذى الرمة

فلم يبق الا داخر فى مخيس * ومنجحر فى غير أرضك فى جحر

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وهم داخرون صاغرون **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وهم داخرون أى صاغرون **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة مثله وأما توحيد اليمين فى قوله عن اليمين والشمائل فجمعها فان ذلك انما جاء كذلك لان معنى الكلام أولم يروا الى ما خلق الله من شئ يتفيأ ظلال ما خلق

وحد اليمين وجمع الشمال لكثرة أصحاب الشمال وسجود كل موجود يناسب حاله كما أن تسبيح كل منهم يلائم لسانه وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين أراد بالاله الآخر الهوى لقوله صلى الله عليه وسلم ما عبد الله أبغض على الله من الهوى ويجعلون يعنى أصحاب النفوس والأهواء لما لا يعلمون لمن لا علم لهم بأحوالهم نصيبا بالرياء مما رزقناهم من الطاعات تالله لتسئلن عما كنتم تفترون والسؤال عن المعاملات انما هو بتبديل الصفات وتغير الاحوال من سمة السعادة الى سمة الشقاوة وبالعكس ويجعلون لله البنات أظن أن البنات اشارة الى صفات فيها نوع نقص كالتجسيم والتشبيه والحلول والاتحاد ونسبته الى الظلم والجور والتعطيل وعدم الاستقلال بالتأثير وغير ذلك مما لا يليق بغاية جلاله ونهاية كماله فلهذا قال سبحانه ولهم ما يشتهون يعنى أن كل أحد يحب أن يوصف بغاية الكمال ويتغير وجهه اذا نبه على عيب فيه ولا يعلم أن مطلق الكمال لا يليق الا بالواجب بالذات ونفس الامكان نقصان يستلزم جميع النقصانات والله يقول الحق وهو يهدى السبيل

﴿ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ويجعلون لله ما يكرهون وتصف

ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرطون تالله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الارض بعد موتها ان فى ذلك لآية لقوم يسمعون وان لكم فى الانعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين

ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ان فى ذلك لآية لقوم يعقلون وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون والله خلقكم ثم يتوفاكم (٨٠) ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيأ ان الله عليم قدير

من شئ عن يمينه أى ماخلق وشمائله فلفظ مالفظ واحد ومعناه معنى الجمع فقال عن اليمين بمعنى عن يمين ماخلق ثم رجع الى معناه فى الشمائل وكان بعض أهل العربية يقول انما تفعل العرب ذلك لان أكثر الكلام مواجهة الواحد الواحد فيقال للرجل خذ عن يمينك قال فكأنه اذا وحد ذهب الى واحد من القوم واذا جمع فهو الذى لا مساءلة فيه واستشهد لفعل العرب ذلك بقول الشاعر

بنى الشامتين الصخر ان كان هدنى ٭ (١) ودبه شبلى مخدر فى الضراغم

فقال بنى الشامتين ولم يقل بأفواه وقول الآخر

الواردون وهم فى ذرى سبا ٭ قد عض أعناقهم جلد الجواميس

ولم يقل جلود ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولله يسجد ما فى السموات وما فى الارض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون ﴾ يقول تعالى ذكره ولله يخضع ويستسلم لأمره ما فى السموات وما فى الارض من دابة يدب عليها والملائكة التى فى السموات وهم لا يستكبرون عن التذلل له بالطاعة والذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون وظلالهم تتفيأ عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون وكان بعض نحويى البصرة يقول اجتزئ بذكر الواحد من الدواب عن ذكر الجميع وانما معنى الكلام ولله يسجد ما فى السموات وما فى الارض من الدواب والملائكة كما يقال ما أتانى من رجل بمعنى ما أتانى من الرجال وكان بعض نحويى الكوفة يقول انما قيل من دابة لان ماوان كانت قد تكون على مذهب الذى فانها غير مؤقتة فاذا أبهمت غير مؤقتة أشبهت الجزاء والجزاء يدخل من فيما جاء من اسم بعده من النكرة فيقال من ضربه من رجل فاضربوه ولا تسقط من من هذا الموضع كراهية أن تشبه أن تكون حالا لمن وما فجعلوه بمن ليدل على أنه تفسير لما ومن لانهما غير مؤقتتين فكان دخول من فيما بعدهما تفسيرا لمعناهما وكان دخول من أدل على ما لم يؤقت من من وما فلذلك لم تلغيا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ يقول تعالى ذكره يخاف هؤلاء الملائكة التى فى السموات وما فى الارض من دابة ربهم من فوقهم أن يعذبهم ان عصوا أمره ويفعلون ما يؤمرون يقول ويفعلون ما أمرهم الله به فيؤدون حقوقه ويجتنبون سخطه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فاياى فارهبون ﴾ يقول تعالى ذكره وقال الله لعباده لا تتخذوا لى شريكا أيها الناس ولا تعبدوا معبودين فانكم اذا عبدتم معى غيرى جعلتم لى شريكا ولا شريك لى انما هو اله واحد ومعبود واحد وأنا ذلك فاياى فارهبون يقول فاياى فاتقوا وخافوا عقابى بمعصيتكم اياى ان عصيتمونى وعبدتم غيرى أو أشركتم فى عبادتكم لى شريكا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وله ما فى السموات والارض وله الدين واصبا أفغير الله تتقون ﴾ يقول تعالى ذكره ولله ملك ما فى السموات والارض من شئ لا شريك له فى شئ من ذلك هو الذى خلقهم وهو الذى يرزقهم وبيده حياتهم وموتهم وقوله وله الدين واصبا يقول جل ثناؤه وله الطاعة والاخلاص دائما ثابتا واجبا يقال منه وصب

(١) لم نقف على هذا البيت ولا الذى بعده ولا يخلوان من التحريف حرر كتبه مصححه

﴿ القراآت ﴾ لاجرم فى المدمثل لاريب فيه مفرطون بكسر الراء المشددة يزيد مفرطون بكسر الراء المخففة نافع وقتيبة الباقون بفتحها مخففة نسقيكم بفتح النون نافع وابن عامر وسهل ويعقوب وأبو بكر وحماد الآخرون بضمها ۞ الوقوف مسمى ج للظرف مع الفاء ولا يستقدمون ○ الحسنى ط وقيل على لا ثم يبدأ بجرم وهو تكلف مفرطون ○ أليم ○ فيه لا للعطف على موضع لتبين تقديره الا تبيانا وهدى يؤمنون ○ موتها ط يسمعون ○ لعبرة ط لانه لو وصل اشتبه ما بعده بالوصف للشاربين ○ حسنا ط يعقلون ○ يعرشون ○ ج للعطف ذللا ط للعدول للناس ط يتفكرون ○ شيأ ط قدير ○ ۞ التفسير لما حكى عن القوم عظيم كفرهم وفظيع قولهم بين غاية كرمه وسعة رحمته حيث انه لا يعاجلهم بالعقوبة فقال (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم) الآية فزعم بعض الطاعنين فى عصمة الانبياء أنه أضاف الظلم الى ضمير الناس والانبياء من جملة الناس فوجب أن يكونوا ظالمين عاصين ويؤكد هذا قوله (ما ترك عليها من دابة) فانه لو لم يصدر من الانبياء ذنب لم يكن لافنائهم وجه وحينئذ لم يصدق أنه لم يبق على الارض واحد والجواب لانسلم عموم الناس فى الآية لقوله سبحانه فى موضع آخر فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات ولاريب أن المقتصدين والسابقين ليسوا ظالمين فاذن المراد بالناس اما كل العصاة الذين استحقوا العقاب أو الذين تقدم ذكرهم من المشركين وأما قوله من دابة فعن ابن عباس أنه أراد من مشرك يدب عليها نظيره قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا ولو سلم أن المراد بها كل من يدب عليها فلعل الهلاك فى حق الظلمة يكون عذابا وفى غيرهم امتحانا فقد وقعت هذه

الواقعة فى زمان نوح عليه السلام وأيضا من المعلوم أنه لا أحد الا وفى آبائه من يستحق العذاب فلو أهلكوا بالطل تسلطهم ولأدى الى افناء الناس بل الدواب كلها لان الدواب مخلوقة لمنافع العباد ومصالحهم عن أبى هريرة أنه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال بلى والله حتى ان الحبارى لتموت فى وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود كاد الجعل يهلك فى جحره بذنب ابن آدم وقيل لو يؤاخذهم لانقطع القطر وفى انقطاعه انقطاع النبت وفى انقطاع النبت فناء الدواب قالت المعتزلة فى الآية دلالة على أن الظلم والمعاصى ليست من أفعال الله تعالى والا لم يؤاخذهم بها فرضا ولم يضف الظلم اليهم ولم يذمهم على ذلك وفى قوله بظلمهم دليل على أن الظلم هو المؤثر فى العقاب فان الباء للعلية وجواب الاشاعرة معلوم وهو أنه لا يسئل عما يفعل وأيضا المعارضة بالعلم والداعى ووجوب انتهاء الكل اليه قال بعض الاصوليين الاصل فى المضار الحرمة لان الضرر لا يجوز أن يكون مشروعا ابتداء بالاجماع ولقوله تعالى ما جعل عليكم فى الدين من حرج يريد الله بكم اليسر ولقوله صلى الله عليه وسلم لا ضرر ولا ضرار فى الاسلام ملعون من ضر مسلما ولا أن يكون مشروعا على وجه يكون جزاء عن جرم سابق بهذه الآية لان كلمة لو وضعت لانتفاء الشئ لانتفاء غيره فالآية تقتضى أنه تعالى ما آخذ الناس بظلمهم وأنه ترك على ظهرها دابة كما هو المشاهد اذا ثبت هذا الاصل فنقول اذا وقعت حادثة مشتملة على المضار فان وجدنا نصا على كونها مشروعة قضينا به تقديما للخاص على العام والا قضينا عليها بالحرمة بناء على هذا الاصل ولقائل أن يقول لم لا يجوز أن يكون الضرر مشروعا على وجه يقع جزاء عن جرم سابق والآية لا تنافى ذلك لانها لا تدل الا على أنه سبحانه لا يؤاخذ بكل ظلم أما على أنه لا يؤاخذ ببعض أنواع الظلم فلا دليله قوله وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ومنهم من قال بناء على القاعدة المذكورة ان كل ما يريده الانسان وجب أن يكون مشروعا فى حقه لان المنع منه ضرر والضرر غير مشروع وكل ما يكرهه الانسان لزم أن يكون محرما لان وجوده

الدين يصب وصوبا ووصبا كما قال الدبلى

لا أبتغى الحمد القليل بقاؤه * يوما بذم الدهر أجمع واصبا

ومنه قوله الله ولهم عذاب واصب وقول حسان

غيرته الريح تسفى به * وهزيم رعده واصب

أى دائما من الالم فانما يقال وصب الرجل يوصب وصبا وذلك اذا أعيا ومل ومنه قول الشاعر

لا يغمز الساق من أين ولا وصب * ولا يعض على شرسوفه الصفر

* وقد اختلف أهل التأويل فى تأويل الواصب فقال بعضهم معناه ما قلنا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن قيس عن الأغر بن الصباح عن خليفة بن حصين عن أبى نضرة عن ابن عباس وله الدين واصبا قال دائما حدثنى اسمعيل بن موسى قال أخبرنا شريك عن أبى حصين عن عكرمة فى قوله وله الدين واصبا قال دائما حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن قيس عن يعلى بن النعمان عن عكرمة قال دائما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنى المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء وحدثنى المثنى قال أخبرنا أبو حذيفة قال ثنا شبل جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وله الدين واصبا قال دائما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وله الدين واصبا قال دائما حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبدة وأبو معاوية عن جويبر عن الضحاك وله الدين واصبا قال دائما حدثنى المثنى قال أخبرنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وله الدين واصبا أى دائما فان الله تبارك وتعالى لم يدع شيأ من خلقه الا عبده طائعا أو كارها حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة واصبا قال دائما ألا ترى أنه يقول عذاب واصب أى دائم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وله الدين واصبا قال دائما والواصب الدائم * وقال آخرون الواصب فى هذا الموضع الواجب ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عطية عن قيس عن يعلى بن النعمان عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله وله الدين واصبا قال واجبا وكان مجاهد يقول معنى الدين فى هذا الموضع الاخلاص وقد ذكرنا معنى الدين فى غير هذا الموضع بما أغنى عن اعادته حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنى المثنى قال أخبرنا أبو حذيفة قال ثنا شبل وحدثنى المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وله الدين واصبا قال الاخلاص حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال الدين الاخلاص وقوله أفغير الله تتقون يقول تعالى

ضرر وانه غير مشروع فالذى يتمسك به فى اثبات الاحكام من القياس اما أن يكون على وفق هذه القاعدة أو على خلافها والاول باطل لان هذا الاصل يغنى عنه وكذا الثانى لان النص راجح على القياس ولقائل أن يقول تواردا الأدلة على المدلول الواحد غير ممتنع أما قوله (ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى) فعن ابن عباس فى رواية عطاء أنه يريد أجل القيامة لان معظم العذاب يوافيهم يومئذ وقيل أراد منتهى العمر لان المشركين يؤاخذون بالذنوب اذا خرجوا من الدنيا وباقى الآية قدمر تفسيرها فى أوائل سورة الاعراف واعلم أنه سبحانه قال فى هذه السورة ما تركه عليها من دابة وفى سورة الملائكة ما ترك على ظهرها فالهاء كناية عن الارض ولم يتقدم ذكرها ههنا والعرب تجوز ذلك فى كلمات لحصولها بين يدى كل متكلم وسامع منها الارض والسماء فلان أفضل من عليها وأكرم من تحتها ومنها الغداة انها اليوم لباردة ومنها الاصابع يقول والذى شقهن خمسا من واحدة يعنى الاصابع من اليد وانما لم يذكر الظهر فى هذه السورة لئلا يلتبس بظهر الدابة فكثيرا ما يستعمل الظهر بمعنى الدابة بخلاف سورة الملائكة فانه قد تقدم ذكر الارض فى قوله أولم يسيروا فى الارض وفى قوله ولا فى الارض فلم يكن ملتبسا ويمكن أن يقال لما قال ههنا بظلمهم لم يقل على ظهرها وحين قال هناك بما كسبوا قال على ظهرها احترازا عن الجمع بين الظاءين لانها تقل فى الكلام وليست لأمة من الامم سوى العرب فلم يجمع بينهما فى شرطية واحدة ثم عاد الى حكاية كلمتهم الحمقاء فقال (ويجعلون لله ما يكرهون) لانفسهم من البنات ولا يبعد أن يندرج فيه سائر ما يكرهون من الشركاء فى الرياسة ومن الاستخفاف والتهاون برسلهم ورسالتهم وأنهم يجعلون أرذل أموالهم لله وأكرمها للاصنام عن بعضهم أنه قال لرجل من ذوى اليسار كيف تكون يوم القيامة اذا قال الله تعالى هاتوا ما دفع الى السلاطين وأعوانهم فيؤتى بالدواب والثياب وأنواع الاموال الفاخرة واذا قال هاتوا ما دفع الى فيؤتى بالكسر والخرق وما لا يؤبه له أما تستحيى من ذلك الموقف ثم قال (وتصف ألسنتهم الكذب) قال الفراء

ذكره أفغير الله أيها الناس تتقون أى ترهبون وتحذرون أن يسلبكم نعمة الله عليكم باخلاصكم العبادة لربكم وافرادكم الطاعة له ومالكم نافع سواه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون﴾ اختلف أهل العربية فى وجه دخول الفاء فى قوله فمن الله فقال بعض البصريين دخلت الفاء لان ما بمنزلة من فجعل الخبر بالفاء * وقال بعض الكوفيين ما فى معنى جزاء ولها فعل مضمر كأنك قلت ما يكن بكم من نعمة فمن الله لان الجزاء لا بد له من فعل مجزوم ان ظهر فهو جزم وان لم يظهر فهو مضمر كما قال الشاعر

ان العقل فى أموالنا نضق به * ذراعا وان صبرا فنعرف للصبر

وقال أراد ان يكن العقل فأضمره قال وان جعلت ما بكم فى معنى الذى جاز وجعلت صلته بكم وما فى موضع رفع بقوله فمن الله وأدخل الفاء كما قال ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم وكل اسم وصل مثل من وما والذى فقد يجوز دخول الفاء فى خبره لأنه مضارع للجزاء والجزاء قد يجاب بالفاء ولا يجوز أخوك فهو قائم لأنه اسم غير موصول وكذلك تقول مالك لى فان قلت مالك جاز أن تقول مالك فهو لى وان ألقيت الفاء فصواب وتأويل الكلام ما يكن بكم فى أبدانكم أيها الناس من عافية وصحة وسلامة وفى أموالكم من نماء فالله المنعم عليكم بذلك لا غيره لان ذلك اليه وبيده ثم اذا مسكم الضر يقول اذا أصابكم فى أبدانكم سقم ومرض وعلة عارضة وشدة من عيش فاليه تجأرون يقول فالى الله تصرخون بالدعاء وتستغيثون به ليكشف ذلك عنكم وأصله من جؤار الثور يقال منه جأر الثور يجأر جؤارا وذلك اذا رفع صوته شديدا من جوع أو غيره ومنه قول الأعشى

وما أبيلى على هيكل * بناه وصلب فيه وصارا

يراوح من صلوات المليـ * ـك طورا سجودا وطورا جؤارا

يعنى بالجؤار الصياح اما بالدعاء واما بالقراءة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنى المثنى قال أخبرنا أبو حذيفة قال ثنا شبل و حدثنى المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله فاليه تجأرون قال تضرعون دعاء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنى المثنى قال أخبرنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس رضى الله عنهما قال الضر السقم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون﴾ يقول تعالى ذكره ثم اذا وهب لكم ربكم العافية ورفع عنكم ما أصابكم من المرض فى أبدانكم ومن الشدة فى معاشكم وفرج البلاء عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون يقول اذا جماعة منكم يجعلون لله شريكا فى عبادتهم فيعبدون الأوثان ويذبحون لها الذبائح شكرا لغير من أنعم عليهم بالفرج مما كانوا فيه من الضر

والزجاج أبدل منه قوله (أن لهم الحسنى) عن مجاهد أن الحسنى البنون كانت قريش يقولون لله البنات ولنا البنون وقال غيره هي الجنة أي أنهم مع جعلهم لله ما يكرهون حكموا لانفسهم بالجنة والثواب من الله وأنهم يفوزون برضوان الله بسبب هذا القول زعما منهم أنهم على الدين الحق والمذهب الحسن وكيف يحكمون بذلك وكانوا منكرين للقيامة الجواب أنه كان فيهم من يقر بالبعث ولذلك كانوا يربطون البعير على قبر الميت ويتركونه الى أن يموت ظنا منهم أن الميت اذا حشر فانه يحشر معه مركوبه وبتقدير أنهم كانوا منكرين فلعلهم قالوا ان كان محمد صلى الله عليه وسلم صادقا في دعوى الحشر والقيامة فانه يحصل لنا الجنة والثواب بسبب هذا الدين الحق الذي نحن عليه نظيره ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى ومن الناس من رجح هذا القول لانه تعالى رد عليهم بعد ذلك بقوله (لا جرم أن لهم النار) قال الزجاج لا رد لقولهم أي ليس الامر كما وصفوا جرم أي كسب ذلك القول أن لهم النار فأن مع ما بعده في محل النصب لوقوع الكسب عليه وقال قطرب أن في موضع رفع والمعنى حق أن لهم النار (وأنهم مفرطون) من قرأ بكسر الراء المخففة فهو من الافراط في المعاصي وفي الافتراء على الله وجوز أبو علي الفارسي أن يكون من أفرط أي صار ذا فرط مثل أجرب أي صار ذا جرب ومن قرأ بفتحها مخففة فهو من أفرطت فلانا خلفي اذا خلفته ونسيته فالمعنى أنهم متروكون في النار منسيون ومن قرأ بكسر الراء المشددة فهو من التفريط في الطاعات وقرئ بفتح الراء المشددة من فرطته في طلب الماء اذا قدمته وجاء أفرطته بمعناه أيضا فالمراد أنهم مقدمون الى النار معجلون اليها ثم بين سبحانه أن مثل صنيع قريش قد صدر عن سائر الامم فقال (تالله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك) أي رسلا (فزين لهم الشيطان أعمالهم) قالت المعتزلة لو كان خالق الاعمال هو الله تعالى فما معنى تزيين الشيطان ومن أي وجه توجه عليه الذم وأن خالق ذلك العمل أجدر بأن يكون وليا لهم من الداعي اليه وأجيب بأن الوسائط معتبرة وانتهاء الكل اليه ضروري قال جار الله (فهو وليهم اليوم) حكاية الحال الماضية التي كان يزين لهم الشيطان أعمالهم فيها والمراد فهو وليهم

ليكفروا بما آتيناهم يقول ليجحدوا الله نعمته فيما آتاهم من كشف الضر عنهم فتمتعوا فسوف تعلمون وهذا من الله وعيد لهؤلاء الذين وصف صفتهم في هذه الآيات وتهديد لهم يقول لهم جل ثناؤه تمتعوا في هذه الحياة الدنيا الى أن توافيكم آجالكم وتبلغوا الميقات الذي وقته لحياتكم وتمتعكم فيها فانكم من ذلك ستصيرون الى ربكم فتعلمون بلقائه وبال ما كسبت أيديكم وتعرفون سوء مغبة أمركم وتندمون حين لا ينفعكم الندم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم تالله لتسئلن عما كنتم تفترون ﴾ يقول تعالى ذكره ويجعل هؤلاء المشركون من عبدة الاوثان لما لا يعلمون منه ضرا ولا نفعا نصيبا يقول حظا وجزاء مما رزقناهم من الاموال اشرا كا منهم له بالذي يعلمون أنه خالقهم وهو الذي ينفعهم ويضرهم دون غيره كالذي حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم قال يعلمون أن الله خلقهم ويضرهم وينفعهم ثم يجعلون لما لا يعلمون أنه يضرهم ولا ينفعهم نصيبا مما رزقناهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم وهم مشركو العرب جعلوا لأوثانهم نصيبا مما رزقناهم وجزأ من أموالهم يجعلونه لأوثانهم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم قال جعلوا آلهتهم التي ليس لها نصيب ولا شيء جعلوا لها نصيبا مما قال الله من الحرث والانعام يسمون عليها أسماءها ويذبحون لها وقوله تالله لتسئلن عما كنتم تفترون يقول تعالى ذكره والله أيها المشركون الجاعلون للآلهة والانداد نصيبا فيما رزقنا كم شركا بالله وكفرا ليسألنكم الله يوم القيامة عما كنتم في الدنيا تفترون يعني تختلقون من الباطل والافك على الله بدعواكم له شريكا وتصييركم لأوثانكم فيما رزقكم نصيبا ثم ليعاقبنكم عقوبة تكون جزاء لكفرانكم نعمه وافترائكم عليه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم ﴾ يقول تعالى ذكره ومن جهل هؤلاء المشركين وخبث فعلهم وقبح فريتهم على ربهم أنهم يجعلون لمن خلقهم ودبرهم وأنعم عليهم فاستوجب بنعمه عليهم الشكر واستحق عليهم الحمد البنات ولا ينبغي أن يكون لله ولد ذكر ولا أنثى سبحانه تنزه جل جلاله بذلك نفسه عما أضافوا اليه ونسبوه من البنات فلم يرضوا بجهلهم اذ أضافوا اليه ما لا ينبغي اضافته اليه ولا ينبغي أن يكون له من الولد أن يضيفوا اليه ما يشتهونه لأنفسهم ويحبونه لها ولكنهم أضافوا اليه ما يكرهونه لانفسهم ولا يرضونه لها من البنات (١) ما يقتلونها اذا كانت لهم وفي ما التي في قوله ولهم ما يشتهون وجهان من العربية النصب عطفا لها على البنات فيكون معنى الكلام اذا أريد ذلك ويجعلون لله البنات ولهم البنين الذين يشتهون فتكون ما للبنين والرفع على أن الكلام مبتدأ من قوله ولهم ما يشتهون فيكون معنى الكلام ويجعلون لله البنات ولهم البنون وقوله واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا يقول واذا بشر أحد هؤلاء الذين جعلوا لله البنات بولادة ما يضيفه اليه من ذلك له ظل وجهه مسودا

(١) لعله ويقتلونها بالواو فتأمل

أى قرينهم فى الدنيا فجعل اليوم عبارة عن زمان الدنيا أو اليوم عبارة عن يوم الآخرة الذى يعذبون فيه فى النار فهو حكاية للحال الآتى والولى الناصر أى هو ناصرهم يوم القيامة فقط والمراد نفى الناصر عنهم على أبلغ الوجوه لان الشيطان لا يتصور منه النصرة أصلا ولو كان الناصر منحصرا فيه لزم أن لا نصرة بالضرورة (٨٤) قال ويجوز أن يرجع الضمير فى وليهم الى مشركى قريش وأنه زين لكل

قبلهم أعمالهم فهو ولى هؤلاء لانهم منهم ويجوز أن يكون على حذف المضاف أى فهو ولى أمثالهم اليوم ثم ذكر سبحانه أنه ما هلك من هلك الا بعد اقامة الحجة وازاحة العلة فقال (وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه) كالشرك والتوحيد والجبر والقدر والاقرار بالبعث والانكار له وكتحريم الاشياء المحللة كالبحيرة والسائبة وتحليل الاشياء المحرمة كالميتة والدم (وهدى ورحمة) انتصابا على أنهما مفعول لهما ولا حاجة الى اللام لانهما فعلا فاعل الفعل المعلل بخلاف التبيين فانه فعل المخاطب لافعل المنزل ولهذا دخل عليه اللام قال الكعبى وصف القرآن بكونه هدى ورحمة (لقوم يؤمنون) لاينافى كونه كذلك فى حق الكل وخص المؤمنون بالذكر من حيث انهم قبلوه وانتفعوا به ولما امتد الكلام فى وعيد الكفار عاد الى تقرير الالهيات فقال (والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الارض بعد موتها) وفى العنكبوت من بعد موتها لان هناك سؤال تقرير والتقرير يحتاج الى التحقيق فقيد الظرف بمن للاستعباب وأيضا حذف من فى هذه السورة موافقة لقوله عما قريب لكيلا يعلم بعد علم شيأ وانما حذف من هنا بخلاف ما فى الحج لانه أجمل الكلام فى هذه السورة فقال والله خلقكم ثم يتوفاكم وأطنب فى الحج فقال خلقكم من تراب ثم من نطفة الآية فاقتضى الايجاز الحذف والاطناب والاطيب الاثبات (ان فى ذلك لآية لقوم يسمعون) سماع تأمل وتدبر فمن لم يسمع متدبرا فكأنه أصم ثم استدل بعجائب أحوال الحيوانات قائلا (وان لكم فى الانعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه) وفى سورة المؤمنين مما فى بطونها فذكر النحويون أن الانعام من جملة الكلمات التى لفظها مفرد ومعناها

من كراهته له وهو كظيم يقول قد كظم الحزن وامتلأ غما بولادته له فهو لا يظهر ذلك وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون ثم قال واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم الى آخر الآية يقول يجعلون لله البنات ترضونهن لى ولا ترضونهن لانفسكم وذلك أنهم كانوا فى الجاهلية اذا ولد للرجل منهم جارية أمسكها على هون أودسها فى التراب وهى حية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم وهذا صنيع مشركى العرب أخبرهم الله تعالى ذكره بخبث صنيعهم فأما المؤمن فهو حقيق أن يرضى بما قسم الله له وقضاء الله خير من قضاء المرء لنفسه ولعمرى ما يدرى أنه خير لرب جارية خير لاهلها من غلام وانما أخبركم الله بصنيعهم لتجتنبوه وتنتهوا عنه وكان أحدهم يغذو كلبه ويئد ابنته حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس وهو كظيم قال حزين حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك فى قوله وهو كظيم قال الكظيم الكمد وقد بينا ذلك بشواهده فى غير هذا الموضع ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألا ساء ما يحكمون﴾ يقول تعالى ذكره يتوارى هذا المبشر بولادة الانثى من الولد له من القوم فيغيب عن أبصارهم من سوء ما بشر به يعنى من مساءته اياه يمسكه على هون أى على هوان وكذلك ذلك فى لغة قريش فيما ذكر لى يقولون للهوان الهون ومنه قول الحطيئة

فلما خشيت الهون والعير ممسك * على رغمه ما أثبت الحبل حافره

وبعض بنى تميم يجعل الهون مصدر الشئ الهين ذكر الكسائى أنه سمعهم يقولون ان كنت لقليل الهون المؤنة منذ اليوم قال وسمعت الهوان فى مثل هذا المعنى سمعت منهم قائلا يقول لبعيره ما به بأس غير هوانه يعنى خفيف الثمن فاذا قالوا هو يمشى على هونه لم يقولوه الا بفتح الهاء كما قال تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا أم يدسه فى التراب يقول يدفنه حيا فى التراب فيئده كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب يئد ابنته وقوله ألا ساء ما يحكمون يقول ألا ساء الحكم الذى يحكم هؤلاء المشركون وذلك أن جعلوا لله ما لا يرضون لأنفسهم وجعلوا المال ينفعهم ولا يضرهم شركا فيما رزقهم الله وعبدوا غيره من خلقهم وأنعم عليهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم﴾ وهذا خبر من الله جل ثناؤه أن قوله واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم والآية التى بعدها مثل ضربه الله لهؤلاء المشركين الذين جعلوا لله البنات فبين بقوله للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء أنه مثل وعنى بقوله جل ثناؤه للذين لا يؤمنون بالآخرة للذين لا يصدقون بالمعاد والثواب والعقاب من المشركين مثل السوء وهو القبيح من المثل وما يسوء من ضرب له ذلك المثل ولله المثل الاعلى يقول ولله المثل الاعلى وهو الافضل

ع كالرهط والقوم والنعم فجاز تذكيره حملا على اللفظ وتأنيثه حملا على المعنى قال المبرد هذا شائع فى القرآن قال تعالى فلما رأى الشمس
ة قال هذا ربى بمعنى هذا الشئ الطالع وقال ان هذه تذكرة فمن شاء ذكره أى ذكر هذا الشئ وعند سيبويه الانعام من الاسماء المفردة
رد على أفعال وجوز فى الكشاف أن يكون تأنيثه على أنه تكسير نعم وقيل ان الانعام بمعنى النعم لان الالف واللام

الأطيب والأحسن والأجمل وذلك التوحيد والاذعان له بأنه لا اله غيره * وبنحو الذى قلنا فى ذلك
أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر
عن قتادة ولله المثل الأعلى قال شهادة أن لا اله الا الله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا
سعيد عن قتادة قوله للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى الاخلاص والتوحيد
قوله وهو العزيز الحكيم يقول تعالى ذكره والله ذو العزة التى لا يمتنع عليه معها عقوبة هؤلاء
المشركين الذين وصف وصفتهم فى هذه الآيات ولا عقوبة من أراد عقوبته على معصيته اياه ولا يتعذر
عليه شئ أراده وشاءه لأن الخلق خلقه والامر أمره الحكيم فى تدبيره فلا يدخل تدبيره خلل ولا خطأ
* القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن
يؤخرهم الى أجل مسمى فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ يقول تعالى ذكره
ولو يؤاخذ الله عصاة بنى آدم بمعاصيهم ما ترك عليها يعنى على الارض من دابة تدب عليها ولكن
يؤخرهم يقول ولكن يحلمه يؤخر هؤلاء الظلمة فلا يعاجلهم بالعقوبة الى أجل مسمى يقول الى وقتهم
الذى وقت لهم فاذا جاء أجلهم يقول فاذا جاء الوقت الذى وقت لهلاكهم لا يستأخرون عن الهلاك
ساعة فيهلكون ولا يستقدمون قبله حتى يستوفوا آجالهم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل
التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان
عن أبى اسحق عن أبى الاحوص قال كاد الجعل أن يعذب بذنب بنى آدم وقرأ ولو يؤاخذ الله الناس
بظلمهم ما ترك عليها من دابة حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا اسمعيل بن حكيم الخزاعى قال ثنا
محمد بن جابر الجعفى عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة قال سمع أبو هريرة رجلا وهو يقول ان الظالم
يضر الا نفسه قال فالتفت اليه فقال بلى والله ان الحبارى لتموت فى وكرها هزالا بظلم الظالم
حدثنى يعقوب قال ثنا أبو عبيدة الحداد قال ثنا قرة بن خالد السدوسى عن الزبير بن
عدى قال قال ابن مسعود خطيئة ابن آدم قتلت الجعل حدثنا أبو السائب قال ثنا
أبو معاوية عن الاعمش عن أبى اسحق عن أبى عبيدة قال قال عبد الله كاد الجعل أن يهلك
فى جحره بخطيئة ابن آدم حدثنى المثنى قال أخبرنا اسحق قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر
عن الزهرى قال الله فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون قال نرى أنه اذا حضر
أجله فلا يؤخر ساعة ولا يقدم وما لم يحضر أجله فان الله يؤخر ما شاء ويقدم ما شاء * القول
فى تأويل قوله تعالى ﴿ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى لا جرم
أن لهم النار وأنهم مفرطون﴾ يقول تعالى ذكره ويجعل هؤلاء المشركون لله ما يكرهونه
لأنفسهم وتصف ألسنتهم الكذب يقول وتقول ألسنتهم الكذب وتفتريه أن لهم الحسنى فأن
مع نصب لانها ترجمة عن الكذب وتأويل الكلام ويجعلون لله ما يكرهونه لانفسهم
ويزعمون أن لهم الحسنى الذى يكرهونه لانفسهم البنات يجعلونهن لله تعالى وزعموا أن
الملائكة بنات الله وأما الحسنى التى جعلوها لانفسهم فالذكور من الأولاد وذلك أنهم كانوا
يكرهون الاناث من أولادهم ويستبقون الذكور منهم ويقولون لنا الذكور ولله البنات وهو نحو قوله

تلحق الآحاد بالجمع والجمع بالآحاد
قلت ماذكره الائمة حسن الا أنه
لا يقع جوابا عن التخصيص ولعل
السر فيه أن الضمير فى هذه السورة
يعود الى البعض وهو الاناث لان
اللبن لا يكون للكل فالتقدير وان
لكم فى بعض الانعام لعبرة نسقيكم
مما فى بطونه وأما فى المؤمنين فانه
لما عطف عليه ما يعود على الكل
ولا يقتصر على البعض وهو قوله
ولكم فيها منافع ومنها تأكلون
وعليها لم يحتمل أن يكون المراد به
البعض فأنث ليكون نصا على أن
المراد بها الكل روى الكلبى عن
أبى صالح عن ابن عباس انه قال
اذا استقر العلف فى الكرش صار
أسفله فرثا وأعلاه دما وأوسطه لبنا
خالصا فيجرى الدم فى العروق واللبن
فى الضروع ويبقى الفرث كما هو
فذلك هو قوله تعالى (من بين فرث
ودم لبنا خالصا) لا يشوبه الدم ولا
الفرث وأنكر الاطباء هذا القول
لانه على خلاف الحس والتجربة
أما الحس فلان الانعام تذبح ذبحا
متواليا ولا يرى فى كرشها دم ولا لبن
وأما التجربة فلان الدم لو كان فى
أعلى المعدة والكرش كان يجب
اذا قاء أن يقىء الدم وليس كذلك بل
الحق أن الحيوان اذا تناول العلف
حصل له فى معدته أو كرشه هضم أول
فما كان منه صافيا انجذب الى الكبد
وما كان كثيفا نزل الى الامعاء ثم

يحصل فى الكبد ينطبخ فيها ويصير دما وذلك هو الهضم الثانى ويكون مخلوطا بالصفراء والسوداء وزيادة المائية أما الصفراء فتذهب
المرارة والسوداء الى الطحال والماء الى الكلية ومنها الى المثانة وأما الدم فانه يدخل فى الأوردة وهى العروق النابتة من الكبد وهناك
يحصل الهضم الثالث وبين الكبد والضرع عروق كثيرة فينصب الدم فى تلك العروق الى الضرع وهو لحم غددى رخو أبيض فيقلب الله

الدم هنالك الى صورة اللبن وانما اختص هذا المعنى بالحيوان الانثى لان الحكمة الالهية اقتضت تدبير كل شئ على الوجه اللائق به والذكر من كل حيوان أسخن وأجف والانثى أبرد وأرطب لان بدن الانثى يحتاج الى مزيد رطوبة لتصير مادة لتولد الولد و يتسع بدنها لهم ان تلك الرطوبات التى كانت تصير مادة لازدياد بدن الجنين حين كان فى الرحم تنصب بعد انفصال الجنين الى الثدى لتصير مادة لتغذية الطفل واعلم أنه تعالى خلق فى أسفل المعدة منفذا يخرج منه ثفل الغذاء فاذا تناول الانسان غذاء أو شربة رقيقة انطبق ذلك المنفذ انطباقا كليا الى أن يكمل انهضامه فى المعدة و ينجذب ما صفا منه الى الكبد ويبقى الثفل هنالك فحينئذ ينفتح ذلك المنفذ و ينزل منه ذلك الثفل فهذا الانطباق والانفتاح بحسب الحاجة و بقدر المنفعة مما لا يتأتى الا بتقدير الفاعل الحكيم وأيضا انه أودع فى الكبد قوة جاذبة للاجزاء اللطيفة التى فى ذلك المأكول والمشروب طابخة لها حتى تنقلب دما دون الاجزاء الكثيفة وفى المعدة بالعكس وأودع فى المرارة قوة جاذبة للصفراء وفى الكلية قوة جاذبة لزيادة المائية وتخصيص كل واحد من هذه الاعضاء بفعله الخاص به لا يمكن الا بتدبير العليم الخبير وكذا الكلام فى انصباب مادة اللبن الى الثدى فى وقت يحتاج الطفل الى الغذاء وتوزعها على جميع البدن فى غير ذلك الوقت ثم انه تعالى أحدث فى حلمة الثدى ثقوبا صغيرة يخرج اللبن الخالص منها وقت المص أو الحلب فهى بمنزلة المصفاة للبن يخرج اللطيف منها و يبقى الكثيف فبهذا الطريق يصير خالصا سائغا للشاربين أى سهل المرور فى الحلق حتى قيل انه لم يغص أحد باللبن قط ومن عجائب حال اللبن اجتماعه من أجسام مختلفة الطبائع مع أنها واحدة فى الحس فمنها الدهن وهو حار رطب ومنها الاجزاء المائية وهى باردة رطبة ومنها الجبن وهو بارد يابس وكلها حاصلة من عشب واحد ثم انه تعالى ألهم الطفل الصغير مص الثدى عند انفصاله من الام وكل ذلك دليل على عناية كاملة ورحمة شاملة وعلم تام وقدرة باهرة قال المحققون فى تقليب العشب فى هذه الاطوار الى أن يصير لبنا خالصا سائغا دليل على

ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و**حدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء و**حدثنى** المثنى قال أخبرنا أبو حذيفة قال ثنا شبل و**حدثنى** المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى قال قول قريش لنا البنون ولمحمد البنات **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله الا أنه قال قول كفار قريش **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أى يتكلمون بأن لهم الحسنى أى الغلمان **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة أن لهم الحسنى قال الغلمان وقوله لا جرم أن لهم النار و أنهم مفرطون يقول تعالى ذكره حقا واجبا أن لهؤلاء القائلين لله البنات الجاعلين له ما يكرهون لانفسهم ولانفسهم الحسنى عند الله يوم القيامة النار وقد بينا تأويل قول الله لا جرم فى غير موضع من كتابنا هذا بشواهده بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وروى عن ابن عباس فى ذلك ما **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله لا جرم يقول بلى وقوله لا جرم كان بعض أهل العربية يقول لم تنصب جرم بلا كما نصبت الميم من قوله لا غلام لك قال ولكنها نصبت لأنها فعل ماض مثل قول القائل قعد فلان وجلس والكلام لا رد لكلامهم أى ليس الأمر هكذا جرم كسبتم قوله لا أقسم ونحو ذلك وكان بعضهم يقول نصب جرم بلا وانما هو بمعنى لا بد ولا محالة ولكنه كثرت فى الكلام حتى صارت بمنزلة حقا وقوله وأنهم مفرطون يقول تعالى ذكره وأنهم مخلفون متروكون فى النار منسيون فيها واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال أكثرهم بنحو الذى ذكرنا من قال ذلك **حدثنا** محمد بن بشار وابن وكيع قالا ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير فى هذه الآية لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرطون قال منسيون مضيعون **حدثنى** موسى بن عبد الرحمن المسروقى قال ثنا زيد بن حباب قال أخبرنا سعيد عن أبى بشر عن سعيد بن جبير مثله **حدثنا** ابن حميد قال ثنا بهز بن أسد عن شعبة قال أخبرنى أبو بشر عن سعيد بن جبير مثله **حدثنى** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير فى قوله لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرطون قال متروكون فى النار منسيون فيها **حدثنى** يعقوب قال ثنا هشيم قال حصين أخبرنا عن سعيد بن جبير مثله **حدثنى** المثنى قال أخبرنا الحجاج بن المنهال قال ثنا هشيم عن حصين عن سعيد بن جبير مثله **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وأنهم مفرطون قال منسيون **حدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء و**حدثنى** المثنى قال أخبرنا أبو حذيفة قال ثنا شبل و**حدثنى** المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله

حدثنا

تعالى قادر على تقليب الانسان فى أطواره الى أن يصير مستعد اللبقاء الابدى واللقاء السرمدى قال جار الله ومن فى مما فى بطونه للتبعيض
بين فى قوله من بين فرث لابتداء الغاية فهو صلة لنسقيكم كقولك سقيته من الحوض وجوز أن يكون حالا من قوله لبنا مقدما عليه فيتعلق
بمحذوف أى كائنا من بين كذا وكذا وانما قدم لانه موضع العبرة فهو جدير بالتقديم قالت الشافعية ليس بمستنكر أن يسلك

حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبدة وأبو معاوية وأبو خالد عن جويبر عن الضحاك وأنهم مفرطون قال متروكون فى النار حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن القاسم عن مجاهد مفرطون قال منسيون حدثنى عبد الوارث بن عبد الصمد قال ثنى أبى عن الحسين عن قتادة وأنهم مفرطون يقول مضاعون حدثنا ابن المثنى قال ثنا بدل قال ثنا عباد بن راشد قال سمعت داود بن أبى هند فى قول الله وأنهم مفرطون قال منسيون فى النار * وقال آخرون معنى ذلك أنهم معجلون الى النار مقدمون اليها وذهبوا فى ذلك الى قول العرب أفرطنا فلانا فى طلب الماء اذا قدموه لاصلاح الدلاء والأرشية وتسوية ما يحتاجون اليه عند ورودهم عليه فهو مفرط فأما المتقدم نفسه فهو فارط يقال قد فرط فلان أصحابه يفرطهم فرطا وفروطا اذا تقدمهم وجمع فارط فراط ومنه قول القطامى

واستعجلونا وكانوا من صحابتنا * كما تعجل فراط لوراد

ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم أنا فرطكم على الحوض أى متقدمكم اليه وسابقكم حتى تردوه ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأنهم مفرطون يقول معجلون الى النار حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وأنهم مفرطون قال قد فرطوا فى النار أى معجلون * وقال آخرون معنى ذلك مبعدون فى النار ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن أشعث السمان عن الربيع عن أبى بشر عن سعيد وأنهم مفرطون قال مخسؤن مبعدون * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب القول الذى اخترناه وذلك أن الافراط الذى هو بمعنى التقديم انما يقال فيمن قدم مقدما لاصلاح ما يقدم اليه الى وقت ورود من قدمه عليه وليس بمقدم من قدم الى النار من أهلها لاصلاح شئ فيها وان ورد عليها فيها فيوافقه مصلحا وانما تقدم من قدم اليها العذاب يعجل له فاذا كان ذلك معنى الافراط الذى هو تأويل التعجيل ففسد أن يكون له وجه فى الصحة صح المعنى الآخر وهو الافراط الذى بمعنى التخليف والترك وذلك أنه يحكى عن العرب ما أفرطت ورائى أحدا أى ما خلفته وما فرطته أى لم أخلفه واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المصرين الكوفة والبصرة وأنهم مفرطون بتخفيف الراء وفتحها على معنى ما لم يسم فاعله من أفرط فهو مفرط وقد بينت اختلاف قراءة ذلك كذلك فى التأويل وقرأه أبو جعفر القارئ وأنهم مفرطون بكسر الراء وتشديدها بتأويل أنهم مفرطون فى اداء الواجب كان لله عليهم فى الدنيا من طاعته وحقوقه ضيعوا ذلك من قول الله تعالى يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله وقرأ نافع بن أبى نعيم وأنهم مفرطون بكسر الراء وتخفيفها حدثنى بذلك يونس عن ورش عنه بتأويل أنهم مفرطون فى الذنوب والمعاصى مسرفون على أنفسهم مكثرون منها من قولهم أفرط فلان فى القول اذا تجاوز حده وأسرف فيه والذى هو أولى القراآت فى ذلك بالصواب قراءة الذين ذكرنا قراءتهم من أهل العراق لموافقتها تأويل أهل التأويل الذى ذكرنا قبل وخروج القراآت الأخر عن تأويلهم

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ تالله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم

المنى مسلك البول وهو طاهر كما أنه يخرج اللبن من بين الفرث والدم طاهرا وأما قوله (ومن ثمرات النخيل والاعناب) فاما أن يتعلق بمحذوف أى ونسقيكم من ثمرات النخيل ومن الاعناب اذا عصرت وحذف لدلالة ما تقدم عليه فيكون قوله تتخذون منه بيانا وكشفا عن كنه حقيقة الاستقاء واما أن يتعلق بتتخذون فيكون قوله منه تكريرا للظرف لاجل التأكيد نظيره قولك زيد فى الدار فيها وانما ذكر الضمير فى منه لانه يعود الى المذكور أو الى المضاف المحذوف الذى هو العصير كأنه قيل ومن عصير ثمرات النخيل ومن عصير الاعناب تتخذون منه واحتمل أن يكون تتخذون صفة موصوف محذوف كقوله وما منا الا له مقام معلوم أى وما منا الا ملك فالتقدير ومن ثمرات النخيل ومن الاعناب ثمر (تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا) لانهم يأكلون بعضها ويتخذون من بعضها السكر وهو الخمر سميت بالمصدر من سكر سكرا وسكرا نحو رشد رشدا ورشدا وعلى هذا التفسير ففى الآية قولان أحدهما وروى عن الشعبى والنخعى أنها منسوخة فان السورة مكية وتحريم الخمر نزل فى المائدة وهى مدنية وثانيهما أنها جامعة بين العتاب والمنة وذكر المنفعة لا ينافى الحرمة على أن فى الآية تنبيها على الحرمة أيضا لانه ميز بينها وبين الرزق الحسن فى

ذكر فوجب فى السكر أن لا يكون رزقا حسنا لا بحسب الشهوة بل بحسب الشريعة هذا ما عليه الاكثرون وقيل السكر النبيذ وهو عصير العنب والزبيب والتمر اذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد وهو حلال عند أبى حنيفة الى حد السكر واحتج بان الآية دلت على أن السكر حلال لانه تعالى ذكره فى معرض الانعام والمنة ودل الحديث على أن الخمر حرام لعينها وهذا يقتضى أن يكون السكر شيأ غير الخمر وكل

من أثبت هذه المغايرة قال انه النبيذ المطبوخ ويحكى عن أبى على الجبائى أنه صنف كتابا فى تحليل النبيذ فلما أخذت منه السن العالية قيل له لو شربت منه ما تتقوى به فأبى فقيل له لقد صنفت فى تحليله فقال تناولته أيدى الشيطان فقبح عند ذوى المروآت والاقدار وقيل السكر الطعم قاله أبو عبيدة وقيل السكر والرزق الحسن واحد كأنه قيل تتخذون منه ما هو سكر ورزق حسن ومن أعجب أحوال الحيوان حال النحل المناسب عسلها اللبن فى موافقة اللذة وفى الخروج من البطن فلذلك أفردها بالذكر عقيب ذلك قائلا (وأوحى ربك) يا محمد أو يا انسان الى النحل أى ألهمها وعلمها على وجه هو أعلم به ولقد حق لغريب أمرها وعجيب صنعتها أن يطلق عليه لفظ الايحاء وذلك أنها تبنى البيوت المسدسة من الاضلاع المتساويات التى لا يمكن للعقلاء تركيب أمثالها الا بالمساطر والفرجارات وقد علم من الهندسة أن تلك البيوت لو كانت مشكلة بما سوى المسدسات فانه يبقى بالضرورة فيما بينها فرج خالية ضائعة فاهتداء ذلك الحيوان الضعيف الى هذه الحكمة الدقيقة من الاعاجيب ومن غرائب أمرها أن لها رئيسا هو أعظم جثة من الباقين وهم يخدمونه ويتبعون نهيه وأمره ومنها أنها اذا نفرت عن وكرها ذهبت مع الجمعية الى موضع آخر فاذا أرادوا عودها الى وكرها ضربوا الطبول والملاهى وآلات الموسيقى وبواسطة تلك الالحان يقدرون على ردها الى أوكارها وبالجملة فان غرائب هذا الحيوان أكثر من أن تحصى وأشهر من أن تخفى والغرض أن امتياز هذا الحيوان بهذه الخواص العجيبة الدالة على الذكاء والكياسة حالة شبيهة بالوحى بمعنى الالهام قال الزجاج يجوز أن يقال سميت نحلا لانه تعالى نحل الناس العسل بواسطتها وهى مؤنثة فى لغة أهل الحجاز ولذلك قال تعالى (أن اتخذى) وهى أن المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول ومعنى من فى قوله (من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون) أى يبنون ويرفعون البعضية لانها لا تبنى بيوتا فى كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش ولكنها تبنى فى مساكن توافقها وتليق بها وكثيرا ما يتعهدها الناس وتصلح أحوالها (ثم كلى من كل الثمرات) أى بعضا من كل

فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم) يقول تعالى ذكره مقسما بنفسه عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم والله يا محمد لقد أرسلنا رسلا من قبلك الى أممها مثل ما أرسلناك الى أمتك من الدعاء الى التوحيد لله واخلاص العبادة له والاذعان له بالطاعة وخلع الانداد والآلهة فزين لهم الشيطان أعمالهم يقول فحسن لهم الشيطان ما كانوا عليه من الكفر بالله وعبادة الاوثان مقيمين حتى كذبوا رسلهم وردوا عليهم ما جاؤهم به من عند ربهم فهو وليهم اليوم يقول فالشيطان ناصرهم اليوم فى الدنيا وبئس الناصر ولهم عذاب أليم فى الآخرة عند ورودهم على ربهم فلا ينفعهم حينئذ ولاية الشيطان ولا هى نفعتهم فى الدنيا بل ضرتهم فيها وهى لهم فى الآخرة أضر ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وما أنزلنا يا محمد عليك كتابنا وبعثناك رسولا الى خلقنا الا لتبين لهم ما اختلفوا فيه من دين الله فتعرفهم الصواب منه والحق من الباطل وتقيم عليهم بالصواب منه حجة الله الذى بعثك بها وقوله وهدى ورحمة لقوم يؤمنون يقول وهدى بيانا من الضلالة يعنى بذلك الكتاب ورحمة لقوم يؤمنون به فيصدقون بما فيه ويقرون بما تضمن من أمر الله ونهيه ويعملون به وعطف بالهدى على موضع ليبين لان موضعها نصب وانما معنى الكلام وما أنزلنا عليك الكتاب الا ببيانك للناس فيما اختلفوا فيه وهدى ورحمة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الارض بعد موتها ان فى ذلك لآية لقوم يسمعون﴾ يقول تعالى ذكره منبه خلقه على حجته عليهم فى توحيده وأنه لا تنبغى الالوهة الا له ولا تصلح العبادة لشئ سواه أيها الناس معبودكم الذى له العبادة دون كل شئ أنزل من السماء ماء يعنى مطرا يقول فأنبت بما أنزل من ذلك الماء من السماء الارض الميتة التى لا زرع بها ولا عشب ولا نبت بعد موتها بعدما هى ميتة لا شئ فيها ان فى ذلك لآية يقول تعالى ذكره ان فى احيائنا الارض بعد موتها بما أنزلنا من السماء من ماء لدليلا واضحا وحجة قاطعة عذر من فكر فيه لقوم يسمعون يقول لقوم يسمعون هذا القول فيتدبرونه ويعقلونه ويطيعون الله بما دلهم عليه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وان لكم فى الانعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين﴾ يقول تعالى ذكره وان لكم أيها الناس لعظة فى الانعام التى نسقيكم مما فى بطونه واختلفت القراء فى قراءة قوله نسقيكم فقرأته عامة أهل مكة والعراق والكوفة والبصرة سوى عاصم ومن أهل المدينة أبو جعفر نسقيكم بضم النون بمعنى أنه أسقاهم شرابا دائما وكان الكسائى يقول العرب تقول أسقيناهم نهرا وأسقيناهم لبنا اذا جعلته شربا دائما فاذا أرادوا أنهم أعطوه شربة قالوا سقيناهم فنحن نسقيهم بغير ألف وقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة سوى أبى جعفر ومن أهل العراق عاصم نسقيكم بفتح النون من سقاه الله فهو يسقيه والعرب قد تدخل الالف فيما كان من السقى غير دائم وتنزعها فيما كان دائما وان كان أشهر الكلامين عندها ما قال الكسائى يدل على ما قلنا من ذلك قول لبيد فى صفة سحاب

سقى قومى بنى مجد وأسقى * نميرا والقبائل من هلال

جمع اللغتين كلتيهما فى معنى واحد فاذا كان ذلك كذلك فبأيه القراءتين قرأ القارئ فمصيب غير أن أعجب القراءتين الى قراءة ضم النون لما ذكرت من أن أكثر الكلامين عند العرب فيما كان دائما من السقى أسقى بالالف فهو يسقى وما أسقى الله عباده من بطون الانعام فدائم لهم غير منقطع عنهم وأما قوله مما فى بطونه وقد ذكر الانعام قبل ذلك وهى جمع والهاء فى البطون موحدة فان لأهل العربية فى ذلك أقوالا فكان بعض نحويى الكوفة يقول النعم والانعام شئ واحد لانهما جميعا جمعان فرد الكلام فى قوله مما فى بطونه الى التذكير مرادا به معنى النعم اذ كان يؤدى عن الانعام ويستشهد لقوله ذلك برجز بعض الاعراب

اذا رأيت أنجما من الاسد * جبهته أو الخراة والكتد

بال سهيل فى الفضيخ ففسد * وطاب ألبان اللقاح فبرد

ويقول رجع بقوله فبرد الى معنى اللبن لان اللبن والالبان تكون فى معنى واحد وفى تذكير النعم قول الآخر

أكل عام نعم تحوونه * يلقحه قوم وتنتجونه

تذكر النعم وكان غيره منهم يقول انما قال مما فى بطونه لانه أراد مما فى بطون ما ذكرنا وينشد فى ذلك رجزا لبعضهم * مثل الفراخ نتفت حواصله * وقول الاسود بن يعفر

ان المنية والحتوف كلاهما * يوفى المخارم يرقبان سوادى

فقال كلاهما ولم يقل كلتاهما وقول الصلتان العبدى

ان السماحة والمروءة ضمنا * قبرا بمرو على الطريق الواضح

وقول الآخر

وعفراء أدنى الناس منى مودة * وعفراء عنى المعرض المتوانى

ولم يقل المعرضة المتوانية وقول الآخر

اذا الناس ناس والبلاد بغبطة * واذ أم عمار صديق مساعف

ويقول كل ذلك على معنى هذا الشئ وهذا الشخص والسواد وما أشبه ذلك ويقول من ذلك قول الله تعالى ذكره فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى بمعنى هذا الشئ الطالع وقوله ان هذه تذكرة فمن شاء ذكره ولم يقل ذكرها لان معناه فمن شاء ذكر هذا الشئ وقوله وانى مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون فلما جاء سليمان ولم يقل جاءت وكان بعض البصريين يقول قيل مما فى بطونه لان المعنى نسقيكم من أى الانعام كان فى بطونه ويقول فيه اللبن مضمر يعنى أنه يسقى من أيها كان ذا اللبن وذلك أنه ليس لكلها لبن وانما يسقى من ذوات اللبن والقولان الاولان أصح مخرجا على كلام العرب من هذا القول الثالث وقوله من بين فرث ودم لبنا خالصا يقول نسقيكم لبنا نخرجه لكم من بين فرث ودم خالصا يقول خلص من مخالطة الدم والفرث فلم يختلطا به سائغا للشاربين يقول يسوغ لمن شربه فلا يغص به كما يغص الغاص ببعض ما يأكله من الاطعمة وقيل انه لم يغص أحد باللبن قط ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾ يقول تعالى ذكره ولكم أيضا أيها الناس عبرة فيما

أفرده تشتهيها فاذا أكلتها (فاسلكى سبل ربك) أى الطريق التى ألهمك وفهمك فى عمل العسل (ذللا) جمع ذلول وهى حال من السبل لان الله سبحانه سهلها وسهلها عليها أو من الضمير فى فاسلكى أى وأنت ذلك منقادة لما أمرت به غير ممتنعة أو المراد فاسلكى ما أكلت فى سبل ربك المذللة أى فى مسالكه التى يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا وهى أجوافك ومنافذ مأكلك أو أراد أنك اذا أكلت الثمار فى المواضع البعيدة من بيوتك فاسلكى راجعة الى بيوتك سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تضلين فيها فقد يحكى أنها ربما أجدب عليها ما حولها فتسافر الى البلد البعيد فى طلب النجعة ويجوز أن يريد بقوله ثم كلى اقصدى أكل الثمرات فاسلكى فى طلبها فى مظانها سبل ربك واعلم أن ظاهر قوله أن اتخذى ثم كلى فاسلكى أمر فمن الناس من قال لا يبعد أن يكون لهذه الحيوانات عقول يتوجه بها عليها من الله أمر ونهى ومنهم من أنكر ذلك وقال المراد أنه سبحانه خلق فيها غرائز وطبائع توجب هذه الاحوال وتمام الكلام فيه سيجىء فى سورة النمل أما حدوث العسل من النحل فالأصح عند الاطباء أن الله تعالى دبر هذا العالم على وجه يحدث فى الهواء طل لطيف فى الليالى ويقع على أوراق الأشجار فقد يكون كثيرا يجتمع منه أجزاء محسوسة وهى الترنجبين ونحوه وقد يكون قليلا متفرقا على الاوراق والأزهار وهو الذى ألهم الله تعالى هذا النحل فتلتقط تلك الذرات بأفواهها وتأكلها وتغتذى بها فاذا شبعت التقطت مرة أخرى وذهبت بها ووضعتها فى بيوتها ادخارا لنفسها فاذا اجتمع فى بيوتها شئ محسوس من تلك الأجزاء الطلية فذلك هو العسل ولا يبعد أن يحصل لتلك الأجزاء فى افواهها نوع هضم وتغير وتنضج لخاصية فيها فلذلك قال

يخرج من بطونها أى من أفواهها ومن الناس من زعم أن النحل تأكل من الازهار الطيبة والاوراق العطرية ما شاءت ثم انه تعالى يقلب تلك الاجسام فى داخل بدنه عسلا ثم انه يقئ مرة أخرى فذلك هو العسل قال العقلاء والقول الاول أقرب الى التجربة والقياس فان طبيعة الترنجبين قريبة من العسل فى الطعم والشكل ولا شك أنه طل محدث فى

الهواء و يقع على أطراف الاشجار والازهار فكذا العسل وأيضا النحل انما تغتذى بالعسل ولهذا يترك منه بقية فى بيوتها بعد الاشتيار ولكن قوله تعالى (يخرج من بطونها شراب) أى ما يشرب بعضد القول الثانى وقوله (مختلف ألوانه) أى منه أبيض وأصفر وأحمر وأسود بحسب اختلاف الاماكن وأمزجة النحل واختلاف (٩٠) الازهار والاعشاب التى ترعى فيها ثم وصفه بقوله (فيه شفاء للناس) لانه من جملة الأشـــفية والأدوية المشهورة النافعة ولذا يقع فى أكثر المعاجين وتنكير شفاء لتعظيم الشفاء الذى فيه أولأن فيه بعض الشـــفاء فان كل دواء كذلك وعن النبى صلى الله عليه وسلم أن رجلا جاء اليه فقال ان أخى يشتكى بطنه فقال اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب فاسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن أخيك فســـقاه فشفاه الله فبرأ كأنما نشط من عقال قال أهـــل المعانى انه صلى الله عليه وسلم كان عالما بأنه سيظهر نفعه فلهذا قال كذب بطن أخيـــك حين لم يظهر النفع فى الحال وعن عبد الله بن مسعود العســـل شفاء من كل داء والقرآن شـــفاء لما فى الصـــدور فعليكم بالشفاءين القرآن والعسل واعلم أنه سبحانه ختم الآية الاولى بقوله لقوم يسمعون لان انزال الماء من السماء واحياء الارض بسببه أمر مشاهد محسوس فمنكر ذلك فاقد الحس وانما خص بالذكر حس السمع لان لفظ القـــرآن المنبه على هـــذه الآية مسموع وختم الآية الثانية بالعقل لانه يحتاج الى نوع تدبر فالمعرض عنه فاقد العـــقل دون الحس وختم الثالثة بالتفكر لان أمر النحـــل وقصتها العجيبة من انقيادها لأميرها واتخاذها البيوت على أشكال يعجز عنها الحاذق منا ثم تتبعها الزهر والطل ثم خروج ذلك من بطونها العابا أوقيا يقتضى فكرة بليغة ولما ذكر بعض عجائب أحوال الحيوان أتبعه عجيب خلق الانسان فقال (والله خلقكم) ولم تكونوا شيأ (ثم يتوفاكم) عند انقضاء آجالكم (ومنكم من يرد الى أرذل العمر) الى أخسه وأحقره عن على رضى الله عنه خمس وسبعون سنة وعن قتادة تسعون سنة وقال السدى هو حالة الخرف دليله قوله (لكيلا يعلم بعد علم شيأ) أى ليصير الى حالة شبيهة بحال

نسقيكم من ثمرات النخيـــل والاعناب ما تتخذون منه سكرا و رزقا حسنا مع ما نسقيكم من بطون الانعام من اللـــبن الخـــارج من بين الفرث والدم وحذف من قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب الاسم والمعنى ما وصفت وهو ومن ثمرات النخيل والاعناب ما تتخذون منـــه لدلالة من عليـــه لان من تدخـــل فى الكلام مبعضة فاستغنى بدلالتها ومعرفة السامعين بما يقتضى من ذكر الاسم معها وكان بعض نحويى البصرة يقـــول فى معنى الكلام ومن ثمـــرات النخيل والاعناب شئ تتخذون منه سكرا و يقول انما ذكرت الهاء فى قوله تتخذون منه لانه أريد بها الشئ وهو عندنا عائد على المتروك وهو ما وقوله تتخذون من صفة ما المتروكة واختلف أهل التأويل فى معنى قوله تتخذون منـــه سكرا ورزقا حسنا فقال بعضهم عنى بالسكر الخمر و بالرزق الحسن التمر والزبيب وقال انما نزلت هذه الآية قبل تحريم الخمر ثم حرمت بعـــد ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عبيد المحاربى قال ثنا أيوب بن جابر السحيمى عن الاسود عن عمرو بن سفيان عن ابن عباس قوله تتخذون منـــه سكرا ورزقا حسنا قال السكر ما حرم من شرابه والرزق الحسن ما أحـــل من ثمرته **حدثنا** ابن وكيع وسعيد بن الربيع الرازى قالا ثنا ابن عيينـــة عن الاسود بن قيس عن عمرو بن سفيان عن ابن عباس تتخذون منـــه سكرا و رزقا حســـنا قال الرزق الحسن ما أحـــل من ثمرتها والسكر ما حرم من ثمرتها **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن سـفيان عن الاسود عن عمرو بن سفيان عن ابن عباس مثله **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن الاسود بن قيس عن عمرو بن سـفيان عن ابن عباس بنحوه **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو نعيم الفضل بن دكين قال ثنا سـفيان عن الاسود بن قيس عن عمرو بن سفيان عن ابن عباس بنحوه **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الاسود بن قيس قال سمعت رجلا يحدث عن ابن عباس فى هذه الآية تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا قال السكر ما حرم من ثمرتهما والرزق الحسن ما أحل من ثمرتهما **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا الحسن ابن صالح عن الاسود بن قيس عن عمرو بن سـفيان عن ابن عباس بنحوه **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو غسان قال ثنا زهير بن معاوية قال ثنا الاسود بن قيس قال ثنى عمرو بن سـفيان قال سمعت ابن عباس يقول وذكرت عنده هذه الآية ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا قال السكر ما حرم منهما والرزق الحسن ما أحل منهما **حدثنى** يونس قال أخبرنا سفيان عن الاسود بن قيس عن عمرو بن سفيان البصرى قال قال ابن عباس فى قوله تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا قال فأما الرزق الحسن فما أحل من ثمرتهما وأما السكر فما حرم من ثمرتهما **حدثنى** المثنى قال أخبرنا الحمانى قال ثنا شريك عن الاسود عن عمرو بن سـفيان البصرى عن ابن عباس تتخذون منـــه سكرا ورزقا حسنا قال السكر حرامه والرزق الحسن حلاله **حدثنى** المثنى قال أخبرنا العباس بن أبى طالب قال ثنا أبو عوانة عن الاسود عن عمرو بن سفيان عن ابن عباس قال السكر ما حرم من ثمرتهما والرزق الحسن ما حل من ثمرتهما **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن أبى حصين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال الرزق الحسن

الطفل فى النسيان وعدم التذكر وقيل لئلا يعقل بعد عقله الاول شيأ أى لا يعلم زيادة علم على علمه وقيل ان الرد الى أرذل العمر ليس فى
المسلمين والمسلم لا يزداد بسبب العمر الا كرامة على الله تعالى ونظير الآية قوله ثم رددناه أسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات واعلم أن
العقلاء ضبطوا مراتب عمر الانسان فى أربع أولها سن النشو وثانيها سن الوقوف (٩١) وهو سن الشباب وثالثها سن الانحطاط

الحسن الحلال والسكر الحرام حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى
حصين عن سعيد بن جبير تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا قال ما حرم من ثمرتهما وما أحل من
ثمرتهما حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن أبى حصين عن سعيد بن جبير قال
السكر خمر والرزق الحسن الحلال حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن مسعر وسفيان عن
أبى حصين عن سعيد بن جبير قال الرزق الحسن الحلال والسكر الحرام حدثنى المثنى قال ثنا
أبو نعيم قال ثنا سفيان عن أبى حصين عن سعيد بن جبير بنحوه حدثنا ابن بشار قال ثنا
محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير فى هذه الآية تتخذون منه سكرا
ورزقا حسنا قال السكر الحرام والرزق الحسن الحلال حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن
مغيرة عن أبى رزين تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا قال نزل هذا وهم يشربون الخمر فكان هذا قبل
أن ينزل تحريم الخمر حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ثنا شعبة
عن المغيرة عن ابراهيم والشعبى وأبى رزين قالوا هى منسوخة فى هذه الآية تتخذون منه سكرا ورزقا
حسنا حدثنا الحسن بن عرفة قال ثنا أبو قطن عن سعيد عن المغيرة عن ابراهيم والشعبى
وأبى رزين بمثله حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن مغيرة عن
ابراهيم فى قوله تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا قال هى منسوخة نسخها تحريم الخمر حدثنا
محمد بن بشار قال ثنا هوذة قال ثنا عوف عن الحسن فى قوله تتخذون منه سكرا ورزقا
حسنا قال ذكر الله نعمته فى السكر قبل تحريم الخمر حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال
أخبرنا هشيم عن منصور وعوف عن الحسن قال السكر ما حرم الله منه والرزق ما أحل الله منه
حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن أبى جعفر عن الربيع عن الحسن قال الرزق الحسن الحلال
والسكر الحرام حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سلمة عن الضحاك قال الرزق الحسن
الحلال والسكر الحرام حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن أبى كدينة يحيى بن المهلب
عن ليث عن مجاهد قال السكر الخمر والرزق الحسن الرطب والأعناب حدثنا أحمد بن اسحق
قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن ليث عن مجاهد تتخذون منه سكرا قال هى الخمر
قبل أن تحرم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث
قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا
شبل جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد تتخذون منه سكرا قال الخمر قبل تحريمها ورزقا حسنا
قال طعاما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد
بنحوه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومن ثمرات النخيل
والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا أما السكر فخمور هذه الاعاجم وأما الرزق الحسن فما
تنبذون وما تخللون وما تأكلون ونزلت هذه الآية ولم تحرم الخمر يومئذ وانما جاء تحريمها بعد ذلك
فى سورة المائدة حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبدة بن سليمن قال قرأت على ابن أبى عذرة
قال هكذا سمعت قتادة تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ثم ذكر نحو حديث بشر حدثنا محمد بن

الخفى اليسير وهو سن الكهولة ورابعها سن الانحطاط الظاهر وهو سن الشيخوخة وذكر الاطباء
وأصحاب الطبيعى أن بدن الانسان مخلوق من المنى ومن دم الطمث وهما
جوهران حاران رطبان والحرارة اذا
عملت فى الجسم الرطب قلت رطوبته
فلا يزال ما فى هذين الجوهرين من
قوة الحرارة يقلل ما فى العضو من
الرطوبة حتى يتصلب ويظهر العظم
والغضروف والعصب والوتر والرباط
وسائر الاعضاء واذا تم تكوين البدن
وكمل فعند ذلك ينفصل الجنين من
رحم الام وتكون رطوبة البدن بعد
زائدة على حرارته فتكون الاعضاء
قابلة للتمدد والازدياد والنماء وهو
سن النشو وغايته الى ثلاثين أو الى
خمس وثلاثين سنة ثم تصير رطوبات
البدن أقل وتكون وافية بحفظ
الحرارة الغريزية الاصلية الا أنها
لا تكون زائدة على هذا القدر وهو
سن الوقوف والشباب وغايته خمس
سنين وبها يتم الاربعون ثم تقل
الرطوبات بحيث لا تكون وافية
بحفظ الحرارة الغريزية وحينئذ
يظهر النقصان قليلا الى ستين سنة
وهى سن الكهولة ثم يظهر جدا
الى تمام مائة وعشرين سنة قال
المتكلمون هذا التعليل ضعيف
لان رطوبات البدن فى حال كونه
منيا ودما كانت كثيرة ولذلك
كانت الحرارة الغريزية مغمورة ثم
انها مع ذلك كانت قوية على تحليل
أكثر الرطوبات حتى نقلتها من حد الدموية والمنوية الى أن صارت عظما وغضروفا وعصبا ورباطا فعند ما تولدت الاعضاء وكمل البدن
وقلت الرطوبات وجب أن تقوى الحرارة الغريزية قوة أزيد مما كانت قبل ذلك فوجب أن يكون تحليل الرطوبات بعد تولد البدن وكماله
أكثر من تحليلها قبل تولد البدن وليس الامر كذلك لانه قبل تولد البدن انتقل جسم الدم والمنى الى أن صار عظما وعصبا أما بعد تولد البدن

فلم يحصل مثل هذا الانتقال ولا عشر عشيره فعلمنا أن البدن انما يتولد بتدبير قادر حكيم لا لاجل ما قالوه وبوجه آخر الحرارة الحاصلة فى بدن الانسان الكامل الغريزة اما أن تكون هى عين ما كان حاصلا فى جوهر النطفة أو صارت أزيد مما كانت والاول باطل لان الحار الغريزى الحاصل فى جوهر النطفة كان بمقدار جرم (٩٢) النطفة فاذا كبر البدن وجب أن لا يظهر منه فى هذا البدن تأثير أصلا * وأما الثانى ففيه تسليم أن الحرارة تتزايد بحسب تزايد الجثة ولا ريب أن تزايدها يوجب تزايد القوة والحمة ساعة فساعة فيلزم أن لا ينهدم البدن الحيوانى أبدا وليس كذلك وبوجه ثالث هب أن الرطوبة الغريزية صارت معادلة للحرارة الغريزية فلم قلتم ان الحرارة الغريزية يجب أن تصير أقل مما كانت حتى ينتقل الانسان من سن الشباب الى سن النقصان قالوا السبب فيه أنه اذا حصل هذا الاستواء فالحرارة الغريزية بعد ذلك تؤثر فى تجفيف الرطوبة الغريزية فتقل الرطوبات الغريزية حتى صارت بحيث لا تفى بحفظ الحرارة الغريزية واذا حصلت هذه الحال ضعفت الحرارة الغريزية أيضا لان الرطوبات الغريزية كالغذاء للحرارة الغريزية فاذا قل الغذاء ضعف المغتذى فينتهى الامر الى أن لا يبقى من الرطوبة شئ لان الحرارة الغريزية توجب قلة الرطوبة الغريزية وقلتها توجب ضعف الحرارة الغريزية فيلزم من ضعف احداهما ضعف الاخرى فتنطفئ الحرارة أيضا ويحصل الموت وأورد عليهم أن الحرارة اذا أثرت فى تجفيف الرطوبة وقلتها فلم لا يجوز أن تورد القوة الغاذية بدلها فأجابوا بأن القوة الغاذية لا تفى بايراد البدل قال الامام فخر الدين الرازى وراد عليهم ان القوة الغاذية انما تعجز عن هذا الايراد اذا كانت الحرارة الغريزية ضعيفة وذلك ممنوع وانما تكون الحرارة الغريزية ضعيفة أن لو قلت الرطوبة الغريزية النبيذ وانما تحصل هذه القلة اذا عجزت الغاذية عن ايراد البدل وهذا دور محال فثبت أن اسناد هذه الاحوال الى الطبائع والقوى غير ممكن فيتعين اسنادها الى القادر المختار الحكيم ولهذا ختم الآية بقوله ان الله عليم قدير يعلم مقادير المصالح والمفاسد ويقدر على تحصيلها كما يريد وأما

عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة سكرا قال هى خمور الاعاجم ونسخت فى سورة المائدة والرزق الحسن قال ما تنتبذون وتخللون وتأكلون **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا وذلك أن الناس كانوا يسمون الخمر سكرا وكانوا يشربونها (١) قال ابن عباس مر رجال بوادى السكران الذى كانت قريش تجتمع فيه اذا تلقوا مسافريهم اذا جاؤا من الشام وانطلقوا معهم يشيعونهم حتى يبلغوا وادى السكران ثم يرجعوا منه ثم سماها الله بعد ذلك الخمر حين حرمت وقد كان ابن عباس يزعم أنها الخمر وكان يزعم أن الحبشة يسمون الخل السكر قوله ورزقا حسنا يعنى بذلك الحلال التمر والزبيب وما كان حلالا لا يسكر * وقال آخرون السكر بمنزلة الخمر فى التحريم وليس بخمر وقالوا هو نقيع التمر والزبيب اذا اشتد وصار يسكر شاربه ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا عمرو فى قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا قال ابن عباس كان هذا قبل أن ينزل تحريم الخمر والسكر حرام مثل الخمر وأما الحلال منه فالزبيب والتمر والخل ونحوه **حدثنى** المثنى وعلى بن داود قالا ثنا عبد الله ابن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله تتخذون منه سكرا حرم الله بعد ذلك يعنى بعد ما أنزل فى سورة البقرة من ذكر الخمر الميسر والانصاب والازلام والسكر مع تحريم الخمر لانه منه قال ورزقا حسنا فهو الحلال من الخل والنبيذ وأشباه ذلك فأقره الله وجعله حلالا للمسلمين **حدثنا** أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن موسى قال سألت مرة عن السكر فقال قال عبد الله هو خمر **حدثنا** أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن أبى فروة عن أبى عبد الرحمن بن أبى ليلى قال السكر خمر **حدثنا** أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن أبى الهيثم عن ابراهيم قال السكر خمر **حدثنا** أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا حسن بن صالح عن مغيرة عن ابراهيم وأبى رزين قالا السكر خمر **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله تتخذون منه سكرا يعنى ما أسكر من العنب والتمر ورزقا حسنا يعنى ثمرتها **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا قال الحلال ما كان على وجه الحلال حتى غيروها فجعلوا منها سكرا * وقال آخرون السكر هو كل ما كان حلالا شربه كالنبيذ الحلال والخل والرطب والرزق الحسن التمر والزبيب ذكر من قال ذلك **حدثنى** داود الواسطى قال ثنا أبو أسامة قال أبو روق ثنى قال قلت للشعبى أرأيت قوله تعالى تتخذون منه سكرا أهو هذا السكر الذى تصنعه النبط قال لا هذا خمر انما السكر الذى قال الله تعالى ذكره النبيذ والخل والرزق الحسن التمر والزبيب **حدثنى** يحيى بن داود قال ثنا أبو أسامة قال وذكر مجالد عن عامر نحوه **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا مندل عن ليث عن مجاهد تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا قال ما كانوا يتخذون من النخل النبيذ والرزق الحسن ما كانوا يصنعون من الزبيب والتمر **حدثنا** أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا مندل عن أبى روق عن الشعبى قال قلت له ما تتخذون منه سكرا قال كانوا يصنعون من

(١) قوله قال ابن عباس الى آخره هكذا فى النسخ وأورده فى الدر عن ابن عباس واسقط منه هذه الجملة وهو أنسب

الطبيعة فجاهلة عاجزة قلت لاشك أن نسبة هذه الامور الى مجرد الطبيعة كفر وجهل لانها ليست واجبة الوجود بالاتفاق ولكن انكار القوى والطبائع أيضا بعيد عن الانصاف والحق أنها وسائط وآلات لما فوقها من المبادئ والعلل الى أن ينتهي الامر الى مسبب الاسباب ومبدا الكل وقد ثبت عند الحكيم أن كل قوة جسمانية فانها متناهية الاثر فلا محالة تعجز القوة الغاذية آخر الامر عن ايراد بدل ما يتحلل فيحل الاجل بتقدير العليم القدير ﴿ التأويل ولو يؤاخذ الله النفوس الناسية بما ظلمت على القلوب والارواح ما ترك على أرض البشرية صفة من صفات الحيوانية ولكن يؤخر أهل السعادة الى أجلهم وهو افناء صفات النفس بصفات القلب والروح في حينه وأوانه ويؤخر أهل الشقاء الى أوان العكس من ذلك ويجعلون لله ما يكرهون أي يعاملون الله باعمال يكرهون أن يعاملهم بها غيرهم وتسول لهم أنفسهم أن تلك المعاملة حسنة والله أنزل من سماء العزة ماء بيان القرآن فأحيا به أرض قلوب الامم بعد موتها باختلافهم على أنبيائهم ان في ذلك لآية لقوم يسمعون كلام الله من الله وان لكم في الانعام النفوس لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث الخواطر الشيطانية ودم الخواطر النفسانية لبنا خالصا من الالهام الرباني سائغا للشاربين جائزا لأهل هذا الشرب ومن ثمرات نخيل الطاعات وأعناب المجاهدات تتخذون منه سكرا وهو ما يجعل منها شرب النفس فتسكر النفس فتارة تميل عن الحق والصراط المستقيم ميلان السكران وتارة تظهر رعوناتها بالافعال والاحوال رياء وسمعة وشهوة والرزق الحسن ما يكون منه شرب القلب والروح فيزداد منه الشوق والمحبة والصدق والطلب شعر

شربت الحب كأسا بعد كأس * فما نفد الشراب وما رويت

وأوحى ربك الى النحل اشارة الى حال السالك السائر أن اتخذي من الجبال بيوتا أراد الاعتزال عن الخلق والتبتل الى الله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحنث في غار حراء أسبوعا وأسبوعين وشهرا ولا بد أن ينظف كما أن النحل يحترز عن التلوث وفيه أن نحل الارواح اتخذت من جبال النفوس بيوتا ومن شجر القلوب ومما يعرشون من الاسرار ثم

النبيذ والخل قلت والرزق الحسن قال كانوا يصنعون من التمر والزبيب ﴿ حدثنا ﴾ ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة وأحمد بن بشير عن مجالد عن الشعبي قال السكر النبيذ والرزق الحسن التمر الذي كان يؤكل وعلى هذا التأويل الآية غير منسوخة بل حكمها ثابت وهذا التأويل عندي هو أولى الاقوال بتأويل هذه الآية وذلك أن السكر في كلام العرب على أحد أوجه أربعة أحدها ما أسكر من الشراب والثاني ما طعم من الطعام كما قال الشاعر * جعلت عيب الأكرمين سكرا * أي طعما والثالث السكون من قول الشاعر * وجعلت عين الحرور تسكر * وقد بينا ذلك فيما مضى والرابع المصدر من قولهم سكر فلان يسكر سكرا وسكرا وسكرا فاذا كان ذلك كذلك وكان ما يسكر من الشراب حراما بما قد دللنا عليه في كتابنا المسمى لطيف القول في أحكام شرائع الاسلام وكان غير جائز لنا أن نقول هو منسوخ اذ كان المنسوخ هو ما نفى حكمه الناسخ وما لا يجوز اجتماع الحكم به وناسخه ولم يكن في حكم الله تعالى ذكره بتحريم الخمر دليل على أن السكر الذي هو غير الخمر وغير ما يسكر من الشراب حرام اذ كان السكر أحد معانيه عند العرب ومن نزل بلسانه القرآن هو كل ما طعم ولم يكن مع ذلك اذ لم يكن في نفس التنزيل دليل على أنه منسوخ أو ورد بأنه منسوخ خبر من الرسول ولا أجمعت عليه الامة فوجب القول بما قلنا من أن معنى السكر في هذا الموضع هو كل ما حل شربه مما يتخذ من ثمر النخل والكرم وفسد أن يكون معناه الخمر أو ما يسكر من الشراب وخرج من أن يكون معناه السكر نفسه اذ كان السكر ليس مما يتخذ من النخل والكرم ومن أن يكون بمعنى السكون وقوله ان في ذلك لآية لقوم يعقلون يقول ان فيما وصفنا لكم من نعمنا التي آتيناكم أيها الناس من الانعام والنخل والكرم لدلالة واضحة وآية بينة لقوم يعقلون عن الله حججه ويفهمون عنه مواعظه فيتعظون بها ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وأوحى ربك الى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ﴾ يقول تعالى ذكره وألهم ربك يا محمد النحل ايحاء اليها أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون يعني مما يبنون من السقوف فرفعوها بالبناء * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك ﴿ حدثني ﴾ يعقوب بن ابراهيم قال ثنا مروان عن اسحق التميمي وهو ابن أبي الصباح عن رجل عن مجاهد وأوحى ربك الى النحل قال ألهمها الهاما ﴿ حدثنا ﴾ الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال بلغني في قوله وأوحى ربك الى النحل قال قذف في أنفسها ﴿ حدثنا ﴾ القاسم قال ثنا الحسين قال ثني أبو سفيان عن معمر عن أصحابه قوله وأوحى ربك الى النحل قال قذف في أنفسها أن اتخذي من الجبال بيوتا ﴿ حدثني ﴾ محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وأوحى ربك الى النحل الآية قال أمرها أن تأكل من الثمرات وأمرها أن تسبع سبل ربها ذللا وقد بينا معنى الايحاء واختلاف المختلفين فيه فيما مضى بشواهده بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وكذلك معنى قوله يعرشون وكان ابن زيد يقول في معنى يعرشون ما ﴿ حدثني ﴾ به يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله يعرشون قال الكرم ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب

كلى من الثمرات فاسلكى سبل ربك تطير قوله كلوا من الطيبات واعملوا صالحا فثمرات البدن الاعمال الصالحات وثمرات النفوس الرياضات ومخالفات الهوى وثمرات القلوب ترك الدنيا والتوجه الى المولى وثمرات الاسرار شواهد الحق والتطلع على الغيوب والتقرب الى الله وهذه كلها أغذية تحل الارواح فانها بقوة هذه الاغذية (٩٤) تسلك السبل الى أن تصل الى المقعد الصدق عند مليكها فيكون غذاؤها مكاشفات الحق ومشاهداته فتبيت عند ربها يطعمها ويسقيها حينئذ يخرج من بطونها شراب الحكم والمواعظ مختلف الالوان من المعانى والاسرار والدقائق والحقائق فيه شفاء للقلوب الناسية القاسية عن ذكر الله والله خلقكم أخرجكم من العدم الى الوجود ثم يتوفاكم عن الوجود المجازى ومنكم من يرد الى أرذل العمر وهو مقام الفناء فى الله لكيلا يعلم بعد فناء علمه شيأ يعلمه بل يعلم ربه الاشياء كما هى والله أعلم بالصواب ﴿ والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء أفنعمة الله يجحدون والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيأ ولا يستطيعون فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم وأنتم لا تعلمون ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شئ ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شئ وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم ولله غيب السموات والارض وما أمر الساعة الا كلمح البصر أو هو أقرب ان الله على كل شئ قدير والله أخرجكم من بطون

مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون ﴾ يقول تعالى ذكره ثم كلى أيتها النحل من الثمرات فاسلكى سبل ربك يقول فاسلكى طرق ربك ذللا يقول مذللة لك والذلل جمع ذلول * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء و حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تعالى فاسلكى سبل ربك ذللا قال لا يتوعر عليها مكان سلكته حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فاسلكى سبل ربك ذللا قال طرقا ذللا قال لا يتوعر عليها مكان سلكته وعلى هذا التأويل الذى تأوله مجاهد الذلل من نعت السبل والتأويل على قوله فاسلكى سبل ربك ذللا الذلل لك لا يتوعر عليك سبيل سلكتيه ثم أسقطت الالف واللام فنصب على الحال * وقال آخرون فى ذلك بما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فاسلكى سبل ربك ذللا أى مطيعة حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ذللا قال مطيعة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فاسلكى سبل ربك ذللا قال الذلول الذى يقاد ويذهب به حيث أراد صاحبه قال فهم يخرجون بالنحل ينتجعون بها ويذهبون وهى تتبعهم وقرأ أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون وذللناها لهم الآية فعلى هذا القول الذلل من نعت النحل وكلا القولين غير بعيد من الصواب فى الصحة وجهان مخرجان غير أنا اخترنا أن يكون نعتا للسبل لانها اليها أقرب وقوله يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه يقول تعالى ذكره يخرج من بطون النحل شراب وهو العسل مختلف ألوانه لان فيه أبيض وأحمر وأصفر وغير ذلك من الالوان « قال أبو جعفر » أصفر ألوان مختلفة مثل أبيض يضرب الى الحمرة وقوله فيه شفاء للناس اختلف أهل التأويل فيما عادت عليه الهاء التى فى قوله فيه فقال بعضهم عادت على القرآن وهو المراد بها ذكر من قال ذلك حدثنا نصر بن عبد الرحمن قال ثنا المحاربى عن ليث عن مجاهد فيه شفاء للناس قال فى القرآن شفاء * وقال آخرون بل أريد بها العسل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ففيه شفاء كما قال الله تعالى من الادواء وقد كان ينهى عن تفريق النحل وعن قتلها حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فذكر أن أخاه اشتكى بطنه فقال النبى صلى الله عليه وسلم اذهب فاسق أخاك عسلا ثم جاءه فقال ما زاده الا شدة فقال النبى صلى الله عليه وسلم اذهب فاسق أخاك عسلا فقد صدق الله وكذب بطن أخيك فسقاه فكأنما نشط من عقال حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن أبى اسحق عن أبى الاحوص عن عبد الله قال شفاآن العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما فى الصدور حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فيه شفاء للناس العسل وهذا

القول

أمهاتكم لا تعلمون شيأ وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون ألم يروا الى الطير مسخرات فى جو السماء ما يمسكهن الا الله ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن

أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا الى حين والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون فان تولوا فانما عليك البلاغ المبين يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون ﴿القرآن تجحدون بتاء الخطاب أبو بكر وحماد الآخرون على الغيبة من بطون امهاتكم ونحوها بكسر الهمزة وفتح الميم على إمهاتكم بكسرهما حمزة الباقون بضم الهمزة وفتح الميم ألم تروا على الخطاب ابن عامر وحمزة وخلف وسهل ويعقوب ظعنكم بسكون العين عاصم وحمزة وعلى وخلف وابن عامر الباقون بفتحها ﴿الوقوف في الرزق ج لاختلاف الجملتين مع الفاء سواء ط يجحدون ٥ من الطيبات ط يكفرون ٥ لا للعطف ولا يستطيعون ٥ ج لابتداء النهي مع فاء التعقيب الأمثال ط لا تعلمون ٥ وجهرا ط هل يستوون ط الحمد لله ط لان بل للاعراض عن الاول لا يعلمون ٥ مولاه لا لأن الجملة بعده صفة أحدهما بخير ط ثم لا وقف الى مستقيم لاتحاد الكلام والارض ط أقرب ط قدير ٥ شيأ للعطف والافئدة لا لتعلق لعلكم تشكرون ٥ السماء ط للفصل بين الاستخبار والاخبار الا الله ط يؤمنون ٥ اقامتكم لا لوقوع جعل على أثاثا الى حين ٥ باسكم ط تسلمون ٥ المبين ٥ الكافرون ٥ ﴿التفسير لما بين خلق الانسان وتقلبه في أطوار مراتب العمر أراد أن يذكره طرفا من سائر أحواله لعله يتذكر فقال (والله فضل بعضكم على بعض في الرزق) ولا ريب أن ذلك أمر مقسوم من قبل القسام والا لم يكن الغافل رخي البال والعاقل ردي الحال وليس هذا التفاوت مختصا بالمال وانما هو حاصل في الحسن والقبح والصحة والسقم وغير ذلك فلرب مالك نقادا لجنائب بين يديه ولا يمكنه ركوب واحدة منها ورب ما أحضرت الاطعمة الشهية والفواكه العطرة عنده ولا يقدر على تناول شيء منها ورب ما رأى انسانا كامل القوة صحيح المزاج شديد البطش لا يجد ملء بطنه طعاما وللمفسرين في الآية قولان أحدهما أن المراد تقرير كون السعادة والنحوسة والغنى والفقر بقسمة الله تعالى وأنه

القول أعني قول قتادة أولى بتأويل الآية لان قوله فيه في سياق الخبر عن العسل فأن تكون الهاء من ذكر العسل اذ كانت في سياق الخبر عنه أولى من غيره وقوله ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون يقول تعالى ذكره ان في اخراج الله من بطون هذه النحل الشراب المختلف الذي هو شفاء للناس لدلالة وحجة واضحة على من سخر النحل وهداها لأكل الثمرات التي تأكل واتخاذها البيوت التي تنحت من الجبال والشجر والعروش وأخرج من بطونها ما أخرج من الشفاء للناس أنه الواحد الذي ليس كمثله شيء وأنه لا ينبغي أن يكون له شريك ولا تصح الالوهة الا له ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكي لا يعلم بعد علم شيأ ان الله عليم قدير﴾ يقول تعالى ذكره والله خلقكم أيها الناس وأوجدكم ولم تكونوا شيأ لا الآلهة التي تعبدون من دونه فاعبدوا الذي خلقكم دون غيره ثم يتوفاكم يقول ثم يقبضكم ومنكم من يرد الى أرذل العمر يقول ومنكم من يهرم فيصير الى أرذل العمر وهو أردؤه يقال منه رذل الرجل وفسل يرذل رذالة ورذولة ورذلته أنا وقيل انه يصير كذلك في خمس وسبعين سنة حدثني محمد بن اسمعيل الفزاري قال أخبرنا محمد بن سوار قال ثنا أسد بن حمران عن سعد بن طريف عن الاصبغ ابن نباتة عن علي في قوله ومنكم من يرد الى أرذل العمر قال خمس وسبعون سنة وقوله لكي لا يعلم بعد علم شيأ يقول انما نرده الى أرذل العمر ليعود جاهلا كما كان في حال طفولته وصباه بعد علم شيأ يقول لئلا يعلم شيأ بعد علم كان يعلمه في شبابه فذهب ذلك بالكبر ونسي فلا يعلم منه شيأ وانسلخ من عقله فصار من بعد عقل كان له لا يعقل شيأ ان الله عليم قدير يقول ان الله لا ينسى ولا يتغير علمه عليم بكل ما كان ويكون قدير على ما شاء لا يجهل شيأ ولا يعجزه شيء أراده ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله يجحدون﴾ يقول تعالى ذكره والله أيها الناس فضل بعضكم على بعض في الرزق الذي رزقكم في الدنيا فما الذين فضلهم الله على غيرهم بما رزقهم برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم يقول بشركي مما لكيهم فيما رزقهم من الاموال والازواج فهم فيه سواء يقول حتى يستووا هم في ذلك وعبيدهم يقول تعالى ذكره فهم لا يرضون بأن يكونوا هم ومما لكيهم فيما رزقهم سواء وقد جعلوا عبيدي شركائي في ملكي وسلطاني وهذا مثل ضربه الله تعالى ذكره للمشركين بالله وقيل انما عنى بذلك الذين قالوا ان المسيح ابن الله من النصارى وقوله أفبنعمة الله يجحدون يقول تعالى ذكره أفبنعمة الله التي أنعمها على هؤلاء المشركين من الرزق الذي رزقهم في الدنيا يجحدون باشراكهم غير الله من خلقه في سلطانه وملكه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم يقول لم يكونوا يشركون عبيدهم في أموالهم ونسائهم فكيف يشركون عبيدي معي في سلطاني فذلك قوله أفبنعمة الله يجحدون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس هذه الآية في شأن عيسى بن مريم يعني بذلك نفسه انما

جعل بعض الناس موالى و بعضهم مماليك وليس المالك رازقا للعبد وانما الرازق للعبد والمولى هو الله فلا تحسبن الموالى المفضلين أنهم يرزقون مماليكهم من عندهم شيأ من الرزق وانما ذلك رزق لهم أجريته لهم على أيديهم وثانيهما أن المراد الرد على من أثبت لله شريكا كالصنم أو كعيسى فضرب له مثلا فقال أنتم (٩٦) لا تسوون بينكم و بين عبيدكم فيما أنعمت به عليكم ولا ترتدون رزقكم عليهم حتى تتساووا فى المطعم والملبس فالفاء فى قوله فهم فيه سواء للتعليل ولك أن تقول بمعنى حتى أى حتى يكون عبيدهم معهم سواء فى الرزق فكيف رضيتم أن تجعلوا عبيدى لى شركاء عن أبى ذر رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى العبيد انما هم اخوانكم فاكسوهم مما تلبسون وأطعموهم مما تطعمون فمن رؤى عبده بعد ذلك الا ورداؤه رداؤه وازاره ازاره من غير تفاوت (أفبنعمة الله) وهى أنه جعلهم موالى مفضلين لا عبيدا مفضولين (يجحدون) أو جعل عدم التسوية بينهم و بين عبيدهم من جملة جحود النعمة أو جعل اعتقاد أهلية العبادة لغير الله كفرا بنعمة الله والجحود فى معنى الكفران فلذلك عداه بالباء قال أبو عبيدة وأبو حاتم قراءة العبية وهى الكثرى أولى لقرب المخبر عنه ولانه لو كان خطابا كان ظاهره للمسلمين وانهم لا يخاطبون بجحد نعمة البتة الحالة الاخرى من أحوال الانسان قوله عم طوله (والله جعل لكم من أنفسكم) أى من جنسكم (أزواجا) ليكون الانس به أتم ولا ريب أن تخليق الذكور والاناث مستند الى قدرة الله وتكوينه والطبيعيون قد يذكرون له وجها قالوا ان المنى اذا انصب من الخصية اليمنى الى الذكر ثم انصب منه الى الجانب الايمن من الرحم كان الولد ذكرا تاما فى الذكورة بناء على أن الذكر أسخن مزاجا وكذا الجانب الايمن وان انصب من الخصية اليسرى الى الجانب الايسر من الرحم كان الولد تاما فى الانوثية واذا انصب من اليمنى الى الايسر كان ذكرا فى طبيعة الاناث وان كان بالعكس كان بالعكس قال الامام فخر الدين الرازى هذه العلة ضعيفة فقد رأينا فى النساء من كان مزاجه فى غاية السخونة وفى الرجال من كان مزاجه فى غاية البرودة ولقائل أن يقول الكلام عن

عيسى عبد فيقول الله والله ما تشركون عبيدكم فى الذى لكم فتكونوا أنتم وهم سواء فكيف ترضون لى بما لا ترضون لانفسكم **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و **حدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء و **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم قال مثل آلهة الباطل مع الله تعالى ذكره **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله يجحدون وهذا مثل ضربه الله فهل منكم من أحد شارك مملوكه فى زوجته وفى فراشه فتعدلون بالله خلقه وعباده فان لم ترض لنفسك هذا فالله أحق أن يترفع منه من نفسك ولا تعدل بالله أحدا من عباده وخلقه **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد ابن ثور عن معمر عن قتادة فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم قال هذا الذى فضل فى المال والولد لا يشرك عبده فى ماله وزوجته يقول قد رضيت بذلك لله ولم ترض به لنفسك فجعلت لله شريكا فى ملكه وخلقه ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ ﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون﴾ يقول تعالى ذكره والله الذى جعل لكم أيها الناس من أنفسكم أزواجا يعنى أنه خلق من آدم زوجته حواء وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا أى والله خلق آدم ثم خلق زوجته منه ثم جعل لكم بنين وحفدة واختلف أهل التأويل فى المعنيين بالحفدة فقال بعضهم هم الأختان أختان الرجل على بناته ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب وابن وكيع قالا ثنا أبو معاوية قال ثنا أبان بن تغلب عن المنهال بن عمرو عن ابن حبيش عن عبد الله بنين وحفدة قال الاختان **حدثنا** أبو كريب قال ثنا أبو بكر عن عاصم عن ورقاء سألت عبد الله ما تقول فى الحفدة هم خدم الرجل يا أبا عبد الرحمن قال لا ولكنهم الأختان **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن و **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قالا جميعا ثنا سفيان عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش عن عبد الله قال الحفدة الاختان **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان باسناده عن عبد الله مثله **حدثنا** ابن بشار وأحمد بن الوليد القرشى وابن وكيع وسوار بن عبد الله العنبرى ومحمد بن خلف بن خراش والحسن بن خلف الواسطى قالوا ثنا يحيى بن سعيد القطان عن الاعمش عن أبى الضحى قال الحفدة الاختان **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا هشيم عن المغيرة عن ابراهيم قال الحفدة الاختان **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير بنين وحفدة قال الحفدة الأختان **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم قال الحفدة الختن **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن عاصم عن زر عن عبد الله قال الاختان **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا حفص عن أشعث عن عكرمة عن ابن عباس قال الأختان و **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على

فى المزاج الصنفى لا فى المزاج الشخصى وهذا الامام لم يفرق بينهما فاعترض بأحدهما على الآخر (وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة) أصل الحفد الاسراع فى الخدمة والفاعل حافد والجمع حفدة فقيل أراد بها فى الآية الاختان على البنات وقيل أولاد الاولاد وقيل أولاد المرأة من الزوج الاول وقيل الخدم والاعوان وقيل البنون أنفسهم لانهم الجامعون بين الامرين البنوة والخدمة وقيل الاولى دخول الكل فيه ثم ذكر انعامه عليهم بالمطعومات الطيبة لان لذة المنكوح لا تهنأ الا بعد الفراغ من لذة المطعوم أو بعد الفراغ من تحصيل أسبابها وأورد من التبعيضة لأن لذة كل الطيبات لا تكون الا فى الجنة ثم ختم الآية بقوله (أفبالباطل يؤمنون) فقيل الباطل هو ما اعتقدوه من منفعة الأصنام وبركتها وشفاعتها ونعمة الله ما عدده فى الآيات السابقة وقيل الباطل ما زين لهم الشيطان من تحريم البحيرة والسائبة وغيرهما ونعمة الله ما أحل لهم وانما قال ههنا (وبنعمة الله هم يكفرون) وفى آخر العنكبوت وبنعمة الله يكفرون لأن تلك الآيات استمرت على الغيبة فلم يحتج الى زيادة ضمير الغائب وأما فى الآية فقد سبق مخاطبات كثيرة فلم يكن بد من ضمير الغائب المؤكد لئلا يلتبس بالخطاب ولما عدد بعض الآيات الدالة على الاقرار بالتوحيد أنكر صنيع أهل الشرك عليهم قائلا (ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا) قال جار الله ان كان بمعنى المصدر نصبت به شيأ أى لا يملك أن يرزق شيأ وان أردت المرزوق كان شيأ بدلا منه بمعنى قليلا أو يكون تأكيدا للا يملك أى لا يملك شيأ من الملك و (من السموات والارض) صلة للرزق ان كان مصدرا بمعنى لا يرزق من السموات مطرا ولا من الارض نباتا وصفة ان كان اسما لما يرزق أما الضمير فى (ولا يستطيعون) فعائد الى ما بعد أن قيل لا يملك على اللفظ المفرد وجمع بالواو والنون بناء على زعمهم أن الأصنام آلهة والفائدة فى نفى الاستطاعة عنهم أن من لا يملك شيأ قد يكون موصوفا باستطاعة أن يتملك بطريق من الطرق فبين تعالى أنها لا تملك ولا تستطيع تحصيل الملك وجوز فى الكشاف أن يكون الضمير

عن ابن عباس قوله وحفدة قال الاصهار حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا حماد عن عاصم عن زر عن ابن مسعود قال الحفدة الاختان حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عاصم بن أبى النجود عن زر بن حبيش قال قال لى عبد الله بن مسعود ما الحفدة يا زر قال قلت هم أحفاد الرجل من ولده وولد ولده قال لا هم الاصهار * وقال آخرون هم أعوان الرجل وخدمه ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن خالد بن خداش قال ثنى سلم بن قتيبة عن وهب بن حبيب الاسدى عن أبى حمزة عن ابن عباس سئل عن قوله بنين وحفدة قال من أعانك فقد حفدك أما سمعت قول الشاعر

حفد الولائد حولهن وأسلمت * باكفهن أزمة الأجمال

حدثنا هناد قال ثنا أبو الاحوص عن سماك عن عكرمة فى قوله بنين وحفدة قال الحفدة الخدام حدثنى محمد بن خالد بن خداش قال ثنى سلم بن قتيبة عن حازم بن ابراهيم البجلى عن سماك عن عكرمة قال قال الحفدة الخدام حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمران بن عيينة عن حصين عن عكرمة قال هم الذين يعينون الرجل من ولده وخدمه حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحكم بن أبان عن عكرمة وحفدة قال الحفدة من خدمك من ولدك حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن سلام بن سليم وقيس عن سماك عن عكرمة قال هم الخدم حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سلام أبو الاحوص عن سماك عن عكرمة مثله حدثنى محمد بن خالد قال ثنى سلمة عن أبى هلال عن الحسن فى قوله بنين وحفدة قال البنين وبنى البنين من أعانك من أهل وخادم فقد حفدك حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن منصور عن الحسن قال هم الخدم حدثنى محمد بن خالد وابن وكيع ويعقوب بن ابراهيم قالوا ثنا اسمعيل بن علية عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال الحفدة الخدم حدثنا أحمد ابن اسحق قال ثنا أبو أحمد وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى وحدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن جميعا عن سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بنين وحفدة قال ابنه وخادمه حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تعالى بنين وحفدة قال أنصارا وأعوانا وخداما حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا زمعة عن ابن طاوس عن أبيه قال الحفدة الخدم حدثنا ابن بشار مرة أخرى قال ابنه وخادمه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة مهنة يمهنونك ويخدمونك من ولدك كرامة أكرمكم الله بها حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الله عن اسرائيل عن السدى عن أبى مالك الحفدة قال الأعوان حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن حصين عن عكرمة قال الذين يعينونه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحكم بن أبان

للكفار أى لا يستطيع هؤلاء مع أنهم أحياء متصرفون فكيف بالجماد الذى لا حس له (فلا تضربوا لله الامثال) أى لا تشبهوه بخلقه فان ضارب المثل مشبه حالا بحال وقصة بقصة وقال الزجاج لا تجعلوا لله مثلا لانه واحد لا مثل له وكانوا يقولون ان الله العالم أجل من أن يعبده الواحد منا فكانوا يتوسلون الى الأصنام والكواكب كما أن أصاغر الناس يخدمون أكابر حضرة الملك وأولئك الاكابر يخدمون الملك فنهوا عن غير الحنيفية والاخلاص وعلل النهى بقوله (ان الله يعلم) ما عليكم من العقاب (وأنتم لا تعلمون) ما فى عبادتها من العذاب وفيه أن القياس الذى توهموه ليس بصحيح والنص يجب تقديمه على ذلك وقيل ان الله يعلم كيف يضرب الامثال وأنتم لا تعلمون ثم علمهم كيف تضرب فقال (ضرب الله مثلا) ثم أبدل من المثل قوله (عبدا مملوكا) لا حر افان جميع الناس عبيد الله فلا يلزم من كونه عبدا كونه مملوكا وقوله (لا يقدر على شئ) ليخرج العبد المأذون والمكاتب فانهما يقدران على التصرف احتج الفقهاء بالآية على أن العبد لا يملك شيأ وان ملكه السيد لان قوله لا يقدر حكم مذكور عقيب الوصف المناسب فدل على أن العبدية أينما وجدت فهى علة للذل والمقهورية وعدم القدرة فثبت العموم وهو أن كل عبد فهو لا يقدر على التصرف وأيضا قوله (ومن رزقناه منا رزقا حسنا) يقتضى أن لا يحصل للقسم الاول هذا الوصف فلو ملك العبد شيأ تاما صدق عليه أن الله قد آتاه الرزق الحسن فلم يثبت الامتياز والاكثرون على أن عدم اقتدار العبد مخصوص بماله تعلق بالمال وعن ابن عباس أنه لا يملك الطلاق أيضا قال جار الله الظاهر أن من فى قوله ومن رزقناه موصوفة كأنه قيل وحر رزقناه ليطابق عبدا ولا يمتنع أن تكون موصولة وجمع قوله (هل يستوون) لانه أراد الاحرار والعبيد وللمفسرين فى مضرب المثل أقوال فالأكثرون على أنه أراد أنا لو فرضنا عبدا مملوكا لا يقدر على شئ وفرضنا حرا كريما غنيا كثير الانفاق سرا وجهرا فصريح العقل يشهد بأنه لا يجوز التسوية بينهما مع استوائهما فى الخلقة والصورة فكيف يجوز للعاقل أن يسوى بين الله القادر على الرزق والافضال وبين الأصنام التى لا تملك ولا تقدر البتة

عن عكرمة فى قوله بنين وحفدة قال الحفدة من خدمك من ولدك وولد ولدك **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن التيمى عن أبيه عن الحسن قال الحفدة الخدم **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن حصين عن عكرمة بنين وحفدة قال ولده الذين يعينونه * وقال آخرون هم ولد الرجل وولد ولده ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا عبد الصمد قال ثنا شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وحفدة قال هم الولد وولد الولد **حدثنا** ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى بشر عن مجاهد وسعيد بن جبير عن ابن عباس فى هذه الآية بنين وحفدة قال الحفدة البنون **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا غندر عن شعبة عن أبى بشر عن مجاهد عن ابن عباس مثله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى بكر عن عكرمة عن ابن عباس قال بنوك حين يخدمونك ويرفدونك ويعينونك ويخدمونك قال حميد

حفد الولائد حولهن وأسلمت * بأكفهن أزمة الأجمال

حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة قال الحفدة الخدم من ولد الرجل هم ولده وهم يخدمونه قال وليس تكون العبيد من الازواج كيف يكون من زوجى عبدا انما الحفدة ولد الرجل وخدمه **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله بنين وحفدة يعنى ولد الرجل يحفدونه ويخدمونه وكانت العرب انما تخدمهم أولادهم الذكور * وقال آخرون هم بنو امرأة الرجل من غيره ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة يقول بنو امرأة الرجل ليسوا منه ويقال الحفدة الرجل يعمل بين يدى الرجل يقول فلان يحفدنا ويزعم رجال أن الحفدة أختان الرجل والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال ان الله تعالى أخبر عباده معرفهم نعمه عليهم فيما جعل لهم من الازواج والبنين فقال تعالى والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة فأعلمهم أنه جعل لهم من أزواجهم بنين وحفدة والحفدة فى كلام العرب جمع حافد كالكذبة جمع كاذب والفسقة جمع فاسق والحافد فى كلامهم هو المتخفف فى الخدمة والعمل والحفد خفة العمل يقال مر البعير يحفد حفدانا اذا مر يسرع فى سيره ومنه قولهم اليك نسعى ونحفد أى نسرع الى العمل بطاعتك يقال منه حفد له يحفد حفدا وحفودا وحفدانا ومنه قول الراعى

كلفت مجهولها نوقا يمانية * اذا الحداة على أكسائها حفدوا

واذ كان معنى الحفدة ما ذكرنا من أنهم المسرعون فى خدمة الرجل المتخففون فيها وكان الله تعالى ذكره أخبرنا أن مما أنعم به علينا أن جعل لنا حفدة تحفدنا وكان أولادنا وأزواجنا الذين يصلحون للخدمة منا ومن غيرنا وأختاننا الذين هم أزواج بناتنا من أزواجنا وخدمنا من مماليكنا اذا كانوا يحفدوننا فيستحقون اسم حفدة ولم يكن الله تعالى ذل بظاهر تنزيله ولا على لسان رسوله صلى

وقيل العبد المملوك هو الكافر المحروم عن طاعة الله وعبوديته والآخر هو المؤمن المشتغل بالتعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله والغرض أنهما لا يستويان فى الرتبة والشرف والقرب من رضوان الله وقيل العبد هو الصنم لقوله ان كل من فى السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا والثانى عابد الصنم والمراد أنهما لا يستويان فى القدرة والتصرف لان الاول جماد وهذا انسان فكيف يجوز

صلى الله عليه وسلم ولا بحجة عقل على أنه عنى بذلك نوعا من الحفدة دون نوع منهم وكان قد أنعم بكل ذلك علينا لم يكن لنا أن نوجه ذلك الى خاص من الحفدة دون عام الا ما اجتمعت الامة عليه أنه غير داخل فيهم واذا كان ذلك كذلك فلكل الاقوال التى ذكرنا عن ذكرنا وجه فى الصحة ومخرج فى التأويل وان كان أولى بالصواب من القول ما اخترنا لما بينا من الدليل وقوله ورزقكم من الطيبات يقول ورزقكم من حلال المعاش والارزاق والاقوات أفبالباطل يؤمنون يقول تعالى ذكره يحرم عليهم أولياء الشيطان من البحائر والسوائب والوصائل فيصدق هؤلاء المشركون بالله وبنعمة الله هم يكفرون يقول وبما أحل الله لهم من ذلك وأنعم عليهم باحلاله يكفرون يقول ينكرون تحليله ويجحدون أن يكون الله أحله ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيأ ولا يستطيعون فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ يقول تعالى ذكره ويعبد هؤلاء المشركون بالله من دونه أوثانا لا تملك لهم رزقا من السموات لانها لا تقدر على انزال قطر منها لاحياء موتان الارضين والارض يقول ولا تملك لهم أيضا رزقا من الارض لانها لا تقدر على اخراج شئ من نباتها وثمارها لهم ولا شيأ مما عدد تعالى فى هذه الآية أنه أنعم بها عليهم ولا يستطيعون يقول ولا تملك أوثانهم شيأ من السموات والارض بل هى وجميع ما فى السموات والارض لله ملك ولا يستطيعون يقول ولا تقدر على شئ وقوله فلا تضربوا لله الامثال يقول فلا تمثلوا لله الامثال ولا تشبهوا له الاشباه فانه لا مثل له ولا شبه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد الامثال الاشباه وحدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فلا تضربوا لله الامثال يعنى اتخاذهم الاصنام يقول لا تجعلوا معى الها غيرى فانه لا اله غيرى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيأ ولا يستطيعون قال هذه الاوثان التى تعبد من دون الله لا تملك لمن يعبدها رزقا ولا ضرا ولا نفعا ولا حياة ولا نشورا وقوله فلا تضربوا لله الامثال فانه أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ان الله يعلم وأنتم لا تعلمون يقول والله أيها الناس يعلم خطأ ما تمثلون وتضربون من الأمثال وصوابه وغير ذلك من سائر الاشياء وأنتم لا تعلمون صواب ذلك من خطئه واختلف أهل العربية فى الناصب قوله شيأ فقال بعض البصريين هو منصوب على البدل من الرزق وهو فى معنى لا يملكون رزقا قليلا ولا كثيرا وقال بعض الكوفيين نصب شيأ بوقوع الرزق عليه كما قال تعالى ذكره ألم نجعل الارض كفاتا أحياء وأمواتا أى تكفت الاحياء والاموات ومثله قوله تعالى ذكره أو اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة قال ولو كان الرزق مع الشئ لجاز خفضه لا يملك لكم رزقا شئ من السموات ومثله فجزاء مثل ما قتل من النعم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شئ ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون ﴾ يقول تعالى ذكره وشبه الله لكم شبها أيها الناس للكافر من عبيده والمؤمن به منهم فأما مثل الكافر فانه

الحكم بأن الاول مساو لرب العالمين (الحمد لله) قال ابن عباس أراد الحمد لله على ما فعل بأوليائه وأنعم عليهم بالتوحيد وقيل معناه كل الحمد لله وليس شئ من الحمد للاصنام لأنه لا نعمة لها على أحد (بل أكثرهم لا يعلمون) أن كل الحمد لى وقيل أراد قل الحمد لله والخطاب اما للرسول صلى الله عليه وسلم واما لمن رزقه الله رزقا حسنا وميزه بالقدرة والاختيار والتصرف من العبد الذليل الضعيف وقيل لما ذكر مثلا مطابقا للغرض كاشفا عن المقصود قال الحمد لله أى على قوة هذه الحجة وظهور هذه البينة بل أكثرهم لا يعلمون قوتها وظهورها ثم ضرب مثلا ثانيا لنفسه ولما يفيض على عباده من النعم الدينية والدنيوية وللاصنام التى هى أموات لا تضر ولا تنفع بل يصل منها الى من يعبدها أعظم المضار أما تفسير الالفاظ فالابكم العى المفحم وقد بكم بكما وبكامة وقيل هو الأقطع اللسان الذى لا يحسن الكلام وروى ثعلب عن ابن الأعرابى أنه الذى لا يسمع ولا يبصر وقوله (وهو كل على مولاه) أصله من الغلظ الذى هو نقيض الحدة يقال كل السكين اذا غلظت شفرته وكل اللسان اذا غلظ فلم يقدر على الكلام وكل فلان عن الكلام اذا ثقل عليه ولم ينبعث فيه وفلان كل على مولاه أى ثقيل وعيال على من يلى أمره وقوله (أينما يوجهه) حيثما يرسله (لا يأت

بخير) لم ينجح فى مطلبه والتوجيه أن ترسل صاحبك فى وجه معين من الطريق (هل يستوى هو) أى الموصوف بهذه الصفات المذكورة (ومن يأمر) الناس (بالعدل وهو) فى نفسه (على صراط مستقيم) على سيرة صالحة ودين قويم غير منحرف الى طرفى الافراط والتفريط ولا شك أن الآمر بالعدل يجب أن يكون عالما حتى يمكنه التمييز بين العدل والجور قادرا حتى يتأتى منه الاتيان بالخير والامر به وكلا الوصفين يناقض

كونه أبكم لا يقدر قال مجاهد هذا مثل لآلهة الخلق وما يدعى من دونه أما الأبكم فمثل الصنم لانه لا ينطق البتة ولا يقدر على شئ وهو كل على عابديه لانه لا ينفق عليهم وهم ينفقون عليه والى أى مهم يوجه الصنم لا يأتى بخير وأما الذى يأمر بالعدل فهو الله سبحانه وروى الواحدى باسناده عن عكرمة عن ابن عباس قال نزلت الآية المتقدمة فى هشام بن عمرو وهو الذى ينفق ماله سرا وجهرا ومولاه أبو الحوار الذى كان ينهاه عنه وهذه الآية نزلت فى سعيد بن أبى العيص وفى عثمن ابن عفان مولاه والأصح أن المقصود من الآية الاولى كل عبد موصوف بالصفات الذميمة وكل حر موصوف بالخصال الحميدة ومن الآية الثانية كل رجل جاهل عاجز وكل من هو بضد ذلك من كونه شامل العلم كامل القدرة وليس الا الله سبحانه فلذلك مدح نفسه بقوله (ولله غيب السموات والارض) أى يختص به علم ما غاب عن العباد فيهما أو أراد بغيبهما يوم القيامة لان علمه غائب عن غير الله ويؤيد هذا التفسير قوله (وما أمر الساعة الا كلمح البصر) اللمح النظر بسرعة ولا بد فيه من زمان تتقلب فيه الحدقة نحو المرئى وكل زمان قابل للتجزئة فلذلك قال (أو هو أقرب) وليس هذا من قبيل المبالغة وانما هو كلام فى غاية الصدق لان مدة ما بين الخطاب وقيام الساعة متناهية ومنها الى الابد غير متناه ولا نسبة للمتناهى الى غير المتناهى وقيل معنى أمر الساعة أن اماتة الاحياء واحياء الاموات كلهم يكون فى أقرب وقت وأقله ثم أكده بقوله (ان الله على كل شئ قدير) ثم زاد فى التأكيد ذكر حالة أخرى للانسان دالة على غاية قدرته ونهاية رأفته فقال (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيأ) قال جار الله هو فى موضع الحال أى غير عالمين شيأ من حق المنعم الذى خلقكم فى البطون وسوّاكم وصوّركم ثم أخرجكم من الضيق الى السعة وقوله (وجعل لكم) معناه وما ركب فيكم الذى هذه الاشياء الا آلات لازالة الجهل الذى ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه والترقى الى ما يسعدكم (والافئدة) فى فؤاد كالاغربة فى غراب وهو من جموع القلة التى تستعمل فى مقام الكثرة أيضا لعدم ورود غيرها واعلم أن جمهور الحكماء

لا يعمل بطاعة الله ولا يأتى خيرا ولا ينفق فى شئ من سبيل الله ماله لغلبة خذلان الله عليه كالعبد المملوك الذى لا يقدر على شئ فينفقه وأما المؤمن بالله فانه يعمل بطاعة الله وينفق فى سبيله ماله كالحر الذى آتاه الله مالا فهو ينفق منه سرا وجهرا يقول يعلم من الناس وغير هل يستوون يقول هل يستوى العبد الذى لا يملك شيأ ولا يقدر عليه وهذا الحر الذى قد رزقه الله رزقا حسنا فهو ينفق كما وصف فكذلك لا يستوى الكافر العامل بمعاصى الله المخالف أمره والمؤمن العامل بطاعته وبنحو ما قلنا فى ذلك كان بعض أهل العلم يقول ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شئ هذا مثل ضربه الله للكافر رزقه مالا فلم يقدم فيه خيرا ولم يعمل فيه بطاعة الله قال الله تعالى ذكره ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهذا المؤمن أعطاه الله مالا فعمل فيه بطاعة الله وأخذ بالشكر ومعرفة حق الله فأثابه الله على ما رزقه الرزق المقيم الدائم لاهله فى الجنة قال الله تعالى ذكره هل يستويان مثلا والله ما يستويان الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة عبدا مملوكا لا يقدر على شئ قال هو الكافر لا يعمل بطاعة الله ولا ينفق خيرا ومن رزقناه منا رزقا حسنا قال المؤمن يطيع الله فى نفسه وماله حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شئ يعنى الكافر أنه لا يستطيع أن ينفق نفقة فى سبيل الله ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا يعنى المؤمن وهذا المثل فى النفقة وقوله الحمد لله يقول الحمد الكامل لله خالصا دون ما تدعون أيها القوم من دونه من الاوثان فاياه فاحمدوا دونها وقوله بل أكثرهم لا يعلمون يقول ما الامر كما تفعلون ولا القول كما تقولون ما للاوثان عندهم من يد ولا معروف فتحمدوه عليه انما الحمد لله ولكن أكثر هؤلاء الكفرة الذين يعبدونها لا يعلمون أن ذلك كذلك فهم بجهلهم بما يأتون ويذرون يجعلونها لله شركاء فى العبادة والحمد وكان مجاهد يقول ضرب الله هذا المثل والمثل الآخر بعده لنفسه وللآلهة التى تعبد من دونه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شئ وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم﴾ وهذا مثل ضربه الله تعالى لنفسه والآلهة التى تعبد من دونه فقال تعالى ذكره وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شئ يعنى بذلك الصنم أنه لا يسمع شيأ ولا ينطق لانه اما خشب منحوت واما نحاس مصنوع لا يقدر على نفع لمن خدمه ولا دفع ضر عنه وهو كل على مولاه يقول وهو عيال على ابن عمه وحلفائه وأهل ولايته فكذلك الصنم كل على من يعبده يحتاج أن يحمله ويضعه ويخدمه كالأبكم من الناس الذى لا يقدر على شئ فهو كل على أوليائه من بنى أعمامه وغيرهم أينما يوجهه لا يأت بخير يقول حيثما يوجهه لا يأت بخير لانه لا يفهم ما يقال له ولا يقدر أن يعبر عن نفسه ما يريد فهو لا يفهم ولا يفهم عنه فكذلك الصنم لا يعقل ما يقال له فيأتمر لأمر من أمره ولا ينطق فيأمر وينهى يقول الله تعالى هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل يعنى هل يستوى هذا الأبكم الكل على مولاه الذى لا يأتى بخير حيث توجه ومن هو ناطق متكلم يأمر بالحق ويدعو اليه وهو الله الواحد القهار

زعموا أن الانسان فى مبدإ فطرته خال عن المعارف والعلوم الا أنه تعالى خلق السمع والبصر والفؤاد وسائر القوى المدركة حتى ارتسم فى خياله بسبب كثرة ورود المحسوسات عليه حقائق تلك الماهيات وحضرت صورها فى ذهنه ثم ان مجرد حضور تلك الحقائق ان كان كافيا فى جزم الذهن بثبوت بعضها لبعض أو انتفاء بعضها عن بعض فتلك الاحكام علوم بديهية وان لم تكن كذلك بل كانت متوقفة على علوم سابقة عليها ولا محالة تنتهى الى البديهيات قطعا للدور أو التسلسل فهى علوم كسبية وظهر أن السبب الاول لحدوث هذه المعارف فى النفوس الانسانية هو أن الله تعالى أعطى الحواس والقوى الدراكة للصور الجزئية وعندى أن النفس قبل البدن موجودة عالمة بعلوم جمة وهى التى ينبغى أن تسمى بالبديهيات وانما لا يظهر آثارها عليها عند انفصال الجنين من الام لضعف البدن واشتغالها بتدبيره حتى اذا قوى وترقى ظهرت آثارها شيأ فشيأ وقد برهنا على هذه المعانى فى كتبنا الحكمية فالمراد بقوله (لا تعلمون شيأ) أنه لا يظهر أثر العلم عليكم ثم انه بتوسط الحواس الظاهرة والباطنة يكتسب العلوم المتوقفة على التعلق ومعنى (لعلكم تشكرون) ارادة أن تصرفوا كل آلة فيما خلقت لاجله وليس الواو للترتيب حتى يلزم من عطف جعل على أخرج أن يكون جعل السمع والبصر متأخرا عن الاخراج من البطن وقد مر فى أول البقرة فى تفسير قوله ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم أنه لم وحد السمع وجمع غيره ثم ذكر دليلا آخر على كمال قدرته فقال (ألم يروا الى الطير مسخرات) مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة وسائر الاسباب المواتية لذلك كرقة قوام الهواء والهامهن بسط الجناح وقبضه فيه عمل السابح فى الماء وفى (جو السماء) أى فى الهواء المتباعد من الارض فى سمت العلو وهو مضاعف عينه ولامه واو (ما يمسكهن الا الله) بقدرته أو باعطاء الآلات التى لاجلها يتسهل عليها الطيران ومن جملة أحوال الانسان قوله (والله جعل لكم من بيوتكم سكنا) هو ما يسكن اليه من بيت أو الف (وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا) هى القباب والأبنية من الادم والانطاع (تستخفونها) أى تعدونها خفيفة المحمل فى

الذى يدعو عباده الى توحيده وطاعته يقول لا يستوى هو تعالى ذكره والصنم الذى صفته ما وصف وقوله وهو على صراط مستقيم يقول وهو مع أمره بالعدل على طريق من الحق فى دعائه الى العدل وأمره به مستقيم لا يعوج عن الحق ولا يزول عنه * وقد اختلف أهل التأويل فى المضروب له هذا المثل فقال بعضهم فى ذلك بنحو الذى قلنا فيه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة لا يقدر على شئ قال هو الوثن هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل قال الله يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم وكذلك كان مجاهد يقول الا أنه كان يقول المثل الاول أيضا ضربه الله لنفسه وللوثن حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تعالى ذكره عبدا مملوكا لا يقدر على شئ ومن رزقناه منا رزقا حسنا ورجلين أحدهما أبكم ومن يأمر بالعدل قال كل هذا مثل اله الحق وما يدعى من دونه من الباطل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن جويبر عن الضحاك وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم قال انما هذا مثل ضربه الله * وقال آخرون بل كلا المثلين للمؤمن والكافر وذلك قول يروى عن ابن عباس وقد ذكرنا الرواية عنه فى المثل الاول فى موضعه وأما فى المثل الآخر فحدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شئ وهو كل على مولاه الى آخر الآية يعنى بالابكم الذى هو كل على مولاه الكافر وبقوله ومن يأمر بالعدل المؤمن وهذا المثل فى الاعمال حدثنا الحسن بن الصباح البزار قال ثنا يحيى ابن اسحق السيلحينى قال ثنا حماد عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن ابراهيم عن عكرمة عن يعلى بن أمية عن ابن عباس فى قوله ضرب الله مثلا عبدا مملوكا قال نزلت فى رجل من قريش وعبده وفى قوله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شئ الى قوله وهو على صراط مستقيم قال هو عثمان بن عفان قال والابكم الذى أينما يوجهه لا يأت بخير ذاك مولى عثمان بن عفان كان عثمان ينفق عليه ويكفله ويكفيه المؤنة وكان الآخر يكره الاسلام ويأباه وينهاه عن الصدقة والمعروف قرأت فيهما وانما اخترنا القول الذى اخترناه فى المثل الاول لانه تعالى ذكره مثل مثل الكافر بالعبد الذى وصف صفته ومثل مثل المؤمن بالذى رزقه رزقا حسنا فهو ينفق مما رزقه سرا وجهرا فلم يجز أن يكون ذلك لله مثلا اذ كان الله انما مثل الكافر الذى لا يقدر على شئ بأنه لم يرزقه رزقا ينفق منه سرا ومثل المؤمن الذى وفقه الله لطاعته فهداه لرشده فهو يعمل بما يرضاه الله كالحر الذى بسط له فى الرزق فهو ينفق منه سرا وجهرا والله تعالى ذكره هو الرازق غير المرزوق فغير جائز أن يمثل افضاله وجوده بانفاق المرزوق الرزق الحسن وأما المثل الثانى فانه تمثيل منه تعالى ذكره من مثله الابكم الذى لا يقدر على شئ والكفار لا شك أن منهم من له الاموال الكثيرة ومن يضر أحيانا الضر العظيم بفساده فغير كائن مالا يقدر على شئ كما قال تعالى ذكره مثلا لمن يقدر على أشياء كثيرة فاذا كان ذلك كذلك كان أولى المعانى به تمثيل مالا يقدر على شئ كما قال تعالى ذكره

الضرب والنقض والنقل (يوم ظعنكم) أى فى وقت ارتحالكم والظعن بفتح العين وسكونها سير أهل البادية لنجعة ثم استعمل فى كل شخوص لسفر (ويوم اقامتكم) لا يثقل عليكم حفظها ونقلها من مكان الى مكان ويمكن أن يكون اليوم على حقيقته أى يوم ترجعون خف عليكم حملها ونقلها ويوم تنزلون وتقيمون فى مكان لم يثقل (١٠٣) عليكم ضربها (ومن أصوافها) وهى للضأن (وأوبارها) وهى للابل (وأشعارها) وهى للمعز (أثاثا) وهو متاع البيت قال الفراء لا واحد له وقال أبو زيد الاثاث المال أجمع الابل والغنم والعبيد والمتاع الواحدة أثاثة قال ابن عباس أراد طنافس وبسطا وثيابا وكسوة وقال الخليل أصله من أث النبات والشعر يثث اذا كثر قيل انه تعالى عطف قوله ومتاعا على أثاثا فوجب أن يتغايرا فما الفرق وأجيب بأن الاثاث ما يكتسى به المرء ويستعمله من الغطاء والوطاء والمتاع ما يفرش فى المنازل ويتزين به قلت لا يبعد أن يراد بالاثاث والمتاع ما هو الجامع بين الوصفين كونه أثاثا وكونه مما يتمتع به (الى حين) أى الى أن تقضوا أوطاركم منه أو الى أن تبلى وتفنى أو الى الموت أو الى القيامة ثم ان المسافر قد لا يكون له خيام وأبنية يستظل بها لفقر أو لعارض آخر فيحتاج الى أن يستظل بشجر أو جدار أو غمام ونحوها فلذلك قال (والله جعل لكم مما خلق ظلالا) وقد يحتاج المسافر الى حصن يأوى اليه فى نزوله والى ما يدفع به عن نفسه آفات الحر والبرد وسائر المكاره وكذا المقيم فلذلك من بقوله (وجعل لكم من الجبال أكنانا) هى جمع كن وهو ما يستكن به ويتوقى بسببه الامطار كالبيوت المنحوتة فى الجبال وكالغيران والكهوف (وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر) وهى القمصان والثياب من الصوف والقطن والكتان وغيرها وانما يذكر البرد لان الوقاية من الحر أهم عندهم لغلبة الحرارة فى بلادهم على أن ذكر أحد الضدين يغنى فى الاغلب عن ذكر الآخر لتلازمهما فى الخطور بالبال غالبا بشهادة الوجدان قال الزجاج كل ما لبسته فهو سربال فعلى هذا يشمل الرقيق والكثيف والساذج والمحشو من الثياب (وسرابيل تقيكم بأسكم) كالدروع والجواشن (كذلك يتم نعمته) أى مثل ما خلق هذه الاشياء لكم وأنعم بها عليكم

بمثله مالا يقدر على شئ وذلك الوثن الذى لا يقدر على شئ بالابكم الكل على مولاه الذى لا يقدر على شئ كما قال ووصف ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولله غيب السموات والارض وما أمر الساعة الا كلمح البصر أو هو أقرب ان الله على كل شئ قدير ﴾ يقول تعالى ذكره ولله أيها الناس ملك ما غاب عن أبصاركم فى السموات والارض دون آلهتكم التى تدعون من دونه ودون كل ما سواه لا يعلم ذلك أحد سواه وما أمر الساعة الا كلمح البصر يقول وما أمر قيام القيامة والساعة التى تنشر فيها الخلق للوقوف فى موقف القيامة الا كنظرة من البصر لان ذلك انما هو أن يقال له كن فيكون كما حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة الا كلمح البصر أو هو أقرب والساعة كلمح البصر أو أقرب حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة وما أمر الساعة الا كلمح البصر قال هو أن يقول كن فهو كلمح البصر فأمر الساعة كلمح البصر أو أقرب يعنى يقول أو هو أقرب من لمح البصر وقوله ان الله على كل شئ قدير يقول ان الله على اقامة الساعة فى أقرب من لمح البصر قادر وعلى ما يشاء من الاشياء كلها لا يمتنع عليه شئ أراده ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيأ وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون ﴾ يقول تعالى ذكره والله تعالى أعلمكم ما لم تكونوا تعلمون من بعد ما أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعقلون شيأ ولا تعلمون فرزقكم عقولا تفقهون بها وتميزون بها الخير من الشر وبصركم بها ما لم تكونوا تبصرون وجعل لكم السمع الذى تسمعون به الاصوات فيفقه بعضكم عن بعض ما تتحاورون به بينكم والابصار التى تبصرون بها الاشخاص فتتعارفون بها وتميزون بها بعضا من بعض والافئدة يقول والقلوب التى تعرفون بها الاشياء فتحفظونها وتفكرون فتفقهون بها لعلكم تشكرون يقول فعلنا ذلك بكم فاشكروا الله على ما أنعم به عليكم من ذلك دون الآلهة والانداد فجعلتم له شركا فى الشكر ولم يكن له فيما أنعم به عليكم من نعمه شريك وقوله والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيأ كلام مبتدأ ثم ابتدئ الخبر فقيل وجعل الله لكم السمع والابصار والافئدة وانما قلنا ذلك كذلك لان الله تعالى ذكره جعل لعباده السمع والابصار والافئدة قبل أن يخرجهم من بطون أمهاتهم وانما أعطاهم العلم والعقل بعد ما أخرجهم من بطون أمهاتهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ألم يروا الى الطير مسخرات فى جو السماء ما يمسكهن الا الله ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون ﴾ يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين ألم تروا أيها المشركون بالله الى الطير مسخرات فى جو السماء يعنى فى هواء السماء بينها وبين الارض كما قال ابراهيم بن عمران الانصارى

ويل أمها من هواء الجو طالبة * ولا كهذا الذى فى الارض مطلوب

يعنى فى هواء السماء ما يمسكهن الا الله يقول ما طيرانها فى الجو الا بالله وبتسخيره اياها بذلك ولو سلبها ما أعطاها من الطيران لم تقدر على النهوض ارتفاعا وقوله ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون يقول ان فى تسخير الله الطير وتمكينه لها الطيران فى جو السماء لعلامات ودلالات على أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأنه لا حظ للاصنام والأوثان فى الألوهة لقوم يؤمنون يعنى لقوم يقرون بوجدان ما تعاينه أبصارهم وتحسه حواسهم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من

فانه يتم الدين والدنيا (لعلكم تسلمون) قال ابن عباس لعلكم يا أهل مكة تخلصون لله الربوبية وتعلمون أنه لا يقدر على هذه الانعامات سواه وعنه أنه قرأ بفتح التاء واللام من السلامة أى تسلم قلوبكم من الشرك أو تشكرون فتسلمون من العذاب وقيل تسلمون من الجرح بلبس الدروع (فان تولوا) فقد تمهد عذرك (فانما عليك البلاغ المبين) وليس اليك الهداية (١٠٣) ثم ذمهم بأنهم (يعرفون نعمة الله) التى عددناها حيث يعترفون بها و بأنها من عند الله (ثم ينكرونها) بعبادة غيره من أنعم بها و بقولهم هى من الله ولكنها بشفاعة آلهتنا ومعنى ثم تبعيد رتبة الانكار عن العرفان وقيل انكارها قولهم ورثناها من آبائنا أو وصل الينا بتربية فلان أو أنهم لا يستعملونها فى طلب رضوان الله وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يعرفونه ثم ينكرون نبوته عنادا وانما قال (وأكثرهم الكافرون) لانه استعمل الاكثر مقام الكل أو أراد البالغين العقلاء منهم دون الاطفال والمجانين أو أراد كفر الجحود ولم يكن كفر كلهم كذلك بل كان فيهم من كفر للجهل بصدق الرسول أولأنه لم تقم الحجة عليه بعد هذا ما قاله المفسرون قلت ويحتمل أن يراد بالكافرين المصرين الثابتين على كفرهم وقد علم الله أن فى مطلق الكفرة من يؤمن فلهذا استثناهم والله تعالى أعلم ۞ التأويل فضل الارواح على القلوب فى رزق المكاشفات والمشاهدات بعد الفناء والردالى البقاء وفضل القلوب على النفوس فى رزق الزهد والورع والتقوى والصدق واليقين والايمان والتوكل والتسليم والرضا وفضل النفوس على الابدان فى رزق التزكية والتخلية والتحلية وفضل أبدان المؤمنين على أبدان الكافرين بحمل أعباء الشريعة فالارواح برادى رزقهم على القلوب ولا القلوب على النفوس ولا النفوس على الابدان أفبنعمة الله التى أنعم بها على أوليائه تجحدون يا منكرى هذا الحديث والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا يعنى ازدواج الارواح والاشباح وجعل لكم من أزواجكم بنين وهم القلوب وحفدة وهن النفوس أفبالباطل وهو الزخارف والوساوس يؤمنون وبنعمة الله التى أنعم بها على أرباب القلوب يكفرون ويعبدون من دون الله كالدنيا والهوى ما لا يملك لهم رزقا من

قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله مسخرات فى جو السماء أى فى كبد السماء ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا الى حين ﴾ يقول تعالى ذكره والله جعل لكم أيها الناس من بيوتكم التى هى من الحجر والمدر سكنا تسكنون أيام مقامكم فى دوركم وبلادكم وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا وهى البيوت من الانطاع والفساطيط من الشعر والصوف والوبر تستخفونها يقول تستخفون حملها وثقلها يوم ظعنكم من بلادكم وأمصاركم لأسفاركم ويوم اقامتكم فى بلادكم وأمصاركم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا وبنحو الذى قلنا فى معنى السكن قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء **وحدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تعالى من بيوتكم سكنا قال تسكنون فيه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله واما الأشعار فجمع شعر تثقل عينه وتخفف وواحد الشعر شعرة وأما الأثاث فانه متاع البيت لم يسمع له بواحد وهو فى أنه لا واحد له مثل المتاع وقد حكى عن بعض النحويين أنه كان يقول واحد الأثاث أثاثة ولم أر أهل العلم بكلام العرب يعرفون ذلك ومن الدليل على أن الأثاث هو المتاع قول الشاعر

أهاجتك الظعائن يوم بانوا ۞ بذى الرى الجميل من الاثاث

ويروى بذى الزى وأنا أرى أصل الاثاث اجتماع بعض المتاع الى بعض حتى يكثر كالشعر الاثيث وهو الكثير الملتف يقال منه أث شعر فلان يئث أثا اذا كثر والتف واجتمع وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أثاثا قال يعنى بالاثاث المال **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء **وحدثنى** المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تعالى أثاثا قال متاعا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة أثاثا قال هو المال **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن حرب الرازى قال أخبرنا سلمة عن محمد بن اسحق عن حميد بن عبد الرحمن فى قوله أثاثا قال الثياب وقوله ومتاعا الى حين فانه يعنى أنه جعل ذلك لهم بلاغا يتبلغون ويكتفون به الى حين آجالهم للموت كما **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ومتاعا الى حين فانه يعنى زينة يقول ينتفعون به الى حين **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ومتاعا الى حين قال الى الموت **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة

سموات القلوب وأرض النفوس شيأ من الكمالات التى أودع الله فيهن ولا يستخرج منها الا بعبادة الله ولا يستطيعون استخراجها بعبادة غير
الله فلا تضربوا لله الامثال بأن تريدوا أن تصلوا الى المقاصد بغير طريق الله ضرب الله مثلا عبدا مملوكا للهوى وللدنيا ومن رزقناه ولاية كما
يتصرف بها فى بواطن المستعدين وظواهرهم بل أكثرهم لا يعلمون أولياء الله لانهم تحت قباب الله لا يعرفهم غير

أحدهما أنكم هو النفس الحيوانية
التى لا تقدر على شئ من العلم
والعقل والايمان وهو ثقل على
مولى الروح المسمى بالنفس الناطقة
لا يأت بخير لانها أمارة بالسوء ولله
غيب سموات الارواح وأرض
النفوس لا يقف على خاصيتهما غيره
ولو وكل كلا منهما الى طبعها لم
ترجع الى ربها ورجوعها يكون
بالاماتة والاحياء وبميتها عن
أوصافها وبحيها بصفاته وهو المراد
بأمر الساعة لان الاماتة بتجلى
صفات الجلال والاحياء بتجلى
صفات الجمال واذا تجلى الله لعبد
لم يبق له زمان ولا مكان فلذلك قال
أو هو أقرب وحينئذ يكون
فانيا عن وجوده باقيا ببقائه والله
أخرجكم من بطون أمهاتكم
لا تعلمون شيأ من أمور الدنيا
والآخرة ولا مما كانت أرواحكم
تعلم فى عالم الارواح ولا مما كانت
تعلم ذراتكم من فهم خطاب ألست
بربكم وجواب بلى وجعل لاجسادكم
السمع والابصار والافئدة كما
للحيوانات ولارواحكم كما للملائكة
ولاسراركم سمعا يسمع به من الله
وبصرا يبصر به الله وفؤادا يعرف
به الله وبوجه آخر والله أخرجكم
من العدم وهو الام الحقيقى
لا تعلمون شيأ قبل أن يعلمكم الله
سبحانه أسماء كل شئ فتجلى لكم
بربوبيته فبنور سمعه أعطاكم سمعا
تسمعون به خطاب ألست بربكم
وبنور بصره أعطاكم بصرا
تبصرون به جماله وبنور علمه أعطاكم فؤادا تعرفون به كماله وبنور كلامه أعطاكم لسانا تحبونه بقولكم بلى لعلكم
تشكرون فلا تسمعون بهذا السمع الا كلامه ولا تبصرون بهذا البصر الا جماله ولا تحبون بهذا الفؤاد الا ذاته ولا تكلمون بهذا الكلام الا
معه ألم يروا الى طير الارواح مسخرات فى جو سماء القلوب ما يمسكهن فى سفل الاجساد الا الله بحكمته فلذلك قال والله جعل لكم أى

ومتاعا الى حين الى أجل و بلغة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ والله جعل لكم مما خلق
ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك
يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون ﴾ يقول تعالى ذكره ومن نعمة الله عليكم أيها الناس أن جعل لكم
مما خلق من الاشجار وغيرها ظلالا تستظلون بها من شدة الحر وهى جمع ظل وبنحو الذى قلنا
فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير
قال ثنا عمرو عن قتادة فى قوله مما خلق ظلالا قال الشجر حدثنا بشر قال ثنا يزيد
قال ثنا سعيد عن قتادة والله جعل لكم مما خلق ظلالا إى والله من الشجر ومن غيرها وقوله
وجعل لكم من الجبال أكنانا يقول وجعل لكم من الجبال مواضع تسكنون فيها وهى جمع كن كما
حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وجعل لكم من الجبال أكنانا
يقول غيرانا من الجبال يسكن فيها وقوله وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر يعنى ثياب القطن
والكتان والصوف وقصها كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة
وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر من القطن والكتان والصوف حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا
ابن ثور عن معمر عن قتادة سرابيل تقيكم الحر قال القطن والكتان وقوله وسرابيل تقيكم بأسكم
يقول ودروعا تقيكم بأسكم والبأس هو الحرب والمعنى تقيكم فى بأسكم السلاح أن يصل اليكم
كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وسرابيل تقيكم بأسكم من
هذا الحديد حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة وسرابيل تقيكم
بأسكم قال هى سرابيل من حديد وقوله كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون يقول تعالى
ذكره كما أعطاكم ربكم هذه الاشياء التى وصفها فى هذه الآيات نعمة منه بذلك عليكم فكذلك يتم
نعمته عليكم لعلكم تسلمون يقول لتخضعوا لله بالطاعة وتذل منكم بتوحيده النفوس
وتخلصوا له العبادة وقد روى عن ابن عباس أنه كان يقرأ لعلكم تسلمون بفتح التاء حدثنى المثنى
قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن أبى حماد قال ثنا ابن المبارك عن حنظلة عن
شهر بن حوشب قال كان ابن عباس يقول لعلكم تسلمون قال يعنى من الجراح حدثنا أحمد
ابن يوسف قال ثنا القاسم بن سلام قال ثنا عباد بن العوام عن حنظلة السدوسى عن شهر
ابن حوشب عن ابن عباس أنه قرأها لعلكم تسلمون من الجراحات قال أحمد بن يوسف قال أبو عبيد
يعنى بفتح التاء واللام فتأويل الكلام على قراءة ابن عباس هذه كذلك يتم نعمته عليكم بما جعل
لكم من السرابيل التى تقيكم بأسكم لتسلموا من السلاح فى حروبكم والقراءة التى لا أستجيز
القراءة بخلافها بضم التاء من قوله لعلكم تسلمون وكسر اللام من أسلمت تسلم ياهذا لاجماع الحجة
من قراء الامصار عليها فان قال لنا قائل وكيف قيل وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر فخص
بالذكر الحر دون البرد وهى تقى الحر والبرد أم كيف قيل وجعل لكم من الجبال أكنانا وترك ذكر
ما جعل لهم من السهل قيل له قد اختلف فى السبب الذى من أجله جاء التنزيل كذلك وسنذكر
ما قيل فى ذلك ثم ندل على أولى الاقوال فى ذلك بالصواب فروى عن عطاء الخراسانى فى ذلك
ما حدثنى الحرث قال ثنا القاسم قال ثنا محمد بن كثير عن عثمان بن عطاء عن أبيه

لأرواح من بيوتكم وهى الاجساد سكنا وجعل لكم من جلود الانعام التى هى أجساد اشتركت فيها سائر الحيوانات بيوتا تستخف أرواحكم بها وهى النفوس الحيوانية وقواها وقت السير الى الله والوقفة للاستراحة والتربية ومن أصوافها هى الصفات الحيوانية والحواس والقوى آثاثا آلات للسير ومتاعا ينتفع بها الى حين الوصول والوصال والله جعل لكم مما خلق ظلالا أى جعل عالم الخلق ظل عالم الأمر تستظل أيها الارواح به عند طلوع شمس التجلى والا لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره وجعل لكم من جبال القلوب ما يكن به الارواح وجعل لارواحكم سرابيل من الصفات البشرية تقيكم حر نار المحبة وسرابيل من الصفات الروحانية تقيكم من سهام الوساوس والهواجس كذلك يحفظكم من الآفات ويربيكم بالكرامات حتى يتم نعمة الوصول عليكم وتسلموا من قطع الطريق يعرفون نعمة الله بتعريفك وأكثرهم الكافرون بك وبنعمة الله اظهارا للقهر والله أعلم

﴿ ويوم نبعث من كل أمة شهيدا ثم لا يؤذون للذين كفروا ولا هم يستعتبون واذا رأى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون واذا رأى الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك فألقوا اليهم القول انكم لكاذبون وألقوا الى الله يومئذ السلم وضل عنهم ما كانوا يفترون الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون ويوم نبعث فى كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون وأوفوا بعهد الله اذا

قال انما نزل القرآن على قدر معرفتهم ألا ترى الى قول الله تعالى ذكره والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا وما جعل لهم من السهول أعظم وأكثر ولكنهم كانوا أصحاب جبال ألا ترى الى قوله ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا الى حين وما جعل لهم من غير ذلك أعظم منه وأكثر ولكنهم كانوا أصحاب وبر وشعر ألا ترى الى قوله وينزل من السماء من جبال فيها من برد يعجبهم من ذلك وما أنزل من الثلج أعظم وأكثر ولكنهم كانوا لا يعرفون به ألا ترى الى قوله سرابيل تقيكم الحر وما تقى من البرد أكثر وأعظم ولكنهم كانوا أصحاب حر فالسبب الذى من أجله خص الله تعالى ذكره السرابيل بأنها تقى الحر دون البرد على هذا القول هو أن المخاطبين بذلك كانوا أصحاب حر فذكر الله تعالى ذكره نعمته عليهم بما يقيهم مكروه ما به عرفوا مكروهه دون ما لم يعرفوا مبلغ مكروهه وكذلك ذلك فى سائر الاحرف الاخر * وقال آخرون ذكر ذلك خاصة اكتفاء بذكر أحدهما من ذكر الآخر اذ كان معلوما عند المخاطبين به معناه وأن السرابيل التى تقى الحر تقى أيضا البرد وقالوا ذلك موجود فى كلام العرب مستعمل واستشهدوا لقولهم بقول الشاعر

وما أدرى اذا يممت وجها * أريد الخير أيهما يليني

فقال أيهما يليني يريد الخير أو الشر وانما ذكر الخير لانه اذا أراد الخير فهو يتقى الشر * وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال ان القوم خوطبوا على قدر معرفتهم وان كان فى ذكر بعض ذلك دلالة على ما ترك ذكره لمن عرف المذكور والمتروك وذلك أن الله تعالى ذكره انما عدد نعمه التى أنعمها على الذين قصدوا بالذكر فى هذه السورة دون غيرهم فذكر أياديه عندهم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فان تولوا فانما عليك البلاغ المبين يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فان أدبر هؤلاء المشركون يا محمد عما أرسلتك به اليهم من الحق فلم يستجيبوا لك وأعرضوا عنه فما عليك من لوم ولا عذل لانك قد أديت ما عليك فى ذلك انه ليس عليك الا بلاغهم ما أرسلت به ويعنى بقوله المبين الذى يبين لمن سمعه حتى يفهمه وأما قوله يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها فان أهل التأويل اختلفوا فى المعنى بالنعمة التى أخبر الله تعالى ذكره عن هؤلاء المشركين أنهم ينكرونها مع معرفتهم بها فقال بعضهم هو النبى صلى الله عليه وسلم عرفوا نبوته ثم جحدوها وكذبوه ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن السدى يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها قال محمد صلى الله عليه وسلم **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن السدى مثله * وقال آخرون بل معنى ذلك أنهم يعرفون أن ما عدد الله تعالى ذكره فى هذه السورة من النعم من عند الله وأن الله هو المنعم بذلك عليهم ولكنهم ينكرون ذلك فيزعمون أنهم ورثوه عن آبائهم ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنا** المثنى قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء **وحدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل **وحدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها قال هى المساكن والانعام وما يرزقون منها والسرابيل

(١٤ - ابن جرير رابع عشر) عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هى أربى من أمة انما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدى من يشاء ولتسئلن عما كنتم تعملون ولا تتخذوا

أيمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا انما عند الله هو خير لكم ان كنتم تعلمون ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة (١٠٦) ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون ۞ القراآت ولنجزين بالنون ابن كثير وعاصم ويزيد وعباس والنقاش عن ابن ذكوان الآخرون بالياء قرأت القرآن مثل أنشأنا ۞ الوقوف يستعتبون ○ ولاهم ينظرون ○ من دونك ج لاختلاف الجملتين مع الفاء الكاذبون ○ ج للعطف مع أنه رأس آية يفترون ○ يفسدون ○ على هؤلاء ط لواو الاستئناف للمسلمين ○ والبغي ج لاحتمال ما بعده الحال والاستئناف تذكرون ○ ط كفيلا ○ ط تفعلون ○ أنكاثا ط بناء على أن التقدير أتتخذون من أمة ط به ط تختلفون ○ ويهدي من يشاء ط تعملون ○ عن سبيل الله ج لانقطاع النظم مع اتصال المعنى عظيم ○ قليلا ط تعلمون ○ باق ط يعملون ○ طيبة ج للعدول عن الواحد ان الى الجمع مع أنهما ضميرا من يعملون ○ الرجيم ○ يتوكلون ○ مشركون ○ ۞ التفسير لما بين من حال القوم أنهم عرفوا نعمة الله ثم أنكروها وأن أكثرهم كافرون أتبعه أصناف وعيد يوم القيامة والتقدير (و) اذكر (يوم نبعث من كل أمة شهيدا) أو يوم وقعوا فيما وقعوا فيه وشهيد كل أمة نبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان والتصديق والكفر والتكذيب (ثم لا يؤذن للذين كفروا) أي في الاعتذار اذ لا حجة لهم ولا عذر أو في كثرة الكلام أو في الرجوع الى دار الدنيا أو الى التكليف ليظهر لهم كونهم آيسين من رحمة الله تعالى أو المراد أن يسكت أهل الجمع كلهم حتى يشهد الشهود (ولاهم يستعتبون) لان العتاب انما يطلب لاجل العود الى الرضا فاذا كان على عزم السخط فلا فائدة في العتاب فلهذا قيل

من الحديد والثياب تعرف هذا كفار قريش ثم تنكره بأن تقول هذا كان لآبائنا فرددناه ۞ حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه الا أنه قال فورثونا اياها وزاد في الحديث عن ابن جريج قال ابن جريج قال عبد الله بن كثير يعلمون أن الله خلقهم وأعطاهم ما أعطاهم فهو معرفتهم نعمته ثم انكارهم اياها كفرهم بعد ۞ وقال آخرون في ذلك ما حدثنا ابن وكيع قال ثنا معاوية عن عمرو عن أبي اسحق الفزاري عن ليث عن عون بن عبد الله بن عتبة يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها قال انكارهم اياها أن يقول الرجل لولا فلان ما كان كذا وكذا ولولا فلان ما أصبت كذا وكذا ۞ وقال آخرون معنى ذلك أن الكفار اذا قيل لهم من رزقكم أقروا بأن الله هو الذي رزقهم ثم ينكرون ذلك بقولهم رزقنا ذلك بشفاعة آلهتنا ۞ وأولى الاقوال في ذلك بالصواب وأشبهها بتأويل الآية قول من قال عني بالنعمة التي ذكرها الله في قوله يعرفون نعمة الله النعمة عليهم بارسال محمد صلى الله عليه وسلم اليهم داعيا الى ما بعثه بدعائهم اليه وذلك أن هذه الآية بين آيتين كلتاهما خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعما بعث به فأولى ما بينهما أن يكون في معنى ما قبله وما بعده اذ لم يكن معنى يدل على انصرافه عما قبله وعما بعده فالذي قبل هذه الآية قوله فان تولوا فانما عليك البلاغ المبين يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وما بعده ويوم نبعث من كل أمة شهيدا وهو رسولها فاذا كان ذلك كذلك فمعنى الآية يعرف هؤلاء المشركون بالله نعمة الله عليهم يا محمد بك ثم ينكرونك ويجحدون نبوتك وأكثرهم الكافرون يقول وأكثر قومك الجاحدون نبوتك لا المقرون بها ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ويوم نبعث من كل أمة شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا ولاهم يستعتبون ﴾ يقول تعالى ذكره يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها اليوم ويستنكرون يوم نبعث من كل أمة شهيدا وهو الشاهد عليها بما أجابت داعي الله وهو رسولهم الذي أرسل اليهم ثم لا يؤذن للذين كفروا يقول ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار فيعتذروا بما كانوا لله وبرسوله يكفرون ولاهم يستعتبون فيتركوا والرجوع الى الدنيا فينيبوا ويتوبوا وذلك كما قال تعالى هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ۞ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ويوم نبعث من كل أمة شهيدا وشاهدها نبيها على أنه قد بلغ رسالات ربه قال الله تعالى وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ واذا رأى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولاهم ينظرون ﴾ يقول تعالى ذكره واذا عاين الذين كذبوك يا محمد وجحدوا نبوتك والامم الذين كانوا على منهاج مشركي قومك عذاب الله فلا ينجيهم من عذاب الله شيء لانهم لا يؤذن لهم فيعتذرون فيخفف عنهم العذاب بالعذر الذي يدعونه ولاهم ينظرون يقول ولا يرجؤن بالعقاب لان وقت التوبة والانابة قد فات فليس ذلك وقتا لهما وانما هو وقت للجزاء على الاعمال فلا ينظر بالعتاب ليعتب بالتوبة ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ واذا رأى الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك فألقوا اليهم القول انكم لكاذبون ﴾ يقول تعالى ذكره واذا رأى المشركون بالله يوم القيامة ما كانوا يعبدون من دون الله من الآلهة

وقال فى الكشاف أى لا يقال لهم أرضوا ربكم لأن الآخرة ليست بدار عمل ومعنى ثم أن المنع من الكلام أصعب من شهادة الانبياء عليهم (واذا رأى الذين ظلموا) وهم المشركون (العذاب) بعينهم وثقل عليهم (فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون) ليتوبوا فان التوبة هنالك غير موجودة أو غير مقبولة وفيه أن عذابهم خالص عن النفع دائم كما يقوله المتكلمون (واذا رأى الذين أشركوا شركاءهم) وهى الاصنام أو الشياطين الذين دعوا الكفار الى الكفر وكانوا قرناءهم فى الغى قاله الحسن (قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا) أى نعبدهم من دونك قال أبو مسلم الاصبهانى مقصود المشركين احالة هذا الذنب على تلك الاصنام ظنا منهم أن ذلك ينجيهم من عذاب الله أو ينقص منه وزيفه القاضى بأن الكفار يعلمون فى الآخرة علما ضروريا أن العذاب ينزل بهم ولا نصرة ولا شفاعة فما الفائدة فى هذا القول والانصاف أن الغريق يتعلق بكل شئ والمبهوت قد يقول ما لا فائدة فيه على أن العلم الضرورى الذى ادعاه القاضى ممنوع وقيل ان المشركين يقولون هذا الكلام تعجبا من حضور تلك الأصنام مع أنه لا ذنب لها واعترافا بأنهم كانوا خاطئين فى عبادتها (فألقوا اليهم القول) أى قال الاصنام أو الشياطين للكفار (انكم لكاذبون) فان قيل ان المشركين أشاروا الى الاصنام أن هؤلاء شركاؤنا الذين كانوا يدعوهم من دونك وقد كانوا صادقين فى ذلك فكيف كذبتهم الاصنام فالجواب أن المراد من قولهم هؤلاء شركاؤنا هؤلاء شركاء

والاوثان وغير ذلك قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا فى الكفر بك والشركاء الذين كنا ندعوهم آلهة من دونك قال الله تعالى ذكره فألقوا يعنى شركاءهم الذين كانوا يعبدونهم من دون الله القول يقول قالوا لهم انكم لكاذبون أيها المشركون ما كنا ندعوكم الى عبادتنا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فألقوا اليهم القول قال حدثوهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وألقوا الى الله يومئذ السلم وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴾ يقول تعالى ذكره وألقى المشركون الى الله يومئذ السلم يقول استسلموا يومئذ وذلوا لحكمه فيهم ولم تغن عنهم آلهتهم التى كانوا يدعون فى الدنيا من دون الله وتبرأت منهم ولا قومهم ولا عشائرهم الذين كانوا فى الدنيا يدافعون عنهم والعرب تقول ألقيت اليه كذا تعنى بذلك قلت له وقوله وضل عنهم ما كانوا يفترون يقول وأخطأهم من آلهتهم ما كانوا يأملون من الشفاعة عند الله بالنجاة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وألقوا الى الله يومئذ السلم يقول ذلوا واستسلموا يومئذ وضل عنهم ما كانوا يفترون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون ﴾ يقول تعالى ذكره الذين جحدوا يا محمد نبوتك وكذبوك فيما جئتهم به من عند ربك وصدوا عن الايمان بالله وبرسوله من أراده زدناهم عذابا يوم القيامة فى جهنم فوق العذاب الذى هم فيه قبل أن يزادوه وقيل تلك الزيادة التى وعدهم الله أن يزيدهموها عقارب وحيات ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله زدناهم عذابا فوق العذاب قال عقارب لها أنياب كالنخل حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية وابن عيينة عن الاعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله زدناهم عذابا فوق العذاب قال زيد واعقارب لها أنياب كالنخل الطوال حدثنا ابراهيم بن يعقوب الجوزجانى قال ثنا جعفر بن عون قال أخبرنا الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله مثله حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبى عدى عن سعيد عن سليمن عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله نحوه حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا اسرائيل عن السدى عن مرة عن عبد الله قال زدناهم عذابا فوق العذاب قال أفاعى حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الله عن اسرائيل عن السدى عن مرة عن عبد الله قال أفاعى فى النار حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن رجل عن مرة عن عبد الله مثله حدثنا مجاهد بن موسى والفضل بن

الله فى المعبودية فكذبتهم الاصنام فى اثبات هذه الشركة وفى قولهم انها تستحق العبادة قال جار الله ان أراد بالشركاء الشياطين جاز أن يكونوا كاذبين فى قوله انكم لكاذبون كما يقول الشيطان انى كفرت بما أشركتمونى من قبل (وألقوا الى الله يومئذ السلم) عن الكلبى استسلم العابد والمعبود وأقر والله بالربوبية وبالبراءة من الشركاء والانداد وقال آخرون الضمير للذين ظلموا والقاء السلم الاستسلام لامر الله

بعد الاباء فى الدنيا (وضل) أى غاب (عنهم ما كانوا يفترون) من أن لله شريكا أو أن آلهتهم تشفع لهم حين كذبوهم وتبرؤا منهم (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) قيل معناه الصد عن المسجد الحرام والأصح العموم (زدناهم عذابا) لاجل الاضلال (فوق العذاب) الذى استحقوه للضلال وأيضا عذاب الاستنان من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها ومن المفسرين من فصل تلك الزيادة فعن ابن عباس هى خمسة أنهار من نار تسيل من تحت العرش يعذبون بها ثلاثة على مقدار الليل واثنان على مقدار النهار وقيل حيات أمثال البخت وعقارب أشباه البغال أنيابها كالنخل الطوال تلسع احداهن اللسعة فيجد صاحبها حمتها أربعين خريفا وقيل يخرجون من النار الى الزمهرير فيبادرون من شدة برده الى النار ثم على زيادة عذابهم بكونهم مفسدين أمور الناس بالصد والاضلال فيعلم منه أن من دعا الى الدين القويم باليد واللسان فانه يزيده الله تعالى أجرا على أجر ثم أعاد حكاية بعث الشهداء لما نيط بها من زيادة فائدتين احداهما كون الشهداء من أنفسهم لان كل نبى فهو من جنس أمته والأخرى أن الشهيد يكون وقتئذ فى الامة لا مفارقا اياهم وفسر الأصم الشهيد فى هذه الآية بأنه تعالى ينطق عشرة من أعضاء الانسان حتى تشهد عليه وهن الاذنان والعينان والرجلان واليدان والجلد واللسان ولهذا ذكر لفظة فى ووصف الشهيد بكونه من أنفسهم ثم شرف نبينا صلى الله عليه وسلم بقوله (وجئنا بك شهيدا على هؤلاء) أى على أمتك ولا ريب أن فى تخصيصه بعد التعميم دلالة على فضله نظيره قوله فى سورة النساء فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قال الامام فخر الدين الرازى الامة عبارة عن القرن والجماعة فيعلم من الآية أن أنه لابد فى كل عصر من أقوام تقوم الحجة بقولهم ويكونون شهداء على غيرهم وهم أهل الحل والعقد فيكون اجماعهم حجة ولقائل أن يقول الامة فى الآية هى الجماعة الذين بعث النبى اليهم والى من سيوجد منهم الى آخر زمان دينه فيكون نبى تلك الامة وحده شهيدا

الصباح قالا ثنا جعفر بن عون قال أخبرنا الأعمش عن مجاهد عن عبيد بن عمير قال ان لجهنم جبابا فيها حيات أمثال البخت وعقارب أمثال البغال الدهم يستغيث أهل النار الى تلك الجباب أو الساحل فتثب اليهم فتأخذ بشفاههم وشفارهم الى أقدامهم فيستغيثون منها الى النار فيقولون النار النار فتتبعهم حتى تجد حرها فترجع قال وهى فى أسراب **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى حيى بن عبد الله عن أبى عبد الرحمن الحبلى عن عبد الله بن عمرو قال ان لجهنم سواحل فيها حيات وعقارب أعناقها كأعناق البخت وقوله بما كانوا يفسدون يقول زدناهم ذلك العذاب على ما بهم من العذاب بما كانوا يفسدون بما كانوا فى الدنيا يعصون الله ويأمرون عباده بمعصيته فذلك كان افسادهم اللهم انا نسألك العافية يا مالك الدنيا والآخرة البقية

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ويوم نبعث فى كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾ يقول تعالى ذكره ويوم نبعث فى كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم يقول نسأل نبيهم الذى بعثناه اليهم للدعاء الى طاعتنا وقال من أنفسهم لانه تعالى ذكره كان يبعث الى أمم أنبياء هامنها ماذا أجابوكم وماردوا عليكم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وجئنا بك يا محمد شاهدا على قومك وأمتك الذين أرسلتك اليهم بما أجابوك وماذا عملوا فيما أرسلتك به اليهم وقوله ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ يقول نزل عليك يا محمد هذا القرآن بيانا لكل ما بالناس اليه الحاجة من معرفة الحلال والحرام والثواب والعقاب وهدى من الضلالة ورحمة لمن صدق به وعمل بما فيه من حدود الله وأمره ونهيه فأحل حلاله وحرم حرامه وبشرى للمسلمين يقول وبشارة لمن أطاع الله وخضع له بالتوحيد وأذعن له بالطاعة يبشره بجزيل ثوابه فى الآخرة وعظيم كرامته

* وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عيينة قال ثنا أبان بن تغلب عن الحكم عن مجاهد تبيانا لكل شئ قال مما أحل وحرم **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق عن ابن عيينة عن أبان بن تغلب عن مجاهد فى قوله تبيانا لكل شئ مما أحل لهم وحرم عليهم **حدثنا** ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن الاعمش عن مجاهد فى قوله تبيانا لكل شئ قال ما أمر به ومانهى عنه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ قال ما أمر وابه ونهوا عنه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا محمد بن فضيل عن أشعث عن رجل قال قال ابن مسعود أنزل فى هذا القرآن كل علم وكل شئ قد بين لنا فى القرآن ثم تلا هذه الآية

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ يقول تعالى ذكره ان الله يأمر فى هذا الكتاب الذى أنزله اليك يا محمد بالعدل وهو الانصاف ومن الانصاف الاقرار عن أنعم علينا بنعمته والشكر له على افضاله وتولى الحمد أهله واذا كان ذلك هو العدل ولم يكن للاوثان والاصنام عندنا يد تستحق الحمد عليها كان جهلا بنا جحدها وعبادتها وهى لا تنعم فتشكر ولا تنفع فتعبد فلزمنا أن نشهد

أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ولذلك قال من قال العدل في هذا الموضع شهادة أن لا اله الا الله ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى وعلي بن داود قالا ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ان الله يأمر بالعدل والاحسان قال شهادة أن لا اله الا الله وقوله والاحسان فان الاحسان الذي أمر به تعالى ذكره مع العدل الذي وصفنا صفته الصبر لله على طاعته فيما أمر ونهى في الشدة والرخاء والمنكره والمنشط وذلك هو أداء فرائضه كما **حدثني** المثنى وعلي بن داود قالا ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس والاحسان يقول أداء الفرائض وقوله وايتاء ذي القربى يقول واعطاء ذي القربى الحق الذي أوجبه الله عليك بسبب القرابة والرحم كما **حدثني** المثنى وعلي قالا ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس وايتاء ذي القربى يقول الارحام وقوله وينهى عن الفحشاء قال الفحشاء في هذا الموضع الزنا ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى وعلي بن داود قالا ثنا عبد الله بن صالح عن علي عن ابن عباس وينهى عن الفحشاء يقول الزنا وقد بينا معنى الفحشاء بشواهده فيما مضى قبل وقوله والبغي قيل عني بالبغي في هذا الموضع الكبر والظلم ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى وعلي بن داود قالا ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس والبغي يقول الكبر والظلم وأصل البغي التعدي ومجاوزة القدر والحد من كل شئ وقد بينا ذلك فيما مضى قبل وقوله يعظكم لعلكم تذكرون يقول يذكركم أيها الناس ربكم لتذكروا فتنيبوا الى أمره ونهيه وتعرفوا الحق لاهله كما **حدثني** المثنى وعلي بن داود قالا ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس يعظكم يقول يوصيكم لعلكم تذكرون وقد ذكر عن ابن عيينة أنه كان يقول في تأويل ذلك ان معنى العدل في هذا الموضع استواء السريرة والعلانية من كل عامل لله عملا وان معنى الاحسان أن تكون سريرته أحسن من علانيته وان الفحشاء والمنكر أن تكون علانيته أحسن من سريرته وذكر عن عبد الله بن مسعود أنه كان يقول في هذه الآية ما **حدثني** المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا معتمر بن سليمن قال سمعت منصور بن النعمان عن عامر عن شتير بن شكل قال سمعت عبد الله يقول ان أجمع آية في القرآن في سورة النحل ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى الى آخر الآية **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن الشعبي عن شتير بن شكل قال سمعت عبد الله يقول ان أجمع آية في القرآن لخير أو لشر آية في سورة النحل ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى الآية انه ليس من خلق حسن كان أهل الجاهلية يعملون به ويستحسنونه الا أمر الله به وليس من خلق سيئ كانوا يتعايرونه بينهم الا نهى الله عنه وقدم فيه وانما نهى عن سفاسف الأخلاق ومذامها ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون ﴾ يقول تعالى ذكره وأوفوا بميثاق الله اذا واثقتموه وعقده اذا عاقدتموه فأوجبتم به على

لان الاحكام المستنبطة من السنة والاجماع والقياس والاجتهاد كلها تستند الى الكتاب حيث أمر فيه باتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاعته وورد فيه ومن يتبع غير سبيل المؤمنين وجاء فاعتبروا * وقال آخرون ان علم أصول الدين كلها في القرآن وأما علم الفروع فالاصل براءة الذمة الا ما ورد به نص القرآن فاذن القرآن واف ببيان جميع الاحكام والقياس ضائع ولعل التبيان انما هو للعلماء خاصة والهدى لجميع الخلق في أول أحوالهم والرحمة في وسطها وهو مدة العمر بعد الاسلام والبشرى في أوان الاجل كما قال سبحانه ان الذين قالوا ربنا الله الى قوله وأبشروا والله أعلم بمراده ولما ذكر أن في القرآن تبيان كل شئ ذكر عقيبه آية جامعة لاصول التكاليف كلها تصديقا لذلك فقال (ان الله يأمر) الآية عن ابن عباس أن عثمن بن مظعون الجمحي قال ما أسلمت أولا لاحياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتقرر الاسلام في قلبي فحضرته ذات يوم فبيناهو يحدثني اذ رأيت بصره شخص الى السماء ثم خفضه عن يمينه ثم عاد لمثل ذلك فسألته فقال بينا أنا أحدثك اذا جبرئيل عليه السلام نزل عن يميني فقال يا محمد ان الله يأمر بالعدل الآية قال عثمن فمن وقتئذ استقر الايمان في قلبي وأحببت محمدا صلى الله عليه وسلم وعن ابن مسعود هي أجمع آية في القرآن وعن قتادة ليس من خلق حسن كان في الجاهلية يعمل ويستحسن الا أمر الله تعالى به في هذه الآية وليس من خلق سيئ الا وقد نهى الله تعالى عنه فيها قال المفسرون العدل هو أداء الفرائض وعن ابن عباس هو قول لا اله الا الله (والاحسان) هو الاتيان بالمندوبات والمستحسنات شرعا وعرفا وأقربها صلة الرحم بالمال فلذلك أفردها بالذكر بقوله (وايتاء

ذى القربى) والفحشاء هى الامور المتزايدة فى القبح فلذلك أفردها بالذكر وهى الكبائر وقد يخص بالزنا أو بالبخل والمنكر ما تنكره العقول ولا يعرف فى شريعة ولا سنة والبغى هو الاستطالة قال جار الله حين أسقطت من الخطب لعنة الملاعين على أمير المؤمنين على رضى الله عنه وعلى نبينا الصلاة والسلام أقيمت هذه الآية مقامها واعلم أن العدل عبارة عن الامر المتوسط بين طرفى الافراط والتفريط وأنه واجب الرعاية فى جميع الاشياء ولنذكر له أمثلة أما فى الاعتقادات فالقول بنفى الاله تعطيل محض واثبات أكثر من اله واحد تشريك وتعجيز والعدل هو قول لا اله الا الله كما نقل عن ابن عباس هذا ما اتفق عليه أرباب المذاهب ثم ان الاشعرى يقول القول بنفى الصفات عنه سبحانه تعطيل والقول باثبات المكان والاعضاء تشبيه والعدل اثبات صفات الكمال من الحياة والعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام ونفى غيرها وبوجه آخر نفى الصفات تعطيل واثبات الصفات الحادثة تشبيه والعدل اثبات صفات أزلية قديمة غير متغيرة وأيضا القول بأن العبد لا قدرة له أصلا جبر محض والقول بأنه مستقل فى التصرف قدر محض وتفويض والعدل أمر بين الامرين وهو أن العبد يفعل الافعال ولكن بواسطة قدرة وداعية يخلقها الله تعالى فيه وأيضا القول بأن الله لا يؤاخذ عبده بشئ من الذنوب مساهلة عظيمة والقول بأنه يخلد فى النار عبده العارف به بالمعصية الواحدة تشديد عظيم والعدل انه يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من الايمان والمعتزلى يقول العدل فى هذه الاصول بنوع آخر وقد مر مرارا وأما رعاية العدل فيما يتعلق بافعال الجوارح فان قوما من نفاة التكليف يقولون لا يجب على العبد الاشتغال بشئ من الطاعات ولا الاحتراز عن شئ من المعاصى وقال قوم من الهند وطائفة من المانوية يجب على الانسان أن يجتنب عن أكل الطيبات ويبالغ فى تعذيب نفسه وأن يحترز عن كل ما يميل

أنفسكم حقا لمن عاقدتموه به وواثقتموه عليه ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها بقول ولا تخالفوا الأمر الذى تعاقدتم فيه الأيمان يعنى بعد ما شددتم الايمان على أنفسكم فتحنثوا فى أيمانكم وتكذبوا فيها وتنقضوها بعد ابرامها يقال منه وكد فلان يمينه يوكدها توكيدا اذا شددها وهى لغة أهل الحجاز وأما أهل نجد فانهم يقولون أكدتها أؤكدها تأكيدا وقوله وقد جعلتم الله عليكم كفيلا يقول وقد جعلتم الله بالوفاء بما تعاقدتم عليه على أنفسكم راعيا رعى الموفى منكم بعهد الله الذى عاهد على الوفاء به والناقض * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل على اختلاف بينهم فيمن عنى بهذه الآية وفيما أنزلت فقال بعضهم عنى بها الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام وفيهم أنزلت ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمارة الأسدى قال ثنا عبد الله بن موسى قال أخبرنا أبو ليلى عن بريدة قوله وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم قال أنزلت هذه الآية فى بيعة النبى صلى الله عليه وسلم كان من أسلم بايع على الاسلام فقال وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم هذه البيعة التى بايعتم على الاسلام ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها البيعة فلا يحملكم قلة محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وكثرة المشركين أن تنقضوا البيعة التى بايعتم على الاسلام وان كان فيهم قلة والمشركين فيهم كثرة * وقال آخرون نزلت فى الحلف الذى كان أهل الشرك تحالفوا فى الجاهلية فأمرهم الله عز وجل فى الاسلام أن يوفوا به ولا ينقضوه ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و**حدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تعالى ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها قال تغليظها فى الحلف **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل و **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها يقول بعد تشديدها وتغليظها **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد هؤلاء قوم كانوا حلفاء لقوم تحالفوا وأعطى بعضهم العهد فجاءهم قوم فقالوا نحن أكثر وأعز وأمنع فانقضوا عهد هؤلاء وارجعوا الينا ففعلوا فذلك قول الله تعالى ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا أن تكون أمة هى أربى من أمة هى أربى أكثر من أجل أن كان هؤلاء أكثر من أولئك نقضتم العهد فيما بينكم وبين هؤلاء فكان هذا فى هذا **حدثنى** ابن البرقى قال ثنا ابن أبى مريم قال أخبرنا نافع ابن يزيد قال سألت يحيى بن سعيد عن قول الله ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها قال العهود * والصواب من القول فى ذلك أن يقال ان الله تعالى أمر فى هذه الآية عباده بالوفاء بعهوده التى يجعلونها على أنفسهم ونهاهم عن نقض الأيمان بعد توكيدها على أنفسهم لآخرين بعقود تكون بينهم بحق مما لا يكرهه الله وجائز أن تكون نزلت فى الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنهيهم عن نقض بيعتهم حذرا من قلة عدد المسلمين وكثرة عدد المشركين وأن تكون نزلت فى الذين أرادوا الانتقال بحلفهم عن حلفائهم لقلة عددهم فى آخرين لكثرة عددهم وجائز أن

تكون

الطبع اليه حتى التزوج والاولى بالمرء أن يختصى فهذان الطريقان مذمومان والوسط هو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم لان التشديد غالب
فى دين موسى فليس فى شرعه على القاتل الا القصاص ويحرم مخالطة الحائض والتساهل فى دين عيسى غالب فلا قصاص على القاتل ولا يحرم
وطء الحائض والعدل ما حكم به شرعنا من جواز العفو وأخذ الدية وحرمة وطء الحائض دون مخالطتها ولذلك قال وكذلك

تكون فى غير ذلك ولا خبر تثبت به الحجة أنها نزلت فى شئ من ذلك دون شئ ولا دلالة فى كتاب
ولا حجة عقل أى ذلك عنى بها ولا قول فى ذلك أولى بالحق مما قلنا لدلالة ظاهره عليه وان الآية
كانت قد نزلت لسبب من الاسباب ويكون الحكم بها عاما فى كل ما كان بمعنى السبب الذى نزلت
فيه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وقد
جعلتم الله عليكم كفيلا قال وكيلا وقوله ان الله يعلم ما تفعلون يقول تعالى ذكره ان الله أيها
الناس يعلم ما تفعلون فى العهود الذى تعاهدون الله من الوفاء بها والأحلاف والايمان التى
تؤكدونها على أنفسكم أتبرون فيها أم تنقضونها وغير ذلك من أفعالكم محص ذلك كله عليكم
وهو سائلكم عنها وعما علمتم فيها يقول فاحذروا الله أن تلقوه وقد خالفتم فيها أمره ونهيه
فتستوجبوا بذلك منه ما لا قبل لكم به من أليم عقابه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولا تكونوا
كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هى أربى
من أمة انما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون ﴾ يقول تعالى ذكره
ناهيا عباده عن نقض الأيمان بعد توكيدها وآمرا بوفاء العهود وممثلا ناقض ذلك بناقضة غزلها
من بعد ابرامه ونا كثته من بعد احكامه ولا تكونوا أيها الناس فى نقضكم أيمانكم بعد توكيدها
واعطائكم الله بالوفاء بذلك العهود والمواثيق كالتى نقضت غزلها من بعد قوة يعنى من بعد ابرام
وكان بعض أهل العربية يقول القوة ما غزل على طاقة واحدة ولم يثن وقيل ان التى كانت تفعل
ذلك امرأة حمقاء معروفة بمكة ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال
ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى عبد الله بن كثير كالتى نقضت غزلها من بعد قوة قال خرقاء
كانت بمكة تنقضه بعد ما تبرمه **حدثنا** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن
الزبير عن ابن عيينة عن صدقة عن السدى ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا
تتخذون أيمانكم دخلا بينكم قال هى خرقاء بمكة كانت اذا أبرمت غزلها نقضته * وقال
آخرون انما هذا مثل ضربه الله لمن نقض العهد فشبهه بامرأة تفعل هذا الفعل وقالوا فى معنى
نقضت غزلها من بعد قوة نحو الذى قلنا ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال
ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا فلو سمعتم بامرأة
نقضت غزلها من بعد ابرامه لقلتم ما أحمق هذه وهذا مثل ضربه الله لمن نكث عهده **حدثنا**
القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ولا تكونوا كالتى
نقضت غزلها من بعد قوة قال غزلها حبلها تنقضه بعد ابرامها اياه ولا تنتفع به بعد **حدثنى**
محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن
قال ثنا ورقاء **وحدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل جميعا عن ابن أبى
نجيح عن مجاهد كالتى نقضت غزلها من بعد قوة قال نقضت حبلها من بعد ابرام قوة **حدثنى**
المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله
حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من

جعلنا كم أمة وسطا وقال والذين
اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا
وكان بين ذلك قواما ولما بالغ رسول
الله صلى الله عليه وسلم فى العبادات
قيل له طه ما أنزلنا عليك القرآن
لتشقى ولما أخذ قوم فى المساهلة
نزل أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا
والمراد رعاية الوسط فى كل الامور
وقد ورد فى شرعنا الختان فقال
بعض العقلاء الحكمة فيه أن رأس
ذلك العضو جسم شديد الحس فاذا
قطعت تلك الجلدة بقى رأسه عاريا
فيصلب بكثرة ملاقاة الثياب
وغيرها فيضعف حسه ويقل
شعوره فتقل لذة الوقاع فتقل
الرغبة فيه فالاختصاء وقطع
الآلات كما ذهب اليه المانوية
مذموم وابقاء تلك الجلدة مبالغة
فى تقوية تلك اللذة مذموم
والوسط العدل هو الختان هذا
ما قيل وعندى أن الحكمة فى
الختان بعد التعبد هو التنظيف
وسهولة غسل الخشفة والافلعل
اللذة بعد الختان أكثر لملاقاة
الحاس المحسوس بلا حائل ومن
الكلمات المشهورة قولهم بالعدل
قامت السموات والارضون ومعناه
أن مقادير العناصر لو لم تكن معادلة
مكافية بحسب الكمية والكيفية
لاستولى الغالب على المغلوب
وتنقلب الطبائع كلها الى طبيعة
الجرم الغالب ولو كان بعد الشمس
من الارض أقل مما هو الآن لاحترق
كل ما فى هذا العالم وان كان أكثر استولى البرد والجمود وكذا القول فى مقادير حركات الكواكب ومراتب سرعتها وابطائها فان كلا منها مقدر
على ما يليق بنظام العالم وقوامه وقيامه فهذه اشارة مختصرة الى تحقيق العدل وأما الاحسان فهو المبالغة فى أداء الطاعات بحسب الكمية
وبحسب الكيفية ومن هنا قال الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فكأن المبالغ المخلص فى أداء الطاعات يوصل الفعل الحسن الى نفسه

وبالحقيقة يدخل فى الاحسان أنواع التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله واشرف أنواع الاشفاق صلة الرحم بالمال فلا جرم أفرد بالذكر كما مر ثم انه تعالى أودع فى النفس البشرية قوى أربعا الشهوية البهيمية والغضبية السبعية والوهمية الشيطانية والعقلية الملكية وهذه الاخيرة لاتحتاج الى التهذيب لانها من نتائج الارواح القدسية وأما الثلاث الاول فتحتاج الى التأديب والتهذيب بمقتضى الشريعة وقانون العقل والطريقة والنهى عن الفحشاء عبارة عن المنع من تحصيل اللذات الشهوية الخارجة عن اذن الشريعة والنهى عن المنكر عبارة عن الافراط الحاصل فى آثار القوة الغضبية من ايذاء الناس وايصال الشر اليهم من غير ما استحقاق والنهى عن البغى اشارة الى المنع من افراط القوة الوهمية كالاستعلاء على الناس والترفع وحب الرياسة والتقدم ممن ليس أهلا لذلك وأخس هذه المراتب عند العقلاء القوة الشهوانية وأوسطها الغضبية وأعلاها الوهمية فلهذا بدأ سبحانه بالفحشاء ثم بالمنكر ثم بالبغى ولان أصول الاخلاق والتكاليف كلها مذكورة فى الآية لاجرم ختمها بقوله (يعظكم لعلكم تذكرون) لانها كافية فى باب العظة والتذكر والارتقاء من حضيض عالم البشرية الى ذروة عالم الارواح المقدسة قال الكعبى فى الآية دلالة على أنه تعالى لايخلق الجور والفحشاء والا فكيف ينهاهم عما يخلقها فيهم وعورض بالعلم والداعى كما مر مرارا واعلم أنه لايلزم من ارادة الله تذكر العبد والتذكر من فعل الله بالاتفاق لامن فعل العبد ان يطلب الله منه التذكر فان طلب ماليس فى وسعه محال فمعنى لعلكم تذكرون ارادة أن تكونوا على حالة التذكر لا ارادة أن تحصلوا التذكر ثم خص من جملة المأمورات الوفاء بالعهد فقال (وأوفوا بعهد الله) خصصه جار الله بالبيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقال الاصم المراد الجهاد وما فرض الله فى الاموال من حق الشرائع وقيل هو اليمين والأصح العموم وهو كل عهد يلتزمه الانسان باختياره بدليل قوله اذا عاهدتم

بعد قوة أنكاثا قال هذا مثل ضربه الله لمن نقض العهد الذى يعطيه ضرب الله هذا له مثلا بمثل التى غزلت ثم نقضت غزلها فقد أعطاهم ثم رجع فنكث العهد الذى أعطاهم وقوله أنكاثا يعنى أنفاضا وكل شئ نقض بعد الفتل فهو أنكاث واحدها نكث حبلا كان ذلك أو غزلا يقال منه نكث فلان هذا الحبل فهو ينكثه نكثا والحبل منتكث اذا انتقضت قواه وانما عنى به فى هذا الموضع نكث العهد والعقد وقوله تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هى أربى من أمة يقول تعالى ذكره تجعلون أيمانكم التى تحلفون بها على أنكم موفون بالعهد لمن عاقدتموه دخلا بينكم يقول خديعة وغرورا لتطمئنوا اليكم وأنتم مضمرون لهم الغدر وترك الوفاء بالعهد والنقلة عنهم الى غيرهم من أجل أن غيرهم أكثر عددا منهم والدخل فى كلام العرب كل أمر لم يكن صحيحا يقال منه أنا أعلم دخل فلان ودخله ودخلله وداخلة أمره ودخلته وأما قوله أن تكون أمة هى أربى من أمة فان قوله أربى أفعل من الربا يقال هذا أربى من هذا وأربا منه اذا كان أكثر منه ومنه قول الشاعر

وأسمر خطى كأن كعوبه * نوى القسب قد أربى ذراعا على العشر

وانما يقال أربى فلان من هذا وذلك للزيادة التى يزيدها على غريمه على رأس ماله * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى وعلى بن داود قالا ثنا عبد الله ابن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله أن تكون أمة هى أربى من أمة يقول أكثر حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أن تكون أمة هى أربى من أمة يقول ناس أكثر من ناس حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله أن تكون أمة هى أربى من أمة قال كانوا يحالفون الحلفاء فيجدون أكثر منهم وأعز فينقضون حلف هؤلاء ويحالفون هؤلاء الذين هم أعز منهم فنهوا عن ذلك حدثنا ابن المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد (١) وحدثنى القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله تتخذون أيمانكم دخلا بينكم يقول خيانة وغدرا بينكم أن تكون أمة هى أربى من أمة أن يكون قوم أعز وأكثر من قوم حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا أبو نور عن معمر عن قتادة دخلا بينكم قال خيانة بينكم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله تتخذون أيمانكم دخلا بينكم يغر بها يعطيه العهد يؤمنه وينزله من مأمنه فتزل قدمه وهو فى مأمن ثم يعود يريد الغدر قال فأول بدو هو قوم كانوا حلفاء لقوم تحالفوا وأعطى بعضهم بعضا العهد فجاءهم قوم قالوا نحن أكثر وأعز وأمنع فانقضوا عهد هؤلاء وارجعوا الينا فنحالفكم قال فهذا قول الله تعالى ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا أن تكون أمة هى أربى

---

(١) أى مثله وكثيرا ما يأتى بالسند ويترك المتن اذا تقدم ولا يأتى بلفظ نحوه أو مثله فتنبه

وقول من قال العهد هو اليمين يلزم منه أن يكون قوله سبحانه ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها أى بعد توثيقها باسم الله تكرارا وأكد وكد لغتان فصيحتان قال الزجاج الاصل الواو والهمزة بدل وفى الآية دلالة على الفرق بين الأيمان المؤكدة وبين لغو اليمين كقولهم لا والله وبلى والله وأيضا الآية من العمومات التى دخلها التخصيص لما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال من حلف على يمين ورأى غيرها خيرا منها فليأت بالذى هو خير ثم ليكفر وقد مر بحث الأيمان فى البقرة وفى المائدة فى قوله لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم الآية (وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) أى شاهدا ورقيبا لان الكفيل مراع لحال المكفول به (ان الله يعلم ما تفعلون) فيجازيكم بحسب ذلك خيرا وشرا وفيه ترغيب وترهيب ثم أكد وجوب الوفاء وتحريم النقض بقوله (ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة) أى من بعد قوة الغزل بامرارها وفتلها قال الزجاج انتصب (أنكاثا) على المصدر لان معنى نقضت نكثت وزيف بأن أنكاثا ليس مصدرا وانما هو جمع نكث بكسر النون وهو ما ينكث فتله وقال الواحدى هو مفعول ثان كما تقول كسره أقطاعا وفرقه أجزاء أى جعله أقطاعا وأجزاء فكذا ههنا أى جعلت غزلها أنكاثا قلت ويحتمل أن يكون حالا مؤكدة قال ابن قتيبة هذه الآية متصلة بما قبلها والتقدير وأوفوا بعهد الله ولا تنقضوا الأيمان فانكم ان فعلتم ذلك كنتم مثل امرأة غزلت غزلا وأحكمته ثم جعلته أنكاثا فعلى هذا المشبه به امرأة غير معينة ولا حاجة فى التشبيه الى أن يكون للمشبه به وجود فى الخارج وقيل المراد امرأة معينة من قريش ريطة بنت سعد ابن تيم وكانت خرقاء اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل اصبع وهى الحديدة فى رأس المغزل وفلكة عظيمة على قدرها وكانت تغزل هى وجوار يها من الغداة الى الظهر ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن قال جار الله تتخذون حال ودخلا مفعول ثان لتتخذ أى لا تنقضوا أيمانكم متخذين بها دخلا بينكم أى مفسدة ودغلا وقال الواحدى أى غشا وخيانة وقال الجوهرى أى مكرا وخديعة

أربى من أمة هى أربى أكثر من أجل أن كانوا هؤلاء أكثر من أولئك نقضتم العهد فيما بينكم وبين هؤلاء فكان هذا فى هذا وكان الامر الآخر فى الذى يعاهده فيتزله من حصنه ثم ينكث عليه الآية الاولى فى هؤلاء القوم وهى مبدؤه والاخرى فى هذا حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول نا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله أن تكون أمة هى أربى من أمة يقول أكثر يقول فعليكم بوفاء العهد وقوله انما يبلوكم الله به يقول تعالى ذكره انما يختبركم الله بأمره اياكم بالوفاء بعهد الله اذا عاهدتم ليتبين المطيع منكم المنتهى الى أمره ونهيه من العاصى المخالف أمره ونهيه وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون يقول تعالى ذكره وليبين لكم أيها الناس ربكم يوم القيامة اذا وردتم عليه مجازاة كل فريق منكم على عمله فى الدنيا المحسن منكم باحسانه والمسىء باساءته ما كنتم فيه تختلفون والذى كانوا فيه يختلفون فى الدنيا أن المؤمن بالله كان يقر بوحدانية الله ونبوة نبيه ويصدق بما ابتعث به أنبياءه وكان يكذب بذلك كله الكافر فذلك كان اختلافهم فى الدنيا الذى وعد الله تعالى ذكره عباده أن يبينه لهم عند ورودهم عليه بما وصفنا من البيان

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدى من يشاء ولتسئلن عما كنتم تعملون ﴾ يقول تعالى ذكره ولو شاء ربكم أيها الناس لطف بكم بتوفيق من عنده فصرتم جميعا جماعة واحدة وأهل ملة واحدة لا تختلفون ولا تفترقون ولكنه تعالى ذكره خالف بينكم فجعلكم أهل ملل شتى بأن وفق هؤلاء للايمان به والعمل بطاعته فكانوا مؤمنين وخذل هؤلاء فحرمهم توفيقه فكانوا كافرين وليسألنكم الله جميعا يوم القيامة عما كنتم تعملون فى الدنيا فيما أمركم ونهاكم ثم ليجازينكم جزاءكم المطيع منكم بطاعته والعاصى له بمعصيته

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم ﴾ يقول تعالى ذكره ولا تتخذوا أيمانكم بينكم دخلا وخديعة بينكم تغرون بها الناس فتزل قدم بعد ثبوتها يقول فتهلكوا بعد أن كنتم من الهلاك آمنين وانما هذا مثل لكل مبتلى بعد عافية أو ساقط فى ورطة بعد سلامة وما أشبه ذلك زلت قدمه كما قال الشاعر

سيمنع منك السبق ان كنت سابقا * وتلطع ان زلت بك النعلان

وقوله وتذوقوا السوء يقول وتذوقوا أنتم السوء وذلك السوء هو عذاب الله الذى يعذب به أهل معاصيه فى الدنيا وذلك بعض ما عذب به أهل الكفر به بما صددتم عن سبيل الله يقول بما صددتم من أراد الايمان بالله ورسوله عن الايمان ولكم عذاب عظيم فى الآخرة وذلك نار جهنم وهذه الآية تدل على أن تأويل بريدة الذى ذكرناه عنه فى قوله وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم والآيات التى بعدها أنه عنى بذلك الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام (١) عن مفارقة الاسلام لقلة أهله وكثرة أهل الشرك هو الصواب دون الذى قال مجاهد انهم عنوا به لانه ليس فى انتقال قوم تحالفوا عن حلفائهم الى آخرين غيرهم صد عن سبيل الله ولا ضلال عن الهدى وقد وصف تعالى ذكره فى هذه الآية فاعلى ذلك أنهم باتخاذهم الأيمان دخلا بينهم ونقضهم الأيمان بعد توكيدها صادون عن سبيل الله وأنهم أهل ضلال فى التى قبلها وهذه صفة أهل الكفر بالله لا صفة أهل النقلة بالحلف عن

(١) لعله نهوا عن مفارقة الخ فتأمل كتبه مصححه

وقال غيره الدخل ما أدخل فى الشئ على فساد وقوله (أن تكون) أى لأن تكون (أمة) يعنى جماعة قريش هى أربى أزيد وأوفر عددا ومالا (من أمة) هى جماعة المؤمنين قال مجاهد كانوا يحالفون الحلفاء ثم يجدون من كان أعز منهم وأشرف فينقضون حلف الاولين ويحالفون الذين هم أعز وأمنع (انما يبلوكم الله به) أى بما يأمركم وينهاكم وقد تقدم ذكر الأمر والنهى وقال جار الله الضمير لقوله أن تكون لانه فى معنى المصدر أى يختبركم بكونهم أربى لينظر أتتمسكون بحبل الوفاء مع قلة المؤمنين وفقرهم أم تغترون بكثرة قريش وثروتهم ثم حذرهم من مخالفة ملة الاسلام وأنذرهم بقوله (وليبينن لكم يوم القيامة) باظهار الدرجات والكرامات للاولياء وتعيين الدركات والبليات للاشقياء (ما كنتم فيه تختلفون) حيث تدعون أنكم على الحق والمؤمنون على الباطل فتنقضون عهودهم ثم بين أنه سبحانه قادر على أن يجمع المؤمنين والكافرين على الوفاء وسائر أبواب الايمان ولكنه بحكم الالهية (يضل من يشاء ويهدى من يشاء) والمعتزلة حملوا المشيئة على مشيئة الالجاء بدليل قوله (ولتسئلن عما كنتم تعملون) ولو كانت أعمال العباد بخلق الله تعالى لكان سؤالهم عبثا أجابت الاشاعرة بأنه لا يسئل عما يفعل روى الواحدى أن عزيرا قال يارب خلقت الخلق فتضل من تشاء وتهدى من تشاء فقال ياعزير أعرض عن هذا فاعاده ثانيا فقال أعرض عن هذا والا محوت اسمك من النبوة قال المفسرون لما نهاهم عن نقض مطلق الأيمان أراد أن ينهاهم عن نقض أيمان مخصوصة أقدموا عليها وهو نقض بيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم والدليل على هذا التخصيص قوله (فتزل قدم بعد ثبوتها) لان هذا الوعيد لا يليق بنقض عهد قبيلة وانما يليق بنقض عهد النبى صلى الله عليه وسلم قال جار الله وحدت القدم ونكرت لاستعظام أن تزل قدم واحدة عن طريق الحق بعد أن ثبتت عليه فكيف بأقدام كثيرة وهذا مثل يضرب لمن وقع فى بلاء بعد عافية ولا ريب أن من نقض عهد الاسلام وزلت قدمه عن محجة الدين القويم فقد سقط من الدرجات العالية الى

قوم الى قوم ۞ القول فى تاويل قوله تعالى ﴿ ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا انما عند الله هو خير لكم ان كنتم تعلمون ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ يقول تعالى ذكره ولا تنقضوا عهود كم أيها الناس وعقودكم التى عاقدتموها من عاقدتم مؤكديها بأيمانكم تطلبون بنقضكم ذلك عرضا من الدنيا قليلا ولكن أوفوا بعهد الله الذى أمركم بالوفاء به يثيبكم الله على الوفاء به فان ما عند الله من الثواب لكم على الوفاء بذلك هو خير لكم ان كنتم تعلمون فضل ما بين العوضين اللذين أحدهما الثمن القليل الذى تشترون بنقض عهد الله فى الدنيا والآخر الثواب الجزيل فى الآخرة على الوفاء به ثم بين تعالى ذكره فرق ما بين العوضين وفضل ما بين الثوابين فقال ما عندكم أيها الناس مما تملكونه فى الدنيا وان كثر فنافد فان وما عند الله لمن أوفى بعهده وأطاعه من الخيرات باق غير فان فلما عنده فاعملوا وعلى الباقى الذى لا يفنى فاحرصوا وقوله ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون يقول تعالى ذكره وليثيبن الله الذين صبروا على طاعتهم اياه فى السراء والضراء ثوابهم يوم القيامة على صبرهم عليها ومسارعتهم فى رضاه بأحسن ما كانوا يعملون من الأعمال دون أسوئها وليغفرن لهم سيئها بفضله ۞ القول فى تاويل قوله تعالى ﴿ من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ يقول تعالى ذكره من عمل بطاعة الله وأوفى بعهود الله اذا عاهد من ذكر أو أنثى من بنى آدم وهو مؤمن يقول وهو مصدق بثواب الله الذى وعد أهل طاعته على الطاعة وبوعيد أهل معصيته على المعصية فلنحيينه حياة طيبة واختلف أهل التأويل فى الذى عنى الله بالحياة الطيبة التى وعد هؤلاء القوم أن يحييهموها فقال بعضهم عنى أنه يحييهم فى الدنيا ما عاشوا فيها بالرزق الحلال ذكر من قال ذلك حدثنى أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن اسمعيل بن سميع عن أبى مالك عن ابن عباس فلنحيينه حياة طيبة قال الحياة الطيبة الرزق الحلال فى الدنيا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن اسمعيل بن سميع عن أبى مالك وأبى الربيع عن ابن عباس بنحوه حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن اسمعيل بن سميع عن أبى الربيع عن ابن عباس فى قوله من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة قال الرزق الحسن فى الدنيا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن اسمعيل بن سميع عن أبى الربيع عن ابن عباس فلنحيينه حياة طيبة قال الرزق الطيب فى الدنيا حدثنى المثنى قال ثنا الفضل بن دكين قال ثنا سفيان عن اسمعيل بن سميع عن أبى الربيع عن ابن عباس فلنحيينه حياة طيبة قال الرزق الطيب فى الدنيا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة يعنى فى الدنيا حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن مطرف عن الضحاك فلنحيينه حياة طيبة قال الرزق الطيب الحلال حدثنى عبد الأعلى بن واصل قال ثنا عون بن سلام القرشى قال أخبرنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك فى قوله فلنحيينه حياة طيبة قال يأكل حلالا ويلبس حلالا * وقال آخرون فلنحيينه حياة طيبة بأن نرزقه القناعة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع

الدركات الهاوية بيانه قوله (وتذوقوا السوء) فى الدنيا (بما صددتم) بصدودكم أو بصدكم غيركم (عن سبيل الله) لان المرتد قد يقتدى به غيره (ولكم عذاب عظيم) فى الآخرة ويحتمل أن يراد ان ذلك السوء الذى تذوقونه هو عذاب عظيم قال جار الله كان قوم أسلموا بمكة ثم زين لهم الشيطان نقض البيعة لكونهم مستضعفين هنالك فأوعدهم الله على ذلك ثم نهاهم عن الميل الى ما كان يعدهم قريش من عرض الدنيا ان رجعوا عن الاسلام فقال (ولا تشتروا) الآية ثم ذكر دليلا قاطعا على أن ما عند الله خير فقال (ما عندكم ينفد وما عند الله) من خزائن رحمته (باق) وفيه دليل على أن نعيم الجنة باق لأهلها لا ينقطع وقال جهم بن صفوان انه منقطع والآية حجة عليه (ولنجزين الذين صبروا) على ما التزموه من شرائع الاسلام (أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) أى بالواجبات والمندوبات لا بالمباحات فانه لا ثواب على فعلها ولا عقاب أو نجزيهم بجزاء أشرف وأوفر من عملهم كقوله من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ثم عمم الوعد على أى عمل صالح كان فقال (من عمل صالحا) ولا كلام فى عمومه الا أنه زاد قوله (من ذكر أو أنثى) تأكيدا وازالة لوهم التخصيص والمبالغة فى تقرير الوعد من أعظم دلائل الكرم ثم جعل الايمان شرطا فى كون العمل الصالح منتجا للثواب حيث قال (وهو مؤمن) فاستدل به على أن الايمان مغاير للعمل الصالح فان شرط الشئ مغاير لذلك الشئ واختلف فى الحياة الطيبة فقيل هى فى الجنة عن الحسن وسعيد بن جبير وقتادة لان الانسان فى الدنيا لا يخلو من مشقة وأذية ومكروه لقوله تعالى يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فلا فيه بين أن هذا الكدح وهو التعب فى العمل باق الى أن يصل الى ربه وأما بعد ذلك فحياة بلا موت وغنى بلا فقر وصحة بلا مرض وملك بلا زوال وسعادة بلا انتقال وقال السدى ان هذه الحياة فى القبر والأكثرون على أنها فى الدنيا لقوله بعد ذلك (ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) وعلى هذا فما سبب طيب الحياة قيل هو الرزق الحلال وقيل عبادة الله مع أكل الحلال وقيل القناعة أو رزق يوم كان النبى صلى الله عليه وسلم يدعو اللهم اجعل رزق آل محمد كفافا

قال ثنا يحيى بن يمان عن المنهال بن خليفة عن أبى خزيمة سليمن التمار عمن ذكره عن على فلنحيينه حياة طيبة قال القنوع **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو عصام عن أبى سعيد عن الحسن البصرى قال الحياة الطيبة القناعة * وقال آخرون بل يعنى بالحياة الطيبة الحياة مؤمنا بالله عاملا بطاعته ذكر من قال ذلك **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فلنحيينه حياة طيبة يقول من عمل صالحا وهو مؤمن فى فاقة أو ميسرة فحياته طيبة ومن أعرض عن ذكر الله فلم يؤمن ولم يعمل صالحا فعيشته ضنكة لا خير فيها * وقال آخرون الحياة الطيبة السعادة ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى وعلى بن داود قالا ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فلنحيينه حياة طيبة قال السعادة * وقال آخرون بل معنى ذلك الحياة فى الجنة ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن بشار قال ثنا هوذة عن عوف عن الحسن فلنحيينه حياة طيبة قال لا تطيب لأحد حياة دون الجنة **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن عوف عن الحسن فلنحيينه حياة طيبة قال ما تطيب الحياة لأحد الا فى الجنة **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة فان الله لا يشاء عملا الا فى اخلاص ويوجب من عمل ذلك فى ايمان قال الله تعالى فلنحيينه حياة طيبة وهى الجنة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فلنحيينه حياة طيبة قال الآخرة يحييهم حياة طيبة فى الآخرة **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة قال الحياة الطيبة فى الآخرة هى الجنة تلك الحياة الطيبة قال ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون وقال ألا تراه يقول يا ليتنى قدمت لحياتى قال هذه آخرته وقرأ أيضا وان الدار الآخرة لهى الحيوان قال الآخرة دار حياة لاهل النار وأهل الجنة ليس فيها موت لاحد من الفريقين **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن قال الايمان الاخلاص لله وحده فبين أنه لا يقبل عملا الا بالاخلاص له * وأولى الاقوال بالصواب قول من قال تأويل ذلك فلنحيينه حياة طيبة بالقناعة وذلك أن من قنعه الله بما قسم له من رزق لم يكثر للدنيا تعبه ولم يعظم فيها نصبه ولم يتكدر فيها عيشه باتباعه بغية ما فاته منها وحرصه على ما لعله لا يدركه فيها وانما قلت ذلك أولى التأويلات فى ذلك بالآية لان الله تعالى ذكره أوعد قوما قبلها على معصيتهم اياه ان عصوه أذاقهم السوء فى الدنيا والعذاب العظيم فى الآخرة فقال تعالى ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله فهذا لهم فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم فهذا لهم فى الآخرة ثم أتبع ذلك ما لمن أوفى بعهد الله وأطاعه فقال تعالى ما عندكم فى الدنيا ينفد وما عند الله باق فالذى (٣) هذه السيئة بحكمته أن يعقب ذلك الوعد لاهل طاعته بالاحسان فى الدنيا والغفران فى الآخرة وكذلك فعل تعالى ذكره وأما القول الذى روى عن ابن عباس أنه الرزق الحلال فهو محتمل أن يكون معناه الذى قلنا فى ذلك من أنه تعالى يقنعه فى الدنيا

قال المحققون وهذا هو المختار لان المؤمن الذى صلح عمله ان كان موسرا فذاك وان كان معسرا فعمه من القنوع والعفة والرضا بالقضاء ما يطيب عيشه وأما الكافر والفاجر فان الحرص لا يدعه أن يتهنأ بعيشه أبدا ويعظم أسفه على ما يفوته لانه عاشق الدنيا معانقة العاشق لمعشوقه بخلاف المؤمن المنشرح قلبه بنور المعرفة والجمال فانه قلما ينزع لحب الدنيا مالها وجاهها ويستوى عنده وجودها وفقدها وخيرها وشرها ونفعها وضرها وبركة الصلاح والقنوع مما لا ينكرها عاقل اللهم اجعلنا من أهلها ثم ان ظاهر الآية يقتضى أن العمل الصالح انما يفيد الاثر المخصوص بشرط الايمان وظاهر قوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره يدل على أن العمل الخير مطلقا يفيد أثرا مطلقا فلا منافاة بينهما ثم ذكر الاستعاذة التى هى من جملة الاعمال الصالحة وبها تخلص الاعمال عن الوساوس فقال (واذا قرأت القرآن) أى أردت قراءته اطلاقا لاسم المسبب على السبب وقدم بحث الاستعاذة مستوفى فى أول هذا الكتاب (انه ليس له سلطان تسلط وولاية (على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) وهذا معنى الاستعاذة فان معناها بالحقيقة راجع الى التبرى عما سوى الله والتوجه بالكلية اليه والاعتماد فى جميع الامور عليه (انما سلطانه على الذين يتولونه) عن ابن عباس أى يطيعونه يقال توليته أى أطعته وتوليت عنه أى أعرضت عنه أما الضمير الواحد فى قوله (والذين هم به مشركون) فقيل راجع الى الرب وقيل الى الشيطان أى بسببه ۞ التأويل ويوم نبعث فيه اشارة الى أن لارواح الانبياء اشرافا على أممهم فى حال حياتهم وبعد وفاتهم وفيه أن الدنيا مزرعة الآخرة فلا يقبل فى القيامة اعتذار واذا رأى الذين ظلموا أى وضعوا الكفر وأعمال الطبيعة موضع الايمان وأعمال الشريعة فلا يخفف عن أرواحهم أثقال الاخلاق الذميمة ولا هم ينظرون لتبديل مذمومها بمحمودها واذا رأى الذين أشركوا وهم عبدة الدنيا والهوى انكم لكاذبون فى أنادعوناكم الى عبادتنا فانا كنا مشغولين بتسبيح الله سبحانه وطاعته وصدوا عن سبيل الله منعوا الارواح والقلوب عن طلب الله زدناهم عذاب

بالذى يرزقه من الحلال وان قل فلا تدعوه نفسه الى الكثير منه من غير حله لانه يرزقه الكثير من الحلال وذلك أن أكثر العاملين لله تعالى بما يرضاه من الاعمال لم نرهم رزقوا الرزق الكثير من الحلال فى الدنيا ووجدنا ضيق العيش عليهم أغلب من السعة وقوله ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون فذلك لاشك أنه فى الآخرة وكذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن اسمعيل بن سميع عن أبى مالك عن ابن عباس ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون قال اذا صاروا الى الله جزاهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن اسمعيل بن سميع عن أبى مالك وأبى الربيع عن ابن عباس مثله **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن اسمعيل بن سميع عن أبى الربيع عن ابن عباس ولنجزينهم أجرهم قال فى الآخرة **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن اسمعيل بن سميع عن أبى الربيع عن ابن عباس مثله **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون يقول يجزيهم أجرهم فى الآخرة بأحسن ما كانوا يعملون وقيل ان هذه الآية نزلت بسبب قوم من أهل ملل شتى تفاخروا فقال أهل كل ملة منها نحن أفضل فبين الله لهم أفضل أهل الملل ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا يعلى بن عبيد عن اسمعيل عن أبى صالح قال جلس ناس من أهل الاوثان وأهل التوراة وأهل الانجيل فقال هؤلاء نحن أفضل وقال هؤلاء نحن أفضل فأنزل الله تعالى من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذا كنت يا محمد قارئا القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم وكان بعض أهل العربية يزعم أنه من المؤخر الذى معناه التقديم وكأن معنى الكلام عنده واذا استعذت بالله من الشيطان الرجيم فاقرأ القرآن ولا وجه لما قال من ذلك لان ذلك لو كان كذلك لكان متى استعاذ مستعيذ من الشيطان الرجيم لزمه أن يقرأ القرآن ولكن معناه ما وصفنا وليس قوله فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم بالامر اللازم وانما هو اعلام وندب وذلك أنه لا خلاف بين الجميع أن من قرأ القرآن ولم يستعذ بالله من الشيطان الرجيم قبل قرأته أو بعدها أنه لم يضيع فرضا واجبا وكان ابن زيد يقول فى ذلك نحو الذى قلنا **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم قال فهذا دليل من الله تعالى دل عباده عليه وأما قوله انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون فانه يعنى بذلك ان الشيطان ليست له حجة على الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا بما أمر الله به وانتهوا عما نهاهم الله عنه وعلى ربهم يتوكلون يقول وعلى ربهم يتوكلون فيما نابهم من مهمات أمورهم انما سلطانه على الذين يتولونه يقول انما حجته على الذين يعبدونه والذين هم به مشركون يقول والذين

هم بالله مشركون * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسين قال ثنا ورقاء وحدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد انما سلطانه قال حجته حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله انما سلطانه على الذين يتولونه قال يطيعونه * واختلف أهل التأويل فى المعنى الذى من أجله لم يسلط فيه الشيطان على المؤمن فقال بعضهم بما حدثت عن واقد ابن سليمن عن سفيان فى قوله انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون قال ليس له سلطان على أن يحملهم على ذنب لا يغفر * وقال آخرون هو الاستعاذة فانه اذا استعاذ بالله منع منه ولم يسلط عليه واستشهد لصحة قوله ذلك بقول الله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم وقد ذكرنا الرواية بذلك فى سورة الحجر * وقال آخرون فى ذلك بما حدثنى به المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون الى قوله والذين هم به مشركون يقال ان عدو الله ابليس قال لاغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين فهؤلاء الذين لم يجعل للشيطان عليهم سبيل وانما سلطانه على قوم اتخذوه وليا وأشركوه فى أعمالهم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون يقول السلطان على من تولى الشيطان وعمل بمعصية الله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انما سلطانه على الذين يتولونه يقول الذين يطيعونه ويعبدونه * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال معناه انه ليس له سلطان على الذين آمنوا فاستعاذوا بالله منه بما ندب الله تعالى ذكره من الاستعاذة وعلى ربهم يتوكلون على ما عرض لهم من خطراته ووساوسه وانما قلنا ذلك أولى التأويلات بالآية لان الله تعالى ذكره أتبع هذا القول فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم وقال فى موضع آخر واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم فكان بينا بذلك أنه انما ندب عباده الى الاستعاذة منه فى هذه الاحوال ليعيذهم من سلطانه وأما قوله والذين هم به مشركون فان أهل التأويل اختلفوا فى تأويله فقال بعضهم فيه بما قلنا ان معناه والذين هم بالله مشركون ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل وحدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله والذين هم به مشركون قال يعدلون برب العالمين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد والذين هم به مشركون قال يعدلون بالله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سلمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله والذين هم به مشركون عدلوا ابليس بربهم فانهم بالله مشركون * وقال آخرون معنى ذلك والذين هم به

الحرمان عن الكمال فوق خسران النسيان بافساد الاستعداد الفطرى وجئنا بك شهيدا الان روحه شاهد على جميع الارواح والقلوب والنفوس لقوله أول ما خلق الله روحى تبيانا لكل شئ يحتاج اليه السالك فى أثناء سلوكه ان الله يأمر بالعدل وهو وضع الآلات وأسباب تحصيل الكمال فى مواضعها بحيث يؤدى الى مقام الوصال والكمال والاحسان وهو أن تحسن الى الخلق بما أعطاك الله كقوله وأحسن كما أحسن الله اليك وفى قوله وايتاء ذى القربى اشارة الى أن من جملة العدالة رعاية حال الاقرب فالاقرب فيبدأ بتكميل نفسه ثم بما هو أقرب اليه قربا معنويا لا صوريا وينهى عن الفحشاء وهو صرف ما آتاه الله فى غير مصرفها والمنكر وهو ضد المعروف وهو أن لا يحسن الى غيره والبغى وهو أن لا يراعى الترتيب المذكور فى باب الارشاد والتكميل وأوفوا بعهد الله يوم الميثاق وقد جعلتم الله عليكم كفيلا بجزاء وفائكم ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها فيه اشارة الى حال المريد المرتد أن تكون أمة هى أهل الدنيا فى الدنيا أعلى حالا من أمتهم أهل الآخرة ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا ان ما عند الله هو خير لكم ان كنتم تعلمون ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون من عمل صالح من ذكر أو أنثى هما القلب والنفس والعمل الصالح من النفس استعمال الشريعة والطريقة ومن القلب التوجه الى الله بالكلية والحياة الطيبة للنفس أن تصير مطمئنة مستعدة لقبول فيض ارجعى الى ربك وللقلب أن يصير فانيا عن أنانيته باقيا بشهود الحق وجماله وحينئذ يطيب عن دنس الاثنينية ولوث الحدوث فاستعذ بالله الخطاب للنبى صلى الله عليه وآله ظاهرا وبالحقيقة هو لأمته لان شيطانه أسلم على يده فلم يحتج الى الاستعاذة من شيطانه بل هو وخواص أمته كقوله انه ليس له سلطان على الذين امنوا وفيه أن الشيطان ليس له تسلط على أولياء الله الا بالوسوسة وفيها صلاح المؤمن فان ابريز اخلاص قلبه لا يتخلص عن غش صفات نفسه الا بنار الوسوسة لان المؤمن يطلع على بقايا صفات نفسه بما تكون الوسوسة من جنسه فيزيد فى الرياضة وملازمة الذكر حتى تنمحى تلك البقايا والله تعالى

أعلم بالصواب (واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون قل نزله روح القدس من ربك بالحق
ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذين يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين
ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب أليم انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله
وأولئك هم الكاذبون من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل ولهم عذاب أليم وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم وآتيناه في الدنيا حسنة وانه في الآخرة لمن الصالحين ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم

مشركون أشركوا الشيطان في أعمالهم ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع والذين هم به مشركون أشركوه في أعمالهم والقول الاول أعني قول مجاهد أولى القولين في ذلك بالصواب وذلك أن الذين يتولون الشيطان انما يشركونه بالله في عبادتهم وذبائحهم ومطاعمهم ومشاربهم لا أنهم يشركون بالشيطان ولو كان معنى الكلام ما قاله الربيع لكان التنزيل الذين هم مشركوه ولم يكن في الكلام به فكان يكون لو كان التنزيل كذلك والذين هم مشركوه في أعمالهم الا أن يوجه موجه معنى الكلام الى أن القوم كانوا يدينون بألوهة الشيطان ويشركون الله به في عبادتهم اياه فيصح حينئذ معنى الكلام ويخرج عما جاء التنزيل به في سائر القرآن وذلك أن الله تعالى وصف المشركين في سائر سور القرآن أنهم أشركوا بالله ما لم ينزل به عليهم سلطانا وقال في كل موضع تقدم اليهم بالزجر عن ذلك لا تشركوا بالله شيأ ولم نجد في شئ من التنزيل لا تشركوا الله بشئ ولا في شئ من القرآن خبرا من الله عنهم أنهم أشركوا الله بشئ فيجوز لنا توجيه معنى قوله والذين هم به مشركون الى والذين هم بالشيطان مشركو الله فبين اذا كان ذلك كذلك أن الهاء في قوله والذين هم به عائدة على الرب في قوله وعلى ربهم يتوكلون ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون﴾ يقول تعالى ذكره واذا نسخنا حكم آية فأبدلنا مكانه حكم أخرى والله أعلم بما ينزل يقول والله أعلم بالذي هو أصلح لخلقه فيما يبدل ويغير من أحكامه قالوا انما أنت مفتر يقول قال المشركون بالله المكذبو رسوله لرسوله انما أنت يا محمد مفتر أي مكذب تتخرص بتقول الباطل على الله يقول الله تعالى بل أكثر هؤلاء القائلين لك يا محمد انما أنت مفتر جهال بأن الذي تأتيهم به من عند الله ناسخه ومنسوخه لا يعلمون حقيقة صحته ۞ وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله واذا بدلنا آية مكان آية قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء **وحدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل **وحدثني** المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله واذا بدلنا آية مكان آية رفعناها فأنزلنا غيرها **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد واذا بدلنا آية مكان آية قال نسخناها بدلناها رفعناها وأثبتنا غيرها **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذا بدلنا آية مكان آية هو كقوله ما ننسخ من آية أو ننسها **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله واذا بدلنا آية مكان آية قالوا انما أنت مفتر تأتي بشئ وتنقضه فتأتي بغيره قال وهذا التبديل ناسخ ولا نبدل آية مكان آية الا بنسخ ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد للقائلين لك انما أنت مفتر فيما تتلو عليهم من آي كتابنا أنزله روح القدس يقول قل جاء به جبرئيل من عند ربي بالحق وقد بينت في غير هذا الموضع معنى روح القدس بما أغنى عن اعادته ۞ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من

قال

حنيفا وما كان من المشركين انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون
ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين وان عاقبتم
فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وما صبرك الا بالله (١١٩) ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون

قال ذلك حدثني عبد الاعلى بن واصل قال ثنا جعفر بن عون العمري عن موسى بن عبيدة
الربذي عن محمد بن كعب قال روح القدس جبرئيل وقوله ليثبت الذين آمنوا يقول تعالى ذكره
قل نزل هذا القرآن ناسخه ومنسوخه روح القدس على من ربي تثبيتا للمؤمنين وتقويه لايمانهم
ليزدادوا بتصديقهم لناسخه ومنسوخه ايمانا لايمانهم وهدى لهم من الضلالة وبشرى للمسلمين
الذين استسلموا لأمر الله وانقادوا لامره ونهيه وما أنزله في آي كتابه فأقروا بكل ذلك وصدقوا به
قولا وعملا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذي
يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين﴾ يقول تعالى ذكره ولقد نعلم أن هؤلاء المشركين يقولون
جهلا منهم انما يعلم محمدا هذا الذي يتلوه بشر من بني آدم وما هو من عند الله يقول الله تعالى ذكره
مكذبهم في قيلهم ذلك ألا تعلمون كذب ما تقولون ان لسان الذي تلحدون اليه يقول تميلون اليه بأنه
يعلم محمدا أعجمي وذلك أنهم فيما ذكر كانوا يزعمون أن الذي يعلم محمدا هذا القرآن عبد رومي فلذلك قال
تعالى لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين يقول وهذا القرآن لسان عربي مبين
* وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم في اسم الذي كان المشركون يزعمون
أنه يعلم محمدا صلى الله عليه وسلم هذا القرآن من البشر فقال بعضهم كان اسمه بلعام وكان قينا بمكة
نصرانيا ذكر من قال ذلك حدثني أحمد بن محمد الطوسي قال ثنا أبو عاصم قال ثنا
ابراهيم بن طهمان عن مسلم بن عبد الله الملائي عن مجاهد عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يعلم قينا بمكة وكان أعجمي اللسان وكان اسمه بلعام فكان المشركون يرون رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين يدخل عليه وحين يخرج من عنده فقالوا انما يعلمه بلعام فأنزل الله تعالى
ذكره ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين
* وقال آخرون اسمه يعيش ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان
عن حبيب عن عكرمة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرئ غلاما لبني المغيرة أعجميا قال سفيان
أراه يقال له يعيش قال فذلك قوله لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين حدثنا
بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر وقد
قالت قريش انما يعلمه بشر عبد لبني الحضرمي يقال له يعيش قال الله تعالى لسان الذي يلحدون
اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين وكان يعيش يقرأ الكتب * وقال آخرون بل كان اسمه جبر
ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم فيما بلغني كثيرا ما يجلس عند المروة الى غلام نصراني يقال له جبر عبد لبني بياضة
الحضرمي فكانوا يقولون والله ما يعلم محمدا كثيرا مما يأتي به الا جبر النصراني غلام الحضرمي فأنزل
الله تعالى في قولهم ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا
لسان عربي مبين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال
عبد الله بن كثير كانوا يقولون انما يعلمه نصراني على المروة ويعلم محمدا رومي يقولون اسمه جبر وكان
صاحب كتب عبد لابن الحضرمي قال الله تعالى لسان الذي يلحدون اليه أعجمي قال وهذا قول

ان الله مع الذين اتقوا والذين هم
محسنون) ۞ القراآت بما ينزل من
الانزال ابن كثير وأبو عمرو يلحدون
بفتح الياء والحاء حمزة وعلي وخلف
فتنوا مبينا للفاعل ابن عامر والخوف
بالنصب عباس ابراهام هشام وما
بعده والاخفش عن ابن ذكوان
في ضيق بالكسر ابن كثير وكذلك
في النمل الآخرون بالفتح ۞
الوقوف مكان آية لا لان جواب اذا
هو قالوا وقوله والله أعلم بما ينزل
جملة معترضة مفتر ط لا يعلمون
○ للمسلمين ○ بشر ط مبين
○ بآيات الله لا لان ما بعده خبر
ان أليم ○ بآيات الله ج
لاختلاف الجملتين مع العطف
الكاذبون ○ غضب من الله ج
لانقطاع النظم مع اتصال المعنى
عظيم ○ على الآخرة لا للعطف
الكافرين ○ وأبصارهم ط
لاختلاف الجملتين الغافلون ○
الخاسرون ○ وصبروا لان
الثانية تكرار الاولى لطول الكلام
بصلته وخبرهما واحد رحيم ○
لا يظلمون ○ يصنعون ○ ظالمون
○ طيبا ص لعطف المتفقتين
تعبدون ○ لغير الله به ج رحيم
○ على الله الكذب ط لا يفلحون
ط ○ قليل ص لعطف المتفقتين
ولا سيما اذا قدر لهم متاع أليم ○
من قبل ج لابتداء النفي مع
العطف يظلمون ○ وأصلحوا
لا لما مر رحيم ○ حنيفا ط من

المشركين ○ لا لان شاكرا وصف آخر أو بدل من حنيفا لانعمه ط مستقيم ○ حسنة ط الصالحين ط ○ لان ثم لترتيب الاخبار
حنيفا ط ○ المشركين ط ○ اختلفوا فيه ط يختلفون ○ أحسن ط بالمهتدين ○ عوقبتم به ط للصابرين ○ يمكرون
○ محسنون ○ ۞ التفسير هذا شروع في حكاية شبهات منكري نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس كان اذا أنزلت آية فيها شدة

ثم نزلت آية ألين منها قالت كفار قريش ان محمدا يسخر من أصحابه يأمرهم اليوم بأمر وينهاهم عنه غدا وانه لا يقول هذه الاشياء الا من عند نفسه فنزل (واذا بدلنا) ومعنى التبديل رفع الشئ مع وضع غيره مكانه وتبديل الآية رفعها بآية أخرى غيرها وهو نسخها بآية سواها (والله أعلم بما ينزل) شيأ فشيأ على حسب المصالح مغلظا ثم مخففا أو بالعكس (بل أكثرهم لا يعلمون) فوائد النسخ والتبديل قال أبو مسلم أراد تبديل آية مكان آية في الكتب المتقدمة مثل آية تحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة وسائر العلماء أطبقوا على أن المراد بهذا التبديل النسخ ونقل عن الشافعي أن القرآن لا ينسخ بالسنة لانه تعالى أخبر بتبديل الآية مكان الآية وضعف بأنه لا يلزم من وجود التبديل بالآية نفي التبديل بغيرها كالسنة المتواترة اذ لا دلالة في الآية على الحصر وقد مر مباحث النسخ مفصلة مستوفاة في سورة البقرة (قل نزله) أي القرآن (روح القدس) هو جبرئيل والاضافة للمبالغة مثل حاتم الجود والمراد الروح المقدس المطهر عن دنس المآثم (من ربك) صلة تنزله أي ابتداء تنزيله من عنده وقوله (بالحق) حال أي متلبسا بالحكمة والصواب (ليثبت الذين آمنوا) كقوله واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا فيقول كل من الناسخ والمنسوخ من عند ربنا وكل منهما في وقته خير وصلاح لان الذي نزله حكيم لا يفعل الا ما هو خير في أوانه وصواب بالنسبة الى المكلف حين ما يكلف به (وهدى وبشرى) معطوفان على محل ليثبت أي تثبيتا لهم وارشادا وبشارة وفيه تعريض بحصول أضداد هذه الخصال لغيرهم ثم حكى شبهة أخرى عنهم كانوا يقولون ان محمدا يستفيد القصص والاخبار من انسان آخر ويتعلمها منه واختلف في ذلك البشر فقيل كان غلاما لحويطب بن عبد العزى قد أسلم وحسن اسلامه اسمه عائش ويعيش وكان صاحب كتب وقيل هو جبر غلام رومي كان لعامر بن الحضرمي وقيل عبدان جبر ويسار كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرآن التوراة والانجيل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مر وقف عليهما يسمع ما يقرآن فقالوا يعلمانه وقيل هو سلمان الفارسي

قريش انما يعلمه بشر قال الله تعالى لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين * وقال آخرون بل كانا غلامين اسم أحدهما يسار والآخر جبر ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن حصين عن عبد الله بن مسلم الحضرمي أنه كان لهم عبدان من أهل عير اليمن وكانا طفلين وكان يقال لاحدهما يسار والآخر جبر فكانا يقرآن التوراة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما جلس اليهما فقال كفار قريش انما يجلس اليهما يتعلم منهما فأنزل الله تعالى لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين **حدثني** المثنى قال ثنا معلى بن أسد قال ثنا خالد بن عبد الله عن حصين عن عبد الله بن مسلم الحضرمي نحوه **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن فضيل عن حصين عن عبد الله بن مسلم قال كان لنا غلامان فكانا يقرآن كتابا لهما بلسانهما فكان النبي صلى الله عليه وسلم يمر عليهما فيقوم يستمع منهما فقال المشركون يتعلم منهما فأنزل الله تعالى ما كذبهم به فقال لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين * وقال آخرون بل كان ذلك سلمان الفارسي ذكر من قال ذلك **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله لسان الذي يلحدون اليه أعجمي كانوا يقولون انما يعلمه سلمان الفارسي **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء **وحدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل **وحدثني** المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر قال قول كفار قريش انما يعلم محمدا عبد ابن الحضرمي وهو صاحب كتاب يقول الله لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين وقيل ان الذي قال ذلك رجل كاتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ارتد عن الاسلام ذكر من قال ذلك **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني يونس عن ابن شهاب قال أخبرني سعيد بن المسيب أن الذي ذكر الله انما يعلمه بشرا انما افتتن انه كان يكتب الوحي فكان يملي عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم سميع عليم أو عزيز حكيم ونحو ذلك من خواتم الآي ثم يشتغل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على الوحي فيستفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول أعزيز حكيم أو سميع عليم أو عزيز عليم فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أي ذلك كتبت فهو كذلك ففتنه ذلك فقال ان محمدا يكل ذلك الي فأكتب ما شئت وهو الذي ذكر لي سعيد بن المسيب من الحروف السبعة واختلف القراء في قراءة قوله يلحدون فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة لسان الذي يلحدون اليه بضم الياء من ألحد يلحد الحادا بمعنى يعترضون ويعدلون اليه ويعرجون اليه من قول الشاعر

قد نى من نصر الخبيين قدى * ليس أميري بالشحيح الملحد

وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة لسان الذي يلحدون اليه بفتح الياء بمعنى يميلون اليه من لحد فلان الى هذا الامر يلحد لحدا ولحودا وهما عندي لغتان بمعنى واحد فبأيتهما قرأ القارئ فصيب فيهما الصواب وقيل وهذا لسان عربي مبين يعني القرآن كما تقول العرب لقصيدة من الشعر يعرضها الشاعر

ثم أجاب عن شبهتهم فقال مستأنفا (لسان الذى) واللسان اللغة والمعنى لسان الرجل الذى (يلحدون) يميلون قولهم عن الاستقامة (اليه) لسان (أعجمى) غير بين (وهذا) القرآن (لسان عربى مبين) ذو بيان وفصاحة وقدم فى آخر الاعراف أن تركيب الالحاد يدل على الامالة

ومنه الملحد لانه أمال مذهبه عن الاديان كلها قال أبو الفتح الموصلى تركيب ع ج م يدل على الابهام والخفاء ضد البيان والافصاح ومنه عجم الزبيب لاستتاره وخفائه والعجماء البهيمة وصلاة الظهر والعصر عجماوان لان القراءة فيهما سرية وأعجمت الكتاب أى أزلت عجمته ثم ان العرب تسمى كل من لا يعرف لسانهم ولا يتكلم بلغتهم أعجميا وقالوا زياد الأعجم لانه كان فى لسانه عجمة مع أنه كان عربيا وحاصل الجواب هبوا أن محمدا يتعلم المعانى من ذلك الرجل الا أنه لا يقدح فى المقصود لان القرآن بفصاحته اللفظية أيضا معجز ولما ذكر جوابهم وبخهم وهددهم بقوله (ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله) يعنى أن سبب عدم ايمانهم هو أن الله لا يهديهم كقوله ختم الله على قلوبهم وفسره الامام فخر الدين بأن الله لا يهديهم الى طريق الجنة بل يسوقهم الى النار وهذا التفسير يناسب أصول المعتزلة فلا أدرى كيف مال اليه ثم لما بين أنهم ليسوا مظاهر اللطف وكان قد بنى الامر فى جوابهم على تسليم ما ادعى الخصم من أنه يتعلم من ذلك البشر أراد أن يبين أن الذى قالوا غير صحيح ولا صادق فى نفس الامر فقال (انما يفترى الكذب) وفيه أيضا رد لقولهم انما أنت مفتر يعنى انما يليق افتراء الكذب بمن لا يؤمن لانه لا يترقب عقابا على الافتراء (وأولئك) اشارة الى قريش

شاعر هذا السان فلان تريد قصيدته كما قال الشاعر

لسان السوء تهديها الينا * وحنت وما حسبتك أن تحينا

يعنى باللسان القصيدة والكلمة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب أليم انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون ﴾ يقول تعالى ان الذين لا يؤمنون بحجج الله وأدلته فيصدقون بما دلت عليه لا يهديهم الله يقول لا يوفقهم الله لاصابة الحق ولا يهديهم لسبيل الرشد فى الدنيا ولهم فى الآخرة وعند الله اذا وردوا عليه يوم القيامة عذاب مؤلم موجع ثم أخبر تعالى ذكره المشركين الذين قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم انما أنت مفتر أنهم هم أهل الفرية والكذب لا نبى الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون به وبرأ من ذلك نبيه صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال انما يتخرص الكذب ويتقول الباطل الذين لا يصدقون بحجج الله وأعلامه لانهم لا يرجون على الصدق ثوابا ولا يخافون على الكذب عقابا فهم أهل الافك وافتراء الكذب لا من كان راجيا من الله على الصدق الثواب الجزيل وخائفا على الكذب العقاب الاليم وقوله وأولئك هم الكاذبون يقول والذين لا يؤمنون بآيات الله هم أهل الكذب لا المؤمنون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ﴾ اختلف أهل العربية فى العامل فى من من قوله من كفر بالله ومن قوله ولكن من شرح بالكفر صدرا فقال بعض نحويى البصرة صار قوله فعليهم خبر القوله ولكن من شرح بالكفر صدرا وقوله من كفر بالله من بعد ايمانه فأخبر لهم بخبر واحد وكان ذلك يدل على المعنى * وقال بعض نحويى الكوفة انما هذان جزآن اجتمعا أحدهما منعقد بالآخر فجوابهما واحد كقول القائل من يأتنا نكرمه بمعنى من يحسن ممن يأتنا نكرمه قال وكذلك كل جزاءين اجتمعا الثانى منعقد بالاول فالجواب لهما واحد * وقال آخر من أهل البصرة بل قوله من كفر بالله مرفوع بالرد على الذين فى قوله انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله ومعنى الكلام عنده انما يفترى الكذب من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره من هؤلاء وقلبه مطمئن بالايمان وهذا قول لا وجه له وذلك أن معنى الكلام لو كان كما قال قائل هذا القول لكان الله تعالى ذكره قد أخرج ممن افترى الكذب فى هذه الآية الذين ولدوا على الكفر وأقاموا عليه ولم يؤمنوا قط وخص به الذين قد كانوا آمنوا فى حال ثم راجعوا الكفر بعد الايمان والتنزيل يدل على أنه لم يخصص بذلك هؤلاء دون سائر المشركين الذين كانوا على الشرك مقيمين وذلك أنه تعالى أخبر خبر قوم منهم أضافوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم افتراء الكذب فقال واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون وكذب جميع المشركين بافترائهم على الله وأخبر أنهم موصوفون بهذه الصفة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون ولو كان الذين عنوا بهذه الآية هم الذين كفروا بالله من بعد ايمانهم وجب أن يكون القائلون لرسول الله صلى الله عليه وسلم انما أنت مفترحين بدلنا الله آية مكان آية كانوا هم الذين كفروا بالله بعد الايمان خاصة دون غيرهم من سائر

(١٦ - ابن جرير - رابع عشر) أولى الذين لا يؤمنون أى هم الذين لا يؤمنون فهم الكاذبون أى هم الكاذبون على الحقيقة الكاملون فى الكذب لان تكذيب آيات الله أعظم الكذب أو هم الذين من شأنهم الكذب وذلك هجيراهم لا يحجبهم عنه مروءة ولا دين أو أولئك هم الكاذبون فى قولهم انما أنت مفتر ومما يدل على كذبهم عقلا أنهم أعداء له وكلام العدا ضرب من الهذيان ولا شهادة لمثلهم وايضا

ان أمر التعليم والتعلم لا يتم فى مجلس واحد ولكنه يحتاج الى أزمنة متمادية ولو كان كذلك لاشتهر وانتشر وأيضا ان العلوم الموجودة فى القرآن كثيرة والمعلم يجب أن يكون أعلى حالا من المتعلم فلو كان مثل هذا العالم الذى يتعلم منه مثل النبى صلى الله عليه وسلم موجودا فى هذا العصر لم يخف حاله ومال الناس اليه دون النبى قال بعض علماء المعانى عطف الجملة الاسمية التى هى قوله وأولئك هم الكاذبون على ما قبلها وهى فعلية دالة على أن من أقدم على الكذب فانه دخل فى الكفر تنبيها على أن صفة الكفر فيهم ثابتة راسخة كما تقول كذبت وأنت كاذب زيادة فى الوصف بالكذب على سبيل الاستمرار والاعتياد ولا افتراء أعظم من انكار الالهية والنبوة روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قيل له هل يكذب المؤمن قال لا وقرأ هذه الآية ثم انه سبحانه من كمال عنايته أراد أن يفرق بين الكفر اللسانى وحده وبين اللسانى المنضم اليه القلبى فقال (من كفر بالله) اختلف العلماء فى اعرابه فالاكثرون على أنه بدل اما من الذين لا يؤمنون بآيات الله وما بينهما اعتراض والمعنى انما يفترى الكذب من كفر واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء ثم قال (ولكن من شرح بالكفر صدرا) أى طاب منه نفسا واعتقده (فعليهم غضب) واما من المبتدا الذى هو أولئك أو من الخبر الذى هو الكاذبون وقيل منصوب على الذم أى أخص وأعنى من كفر وجوز بعضهم أن تكون من شرطية والجواب محذوف لان جواب من شرح دال عليه كأنه قيل من كفر بالله فعليه غضب الا من أكره ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب وانما صح استثناء المكره من الكافر مع أنه ليس بكافر لانه ظهر منه بعد الايمان ما مثله يظهر من الكافر طوعا فلهذه المشاكلة صح الاستثناء قال ابن عباس نزلت فى عمار بن ياسر وذلك أن المشركين بمكة أخذوه وأباه ياسرا وأمه سمية وصهيبا وبلالا وخبابا وسالما فعذبوهم فأما سمية فانها ربطت بين بعيرين ووجئ قبلها بحربة وقيل لها انك أسلمت من أجل الرجال وقتلت وقتل زوجها ياسر وهما أول قتيلين فى الاسلام وأما عمار فانه أعطاهم

المشركين لان هذه فى سياق الخبر عنهم وذلك قول ان قاله قائل فبين فساده مع خروجه عن تأويل جميع أهل العلم بالتأويل والصواب من القول فى ذلك عندى أن الرافع لمن الاولى والثانية قوله فعليهم غضب من الله والعرب تفعل ذلك فى حروف الجزاء اذا استأنفت أحدهما على الآخر وذكر أن هذه الآية نزلت فى عمار بن ياسر وقوم كانوا أسلموا ففتنهم المشركون عن دينهم فشبت على الاسلام بعضهم وافتتن بعض ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان الى آخر الآية وذلك أن المشركين أصابوا عمار بن ياسر فعذبوه ثم تركوه فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه بالذى لقى من قريش والذى قال فأنزل الله تعالى ذكره عذره من كفر بالله من بعد ايمانه الى قوله ولهم عذاب عظيم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان قال ذكر لنا أنها نزلت فى عمار بن ياسر أخذه بنو المغيرة فغطوه فى بئر ميمون وقالوا اكفر بمحمد فتابعهم على ذلك وقلبه كاره فأنزل الله تعالى ذكره الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا أى من أتى الكفر على اختيار واستحباب فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن عبد الكريم الجزرى عن أبى عبيدة ابن محمد بن عمار بن ياسر قال أخذ المشركون عمار بن ياسر فعذبوه حتى بلغ ما أرادوا فشكا ذلك الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم كيف تجد قلبك قال مطمئن بالايمان قال النبى صلى الله عليه وسلم فان عادوا فعد حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم عن حصين عن أبى مالك فى قوله الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان قال نزلت فى عمار ابن ياسر حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن الشعبى قال لما عذب الأعبد أعطوهم ما سألوا الا خباب بن الارت كانوا يضجعونه على الرضف فلم يستقلوا منه شيأ فتأويل الكلام اذا من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره على الكفر فنطق بكلمة الكفر بلسانه وقلبه مطمئن بالايمان موقن بحقيقته صحيح عليه عزمه غير مفسوح الصدر بالكفر لكن من شرح بالكفر صدرا فاختاره وآثره على الايمان وباح به طائعا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم

* وبنحو الذى قلنا فى ذلك ورد الخبر عن ابن عباس حدثنى على بن داود قال ثنا عبد الله ابن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان فأخبر الله سبحانه أنه من كفر من بعد ايمانه فعليه غضب من الله وله عذاب عظيم فأما من أكره فتكلم به لسانه وخالفه قلبه بالايمان لينجو بذلك من عدوه فلا حرج عليه لان الله سبحانه انما يأخذ العباد بما عقدت عليه قلوبهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدى القوم الكافرين﴾ يقول تعالى ذكره حل بهؤلاء المشركين غضب الله ووجب لهم العذاب العظيم من أجل أنهم اختاروا زينة الحياة الدنيا على نعيم الآخرة ولان الله لا يوفق القوم الذين يجحدون آياته مع اصرارهم على جحودها ۞ القول فى تأويل

قوله

ما أرادوا بلسانه مكرها فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ إيمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فأتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكى فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال صلى الله عليه وسلم ان عادوا لك فعد لهم بما قلت فمن هنا حكم العلماء بأن الاكراه يجوز التلفظ بكلمة الكفر وحد الاكراه أن يعذبه بعذاب لا طاقة له به كالتخويف بالقتل والضرب الشديد وسائر الايلامات القوية وأجمعوا على أن قلبه عند ذلك يجب أن يكون متبرئا عن الرضا بالكفر وأن يقتصر على التعريض ما أمكن مثل أن يقول ان محمدا كذاب يعنى عند الكفار أو يعنى به محمدا آخر أو يذكره على نية الاستفهام بمعنى الانكار واذا أعجله من أكرهه عن احضار هذه النية أولا أنه لما عظم خوفه زال عن قلبه ذكر هذه النية كان ملوما وعفو الله متوقع ولو ضيق المكره عليه حتى صرح بالكفر من غير توريه وطلب منه أن يقول لا أريد بقلبى سوى ما أذكره بلسانى فههنا يتعين اما الكذب واما توريط النفس للعذاب فمن الناس من قال يباح له الكذب حينئذ ومنهم من قال ليس له ذلك واختاره القاضى لان الكذب انما يقبح لكونه كذبا فوجب أن يقبح على كل حال ولو خرج الكذب عن القبح لرعاية بعض المصالح لم يمتنع أن يفعل الله الكذب لمصلحة ما فلا يبقى وثوق بوعده ووعيده وللاكراه مراتب منها أن يجب الفعل المكره عليه كما لو أكرهه على شرب الخمر وأكل الميتة لما فيه من صون النفس مع عدم اضرار بالغير ولا اهانة لحق الله ومنها أن يصير الفعل مباحا لا واجبا كما لو أكره على التلفظ بكلمة الكفر لما روى أن بلالا صبر على العذاب وكان يقول أحد أحد حتى ملوه وتركوه ولم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم بئسما فعلت بل عظمه ولان فى ترك التقية والصبر على القتل أو التعذيب اعزاز للاسلام ومنها أنه لا يجب ولا يباح بل يحرم كما اذا أكره على قتل انسان أو على قطع عضو من أعضائه فههنا يبقى الفعل على الحرمة الأصلية وحينئذ لو قتل فللعلماء قولان أحدهما لا يلزم القصاص وبه قال أبو حنيفة والشافعى فى أحد قوليه

قوله تعالى ﴿أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون لا جرم أنهم فى الآخرة هم الخاسرون﴾ يقول تعالى ذكره هؤلاء المشركون الذين وصفت لكم صفتهم فى هذه الآيات أيها الناس هم القوم الذين طبع الله على قلوبهم فختم عليها بطابعه فلا يؤمنون ولا يهتدون وأصم أسماعهم فلا يسمعون داعى الله الى الهدى وأعمى أبصارهم فلا يبصرون بها حجج الله ابصار معتبر ومتعظ وأولئك هم الغافلون يقول وهؤلاء الذين جعل الله فيهم هذه الافعال هم الساهون عما أعد الله لامثالهم من أهل الكفر وعما يرادبهم وقوله لا جرم أنهم فى الآخرة هم الخاسرون الهالكون الذين غبنوا أنفسهم حظوظها من كرامة الله تعالى ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم﴾ يقول تعالى ذكره ثم ان ربك يا محمد للذين هاجروا ديارهم ومساكنهم وعشائرهم من المشركين وانتقلوا عنهم الى دياراهل الاسلام ومساكنهم وأهل ولايتهم من بعد ما فتنهم المشركون الذين كانوا بين أظهرهم قبل هجرتهم عن دينهم ثم جاهدوا المشركين بعد ذلك بأيديهم بالسيف وبألسنتهم بالبراءة منهم ومما يعبدون من دون الله وصبروا على جهادهم ان ربك من بعدها لغفور رحيم يقول ان ربك من بعد فعلتهم هذه لهم لغفور يقول لذو ستر على ما كان منهم من اعطاء المشركين ما أرادوا منهم من كلمة الكفر بألسنتهم وهم لغيرها مضمرون وللايمان معتقدون رحيم بهم أن يعاقبهم عليها مع انابتهم الى الله وتوبتهم وذكر عن بعض أهل التأويل أن هذه الآية نزلت فى قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا تخلفوا بمكة بعد هجرة النبى صلى الله عليه وسلم فاشتد المشركون عليهم حتى فتنوهم عن دينهم فأيسوا من التوبة فأنزل الله فيهم هذه الآية فهاجروا ولحقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان قال ناس من أهل مكة آمنوا فكتب اليهم بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة أن هاجروا فانا لا نراكم مناحتى تهاجروا الينا فخرجوا يريدون المدينة فأدركتهم قريش بالطريق ففتنوهم وكفروا مكرهين ففيهم نزلت هذه الآية حدثنى القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه قال ابن جريج قال الله تعالى ذكره من كفر بالله من بعد ايمانه ثم نسخ واستثنى فقال ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم ذكر لنا أنه لما أنزل الله ان أهل مكة لا يقبل منهم اسلام حتى يهاجروا كتب بها أهل المدينة الى أصحابهم من أهل مكة فلما جاءهم ذلك تابعوا بينهم على أن يخرجوا فان لحق بهم المشركون من أهل مكة قاتلوهم حتى ينجوا أو يلحقوا بالله فخرجوا فأدركهم المشركون ففاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا فانزل الله تعالى ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا الآية حدثنا أحمد بن منصور قال ثنا أبو أحمد الزبيرى قال

لانه قتله دفعا عن نفسه فأشبه قتل الصائل ولانه كالآلة للمكره ولذلك وجب القصاص على المكره وثانيهما وبه قال أحمد والشافعي في أصح قوليه ان عليه القصاص لانه قتله عدوانا لاستبقاء نفسه فصار كما لو قتل المضطر انسانا فاكله ومن الافعال ما لا يمكن الاكراه عليه وهو الزنا لان الاكراه يوجب الخوف الشديد وذلك يمنع من انتشار الآلة فلو دخل الزنا في الوجود علم أنه وقع بالاختيار لا بالاكراه والاصح أن الاكراه فيه متصور وان الحد يسقط حينئذ وعن أبي حنيفة أنه ان أكرهه السلطان لم يجب الحد وان أكرهه بعض الرعية وجب قال بعض الاصوليين في قوله وقلبه مطمئن بالايمان دلالة على أن محل الايمان هو القلب فهو اما الاعتقاد ان كان الايمان معرفة واما كلام النفس ان كان تصديقا وانتصاب صدرا على التمييز وأصله ولكن من شرح بالكفر صدره فعدل الى النصب للمبالغة ولبناء الكلام على الابهام ثم التفسير قوله (ذلك بأنهم) أي ذلك الارتداد بسبب أنهم رجحوا (الدنيا على الآخرة) ولاجل أنه تعالى ما هداهم الى الايمان ولم يعصمهم عن الكفر وقال جار الله ذلك الوعيد والغضب والعذاب بسبب استحقاقهم خذلان الله بكفرهم وهذا البحث وكذا بحث الطبع والختم والخلاف في تفسيره بين الاشاعرة والمعتزلة قد مر في أول سورة البقرة وفي غيرها فلا حاجة الى الاعادة (وأولئك هم الغافلون) أي الكاملون في الغفلة اذ غفلوا عن تدبر العواقب (لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون) وقال في أوائل سورة هود هم الأخسرون لان أولئك صدوا عن سبيل الله وصدوا غيرهم فضلوا وأضلوا ولذلك ضوعف لهم العذاب فهم الأخسرون وهؤلاء صدوا بأنفسهم فهم الخاسرون ويمكن أن يقال ان ما قبل الفواصل في تلك السورة لم يعتمد على ألف قبلها مثل يبصرون يفترون ولا

وفي هذه السورة اعتمدت على الالف مثل الكافرين الكاذبون فجاء في كل سورة على ما يناسبها ولما ذكر حال من أكره أتبعه حال من هاجر من بعد ما فتن قال جار الله معنى (ثم ان ربك) تباعد حال هؤلاء من حال عمار وأصحابه ومعنى ان ربك لهم أنه لهم لا عليهم فينصرهم

ثنا محمد بن شريك عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال كان قوم من أهل مكة أسلموا وكانوا يستخفون بالاسلام فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم فأصيب بعضهم وقتل بعض فقال المسلمون كان أصحابنا هؤلاء مسلمين وأكرهوا فاستغفروا لهم فنزلت ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم الى آخر الآية قال وكتب الى من بقي بمكة من المسلمين هذه الآية لا عذر لهم قال فخرجوا فلحقهم المشركون فأعطوهم الفتنة فنزلت هذه الآية ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله الى آخر الآية فكتب المسلمون اليهم بذلك فخرجوا وأيسوا من كل خير ثم نزلت فيهم ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم فكتبوا اليهم بذلك ان الله قد جعل لكم مخرجا فخرجوا فأدركهم المشركون فقاتلوهم ثم نجا من نجا وقتل من قتل حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال نزلت هذه الآية في عمار بن ياسر وعياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا * وقال آخرون بل نزلت هذه الآية في شأن ابن أبي سرح ذكر من قال ذلك حدثني ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح عن الحسين عن يزيد عن عكرمة والحسن البصري قالا في سورة النحل من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ثم نسخ واستثنى من ذلك فقال ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم وهو عبد الله بن أبي سرح الذي كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأزله الشيطان فلحق بالكفار فأمر به النبي صلى الله عليه وسلم أن يقتل يوم فتح مكة فاستجار له أبو عمرو فأجاره النبي صلى الله عليه وسلم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون﴾ يقول تعالى ذكره ان ربك من بعدها لغفور رحيم يوم تأتي كل نفس تخاصم عن نفسها وتحتج عنها بما أسلفت في الدنيا من خير أو شر أو ايمان أو كفر وتوفى كل نفس ما عملت في الدنيا من طاعة ومعصية وهم لا يظلمون يقول وهم لا يفعل بهم الا ما يستحقونه ويستوجبونه بما قدموه من خير أو شر فلا يجزى المحسن الا بالاحسان ولا المسيء الا بالذي أسلف من الاساءة لا يعاقب محسن ولا يبخس جزاء احسانه ولا يثاب مسيء الاثواب عمله واختلف أهل العربية في السبب الذي من أجله قيل تجادل فأنث الكل فقال بعض نحويي البصرة قيل ذلك لان معنى كل نفس كل انسان وأنث لان النفس تذكر وتؤنث يقال ما جاءني نفس واحد وواحدة وكان بعض أهل العربية يرى هذا القول من قائله غلطا ويقول كل اذا أضيفت الى نكرة واحدة خرج الفعل على قدر النكرة كل امرأة قائمة وكل رجل قائم وكل امرأتين قائمتان وكل رجلين قائمان وكل نساء قائمات وكل رجال قائمون فيخرج على عدد النكرة وتأنيثها وتذكيرها ولا حاجة به الى تأنيث النفس وتذكيرها ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾ يقول الله تعالى ذكره ومثل الله مثلا لمكة التي سكانها أهل الشرك بالله هي القرية التي كانت آمنة مطمئنة وكان أمنها أن العرب كانت تتعادى ويقتل بعضها بعضا ويسبي بعضها بعضا وأهل مكة لا يغار عليهم

ولايخذلهم ويحتمل أن يكون الجار متعلقا بالخبر على نية التأخير وتكرير إن لطول الكلام من قرأ من بعد ما فتنوا بفتح الفاء مبنيا للفاعل فوجهه أن فتن وافتتن بمعنى واحد والمراد أن أولئك الضعفاء لما ذكروا كلمة الكفر على سبيل التقية فكأنهم فتنوا أنفسهم لان الرخصة فى اظهار كلمة الكفر ما نزلت بعد أو أراد أن أكابر المشركين الذين آذوا فقراء المسلمين لو تابوا وهاجروا وصبروا فان الله يقبل توبتهم ومعنى ثم على هذا التفسير ظاهر ومن قرأ بضم الفاء مبنيا للمفعول فالمراد أن المستضعفين المعذبين الذين حملهم أقوياء المشركين على الردة والرجوع عن الايمان ان هاجروا وجاهدوا وصبروا فان الله يغفر لهم تكلمهم بكلمة الكفر وقال الحسن هؤلاء الذين هاجروا من المؤمنين كانوا بمكة فعرضت لهم فتنة فارتدوا وشكوا فى الرسول ثم أسلموا وهاجروا فنزلت الآية فيهم فمعنى ثم تبعيد حالة الغفران والرحمة عن حالة الارتداد والشك فى أمر الرسول الا أنه سبحانه بكرمه يغفر لهم اذا تابوا وقيل نزلت فى عبد الله ابن أبى سرح ارتد فلما كان يوم الفتح أمر النبى صلى الله عليه وسلم بقتله فاستجار له عثمان فأجاره رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انه أسلم وحسن اسلامه وهذه الرواية انما تصح لو جعلنا الآية مدنية ومثله ما روى عن قتادة أنه لما أنزل الله ان أهل مكة لا يقبل منهم اسلام حتى يهاجروا كتب بها أهل المدينة الى أصحابهم من أهل مكة فلما جاءهم ذلك خرجوا فلحقهم المشركون فردوهم فنزلت ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون فكتبوا بها اليهم فتبايعوا بينهم على أن يخرجوا فان لحق بهم المشركون من أهل مكة قاتلوهم حتى ينجوا أو يلحقوا بالله فأدركهم المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا فأنزلت هذه الآية والضمير فى قوله (من بعدها) يرجع الى الافعال المذكورة من الهجرة والجهاد والصبر فالحاصل أن الآية اما نازلة فيمن عذب فلم يرتد ومع ذلك هاجر وجاهد واما نازلة فيمن أظهر الكفر تقية فبين تعالى أن حاله اذا هاجر وجاهد وصبر كحال من لم يكن كذلك واما نازلة فيمن ارتد ثم تاب وقام بما يجب القيام به فوعده الله المغفرة

ولا يحاربون فى بلدهم فذلك كان أمنها وقوله مطمئنة يعنى قارة بأهلها لا يحتاج أهلها الى النجع كما كان سكان البوادى يحتاجون اليها يأتيها رزقها رغدا يقول يأتى أهلها معايشهم واسعة كثيرة وقوله من كل مكان يعنى من كل فج من فجاج هذه القرية ومن كل ناحية فيها وبنحو الذى قلنا فى أن القرية التى ذكرت فى هذا الموضع أريد بها مكة قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان يعنى مكة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قرية كانت آمنة مطمئنة قال مكة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة قال ذكر لنا أنها مكة حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قرية كانت آمنة قال هى مكة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة الى آخر الآية قال هذه مكة * وقال آخرون بل القرية التى ذكر الله فى هذا الموضع مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنى ابن عبد الرحيم البرقى قال ثنا ابن أبى مريم قال أخبرنا نافع بن يزيد قال ثنى عبد الرحمن بن شريح أن عبد الكريم بن الحرث الحضرمى حدثه أنه سمع مشرح بن عاهان يقول سمعت سليم بن عمير يقول صدرنا من الحج مع حفصة زوج النبى صلى الله عليه وسلم وعثمان محصور بالمدينة فكانت تسأل عنه ما فعل حتى رأت راكبين فأرسلت اليهما تسألهما فقالا قتل فقالت حفصة والذى نفسى بيده انها القرية تعنى المدينة التى قال الله تعالى وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله قرأها قال أبو نشريح وأخبرنى عبيد الله بن المغيرة عمن حدثه أنه كان يقول انها المدينة وقوله فكفرت بأنعم الله يقول فكفر أهل هذه القرية بأنعم الله التى أنعم عليها واختلف أهل العربية فى واحد الأنعم فقال بعض نحويى البصرة جمع النعمة على أنعم كما قال الله حتى اذا بلغ أشده فزعم أنه جمع الشدة وقال آخر منهم الواحد نعم وقال يقال أيام طعم ونعم أى نعيم قال فيجوز أن يكون معناها فكفرت بنعيم الله لها واستشهد على ذلك بقول الشاعر

وعندى قروض الخير والشر كله * فبؤس لذى بؤس ونعم بأنعم

وكان بعض أهل الكوفة يقول أنعم جمع نعماء مثل بأساء وأبؤس وضراء وأضر فأما الاشد فانه زعم أنه جمع شد وقوله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف يقول تعالى ذكره فأذاق الله أهل هذه القرية لباس الجوع وذلك جوع خالط أذاه أجسامهم فجعل الله تعالى ذكره ذلك لمخالطته أجسامهم بمنزلة اللباس لها وذلك أنهم سلط عليهم الجوع سنين متوالية بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أكلوا العلهز والجيف قال أبو جعفر والعلهز الوبر يعجن بالدم والقراد يأكلونه وأما الخوف فان ذلك كان خوفهم من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم التى كانت تطيف بهم وقوله بما كانوا يصنعون

والرحمة قال الزجاج (يوم تأتى) منصوب بقوله رحيم أو باضمار اذكر أو ذكرهم وأنذرهم ومعنى الآية ظاهر الا أن فى قوله (عن نفسها) اشكالا من حيث اضافته النفس الى ضمير النفس وأجيب بأن المراد بالنفس الاولى جملة بدن الحى وبالنفس الثانية الذات فكأنه قيل يوم يأتى كل انسان يجادل عن ذاته لا يهمه شأن غيره ومعنى المجادلة عنها الاعتذار عنها كقولهم هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار وكقولهم ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك فألقوا اليهم القول انكم لكاذبون ونحو ذلك عن بعضهم تزفر جهنم زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبى مرسل الا جثا لركبتيه يقول يارب نفسى حتى ان ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك ثم أوعد الكفار بآفات الدنيا أيضا فقال (وضرب الله مثلا قرية) يحتمل أن تكون مقدرة وأن تكون معينة موجودة اما مكة أو غيرها وذهب كثير من المفسرين الى أنها مكة والأقرب أنها غيرها لأن مثل مكة يكون غير مكة فضرب بها الله مثلا لمكة انذارا من مثل عاقبتها قال العقلاء ثلاثة ليس لها نهاية الامن والصحة والكفاية فوصف الله تعالى تلك القرية بالامن ثم بالاطمئنان اشارة الى أن هواء ذلك البلد لاعتداله ملائم لامزجة أهله حتى اطمأنوا واستقروا ولم يحوجوا الى الانتقال طلبا للصحة ثم قال (يأتيها رزقها رغدا من كل مكان) دلالة على حصول الكفاف لهم بأيسر وجه قال فى الكشاف الأنعم جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وأدرع أو جمع نعم كبؤس وأبؤس قلت لعله حمله على ذلك طلب الضبط والا فلا حاجة الى هذا التكلف وكذا أطلق الاكثرون أن جمع فعلة يجىء على أفعل قيل انما ذكر جمع القلة تنبيها بالادنى على الاعلى يعنى أن كفران النعمة القليلة يوجب العذاب فكيف بكفران النعم الكثيرة العظيمة وهذا مثل لأهل مكة كانوا فى الامن والطمأنينة والخصب ثم أنعم الله عليهم بالنعمة العظيمة وهو محمد صلى الله عليه وسلم فكفروا بها وبالغوا فى ايذائه فسلط الله عليهم البلاء عذبهم بالجوع سبع سنين حتى أكلوا الجيف والعظام والعلهز والفرو وكان النبى صلى الله عليه وسلم يبعث اليهم السرايا فيغيرون

والصواب

يقول بما كانوا يصنعون من الكفر بأنعم الله ويجحدون آياته ويكذبون رسوله وقال بما كانوا يصنعون وقد جرى الكلام من ابتداء الآية الى هذا الموضع على وجه الخبر عن القرية لان الخبر وان كان جرى فى الكلام عن القرية استغناء بذكرها عن ذكر أهلها لمعرفة السامعين بالمراد منها فان المراد أهلها فلذلك قيل بما كانوا يصنعون فرد الخبر الى أهل القرية وذلك نظير قوله فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون ولم يقل قائلة وقد قال قبله فجاءها بأسنا لانه رجع بالخبر الى الاخبار عن أهل القرية ونظائر ذلك فى القرآن كثيرة ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ ﴿ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون﴾ يقول تعالى ذكره ولقد جاء أهل هذه القرية التى وصف الله صفتها فى هذه الآية التى قبل هذه الآية رسول منهم يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم يقول من أنفسهم يعرفونه ويعرفون نسبه وصدق لهجته يدعوهم الى الحق والى طريق مستقيم فكذبوه ولم يقبلوا منه ما جاءهم به من عند الله فأخذهم العذاب وذلك لباس الجوع والخوف مكان الأمن والطمأنينة والرزق الواسع الذى كان قبل ذلك يرزقونه وقتل بالسيف وهم ظالمون يقول وهم مشركون وذلك أنه قتل عظماؤهم يوم بدر بالسيف على الشرك وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولقد جاءهم رسول منهم إى والله يعرفون نسبه وأمره فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون فأخذهم الله بالجوع والخوف والقتل ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ ﴿فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون﴾ يقول تعالى ذكره فكلوا أيها الناس مما رزقكم الله من بهائم الانعام التى أحلها لكم حلالا طيبا مذكاة غير محرمة عليكم واشكروا نعمة الله يقول واشكروا الله على نعمه التى أنعم بها عليكم فى تحليله ما أحل لكم من ذلك وعلى غير ذلك من نعمه ان كنتم اياه تعبدون يقول ان كنتم تعبدون الله فتطيعونه فيما يأمركم وينهاكم وكان بعضهم يقول انما عنى بقوله فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا طعاما كان بعث به رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين من قومه فى سنى الجدب والقحط رقة عليهم فقال الله تعالى للمشركين فكلوا مما رزقكم الله من هذا الذى بعث به اليكم حلالا طيبا وذلك تأويل بعيد مما يدل عليه ظاهر التنزيل وذلك أن الله تعالى قد أتبع ذلك بقوله انما حرم عليكم الميتة والدم الآية والتى بعدها فبين بذلك أن قوله فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا اعلام من الله عباده أن ما كان المشركون يحرمونه من البحائر والسوائب والوصائل وغير ذلك مما قد بينا قبل فيما مضى لا معنى له اذ كان ذلك من خطوات الشيطان فان كل ذلك حلال لم يحرم الله منه شيأ ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ ﴿انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم﴾ يقول تعالى ذكره مكذبا المشركين الذين كانوا يحرمون ما ذكرنا من البحائر وغير ذلك ما حرم الله عليكم أيها الناس الا الميتة والدم ولحم الخنزير وما ذبح للانصاب فسمى عليه غير الله لان ذلك من ذبائح من لا يحل أكل ذبيحته فمن اضطر الى ذلك أو الى شئ منه لمجاعة حلت فأكله غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم يقول ذو ستر عليه أن يؤاخذه بأكله ذلك فى حال الضرورة رحيم به أن يعاقبه عليه وقد بينا اختلاف المختلفين فى قوله غير باغ ولا عاد

والصواب عندنا من القول فى ذلك بشواهده فيما مضى بما أغنى عن اعادته **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انما حرم عليكم الميتة والدم الآية قال وان الاسلام دين مطهر طهره الله من كل سوء وجعل لك فيه يا ابن آدم سعة اذا اضطررت الى شئ من ذلك قوله فمن اضطر غير باغ ولا عاد غير باغ فى أكله ولا عاد أن يتعدى حلالا الى حرام وهو يجد عنه مندوحة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل ولهم عذاب أليم﴾ اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب فتكون تصف الكذب بمعنى ولا تقولوا الوصف ألسنتكم الكذب فتكون ما بمعنى المصدر وذكر عن الحسن البصرى أنه قرأ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا بخفض الكذب بمعنى ولا تقولوا الكذب الذى تصفه ألسنتكم هذا حلال وهذا حرام فيجعل الكذب ترجمة عن ما التى فى لما فتخفضه بما تخفض به ما وقد حكى عن بعضهم لما تصف ألسنتكم الكذب برفع الكذب بجعل الكذب من صفة الالسنة و يخرج على فعل على أنه جمع كذوب وكذب مثل شكور وشكر ۞ والصواب عندى من القراءة فى ذلك نصب الكذب لاجماع الحجة من القراء عليه فى تأويل الكلام اذ كان ذلك كذلك لما ذكرنا ولا تقولوا الوصف ألسنتكم الكذب فيما رزق الله عباده من المطاعم هذا حلال وهذا حرام كى تفتروا على الله بقيلكم ذلك الكذب فان الله لم يحرم من ذلك ما تحرمون ولا أحل كثيرا مما تحلون ثم تقدم اليهم بالوعيد على كذبهم عليه فقال ان الذين يفترون على الله الكذب يقول ان الذين يتخرصون على الله الكذب و يختلقونه لا يخلدون فى الدنيا ولا يبقون فيها انما يتمتعون فيها قليلا وقال متاع قليل فرفع لان المعنى الذى هم فيه من هذه الدنيا متاع قليل أو لهم متاع قليل فى الدنيا وقوله ولهم عذاب أليم يقول ثم الينا مرجعهم ومعادهم ولهم على كذبهم وافترائهم على الله بما كانوا يفترون عذاب عند مصيرهم اليه أليم ۞ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و**حدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تعالى لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام فى البحيرة والسائبة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال البحائر والسوائب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ يقول تعالى ذكره وحرمنا من قبلك يا محمد على اليهود ما أنبأتك به من قبل فى سورة الانعام وذلك كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم وما ظلمناهم بتحريمنا ذلك عليهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بخزيناهم ذلك ببغيهم على ربهم وظلمهم أنفسهم بمعصية الله فأورثهم ذلك عقوبة الله ۞ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبى رجاء عن الحسن فى قوله وعلى الذين

أنه استعار اللباس لما غشى الانسان من بعض الحوادث كالجوع والخوف لاشتماله عليه اشتمال اللباس على اللابس ثم ذكر الوصف ملائما للمستعار له وهو الجوع والخوف لان اطلاق الذوق على ادراك الجوع والخوف جرى عندهم مجرى الحقيقة فيقولون ذاق فلان البؤس والضر وأذاقه غيره فكانت الاستعارة مجردة ولو قال فكساها كانت مرشحة وقد سلف منا تقرير هذا الاصطلاح فى المقدمة التاسعة من مقدمات الكتاب وترشيح الاستعارة وان كان مستحسنا من جهة المبالغة الا أن للتجريد ترجيحا من حيث انه روعى جانب المستعار له فازداد الكلام وضوحا وقيل ان أصل الذوق بالفم ثم قد يستعار فيوضع موضع التعرف والاختبار فتقول أنا طرفا نافأذوق ما عنده

شعر

ومن يذق الدنيا فانى طعمتها
وسيق الينا عذبها وعذابها

فعنى ذقت لباس الجوع والخوف على فلان تعرفت ما ظهر عليه من الضمور وشحوبة اللون وتغير الحال وكسوف البال ففحوى الآية عرفها الله أثر لباس الجوع وقيل حمل اللباس على المماسة والتقدير فأذاقها الله مساس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون قال ابن عباس يريد بفعلهم بالنبى صلى الله عليه وسلم من التكذيب والهم بقتله

والاخراج من مكة قال الفراء كل الصفات أجريت على القرية الا قوله يصنعون تنبيها على أن المراد فى الحقيقة أهلها ولما ذكر المثل ذكر الممثل (ولقد جاءهم) يعنى أهل مكة (رسول منهم) من أنفسهم يعرفونه بأصله ونسبه (فكذبوه فأخذهم العذاب وهم) متلبسون بالظلم قال ابن عباس يعنى بالعذاب الجوع الذى كان بمكة وقيل القتل يوم بدر وقيل ان قول ابن عباس أولى والمراد أن ذلك الجوع بسبب كفركم

فاتركوا الكفر (فكلوا مما رزقكم الله) من الغنائم فأكل الغنائم مسبب عن ترك الكفر فلذلك وصله بالفاء وقال الكلبي ان رؤساءهم كلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جهدوا وقالوا عادت الرجال فما بال النساء والصبيان وكانت الميرة قد قطعت عنهم باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن في الحمل فحمل الطعام اليهم فذلك قوله فكلوا ورجح قول ابن عباس بأنه تعالى قال بعد ذلك انما حرم عليكم الميتة فالمراد أنكم لما آمنتم وتركتم الكفر فكلوا الحلال الطيب وهو الغنيمة واتركوا الخبائث وهو الميتة والدم أو أنه سبحانه أعاد تحريم هذه الاشياء في البقرة وفي المائدة والانعام وفي هذه السورة قطعا للاعذار وازالة للشبهة ثم زيف طريقة الكفار في الزيادة على هذه المحرمات كالبحيرة والسائبة وفي النقصان عنها كتحليل الميتة والدم فقال (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب) قال الكسائي والزجاج ما مصدرية وانتصاب الكذب بلا تقولوا أي ولا تقولوا الكذب لاجل وصف ألسنتكم وقوله (هذا حلال وهذا حرام) بدل من الكذب ولك أن تنصب الكذب بتصف وتجعل ما مصدرية أيضا أي ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف ألسنتكم الكذب ومعناه لا تحرموا ولا تحللوا لاجل قول تنطق به ألسنتكم من غير حجة ودليل ويجوز أن تكون ما موصولة أي ولا تقولوا للذي تصف ألسنتكم الكذب فيه هذا حلال وهذا حرام فحذف لفظ فيه لكونه معلوما وقوله تصف ألسنتكم الكذب من فصيح الكلام وبليغه كأن ماهية الكذب مجهولة وكلامهم يكشف عن حقيقته نظيره قولهم وجهه يصف الجمال وعينه تصف السحر واللام في قوله (لتفتروا) لام العاقبة لا الغرض والمقصود من ذكره بيان أنه كذب على الله فان قوله لما تصف ألسنتكم الكذب لم يكن فيه هذا البيان ثم أوعد المفترين بقوله (ان الذين يفترون) الآية وقوله (متاع) قال الزجاج أي متاعهم وعن ابن عباس أراد أن متاع كل الدنيا قليل والمعنى أن منفعتهم فيما هم عليه من أفعال الجاهلية أو أن نعيم الدنيا كلها يزول عنهم عما قريب ويبقى العقاب

هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل قال في سورة الانعام **حدثني** يعقوب قال ثنا ابن علية عن أيوب عن عكرمة في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل قال في سورة الانعام **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل قال ما قص الله تعالى في سورة الانعام حيث يقول وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآية ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم﴾ يقول تعالى ذكره ان ربك للذين عصوا الله فجهلوا بركوبهم ما ركبوا من معصية الله وسفهوا بذلك ثم راجعوا طاعة الله والندم عليها والاستغفار والتوبة منها من بعد ما سلف منهم ما سلف من ركوب المعصية وأصلح فعمل بما يحب الله ويرضاه ان ربك من بعدها يقول ان ربك يا محمد من بعد توبتهم له لغفور رحيم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم﴾ يقول تعالى ذكره ان ابراهيم خليل الله كان معلم خير يأتم به أهل الهدى قانتا يقول مطيعا لله حنيفا يقول مستقيما على دين الاسلام ولم يك من المشركين يقول ولم يكن بشركه بالله شيأ فيكون من أولياء أهل الشرك به وهذا اعلام من الله تعالى أهل الشرك به من قريش أن ابراهيم منهم بريء وأنهم منه برآء شاكرا لأنعمه يقول كان يخلص الشكر لله فيما أنعم عليه ولا يجعل معه في شكره في نعمه عليه شريكا من الآلهة والانداد وغير ذلك كما يفعل مشركو قريش اجتباه يقول اصطفاه واختاره لخلته وهداه الى صراط مستقيم يقول وأرشده الى الطريق المستقيم وذلك دين الاسلام لا اليهودية ولا النصرانية وبنحو الذي قلنا في معنى أمة قانتا قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** زكريا بن يحيى قال ثنا ابن ادريس عن الاعمش عن الحكم عن يحيى بن الجزار عن أبي العبيدين أنه جاء الى عبد الله فقال من نسأل اذا لم نسأل فكأن ابن مسعود رق له فقال أخبرني عن الأمة قال الذي يعلم الناس الخير **حدثنا** محمد ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن سلمة بن كهيل عن مسلم البطين عن أبي العبيدين أنه سأل عبد الله بن مسعود عن الامة القانت قال الامة معلم الخير والقانت المطيع لله ورسوله **حدثني** يعقوب قال ثنا ابن علية عن منصور يعني ابن عبد الرحمن عن الشعبي قال ثني فروة بن نوفل الاشجعي قال قال ابن مسعود ان معاذا كان أمة قانتا لله حنيفا فقلت في نفسي غلط أبو عبد الرحمن انما قال الله تعالى ان ابراهيم كان أمة قانتا لله فقال تدري ما الامة وما القانت قلت الله أعلم قال الأمة الذي يعلم الخير والقانت المطيع لله ولرسوله وكذلك كان معاذ بن جبل كان يعلم الخير وكان مطيعا لله ولرسوله **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة قال سمعت فراسا يحدث عن الشعبي عن مسروق عن عبد الله بن مسعود أنه قال ان معاذا كان أمة قانتا لله قال فقال رجل من أشجع يقال له فروة بن نوفل نسي انما ذاك ابراهيم قال فقال عبد الله من نسي انما كنا نشبهه بابراهيم قال وسئل عبد الله عن الامة فقال معلم الخير والقانت المطيع لله ورسوله **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن فراس عن الشعبي عن

الدائم الاليم ثم خص محرمات اليهود بالذكر فقال (وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل) يعنى فى سورة الانعام عند قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ثم قال (وما ظلمناهم) كقوله هنالك ذلك جزيناهم ببغيهم ثم بين أن الافتراء على الله ومخالفة أمره لا يمنعهم من التوبة وحصول المغفرة والرحمة وقوله (بجهالة) فى موضع الحال أى عملوا السوء جاهلين غير عارفين بالله وبعقابه أو غير متأملين فى وخامة عاقبته لغلبة الشهوة عليهم (ان ربك من بعدها) من بعد تلك السيئة

أو التوبة أو الجهالة ولما بالغ فى ابطال مذاهب المشركين وفى الجواب عن شبههم ومطاعنهم وكان ابراهيم صلى الله عليه وسلم رئيس الموحدين وقدوة أكابر النبيين ذكره الله تعالى فى آخر هذه السورة قائلا (ان ابراهيم كان أمة) أى هو وحده أمة من الامم لكماله فى جميع صفات الخير ليس على الله بمستنكر *

أن يجمع العالم فى واحد وعن مجاهد كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار فلهذا قيل انه أمة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى زيد بن عمرو بن نفيل يبعثه الله أمة وحده وعن شهر بن حوشب لم يكن زمن الا وفيه أربعة عشر يدفع بهم الله عن أهل الارض الا زمن ابراهيم فانه وحده وقيل أمة بمعنى مأموم أى يؤمه الناس ليأخذوا منه أفعال الخير أو بمعنى مؤتم به كقوله انى جاعلك للناس اماما وقيل انه من باب اطلاق المسبب على السبب لانه حصل لأمته الامتياز عمن سواهم (قانتا لله) قائما بما يأمره الله وعن ابن عباس مطيعا لله (حنيفا) مائلا الى ملة الاسلام مستقيما لا يزول عنه وقال ابن عباس المراد أنه أول من اختتن وأقام مناسك الحج وضحى (ولم يك من المشركين) قط لا فى الصغر ولا فى الكبر (شاكرا لأنعمه) وان كانت قليلة فضلا عن النعم الكثيرة يروى أنه كان لا يتغدى الا مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا فأخر غداءه فاذا هو بفوج من الملائكة فى صورة البشر فدعاهم الى الطعام فخيلوا له أن بهم جذاما فقال الآن وجبت مؤاكلتكم شكرا لله على أنه عافانى وابتلاكم (اجتباه) اختصه واصطفاه للنبوة (وهداه الى صراط مستقيم) الى ملة الاسلام (وآتيناه فى الدنيا حسنة) عن قتادة هى أن الله تعالى حببه الى أهل الاديان كلها وقيل الاموال والاولاد وقيل قول المصلى منا كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم (وانه فى الآخرة لمن الصالحين) فى أعلى مقاماتهم

عن مسروق قال قرأت عند عبد الله هذه الآية ان ابراهيم كان أمة قانتا لله فقال كان معاذ أمة قانتا قال هل تدرى ما الامة الامة الذى يعلم الناس الخير والقانت الذى يطيع الله ورسوله حدثنا أبو هشام الرفاعى قال ثنا ابن فضيل قال ثنا بيان بن بشر البجلى عن الشعبى قال قال عبد الله ان معاذا كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين فقال له رجل نسيت قال لا ولكنه شبيه ابراهيم والامة معلم الخير والقانت المطيع حدثنى على بن سعيد الكندى قال ثنا عبد الله بن المبارك عن ابن عون عن الشعبى فى قوله ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا قال مطيعا حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو بكر قال قال عبد الله ان معاذا كان أمة قانتا معلم الخير وذكر فى الامة أشياء مختلف فيها قال وادكر بعد أمة يعنى بعد حين وأمة وسطا حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن سعيد بن سابق عن ليث عن شهر بن حوشب قال لم تبق الارض الا وفيها أربعة عشر يدفع الله بهم عن أهل الارض وتخرج بركتها الا زمن ابراهيم فانه كان وحده حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال أخبرنا هشيم قال أخبرنا سيار عن الشعبى * قال وأخبرنا زكريا ومجالد عن الشعبى عن مسروق عن ابن مسعود نحو حديث يعقوب عن ابن علية وزاد فيه الامة الذى يعلم الخير ويؤتم به ويقتدى به والقانت المطيع لله وللرسول قال له أبو فروة الكندى انك وهمت حدثنى محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ان ابراهيم كان أمة على حدة قانتا لله قال مطيعا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله الا أنه قال مطيعا لله فى الدنيا * قال ابن جريج وأخبرنى عويمر عن سعيد بن جبير أنه قال قانتا مطيعا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان ابراهيم كان أمة قانتا لله قال كان امام هدى مطيعا تتبع سنته وملته حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة أن ابن مسعود قال ان معاذ بن جبل كان أمة قانتا قال غير قتادة قال ابن مسعود هل تدرون ما الأمة الذى يعلم الخير حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن فراس عن الشعبى عن مسروق قال قرأت عند عبد الله بن مسعود ان ابراهيم كان أمة قانتا فقال ان معاذا كان أمة قانتا قال فأعادوا فأعاد عليهم ثم قال أتدرون ما الامة الذى يعلم الناس الخير والقانت الذى يطيع الله وقد بينا معنى الامة ووجوهها ومعنى القانت باختلاف المختلفين فيه فى غير هذا الموضع من كتابنا بشواهده فأغنى بذلك عن اعادته فى هذا الموضع

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وآتيناه فى الدنيا حسنة وانه فى الآخرة لمن الصالحين﴾ يقول تعالى ذكره وآتينا ابراهيم على قنوته لله وشكره له على نعمه واخلاصه العبادة له فى هذه الدنيا ذكرا حسنا وثناء جميلا باقيا على الايام وانه فى الآخرة لمن الصالحين يقول وانه فى الدار الآخرة يوم القيامة لممن صلح أمره وشأنه عند الله وحسنت فيها منزلته وكرامته وبنحو الذى قلنا فى ذلك

من الجنة تحقيقا لدعائه وألحقني بالصالحين قال في الكشاف معنى ثم في قوله (ثم أوحينا اليك) تبعيد هذا النعت من بين سائر النعوت التي أثنى الله بها على ابراهيم ليعلم أن أجل ما أوتي خليل الله اتباع نبينا ملته في الاصول من التوحيد والمعاد وغيرهما كاختيار يوم الجمعة للفراغ وترك العمل قال أهل النظم كان لسائل أن يسأل لم اختار اليهود السبت مع أن ابراهيم كان اختار الجمعة فأجاب الله سبحانه بقوله (انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه) فاختاره بعضهم للفراغ واختار بعضهم الجمعة روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أنه قال أمرهم موسى بالجمعة وقال تفرغوا في كل سبعة أيام يوما واحدا فأبوا أن يقبلوا ذلك وقالوا لا نريد الا اليوم الذي فرغ الله فيه من الخلق وهو يوم السبت فجعل عليهم السبت وشدد عليهم ثم جاءهم عيسى بالجمعة أيضا فقالت النصارى لا نريد أن يكون عيدهم بعد عيدنا فاتخذوا الاحد وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله كتب يوم الجمعة على من كان قبلنا فاختلفوا فيه وهدانا الله له فالناس لنا تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد وقال صاحب الكشاف السبت مصدر سبت اليهود اذا عظمت سبتها والمعنى انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه واختلافهم فيه أنهم أحلوا الصيد فيه تارة وحرموه تارة وكان الواجب عليهم أن يتفقوا في تحريمه على كلمة واحدة وضعف القول الاول بأن اليهود متفقون على تعيين يوم السبت للفراغة ويمكن أن يقال لعل فيهم من اختار الجمعة في قديم الدهر ثم وقع الاختلاف * سؤال النصارى يقولون ان يوم الاحد مبتدأ الخلق والتكوين على ما اتفق عليه أهل الملل أنه تعالى خلق العالم في ستة أيام أولها الاحد فجعله عيدا معقول واليهود قالت ان يوم السبت هو اليوم الذي قد فرغ الله فيه من الاعمال فنحن نوافق ربنا فما وجه جعل الجمعة عيدا والجواب بعد التعبد هو أن يوم الجمعة يوم التمام والكمال وذلك يوجب الفرح والسرور فجعله عيدا أولى ثم أوعد اليهود بقوله (وان ربك ليحكم) الخ ولما أمر محمدا باتباع ابراهيم صلى الله عليه وسلم بين وجه المتابعة فقال (ادع الى سبيل ربك) الآية وفيه أن طريقة ابراهيم صلى الله عليه وسلم في الدعوة كانت هكذا وتقرير ذلك أن الداعي الى مذهب ونحلة لا بد أن يكون قوله مبنيا على حجة وهي اما أن تكون يقينية قطعية مبرأة من شائبة

قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وآتيناه في الدنيا حسنة قال لسان صدق حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وآتيناه في الدنيا حسنة فليس من أهل دين الا يتولاه ويرضاه * القول في تأويل قوله تعالى ﴿ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ثم أوحينا اليك يا محمد وقلنا لك اتبع ملة ابراهيم الحنيفية المسلمة حنيفا يقول مسلما على الدين الذي كان عليه ابراهيم بريأ من الاوثان والانداد التي يعبدها قومك كما كان ابراهيم تبرأ منها وقوله انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه يقول تعالى ذكره ما فرض الله أيها الناس تعظيم يوم السبت الا على الذين اختلفوا فيه فقال بعضهم هو أعظم الايام لان الله تعالى فرغ من خلق الاشياء يوم الجمعة ثم سبت يوم السبت * وقال آخرون بل أعظم الايام يوم الأحد لانه اليوم الذي ابتدأ فيه في خلق الاشياء فاختاروه وتركوا تعظيم يوم الجمعة الذي فرض الله عليهم تعظيمه واستحلوه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه اتبعوه وتركوا الجمعة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة انما جعل السبت قال أرادوا الجمعة فأخطؤا فأخذوا السبت مكانه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه استحله بعضهم وحرمه بعضهم حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان قال ثنا سفيان عن السدي عن أبي مالك وسعيد بن جبير انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه قال باستحلالهم يوم السبت حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه قال كانوا يطلبون يوم الجمعة فأخطؤه وأخذوا يوم السبت فجعله عليهم وقوله وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون يقول تعالى ذكره ان ربك يا محمد ليحكم بين هؤلاء المختلفين بينهم في استحلال السبت وتحريمه عند مصيرهم اليه يوم القيامة فيقضي بينهم في ذلك وفي غيره مما كانوا فيه يختلفون في الدنيا بالحق ويفصل بالعدل بمجازاة المصيب فيه جزاءه والمخطئ فيه منهم ما هو أهله * القول في تأويل قوله تعالى ﴿ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾ يقول تعالى

ذكره

ذكر لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ادع يا محمد من أرسلك اليه ربك بالدعاء الى طاعته الى سبيل ربك يقول الى شريعة ربك التى شرعها لخلقه وهو الاسلام بالحكمة يقول بوحى الله الذى يوحيه اليك وكتابه الذى ينزله عليك والموعظة الحسنة يقول وبالعبر الجميلة التى جعلها الله حجة عليهم فى كتابه وذكرهم بها فى تنزيله كالتى عدد عليهم فى هذه السورة من حججه وذكرهم فيها ماذكرهم من آلائه وجادلهم بالتى هى أحسن يقول وخاصمهم بالخصومة التى هى أحسن من غيرها أن تصفح عما تأوله عرضك من الاذى ولا تعصه فى القيام بالواجب عليك من تبليغهم رسالة ربك * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله وجادلهم بالتى هى أحسن أعرض عن أذاهم يالله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقوله ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان ربك يا محمد هو أعلم بمن جار عن قصد السبيل من المختلفين فى السبت وغيره من خلقه وحاد الله وهو أعلم بمن كان منهم سالكا قصد السبيل ومحجة الحق وهو مجازيهم جميعهم جزاءهم عند ورودهم عليه * القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين وان عاقبتم أيها المؤمنون من ظلمكم واعتدى عليكم فعاقبوه بمثل الذى نالكم به ظالمكم من العقوبة ولئن صبرتم عن عقوبته واحتسبتم عند الله ما نالكم به من الظلم ووكلتم أمره اليه حتى يكون هو المتولى عقوبته له وخير الصابرين يقول للصبر عن عقوبته بذلك خير لاهل الصبر احتسابا وابتغاء ثواب الله لان الله يعوضه من الذى أراد أن يناله بانتقامه من ظالمه على ظلمه اياه من لذة الانتصار وهو من قوله لهو كناية عن الصبر وحسن ذلك وان لم يكن ذكر قبل ذلك الصبر لدلالة قوله ولئن صبرتم عليه * وقد اختلف أهل التأويل فى السبب الذى من أجله نزلت هذه الآية وقيل هى منسوخة أو محكمة فقال بعضهم نزلت من أجل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أقسموا حين فعل المشركون يوم أحد ما فعلوا بقتلى المسلمين من التمثيل بهم أن يجاوز وا فعلهم فى المثلة بهم ان رزقوا الظفر عليهم يوما فنهاهم الله عن ذلك بهذه الآية وأمرهم أن يقتصروا فى التمثيل بهم ان هم ظفروا على مثل الذى كان منهم ثم أمرهم بعد ذلك بترك التمثيل وايثار الصبر عنه بقوله واصبر وما صبرك الا بالله فنسخ بذلك عندهم ما كان أذن لهم فيه من المثلة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر قال سمعت داود عن عامر أن المسلمين قالوا لما فعل المشركون بقتلاهم يوم أحد لئن ظهرنا عليهم لنفعلن ولنفعلن فأنزل الله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين قالوا بل نصبر حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن عامر قال لما رأى المسلمون ما فعل

ذكر لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ادع يا محمد من أرسلك اليه ربك بالدعاء الى طاعته الى سبيل ربك يقول الى شريعة ربك التى شرعها لخلقه وهو الاسلام بالحكمة يقول بوحى الله الذى يوحيه اليك وكتابه الذى ينزله عليك والموعظة الحسنة يقول وبالعبر الجميلة التى جعلها الله حجة عليهم فى كتابه وذكرهم بها فى تنزيله كالتى عدد عليهم فى هذه السورة من حججه وذكرهم فيها ماذكرهم من آلائه وجادلهم بالتى هى أحسن يقول وخاصمهم بالخصومة التى هى أحسن من غيرها أن تصفح عما تأوله عرضك من الاذى ولا تعصه فى القيام بالواجب عليك من تبليغهم رسالة ربك * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله وجادلهم بالتى هى أحسن أعرض عن أذاهم يالله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقوله ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان ربك يا محمد هو أعلم بمن جار عن قصد السبيل من المختلفين فى السبت وغيره من خلقه وحاد الله وهو أعلم بمن كان منهم سالكا قصد السبيل ومحجة الحق وهو مجازيهم جميعهم جزاءهم عند ورودهم عليه * القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين وان عاقبتم أيها المؤمنون من ظلمكم واعتدى عليكم فعاقبوه بمثل الذى نالكم به ظالمكم من العقوبة ولئن صبرتم عن عقوبته واحتسبتم عند الله ما نالكم به من الظلم ووكلتم أمره اليه حتى يكون هو المتولى عقوبته له وخير الصابرين يقول للصبر عن عقوبته بذلك خير لاهل الصبر احتسابا وابتغاء ثواب الله لان الله يعوضه من الذى أراد أن يناله بانتقامه من ظالمه على ظلمه اياه من لذة الانتصار وهو من قوله لهو كناية عن الصبر وحسن ذلك وان لم يكن ذكر قبل ذلك الصبر لدلالة قوله ولئن صبرتم عليه * وقد اختلف أهل التأويل فى السبب الذى من أجله نزلت هذه الآية وقيل هى منسوخة أو محكمة فقال بعضهم نزلت من أجل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أقسموا حين فعل المشركون يوم أحد ما فعلوا بقتلى المسلمين من التمثيل بهم أن يجاوز وا فعلهم فى المثلة بهم ان رزقوا الظفر عليهم يوما فنهاهم الله عن ذلك بهذه الآية وأمرهم أن يقتصروا فى التمثيل بهم ان هم ظفروا على مثل الذى كان منهم ثم أمرهم بعد ذلك بترك التمثيل وايثار الصبر عنه بقوله واصبر وما صبرك الا بالله فنسخ بذلك عندهم ما كان أذن لهم فيه من المثلة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر قال سمعت داود عن عامر أن المسلمين قالوا لما فعل المشركون بقتلاهم يوم أحد لئن ظهرنا عليهم لنفعلن ولنفعلن فأنزل الله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين قالوا بل نصبر حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن عامر قال لما رأى المسلمون ما فعل

احتمال النقيض واما أن تكون مفيدة للظن القوى والاقناع التام والا لم يكن ملتفتا اليها فى العلوم وقد يكون الجدال والخصام غالبا على المدعو فيحتاج حينئذ الى الزامه واخفامه بدليل مركب من مقدمات مشهورة مسلمة عند الجمهور أو مقدمات مسلمة عند الخصم فقوله (بالحكمة) اشارة الى استعمال الحجج القطعية المفيدة لليقين والمكالمة بهذا الطريق انما تكون مع الطالبين البالغين فى الاستعداد الى درجة الكمال وقوله (والموعظة الحسنة) اشارة الى استعمال الدلائل الاقناعية الموقعة للتصديق بمقدمات مقبولة وأهل هذه المكالمة أقوام انحطت درجتهم عن درجة الطائفة الاولى الا أنهم باقون على الفطرة الاصلية طاهرون عن دنس الشغب وكدورات الجدال وهم عامة الخلق وليس للدعوة الاهذان الطريقان ولكن الداعى قد يضطر مع الخصم الألد الى استعمال الحجج الملزمة المفحمة كما قلنا فلهذا السبب عطف على الدعوة قوله (وجادلهم بالتى) أى بالطريقة التى هى أحسن فكان طريق الجدال لم يكن سلوكه مقصودا بالذات وانما اضطر الداعى اليه لاجل كون الخصم مشاغبا وانما استحسن هذا الطريق لكون الداعى محقا وغرضه صحيحا فان كان مبطلا وأراد تغليط السامع لم يكن جداله حسنا ويسمى دليله مغالطة هكذا ينبغى أن يتصور تفسير هذه الآية فان كلام المفسرين الظاهريين فيه غير مضبوط وجوز فى الكشاف أن يريد القرآن أى ادعهم بالكتاب الذى هو حكمة وموعظة حسنة وجادلهم بأحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف ولما حث على الدعوة بالطرق المذكورة بين أن الهداية والرشد ليس الى النبى وانما ذلك الى الله تعالى فقال (ان ربك هو أعلم) الآية أى هو العالم بضلال النفوس واهتدائها وكدورتها وصفائها وعن جعل الدعوة سببا لسعادتها أو واسطة لشقائها ثم ان الدعوة تتضمن تكليف المدعوين بالرجوع عن الدين المألوف والقطام منه شديد ورب ما تنجر المقاولة الى المقاتلة فحينئذ أمر الداعى وأتباعه برعاية العدل والانصاف فى حال القتال قائلا (وان عاقبتم) أى ان رغبتم فى استيفاء القصاص ان وقع قتل فاقنعوا بالمثل ولا تزيدوا عليه والآية عامة وقد يخصصها رواة أسباب النزول بقصة حمزة قالوا ان المشركين مثلوا بالمسلمين يوم أحد بقروا بطونهم وقطعوا مذاكيرهم ما تركوا أحدا غير ممثول به الا حنظلة

ابن الراهب فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمزة وقد مثل به وروى فرآه مبقور البطن فقال أما والذى أحلف به ان أظفرنى الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وكف عما أراده قاله ابن عباس فى رواية عطاء وأبى بن كعب ومن هذا ذهبوا الى أن خواتيم سورة النحل مدنية ولا خلاف فى تحريم المثلة وقد وردت الاخبار بالنهى عنها حتى بالكلب العقور وقيل نزلت حين كان المسلمون قد أمروا بالقتال مع من يقاتلهم ولا يبدؤا بالقتال فهو كقوله وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم أمر الله تعالى أن يعاقبوا بمثل ما يصيبهم من العقوبة ولا يزيدوا وقال مجاهد والنخعى وابن سيرين انه نهى المظلوم عن استيفاء الزيادة من الظالم وفى قوله وان عاقبتم رمز الى أن الاولى له أن لا يفعل كقول الطبيب للمريض ان كنت تأكل الفاكهة فكل التفاح ثم انتقل من التعريض الى بعض التصريح قائلا (ولئن صبرتم لهو خير) أى صبركم خير لكم فوضع المظهر موضع المضمر ثناء من الله عليهم أو وصفالهم بالصفة التى تحصل لهم أو جنس الصبر خير (للصابرين) من جنسهم ثم صرح كل التصريح فقال (واصبر) ثم ذكر ما يفيد سهولة الصبر على النفس فقال (وما صبرك الا بالله) أى بتوفيقه وتثبيته وربطه على قلبه وهذا سبب كلى مفيد للصبر وأما السبب الجزئى القريب فذلك قوله (ولا تحزن عليهم ولا تك) وذلك أن اقدام الانسان على الانتقام لا يكون الا عند هيجان الغضب وانه لا يهيج الا عند قوات نفع وأشار اليه بقوله ولا تحزن عليهم قيل أى على قتلى أحد وقيل على الكافرين كقوله فلا تأس على القوم الكافرين والا حين توقع مكروه فى المستقبل وأشار الى ذلك بقوله (ولا تك فى ضيق) من قرأ بكسر الضاد فظاهر وهو من الكلام المقلوب الذى يشبع عليه أمن الالباس لان الضيق وصف فهو يكون فى الانسان ولا يكون الانسان فيه وفيه لطيفة أخرى وهى أن الضيق اذا عظم وقوى صار كالشئ المحيط به من جميع الجوانب ومن قرأ بفتحها فاما على أنه مصدر أيضا أو على أنه مخفف ضيق فعناه فى أمر ضيق وانما لم يقل ولا تكن بالنون كما فى آخر النمل موافقة لما قبله ولم يك من المشركين ولان الحزن فيهما أكثر بناء على أنها وردت فى قتل حمزة فبولغ بالحذف فى النهى عن الحزن ثم ختم السورة بآية جامعة لجميع المأمورات والمنهيات فقال

المشركون بقتلاهم يوم أحد من تبقير البطون وقطع المذاكير والمثلة السيئة قالوا لئن أظفرنا الله بهم لنفعلن ولنفعلن فأنزل الله فيهم ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وما صبرك الا بالله **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن بعض أصحابه عن عطاء بن يسار قال نزلت سورة النحل كلها بمكة وهى مكية الا ثلاث آيات فى آخرها نزلت فى المدينة بعد أحد حيث قتل حمزة ومثل به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن ظهرنا عليهم لنمثلن بثلاثين رجلا منهم فلما سمع المسلمون بذلك قالوا والله لئن ظهرنا عليهم لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب بأحد قط فأنزل الله وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين الى آخر السورة **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به قال المسلمون يوم أحد (١) فقال وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به الى قوله لهو خير للصابرين ثم قال بعد واصبر وما صبرك الا بالله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال لما أصيب فى أهل أحد المثل فقال المسلمون لئن أصبنا هم لنمثلن بهم فقال الله وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ثم عزم وأخبر فلا بمثل فنهى عن المثل قال مثل الكفار بقتلى أحد الا حنظلة بن الراهب كان الراهب أبو عامر مع أبى سفيان فتركوا حنظلة لذلك * وقال آخرون نسخ ذلك بقوله فى براءة اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم قالوا وانما قال وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به خبرا من الله للمؤمنين أن لا يبدؤهم بقتال حتى يبدؤهم به فقال وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به قال هذا خبر من الله نبيه أن يقاتل من قاتله قال ثم نزلت براءة وانسلاخ الاشهر الحرم قال فهذا من المنسوخ * وقال آخرون بل عنى الله تعالى بقوله واصبر وما صبرك الا بالله نبى الله خاصة دون سائر أصحابه فكان الامر بالصبر عزيمة من الله دونهم ذكر من قال ذلك **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به قال أمرهم الله أن يعفوا عن المشركين فأسلم رجال لهم منعة فقالوا يا رسول الله لو أذن الله لنا لانتصرنا من هؤلاء الكلاب فنزل القرآن وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر أنت يا محمد ولا تكن فى ضيق ممن ينتصر وما صبرك الا بالله ثم نسخ هذا وأمره بجهادهم فهذا كله منسوخ * وقال آخرون لم يعن بهاتين الآيتين شئ مما ذكر هؤلاء وانما عنى بهما أن من ظلم بظلامة فلا يحل له أن ينال ممن ظلمه أكثر مما نال الظالم منه وقالوا الآية محكمة غير منسوخة ذكر من قال ذلك **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن خالد عن ابن سيرين وان عاقبتم فعاقبوا بمثل

---

(١) أى مقالهم السابق لئن ظهرنا الخ فتنبه كتبه مصححه

ما عوقبتم

(ان الله مع الذين اتقوا) المعاصى كلها (والذين هم محسنون) فى الطاعات بأن يعبدوا الله مخلصين عن شوائب الرياء وقيل ان الله مع الذين اتقوا استيفاء الزيادة والذين هم محسنون فى ترك أصل الانتقام فان أردت أن أكون معك بالنصر والتأييد فكن من المتقين ومن المحسنين وفيه أن الامر بالمعروف والنهى عن المنكر يجب أن يكون بالرفق واللين مرتبة مرتبة وقيل الذين اتقوا اشارة الى التعظيم لامر الله والذين هم محسنون اشارة الى الشفقة على خلق الله ومنه قال بعض المشايخ كمال الطريق صدق مع الحق وخلق مع الخلق واحتضر هرم بن حيان فقيل له أوص فقال انما الوصية من المال ولا مال لى أوصيكم بخواتيم سورة النحل ﴿ التأويل واذا بدلنا آية انه تعالى يعالج بدواء القرآن أمراض القلوب فى كل وقت بنوع آخر على حسب ما يعلمه من المصالح فلذلك قال والله أعلم بما ينزل وبشرى للمسلمين الذين استسلموا للطبيب ومعالجته حتى صارت قلوبهم سليمة انما يعلمه بشر ففيه انكار أن طب القلوب وعلاجها من شأن البشر بنظر العقل لانه مبنى على معرفة الامراض وكيتها وكيفيتها ومعرفة الأدوية وخواصها وكيفية استعمالها ومعرفة الأمزجة واختلاف أحوالها وأن القلوب بيد الله يقلبها هو كيف يشاء فيضيق عن معالجتها نطاق عقول البشر ولهذا قال ابراهيم صلى الله عليه وسلم واذا مرضت فهو يشفين اللهم الا اذا علم بتعليم الله كقوله وعلمك مالم تكن تعلم ومع هذا كان يقول نحن نحكم بالظاهر ويلحدون اليه أعجمى هو الذى لا يفهم من كلام الله أسراره وحقائقه والعربى ضده كما قال فانما يسرناه بلسانك انما يفترى الكذب لان الافتراء من شأن النفس الامارة الكافرة التى لا تؤمن بآيات الله وأولئك هم الكاذبون أى هم الذين استمروا على

ماعوقبتم به يقول ان أخذ منك رجل شيأ فخذ منه مثله **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن منصور عن ابراهيم قال ان أخذ منك شيأ فخذ منه مثله قال الحسن قال عبد الرزاق قال سفيان ويقولون ان أخذ منك دينارا فلا تأخذ منه الا دينارا وان أخذ منك شيأ فلا تأخذ منه الا مثل ذلك الشئ **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و **حدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به لا تعتدوا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * والصواب من القول فى ذلك أن يقال ان الله تعالى ذكره أمر من عوقب من المؤمنين بعقوبة أن يعاقب من عاقبه بمثل الذى عوقب به ان اختار عقوبته وأعلمه أن الصبر على ترك عقوبته على ما كان منه اليه خير وعزم على نبيه صلى الله عليه وسلم أن يصبر وذلك أن ذلك هو ظاهر التنزيل والتأويلات التى ذكرناها عمن ذكروها عنه محتملتها الآية كلها فاذا كان ذلك كذلك ولم يكن فى الآية دلالة على أى ذلك عنى بها من خبر ولا عقل (١) كان الواجب علينا الحكم بها الى ناطق لا دلالة عليه وأن يقال هى آية محكمة أمر الله تعالى ذكره عباده أن لا يتجاوزوا فيما وجب لهم قبل غيرهم من حق من مال أو نفس الحق الذى جعله الله لهم الى غيره وأنها غير منسوخة اذ كان لا دلالة على نسخها وأن القول بأنها محكمة وجها صحيحا مفهوما ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واصبر يا محمد على ما أصابك من أذى فى الله وما صبرك الا بالله يقول وما صبرك ان صبرت الا بمعونة الله وتوفيقه اياك لذلك ولا تحزن عليهم يقول ولا تحزن على هؤلاء المشركين الذين يكذبونك ويتكرون ما جئتهم به فى آن ولوا عنك وأعرضوا عما أتيتهم به من النصيحة ولا تك فى ضيق مما يمكرون يقول ولا يضيق صدرك بما يقولون من الجهل ونسبتهم ما جئتهم به الى أنه سحر أو شعر أو كهانة مما يمكرون مما يحتالون بالخدع فى الصد عن سبيل الله من أراد الايمان بك والتصديق بما أنزل الله اليك واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء العراق ولا تك فى ضيق بفتح الضاد من الضيق على المعنى الذى وصفت من تأويله وقرأه بعض قراء أهل المدينة ولا تك فى ضيق بكسر الضاد * وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك عندنا قراءة من قرأه فى ضيق بفتح الضاد لان الله تعالى انما نهى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يضيق صدره مما يلقى من أذى المشركين على تبليغه اياهم وحى الله وتنزيله فقال له فلا يكن فى صدرك حرج منه لتنذر به وقال فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك انما أنت نذير واذ كان ذلك هو الذى نهاه تعالى ذكره ففتح الضاد هو الكلام المعروف من كلام العرب فى ذلك المعنى تقول العرب فى صدرى من هذا الأمر ضيق وانما تكسر الضاد فى الشئ الذى يضيع أحيانا ويضيق من قلة المعاش وضيق المسكن ونحو ذلك فان وقع الضيق بفتح الضاد فى موضع

(١) لعله كان الواجب علينا تعميم الحكم بها لا تأويلها الى خاص لا دلالة الخ تأمل كتبه مصححه

الكذب لان المؤمن قد يكذب فى بعض الاحوال الا أنه لا يصر على ذلك وهكذا فى جميع المعاصى ولهذا لا يخرج من الايمان بالكلية ولكن ينقص الكذب ايمانه ويرجع بالتوبة الى أصله قال النبى صلى الله عليه وسلم ما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا من كفر بالله من بعد ايمانه اشارة الى المريد المرتد بنسيم روائح نفحات الحق بمشام قلبه عند هبوبه واصطكاك أهوية عوالم الباطن وانخراق سحب حجب البشرية فلمع له برق أضاءت به آفاق سماء القلب وأشرقت أرض النفس فآمن بحقية الطلب واحتمال التعب

فاستوقد نار الشوق والمحبة فلما أضاءت ماحوله وبذل فى الاجتهاد جده وحوله هبت نكباء النكبات فصدئت مرآة قلبه وذهبت بنوره وانخمدت نار الطلب وآل المشؤم الى طبعه الامن أكره على مباشرة فعل أو قول يخالف الطريقة من معاملات أهل الطبيعة فيوافقهم فيها فى الظاهر ويخالفهم بالباطن حتى يخلص من شؤم صحبتهم استحبوا اختاروا محبة الدنيا وشهواتها على محبة الله وان الله لا يهدى الى حضرته القوم الكافرين بنعمته وأولئك هم الغافلون عما أعد الله لعباده الصالحين هم الخاسرون لان الاغضاء عن العبودية يورث خسران القلوب عن مواهب الربوبية ثم ان ربك للذين هاجروا نفوسهم وهواهم من بعد ما فتنوا بمخالفة أوامر الحق ونواهيه ثم جاهدوا النفوس بسيوف الرياضات وصبروا على تزكيتها وتحليتها متمسكين بذيل ارادة الشيخ يوم تأتى أرباب النفوس تجادل عن نفسها على قدر بقاء وجودها دفعا لمضارها وجذبا لمنافعها حتى (١٣٤) ان كل نبى يقول نفسى نفسى الا محمدا صلى الله عليه وسلم فانه فان بالكلية عن نفسه باق ببقاء ربه فيقول أمتى أمتى لانه مغفور ذنب وجوده المتقدم فى الدنيا والمتأخر فى الآخرة بما فتح الله له ليلة المعراج اذ واجهه بخطاب سلام عليك أيها النبى ففنى عن وجوده بالسلام وبقى بوجوده بالرحمة فكان رحمة مهداة ببركاته الى الناس كافة ولكن رفع الذلة من تلك الضيافة وجب لمتابعيه فلهذا قال السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين يعنى الذين صلحوا لبذل الوجود فى طلب المقصود قرية هى قرية شخص الانسان كانت آمنة أى آهلة وهو الروح الانسانى مطمئنة بذكر الله يأتيها رزقها من المواهب من كل مكان روحانى وجسمانى فكفرت النفس الامارة فأذاقها الله لباس الجوع هو انقطاع مواد التوفيق فأكلوا من جيفة الدنيا ومية المستلذات والخوف وهو خوف الانقطاع عن الله ولقد جاءهم رسول الوارد الربانى فما تخلقوا بأخلاقه وكلوا ثمار رزقكم الله من أنوار الشريعة وأسرار الطريقة هذا حلال وهذا حرام على عادة أهل الاباحة وعلى الذين هادوا أى تابوا حرمنا من موانع الوصول ما قصصنا عليك فى بدو نبوتك حتى كنت محترزا عن صحبة خديجة وتنحيت الى حراء أسبوعا أو اسبوعين وما ظلمناهم بتحريم ذلك عليهم بل أنعمنا به عليهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بالاعراض عنا بعد الاقبال علينا ولم يك من المشركين من له شركة مع الله فى الوجود اتبع ملة ابراهيم فى الظاهر حتى يتبعك هو فى الباطن ولهذا ذهب الى ربه ماشيا انى ذاهب الى ربى وأسرى بمحمد راكبا سبحان الذى أسرى بعبده فهو خليل وأنت حبيب اتبعت الخليل فى الدنيا فيتبعك الخليل فى الآخرة الناس محتاجون الى شفاعتى يوم القيامة حتى ابراهيم عليه السلام وان عاقبتم النفس الامارة فعاقبوا أى بالغوا فى عقابها بالفطام عن مألوفاتها بمثل ما عوقبتم به من الانقطاع عن مواد التوفيق والمواهب ولئن صبرتم على معاقبتهم لهو خير لان عقاب الحبيب على قدر عقاب العدو وأعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك واصبر على معاقبة النفس ومخالفة الهوى وما صبرك الا بالله لان الصبر من صفات الله ولا يقدر أحد أن يتصف بصفاته الا به بأن يتجلى بتلك الصفة له ولا تحزن على النفس وجنودها عند المعاقبة فان فيها صلاح حالهم ومآلهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون فان مكرهم يندفع بمعونة الله عند الفرار اليه والله أعلم

الضيق بالكسر كان على أحد وجهين اما على جمع الضيقة كما قال أعشى بنى ثعلبة

فلئن ربك من رحمته * كشف الضيقة عنا وفسح

والآخر على تخفيف النبى الضيق كما يخفف الهين اللين فيقال هو هين لين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾ يقول تعالى ذكره ان الله يا محمد مع الذين اتقوا الله فى محارمه فاجتنبوها وخافوا عقابه عليها فأحجموا عن التقدم عليها والذين هم محسنون يقول وهو مع الذين يحسنون رعاية فرائضه والقيام بحقوقه ولزوم طاعته فيما أمرهم به ونهاهم عنه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن سفيان عن رجل عن الحسن ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون قال اتقوا الله فيما حرم عليهم وأحسنوا فيما افترض عليهم حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن رجل عن الحسن مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أن هرم بن حبان العبدى لما حضره الموت قيل له أوص قال ما أدرى ما أوصى ولكن بيعوا درعى فاقضوا عنى دينى فان لم تف فبيعوا فرسى فان لم يف فبيعوا غلامى وأوصيكم بخواتيم سورة النحل ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية قال بل نصبر

آخر تفسير سورة النحل

* (تم الجزء الرابع عشر من تفسير الامام ابن جرير الطبرى ويليه الجزء الخامس عشر أوله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (سبحان الذى أسرى) *

﴿فهرست الجزء الرابع عشر من تفسير الامام ابن جرير الطبرى﴾

صحيفة	
٢	﴿تفسير سورة الحجر﴾
٣	بيان تعيير الكفار لمن يدخل النار من المسلمين
٦	تأويل قوله انا نحن نزلنا الذكر الآية وبيان المحفوظ هل هو النبي أم القرآن
٨	بيان ان الآيات مهما بلغت فى الظهور لا تنفع عند اقفال الله القلوب
١٠	تأويل قوله ولقد جعلنا فى السماء بروجا الخ
١١	بيان انقطاع الشياطين عن استراق السمع
١٤	بيان انه ليس عام أمطر من عام
١٦	تأويل قوله ولقد علمنا المستقدمين الآية
١٩	بيان كيفية خلق آدم
٢١	بيان كيفية خلق الجان
٢٥	تأويل قوله ان المتقين فى جنات وعيون الآية
٢٧	بيان دخول الملائكة على ابراهيم وبشارتهم له
٣٠	بيان ان مدينة سدوم كانت باقية يراها المجتازبها
٣٣	بيان أصحاب الأيكة وما تم لهم
٣٤	بيان ان أصحاب الحجر هم ثمود
٣٤	تأويل قوله وما خلقنا السموات والارض الآية
٣٦	بيان الخلاف فى معنى السبع المثانى
٤٢	بيان ما نهى عنه النبى من تطلعه لزينة الدنيا
٤٥	بيان الصواب فى المراد بالمقتسمين
٤٨	بيان المستهزئين بالنبى وكيف فعل بهم
٥٢	﴿تفسير سورة النحل﴾
٥٤	بيان ان الملك لا ينزل الا ومعه روح
٥٧	بيان فوائد الانعام
٥٨	ذكر الدليل على تحريم لحم الخيل والبغال والحمير
٦١	ذكر الدليل على أن الحلى لا صدقة فيه
٦٦	ذكر قصة نمرود
٧٢	تأويل قوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم الآية وبيان من أقسم
٨٠	تأويل قوله وله ما فى السموات والارض الآية وبيان معنى الواصب
٨٣	بيان ما كان يعتقده المشركون من أن الملائكة بنات الله مع كراهتهم للبنات
٨٥	تأويل قوله ويجعلون لله ما يكرهون وذكر الشواهد على معنى الافراط
٨٩	تأويل قوله وان لكم فى الانعام وذكر الشواهد على ما فيها من المباحث اللغوية
٩٠	تأويل قوله ومن ثمرات النخيل الآية وبيان أنها نزلت قبل تحريم الخمر
٩٤	ذكر ما فى العسل والنحل من الآيات والعبر
٩٥	تأويل قوله والله فضل بعضكم الآية وبيان ما رد به على النصارى
٩٦	بيان معنى البنين والحفدة
١٠٢	تأويل قوله ألم يروا الى الطير وذكر الشواهد على معنى الجو
١٠٥	بيان ان الله يخاطب العرب بحسب ما تعرف
١١٠	تأويل قوله وأوفوا بعهد الله وبيان الصواب فى المراد منه
١١١	بيان خبر الحمقاء التى كانت بمكة وضرب الله بفعلها المثل
١١٤	تأويل قوله من عمل صالحا الاية وبيان الحياة الطيبة الموعود بها
١١٧	بيان ان من استعاذ من الشيطان سلم من شره
١١٩	ذكر من كان يتردد على النبى من العجم وادعى المشركون أنه يعلم النبى
١٢٢	ذكر ما فعله المشركون بعمار بن ياسر وفعله معهم
١٢٣	ذكر ما حصل بين المشركين وبين من أراد الهجرة من المؤمنين
١٢٤	تأويل قوله وضرب الله مثلا قرية الآية وبيان أن القرية مكة أو المدينة
١٢٨	ذكر ما ورد فى فضل معاذ
١٣٠	ذكر خلاف اليهود والنصارى فى أفضل الايام

﴿ فهرست الجزء الرابع عشر من تفسير النيسابورى الذى بهامش الجزء الرابع عشر من تفسير ابن جرير ﴾

صحيفة	
٢	﴿ تفسير سورة الحجر ﴾
٨	بيان ان الله استحفظ الكتب المتقدمة الربانيين وتولى هو حفظ القرآن
١٠	بيان تقسيم الفلك الى البروج
١١	بيان مذهب الحكماء فى الشهب وما قيل فى رجم الشياطين بها
٢١	تأويل تلك الآيات
٢٤	تفسير قوله ونبئهم عن ضيف ابراهيم الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
٣٢	بيان ما قيل فى المثانى
٣٦	بيان ما كانت تفعله قريش من التنفير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
٣٧	تأويل تلك الآيات
٣٩	﴿ تفسير سورة النحل ﴾
٤٢	بيان ان الروح الأصلى هو القرآن
٤٣	بيان كيفية دوران الغذاء فى البدن
٥٢	بيان ما قيل فى رسوخ الارض بالجبال على مذهب أهل الشرع والحكماء
٥٦	تأويل تلك الآيات
٥٨	تفسير قوله واذا قيل لهم الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
٦١	ذكر سقوط صرح نمرود وتبلبل الالسن
٦٦	ذكر ما استدل به بعض الاشاعرة على أن لفظ القرآن قديم وردّه
٦٧	تفسير قوله وما أرسلنا من قبلك الا رجالا الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
٧١	ذكر ما استدل به البعض على تفضيل الملائكة على نوع البشر
٨٨	ذكر أنواع القتل التى كانت العرب تفعله ببناتها

صحيفة	
٧٨	تأويل تلك الآيات
٧٩	تفسير قوله ولو يؤاخذ الله الناس الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
٨١	بيان ان الاصل فى المضار الحرمة وما يترتب على تلك القاعدة
٨٥	بيان ما قالته الاطباء فى اللبن وكيفية تحول الغذاء اليه
٨٨	بيان عجائب النحل وغرائب أمرها
٩١	بيان ما ضبط به العلماء عمر الانسان من المراتب الاربع
٩٣	تأويل تلك الآيات
٩٤	تفسير قوله والله فضل بعضكم على بعض الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
١٠١	بيان ما قالته الحكماء فى وجود المعارف للانسان وبيان ان النفس موجودة قبل الجسم عالمة
١٠٣	تأويل تلك الآيات
١٠٥	تفسير قوله ويوم نبعث الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
١٠٨	بيان ما استدل به على أن الاجماع حجة
١١١	بيان الحكمة فى تشريع الختان
١١٦	بيان أن المؤمن القانع هو الذى يحيا حياة طيبة وذكر تأويل تلك الآيات
١١٨	تفسير قوله واذا بدلنا آية مكان آية الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
١٢٢	بيان ما فعله المشركون بعمار وأبيه وأمه
١٣١	بيان تقسيم الحجة
١٣٣	تأويل تلك الآيات

﴿ تم فهرست الجزء الرابع عشر من النيسابورى ﴾

الجزء الخامس عشر

من كتاب جامع البيان في تفسير القرآن

تأليف

الامام الكبير والمحدث الشهير من أطبقت الأمة على تقدمه في التفسير

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هجرية

رحمه الله وأثابه رضاه آمين

وبهامشه

تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان

للعلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري قدست أسراره

«في كشف الظنون» قال الامام جلال الدين السيوطي في الاتقان وكتابه «أي الطبري» أجل التفاسير وأعظمها فانه يتعرض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على بعض والاعراب والاستنباط فهو يفوق بذلك على تفسير الأقدمين * وقال النووي أجمعت الامة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبري * وعن أبي حامد الاسفرايني أنه قال لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا اه

تنبيه

طبعت هذه النسخة بعد تصحيحها على الاصول الموجودة في خزانة الكتبخانة الخديوية بمصر بالاعتناء التام نسأل الله تعالى حسن الختام

طبع هذا الكتاب على نفقة حضرة السيد عمر الخشاب الكتبي الشهير بمصر ونجله حضرة السيد محمد عمر الخشاب حفظهما الله ووفقنا واياهما لما يحبه ويرضاه

(الطبعة الأولى)

بالمطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر المحمية

سنة ١٣٢٨ هجريه

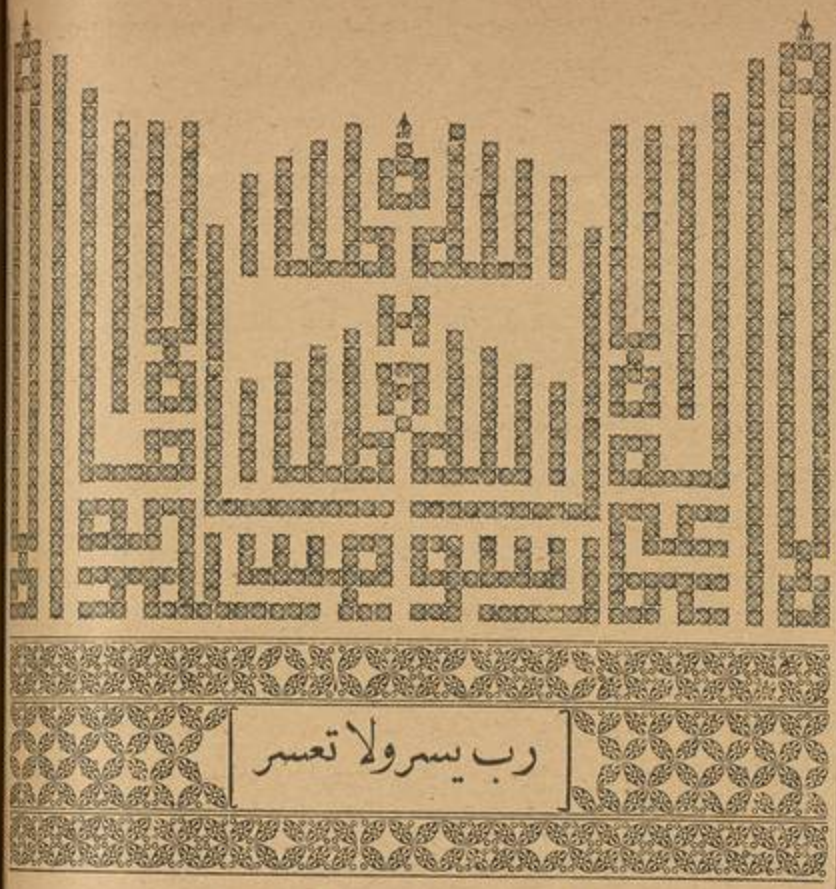

﴿ تفسير سورة بنى اسرائيل ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير ﴾ «قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى» يعنى تعالى ذكره بقوله تعالى سبحان الذى أسرى بعبده ليلا تنزيها للذى أسرى بعبده وتبرئة له مما يقول فيه المشركون من أن له من خلقه شريكا وأن له صاحبة وولدا وعلوا له وتعظيما عما أضافوه اليه ونسبوه من جهالاتهم وخطأ أقوالهم وقد بينت فيما مضى قبل أن قوله سبحان اسم وضع موضع المصدر فنصب لوقوعه موقعه بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وقد كان بعضهم يقول نصب لانه غير موصوف وللعرب فى التسبيح أماكن تستعمله فيها فمنها الصلاة كان كثير من أهل التأويل يتأولون قول الله فلولا أنه كان من المسبحين فلولا أنه كان من المصلين ومنها الاستثناء كان بعضهم يتأول قول الله تعالى ألم أقل لكم لولا تسبحون لولا تستثنون وزعم أن ذلك لغة لبعض أهل اليمن ويستشهد لصحة تأويله ذلك بقوله اذ أقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون قال قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون فذكرهم تركهم الاستثناء ومنها النور وكان بعضهم يتأول فى الخبر الذى روى عن النبى صلى الله عليه وسلم لولا ذلك لأحرقت سبحات وجهه ما أدركت من شئ أنه عنى بقوله سبحات وجهه نور وجهه وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله سبحان الذى أسرى بعبده قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن عثمان بن موهب عن موسى بن طلحة عن النبى صلى الله عليه وسلم

* سورة بنى اسرائيل مكية الا قوله وان كادوا ليفتنونك الى قوله وقل جاء الحق حروفها ٦٤٦٠ كلمها ١٥٦٣ آياتها ١١١)*

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى اسرائيل ألا تتخذوا من دونى وكيلا ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شئ فصلناه تفصيلا وكل

وسلم أنه سئل عن التسبيح أن يقول الانسان سبحان الله قال انزاه الله عن السوء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عبدة بن سليمن عن الحسن بن صالح عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله سبحان الله قال انكاف لله وقد ذكرنا من الآثار فى ذلك ما فيه الكفاية فيما مضى من كتابنا هذا قبل والاسراء والسرى سير الليل فمن قال أسرى قال يسرى اسراء ومن قال سرى قال يسرى سرى كما قال الشاعر

وليلة ذات دجى سريت * ولم يلتنى عن سراها ليت

وروى ذات ندى سريت ويعنى بقوله ليلا من الليل وكذلك كان حذيفة بن اليمان يقرؤها حدثنا أبو كريب قال سمعت أبا بكر بن عياش ورجل يحدث عنده بحديث حين أسرى بالنبى صلى الله عليه وسلم فقال له لا تجئ بمثل عاصم ولا زر قال قرأ حذيفة سبحان الذى أسرى بعبده من الليل من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وكذا قرأ عبد الله وأما قوله من المسجد الحرام فانه اختلف فيه وفى معناه فقال بعضهم يعنى من الحرم وقال الحرم كله مسجد وقد بينا ذلك فى غير موضع من كتابنا هذا وقال قد ذكر لنا أن النبى صلى الله عليه وسلم كان ليلة أسرى به الى المسجد الأقصى كان نائما فى بيت أم هانئ ابنة أبى طالب ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا محمد بن اسحق قال ثنى محمد بن السائب عن أبى صالح بن باذام عن أم هانئ بنت أبى طالب فى مسرى النبى صلى الله عليه وسلم أنها كانت تقول ما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو فى بيتى نائم عندى تلك الليلة فصلى العشاء الآخرة ثم نام ونمنا فلما كان قبيل الفجر أهبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى الصبح وصلينا معه قال يا أم هانئ لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادى ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت صلاة الغداة معكم الآن كما ترين * وقال آخرون بل أسرى به من المسجد وفيه كان حين أسرى به ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد بن جعفر بن عدى عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة وهو رجل من قومه قال قال نبى الله صلى الله عليه وسلم بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان اذ سمعت قائلا يقول أحد الثلاثة فأتيت بطست من ذهب فيها من ماء زمزم فشرح صدرى الى كذا وكذا قال قتادة قلت ما يعنى به قال الى أسفل بطنه قال فاستخرج قلبى فغسل بماء زمزم ثم أعيد مكانه ثم حشى ايمانا وحكمة ثم أتيت بدابة أبيض وفى رواية أخرى بدابة بيضاء يقال له البراق فوق الحمار ودون البغل يقع خطوه منتهى طرفه فحملت عليه ثم انطلقنا حتى أتينا الى بيت المقدس فصليت فيه بالنبيين والمرسلين اما ما ثم عرج بى الى السماء الدنيا فذكر الحديث حدثنا ابن المثنى قال ثنا خالد بن الحرث قال ثنا سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك عن مالك يعنى ابن صعصعة رجل من قومه عن النبى صلى الله عليه وسلم نحوه حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبى عدى عن سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة رجل من قومه قال قال نبى الله صلى الله عليه وسلم ثم ذكر نحوه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال محمد بن اسحق ثنى عمرو بن عبد الرحمن عن الحسن بن أبى الحسن قال قال رسول الله بينا أنا نائم فى الحجر جاءنى جبرئيل فهمزنى برجله فجلست فلم أر شيأ فعدت لمضجعى فجاءنى الثانية فهمزنى بقدمه فجلست فلم أر شيأ فعدت لمضجعى فجاءنى الثالثة فهمزنى بقدمه فجلست فأخذ بعضدى فقمت معه فخرج بى الى باب المسجد فاذا دابة بيضاء بين الحمار والبغل له فى فخذيه جناحان يحفز بهما رجليه يضع يده فى منتهى طرفه

انسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا أنظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا ۞ القراآت يتخذوا بياء الغيبة أبو عمرو وعباس مخيرا الباقون بتاء الخطاب أساتم بالمد أبو عمرو ويزيد والاصبهانى عن ورش والاعشى وحمزة فى الوقف ليسوء بياء الغيبة على التوحيد ابن عامر وحمزة وأبو بكر وحماد ولنسوء بالنون على الباقون ليسوؤا على الجمع ويبشر مخففا حمزة وعلى ويخرج بالياء مجهولا يزيد ويخرج لازما يعقوب الآخرون بالنون متعديا تلقاه مشددا ابن عامر ويزيد وروى النقاش عن ابن ذكوان بالامالة الباقون مخففة وقرأ حمزة وعلى وخلف بالامالة اقرأ كتابك بغير همز الاعشى وأوقية وحمزة فى الوقف آمرنا من باب المفاعلة يعقوب ۞ الوقوف آياتنا ط البصير ٥ وكيلا ٥ ط لمن قرأ

تتخذوا بتاء الخطاب لامكان أن يجعل ذرية منادى نوح ط شكورا ○ كبيرا ○ الديار ط مفعولا ○ نفيرا ○ فلها ط لان
مابعده عائد الى قوله فاذا جاء وعد أولاهما مع اعتراض العوارض تتبيرا ○ يرحمكم ○ للابتداء بالشرط مع العطف عدنا
○ حذرا من توهم العطف حصيرا ○ كبيرا ○ لا للعطف ألما ○ بالخير ط عجولا ○ والحساب ط تفصيلا ○ عنقه ط منشورا ○ كتابك ط حسيبا ○ ط للابتداء بعد بالشرط لنفسه ج للشرط مع العطف عليها ط أخرى ط رسولا ○ تدميرا ○ نوح ط بصيرا ○ جهنم ج لاحتمال مابعده الحال والاستئناف مدحورا ○ مشكورا ○ عطاء ربك ط محظورا ○ بعض ط تفضيلا ○ ۞ التفسير لما عزم على نبيه في خواتيم النحل جوامع مكارم الاخلاق حكى طرفا مما خصه به من المعجزات فقال (سبحان الذى) وهو اسم علم للتسبيح وقد مر اعرابه في قوله سبحانك لاعلم لنا الا ماعلمتنا والمراد تنزيه الله من كل مالا يليق بجلاله و (أسرى) وسرى لغتان يروى أنه لما وصل النبي صلى الله عليه وسلم الى المراتب العلية في معراجه أوحى الله اليه يا محمد بم أشرفك فقال يارب تنسبنى الى نفسك بالعبودية فانزل فيه سبحان الذى أسرى بعبده وقوله (ليلا) نصب على الظرف وفيه تأكيد الاسراء وفى تنكيره تقليل مدة الاسراء لان التنكير فيه معنى البعضية أخبر أنه أسرى به فى بعض الليل (من المسجد الحرام) عن النبي صلى الله عليه وسلم بينا أنا فى المسجد الحرام فى الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ أتانى جبريل بالبراق وقيل المراد بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته بالمسجد والتباسه به وعن ابن عباس الحرم كله مسجد والى هذا القول ذهب الاكثرون قالوا انه أسرى به من دار أم هانئ بنت أبى طالب قبل الهجرة بسنة وعن أنس والحسن أنه كان قبل البعثة (الى المسجد الاقصى) هو بيت المقدس بالاتفاق سمى بالاقصى لبعد المسافة

فحملنى عليه ثم خرج معى لا يفوتنى ولا أفوته حدثنا الربيع بن سليمان قال أخبرنا ابن وهب عن سليمان بن بلال عن شريك بن أبى نمر قال سمعت أنسا يحدثنا عن ليلة المسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى اليه وهو نائم فى المسجد الحرام فقال أولهم أيهم هو قال أوسطهم هو خيرهم فقال أحدهم خذوا خيرهم فكانت تلك الليلة فلم يرهم حتى جاؤا ليلة أخرى فيما يرى ثلاثة والنبي صلى الله عليه وسلم تنام عيناه ولا ينام قلبه وكذلك الانبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم فتولاه منهم جبرئيل عليه السلام فشق ما بين نحره الى لبته حتى فرج عن صدره وجوفه فغسله من ماء زمزم حتى أنقى جوفه ثم أتى بطست من ذهب فيه تور محشوا ايمانا وحكمة فحشا به جوفه وصدره ولغاديده ثم أطبقه ثم ركب البراق فسار حتى أتى به الى بيت المقدس فصلى فيه بالنبيين والمرسلين اماما ثم عرج به الى السماء الدنيا فضرب بابا من أبوابها فناداه أهل السماء من هذا قال هذا جبرئيل قيل من معك قال محمد قيل أوقد بعث اليه قال نعم قال فرحبابه وأهلا يستبشر به أهل السماء لا تعلم أهل السماء بما يريد الله بأهل الارض حتى يعلمهم فوجد فى السماء الدنيا آدم فقال له جبرئيل هذا أبوك فسلم عليه فرد عليه فقال مرحبابك وأهلا يابنى فنعم الابن أنت ثم مضى به الى السماء الثانية فاستفتح جبرئيل بابا من أبوابها فقيل من هذا فقال جبرئيل قيل ومن معك قال محمد قيل أوقد أرسل اليه قال نعم قد أرسل اليه فقيل مرحبابه وأهلا ففتح لهما فلما صعدا فيها فاذا هو بنهرين يجريان فقال ما هذان النهران ياجبرئيل قال هذا النيل والفرات عنصرهما ثم عرج به الى السماء الثالثة فاستفتح جبرئيل بابا من أبوابها فقيل من هذا قال جبرئيل قيل ومن معك قال محمد قيل أوقد بعث اليه قال نعم قد بعث اليه قيل مرحبابه وأهلا ففتح له فاذا هو بنهر عليه قباب وقصور من لؤلؤ وزبرجد وياقوت وغير ذلك مما لا يعلمه الا الله فذهب ينشم ترابه فاذا هو مسك أذفر فقال ياجبرئيل ما هذا النهر قال هذا الكوثر الذى خبأ لك ربك فى الآخرة ثم عرج به الى الرابعة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به الى الخامسة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به الى السادسة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به الى السابعة فقالوا له مثل ذلك وكل سماء فيها أنبياء قد سماهم أنس فوعيت منهم ادريس فى الثانية وهرون فى الرابعة وآخر فى الخامسة لم احفظ اسمه وابراهيم فى السادسة وموسى فى السابعة بتفضيل كلامه الله فقال موسى لم أظن أن يرفع على أحد ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه الا الله حتى جاء سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى الى عبده ما شاء وأوحى الله فيما أوحى خمسين صلاة على أمته كل يوم وليلة ثم هبط حتى بلغ موسى فاحتبسه فقال يا محمد ماذا عهد اليك ربك قال عهد الى خمسين صلاة على أمتى كل يوم وليلة قال ان أمتك لا تستطيع ذلك فارجع فليخفف عنك وعنهم فالتفت الى جبرئيل كأنه يستشيره فى ذلك فأشار اليه أن نعم فعاد به جبرئيل حتى أتى الجبار عز وجل وهو مكانه فقال رب خفف عنا فان أمتى لا تستطيع هذا فوضع عنه عشر صلوات ثم رجع الى موسى عليه السلام فاحتبسه فلم يزل يرده موسى الى ربه حتى صارت الى خمس صلوات ثم احتبسه عند الخمس فقال يا محمد قد والله راودت بنى اسرائيل على أدنى من هذه الخمس فضعفوا وتركوه فأمتك أضعف أجسادا وقلوبا وأبصارا وأسماعا فارجع فليخفف عنك ربك كل ذلك يلتفت الى جبرئيل ليشير عليه ولا يكره ذلك جبرئيل فرفعه عند الخمس فقال يارب ان أمتى ضعاف أجسادهم وقلوبهم وأسماعهم وأبصارهم خفف عنا قال الجبار جل جلاله يا محمد قال لبيك وسعديك فقال انى لا يبدل القول لدى

بينه وبين المسجد الحرام ولم يكن حينئذ وراءه مسجد (الذى باركنا حوله) يريد ببركات الدين والدنيا لانه متعبد الانبياء من وقت موسى عليه السلام ومهبط الوحى وهو محفوف بالانهار الجارية والاشجار المثمرة وقوله أسرى (٥) مع قوله باركنا سلوك لطريقة الالتفات (لنريه من آياتنا) بيان لحكمة الاسراء * سؤال أرى ابراهيم عليه السلام ملكوت السموات والارض وأرى محمد صلى الله عليه وسلم بعض آياته فيلزم أن يكون معراج ابراهيم أفضل الجواب لعل بعض الآيات المضافة الى الله تعالى أشرف وأجل من ملكوت السموات والارض كلها ولهذا ختم الآية بقوله (انه هو السميع) لأقوال محمد (البصير) بافعاله المهذبة الخالصة فيكرمه على حسب ذلك واعلم أن الاكثرين من علماء الاسلام اتفقوا على أنه أسرى بجسد رسول الله صلى الله عليه وسلم والأقلون على أنه ما أسرى الا بروحه حكى محمد بن جرير الطبرى فى تفسيره عن حذيفة أنه قال ذلك رؤيا وأنه ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه عرج بروحه وحكى هذا القول عن عائشة أيضا وقد احتج بعض العقلاء على هذا القول بوجوه منها أن الحركة الجسمانية البالغة فى السرعة الى هذا الحد غير معقولة ومنها أن صعوده الى السموات يوجب انخراق الفلك ومنها أنه لو صح ذلك لكان من أعظم معجزاته فوجب أن يكون بمحضر من الجم الغفير حتى يستدلوا بذلك على صدقه وما الفائدة فى اسرائه ليلا على حين غفلة من الناس ومنها أن الانسان عبارة عن الروح وحده لانه باق من أول عمره الى آخره والاجزاء البدنية فى التغير والانتقال والباقى مغاير للمتغير ولان الانسان يدرك ذاته حين ما يكون غافلا عن جميع جوارحه واعضائه ومنها قوله

الذى كما كتبت عليك فى أم الكتاب ولك بكل حسنة عشر أمثالها وهى خمسون فى أم الكتاب وهى خمس عليك فرجع الى موسى فقال كيف فعلت فقال خفف عنى أعطانا بكل حسنة عشر أمثالها قال قد والله راودت بنى اسرائيل على أدنى من هذا فتركوه فارجع فليخفف عنك أيضا قال يا موسى قد والله استحييت من ربى مما أختلف اليه قال فاهبط باسم الله فاستيقظ وهو فى المسجد الحرام * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب أن يقال ان الله عز وجل أخبر أنه أسرى بعبده من المسجد الحرام والمسجد الحرام هو الذى يتعارفه الناس بينهم اذا ذكروه وقوله الى المسجد الاقصى يعنى مسجد بيت المقدس وقيل له الأقصى لانه أبعد المساجد التى تزار و يبتغى فى زيارته الفضل بعد المسجد الحرام فتأويل الكلام تنزيها لله وتبرئة له مما نحله المشركون من الاشراك والاندادد والصاحبة ومما يجل عنه جل جلاله الذى سار بعبده ليلا من بيته الحرام الى بيته الاقصى ثم اختلف أهل العلم فى صفة اسراء الله تبارك وتعالى بنبيه صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى فقال بعضهم أسرى الله بجسده فسار به ليلا على البراق من بيته الحرام الى بيته الاقصى حتى أتاه فأراه ما شاء أن يريه من عجائب أمره وعبره وعظيم سلطانه فجمعت له به الانبياء فصلى بهم هنالك وعرج به الى السماء حتى صعد به فوق السموات السبع وأوحى اليه هنالك ما شاء أن يوحى ثم رجع الى المسجد الحرام من ليلته فصلى به صلاة الصبح ذكر من قال ذلك وذكر بعض الروايات التى رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتصحيحه حدثنا يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى يونس بن يزيد عن ابن شهاب قال أخبرنى ابن المسيب وأبو سلمة ابن عبد الرحمن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أسرى به على البراق وهى دابة ابراهيم التى كان يزور عليها البيت الحرام يقع حافرها موضع طرفها قال فمرت بعير من عيرات قريش بوادى من تلك الأودية فنفرت العير وفيها بعير عليه غرارتان سوداء وزرقاء حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم البيداء فأتى بقدحين قدح خمر وقدح لبن فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قدح اللبن فقال له جبرئيل هديت الى الفطرة لو أخذت قدح الخمر غوت أمتك قال ابن شهاب فأخبرنى ابن المسيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقى هنالك ابراهيم وموسى وعيسى فنعتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فأما موسى فضرب رجل الرأس كأنه من رجال شنوءة وأما عيسى فرجل أحمر كأنما خرج من ديماس فأشبه من رأيت به عروة بن مسعود الثقفى وأما ابراهيم فأنا أشبه ولده به فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم حدث قريشا أنه أسرى به قال عبد الله فارتد ناس كثير بعدما أسلموا قال أبو سلمة فأتى أبو بكر الصديق فقيل له هل لك فى صاحبك يزعم أنه أسرى به الى بيت المقدس ثم رجع فى ليلة واحدة قال أبو بكر أو قال ذلك قالوا نعم قال فأشهد ان كان قال ذلك لقد صدق قالوا أفتشهد أنه جاء الشام فى ليلة واحدة قال انى أصدقه بأبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء قال أبو سلمة سمعت جابر بن عبد الله يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لما كذبنى قريش قمت فصليت الله لى بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر اليه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى يعقوب بن عبد الرحمن الزهرى عن أبيه عن عبد الرحمن بن هاشم بن عتبة بن أبى وقاص عن أنس بن مالك قال لما جاء جبرئيل عليه السلام بالبراق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكأنها ضربت بذنبها فقال لها جبرئيل مه يا براق فوالله ان ركبك مثله فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو بعجوز نا عن الطريق أى على جنب الطريق «قال أبو جعفر

سبحانه وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس وما تلك الرؤيا الا حديث المعراج وانما كانت فتنة للناس لان كثيرا ممن آمن به حين سمعها ارتد وكفر به ومنها أن حديث المعراج الجسمانى اشتمل على أشياء بعيدة عن العقل كشق بطنه وتطهيره بماء زمزم وركوب

البراق وايجاب خمسين صلاة فان ذلك يقتضى نسخ الحكم قبل حضور وقته وأنه يوجب البداء أجاب الاكثرون عن الاول بان حركة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة الى فوق الفلك الاعظم لم يكن الا نصف قطر الفلك ونسبة نصف القطر الى نصف الدور نسبة الواحد الى ثلاثة أمثال وسبع هى نصف حركة الفلك فى يوم بليلته واذا كان الاكثر واقعا فالاقل بالامكان أولى ولو كان القول بمعراج محمد صلى الله عليه وسلم فى ليلة واحدة ممتنعا لكان القول بنزول جبريل من العرش الى مكة فى لحظة واحدة ممتنعا لان الملائكة أيضا أجسام عند جمهور المسلمين وكذا القول فى حركات الجن والشياطين وقد سخر الله تعالى لسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وقد قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك وكان عرش بلقيس فى أقصى اليمن وسليمان فى الشام وعلى قول من يقول ان الابصار بخروج الشعاع فانما ينتقل شعاع العين من البصر الى الكواكب الثابتة فى آن واحد فيثبت أن المعراج أمر ممكن فى نفسه أقصى ما فى الباب الاستبعاد وخرق العادة ولكنه ليس مخصوصا بهذه الصورة وانما ذلك أمر حاصل فى جميع المعجزات وعن الثانى أن انخراق الافلاك عند حكماء الاسلام جائز وعن الثالث أن فائدة الاسراء قد عادت اليه حيث شاهد العالم العلوى والعرش والكرسى وما فيها وعلمها فحصل فى قلبه زيادة قوة وطمأنينة بها انقطعت تعلقاته عن الكونين ولم يبق مشغول القلب بشئ من أمور الدنيا والآخرة وعن الرابع أن العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد وعن الخامس أن تلك الرؤيا هى غير حكاية المعراج كما سيجئ فى تفسيره ولو سلم أنها هى المعراج فالرؤيا بمعنى الرؤية وعن السادس أنه لا اعتراض على الله تعالى فى أنى شئ من أفعاله وأنه على كل شئ قدير واعلم أنه ليس فى الآية دلالة على العروج من بيت المقدس الى السموات والى ما فوق العرش الا أنه ورد

ينبغى أن يقال نائية ولكن أسقط منها التأنيث» فقال ما هذه يا جبرئيل قال سر يا محمد فسار ما شاء الله أن يسير فاذا شئ يدعوه متنحيا عن الطريق يقول هلم يا محمد قال جبرئيل سر يا محمد فسار ما شاء الله أن يسير قال ثم لقيه خلق من الخلائق فقال أحدهم السلام عليك يا أول والسلام عليك يا آخر والسلام عليك يا حاشر فقال له جبرئيل اردد السلام يا محمد قال فرد السلام ثم لقيه الثانى فقال له مثل مقالة (١) الاولين حتى انتهى الى بيت المقدس فعرض عليه الماء واللبن والخمر فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم اللبن فقال له جبرئيل أصبت يا محمد الفطرة ولو شربت الماء لغرقت وغرقت أمتك ولو شربت الخمر لغويت وغوت أمتك ثم بعث له آدم فمن دونه من الانبياء فأمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الليلة ثم قال له جبرئيل أما العجوز التى رأيت على جانب الطريق فلم يبق من الدنيا الا بقدر ما بقى من عمر تلك العجوز وأما الذى أراد أن تميل اليه فذلك عدو الله ابليس أراد أن تميل اليه وأما الذين سلموا عليك فذلك ابراهيم وموسى وعيسى **حدثنى** على بن سهل قال نا حجاج قال أخبرنا أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية الرياحى عن أبى هريرة أو غيره «شك أبو جعفر» فى قول الله عز وجل سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير قال جاء جبرئيل الى النبى صلى الله عليه وسلم ومعه ميكائيل فقال جبرئيل لميكائيل ائتنى بطست من ماء زمزم كيما أطهر قلبه وأشرح له صدره قال فشق عن بطنه فغسله ثلاث مرات واختلف اليه ميكائيل بثلاث طسات من ماء زمزم فشرح صدره ونزع ما كان فيه من غل وملأه حلما وعلما وايمانا ويقينا واسلاما وختم بين كتفيه بخاتم النبوة ثم أتاه بفرس فحمل عليه كل خطوة منه منتهى طرفه وأقصى بصره قال فسار وسار معه جبرئيل عليه السلام فأتى على قوم يزرعون فى يوم ويحصدون فى يوم كلما حصدوا عاد كما كان فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا جبرئيل ما هذا قال هؤلاء المجاهدون فى سبيل الله تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف وما أنفقوا من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين ثم أتى على قوم ترضخ رؤسهم بالصخر كلما رضخت عادت كما كانت لا يفتر عنهم من ذلك شئ فقال ما هؤلاء يا جبرئيل قال هؤلاء الذين تثاقل رؤسهم عن الصلاة المكتوبة ثم أتى على قوم على أقبالهم رقاع وعلى أدبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الابل والغنم ويأكلون الضريع والزقوم ورضف جهنم وحجارتها قال ما هؤلاء يا جبرئيل قال هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم وما ظلمهم الله شيأ وما الله بظلام للعبيد ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج فى قدور ولحم آخر نئ قذر خبيث فجعلوا يأكلون من النئ ويدعون النضيج الطيب فقال ما هؤلاء يا جبرئيل قال هذا الرجل من أمتك تكون عنده المرأة الحلال الطيب فيأتى امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح والمرأة تقوم من عند زوجها حلالا طيبا فتأتى رجلا خبيثا فتبيت معه حتى تصبح قال ثم أتى على خشبة فى الطريق لا يمر بها ثوب الا شقته ولا شئ الا خرقته قال ما هذا يا جبرئيل قال هذا مثل أقوام من أمتك يقعدون على الطريق فيقطعونه ثم قرأ ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون الآية ثم أتى على رجل قد جمع حزمة حطب عظيمة لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها فقال ما هذا يا جبرئيل قال هذا الرجل من أمتك تكون عنده أمانات الناس لا يقدر على أدائها وهو يزيد عليها ويريد أن يحملها فلا يستطيع ذلك ثم أتى على قوم تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد كلما قرضت عادت كما كانت لا يفتر عنهم من ذلك شئ قال ما هؤلاء يا جبرئيل فقال هؤلاء خطباء أمتك خطباء الفتنة يقولون ما لا يفعلون ثم

---

(١) لعل فيه سقطا أو اختصارا راجع الدر وتأمل كتبه مصححه

الحديث به ومنهم من استدل على ذلك بأول سورة النجم أو بقوله لتركبن طبقا عن طبق وتفسيرهما مذكور في موضعه يروى أنه كان صلى الله عليه وسلم نائما في بيت أم هانئ بعد صلاة العشاء فأسري به ورجع من ليلته وقص القصة على أم هانئ وقال مثل لي النبيون وصليت بهم وقام ليخرج الى المسجد فتشبثت أم هانئ بثوبه فقال مالك قالت أخشى أن يكذبك قومك ان أخبرتهم قال وان كذبوني فخرج فجلس اليه أبو جهل فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث الاسراء به وأنه أسري به من مكة الى بيت المقدس ومنه عرج الى السماء ورأى ما فيها من العجائب ولقي الانبياء وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى فقال أبو جهل يا معشر بني كعب بن لؤي هلم فحدثهم فمن بين مصفق وواضع يده على رأسه تعجبا وانكارا وارتد ناس ممن كان آمن به وسعى رجال الى أبي بكر رضي الله عنه فقال ان كان قال ذلك لقد صدق قالوا أتصدقه على ذلك قال اني لأصدقه على أبعد من ذلك فسمي الصديق وكان فيهم من سافر الى الشام فاستنعتوه المسجد فجلى له صلى الله عليه وسلم بيت المقدس فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا أما النعت فقد أصاب فقالوا أخبرنا عن عيرنا فأخبرهم بعدد جمالها وأحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل أورق فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية فقال قائل منهم هذه والله الشمس قد شرقت وقال آخر وهذه والله العير قد أقبلت يقدمها جمل أورق كما قال محمد صلى الله عليه وسلم ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين ولما حكى طرفا من اكرام محمد صلى الله عليه وسلم ذكر شيأ من اكرام موسى فقال (وآتينا موسى

أتى على حجر صغير يخرج منه ثور عظيم فجعل الثور يريد أن يرجع من حيث خرج فلا يستطيع فقال ما هذا يا جبرئيل قال هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة ثم يندم عليها فلا يستطيع أن يردها ثم أتى على وادفوجد ريحا طيبة باردة وفيه ريح المسك وسمع صوتا فقال يا جبرئيل ما هذه الريح الطيبة الباردة وهذه الرائحة التي كريح المسك وما هذا الصوت قال هذا صوت الجنة تقول يا رب آتني ما وعدتني فقد كثرت غرفي واستبرقي وحريري وسندسي وعبقري ولؤلؤي ومرجاني وفضتي وذهبي وأكوابي وصحافي وأباريقي وفواكهي ونخلي ورماني ولبني وخمري فآتني ما وعدتني فقال لك كل مسلم ومسلمة ومؤمن ومؤمنة ومن آمن بي وبرسلي وعمل صالحا ولم يشرك بي ولم يتخذ من دوني أندادا ومن خشيني فهو آمن ومن سألني أعطيته ومن أقرضني جزيته ومن توكل علي كفيته اني أنا الله لا اله الا أنا لا أخلف الميعاد وقد أفلح المؤمنون وتبارك الله أحسن الخالقين قالت قد رضيت ثم أتى على وادفسمع صوتا منكرا ووجد ريحا منتنة فقال ما هذه الريح يا جبرئيل وما هذا الصوت قال هذا صوت جهنم تقول يا رب آتني ما وعدتني فقد كثرت سلاسلي وأغلالي وسعيري وحميمي وضريعي وغساقي وعذابي وعقابي وقد بعد قعري واشتد حري فآتني ما وعدتني قال لك كل مشرك ومشركة وكافر وكافرة وكل خبيث وخبيثة وكل جبار لا يؤمن بيوم الحساب قالت قد رضيت قال ثم سار حتى أتى بيت المقدس فنزل فربط فرسه الى صخرة ثم دخل فصلى مع الملائكة فلما قضيت الصلاة قالوا يا جبرئيل من هذا معك قال محمد فقالوا أوقد أرسل اليه قال نعم قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء قال ثم لقي أرواح الانبياء فأثنوا على ربهم فقال ابراهيم الحمد لله الذي اتخذني خليلا وأعطاني ملكا عظيما وجعلني أمة قانتا لله يؤتم بي وأنقذني من النار وجعلها علي بردا وسلاما ثم ان موسى أثنى على ربه فقال الحمد لله الذي كلمني تكليما وجعل هلاك آل فرعون ونجاة بني اسرائيل على يدي وجعل من أمتي قوما يهدون بالحق وبه يعدلون ثم ان داود عليه السلام أثنى على ربه فقال الحمد لله الذي جعل لي ملكا عظيما وعلمني الزبور وألان لي الحديد وسخر لي الجبال يسبحن والطير وأعطاني الحكمة وفصل الخطاب ثم ان سليمان أثنى على ربه فقال الحمد لله الذي سخر لي الرياح وسخر لي الشياطين يعملون لي ما شئت من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات وعلمني منطق الطير وآتاني من كل شيء فضلا وسخر لي جنود الشياطين والانس والطير وفضلني على كثير من عباده المؤمنين وآتاني ملكا عظيما لا ينبغي لأحد من بعدي وجعل ملكي ملكا طيبا ليس علي فيه حساب ثم ان عيسى عليه السلام أثنى على ربه فقال الحمد لله الذي جعلني كلمته وجعل مثلي مثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون وعلمني الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل وجعلني أخلق من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وجعلني أبرئ الاكمه والابرص وأحيي الموتى باذن الله ورفعني وطهرني وأعاذني وأمي من الشيطان الرجيم فلم يكن للشيطان علينا سبيل قال ثم ان محمدا صلى الله عليه وسلم أثنى على ربه فقال كلكم أثنى على ربه وأنا مثن على ربي فقال الحمد لله الذي أرسلني رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا وأنزل علي الفرقان فيه تبيان كل شيء وجعل أمتي خير أمة أخرجت للناس وجعل أمتي أمة وسطا وجعل أمتي هم الاولون وهم الآخرون ونور لي صدري ووضع عني وزري ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا خاتما قال ابراهيم بهذا فضلكم محمد قال أبو جعفر وهو الرازي خاتم النبوة وفاتح بالشفاعة يوم القيامة ثم أتى اليه بآنية

الكتاب) أي التوراة (وجعلناه هدى لبني اسرائيل) أخرجناهم بواسطته من ظلمات الجهل والكفر الى نور العلم والدين (ألا تتخذوا) من قرأ على الغيبة فأن ناصبة ولام العاقبة محذوفة أي لئلا يتخذوا ومن قرأ على الخطاب فأن مفسرة معناها أي لا تتخذوا كقولك كتبت اليه أن

افعل كذا أوزائدة والقول مضمر يعنى قلنا لهم لاتتخذوا (من دونى وكيلا) ربا تكلون اليه أموركم يا (ذرية من حملنا مع نوح) قال قتادة الناس كلهم ذرية نوح عليه السلام لانه كان معه فى السفينة ثلاثة بنين سام وحام ويافث والناس كلهم من ذرية أولئك فقوله يا ذرية قائم مقام قوله يا أيها الناس وعلى القراءة الاولى انتصب ذرية على الاختصاص وعلى القراءتين احتمل أن ينتصب على أنه مفعول آخر ليتخذوا أى لاتجعلوهم أربابا كقوله ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا ومن ذرية المحمولين مع نوح عيسى وعزير ثم علل النهى عن الاشراك بقوله (انه كان عبدا شكورا) أى أنتم ذرية من آمن به وحمل معه فاجعلوه اسوتكم كما جعله آباؤكم اسوتهم فى الشكر لله وعدم اتخاذ الشريك له ويجوز أن يكون تعليلا لاختصاص بنى اسرائيل والثناء عليهم بأنهم أولاد المحمولين مع نوح فهم متصلون به فلهذا استأهلوا الاختصاص وجوز فى الكشاف أن يكون ثناء على نوح بطريق الاستطراد يروى من شكره أنه كان اذا أكل قال الحمد لله الذى أطعمنى ولو شاء أجاعنى واذا شرب قال الحمد لله الذى سقانى ولو شاء أظمأنى واذا اكتسى قال الحمد لله الذى كسانى ولو شاء أعرانى واذا احتذى قال الحمد لله الذى حذانى ولو شاء أحفانى واذا قضى حاجته قال الحمد لله الذى أخرج عنى أذاه فى عافية ولو شاء حبسه وكان اذا أراد الافطار عرض طعامه على من آمن به فان وجده محتاجا آثره به ثم ذكر أن كثيرا من بنى اسرائيل ما اهتدوا بهدى التوراة فقال (وقضينا الى بنى اسرائيل) أوحينا اليهم وحيا مقضيا مقطوعا به فى الكتاب الذى هو التوراة وقوله (لتفسدن) جواب قسم محذوف أو أجرى القضاء المبتوت مجرى القسم كأنه قيل وأقسمنا لتفسدن ثم (فى الارض) أرض مصر (مرتين ولتعلن) لتعظمن وتستولن على الناس (علوا كبيرا) تسلطا عظيما وبغيا شديدا (فاذا جاء وعد) عقاب

ثلاثة مغطاة أفواهها فأتى باناء منها فيه ماء فقيل اشرب فشرب منه يسيرا ثم دفع اليه اناء آخر فيه لبن فقيل له اشرب فشرب منه حتى روى ثم دفع اليه اناء آخر فيه خمر فقيل له اشرب فقال لا أريده قد رويت فقال له جبرئيل صلى الله عليه وسلم أما انها ستحرم على أمتك ولو شربت منها لم يتبعك من أمتك الا القليل ثم عرج به الى سماء الدنيا فاستفتح جبرئيل بابا من أبوابها فقيل من هذا قال جبرئيل قيل ومن معك فقال محمد قالوا أوقد أرسل اليه قال نعم قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المجىء جاء فدخل فاذا هو برجل تام الخلق لم ينقص من خلقه شئ كما ينقص من خلق الناس على يمينه باب يخرج منه ريح طيبة وعن شماله باب يخرج منه ريح خبيثة اذا نظر الى الباب الذى عن يمينه ضحك واستبشر واذا نظر الى الباب الذى عن شماله بكى وحزن فقلت يا جبرئيل من هذا الشيخ التام الخلق الذى لم ينقص من خلقه شئ وما هذان البابان قال هذا أبوك آدم وهذا الباب الذى عن يمينه باب الجنة اذا نظر الى من يدخله من ذريته ضحك واستبشر والباب الذى عن شماله باب جهنم اذا نظر الى من يدخله من ذريته بكى وحزن ثم صعد به جبرئيل صلى الله عليه وسلم الى السماء الثانية فاستفتح فقيل من هذا قال جبرئيل قيل ومن معك قال محمد رسول الله فقالوا أوقد أرسل اليه قال نعم قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المجىء جاء قال فاذا هو بشابين فقال يا جبرئيل من هذان الشابان قال هذا عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا ابنا الخالة قال فصعد به الى السماء الثالثة فاستفتح فقالوا من هذا قال جبرئيل قالوا ومن معك قال محمد قالوا أوقد أرسل اليه قال نعم قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المجىء جاء قال فدخل فاذا هو برجل قد فضل على الناس كلهم فى الحسن كما فضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب قال من هذا يا جبرئيل الذى فضل على الناس فى الحسن قال هذا أخوك يوسف ثم صعد به الى السماء الرابعة فاستفتح فقيل من هذا قال جبرئيل قالوا ومن معك قال محمد قالوا أوقد أرسل اليه قال نعم قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم المجىء جاء قال فدخل فاذا هو برجل قال من هذا يا جبرئيل قال هذا ادريس رفعه الله مكانا عليا ثم صعد به الى السماء الخامسة فاستفتح جبرئيل فقالوا من هذا قال جبرئيل قالوا ومن معك قال محمد قالوا أوقد أرسل اليه قال نعم قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم المجىء جاء ثم دخل فاذا هو برجل جالس وحوله قوم يقص عليهم قال من هذا يا جبرئيل ومن هؤلاء الذين حوله قال هذا هارون المحبب فى قومه وهؤلاء بنو اسرائيل ثم صعد به الى السماء السادسة فاستفتح جبرئيل فقيل له من هذا قال جبرئيل قالوا ومن معك قال محمد قالوا أوقد أرسل اليه قال نعم قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم المجىء جاء فاذا هو برجل جالس فجاوزه فبكى الرجل فقال يا جبرئيل من هذا قال موسى قال فما باله يبكى قال تزعم بنو اسرائيل أنى أكرم بنى آدم على الله وهذا رجل من بنى آدم قد خلفنى فى دنيا وأنا فى أخرى فلو أنه بنفسه لم أبال ولكن مع كل نبى أمته ثم صعد به الى السماء السابعة فاستفتح جبرئيل فقيل من هذا قال جبرئيل قالوا ومن معك قال محمد قالوا أوقد أرسل اليه قال نعم قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المجىء جاء قال فدخل فاذا هو برجل أشمط جالس عند باب الجنة على كرسى وعنده قوم جلوس بيض الوجوه أمثال القراطيس وقوم فى ألوانهم شئ فقام هؤلاء الذين فى ألوانهم شئ فدخلوا نهرا فاغتسلوا فيه فخرجوا وقد خلص من ألوانهم شئ

(أولاهما) أولى المرتين (بعثنا) أرسلنا وسلطنا (عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد) أصحاب نجدة وشدة قتال (فجاسوا) تردد والغارة (خلال الديار) أوساطها وفرجها يعنى ديار بيت المقدس (وكان) وعد العقاب (وعدا مفعولا) (٩) لابد من وقوعه (ثم رددنا لكم الكرة) الدولة والغلبة (عليهم) على الذين بعثوا عليكم حين تبتم ورجعتم عن الفساد والعلو (وجعلناكم أكثر نفيرا) مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه احتجت الاشاعرة بقوله سبحانه وقضينا بعثنا وكان وعدا مفعولا على صحة القضاء والقدر وأن الفساد والنهب والقتل والاسر كلها بفعله وأجابت المعتزلة بأن المراد أنه خلى بينهم وبين ما فعلوا ولم يمنعهم عن تخريب بيت المقدس واحراق التوراة وقتل حفاظها وضعف بأن تفسير البعث بالتخلية وعدم المنع خلاف الظاهر على أن الدليل الكلى العقلى قد دل على وجوب انتهاء الكل اليه ولما حكى عنهم أنهم حين عصوا سلط عليهم أعداءهم مهد قاعدة كلية فى الاحسان والاساءة قائلا (ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها) لم يقل فعليها أو فالهما للتقابل مع أن حروف الاضافة بعضها يقوم مقام البعض قال أهل الاشارة انه أعاد الاحسان ولم يذكر الاساءة الامرة ففيه دليل على أن جانب الرحمة أغلب (فاذا جاء وعد) عقاب المرة (الآخرة) بعثناهم حذف جواب اذا لدلالة ذكره أولا عليه ومعنى (ليسوؤا وجوهكم) (٣) ليجعلها الله أو الوعد أو البعث أو ليجعلوها بادية آثار المساءة والكآبة فيها لأن آثار الأعراض النفسانية الحاصلة فى القلب انما تظهر على الوجه (وليتبروا ما علوا) ليهلكوا كل شئ غلبوه واستولوا عليه ويجوز أن يكون ما بمعنى المدة أى مادام سلطانهم جاريا على بنى اسرائيل وقوله (تتبيرا) ذكر المصدر ازالة لمثله وتحقيقا للخبر ويروى أن بنى اسرائيل تعظموا وتكبروا واستحلوا المحارم وقتلوا الانبياء وسفكوا الدماء وذلك أول الفسادين فسلط

ثم دخلوا نهرا آخر فاغتسلوا فيه فخرجوا وقد خلص من ألوانهم شئ ثم دخلوا نهرا آخر فاغتسلوا فيه فخرجوا وقد خلص من ألوانهم شئ فصارت مثل ألوان أصحابهم فجاؤا فجلسوا الى أصحابهم فقال لهم جبرئيل من هذا الأشمط ثم من هؤلاء البيض وجوههم ومن هؤلاء الذين فى ألوانهم شئ وما هذه الأنهار التى دخلوا فجاؤا وقد صفت ألوانهم قال هذا أبوك ابراهيم أول من شمط على الارض وأما هؤلاء البيض الوجوه فقوم لم يلبسوا ايمانهم بظلم وأما هؤلاء الذين فى ألوانهم شئ فقوم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا فتاب الله عليهم وأما الأنهار فأولها رحمة الله وثانيها نعمة الله والثالث سقاهم ربهم شرابا طهورا قال ثم انتهى الى السدرة فقيل له هذه السدرة ينتهى اليها كل أحد خلا من أمتك على سنتك فاذا هى شجرة يخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى وهى شجرة يسير الراكب فى ظلها سبعين عاما لا يقطعها والورقة منها مغطية للامة كلها قال فغشيها نور الخلاق عز وجل وغشيتها الملائكة أمثال الغربان حين يقعن على الشجرة قال فكلمه عند ذلك فقال له سل فقال اتخذت ابراهيم خليلا وأعطيته ملكا عظيما وكلمت موسى تكليما وأعطيت داود ملكا عظيما وألنت له الحديد وسخرت له الجبال وأعطيت سليمان ملكا عظيما وسخرت له الجن والانس والشياطين وسخرت له الرياح وأعطيته ملكا لا ينبغى لأحد من بعده وعلمت عيسى التوراة والانجيل وجعلته يبرئ الاكمه والأبرص ويحيى الموتى باذن الله وأعذته وأمه من الشيطان الرجيم فلم يكن للشيطان عليهما سبيل فقال له ربه قد اتخذتك حبيبا وخليلا وهو مكتوب فى التوراة حبيب الله وأرسلتك الى الناس كافة بشيرا ونذيرا وشرحت لك صدرك ووضعت عنك وزرك ورفعت لك ذكرك فلا أذكر الا ذكرت معى وجعلت أمتك أمة وسطا وجعلت أمتك هم الاولون والآخرون وجعلت أمتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا أنك عبدى ورسولى وجعلت من أمتك أقواما قلوبهم أناجيلهم وجعلتك أول النبيين خلقا وآخرهم بعثا وأولهم من يقضى له وأعطيتك سبعا من المثانى لم يعطها نبى قبلك وأعطيتك الكوثر وأعطيتك ثمانية أسهم الاسلام والهجرة والجهاد والصدقة والصلاة وصوم رمضان والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وجعلتك فاتحا وخاتما فقال النبى صلى الله عليه وسلم فضلنى ربى بست أعطانى فواتح الكلم وخواتيمه وجوامع الحديث وأرسلنى الى الناس كافة بشيرا ونذيرا وقذف فى قلوب عدوى الرعب من مسيرة شهر وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى وجعلت لى الارض كلها طهورا ومسجدا قال وفرض على نجسين صلاة فلما رجع الى موسى قال بم أمرت يا محمد قال بخمسين صلاة قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان أمتك أضعف الامم فقد لقيت من بنى اسرائيل شدة قال فرجع النبى صلى الله عليه وسلم الى ربه فسأله التخفيف فوضع عنه عشرا ثم رجع الى موسى فقال بكم أمرت قال بأربعين قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان أمتك أضعف الامم وقد لقيت من بنى اسرائيل شدة قال فرجع الى ربه فسأله التخفيف فوضع عنه عشرا فرجع الى موسى فقال بكم أمرت قال أمرت بثلاثين فقال له موسى ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان أمتك أضعف الأمم وقد لقيت من بنى اسرائيل شدة قال فرجع الى ربه فسأله التخفيف فوضع عنه عشرا فرجع الى موسى فقال بكم أمرت قال بعشرين قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان أمتك أضعف الامم وقد لقيت من بنى اسرائيل شدة قال فرجع الى ربه فسأله التخفيف فوضع عنه عشرا فرجع الى موسى فقال بكم أمرت قال بعشر قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان أمتك أضعف الامم وقد لقيت من بنى اسرائيل

الله عليهم بختنصر أو سنجاريب وجنوده أو جالوت عن ابن عباس قتلوا علماءهم وأحرقوا التوراة وسبوا منهم سبعين ألفا وبقوا فى الذل الى أن قيض الله ملكا آخر من أهل بابل وتزوج بامرأة من بنى اسرائيل وطلبت من ذلك الملك أن يرد بنى اسرائيل الى بيت المقدس ففعل وبعد مدة قامت فيهم الانبياء ورجعوا الى أحسن ما كانوا عليه ثم أقدموا على قتل زكريا ويحيى عليهما السلام وقصدوا قتل عيسى ابن مريم عليه السلام وهذا ثانى الافسادين فانتقم من اليهود بسبب هؤلاء ملك من الروم يقال له قسطنطين الملك وقال صاحب الكشاف المرة الاولى قتل زكريا وحبس أرميا والآخرة قتل يحيى ابن زكريا وقصد قتل عيسى واعلم أنه لا يتعلق كثير غرض بمعرفة أعيان هؤلاء الأقوام والمقصود الاصلى الذى دل عليه القرآن هو أنهم كلما عصوا وأفسدوا سلط الله عليهم أعداءهم وفيه تحذير للعقلاء من مخالفة أوامر الله ونواهيه ثم قال (عسى ربكم) يا بنى اسرائيل (أن يرحمكم) بعد انتقامه منكم فى المرة الثانية (وان عدتم) للثالثة (عدنا) لها قال أهل السير ثم انهم قد عادوا الى فعل مالا ينبغى وهو تكذيب محمد وكتمان ما ورد من نعته فى التوراة والانجيل فعاد الله عليهم بالتعذيب على أيدى العرب فجرى على بنى النضير وقريظة وبنى قينقاع ويهود خيبر ما جرى من القتل والاجلاء ثم الباقون منهم مقهورون بالجزية لا حشمة لهم ولا عزة فيهم الى يوم القيامة وأما بعد ذلك فهو قوله (وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) أى محبسا حاصرا أو محصورا لا يتخلصون منه أبدا وعن الحسن بساطا كما يبسط الحصير المنسوج ثم لما شرح فعله فى حق عباده المخلصين كمحمد صلى الله عليه وسلم وموسى عليه السلام وفى حق عبيده العاصين كأكثر بنى اسرائيل وكان فى ذلك تنبيه على أن طاعة الله توجب كل خير وكرامة ومعصيته تقتضى كل شر وغرامة عظم شأن القرآن المبين للاحكام الهادى للانام فقال (ان هذا القرآن يهدى للتى) أى ألم

شدة قال فرجع على حياء الى ربه فسأله التخفيف فوضع عنه خمسا فرجع الى موسى فقال بكم أمرت قال بخمس قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان أمتك أضعف الامم وقد لقيت من بنى اسرائيل شدة قال قد رجعت الى ربى حتى استحييت فما أنا راجع اليه فقيل له أما أنك كما صبرت نفسك على خمس صلوات فانهن يجزين عنك خمسين صلاة فان كل حسنة بعشر أمثالها قال فرضى محمد صلى الله عليه وسلم كل الرضا قال فكان موسى أشدهم عليه حين مر به وخبرهم له حين رجع اليه **حدثنى** محمد بن عبيد الله قال أخبرنا أبو النضر هاشم بن القاسم قال ثنا أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية أو غيره «شك أبو جعفر» عن أبى هريرة فى قوله سبحان الذى أسرى بعبده الى قوله انه هو السميع البصير قال جاء جبرئيل الى النبى صلى الله عليه وسلم فذكر نحو حديث على بن سهل عن حجاج الا أنه قال جاء جبرئيل ومعه ميكائيل وقال فيه واذا بقوم يسرحون كما تسرح الانعام يأكلون الضريع والزقوم وقال فى كل موضع قال على ما هؤلاء من هؤلاء يا جبرئيل وقال فى موضع تقرض ألسنتهم تقص ألسنتهم وقال أيضا فى موضع قال على فيه ونعم الخليفة (١) قال فى ذكر الخمر فقال لا أريده قد رويت قال جبرئيل قد أصبت الفطرة يا محمد انها ستحرم على أمتك وقال فى سدرة المنتهى أيضا هذه السدرة المنتهى اليها ينتهى كل أحد خلا على سبيلك من أمتك وقال أيضا فى الورقة منها تظل الخلق كلهم تغشاها الملائكة مثل الغربان حين يقعن على الشجرة من حب الله عز وجل وسائر الحديث مثل حديث على **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن أبى هرون العبدى عن أبى سعيد الخدرى و **حدثنى** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال ثنا معمر قال أخبرنا أبو هرون العبدى عن أبى سعيد الخدرى واللفظ لحديث الحسن بن يحيى فى قوله سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى قال ثنا النبى صلى الله عليه وسلم عن ليلة أسرى به فقال نبى الله أتيت بدابة هى أشبه الدواب بالبغل له أذنان مضطربتان وهو البراق وهو الذى كان تركبه الانبياء قبلى فركبته فانطلق بى يضع يده عند منتهى بصره فسمعت نداء عن يمينى يا محمد على رسلك أسألك فضيت ولم أعرج عليه ثم سمعت نداء عن شمالى يا محمد على رسلك أسألك فضيت ولم أعرج عليه ثم استقبلت امرأة فى الطريق فرأيت عليها من كل زينة من زينة الدنيا رافعة يدها تقول يا محمد على رسلك أسألك فضيت ولم أعرج عليها ثم أتيت بيت المقدس أو قال المسجد الاقصى فنزلت عن الدابة فأوثقتها بالحلقة التى كانت الانبياء توثق بها ثم دخلت المسجد فصليت فيه فقال لى جبرئيل ما ذا رأيت فى وجهك فقلت سمعت نداء عن يمينى أن يا محمد على رسلك أسألك فضيت ولم أعرج عليه قال ذاك داعى اليهود أما انك لو وقفت عليه لتهودت أمتك قال ثم سمعت نداء عن يسارى أن يا محمد على رسلك أسألك فضيت ولم أعرج عليه قال ذاك داعى النصارى أما انك لو وقفت عليه لتنصرت أمتك قلت ثم استقبلتنى امرأة عليها من كل زينة من زينة الدنيا رافعة يدها تقول على رسلك أسألك فضيت ولم أعرج عليها قال تلك الدنيا تزينت لك أما انك لو وقفت عليها لاختارت أمتك الدنيا على الآخرة ثم أتيت بانائين أحدهما فيه لبن والآخر فيه خمر فقيل لى اشرب أيهما شئت فأخذت اللبن فشربته قال أصبت الفطرة أو قال أخذت الفطرة * قال معمر وأخبرنى الزهرى عن ابن المسيب أنه قيل له أما انك لو أخذت الخمر غوت أمتك * قال أبو هرون فى حديث أبى سعيد ثم جىء بالمعراج الذى تعرج فيه أرواح بنى آدم فاذا هو أحسن ما رأيت

(١) يظهر أن المقول سقط من قلم الناسخ فتأمل كتبه مصححه

ثم نزل الى الميت كيف يحد بصره اليه فعرج بنا فيه حتى انتهينا الى باب السماء الدنيا فاستفتح جبرئيل فقيل من هذا قال جبرئيل قيل ومن معك قال محمد قيل أوقد أرسل اليه قال نعم ففتحوا وسلموا علي واذا ملك موكل بحرس السماء يقال له اسمعيل معه سبعون ألف ملك مع كل ملك منهم مائة ألف ثم قرأ وما يعلم جنود ربك الا هو واذا أنا برجل كهيئته يوم خلقه الله لم يتغير منه شئ فاذا هو تعرض عليه أرواح ذريته فاذا كانت روح مؤمن قال روح طيبة وريح طيبة اجعلوا كتابه في عليين واذا كان روح كافر قال روح خبيثة وريح خبيثة اجعلوا كتابه في سجين فقلت ياجبرئيل من هذا قال أبوك آدم فسلم علي ورحب بي ودعا لي بخير وقال مرحبا بالنبي الصالح والولد الصالح ثم نظرت فاذا أنا بقوم لهم مشافر كمشافر الابل وقد وكل بهم من يأخذ بمشافرهم ثم يجعل في أفواههم صخرا من نار يخرج من أسافلهم قلت ياجبرئيل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما ثم نظرت فاذا أنا بقوم يحذى من جلودهم ويرد في أفواههم ثم يقال كلوا كما أكلتم فاذا أكره ما خلق الله لهم ذلك قلت من هؤلاء ياجبرئيل قال هؤلاء الهمازون اللمازون الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم بالسب ثم نظرت فاذا أنا بقوم على مائدة عليها لحم مشوى كأحسن ما رأيت من اللحم واذا حولهم جيف فجعلوا يميلون على الجيف يأكلون منها ويدعون ذلك اللحم قلت من هؤلاء ياجبرئيل قال هؤلاء الزناة عمدوا الى ما حرم الله عليهم وتركوا ما أحل الله لهم ثم نظرت فاذا أنا بقوم لهم بطون كأنها البيوت وهي على سابلة آل فرعون فاذا مر بهم آل فرعون ثاروا فيميل بأحدهم بطنه فيقع فيتوطؤهم آل فرعون بأرجلهم وهم يعرضون على النار غدوا وعشيا قلت من هؤلاء ياجبرئيل قال هؤلاء أكلة الربا ربا في بطونهم فتلهم كمثل الذي يتخبطه الشيطان من المس ثم نظرت فاذا أنا بنساء معلقات بثديهن ونساء منكسات بأرجلهن قلت من هؤلاء ياجبرئيل قال هن اللاتي يزنين ويقتلن أولادهن قال ثم صعدنا الى السماء الثانية فاذا أنا بيوسف وحوله تبع من أمته ووجهه كالقمر ليلة البدر فسلم علي ورحب بي ثم مضينا الى السماء الثالثة فاذا أنا بابني الخالة يحيى وعيسى يشبه أحدهما صاحبه في لباسهما وشعرهما فسلما علي ورحبا بي ثم مضينا الى السماء الرابعة فاذا أنا بادريس فسلم علي ورحب وقد قال الله ورفعناه مكانا عليا ثم مضينا الى السماء الخامسة فاذا أنا بهرون المحبب في قومه حوله تبع كثير من أمته فوصفه النبي صلى الله عليه وسلم طويل اللحية تكاد لحيته تمس سرته فسلم علي ورحب ثم مضينا الى السماء السادسة فاذا أنا بموسى بن عمران فوصفه النبي صلى الله عليه وسلم فقال كثير الشعر لو كان عليه قميصان خرج شعره منهما قال موسى تزعم الناس أني أكرم الخلق على الله فهذا أكرم على الله مني ولو كان وحده لم أكن أبالي ولكن كل نبي ومن تبعه من أمته ثم مضينا الى السماء السابعة فاذا أنا بابراهيم وهو جالس مسندا ظهره الى البيت المعمور فسلم علي وقال مرحبا بالنبي الصالح والولد الصالح فقيل هذا مكانك ومكان أمتك ثم تلا ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين ثم دخلت البيت المعمور فصليت فيه واذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون الى يوم القيامة ثم نظرت فاذا أنا بشجرة ان كانت الورقة منها لمغطية هذه الامة فاذا في أصلها عين تجرى قد تشعبت شعبتين فقلت ما هذا ياجبرئيل قال أما هذا فهو نهر الرحمة وأما هذا فهو الكوثر الذي أعطاكه الله فاغتسلت في نهر الرحمة فغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر ثم أخذت على الكوثر حتى دخلت

الى الميت كيف يحد بصره اليه فعرج بنا فيه حتى انتهينا الى باب السماء الدنيا فاستفتح جبرئيل فقيل من هذا قال جبرئيل قيل ومن معك قال محمد قيل أوقد أرسل اليه قال نعم ففتحوا وسلموا علي واذا ملك موكل بحرس السماء يقال له اسمعيل معه سبعون ألف ملك مع كل ملك منهم مائة ألف ثم قرأ وما يعلم جنود ربك الا هو واذا أنا برجل كهيئته يوم خلقه الله لم يتغير منه شئ فاذا هو تعرض عليه أرواح ذريته فاذا كانت روح مؤمن قال روح طيبة وريح طيبة اجعلوا كتابه في عليين واذا كان روح كافر قال روح خبيثة وريح خبيثة اجعلوا كتابه في سجين فقلت ياجبرئيل من هذا قال أبوك آدم فسلم علي ورحب بي ودعا لي بخير وقال مرحبا بالنبي الصالح والولد الصالح ثم نظرت فاذا أنا بقوم لهم مشافر كمشافر الابل وقد وكل بهم من يأخذ بمشافرهم ثم يجعل في أفواههم صخرا من نار يخرج من أسافلهم قلت ياجبرئيل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما ثم نظرت فاذا أنا بقوم يحذى من جلودهم ويرد في أفواههم ثم يقال كلوا كما أكلتم فاذا أكره ما خلق الله لهم ذلك قلت من هؤلاء ياجبرئيل قال هؤلاء الهمازون اللمازون الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم بالسب ثم نظرت فاذا أنا بقوم على مائدة عليها لحم مشوى كأحسن ما رأيت من اللحم واذا حولهم جيف فجعلوا يميلون على الجيف يأكلون منها ويدعون ذلك اللحم قلت من هؤلاء ياجبرئيل قال هؤلاء الزناة عمدوا الى ما حرم الله عليهم وتركوا ما أحل الله لهم ثم نظرت فاذا أنا بقوم لهم بطون كأنها البيوت وهي على سابلة آل فرعون فاذا مر بهم آل فرعون ثاروا فيميل بأحدهم بطنه فيقع فيتوطؤهم آل فرعون بأرجلهم وهم يعرضون على النار غدوا وعشيا قلت من هؤلاء ياجبرئيل قال هؤلاء أكلة الربا ربا في بطونهم فتلهم كمثل الذي يتخبطه الشيطان من المس ثم نظرت فاذا أنا بنساء معلقات بثديهن ونساء منكسات بأرجلهن قلت من هؤلاء ياجبرئيل قال هن اللاتي يزنين ويقتلن أولادهن قال ثم صعدنا الى السماء الثانية فاذا أنا بيوسف وحوله تبع من أمته ووجهه كالقمر ليلة البدر فسلم علي ورحب بي ثم مضينا الى السماء الثالثة فاذا أنا بابني الخالة يحيى وعيسى يشبه أحدهما صاحبه في لباسهما وشعرهما فسلما علي ورحبا بي ثم مضينا الى السماء الرابعة فاذا أنا بادريس فسلم علي ورحب وقد قال الله ورفعناه مكانا عليا ثم مضينا الى السماء الخامسة فاذا أنا بهرون المحبب في قومه حوله تبع كثير من أمته فوصفه النبي صلى الله عليه وسلم طويل اللحية تكاد لحيته تمس سرته فسلم علي ورحب ثم مضينا الى السماء السادسة فاذا أنا بموسى بن عمران فوصفه النبي صلى الله عليه وسلم فقال كثير الشعر لو كان عليه قميصان خرج شعره منهما قال موسى تزعم الناس أني أكرم الخلق على الله فهذا أكرم على الله مني ولو كان وحده لم أكن أبالي ولكن كل نبي ومن تبعه من أمته ثم مضينا الى السماء السابعة فاذا أنا بابراهيم وهو جالس مسندا ظهره الى البيت المعمور فسلم علي وقال مرحبا بالنبي الصالح والولد الصالح فقيل هذا مكانك ومكان أمتك ثم تلا ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين ثم دخلت البيت المعمور فصليت فيه واذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون الى يوم القيامة ثم نظرت فاذا أنا بشجرة ان كانت الورقة منها لمغطية هذه الامة فاذا في أصلها عين تجرى قد تشعبت شعبتين فقلت ما هذا ياجبرئيل قال أما هذا فهو نهر الرحمة وأما هذا فهو الكوثر الذي أعطاكه الله فاغتسلت في نهر الرحمة فغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر ثم أخذت على الكوثر حتى دخلت

هذا الدين شئ من الاستقامة حتى يستقيم هذا التفضيل وأجيب بأن أفعل ههنا بمعنى الفاعل كقولنا الله أكبر أي هو الكبير وكقولهم الناقص والأشج أعدلا بني مروان أي عادلا بني مروان ويمكن أن يقال لا شئ من الاديان الا وفيه نوع من الاستقامة كالاعتراف بالله الواجب بالذات والالتزام لاصول الاخلاق ومكارم العادات وقوانين السياسات الا أن بعض الخلل أبطل الكل فالكل ينهدم بانهدام الجزء ثم ان كون القرآن هاديا الى الاعتقاد الأصوب والعمل الأصلح له نتيجة وأثر وذلك هو البشارة بالاجر الكبير لاهل الايمان والعمل الصالح وبالعذاب الاليم لغيرهم وأنت خبير بان لفظ البشارة بمعنى الانذار يستعمل للتهكم اذ البشارة مطلق الخبر المغير للبشرة فكأنه قيل ويخبر الذين لا يؤمنون بالآخرة أن لهم عذابا ويجوز أن يبشر المؤمنين ببشارتين احداهما بثوابهم والاخرى بعذاب أعدائهم قال في الكشاف كيف ذكر المؤمنين الابرار والكفار ولم يذكر الفسقة وأجاب على أصول الاعتزال بأن الناس كانوا حينئذ اما من أهل التقوى واما من أهل الشرك وانما حدث أصحاب المنزلة بين المنزلتين بعد ذلك قلت هذا الجواب منه عجيب فان هذا الصنف لو سلم أنه لم يكن موجودا في ذلك العصر الا أن حكمه يجب أن يذكر في القرآن الذي فيه أصول الاحكام على أن ذكر الفساق من الامة في القرآن المكي والمدني موجود قال تعالى فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم واذا كان ذكرهم في القرآن واردا وأنه تعالى يعدد ههنا أوصاف القرآن على جهة المدح فأي مقام أدعى الى ذكر

هذا الوصف من ههنا والجواب الحق أن الفسقة جعلوا تابعين أهل الايمان والله أعلم قيل هذه الآية واردة فى شرح أحوال اليهود وهم ما كانوا ينكرون الايمان بالآخرة والجواب المنع من الخصوص ولو سلم فايمانهم بالآخرة كلا ايمان فبعضهم أنكروا المعاد الجسمانى وبعضهم قالوا لن تمسنا النار الا أياما واعلم أنه سبحانه قال ههنا أجرا كبيرا وفى أول الكهف أجرا حسنا رعاية للفاصلة والا فالاجر الكبير والاجر الحسن كلاهما الجنة ولما بين أن القرآن كاف فى الهداية ذكر أن الانسان قد يعدل عن التمسك بأحكامه فقال (ويدع الانسان) أى جنس الكافر وقد ذكر جمع من المفسرين أنه النضر بن الحرث دعا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية فأجاب الله دعاءه وضربت رقبته صبرا وكان بعضهم يقول ائتنا بعذاب الله وآخرون متى هذا الوعد جهلا منهم واعتقادا أن محمدا صلى الله عليه وسلم كاذب وقيل المراد أنه يدعو الله عند غضبه وضجره فيلعن نفسه وولده وماله ولو استجيب له فى الشر كما يستجاب له فى الخير لهلك يروى أنه صلى الله عليه وسلم دفع الى سودة بنت زمعة أسيرا فأقبل يئن بالليل فقالت له مالك تئن فشكا ألم القد فأرخت من كتافه فلما نامت أخرج يده وهرب فلما أصبح النبى صلى الله عليه وسلم دعا به فأعلم بشأنه فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اقطع يديها فرفعت سودة يديها تتوقع الاجابة وأن يقطع الله يديها فقال النبى صلى الله عليه وسلم انى سألت الله أن يجعل لعنتى ودعائى على من لا يستحق من أهلى رحمة لأنى بشر أغضب كما يغضب البشر فلترد سودة يديها (وكان الانسان عجولا) يستعجل بالعذاب مع أنه آتيه أو يتسرع الى طلب كل ما يقع فى قلبه ويخطر بباله معتقدا أن خيره فيه وان كان ذلك عند التأمل مضرا له وقيل أراد بهذا الانسان آدم وذلك أنه لما انتهى الروح الى سرته نظر الى جسده فاعجبه ما رأى فذهب لينهض فلم يقدر وليس هذا القول بالحقيقة مغايرا للاول لان

الجنة فاذا فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واذا فيها رمان كأنه جلود الابل المقتبة واذا فيها طير كأنها البخت فقال أبو بكر ان تلك الطير لناعمة قال أكلتها أنعم منها يا أبا بكر وانى لأرجو أن تأكل منها ورأيت فيها جارية فسألتها لمن أنت فقالت لزيد بن حارثة فبشر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا قال ثم ان الله أمرنى بأمره وفرض على خمسين صلاة فمررت على موسى فقال بم أمرك ربك قلت فرض على خمسين صلاة قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان أمتك لن يقوموا بهذا فرجعت الى ربى فسألته فوضع عنى عشرا ثم رجعت الى موسى فلم أزل أرجع الى ربى اذا مررت بموسى حتى فرض على خمس صلوات فقال موسى ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فقلت قد رجعت الى ربى حتى استحييت أو قال قلت ما أنا براجع فقيل لى ان لك بهذه الخمس صلوات خمسين صلاة الحسنة بعشر أمثالها ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ومن عملها كتبت عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيأ فان عملها كتبت واحدة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق قال ثنى روح بن القاسم عن أبى هرون عمارة ابن جوين العبدى عن أبى سعيد الخدرى وحدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ونى أبو جعفر عن أبى هرون عن أبى سعيد قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول لما فرغت مما كان فى بيت المقدس أتى بالمعراج ولم أر شيأ قط أحسن منه وهو الذى عد اليه ميتكم عينيه اذا حضر فأصعدنى صاحبى فيه حتى انتهى الى باب من الابواب يقال له باب الحفظة عليه ملك يقال له اسمعيل تحت يديه اثنا عشر ألف ملك تحت يدى كل ملك منهم اثنا عشر ألف ملك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حدث هذا الحديث ما يعلم جنود ربك الا هو ثم ذكر نحو حديث معمر عن أبى هرون الا أنه قال فى حديثه قال ثم دخل بى الجنة فرأيت فيها جارية فسألتها لمن أنت وقد أعجبتنى حين رأيتها فقالت لزيد بن حارثة فبشر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة ثم انتهى حديث ابن حميد عن سلمة الى ههنا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهرى عن ابن المسيب عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف لاصحابه ليلة أسرى به ابراهيم وموسى وعيسى فقال أما ابراهيم فلم أر رجلا أشبه بصاحبكم منه وأما موسى فرجل آدم طوال جعد أقنى كأنه من رجال شنوءة وأما عيسى فرجل أحمر بين القصير والطويل سبط الشعر كثير خيلان الوجه كأنه خرج من ديماس كأن رأسه يقطر ماء وما به ماء أشبه من رأيت به عروة بن مسعود حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد عن الزهرى عن سعيد ابن المسيب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه ولم يقل عن أبى هريرة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم أتى بالبراق ليلة أسرى به مسرجا ملجما ليركبه فاستصعب عليه فقال له جبرئيل ما يحملك على هذا فوالله ما ركبك أحد قط أكرم على الله منه قال فارفض عرقا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله أسرى بنبى الله عشاء من مكة الى بيت المقدس فصلى نبى الله فيه فأراه الله من آياته وأمره بما شاء ليلة أسرى به ثم أصبح بمكة ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال حملت على دابة يقال لها البراق فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه فحدث نبى الله بذلك أهل مكة فكذب به المشركون وأنكروه وقالوا يا محمد تخبرنا أنك أتيت بيت المقدس وأقبلت من ليلتك ثم

ثم أصبحت عندنا بمكة فما كنت تحدثنا به وتأتي به قبل هذا اليوم مع هذا فصدقه أبو بكر فسمي أبو بكر الصديق من أجل ذلك **حدثنا** ابن أبي الشوارب قال ثنا عبد الواحد بن زياد قال ثنا سليمان الشيباني عن عبد الله بن شداد قال لما كان ليلة أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم أتي بدابة يقال لها البراق دون البغل وفوق الحمار تضع حافرها عند منتهى طرفها فلما أتى بيت المقدس أتي بإناءين إناء من لبن وإناء من خمر قال فشرب اللبن قال فقال له جبرئيل هديت وهديت أمتك * وقال آخرون ممن قال أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم الى المسجد الاقصى بنفسه وجسمه أسري به عليه السلام غير أنه لم يدخل بيت المقدس ولم يصل فيه ولم ينزل عن البراق حتى رجع الى مكة ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد القطان قال ثنا سفيان قال ثني عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش عن حذيفة بن اليمان أنه قال في هذه الآية سبحان الذي أسري بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى قال لم يصل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو صلى فيه لكتب عليكم الصلاة فيه كما كتب عليكم الصلاة عند الكعبة **حدثنا** أبو كريب قال سمعت أبا بكر بن عياش ورجل يحدث عنده بحديث حين أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال له لا تجئ بمثل عاصم ولا زر قال قال حذيفة لزر بن حبيش قال وكان زر رجلا شريفا من أشراف العرب قال قرأ حذيفة سبحان الذي أسري بعبده من الليل من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير وكذا قرأ عبد الله قال وهذا كما يقولون انه دخل المسجد فصلى فيه ثم دخل فربط دابته قال قلت والله قد دخله قال من أنت فاني أعرف وجهك ولا أدري ما اسمك قال قلت زر بن حبيش قال ما علمك هذا قال قلت من قبل القرآن قال من أخذ بالقرآن أفلح قال فقلت سبحان الذي أسري بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي بارك حوله قال فنظر الي فقال يا أصلع هل ترى دخله قال قلت لا والله قال حذيفة أجل والله الذي لا اله الا هو ما دخله ولو دخله لوجبت عليكم صلاة فيه لا والله ما زل عن البراق حتى رأى الجنة والنار وما أعد الله في الآخرة أجمع وقال تدري ما البراق قال دابة دون البغل وفوق الحمار خطوه مد البصر * وقال آخرون بل أسري بروحه ولم يسر بجسده ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق قال ثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الاخنس أن معاوية بن أبي سفيان كان اذا سئل عن مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت رؤيا من الله صادقة **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد قال ثني بعض آل أبي بكر أن عائشة كانت تقول ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن الله أسري بروحه **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة قال ابن اسحق فلم ينكر ذلك من قولها الحسن أن هذه الآية نزلت وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس ولقول الله في الخبر عن ابراهيم أنه قال لابنه يا بني اني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى ثم مضى على ذلك فعرفت أن الوحي يأتي الانبياء من الله أيقاظا ونياما وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تنام عيني وقلبي يقظان فالله أعلم أي ذلك كان قد جاءه وعاين فيه من أمر الله ما عاين على أي حالاته كان نائما أو يقظانا كل ذلك حق وصدق * والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال ان الله أسري بعبده محمد صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى كما أخبر الله عباده وكما تظاهرت به الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله حمله على البراق حتى أتاه به وصلى هنالك بمن صلى

أصل الآدمي اذا كان كذلك كان كل فرد منه متصفا به لا محالة قال أهل النظم لما ذكر نعمة الدين وهو القرآن أردفها بنعمة الدنيا فقال (وجعلنا الليل والنهار آيتين) وفيه أن القرآن لا يتم المقصود منه الا بنوعيه المحكم والمتشابه فكذا الزمان لا يكمل الانتفاع به الا بجزأيه الليل والنهار فالمحكم كالنهار في وضوحه والمتشابه بمنزلة الليل في خفائه وبوجه آخر لما ذكر دلائل النبوة والتوحيد أكدها بدليل آخر من عجائب الزمان وبوجه آخر لما وصف الانسان بكونه مجهولا أي منتقلا من حالة الى حالة ومن صفة الى صفة بين أن كل أحوال هذا العالم كذلك فينتقل الهواء من الانارة الى الظلام وبالعكس وينتقل القمر من النقصان الى الامتلاء وبالضد (فمحونا آية الليل) هي من اضافة الشئ الى نفسه للبيان كقولك نفس الشئ أو ذاته أي فمحونا الآية التي هي الليل أي جعلنا الليل ممحو الضوء مطموسا مظلما لا يستبان فيه شئ كما لا يستبان ما في اللوح الممحو (وجعلنا) الآية التي هي (النهار مبصرة) ذات ابصار وذلك باعتبار من فيها أي تبصر فيها الاشياء وتستبان أو أريد بالابصار الاضاءة لانها سببه وقيل المضاف محذوف والتقدير وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل التي هي القمر حيث لم يخلق له شعاع كشعاع الشمس فترى به الاشياء رؤية غير بينة وجعلنا الشمس ذات شعاع يبصر في ضوئها كل شئ (لتبتغوا فضلا من ربكم) لتتوصلوا بياض النهار أو بشعاع الشمس المستلزم للنهار الى التصرف في وجوه معايشكم (ولتعلموا) باختلاف الجديدين أو بزيادة ضوء القمر ونقصانه (عدد السنين) الشمسية أو القمرية المركبة من الشهور (و) لتعلموا جنس (الحساب) المبني على الساعات والايام والشهور والسنين والادوار وقيل أراد بمحو القمر الكلف الذي في وجهه وسببه في الشرع ما روي أن الشمس والقمر كانا سواء في النور والضوء فأرسل الله تعالى جبريل فأمر جناحه على وجه القمر فأذهب

عنه أثر الضياء وسببه عند الفلاسفة انه ارتكز فى وجه القمر أجسام قليلة الضوء كارتكاز الكواكب فى اجرام الافلاك ولما كانت تلك الاجرام أقل ضوأ من جرم القمر لاجرم شوهدت تلك الاجرام فى وجه القمر كالكلف فى وجه الانسان ونحن قد ذكرنا له وجها آخر فى الهيئة قال أهل التجارب ان اختلاف أحوال القمر فى مقادير النور له أثر عظيم فى أحوال هذا العالم ومصالحه لاسيما فى أحوال البحار والبحارين على ما ذكره الاطباء الا أن الكلف ليس له مدخل فى ابتغاء فضل الله وفى معرفة الحسابات تفصيلا نعم لو قيل ان الكلف نقص من نور القمر حتى لم يقو على ازالة ظلام الليل بالكلية فبقى فى وقت السكون والراحة بحاله ووقت التردد فى طلب المعاش بحاله وصار تعاقب الليل والنهار سببا لمعرفة الايام وما يتركب منها كان متجها ثم قال (وكل شئ) مما تفتقرون اليه فى دينكم ودنياكم (فصلناه تفصيلا) بينا ه بيانا غير ملتبس حتى ازاحت العلل وزالت الاعذار فلا يهلك من يهلك الا عن بينة فلذلك قال (وكل انسان ألزمناه طائره) أى عمله (فى عنقه) وبوجه آخر لما شرح أحوال الشمس والقمر والنهار والليل لابتغاء المعاش وللدعة والراحة ولمعرفة المواقيت وكان الغرض الاصلى من الكل هو الاشتغال بخدمة المعبود وتهذيب الافعال واصلاح الاقوال ذكر أن الانسان مؤاخذ فى عرصة القيامة بأقواله وأفعاله وسائر أحواله ليظهر أنه هل أتى بما هو المقصود من خلقه أم لا قال أكثر أهل اللغة ان العرب اذا أرادوا الاقدام على عمل من الاعمال اعتبروا أحوال الطائر أنه يطير بنفسه أو يحتاج الى ازعاجه واذا طار فهل يطير متياسرا أو متياسرا أو صاعدا فى الجو الى غير ذلك من الاحوال التى كانوا يعتبرونها ويستدلون بكل واحد منها على ما يسوقهم علمهم اليه من خير أو شر فاطلاق الطائر على العمل تسمية للشئ باسم لازمه وقال أبو عبيدة الطائر عند العرب الحظ ويقال له وعنى

من الانبياء والرسل فأراه ما أراه من الآيات ولا معنى لقول من قال أسرى بروحه دون جسده لان ذلك لو كان كذلك لم يكن فى ذلك ما يوجب أن يكون ذلك دليلا على نبوته ولا حجة له على رسالته ولا كان الذين أنكروا حقيقة ذلك من أهل الشرك كانوا يدفعون به عن صدقه فيه اذ لم يكن منكرا عندهم ولا عند أحد من ذوى الفطرة الصحيحة من بنى آدم أن يرى الرائى منهم فى المنام ما على مسيرة سنة فكيف ما هو على مسيرة شهر أو أقل وبعد فان الله انما أخبر فى كتابه أنه أسرى بعبده ولم يخبرنا أنه أسرى بروح عبده وليس جائزا لأحد أن يتعدى ما قال الله الى غيره فان ظن ظان أن ذلك جائز اذ كانت العرب تفعل ذلك فى كلامها كما قال قائلهم

حسبت بغام راحلتى عناقا * وما هى ويب غيرك بالعناق

يعنى حسبت بغام راحلتى صوت عناق فحذف الصوت واكتفى منه بالعناق فان العرب تفعل ذلك فيما كان مفهوما مراد المتكلم منهم به من الكلام فأما فيما لا دلالة عليه الا بظهوره ولا يوصل الى معرفة مراد المتكلم الا ببيانه فانها لا تحذف ذلك ولا دلالة تدل على أن مراد الله من قوله أسرى بعبده أسرى بروح عبده بل الأدلة الواضحة والاخبار المتتابعة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله أسرى به على دابة يقال لها البراق ولو كان الاسراء بروحه لم تكن الروح محمولة على البراق اذ كانت الدواب لا تحمل الا الاجسام الا أن يقول قائل ان معنى قولنا أسرى بروحه رأى فى المنام أنه أسرى بجسده على البراق فيكذب حينئذ بمعنى الاخبار التى رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن جبرئيل حمله على البراق لان ذلك اذا كان منا ما على قول قائل هذا القول ولم تكن الروح عنده مما تركب الدواب ولم يحمل على البراق جسم النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم على قوله حمل على البراق لا جسمه ولا شئ منه وصار الامر عنده كبعض أحلام النائمين وذلك دفع لظاهر التنزيل وما تتابعت به الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاءت به الآثار عن الائمة من الصحابة والتابعين وقوله الذى باركنا حوله يقول تعالى ذكره الذى جعلنا حوله البركة لسكانه فى معايشهم وأقواتهم وحروثهم وغروسهم وقوله لنريه من آياتنا يقول تعالى ذكره كى نرى عبدنا محمدا من آياتنا يقول من عبرنا وأدلتنا وحججنا وذلك هو ما قد ذكرت فى الاخبار التى رويتها آنفا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أريه فى طريقه الى بيت المقدس وبعد مصيره اليه من عجائب العبر والمواعظ كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لنريه من آياتنا ما أراه الله من الآيات والعبر فى طريق بيت المقدس وقوله انه هو السميع البصير يقول تعالى ذكره ان الذى أسرى بعبده هو السميع لما يقول هؤلاء المشركون من أهل مكة فى مسرى محمد صلى الله عليه وسلم من مكة الى بيت المقدس ولغير ذلك من قولهم وقول غيرهم البصير بما يعملون من الاعمال لا يخفى عليه شئ من ذلك ولا يعزب عنه علم شئ منه بل هو محيط بجميعه علما ومحصيه عددا وهو لهم بالمرصاد ليجزى جميعهم بما هم أهله وكان بعض البصريين يقول كسرت ان من قوله انه هو السميع البصير لأن معنى الكلام قل يا محمد سبحان الذى أسرى بعبده وقل انه هو السميع البصير ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى اسرائيل ألا تتخذوا من دونى وكيلا ﴾ يقول تعالى ذكره سبحان الذى أسرى بعبده ليلا وآتى موسى الكتاب ورد الكلام الى وآتينا وقد ابتدأه بقوله أسرى لما قد ذكرنا قبل فيما مضى من فعل العرب فى نظائر ذلك من ابتداء الخبر بالخبر عن الغائب ثم الرجوع الى الخطاب وأشباهه

ويعنى بالكتاب الذى أوتى موسى التوراة وجعلناه هدى لبنى اسرائيل يقول وجعلنا الكتاب الذى هو التوراة بيانا للحق ودليلا لهم على محجة الصواب فيما افترض عليهم وأمرهم به ونهاهم عنه وقوله ألا تتخذوا من دونى وكيلا اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والكوفة ألا تتخذوا بالتاء بمعنى وآتينا موسى الكتاب بأن لا تتخذوا يا بنى اسرائيل من دونى وكيلا وقرأ ذلك بعض قراء البصرة ألا يتخذوا بالياء على الخبر عن بنى اسرائيل بمعنى وجعلناه هدى لبنى اسرائيل ألا يتخذ بنو اسرائيل من دونى وكيلا وهما قراءتان صحيحتا المعنى متفقتان غير مختلفتين فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب غير أنى أوثر القراءة بالتاء لانها أشهر فى القراءة وأشد استفاضة فيهم من القراءة بالياء ومعنى الكلام وآتينا موسى الكتاب هدى لبنى اسرائيل لا تتخذوا حفيظا لكم سواى وقد بينا معنى الوكيل فيما مضى وكان مجاهد يقول معناه فى هذا الموضع الشريك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ألا يتخذوا من دونى وكيلا قال شريكا وكأن مجاهدا جعل اقامة من أقام شيأ سوى الله مقامه (١) شريكا منه له ووكيلا للذى أقامه مقام الله وبنحو الذى قلنا فى تأويل هذه الآية قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى اسرائيل جعله الله لهم هدى يخرجهم من الظلمات الى النور وجعله رحمة لهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا﴾ يقول تعالى ذكره سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى وآتينا موسى الكتاب هدى لبنى اسرائيل ذرية من حملنا مع نوح ويعنى بالذرية جميع من احتج عليه جل ثناؤه بهذا القرآن من أجناس الامم عربهم وعجمهم من بنى اسرائيل وغيرهم وذلك أن كل من على الارض من بنى آدم فهم من ذرية من حمله الله مع نوح فى السفينة وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ذرية من حملنا مع نوح والناس كلهم ذرية من نجى الله فى تلك السفينة وذكر لنا أنه ما نجا فيها يومئذ غير نوح وثلاثة بنين له وامرأته وثلاث نسوة وهم سام وحام ويافث فأما سام فأبو العرب وأما حام فأبو الحبش وأما يافث فأبو الروم حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ذرية من حملنا مع نوح قال بنوه الثلاثة ونساؤهم ونوح وامرأته حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال قال مجاهد بنوه ونساؤهم ونوح ولم تكن امرأته وقد بينا هذا فى غير هذا الموضع فيما مضى بما أغنى عن اعادته وقوله انه كان عبدا شكورا يعنى بقوله تعالى ذكره انه ان نوحا والهاء من ذكر نوح كان عبدا شكورا لله على نعمه وقد اختلف أهل التأويل فى السبب الذى سماه الله من أجله شكورا فقال بعضهم سماه الله بذلك لانه كان يحمد الله على طعامه اذا طعمه ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا يحيى وعبد الرحمن بن مهدى قالا ثنا سفيان عن التيمى عن أبى عثمان عن سلمان قال كان نوح اذا لبس ثوبا أو أكل طعاما حمد الله فسمى عبدا شكورا حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى وعبد الرحمن قالا ثنا سفيان عن أبى حصين عن عبد الله بن سنان عن سعيد بن مسعود بمثله حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو بكر عن أبى حصين عن عبد الله بن سنان عن سعيد بن مسعود قال ما لبس نوح جديدا قط ولا أكل طعاما قط الا حمد الله

(١) لعله تشريكا منه له وتوكيلا الخ تأمل كتبه مصححه

دليل على أنه لا يظهر فى الأبد الا ما حكم الله به فى الازل والكفاية الابدية لا تتم الا بالعناية الازلية وانه سبحانه أكد هذا المعنى باضافة الالزام الى نفسه ثم بقوله فى عنقه يقال جعلت هذا الامر فى عنقك أى قلدتكه وألزمتك الاحتفاظ به فان كان خيرا زينه كان كالطوق وان كان شرا شينه كان كالغل ومن أمثال العرب تقلدها طوق الحمامة (ونخرج له) من قرأ بالنون فظاهر وقوله (يلقاه منشورا) صفتان للكتاب أو يلقاه صفة ومنشورا حال من مفعول يلقاه ومن قرأ بالياء مجهولا أو لازما فالضمير للطائر وكتابا حال منه يقال لقيت الشئ ولقانيه غيرى عن الحسن يا ابن آدم بسطت الصحيفة وطويت فى قبرك معك ثم اذا بعثت قلدتها فى عنقك (اقرأ كتابك) على اضمار القول قال قتادة يقرأ فى ذلك اليوم من لم يكن قارئا و (بنفسك) فاعل كفى و (حسيبا) تمييز بمعنى حاسب وانه كثير من فعل بالضم كقريب وبعيد ولكنه من فعل بالفتح غريب منه ما قال سيبويه ضريب القداح بمعنى ضاربها وصريم بمعنى صارم وعلى متعلق بحسيب من قولك حسب عليه كذا ويجوز أن يكون الحسيب بمعنى الكافى ثم وضع موضع الشهيد فعدى بعلى لان الشاهد يكفى المدعى ما أهمه وذكر حسيبا بمعنى رجلا حسيبا لانه بمنزلة الشهيد والغالب أن الشهادة يتولاها الرجال كالقضاء والامارة والنفس مؤول بالشخص

وحمل فعيل بمعنى فاعل على فعيل بمعنى مفعول كقتيل ويجوز أن يكون الحسيب بمعنى المحاسب قال الحسن عدل والله فى حقك من جعلك حسيب نفسك وقال السدى يقول الكافر يومئذ انك قضيت أنك لست بظلام للعبيد فاجعلنى أحاسب نفسى فيقال له اقرأ كتابك كفى

بنفسك اليوم عليك حسيبا وروى أنه يؤتى المؤمن يوم القيامة صحيفته وحسناته فى ظهرها يغبطه الناس عليها وسيئاته فى جوف صحيفته وهو يقرؤها حتى اذا ظن أنها قد أوبقته قال الله تعالى له فقد غفرتها لك فيما بينى وبينك فيعظم سروره ويصير من الذين قال الله

فى حقهم وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة قال الحكيم التكرار يوجب تقرير الآثار فكل عمل يصدر من الانسان خيرا أو شرا فانه يحصل منه فى جوهر روحه أثر مخصوص الا أن ذلك الأثر يخفى مادام الروح متعلقا بالبدن مشتغلا بواردات الحواس والقوى فاذا انقطعت علاقته عن البدن قامت قيامته لان النفس كأنها كانت ساكنة مستقرة فى الجسد وعند ذلك قامت وتوجهت نحو الصعود الى العالم العلوى فيزول الغطاء وتنكشف الاحوال ويظهر على لوح النفس نقش كل شئ عمله فى مدة عمره وهذا معنى الكتابة والقراءة بحسب العقل وانه لا ينافى ماورد فى النقل ثم بين أن ثواب العمل الصالح وعقاب ضده مختص بفاعله لا يتعدى منه الى غيره فقال (من اهتدى) الى قوله (وزر أخرى) قال الجبائى فهذا دلالة على أن الاطفال لا يعذبون بكفر آبائهم وأن الوزر والاثم ليس من فعل الله والالم يؤاخذ العبد به كما لا يؤاخذ بوزر غيره بل كان يجب أن لا وزر أصلا لان الصبى لا يوصف بالوزر لانه غير مختار وجواب الاشاعرة أن الوزر مختص بأفعال المكلفين من الثقلين وقد حت عائشة بذلك فى صحة مارواه ابن عمر ان الميت ليعذب ببكاء أهله واستدل به جماعة من الفقهاء فى الامتناع من ضرب الدية على العاقلة ويمكن أن يجاب بأنه ما من عام الا وقد خصص أما قوله (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) فقد استدل به الاشاعرة فى أن وجوب شكر المنعم لا يثبت بالعقل بل بالسمع لان الوجوب لا تتقرر ماهيته الا بترتيب العقاب على الترك ولا عقاب قبل الشرع بحكم هذه الآية أجاب الخصم بأنه لو لم يثبت الوجوب العقلى لم يثبت الوجوب

فلذلك قال الله عبدا شكورا **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر بن سليمن قال ثنى سفيان الثورى قال ثنى أيوب عن أبى عثمن النهدى عن سلمان قال انما سمى نوح عبدا شكورا أنه كان اذا لبس ثوبا حمد الله واذا أكل طعاما حمد الله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ذرية من حملنا مع نوح من بنى اسرائيل وغيرهم انه كان عبدا شكورا قال انه لم يجد ثوبا قط الا حمد الله ولم يبل ثوبا قط الا حمد الله واذا شرب شربة حمد الله قال الحمد لله الذى سقانيها على شهوة ولذة وصحة وليس فى تفسيرها واذا شرب شربة قال هذا ولكن بلغنى ذا **حدثنى** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو فضالة عن النضر بن شفى عن عمران بن سليم قال انما سمى نوح عبدا شكورا أنه كان اذا أكل الطعام قال الحمد لله الذى أطعمنى ولو شاء أجاعنى واذا شرب قال الحمد لله الذى سقانى ولو شاء أظمأنى واذا لبس ثوبا قال الحمد لله الذى كسانى ولو شاء أعرانى واذا لبس نعلا قال الحمد لله الذى حذانى ولو شاء أحفانى واذا قضى حاجة قال الحمد لله الذى أخرج عنى أذاه ولو شاء حبسه * وقال آخرون فى ذلك بما **حدثنى** به يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى عبد الجبار بن عمر أن ابن أبى مريم حدثه قال انما سمى الله نوحا عبدا شكورا أنه كان اذا خرج البراز منه قال الحمد لله الذى سوغنيك طيبا وأخرج عنى أذاك وأبقى منفعتك * وقال آخرون فى ذلك بما **حدثنا** به بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال الله لنوح انه كان عبدا شكورا ذكر لنا أنه لم يستجد ثوبا قط الا حمد الله وكان يأمر اذا استجد الرجل ثوبا أن يقول الحمد لله الذى كسانى ما أتجمل به وأوارى به عورتى **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة انه كان عبدا شكورا قال كان اذا لبس ثوبا قال الحمد لله واذا أخلقه قال الحمد لله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا﴾ وقد بينا فيما مضى قبل أن معنى القضاء الفراغ من الشئ ثم يستعمل فى كل مفروغ منه فتأويل الكلام فى هذا الموضع وفرغنا ربنا الى بنى اسرائيل فيما أنزل من كتابه على موسى صلوات الله وسلامه عليه باعلامه اياهم واخباره لهم لتفسدن فى الارض مرتين يقول لتعصن الله يا معشر بنى اسرائيل ولتخالفن أمره فى بلاده مرتين ولتعلن علوا كبيرا يقول ولتستكبرن على الله باجترائكم عليه استكبارا شديدا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله وقضينا الى بنى اسرائيل قال أعلمناهم **حدثنى** على بن داود قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله وقضينا الى بنى اسرائيل يقول أعلمناهم * وقال آخرون معنى ذلك وقضينا على بنى اسرائيل فى أم الكتاب وسابق علمه ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وقضينا الى بنى اسرائيل قال هو قضاء قضى عليهم **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وقضينا الى بنى اسرائيل قضاء قضاه على القوم كما تسمعون * وقال آخرون معنى ذلك أخبرنا ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن

الشرعى لان النبى اذا جاء وادعى المعجزة فهل يجب على المستمع قبول قوله والتأمل فى معجزته أولا يجب والثانى باطل بالاتفاق وعلى الأول
ان وجب بالعقل فهو المدعى وان وجب بالشرع فذلك الشارع ان كان ذلك النبى لزم اثبات الشئ بنفسه وان كان غيره دار

قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب
قال أخبرنا بنى اسرائيل وكل هذه الاقوال تعود معانيها الى ما قلت فى معنى قوله وقضينا وان كان
الذى اخترنا من التأويل فيه أشبه بالصواب لاجماع القراء على قراءة قوله لتفسدن بالتاء دون الياء
ولو كان معنى الكلام وقضينا عليهم فى الكتاب لكانت القراءة بالياء أولى منها بالتاء ولكن معناه لما
كان أعلمناهم وأخبرناهم وقلنا لهم كانت التاء أشبه وأولى للمخاطبة وكان فساد بنى اسرائيل
فى الارض المرة الاولى ما حدثنى به هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن
السدى فى خبر ذكره عن أبى صالح وعن أبى مالك عن ابن عباس وعن مرة عن عبد الله أن الله
عهد الى بنى اسرائيل فى التوراة لتفسدن فى الارض مرتين فكان أول الفسادين قتل زكريا
فبعث الله عليهم ملك النبط وكان يدعى ضحابين فبعث الجنود وكانت أساورته من أهل فارس فهم
أولو بأس شديد فتحصنت بنو اسرائيل وخرج فيهم يختنصر يتيما مسكينا انما خرج يستطعم
ويلتقط حتى دخل المدينة فأتى مجالسهم فسمعهم يقولون لو يعلم عدونا ما قذف فى قلوبنا من الرعب
بنو بنا ما أرادوا قتالنا فخرج يختنصر حين سمع ذلك منهم واشتد القيام على الجيش فرجعوا وذلك
قول الله فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا
مفعولا ثم ان بنى اسرائيل تجهزوا فغزوا النبط فأصابوا منهم واستنقذوا ما فى أيديهم فذلك
قول الله ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا يقول عددا
حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد كان افسادهم الذى يفسدون فى الارض
مرتين قتل زكريا ويحيى بن زكريا سلط الله عليهم سابور ذا الاكتاف ملكا من ملوك فارس من
قتل زكريا وسلط عليهم يختنصر من قتل يحيى حدثنا عصام بن رواد بن الجراح قال ثنا
أبى قال ثنا سفيان بن سعيد الثورى قال ثنا منصور بن المعتمر عن ربعى بن حراش قال
سمعت حذيفة بن اليمان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بنى اسرائيل لما اعتدوا وعلوا
وقتلوا الانبياء بعث الله عليهم ملك فارس يختنصر وكان الله ملكه سبعمائة سنة فسار اليهم حتى دخل
بيت المقدس فحاصرها وفتحها وقتل على دم زكريا سبعين ألفا ثم سبى أهلها وبنى الانبياء وسلب حلى
بيت المقدس واستخرج منها سبعين ألفا ومائة ألف عجلة من حلى حتى أورده بابل قال حذيفة
فقلت يا رسول الله لقد كان بيت المقدس عظيما عند الله قال أجل بناه سليمن بن داود من ذهب ودر
وياقوت وزبرجد وكان بلاطه بلاطة من ذهب وبلاطة من فضة وعمده ذهبا أعطاه الله ذلك وسخر له
الشياطين يأتونه بهذه الاشياء فى طرفة عين فسار يختنصر بهذه الاشياء حتى نزل بها بابل فأقام
بنو اسرائيل فى يديه مائة سنة تعذبهم المجوس وأبناء المجوس فيهم الانبياء وأبناء الانبياء ثم ان الله
رحمهم فأوحى الى ملك من ملوك فارس يقال له كورس وكان مؤمنا أن سر الى بقايا بنى اسرائيل
حتى تستنقذهم فسار كورس ببنى اسرائيل وحلى بيت المقدس حتى رده اليه فأقام بنو اسرائيل
مطيعين لله مائة سنة ثم انهم عادوا فى المعاصى فسلط الله عليهم ابطيانحوس فغزا بابناء من غزا مع
يختنصر فغزا بنى اسرائيل حتى أتاهم بيت المقدس فسبى أهلها وأحرق بيت المقدس وقال لهم
يا بنى اسرائيل ان عدتم فى المعاصى عدنا عليكم بالسباء فعادوا فى المعاصى فسير الله عليهم السباء
الثالث ملك رومية يقاله قاقس بن اسبايوس فغزاهم فى البر والبحر فسباهم وسبى حلى بيت المقدس
وأحرق بيت المقدس بالنيران فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا من صنعة حلى بيت المقدس

أو تسلسل وبوجه آخر اذا أوجب
النبى بعض الافعال وحرم بعضها
فلا معنى لذلك الا ترتب العقاب على
الترك أو الفعل ثم انه يجب على
المكلف أن يحترز عن العقاب أو
لا يجب لا سبيل الى الثانى بالاتفاق
وعلى الاول يلزم الوجوب العقلى
والا لزم الدور أو التسلسل ثم ان
مذهب أهل السنة جواز العفو
عن عقاب الكبيرة فتكون ماهية
الوجوب حاصلة مع عدم العقاب
ولا ذم مع جواز العفو فلم يبق الا أن
ماهية الواجب انما تتقرر بسبب
حصول الخوف من العقاب ولا
يكون هذا الخوف الا محض العقل
فثبت أن الوجوب العقلى لا يمكن
دفعه فاما أن تجرى الآية على
ظاهرها ويقال العقل هو رسول
الله الى الخلق بل هو الرسول الذى
لولاه لما تقررت رسالة أحد من
الرسل ومجىء الانبياء كالتنبيه
على النظر وكالايقاظ من رقدة
الغفلة والحجة وان كانت لازمة لهم
قبل بعثة الرسل الا أنها بعد البعثة
ألزم واما أن يخصص عموم الآية
فيقال المراد وما كنا معذبين فى
الاعمال التى لا سبيل الى معرفة
وجوبها الا بالشرع الا بعد مجىء
الشرع ومما ارتضاه الامام فخر الدين
الرازى أن مجرد العقل سبب فى أنه
يجب علينا فعل ما ينتفع به وترك
ما يستضر به أما مجرد العقل فلا يدل
على أنه يجب على الله شئ وذلك أنا
مجبولون على طلب النفع والاحتراز
عن الضرر والله تعالى منزه عن ذلك
ولقائل أن يقول انه سبحانه منزه

عن الانتفاع والاستضرار الا أنه حكيم جواد فلم لا يقبح من الحكيم الجواد
ترك ما ينتفع به غيره وفعل ما يستضر به واذا قبح منه ذلك حسن منه ضده والحكيم لا يترك الأحسن فصدور ذلك الأحسن منه البتة هو

الذى لك أن تسميه وجوبا كما وصف به نفسه فى قوله كان على ربك حتما مقضيا ولكم من آية فى القرآن دالة على أن الفعل قد يصدر منه
صدورا لا يحتمل النقيض من ذلك قوله (واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها) للمفسرين فى معنى أمرنا قولان الاول أن

المراد به الامر الذى هو نقيض النهى
وعلى هذا اختلفوا فى المأمور به
فالأكثرون على أنه الطاعة والخير
وقال فى الكشاف معناه واذا دنا
وقت اهلاك قوم ولم يبق من زمان
امهالهم الا قليل أمرناهم بالفسق
ففسقوا ولما كان من أصول
الاعتزال أنه تعالى لا يأمر بالفحشاء
ذكر أن الامر بالفسق ههنا مجاز
ووجهه أنه صب عليهم النعمة صبا
فجعلوها ذريعة الى المعاصى واتباع
الشهوات فكان ايتاء النعمة سببا
لايثارهم الفسوق على الائتمار
فكأنهم مأمورون بذلك ثم انه
جعل تقدير أمرناهم بالطاعة
ففسقوا من قبيل التكاليف بعلم
الغيب ولم يجوز أن تكون من قبيل
أمرته فعصانى فانه يفهم منه أن
المأمور به طاعته ولكنه حكم بأنه
مثل أمرته فقام أو أمرته فقرأ فانه
لا يفهم منه الا أن المأمور به قيام أو
قراءة ولقائل أن يقول كما أن قوله
أمرته فعصانى يدل على أن المأمور
به شئ غير المعصية من حيث ان
المعصية منافية للامر ومناقضة له
فكذلك قوله أمرته ففسق يدل
على أن المأمور به شئ غير الفسق
لان الفسق عبارة عن الاتيان بضد
المأمور به فكونه فسقا ينافى كونه
مأمورا به كما أن كونها معصية ينافى
كونها مأمورا بها وهذا ظاهر فلا
أدرى لم أصر جار الله على قوله مع
ضعفه ومخالفته أصله القول الثانى
ان معنى أمرنا مترفيها أكثرنا فساقها
قال الواحدى تقول العرب أمر
القوم اذا كثروا وأمرهم الله اذا كثرهم وآمر هم أيضا المد واحتج أبو عبيدة على صحة
هذه اللغة بقوله صلى الله عليه وسلم خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة فالسكة النخيل المصطفة والمهرة المأمورة كثيرة النتاج وقد حمل

ويرده المهدى الى بيت المقدس وهو ألف سفينة وسبعمائة سفينة يرسى بها على يافا حتى تنقل
الى بيت المقدس وبها يجمع الله الاولين والآخرين حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال
ثنى ابن اسحق قال كان مما أنزل الله على موسى فى خبره عن بنى اسرائيل وفى احداثهم
ما هم فاعلون بعده فقال وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الارض مرتين ولتعلن
علوا كبيرا الى قوله وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا فكانت بنو اسرائيل وفيهم الاحداث
والذنوب وكان الله فى ذلك متجاوزا عنهم متعطفا عليهم محسنا اليهم فكان مما أنزل بهم فى ذنوبهم
ما كان قدم اليهم فى الخبر على لسان موسى مما أنزل بهم فى ذنوبهم فكان أول ما أنزل بهم من
تلك الوقائع أن ملكا منهم كان يدعى صديقة وكان الله اذا ملك الملك عليهم بعث نبيا يسدده
ويرشده ويكون فيما بينه وبين الله ويحدث اليه فى أمرهم لا ينزل عليهم الكتب انما يؤمرون
باتباع التوراة والاحكام التى فيها وينهونهم عن المعصية ويدعونهم الى ما تركوا من الطاعة
فلما ملك ذلك الملك بعث الله معه شعياء بن أمصيا وذلك قبل مبعث زكريا ويحيى وعيسى وشعياء
الذى بشر بعيسى ومحمد فملك ذلك الملك بنى اسرائيل وبيت المقدس زمانا فلما انقضى ملكه عظمت
فيهم الاحداث وشعياء معه بعث الله عليهم سنجاريب ملك بابل ومعه سبعمائة ألف راية فأقبل سائرا
حتى نزل بحو بيت المقدس والملك مريض فى ساقه قرحة فجاء النبى شعياء فقال له يا ملك بنى اسرائيل
ان سنجاريب ملك بابل قد نزل بك هو وجنوده سبعمائة ألف راية وقد هابهم الناس وفر قوا منهم
فكبر ذلك على الملك فقال يا نبى الله هل أتاك وحى من الله فيما حدث فتخبرنا به كيف يفعل الله بنا
وبسنجاريب وجنوده فقال له النبى عليه السلام لم يأتنى وحى أحدث الى فى شأنك فبيناهم على ذلك
أوحى الله الى شعياء النبى أن ائت ملك بنى اسرائيل فره أن يوصى وصيته ويستخلف على ملكه من
شاء من أهل بيته فأتى النبى شعياء ملك بنى اسرائيل صديقة فقال له ان ربك قد أوحى الى أن آمرك
أن توصى وصيتك وتستخلف من شئت على ملكك من أهل بيتك فانك ميت فلما قال ذلك شعياء
لصديقة أقبل على القبلة فصلى وسبح ودعا وبكى فقال وهو يبكى ويتضرع الى الله بقلب مخلص
وتوكل وصبر وصدق وظن صادق اللهم رب الارباب واله الآلهة قدوس المتقدسين يا رحمن يا رحيم
المترحم الرؤف الذى لا تأخذه سنة ولا نوم اذكرنى بعملى وفعلى وحسن قضائى على بنى اسرائيل
وذلك كله كان منك فأنت أعلم به من نفسى سرى وعلانيتى لك وان الرحمن استجاب له وكان عبدا
صالحا فأوحى الله الى شعياء أن يخبر صديقة الملك أن ربه قد استجاب له وقبل منه ورحمه وقد رأى
بكاءه وقد أخر أجله خمس عشرة سنة وأنجاه من عدوه سنجاريب ملك بابل وجنوده فأتى شعياء
النبى الى ذلك الملك فأخبره بذلك فلما قال له ذلك ذهب عنه الوجع وانقطع عنه الشر والحزن وخر
ساجدا وقال يا الهى واله آبائى لك سجدت وسبحت وكرمت وعظمت أنت الذى تعطى الملك من
تشاء وتنزعه ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء عالم الغيب والشهادة أنت الاول والآخر
والظاهر والباطن وأنت ترحم وتستجيب دعوة المضطرين أنت الذى أجبت دعوتى ورحمت
تضرعى فلما رفع رأسه أوحى الله الى شعياء أن قل للملك صديقة فيأمر عبدا من عبيده بالتينة
فيأتيه بعباء التين فيجعله على قرحته فيشفى ويصبح وقد برأ ففعل ذلك فشفى وقال الملك لشعياء
النبى سل ربك أن يجعل لنا علما بما هو صانع بعدونا هذا قال فقال الله لشعياء النبى قل له انى قد
كفيتك عدوك وأنجيتك منه وانهم سيصبحون موتى كلهم الا سنجاريب وخمسة من كتابه فلما

أصبحوا

بعضهم الحديث على الامر ضد النهى أى قال الله لها كونى كثيرة النسل فكانت وروى أن رجلا من المشركين قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انى أرى أمرك هذا حقيرا فقال صلى الله عليه وسلم انه سيأمر أى سيكثر وسيكبر والمترف فى اللغة المنعم الذى قد أبطرته النعمة وسعة العيش (ففسقوا فيها) خرجوا عما أمرهم الله (فحق عليها القول) استوجبت العذاب (فدمرناها تدميرا) أهلكناها على سبيل الاستئصال قالت الاشاعرة ظاهر الآية يدل على أنه تعالى أراد اهلاكهم ابتداء ثم توسل الى اهلاكهم بهذا الطريق ويؤيده قوله فحق عليها القول أى بالكفر ثم التعذيب وقال الكعبى ان سائر الآيات دلت على أنه تعالى لا يبتدئ بالتعذيب كقوله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وقوله ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم فتلك الآيات محكمة وهذه من المتشابهات فيجب حمل هذه على تلك قال فى التفسير الكبير أحسن الناس كلاما فى تأويل هذه الآية القفال فانه ذكر وجهين الاول أخبر الله أنه لا يعذب أحدا بما علمه منه ما لم يعمل به أى لا يجعل علمه حجة على من علم أنه ان أمره عصاه بل يأمره حتى يظهر عصيانه للناس فحينئذ يعاقبه ومعنى الآية واذا أردنا امضاء ما سبق من القضاء باهلاك قوم الثانى أن نقول واذا أردنا اهلاك قوم بسبب ظهور العصيان منهم لم نعاجلهم بالعذاب فى أول ظهور المعصية منهم بل أمرنا مترفيها بالرجوع عن تلك المعاصى وخص المترفين بذلك لان نعمة الله عليهم أكثر فكان الشكر عليهم أوجب فاذا لم يرجعوا وأصروا صب عليهم البلاء صبا وزعم الجبائى أن المراد بالارادة الدنو والمشارفة كقولك اذا أراد المريض أن يموت ازداد مرضه شدة واذا أراد التاجر أن يفتقر أتاه الخسران من كل جهة ليس المعنى أن المريض يريد أن يموت والتاجر يريد أن يفتقر وانما عنيت أنه سيصير الى ذلك فمعنى الآية واذا قرب وقت اهلاك قرية وقد نقلنا مثله عن صاحب الكشاف ولا يخفى

أصبحوا جاءهم صارخ ينبئهم فصرخ على باب المدينة يا ملك بنى اسرائيل ان الله قد كفاك عدوك فاخرج فان سنجاريب ومن معه قد هلكوا فلما خرج الملك التمس سنجاريب فلم يوجد فى الموتى فبعث الملك فى طلبه فأدركه الطلب فى مغارة وخمسة من كتابه أحدهم بختنصر فجعلوهم فى الجوامع ثم أتوا بهم ملك بنى اسرائيل فلما رآهم خر ساجدا من حين طلعت الشمس حتى كانت العصر ثم قال لسنجاريب كيف ترى فعل ربنا بكم ألم يقتلكم بحوله وقوته ونحن وأنتم غافلون فقال سنجاريب له قد أتانى خبر ربكم ونصره اياكم ورحمته التى رحمكم بها قبل أن أخرج من بلادى فلم أطع مرشدا ولم يلقنى فى الشقوة الا قلة عقلى ولو سمعت أو عقلت ما غرتكم ولكن الشقوة غلبت على وعلى من معى فقال ملك بنى اسرائيل الحمد لله رب العزة الذى كفانا كم بما شاء ان ربنا لم يبق منك ومن معك لكرامة بك عليه ولكنه انما أبقاك ومن معك لما هو شر لك لتزدادوا شقوة فى الدنيا وعذابا فى الآخرة ولتخبر وامن وراءكم بما لقيتم من فعل ربنا ولتنذروا من بعدكم ولولا ذلك ما أبقاكم فلدمك ودم من معك أهون على الله من دم قراد لو قتلته ثم ان ملك بنى اسرائيل أمر حرسه فقذف فى رقابهم الجوامع وطاف بهم سبعين يوما حول بيت المقدس ايليا وكان يرزقهم فى كل يوم خبزتين من شعير لكل رجل منهم فقال سنجاريب لملك بنى اسرائيل القتل خير مما يفعل بنا فافعل ما أمرت فنقل بهم الملك الى سجن القتل فأوحى الله الى شعياء النبى أن قل لملك بنى اسرائيل يرسل سنجاريب ومن معه لينذر وامن وراءهم وليكرمهم ويحملهم حتى يبلغوا بلادهم فبلغ النبى شعياء الملك ذلك ففعل فخرج سنجاريب ومن معه حتى قدموا بابل فلما قدموا اجتمع الناس فأخبرهم كيف فعل الله بجنوده فقال له كهانه وسحرته يا ملك بابل قد كنا نقص عليك خبر ربهم وخبر نبيهم ووحى الله الى نبيهم فلم تطعنا وهى أمة لا يستطيعها أحد من ربهم فكان أمر سنجاريب مما خوفوا ثم كفاهم الله تذكرة وعبرة ثم لبث سنجاريب بعد ذلك سبع سنين ثم مات حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما مات سنجاريب استخلف بختنصر ابن ابنه على ما كان عليه جده يعمل بعمله ويقضى بقضائه فلبث سبع عشرة سنة ثم قبض الله ملك بنى اسرائيل صديقة فخرج أمر بنى اسرائيل وتنافسوا الملك حتى قتل بعضهم بعضا عليه ونبيهم شعياء معهم لا يذعنون اليه ولا يقبلون منه فلما فعلوا ذلك قال الله فيما بلغنا لشعياء قم فى قومك أوح على لسانك فلما قام النبى أنطق الله لسانه بالوحى فقال يا سماء اسمعى ويا أرض أنصتى فان الله يريد أن يقص شأن بنى اسرائيل الذين رباهم بنعمته واصطفاهم لنفسه وخصهم بكرامته وفضلهم على عباده وفضلهم بالكرامة وهم كالغنم الضائعة التى لا راعى لها فآوى شاردتها وجمع ضالتها وجبر كسيرها وداوى مريضها وأسمن مهزولها وحفظ سمينها فلما فعل ذلك بطرت فتناطحت كباشها فقتل بعضها بعضا حتى لم يبق منها عظم صحيح يجبر اليه آخر كسير فويل لهذه الامة الخاطئة وويل لهؤلاء القوم الخاطئين الذين لا يدرون أين جاءهم الحين ان البعير ربما ذكر وطنه فينتابه وان الحمار ربما ذكر الآرى الذى شبع عليه فيراجعه وان الثور ربما ذكر المرج الذى سمن فيه فينتابه وان هؤلاء القوم لا يدرون من حيث جاءهم الحين وهم أولو الالباب والعقول ليسوا ببقر ولا حمير وانى ضارب لهم مثلا فليسمعوه قل لهم كيف ترون فى أرض كانت خواء زمانا خربة مواتا لا عمران فيها وكان لها رب حكيم قوى فأقبل عليها بالعمارة وكره أن تخرب أرضه وهو قوى أو يقال ضيع وهو حكيم فأحاط عليها جدارا وشيد فيها قصرا وأنبط فيها نهرا ووصف فيها غراسا من

أنه عدول عن الظاهر ثم ذكر عادته الجارية مع القرون الخالية فقال وكم (أهلكنا) فكم مفعول أهلكنا (ومن القرون) بيان لكم وتمييز أراد بهم عادا وثمود ونحوهما ثم خاطب رسوله بما هو ردع للناس كافة قائلا (وكفى بربك) الآية قال الفراء انما يجوز ادخال الباء فى المرفوع اذا كان يمدح به صاحبه أو يذم كقولك كفاك به وأكرم به رجلا وطاب بطعامك طعاما ولا يقال قام بأخيك وأنت تريد قام أخوك وفى الآية بشارة عظيمة لاهل الطاعة وانذار شديد لغيرهم لان العلم التام مع القدرة الكاملة والحكمة الشاملة يقتضى ايصال الجزاء الى كل أحد بقدر استحقاقه ثم أكد المعانى المذكورة من قوله وكل انسان ألزمناه طائره ومن قوله من اهتدى فانما يهتدى لنفسه بقوله (من كان يريد العاجلة) أى المنفعة أو الدار العاجلة (عجلنا له فيها) ثم قيد المعجل بقيدين أحدهما قوله ما نشاء ولهذا ترى كثيرا من هؤلاء يتمنون ما يتمنون ولا يعطون الا بعضا منه وثانيهما قوله (لمن نريد) وهو بدل من له بدل البعض من الكل لان الضمير يرجع الى من وهو للعموم ولهذا ترى كثيرا منهم يتمنون البعض اليسير من الدنيا ولا يؤتون فيجتمع عليهم فقر الدنيا وحرمان الآخرة بل عذابها لقوله (ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا) مطرودا من رحمة الله (ومن أراد الآخرة) بأن يعقد بها همته ويتجافى عن دار الغرور (وسعى لها سعيها) أى حق السعى لاجلها وذلك أن يكون العمل الذى يتوسل به الى الفوز بثواب الآخرة من جملة القرب والطاعات وعلى قوانين الشرع والعقل لا البدعة والهوى (وهو مؤمن) لان شيأ من صور الاعمال الصالحة لا يوجب الثواب الا بعد تقديم الايمان (فأولئك كان سعيهم مشكورا) قال العلماء الشكر عبارة عن مجموع أمور ثلاثة اعتقاد كونه محسنا فى تلك الاعمال والثناء عليه بالقول والاتيان بأفعال تدل على كونه معظما عند ذلك الشاكر والله سبحانه تعالى يعامل المطيعين

الزيتون والرمان والنخيل والاعناب وألوان الثمار كلها وولى ذلك واستحفظه فيما ذا رأى وهمة حفظا قويا أمينا وتأنى طلعها وانتظرها فلما أطلعت جاء طلعها خروبا قالوا بئست الارض هذه نرى أن يهدم جدرانها وقصرها ويدفن نهرها ويقبض قيمها ويحرق غراسها حتى تصير كما كانت أول مرة خربة مواتا لا عمران فيها قال الله لهم فان الجدار دمتى وان القصر شريعتى وان النهر كتابى وان القيم نبيى وان الغراس هم وان الخروب الذى أطلع الغراس أعمالهم الخبيثة والى قد قضيت عليهم قضاء هم على أنفسهم وانه مثل ضربه الله لهم يتقربون الى بذبح البقر والغنم وليس ينالنى اللحم ولا آكله ويدعون أن يتقربوا بالتقوى والكف عن ذبح الانفس التى حرمتها فأيديهم مخضوبة منها وثيابهم متزملة بدمائها يشيدون لى البيوت مساجد ويطهرون أجوافها وينجسون قلوبهم وأجسامهم ويدنسونها ويزوقون لى البيوت والمساجد ويزينونها ويخربون عقولهم وأحلامهم ويفسدونها فأى حاجة لى الى تشييد البيوت ولست أسكنها وأى حاجة الى تزويق المساجد ولست أدخلها انما أمرت برفعها لأذكر فيها وأسبح فيها ولتكون معلما لمن أراد أن يصلى فيها يقولون لو كان الله يقدر على أن يجمع ألفتنا لجمعها ولو كان الله يقدر على أن يفقه قلوبنا لأفقهها فاعمدا الى عودين يابسين ثم ائت بهما ناديهما فى أجمع ما يكونون فقل للعودين ان الله يأمركما أن تكونا عودا واحدا فلما قال لهما ذلك اختلطا فصارا واحدا فقال الله قل لهم انى قدرت على ألفة العيدان اليابسة وعلى أن أؤلف بينها فكيف لا أقدر على أن أجمع ألفتهم ان شئت أم كيف لا أقدر على أن أفقه قلوبهم وأنا الذى صورتها يقولون صنمنا فلم يرفع صيامنا وصلينا فلم تنور صلاتنا وتصدقنا فلم تزك صدقاتنا ودعونا مثل حنين الحمام وبكينا مثل عواء الذئب فى كل ذلك لا نسمع ولا يستجاب لنا قال الله فسلهم ما الذى يمنعنى أن أستجيب لهم ألست أسمع السامعين وأبصر الناظرين وأقرب المجيبين وأرحم الراحمين ألا أن ذات يدى قلت كيف ويداى مبسوطتان بالخير أنفق كيف أشاء ومفاتيح الخزائن عندى لا يفتحها ولا يغلقها غيرى ألا وان رحمتى وسعت كل شئ انما يتراحم المتراحمون بفضلها أولأن البخل يعترينى أولست أكرم الأكرمين والفتاح بالخيرات أجود من أعطى وأكرم من سئل لو أن هؤلاء القوم نظروا لأنفسهم بالحكمة التى نورت فى قلوبهم فنبذوها واشتروا بها الدنيا اذا لأبصروا من حيث أتوا واذا لأيقنوا أن أنفسهم هى أعدى العداة لهم فكيف أرفع صيامهم وهم يلبسونه بقول الزور ويتقوون عليه بطعمة الحرام وكيف أنور صلاتهم وقلوبهم صاغية الى من يحاربنى ويحادنى وينتهك محارمى أم كيف تزكو عندى صدقاتهم وهم يتصدقون بأموال غيرهم وانما أوجر عليها أهلها المغصوبين أم كيف أستجيب لهم دعاءهم وانما هو قول بألسنتهم والفعل من ذلك بعيد وانما أستجيب للداعى اللين وانما أسمع من قول المستضعف المسكين وان من علامة رضاى رضا المساكين فلو رحموا المساكين وقربوا الضعفاء وأنصفوا المظلوم ونصروا المغصوب وعدلوا للغائب وأدوا الى الارملة واليتيم والمسكين وكل ذى حق حقه ثم لو كان ينبغى أن أكلم البشر اذا لكلمتهم واذا لكنت نور أبصارهم وسمع آذانهم ومعقول قلوبهم واذا لدعمت أركانهم فكنت قوة أيديهم وأرجلهم واذا لثبت ألسنتهم وعقولهم يقولون لما سمعوا كلامى وبلغتهم رسالاتى أنها أقاويل منقولة وأحاديث متوارثة وتآليف مما تؤلف السحرة والكهنة وزعموا أنهم لو شاؤا أن يأتوا بحديث مثله فعلوا وأن يطلعوا على الغيب بما توحى اليهم الشياطين اطلعوا وكلهم يستخفى بالذى يقول ويسرهم يعلمون أنى أعلم غيب السموات والارض وأعلم

وأعلم ما يبدون وما يكتمون وانى قد قضيت يوم خلقت السموات والأرض قضاء أثبته على نفسى وجعلت دونه أجلا مؤجلا لا بد أنه واقع فان صدقوا بما ينتحلون من علم الغيب فليخبروا متى أنفذه أبى أى زمان يكون وان كانوا يقدرون على أن يأتوا بما يشاؤن فليأتوا بمثل القدرة التى بها أمضيت قاضى مظهره على الدين كله ولو كره المشركون وان كانوا يقدرون على أن يقولوا ما يشاؤن فليؤلفوا مثل الحكمة التى أدبر بها أمر ذلك القضاء ان كانوا صادقين فانى قد قضيت يوم خلقت السموات والارض أن أجعل النبوة فى الاجراء وأن أحول الملك فى الرعاء والعز فى الأذلاء والقوة فى الضعفاء والغنى فى الفقراء والثروة فى الأقلاء والمدائن فى الفلوات والآجام فى المفاوز والبردى فى الغيطان والعلم فى الجهلة والحكم فى الأميين فسلهم متى هذا ومن القائم بهذا وعلى يد من أسنه ومن أعوان هذا الامر وأنصاره ان كانوا يعلمون فانى باعث لذلك نبيا أميا ليس أعمى من عميان ولا ضالا من ضالين وليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا أسدده لكل جميل أهب له كل خلق كريم أجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل والمعروف سيرته والحق شريعته والهدى امامه والاسلام ملته وأحمد اسمه أهدى به بعد الضلالة وأعلم به بعد الجهالة وأرفع به بعد الخمالة وأشهر به بعد النكرة وأكثر به بعد القلة وأغنى به بعد العيلة وأجمع به بعد الفرقة وأؤلف به قلوبا مختلفة وأهواء متشتتة وأمما متفرقة وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر توحيدا لى وايمانا واخلاصا بى يصلون لى قياما وقعودا وركوعا وسجودا يقاتلون فى سبيلى صفوفا وزحوفا ويخرجون من ديارهم وأموالهم ابتغاء رضوانى ألهمهم التكبير والتوحيد والتسبيح والحمد والمدحة والتمجيد لى فى مساجدهم ومجالسهم ومضاجعهم ومتقلبهم ومثواهم يكبرون ويهللون ويقدسون على رؤس الأسواق ويطهرون لى الوجوه والاطراف ويعقدون الثياب فى الانصاف قربانهم دماؤهم وأناجيلهم صدورهم رهبان بالليل ليوث بالنهار ذلك فضلى أوتيه من أشاء وأنا ذو الفضل العظيم فلما فرغ نبيهم شعياء اليهم من مقالته عدوا عليه فيما بلغنى ليقتلوه فهرب منهم فلقيته شجرة فانفلقت فدخل فيها وأدركه الشيطان فأخذ بهدبة من ثوبه فأراهم اياها فوضعوا المنشار فى وسطها فنشروها حتى قطعوها وقطعوه فى وسطها * قال أبو جعفر فعلى القول الذى ذكرنا عن ابن عباس من رواية السدى وقول ابن زيد كان افسادبنى اسرائيل فى الارض المرة الاولى قتلهم زكريا نبى الله مع ما كان سلف منهم قبل ذلك وبعده الى أن بعث الله عليهم من أحل على يده بهم نقمته من معاصى الله وعتوهم على ربهم وأما على قول ابن اسحق الذى روينا عنه فكان افسادهم المرة الاولى ما وصف من قتلهم شعياء بن أمصيا نبى الله وذكر ابن اسحق أن بعض أهل العلم أخبره أن زكريا مات موتا ولم يقتل وأن المقتول انما هو شعياء وأن بختنصر هو الذى سلط على بنى اسرائيل فى المرة الاولى بعد قتلهم شعياء حدثنا بذلك ابن حميد عن سلمة عنه وأما افسادهم فى الارض المرة الآخرة فلا اختلاف بين أهل العلم أنه كان قتلهم يحيى بن زكريا وقد اختلفوا فى الذى سلطه الله عليهم منتقما به منهم عند ذلك وأنا ذاكر اختلافهم فى ذلك ان شاء الله وأما قوله ولتعلن علوا كبيرا فقد ذكرنا قول من قال يعنى به استكبارهم على الله بالجراءة عليه وخلافهم أمره وكان مجاهد يقول فى ذلك ما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولتعلن علوا كبيرا قال ولتعلن الناس

مذموما الا اذا كان غالبا فى ذلك ثابت القدم فسيح الامل ومريد الآخرة يكون محمودا بأدنى التفاتة بعد وجود الشرط قالت الاشاعرة ان مجموع القدرة مع الداعى هو الموجب للفعل ونحن نشكر الله على الايمان لانه أعطى القدرة والداعية ولكنه حين حصل الايمان للعبد واستتبع السعادات الباقية صار العبد أيضا مشكورا ولا منافاة بين الامرين وقالت المعتزلة نحن لا نشكر الله على الايمان لان المدح على عمل لم يعمله الممدوح قبيح قال تعالى ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا ولكنا نشكره على ما أعطانا من القدرة والعقل وانزال الكتب وايضاح الدلائل واعلم أنه تعالى ذكر صنفين من الناس قاصد خيرات الدنيا وقاصد خيرات الآخرة وههنا ثلاثة أقسام آخر الاول أن يكون طلب الآخرة فى عمله راجحا فقيل انه غير مقبول أيضا لما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال حكاية عن رب العزة أنا أغنى الاغنياء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه غيرى تركته وشركه وقيل يعارض المثل بالمثل ويبقى القدر الزائد داعية خالصة لطلب الآخرة فيقع فى حيز القبول الثانى أن يكون طلب الدنيا وطلب الآخرة متعادلين الثالث أن يكون طلب الدنيا راجحا واتفقوا على أن هذين القسمين أيضا لا يقبلان الا أنهما على كل حال خير من الرياء المحض ثم بين كمال رأفته وشمول رحمته فقال (كلا) أى كل واحد من الفريقين (نمد) أى نزيدهم من عطائنا على تلاحق من غير انقطاع بالمعصية وقوله (هؤلاء وهؤلاء) بدل من كل و (من عطاء ربك) متعلق بنمد (وما كان عطاء ربك محظورا) ممنوعا من المكلف بسبب عصيانه (أنظر) يا محمد أو يا من له أهلية النظر والاعتبار الى عطائنا المباح

هذه الامور الثلاثة لانه يعلم كونهم محسنين فى تلك الاعمال وأنه يثنى عليهم بكلامه ويعاملهم المعاملات الدالة على كونهم معظمين عند الله وفى قوله من كان يريد العاجلة دون أن يقول من أراد العاجلة كما قال ومن أراد الآخرة اشارة الى أن مريد نفع الدنيا لا يكون

للفريقين فى الدنيا (كيف فضلنا بعضهم على بعض) فأوصلناه الى مؤمن وقبضناه عن مؤمن آخر وأوصلناه الى كافر وقبضناه عن كافر آخر ليكون بعضهم تحت تسخير بعض (وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا) لأن نسبة التفاضل فى درجات الآخرة الى التفاضل فى درجات الدنيا كنسبة الآخرة الى الدنيا وقيل المراد ان المؤمنين يدخلون الجنة والكافرين يدخلون النار فيظهر فضل المؤمنين على الكافرين وعن بعضهم أيها المباهى بالرفع منك فى مجالس الدنيا أما ترغب فى المباهاة بالرفع فى مجالس الآخرة وهى أكبر وأفضل ۞ التأويل نزه نفسه بقوله سبحان عن الاتحاد الكلى ولكن أخبر عن مقام وصول حبيبه فقوله أسرى اشارة الى الجذبة الخفية عن الأغيار وقوله بعبده اشارة الى مقام تصحيح نسبة العبدية التى هى آخر مقامات السالكين وقوله ليلا رمز الى أن ذلك الجذب كاد يكون خفيا عن المجذوب اذا كان ذاهلا عن أنانيته وقوله من المسجد الحرام هو مقام يحرم فيه الالتفات الى ماسوى الله الى المسجد الاقصى هو مقام الفناء فى الله الذى باركنا حوله بالبقاء بالله لنريه من آياتنا التى لم تسمع أذن ولا أبصرت عين انه هو السميع البصير فلا يصل أحد اليه الا اذا سمع به وأبصر به هذا ما خطر ببال هذا الضعيف فى تأويل هذه الآية فان كان صوابا فمن فضل الله وعطائه والا فمنى ومن الشيطان فاسوا خلال الديار الجسدانية بالقتل وفك التركيب وخلال الديار المعنوية حين استولت الصفات الذميمة على الخصال الحميدة لتخريب بيت مقدس القلب ثم رددنا لكم الكرة عليهم باستيلاء داود القلب وقتل جالوت النفس وأمددناكم بأموال الطاعات وبنين الايمان والايقان فاذا جاء وعد الآخرة حين ارتد عن الطريقة ليسوؤا وجوه قلوبكم بحجب سوء أعمالكم وان عدتم الى الجهل عدنا الى الفضل أو ان عدتم الى الندم عدنا الى الكرم أو ان عدتم الى العبودية عدنا الى الربوبية أو ان

علوا كبيرا حدثنا الحرث قال ثنا الحسين قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله وأما قوله فاذا جاء وعد أولاهما يعنى فاذا جاء وعد أولى المرتين اللتين يفسدون بهما فى الارض كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فاذا جاء وعد أولاهما قال اذا جاء وعد أولى تينك المرتين اللتين قضينا الى بنى اسرائيل لتفسدن فى الارض مرتين وقوله بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا يعنى تعالى ذكره بقوله بعثنا عليكم وجهنا اليكم وأرسلنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد يقول ذوى بطش فى الحروب شديد وقوله فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا يقول فتردد وا بين الدور والمساكن وذهبوا وجاؤا يقال فيه جاس القوم بين الديار وحاسوا بمعنى واحد وجست أنا أجوس جوسا وجوسانا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك روى الخبر عن ابن عباس حدثنى على بن داود قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فجاسوا خلال الديار قال مشوا وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة يقول معنى جاسوا قتلوا و يستشهد لقوله ذلك ببيت حسان

ومنا الذى لاقى بسيف محمد * فجاس به الاعداء عرض العساكر

وجائز أن يكون معناه فجاسوا خلال الديار فقتلوهم ذاهبين وجائين فيصح التأويلان جميعا و يعنى بقوله وكان وعدا مفعولا وكان جوس القوم الذين نبعث عليهم خلال ديارهم وعدا من الله لهم مفعولا ذلك لامحالة لانه لايخلف الميعاد ثم اختلف أهل التأويل فى الذين عنى الله بقوله أولى بأس شديد وفيما كان من فعلهم فى المرة الاولى فى بنى اسرائيل حين بعثوا عليهم ومن الذين بعث عليهم فى المرة الآخرة وما كان من صنيعهم بهم فقال بعضهم كان الذى بعث الله عليهم فى المرة الاولى جالوت وهو من أهل الجزيرة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنا أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا قال بعث الله عليهم جالوت فجاس خلال ديارهم وضرب عليهم الخراج والذل فسألوا الله أن يبعث لهم ملكا يقاتلون فى سبيل الله فبعث الله طالوت فقاتلوا جالوت فنصر الله بنى اسرائيل وقتل جالوت بيدى داود ورجع الله الى بنى اسرائيل ملكهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا قضاء قضى الله على القوم كما تسمعون فبعث عليهم فى الاولى جالوت الجزرى فسبى وقتل وجاسوا خلال الديار كما قال الله ثم رجع القوم على دخن فيهم حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال أما المرة الاولى فسلط الله عليهم جالوت حتى بعث طالوت ومعه داود فقتله داود * وقال آخرون بل بعث عليهم فى المرة الاولى سنجاريب وقد ذكرنا بعض قائلى ذلك فيما مضى ونذكر ما حضرنا ذكره ممن لم نذكره قبل حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن أبى المعلى قال سمعت سعيد بن جبير يقول فى قوله بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد قال بعث الله تبارك وتعالى عليهم فى المرة الاولى سنجاريب من أهل أثور ونينوى فسألت سعيدا عنها فزعم أنها الموصل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال ثنى يعلى بن مسلم بن سعيد بن جبير أنه سمعه يقول كان رجل من بنى اسرائيل يقرأ حتى اذا بلغ

بعثنا

عدتم الى التقربات عدنا الى الجذبات وجعلنا ليل البشرية ونهار الروحانية فحونا آية الليل وهى قمر القلب فنى فيه نور العقل حين تطلع شمس شهود الحق وهى آية النهار فاذا طلع الصباح استغنى عن المصباح لتبتغوا فضلا (٢٣) من ربكم وهو تجلى ذاته وصفاته وقد اختص الانسان به من بين المخلوقات ولتعلموا أيام الطلب وحساب الترقى من مقام الى مقام وكل شئ يحتاج اليه السالك بيناه بالاشارات من كان يريد العاجلة فيه أن قلب الانسان بين اصبعى قهر الرحمن ولطفه وبحسب ذلك يحول وجهه الى الدنيا حتى يؤل أمره الى دركات البعد أو يحوله الى الآخرة حتى يصل الى درجات الوصال والله المستعان على ما تصفون ﴿ لا تجعل مع الله الها آخر فتقعد مذموما مخذولا وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه و بالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا ربكم أعلم بما فى نفوسكم ان تكونوا صالحين فانه كان للاوابين غفورا وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء و يقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل انه كان منصورا ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤلا وأوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد

بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد بكى وفاضت عيناه وطبق المصحف فقال ذلك ما شاء الله من الزمان ثم قال أى رب أرنى هذا الرجل الذى جعلت هلاك بنى اسرائيل على يديه فأرى فى المنام مسكينا ببابل يقال له بختنصر فانطلق بمال وأعبد له وكان رجلا موسرا فقيل له أين تريد قال أريد التجارة حتى نزل دار ببابل فاستكراها ليس فيها أحد غيره فجعل يدعو المساكين ويلطف بهم حتى لم يبق أحد فقال هل بقى مسكين غيركم قالوا نعم مسكين بفج آل فلان مريض يقال له بختنصر فقال لغلمته انطلقوا حتى أتاه فقال ما اسمك قال بختنصر فقال لغلمته احملوه فنقله اليه ومرضه حتى برأ فكساه وأعطاه نفقة ثم آذن الاسرائيلى بالرحيل فبكى بختنصر فقال الاسرائيلى ما يبكيك قال أبكى أنك فعلت بى ما فعلت ولا أجد شيأ أجزيك قال بلى شيأ يسيرا ان ملكت أعطنى فجعل الآخر يتبعه و يقول تستهزئ بى ولا يمنعه أن يعطيه ما سأله الا أنه يرى أنه يستهزئ به فبكى الاسرائيلى وقال لقد علمت ما يمنعك أن تعطينى ما سألتك الا أن الله يريد أن ينفذ ما قد قضاه وكتب فى كتابه ضرب الدهر ضربه قال صحورا وهو ملك فارس ببابل لو أنا بعثنا طليعة الى الشام قالوا وما ضرك لو فعلت قال فمن ترون قالوا فلان فبعث رجلا وأعطاه مائة ألف وخرج بختنصر فى مطبخه لا يخرج الا ليأكل فى مطبخه فلما قدم الشام ورأى صاحب الطليعة أكثر أرض الله فرسا ورجلا جلدا كبر ذلك فى روعه فلم يسأل قال فجعل بختنصر يجلس مجالس أهل الشام فيقول ما يمنعكم أن تغزوا بابل فلو غزوتموها دون بيت مالها شئ قالوا لا نحسن القتال قال فلو أنكم غزوتم قالوا انا لا نحسن القتال ولا نقاتل حتى أنفذ مجالس أهل الشام ثم رجعوا فأخبر الطليعة ملكهم بما رأى وجعل بختنصر يقول لفوارس الملك لو دعانى الملك لأخبرته غير ما أخبره فلان فرفع ذلك اليه فدعاه فأخبره الخبر وقال ان فلانا لما رأى أكثر أرض الله فرسا ورجلا جلدا كبر ذلك فى روعه ولم يسألهم عن شئ وانى لم أدع مجلسا بالشام الا جالست أهله فقلت لهم كذا وكذا وقالوا لى كذا وكذا الذى ذكر سعيد بن جبير أنه قال لهم قال الطليعة لبختنصر ان صحبتى لك مائة ألف وتنزع عما قلت قال لو أعطيتنى بيت مال بابل ما نزعت ضرب الدهر من ضربه فقال الملك لو بعثنا جريدة خيل الى الشام فان وجدوا مساغا ساغوا والا انثنوا ما قدروا عليه قالوا ما ضرك لو فعلت قال فمن ترون قالوا فلان قال بل الرجل الذى أخبرنى ما أخبرنى فدعا بختنصر وأرسله وانتخب معه أربعة آلاف من فرسانهم فانطلقوا فجاسوا خلال الديار فسبوا ما شاء الله ولم يخربوا ولم يقتلوا ورمى فى جنازة صحورا قالوا استخلفوا رجلا قالوا على رسلكم حتى تأتى أصحابكم فانهم فرسانكم لن ينقضوا عليكم شيأ أمهلوا فأمهلوا حتى جاء بختنصر بالسبى وما معه فقسمه فى الناس فقالوا ما رأينا أحدا أحق بالملك من هذا فملكوه **حدثنى** يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى سليمن ابن بلال عن يحيى بن سعيد قال سمعت سعيد بن المسيب يقول ظهر بختنصر على الشام فخرب بيت المقدس وقتلهم ثم أتى دمشق فوجد بها دما يغلى على كبا أى كناسة فسألهم ما هذا الدم قالوا أدركنا آباءنا على هذا وكلما ظهر عليه الكباظهر قال فقتل على ذلك الدم سبعين ألفا من المسلمين وغيرهم فسكن * وقال آخرون يعنى بذلك قوما من أهل فارس قالوا ولم يكن فى المرة الاولى قتال ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار قال من جاءهم من فارس يتجسسون أخبارهم و يسمعون حديثهم معهم بختنصر فوعى أحاديثهم من

كل أولئك كان عنه مسؤلا ولا تمش فى الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى فى جهنم ملوما مدحورا أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا انكم لتقولون قولا عظيما ۞ القراآت يبلغان مثنى حمزة وعلى وخلف أف بالجر والتنوين أبو جعفر ونافع وحفص أف بالفتح ابن كثير وابن ذكوان وابن عامر وسهل ويعقوب غير مجاهد والمفضل والباقون بالكسر تبصطها كل البصط مثل بصطة خطأ بفتحتين من غير مد يزيد وابن ذكوان غير ابن مجاهد خطأ بالفتح ثم السكون ابن مجاهد عن ابن ذكوان خطاء بالكسر والمد ابن كثير الباقون بالكسر ثم السكون فلا تسرف على الخطاب حمزة وعلى وخلف وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان بالقسطاس مكسور القاف حيث كان حمزة وعلى وخلف وعاصم غير أبى بكر وحماد والمفضل وقرأ أبو نشيط والشمونى غير النقاد بالصاد سيئه على اضافة شىء الى ضمير كل حمزة وعلى وخلف وعاصم وابن عامر وسهل الآخرون سيئة على التأنيث ۞ الوقوف مخذولا ○ احسانا ط كريما ○ صغيرا ○ ط فى نفوسكم ط غفورا ○ تبذيرا ○ الشياطين ط كفورا ○ ميسورا ○ محسورا ○ ويقدر ط بصيرا ○ املاق ط واياكم ط كبيرا ○ فاحشة ط سبيلا ○ الا بالحق ط لان الشرط فى أمر قد يقع نادرا خارجا عن النهى فى القتل ط منصورا ○ أشده ز بالعهد ج على تقدير فان مسؤلا ○ المستقيم ط تأويلا ○ به علم ط مسؤلا ○ مرحا ج لاحتمال اضمار الفاء أو اللام طولا ○ مكروها ○ الحكمة ط مدحورا ○ اناثا ط بقوله عظيما ○ ۞ التفسير لما أجل أعمال البر فى قوله وسعى لها سعيها وهو مؤمن أخذ فى تفصيل ذلك مبتدئا بأشرفها الذى هو التوحيد فقال

بين أصحابه ثم رجعت فارس ولم يكن قتال ونصرت عليهم بنو اسرائيل فهذا وعد الاولى حدثنى الحرث قال ثنا الحسين قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد جند جاءهم من فارس يتجسسون أخبارهم ثم ذكر نحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد قال ذلك أى من جاءهم من فارس ثم ذكر نحوه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا﴾ يقول تعالى ذكره ثم أدلنا كم يا بنى اسرائيل على هؤلاء القوم الذين وصفهم جل ثناؤه أنه يبعثهم عليهم وكانت تلك الادالة والكرة لهم عليهم فيما ذكر السدى فى خبره أن بنى اسرائيل غزوهم وأصابوا منهم واستنقذوا ما فى أيديهم منهم وفى قول آخرين اطلاق الملك الذى غزاهم ما فى يديه من أسراهم وردما كان أصاب من أموالهم عليهم من غير قتال وفى قول ابن عباس الذى رواه عطية عنه هى ادالة الله اياهم من عدوهم جالوت حتى قتله وقد ذكرنا كل ذلك بأسانيده فيما مضى وأمددناكم بأموال وبنين يقول وزدنا فيما أعطيناكم من الاموال والبنين وقوله وجعلناكم أكثر نفيرا يقول وصيرناكم أكثر عددا نفرا منهم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وجعلناكم أكثر نفيرا أى عددا وذلك فى زمن داود حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى وجعلناكم أكثر نفيرا يقول عددا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ثم رددنا لكم الكرة عليهم لبنى اسرائيل بعد أن كانت الهزيمة وانصرف الآخرون عنهم فجعلناهم أكثر نفيرا قال جعلناكم بعد هذا أكثر عددا حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ثم رددنا لكم الكرة عليهم ثم رددت الكرة لبنى اسرائيل حدثنى محمد بن سنان القزاز قال ثنا أبو عاصم عن سفيان فى قوله وأمددناكم بأموال وبنين قال أربعة آلاف ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا﴾ يقول تعالى ذكره لبنى اسرائيل فيما قضى اليهم فى التوراة ان أحسنتم يا بنى اسرائيل فأطعتم الله وأصلحتم أمركم ولزمتم أمره ونهيه أحسنتم وفعلتم ما فعلتم من ذلك لانفسكم لانكم انما تنفعون بفعلكم ما تفعلون من ذلك أنفسكم فى الدنيا والآخرة أما فى الدنيا فان الله يدفع عنكم من بغاكم سوأ ويبقى لكم أموالكم ويزيدكم الى قوتكم قوة وأما فى الآخرة فان الله تعالى يثيبكم به جنانه وان أسأتم يقول وان عصيتم الله وركبتم مانهاكم عنه حينئذ فالى أنفسكم تسؤن لانكم تسخطون بذلك على أنفسكم ربكم فيسلط عليكم فى الدنيا عدوكم ويمكن منكم من بغاكم سوأ ويخلدكم فى الآخرة فى العذاب المهين وقال جل ثناؤه وان أسأتم فلها والمعنى فاليها كما قال بأن ربك أوحى لها والمعنى أوحى اليها وقوله فاذا جاء وعد الآخرة يقول فاذا جاء وعد المرة الآخرة من مرتى افسادكم يا بنى اسرائيل فى الارض ليسوؤا وجوهكم يقول ليسوء مجىء ذلك الوعد للمرة الآخرة وجوهكم فيقبحها وقد اختلفت القراء فى قراءة قوله ليسوؤا وجوهكم فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والبصرة ليسوؤا وجوهكم بمعنى ليسوء العباد أولو البأس الشديد الذين يبعثهم الله عليكم وجوهكم واستشهد قارئو ذلك لصحة قراءتهم كذلك

لا تجعل مع الله الها آخر) والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم في الظاهر ولكنه في الحقيقة عام للمكلفين ويحسن أن يقال ان الخطاب للانسان كأنه قيل يا أيها الانسان لا تجعل أو القول مضمر أي قل لكل مكلف لا تجعل ومما يؤيد ذلك قوله وقضى ربك فان ذلك الخطاب لا يليق بالنبي صلى الله عليه وسلم لان أبويه ما بلغا الكبر عنده وانتصب قوله (فتقعد) على أنه جواب للنهي والفاء في التحقيق عاطفة والتقدير لا يكن منك جعل فقعود وفيه وجوه منها أن المراد به الملك يقال ما يصنع فلان فيقال هو قاعد بأسوأ حال أي ما كث سواء كان قائما أو جالسا ومنها أن من شأن المذموم المخذول أن يقعد نادما متفكرا على ما فرط منه فالقعود على هذا حقيقة ومنها أنه كناية عن عدم القدرة على تحصيل الخيرات فان السعي فيه انما يتأتى بالقيام والعجز عنه يلزمه أن يبقى قاعدا عن الطلب ومنها أنه بمعنى الصيرورة من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كأنها حربة بمعنى صارت ولا ريب أن المشرك جامع على نفسه الذم والخذلان لأنه بشركه يضيف بعض النعم الحاصلة في حقه من الله الى غيره فيستوجب الذم بالكفران ويستحق الخذلان من حيث انه لما فوض أمره الى الشريك المعدوم أو العاجز الناقص بقي بلا ناصر ومعين وأيضا الكمال في الوحدة والنقصان في الكثرة فمثبت الشريك واقع في جانب النقصان فيورثه الذم والخذلان ولما ذكر ما هو الركن الاعظم في الايمان أتبعه سائر الشعائر والشرائع فقال (وقضى ربك) أي أمر أمرا جازما وحكم حكما قطعا (ألا تعبدوا) أي بأن لا تعبدوا فأن ناصبة ويجوز أن تكون مفسرة والفعل نهي معناه أي لا تعبدوا

بقوله وليدخلوا المسجد وقالوا ذلك خبر عن الجميع فكذلك الواجب أن يكون قوله ليسوؤا وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة ليسوء وجوهكم على التوحيد وبالياء وقد يحتمل ذلك وجهين من التأويل أحدهما ما قد ذكرت والآخر منهما ليسوء الله وجوهكم فمن وجه تأويل ذلك الى ليسوء مجيء الوعد وجوهكم جعل جواب قوله فاذا محذوفا قد استغني بما ظهر عنه وذلك المحذوف جاء فيكون الكلام تأويله فاذا جاء وعد الآخرة ليسوء وجوهكم جاء ومن وجه تأويله الى ليسوء الله وجوهكم كان أيضا في الكلام محذوف قد استغني هنا عنه بما قد ظهر منه غير أن ذلك المحذوف سوى جاء فيكون معنى الكلام حينئذ فاذا جاء وعد الآخرة بعثناهم ليسوء الله وجوهكم فيكون المضمر بعثناهم وذلك جواب اذا حينئذ وقرأ ذلك بعض أهل العربية من الكوفيين لنسوء وجوهكم على وجه الخبر من الله تبارك وتعالى اسمه عن نفسه وكان مجيء وعد المرة الآخرة عند قتلهم يحيى ذكر الرواية بذلك والخبر عما جاءهم من عند الله حينئذ كما حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي في الحديث الذي ذكرنا اسناده قبل أن رجلا من بني اسرائيل رأى في النوم أن خراب بيت المقدس وهلاك بني اسرائيل على يدي غلام يتيم ابن أرملة من أهل بابل يدعى بختنصر وكانوا يصدقون فتصدق رؤياهم فأقبل فسأل عنه حتى نزل على أمه وهو يحتطب فلما جاء وعلى رأسه حزمة من حطب ألقاها ثم قعد في جانب البيت فضمه ثم أعطاه ثلاثة دراهم فقال اشتر لنا بها طعاما وشرابا فاشترى بدرهم لحما وبدرهم خبزا وبدرهم خمرا فأكلوا وشربوا حتى اذا كان اليوم الثاني فعل به ذلك حتى اذا كان اليوم الثالث فعل ذلك ثم قال له انى أحب أن تكتب لي أمانا ان أنت ملكت يوما من الدهر فقال أتسخر بي فقال انى لا أسخر بك ولكن ما عليك أن تتخذ بها عندي يدا فكلمته أمه فقالت وما عليك ان كان ذلك والا لم ينقصك شيأ فكتب له أمانا فقال له أرأيت ان جئت والناس حولك قد حالوا بيني وبينك فاجعل لي آية تعرفني بها قال ترفع صحيفتك على قصبة أعرفك بها فكساه وأعطاه ثم ان ملك بني اسرائيل كان يكرم يحيى بن زكريا ويدنى مجلسه ويشيره في أموره ولا يقطع أمرا دونه وانه هوى أن يتزوج ابنة امرأته فسأل يحيى عن ذلك فنهاه عن نكاحها وقال لست أرضاها لك فبلغ ذلك أمها فحقدت على يحيى حين نهاه أن يتزوج ابنتها فعمدت أم الجارية حين جلس الملك على شرابه فألبستها ثيابا رقاقا حمرا وطيبتها وألبستها من الحلي وقيل انها ألبستها فوق ذلك كساء أسود وأرسلتها الى الملك وأمرتها أن تسقيه وأن تعرض له نفسها فان أرادها على نفسها أبت عليه حتى يعطيها ما سألته فاذا أعطاها ذلك سألته أن يأتي برأس يحيى بن زكريا ففعلت ما أمرتها فسقته وتعرضت له نفسها فلما أخذ فيه الشراب أرادها على نفسها فقالت لا أفعل حتى تعطيني ما أسألك فقال ما الذي تسألينني قالت أسألك أن تبعث الى يحيى بن زكريا فأوتي برأسه في هذا الطست فقال ويحك سليني غير هذا فقالت له ما أريد أن أسألك الا هذا قال فلما ألحت عليه بعث اليه فأتي برأسه والرأس يتكلم حتى وضع بين يديه وهو يقول لا يحل لك ذلك فلما أصبح اذا دمه يغلي فأمر بتراب فألقي عليه فرقى الدم فوق التراب يغلي فألقي عليه التراب أيضا فارتفع الدم فوقه فلم يزل يلقى عليه التراب حتى بلغ سور المدينة وهو يغلي وبلغ صحابين فثار في الناس وأراد أن يبعث عليهم جيشا ويؤمر عليهم رجلا فأتاه بختنصر وكلمه وقال ان الذي كنت أرسلته تلك المرة ضعيف وانى قد دخلت المدينة وسمعت كلام أهلها فابعثني فبعثه فسار بختنصر حتى اذا بلغوا ذلك المكان تحصنوا منه في مدائنهم فلم يطقهم فلما اشتد عليهم

 وقد روى الضحاك وسعيد بن جبير وميمون بن مهران عن ابن عباس أنه كان الاصل في هذه الآية ووصى ربك وبه قرأ على وعبد الله فالتصقت الواو بالصاد فقرئ وقضى ربك ثم قال ولو كان على القضاء ما عصى الله أحد قط

لان خلاف قضاء الله ممتنع وضعف هذا القول بأنه يوجب تجويز وقوع التحريف والتصحيف فى القرآن أمر بعبادة نفسه ثم أردفه بالامر

ببر الوالدين وتقدير الكلام بأن تحسنوا بالوالدين أو وأحسنوا بالوالدين احسانا ولا يجوز أن يتعلق الباء فى بالوالدين بالاحسان
على ماذهب اليه الواحدى لان المصدر لا يتقدم عليه صلته وقدمر فى أوائل البقرة تفسير قوله وبالوالدين احسانا وأنه لم جعل الاحسان اليهما تاليا لعبادة الله يحكى أن واحدا من المتسمين بالحكمة كان يضرب أباه ويقول هو الذى أدخلنى فى عالم الكون والفساد وعرضنى للفقر والعمى والزمانة وقيل لابى العلاء المعرى ماذا نكتب على قبرك قال اكتبوا عليه

هذا جناه أبى على *
وما جنيت على أحد

وقال فى ترك التزوج والولد

وتركت فيهم نعمة العدم التى
سقت وصدت عن نعيم العاجل
ولو أنهم ولدوا لعانوا شدة
ترمى بهم فى موبقات الآجل

وقيل للاسكندر أستاذك أعظم منة عليك أم والدك فقال الاستاذ أعظم منة لانه تتحمل أنواع الشدائد والمحن عند تعلمى حتى أرتعنى فى نور العلم فأما الوالد فانه طلب تحصيل لذة الوقاع لنفسه فأخرجنى الى آفات عالم الكون والفساد ومن هنا قيل خير الآباء من علمك وقال العقلاء وهب أن الوالد فى أول الامر طلب لذة الوقاع الا أن اهتمامه بايصال الخيرات الى الولد ودفع الآفات عنه من أول دخول الولد فى الوجود الى أوان كبره بل الى آخر عمره لا ينكر ولا يكفر ولهذا نكر احسانا أى أحسنوا اليهما احسانا عظيما كاملا جزاء على وفور احسانهما اليك على أن البادئ بالبر لا يكافأ لانه أسبق منه ثم فصل طرفا من الاحسان المأمور به فقال (اما يبلغن) هى ان الشرطية زيدت عليها ما الابهامية لتأكيد معنى الشرط ثم أدخلت النون المشددة لزيادة التقرير والتأكيد كأنه قيل ان هذا الشرط مما سيقع البتة عادة فليكن هذا الجزاء

المقام وجاع أصحابه أرادوا الرجوع فخرجت اليهم عجوز من عجائز بنى اسرائيل فقالت أين أمير الجند فأتى بها اليه فقالت له انه بلغنى أنك تريد أن ترجع بجندك قبل أن تفتح هذه المدينة قال نعم قد طال مقامى وجاع أصحابى فلست أستطيع المقام فوق الذى كان منى فقالت أرأيت ان فتحت لك المدينة أتعطينى ما سألتك وتقتل من أمرتك بقتله وتكف اذا أمرتك أن تكف قال نعم قالت اذا أصبحت فاقسم جندك أربعة أرباع ثم أقم على كل زاوية ربع عاشم ارفعوا بأيديكم الى السماء فنادوا انا نستفتحك يا الله بدم يحيى بن زكريا فانها سوف تساقط ففعلوا فتساقطت المدينة ودخلوا من جوانبها فقالت له اقتل على هذا الدم حتى يسكن وانطلقت به الى دم يحيى وهو على تراب كثير فقتل عليه حتى سكن سبعين ألفا وامرأة فلما سكن الدم قالت له كف يدك فان الله تبارك وتعالى اذا قتل نبى لم يرض حتى يقتل من قتله ومن رضى قتله وأتاه صاحب الصحيفة بصحيفته فكف عنه وعن أهل بيته وخرب بيت المقدس وأمر به أن تطرح فيه الجيف وقال من طرح فيه جيفة فله جزيته تلك السنة وأعانه على خرابه الروم من أجل أن بنى اسرائيل قتلوا يحيى فلما خربه بختنصر ذهب معه بوجوه بنى اسرائيل وأشرافهم وذهب بدانيال وعليا وعزور ياوميشائيل هؤلاء كلهم من أولاد الانبياء وذهب معه برأس جالوت فلما قدم أرض بابل وجد صحابين قدمات فلك مكانه وكان أكرم الناس عليه دانيال وأصحابه فحسدهم المجوس على ذلك فوشوا بهم اليه وقالوا ان دانيال وأصحابه لا يعبدون الهك ولا يأكلون من ذبيحتك فدعاهم فسألهم فقالوا أجل ان لنا ربا نعبده ولسنا نأكل من ذبيحتكم فأمر بخدد فخدلهم فألقوا فيه وهم ستة وألقى معهم سبعا ضاريا ليأكلهم فقال انطلقوا فلنأكل ولنشرب فذهبوا فأكلوا وشربوا ثم راحوا فوجدوهم جلوسا والسبع مقترش ذراعيه بينهم ولم يخدش منهم أحدا ولم ينكأه شيأ ووجدوا معهم رجلا فعدوهم فوجدوهم سبعة فقالوا ما بال هذا السابع انما كانوا ستة فخرج اليهم السابع وكان ملكا من الملائكة فلطمه لطمة فصار فى الوحش فكان فيهم سبع سنين لا يراه وحشى الا أتاه حتى ينكحه يقتص منه ما كان يصنع بالرجال ثم انه رجع ورد الله عليه ملكه فكانوا أكرم خلق الله عليه ثم ان المجوس وشوا به ثانية فالقوا أسدا فى بئر قد ضرى فكانوا يلقون اليه الصخرة فيأخذها فألقوا اليه دانيال فقام الاسد فى جانب وقام دانيال فى جانب لا يعسه فأخرجوه وقد كان قبل ذلك خدلهم خدا فأوقد فيه نارا حتى اذا أججها قذفهم فيها فأطفأها الله عليهم ولم ينلهم منها شئ ثم ان بختنصر رأى بعد ذلك فى منامه صنما رأسه من ذهب وعنقه من شبه وصدره من حديد وبطنه أخلاط ذهب وفضة وقوارير ورجلاه من خزف فبينا هو قائم ينظر اذ جاءت صخرة من السماء من قبل القبلة فكسرت الصنم فجعلته هشيما فاستيقظ فزعا وأنسيها فدعا السحرة والكهنة فسألهم فقال أخبرونى عما رأيت فقالوا له لا بل أنت أخبرنا ما رأيت فنعبره لك قال لا أدرى قالوا له فهؤلاء الفتية الذين تكرمهم فادعهم فاسألهم فان هم لم يخبروك بما رأيت فما تصنع بهم قال أقتلهم فأرسل الى دانيال وأصحابه فدعاهم فقال لهم أخبرونى ما ذا رأيت فقال له دانيال بل أنت أخبرنا ما رأيت فنعبره لك قال لا أدرى قد نسيتها فقال له دانيال كيف نعلم رؤيا لم تخبرنا بها فأمر البواب أن يقتلهم فقال دانيال للبواب ان الملك انما أمر بقتلنا من أجل رؤياه فأخرنا ثلاثة أيام فان نحن أخبرنا الملك برؤياه والا فاضرب أعناقنا فأجلهم فدعوا الله فلما كان اليوم الثالث أبصر كل رجل منهم رؤيا بختنصر على حدة فأتوا البواب فأخبروه فدخل على الملك فأخبره فقال أدخلهم على وكان بختنصر

مرتبا عليه والافالتقرير والتأكيد ليس يليق بالشرط الذى مبناه على تردد الحكم وقال النحويون ان الشرط أشبه النهى من حيث الجزم
وعدم الثبوت فلهذا صح دخول النون المؤكدة فيه من قرأ الفعل على التوحيد فقوله (أحدهما أوكلاهما) فاعل له لكن

لا يعرف من رؤياه شيأ الا شيأ يذكرونه فقالوا له أنت رأيت كذا وكذا فقصوها عليه فقال صدقتم قالوا نحن نعبرها لك أما الصنم الذى رأيت رأسه من ذهب فانه ملك حسن مثل الذهب وكان قد ملك الارض كلها وأما العنق من الشبه فهو ملك ابنك بعدك يملك فيكون ملكه حسنا ولا يكون مثل الذهب وأما صدره الذى من حديد فهو ملك أهل فارس يملكون بعد ابنك فيكون ملكهم شديدا مثل الحديد وأما بطنه الاخلاط فانه يذهب ملك أهل فارس ويتنازع الناس الملك فى كل قرية حتى يكون الملك يملك اليوم واليومين والشهر والشهرين ثم يقتل فلا يكون للناس قوام على ذلك كما لم يكن للصنم قوام على رجلين من نحاس فبينما هم كذلك اذ بعث الله تعالى نبيا من أرض العرب فأظهره على بقية ملك أهل فارس وبقية ملك ابنك وملكك فدمره وأهله حتى لا يبقى منه شئ كما جاءت الصخرة فهدمت الصنم فعطف عليهم بختنصر فأحبهم ثم ان المجوس وثوابدانيال فقالوا ان دانيال اذا شرب الخمر لم يملك نفسه أن يبول وكان ذلك فيهم عارا فجعل لهم بختنصر طعاما فأكلوا وشربوا وقال للبواب انظر أول من يخرج عليك يبول فاضربه بالطبرزين وان قال أنا بختنصر فقل كذبت بختنصر أمرنى بحبس الله عن دانيال البول وكان أول من قام من القوم يريد البول بختنصر فقام مدلا وكان ذلك ليلا يسحب ثيابه فلما رآه البواب شد عليه فقال أنا بختنصر فقال كذبت بختنصر أمرنى أن أقتل أول من يخرج فضربه فقتله **حدثنى** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن أبى المعلى قال سمعت سعيد بن جبير قال بعث الله عليهم فى المرة الاولى سنجاريب قال فردالله لهم الكرة عليهم كما قال قال ثم عصوا ربهم وعادوا لما نهوا عنه فبعث عليهم فى المرة الآخرة بختنصر فقتل المقاتلة وسبى الذرية وأخذ ما وجد من الاموال ودخلوا بيت المقدس كما قال الله عز وجل وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا دخلوه فتبروه وخربوه وألقوا فيه ما استطاعوا من العذرة والحيض والجيف والقذر فقال الله عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا فرجعهم فردا اليهم ملكهم وخلص من كان فى أيديهم من ذرية بنى اسرائيل وقال لهم ان عدتم عدنا فقال أبو المعلى ولا أعلم ذلك الا من هذا الحديث ولم يعدهم الرجعة الى ملكهم **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فاذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم قال بعث ملك فارس ببابل جيشا وأمر عليهم بختنصر فأتوا بنى اسرائيل فدمروهم فكانت هذه الآخرة ووعدها **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال ثنى يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير قال لما ضرب لبختنصر الملك بجرانه قال ثلاثة فمن استأخر منكم بعدها فليمش الى خشبته فغزا الشام لذلك حين قتل وأخرب بيت المقدس ونزع حليته فجعلها آنية ليشرب فيها الخمور وخوانا يأكل عليه الخنازير وحمل التوراة معه ثم ألقاها فى النار وقدم فيما قدم به مائة وصيف منهم دانيال وعزريا وحنانيا ومشائيل فقال لانسان أصلح لى أجسام هؤلاء لعلى أختار منهم أربعة يخدمونني فقال دانيال لأصحابه انما نصر واعليكم بما غيرتم من دين آبائكم لا تأكلوا لحم الخنزير ولا تشربوا الخمر فقالوا للذى يصلح أجسامهم هل لك أن تطعمنا طعاما هو أهون عليك فى المؤنة مما تطعم أصحابنا فانا نسمن قبلهم رأيت رأيك قال ماذا قال خبز الشعير والكراث ففعل فسمنوا قبل أصحابهم

شيطان لبطان وحيث بيث وخبيث نبيث وروى ثعلب عن ابن الاعرابى أن الاف الضجر وقال القتيبى أصله أنه اذا سقط عليه تراب ونحوه نفخ فيه ليزيله فالصوت الحاصل عند تلك النفخة هو قول القائل أف ثم توسعوا فذكروه عند كل مكروه يصل اليهم وقال الزجاج معناه التنحى وبه

لا يعرف من رؤياه شيأ الا شيأ يذكرونه فقالوا له أنت رأيت كذا وكذا فقصوها عليه فقال صدقتم قالوا نحن نعبرها لك أما الصنم الذى رأيت رأسه من ذهب فانه ملك حسن مثل الذهب وكان قد ملك الارض كلها وأما العنق من الشبه فهو ملك ابنك بعدك يملك فيكون ملكه حسنا ولا يكون مثل الذهب وأما صدره الذى من حديد فهو ملك أهل فارس يملكون بعد ابنك فيكون ملكهم شديدا مثل الحديد وأما بطنه الاخلاط فانه يذهب ملك أهل فارس ويتنازع الناس الملك فى كل قرية حتى يكون الملك يملك اليوم واليومين والشهر والشهرين ثم يقتل فلا يكون للناس قوام على ذلك كما لم يكن للصنم قوام على رجلين من نحاس فبينما هم كذلك اذ بعث الله تعالى نبيا من أرض العرب فأظهره على بقية ملك أهل فارس وبقية ملك ابنك وملكك فدمره وأهله حتى لا يبقى منه شئ كما جاءت الصخرة فهدمت الصنم فعطف عليهم بختنصر فأحبهم ثم ان المجوس وثوابدانيال فقالوا ان دانيال اذا شرب الخمر لم يملك نفسه أن يبول وكان ذلك فيهم عارا فجعل لهم بختنصر طعاما فأكلوا وشربوا وقال للبواب انظر أول من يخرج عليك يبول فاضربه بالطبرزين وان قال أنا بختنصر فقل كذبت بختنصر أمرنى بحبس الله عن دانيال البول وكان أول من قام من القوم يريد البول بختنصر فقام مدلا وكان ذلك ليلا يسحب ثيابه فلما رآه البواب شد عليه فقال أنا بختنصر فقال كذبت بختنصر أمرنى أن أقتل أول من يخرج فضربه فقتله **حدثنى** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن أبى المعلى قال سمعت سعيد بن جبير قال بعث الله عليهم فى المرة الاولى سنجاريب قال فردالله لهم الكرة عليهم كما قال قال ثم عصوا ربهم وعادوا لما نهوا عنه فبعث عليهم فى المرة الآخرة بختنصر فقتل المقاتلة وسبى الذرية وأخذ ما وجد من الاموال ودخلوا بيت المقدس كما قال الله عز وجل وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا دخلوه فتبروه وخربوه وألقوا فيه ما استطاعوا من العذرة والحيض والجيف والقذر فقال الله عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا فرجعهم فردا اليهم ملكهم وخلص من كان فى أيديهم من ذرية بنى اسرائيل وقال لهم ان عدتم عدنا فقال أبو المعلى ولا أعلم ذلك الا من هذا الحديث ولم يعدهم الرجعة الى ملكهم **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فاذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم قال بعث ملك فارس ببابل جيشا وأمر عليهم بختنصر فأتوا بنى اسرائيل فدمروهم فكانت هذه الآخرة ووعدها **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال ثنى يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير قال لما ضرب لبختنصر الملك بجرانه قال ثلاثة فمن استأخر منكم بعدها فليمش الى خشبته فغزا الشام لذلك حين قتل وأخرب بيت المقدس ونزع حليته فجعلها آنية ليشرب فيها الخمور وخوانا يأكل عليه الخنازير وحمل التوراة معه ثم ألقاها فى النار وقدم فيما قدم به مائة وصيف منهم دانيال وعزريا وحنانيا ومشائيل فقال لانسان أصلح لى أجسام هؤلاء لعلى أختار منهم أربعة يخدمونني فقال دانيال لأصحابه انما نصر واعليكم بما غيرتم من دين آبائكم لا تأكلوا لحم الخنزير ولا تشربوا الخمر فقالوا للذى يصلح أجسامهم هل لك أن تطعمنا طعاما هو أهون عليك فى المؤنة مما تطعم أصحابنا فانا نسمن قبلهم رأيت رأيك قال ماذا قال خبز الشعير والكراث ففعل فسمنوا قبل أصحابهم

(أحدهما أوكلاهما) فاعل له لكن الاول بالاستقلال والثانى بتبعية العطف ومن قرأ على التثنية فأحدهما بدل من ألف الضمير الراجع الى الوالدين وكلاهما عطف على البدل فهو بدل مثله ولا يصح أن يكون توكيدا للضمير معطوفا على البدل لاستلزام العطف المشاركة دون المباينة وكلاهما مفرد لفظا مثنى معنى وألفه عن واو عند الكوفيين وأصله كل المفيد للاحاطة خفف بحذف احدى اللامين وزيد ألف التثنية ليعرف أن المراد الاحاطة فى المثنى لا فى الجمع وضعف بأنه لو كان كذلك لوجب أن يقال فى الخفض والنصب مررت بكلى الرجلين بكسر الياء كقوله طرفى النهار ياصاحبى السجن قال فى الكشاف معنى عندك هو أن يكبرا ويعجزا وكانا كلا على ولدهما لا كافل لهما غيره فهما عنده فى بيته وكنفه * وفى أف لغات ضم الهمزة مع الحركات فى الفاء الثلاث بالتنوين وبدونه واف بكسرتين بلا تنوين وأفى كمالا كبشرى وأف كحذوأفة منونة وغير منونة وقد تتبع المنونة تفة فيقال افة وتفة وهى من أسماء الافعال وفى تفسيرها وجوه قال الفراء تقول العرب فلان يتأفف من ريح وجدها أى يقول أف أف وقال الاصمعى الأف وسخ الاذن والتف وسخ الاظفار يقال ذلك عند استقذار الشئ ثم كثر حتى استعملوه فى كل ما يتأذون به وقيل معنى أف القلة من الافيف وهو الشئ القليل وتف اتباع له نحو

فسر مجاهد الآية أي لا تتقذرهما كما أنهما لم يتقذرا لك حين كنت تخرأ وتبول وفي رواية أخرى عن مجاهد اذا وجدت منهما رائحة تؤذيك فلا تقل لهما أف أي لا تقل تضجرت أو أتضجر قال بعض الاصوليين منع التأفيف يدل على المنع من سائر أنواع الاذية دلالة لفظية

ومعنى الآية لا تتعرض لهما بنوع من أنواع الايذاء والايحاش كما أن قولك لا علمك فلان نقيرا ولا قطميرا يدل في العرف على أنه لا علمك شيأ أصلا وقال الأكثرون منهم ان الشرع اذا نص على حكم صورة وسكت عن صورة أخرى فاذا أردنا الحاق المسكوت عنها بالمنصوص عليها فاما أن يكون الحكم في محل السكوت أخفى من الحكم في محل الذكر وهو أكثر القياسات وإما أن يتساويا كقوله صلى الله عليه وسلم من أعتق نصيبا من عبد حرم عليه الباقي فان الحكم في الامة والعبد يتساويان واما أن يكون الحكم في محل المسكوت أظهر وهو القياس الجلي ومثاله المنع من التأفيف فانه مغاير للمنع من الضرب عقلا لان الملك الكبير اذا أخذ ملكا آخر عدو له فقد يقول للجلاد اياك وأن تستخف به أو تشافهه بكلمة موحشة لكن اضرب رقبته فهذا معقول في الجملة الا أن قرينة تعظيم الوالدين صيره من باب الاستدلال بالأدنى على الاعلى فدل على المنع من جميع أنواع الايذاء ثم أكد هذا المعنى بقوله (ولا تنهرهما) والنهر والنهي اخوان يقال نهره وانتهره اذا استقبله بكلام يزجره (وقل لهما) بدل التأفيف والنهر (قولا كريما) جميلا مشتملا على حسن الأدب ورعاية دقائق المروءة والحياء والاحتشام وقال عمر بن الخطاب القول الكريم أن يقول له يا أبتاه يا أماه دون أن يسميهما باسمهما وقول ابراهيم لابيه آزر بالضم على النداء تقديم لحق الله على حق الأبوين قالوا ولا بأس به في الغيبة كما قالت عائشة نحلني أبو بكر كذا وسئل سعيد بن المسيب عن القول الكريم فقال هو قول العبد المذنب للسيد الفظ (واخفض لهما جناح الذل) ذكر يقال

فأخذهم بختنصر يخدمونه فبينما هم كذلك اذ رأى بختنصر رؤيا فلس فنسيها فعاد فرقد فرآها فقام فنسيها ثم عاد فرقد فرآها فخرج الى الحجرة فنسيها فلما أصبح دعا العلماء والكهان فقال أخبروني بما رأيت البارحة وأولوا لي رؤياي والا فليمش كل رجل منكم الى خشبته موعدكم ثالثة فقالوا هذا لو أخبرناك برؤياه وذكر كلاما لم أحفظه قال وجعل دانيال كلما مر به أحد من قرابته يقول لو دعاني الملك لأخبرته برؤياه ولأولتها له قال فجعلوا يقولون ما أحمق هذا الغلام الاسرائيلي الى أن مر به كهل فقال له ذلك فرجع اليه فأخبره فدعاه فقال ما ذا رأيت قال رأيت كذا وكذا قال أيه قال ورأسه من ذهب قال أيه قال وعنقه من فضة قال أيه قال وصدره من حديد قال أيه قال وبطنه من صفر قال أيه قال ورجلاه من آنك قال أيه قال وقدماه من خزف قال هذا الذي رأيت قال أيه قال فجاءت حصاة فوقعت في رأسه ثم في عنقه ثم في صدره ثم في بطنه ثم في رجليه ثم في قدميه قال فأهلكته قال فما هذا قال أما الذهب فانه ملكك وأما الفضة فملك ابنك من بعدك ثم ملك ابن ابنك قال وأما الفخار فملك النساء فكساه جبة (٣) ترتون وسوره وطاف به في القرية وأجاز خاتمه فلما رأت ذلك فارس قالوا اما الامر الا أمر هذا الاسرائيلي فقالوا ائتوه من نحو الفتية الثلاثة ولا تذكروا له دانيال فانه لا يصدقكم عليه فأتوه فقالوا ان هؤلاء الفتية الثلاثة ليسوا على دينك وآية ذلك أنك ان قربت اليهم لحم الخنزير والخمر لم يأكلوا ولم يشربوا فأمر بحطب كثير فوضع ثم أرقاهم عليه ثم أوقد فيه نارا ثم خرج من آخر الليل يبول فاذا هم يتحدثون واذا معهم رابع يروح عليهم يصلي قال من هذا يا دانيال قال هذا جبريل انك ظلمتهم قال ظلمتهم مربهم ينزلوا فأمر بهم فنزلوا قال ومسخ الله تعالى بختنصر من الدواب كلها فجعل من كل صنف من الدواب رأسه رأس سبع من السباع الأسد ومن الطير النسر وملك ابنه فرأى كفا خرجت بين لوحين ثم كتبت سطرين فدعا الكهان والعلماء فلم يجدوا لهم في ذلك علما فقالت له أمه انك لو أعدت الى دانيال منزلته التي كانت له من أبيك أخبرك وكان قد جفاه فدعاه فقال اني معيد اليك منزلتك من أبي فأخبرني ما هذان السطران قال أما تعيد الى منزلتي من أبيك فلا حاجة لي بها وأما هذان السطران فانك تقتل الليلة فأخرج من في القصر أجمعين وأمر بقفله فأقفلت الابواب عليه وأدخل معه آمن أهل القرية في نفسه معه سيف فقال من جاءك من خلق الله فاقتله وان قال أنا فلان وبعث الله عليه البطن فجعل يمشي حتى كان شطر الليل فرقد ورقد صاحبه ثم نبهه البطن فذهب يمشي والآخر نائم فرجع فاستيقظ به فقال له أنا فلان فضربه بالسيف فقتله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة آخر العقوبتين ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة كما دخله عدوهم قبل ذلك وليتبروا ما علوا تتبيرا فبعث الله عليهم في الآخرة بختنصر المجوسي البابلي أبغض خلق الله اليه فسبا وقتل وخرب بيت المقدس وساءهم سوء العذاب **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال فاذا جاء وعد الآخرة من المرتين ليسوؤا وجوهكم قال ليقبحوا وجوهكم وليتبروا ما علوا تتبيرا قال يدمروا ما علوا تدميرا قال هو بختنصر بعثه الله عليهم في المرة الآخرة **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال فلما أفسدوا بعث الله عليهم في المرة الآخرة بختنصر فخرب المساجد وتبر ما علوا تتبيرا **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني ابن اسحق قال فيما بلغني استخلف الله على بني اسرائيل بعد ذلك يعني بعد قتلهم شعياء رجلا منهم

يقال له ناشة بن أموص فبعث الله الخضر نبيا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قد بلغني يقول انما سمي الخضر خضرا لأنه جلس على فروة بيضاء فقام عنها وهي تهتز خضراء قال واسم الخضر فيما كان وهب بن منبه يزعم عن بني اسرائيل أرميا بن حلقيا وكان من سبط هرون بن عمران حدثني محمد بن سهل بن عسكر ومحمد بن عبد الملك بن زنجويه قالا ثنا اسمعيل بن عبد الكريم قال ثنا ابن عبد الصمد بن معقل عن وهب بن منبه وحدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن لا يتهم عن وهب بن منبه اليماني واللفظ لحديث ابن حميد أنه كان يقول قال الله تبارك وتعالى لأرميا حين بعثه نبيا الى بني اسرائيل يا أرميا من قبل أن أخلقك اخترتك ومن قبل أن أصورك في بطن أمك قدستك ومن قبل أن أخرجك من بطن أمك طهرتك ومن قبل أن تبلغ السعي نبأتك ومن قبل أن تبلغ الأشد اخترتك ولأمر عظيم اخترتك فبعث الله أرميا الى ذلك الملك من بني اسرائيل يسدده ويرشده ويأتيه بالخبر من الله فيما بينه وبين الله قال ثم عظمت الأحداث في بني اسرائيل وركبوا المعاصي واستحلوا المحارم ونسوا ما كان الله تعالى صنع بهم وما نجاهم من عدوهم سنجاريب وجنوده فأوحى الله الى أرمياء أن ائت قومك من بني اسرائيل واقصص عليهم ما أمرك به وذكرهم نعمتي عليهم وعرفهم أحداثهم فقال أرمياء اني ضعيف ان لم تقوني وعاجز ان لم تبلغني ومخطئ ان لم تسددني ومخذول ان لم تنصرني وذليل ان لم تعزني قال الله تبارك وتعالى أولم تعلم أن الامور كلها تصدر عن مشيتي وأن القلوب كلها والألسنة بيدي أقلبها كيف شئت فتطيعني واني أنا الله الذي لا شيء مثلي قامت السموات والارض وما فيهن بكلمتي وأنا كلمت البحار ففهمت قولي وأمرتها فعقلت أمري وحددت عليها بالبطحاء فلا تعدي حدي تأتي بأمواج كالجبال حتى اذا بلغت حدي ألبستها مذلة طاعتي خوفا واعترافا لأمري اني معك ولن يصل اليك شيء معي واني بعثتك الى خلق عظيم من خلقي لتبلغهم رسالاتي ولتستحق بذلك مثل أجر من تبعك منهم لا ينقص ذلك من أجورهم شيأ وان تقصر عنها فلك مثل وزر من ترك في عماه لا ينقص ذلك من أوزارهم شيأ انطلق الى قومك فقل ان الله ذكركم صلاح آبائكم فحمله ذلك على أن يستنبيكم يا معشر الابناء وسلهم كيف وجد آباؤهم مغبة طاعتي وكيف وجدوا هم مغبة معصيتي وهل علموا أن أحدا قبلهم أطاعني فشقي بطاعتي أو عصاني فسعد بمعصيتي فان الدواب مما تذكر أوطانها الصالحة فتنتابها وان هؤلاء القوم قد رتعوا في مروج الهلكة أما أحبارهم ورهبانهم فاتخذوا عبادي خولا ليعبدوهم دوني وتحكموا فيهم بغير كتابي حتى أجهلوهم أمري وأنسوهم ذكري وغروهم مني أما أمراؤهم وقادتهم فبطروا نعمتي وأمنوا مكري ونبذوا كتابي ونسوا عهدي وغيروا سنتي فاذان لهم عبادي بالطاعة التي لا تنبغي الا لي فهم يطيعونهم في معصيتي ويتابعونهم على البدع التي يبتدعون في ديني جراءة علي وغرة وفرية علي وعلى رسلي فسبحان جلالي وعلو مكاني وعظم شأني فهل ينبغي لبشر أن يطاع في معصيتي وهل ينبغي لي أن أخلق عبادا أجعلهم أربابا من دوني وأما قراؤهم وفقهاؤهم فيتعبدون في المساجد ويتزينون بعمارتها لغيري لطلب الدنيا بالدين ويتفقهون فيها لغير العلم ويعملون فيها لغير العمل وأما أولاد الانبياء فكفورون مقهورون مغرورون يخوضون مع الخائضين ويتمنون علي مثل نصرة آبائهم والكرامة التي أكرمتهم بها ويزعمون أن لا أحد أولى بذلك منهم مني بغير صدق ولا تفكر ولا تدبر ولا يذكرون كيف كان صبر آبائهم لي وكيف كان جدهم في أمري حين غير المغيرون وكيف بذلوا أنفسهم ودماءهم فصبروا وصدقوا حتى عز أمري وظهر ديني فتأنيت

الفصال في معنى خفض الجناح وجهين الاول أن الطائر اذا أراد ضم فرخه اليه للتربية خفض له جناحيه فلهذا صار خفض الجناح كناية عن حسن التدبير فكأنه قال للوالد اكفل للولد اكفل والديك بأن تضمهما الى نفسك كما فعلا ذلك في حال صغرك والثاني أن الطائر اذا أراد الطيران والارتفاع نشر جناحه واذا أراد النزول خفض جناحه فصار خفض الجناح كناية عن فعل التواضع وترك الارتفاع وفي اضافة الجناح الى الذل وجهان الاول أنها كاضافة حاتم الى الجود في قولك حاتم الجود فالاصل فيه الجناح الذليل أو الذلول والثاني سلوك سبيل الاستعارة كأنه تخيل للذل جناحا ثم أثبت لذلك الجناح خفضا كقول لبيد * اذا أصبحت بيد الشمال زمامها * فأثبت للشمال يدا ثم وضع زمام الريح في يد الشمال وقوله (من الرحمة) في من معنى التعليل أي من أجل فرط الشفقة والعطف عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم الى من كان أفقر خلق الله اليهما بالامس ولا تكتف برحمتك التي لا دوام لها (و) لكن (قل رب ارحمهما كما ربياني) ليس المراد رحمة مثل رحمتهما علي وأما الكاف فلاقتران الشيئين في الوجود أي كما وقع تلك فلتقع هذه والتربية التنمية ربا الشيء اذا انتفخ وزاد قال بعض المفسرين هذه الآية منسوخة بقوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين وقيل مخصوصة لان التخصيص أولى من النسخ وقيل لا نسخ ولا تخصيص لان الوالدين اذا كانا كافرين فله أن يدعو الله لهما بالهداية والارشاد وأن يطلب الرحمة لهما بعد حصول الايمان ثم ان ظاهر الامر للوجوب من غير تكرار فيكفي في العمر مرة واحدة رب ارحمهما وسئل سفيان

هل يدعو الانسان لوالديه أفي كل يوم مرة أو في كل شهر أو في كل سنة فقال نرجو أن يجزيه اذا دعا لهما في أواخر التشهدات كما أن الله تعالى قال يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وكانوا يرون الصلاة عليه في التشهد وكما قال الله تعالى واذكروا الله في أيام معدودات فهم يذكرون في أدبار

الصلاة قلت و يشبه أن يدعولهما أيضا كلما ذكرهما أو ذكر شيأ من انعامهما وسئل أيضا عن الصدقة عن الميت فقال كل ذلك واصل اليه ولا شئ أنفع له من الاستغفار ولو كان شئ أفضل منه لامركم به فى الابوين وعن النبى صلى الله عليه وسلم رضا الله فى رضا الوالدين وسخطه فى سخطهما وروى سعيد ابن المسيب أن البار لا يموت ميتة سوء وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان أبوى بلغا من الكبر أنى ألى منهما ما ولياني فى الصغر فهل قضيتهما حقهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وأنت تفعل ذلك وتريد موتهما وشكا رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أباه وأنه يأخذ ماله فدعاه فاذا هو شيخ يتوكأ على عصا فسأله فقال انه كان ضعيفا وأنا قوى وفقيرا وأنا غنى فكنت لا أمنعه شيأ من مالى واليوم أنا ضعيف وهو قوى وأنا فقير وهو غنى و يبخل على بماله فبكى صلى الله عليه وسلم وقال ما من حجر ولا مدر يسمع ذلك الا يبكى ثم قال للولد أنت ومالك لابيك مرتين وشكا اليه آخر سوء خلق أمه فقال لم تكن سيئة الخلق حين حملت بك تسعة أشهر قال انها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين أرضعتك حولين قال انها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين أسهرت لك ليلها وأظمأت نهارها قال لقد جازيتها قال ما فعلت قال حججت بها على عاتقى قال ما جازيتها وقال الفقهاء لا يذهب بأبيه الى البيعة واذا بعث اليه واحد منهما ليحمله فعل ولا يناوله الخمر و يأخذ الاناء منه اذا شرب بها ثم قال سبحانه (ربكم أعلم بما فى نفوسكم) أى بما فى ضمائركم من الاخلاص وعدمه فى كل الطاعات (ان تكونوا صالحين) قاصدين الصلاح والبر الى الوالدين ثم فرطت منكم بادرة فى حقهما فأنبتم الى الله واستغفرتم منها (فانه كان للاوابين غفورا) اللام للعهد كما روى عن سعيد بن جبير هى فى والذى

بهؤلاء القوم لعلهم يستجيبون فأطولت لهم وصفحت عنهم لعلهم يرجعون فأكثرت ومددت لهم فى العمر لعلهم يتذكرون فأعذرت فى كل ذلك أمطر عليهم السماء وأنبت لهم الارض وألبسهم العافية وأظهرهم على العدو فلا يزدادون الا طغيانا وبعدا منى فحتى متى هذا أبى يتمرسون أم بى يخادعون وا. أحلف بعزتى لأقيضن لهم فتنة يتحير فيها الحليم و يضل فيها رأى ذى الرأى وحكمة الحكيم ثم لأسلطن عليهم جبارا قاسيا عاتيا ألبسه الهيبة وأنتزع من صدره الرأفة والرحمة والبيان يتبعه عدد وسواد مثل سواد الليل المظلم له عساكر مثل قطع السحاب ومراكب أمثال الفجاج كأن خفيق راياته طيران النسور وان حملة فرسانه كوبر العقبان ثم أوحى الله الى أرميا انى مهلك بنى اسرائيل بيافث ويافث أهل بابل وهم من ولد يافث بن نوح ثم لما سمع أرميا وحى ربه صاح وبكى وشق ثيابه ونبذ الرماد على رأسه وقال ملعون يوم ولدت فيه و يوم لقيت التوراة ومن شر أيامى يوم ولدت فيه فما أبقيت آخر الانبياء الا لما هو أشر على لو أرادنى خيرا ما جعلنى آخر الانبياء من بنى اسرائيل فمن أجلى تصيبهم الشقوة والهلاك فلما سمع الله تضرع الخضر و بكاءه وكيف يقول ناداه يا أرميا أشق ذلك عليك فيما أوحيت لك قال نعم يارب أهلكنى قبل أن أرى فى بنى اسرائيل ما لا أسر به فقال الله وعزتى العزيزة لأهلكن بيت المقدس و بنى اسرائيل حتى يكون الامر من قبلك فى ذلك ففرح عند ذلك أرميا لما قال له ربه وطابت نفسه وقال لا والذى بعث موسى وأنبياء بالحق لا آمر ربى بهلاك بنى اسرائيل أبدا ثم أتى ملك بنى اسرائيل فاخبره ما أوحى الله اليه فاستبشر وفرح وقال ان يعذبنا بنار بنا فبذنوب كثيرة قدمناها الا نفسنا وان عفا عنا فبقدرته ثم انهم لبثوا بعد هذا الوحى ثلاث سنين لم يزدادوا الا معصية وتمادوا فى الشر وذلك حين اقترب هلاكهم فقبل الوحى حين لم يكونوا يتذكرون الآخرة وأمسك عنهم حين ألهتهم الدنيا وشأنها فقال لهم ملكهم يا بنى اسرائيل انتهوا عما أنتم عليه قبل أن يمسكم بأس الله وقبل أن يبعث عليكم قوما لا رحمة لهم بكم وان ربكم قريب التوبة مبسوط اليدين بالخير رحيم يمن تاب اليه فأبوا عليه أن ينزعوا عن شئ مما هم عليه وان الله قد ألقى فى قلب بختنصر بن سورزاذان بن سنحاريب بن دارياس بن مرود بن فالخ بن عابر بن نمرود صاحب ابراهيم الذى حاجه فى ربه أن يسير الى بيت المقدس ثم يفعل فيه ما كان جده سنحاريب أراد أن يفعل فخرج فى ستمائة ألف راية يريد أهل بيت المقدس فلما فصل سائرا أتى ملك بنى اسرائيل الخبر أن بختنصر قد أقبل هو وجنوده يريدكم فأرسل الملك الى أرميا فجاءه فقال يا أرميا أين ما زعمت لنا أن ربك أوحى اليك أن لا يهلك أهل بيت المقدس حتى يكون منك الأمر فى ذلك فقال أرميا للملك ان ربى لا يخلف الميعاد وأنا به واثق فلما اقترب الاجل ودنا انقطاع ملكهم وعزم الله على هلاكهم بعث الله ملكا من عنده فقال له اذهب الى أرميا واستفته وأمره الذى يستفتى فيه فأقبل الى أرميا وكان قد تمثل له رجلا من بنى اسرائيل فقال له أرميا من أنت قال رجل من بنى اسرائيل أستفتيك فى بعض أمرى فأذن له فقال له الملك يا نبى الله أتيتك استفتيك فى أهل رحمى وصلت أرحامهم بما أمرنى الله به لم آت اليهم الا حسنا ولم آلهم كرامة فلا تزيدهم كرامتى اياهم الا سخطا لى فأفتنى فيهم يا نبى الله فقال له أحسن فيما بينك وبين الله وصل ما أمرك الله أن تصل وأبشر بخير وانصرف عنه فمكث أياما ثم أقبل اليه فى صورة ذلك الذى كان جاءه فقعد بين يديه فقال له أرميا من أنت قال أنا الرجل الذى أتيتك أستفتيك فى شأن أهلى فقال له نبى الله أو ما طهرت لك أخلاقهم بعد ولم ترمنهم الذى تحب فقال يا نبى الله

البادرة تكون من الرجل الى أبيه لا يريد بذلك الا الخير أو للجنس فيشمل كل من فرطت منه جناية ثم تاب منها و يندرج تحته ابى على أخانوه

والذى بعثك بالحق ما أعلم كرامة يأتيها أحد من الناس لأهل رحمه الا قد أتيتها اليهم وأفضل من ذلك فقال النبى ارجع الى أهلك فأحسن اليهم أسأل الله الذى يصلح عباده الصالحين أن يصلح ذات بينكم وأن يجمعكم على مرضاته و يجنبكم سخطه فقام الملك من عنده فلبث أياما وقد نزل بختنصر وجنوده حول بيت المقدس ومعه خلائق من قومه كأمثال الجراد ففزع منهم بنو اسرائيل فزعا شديدا وشق ذلك على ملك بنى اسرائيل فدعا أرميا فقال يانبى الله أين ما وعدك الله فقال انى بربى واثق ثم ان الملك أقبل الى أرميا وهو قاعد على جدار بيت المقدس يضحك و يستبشر بنصر ربه الذى وعده فقعد بين يديه فقال له أرميا من أنت قال أنا الذى كنت أتيتك فى شأن أهلى مرتين فقال له النبى أولم يأن لهم أن يمتنعوا من الذى هم فيه مقيمون عليه فقال له الملك يانبى الله كل شئ كان يصيبنى منهم قبل اليوم كنت أصبر عليه وأعلم أن مأربهم فى ذلك سخطى فلما أتيتهم اليوم رأيتهم فى عمل لا يرضى الله ولا يحبه الله عز وجل فقال له نبى الله على أى عمل رأيتهم قال يانبى الله رأيتهم على عمل عظيم من سخط الله فلو كانوا على مثل ما كانوا عليه قبل اليوم لم يشتد عليهم غضبى وصبرت لهم ورجوتهم ولكن غضبت اليوم لله ولك فأتيتك لأخبرك خبرهم وانى أسألك بالله الذى بعثك بالحق الا ما دعوت عليهم ربك أن يهلكهم فقال أرميا يا مالك السموات والارض ان كانوا على حق وصواب فأبقهم وان كانوا على سخطك وعمل لا ترضاه فأهلكهم فما خرجت الكلمة من فى أرميا حتى أرسل الله صاعقة من السماء فى بيت المقدس فالتهب مكان القربان وخسف بسبعة أبواب من أبوابها فلما رأى ذلك أرميا صاح وشق ثيابه ونبذ الرماد على رأسه وقال يامالك السموات والارض بيدك ملكوت كل شئ وأنت أرحم الراحمين أين ميعادك الذى وعدتنى فنودى أرميا انهم لم يصبهم الذى أصابهم الا بفتياك التى أفتيت بها رسولنا فاستيقن النبى صلى الله عليه وسلم أنها فتياه التى أفتى بها ثلاث مرات وأنه رسول ربه ثم ان أرميا طار حتى خالط الوحش ودخل بختنصر وجنوده بيت المقدس فوطئ الشام وقتل بنى اسرائيل حتى افناهم وخرب بيت المقدس ثم أمر جنوده ان يملأ كل رجل منهم ترسه ترابا ثم يقذفه فى بيت المقدس فقذفوا فيه التراب حتى ملؤه ثم انصرف راجعا الى أرض بابل واحتمل معه سبايا بنى اسرائيل وأمرهم أن يجمعوا من كان فى بيت المقدس كلهم فاجتمع عنده كل صغير وكبير من بنى اسرائيل فاختار منهم سبعين ألف صبى فلما خرجت غنائم جنده وأراد أن يقسمها فيهم قالت له الملوك الذين كانوا معه أيها الملك لك غنائمنا كلها واقسم بيننا هؤلاء الصبيان الذين اخترتهم من بنى اسرائيل ففعل وأصاب كل رجل منهم أربعة أغلمة وكان من أولئك الغلمان دانيال وحنانيا وعزاريا ومشائيل وسبعة آلاف من أهل بيت داود وأحد عشر ألفا من سبط يوسف بن يعقوب وأخيه بنيامين وثمانية آلاف من سبط أشر بن يعقوب وأربعة عشر ألفا من سبط زبالون بن يعقوب ونفتالى بن يعقوب وأربعة آلاف من سبط يهوذا بن يعقوب وأربعة آلاف من سبط روبيل ولاوى ابنى يعقوب ومن بقى من بنى اسرائيل وجعلهم بختنصر ثلاث فرق فثلثا أقر بالشام وثلثا سبى وثلثا قتل وذهب بآنية بيت المقدس حتى أقدمها بابل وذهب بالصبيان السبعين الألف حتى أقدمهم بابل فكانت هذه الوقعة الاولى التى أنزل الله ببنى اسرائيل باحداثهم وظلمهم فلما ولى بختنصر عنهم راجعا الى بابل بمن معه من سبايا بنى اسرائيل أقبل أرميا على حمار له معه عصير ثم ذكر قصته حين أماته الله مائة عام ثم بعثه ثم خبر رؤيا بختنصر وأمر دانيال

والذى بعثك بالحق ما أعلم كرامة يأتيها أحد من الناس لأهل رحمه الا قد أتيتها اليهم وأفضل من ذلك فقال النبى ارجع الى أهلك فأحسن اليهم أسأل الله الذى يصلح عباده الصالحين أن يصلح ذات بينكم وأن يجمعكم على مرضاته و يجنبكم سخطه فقام الملك من عنده فلبث أياما وقد نزل بختنصر وجنوده حول بيت المقدس ومعه خلائق من قومه كأمثال الجراد ففزع منهم بنو اسرائيل فزعا شديدا وشق ذلك على ملك بنى اسرائيل فدعا أرميا فقال يانبى الله أين ما وعدك الله فقال انى بربى واثق ثم ان الملك أقبل الى أرميا وهو قاعد على جدار بيت المقدس يضحك و يستبشر بنصر ربه الذى وعده فقعد بين يديه فقال له أرميا من أنت قال أنا الذى كنت أتيتك فى شأن أهلى مرتين فقال له النبى أولم يأن لهم أن يمتنعوا من الذى هم فيه مقيمون عليه فقال له الملك يانبى الله كل شئ كان يصيبنى منهم قبل اليوم كنت أصبر عليه وأعلم أن مأربهم فى ذلك سخطى فلما أتيتهم اليوم رأيتهم فى عمل لا يرضى الله ولا يحبه الله عز وجل فقال له نبى الله على أى عمل رأيتهم قال يانبى الله رأيتهم على عمل عظيم من سخط الله فلو كانوا على مثل ما كانوا عليه قبل اليوم لم يشتد عليهم غضبى وصبرت لهم ورجوتهم ولكن غضبت اليوم لله ولك فأتيتك لأخبرك خبرهم وانى أسألك بالله الذى بعثك بالحق الا ما دعوت عليهم ربك أن يهلكهم فقال أرميا يا مالك السموات والارض ان كانوا على حق وصواب فأبقهم وان كانوا على سخطك وعمل لا ترضاه فأهلكهم فما خرجت الكلمة من فى أرميا حتى أرسل الله صاعقة من السماء فى بيت المقدس فالتهب مكان القربان وخسف بسبعة أبواب من أبوابها فلما رأى ذلك أرميا صاح وشق ثيابه ونبذ الرماد على رأسه وقال يامالك السموات والارض بيدك ملكوت كل شئ وأنت أرحم الراحمين أين ميعادك الذى وعدتنى فنودى أرميا انهم لم يصبهم الذى أصابهم الا بفتياك التى أفتيت بها رسولنا فاستيقن النبى صلى الله عليه وسلم أنها فتياه التى أفتى بها ثلاث مرات وأنه رسول ربه ثم ان أرميا طار حتى خالط الوحش ودخل بختنصر وجنوده بيت المقدس فوطئ الشام وقتل بنى اسرائيل حتى افناهم وخرب بيت المقدس ثم أمر جنوده ان يملأ كل رجل منهم ترسه ترابا ثم يقذفه فى بيت المقدس فقذفوا فيه التراب حتى ملؤه ثم انصرف راجعا الى أرض بابل واحتمل معه سبايا بنى اسرائيل وأمرهم أن يجمعوا من كان فى بيت المقدس كلهم فاجتمع عنده كل صغير وكبير من بنى اسرائيل فاختار منهم سبعين ألف صبى فلما خرجت غنائم جنده وأراد أن يقسمها فيهم قالت له الملوك الذين كانوا معه أيها الملك لك غنائمنا كلها واقسم بيننا هؤلاء الصبيان الذين اخترتهم من بنى اسرائيل ففعل وأصاب كل رجل منهم أربعة أغلمة وكان من أولئك الغلمان دانيال وحنانيا وعزاريا ومشائيل وسبعة آلاف من أهل بيت داود وأحد عشر ألفا من سبط يوسف بن يعقوب وأخيه بنيامين وثمانية آلاف من سبط أشر بن يعقوب وأربعة عشر ألفا من سبط زبالون بن يعقوب ونفتالى بن يعقوب وأربعة آلاف من سبط يهوذا بن يعقوب وأربعة آلاف من سبط روبيل ولاوى ابنى يعقوب ومن بقى من بنى اسرائيل وجعلهم بختنصر ثلاث فرق فثلثا أقر بالشام وثلثا سبى وثلثا قتل وذهب بآنية بيت المقدس حتى أقدمها بابل وذهب بالصبيان السبعين الألف حتى أقدمهم بابل فكانت هذه الوقعة الاولى التى أنزل الله ببنى اسرائيل باحداثهم وظلمهم فلما ولى بختنصر عنهم راجعا الى بابل بمن معه من سبايا بنى اسرائيل أقبل أرميا على حمار له معه عصير ثم ذكر قصته حين أماته الله مائة عام ثم بعثه ثم خبر رؤيا بختنصر وأمر دانيال

التائب من جنايته لو رودوه على أثره ثم وصى بغير الابوين من الاقارب بعد التوصية بهما فقال (وآت ذا القربى حقه) قيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمره أن يؤتى أقاربه الحقوق التى وجبت لهم فى الفىء والغنيمة وأوجب عليه اخراج حق المساكين وأبناء السبيل أيضا من هذين المالين والأظهر أنه خطاب لكل انسان كما فى قوله وقضى ربك وأما الحق المأمور به للاقارب فهو اذا كانوا محارم كالأبوين والولد وكانوا فقراء عاجزين عن الكسب وكان الرجل موسرا أن ينفق عليهم بقدر الحاجة وعند الشافعى لا ينفق الا على الولد والوالدين وان كانوا مياسير ولم يكونوا محارم كابناء العم فحقهم صلتهم بالمودة والزيارة وحسن المعاشرة على السراء والضراء وفى عطف المسكين وابن السبيل على ذى القربى دليل على أن المراد بالحق الحق المالى وقد تقدم وصف المسكين وابن السبيل فى البقرة وفى التوبة ثم نهى عن التبذير وهو تفريق المال كما يفرق البذر وهو الاسراف المذموم كانت الجاهلية تنحر ابلها وتياسر عليها وتنفق أموالها فى الفخر والسمعة كما ذكر وا ذلك فى أشعارها فنهوا عن ذلك وأمروا بالانفاق فيما يقرب الى الله قال ابن مسعود التبذير انفاق المال فى غير حقه وعن مجاهد لو أنفق مد فى باطل كان تبذيرا ثم بالغ فى تفظيع شأن التبذير قائلا (ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين) أى أمثالهم فى الشرارة وأصدقاءهم من حيث انهم يطيعونهم فى الامر بالاسراف أو هم قرناؤهم فى النار على سبيل الوعيد (وكان الشيطان لربه كفورا) لانه يستعمل قواه البدنية فى المعاصى والافساد والاضلال وكذلك من رزقه الله مالا أو جاها فصرفه الى غير مرضاة الله كان كفورا لنعمة الله ثم علم أدبا حسنا فى رد السائل ان أفضى الامر الى ذلك ضرورة فقال (واما تعرضن عنهم) وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا سئل شيأ وليس عنده أعرض عن السائل وسكت حياء والقول الميسور الرد بالطريق الأحسن وقيل اللين السهل

قال الكسائى يسرت أيسر له القول أى لينته وقيل القول المعروف كقوله قول معروف ومغفرة خير وذلك أن القول المتعارف لا يحتاج الى تكلف وقيل ادع لهم بأن يسهل الله عليهم أسباب الرزق أى دعاء فيه يسر قال جار الله قوله (ابتغاء رحمة) اما أن يتعلق بمحول الشرط متقدما عليه أى فقل لهم قولا سهلا لينا وعدهم وعدا جميلا ابتغاء رحمة من الله (ترجوها) بسبب رحمتك عليهم واما أن يتعلق بالشرط أى وان أعرضت عنهم لفقد رزق من ربك ترجو أن يفتح لك فردهم ردا جميلا فسمى الرزق رحمة ووضع الابتغاء موضع الفقد لان فاقد الرزق مبتغ له فالفقد سبب الابتغاء فأطلق المسبب على السبب وجوز أن يكون الاعراض كناية عن عدم الاعطاء فان من أبى أن يعطى أعرض بوجهه ولما ذكر أدب المنع ونهى عن التبذير صرح بأدب الانفاق فقال (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك) وهو مثل لغاية الامساك بحيث يضيق على نفسه وأهله فى سلوك سبيل الانفاق (ولا تبسطها كل البسط) أى لا توسع فى الانفاق بحيث لا يبقى فى يدك شئ وحين نهى عن طرفى التفريط والافراط المذمومين بقى الخلق الفاضل المسمى بالجود وهو العدل والوسط ثم بين غاية استعمال الطرفين قائلا (فتقعد ملوما) عند الناس بالبخل (محسورا) بالاسراف أى منقطعا عن المقاصد بسبب الفقر فقير محسور منقطع عن السير ولاشك أن المال مطية الحوائج والآمال وكثيرا ما يلام الرجل على تضييع المال بالكلية وابقاء الاهل والولد فى الضر والمحنة وعن جابر بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس أتاه صبى فقال ان أمى تستكسيك درعا فقال صلى الله عليه وسلم من ساعة الى ساعة يظهر فعد الينا فذهب الى أمه فقالت له قل ان أمى تستكسيك الدرع الذى عليك فدخل داره ونزع قميصه وأعطاه وقعد عريانا وأذن بلال وانتظروا فلم يخرج للصلاة فنزلت الآية وقيل أعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل وعيينة بن حصن

وهلاك بختنصر ورجوع من بقى من بنى اسرائيل فى أيدى أصحاب بختنصر بعد هلاكه الى الشام وعمارة بيت المقدس وأمر عزير وكيف رد الله عليه التوراة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثم عمدت بنو اسرائيل بعد ذلك يحدثون الاحداث يعنى بعد مهلك عزير ويعود الله عليهم ويبعث فيهم الرسل ففريقا يكذبون وفريقا يقتلون حتى كان آخر من بعث الله فيهم من أنبيائهم زكريا ويحيى بن زكريا وعيسى بن مريم وكانوا من بيت آل داود حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى محمد بن اسحق عن عمر بن عبد الله بن عروة عن عبد الله ابن الزبير أنه قال وهو يحدث عن قتل يحيى بن زكريا قال ما قتل يحيى بن زكريا الا بسبب امرأة بغى من بغايا بنى اسرائيل كان فيهم ملك وكان يحيى بن زكريا تحت يدى ذلك الملك فهمت ابنة ذلك الملك بأبيها فقالت لو أنى تزوجت بأبى فاجتمع لى سلطانه دون النساء فقالت له يا أبت تزوجنى ودعته الى نفسها فقال لها يا بنية ان يحيى بن زكريا لا يحل لنا هذا فقالت من لى بيحيى بن زكريا ضيق على وحال بينى وبين أن أتزوج بأبى فأغلب على ملكه ودنياه دون النساء قال فأمرت الغواين ومحلت بذلك لاجل قتل يحيى بن زكريا فقالت ادخلوا عليه فالعبوا حتى اذا فرغتم فانه سيحكمكم فقولوا دم يحيى بن زكريا ولا تقبلوا غيره وكان اسم الملك رواد واسم ابنته البغى وكان الملك فيهم اذا حدث فكذب أو وعد فأخلف خلع فاستبدل به غيره فلما ألعبوه وكثر عجبه منهم قال سلونى أعطكم فقالوا له نسألك دم يحيى بن زكريا أعطناياه قال ويحكم سلونى غير هذا فقالوا لا نسألك شيأ غيره فخاف على ملكه ان هو أخلفهم أن يستحل بذلك خلعه فبعث الى يحيى بن زكريا وهو جالس فى محرابه يصلى فذبحوه فى طست ثم حز وا رأسه فاحتمله رجل فى يده والدم يحمل فى الطست معه قال فطلع برأسه يحمله حتى وقف به على الملك ورأسه تقول فى يدى الذى يحمله لا يحل لك ذلك فقال رجل من بنى اسرائيل أيها الملك لو أنك وهبت لى هذا الدم فقال وما تصنع به قال أطهر منه الارض فانه كان قد ضيقها علينا فقال أعطوه هذا الدم فأخذه فجعله فى قلة ثم عمد به الى بيت فى المذبح فوضع القلة فيه ثم أغلق عليه ففار فى القلة حتى خرج منها من تحت الباب من البيت الذى هو فيه فلما رأى الرجل ذلك قطع به فأخرجه فجعله فى فلاة من الارض فجعل يفور وعظمت فيهم الاحداث ومنهم من يقول أقر مكانه فى القربان ولم يحول حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال ابن اسحق فلما رفع الله عيسى من بين أظهرهم وقتلوا يحيى بن زكريا وبعض الناس يقول وقتلوا زكريا ابتعث الله عليهم ملكا من ملوك بابل يقال له حردوس فسار اليهم بأهل بابل حتى دخل عليهم الشام فلما ظهر عليهم أمر رأسا من رؤس جنده يدعى بنور زاذان صاحب القتل فقال له انى قد كنت حلفت بالهى لئن أظهرنا على أهل بيت المقدس لأقتلنهم حتى تسيل دماؤهم فى وسط عسكرى الا أن لا أجد أحدا أقتله فأمر أن يقتلهم حتى يبلغ ذلك منهم بنور زاذان فدخل بيت المقدس فقام فى البقعة التى كانوا يقربون فيها قربانهم فوجد فيها دما يغلى فسألهم فقال يا بنى اسرائيل ما شأن هذا الدم الذى يغلى أخبرونى خبره ولا تكتمونى شيأ من أمره فقالوا هذا دم قربان كان لنا كنا قربناه فلم يتقبل منا فلذلك هو يغلى كما تراه ولقد قربنا منذ ثمانمائة سنة القربان فتقبل منا الا هذا القربان قال ما صدقتمونى الخبر قالوا له لو كان كأول زماننا لتقبل منا ولكنه قد انقطع منا الملك والنبوة والوحى فلذلك لم يتقبل منا فذبح منهم بنور زاذان على ذلك الدم سبعمائة وسبعين رجلا من رؤسهم فلم يهدأ فأمر بسبعمائة غلام من غلمانهم فذبحوا

جاء عباس بن مرداس وأنشأ يقول أتجعل نهبي ونهب العبيـ * ـد بين عيينة والاقرع وما كان حصن ولا حابس * يفوقان مرداس في مجمع
وما كنت دون امرئ منهما * ومن تضع اليوم لا يرفع فقال صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر اقطع لسانه عني أعطه مائة من الابل

على الدم فلم يهد أفأمر بسبعة آلاف من شيعهم وأزواجهم فذبحهم على الدم فلم يبرد ولم يهد أفلما رأى بنور زاذان أن الدم لا يهد أقال لهم ويلكم يا بني اسرائيل اصدقوني واصبروا على أمر ربكم فقد طال ما ملكتم في الارض تفعلون فيها ما شئتم قبل أن لا أترك منكم نافخ نار لا أنثى ولا ذكرا الا قتلته فلما رأوا الجهد وشدة القتل صدقوه الخبر فقالوا له ان هذا دم نبي منا كان ينهانا عن أمور كثيرة من سخط الله فلو أطعناه فيها لكان أرشد لنا وكان يخبرنا بأمركم فلم نصدقه فقتلناه فهذا دمه فقال لهم بنور زاذان ما كان اسمه قالوا يحيى بن زكريا فقال الآن صدقتموني بمثل هذا ينتقم ربكم منكم فلما رأى بنور زاذان أنهم صدقوه خر ساجدا وقال لمن حوله غلقوا الابواب أبواب المدينة وأخرجوا من كان ههنا من جيش حردوس وخلا في بني اسرائيل ثم قال يا يحيى بن زكريا قد علم ربي وربك ما قد أصاب قومك من أجلك وما قتل منهم من أجلك فاهدأ باذن الله قبل أن لا أبقي من قومك أحدا فهدأ دم يحيى بن زكريا باذن الله ورفع بنور زاذان عنهم القتل وقال آمنت بما آمنت به بنو اسرائيل وصدقت وأيقنت أنه لا رب غيره ولو كان معه آخر لم يصلح ولو كان له شريك لم تستمسك السموات والارض ولو كان له ولد لم يصلح فتبارك وتقدس وتسبح وتكبر وتعظم ملك الملوك الذي له ملك السموات السبع والارض وما فيهن وما بينهما وهو على كل شئ قدير فله الحلم والعلم والعزة والجبروت وهو الذي بسط الارض وألقى فيها رواسي لئلا تزول فكذلك ينبغي لربي أن يكون ويكون ملكه فأوحى الله الى رأس من رؤس بقية الانبياء أن بنور زاذان جبور صدوق والجبور بالعبرانية حديث الايمان وان بنور زاذان قال لبني اسرائيل يا بني اسرائيل ان عدو الله حردوس أمرني أن أقتل منكم حتى تسيل دماؤكم وسط عسكره وانى لست أستطيع أن أعصيه قالوا له افعل ما أمرت به فأمرهم فحفروا خندقا وأمر بأموالهم من الخيل والبغال والحمير والبقر والغنم والابل فذبحها حتى سال الدم في العسكر وأمر بالقتلى الذين كانوا قبل ذلك فطرحوا على ما قتل من مواشيهم حتى كانوا فوقهم فلم يظن حردوس الا أن ما كان في الخندق من بني اسرائيل فلما بلغ الدم عسكره أرسل الى بنور زاذان أن ارفع عنهم فقد بلغتني دماؤهم وقد انتقمت منهم بما فعلوا ثم انصرف عنهم الى أرض بابل وقد أفنى بني اسرائيل أو كاد وهي الوقعة الآخرة التي أنزل الله ببني اسرائيل يقول الله عز ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة ولينبروا ما علوا تتبيرا عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا وعسى من الله حق فكانت الوقعة الاولى بختنصر وجنوده ثم رد الله لكم الكرة عليهم وكانت الوقعة الآخرة حردوس وجنوده وهي كانت أعظم الوقعتين فيها كان خراب بلادهم وقتل رجالهم وسبي ذراريهم ونسائهم يقول الله تبارك وتعالى وليتبروا ما علوا تتبيرا ثم عاد الله عليهم فأكثر عددهم ونشرهم في بلادهم ثم بدلوا وأحدثوا الأحداث واستبدلوا بكتابهم غيره وركبوا المعاصي واستحلوا المحارم وضيعوا الحدود حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن أبي عتاب رجل من ثعلب كان نصرانيا عمرا من دهره ثم أسلم بعد فقرأ القرآن وفقه في الدين وكان فيما ذكر

فنزلت ثم انه تعالى سلى نبيه صلى الله عليه وسلم بأن الذي يرهقه من الاضاقة ليس لهوان منه على الله ولا لبخل به عليه ولكنه تابع لمشيئة الخالق الرازق فقال (ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أي يضيق (انه كان بعباده) وبمصالحهم (خبيرا بصيرا) فالتفاوت في الارزاق ليس لأجل البخل ولكن لرعاية الصلاح ويمكن أن يكون مراد الآية أن البسط الكلي والقبض الكلي من شأن الرب الخبير البصير وليس للعباد الا الاقتصاد ويحتمل أن يراد أنه تعالى مع غاية قدرته وسعة جوده يراعي أوسط الحالين فلا يبلغ بالمبسوط له غاية مراده ولا بالمقبوض عليه أقصى مكروهه فاستنوا بسنته وتخلقوا بأخلاقه وفي الآية دلالة على أنه هو المتكفل بأرزاق العباد فلذلك قال بعده (ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق) وأيضا لما علم كيفية البر بالوالدين أراد أن يعلم كيفية البر بالأولاد فبر الآباء مكافأة وبر الابناء ابتداء اصطناع وفيه نظام العالم وبقاء النوع الانساني لان قتل الاولاد ان كان لخوف الفقر فهو لسوء الظن بالله وان كان لأجل الغيرة على البنات فهو سعي في تخريب العالم والاول ضد التعظيم لامر الله والثاني ضد الشفقة على خلق الله ومن رغب عن محبة الولد فكأنه رغب عن جزئه قال

ولد المرء منه جزء وما حا
ل امرئ يودع الثرى منه جزأ

وكانوا يقتلون البنات لعجز البنات عن الكسب وقدرة البنين عليه بسبب اقدامهم على القتل والغارة وأيضا كانوا يخافون أن فقرها ينفر أكفاءها فيحتاجون الى انكاحها من غير الاكفاء وفي ذلك عار شديد فبين الله سبحانه أن الموجب

للرحمة والشفقة هو كونه ولدا فلهذا قال أولادكم وبين أن الخوف من الفقر لا وجه له لان الله هو الرزاق لكل وكثيرا ما يكون الابن أخف من البنت بعد البلوغ وكلا الصنفين يشتركان في الانفاق عليهما قبل البلوغ ولما نهى عن قتل الاولاد المستدعى لافناء النسل ذكر النهى عن الزنا المفضى الى مثل ذلك ولا أقل من اختلاط النسب فقال (ولا تقربوا الزنا) وهذا آكد من أن يقال لا ترتكبوا ثم علل النهى بقوله (انه كان فاحشة) أى خصلة متزايدة في القبح (وساء سبيلا) سبيله فاستدل القائلون بالتحسين والتقبيح العقليين بهذا التعليل في أن الاشياء لا تحسن ولا تقبح لذواتها بل لوجوه عائدة اليها في أنفسها وأن تكاليف العباد واقعة على وفق مصالحهم في المعاش والمعاد ومن مفاسد الزنا اختلاط الأنساب وتضييع الاولاد واهمال تربيتهم فان الولد اذا لم يكن منسوبا الى شخص معين لم يكن أحد بالتزام تربيته أولى من الآخر وكذا المرأة التي ولدته اذا لم يوجد سبب شرعي للزاني صارت هي به أولى بالرجل فلا يحصل الالف والمحبة ولا يتم السكون والازدواج ويتوائب كل رجل على كل امرأة أراد بحسب شهوته ومقتضى طبعه فتهيج بالفسوق الحروب بعد التشبه بالبهائم وأيضا ليس المقصود من المرأة مجرد قضاء الشهوة ولكن المقصود الكلى هو أن تكون شريكة له في ترتيب المنزل واعداد مهماته والقيام بأمور الاولاد والعيد ولن تتم هذه المقاصد الا اذا كانت مقصورة الهمة على رجل واحد منقطعة الطمع عن غيره وأيضا الوطء يوجب الذل والعار ولهذا لا يرتكب الا في الاماكن المستورة وفي الاوقات المعلومة فاقتصار المرأة على الواحد من الرجال سعي في تقليل ذلك العمل وكفى في قبح الزنا أن مرتكبه من الرجال والنساء يستقذره كل عقل سليم وينحط بذلك عن درجة الاعتبار وقد زعم في التفسير الكبير أنه تعالى وصف الزنا في آية أخرى بكونه مقتا لان الزانية تصير ممقوتة مكروهة وهو وهم

أنه كان نصرانيا أربعين سنة ثم عمر في الاسلام أربعين سنة قال كان آخر أنبياء بني اسرائيل نبيا بعثه الله اليهم فقال لهم يا بني اسرائيل ان الله يقول لكم اني قد سلبت أصواتكم وأبغضتكم بكثرة أحداثكم فهموا به ليقتلوه فقال الله تبارك وتعالى له ائتهم واضرب لي ولهم مثلا فقل لهم ان الله تبارك وتعالى يقول لكم اقضوا بيني وبين كرمي ألم أختر لكم البلاد وطيبت له المدرة وحظرته بالسياج وعرشته السويق والشوك والسياج والعوسج وأحطته بردائي ومنعته من العالم وفضلته فلقيني بالشوك والجذوع وكل شجرة لا تؤكل ما لهذا اخترت البلدة ولا طيبت المدرة ولا حظرته بالسياج ولا عرشته السويق ولا حطته بردائي ولا منعته من العالم فضلتكم وأتممت عليكم نعمتي ثم استقبلتموني بكل ما أكره من معصيتي وخلاف أمري لم ان الحمار ليعرف مدوده له ان البقرة لتعرف سيدها وقد حلفت بعزتي العزيزة وبذراعي الشديد لآخذن ردائي ولأمرجن الحائط ولأجعلنكم تحت أرجل العالم قال فوثبوا على نبيهم فقتلوه فضرب الله عليهم الذل ونزع منهم الملك فليسوا في أمة من الامم إلا وعليهم ذل وصغار وجزية يؤدونها والملك في غيرهم من الناس فلن يزالوا كذلك أبدا ما كانوا على ما هم عليه قال قال فهذا ما انتهى الينا من جماع أحاديث بني اسرائيل **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فاذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا قال كانت الآخرة أشد من الأولى بكثير قال لان الاولى كانت هزيمة فقط والآخرة كان التدمير وأحرق بختنصر التوراة حتى لم يبق منها حرف واحد وخرب المسجد **حدثنا** أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال بعث عيسى بن مريم يحيى بن زكريا في اثني عشر من الحواريين يعلمون الناس قال فكان فيما نهاهم عنه نكاح ابنة الاخ قال وكانت لملكهم ابنة أخ تعجبه يريد أن يتزوجها وكانت لها كل يوم حاجة يقضيها فلما بلغ ذلك أمها قالت لها اذا دخلت على الملك فسألك حاجتك فقولي حاجتي أن تذبح لي يحيى بن زكريا فلما دخلت عليه سألها حاجتها فقالت حاجتي أن تذبح يحيى بن زكريا فقال سلي غير هذا فقالت ما أسألك الا هذا قال فلما أبت عليه دعا يحيى ودعا بطست فذبحه فبدرت قطرة من دمه على الارض فلم تزل تغلي حتى بعث الله بختنصر عليهم فجاءته عجوز من بني اسرائيل فدلته على ذلك الدم قال فألقى الله في نفسه أن يقتل على ذلك الدم منهم حتى يسكن فقتل سبعين ألفا منهم من سن واحد فسكن وقوله وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة يقول وليدخل عدوكم الذي أبعثه عليكم مسجد بيت المقدس قهرا منهم لكم وغلبة كما دخلوه أول مرة حين أفسدتم الفساد الاول في الارض وأما قوله وليتبروا ما علوا تتبيرا فانه يقول وليدمروا ما غلبوا عليه من بلادكم تدميرا يقال منه دمرت البلاد اذا خربته وأهلكت أهله وتبر تبرا وتبارا وتبرته أتبره تتبيرا ومنه قول الله تعالى ذكره ولا تزد الظالمين إلا تبارا يعني هلاكا * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس وليتبروا ما علوا تتبيرا قال تدميرا **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وليتبروا ما علوا تتبيرا قال يدمروا ما علوا تدميرا * القول في تأويل قوله تعالى ﴿عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا﴾ يقول تعالى ذكره لعل ربكم يا بني اسرائيل أن يرحمكم بعد انتقامه منكم بالقوم الذين يبعثهم الله عليكم ليسوء مبعثه عليكم وجوهكم وليدخلوا

لان ذلك قد ورد فى أول سورة النساء فى نكاح منكوحات الاب قال ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وانما بينا ذلك عليه لئلا يقتدى به غيره فى السهو ولما فرغ من التكليف بالاحتياط (٣٥) فى مبدإ حال الانسان شرع بالتكليف بالاحتياط فى آخر عمره فقال (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله) وفى التصريح بالتحريم بعد النهى تأكيد للحظر ولا ريب أن الاصل فى قتل الانسان هو التحريم لانه ضرر والاصل فى المضار الحرمة ولان الانسان خلق للاشتغال بالعبادة وانه لا يتم الا بالحياة وكمال البنية ولكن الحل انما يثبت لأسباب عرضية فلهذا قال (الا بالحق) وهذا يحمل فيبين ذلك الحق بقوله (ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا) أى تسلطا على استيفاء القصاص فظاهر الآية دل على أنه لا سبب لحل القتل الا اذا قتل مظلوما وظاهر قوله عليه السلام لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل نفس بغير حق يقتضى ضم شيئين آخرين اليه فرعا على القول بتخصيص عموم القرآن بخبر الواحد ويحتمل أن يقال قوله ومن قتل مظلوما كلام مستأنف والحديث بتمامه تفسير لقوله الا بالحق فلا يلزم التفريع المذكور ثم انه دلت آية أخرى على حصول سبب رابع وهو قوله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله وآية أخرى على سبب خامس وهو الكفر الاصلى واقتلوهم حيث ثقفتموهم هذا وقد أبدى الفقهاء أسبابا أخر منها أن تارك الصلاة يقتل عند الشافعى دون أبى حنيفة وكذا اللائط ومنها الساحر اذا قال قتلت فلانا بسحرى وجوز بعضهم قتل من يمنع الزكاة أو يأتى البهيمة والذين منعوا القتل فى هذه الصور قالوا الاصل حرمة القتل كما بيناه فلا يترك هذا الدليل الا لمعارض أقوى لا أقل من المساوى وهو النص المتواتر ثم انه سبحانه أثبت لولى الدم سلطانا ولا يبين أن هذه السلطنة تحصل فيماذا فقيل انه لما قال (فلا يسرف فى القتل) عرف أن تلك السلطنة انما تحصل فى استيفاء القتل وقيل معنى

وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة فيستنقذكم من أيديهم وينتشلكم من الذل الذى يحله بكم ويرفعكم من الخمولة التى تصيرون اليها فيعزكم بعد ذلك وعسى من الله واجب وفعل الله ذلك بهم فكثر عددهم بعد ذلك ورفع خساستهم وجعل منهم الملوك والانبياء فقال جل ثناؤه لهم وان عدتم يا معشر بنى اسرائيل لمعصيتى وخلاف أمرى وقتل رسلى عدنا عليكم بالقتل والسباء واحلال الذل والصغار بكم فعادوا فاعاد الله عليهم بعقابه واحلال سخطه بهم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عطية عن عمر بن ثابت عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا قال عادوا فعاد ثم عادوا فعاد قال فسلط الله عليهم ثلاثة ملوك من ملوك فارس سنداباذان وشهرباذان وآخر حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال قال الله تبارك وتعالى بعد الاولى والآخرة عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا قال فعادوا فسلط الله عليهم المؤمنين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال عسى ربكم أن يرحمكم فعاد الله عليهم بعائدته ورحمته وان عدتم عدنا قال عاد القوم بشر ما يحضرهم فبعث الله عليهم ما شاء أن يبعث من نقمته وعقوبته ثم كان ختام ذلك أن بعث الله عليهم هذا الحى من العرب فهم فى عذاب منهم الى يوم القيامة قال الله عز وجل فى آية أخرى واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة الآية فبعث الله عليهم هذا الحى من العرب حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا فعادوا فبعث عليهم محمدا صلى الله عليه وسلم فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله تعالى عسى ربكم أن يرحمكم قال بعد هذا وان عدتم لما صنعتم لمثل هذا من قتل يحيى وغيره من الانبياء عدنا اليكم بمثل هذا وقوله وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم وجعلنا جهنم للكافرين سجنا يسجنون فيها ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن مسعدة قال ثنا جعفر بن سليمن عن أبى عمران وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا قال سجنا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا يقول جعل الله مأواهم فيها حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا قال محبسا حصورا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا يقول سجنا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تعالى حصيرا قال يحصرون فيها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا قال يحصرون فيها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا سجنا يسجنون فيها حصورا فيها حدثنا على بن داود قال ثنا عبد الله ابن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا يقول سجنا * وقال آخرون معناه وجعلنا جهنم للكافرين فراشا ومهادا ذكر من قال ذلك حدثنا

قوله فلا يسرف فى القتل انه لما حصلت له سلطنة استيفاء القصاص وسلطنة استيفاء الدية بقوله كتب عليكم القصاص فى القتلى الى قوله فمن عفى الآية فالاولى به أن لا يقدم على استيفاء القتل وأن يكتفى بالعفو وأخذ الدية فثبت أن هذه الآية لا يجوز التمسك بها فى مسألة أن موجب العمد هو القصاص وعن الشافعى أن التنوين فى قوله مظلوما للتنكير فيدل على أن المقتول ما لم يكن كاملا فى وصف المظلومية لم يدخل تحت هذا النص فيعلم منه أن المسلم لا يقتل بالذمى لان الذمى مشرك فان ذنبه غير مغفور كالمشرك ولان النصارى قائلون بالتثليث وقد قال تعالى اقتلوا المشركين فثبت أن الذمى غير كامل فى المظلومية فلا يندرج فى الآية وأيضا ليس فيها دلالة على أن الحر يقتل بالعبد لأنها وان كانت عامة الا أن قوله الحر بالحر والعبد بالعبد خاص والخاص مقدم على العام من قرأ فلا تسرف بالتاء الفوقانية فعلى خطاب الولى أو قاتل المظلوم ومن قرأ على الغيبة فالضمير للولى أى فلا يقتل غير القاتل ولا اثنين والقاتل واحد كعادة الجاهلية وعن مجاهد أن الضمير الاول للقاتل أما الضمير فى قوله انه كان منصورا فاما للولى أى حسبه أن الله قد نصره بايجاب القصاص فلا يستزاد عليه أو نصره بمعونة السلطان والمؤمنين فلا يتبع ما وراء حقه واما للمظلوم فان الله نصره فى الدنيا بايجاب القصاص على قاتله وفى الآخرة باعطاء الثواب وأما الذى يقتله الولى بغير حق ويسرف فى قتله فانه منصور بايجاب القصاص على المسرف ولما ذكر النهى عن اتلاف النفوس فى المبادئ وفيما وراءها أتبعه النهى عن اتلاف الاموال وكان أهمها بالحفظ والرعاية مال اليتيم فقال (ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى) بالطريقة التى (هى أحسن) وهى تثميره وانماؤه روى مجاهد عن ابن عباس اذا احتاج الولى أكل بالمعروف فاذا أيسر قضاه وان لم يوسر فلا شئ عليه ويتصرف الولى فى مال اليتيم على الوجه المذكور

محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال قال الحسن الحصير فراش ومهاد وذهب الحسن بقوله هذا الى أن الحصير فى هذا الموضع عنى به الحصير الذى يبسط ويفترش وذلك أن العرب تسمى البساط الصغير حصيرا فوجه الحسن معنى الكلام الى أن الله جعل جهنم للكافرين بساطا ومهادا كما قال لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وهو وجه حسن وتأويل صحيح وأما الآخرون فوجهوه الى أنه فعيل من الحصر الذى هو الحبس وقد بينت ذلك بشواهده فى سورة البقرة وقد تسمى العرب الملك حصيرا بمعنى أنه محصور أى محجوب عن الناس كما قال لبيد

ومقامة غلب الرقاب كأنهم * جن لدى باب الحصير قيام

يعنى بالحصير الملك ويقال للبخيل حصور وحصر لمنعه ماليه من المال عن أهل الحاجة وحبسه اياه عن النفقة كما قال الاخطل

وشارب مربح بالكأس نادمنى * لا بالحصور ولا فيها بسوار

ويروى بسآر ومنه الحصر فى المنطق لامتناع ذلك عليه واحتباسه اذا أراده ومنه أيضا الحصور عن النساء لتعذر ذلك عليه وامتناعه من الجماع وكذلك الحصر فى الغائط احتباسه عن الخروج وأصل ذلك كله واحد وان اختلفت ألفاظه فأما الحصيران فالجنبان كما قال الطرماح

قليلا تتلى حاجة ثم عوليت * على كل معروش الحصيرين بادن

يعنى بالحصيرين الجنبين * والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال معنى ذلك وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا فراشا ومهادا لا يزايله من الحصير الذى هو بمعنى البساط لان ذلك اذا كان كذلك كان جامعا معنى الحبس والامتهاد مع أن الحصير بمعنى البساط فى كلام العرب أشهر منه بمعنى الحبس وانما اذا أرادت أن تصف شيأ بمعنى حبس شئ فانما تقول هو له حاصر أو محصر فأما الحصير فغير موجود فى كلامهم الا اذا وصفته بأنه مفعول به فيكون فى لفظ فعيل ومعناه مفعول به ألا ترى بيت لبيد لدى باب الحصير فقال لدى باب الحصير لانه أراد لدى باب المحصور فصرف مفعولا الى فعيل فأما فعيل فى الحصر بمعنى وصفه بأنه الحاصر فذلك ما لا نجده فى كلام العرب فلذلك قلت قول الحسن أولى بالصواب فى ذلك وقد زعم بعض أهل العربية من أهل البصرة أن ذلك جائز ولا أعلم لما قال وجها يصح الا بعيدا وهو أن يقال جاء حصير بمعنى حاصر كما قيل علم بمعنى عالم وشهيد بمعنى شاهد ولم يسمع ذلك مستعملا فى الحاصر كما سمعنا فى عالم وشاهد ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ ﴿ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما﴾ يقول تعالى ذكره ان هذا القرآن الذى أنزلناه على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يرشد ويسدد من اهتدى به للتى هى أقوم يقول للسبيل التى هى أقوم من غيرها من السبل وذلك دين الله الذى بعث به أنبياءه وهو الاسلام يقول جل ثناؤه فهذا القرآن يهدى عباد الله المهتدين به الى قصد السبيل التى ضل عنها سائر أهل الملل المكذبين به كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم قال للتى هى أصوب هو الصواب وهو الحق قال والمخالف هو الباطل وقرأ قول الله تعالى فيها كتب قيمة قال فيها الحق ليس فيها عوج وقرأ ولم يجعل له عوجا قيما يقول قيما مستقيما وقوله ويبشر المؤمنين يقول ويبشر أيضا مع هدايته من اهتدى به للسبيل الأقصد

(حتى يبلغ) اليتيم (أشده) بأن تكمل قواه العقلية والحسية كما مر في آخر الانعام (وأوفوا بالعهد) يتناول كل عهد جرى بين انسانين على وفق الشرع وقانونه في المعاملات والمناكحات وغيرها الا اذا دل دليل خاص على ضده (ان العهد كان مسؤلا) أي مطلوبا يطلب من

الذين يؤمنون بالله ورسوله ويعملون في دنياهم بما أمرهم الله به وينتهون عما نهاهم عنه بأن لهم أجرا من الله على ايمانهم وعملهم الصالحات كبيرا يعني ثوابا عظيما وجزاء جزيلا وذلك هو الجنة التي أعدها الله تعالى لمن رضي عمله كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج أن لهم أجرا كبيرا قال الجنة وكل شئ في القرآن أجر كبير أجر كريم ورزق كريم فهو الجنة وأن في قوله أن لهم أجرا كبيرا نصب بوقوع البشارة عليها وأن الثانية معطوفة عليها وقوله وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة يقول تعالى ذكره وأن الذين لا يصدقون بالمعاد الى الله ولا يقرون بالثواب والعقاب في الدنيا فهم لذلك لا يتعاشون من ركوب معاصي الله أعتدنا لهم يقول أعددنا لهم لقدومهم على ربهم يوم القيامة عذابا أليما يعني موجعا وذلك عذاب جهنم ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا﴾ يقول تعالى ذكره مذكرا عباده أياديه عندهم ويدعو الانسان على نفسه وولده وماله بالشر فيقول اللهم أهلكه والعنه عند ضجره أو غضبه كدعائه بالخير يقول كدعائه ربه بأن يهب له العافية ويرزقه السلامة في نفسه وماله وولده يقول فلو استجيب له في دعائه على نفسه وماله وولده بالشر كما يستجاب له في الخير هلك ولكن الله بفضله لا يستجيب له في ذلك * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا يعني قول الانسان اللهم العنه واغضب عليه فلو يعجل له ذلك كما يعجل له الخير لهلك قال ويقال هو واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما أن يكشف ما به من ضر يقول الله تبارك وتعالى لو أنه ذكرني وأطاعني واتبع أمري عند الخير كما يدعوني عند البلاء كان خيرا له حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ويدعو الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا يدعو على ماله فيلعن ماله وولده ولو استجاب الله له لأهلكه حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ويدعو الانسان بالشر دعاءه بالخير قال يدعو على نفسه بما لو استجيب له هلك وعلى خادمه أو على ماله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ويدعو الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا قال ذلك دعاء الانسان بالشر على ولده وعلى امرأته فيعجل فيدعو عليه ولا يحب أن يصيبه واختلف في تأويل قوله وكان الانسان عجولا فقال مجاهد ومن ذكرت قوله معناه وكان الانسان عجولا بالدعاء على ما يكره أن يستجاب له فيه * وقال آخرون عني بذلك آدم أنه عجل حين نفخ فيه الروح قبل أن تجري في جميع جسده فرام النهوض فوصف ولده بالاستعجال لما كان من استعجال أبيهم آدم القيام قبل أن يتم خلقه ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم عن ابراهيم أن سلمان الفارسي قال أول ما خلق الله من آدم رأسه فجعل ينظر وهو يخلق قال وبقيت رجلاه فلما كان بعد العصر قال يا رب عجل قبل الليل فذلك قوله وكان الانسان عجولا حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس قال لما نفخ الله في آدم من روحه أتت النفخة من قبل رأسه فجعل لا يجري شئ منها في جسده الا صار لحما ودما فلما انتهت النفخة الى سرته نظر الى جسده فأعجبه ما رأى من جسده فذهب لينهض فلم يقدر فهو قول الله تبارك وتعالى وكان الانسان عجولا قال ضجر الا صبر له

والعهد كقوله ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وعن محمد بن الحنفية المراد شهادة الزور ومثله عن ابن عباس لا تشهد الا بما رأته عيناك وسمعته أذناك ووعاه قلبك وقيل أراد النهي عن القذف ورمي المحصنات والمحصنات

المعاهد أن لا يضيعه ويفي به أو هو على حذف المضاف والمراد ان صاحب العهد مسؤل أو هو تخييل كأنه يقال للعهد لم نكثت تبكيتا للناكث كقوله واذا الموءودة سئلت ثم أمر بايفاء الكيل فيما يكال والوزن فيما يوزن والقسطاس بضم القاف وكسرها هو القبان المسمى بالقرسطون وقيل كل ميزان صغير أو كبير والأصح أنه لغة العرب من القسط النصيب المعدل وقيل رومي أو سرياني (ذلك) الايفاء والوزن المعدل (خير) من التطفيف (وأحسن تأويلا) عاقبة من آل اذا رجع أما في الدنيا فلانه اذا اشتهر بالاحتراز عن الخيانة مالت القلوب اليه وعول الناس عليه فينفتح عليه أبواب المعاملات وأما في الآخرة فظاهر قال الحكيم ان نقصان الكيل والوزن قليل والوعيد عليه شديد والعار فيه عظيم فيجب على العاقل أن يحترز عنه ثم أمر باصلاح اللسان والقلب فقال (ولا تقف) أي لا تتبع من قولك قفوت فلانا أي اتبعت أثره ومنه قافية الشعر لانها تقفو كل بيت والقبيلة المشهورة بالقافة لانهم يتبعون آثار أقدام الناس ويستدلون بها على أحوالهم في النسب والمراد النهي عن أن يقول الرجل ما لا يعلم أو يعمل بما لا علم له به وهذه قضية كلية ولكن المفسرين حملوها على صور مخصوصة فقيل نهي المشركين عن تقليد أسلافهم في الالهيات والنبوات والتحليل والتحريم

بالاكاذيب وكانت عادة العرب جارية بذلك يذكرونها في الهجاء ويبالغون فيه وقال قتادة معناه لا تقل سمعت ورأيت وعلمت ولم تسمع ولم تر ولم تعلم وقيل القفو هو البهت وهو في معنى الغيبة لانه قول يقال في قفاه ومنه الحديث من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبس الله في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج أي يتوب وردغة الخبال بفتح الدال وسكونها هي عصارة أهل النار من القيح والصديد احتج نفاة القياس بالآية زعما منهم أن الحكم في دين الله بالقياس حكم بغير المعلوم وأجيب بأن العلم قد يراد به الظن قال تعالى فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار ولا ريب أنه انما يمكن العلم بايمانهن بناء على اقرارهن وانه لا يفيد الا الظن سلمنا لكن الظن وقع في الطريق لان الشرع قد أقام الظن الغالب مقام العلم وأمر بالعمل به وزيف بأنه لا دليل قاطعا على وجوب العمل بالظن الغالب لان ذلك الدليل ليس عقليا بالاتفاق ولا نقليا لانه انما يكون قطعيا لو كان منقولا نقلا متواترا وكانت دلالته على ثبوت هذا الطلب دلالة قطعية غير محتملة للنقيض ولو حصل مثل هذا الدليل لوصل الى الكل ولم يبق خلاف ونوقض بأن الدليل الذي عولتم عليه وهو هذه الآية تمسك بعام مخصوص للاتفاق على أن العمل بالشهادة عمل بالظن وهو جائز وكذا الاجتهاد في القبلة وفي قيم المتلفات وأروش الجنايات وكذا الفصد والحجامة وسائر المعالجات وكذا الحكم بكون الشخص المعين كالذابح مؤمنا لتحل ذبيحته أو الوارث لحصول التوارث أو الميت ليدفن في مقابر المسلمين وبالحقيقة أكثر الاعمال المعتبرة في الدنيا من الاسفار وطلب الارباح والمعاملات الى الآجال المعينة والاعتماد على صداقة الاصدقاء وعداوة الاعداء كلها مظنونة وقال صلى الله عليه وسلم نحن نحكم بالظاهر والتمسك بالعام المخصوص لا يفيد الا الظن فلو دلت هذه الآية على أن التمسك بالظن غير جائز لزم أن لا يجوز التمسك بهذه الآية وكل ما يفضي ثبوته الى نفيه يسقط الاستدلال به وأجيب بأنا نعلم بالتواتر الظاهر من

على سراء ولا ضراء ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شئ فصلناه تفصيلا ﴾ يقول تعالى ذكره ومن نعمه عليكم أيها الناس مخالفته بين علامة الليل وعلامة النهار باظلامه علامة الليل واضاءته علامة النهار لتسكنوا في هذا وتتصرفوا في ابتغاء رزق الله الذي قدره لكم بفضله في هذا ولتعلموا باختلافهما عدد السنين وانقضاءها وابتداء دخولها وحساب ساعات النهار والليل وأوقاتها وكل شئ فصلناه تفصيلا يقول وكل شئ بينا بيانا شافيا لكم أيها الناس لتشكروا الله على ما أنعم به عليكم من نعمه وتخلصوا له العبادة دون الآلهة والأوثان * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عبد العزيز بن رفيع عن أبي الطفيل قال قال ابن الكواء لعلي يا أمير المؤمنين ما هذه اللطخة التي في القمر فقال ويحك أما تقرأ القرآن فمحونا آية الليل فهذه محوه حدثنا أبو كريب قال ثنا طلق عن زائدة عن عاصم عن علي بن ربيعة قال سأل ابن الكواء عليا فقال ما هذا السواد في القمر فقال على فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة هو المحو حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن عبد الله بن عمر قال كنت عند علي فسأله ابن الكواء عن السواد الذي في القمر فقال ذاك آية الليل محيت حدثنا ابن أبي الشوارب قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا عمران بن حدير عن رفيع بن أبي كثير قال قال علي بن أبي طالب رضوان الله عليه سلوا عما شئتم فقام ابن الكواء فقال ما السواد الذي في القمر فقال قاتلك الله هلا سألت عن أمر دينك وآخرتك قال ذلك محو الليل حدثني زكريا بن يحيى ابن أبان المصري قال ثنا ابن عفير قال ثنا ابن لهيعة عن حيي بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رجلا قال لعلي ما السواد الذي في القمر قال ان الله يقول وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل قال هو السواد بالليل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس كان القمر يضيء كما تضيء الشمس والقمر آية الليل والشمس آية النهار فمحونا آية الليل السواد الذي في القمر حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن أبي زائدة قال ذكر ابن جريج عن مجاهد في قوله وجعلنا الليل والنهار آيتين قال الشمس آية النهار والقمر آية الليل فمحونا آية الليل قال السواد الذي في القمر وكذلك خلقه الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وجعلنا الليل والنهار آيتين قال ليلا ونهارا كذلك خلقهما الله قال ابن جريج وأخبرنا عبد الله بن كثير قال فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة قال ظلمة الليل وسدفة النهار حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة أي منيرة وخلق الشمس أنور من القمر وأعظم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وجعلنا الليل والنهار آيتين قال ليلا ونهارا كذلك جعلهما الله واختلف أهل العربية في معنى قوله وجعلنا آية النهار مبصرة

دين محمد صلى الله عليه وسلم أن التمسك بآيات القرآن جائز ورد بأن كون العام المخصص حجة غير معلوم بالتواتر ثم علل النهى بقوله (ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك) اشارة الى الاعضاء الثلاثة وان لم تكن من ذوات العقول كقوله * والعيش بعد أولئك الايام * (كان عنه مسؤلا) قال فى الكشاف عنه فى موضع الرفع بالفاعلية مثل غير المغضوب عليهم وفيه نظر لان المسند اليه الفعل أو شبهه لا يتقدم عليه والصواب أن يقال انه فاعل مسؤلا المحذوف والثانى مفسره وكيف يسئل عن هذه الجوارح قيل يسئل صاحبها عما استعملها فيه لانها آلات والمستعمل لها هو الروح الانسانى فان استعملها فى الخيرات استحق الثواب والا فالعقاب وقيل انه تعالى ينطق الاعضاء ثم يسألها عن أفعالها (ولا تمش فى الارض مرحا) نصب على الحال مع أنه مصدر أى ذا مرح وهو شدة الفرح وفى وضع المصدر موضع الصفة نوع من التأكيد مثل أتانى ركضا وهو نهى عن مشية أهل الخيلاء والكبر (انك لن تخرق الارض) لن تثقبها بشدة وطأتك (ولن تبلغ الجبال طولا) مصدر فى موضع الحال من الفاعل أو المفعول أو تمييز أو مفعول له أو مصدر من معنى تبلغ بين ضعف الآدمى بأنه فى حال انخفاضه لا يقدر على خرق الارض وحال ارتفاعه لا يقدر على الوصول الى رؤس الجبال فلا يليق به أن يتكبر وبوجه آخر كأنه قيل له انك خلق ضعيف محصور بين حجارة من فوقك وتراب من تحتك فلا تفعل فعل المقتدر القوى وقيل انه مثل ومعناه كما أنك لن تخرق الارض فى مشيتك ولن تبلغ الجبال طولا فكذلك لا تبلغ ما أردت بكبرك وعجبك وفيه يأس للانسان من بلوغ ارادته (كل ذلك كان سيئه) من قرأ بالاضافة فظاهر لان المذكور من قوله لا تجعل مع الله الها آخر بعضها حسن وهو المأمورات وبعضها سيئ وهو المنهيات فالمعنى أن ما كان من تلك الاشياء سيئا فانه مكروه عند الله ويمكن أن يراد بسيئ تلك الخصال طرف الافراط أو التفريط ومن قرأ سيئة على التأنيث فقوله كل ذلك اشارة الى المنهيات خاصة وقيل ان الكلام قد تم

فقال بعض نحويى الكوفة معناها مضيئة وكذلك قوله والنهار مبصرا معناه مضيئا كأنه ذهب الى أنه قيل مبصر الاضاءته للناس البصر وقال آخرون بل هو من أبصر النهار اذا صار الناس يبصرون فيه فهو مبصر كقولهم رجل مجبن اذا كان أهله وأصحابه جبناء ورجل مضعف اذا كانت رواته ضعفاء فكذلك النهار مبصرا اذا كان أهله بصراء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لتبتغوا فضلا من ربكم قال جعل لكم سبحا طويلا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وكل شئ فصلناه تفصيلا أى بيناه تبيينا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا) يقول تعالى ذكره وكل انسان ألزمناه ما قضى له أنه عامله وهو صائر اليه من شقاء أو سعادة يعمله فى عنقه لا يفارقه وانما قوله ألزمناه طائره مثل لما كانت العرب تتفاءل به أو تتشاءم من سوانح الطير وبوارحها فأعلمهم جل ثناؤه أن كل انسان منهم قد ألزمه ربه طائره فى عنقه نحسا كان ذلك الذى ألزمه من الطائر وشقاء يورده سعيرا أو كان سعدا يورده جنات عدن * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن بشار قال ثنا معاذ بن هشام قال ثنى أبى عن قتادة عن جابر بن عبد الله أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال لا عدوى ولا طيرة وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه قال الطائر عمله قال والطائر فى أشياء كثيرة فمنه التشاؤم الذى يتشاءم به الناس بعضهم من بعض حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى عطاء الخراسانى عن ابن عباس قوله وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه قال عمله وما قدر عليه فهو ملازمه أينما كان فزائل معه أينما زال قال ابن جريج وقال طائره عمله قال ابن جريج وأخبرنى عبد الله بن كثير عن مجاهد قال عمله وما كتب الله حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد طائره عمله حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان وحدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو جميعا عن منصور عن مجاهد وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه قال عمله حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد مثله حدثنى واصل بن عبد الأعلى قال ثنا ابن فضيل عن الحسن بن عمرو الفقيمى عن الحكم عن مجاهد فى قوله وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه قال ما من مولود يولد الا وفى عنقه ورقة مكتوب فيها شقى أو سعيد قال وسمعته يقول أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قال هو ما سبق حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه اى والله بسعادته وشقائه بعمله حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة طائره عمله فان قال قائل وكيف قال ألزمناه طائره فى عنقه ان كان الامر على ما وصفت ولم يقل ألزمناه فى يديه ورجليه أو غير ذلك من أعضاء الجسد قيل لان العنق هو موضع السمات وموضع القلائد والاطوقة وغير ذلك مما يزين أو يشين فجرى كلام العرب بنسبة الاشياء اللازمة بنى آدم وغيرهم من ذلك الى أعناقهم وكثر استعمالهم ذلك حتى أضافوا الاشياء اللازمة سائر الابدان الى الاعناق كما أضافوا جنايات أعضاء الابدان الى اليد فقالوا ذلك بما كسبت

عند قوله وأحسن تأويلا وقوله كل ذلك اشارة الى ما نهى عنه فى قوله ولا تقف ولا تمش وانما قال سيئة على التأنيث مع قوله مكروها على التذكير لانه جعل السيئة فى معنى الذنب (٤٠) والاثم قالت المعتزلة الكراهة تنقيض الارادة ففى الآية دلالة على أن المنهيات لا تكون مرادة لله تعالى لانها مكروهة عنده واذا لم تكن مرادة له لم تكن مخلوقة له لان الخلق بدون الارادة محال أجابت الاشاعرة بأن المراد من كراهتها كونها منهيا عنها وزيف بأنه عدول عن الظاهر مع لزوم التكرار لان كونها سيئة يدل على كونها منهية وأجيب بأنه لا بأس بالتكرار لاجل التأكيد (ذلك) الذى ذكر من قوله لا تجعل الى هذه الغاية وترتقى الى خمسة وعشرين تكليفا (مما أوحى اليك ربك من الحكمة) سمى حكمة لانه كلام محكم لا مدخل فيه للفساد بوجه روى عن ابن عباس أنها كانت فى ألواح موسى عليه السلام وباصطلاح الحكماء ان الحكمة عبارة عن معرفة الحق لذاته والخير لاجل العمل به لا ريب أن الامر بالتوحيد رأس الحكمة النظرية وسائر التكاليف مشتملة على أصول مكارم الاخلاق وهى الحكمة العملية ولقد جعل الله سبحانه فاتحة هذه التكاليف النهى عن الشرك وكذا خاتمتها لان التوحيد رأس كل حكمة وملاكها ومن فقده لم ينفعه شئ من العلوم وان بذ فيها الأقران والاكفاء وحك بيافوخه السماء وقد راعى فى هذا التكرار دقيقة فرتب على الاول كونه مذموما مخذولا وذلك اشارة الى حال المشرك فى الدنيا ورتب على الثانى أنه يلقى فى جهنم ملوما مدحورا وأنها حاله فى الآخرة وفى القعود هناك والالقاء ههنا اشارة الى أن للانسان فى الدنيا صورة اختيار بخلاف الآخرة والله أعلم بمراده وقد يفرق بين الذم واللوم فيقال الذم هو أن يذكر أن الفعل الذى قدم عليه قبيح منكر واللوم هو أن يقال له لم فعلت مثل هذا الفعل وما الذى حملك عليه وما استفدت من هذا العمل الا الحاق الضرر بنفسك ويفرق بين المخذول والمدحور بأن المخذول عبارة

يداه وان كان الذى جر عليه لسانه أو فرجه فكذلك قوله ألزمناه طائره فى عنقه واختلفت القراء فى قراءة قوله ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا فقرأه بعض أهل المدينة ومكة وهو نافع وابن كثير وعامة قراء العراق ونخرج بالنون له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا بفتح الياء من يلقاه وتخفيف القاف منه بمعنى ونخرج له نحن يوم القيامة ردا على قوله ألزمناه ونحن نخرج له يوم القيامة كتاب عمله منشورا وكان بعض قراء أهل الشام يوافق هؤلاء على قراءة قوله ونخرج ويخالفهم فى قوله يلقاه فيقرؤه يلقاه بضم الياء وتشديد القاف بمعنى ونخرج له نحن يوم القيامة كتابا يلقاه ثم يرده الى ما لم يسم فاعله فيقول يلقى الانسان ذلك الكتاب منشورا وذكر عن مجاهد ما حدثنا أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا يزيد عن جرير بن حازم عن حميد عن مجاهد أنه قرأها ويخرج له يوم القيامة كتابا قال يزيد يعنى يخرج الطائر كتابا هكذا أحسبه قرأها بفتح الياء وهى قراءة الحسن البصرى وابن محيصن وكأن من قرأ هذه القراءة وجه تأويل الكلام الى ويخرج له الطائر الذى ألزمناه عنق الانسان يوم القيامة فيصير كتابا يقرؤه منشورا وقرأ ذلك بعض أهل المدينة ويخرج له بضم الياء على مذهب ما لم يسم فاعله وكأنه وجه معنى الكلام الى ويخرج له الطائر يوم القيامة كتابا يريد ويخرج الله ذلك الطائر فصيره كتابا الا أنه نحاه نحو ما لم يسم فاعله * وأولى القراآت فى ذلك بالصواب قراءة من قرأه ونخرج بالنون وضمها له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا بفتح الياء وتخفيف القاف لان الخبر جرى قبل ذلك عن الله تعالى أنه الذى ألزم خلقه ما ألزم من ذلك فالصواب أن يكون الذى يليه خبرا عنه أنه هو الذى يخرجه لهم يوم القيامة وأن يكون بالنون كما كان الخبر الذى قبله بالنون وأما قوله يلقاه فان فى اجماع الحجة من القراء على تصويب ما اخترنا من القراءة فى ذلك وشذوذ ما خالفها الحجة الكافية لنا على تقارب معنى القراءتين أعنى ضم الياء وفتحها فى ذلك وتشديد القاف وتخفيفها فيه فاذا كان الصواب فى القراءة هو ما اخترنا بالذى عليه دللنا فتأويل الكلام وكل انسان منكم يا معشر بنى آدم ألزمناه نحسه وسعده وشقاءه وسعادته بما سبق له فى علمنا أنه صائر اليه وعامل من الخير والشر فى عنقه فلا يجاوز فى شئ من أعماله ما قضينا عليه أنه عامله وما كتبناه أنه صائر اليه ونحن نخرج له اذا وافانا كتابا يصادفه منشورا بأعماله التى عملها فى الدنيا وبطائره الذى كتبناه وألزمناه اياه فى عنقه قد أحصى عليه ربه فيه كل ما سلف فى الدنيا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا قال هو عمله الذى عمل أحصى عليه فأخرج له يوم القيامة ما كتب عليه من العمل يلقاه منشورا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا أى عمله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة ألزمناه طائره فى عنقه قال عمله ونخرج له قال نخرج ذلك العمل كتابا يلقاه منشورا قال معمر وتلا الحسن عن اليمين وعن الشمال قعيد يا ابن آدم بسطت لك صحيفتك ووكل بك ملكان كريمان أحدهما عن يمينك والآخر عن يسارك فأما الذى عن يمينك فيحفظ حسناتك وأما الذى عن شمالك فيحفظ سيآتك فاعمل ما شئت أقل أو أكثر حتى اذا مت طويت صحيفتك فجعلت فى عنقك معك فى قبرك حتى تخرج يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا قد عدل والله عليك من جعلك حسيب

نفسك

عن الضعيف يقال تخاذلت أعضاؤه أى ضعفت والمدحور المطرود والطرد عبارة عن الاستخفاف والاهانة ثم أنكر على المشركين القائلين بأن الملائكة بنات الله فقال (أفأصفاكم) أى أخصكم (ربكم) على وجه الخلوص والصفاء (٤١) (بالبنين) الذين هم أفضل الاولاد (واتخذ من الملائكة) أولادا (اناانكم لتقولون قولا عظيما) باضافة الاولاد الى من لا يصح له الولد لقدمه وتنزهه عن صفات الاجسام ثم بأنكم تفضلون عليه أنفسكم حيث تجعلون له ما تكرهون وهذا خلاف معقولكم وعادتكم فان العبد لا يؤثرون بالاجود والأصفى والسادة بالأدون والارذل ثم بجعلكم الملائكة الذين هم أعلى خلق الله على الاطلاق أو التقييد على المذهبين أخس الصنفين وهو الاناث ۞ التأويل خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم ليقطع تعلقه عن الكونين من بين الثقلين فقال لا تجعل مع الله الها آخر من الدنيا والآخرة ثم شرف أمته بتبعيته قائلا وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وانما قال ربك لانه أصل فى التربية والامة تبع له فمن حكم فى الازل أنه لا يعبد غير الله لم يعبد غير الله و بالوالدين والدالروح ووالدة البدن والاحسان بهما أن يراقبهما فى العبودية ليعبد الله كأنه مما يريانه اما يبلغن عندك يخاطب القلب ويوصيه بأن يواسى والدالروح عند كبره وهو بلوغه أعلى مراتب القرب وعجزه عند سطوات تجلى صفات الالوهية ويداري والدة البدن حينئذ فلا يستعملها عند العجز ولا تنهرهما عند الاستراحة وارفق بهما عند استعمالهما فى العبودية ولا تتكبر عليهما فانك أخذت التربية منهما لان القلب طفل تولد بازدواج الروح والبدن وقد وجد التربية منهما صورة ومعنى الى أن صار

نفسك حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة طائره عمله ونخرج له بذلك العمل كتابا يلقاه منشورا وقد كان بعض أهل العربية يتأول قوله وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه أى حظه من قولهم طار سهم فلان بكذا اذا خرج سهمه على نصيب من الانصباء وذلك وان كان قولا له وجه فان تأويل أهل التأويل على ما قد بينت وغير جائز أن يتجاوز فى تأويل القرآن ما قالوه الى غيره على أن ما قاله هذا القائل ان كان عنى بقوله حظه من العمل والشقاء والسعادة فلم يبعد معنى قوله من معنى قولهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا﴾ يقول تعالى ذكره ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا فيقال له اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا فترك ذكر قوله فنقول له اكتفاء بدلالة الكلام عليه وعنى بقوله اقرأ كتابك اقرأ كتاب عملك الذى عملته فى الدنيا الذى كان كاتبانا يكتبانه ويحصيه عليك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا يقول حسبك اليوم نفسك عليك حاسبا يحسب عليك أعمالك فيحصيها عليك لا تبتغى عليك شاهدا غيرها ولا تطلب عليك محصيا سواها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا سيقرأ يومئذ من لم يكن قارئا فى الدنيا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ يقول تعالى ذكره من استقام على طريق الحق فاتبعه وذلك دين الله الذى ابتعث به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم فانما يهتدى لنفسه يقول فليس ينفع بلزومه الاستقامة وايمانه بالله ورسوله غير نفسه ومن ضل يقول ومن جار عن قصد السبيل فأخذ على غير هدى وكفر بالله ومحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به من عند الله من الحق فليس يضر بضلاله وجوره عن الهدى غير نفسه لانه يوجب لها بذلك غضب الله وأليم عذابه وانما عنى بقوله فانما يضل عليها فانما يكسب اثم ضلاله عليها لا على غيرها وقوله ولا تزر وازرة وزر أخرى يعنى تعالى ذكره ولا تحمل حاملة حمل أخرى غيرها من الآثام وقال وازرة وزر أخرى لان معناها ولا تزر نفس وازرة وزر نفس أخرى يقال منه وزرت كذا أزره وزرا والوزر هو الاثم يجمع أوزارا كما قال تعالى ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم وكأن معنى الكلام ولا تأثم آثمة اثم أخرى ولكن على كل نفس اثمها دون اثم غيرها من الانفس كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولا تزر وازرة وزر أخرى والله ما يحمل الله على عبد ذنب غيره ولا يؤاخذه الا بعمله وقوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا يقول تعالى ذكره وما كنا مهلكى قوم الا بعد الاعذار اليهم بالرسل واقامة الحجة عليهم بالآيات التى تقطع عذرهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ان الله تبارك وتعالى ليس يعذب أحدا حتى يسبق اليه من الله خبر أو يأتيه من الله بينة وليس معذبا أحدا الا بذنبه حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة عن أبى هريرة قال اذا كان يوم القيامة جمع الله تبارك وتعالى نسم الذين ماتوا فى الفترة والمعتوه والأصم والأبكم والشيوخ الذين جاء الاسلام وقد خرفوا ثم أرسل رسولا أن ادخلوا النار فيقولون كيف ولم يأتنا رسول وأيم الله لو دخلوها لكانت عليهم بردا وسلاما ثم يرسل اليهم فيطيعه من كان يريد أن يطيعه قبل قال أبو هريرة اقرؤا ان شئتم وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن همام عن أبى هريرة نحوه

قابلا للتجلى والخلافة ربكم أعلم بما فى نفوسكم من الاستعداد ان تكونوا صالحين مستعدين للخلافة فانه كان للاوابين الراجعين من أنانيته الى هويته دون من كان مقيدا بنفسه غفورا ساترا بأنوار جماله ثم

أخبر عن اداب الخلافة قائلا وات ذا القربى وهو النفس حقه فان لنفسك عليك حقا من غير اسراف وتقتير ﴿ولقد صرفنا فى هذا القرآن ليذكروا ومايزيدهم الانفورا قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذا لابتغوا الى ذى العرش سبيلا سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا نحن أعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا أنظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر فى صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم أول مرة فسينغضون اليك رؤسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون ان لبثتم الا قليلا وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن ان الشيطان ينزغ بينهم ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ربكم أعلم بكم ان يشأ يرحمكم أو ان يشأ يعذبكم وما أرسلناك عليهم وكيلا وربك أعلم بمن فى السموات والأرض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابا شديدا كان ذلك فى الكتاب مسطورا وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الاولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل

﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا﴾ اختلفت القراء فى قراءة قوله أمرنا مترفيها فقرأت ذلك عامة قراء الحجاز والعراق أمرنا بقصر الالف وغير مدها وتخفيف الميم وفتحها واذا قرئ ذلك كذلك فان الأغلب من تأويله أمرنا مترفيها بالطاعة ففسقوا فيها بمعصيتهم الله وخلافهم أمره كذلك تأوله كثير ممن قرأه كذلك ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس أمرنا مترفيها قال بطاعة الله فعصوا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا شريك عن سلمة أو غيره عن سعيد بن جبير قال أمرنا بالطاعة فعصوا وقد يحتمل أيضا اذا قرئ كذلك أن يكون معناه جعلناهم أمراء ففسقوا فيها لان العرب تقول هو أمير غير مأمور وقد كان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يقول قد يتوجه معناه اذا قرئ كذلك الى معنى أكثرنا مترفيها ويحتج لتصحيحه ذلك بالخبر الذى روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال خير المال مهرة مأمورة أو سكة مأبورة ويقول ان معنى قوله مأمورة كثيرة النسل وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من الكوفيين ينكر ذلك من قيله ولا يجيز أمرنا بمعنى أكثرنا الا عند الالف من أمرنا ويقول فى قوله مهرة مأمورة انما قيل ذلك على الاتباع لمجىء مأبورة بعدها كما قيل ارجعن مأزورات غير مأجورات فهمز مأزورات لهمز مأجورات وهى من وزرت إتباعا لبعض الكلام بعضا وقرأ ذلك أبو عثمن أمرنا بتشديد الميم بمعنى الامارة حدثنا أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا هشيم عن عوف عن أبى عثمن النهدى أنه قرأ أمرنا مشددة من الامارة وقد تأول هذا الكلام على هذا التأويل جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا على بن داود قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله أمرنا مترفيها يقول سلطنا أشرارها ففسقوا فيها فاذا فعلوا ذلك أهلكتهم بالعذاب وهو قوله وكذلك جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها حدثنى الحرث قال ثنا القاسم قال سمعت الكسائى يحدث عن أبى جعفر الرازى عن الربيع بن أنس أنه قرأها أمرنا وقال سلطنا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى حفص عن الربيع عن أبى العالية قال أمرنا مثقلة جعلنا عليها مترفيها مستكبريها حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تبارك وتعالى أمرنا مترفيها قال بعثنا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * وذكر عن الحسن البصرى أنه قرأ ذلك آمرنا عند الالف من أمرنا بمعنى أكثرنا فسقتها وقد وجه تأويل هذا الحرف الى هذا التأويل جماعة من أهل التأويل الا أن الذين حذثونا لم يميزوا لنا اختلاف القراآت فى ذلك وكيف قرأ ذلك المتأولون الا القليل منهم ذكر من تأول ذلك كذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله واذا أردنا أن نهلك قرية آمرنا مترفيها ففسقوا فيها يقول أكثرنا عددهم حدثنا هناد قال ثنا أبو الأحوص عن سماك عن عكرمة قوله آمرنا مترفيها قال أكثرناهم حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن أبى رجاء عن الحسن فى قوله امرنا مترفيها قال أكثرناهم حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمن قال

بالآيات الا تخويفا واذ قلنا لك ان ربك أحاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا ﴿ القراآت ليذكروا من الذكر وكذلك في الفرقان حمزة وعلي وخلف الآخرون بتشديد الذال والكاف من التذكر كما يقولون على الغيبة ابن كثير وحفص عما تقولون على الخطاب حمزة وعلي وخلف تسجع بتاء التأنيث أبو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير أبي بكر وحماد والمفضل والخزاز عن هبيرة الآخرون على التذكير أنذا أئنا القول فيه كما مر في الرعد وكذلك في آخر هذه السورة وفي سورة قد أفلح وفي سورة السجدة ۞ الوقوف ليذكروا ط نفورا ○ سبيلا ○ كبيرا ○ فيهن ط تسبيحهم ط غفورا ○ مستورا ○ لا للعطف وقرا ط نفورا ط ○ مسحورا ○ سبيلا ○ جديدا ○ حديدا ○ لا صدوركم ج للفاء مع أن السين للاستئناف يعيدنا ط أول مرة ج لما قلنا متى هو ط قريبا ○ قليلا ○ أحسن ط بينهم ط مبينا ○ أعلم بكم ○ يعذبكم ط وكيلا ط والارض ط زبورا ○ تحويلا ○ عذابه ط محذورا ○ شديدا ط ○ مسطورا ○ الاولون ط لان الواو للاستئناف فظلموا بها ط تخويفا ○ بالناس ط في القرآن ط الكل لما مر ونخوفهم لا لصحة عطف المستقبل على المستقبل كبيرا ○ ۞ التفسير لما بين أنواع الحكم ومكارم الاخلاق ذكر غاية مظلومية الانسان وجهولية فقال (ولقد صرفنا) أي بينا أحسن بيان لان من حاول بيان شئ فانه يصرف كلامه من نوع الى نوع ومن مثال الى مثال حتى ينتهي به الى ما هو مراده من الايضاح ومفعول التصريف متروك أي أوقعنا التصريف (في هذا القرآن) أو محذوف للعلم به والمراد صرفنا فيه ضروبا (من كل مثل) وأراد بهذا القرآن ابطال اضافتهم البنات الى الله لانه مما كرر ذكره والمقصود ولقد صرفنا القول في هذا المعنى وقيل لفظة في زائدة كقوله

قال سمعت الضحاك يقول في قوله آمرنا مترفيها يقول أكثرنا مترفيها أي كبراءها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذا أردنا أن نهلك قرية آمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول يقول أكثرنا مترفيها أي جبابرتها ففسقوا فيها عملوا بمعصية الله فدمرناها تدميرا وكان يقال اذا أراد الله بقوم صلاحا بعث عليهم مصلحا واذا أراد بهم فسادا بعث عليهم مفسدا واذا أراد أن يهلكها أكثر مترفيها حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة آمرنا مترفيها قال أكثرناهم حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الزهري قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما على زينب وهو يقول لا اله الا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا وحلق بين ابهامه والتي تليها قالت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون قال نعم اذا كثر الخبث حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله واذا أردنا أن نهلك قرية آمرنا مترفيها ففسقوا فيها قال ذكر بعض أهل العلم أن آمرنا أكثرنا قال والعرب تقول للشئ الكثير أمر لكثرته فاما اذا وصف القوم بأنهم كثروا فانه يقال أمر بنو فلان وأمر القوم يأمرون أمرا وذلك اذا كثروا وعظم أمرهم كما قال لبيد

ان يغبطوا يهبطوا وان أمروا ✻ يوما يصيروا للقل والنفد

والأمر المصدر والاسم الامر كما قال الله جل ثناؤه لقد جئت شيأ امرا قال عظيما وحكي في مثل شر أمر أي كثير ✻ وأولى القراآت في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأه أمرنا مترفيها بقصر الالف من أمرنا وتخفيف الميم منها لاجماع الحجة من القراء على تصويبها دون غيرها واذا كان ذلك هو الاولى بالصواب بالقراءة فأولى التأويلات به تأويل من تأوله أمرنا أهلها بالطاعة فعصوا وفسقوا فيها فحق عليهم القول لان الأغلب من معنى أمرنا الأمر الذي هو خلاف النهي دون غيره وتوجيه معاني كلام الله جل ثناؤه الى الأشهر الأعرف من معانيه أولى ما وجد اليه سبيل من غيره ومعنى قوله ففسقوا فيها فخالفوا أمر الله فيها وخرجوا عن طاعته فحق عليها القول يقول فوجب عليها بمعصيتهم الله وفسوقهم فيها وعيد الله الذي أوعد من كفر به وخالف رسله من الهلاك بعد الاعذار والانذار بالرسل والحجج فدمرناها تدميرا يقول فخربناها عند ذلك تخريبا وأهلكنا من كان فيها من أهلها اهلاكا كما قال الفرزدق

وكان لهم كبكر ثمود لما ✻ رغا ظهرا فدمرهم دمارا

۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا﴾ وهذا وعيد من الله تعالى ذكره مكذبي رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من مشركي قريش وتهديد لهم بالعقاب واعلام منه لهم أنهم ان لم ينتهوا عما هم عليه مقيمون من تكذيبهم رسوله عليه السلام أنه محل بهم سخطه ومنزل بهم من عقابه ما أنزل بمن قبلهم من الامم الذين سلكوا في الكفر بالله وتكذيب رسله سبيلهم يقول الله تعالى ذكره وقد أهلكنا أيها القوم من قبلكم من بعد نوح الى زمانكم قرونا كثيرة كانوا من جحود آيات الله والكفر به وتكذيب رسله على مثل الذي أنتم عليه ولستم بأكرم على الله تعالى منهم لأنه لا مناسبة بين أحد وبين الله جل ثناؤه فيعذب قوما بما لا يعذب به آخرين أو يعفو عن ذنوب ناس فيعاقب عليها آخرين

وأصلح لى فى ذريتى قال الجبائى فى قوله (ليذكروا) دلالة على أنه أراد منهم فهمها والايمان بها والمراد بالذكر ههنا فيمن قرأ مخففا هو التذكر والتأمل لا الذكر الذى هو نقيض النسيان وقالت الاشاعرة قوله (وما يزيدهم الا نفورا) دلت على عكس ذلك لان الحكيم اذا أراد تحصيل أمر من الامور وعلم أن الفعل الفلانى يصير سببا لعسره وتعذره والنفرة عنه يقبح منه الامر بذلك الفعل ولما أخبر أن هذا التصريف يزيدهم نفورا علمنا أنه ما أراد الايمان منهم عن سفيان الثورى أنه كان اذا قرأها قال زادنى لك خضوعا ما زاد أعداءك نفورا ثم دل على التوحيد الذى أمر به فى قوله ولا تجعل مع الله الها آخر فقال (قل لو كان معه آلهة كما يقولون) أى كما يقول المشركون من اثبات آلهة من دونه أو كما تقولون أيها المشركون وفى قوله (اذا) دلالة على أن ما بعدها وهو (لابتغوا) جواب عن مقالة المشركين وجزاء للو قاله فى الكشاف قلت ولعل اذا ههنا ظرف لما دل عليه لابتغوا أى لطلبوا اذ ذاك الى ذى العرش سبيلا بالمغالبة كما يفعل الملوك بعضهم ببعض ومثله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ويسمى فى عرف المتكلمين دليل التمانع وسيجىء بحثه فى سورة الانبياء ان شاء الله العزيز وقيل معنى الآية لو كانت هذه الاصنام كما تقولون من أنها تقربكم الى الله زلفى لطلبت لأنفسها المراتب العالية والدرجات الرفيعة فلما لم تقدر أن تتخذ لأنفسها سبيلا الى الله فكيف يعقل أن تهديكم الى الله ثم نزه نفسه عن أقوالهم فقال (سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا) فوضع الثلاثى وهو العلو موضع المتشعبة وهو التعالى كقوله أنبتكم من الارض نباتا ثم وصف العلو بالكبر مبالغة فى التزاهة وتنبيها على أن بين الواجب لذاته والممكن لذاته وبين الغنى المطلق والفقير المطلق مباينة لا تعقل الزيادة عليها ثم بين غاية ملكه ونهاية عظمته بقوله (تسبح له) الآية قالت العقلاء تسبيح الحى المكلف يكون تارة باللسان بأن

يقول جل ثناؤه فأنيبوا الى طاعة الله ربكم فقد بعثنا اليكم رسولا ينبهكم على حجتنا عليكم ويوقظكم من غفلتكم ولم نكن لنعذب قوما حتى نبعث اليهم رسولا منبها لهم على حجج الله وأنتم على فسوقكم مقيمون وكفى بربك يا محمد بذنوب عباده خبيرا يقول وحسبك يا محمد بالله خابرا بذنوب خلقه عالما فانه لا يخفى عليه شئ من أفعال مشركى قومك هؤلاء ولا أفعال غيرهم من خلقه هو بجميع ذلك عالم خابر بصير يقول يبصر ذلك كله فلا يغيب عنه منه شئ ولا يعزب عنه منه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر وقد اختلف فى مبلغ مدة القرن فحدثنا مجاهد بن موسى قال ثنا يزيد قال ثنا حماد بن سلمة عن أبى محمد بن عبد الله بن أبى أوفى قال القرن عشرون ومائة سنة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أول قرن كان وآخرهم يزيد بن معاوية * وقال آخرون بل هو مائة سنة ذكر من قال ذلك حدثنا حسان بن محمد بن عبد الرحمن الحصى أبو الصلت الطائى قال ثنا سلامة بن حواس عن محمد بن القاسم عن عبد الله بن بسر المازنى قال وضع النبى صلى الله عليه وسلم يده على رأسه وقال سيعيش هذا الغلام قرنا قلت كم القرن قال مائة سنة حدثنا حسان بن محمد قال ثنا سلامة بن حواس عن محمد بن القاسم قال ما زلنا نعده حتى تمت مائة سنة ثم مات قال أبو الصلت أخبرنى سلامة أن محمد بن القاسم هذا كان ختن عبد الله ابن بسر * وقال آخرون فى ذلك بما حدثنا اسمعيل بن موسى الفزارى قال أخبرنا عمر بن شاكر عن ابن سيرين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القرن أربعون سنة وقوله وكفى بربك أدخلت الباء فى قوله بربك وهو فى محل رفع لان معنى الكلام وكفاك ربك وحسبك ربك بذنوب عباده خبيرا دلالة على المدح وكذلك تفعل العرب فى كل كلام كان بمعنى المدح أو الذم تدخل فى الاسم الباء والاسم المدخلة عليه الباء فى موضع رفع لتدل بدخولها على المدح أو الذم كقولهم أكرم به رجلا وناهيك به رجلا وجاد بثوبك ثوبا وطاب بطعامكم طعاما وما أشبه ذلك من الكلام ولو أسقطت الباء مما دخلت فيه من هذه الاسماء رفعت لانها فى محل رفع كما قال الشاعر

ويخبرنى عن غائب المرء هديه * كفى الهدى عما غيب المرء مخبرا

فأما اذا لم يكن فى الكلام مدح أو ذم فلا يدخلون فى الاسم الباء لا يجوز أن يقال قام بأخيك وأنت تريد قام أخوك الا أن تريد قام رجل آخر به وذلك معنى غير المعنى الاول ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا﴾ يقول تعالى ذكره من كان طلبه الدنيا العاجلة ولها يعمل ويسعى وإياها يبتغى لا يوفق بمعاد ولا يرجو ثوابا ولا عقابا من ربه على عمله عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد يقول يعجل الله له فى الدنيا ما يشاء من بسط الدنيا عليه أو تقتيرها لمن أراد الله أن يفعل ذلك به أو اهلاكه بما يشاء من عقوباته ثم جعلنا له جهنم يصلاها يقول ثم أصليناه عند مقدمه علينا فى الآخرة جهنم مذموما على قلة شكره إيانا وسوء صنيعه فيما سلف من أياديناعنده فى الدنيا مدحورا يقول مبعدا مقصى فى النار * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد يقول من كانت الدنيا همه وسدمه وطلبته ونيته عجل الله له فيها ما يشاء ثم اضطره الى جهنم قال ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا مذموما فى نعمة الله مدحورا فى نقمة الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى أبو طيبة شيخ من أهل المصيصة أنه سمع أبا اسحق الفزارى يقول عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد قال لمن نريد

يقول سبحان الله وأخرى بدلالة أحواله على وجود الصانع الحكيم وتسبيح غيره لا يكون الا من القبيل الثانى وقد تقرر فى أصول الفقه أن اللفظ المشترك لا يحمل على معنييه معا فى حالة واحدة فتعين حمل التسبيح ههنا على المعنى الثانى ليشمل الكل هذا ما عليه المحققون وأورد عليه أنه لو كان المراد بالتسبيح ما ذكرتم لم يقل ولكن لا تفقهون تسبيحهم لان التسبيح بهذا الوجه مفقود معلوم وأجيب بأن دلالة كل شئ على وجود الصانع معلومة على الاجمال دون التفصيل لانك اذا أخذت تفاحة واحدة فلا شك أنها مركبة من أجزاء لا تتجزأ ولكن عدد تلك الاجزاء وصفة كل منها من الطبع والطعم واللون والحيز والجهة وغيرها لا يعلمها الا الله وأيضا الخطاب للمشركين وانهم وان كانوا مقرين بالخالق الا أنهم لما أثبتوا له شريكا وأنكروا قدرته على البعث والاعادة ولم ينظروا فى المعجزات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فكأنهم لم يفقهوا التسبيح اذ لم يتوسلوا به الى نتيجة النظر الصحيح ولهذا ختم الآية بقوله (انه كان حليما غفورا) حين لا يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وسوء نظركم وزعم بعض الظاهريين أن ما سوى الحى المكلف يسبح الله باللسان أيضا كل بلغته ولسانه الذى لا نعرفه نحن ولا نفقهه وزعم أيضا أن الحيوان اذا ذبح لا يسبح وكذا غصن الشجرة اذا كسرة فأورد عليه أن كونه جمادا لا يمنع من كونه مسبحا فكيف صار ذبح الحيوان مانعا له عن التسبيح وكذا كسر الغصن ويمكن أن يجاب بأن تسبيح كل شئ لعله يختص بتركيبه الذى خلق عليه فاذا أبطل ذلك التركيب وفك ذلك النظم لم يبق مسبحا مطلقا ولا على ذلك النحو واعترض عليه أيضا بأنه اذا جاز فى الجمادات أن تكون عالمة بذات الله سبحانه وبصفاته مسبحة له مع أنها ليست بأحياء انسد علينا باب العلم بكونه تعالى حيا لانا نستدل بكونه عالما قادرا على كونه حيا ويمكن أن يجاب بأنا نستدل على حياته تعالى بالاذن الشرعى ولو سلم أن العلم يستلزم الحياة عقلا فقد

نزيد هلكته **حدثنى** على بن داود قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله مذموما يقول ملوما **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد قال العاجلة الدنيا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا﴾ يقول تعالى ذكره من أراد الآخرة وإياها طلب ولها عمل عملها الذى هو طاعة الله وما يرضيه عنه وأضاف السعى الى الهاء والالف وهى كناية عن الآخرة فقال وسعى للآخرة سعيها ومعناه وعمل لها عملها المعرفة السامعين بمعنى ذلك وأن معناه وسعى لها سعيه لها وهو مؤمن يقول هو مؤمن مصدق بثواب الله وعظيم جزائه على سعيه لها غير مكذب به تكذيب من أراد العاجلة يقول الله جل ثناؤه فأولئك يعنى فمن فعل ذلك كان سعيهم يعنى عملهم بطاعة الله مشكورا وشكر الله اياهم على سعيهم ذلك حسن جزائه لهم على أعمالهم الصالحة وتجاوزه لهم عن سيئها برحمته كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا شكر الله لهم حسناتهم وتجاوز عن سيآتهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا﴾ يقول تعالى ذكره نمد ربك يا محمد كلا الفريقين من مريدى العاجلة ومريدى الآخرة الساعى لها سعيها وهو مؤمن فى هذه الدنيا من عطائه فيرزقهما جميعا من رزقه الى بلوغهما الأمد واستيفائهما الأجل ما كتب لهما ثم تختلف بهما الأحوال بعد الممات وتفترق بهما بعد الورود المصادر ففريق مريدى العاجلة الى جهنم مصدرهم وفريق مريدى الآخرة الى الجنة مآبهم وما كان عطاء ربك محظورا يقول وما كان عطاء ربك الذى يؤتيه من يشاء من خلقه فى الدنيا ممنوعا عمن بسطه عليه لا يقدر أحد من خلقه منعه من ذلك وقد آتاه الله اياه * وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا أى منقوصا وان الله عز وجل قسم الدنيا بين البر والفاجر والآخرة خصوصا عند ربك للمتقين **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وما كان عطاء ربك محظورا قال منقوصا **حدثنا** محمد بن عبد الله المخرمى قال ثنا عبد الرحمن ابن مهدى قال ثنا سهل بن أبى الصلت السراج قال سمعت الحسن يقول كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك قال كلا نعطى من الدنيا البر والفاجر **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء الآية ومن أراد الآخرة ثم قال كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك قال ابن عباس فيرزق من أراد الدنيا ويرزق من أراد الآخرة قال ابن جريج وما كان عطاء ربك محظورا قال ممنوعا **حدثنا** بشر قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله كلا نمد هؤلاء وهؤلاء أهل الدنيا وأهل الآخرة من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا قال ممنوعا **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله كلا نمد هؤلاء وهؤلاء أهل الدنيا وأهل الآخرة من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا من بر ولا فاجر قال والمحظور الممنوع وقرأ انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿انظر

قيل ان لكل موجود حياة تليق به ولما فرغ من الالهيات شرع فى النبوات فقال (واذا قرأت القران) قيل نزلت فى قوم كانوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأ القرآن عليهم يروى أنه كان كلما قرأ القرآن قام عن يمينه وعن يساره أحزاب من ولد قصى يصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار وعن أسماء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا ومعه أبو بكر اذ أقبلت امرأة أبى لهب ومعها حجر فهر تريد الرسول صلى الله عليه وسلم وهى تقول مذمما أتينا * ودينه قلينا * وأمره عصينا فقال أبو بكر يارسول الله ان معها حجرا أخشى عليك فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآيات فجاءت ومارأت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت ان قريشا قد علمت أنى ابنة سيدها وان صاحبك هجانى فقال أبو بكر لا ورب هذه الكعبة ماهجاك وعن ابن عباس أن أبا سفيان والنضر بن الحرث وأبا جهل وغيرهم كانوا يجالسون الرسول صلى الله عليه وسلم ويسمعون حديثه فقال النضر يوما ما أدرى ما يقول محمد غير أنى أرى شفتيه تتحركان بشئ وقال أبو سفيان انى أرى بعض ما يقوله حقا وقال أبو جهل هو مجنون وقال أبو لهب كاهن وقال حويطب بن عبد العزى هو شاعر فنزلت وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد تلاوة القرآن تلا قبلها ثلاث آيات وهن فى سورة الكهف وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا وفى الفصل أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وفى حم الجاثية أفرأيت من اتخذ الهه هواه وكان الله تعالى يحجبه ببركات هذه الآيات عن عيون المشركين وذلك قوله جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا أى ذا ستر وقد جاء مفعول بمعنى ذا كذا كما جاء فاعل على ذلك كثيرا نحو لابن وتامر من ذلك قولهم رجل مرطوب أى ذو رطوبة ومكان مهول وذهول وسيل مفعم ذو افعام وجوز الاخفش مجىء مفعول بمعنى فاعل مثل مشئوم وميمون وقيل انه حجاب يخلقه الله فى عيونهم بحيث يمنعهم وقضى

كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم انظر يا محمد بعين قلبك الى هذين الفريقين اللذين هم أحدهما الدار العاجلة وأياها يطلب ولها يعمل والآخر الذى يريد الدار الآخرة ولها يسعى موقنا بثواب الله على سعيه كيف فضلنا أحد الفريقين على الآخر بأن بصرناها هذا رشده وهديناه للسبيل التى هى أقوم ويسرناه للذى هو أهدى وأرشد وخذلنا هذا الآخر فأضللناه عن طريق الحق وأغشينا بصره عن سبيل الرشد وللآخرة أكبر درجات يقول وفريق مريد الآخرة أكبر فى الدار الآخرة درجات بعضهم على بعض لتفاوت منازلهم بأعمالهم فى الجنة وأكبر تفضيلا بتفضيل الله بعضهم على بعض من هؤلاء الفريق الآخرين فى الدنيا فيما بسطنا لهم فيها * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض أى فى الدنيا وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا وان للمؤمنين فى الجنة منازل وان لهم فضائل بأعمالهم وذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال ان بين أعلى أهل الجنة وأسفلهم درجة كالنجم يرى فى مشارق الارض ومغاربها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ لا تجعل مع الله الها آخر فتقعد مذموما مخذولا ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لا تجعل يا محمد مع الله شريكا فى ألوهته وعبادته ولكن أخلص له العبادة وأفرد له الالوهة فانه لا اله غيره فانك ان تجعل معه الها غيره وتعبد معه سواه تقعد مذموما يقول تصير ملوما على ما ضيعت من شكر الله على ما أنعم به عليك من نعمه وتصييرك الشكر لغيره من أولاك المعروف وفى اشراكك فى الحمد من لم يشركه فى النعمة عليك غيره مخذولا قد أسلمك ربك لمن يغالك سواه واذا أسلمك ربك الذى هو ناصر أوليائه لم يكن لك من دونه ولى ينصرك ويدفع عنك كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لا تجعل مع الله الها آخر فتقعد مذموما مخذولا يقول مذموما فى نعمة الله وهذا الكلام وان كان خرج على وجه الخطاب لنبى الله صلى الله عليه وسلم فهو معنى به جميع من لزمه التكليف من عباد الله جل وعز ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ﴾ يعنى بذلك تعالى ذكره حكم ربك يا محمد بأمره اياكم ألا تعبدوا الا الله فانه لا ينبغى أن يعبد غيره وقد اختلفت ألفاظ أهل التأويل فى تأويل قوله وقضى ربك وان كان معنى جميعهم فى ذلك واحدا ذكر ما قالوا فى ذلك حدثنى على بن داود قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه يقول أمر حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا زكريا بن سلام قال جاء رجل الى الحسن فقال انه طلق امرأته ثلاثا فقال انك عصيت ربك وبانت منك امرأتك فقال الرجل قضى الله ذلك علىّ قال الحسن وكان فصيحا ما قضى الله أى ما أمر الله وقرأ هذه الآية وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه فقال الناس تكلم الحسن فى القدر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه أى أمر ربك فى ألا تعبدوا الا اياه فهذا قضاء الله العاجل وكان يقال فى بعض الحكمة من أرضى والديه أرضى خالقه ومن أسخط والديه فقد أسخط ربه حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة

الحجاب عن رؤية النبي صلى الله عليه وسلم وذلك الحجاب شئ لا يراه أحد فهو مستور وعلى هذا يصح قول الاشاعرة انه يجوز أن تكون الحاسة سليمة والمرئي حاضرا والرؤية غير حاصلة لاجل أنه تعالى يخلق في العيون شيأ يمنعهم عن الرؤية ويحتمل أن يراد حجاب من دونه حجاب أو حجب فهو مستور بغيره أو حجاب يستر أن يبصر فكيف يبصر المحتجب به والقول الثاني في الآية أن المراد بالحجاب الطبع والختم فاستدلت الاشاعرة به وبقوله وجعلنا على قلوبهم الآية على صحة مذهبهم في خلق الكفر والايمان كما مر في سورة الانعام في قوله ومنهم من يستمع اليك وجعلنا وأجاب الجبائي بأن المراد أنهم يطلبون موضعه بالليالي ليقتلوه ويستدلون عليه باستماع قراءته فأمنه الله من شرهم بأن جعل في قلوبهم ما شغلهم عن فهم القرآن وفي آذانهم ما منعهم عن سماع صوته قال الكعبي أراد به التخلية والخذلان كالسيد اذا لم يراقب حال عبده فساءت أخلاق العبد يقول أنا ألقيتك في هذه الحالة بسبب أني خليتك ورأيك وقال جار الله هذه حكاية لما كانوا يقولونه من قولهم قلوبنا غلف وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ومن قبائح أهل الشرك أنهم كانوا يحبون أن تذكر آلهتهم كلما ذكر الله فاذا سمعوا ذكر الله دون ذكر آلهتهم نفروا وانهزموا عن المجلس فلذلك قال تعالى (واذا ذكرت ربك في القرآن وحده) وهو مصدر سد مسد الحال والتقدير يحد وحده مثل وأرسلها العراك (ولوا على أدبارهم نفورا) مصدر من غير لفظ التولية أو جمع نافر كقاعد وقعود فأوعدهم الله على ذلك بقوله (نحن أعلم بما يستمعون به) من الهزء بك وبالقرآن قال جار الله به في موضع الحال كما تقول يستمعون بالهزء أي مصاحبين الهزء أو هازئين و (اذ يستمعون) نصب بما دل عليه أعلم أي أعلم وقت استماعهم بما به يستمعون (واذ هم نجوى) أي يتناجون بانهم مدرون نجوى (اذ يقول الظالمون) اذ بدل من اذ هم (ان تتبعون) أي على تقدير الاتباع لانهم لم يتبعوا رسول الله (الا رجلا مسحورا) سحر

وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه قال أمر ألا تعبدوا الا اياه وفي حرف ابن مسعود ووصى ربك ألا تعبدوا الا اياه **حدثنا** أبو كريب قال ثنا يحيى بن عيسى قال ثنا نصير بن أبي الاشعث قال ثني ابن حبيب بن أبي ثابت عن أبيه قال أعطاني ابن عباس مصحفا فقال هذا على قراءة أبي بن كعب قال أبو كريب قال يحيى رأيت المصحف عند نصير فيه ووصى ربك يعني وقضى ربك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه قال ووصى ربك **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه قال أمر ألا تعبدوا الا اياه **حدثني** الحرث قال ثنا القاسم قال ثنا هشيم عن أبي اسحق الكوفي عن الضحاك بن مزاحم أنه قرأها ووصى ربك وقال انهم ألصقوا الواو بالصاد فصارت قافا وقوله وبالوالدين احسانا يقول وأمركم بالوالدين احسانا أن تحسنوا اليهما وتبروهما ومعنى الكلام وأمركم أن تحسنوا الى الوالدين فلما حذفت أن تعلق القضاء بالاحسان كما يقال في الكلام آمرك به خيرا وأوصيك به خيرا بمعنى آمرك أن تفعل به خيرا ثم تحذف أن فيتعلق الامر والوصية بالخير كما قال الشاعر

عجبت من دهماء اذ تشكونا * ومن أبي دهماء اذ يوصينا * خيرا بها كأننا جافونا

فأعمل يوصينا في الخير واختلفت القراء في قراءة قوله اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفيين اما يبلغن على التوحيد على توجيه ذلك الى أحدهما لان أحدهما واحد فوحدوا يبلغن لتوحيده وجعلوا قوله أو كلاهما معطوفا على الاحد وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين اما يبلغان على التثنية وكسر النون وتشديدها وقالوا قد ذكر الوالدان قبل وقوله يبلغان خبر عنهما بعد ما قدم أسماءهما قالوا والفعل اذا جاء بعد الاسم كان الكلام أن يكون فيه دليل على أنه خبر عن اثنين أو جماعة قالوا والدليل على أنه خبر عن اثنين في الفعل المستقبل الالف والنون قالوا وقوله أحدهما أو كلاهما كلام مستأنف كما قيل فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم وكقوله وأسروا النجوى ثم ابتدأ فقال الذين ظلموا * وأولى القراءتين بالصواب عندي في ذلك قراءة من قرأه اما يبلغن على التوحيد على أنه خبر عن أحدهما لان الخبر عن الامر بالاحسان في الوالدين قد تناهى عند قوله وبالوالدين احسانا ثم ابتدأ قوله اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما وقوله فلا تقل لهما أف يقول فلا تؤفف من شئ رأيته من أحدهما أو منهما مما يتأذى به الناس ولكن اصبر على ذلك منهما واحتسب الأجر في صبرك عليه منهما كما صبرا عليك في صغرك * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا محمد بن محبب قال ثنا سفيان عن ليث عن مجاهد في قوله فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما قال ان بلغا عندك من الكبر ما يبولان ويخرآن فلا تقل لهما أف تقذرهما **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد اما يبلغان عندك الكبر فلا تقل لهما أف حين ترى الأذى وتميط عنهما الخلاء والبول كما كانا يميطانه عنك صغيرا ولا تؤذهما وقد اختلف أهل المعرفة بكلام العرب في معنى أف فقال بعضهم معناه كل ما غلظ من الكلام وقبح وقال آخرون الأف وسخ الاظفار والتف كل ما رفعت بيدك من الارض من شئ حقير وللعرب في أف لغات ستر فعها بالتنوين وغير التنوين وخفضها كذلك

فاختلط عقله وزال عن حد الاعتدال وقيل المسحور الذى أفسد من قولهم طعام مسحور اذا أفسد عمله وأرض مسحورة أصابها من المطر أكثر مما ينبغى فأفسدها وقال مجاهد مسحورا (٤٨) مخدوعا لأن السحر حيلة وخديعة زعموا أن محمدا يتعلم من بعض الناس وأولئك الذين كانوا يخدعونه بهذه الحكايات أو زعموا أن الشيطان يخدعه فيتمثل له بصورة الملك وقال أبو عبيدة يريد بشرا ذا سحر وهو الرئة قال ابن قتيبة لا أدرى ما حمله على هذا التفسير المستنكر مع أن السلف فسروه بالوجوه الواضحة (انظر كيف ضربوا لك الامثال) شبهك كل منهم بشئ آخر فقالوا انه كاهن وشاعر وساحر ومعلم ومجنون (فضلوا) فى جميع ذلك عن طريق الحق (فلا يستطيعون سبيلا) الى الهدى والبيان ضلال من تحير فى التيه الذى لا منار به وحين فرغ من شبهات القوم فى النبوات حكى شبهتهم فى أمر المعاد وأيضا لما ذكر أن القوم وصفوه بأنه مسحور فاسد العقل ذكر ما كان فى زعمهم دالا على اختلاط العقل وهو دعوى الانسان أنه يصير حيا بعد أن كان عظاما ورفاتا والرفات الاجزاء المفتتة من كل شئ ينكسر وهو اسم كالرضاض والفتات ويقال منه رفت عظام الجزور رفتا اذا كسرها وتقرير الشبهة أن الانسان اذا مات جفت أعضاؤه وتناثرت وتفرقت فى جوانب العالم واختلطت بسائطها بأمثالها من العناصر فكيف يعقل بعد ذلك اجتماعها بأعيانها ثم عود الحياة الى ذلك المجموع فأجاب الله تعالى عن شبهتهم بأن اعادة بدن الميت الى حالة الحياة أمر ممكن ولو فرضتم أن بدنه قد صار أبعد شئ من الحياة ورطوبة الحى وغضاضته ومن جنس ما ركب منه البشر كالحجارة أو الحديد فهو كقول القائل أتطمع فىّ وأنا فلان فيقول كن ابن الخليفة أو من شئت فسأطلب منك حقى أما قوله (خلقا مما يكبر فى صدوركم) عن فالمراد افرضوا شيأ آخر أبعد عن قبول الحياة من الحجر والحديد بحيث تستبعد عقولكم كونه قابلا لوصف الحياة وعلى هذا لا حاجة الى تعيين

ونصبها فمن خفض ذلك بالتنوين وهى قراءة عامة أهل المدينة شبهها بالاصوات التى لا معنى لها كقولهم فى حكاية الصوت غاق غاق فخفضوا القاف ونونوها وكان حكمها السكون فانه لا شئ يعرب بها من أجل مجيئها بعد حرف ساكن وهو الالف فكرهوا أن يجمعوا بين ساكنين فحركوا الى أقرب الحركات من السكون وذلك الكسر لان المجزوم اذا حرك فانما يحرك الى الكسر وأما الذين خفضوا ذلك بغير تنوين وهى قراءة عامة قراء الكوفيين والبصريين فانهم قالوا انما يدخلون التنوين فيما جاء من الأصوات ناقصا كالذى يأتى على حرفين مثل مه وصه وبخ فيتمم بالتنوين لنقصانه عن أبنية الأسماء قالوا وأف تام لا حاجة بنا الى تتمته بغيره لانه قد جاء على ثلاثة أحرف قالوا وانما كسرنا الفاء الثانية لئلا نجمع بين ساكنين وأما من ضم ونون فانه قال هو اسم كسائر الاسماء التى تعرب وليس بصوت وعدل به عن الاصوات وأما من ضم ذلك بغير تنوين فانه قال ليس هو اسم ممكن فيعرب باعراب الاسماء الممكنة وقالوا نضمه كما نضم قوله لله الامر من قبل ومن بعد وكما نضم الاسم فى النداء المفرد فنقول يا زيد ومن نصبه بغير تنوين وهو قراءة بعض المكيين وأهل الشام فانه شبهه بقولهم مد يا هذا ورد ومن نصب بالتنوين فانه أعمل الفعل فيه وجعله اسما صحيحا فيقول ما قلت له أفا ولا تفا وكان بعض نحويى البصرة يقول قرئت أف وأفا لغة جعلوها مثل نعتها وقرأ بعضهم أف وذلك أن بعض العرب يقول أف لك على الحكاية أى لا تقل لهما هذا القول قال والرفع قبيح لانه لم يجئ بعده بلام والذين قالوا أف فكسروا كثير وهو أجود وكسر بعضهم ونون وقال بعضهم أفى كانه أضاف هذا القول الى نفسه فقال أفى هذا لكما والمكسور من هذا منون وغير منون على أنه اسم غير ممكن نحو أمس وما أشبهه والمفتوح بغير تنوين كذلك وقال بعض أهل العربية كل هذه الحركات الست تدخل فى أف حكاية تشبيه بالاسم مرة وبالصوت أخرى قال وأكثر ما تكسر الاصوات بالتنوين اذا كانت على حرفين مثل صه ومه وبخ واذا كانت على ثلاثة أحرف شبهت بالأدوات أف مثل ليت ومد وأف مثل مد يشبه بالأدوات (١) واذا قال أف مثل صه وقالوا سمعت مض يا هذا ومض وحكى عن الكسائى أنه قال سمعت ما علمك أهلك الا مض ومض وهذا كأف وأف ومن قال أفا جعله مثل سحقا وبعدا والذى هو أولى بالصحة عندى فى قراءة ذلك قراءة من قرأه فلا تقل لهما أف بكسر الفاء بغير تنوين لعلتين احداهما أنها أشهر اللغات فيها وأفصحها عند العرب والثانية أن حظ كل ما لم يكن له معرب من الكلام السكون فلما كان ذلك كذلك وكانت الفاء فى أف حظها الوقوف ثم لم يكن الى ذلك سبيل لاجتماع الساكنين فيه وكان حكم الساكن اذا حرك أن يحرك الى الكسر حركت الى الكسر كما قيل مد وشد ورد الباب وقوله ولا تنهرهما يقول جل ثناؤه ولا تزجرهما كما حدثنا محمد بن اسمعيل الاحمسى قال ثنا محمد بن عبيد قال ثنا واصل الرقاشى عن عطاء بن أبى رباح فى قوله ولا تقل لهما أف ولا تنهرهما قال لا تنفض يدك على والديك يقال منه نهره ينهره نهرا وانتهره ينتهره انتهارا وأما قوله وقل لهما قولا كريما فانه يقول جل ثناؤه وقل لهما قولا جميلا حسنا كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج وقل لهما قولا كريما قال أحسن ما تجد من القول حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا المعتمر بن سليمان عن عبد الله بن المختار عن هشام بن عروة عن أبيه عن عمر بن الخطاب قولا كريما قال لا تمتنع من شئ يريدانه «قال أبو جعفر» وهذا الحديث خطأ أعنى حديث هشام بن عروة انما هو عن هشام بن عروة عن أبيه ليس فيه عمر حدثنى

---

(١) فى الكلام شئ فحرره

ذلك الشئ وقال مجاهد أراد به السموات والارض وعن ابن عباس أنه الموت أى لو صارت أبدانكم نفس الموت فان الله يعيد الحياة اليها وهذا انما يحسن على سبيل المبالغة كما يقال هو روح مجسم أو وجود محض والا فالموت عرض وانقلاب الجسم عرضا محال وبتقدير

عن ابن علية وغيره عن عبد الله بن المختار **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقل لهما قولا كريما أى قولا لينا سهلا **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة مثله **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى حرملة ابن عمران عن أبى الهداج التجيبى قال قلت لسعيد بن المسيب كل ما ذكر الله عز وجل فى القرآن من بر الوالدين فقد عرفته الا قوله وقل لهما قولا كريما ما هذا القول الكريم فقال ابن المسيب قول العبد المذنب للسيد الفظ ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا﴾ يقول تعالى ذكره وكن لهما ذليلا رحمة منك بهما تطيعهما فيما أمرك به مما لم يكن لله معصية ولا تخالفهما فيما أحبا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن هشام بن عروة عن أبيه فى قوله واخفض لهما جناح الذل من الرحمة قال لا تمتنع من شئ يحبانه **حدثنا** أبو كريب قال ثنا الاشجعى قال سمعت هشام بن عروة عن أبيه فى قوله واخفض لهما جناح الذل من الرحمة قال هو أن تلين لهما حتى لا تمتنع من شئ أحباه **حدثنى** محمد بن عبد الله ابن عبد الحكم قال ثنا أيوب بن سويد قال ثنا الثورى عن هشام بن عروة عن أبيه فى قوله واخفض لهما جناح الذل من الرحمة قال لا تمتنع من شئ أحباه **حدثنى** يعقوب قال ثنا ابن علية عن عبد الله بن المختار عن هشام بن عروة عن أبيه فى قوله واخفض لهما جناح الذل من الرحمة قال هو أن لا تمتنع من شئ يريدانه **حدثنا** أبو كريب قال ثنا المقرئ أبو عبد الرحمن عن حرملة بن عمران عن أبى الهداج قال قلت لسعيد بن المسيب ما قوله واخفض لهما جناح الذل من الرحمة قال ألم تر الى قول العبد المذنب للسيد الفظ الغليظ والذل بضم الذال والذلة مصدران من الذليل وذلك أن يتذلل وليس بذليل فى الخلقة من قول القائل قد ذللت لك أذل ذلة وذلا وذلك نظير القل والقلة اذا أسقطت الهاء ضممت الذال من الذل والقاف من القل واذا أثبتت الهاء كسرت الذال من الذلة والقاف من القلة كما قال الاعشى * وما كنت قلا قبل ذلك أزيبا * يريد القلة وأما الذل بكسر الذال واسقاط الهاء فانه مصدر من الذلول من قولهم دابة ذلول بينة الذل وذلك اذا كانت لينة غير صعبة ومنه قول الله جل ثناؤه هو الذى جعل لكم الارض ذلولا يجمع ذلا كما قال جل ثناؤه فاسلكى سبل ربك ذللا وكان مجاهد يتأول ذلك أنه لا يتوعر عليها مكان سلكته واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق والشام واخفض لهما جناح الذل بضم الذال على أنه مصدر من الذليل وقرأ ذلك سعيد بن جبير وعاصم الجحدرى جناح الذل بكسر الذال **حدثنا** ابن حميد قال ثنا بهز بن أسد قال ثنا أبو عوانة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير أنه قرأ واخفض لهما جناح الذل من الرحمة قال كن لهما ذليلا ولا تكن لهما ذلولا **حدثنا** نصر بن على قال أخبرنى عمر بن شقيق قال سمعت عاصما الجحدرى يقرأ واخفض لهما جناح الذل من الرحمة قال كن لهما ذليلا ولا تكن لهما ذلولا **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عمر بن شقيق عن عاصم مثله * قال أبو جعفر وعلى هذا التأويل الذى تأوله عاصم كان ينبغى أن تكون قراءته بضم الذال لا بكسرها وبكسرها **حدثنا** نصر وابن بشار **وحدثت** عن

التسليم فالموت كيف يقبل الحياة لان الضد يمتنع أن يقبل الضد وفى قوله (قل الذى فطركم أول مرة) بيان كاف وبرهان شاف لانه لما سلم أن خالق الحيوان هو الله فتلك الاجسام فى الجملة قابلة للحياة والعقل والله العالم عالم بجميع الجزئيات والكليات فلا يشتبه عليه أجزاء بدن كل من الاموات واذا قدر على جعلها متصفة بالحياة فى أول الامر فلأن يقدر على اعادتها الى الحياة فى ثانى الحال أولى ألزمهم أولا بأن البعث أمر ممكن وان فرضتم بدن الميت أى شئ أردتم فكأنهم سلموا امكانه ولكن تجاهلوا وتغافلوا عن تعيين المعيد فقالوا من يعيدنا فأجاب بأنه الفاطر الاول ثم زادوا فى الاعتراض فسألوا عن تعيين الوقت يقينا وذلك قوله (فسينغضون اليك رؤسهم) أى فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء قال أبو الهيثم يقال للرجل اذا أخبر بشئ فحرك رأسه الى فوق والى أسفل انكارا له أنغض رأسه قال المفسرون عسى من الله واجب فعلم منه قرب وقت البعث ولكن وقته على التعيين مما استأثر الله بعلمه لا يقال كيف يكون قريبا وقد انقرض أكثر من سبعمائة سنة ولم يظهر لنا نقول كل ما هو آت قريب واذا كان ما مضى أكثر مما بقى فان الباقى قليل قوله (يوم يدعوكم) منتصب باذكروا والمراد يوم يدعوكم كان ما كان أو هو بدل من قريبا والمعنى عسى أن يكون البعث يوم يدعوكم بالنداء الذى يسمعكم وهو النفخة الاخيرة يروى أن اسرافيل ينادى أيها الاجسام البالية والعظام النخرة والاجزاء المتفرقة عودى كما كنت والاستجابة موافقة الداعى فيما دعا اليه وهى مثل الاجابة بزيادة تأكيد لما فى

السين من طلب الموافقة قال فى الكشاف الدعاء والاستجابة كلاهما مجازوالمعنى يوم يبعثكم فتبعثون مطاوعين منقادين لاتمتنعون وقوله (بحمده) حال منهم أى حامدين وهى مبالغة فى انقيادهم للبعث كقولك لمن تأمره بأمر يشق عليه ستأتى به وأنت حامد شاكر أى منتهيا الى حالة تحمد الله وتشكره على أن اكتفى منك بذلك العمل وهذا يذكر فى معرض التهديد وقال سعيد ابن جبير يخرجون من قبورهم وينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك وقال قتادة بحمده أى بمعرفته وطاعته لان التسبيح والتحميد معرفة وطاعة ومن هنا قال بعضهم حمدوا حين لا ينفعهم الحمد * وقال آخرون الخطاب مختص بالمؤمنين لأنهم الذين يليق بهم الحمد لله على احسانه اليهم (وتظنون ان لبثتم الا قليلا) عن قتادة تحاقرت الدنيا فى أنفسهم حين عاينوا الآخرة ومثله قول الحسن معناه تقريب وقت البعث وكأنك بالدنيا لم تكن وبالآخرة لم تزل وقال ابن عباس يريد ما بين النفختين الاولى والثانية فانه يزول عنهم هول العذاب فى ذلك الوقت وقيل أراد استقصار لبثهم فى عرصة القيامة حين عاينوا هول النار ثم أمر المؤمنين بالرفق والتدرج عند ايراد الحجة على المخالفين فقال (وقل لعبادى) أى المؤمنين لان لفظ العباد يختص بهم فى أكثر القرآن فبشر عبادى الذين يستمعون القول عينا يشرب بها عباد الله فادخلى فى عبادى (يقولوا) الكلمة أو الحجة (التى هى أحسن) وألين وهى أن لا تكون مخلوطة بالسب واللعن والغلظة ثم نبه على وجه المنفعة بهذا الطريق فقال (ان الشيطان ينزغ بينهم) أى بين الفريقين جميعا فيزداد الغضب وتتكامل النفرة ويمتنع حصول المقصود ثم قال (ربكم أعلم بكم ان يشأ يرحمكم) أيها المؤمنون بالانجاء من كفار مكة ومن ايذائهم (أو ان يشأ يعذبكم) بتسليطهم عليكم (وما أرسلناك) يا محمد عليهم وكيلا أى حافظا موكولا اليك أمرهم انما أنت بشير ونذير

الفراء قال ثنى هشيم عن أبى بشر جعفر بن اياس عن سعيد بن جبير أنه قرأ واخفض لهما جناح الذل قال الفراء وخبرنى الحكم بن ظهير عن عاصم بن أبى النجود أنه قرأها الذل أيضا فسألت أبا بكر فقال الذل قرأها عاصم وأما قوله وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا فانه يقول ادع الله لوالديك بالرحمة وقل رب ارحمهما وتعطف عليهما بمغفرتك ورحمتك كما تعطفا على فى صغرى فرحمانى وربيانى صغيرا حتى استقللت بنفسى واستغنيت عنهما كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا هكذا علمتم وبهذا أمرتم خذوا تعليم الله وأدبه ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم وهو ماد يديه رافع صوته يقول من أدرك والديه أو أحدهما ثم دخل النار بعد ذلك فأبعده الله وأسحقه ولكن كانوا يرون أنه من بر والديه وكان فيه أدنى تقى فان ذلك مبلغه جسيم الخير وقال جماعة من أهل العلم ان قول الله جل ثناؤه وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا منسوخ بقوله ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم ذكر من قال ذلك **حدثنى** على بن داود قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا ثم أنزل الله عز وجل بعد هذا ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين عن يزيد عن عكرمة قال فى سورة بنى اسرائيل إما يبلغان عندك الكبر أحدهما أو كلاهما الى قوله وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا فنسختها الآية التى فى براءة ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى الآية **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس وقل رب ارحمهما الآية قال نسختها الآية التى فى براءة ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفر والمشركين الآية وقد تحتمل هذه الآية أن تكون وان كان ظاهرها عاما فى كل الآباء بغير معنى النسخ بأن يكون تأويلها على الخصوص فيكون معنى الكلام وقل رب ارحمهما اذا كانا مؤمنين كما ربيانى صغيرا فتكون مرادا بها الخصوص على ما قلنا غير منسوخ منها شئ وعنى بقوله ربيانى غيانى ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ربكم أعلم بما فى نفوسكم ان تكونوا صالحين فانه كان للاوابين غفورا﴾ يقول تعالى ذكره ربكم أيها الناس أعلم منكم بما فى نفوسكم من تعظيمكم أمر آبائكم وأمهاتكم وتكرمتهم والبر بهم وما فيها من اعتقاد الاستخفاف بحقوقهم والعقوق لهم وغير ذلك من ضمائر صدوركم لا يخفى عليه شئ من ذلك وهو مجازيكم على حسن ذلك وسيئه فاحذروا أن تضمروا لهم سوأ وتعقدوا لهم عقوقا وقوله ان تكونوا صالحين يقول ان أنتم أصلحتم نياتكم فيهم وأطعتم الله فيما أمركم به من البر بهم والقيام بحقوقهم عليكم بعد هفوة كانت منكم أو زلة فى واجب لهم عليكم مع القيام بما ألزمكم فى غير ذلك من فرائضه فانه كان للاوابين بعد الزلة والتائبين بعد الهفوة غفورا لهم * وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت أبى وعمى عن حبيب بن أبى ثابت عن سعيد بن جبير ربكم أعلم بما فى نفوسكم قال البادرة تكون من الرجل الى أبويه لا يريد بذلك الا الخير فقال ربكم أعلم بما

هدايته الى الله وقال جار الله الكلمة التي هي أحسن مفسرة بقوله ربكم أعلم بكم الى آخره أي قولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا تقولوا لهم
كم من أهل النار وانكم معذبون وما أشبه ذلك مما يزيد غيظهم وقوله ان الشيطان ينزغ بينهم اعتراض وقيل المراد بالعباد
الكفار أي قل لعبادي الذين أقروا
بكونهم عبادا الى يقولوا الكلمة
التي هي أحسن وهي كلمة التوحيد
والبراءة من الشركاء والاضداد لان
ذلك أحسن بالبديهة من الاشراك
ووصفه بالقدرة على الحشر
أحسن من وصفه بالعجز عنه
والحامل على مثل هذه العقائد هو
الشيطان المعادي ثم قال لهم (ربكم
أعلم بكم ان يشأ يرحمكم) بتوفيق
الهداية وان يشأ يعذبكم بالاماتة
على الكفر الا أن تلك المشيئة غائبة
عنكم فلا تقصروا في الجد والطلب
ثم قال لرسوله (وما أرسلناك عليهم
وكيلا) حتى تقسرهم على الاسلام
وما عليك الا البلاغ على سبيل
الرفق والمداراة وهذا قبل نزول
آية السيف وقيل نزلت في عمر بن
الخطاب شتمه رجل فأمره الله
بالعفو وقيل أفرط ايذاء المشركين
للمسلمين فشكوا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنزلت وحين
قال ربكم أعلم بكم عم الحكم فقال
(وربك أعلم بمن في السموات
والارض) يعني أن علمه غير مقصور
عليكم ولا على أحوالكم بل علمه
متعلق بجميع الموجودات وبما يليق
بكل منها وبذلك حصل التمايز
والتفاضل كما قال (ولقد فضلنا
بعض النبيين على بعض) وفيه رد
على أهل مكة في انكارهم أن يكون
يتيم أبي طالب مفضلا على الخلائق
ونبيا دون صناديد قريش وأكابرهم
وانما ختم الآية بقوله (وآتينا
داود زبورا) ليعلم أن التفضيل
ليس بالمال والملك وانما هو بالعلم

نفوسكم حدثنا أبو السائب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرني أبي عن حبيب بن أبي ثابت
عن سعيد بن جبير بمثله حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا عمرو عن
حبيب بن أبي ثابت في قوله انه كان للأوابين غفورا قال هو الرجل تكون منه البادرة الى أبويه
في بيته وقلبه أنه لا يؤاخذ به واختلف أهل التأويل في تأويل قوله فانه كان للأوابين غفورا
فقال بعضهم هم المسجون ذكر من قال ذلك حدثنا سليمن بن عبد الجبار قال ثنا محمد بن
الصلت قال ثنا أبو كدينة وحدثني ابن سنان القزاز قال ثنا الحسين بن الحسن الاشقر
قال ثنا أبو كدينة عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فانه كان للأوابين غفورا قال
المسجين حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا أبو خيثمة زهير قال ثنا أبو اسحق
عن أبي ميسرة عن عمرو بن شرحبيل قال الأواب المسبح * وقال آخرون هم المطيعون
المحسنون ذكر من قال ذلك حدثني علي بن داود قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن
علي عن ابن عباس قوله فانه كان للأوابين غفورا يقول للمطيعين المحسنين حدثنا بشر قال ثنا
يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فانه كان للأوابين غفورا قال هم المطيعون وأهل الصلاة
حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فانه كان للأوابين غفورا
قال للمطيعين المصلين * وقال آخرون بل هم الذين يصلون بين المغرب والعشاء ذكر من قال
ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب عن أبي صخر حميد بن زياد عن ابن المنكدر يرفعه
فانه كان للأوابين غفورا قال الصلاة بين المغرب والعشاء * وقال آخرون هم الذين يصلون
الضحى ذكر من قال ذلك حدثنا عمرو بن علي قال ثني رباح أبو سليمن الرقاء قال سمعت
عونا العقيلي يقول في هذه الآية فانه كان للأوابين غفورا قال الذين يصلون صلاة الضحى
* وقال آخرون بل هو الراجع من ذنبه التائب منه ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد
ابن الوليد القرشي قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن
المسيب أنه قال في هذه الآية فانه كان للأوابين غفورا قال الذي يصيب الذنب ثم يتوب ثم يصيب
الذنب ثم يتوب حدثنا ابن المثنى قال ثنا سليمن بن داود عن شعبة عن يحيى بن سعيد عن
سعيد بن المسيب قال هو الذي يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب في هذه الآية فانه كان للأوابين
غفورا حدثنا مجاهد بن موسى قال ثنا يزيد قال أخبرنا يحيى بن سعيد أنه سمع سعيد بن
المسيب يسئل عن هذه الآية فانه كان للأوابين غفورا قال هو الذي يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم
يتوب حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثني جرير بن حازم عن يحيى بن سعيد عن
سعيد بن المسيب بنحوه حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن
سعيد بن المسيب بنحوه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثني مالك عن يحيى بن
سعيد عن سعيد بن المسيب فانه كان للأوابين غفورا قال هو العبد يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم
يتوب حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني الليث بن سعد عن يحيى بن سعيد قال
سمعت سعيد بن المسيب يقول فذكر مثله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال
أخبرنا الثوري ومعمر عن يحيى بن سعيد عن ابن المسيب قال الأواب الذي يذنب ثم يتوب ثم يذنب

والمبين فان داود كان ملكا عظيما ولم يذكره الله سبحانه الا بعزية ايتاء الكتاب وفيه أيضا اشارة الى أن محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء
وأشهر الامم بدليل قوله ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادي الصالحون أي محمد وأمته ومعنى التنكير في زبورا أنه

كامل فى كونه كتابا والزبور وزبورا كالعباس وعباس والحسن وحسن أو المراد بعض الزبر أو الزبور كما يسمى بعض القرآن قرآنا وفيه
ان كفار قريش ما كانوا أهل نظر وجدال بل كانوا يرجعون الى اليهود فى استخراج الشبهات وكانت اليهود تقول انه لا نبى بعد
موسى ولا كتاب بعد التوراة فنقض الله كلامهم بانزال الزبور على داود بعد موسى ثم رد على طائفة من المشركين كانوا يعبدون
تماثيل على أنها صور الملائكة أو على طائفة من أهل الكتاب كانوا يقولون بالهية عيسى ومريم وعزير فقال (قل ادعوا الذين زعمتم من
دونه) وقيل أراد بالذين زعمتم نفرا من الجن عبدهم ناس من العرب ثم أسلم الجن ولم يشعروا وانما خصصت الآية باحدى هؤلاء الطوائف لان
قوله بعد ذلك يبتغون الى ربهم الوسيلة لا يليق بالجمادات قال ابن عباس كل موضع فى كتاب الله ورد فيه لفظ الزعم فهو بمعنى الكذب
وتقرير الرد أن المعبود الحق هو الذى قدر على ازالة الضر وتحويله من حال الى حال أو مكان الى مكان وهذه التى زعمتم أنها آلهة لا تقدر على
شئ من ذلك فوجب القطع بأنها ليست بآلهة * سؤال ما الدليل على أن الملائكة لا قدرة لها على كشف الضر فان قلتم لأنا نرى أولئك
الكفار كانوا يتضرعون اليها ولا تحصل الاجابة قلنا ان المسلمين أيضا يتضرعون الى الله ولا يجابون وبتقدير الاجابة فى بعض الاوقات
فالكفار أيضا يحصل مطلوبهم أحيانا فيقولون انه من الملائكة جوابه أن الملائكة مقرون بأن الاله الاعظم خالق العالم فكمال قدرته
معلوم متفق عليه وكمال قدرة الملائكة غير معلوم ولا متفق عليه بل المتفق عليه أن قدرتهم بالنسبة الى قدرة الله قليلة حقيرة واذا كان كذلك وجب أن يكون الاشتغال بعبادة الاله الاعظم أولى
وأجدر أخذا بالمعلوم المتيقن دون المظنون الموهوم على أن أهل السنة قاطعون بأنه لا تأثير لشئ فى الوجود الا الله تعالى يقول مؤلفه

ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب **حدثنا** ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن
أبى بشر عن سعيد بن جبير فى هذه الآية فانه كان للأوابين غفورا قال الراجعين الى الخير **حدثنا**
ابن المثنى قال ثنا عبد الصمد وأبو داود وهشام عن شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير
بنحوه **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان **وحدثنا** ابن حميد قال
ثنا حكام عن عمرو جميعا عن منصور عن مجاهد عن عبيد بن عمير فانه كان للأوابين غفورا
قال الذى يذكر ذنوبه فى الخلا فيستغفر الله منها **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق
قال أخبرنا الثورى عن منصور عن مجاهد قال الأواب الذى يذكر ذنوبه فى الخلاء فيستغفر الله منها
حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور عن مجاهد
عن عبيد بن عمير أنه قال فى هذه الآية انه كان للأوابين غفورا قال الذى يذكر ذنبه ثم يتوب
حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا
الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله جل ثناؤه للأوابين غفورا
قال الأوابون الراجعون التائبون **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن
ابن جريج عن مجاهد مثله قال ابن جريج عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب الرجل يذنب
ثم يتوب ثلاثا **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد عن عبيد بن عمير فى
قوله فانه كان للأوابين غفورا قال الذى يتذكر ذنوبه فيستغفر الله لها **حدثنى** يونس قال
أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى ابن شريح عن عقبة بن مسلم عن عطاء بن يسار أنه قال فى قوله فانه
كان للأوابين غفورا يذنب العبد ثم يتوب فيتوب الله عليه ثم يذنب فيتوب فيتوب الله عليه ثم
يذنب الثالثة فان تاب تاب الله عليه توبة لا تمحى * وقد روى عن عبيد بن عمير بغير القول الذى ذكر
عن مجاهد وهو ما **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا محمد بن مسلم عن
عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير فى قوله فانه كان للأوابين غفورا قال كانا نعد الأواب الحفيظ أن
يقول اللهم اغفر لى ما أصبت فى مجلسى هذا * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال الأواب
هو التائب من الذنب الراجع من معصية الله الى طاعته ومما يكرهه الى ما يرضاه لان الأواب انما
هو فعال من قول القائل آب فلان من كذا اما من سفره الى منزله أو من حال الى حال كما قال عبيد
ابن الأبرص

وكل ذى غيبة يؤب * وغائب الموت لا يؤب

فهو يؤب أوبا وهو رجل آئب من سفره وأواب من ذنوبه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وآت
ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان
الشيطان لربه كفورا﴾ اختلف أهل التأويل فى المعنى بقوله وآت ذا القربى فقال بعضهم عنى
به قرابة الميت من قبل أبيه وأمه أمر الله جل ثناؤه عباده بصلتها ذكر من قال ذلك **حدثنا**
عمران بن موسى قال ثنا عبد الوارث بن سعيد قال ثنا حبيب المعلم قال سأل رجل الحسن فقال
أعطى قرابتى زكاة مالى فقال ان لهم فى ذلك لحقا سوى الزكاة ثم تلا هذه الآية وآت ذا القربى حقه
حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عكرمة قوله وآت ذا القربى
حقه قال صلته التى تريد أن تصله بها ما كنت تريد أن تفعله اليه **حدثنى** محمد بن سعد قال

ثنى

ابى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل قال هو أن تصل ذا القرابة والمسكين وتحسن الى ابن السبيل * وقال آخرون بل عنى به قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمارة الأسدى قال ثنا اسمعيل بن أبان قال ثنا الصباح بن يحيى المزنى عن السدى عن أبى الديلم قال قال على بن الحسين عليهما السلام لرجل من أهل الشام أقرأت القرآن قال نعم قال أفما قرأت فى بنى اسرائيل وآت ذا القربى حقه قال وانكم للقرابة التى أمر الله جل ثناؤه أن يؤتى حقه قال نعم وأولى التأويلين عندى بالصواب تأويل من تأول ذلك أنها بمعنى وصية الله عباده بصلة قرابات انفسهم وأرحامهم من قبل آبائهم وأمهاتهم وذلك أن الله عز وجل عقب ذلك عقيب حضه عباده على بر الآباء والأمهات فالواجب أن يكون ذلك حضا على صلة أنسابهم دون أنساب غيرهم ممن لم يجر لها ذكر واذا كان ذلك كذلك فتأويل الكلام وأعط يا محمد ذا قرابتك حقه من صلتك وبره به والعطف عليه وخرج ذلك مخرج الخطاب لنبى الله صلى الله عليه وسلم والمراد بحكمه جميع من لزمته فرائض الله يدل على ذلك ابتداؤه الوصية بقوله جل ثناؤه وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر أحدهما فوجه الخطاب بقوله وقضى ربك الى نبى الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ألا تعبدوا الا اياه فرجع بالخطاب به الى الجميع ثم صرف الخطاب بقوله اما يبلغن عندك الى افراده به والمعنى بكل ذلك جميع من لزمته فرائض الله عز وجل أفرد بالخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده أو عم به هو وجميع أمته وقوله والمسكين وهو ذو الذلة من الحاجة وقد دللنا فيما مضى على معنى المسكين بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وقوله وابن السبيل يعنى المسافر المنقطع به يقول تعالى وصل قرابتك فاعطه حقه من صلتك اياه والمسكين ذا الحاجة والمجتاز بك المنقطع به فأعنه وقوه على قطع سفره وقد قيل انما عنى بالامر باتيان ابن السبيل حقه أن يضاف ثلاثة أيام والقول الاول عندى أولى بالصواب لان الله تعالى لم يخصص من حقوقهم شيأ دون شئ فى كتابه ولا على لسان رسوله فذلك عام فى كل حق له أن يعطاه من ضيافة وحمولة أو معونة على سفره وقوله ولا تبذر تبذيرا يقول ولا تفرق يا محمد ما أعطاك الله من مال فتصيره تفريقا وأصل التبذير التفريق فى السرف ومنه قول الشاعر

أناس أجاروا نافكان جوارهم * أعاصير من فسق العراق المبذر

ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عبيد المحاربى قال ثنا أبو الاحوص عن أبى اسحق عن أبى العبيدين قال قال عبد الله فى قوله ولا تبذر تبذيرا التبذير فى غير الحق وهو الاسراف **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن سلمة عن مسلم البطين عن أبى العبيدين قال سئل عبد الله عن المبذر فقال الانفاق فى غير حق **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم قال سمعت يحيى بن الجزار يحدث عن أبى العبيدين ضرير البصر أنه سئل عبد الله بن مسعود عن هذه الآية ولا تبذر تبذيرا قال انفاق المال فى غير حقه **حدثنى** زكريا بن يحيى بن أبى زائدة قال ثنا ابن ادريس عن الاعمش عن الحكم عن يحيى بن الجزار عن أبى العبيدين عن عبد الله مثله **حدثنى** يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا شعبة عن الحكم بن عتيبة عن يحيى بن الجزار أن أبا العبيدين كان ضرير البصر سأل ابن مسعود فقال ما التبذير فقال انفاق المال فى غير حقه **حدثنا** خلاد بن أسلم قال

الهى أنت الذى قلت قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا فيما من يملك كشف الضر عنا وتحويله اكشف ما بى فانه اذا قال ذلك كشف الله عنه ضره وكفى مهمه وقد جرب فوجد كذلك ثم انه تعالى أكد عدم اقتدار معبوديهم ببيان غاية افتقارهم الى الله تعالى فى جذب المنافع ودفع المضار فقال (أولئك) وهو مبتدأ و (الذين يدعون) صفته و (يبتغون) خبره يعنى أن أولئك المعبودين يطلبون (الى ربهم الوسيلة) أى القربة فى الحوائج و (أيهم) بدل من واو يبتغون وهو موصول وصدر صلته محذوف أى يبتغى من هو أقرب الوسيلة الى الله فكيف بغير الأقرب والدليل على هذا الافتقار اقرار جميع الكفار بامكانهم الذاتى وجوز فى الكشاف أن يضمن يبتغون الوسيلة معنى يحرصون فكأنه قيل يحرصون أيهم يكون أقرب الى الله وذلك بازدياد الخير والطاعة والصلاح ويرجون ويخافون كغيرهم من العباد وقيل أولئك الذين يدعون هم الانبياء الذين ذكرهم الله فى قوله ولقد فضلنا بعض النبيين أى الذين عظمت منزلتهم وهم الانبياء الداعون للامم الى الله لا يعبدون الا الله ولا يبتغون الوسيلة الا اليه فأنتم أحق بالعبادة واحتج هذا القائل على صحة قوله بأن الله تعالى قال (يخافون عذابه) والملائكة لا يعصون الله فكيف يخافون عذابه وأجيب بأنهم يخافون عذابه لو عصوا على الذنب لقوله ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم (ان عذاب ربك كان محذورا) أى حقيقا بأن يحذره كل أحد من مقرب ونبى مرسل فضلا عن غيرهم فان لم يحذره بعض الجهلة فانه لا يخرج من كونه واجب الحذر ثم بين مآل حال الدنيا وأهلها فقال

أخبرنا النضر بن شميل قال أخبرنا المسعودى قال أخبرنا سلمة بن كهيل عن أبى العبيدين وكان زمانة وكان عبد الله يعرف له ذلك فقال يا أبا عبد الرحمن ما التبذير فذكر مثله **حدثنا** أحمد منصور الرمادى قال ثنا أبو الحوأب عن عمار بن رزيق عن أبى اسحق عن حارثة بن مضر عن أبى العبيدين عن عبد الله بن مسعود قال كنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم نتحدث أن التبذ النفقة فى غير حقه **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا يحيى بن كثير العنبرى قال ثنا ش قال كنت أمشى مع أبى اسحق فى طريق الكوفة فأتى على دار تبنى بجص وآجر فقال هذا التبذ فى قول عبد الله انفاق المال فى غير حقه **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى ع قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولا تبذر تبذيرا قال المبذر المنفق فى غير حق **حد** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عباد عن حصين عن عكرمة عن ابن عباس قال المبذ المنفق فى غير حقه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عط الخراسانى عن ابن عباس قال لا تنفق فى الباطل فان المبذر هو المسرف فى غير حق قال ابن جري وقال مجاهد لو أنفق انسان ماله كله فى الحق ما كان تبذيرا ولو أنفق مدا فى باطل كان تبذ **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا تبذر تبذيرا قال التبذير النفق فى معصية الله وفى غير الحق وفى الفساد **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قا ابن زيد فى قوله وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل قال بدأ بالوالدين قبل هذا فلما فرغ م الوالدين وحقهما ذكر هؤلاء وقال لا تبذر تبذيرا لا تعط فى معاصى الله وأما قوله ان المبذرين كا اخوان الشياطين فانه يعنى ان المفرقين أموالهم فى معاصى الله المنفقيها فى غير طاعته أولئ الشياطين وكذلك تقول العرب لكل ملازم سنة قوم وتابع أثرهم هو أخوهم وكان الشيطان لر كفورا يقول وكان الشيطان لنعمة ربه التى أنعمها عليه بجحود الا يشكره عليها ولكنه يكفرها بتر طاعة الله وركوبه معصيته فكذلك اخوانه من بنى آدم المبذرون أموالهم فى معاصى الله لا يشكرون الله على نعمه عليهم ولكنهم يخالفون أمره ويعصونه ويستنون فيما أنعم الله عليه به من الاموال التى خولهموها جل وعز سنته من ترك الشكر عليها وتلقيها بالكفران كالش **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ان المبذرين ان المنفقو فى معاصى الله كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا ۞ القول فى تأويل قو تعالى ﴿وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا﴾ يقول تعال ذكره وان تعرض يا محمد عن هؤلاء الذين أمرتك أن تؤتيهم حقوقهم اذا وجدت اليها السبي بوجهك عند مسألتهم اياك ما لا تجد اليه سبيلا حياء منهم ورحمة لهم ابتغاء رحمة من ربك يقول انتظار رزق تنتظره من عند ربك وترجو تيسير الله اياه لك فلا تؤيسهم ولكن قل لهم قولا ميسو يقول ولكن عدهم وعدا جميلا بأن تقول سيرزق الله فأعطيكم وما أشبه ذلك من القول اللين غير الغليظ كما قال جل ثناؤه وأما السائل فلا تنهر * وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن عن سفيان عن منصور عن ابراهيم وا تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها قال انتظار الرزق فقل لهم قولا ميسورا قال لينا تعده **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن اب عباس ابتغاء رحمة من ربك قال رزق أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم **حد**

(وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة) بالموت والاستئصال (أو معذبوها) بالقتل وأنواع العذاب كالسبى والاغتنام وقيل الهلا للصالحة والتعذيب للطالحة (كان ذلك فى الكتاب) وهو اللوح المحفوظ (مسطورا) فلا يوجد له تبديل قط ثم ذكر نوعا آخر

سننه فقال (ومامنعنا) استعار المنع للترك من أجل لزوم خلاف الحكمة والمشيئة عن سعيد بن جبير أن كفار قريش اقترحوا منه آيات باهرة كاحياء الموتى ونحوه وعن ابن عباس أنهم سألوا الرسول أن يجعل لهم الصفا ذهبا وأن يزيل عنهم الجبال حتى يزرعوا تلك الاراضى فطلب النبى صلى الله عليه وسلم من الله تعالى ذلك فقال ان شئت فعلت لكنهم ان كفروا بعد ذلك أهلكتهم فقال الرسول صلى الله عليه وسلم لا أريد ذلك وأنزل الله الآية والمعنى وما صرفنا عن ارسال ما يقترحونه من الآيات (الا أن كذب بها) الذين هم أمثالهم من المطبوع على قلوبهم كعاد وثمود وأنها لو أرسلت لكذبوا بها تكذيب أولئك واستوجبوا عذاب الاستئصال على ما أجرى الله تعالى به عادته والحاصل أن المانع من ارسال الآيات التى اقترحوها هو أن الاقتراح مع التكذيب موجب للهلاك الكلى وقد عزمنا أن نؤخر أمر من بعث اليهم الى يوم القيامة ويحتمل أن يراد أنهم مقلدون لآبائهم فلا يؤمنون البتة كما لم يؤمنوا فيكون ارسال الآيات ضائعا ثم استشهد على ما ذكر بقصة صالح وناقته لان آثار هلاكهم فى بلاد العرب قريبة يبصرها صادرهم وواردهم وهذا معنى قوله (مبصرة) أو المراد حال كون الناقة آية بينة يبصر المتأمل بها رشده (فظلموا) أنفسهم بقتلها أو فكفروا (بها) بمعنى أنهم جحدوا كونها من الله قاله ابن قتيبة (وما نرسل بالآيات) المقترحة (الا تخويفا) من نزول العذاب العاجل بمعنى أن من أنكرها وقع عليه أو المراد وما نرسل بآيات القرآن وغيرها من المعجزات الا انذارا بعذاب الآخرة على المعنى المذكور وحين امتنع من ارسال الآيات المقترحة على رسو

عمران بن موسى قال ثنا عبد الوارث قال ثنا عمارة عن عكرمة فى قوله واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها قال انتظار رزق من الله يأتيك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عكرمة قوله واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها قال ان سألوك فلم يجدوا عندك ما تعطيهم ابتغاء رحمة قال رزق تنتظره ترجوه فقل لهم قولا ميسورا قال عدهم عدة حسنة اذا كان ذلك اذا جاء ذلك فعلنا أعطينا كم فهو القول الميسور قال ابن جريج قال مجاهد ان سألوك فلم يكن عندك ما تعطيهم فأعرضت عنهم ابتغاء رحمة قال رزق تنتظره فقل لهم قولا ميسورا **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله عز وجل ابتغاء رحمة من ربك قال انتظار رزق الله **حدثنا** ابن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان عن الاعمش عن أبى الضحى عن عبيدة فى قوله ابتغاء رحمة من ربك ترجوها قال ابتغاء الرزق **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن عطاء عن سعيد واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها قال أى رزق تنتظره فقل لهم قولا ميسورا أى معروفا **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فقل لهم قولا ميسورا قال عدهم خيرا وقال الحسن قل لهم قولا لينا سهلا **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله واما تعرضن عنهم يقول لا تجد شيأ تعطيهم ابتغاء رحمة من ربك يقول انتظار الرزق من ربك نزلت فيمن كان يسأل النبى صلى الله عليه وسلم من المساكين **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنى حرمى بن عمارة قال ثنا شعبة قال ثنى عمارة عن عكرمة فى قول الله فقل لهم قولا ميسورا قال الرفق وكان ابن زيد يقول فى ذلك ما **حدثنى** به يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واما تعرضن عنهم عن هؤلاء الذين أوصيناك بهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها اذا خشيت ان أعطيتهم أن ينفقوا بها على معاصى الله عز وجل ويستعينوا بها عليها فرأيت أن تمنعهم خيرا فاذا سألوك فقل لهم قولا ميسورا قولا جميلا رزقك الله بارك الله فيك وهذا القول الذى ذكرناه عن ابن زيد مع خلافه أقوال أهل التأويل فى تأويل هذه الآية بعيد المعنى مما يدل عليه ظاهرها وذلك أن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فأمره أن يقول اذا كان اعراضه عن القوم الذين ذكرهم انتظار رحمة منه يرجوها من ربه قولا ميسورا وذلك الاعراض ابتغاء الرحمة لن يخلو من أحد أمرين اما أن يكون اعراضا منه ابتغاء رحمة من الله يرجوها لنفسه فيكون معنى الكلام كما قلناه وقاله أهل التأويل الذين ذكرنا قولهم وخلاف قوله أو يكون اعراضا منه ابتغاء رحمة من الله يرجوها للسائلين الذين أمر نبى الله صلى الله عليه وسلم بزعمه أن يمنعهم ما سألوه خشية عليهم من أن ينفقوه فى معاصى الله فعلوم أن سخط الله على من كان غير مأمون منه صرف ما أعطى من نفقة ليتقوى بها على طاعة الله فى معاصيه أخوف من رجاء رحمته له وذلك أن رحمة الله انما ترجى لاهل طاعته لا لاهل معاصيه الا أن يكون أراد توجيه ذلك الى أن نبى الله صلى الله عليه وسلم أمر بمنعهم ما سألوه لينيبوا من معاصى الله ويتوبوا بمنعه اياهم ما سألوه فيكون ذلك وجها يحتمله تأويل الآية وان كان لقول أهل التأويل مخالفا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ﴾ وهذا مثل

قال والله يعصمك من الناس وقيل أراد بالناس أهل مكة وأحاط فى معنى الاستقبال الا أن خبر الله تعالى لما كان واجب الوقوع عبر عنه بلفظ الماضى وعد نبيه بأنه سيهلك قريشا فى وقعة بدر أما قوله (وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس) ففيه أقوال الاول أنه تعالى أراه فى المنام مصارع كفار قريش حتى قال والله لكأنى أنظر الى مصارع القوم وهو يأتى الارض ويقول هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان فلما سمع قريش ذلك جعلوا رؤياه سخرية وكانوا يستعجلون ما وعد الثانى أنه رؤياه التى رأى أن يدخل مكة وبذلك أخبر أصحابه فلما منع من البيت الحرام عام الحديبية كان ذلك فتنة لبعض القوم وقال عمر لأبى بكر قد أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا ندخل البيت فنطوف به فقال أبو بكر انه لم يخبرنا انا نفعل ذلك فى هذه السنة فسنفعل ذلك فى سنة أخرى فلما جاء العام القابل دخلها وأنزل الله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق الثالث قول سعيد بن المسيب وابن عباس فى رواية عطاء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى بنى أمية ينزون على منبره نزو القردة فساءه ذلك الرابع وهو قول أكثر المفسرين أن المراد بهذه الرؤيا هى حديث الاسراء ثم اختلفوا فالاكثرون على أن الرؤيا بمعنى الرؤية يقال رأيت بعينى رؤية ورؤيا وما هارؤيا على قول المكذبين حين قالوا العلها رؤيا رأيتها وخيال خيل اليك والاقلون على أن الاسراء كان فى المنام وقد مر هذا البحث فى أول السورة قوله (والشجرة) فيه تقديم وتأخير والتقدير وما جعلنا الرؤيا التى أريناك والشجرة الملعونة فى القرآن الا فتنة للناس قال الاكثرون انها شجرة

الزقوم لعنت فى القرآن حيث لعن طاعموها قال عز من قائل ان شجرة الزقوم طعام الاثيم أو وصفت باللعن لأنه الابعاد وهى فى أصل الجحيم فى أبعد مكان من الرحمة أو العرب تقول لكل طعام مكروه ضار ملعون والفتنة فيها أن أبا جهل وغيره قالوا زعم صاحبكم أن نار جهنم تحرق الحجر ثم يقول ينبت فيها الشجر فأنزل الله تعالى هذه الآية ونظيره قوله انا جعلناها فتنة للظالمين ومن شاهد حال السمندل والنعامة كيف يتعجب من قدرة الله على انبات الشجر من جنس لا تعمل فيه النار وعن ابن عباس الشجرة الملعونة بنو أمية وعنه هى الكشوث التى تتلوى بالشجر تجعل فى الشراب وقيل هى الشيطان وقيل اليهود * سؤال أى تعلق لحديث الرؤيا والشجرة الى ما قبله من الكلام جوابه كأنه قيل انهم لما طلبوا هذه المعجزات ثم انك لم تظهرها صار عدم ظهورها شبهة فى أنك لست بصادق فى دعوى النبوة الا أن وقوع هذه الشبهة لا ينبغى أن يكون سببا فى توهين أمرك ألا ترى أن ذكر تلك الرؤيا والشجرة صار سببا لوقوع الشبهة العظيمة ثم انها ما أوجبت ضعفا فى أمرك ولا فتورا فى اجتماع المحقين عليك ثم ذكر سببا آخر فى أنه تعالى لا يظهر المقترحات عليهم فقال (ونخوفهم) بمخاوف الدنيا والآخرة (فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا) متماديا ۞ التأويل لا تبغوا الى ذى العرش سبيلا يشتمل معنيين لأنهم ان كانوا أكبر منه أو أمثالا له طلبوا طريقا الى ازعاج صاحب العرش ونزع الملك منه قهرا وان كانوا أدون منه طلبوا اليه الوسيلة بالخدمة والعبودية على أن الناقص لا يصلح للالهية وهذا قريب من التفسير وان من شئ الا يسبح بحمده لكل ذرة من ذرات الموجودات ملكوت لقوله فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ والملكوت باطن الكون وهو يقول الآخرة والآخرة حيوان لا جماد لقوله وان الدار الآخرة لهى الحيوان فلكل ذرة لسان ملكوتى ناطق بالتسبيح والحمد تنزيها لصانعه وحمدا له

ضربه الله تبارك وتعالى للممتنع من الانفاق فى الحقوق التى أوجبها فى أموال ذوى الاموال بجعله كالمشدودة يده الى عنقه الذى لا يقدر على الاخذ بها والاعطاء وانما معنى الكلام ولا تمسك يا محمد يدك بخلا عن النفقة فى حقوق الله فلا تنفق فيها شيأ امساك المغلولة يده الى عنقه الذى لا يستطيع بسطها ولا تبسطها كل البسط يقول ولا تبسطها بالعطية كل البسط فتبقى لا شئ عندك ولا تجد اذا سئلت شيأ تعطيه سائلك فتقعد ملوما محسورا يقول فتقعد يلومك سائلوك اذا لم تعطهم حين سألوك ويلومك نفسك على الاسراف فى مالك وذهابه محسورا يقول معييا قد انقطع بك لا شئ عندك تنفقه وأصله من قولهم للدابة التى قد سير عليها حتى انقطع سيرها وكلت ورزحت من السير بأنه حسير يقال منه حسرت الدابة فأنا أحسرها وأحسرها حسرا وذلك اذا أنضيته بالسير وحسرته بالمسألة اذا سألته فألحفت وحسر البصر فهو يحسر وذلك اذا بلغ أقصى المنظر فكل ومنه قوله عز وجل ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير وكذلك ذلك فى كل شئ كل وأزحف حتى يضنى * وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا هوذة قال ثنا عوف عن الحسن فى قوله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك قال لا تجعلها مغلولة عن النفقة ولا تبسطها تبذر بسرف حدثنا ابن حميد قال ثنا يوسف بن بهز قال ثنا حوشب قال كان الحسن اذا تلا هذه الآية ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا يقول لا تطفف برزقى عن غير رضاى ولا تضعه فى سخطى فأسلبك ما فى يديك فتكون حسيرا ليس فى يديك منه شئ حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا يقول هذا فى النفقة يقول لا تجعل يدك مغلولة الى عنقك يقول لا تبسطها بالخير ولا تبسطها كل البسط يعنى التبذير فتقعد ملوما يقول يلوم نفسه على ما فات من ماله محسورا يعنى ذهب ماله كله فهو محسور حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك يعنى بذلك البخل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك أى لا تمسكها عن طاعة الله ولا عن حقه ولا تبسطها كل البسط يقول لا تنفقها فى معصية الله ولا فيما لا يصلح لك ولا ينبغى لك وهو الاسراف قوله فتقعد ملوما محسورا قال ملوما فى عباد الله محسورا على ما سلف من دهره وفرط حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك قال فى النفقة يقول لا تمسك عن النفقة ولا تبسطها كل البسط يقول لا تبذر تبذيرا فتقعد ملوما فى عباد الله محسورا يقول نادما على ما فرط منك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال لا تمسك عن النفقة فيما أمرتك به من الحق ولا تبسطها كل البسط فيما نهيتك فتقعد ملوما قال مذنبا محسورا قال منقطعا بك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك قال مغلولة لا تبسطها بخير ولا بعطية ولا تبسطها كل البسط فى الحق والباطل فينفد ما معك وما فى يديك فيأتيك من يريد أن تعطيه فيحسر بك فيلومك حين أعطيت هؤلاء ولم تعطهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان ربك يا محمد يبسط رزقه لمن يشاء من عباده فيوسع عليه ويقدر على من يشاء

على ما أولاه من نعمه وبهذا اللسان ينطق الحصى فى كف النبى صلى الله عليه وسلم وبه تنطق الارض يوم القيامة يومئذ تحدث أخبارها وبه تنطق الجوارح أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ وبه نطق السموات والارض (٥٧) قالتا أتينا طائعين انه كان حليما فى الازل اذ أخرج

يقول ويقتر على من يشاء منهم فيضيق عليه انه كان بعباده خبيرا يقول ان ربك ذو خبرة بعباده ومن الذى تصلحه السعة فى الرزق وتفسده ومن الذى يصلحه الاقتار والضيق ويهلكه بصيرا يقول ذو بصر بتدبيرهم وسياستهم يقول فانته يا محمد الى أمرنا فيما أمرناك ونهيناك من بسط يدك فيما تبسطها فيه وفيمن تبسطها له ومن كفها عمن تكفها عنه وتكفها فيه فنحن أعلم بمصالح عبادنا منك ومن جميع الخلق وأبصر بتدبيرهم كالذى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ثم أخبرنا تبارك وتعالى كيف يصنع فقال ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر قال يقدر يقل وكل شئ فى القرآن يقدر كذلك ثم أخبر عباده أنه لا يرزؤه ولا يؤوده أن لو بسط عليهم ولكن نظر الهم منه فقال ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء انه بعباده خبير بصير قال والعرب اذا كان الخصب وبسط عليهم أشروا وقتل بعضهم بعضا وجاء الفساد فاذا كان السنة شغلوا عن ذلك ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم وايا كم ان قتلهم كان خطأ كبيرا ﴾ يقول تعالى ذكره وقضى ربك يا محمد ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق فوضع تقتلوا نصب عطفا على ألا تعبدوا ويعنى بقوله خشية املاق خوف اقتار وفقر وقد بينا ذلك بشواهده فيما مضى وذكرنا الرواية فيه وانما قال جل ثناؤه ذلك للعرب لانهم كانوا يقتلون الاناث من أولادهم خوف العيلة على أنفسهم بالانفاق عليهن كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق أى خشية الفاقة وقد كان أهل الجاهلية يقتلون أولادهم خشية الفاقة فوعظهم الله فى ذلك وأخبرهم أن رزقهم ورزق أولادهم على الله فقال نحن نرزقهم وايا كم ان قتلهم كان خطأ كبيرا حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد ابن ثور عن معمر عن قتادة خشية املاق قال كانوا يقتلون البنات حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق قال الفاقة والفقر حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله خشية املاق يقول الفقر وأما قوله ان قتلهم كان خطأ كبيرا فان القراء اختلفت فى قراءته فقرأته عامة قراء أهل المدينة والعراق ان قتلهم كان خطأ كبيرا بكسر الخاء من الخطأ وسكون الطاء ولو قرئ ذلك كذلك كان له وجهان من التأويل أحدهما أن يكون اسما من قول القائل خطئت فأنا أخطأ بمعنى أذنبت وأثمت ويحكى عن العرب خطئت اذا أذنبت عمدا وأخطأت اذا وقع منك الذنب خطأ على غير عمد منك له والثانى أن يكون بمعنى خطأ بفتح الخاء والطاء ثم كسرت الخاء وسكنت الطاء كما قيل قتب وقتب وحذر وحذر ونجس ونجس والخطء بالكسر اسم والخطأ بفتح الخاء والطاء مصدر من قولهم خطئ الرجل وقد يكون اسما من قولهم أخطأ فأما المصدر منه فالخطاء وقد قيل خطئ بمعنى أخطأ كما قال الشاعر * يالهف هند اذ خطئن كاهلا * بمعنى أخطأن وقرأ ذلك بعض قراء أهل المدينة ان قتلهم كان خطأ بفتح الخاء والطاء مقصورا على توجيهه الى أنه اسم من قولهم أخطأ فلان خطأ وقرأه بعض قراء أهل مكة ان قتلهم كان خطاء بفتح الخاء والطاء ومد الخطاء بنحو معنى من قرأه خطأ بفتح الخاء والطاء غير أنه يخالفه فى مد الحرف وكان عامة أهل العلم بكلام العرب من أهل الكوفة وبعض البصريين منهم يرون أن الخطء والخطأ بمعنى واحد الا أن بعضهم زعم أن الخطء بكسر الخاء وسكون الطاء فى القراءة أكثر وأن الخطأ

من العدم من يكفر به ويجحده غفورا لمن تاب عن كفره واذا قرأت القرآن فيه اشارة الى أن من قرأ القرآن بتمامه وصل الى أعلى معارج القدس وأقصى مدارج الانس كما جاء فى الحديث يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق قال أبو سليمان الخطابى جاء فى الاثر أن عدد آى القرآن على قدر درج الجنة فمن استوفى جميع آى القرآن استولى على أقصى درجات الجنة قال المحققون استيفاء جميع آى القرآن هو أن يتخلق بأخلاقه وصفاته بل بأخلاق الله وصفات الله وهذا يكون بعد العبور عن الحجب الظلمانية والنورانية فيكون بينه وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا لم يقل ستارا لأن الحجاب يستر الواصل عن المنقطع ولا يستر المنقطع عن الواصل فيكون الواصل مستورا بالحجاب عن المنقطع ولوا على أدبارهم لانهم من سوء مزاجهم لا يكادون يقبلون الغذاء الصالح فالحلاوة فى مذاقهم مرارة اذ يقول الظالمون من ظلمهم لانهم وضعوا المسحور مكان المبعوث أى خلقا مما يكبر فى صدوركم أى لو كان قلوبكم التى فى صدوركم أشد من الحجارة والحديد فالله قادر على احيائه وتليينه فى قيام قيامة العشق يقولوا التى هى أحسن من شرف من عبيده فبتشريف الاضافة يظهر منه القول الأحسن وهو الدعاء الى الله بلا اله الا الله مخلصا والفعل الأحسن وهو أن يكون متأدبا بآداب الشريعة والطريقة والخلق الاحسن وهو أن يكون محسنا اليهم بلا طمع الاحسان والشكر

منهم وتجاوز عن سيئاتهم ويعيش فيهم بالنصيحة يأمرهم بالمعروف بلا عنف وينهاهم عن المنكر بلا فضيحة ان الشيطان ينزغ بينهم اذا لم

يعشوا بالنصيحة وآتينا داود زبورا فيه أن فضل النبي صلى الله عليه وسلم على داود كفضل القرآن على الزبور وأن من قرية من قرى الانسان الا نحن مهلكوها بموت قلبه وروحه قبل موت قالبه فمن مات فقد قامت قيامته أو معذبوها بأنواع البلاء

والمجاهدات ففي السير الى الله ذوبان الافعال وفي السير بالله ذوبان الصفات وفي السير في الله ذوبان الذات أحاط بالناس علم مقتضى كل نفس من الخير والشر وما جعلنا الرؤيا التي أريناك كان الوحي يصل الى النبي صلى الله عليه وسلم في مبدأ أمره بطريق المنام وكان في ذلك اختبار للناس فمن وقته يظهر الموافق من المنافق والصديق من الزنديق وهكذا كان في شجرة وجود ابليس ابتلاء للناس ولم يكن للمحيط بأحوال الناس حاجة الى الابتلاء ولكنه يعامل معاملة المختبر والله أعلم بالصواب ﴿واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال أأسجد لمن خلقت طينا قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي لئن أخرتني الى يوم القيامة لأحتنكن ذريته الا قليلا قال اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله انه كان بكم رحيما واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر أعرضتم وكان الانسان كفورا أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصبا ثم لا تجدوا لكم وكيلا أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا يوم ندعو كل أناس بامامهم فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرؤن كتابهم ولا يظلمون فتيلا

بفتح الخاء والطاء في كلام الناس أفشى وأنه لم يسمع الخطء بكسر الخاء وسكون الطاء في شيء من كلامهم وأشعارهم الا في بيت أنشده لبعض الشعراء

الخطء فاحشة والبر نافلة * كجوهرة غرست في الارض تؤتبر

وقد ذكرت الفرق بين الخطء بكسر الخاء وسكون الطاء وفتحهما وأولى القراآت في ذلك عندنا بالصواب القراءة التي عليها قراء أهل العراق وعامة أهل الحجاز لاجماع الحجة من القراء عليها وشذوذ ما عداها وأن معنى ذلك كان اثما وخطيئة لا خطأ من الفعل لأنهم انما كانوا يقتلونهم عمدا لا خطأ وعلى عمدهم ذلك عاتبهم ربهم وتقدم اليهم بالنهي عنه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد خطأ كبيرا قال أي خطيئة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ان قتلهم كان خطأ كبيرا قال خطيئة قال ابن جريج وقال ابن عباس خطأ أي خطيئة ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا﴾ يقول تعالى ذكره ونهى أيضا أن لا تقربوا أيها الناس الزنا انه كان فاحشة يقول ان الزنا كان فاحشة وساء سبيلا يقول وساء طريق الزنا طريقا لأنه طريق أهل معصية الله والمخالفين أمره فأسوئ به طريقا يورد صاحبه نار جهنم ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل انه كان منصورا﴾ يقول جل ثناؤه ونهى أيضا أن لا تقتلوا أيها الناس النفس التي حرم الله قتلها الا بالحق وحقها أن لا تقتل الا بكفر بعد اسلام أو زنا بعد احصان أو قود بنفس وان كانت كافرة لم يتقدم كفرها اسلام فأن لا يكون تقدم قتلها لها عهد وأمان كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق وانا والله ما نعلم يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث الا رجل قتل متعمدا فعليه القود أو زنى بعد احصانه فعليه الرجم أو كفر بعد اسلامه فعليه القتل حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن الزهري عن عروة وغيره قال قيل لابي بكر أتقتل من يرى أن لا يؤدي الزكاة قال لو منعوني شيئا مما أقروا به لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم فقيل لابي بكر أليس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله فقال أبو بكر هذا من حقها حدثني موسى بن سهل قال ثنا عمرو بن هاشم قال ثنا سليمان بن حيان عن حميد الطويل عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله قيل وما حقها قال زنا بعد احصان وكفر بعد ايمان وقتل نفس فيقتل بها وقوله ومن قتل مظلوما يقول ومن قتل بغير المعاني التي ذكرنا أنه اذا قتل بها كان قتلا بحق فقد جعلنا لوليه سلطانا يقول فقد جعلنا لولي المقتول ظلما سلطانا على قاتل وليه فان شاء استقاد منه فقتله بوليه وان شاء عفا عنه وان شاء أخذ الدية وقد اختلف أهل التأويل في معنى السلطان الذي جعل لولي المقتول فقال بعضهم في ذلك نحو الذي قلنا ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال

ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا ۞ القراءات أخرتنى بالياء فى الحالين ابن كثير غير الهاشمى عن ابن فليح وسهل ويعقوب وافق أبو جعفر ونافع وأبو عمرو فى الوصل الباقون بالحذف ورجلك بكسر الجيم حفص وأبو زيد عن المفضل الآخرون بسكونها

ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا قال بينة من الله عز وجل أنزلها يطلبها ولى المقتول العقل أو القود وذلك السلطان حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن جويبر عن الضحاك بن مزاحم فى قوله فقد جعلنا لوليه سلطانا قال ان شاء عفا وان شاء أخذ الدية * وقال آخرون بل ذلك السلطان هو القتل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا وهو القود الذى جعله الله تعالى * وأولى التأويلين بالصواب فى ذلك تأويل من تأول ذلك أن السلطان الذى ذكر الله تعالى فى هذا الموضع ما قاله ابن عباس من أن لولى القتيل القتل ان شاء وان شاء أخذ الدية وان شاء العفو لصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يوم فتح مكة ألا ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين بين أن يقتل أو يأخذ الدية وقد بينت الحكم فى ذلك فى كتابنا كتاب الجراح وقوله فلا يسرف فى القتل اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الكوفة فلا تسرف بمعنى الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد به هو والأئمة من بعده يقول فلا تقتل بالمقتول ظلما غير قاتله وذلك أن أهل الجاهلية كانوا يفعلون ذلك اذا قتل رجل رجلا عمدا ولى القتيل الى الشريف من قبيلة القاتل فقتله بوليه وترك القاتل فنهى الله عز وجل عن ذلك عباده وقال لرسوله عليه السلام قتل غير القاتل بالمقتول معصية وسرف فلا تقتل به غير قاتله وان قتلت القاتل بالمقتول فلا تمثل به وقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والبصرة فلا يسرف بالياء بمعنى فلا يسرف ولى المقتول فيقتل غير قاتل وليه وقد قيل عنى به فلا يسرف القاتل الاول لا ولى المقتول * والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال انهما قراءتان متقاربتا المعنى وذلك أن خطاب الله تبارك وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بأمر أو نهى فى أحكام الدين قضاء منه بذلك على جميع عباده وكذلك أمره ونهيه بعضهم أمر منه ونهى جميعهم الا فيما دل فيه على أنه مخصوص به بعض دون بعض فاذا كان ذلك كذلك بما قدمنا فى كتابنا كتاب البيان عن أصول الأحكام فمعلوم أن خطابه تعالى بقوله فلا تسرف فى القتل نبيه صلى الله عليه وسلم وان كان موجها اليه أنه معنى به جميع عباده فكذلك نهيه ولى المقتول أو القاتل عن الاسراف فى القتل والتعدى فيه نهى لجميعهم فبأى ذلك قرأ القارئ فمصيب صواب القراءة فى ذلك وقد اختلف أهل التأويل فى تأويلهم ذلك نحوا اختلاف القراء فى قراءتهم اياه ذكر من تأول ذلك بمعنى الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن طلق بن حبيب فى قوله فلا تسرف فى القتل قال لا تقتل غير قاتله ولا تمثل به حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن طلق بن حبيب بنحوه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن خصيف عن سعيد بن جبير فى قوله فلا تسرف فى القتل قال لا تقتل اثنين بواحد حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فلا تسرف فى القتل انه كان منصورا كان هذا بمكة ونبى الله صلى الله عليه وسلم بها وهو أول شئ نزل من القرآن فى شأن القتل كان المشركون يغتالون أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فقال الله تبارك وتعالى من قتلكم من المشركين فلا يحملنكم قتله اياكم على أن تقتلوا له أبا أو أخا أو أحدا من عشيرته وان كانوا مشركين فلا تقتلوا الا قاتلكم وهذا قبل أن تنزل براءة وقبل أن يؤمروا بقتال المشركين

أن نخسف أو نرسل أن نعيدكم فنرسل فنغرقكم كلها بالنون ابن كثير وأبو عمرو والباقون على الغيبة الا يعقوب ويزيد فانهما قرآ فتغرقكم بالتاء الفوقانية على أن الضمير للريح من الرياح على الجمع يزيد هذه أعمى بالامالة أعمى بالتفخيم أبو عمرو ونصير والبرجمى ورويس وقرأ حمزة وعلى غير نصير وخلف ويحيى وحماد جميعا بالامالة الباقون جميعا بالتفخيم ۞ الوقوف ابليس ط طينا ○ لاتحاد فاعل فعل قبله وفعل بعده بلا حرف عطف على ز لحق القسم المحذوف مع اتحاد الكلام قليلا ○ موفورا ○ وعدهم ط للعدول غرورا ○ سلطان ط وكيلا ○ من فضله ط رحيما ○ الاآياه ج أعرضتم ط كفورا ○ وكيلا ○ لا للعطف تبيعا ○ تفضيلا ○ بامامهم ج فتيلا ○ سبيلا ○ ۞ التفسير قال أهل النظم انه لما ذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان من قومه فى بلية عظيمة ومحنة شديدة أراد أن يبين أن جميع الانبياء كانوا كذلك حتى آدم عليه السلام وأيضا ان القوم كان منشأ نزاعهم واقتراحاتهم الفاسدة أمرين الكبر والحسد فبين الله سبحانه أن هذه عادة قديمة منها ابليس لعنة الله عليه وأيضا لما وصف القوم بزيادة الطغيان عقيب التخويف أراد أن يذكر السبب لحصول هذا الطغيان وهو قول ابليس لأحتنكن ذريته وهذه القصة ذكرها الله تعالى فى سبع سور البقرة والاعراف والحجر وهذه السورة والكهف وطه وص ونحن قد استقصينا القول فيه فلا حاجة الى الاعادة فلنقتصر على تفسير الالفاظ قال جار الله (طينا) حال اما من الموصول والعامل فيه أسجد معناه أأسجد له وهو طين فى الاصل واما من الراجع الى الموصول من الصلة تقديره أأسجد لمن كان

فى وقت خلقه طينا ومعنى الاستفهام انكار أمر الأشرف على زعمه بخدمة الأدون وذلك (قال أرأيتك) أى أخبرنى عن (هذا الذى كرمته) أى فضلته (علىّ) لم كرمته وأنا خير منه (٦٠) فاختصر الكلام لكونه معلوما ويمكن أن يقال هذا مبتدأ والاستفهام فيه مقدر معناه أخبرنى أهذا الذى كرمته علىّ والاشارة هنا تفيد الاستحقار وقيل ان هذا مفعول أرأيت لان الكاف لمجرد الخطاب كأنه قال على وجه التعجب والانكار أبصرت أو علمت هذا بمعنى لو أبصرته أو علمته لكان يجب أن لا يكرم علىّ ثم ابتدأ فقال (لئن أخرتنى) واللام موطئة للقسم المحذوف وجوابه (لأحتنكن ذريته) لأستأصلنهم بالاغواء من احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها أو كلا من الحنك ومنه ماذكر سيبويه أحنك الشاتين أى آكلهما وقال أبو مسلم هو افتعال من الحنك يقال منه حنكت الدابة يحنكها اذا جعل فى حنكها الأسفل حبلا يقودها به كأنه يملكهم كما يملك الفارس فرسه بلجامه وانما ظن ابليس بهم ذلك لأنه سمع قول الملائكة فى حقهم أتجعل فيها من يفسد فيها أو نظر اليه فتوسم أنه خلق شهوانيا الى غير ذلك من قواه السبعية والوهمية والبهيمية أو قاس ذرية آدم عليه حين عمل وسوسته فيه وضعفه جار الله بأن الظاهر أنه قال ذلك قبل أكل آدم من الشجرة (قال) أى الله تعالى (اذهب) ليس المراد منه نقيض المجىء وانما المراد امض لشأنك الذى اخترته خذلانا وتخلية وامهالا لثم رتب على الامهال قوله (فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم) أراد جزاؤهم وجزاؤك فغلب المخاطب على الغائب لأنه الاصل فى المعاصى وغيره تبع له وجوز فى الكشاف أن يكون الخطاب لتابعيه على طريقة الالتفات وانتصب (جزاء موفورا) على المصدر والعامل فيه معنى تجازون المضمر أو المدلول عليه بقوله فان جهنم جزاؤكم أو على الحال الموطئة والموفور الموفر من قولهم فر لصاحبك عرضه فرة وقيل هو بمعنى الوافر ثم أكد الامهال والخذلان بقوله

فذلك قوله فلا تسرف فى القتل يقول لا تقتل غير قاتلك وهى اليوم على ذلك الموضع من المسلمين لا يحل لهم أن يقتلوا إلا قاتلهم * ذكر من قال عنى به ولى المقتول حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا أبو رجاء عن الحسن فى قوله ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا قال كان الرجل يقتل فيقول وليه لا أرضى حتى أقتل به فلانا وفلانا من أشراف قبيلته حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فلا تسرف فى القتل قال لا تقتل غير قاتلك ولا تمثل به حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فلا يسرف فى القتل قال لا يقتل غير قاتله من قتل بحديدة قتل بحديدة ومن قتل بخشبة قتل بخشبة ومن قتل بحجر قتل بحجر ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول ان من أعتى الناس على الله جل ثناؤه ثلاثة رجل قتل غير قاتله أو قتل بدخل الجاهلية أو قتل فى حرم الله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعته يعنى ابن زيد يقول فى قول الله جل ثناؤه ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا قال ان العرب كانت اذا قتل منهم قتيل لم يرضوا أن يقتلوا قاتل صاحبهم حتى يقتلوا أشرف من الذى قتله فقال الله جل ثناؤه فقد جعلنا لوليه سلطانا ينصره وينتصف من حقه فلا يسرف فى القتل يقتل بريأ * ذكر من قال عنى به القاتل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عبد الله بن كثير عن مجاهد فلا يسرف فى القتل قال لا يسرف القاتل فى القتل وقد ذكرنا الصواب من القراءة فى ذلك عندنا واذا كان كلا وجهى القراءة عندنا صوابا فكذلك جميع أوجه تأويله التى ذكرناها غير خارج وجه منها من الصواب لاحتمال الكلام ذلك وان فى نهى الله جل ثناؤه بعض خلقه عن الاسراف فى القتل نهى منه جميعهم عنه وأما قوله انه كان منصورا فان أهل التأويل اختلفوا فيمن عنى بالهاء التى فى قوله انه وعلى ما هى عائدة فقال بعضهم هى عائدة على ولى المقتول وهو المعنى بها وهو المنصور على القاتل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة انه كان منصورا قال هو دفع الامام اليه يعنى الى الولى فان شاء قتل وان شاء عفا * وقال آخرون بل عنى بها المقتول فعلى هذا القول هى عائدة على من فى قوله ومن قتل مظلوما ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عبد الله بن كثير عن مجاهد انه كان منصورا ان المقتول كان منصورا * وقال آخرون عنى بها دم المقتول وقالوا معنى الكلام ان دم القتيل كان منصورا على القاتل وأشبه ذلك بالصواب عندى قول من قال عنى بها الولى وعليه عادت لانه هو المظلوم وليه المقتول وهى الى ذكره أقرب من ذكر المقتول وهو المنصور أيضا لان الله جل ثناؤه قضى فى كتابه المنزل أن سلطه على قاتل وليه وحكمه فيه بأن جعل اليه قتله ان شاء واستبقاءه على الدية ان أحب والعفو عنه ان رأى وكفى بذلك نصرة له من الله جل ثناؤه فلذلك قلنا هو المعنى بالهاء التى فى قوله انه كان منصورا ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤلا﴾ يقول تعالى ذكره وقضى أيضا أن لا تقربوا مال اليتيم بأكل اسرافا وبدارا أن يكبروا ولكن اقربوه بالفعلة التى هى أحسن والخلة التى هى أجمل وذلك أن تتصرفوا فيه له بالتثمير والاصلاح والحيطة وكان قتادة يقول فى ذلك ما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن لما نزلت هذه الآية اشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانوا

(واستفزز من استطعت منهم بصوتك) أفزه الخوف واستفزه أزعجه واستخفه وصوته دعاؤه الى معصية الله وقيل الغناء واللهو واللعب (وأجلب عليهم بخيلك ورجلك) قال الفراء وأبو عبيدة أجلب من الجلبة والصياح أى صح عليهم وقال الزجاج أى اجمع عليهم كل ما تقدر عليه من مكايدك فالاجلاب الجمع والباء فى بخيلك زائدة وقال ابن السكيت الاجلاب الاعانة والخيل يقع على الفرسان قال صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبى وعلى الافراس جميعا والرجل بسكون الجيم جمع راجل كتاجر وتجر وصاحب وصحب وبكسر الجيم صفة معناه وجمعك الرجل وتضم جيمه أيضا مثل ندس وندس وحذر وحذر عن ابن عباس كل راكب وراجل فى معصية الله فهو من خيل ابليس وجنوده وقيل يحتمل أن يكون لابليس جند من الشياطين بعضها راكب وبعضها راجل والاقرب أن هذا كلام ورد تمثيلا فقد يقال للرجل المجد فى الامر جئتنا بخيلك ورجلك قال فى الكشاف مثلت حاله فى تسلطه على من يغويه بمغوار أوقع على قوم فصوت بهم صوتا يستفزهم من أماكنهم ويقلقهم عن مراكزهم وأجلب عليهم بجند من خيالة ورجالة حتى استأصلهم أما المشاركة فى الاموال فهى كل تصرف فى المال لاعلى وجه الشرع سواء كان أخذا من غير عوض أو وضعا فى غير حق كالربا والغصب والسرقة وقيل هى تبتيك آذان الانعام وجعلها بحيرة وسائبة والمشاركة فى الاولاد دعوى الولد بغير سبب وتحصيله بالدعاء الى الزنا أو تسميتهم بعبد اللات وعبد العزى أو تربيتهم لا كما ينبغى حتى ينشؤا غير راشدين ولا مؤدبين ولا متدينين بدين الحق (وعدهم) بتزيين المعاصى فى أعينهم وترغيبهم فيها وتثقيل الطاعات والعبادات عليهم وتنفيرهم عنها وهذه قضية كلية وربما يخصه المفسرون فعن بعضهم أن المراد وعدهم بأنه لا جنة ولا نار وقيل تسويف التوبة وقيل بالكرامة على الله بالانساب والاحساب وقيل بشفاعة الاصنام والامانى الباطلة وايثار العاجل

فكانوا لا يخالطونهم فى طعام أو أكل ولا غيره فأنزل الله تبارك وتعالى وان تخالطوهم فاخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح فكانت هذه لهم فيها رخصة حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد ابن ثور عن معمر عن قتادة ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن قال كانوا لا يخالطونهم فى مال ولا مأكل ولا مركب حتى نزلت وان تخالطوهم فاخوانكم وقال ابن زيد فى ذلك ما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن قال الأكل بالمعروف أن تأكل معه اذا احتجت اليه كان أبى يقول ذلك وقوله حتى يبلغ أشده يقول حتى يبلغ وقت اشتداده فى العقل وتدبير ماله وصلاح حاله فى دينه وأوفوا بالعهد يقول وأوفوا بالعقد الذى تعاقدون الناس فى الصلح بين أهل الحرب والاسلام وفيما بينكم أيضا والبيوع والاشربة والاجارات وغير ذلك من العقود ان العهد كان مسؤلا يقول ان الله جل ثناؤه سائل ناقض العهد عن نقضه اياه يقول فلا تنقضوا العهود الجائزة بينكم وبين من عاهدتموه أيها الناس فتخفروه وتغدروا بمن أعطيتموه ذلك وانما عنى بذلك ان العهد كان مطلوبا يقال فى الكلام ليسئلن فلان عهد فلان ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وأوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا﴾ يقول تعالى ذكره وقضى أن أوفوا الكيل للناس اذا كلتم لهم حقوقهم قبلكم ولا تبخسوهم وزنوا بالقسطاس المستقيم يقول وقضى أن زنوا أيضا اذا وزنتم لهم بالميزان المستقيم وهو العدل الذى لا اعوجاج فيه ولا دغل ولا خديعة * وقد اختلف أهل التأويل فى معنى القسطاس فقال بعضهم هو القبان ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا صفوان بن عيسى قال ثنا الحسن بن ذكوان عن الحسن وزنوا بالقسطاس المستقيم قال القبان * وقال آخرون هو العدل بالرومية ذكر من قال ذلك حدثنا على بن سهل قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد القسطاس العدل بالرومية * وقال آخرون هو الميزان صغر أو كبر وفيه لغتان القسطاس بكسر القاف والقسطاس بضمها مثل القرطاس والقرطاس وبالكسر يقرأ عامة قراء أهل الكوفة وبالضم يقرأ عامة قراء أهل المدينة والبصرة وقد قرأ به أيضا بعض قراء الكوفيين وبأيتهما قرأ القارئ فمصيب لانهما لغتان مشهورتان وقراءتان مستفيضتان فى قراء الامصار وقوله ذلك خير يقول ايفاؤكم أيها الناس من تكيلون له الكيل ووزنكم بالعدل لمن توفون له خير لكم من بخسكم اياهم ذلك وظلمكموهم فيه وقوله وأحسن تأويلا يقول وأحسن مردودا عليكم وأولا اليه فيه فعلكم ذلك لان الله تبارك وتعالى يرضى بذلك عليكم فيحسن لكم عليه الجزاء * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا أى خير ثوابا وعاقبة وأخبرنا أن ابن عباس كان يقول يا معشر الموالى انكم وليتم أمرين بهما هلك الناس قبلكم هذا المكيال وهذا الميزان قال وذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لا يقدر رجل على حرام ثم يدعه ليس به الا مخافة الله الا أبدله الله فى عاجل الدنيا قبل الآخرة ما هو خير له من ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وأحسن تأويلا قال عاقبة وثوابا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا﴾ اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله ولا تقف ما ليس لك به علم فقال بعضهم معناه ولا تقل ما ليس لك به علم ذكر من قال ذلك

على الآجل ثم نفى أن يكون لوعد الشيطان عاقبة جيدة فقال (وما يعدهم الشيطان الا غرورا) لانه انما يدعو الى اللذات البهيمية أو السبعية أو الخيالية وأكثرها دفع الآلام وكلها الأصل لها ولا دوام ومن أراد الاستقصاء فى هذا الباب فعليه بمطالعة باب ذم الغرور من

كتاب احياء علوم الدين للشيخ الامام محمد الغزالى رحمه الله ولما قال للشيطان على سبيل الوعيد والتهديد افعل ما تقدر عليه ربط جأش سائر المكلفين بقوله (ان عبادى ليس لك عليهم سلطان) قال الجبائى المراد كل عباده لانه استثنى متبعيه فى غير هذا الموضع قائلا الا من تبعك وقال أهل السنة المراد عباد الله المخلصين ثم زاد فى تقوية جانب المكلف فختم الآية بقوله (وكفى بربك وكيلا) فهو يدفع كيد الشيطان ويعصمهم من اغوائه ثم عدد على بنى آدم بعض ما أنعم به عليهم ليكون تذكيرا لهم وتحذيرا فقال (ربكم الذى يزجى لكم) أى يسير لأجلكم (الفلك فى البحر) والازجاء سوق الشئ حالا بعد حال (لتبتغوا من فضله) الربح بالتجارة (انه كان بكم رحيما) فلذلك هداكم الى مصالح المعاش المؤدية الى منافع المعاد (واذا مسكم الضر) أى خوف الغرق (فى البحر ضل من تدعون) ذهب عن أوهامكم وخواطركم كل من تدعونه فى حوادثكم (الا اياه) وحده فانكم تعتقدون برحمته رجاءكم أو المراد ضل من تدعون من الآلهة عن اغاثتكم ولكن الله هو الذى ترجونه وحده فكان الاستثناء منقطعا (فلما نجاكم) من ذلك الضر وأخرجكم (الى البر أعرضتم) عن الاخلاص (وكان الانسان كفورا) لنعمة الله لانه عند الشدة يتمسك برحمة الله وفى الرخاء يعرض عنه ثم أنكر عليهم سوء معاملتهم قائلا (أفأمنتم) تقديره أنجوتم فأمنتم فحملكم ذلك على الاعراض (أن يخسف) أصله دخول الشئ فى الشئ ومنه عين خاسفة أى غارت حدقتها فى الرأس وخسف القمر دخل تحت الحجاب وهو دائرة الظل عند الحكماء (بكم) حال وانما قال (جانب البر) لانه ذكر البحر فى الآية

حدثنى على بن داود قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ولا تقف ما ليس لك به علم يقول لا تقل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا لا تقل رأيت ولم تر وسمعت ولم تسمع فان الله تبارك وتعالى سائلك عن ذلك كله حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ولا تقف ما ليس لك به علم قال لا تقل رأيت ولم تر وسمعت ولم تسمع وعلمت ولم تعلم حدثت عن محمد بن ربيعة عن اسمعيل الأزرق عن أبى عمر البزار عن ابن الحنفية قال شهادة الزور * وقال آخرون بل معناه ولا ترم ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولا تقف ما ليس لك به علم يقول لا ترم أحدا بما ليس لك به علم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولا تقف ولا ترم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وهذان التأويلان متقاربا المعنى لان القول بما لا يعلمه القائل يدخل فيه شهادة الزور ورمى الناس بالباطل وادعاء سماع ما لم يسمعه ورؤية ما لم يره وأصل القفو العضه والبهت ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفو أمنا ولا ننتفى من أبينا وكان بعض البصريين ينشد فى ذلك بيتا

ومثل الدمى شم العرانين ساكن * بهن الحياء لا يشعن التقافيا

يعنى بالتقافى التقاذف ويزعم أن معنى قوله لا تقف لا تتبع ما لا تعلم ولا يعنيك وكان بعض أهل العربية من أهل الكوفة يزعم أن أصله القيافة وهى اتباع الاثر واذا كان كما ذكروا وجب أن تكون القراءة ولا تقف بضم القاف وسكون الفاء مثل ولا تقل قال والعرب تقول قفوت أثره وقفت أثره فتقدم أحيانا الواو على الفاء وتؤخرها أحيانا بعدها كما قيل قاع الجمل الناقة اذا ركبها وقعاوعاث وعثى وأنشد سماعا من العرب

ولو أنى رميتك من قريب * لعاقك من دعاء الذئب عاق

يعنى عائق ونظائر هذا كثيرة فى كلام العرب وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال معنى ذلك لا تقل للناس وفيهم ما لا علم لك به فترميهم بالباطل وتشهد عليهم بغير الحق فذلك هو القفو وانما قلنا ذلك أولى الأقوال فيه بالصواب لأن ذلك هو الغالب من استعمال العرب القفو فيه وأما قوله ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا فان معناه ان الله سائل هذه الأعضاء عما قال صاحبها من أنه سمع أو أبصر أو علم تشهد عليه جوارحه عند ذلك بالحق وقال أولئك ولم يقل تلك كما قال الشاعر

ذم المنازل بعد منزلة اللوى * والعيش بعد أولئك الأيام

وانما قيل أولئك لان أولئك وهؤلاء للجمع القليل الذى يقع للتذكير والتأنيث وهذه وتلك للجمع الكثير فالتذكير للقليل من باب أن كان التذكير فى الاسماء قبل التأنيث لك التذكير للجمع الأول والتأنيث للجمع الثانى وهو الجمع الكثير لان العرب تجعل الجمع على مثال الاسماء

القول فى تأويل قوله تعالى (ولا تمش فى الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا

أرلى وهو جانب والبر جانب وخسف جانب البر بهم قلبه وهم عليه فالخسف تغييب تحت التراب كما أن الغرق تغييب تحت الماء فهبوا أنكم
نجوتم من هول البحر فهل أمنتم من هول البر فانه قادر على تسليط آفات البر عليكم امامن جانب التحت بالخسوف واما من جانب

كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها ﴾ يقول تعالى ذكره ولا تمش فى الارض مختالا
تكبرا انك لن تخرق الأرض يقول انك لن تقطع الأرض باختيالك كما قال رؤبة

* وقاتم الأعماق خاوى المخترق * يعنى بالمخترق المقطع ولن تبلغ الجبال طولا بفخرك وكبرك
انما هذا نهى من الله عباده عن الكبر والفخر والخيلاء وتقدم منه اليهم فيه معرفهم بذلك أنهم
يتعالون بكبرهم وفخارهم شيأ يقصر عنه غيرهم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل
ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا تمش فى الأرض
مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا يعنى بكبرك ومرحك حدثنا ابن عبد الأعلى
قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ولا تمش فى الارض مرحا قال لا تمش فى الارض فخرا وكبرا
فان ذلك لا يبلغ بك الجبال ولا تخرق الارض بكبرك وفخرك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين
قال ثنى حجاج عن ابن جريج ولا تمش فى الارض قال لا تفخر وقيل ولا تمش مرحا ولم يقل مرحا
لأنه لم يرد بالكلام لا تكن مرحا فيجعله من نعت الماشى وانما أريد لا تمرح فى الارض مرحا ففسر
المعنى المراد من قوله ولا تمش كما قال الراجز

يعجبه السخون والعصيد * والترحبا ماله مزيد

فقال حبا لأن فى قوله يعجبه معنى يحب فأخرج قوله حبا من معناه دون لفظه وقوله كل ذلك كان
سيئه عند ربك مكروها فان القراء اختلفت فيه فقرأه بعض قراء المدينة وعامة قراء الكوفة كل
ذلك كان سيئه عند ربك مكروها على الاضافة بمعنى كل هذا الذى ذكرنا من هذه الأمور التى
عددنا من مبتدإ قولنا وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه الى قولنا ولا تمش فى الأرض مرحا كان سيئه
من قول سيئ ما عددنا عليك عند ربك مكروها وقال قارئو هذه القراءة انما قيل كل ذلك كان سيئه
بالاضافة لان فيما عددنا من قوله وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه أمورا هى أمر بالجميل كقوله
وبالوالدين احسانا وقوله وآت ذا القربى حقه وما أشبه ذلك قالوا فليس كل ما فيه نهيا عن سيئة بل
فيه نهى عن سيئة وأمر بحسنات فلذلك قرأنا سيئه وقرأ عامة قراء أهل المدينة والبصرة وبعض
قراء الكوفة كل ذلك كان سيئة وقالوا انما عنى بذلك كل ما عددنا من قولنا ولا تقتلوا أولادكم خشية
املاق ولم يدخل فيه ما قبل ذلك قالوا وكل ما عددنا من ذلك الموضع الى هذا الموضع سيئة لا حسنة فيه
والصواب قراءته بالتنوين ومن قرأ هذه القراءة فانه ينبغى أن يكون من نيته أن يكون المكروه
مضافا على السيئة وأن يكون معنى الكلام عنده كل ذلك كان مكروها سيئة لانه ان جعل قوله
مكروها بعد السيئة من نعت السيئة لزمه أن تكون القراءة كل ذلك كان سيئة عند ربك مكروهة
وذلك خلاف ما فى مصاحف المسلمين وأولى القراءتين عندى فى ذلك بالصواب قراءة من قرأ كل
ذلك كان سيئه على اضافة السيئ الى الهاء بمعنى كل ذلك الذى عددنا من وقضى ربك ألا تعبدوا
الا اياه كان سيئه لأن فى ذلك أمورا منهيا عنها وأمورا مأمورا بها وابتداء الوصية والعهد من ذلك
الموضع دون قوله ولا تقتلوا أولادكم انما هو عطف على ما تقدم من قوله وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه
فاذ كان ذلك كذلك فقراءته باضافة السيئ الى الهاء أولى وأحق من قراءته سيئة بالتنوين بمعنى
السيئة الواحدة فتأويل الكلام اذا كل هذا الذى ذكرنا لك من الامور التى عددناها عليك كان
سيئه مكروها عند ربك يا محمد يكرهه وينهى عنه ولا يرضاه فاتق مواقعته والعمل به ۞ القول

الفوق بامطار الحجارة وذلك أن (يرسل عليكم) حاصبا وهى الريح التى
تحصب أى ترمى بالحصباء وقال
الزجاج الحاصب التراب الذى فيه
حصباء فالحاصب ذو الحصباء
كاللابن والتامر ولا يخفى أن هذين
العذابين أشد من غرق البحر (ثم
لا تجدوا لكم وكيلا) يصرف ذلك
عنكم (أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة
أخرى) بأن يقوى دواعيكم ويوفر
حوائجكم الى ركوب البحر (فيرسل
عليكم قاصفا) ريحا لها قصيف أى
صوت شديد أو القاصف الكاسر
وقوله (من الريح) بيان له (فيغرقكم
بما كفرتم) بسبب كفركم (ثم
لا تجدوا لكم علينا به تبيعا) مطالبا
يتبعنا لانكار ما نزل بكم أو لنصرفه
عنكم فهو كقوله ولا يخاف عقباها
ثم أجمل ذكر النعمة بقوله (ولقد
كرمنا بنى آدم) وقد ذكر المفسرون
فى تكريمه وجوها منها الخط فيه
يقدر الانسان على ايداع العلوم
التى استنبطها هو وغيره الدفاتر
فتبقى على وجه الدهر مصونة عن
الاندراس محفوظة عن الانطماس
اقرأ وربك الاكرم الذى علم
بالقلم ومنها الصورة الحسنة وصوركم
فأحسن صوركم ومنها القامة
المعتدلة لقد خلقنا الانسان فى
أحسن تقويم ومنها أن كل شئ
يأكل بفيه الا ابن آدم يحكى عن
الرشيد أنه حضر لديه طعام
فأحضرت الملاعق وعنده أبو
يوسف فقال له جاء فى تفسير جدك
ابن عباس أن هذا التكريم هو أنه
جعل لهم أصابع يأكلون بها فرد
عليه أبو يوسف بأن هذا التكريم هو أنه
جعل لهم أصابع يأكلون بها فرد

عليه أبو يوسف بأن هذا التكريم هو أنه
جعل لهم أصابع يأكلون بها فرد

الاغر أكل بأصابعه ومنها ما قال الضحاك انه النطق والتمييز فان الانسان يمكنه تعريف غيره كل ما عرفه بخلاف سائر الحيوانات ويدخل
الاخرس فى هذا الوصف لانه يعرف بالاشارة أو الكتابة ويخرج البغاء ونحوه لانه لا يقدر على تعريف جميع الاحوال على الكمال ومنها

تسليطهم على ما فى الارض وتسخيره لهم فالارض لهم كالام الحاضنة منها خلقنا كم وفيها نعيدكم وهى لهم فراش ومهاد والماء يتفعون به فى الشرب والزراعة والعمارة وماء البحر ينتفع (٦٤) به فى التجارة واستخراج الحلى منه والهواء مادة الحياة ولولا هبوب الرياح لانتن على المعمورة والنار ينتفع بها فى الطبخ والانضاج ودفع البرد وغير ذلك وانتفاعهم بالمركبات المعدنية والنباتية والحيوانية ظاهر وبالجملة فهذا العالم بأسره كقرية معمورة أو خوان معد والانسان فيه كالرئيس المخدوم والملك المطاع فأى تكريم يكون أزيد من هذا ولا شك أن الانسان لكونه مستجمعا للقوة العقلية القدسية وللقوتين الشهوية البهيمية والغضبية السبعية ولقوتى الحس والحركة الارادية وللقوى النباتية وهى الاغتذاء والنمو والتوليد يكون أشرف عالم يستجمع الجميع سوى المجردات المحضة وقال بعضهم ان هذا التكريم هو أنه تعالى خلق آدم بيده وأبدع غيره بواسطة كن يروى عن زيد بن أسلم أن الملائكة قالت ربنا انك أعطيت بنى آدم الدنيا يأكلون منها ويتمتعون ولم تعطنا ذلك فأعطناه فى الآخرة فقال وعزتى وجلالى لا أجعل ذرية من خلقت بيدى كمن قلت له كن فكان ثم خص بعض أنواع التكريم بالذكر فقال (وحملناهم فى البر والبحر) قال ابن عباس فى البر أى على الخيل والبغال والحمير وفى البحر أى على السفن (ورزقناهم من الطيبات) من كل غذاء نباتى أو حيوانى ألطفه وألذه واعلم أن التكريم لا يدل على التفضيل لان تكريم زيد لا ينافى تكريم غيره بأزيد من ذلك ولذلك ختم التكريم بقوله (وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) فسر بعض الاشاعرة الكثير ههنا بمعنى الجميع فشنع عليه بجار الله بأنه شنجى فى الحلق وقذى فى العين لبشاعة قول القائل وفضلناهم على جميع ممن خلقنا والانصاف أن كون الكثير مفيدا لمعنى الجميع لا يوجب هذا التشنيع لانه لا يبعد

فى تأويل قوله تعالى ﴿ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى فى جهنم ملوما مدحورا﴾ يقول تعالى ذكره هذا الذى بينا لك يا محمد من الأخلاق الجميلة التى أمرناك بتحصيلها ونهيناك عن قبيحها مما أوحى اليك ربك من الحكمة يقول من الحكمة التى أوحيناها اليك وكتبناها لك هذا كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة قال القرآن وقد بينا معنى الحكمة فيما مضى من كتابنا هذا بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى فى جهنم ملوما مدحورا يقول ولا تجعل مع الله شريكا فى عبادتك فتلقى فى جهنم ملوما تلوم نفسك وعار فولك من الناس مدحورا يقول مبعدا مقصيا من النار ولكن أخلص العبادة لله الواحد القهار فتنجو من عذابه * وبنحو الذى قلنا فى قوله ملوما مدحورا قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على بن داود قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله ملوما مدحورا يقول مطرودا حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ملوما مدحورا قال ملوما فى عبادتهم الله مدحورا فى النار ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا انكم لتقولون قولا عظيما﴾ يقول تعالى ذكره للذين قالوا من مشركى العرب الملائكة بنات الله أفأصفاكم أيها الناس ربكم بالبنين يقول أفخصكم ربكم بالذكور من الأولاد واتخذ من الملائكة اناثا وأنتم لا ترضونهن لأنفسكم بل تئدونهن وتقتلونهن فجعلتم لله ما لا ترضونه لأنفسكم انكم لتقولون قولا عظيما يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين الذين قالوا من الفرية على الله ما ذكرنا انكم أيها الناس لتقولون بقيلكم الملائكة بنات الله قولا عظيما وتفترون على الله فرية منكم وكان قتادة يقول فى ذلك ما حدثنا محمد قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة واتخذ من الملائكة اناثا قال قالت اليهود الملائكة بنات الله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولقد صرفنا فى هذا القرآن ليذكروا وما يزيدهم الا نفورا﴾ يقول تعالى ذكره ولقد صرفنا لهؤلاء المشركين المفترين على الله فى هذا القرآن العبر والآيات والحجج وضربنا لهم فيه الأمثال وحذرناهم فيه وأنذرناهم ليذكروا يقول ليتذكروا تلك الحجج عليهم فيعقلوا خطأ ما هم عليه مقيمون ويعتبروا بالعبر فينتهوا بها وينيبوا من جهالتهم فما يعتبرون بها ولا يتذكرون بما يرد عليهم من الآيات والنذر وما يزيدهم تذكيرنا اياهم الا نفورا يقول الا ذهابا عن الحق وبعدا منه وهربا والنفور فى هذا الموضع مصدر من قولهم نفر فلان من هذا الأمر ينفر منه نفرا ونفورا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذا لابتغوا الى ذى العرش سبيلا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين جعلوا مع الله الها آخر لو كان الامر كما تقولون من أن معه آلهة وليس ذلك كما تقولون اذا لابتغت تلك الآلهة القربة من الله ذى العرش العظيم والتمست الزلفة اليه والمرتبة منه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذا لابتغوا الى ذى العرش سبيلا يقول لو كان معه آلهة اذا لعرفوا فضله ومرتبته ومنزلته عليهم فابتغوا ما يقربهم اليه حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة اذا لابتغوا الى ذى العرش سبيلا قال لابتغوا القرب اليه مع أنه ليس كما

من افادة اللفظ معنى لفظ آخر بمعنى أنه يرجع الحاصل الى ذلك بدلالة الالتزام أو بحكم العرف أن يوضع ذلك اللفظ موضعه وينطق به على
أن التفسير لا يقوم مقام المفسر البتة لان هذا مجز دون ذلك فكيف يبقى الذوق بحاله وأيضا فالحاصل هو قولنا على جميع من

كما يقولون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا﴾ وهذا تنزيه من الله تعالى ذكره نفسه عما وصفه به المشركون الجاعلون معه آلهة غيره المضيفون اليه البنات فقال تنزيها لله وعلوا له عما تقولون أيها القوم من الفرية والكذب فان ما تضيفون اليه من هذه الامور ليس من صفته ولا ينبغى أن يكون له صفة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا يسبح نفسه اذ قيل عليه البهتان وقال تعالى عما يقولون علوا ولم يقل تعاليا كما قال وتبتل اليه تبتيلا كما قال الشاعر

أنت الفداء لكعبة هدمتها * ونقرتها بيديك كل منقر
منع الحمام مقيله من سقفها * ومن الحطيم فطار كل مطير

وقوله تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن يقول تنزه الله أيها المشركون عما وصفتموه به اعظاما له واجلالا السموات السبع والارض ومن فيهن من المؤمنين به من الملائكة والانس والجن وأنتم مع انعامه عليكم وجميل أياديه عندكم تفترون عليه بما تفترون وقوله وان من شئ الا يسبح بحمده يقول جل ثناؤه وما من شئ من خلقه الا يسبح بحمده كما حدثنى به نصر ابن عبد الرحمن الأودى قال ثنا محمد بن يعلى عن موسى بن عبيدة عن زيد بن أسلم عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بشئ أمر به نوح ابنه ان نوحا قال لابنه يا بنى آمرك أن تقول سبحان الله وبحمده فانها صلاة الخلق وتسبيح الخلق وبها ترزق الخلق قال الله وان من شئ الا يسبح بحمده حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عيسى ابن عبيد قال سمعت عكرمة يقول لا يعيين أحدكم دابته ولا ثوبه فان كل شئ يسبح بحمده حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين عن يزيد عن عكرمة وان من شئ الا يسبح بحمده قال الشجرة تسبح والاسطوانة تسبح حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح وزيد بن حباب قالا ثنا جرير أبو الخطاب قال كنا مع يزيد الرقاشى ومعه الحسن فى طعام فقدموا الخوان فقال يزيد الرقاشى يا أبا سعيد يسبح هذا الخوان فقال كان يسبح مرة حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا جويبر عن الضحاك ويونس عن الحسن أنهما قالا فى قوله وان من شئ الا يسبح بحمده قالا كل شئ فيه الروح حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الكبير بن عبد المجيد قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم قال الطعام يسبح حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وان من شئ الا يسبح بحمده قال كل شئ فيه الروح يسبح من شجر أو شئ فيه الروح حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن عبد الله بن أبى عن عبد الله بن عمرو أن الرجل اذا قال لا اله الا الله فهى كلمة الاخلاص التى لا يقبل الله من أحد عملا حتى يقولها فاذا قال الحمد لله فهى كلمة الشكر التى لم يشكر الله عبد قط حتى يقولها فاذا قال الله أكبر فهى تملأ ما بين السماء والارض فاذا قال سبحان الله فهى صلاة الخلائق التى لم يدع الله أحدا من خلقه الا نوره بالصلاة والتسبيح فاذا قال لا حول ولا قوة الا بالله قال أسلم عبدى واستسلم وقوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم يقول تعالى ذكره ولكن

خلقنا الا على جميع ممن خلقنا فان الدعوى هو أن كثيرا من الشئ أقيم مقام كل ذلك الشئ لا كل من ذلك الشئ حتى تلزم البشاعة من قبل الجمع بين لفظى الكل ومن التبعيضية هذا وان الحق فى المسئلة هو اجراء الكلام على ظاهره وان الآية تدل على أنه حصل فى مخلوقات الله شئ لا يكون للانسان تفضيل عليه لانه سبحانه ذكر هذا الكلام فى معرض المدح ولو كان الانسان مفضلا على الكل لم يقع من الله تعالى الاقتصار على ذكر البعض وكل من أثبت هذا القسم قال انه هو الملائكة فلزم القول بأن كل الانسان ليس أفضل من كل الملائكة بل بعض الملك أفضل من أكثر الانسان وان كان يوجد فى خواص الانسان من هو أفضل من عوام الملائكة بل من خواصهم والى هذا ذهب ابن عباس واختاره الزجاج على ما رواه الواحدى فى البسيط وأما أن كل الملائكة أفضل من كل البشر على ما زعم جار الله وأمثاله فانه تحكم محض ولما ذكر أنواع كرامات الانسان فى الدنيا شرح أحوال درجاته فى الآخرة فقال (يوم ندعو) وهو منصوب باضمار اذكر أو بقوله فضلناهم على عادة الله فى الاخبار أى ونفضلهم فى هذا اليوم بما نعطيهم من الكرامة والثواب وعلى هذا يكون التكريم فى الدنيا والتفضيل فى الآخرة ولا وقف على تفضيلا والامام فى اللغة كل ما يؤتم به من نبى أو مقدم

 فى الدين أو كتاب أو دين والباء فى قوله (بامامهم) للالصاق كما تقول أدعوك باسمك عن أبى هريرة مرفوعا أنه ينادى يوم القيامة يا أمة موسى يا أمة ابراهيم يا أمة عيسى يا أمة محمد فيقوم أهل الحق الذين اتبعوا الانبياء

فيأخذون كتبهم بأيمانهم ثم ينادى بأتباع فرعون وفلان وفلان من رؤساء الضلال وأكابر الكفر ويجوز أن يتعلق الباء محذوف وهو الحال والتقدير يدعو كل أناس متلبسين بامامهم أى يدعون وامامهم فيهم نحو ركب بجنوده وروى الضحاك وابن زيد أنه ينادى فى القيامة ياأهل القرآن ياأهل التوراة ياأهل الانجيل وقال الحسن يدعون بكتابهم الذى فيه أعمالهم فيقال ياأصحاب كتاب الخير ويا أصحاب كتاب الشر وهو قول الربيع وأبى العالية أيضا قال صاحب الكشاف ومن بدع التفاسير أن الامام جمع أم وأن الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم والحكمة فى ذلك رعاية حق عيسى واظهار شرف الحسن والحسين عليهما السلام وأن لا يفتضح أولاد الزنا ثم قال وليت شعرى أيهما أبدع أصحة لفظه أم بيان حكمته وقال فى التفسير الكبير كل خلق يظهر من الانسان حسن كالعفة والشجاعة والعلم أو قبيح كأضدادها فالداعى الى تلك الافعال خلق باطن كالامام له وكالمنبع والمنشا ويوم القيامة انما يظهر الثواب والعقاب بناء على الافعال الناشئة من تلك الاخلاق (فمن أوتى) هو فى معنى الجمع ولذلك قيل فى جزائه (فأولئك يقرؤن) وخص أصحاب اليمين بقراءة كتابهم لان قراءة أصحاب الشمال كلا قراءة لما يعرض لهم فيه من الحياء والخجل والتتعتع (ومن كان فى هذه) الدنيا (أعمى) لا خلاف أن المراد بهذا العمى عمى القلب وأما قوله (فهو فى الآخرة أعمى) فيحتمل أن يراد به عمى البصر كقوله ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا وفى هذا زيادة العقوبة ويحتمل أن يراد عمى القلب قال ابن عباس المراد ومن كان أعمى فى هذه النعم التى عددها من قوله ربكم الذى يزجى الى قوله تفضيلا فهو فى الآخرة التى لم ير ولم يعاين أعمى أضل سبيلا بالطريق الاولى لان الضلال عن معرفة أحوال الآخرة أقرب وقوعا فعلى هذا يكون الأعمى فى الموضعين فى الدنيا ومثله ما روى أبو رزين عن

لا تفقهون تسبيح ما عدا تسبيح من كان يسبح بمثل ألسنتكم انه كان حليما يقول ان الله كان حليما لا يعجل على خلقه الذين يخالفون أمره ويكفرون به لولا ذلك لعاجل هؤلاء المشركين الذين يدعون معه الآلهة والانداد بالعقوبة غفورا يقول ساترا عليهم ذنوبهم اذا هم تابوا منها بالعفو منه لهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة انه كان حليما عن خلقه فلا يعجل كعجلة بعضهم على بعض غفورا لهم اذا تابوا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا﴾ يقول تعالى ذكره واذا قرأت يا محمد القرآن على هؤلاء المشركين الذين لا يصدقون بالبعث ولا يقرون بالثواب والعقاب جعلنا بينك وبينهم حجابا يحجب قلوبهم عن أن يفهموا ما تقرؤه عليهم فينتفعوا به عقوبة منا لهم على كفرهم والحجاب ههنا هو الساتر كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا الحجاب المستور أكنة على قلوبهم أن يفقهوه وأن ينتفعوا به أطاعوا الشيطان فاستحوذ عليهم حدثنا محمد قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة حجابا مستورا قال هى الأكنة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا قال قال أبى لا يفقهونه وقر أقلوبهم فى أكنة وفى آذانهم وقرفهم لا يخلص ذلك اليهم وكان بعض نحويى أهل البصرة يقول معنى قوله حجابا مستورا حجابا ساترا ولكنه أخرج وهو فاعل فى لفظ المفعول كما يقال انك مشؤم علينا وميمون وانما هو شائم ويامن لانه من شأمهم ويمنهم قال والحجاب ههنا هو الساتر وقال مستورا وكان غيره من أهل العربية يقول معنى ذلك حجابا مستورا عن العباد فلا يرونه وهذا القول الثانى أظهر معنى الكلام أن يكون المستور هو الحجاب فيكون معناه أن الله ستره عن أبصار الناس فلا تدركه أبصارهم وان كان للقول الاول وجه مفهوم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا﴾ يقول تعالى ذكره وجعلنا على قلوب هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة عند قراءتك عليهم القرآن أكنة وهى جمع كنان وذلك ما يتغشاها من خذلان الله اياها عن فهم ما يتلى عليهم وفى آذانهم وقرا يقول وجعلنا فى آذانهم وقرا عن سماعه وصمما والوقر بالفتح فى الاذن الثقل والوقر بالكسر الحمل وقوله واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده يقول واذا قلت لا اله الا الله فى القرآن وأنت تتلوه ولوا على أدبارهم نفورا يقول انفضوا فذهبوا عنك نفورا من قولك استكبارا له واستعظاما من أن يوحد الله تعالى وعاقلنا فى ذلك قال بعض أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا قال بغضا لما تكلم به لئلا يسمعوه كما كان قوم نوح يجعلون أصابعهم

أصابعهم في آذانهم لئلا يسمعوا ما يأمرهم به من الاستغفار والتوبة ويستغشون ثيابهم قال يلتفون بثيابهم ويجعلون أصابعهم في آذانهم لئلا يسمعوا ولا ينظر اليهم * وقال آخرون انما عنى بقوله ولوا على أدبارهم نفورا الشياطين وانها تهرب من قراءة القرآن وذكر الله ذكر من قال ذلك حدثني الحسين بن محمد الذارع قال ثنا روح بن المسيب أبو رجاء الكلبي قال ثنا عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس في قوله واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا هم الشياطين والقول الذي قلنا في ذلك أشبه بما دل عليه ظاهر التنزيل وذلك أن الله تعالى أتبع ذلك قوله واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا فأن يكون ذلك خبرا عنهم أولى اذ كان بخبرهم متصلا من أن يكون خبرا عمن لم يجر له ذكر وأما النفور فانها جمع نافر كما القعود جمع قاعد والجلوس جمع جالس وجائز أن يكون مصدرا أخرج من غير لفظه اذ كان قوله ولوا بمعنى نفروا فيكون معنى الكلام نفروا نفورا كما قال امرؤ القيس * ورضت فذلت صعبة أي اذلال * اذ كان رضت بمعنى أذللت فأخرج الاذلال من معناه لا من لفظه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿نحن أعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا﴾ يقول تعالى ذكره نحن أعلم يا محمد بما يستمع به هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة من مشركي قومك اذ يستمعون اليك وأنت تقرأ كتاب الله واذ هم نجوى وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول النجوى فعلهم بجعلهم هم النجوى كما يقولون هم قوم رضا واغار ضا فعلهم وقوله اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا يقول حين يقول المشركون بالله ما تتبعون الا رجلا مسحورا وعنى فيما ذكر بالنجوى الذين تشاوروا في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار الندوة * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد اذ يستمعون اليك قال هي مثل قيل الوليد بن المغيرة ومن معه في دار الندوة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى اذ يقول الظالمون الآية ونجواهم أنزعموا أنه مجنون وأنه ساحر وقالوا أساطير الأولين وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يذهب بقوله ان تتبعون الا رجلا مسحورا الى معنى ما تتبعون الا رجلا له سحر أي له رئة والعرب تسمي الرئة سحرا والمسحر من قولهم للرجل اذا جبن قد انتفخ سحره وكذلك يقال لكل ما أكل أو شرب من آدمي وغيره مسحور ومسحر كما قال لبيد

فان تسألينا فيم نحن فاننا * عصافير من هذا الانام المسحر

* وقال آخرون وتسحر بالطعام والشراب أي تغذى بهما فكأن معناه عنده كان ان تتبعون الا رجلا له رئة يأكل الطعام ويشرب الشراب لا ملكا لا حاجة به الى الطعام والشراب والذي قال من ذلك غير بعيد من الصواب ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا﴾ يقول تعالى ذكره انظر يا محمد بعين قلبك فاعتبر كيف مثلوا لك الأمثال وشبهوا لك الأشباه بقولهم هو مسحور وهو شاعر وهو مجنون فضلوا يقول فجاروا عن

التفضيل ودليله قراءة أبي عمرو بامالة الاول وتفخيم الثاني لان الاول ألفه واقعة في الطرف فكانت عرضة للامالة ومظنة لها بخلاف الثاني فان تمامه بمن فكانت ألفه في حكم وسط الكلمة هذا قول صاحب الكشاف تابعا لابي علي الفارسي وأقول في هذا الوجه نظر لان الامالة ليست مختصة بآخر الكلمة مثل شيآن والكافرين ونحوهما ولهذا قرئ بامالة كليهما مع قيام هذا الاحتمال في الثاني ولعل من لم يمل الثاني راعى المشاكلة بينه وبين أضل والله أعلم قال الحسن في الآخرة أي في الدار الآخرة وذلك أنه في الدنيا تقبل توبته وفي الآخرة لا تقبل وقيل المراد بالعمى في الآخرة انه لا يهتدي الى طريق الجنة والى طيباتها والابتهاج بها ولا يمكن أن يراد بها الجهل بالله لان أهل الآخرة يعرفون الله بالضرورة ۞ التأويل من استطعت منهم بصوتك أي بكلمات المبتدعة ومقالات أهل الطبيعة ان عبادي ليس لك عليهم سلطان لانهم بخصوصية العبودية تخلصوا عن رق الكونين وتعلق العالمين وكفى بربك وكيلا في تربيتهم وتهيئة صلاح أحوالهم ربكم الذي يزجي لكم فلك الشريعة في بحر الحقيقة لتبتغوا من فضله جذبة العناية فلما نجاكم الى بر الوصول والوصال أعرضتم بحجب العجب ورؤية الاعمال حاصبا من مطر القهر قاصفا من ريح الابتلاء ببليات البدع والاهواء فيغرقكم في بحر الشهوات ولقد كرمنا بني آدم بالكرامات البدنية العامة للمؤمن والكافر وهي تخمير طينته بيده وتصويره في الرحم بنفسه وبالكرامات الروحانية العامة وهي أن نفخ فيه من روحه وشرفه بخطاب ألست بربكم وأنطقه بجواب بلى وأولده على الفطرة وأرسل الرسل وأنزل الكتب وبالكرامات الروحانية

الخاصة من النبوة والولاية والهداية والجذبة كما قال وحملناهم في البر والبحر أي عبرنا بهم من البشرية وبحري الروحانية الى ساحل الربانية ورزقناهم من طيبات المواهب ونوال الكشوف وفضلناهم على كثير أي على الملائكة لانهم الخلق الكبير من مخلوقات الله وبيان تفضيله حسن استعداده في قبول فيض نور الله بلا واسطة وهو المراد بالأمانة في قوله انا عرضنا الامانة ندعو كل أناس بامامهم من الدنيا والآخرة وغيرهما فيقال يا أهل الدنيا ويا أهل الآخرة ويا أهل الله فمن أوتي كتابه بيمينه فيه اشارة الى أن اهل الله لا يؤتون كتابهم كما لا يحاسبون حسابهم وأهل الشمال يؤتون الكتاب ولكنهم لا يقدرون على القراءة لانهم عمى والقراءة تحتاج الى الابصار بالأبصار وبالبصائر والله أعلم ﴿وان كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا اليك لتفتري علينا غيره واذا لاتخذوك خليلا ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيأ قليلا اذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلافك الا قليلا سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا واذا أنعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر كان يؤسا قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا اليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا الا رحمة من ربك

قال

قصد السبيل بقيلهم ما قالوا فلا يستطيعون سبيلا يقول فلا يهتدون لطريق الحق لضلالهم عن وبعدهم منه وأن الله قد خذلهم عن اصابته فهم لا يقدرون على المخرج مما هم فيه من كفرهم بتوفقهم الى الايمان به كما **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فلا يستطيعون سبيلا قال مخرجا الوليد بن المغيرة وأصحابه أيضا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا مخرجا الوليد بن المغيرة وأصحابه ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة من مشركي قريش وقالوا بعنتهم أئذا كنا عظاما لم تعظم ولم نتكسر بعد مماتنا وبلانا ورفاتا يعني ترابا في قبورنا كما **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يقول الله رفاتا قال ترابا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا يقول غبارا ولواحد للرفات وهو بمنزلة الدقاق والحطام يقال منه رفت يرفت رفتا فهو مرفوت اذا صير كالحطام والرضاض وقوله أئنا لمبعوثون خلقا جديدا قالوا انكارا منهم للبعث بعد الموت انا لمبعوثون بعد مصيرنا في القبور عظاما غير منحطمة ورفاتا منحطمة وقد بلينا فصرنا فيها ترابا خلقا منشأ كما كنا قبل الممات جديدا نعاد كما بدئنا فأجابهم جل جلاله يعرفهم قدرته على بعثه اياهم بعد مماتهم وانشائه لهم كما كانوا قبل بلائهم خلقا جديدا على أي حال كانوا من الاحوال عظاما أو رفاتا أو حجارة أو حديدا أو غير ذلك مما يعظم عندهم أن يحدث مثله خلقا أمثالهم أحياء قل يا محمد كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة فسينغضون اليك رؤسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد للمكذبين بالبعث بعد الممات من قومك القائلين أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا كونوا ان عجبتم من انشاء الله اياكم واعادته أجسامكم خلقا جديدا بعد بلاكم في التراب ومصيركم رفاتا وأنكرتم ذلك من قدرته حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم ان قدرتم على ذلك فاني أحييكم وأبعثكم خلقا جديدا بعد مصيركم كذلك كما بدأتكم أول مرة واختلف أهل التأويل في المعني بقوله أو خلقا مما يكبر في صدوركم فقال بعضهم عني به الموت وأريد به أو كونوا الموت فانكم ان كنتموه أمتكم ثم بعثتكم بعد ذلك يوم البعث ذكر من قال ذلك **حدثنا** زكريا بن يحيى بن أبي زائدة قال ثنا ابن ادريس عن أبيه عن عطية عن ابن عمر أو خلقا مما يكبر في صدوركم قال الموت قال لو كنتم موتى لأحييتكم **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله أو خلقا مما يكبر في صدوركم يعني الموت يقول ان كنتم الموت أحييتكم **حدثني** محمد بن عبيد المحاربي

ان فضله كان عليك كبيرا قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس الا كفورا ۞ القراآت خلفك (٦٩) ابن كثير وأبو جعفر ونافع وأبو عمرو وأبو بكر

قال ثنا أبو مالك الجنبي قال ثنا ابن أبي خالد عن أبي صالح في قوله أو خلقا مما يكبر في صدوركم قال الموت **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا سليمان أبو داود قال ثنا شعبة عن أبي رجاء عن الحسن في قوله أو خلقا مما يكبر في صدوركم قال الموت **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال سعيد بن جبير في قوله أو خلقا مما يكبر في صدوركم كونوا الموت ان استطعتم فان الموت سيموت قال وليس شيء أكبر في نفس ابن آدم من الموت **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال بلغني عن سعيد بن جبير قال هو الموت **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن عبد الله ابن عمر أنه كان يقول يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح حتى يجعل بين الجنة والنار فينادي منادي سمع أهل الجنة وأهل النار فيقول هذا الموت قد جئنا به ونحن مهلكوه فأيقنوا يا أهل الجنة وأهل النار أن الموت قد هلك **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله أو خلقا مما يكبر في صدوركم يعني الموت يقول لو كنتم الموت لأمتكم وكان عبد الله بن عمرو بن العاص يقول ان الله يجيء بالموت يوم القيامة وقد صار أهل الجنة وأهل النار الى منازلهم كأنه كبش أملح فيقف بين الجنة والنار فينادي أهل الجنة وأهل النار هذا الموت ونحن ذابحوه فأيقنوا بالخلود * وقال آخرون عنى بذلك السماء والارض والجبال ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة أو خلقا مما يكبر في صدوركم قال السماء والارض والجبال * وقال آخرون بل أريد بذلك كونوا ما شئتم ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و**حدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم قال ما شئتم فكونوا فسيعيدكم الله كما كنتم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم قال من خلق الله فان الله يميتكم ثم يبعثكم يوم القيامة خلقا جديدا * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب أن يقال ان الله تعالى ذكره قال أو خلقا مما يكبر في صدوركم وجائز أن يكون عنى به الموت لانه عظيم في صدور بني آدم وجائز أن يكون أراد به السماء والارض وجائز أن يكون أراد به غير ذلك ولا بيان في ذلك أبين مما بين جل ثناؤه وهو كل ما كبر في صدور بني آدم من خلقه لانه لم يخصص منه شيأ دون شيء وأما قوله فسيقولون من يعيدنا فانه يقول فسيقول لك يا محمد هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة من يعيدنا خلقا جديدا ان كنا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدورنا فقل لهم يعيدكم الذي فطركم أول مرة يقول يعيدكم كما كنتم قبل أن تصيروا حجارة أو حديدا انسأ أحياء الذي خلقكم انسا من غير شيء أول مرة كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قل الذي فطركم أول مرة أي خلقكم فسينغضون اليك رؤسهم يقول فانك اذا قلت لهم ذلك فسيهزون اليك رؤسهم يرفع ويخفض وكذلك النغض في كلام العرب انما هو حركة بارتفاع ثم انخفاض أو انخفاض ثم ارتفاع ولذلك سمي الظليم نغضا لانه اذا عجل المشي ارتفع وانخفض وحرك رأسه كما قال الشاعر

* أسك نغضا لاينى مستهدما * ويقال نغضت سنه اذا تحركت وارتفعت من أصلها

وحماد الآخرون خلافك بكسر الخاء وبالالف ونتزل من مخففا أبو عمرو ويعقوب الباقون بالتشديد وياء تحتانية وناء بجانبه مثل ناع يزيد وابن ذكوان ونأى بفتح النون وامالة الهمزة مثل رمى حمزة غير خلف والعجلي وحماد ويحيى وعباس وأبو شعيب ونصير مثله ولكن بكسر النون على (٣) غير نصير وخلف والعجلي وخلف لنفسه الباقون بفتحتين كرمى ۞ الوقوف خليلا ○ قليلا ○ لا لتعلق اذا نصيرا ○ قليلا ○ تحويلا ○ وقرآن الفجر ط مشهودا ○ نافلة لك قف والوصل أولى لان عسى وعد على التهجد محمودا ○ نصيرا ○ وزهق الباطل ط زهوقا ○ للمؤمنين ○ لا لان ما بعده من صلة ما خسارا ○ بجانبه ج لعطف جملتي الظرف يؤسا ○ شاكلته ط سبيلا ○ عن الروح ط قليلا ○ وكيلا ○ لا من ربك ط كبيرا ○ ظهيرا ○ مثل ز لعطف المتفقين معنى المختلفين لفظا كفورا ○ ۞ التفسير لما عدد في الآيات المتقدمة أقسام نعمه على بني آدم وشرح أحوال السعداء أردفه بما يجري مجرى تحذير السعداء من الاغترار بوساوس الاشقياء عن ابن عباس في رواية عطاء أن وفد ثقيف قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لا ندخل في أمرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر أي لا تؤخذ عشور أموالنا ولا نحشر ولا نجبى في صلاتنا أي لا نسجد وكل ربا لنا لهولنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وأن تمتعنا باللات سنة ولا نكسرها بأيدينا عند رأس الحول وأن تمنع من قصد وادينا وج فعضد شجره فانا سألنك العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله أمرني به وجاؤا بكتابهم فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله

لثقيف لا يعشرون ولا يحشرون فقالوا ولا يجبون فسكت رسول الله ثم قالوا للكاتب اكتب ولا يجبون والكاتب ينظر الى رسول الله فقام عمر ابن الخطاب فسل سيفه وقال أسعر تم قلب

نبينا يا معشر ثقيف أسعر الله قلوبكم نارا فقالوا السنا نكلمك انما نكلم محمدا وقال عمر أما ترون رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عن الكلام كراهية لما تذكرونه فأنزل الله الآية وهذه القصة وقعت بعد الهجرة فلهذا قال المفسرون انها ليست بمكية وروى أن قريشا قالوا له اجعل آية رحمة آية عذاب وآية عذاب آية رحمة فنزلت وقال الحسن ان الكفار أخذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة فقالوا كف يا محمد عن ذم آلهتنا وشتمها ولو كان ذلك حقا كان فلان وفلان بهذا الامر أحق منك فوقع في قلب رسول الله أن يكف عن شتم آلهتهم وعن سعيد بن جبير أنه صلى الله عليه وسلم كان يستلم الحجر فتمنعه قريش ويقولون لا ندعك حتى تستلم بآلهتنا فوقع في نفسه أن يفعل ذلك مع كراهية فنزلت قال القفال من المعلوم أن المشركين كانوا يسعون في ابطال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأقصى ما يقدرون عليه فتارة كانوا يقولون لو عبدت آلهتنا عبدنا الهك فنزلت قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون وقوله ودوا لو تدهن فيدهنون وتارة عرضوا عليه الاموال الكثيرة والنسوان الجميلة ليترك ادعاء النبوة فنزل ولا تمدن عينيك الى ما متعنا وأخرى دعوه الى طرد المؤمنين فنزل ولا تطرد الذين يدعون ربهم وكل ذلك دليل على أنهم قصدوا أن يفتنوه عن دينه ويزيلوه عن منهجه فلو لم يكن شئ من الروايات المذكورة موجودا كان للآية محمل صحيح والمعنى وان الشأن قاربوا أن يخدعوك فاتنين وأصل الفتنة الاختبار ومنه فتن الصائغ الذهب ثم استعمل في كل من أزال الشئ عن حده وجهته وذلك أن في اعطائهم ما سألوه مخالفة لحكم القرآن وافتراء على الله من تبديل الوعد بالوعيد وغير ذلك ﴿ واذا لاتخذوك ﴾ أي ولو اتبعت

ومنه قول الراجز * ونغضت من هرم أسنانها * وقول الآخر * لما رأتني أنغضت لي الرأسا * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فسينغضون اليك رؤسهم أي يحركون رؤسهم تكذيبا واستهزاء **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فسينغضون اليك رؤسهم قال يحركون رؤسهم **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فسينغضون اليك رؤسهم يقول سيحركونها اليك استهزاء **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس فسينغضون اليك رؤسهم قال يحركون رؤسهم يستهزؤن ويقولون متى هو **حدثني** علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله فسينغضون اليك رؤسهم يقول يهزؤن وقوله ويقولون متى هو يقول جل ثناؤه ويقولون متى البعث وفي أي حال ووقت يعيدنا خلقا جديدا كما كنا أول مرة قال الله عز وجل لنبيه قل لهم يا محمد اذا قالوا لك متى هو متى هذا البعث الذي تعدنا عسى أن يكون قريبا وانما معناه هو قريب لان عسى من الله واجب ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بالسبابة والوسطى لان الله تعالى كان قد أعلمه أنه قريب مجيب ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون ان لبثتم الا قليلا وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن ان الشيطان ينزغ بينهم ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ﴾ يقول تعالى ذكره قل عسى أن يكون بعثكم أيها المشركون قريبا ذلك يوم يدعوكم ربكم بالخروج من قبوركم الى موقف القيامة فتستجيبون بحمده اختلف أهل التأويل في معنى قوله فتستجيبون بحمده فقال بعضهم فتستجيبون بأمره ذكر من قال ذلك **حدثني** علي قال ثني عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده يقول بأمره **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج فتستجيبون بحمده قال بأمره * وقال آخرون معنى ذلك فتستجيبون بمعرفته وطاعته ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده أي بمعرفته وطاعته * وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال معناه فتستجيبون لله من قبوركم بقدرته ودعائه اياكم ولله الحمد في كل حال كما يقول القائل فعلت ذلك الفعل بحمد الله يعني ولله الحمد على كل ما فعلته وكما قال الشاعر

فاني بحمد الله لا ثوب فاجر * لبست ولا من غدرة أتقنع

يعني فاني والحمد لله لا ثوب فاجر لبست وقوله وتظنون ان لبثتم الا قليلا يقول وتحسبون عند موافاتكم القيامة من هول ما تعاينون فيها ما لبثتم في الارض الا قليلا كما قال جل ثناؤه قال كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وتظنون ان لبثتم الا قليلا أي في الدنيا تحاقرت الدنيا في أنفسهم وقلت حين عاينوا يوم القيامة

وقوله وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقل يا محمد لعبادي يقل بعضهم لبعض التي هي أحسن من المحاورة والمخاطبة كما **حدثنا** خلاد بن أسلم قال

مرادهم لاتخذوك (خليلا) ولكنت لهم وليا وخرجت من ولايتي (ولولا أن ثبتناك) لولا تثبيتنا وعصمتنا لك (لقد كدت تركن اليهم) لقاربت أن تميل الى مرادهم (شيأ قليلا) أي ركونا قليلا قال ابن عباس يريد حيث سكت عن (٧١) جوابهم قال قتادة لما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين ثم توعده في ذلك أشد الوعيد فقال (اذا لأذقناك) أي لو قاربت أن تركن اليهم أدنى ركون لأذقناك (ضعف الحياة وضعف الممات) أي عذاب الدنيا وعذاب الآخرة والضعف عبارة عن ضم الشيء الى مثله وقال صاحب الكشاف المراد عذاب الممات وهو عذاب القبر وعذاب الحياة وهو عذاب حياة الآخرة أي عذاب النار والعذاب يوصف بالضعف كقوله تعالى فزده عذابا ضعفا في النار بمعنى مضاعفا فكان أصل الكلام عذابا ضعفا في الحياة الدنيا وعذابا ضعفا في الممات فحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه ثم أضيفت الصفة كاضافة الموصوف فقيل ضعف الحياة وضعف الممات كما لو قيل لاذقناك أليم الحياة وأليم الممات وقال في التفسير الكبير حاصل الكلام أنك لو مكنت خواطر الشيطان من قلبك وعقدت على الركون اليه همك لاستحققت تضعيف العذاب عليك في الدنيا والآخرة ولصار عذابك مثلي عذاب المشرك في الدنيا ومثلي عذابه في الآخرة والسبب في تضعيف هذا العذاب أن أقسام نعم الله تعالى في حق الانبياء أكثر فكانت ذنوبهم وكذا عقوبتهم أعظم نظيره بانساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين ثم ان اثبات الضعف لا يدل على نفي الزائد عليه لان دليل الخطاب لا حجة فيه فقد يرتقي الضعف الى مالا حد له كما جاء في الحديث من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة (ثم لا تجد لك علينا نصيرا) يعني لو أذقناك ذلك لم تجد أحدا يخلصك من عذابنا واعلم أن القرب من الفتنة لا يدل على الوقوع فيها والتهديد على المعصية لا يدل على

قال ثنا النضر قال أخبرنا المبارك عن الحسن في هذه الآية وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن قال التي هي أحسن لا يقول له مثل قوله يقول له يرحمك الله يغفر الله لك وقوله ان الشيطان ينزغ بينهم يقول ان الشيطان يسوء محاورة بعضهم بعضا ينزغ بينهم يقول يفسد بينهم يهيج بينهم الشر ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا يقول ان الشيطان كان لآدم وذريته عدوا قد أبان لهم عداوته بما أظهر لآدم من الحسد وغروره اياه حتى أخرجه من الجنة ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ربكم أعلم بكم ان يشأ يرحمكم أو ان يشأ يعذبكم وما أرسلناك عليهم وكيلا ﴾ يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين من قريش الذين قالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا ربكم أيها القوم أعلم بكم ان يشأ يرحمكم فيتوب عليكم برحمته حتى تنيبوا عما أنتم عليه من الكفر به وباليوم الآخر وان يشأ يعذبكم بأن يخذلكم عن الايمان فتموتوا على شرككم فيعذبكم يوم القيامة بكفركم به * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن عبد الملك بن جريج قوله ربكم أعلم بكم ان يشأ يرحمكم قال فتؤمنوا أو ان يشأ يعذبكم فتموتوا على الشرك كما أنتم وقوله وما أرسلناك عليهم وكيلا يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وما أرسلناك يا محمد على من أرسلناك اليه لتدعوه الى طاعتنا ربا ولا رقيبا انما أرسلناك اليهم لتبلغهم رسالاتنا وبأيدينا ناصرهم وتدبيرهم فان شئنا رحمناهم وان شئنا عذبناهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وربك أعلم بمن في السموات والارض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم وربك يا محمد أعلم بمن في السموات والارض وما يصلحهم فانه هو خالقهم ورازقهم ومدبرهم وهو أعلم بمن هو أهل للتوبة والرحمة ومن هو أهل للعذاب أهدى للحق من سبق له مني الرحمة والسعادة وأضل من سبق له مني الشقاء والخذلان يقول فلا يكبرن ذلك عليك فان ذلك من فعلي بهم لتفضيلي بعض النبيين على بعض بارسال بعضهم الى بعض الخلق وبعضهم الى الجميع ورفعي بعضهم على بعض درجات كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وربك أعلم بمن في السموات والارض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض اتخذ الله ابراهيم خليلا وكلم موسى تكليما وجعل الله عيسى كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون وهو عبد الله ورسوله من كلمة الله وروحه وآتى سليمان ملكا لا ينبغي لأحد من بعده وآتى داود زبورا كنا نحدث دعاء علمه داود تحميد وتمجيد ليس فيه حلال ولا حرام ولا فرائض ولا حدود وغفر لمحمد ما تقدم من ذنبه وما تأخر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض قال كلم الله موسى وأرسل محمدا الى الناس كافة ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لمشركي قومك الذين يعبدون من دون الله من خلقه ادعوا أيها القوم الذين زعمتم أنهم أرباب وآلهة من دونه عند ضر ينزل بكم فانظروا هل يقدرون على دفع ذلك عنكم أو تحويله عنكم الى غيركم فتدعوهم آلهة فانهم لا يقدرون على ذلك ولا يملكونه وانما يملكه ويقدر عليه خالقكم وخالقهم وقيل ان الذين أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم هذا القول كانوا يعبدون الملائكة وعزيرا والمسيح وبعضهم كانوا يعبدون نفرا من الجن

الاقدام عليها فلا يلزم من الآية طعن فى عصمة النبى صلى الله عليه وسلم وفيه أنه لا عصمة من المعاصى الا بتوفيق الله وتثبيته على الحق وقالت المعتزلة المراد بهذا التثبيت الألطاف الصارفة عن ذلك وهى ما أخطر الله بباله من ذكر وعده ووعيده وكونه نبيا من عنده

وأجيب بأنه لو لم يوجد المقتضى للاقدام على ذلك الفعل المحذور لم يكن الى ايجاد المانع حاجة وليس ذلك المقتضى الا القدرة مع الداعى ولا ذلك المانع الا داعية أخرى معارضة للداعى الاول قد أوجدها الله تعالى عقيب ذلك ثم ذكر طرفا آخر من مكايدهم فقال (وان كادوا ليستفزونك) ان مخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة كما فى الآية الاولى ومعنى ليستفزونك ليزعجونك كما مر فى قوله واستفزز والارض اما أرض مكة كما قال قتادة ومجاهد ويرد عليه أن كاد للمقاربة لا للحصول لكن الاخراج قد حصل لقوله وكأين من قرية هى أشد قوة من قريتك التى أخرجتك ويمكن أن يقال انهم هموا باخراجه ولكن الله منعهم من ذلك حتى هاجر بأمر ربه فأطلق الاخراج على ارادة الاخراج مجوزا ويؤيده قوله (واذا لا يلبثون) وهو معطوف على يستفزونك أى لا يبقون بعد اخراجك الا زمانا قليلا أى لو أخرجوك لاستؤصلوا لكنه لم يقع الاستئصال فدل ذلك على عدم وقوع الاخراج ومن جوز وقوع الاخراج قال المراد بعدم اللبث أنهم أهلكوا ببدر بعد اخراجه بقليل واما أرض المدينة على ما روى عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة حسدته اليهود وكرهوا قربه منهم وقالوا يا أبا القاسم ان الانبياء بعثوا بالشام وهى بلاد مقدسة وكانت مهاجر ابراهيم فلو خرجت الى الشام لآمنا بك واتبعناك وقد علمنا أنه لا يمنعك من الخروج الا خوف الروم فان كنت رسول الله فالله مانعك منهم

أيهم

فعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أميال من المدينة أو بذى الحليفة حتى يجتمع اليه أصحابه ويراه الناس عازما على الخروج

ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا قال كان أهل الشرك يقولون نعبد الملائكة وعزيرا وهم الذين يدعون يعنى الملائكة والمسيح وعزيرا

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا﴾ يقول تعالى ذكره هؤلاء الذين يدعوهم هؤلاء المشركون أربابا يبتغون الى ربهم الوسيلة يقول يبتغى المدعوون أربابا الى ربهم القربة والزلفة لانهم أهل ايمان به والمشركون بالله يعبدونهم من دون الله أيهم أقرب أيهم بصالح أعماله واجتهاده فى عبادته أقرب عنده زلفة ويرجون بأفعالهم تلك رحمته ويخافون بخلافهم أمره عذابه ان عذاب ربك يا محمد كان محذورا متقى * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل غير أنهم اختلفوا فى المدعوين فقال بعضهم هم نفر من الجن ذكر من قال ذلك حدثنى أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن ابراهيم عن عبد الله فى قوله أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة قال كان ناس من الانس يعبدون قوما من الجن فأسلم الجن وبقى الانس على كفرهم فأنزل الله تعالى أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة يعنى الجن حدثنا ابن المثنى قال ثنا أبو النعمان الحكم بن عبد الله العجلى قال ثنا شعبة عن سليمن عن ابراهيم عن أبى معمر قال قال عبد الله فى هذه الآية أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب قال قبيل من الجن كانوا يعبدون فأسلموا حدثنى عبد الوارث بن عبد الصمد قال ثنى أبى قال ثنى الحسين عن قتادة عن معبد بن عبد الله الزمانى عن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن مسعود فى قوله أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة قال نزلت فى نفر من العرب كانوا يعبدون نفرا من الجن فأسلم الجنيون والانس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون باسلامهم فأنزلت الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن حديث عمه عبد الله بن مسعود قال نزلت هذه الآية فى نفر من العرب كانوا يعبدون نفرا من الجن فأسلم الجنيون والنفر من العرب لا يشعرون بذلك حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة قوم عبدوا الجن فأسلم أولئك الجن فقال الله تعالى ذكره أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الاعمش عن ابراهيم عن أبى معمر عن عبد الله أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة قال كان نفر من الانس يعبدون نفرا من الجن فأسلم النفر من الجن واستمسك الانس بعبادتهم فقال أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن الأعمش عن ابراهيم عن أبى معمر قال قال عبد الله كان ناس يعبدون نفرا من الجن فأسلم أولئك الجنيون وثبت الانس على عبادتهم فقال الله تبارك وتعالى أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة حدثنا الحسن قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب قال كان أناس من أهل الجاهلية يعبدون نفرا من الجن فلما بعث النبى صلى الله عليه وسلم اسلموا جميعا فكانوا يبتغون

أيهم أقرب * وقال آخرون بل هم الملائكة **حدثني** الحسين بن على الصدائى قال ثنا يحيى ابن السكن قال أخبرنا أبو العوام قال أخبرنا قتادة عن عبد الله بن معبد الزمانى عن عبد الله بن مسعود قال كان قبائل من العرب يعبدون صنفا من الملائكة يقال لهم الجن ويقولون هم بنات الله فأنزل الله عز وجل أولئك الذين يدعون معشر العرب يبتغون الى ربهم الوسيلة **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة قال الذين يدعون الملائكة يبتغى الى ربها الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته حتى بلغ ان عذاب ربك كان محذورا قال وهؤلاء الذين عبدوا الملائكة من المشركين * وقال آخرون بل هم عزير وعيسى وأمه ذكر من قال ذلك **حدثني** يحيى بن جعفر قال أخبرنا يحيى بن السكن قال أخبرنا شعبة عن اسمعيل السدى عن أبى صالح عن ابن عباس فى قوله أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة قال عيسى وأمه وعزير **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا أبو النعمان الحكم بن عبد الله الجملى قال ثنا شعبة عن اسمعيل السدى عن أبى صالح عن ابن عباس قال عيسى بن مريم وأمه وعزير فى هذه الآية أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يبتغون الى ربهم الوسيلة قال عيسى بن مريم وعزير والملائكة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم قال كان ابن عباس يقول فى قوله أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة قال هو عزير والمسيح والشمس والقمر * وأولى الاقوال بتأويل هذه الآية قول عبد الله بن مسعود الذى رويناه عن أبى معمر عنه وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر عن الذين يدعوهم المشركون آلهة أنهم يبتغون الى ربهم الوسيلة فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ومعلوم أن عزيرا لم يكن موجودا على عهد نبينا عليه السلام فيبتغى الى ربه الوسيلة وأن عيسى قد كان رفع وانما يبتغى الى ربه الوسيلة من كان موجودا حيا يعمل بطاعة الله ويتقرب اليه بالصالح من الأعمال فأما من كان لا سبيل له الى العمل فيبتغى الى ربه الوسيلة فاذ كان لا معنى لهذا القول فلا قول فى ذلك الا القول من قال ما اخترنا فيه من التأويل أو قول من قال هم الملائكة وهما قولان يحتملهما ظاهر التنزيل وأما الوسيلة فقد بينا أنها القربة والزلفة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس الوسيلة القربة **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة الوسيلة قال القربة والزلفى ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابا شديدا كان ذلك فى الكتاب مسطورا﴾ يقول تعالى ذكره وما من قرية من القرى الا نحن مهلكو أهلها بالفناء فمبيدوهم استئصالا قبل يوم القيامة أو معذبوها ابتلاء من قتل بالسيف أو غير ذلك من صنوف العذاب عذابا شديدا كما **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله عز وجل وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة فمبيدوها أو معذبوها بالقتل والبلاء قال كل قرية

وعلى هذا التفسير تشمل الآية جميع الصلوات الخمس وعلى كلام الله على ما هو أكثر فائدة أولى واللام بمعنى الوقت أو للتعليل أى أقم الصلاة فى هذا الوقت أو لاجل دخول هذا الوقت

الى النوم لحرصه على دخول الناس فى دين الله فنزلت الآية فرجع وعلى هذا القول تكون هذه الآية أيضا مدنية والخلاف فى معنى الخلف كما مر فى قوله بمقعدهم خلاف رسول الله وقرئ واذا لا يلبثوا بحذف النون على اعمال اذن فتكون الجملة برأسها معطوفة على جملة قوله وان كادوا ليستفزونك ثم بين أن عادته تعالى جارية بأن كل قوم أخرجوا رسولهم من بين ظهرانيهم فانه يهلكهم (فقال سنة من قد أرسلنا) وهو منصوب على المصدر المؤكد أى سن الله ذلك سنة (ولا تجد لسنتنا تحويلا) لان الأسباب الكلية فى الازل اقتضت توزع كل من اجزاء الزمان على حادث معين بسبب معين فتبديل احدى الحوادث وتحويلها الى وقت آخر يقتضى تغيير الأسباب عن أوضاعها وهو محال عقلا وعادة قال أهل النظم لما قرر الالهيات والمعاد والجزاء أردفها بذكر أشرف الطاعات وهى الصلاة وأيضا لما قال وان كادوا ليستفزونك أمره بالاشتغال بعبادته تفويضا للامور الى الله وتعويلا على فضله فى دفع شر أعدائه نظيره قوله فى سورة طه فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ذهب كثير من المفسرين كابن قتيبة وسعيد بن جبير منقولا عن ابن عباس أن دلوك الشمس هو غروبها وعلى هذا لا تشمل الآية صلاتى الظهر والعصر وأكثر الصحابة والتابعين على أن دلوك الشمس زوالها عن كبد السماء ويؤيده ما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال أتانى جبرئيل لدلوك الشمس حين زالت الشمس فصلى بى الظهر قالوا واشتقاقه من الدلك لان الانسان يدلك عينيه اذ ينظر اليها وهى فى كبد السماء

(الى غسق الليل) أى ظلمته قال الكسائى غسق الليل غسوقا أى أظلم والاسم الغسق بفتح السين والتركيب يدور على السلان ومنه يقال غسقت العين اذا هملت وكأن الظلام انهمل على الدنيا وتراكم وهذا عند سيبويه الشفق الابيض فاستدل

بعض الشافعية على أن أول وقت العشاء الآخرة يدخل بغروب الشفق الأحمر لان المحدود الى غاية يكون مشروعا قبل حصول تلك الغاية وهذا الاستدلال مبنى على أن الغاية لا تدخل فى ذى الغاية وعلى أن الآية يجب أن تشمل جميع الصلوات وللخصم المنع فى المقامين ثم ان المفسرين أجمعوا على أن المراد بقرآن الفجر هو صلاة الصبح تسمية للشئ ببعض أجزائه ومثله تسمية الصلاة ركوعا وسجودا وقنوتا قال جار الله انه حجة على ابن علية والاصم فى زعمهما أن القراءة ليست بركن قلت أجزاء الصلاة أعم من أركانها ولهذا قسمت الفقهاء الصلاة الى أركان وأبعاض وهيآت فلا يتم هذا الاعتراض * وفى الآية مسائل الاولى استدل بعض الشيعة بها على جواز الجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء مطلقا وأجيب بأن الآية مخصوصة بفعل الرسول أو بقوله صلوا كما رأيتمونى أصلى ويستثنى منه عذر السفر والمطر لعدم الدليل المخصص فى تلك الصورة فلزم ابقاؤها على الجواز الأصلى * الثانية استدل بعض الشافعية بها على أن التغليس فى صلاة الصبح أفضل من التنوير لوجوه منها أنه أضاف القرآن الى الفجر والتقدير أقم قرآن الفجر وظاهر الآية للوجوب فلا أقل من الندب حتى لا تكثر مخالفة الدليل والفجر انفجار ظلمة الليل فيلزم أن تكون اقامة الفجر فى أول الوقت أفضل ومنها أنه خص الفجر باضافة القراءة اليه فدل ذلك على أن طول القراءة الذى فى هذه الصلاة مطلوب ولن يتم هذا المطلوب الا اذا شرع فى ادائه فى أول الوقت ومنها أنه وصف قرآن الفجر بكونه مشهودا فقيل أى

فى الارض سيصيبها بعض هذا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه الا أنه قال سيصيبها هذا أو بعضه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابا شديدا من الله كما تسمعون ليس منه بد اما أن يهلكها بموت واما أن يهلكها بعذاب مستأصل اذا تركوا أمره وكذبوا رسله حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وان من قرية الا نحن مهلكوها قال مبيدوها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو الأحوص عن سماك بن حرب عن عبد الرحمن بن عبد الله قال اذا ظهر الزنا والربا فى أهل قرية أذن الله فى هلاكها وقوله كان ذلك فى الكتاب مسطورا يعنى فى الكتاب الذى كتب فيه كل ما هو كائن وذلك اللوح المحفوظ كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله كان ذلك فى الكتاب مسطورا قال فى أم الكتاب وقرأ ولا كتاب من الله سبق ويعنى بقوله مسطورا مكتوبا مبينا ومنه قول العجاج

واعلم بأن ذا الجلال قد قدر * فى الكتب الاولى التى كان سطر

* أمرك هذا فاحتفظ فيه النهر *

﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الأولون﴾ يقول تعالى ذكره وما منعنا يا محمد أن نرسل بالآيات التى سألها قومك الا أن من كان قبلهم من الامم المكذبة سألوا ذلك مثل سؤالهم فلما أتاهم ما سألوا منه كذبوا رسلهم فلم يصدقوا مع مجىء الآيات فعوجلوا فلم نرسل الى قومك بالآيات لانا لو أرسلنا بها اليهم فكذبوا بها سلكنا فى تعجيل العذاب لهم مسلك الأمم قبلها وبالذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا ثنا جرير عن الاعمش عن جعفر بن اياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال سأل أهل مكة النبى صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهبا وأن ينحى عنهم الجبال فيزرعوا فقيل له ان شئت أن نستأنى بهم لعلنا نجتبى منهم وان شئت أن نؤتيهم الذى سألوا فان كفروا أهلكوا كما أهلك من قبلهم قال بل تستأنى بهم فأنزل الله وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة حدثنى اسحق بن وهب قال ثنا أبو عامر قال ثنا مسعود بن عباد عن مالك بن دينار عن الحسن فى قول الله تعالى وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الأولون قال رحمة لكم أيتها الأمة انا لو أرسلنا بالآيات فكذبتم بها أصابكم ما أصاب من قبلكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حماد بن زيد عن أيوب عن سعيد بن جبير قال قال المشركون لمحمد صلى الله عليه وسلم يا محمد انك تزعم أنه كان قبلك أنبياء فمنهم من سخرت له الريح ومنهم من كان يحيى الموتى فان سرك أن نؤمن بك ونصدقك فادع ربك أن يكون لنا الصفا ذهبا فأوحى الله اليه انى قد سمعت الذى قالوا فان شئت أن نفعل الذى قالوا فان لم يؤمنوا نزل العذاب فانه ليس بعد نزول الآية منا نظرة وان شئت أن نستأنى قومك استأنيت بهم قال يا رب أستأنى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الأولون قال قال أهل مكة لنبى الله صلى الله عليه وسلم ان كان ما تقول حقا ويسرك أن نؤمن فحول لنا الصفا ذهبا فأتاه جبرئيل عليه السلام فقال ان شئت كان

يشهده الكثير من المصلين فى العادة أو من حقه أن يكون مشهودا بالجماعة الكثيرة وقال أكثر المفسرين معناه أن ملائكة الليل وملائكة النهار يجتمعون فى صلاة الصبح تنزل هؤلاء وتصعد هؤلاء فهو فى آخر ديوان الليل وأول ديوان النهار وقيل انهم يجتمعون خلف الامام تنزل ملائكة النهار عليهم وهم فى صلاة الصبح قبل أن تعرج ملائكة الليل فاذا فرغ الامام من صلاته عرجت ملائكة الليل ومكثت ملائكة النهار ثم ان ملائكة الليل اذا صعدت قالت يارب اناتركنا عبادك يصلون لك وتقول ملائكة النهار ربنا لقيناعبادك وهم يصلون فيقول الله لملائكته اشهدوا فانى قد غفرت لهم والغرض أن المكلف اذا شرع فى صلاة الصبح فى آخر الظلمة الذى هو أول الفجر كانت ملائكة الليل حاضرين بعد ثم اذا امتدت هذه الصلاة بسبب ترتيل القراءة وتكثيرها زالت الظلمة بالكلية أو بالاكثر وحضرت ملائكة النهار وهذا المعنى لايحصل اذا ابتدئ بها وقت التنوير قال أهل التحقيق اذا شرع فى صلاة الصبح فى أول وقتها شاهد فى أثنائها انقلاب العالم من الظلمة التى هى نظيرة الموت الى الضياء الذى هو نظير الحياة فانه يبقى عقله من هذه الحالة الى عجيب صنع الخلاق المدبر للانفس والآفاق فيزداد بصيرة وايقانا ومعرفة وايمانا وتنفتح عليه أبواب المكاشفة والمشاهدة واذا كان هذا المعنى فى الجماعة الكثيرة صارت نفوسهم كالمرايا المشرقة المتقابلة المتعاكسة أضواؤها الواقعة على كل منها فيزداد كل منهم نورية وبهاء فيحتمل أن يكون قوله مشهودا اشارة الى هذه الاحوال المشاهدة ولاريب أنه اذا شرع فى الصلاة أول انتباهه من النوم قبل أن يرد على لوح عقله وفكره النقوش الفاسدة من الامور الدنيوية الدنية كان أولى فان الانبياء ما بعثوا الا لازالة مثل هذه الامراض عن النفوس ثم حث على قيام الليل فقال (ومن الليل فتهجد به نافلة لك) قال أبو عبيدة وابن الاعرابى هذا من

الذى سألت قومك ولكنه ان كان ثم لم يؤمنوا لم يناظروا وان شئت استأنيت بقومك قال بل أستأنى بقومى فأنزل الله وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وأنزل الله عز وجل ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج أنهم سألوا أن يحول الصفا ذهبا قال الله وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الأولون قال ابن جريج لم يأت قرية بآية فيكذبوا بها إلا عذبوا فلو جعلت لهم الصفا ذهبا ثم لم يؤمنوا عذبوا وأن الأولى التى مع منعنا فى موضع نصب بوقوع منعنا عليها وأن الثانية رفع لان معنى الكلام وما منعنا ارسال الآيات الا تكذيب الأولين من الأمم فالفعل لأن الثانية ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات الا تخويفا﴾ يقول تعالى ذكره وقد سأل الآيات يا محمد من قبل قومك ثمود فآتيناها ما سألت وجعلنا تلك الآية ناقة مبصرة جعل الابصار للناقة كما تقول للشجة موضحة وهذه حجة مبينة وانما عنى بالمبصرة المضيئة البينة التى من يراها كانوا أهل بصر بها أنها لله حجة كما قيل والنهار مبصرا كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وآتينا ثمود الناقة مبصرة أى بينة **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله عز ذكره الناقة مبصرة قال آية **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقوله فظلموا بها يقول عز وجل فكان بها ظلمهم وذلك أنهم قتلوها وعقروها فكان ظلمهم بعقرها وقتلها وقد قيل معنى ذلك فكفروا بها ولا وجه لذلك الا أن يكون قائله أراد فكفروا بالله بقتلها فيكون ذلك وجها وأما قوله وما نرسل بالآيات الا تخويفا فانه يقول وما نرسل بالعبر والذكر الا تخويفا للعباد كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما نرسل بالآيات الا تخويفا وان الله يخوف الناس بما شاء من اية لعلهم يعتبرون أو يذكرون أو يرجعون ذكر لنا أن الكوفة رجفت على عهد ابن مسعود فقال يا أيها الناس ان ربكم يستعتبكم فأعتبوه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا نوح بن قيس عن أبى رجاء عن الحسن وما نرسل بالآيات الا تخويفا قال الموت الذريع ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واذ قلنا لك ان ربك أحاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة فى القرآن ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا﴾ وهذا حض من الله تعالى ذكره نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم على تبليغ رسالته واعلام منه أنه قد تقدم منه اليه القول بأنه سيمنعه من كل من بغاه سوأ وهلاكا يقول جل ثناؤه واذكر يا محمد اذ قلنا لك ان ربك أحاط بالناس قدرة فهم فى قبضته لا يقدرون على الخروج من مشيئته ونحن مانعوك منهم فلا تهيب منهم أحدا وامض لما أمرناك به من تبليغ رسالتنا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا عبد الصمد قال ثنا شعبة عن أبى رجاء قال سمعت الحسن يقول أحاط بالناس عصمك من الناس **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا أبو بكر الهذلى عن الحسن واذ قلنا لك ان ربك أحاط بالناس قال يقول أحاطت لك بالعرب أن لا يقتلوك فعرف أنه لا يقتل **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أحاط بالناس

الاضداد لانه يقال هجد الرجل اذا نام وهجد أيضا اذا صلى من الليل وبوسط الازهري فقال الهجود في الاصل هو النوم بالليل ولكن تاء التفعل فيه لاجل التجنب به ومنه تأثم وتحرج اذا ألقى الاثم والحرج عن نفسه فكأن به المتهجد يدفع الهجود عن نفسه وبوجه آخر لما كان غرض المصلي بالليل أن يطيب رقاده وهجوده بعد الموت سمي بذلك الاعتبار متهجدا وربما يقال سمي تهجدا لان الأصل فيه أن يرقد ثم يصلي ثم يرقد ثم يصلي فهو صلاة بعد رقاد كما كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولداود كما جاء في الحديث أفضل القيام قيام داود كان ينام ثلثه ويقوم سدسه ثم ينام ثلثه ويقوم سدسه قال جار الله معنى ومن الليل وعليك بعض الليل فتهجد به وقال في التفسير الكبير تقديره وأقم الصلاة في بعض الليل فتهجد به أي بالقرآن ومعنى نافلة زائدة كما مر في أول الانفال ثم من ذهب الى أن صلاة الليل كانت واجبة على النبي صلى الله عليه وسلم زعم أن معناها كونها فريضة له زائدة على الصلوات الخمس أو المراد أن فرضيتها نسخت عنك فصارت تطوعا زائدة على الفرائض ويرد عليه أن الامر ظاهره الوجوب فيكون بين قوله فتهجد وبين قوله نافلة تعارض وكذا الاعتراض على قول من يقول ان صلاة الليل لم تكن واجبة عليه ويمكن أن يجاب عنه بأن قوله نافلة قرينة صارفة للوجوب الى الندب وعن مجاهد والسدي ان كل طاعة يأتي بها النبي سوى المكتوبة فان تأثيرها لا يكون في كفارة الذنوب لانه غفر له ذنبه ما تقدم منه وما تأخر وانما تكون مؤثرة في زيادة الدرجات وكثرة الثواب ولا كذلك حال الامة فكأنه قيل للنبي ان هذه الطاعات زوائد ونوافل في حقك لا في حق غيرك لان غيرك يحتاج اليها في تكفير السيئات ومن تقييد التهجد بقوله نافلة لك يعلم أن قوله أقم الصلاة قال عام له ولكل أمته وان كان ظاهره خطابا معه ثم وعده على اقامة الفرائض والنوافل بقوله (عسى أن يبعثك ربك) ولا ريب أن عسى

قال فهم في قبضته **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن الزهري عن عروة بن الزبير قوله أحاط بالناس قال منعك من الناس قال معمر قال قتادة مثله **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قوله واذ قلنا لك ان ربك أحاط بالناس قال منعك من الناس **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واذ قلنا لك ان ربك أحاط بالناس أي منعك من الناس حتى تبلغ رسالة ربك وقوله وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس اختلف أهل التأويل في ذلك فقال بعضهم هو رؤيا عين وهي ما رأى النبي صلى الله عليه وسلم لما أسري به من مكة الى بيت المقدس ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا مالك بن اسمعيل قال ثنا ابن عيينة عن عمرو عن عكرمة عن ابن عباس في قوله وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس قال هي رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به وليست برؤيا منام **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس سئل عن قوله وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس قال هي رؤيا عين رآها النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عمرو عن عكرمة عن ابن عباس بنحوه **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا عمرو عن فرات القزاز عن سعيد بن جبير وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس قال كان ذلك ليلة أسري به الى بيت المقدس فرأى ما رأى فكذب به المشركون حين أخبرهم **حدثني** يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبي رجاء عن الحسن في قوله وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس قال أسري به عشاء الى بيت المقدس فصلى فيه وأراه الله ما أراه من الآيات ثم أصبح بمكة فأخبرهم أنه أسري به الى بيت المقدس فقالوا له يا محمد ما شأنك أمسيت فينا فأخبرنا أنك أتيت بيت المقدس فعجبوا من ذلك حتى ارتد بعضهم عن الاسلام **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا هوذة قال ثنا عوف عن الحسن في قوله وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس قال قال كفار أهل مكة أليس من كذب ابن أبي كبشة أنه يزعم أنه سار مسيرة شهرين في ليلة **حدثني** أبو حصين قال ثنا عبثر قال ثنا حصين عن أبي مالك في هذه الآية وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس قال مسيره الى بيت المقدس **حدثني** أبو السائب ويعقوب قالا ثنا ابن ادريس عن الحسن بن عبد الله عن أبي الضحى عن مسروق في قوله وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس قال حين أسري به **حدثنا** ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس قال ليلة أسري به **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس قال الرؤيا التي أريناك في بيت المقدس حين أسري به فكانت تلك فتنة للكافر **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس يقول أراه الله من الآيات والعبر في مسيره الى بيت المقدس ذكر لنا أن ناسا ارتدوا بعد اسلامهم حين حدثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمسيره أنكروا ذلك وكذبوا به وعجبوا منه وقالوا نحدث أنك سرت مسيرة شهرين في ليلة واحدة **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي

من الكريم اطماع واجب قال فى الكشاف انتصب (مقاما محمودا) على الظرف أى عسى أن يبعثك يوم القيامة فيقيمك مقاما محمودا أو ضمن يبعثك معنى يقيمك أو هو حال أى يبعثك ذا مقام محمود وقيل انه مطلق فى كل ما يجلب الحمد من أنواع الكرامات والاولى أن

قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس قال هو ما أرى فى بيت المقدس ليلة أسرى به **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج وما جعلنا الرؤيا التى أريناك قال أراه الله من الآيات فى طريق بيت المقدس حين أسرى به نزلت فريضة الصلاة ليلة أسرى به قبل أن يهاجر بسنة (١) وتسع سنين من العشر التى مكثها بمكة ثم رجع من ليلته فقالت قريش تعشى فيناو أصبح فينا ثم زعم أنه جاء الشام فى ليلة ثم رجع وايم الله ان الحداة لتجيئها شهرين شهرا مقبلة وشهرا مدبرة **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس قال هذا حين أسرى به الى بيت المقدس افتتن فيها ناس فقالوا يذهب الى بيت المقدس ويرجع فى ليلة وقال لما أتانى جبرئيل عليه السلام بالبراق ليحملنى عليها صرت بأذنيها وانقبض بعضها الى بعض فنظر اليها جبرئيل فقال والذى بعثنى بالحق من عنده ما ركبك أحد من ولد آدم خير منه قال فصرت بأذنيها وارفضت عرقا حتى سال ما تحتها وكان منتهى خطوها عند منتهى طرفها فلما أتاهم بذلك قالوا اما كان محمد لينتهى حتى يأتى بكذبة تخرج من أقطارها فأتوا أبا بكر رضى الله عنه فقالوا هذا صاحبك يقول كذا وكذا فقال وقد قال ذلك قالوا نعم فقال ان كان قد قال ذلك فقد صدق فقالوا تصدقه ان قال ذهب الى بيت المقدس ورجع فى ليلة فقال أبو بكر اى نزع الله عقولكم أصدقه بخبر السماء والسماء أبعد من بيت المقدس ولا أصدقه بخبر بيت المقدس قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم انا قد جئنا بيت المقدس فصفه لنا فلما قالوا ذلك رفعه الله تبارك وتعالى ومثله بين عينيه فجعل يقول هو كذا وفيه كذا فقال بعضهم وأبيكم ان أخطأ منه حرفا فقالوا هذا رجل ساحر **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس يعنى ليلة أسرى به الى بيت المقدس ثم رجع من ليلته فكانت فتنة لهم **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و**حدثنى** الحرث قال ثنا الحسين قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله الرؤيا التى أريناك قال حين أسرى بمحمد صلى الله عليه وسلم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه * وقال آخرون هى رؤياه التى رأى أنه يدخل مكة ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس قال يقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرى أنه دخل مكة هو وأصحابه وهو يومئذ بالمدينة فعجل رسول الله صلى الله عليه وسلم السير الى مكة قبل الأجل فرده المشركون فقالت أناس قد رد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان حدثنا أنه سيدخلها فكانت رجعته فتنتهم * وقال آخرون ممن قال هى رؤيا منام انما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى فى منامه قوما يعلون منبره ذكر من قال ذلك **حدثت** عن محمد بن الحسن بن زبالة قال ثنا عبد المهيمن بن عباس بن سهل بن سعد قال ثنى أبى عن جدى قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى فلان ينزون على منبره نزو القردة فساءه ذلك فما استجمع ضاحكا حتى مات قال وأنزل الله عز وجل فى ذلك وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس الآية * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال عنى به رؤيا

(١) لعله ولتسع سنين أى ولمضى تسع الخ تأمل كتبه مصححه

يخص ذلك بالشفاعة لان الحمد انما يكون بازاء انعام ولا انعام للنبى على أمته فى الآخرة الا انعام الشفاعة أولا انعام أجل منها الان السعى فى تخليص الغير من العقاب أهم من السعى فى ايصال الثواب اليه ويؤيده رواية أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم هو المقام الذى أشفع فيه لأمتى وأما ما روى عن حذيفة أن المقام المحمود هو أن يجمع الناس فى صعيد واحد ولا تتكلم نفس فأول مدعو محمد فيقول لبيك وسعديك والشر ليس اليك والمهدى من هديت وعبدك بين يديك وبك واليك لا ملجأ ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت فليس بقوى لان هذا القول من محمد لا يوجب حمده من أمته الا أن يكون من مقدمات الشفاعة فيرجع الى الاول وقيل أراد مقاما تحمد عاقبته وروى الواحدى عن ابن مسعود أن ذلك حين يقعد محمد معه على العرش وزيف بلزوم التحيز له تعالى قوله مدخل صدق ومخرج صدق مصدران بمعنى الادخال والاخراج والاضافة الى الصدق لاجل المبالغة نحو حاتم الجود أى ادخالا يستأهل أن يسمى ادخالا ولا يرى فيه ما يكره قال الحسن وقتادة نزلت حين أمر بالهجرة يريد ادخال المدينة والاخراج من مكة وقيل ان اليهود لما قالوا له اذهب الى الشام فانه مسكن الانبياء وعزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الذهاب اليه فكأنه قيل له المعبود واحد فى كل البلاد وما النصر الا من عند الله فداوم على الصلاة وارجع الى مقرك ومسكنك (وقل رب أدخلنى) فى المدينة (مدخل صدق وأخرجنى) منها الى مكة (مخرج صدق) أى افتحها لى فعلى هذين القولين يكون الكلام عودا الى الواقعة المذكورة فى قوله

وان كادوا ليستفزونك والاولى أن يقال انه عام فى كل ما يدخل فيه ويلابسه ثم يتركه من أمر ومكان وقيل أراد ادخاله مكة ظاهرا عليها بالفتح واخراجه منها آمنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من عظيم الامر وهو النبوة واخراجه منه مؤديا لما كلفه من غير تفريط وقيل أراد رب أدخلنى الصلاة وأخرجنى منها مع الصدق والاخلاص والقيام بلوازم الحضور أو أدخلنى فى مجارى دلائل التوحيد وأخرجنى من الاشتغال بالدليل الى ضياء معرفة المدلول وقال صاحب الكشاف أدخلنى القبر ادخالا مرضيا وأخرجنى منه عند البعث ملقى بالكرامة يدل على هذا التفسير ذكره على أثر ذكر البعث (واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا) حجة ظاهرة تنصرنى بها على جميع من خالفنى أو ملكا وعزا ناصرا للاسلام وذويه ثم شرفه باستجابة دعائه بقوله (وقل جاء الحق) أى الاسلام وزهق الباطل اضمحل الشرك من زهقت نفسه اذا خرجت (ان الباطل كان زهوقا) غير ثابت فى كل وقت وان اتفقت له دولة وصولة كانت كنار العرفج عن ابن مسعود أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل مكة يوم الفتح وحول البيت ثلثمائة وستون صنما لقبائل العرب صنم كل قوم بحيالهم فجعل يطعنها بعود فى يده ويقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب الصنم لوجهه حتى ألقاها جميعا وبقى صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من قوارير صفر فقال يا على ارم به فحمله رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد فرمى به فكسره فجعل أهل مكة يتعجبون ويقولون ما رأينا رجلا أسحر من محمد فلا جرم كذبهم الله وصدق نبيه بقوله (وننزل من القرآن) من للبيان كقوله من الاوثان أو للتبعيض أى ننزل ما هو شفاء وهو هذا القرآن أو بعض هذا الجنس وقيل زائدة ولما كانت ازالة المرض مقدمة على السعى فى تكميل موجبات الصحة ذكر كون القرآن شفاء من الامراض

رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأى من الآيات والعبر فى طريقه الى بيت المقدس وبيت المقدس ليلة أسرى به وقد ذكرنا بعض ذلك فى أول هذه السورة وانما قلنا ذلك أولى بالصواب لاجماع الحجة من أهل التأويل على أن هذه الآية انما نزلت فى ذلك وايا ه عنى الله عز وجل بها فاذا كان ذلك كذلك فتأويل الكلام وما جعلنا رؤياك التى أريناك ليلة أسرينا بك من مكة الى بيت المقدس الا فتنة للناس يقول الابلاء للناس الذين ارتدوا عن الاسلام لما أخبروا بالرؤيا التى رآها عليه الصلاة والسلام وللمشركين من أهل مكة الذين ازدادوا باسماعهم ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم تماديا فى غيهم وكفرا الى كفرهم كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الا فتنة للناس (١) وأما قوله والشجرة الملعونة فى القرآن فان أهل التأويل اختلفوا فيها فقال بعضهم هى شجرة الزقوم ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا مالك بن اسمعيل قال ثنا أبو عبيدة عن عمرو عن عكرمة عن ابن عباس والشجرة الملعونة فى القرآن قال شجرة الزقوم **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله والشجرة الملعونة فى القرآن قال هى شجرة الزقوم قال أبو جهل أيخوفنى ابن أبى كبشة بشجرة الزقوم ثم دعا بتمر وزبد فجعل يقول زقنى فأنزل الله تعالى طلعها كأنه رؤس الشياطين وأنزل ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا **حدثنى** أبو السائب ويعقوب قالا ثنا ابن ادريس عن الحسن بن عبيد الله عن أبى الضحى عن مسروق والشجرة الملعونة فى القرآن قال شجرة الزقوم **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الحسن بن عبيد الله عن أبى الضحى عن مسروق مثله **حدثنى** يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبى رجاء عن الحسن فى قوله والشجرة الملعونة فى القرآن فان قريشا كانوا يأكلون التمر والزبد ويقولون تزقوا هذا الزقوم قال أبو رجاء فحدثنى عبد القدوس عن الحسن قال فوصفها الله لهم فى الصافات **حدثنا** ابن بشار قال ثنا هوذة قال ثنا عوف عن الحسن قال قال أبو جهل وكفار أهل مكة أليس من كذب ابن أبى كبشة أنه يوعدكم بنار تحترق فيها الحجارة ويزعم أنه ينبت فيها شجرة والشجرة الملعونة فى القرآن قال هى شجرة الزقوم **حدثنى** عبد الله بن أحمد بن يونس قال ثنا عنبر قال ثنا حصين عن أبى مالك فى هذه الآية والشجرة الملعونة فى القرآن قال شجرة الزقوم **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا هشيم عن حصين عن أبى مالك قال فى قوله والشجرة الملعونة فى القرآن قال هى شجرة الزقوم **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا عبد الله بن المبارك عن رجل يقال له بدر عن عكرمة قال شجرة الزقوم **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا اسرائيل عن فرات القزاز قال سئل سعيد بن جبير عن الشجرة الملعونة قال شجرة الزقوم **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا هشيم عن عبد الملك العرزمى عن سعيد بن جبير الشجرة الملعونة قال شجرة الزقوم **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم مثله **حدثنا** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنى الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد والشجرة الملعونة فى القرآن قال الزقوم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى

(١) اختصر المتن اكتفاء بما سبق قريبا فتنبه كتبه مصححه

حجاج

حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن أبي المحجل عن أبي معشر عن ابراهيم أنه كان يحلف ما يستثني أن الشجرة الملعونة شجرة الزقوم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا اسرائيل عن فرات القزاز قال سألت سعيد ابن جبير عن الشجرة الملعونة في القرآن قال شجرة الزقوم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عمرو عن عكرمة عن ابن عباس قال هي الزقوم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا وهي شجرة الزقوم خوف الله بها عباده فافتتنوا بذلك حتى قال قائلهم أبو جهل بن هشام زعم صاحبكم هذا أن في النار شجرة والنار تأكل الشجر وانا والله ما نعلم الزقوم الا التمر والزبد فتزقموا فأنزل الله تبارك وتعالى حين عجبوا أن يكون في النار شجرة انها شجرة تخرج في أصل الجحيم طلعها كأنه رؤس الشياطين انى خلقتها من النار وعذبت بها من شئت من عبادى حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة والشجرة الملعونة في القرآن قال الزقوم وذلك أن المشركين قالوا يخبرنا هذا أن في النار شجرة والنار تأكل الشجر حتى لا تدع منه شيأ وذلك فتنة حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله والشجرة الملعونة في القرآن قال شجرة الزقوم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله والشجرة الملعونة في القرآن الزقوم التي سألوا الله أن يملأ بيوتهم منها وقال هي الصرفان بالزبد تتزقمه والصرفان صنف من التمر قال وقال أبو جهل هي الصرفان بالزبد وافتتنوا بها * وقال آخرون هي الكشوث ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا محمد بن اسمعيل بن أبي فديك عن ابن أبي ذئب عن مولى بني هاشم حدثه أن عبد الله بن الحرث بن نوفل أرسله الى ابن عباس يسأله عن الشجرة الملعونة في القرآن قال هي هذه الشجرة التي تلوى على الشجرة وتجعل في الماء يعني الكشوثى * وأولى القولين في ذلك بالصواب عندنا قول من قال عنى بها شجرة الزقوم لاجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك ونصبت الشجرة الملعونة عطفا بها على الرؤيا فتأويل الكلام اذ اوما جعلنا الرؤيا التي أريناك والشجرة الملعونة في القرآن الا فتنة للناس فكانت فتنتهم في الرؤيا ما ذكرت من ارتداد من ارتد وتمادى أهل الشرك في شركهم حين أخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أراه الله في مسيره الى بيت المقدس ليلة أسري به وكانت فتنتهم في الشجرة الملعونة ما ذكرنا من قول أبي جهل والمشركين معه يخبرنا محمد أن في النار شجرة نابتة والنار تأكل الشجر فكيف تنبت فيها وقوله ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا يقول ونخوف هؤلاء المشركين بما نتوعدهم من العقوبات والنكال فما يزيدهم تخويفنا الا طغيانا كبيرا يقول الا تماديا وغيا كبيرا في كفرهم وذلك أنهم لما خوفوا بالنار التي طعامهم فيها الزقوم دعوا بالتمر والزبد وقالوا تزقموا من هذا * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك وقد تقدم ذكر بعض من قال ذلك ونذكر بعض من بقي حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج الشجرة الملعونة قال طلعها كأنه رؤس الشياطين والشياطين ملعونون قال والشجرة الملعونة في القرآن لما ذكرها زادهم افتتانا وطغيانا قال الله تبارك وتعالى ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال أأسجد لمن خلقت طينا قال

ثم بين أنه رحمة للمؤمنين لما فيه من كيفية اقتناص العلوم الجليلة والاخلاق الفاضلة التي بها يصل الانسان الى جوار الملائكة المقربين بل الى جناب رب العالمين ولما كان قبول القابل شرطا في ظهور الاثر من الفاعل فلا جرم (لا يزيد) القرآن (الظالمين) الذين وضعوا التكذيب مقام التصديق والشك موضع الايقان والاطمئنان (الا خسارا) لان البدن غير النفس كلما غذوته زدته شرا فلا يزال سماع القرآن يزيد المشركين غيظا وحنقا ويدعوهم ذلك الى زيادة ارتكاب الاعمال القبيحة وهلم جرا الى أن يدفع الله مكرهم وينكرهم ثم ذكر قبيح شيمة الانسان الذي جبل عليه فقال (واذا أنعمنا على الانسان) أي على هذا الجنس بالصحة والغنى وعن ابن عباس أنه الوليد بن المغيرة وفي التخصيص نظر الا أن يكون سبب النزول (أعرض ونأى بجانبه) النأى البعد والباء للتعدية أو للمصاحبة وهو تأكيد للاعراض لان الاعراض عن الشئ هو أن يوليه عرض وجهه أي ناحيته والنأى بالجانب أن يلوى عنه عطفه ويوليه ظهره أو أراد الاستكبار لان هذا الفعل من شأن المستكبرين ومن قرأ ناء فاما من النوء بمعنى النهوض مستثقلا واما مقلوب كقولهم راء في رأى (واذا مسه الشر) من مرض أو فقر (كان يؤسا) شديد اليأس من روح الله والحاصل أنه ان فاز بالمطلوب الدنيوي وظفر بالمقصود الدني نسي المنعم الحقيقي وان فاته شئ من ذلك استولى عليه الاسف حتى كاد يتلف او يدنف وكلتا الخصلتين مذمومة ولا مقتضى لهما الا العجز والطيش وكل بقدر كما قال (قل كل يعمل على شاكلته) أي كل واحد من الخلائق انما يتيسر له أن يعمل على سيرته وطريقته التي تشاكل

الروحانية كالعقائد الفاسدة والاخلاق الذميمة ومن الامراض الجسمانية أيضا لما في قراءته من التيمن والبركة وحصول الشفاء للمرض كما قال صلى الله عليه وسلم من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله

حاله التي جبل عليها من قولهم طريق ذو شوا كل وهي الطرق التي تشعب منه (فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا) لانه الذي خلق كل شئ وربأه وهو عالم بخاصية كل نفس وبمقتضى جوهرها المشرق أو المظلم سواء قلنا ان النفوس مختلفة بالماهيات أو هي متساوية الحقائق واختلاف أحوالها لاختلاف أمزجة أبدانها كما أن الشمس تعقد الملح وتلين الدهن وتبيض ثوب القصار وتسود وجهه ولما انجر الكلام الى ذكر الانسان وما جبل هو عليه لزم البحث عن ماهية الروح فلذلك قال (ويسألونك عن الروح) ذكر المفسرون في سبب نزوله أن اليهود قالوا لقريش سلوا محمدا عن ثلاث عن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان أجاب عن الاولين وأبهم الثالثة فهو نبي لان ذكر الروح مبهم في التوراة وان أجاب عن الكل أو سكت فليس بنبي فبين لهم القصتين وأبهم أمر الروح اذ قال (قل الروح من أمر ربي) أي مما استأثر الله بعلمه فندموا على سؤالهم ومن الناس من طعن في هذه الرواية لوجوه منها أن الروح ليس أعلى شأنا من الله تعالى واذا كانت معرفة الله تعالى ممكنة بل حاصلة فما المانع من معرفة الروح ومنها أن هذه المسألة تعرفها الفلاسفة والمتكلمون فكيف يليق بالنبي صلى الله عليه وسلم أن يقول اني لا أعرفها مع وفور علمه وكمال معرفته وكيف يصح ما روى عن ابن أبي بريدة لقد مضى النبي صلى الله عليه وسلم وما يعلم الروح ومنها أن جعل الحكاية دليلا على النبوة غير معقول ونحن نتفصى عن المسألة فنقول السؤال عن الروح اما أن يكون عن حقيقته أو عن حال من أحواله ككونه متحيزا أو غير متحيز أو قديما أو حادثا أو باقيا بعد البدن أو فانيا وعلى تقدير البقاء ما سعادته وشقاوته وبالجملة فالمباحث المتعلقة بالروح كثيرة وقوله تعالى ويسئلونك عن الروح ليس

أرأيتك هذا الذي كرمت علي لئن أخرتن الى يوم القيامة لأحتنكن ذريته الا قليلا) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذكر يا محمد تمادي هؤلاء المشركين في غيهم وارتدادهم عتوا على ربهم بتخويفه اياهم تحقيق قهم قول عدوهم وعدوك والدهم حين أمره ربه بالسجود له فعصاه وأبى السجود له حسدا واستكبارا لئن أخرتن الى يوم القيامة لأحتنكن ذريته الا قليلا وكيف صدقوا ظنه فيهم وخالفوا أمر ربهم وطاعته واتبعوا أمر عدوهم وعدوك والدهم وبعني بقوله واذ قلنا للملائكة واذكر اذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس فانه استكبر وقال أأسجد لمن خلقت طينا يقول لمن خلقته من طين فلما حذفت من تعلق به قوله خلقت نصب يفتخر عليه الجاهل بأنه خلق من نار وخلق آدم من طين كما حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال بعث رب العزة تبارك وتعالى ابليس فأخذ من أديم الارض من عذبها وملحها فخلق منه آدم فكل شئ خلق من عذبها فهو صائر الى السعادة وان كان ابن كافرين وكل شئ خلقه من ملحها فهو صائر الى الشقاوة وان كان ابن نبيين ومن ثم قال ابليس أأسجد لمن خلقت طينا أي هذه الطينة أنا جئت بها ومن ثم سمي آدم لأنه خلق من أديم الارض وقوله أرأيتك هذا الذي كرمت علي يقول تعالى ذكره أرأيت هذا الذي كرمته علي فأمرتني بالسجود له ويعني بذلك آدم لئن أخرتني أقسم عدو الله فقال لربه لئن أخرت اهلاكي الى يوم القيامة لأحتنكن ذريته الا قليلا يقول لأستولين عليهم ولأستأصلنهم ولأستميلنهم يقال منه احتنك فلان ما عند فلان من مال أو علم أو غير ذلك ومنه قول الشاعر

نشكو اليك سنة قد أجحفت * جهدا الى جهد بنا فأضعفت

* واحتنكت أموالنا وجلفت *

* وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله تبارك وتعالى لأحتنكن ذريته الا قليلا قال لأحتوينهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله لأحتنكن ذريته الا قليلا يقول لأستولين حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لأحتنكن ذريته الا قليلا قال لأضلنهم وهذه الالفاظ وان اختلفت فانها متقاربات المعنى لان الاستيلاء والاحتواء بمعنى واحد واذا استولى عليهم فقد أضلهم * القول في تأويل قوله تعالى ﴿قال اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا﴾ يقول تعالى ذكره قال الله لابليس اذ قال له لئن أخرتن الى يوم القيامة لأحتنكن ذريته الا قليلا اذهب فقد أخرتك فمن تبعك منهم يعني من ذرية آدم عليه السلام فأطاعك فان جهنم جزاؤك وجزاؤهم يقول ثوابك على دعائك اياهم على معصيتي وثوابهم على اتباعهم اياك وخلافهم أمري جزاء موفورا يقول ثوابا مكثورا ممكملا كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قال اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا عذاب جهنم جزاؤهم ونقمة من الله من أعدائه فلا يعدل عنهم من عذابها شئ حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا قال وافرا حدثني محمد بن عمرو

فيه ما يدل على تعيين شئ من هذه المسائل فالاولى أن يحمل السؤال على السؤال عن الحقيقة لان معرفة حقيقة الشئ أهم وأقدم من معرفة حال من أحواله فيكون قوله قل الروح من أمر ربى رمزا الى أن الروح جوهر بسيط مجرد حصل بمجرد الامر وهو قوله كن فيكون

عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد موفورا قال وافرا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم فى الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله واستفزز واستخفف واستجهل من قولهم استفز فلانا كذا وكذا فهو يستفزه من استطعت منهم بصوتك اختلف أهل التأويل فى الصوت الذى عناه جل ثناؤه بقوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك فقال بعضهم عنى به صوت الغناء واللعب ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس عن ليث عن مجاهد فى قوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك قال باللهو والغناء حدثنى أبو السائب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت ليثا يذكر عن مجاهد فى قوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك قال اللعب واللهو * وقال آخرون عنى به واستفزز من استطعت منهم بدعائك اياه الى طاعتك ومعصية الله ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس واستفزز من استطعت منهم بصوتك قال صوته كل داع دعا الى معصية الله حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة واستفزز من استطعت منهم بصوتك قال بدعائك * وأولى الأقوال فى ذلك بالصحة أن يقال ان الله تبارك وتعالى قال لابليس واستفزز من ذرية آدم من استطعت أن تستفزه بصوتك ولم يخصص من ذلك صوتا دون صوت فكل صوت كان دعاء اليه والى عمله وطاعته وخلافا للدعاء الى طاعة الله فهو داخل فى معنى صوته الذى قال الله تبارك وتعالى اسمه له واستفزز من استطعت منهم بصوتك وقوله وأجلب عليهم بخيلك ورجلك يقول وأجمع عليهم من ركبان جندك ومشاتهم من يجلب عليهم بالدعاء الى طاعتك والصرف عن طاعتى يقال منه أجلب فلان على فلان اجلابا اذا صاح عليه والجلبة الصوت وربما قيل ما هذا الجلب كما يقال الغلبة والغلب والشفقة والشفق * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى سلم بن جنادة قال ثنا ابن ادريس قال سمعت ليثا يذكر عن مجاهد فى قوله وأجلب عليهم بخيلك ورجلك قال كل راكب وماش فى معاصى الله تعالى حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وأجلب عليهم بخيلك ورجلك قال ان له خيلا ورجلا من الجن والانس وهم الذين يطيعونه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأجلب عليهم بخيلك ورجلك قال الرجال المشاة حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وأجلب عليهم بخيلك ورجلك قال خيله كل راكب فى معصية الله ورجله كل راجل فى معصية الله حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد فى قوله وأجلب عليهم بخيلك ورجلك قال ما كان من راكب يقاتل فى معصية الله فهو من خيل ابليس وما كان من راجل فى معصية الله فهو من رجال ابليس والرجل جمع راجل كما التجر جمع تاجر والصحب جمع صاحب وأما قوله وشاركهم فى الأموال والأولاد فان أهل التأويل اختلفوا فى المشاركة التى عنيت بقوله وشاركهم فى الأموال والأولاد فقال بعضهم هو أمره اياهم بانفاق أموالهم فى غير طاعة الله واكتسابهموها من غير حلها ذكر من قال ذلك حدثنى أبو السائب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت ليثا يذكر عن مجاهد وشاركهم

لان الآية دلت على أن الروح من أمر الرب وقال فى آخر سورة يس انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون ينتج أن الروح اذا أراده فانما يقول له كن فيكون ومنه يعلم أنه شئ مغاير للاجسام المتوقفة على المادة والمدة وللاعراض الموقوفة على الاجسام وأنه بسيط محض والالتوقف على انضمام اجزائه ولا يلزم من كون الروح كذلك كونه مشاركا للبارى تعالى فى الحقيقة فان الاشتراك فى اللوازم لا يقتضى الاشتراك فى الملزومات وليس فى الآية دلالة على حدوث الروح الا بحسب الذات بل لمستدل أن يستدل بها على قدمه بالزمان اذ لو كان متوقفا على الزمان لم يكن حاصلا بمجرد الامر والمفروض خلافه ولما كان أمر الروح مشتبها على الناس كلهم أوجلهم ختم الآية بقوله (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) وذلك أن الانسان وان كمل علمه وكثرت معرفته بحقائق الاشياء ودقائقها فان ما علم يكون أقل مما لم يعلم فاذا نسب معلومه الى معلومات الله المشار اليها بقوله ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام قل لو كان البحر مدادا الكلمات ربى كان كلا شئ فانه لا نسبة للمتناهى الى غير المتناهى أصلا وقال بعض المفسرين هو خطاب لليهود خاصة لانهم قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم قد أوتينا التوراة وفيها الحكمة وقد تلوت ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا فقيل لهم ان علم التوراة قليل

فى جنب علم الله وذكر الامام فخر الدين الرازى أن قوله قل الروح من أمر ربى يدل على أن الروح حادث لان الامر قد جاء بمعنى الفعل قال تعالى وما أمر فرعون برشيد أى فعله وقال ولما جاء أمرنا أى فعلنا واذا

حصل الروح بفعل الله وتكوينه كان من المحدثات قلت هذا عين النزاع فان الخصم لا يسلم أن كل ما هو من فعل الله وبايجاده فانه حادث ثم ذكر حجة أخرى على حدوث الروح مستنبطة من قوله سبحانه وما أوتيتم من العلم الا قليلا ووجه تقريرها أن الانسان بل روحه في مبدا الفطرة خال عن العلوم والمعارف ثم لا يزال يحصل له المعارف فهو دائما في التبدل والتغير من النقصان الى الكمال وكل متغير محدث ومنع كلية هذه القضية عند الخصم مشهور على أن حمل وقت قلة العلم على أول الفطرة تخصيص من غير دليل مع أن ظاهر الآية يدل على أن الانسان وان أوتي حظا من العلم وافرا فانه قليل بالاضافة الى علم عالم الذات وقيل الروح المذكور في الآية هو القرآن الذي تسبب لحياة الروح كأن القوم استعظموا أمره فسألوا انه من جنس الشعر أو من جنس الكهانة فأجابهم الله تعالى بأنه ليس من جنس كلام البشر وانما هو كلام ظهر بأمر الله ووحيه وتنزيله وقيل هو ملك في غاية العظم والشرف وهو المراد من قوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا ونقل عن علي عليه السلام أن له سبعين ألف وجه ولكل وجه سبعون ألف لسان لكل لسان سبعون ألف لغة يسبح الله تعالى بتلك اللغات كلها ويخلق الله من كل تسبيحة ملكا يطير مع الملائكة يوم القيامة ولم يخلق الله خلقا أعظم من الروح غير العرش ولو شاء الله أن يبتلع السموات السبع والارضين السبع بلقمة واحدة لفعل وأمثال هذه الروايات مسرحة الى بقعة الامكان ولا وجه للاعتراض عقلا عليه وقال الحسن وقتادة هذا الروح جبرئيل كأنهم سألوا الرسول كيف جبرئيل في نفسه وكيف قيامه بتبليغ الوحي فأمر بأن يقول الروح من أمر ربي أي نزوله بأمر الرب كقوله وما نتنزل الا بأمر ربك وقال مجاهد الروح خلق ليسوا بالملائكة على صورة بني آدم لهم أيد وأرجل ورؤس يأكلون كما يأكل الناس وليسوا

في الأموال التي أصابوها من غير حلها **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وشاركهم في الأموال قال ما أكل من مال بغير طاعة الله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عيسى بن يونس عن طلحة بن عمرو عن عطاء بن أبي رباح قال الشرك في أموال الربا **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن في قوله وشاركهم في الأموال والأولاد قال قد والله شاركهم في أموالهم واعطاهم الله أموالا فأنفقوها في طاعة الشيطان في غير حق الله تبارك اسمه وهو قول قتادة **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد عن معمر قال قال الحسن شاركهم في الأموال مرهم أن يكسبوها من خبيث وينفقوها في حرام **حدثني** علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس وشاركهم في الاموال والاولاد قال كل مال في معصية الله **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وشاركهم في الاموال والأولاد قال مشاركتهم اياهم في الاموال والاولاد مازين لهم فيها من معاصي الله حتى ركبوها **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد وشاركهم في الأموال كل ما أنفقوا في غير حقه * وقال آخرون بل عنى بذلك كل ما كان من تحريم المشركين ما كانوا يحرمون من الانعام كالبحائر والسوائب ونحو ذلك ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس في قوله وشاركهم في الاموال والاولاد قال الاموال ما كانوا يحرمون من أنعامهم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عيسى عن عمران بن سليمن عن أبي صالح عن ابن عباس قال مشاركته في الاموال أن جعلوا البحيرة والسائبة والوصيلة لغير الله **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وشاركهم في الاموال فانه قد فعل ذلك أما في الاموال فأمرهم أن يجعلوا بحيرة وسائبة ووصيلة وحاما «قال أبو جعفر الصواب حاميا» * وقال آخرون بل عنى به ما كان المشركون يذبحونه لآلهتهم ذكر من قال ذلك **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول وشاركهم في الاموال والاولاد يعني ما كانوا يذبحون لآلهتهم * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال عنى بذلك كل مال عصى الله فيه بانفاق في حرام أو اكتساب من حرام أو ذبح للآلهة أو تسيب أو بحر للشيطان وغير ذلك مما كان معصية به أو فيه وذلك أن الله قال وشاركهم في الاموال فكل ما أطيع الشيطان فيه من مال وعصى الله فيه فقد شاركه فاعل ذلك فيه ابليس فلا وجه لخصوص بعض ذلك دون بعض وقوله والاولاد اختلف أهل التأويل في صفة شركته بني آدم في أولادهم فقال بعضهم شركته اياهم فيهم بزناهم بأمهاتهم ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وشاركهم في الاموال والاولاد قال أولاد الزنا **حدثني** أبو السائب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت ليثا يذكر عن مجاهد وشاركهم في الاموال والأولاد قال أولاد الزنا **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وشاركهم في الاموال والاولاد قال أولاد الزنا **حدثنا** القاسم

بالناس وزيفت هذه الاقوال بأن صرف السؤال عن الروح الانسانى الذى تتوفر دواعى العقلاء على معرفته الى أشياء مجهولة الوجود
تستنكر واعلم أن للعقلاء فى حقيقة الانسان اختلافات كثيرة واذا كان حال العلم بأقرب الاشياء الى الانسان وهو نفسه هكذا

قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال أولاد الزنا حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول وشاركهم فى الاموال والاولاد قال أولاد الزنا يعنى بذلك أهل الشرك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد فى قوله وشاركهم فى الاموال والاولاد قال الاولاد أولاد الزنا * وقال آخرون عنى بذلك وأدهم أولادهم وقتلهموهم ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبدالله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس وشاركهم فى الاموال والاولاد قال ماقتلوا من أولادهم وأتوافيهم الحرام * وقال آخرون بل عنى بذلك صبغهم اياهم فى الكفر ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن وشاركهم فى الاموال والاولاد قال قد والله شاركهم فى أموالهم وأولادهم فجسوا وهودوا ونصروا وصبغوا غير صبغة الاسلام وجزؤا من أموالهم جزأ للشيطان حدثنا محمد بن عبدالاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وشاركهم فى الاموال والاولاد قال قد فعل ذلك أما فى الاولاد فانهم هودوهم ونصروهم ومجسوهم * وقال آخرون بل عنى بذلك تسميتهم أولادهم عبدالحرث وعبدشمس ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى عيسى بن يونس عن عمران بن سليمن عن أبى صالح عن ابن عباس وشاركهم فى الأموال والأولاد قال مشاركتهاياهم فى الأولاد سموا عبدالحرث وعبدشمس وعبدفلان * وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال كل ولد ولدته أنثى عصى الله بتسميته مايكرهه الله أو بادخاله فى غير الدين الذى ارتضاه الله أو بالزنا بأمه أو قتله ووأده أو غير ذلك من الامور التى يعصى الله بها بفعله به أو فيه فقد دخل فى مشاركة ابليس فيه من ولد ذلك المولود له أومنه لان الله لم يخصص بقوله وشاركهم فى الأموال والأولاد معنى الشركة فيه بمعنى دون معنى فكل ماعصى الله فيه أو به وأطيع به الشيطان أوفيه فهو مشاركة من عصى الله فيه أو به ابليس فيه وقوله وعدهم ومايعدهم الشيطان الاغرورا يقول تعالى ذكره لابليس وعدأتباعك من ذرية آدم النصرة على من أرادهم بسوء يقول الله ومايعدهم الشيطان الاغرورا لأنه لايغنى عنهم من عقاب الله اذا نزل بهم شيأ فهم من عداته فى باطل وخديعة كما قال لهم عدوالله حين حصحص الحق ان الله وعدكم وعدالحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى انى كفرت بما أشركتمون من قبل ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا﴾ يقول تعالى ذكره لابليس ان عبادى الذين أطاعونى فاتبعوا أمرى وعصوك يابابليس ليس لك عليهم حجة وقوله وكفى بربك وكيلا يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وكفاك يامحمد بربك حفيظا وقيما بأمرك فانقد لأمره وبلغ رسالاته هؤلاء المشركين ولاتخف أحدا فانه قد توكل بحفظك ونصرتك كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا وعباده المؤمنون وقال الله فى آية أخرى انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ربكم الذى يزجى لكم الفلك فى البحر لتبتغوا من فضله انه كان بكم رحيما﴾ يقول تعالى ذكره للمشركين به ربكم أيها القوم هو الذى يسير لكم السفن فى البحر فيحملكم فيها لتبتغوا من فضله لتوصلوا

فاظنك بما هو الأبعد ولنذكر بعض تلك المذاهب فلعل الحق يلوح فى تضاعيف ذلك فنقول العلم الضرورى حاصل بوجود شئ يشير اليه كل واحد بقوله أنا فذلك المشار اليه اما أن يكون جوهرا مفارقا أو جسما هو هذه البنية أو جسما داخلا فيها أو خارجا عنها أو عرضا أما المتكلمون فالجمهور منهم ذهبوا الى أن الانسان هو هذا الهيكل المحسوس وزيف بأن البدن دائما فى التغير والتبدل والمشار اليه بأنا واحد من أول العمر الى آخره وبأن الانسان غير غافل عن نفسه حين مايكون ذاهلا عن أجزاء بدنه وبأن النصوص الواردة فى القرآن والخبر كقوله عز من قائل ولاتقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء ياأيتها النفس المطمئنة ارجعى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا وكقوله صلى الله عليه وسلم أولياء الله لايموتون ولكن ينقلون من دار الى دار القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران وقوله فى خطبة طويلة حتى اذا حمل الميت على نعشه رفرف روحه فوق النعش ويقول ياأهلى وياولدى لاتلعبن بكم الدنيا كما لعبت بى جمعت المال من حله وغير حله فالهناء لغيرى والتبعة على فاحذر وامثل ماحل بى توجب مغايرة النفس للبدن وبأن جميع فرق الدنيا من أرباب الملل والنحل يتصدقون عن موتاهم يزورونهم ويدعون لهم بالخير وبأن الميت قد يرى فى المنام فيخبر عن أمور غائبة وتكون كما أخبر وبأن الانسان قد يقطع عضو من أعضائه ويعلم يقينا أنه هو الذى كان قبل ذلك وبثبوت المسخ فى حق طائفة من أهل الكتاب وليس المسخ الا تغيير البنية مع بقاء الحقيقة وبأن جبرئيل قد رؤى فى صورة دحية وابليس رؤى فى صورة الشيخ

النجدى فعلم أن لا عبرة بالبنية وبأن الزانى يزنى بفرجه فيضرب على ظهره فعلم أن المتلذذ والمتألم شئ آخر سوى العضوين وبأنا نعلم ضرورة أن العالم الفاهم المخاطب أنما هو فى ناحية (٨٤) القلب ليس جملة البدن ولا شيأ من الاعضاء أما ان قيل الانسان جسم هو فى داخل البدن فاعلم أن أحدا من العقلاء لم يقل بأن الانسان عبارة عن الاعضاء الكثيفة الصلبة التى غلبت عليها الارضية كالعظم والغضروف والعصب والوتر والرباط والشحم واللحم والجلد ولكن منهم من قال انه الجسم الذى غلب عليه المائية من الاخلاط الاربعة أعنى الدم بدليل أنه اذا خرج لزم الموت ومنهم من قال انه الذى غلب عليه الهوائية والنارية وهو الروح الذى فى القلب أو جزء لا يتجزأ فى الدماغ ومنهم من يقول اختلطت بهذه الارواح القلبية والدماغية أجزاء نارية مسماة بالحرارة الغريزية وهى الانسان ومنهم من قال اذا تكون بدن الانسان وتم استعداده نفخت فيه أجرام سماوية نورانية لطيفة الجوهر على طبيعة ضوء الشمس غير قابلة للتبديل والتحويل ولا للتفرق والتمزق نفوذا يشبه نفوذ النار فى الفحم والدهن فى السمسم وماء الورد فى الورد وهذا النفوذ هو المراد بقوله ونفخت فيه من روحى ثم اذا تولد فى البدن أخلاط غليظة منعت من سريان تلك الاجسام فيها فانفصلت لذلك عن البدن فحينئذ يعرض الموت للجوهر قال الامام فخر الدين الرازى هذا مما ذهب اليه ثابت ابن قرة وغيره وهو مذهب قوى شريف يجب التأمل فيه فانه شديد المطابقة لما فى الكتب الالهية من أحوال الحياة والموت قلت أما نفوذ الجوهر النورى فى البدن كنفوذ الدهن فى السمسم فسلم وأما أنه أجرام أو أجسام ففيه نظر واعلم أنه لم يذهب أحد الى أن الانسان جسم خارج عن البدن ۞ القول ولا الى أنه عرض حال فى البدن الا ما نقل عن الاطباء وعن أبى الحسين البصرى من المعتزلة أن الانسانية عبارة عن امتزاجات اجزاء العناصر

بالركوب فيها الى أماكن تجاراتكم ومطالبكم ومعايشكم وتلتمسون من رزقه انه كان بكم رحيما يقول ان الله كان بكم رحيما حين أجرى لكم الفلك فى البحر تسهيلا منه بذلك عليكم التصرف فى طلب فضله فى البلاد النائية التى لولا تسهيله ذلك لكم لصعب عليكم الوصول اليها * وبنحو ماقلنا فى قوله يزجى لكم قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على بن داود قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ربكم الذى يزجى لكم الفلك فى البحر يقول يجرى الفلك حدثنى محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ربكم الذى يزجى لكم الفلك فى البحر قال يسيرها فى البحر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس ربكم الذى يزجى لكم الفلك فى البحر قال يجرى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ربكم الذى يزجى لكم الفلك فى البحر قال يجريها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر أعرضتم وكان الانسان كفورا﴾ يقول تعالى ذكره واذا نالتكم الشدة والجهد فى البحر ضل من تدعون يقول فقد تم من تدعون من دون الله من الانداد والآلهة وجار عن طريقكم فلم يغثكم ولم تجدوا غير الله مغيثا يغيثكم دعوتموه فلما دعوتموه وأغاثكم وأجاب دعاءكم ونجاكم من هول ما كنتم فيه فى البحر أعرضتم عما دعاكم اليه ربكم من خلع الانداد والبراءة من الآلهة وافراده بالالوهة كفرا منكم بنعمته وكان الانسان كفورا يقول وكان الانسان ذا جحد لنعم ربه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصبا ثم لا تجدوا لكم وكيلا﴾ يقول تعالى ذكره أفأمنتم أيها الناس من ربكم وقد كفرتم نعمته بتنجيته اياكم من هول ما كنتم فيه فى البحر وعظيم ما كنتم قد أشرفتم عليه من الهلاك فلما نجاكم وصرتم الى البر كفرتم وأشركتم فى عبادته غيره أن يخسف بكم جانب البر يعنى ناحية البر أو يرسل عليكم حاصبا يقول أو يعطركم بحجارة من السماء تقتلكم كما فعل بقوم لوط ثم لا تجدوا لكم وكيلا يقول ثم لا تجدوا لكم ما يقوم بالمدافعة عنكم من عذابه وما يمنعكم منه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصبا يقول حجارة من السماء ثم لا تجدوا لكم وكيلا أى منعة ولا ناصرا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فى قوله أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصبا قال مطر الحجارة اذا خرجتم من البحر وكان بعض أهل العربية يوجه تأويل قوله أو يرسل عليكم حاصبا الى أو يرسل عليكم ريحا عاصفا تحصب ويستشهد لقوله ذلك بقول الشاعر

مستقبلين شمال الشام يضربنا * بحاصب كندف القطن منثور

وأصل الحاصب الريح تحصب بالحصباء والحصباء الارض فيها الرمل والحصى الصغار يقال فى الكلام حصب فلان فلانا اذا رماه بالحصباء وانما وصفت الريح بأنها تحصب لرميها الناس بذلك كما قال الاخطل

ولقد علمت اذا العشار تروحت * هدج الرئال تكبهن شمالا
ترمى العضاه بحاصب من ثلجها * حتى يبيت على العضاه جفالا

بمقدار مخصوص وعلى نسبة معلومة تخص هذا الصنف ومن شيوخ المعتزلة من قال الانسان عبارة عن أجزاء مخصوصة بشرط كونها موصوفة بأعراض مخصوصة هي الحياة والعلم والقدرة ومنهم من قال انه يتمايز عن سائر الحيوانات بشكل جسده وهيئة أعضائه

﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا﴾ يقول تعالى ذكره أم أمنتم أيها القوم من ربكم وقد كفرتم به بعد انعامه عليكم النعمة التي قد علمتم أن يعيدكم في البحر تارة أخرى يقول مرة أخرى والهاء التي في قوله فيه من ذكر البحر كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أن يعيدكم فيه تارة أخرى أي في البحر مرة أخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح وهي التي تقصف ما مرت به فتحطمه وتدقه من قولهم قصف فلان ظهر فلان اذا كسره فيغرقكم بما كفرتم يقول فيغرقكم الله بهذه الريح القاصف بما كفرتم يقول بكفركم به ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا يقول ثم لا تجدوا لكم علينا تابعا يتبعنا بما فعلنا بكم ولا ثائرا يثأرنا باهلاكنا كم وقيل تبيعا في موضع التابع كما قيل عليم في موضع عالم والعرب تقول لكل طالب بدم أو دين أو غيره تبيع ومنه قول الشاعر

عدوا وعدت غزلانهم فكأنها * ضوامن غرم لزهن تبيع

وبنحو الذي قلنا في القاصف والتبيع قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي بن داود قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله فيرسل عليكم قاصفا من الريح يقول عاصفا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قاصفا التي تغرق حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا يقول نصيرا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال محمد ثائرا وقال الحرث نصيرا ثائرا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا قال ثائرا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا أي لا تخاف أن تتبع بشيء من ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا يقول لا يتبعنا أحد بشيء من ذلك والتارة جمعه تارات وتير وفعلت منه أترت ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾ يقول تعالى ذكره ولقد كرمنا بني آدم بتسليطنا اياهم على غيرهم من الخلق وتسخيرنا سائر الخلق لهم وحملناهم في البر على ظهور الدواب والمراكب وفي البحر في الفلك التي سخرناها لهم ورزقناهم من الطيبات يقول من طيبات المطاعم والمشارب وهي حلالها ولذيذاتها وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ذكر لنا أن ذلك تمكنهم من العمل بأيديهم وأخذ الأطعمة والأشربة بها ورفعها بها الى أفواههم وذلك غير متيسر لغيرهم من الخلق كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله ولقد كرمنا بني آدم الآية قال وفضلناهم في الدين يأكل بهما وبعمل بهما وما سوى الانس يأكل بغير ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن زيد بن أسلم في قوله ولقد كرمنا بني آدم قال قالت الملائكة يا ربنا انك أعطيت بني آدم الدنيا يأكلون منها ويتنعمون ولم تعطنا ذلك فأعطناه في الآخرة فقال وعزتي لا أجعل ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان ﴿ القول في تأويل قوله تعالى

والصحيح من المذاهب عند أكثر علماء الاسلام كالشيخ أبي القاسم الراغب الاصفهاني والشيخ أبي حامد الغزالي ومن قدماء المعتزلة معمر ابن عباد السلمي ومن الشيعة الشيخ المفيد رضي الله عنه ومن الكرامية جماعة ومن الفلاسفة الالهيين كلهم أن الروح الانساني جوهر مجرد ليس داخل العالم الجسماني ولا خارجه ولا متصلا به ولا منفصلا عنه ولكنه متعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف كما أن اله العالم لا تعلق له بالعالم الاعلى سبيل التصرف والتدبير ومهما انقطعت علاقته عن البدن بقي البدن معطلا ميتا واستدلوا على هذا المطلوب بحجج منها ما اختاره الامام فخر الدين الرازي وهي لو كان الانسان جوهرا متحيزا لكان كونه متحيزا عين ذاته المخصوصة اذ لو كان صفة قائمة به لزم كون الشيء الواحد متحيزا مرتين ولزم اجتماع المثلين وأيضا لم يكن جعل أحدهما ذاتا والآخر صفة أولى من العكس وأيضا التحيز الثاني ان كان عين الذات فهو المقصود وان كان صفة لزم التسلسل واذا كان التحيز عين ذاته لزم أنه متى عرف ذاته عرف تحيزه لكنا قد نعرف ذاتنا مع الجهل بالتحيز والامتداد في الجهات الثلاث وذلك ظاهر عند الاختبار والامتحان واذا كان اللازم باطلا فالملزوم منتف وعورض بأنه لو كان الانسان جوهرا مجردا لكان كل من عرف ذاته عرف تجرده وليس كذلك وأجيب بالفرق بين التحيز وهو صفة ثبوتية وبين التجرد وهو صفة سلبية ومنها أن الشيء الذي يشير اليه كل واحد بقوله أنا واحد بالبديهة ولان الغضب مثلا حالة نفسانية تحدث عند محاولة دفع المنافي منتصرا وطالبا الشعور بكون الشيء منافيا فالذي يغضب لا بد أن يكون هو بعينه مدركا ولان اشتغال

الانسان بالغضب وانصبابه اليه يمنعه من الاشتغال بالشهوة والانصباب اليها فعلمنا أنهما صفتان مختلفتان لجوهر واحد اذ لو كان لكل منهما مبدأ مستقل لم يكن اشتغال أحدهما بفعله مانعا للآخر وأيضا اذا أدركنا شيأ فقد يكون الادراك سببا لحصول الشهوة وقد يكون سببا للغضب فعلمنا أن صاحب الادراك بعينه هو صاحب الشهوة والغضب وأيضا النفس لا يمكنها أن تتحرك بالارادة الا عند حصول الداعي ولا معنى للداعي الا الشعور بخير يرغب في جذبه أو بشر يرغب في دفعه وهذا يقتضي أن المتحرك بالارادة هو بعينه المدرك للخير والشر واللذيذ والمؤذي والنافع والضار وهو المبصر والسامع والشام والذائق واللامس والمتخيل والمتفكر والمشتهي والغاضب بوساطة آلات مختلفة وقوى متغايرة واذا ثبت ذلك فلو كانت النفس عبارة عن جملة البدن كان للكل أثر واحد ولو كانت جزأ من أجزاء البدن كانت قوة سارية في جميع أجزاء البدن والوجود بخلاف الكل فحصل اليقين بأن النفس شئ مغاير لكل البدن ولكل جزء من أجزائه ومنها أن الاستقراء يدل على أن أحوال النفس بالضد من أحوال الجسد لان الجسم اذا قبل شكل التثليث مثلا امتنع أن يقبل حينئذ شكل التربيع ولا كذلك حال النفس فان ادراك كل صورة يعينها على ادراك ما عداها ولذلك يزداد الانسان فهما وذكاء بازدياد العلوم وأيضا كثرة الافكار توجب قوة للنفس وتستدعي استيلاء النفس على الدماغ وقد تصير أبدان أرباب الرياضة في غاية النحافة والهزال وتقوى نفوسهم بحيث لا يلتفتون الى السلاطين وأصحاب الشوكة والقوة ومما يختص بهذه الآية التي نحن في تفسيرها أن الروح لو كان جسما منتقلا من حالة الى حالة لكان مساويا للبدن في كونه متولدا من أجسام متغيرة من صفة الى صفة فحين سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح كان الأنسب أن يقول انه جسم كان كذا وجعلناهم

﴿يوم ندعو كل أناس بامامهم فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرؤن كتابهم ولا يظلمون فتيلا﴾ اختلف أهل التأويل في معنى الامام الذي ذكر الله جل ثناؤه أنه يدعو كل أناس به فقال بعضهم هو نبيه ومن كان يقتدي به في الدنيا ويأتم به ذكر من قال ذلك حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي قال ثنا فضيل عن ليث عن مجاهد يوم ندعو كل أناس بامامهم قال بنبيهم حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبي بزة عن مجاهد يوم ندعو كل أناس بامامهم قال بنبيهم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بامامهم قال بنبيهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا محمد قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة كل أناس بامامهم قال بنبيهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة مثله * وقال آخرون بل معنى ذلك أنه يدعوهم بكتب أعمالهم التي عملوها في الدنيا ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس في قوله يوم ندعو كل أناس بامامهم قال الامام ما عمل وأملى فكتب عليه فمن بعث متقبلة جعل كتابه بيمينه فقرأه واستبشر ولم يظلم فتيلا وهو مثل قوله وانهما لبامام مبين والامام ما أملى وعمل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن يوم ندعو كل أناس بامامهم قال بأعمالهم حدثنا محمد قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال قال الحسن بكتابهم الذي فيه أعمالهم حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله يوم ندعو كل أناس بامامهم يقول بكتابهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي جعفر عن الربيع عن أبي العالية قال بأعمالهم * وقال آخرون بل معناه يوم ندعو كل أناس بكتابهم الذي أنزلت عليهم فيه أمري ونهيي ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعت يحيى بن زيد في قول الله عز وجل يوم ندعو كل أناس بامامهم قال بكتابهم الذي أنزل عليهم فيه أمر الله ونهيه وفرائضه والذي عليه يحاسبون وقرأ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا قال الشرعة الدين والمنهاج السنة وقرأ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا قال فنوح أولهم وأنت آخرهم حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يوم ندعو كل أناس بامامهم بكتابهم * وأولى هذه الأقوال عندنا بالصواب قول من قال معنى ذلك يوم ندعو كل أناس بامامهم الذي كانوا يقتدون به ويأتمون به في الدنيا لأن الأغلب من استعمال العرب الامام فيما ائتم واقتدي به وتوجيه معاني كلام الله الى الأشهر أولى ما لم تثبت حجة بخلافه يجب التسليم لها وقوله فمن أوتي كتابه بيمينه يقول فمن أعطي كتاب عمله بيمينه فأولئك يقرؤن كتابهم ذلك حتى يعرفوا جميع ما فيه ولا يظلمون فتيلا يقول تعالى ذكره ولا يظلمهم الله من جزاء أعمالهم فتيلا وهو المنفتل الذي في شق بطن النواة وقد مضى البيان عن الفتيل بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله ولا يظلمون فتيلا قال الذي في شق النواة ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا﴾ اختلف أهل التأويل في المعنى الذي أشير اليه بقوله هذه فقال بعضهم أشير بذلك الى النعم التي عددها تعالى ذكره بقوله ولقد كرمنا بني آدم

صار كذا وكذا كما ذكر في كيفية تولد البدن أنه كان نطفة ثم صار علقة ثم مضغة الى آخره والاحاديث الواردة في أن الارواح مخلوقة قبل الاجساد تؤكد ذلك الرأي الذي ادعيناه من أن النفس شئ مغاير للبدن ولأجزائه والله (٨٧) أعلم بحقائق الامور قال أهل النظم لما بين أنه

وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا فقال ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا داود عن محمد بن أبي موسى قال سئل عن هذه الآية ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا فقال قال ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا قال من عمي عن شكر هذه النعم في الدنيا فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا * وقال آخرون بل معنى ذلك ومن كان في هذه الدنيا أعمى عن قدرة الله فيها وحجته فهو في الآخرة أعمى ذكر من قال ذلك حدثني علي بن داود قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ومن كان في هذه أعمى يقول من عمي عن قدرة الله في الدنيا فهو في الآخرة أعمى حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في هذه أعمى قال الدنيا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى يقول من كان في هذه الدنيا أعمى عما عاين فيها من نعم الله وخلقه وعجائبه فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا فيما يغيب عنه من أمر الآخرة وأعمى حدثنا محمد قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ومن كان في هذه أعمى في الدنيا فيما أراه الله من آياته من خلق السموات والارض والجبال والنجوم فهو في الآخرة الغائبة التي لم يرها أعمى وأضل سبيلا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد وسئل عن قول الله تعالى ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا فقرأ ان في السموات والارض لآيات للمؤمنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون وقرأ ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون وقرأ حتى بلغ وله من في السموات والارض كل له قانتون قال كل له مطيعون الا ابن آدم قال فمن كان في هذه الآيات التي يعرف أنها منا ويشهد عليها وهو يرى قدرتنا ونعمتنا أعمى فهو في الآخرة التي لم يرها أعمى وأضل سبيلا * وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب قول من قال معنى ذلك ومن كان في هذه الدنيا أعمى عن حجج الله على أنه المنفرد بخلقها وتدبيرها وتصريف ما فيها فهو في أمر الآخرة التي لم يرها ولم يعاينها وفيما هو كائن فيها أعمى وأضل سبيلا يقول وأضل طريقا منه في أمر الدنيا التي قد عاينها ورآها وانما قلنا ذلك أولى تأويلاته بالصواب لأن الله تعالى ذكره لم يخصص في قوله ومن كان في هذه الدنيا أعمى عمى الكافر به عن بعض حججه عليه فيها دون بعض فيوجه ذلك الى عماه عن نعمه عما أنعم به عليه من تكريمه بني آدم وحمله اياهم في البر والبحر وما عدد في الآية التي ذكر فيها نعمه عليهم بل عم بالخبر عن عماه في الدنيا فهم كما عم تعالى ذكره واختلفت القراء في قراءة قوله فهو في الآخرة أعمى فكسرت القراء جميعا الحرف الاول أعني قوله ومن كان في هذه أعمى وأما قوله فهو في الآخرة أعمى فان عامة قراء الكوفيين أمالت أيضا قوله فهو في الآخرة أعمى وأما بعض قراء البصرة فانه فتحه وتأوله بمعنى فهو في الآخرة أشد عمى واستشهد لصحة قراءته بقوله وأضل سبيلا وهذه القراءة هي أولى القراءتين في ذلك بالصواب للشاهد الذي ذكرنا عن قارئه كذلك وانما كرهت من كره قراءته كذلك ظنا منه أن ذلك مقصود به قصد عمى العينين الذي لا يوصف أحد بأنه أعمى من آخر أعمى

ما آتاهم من العلم الا القليل أراد أن يبين أنه لو شاء أن يأخذ منهم ذلك القليل لقدر عليه فقال (ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا اليك) قلت في نسبة علم القرآن الى القلة خروج من الادب فالاولى في وجه النظم أن يقال انه لما كشف لهم الغطاء عن مسألة الروح وبين أن ذلك من العلوم الالهية التي لا نهاية لها الا من العلوم الانسانية القليلة وكان فيه بيان كمال علمه تعالى ونقصان علم الانسان أراد أن يبين غاية قدرته ونهاية ضعف الانسان أيضا فبين أنه قادر على ذهاب القرآن ونحوه عن الصدور والمصاحف وسيكون ذلك في آخر الزمان كما جاء في الروايات ثم لا يجد النبي الذي هو أكمل أنواع الانسان من يتوكل عليه باسترداده فضلا عن غيره (الا رحمة من ربك) استثناء متصل أي الا أن يرحمك ربك فيرده عليك كأن رحمته تتوكل عليه بارداً ومنقطع معناه ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به (ان فضله) بابقاء القرآن اليك ثم ابقائه عليك أو بهذا وبسائر الخصائص والمزايا (كان عليك كبيرا) وفيه أن نعمة القرآن وبقاءه محفوظا في الصدور مسطورا في الدفاتر من أجل النعم وأشرفها فعلى كل ذي علم أن لا يغفل عن شكرها والقيام بواجبها جعلنا الله ممن يراعي حق القرآن ويعمل بمقتضاه واحتج الكعبي بالآية على أن القرآن مخلوق لان ما يمكن ازالته والذهاب به يستحيل أن يكون قديما وأجيب بأن ازالة العلم به عن القلوب والذهاب بالنقوش الدالة عليه في المصاحف لا يوجب حدوث الكلام النفسي الذي هو محل النزاع ثم دل على أن الذي أوحي اليه ليس من جنس كلام المخلوقين فقال (قل لئن اجتمعت الانس والجن) الآية وقدم وجه اعجاز القرآن في أوائل سورة البقرة

فان قيل هب أنه ظهر عجز الانسان عن معارضته فكيف يعرف عجز الجن عن معارضته ولم لا يجوز أن يقال ان الجن أعانوه على هذا التأليف
سعيا فى اضلال الخلق واخبار محمد بأنه ليس من كلام الجن يوجب الدور وليس لاحد أن يقول ان الجن ليسوا بفصحاء فكيف يعقل
أن يكون القرآن كلامهم لانا
نقول التحدى مع الجن انما يحسن
لو كانوا فصحاء فالجواب أن عجز
البشر عن معارضته يكفى فى اثبات
كونه معجزا ثم ان الصادق ابدى
ثبت صدقه بظهور المعجز على وفق
دعواه أخبر أن الجن أيضا عاجزون
عن الاتيان بمثل القرآن فسقط
السؤال بالكلية على أنه سبحانه قد
أجاب عنه فى آخر سورة الشعراء
بقوله هل أنبئكم على من تنزل
الشياطين وسوف يجىء تفسيره
ان شاء الله تعالى قالت المعتزلة
التحدى بالقديم محال وأجيب بمثل
ما مر أن محل النزاع هو الكلام
النفسى لا الالفاظ التى يقع التحدى
بها وبفصاحتها ثم بين أنهم مع
ظهور عجزهم بقوا مصرين على
كفرهم فقال (ولقد صرفنا) رددنا
وكررنا (للناس فى هذا القرآن من
كل مثل) من كل معنى هو كالمثل
فى غرابته وحسنه وذلك كدلائل
التوحيد والنبوة والمعاد وكالقصص
اللائقة وغيرها من المواعظ والنصائح
(فأبى أكثر الناس) فيه معنى النفى
كأنه قيل فلم يرضوا (الا كفورا)
وجحودا قال أهل البرهان انما لم
يذكر الناس فى أوائل السورة حين
قال ولقد صرفنا فى هذا القرآن
ليذكروا لتقدم ذكرهم فى السورة
وذكرهم فى الكهف اذ لم يجر
ذكرهم وذكر الناس ههنا وان
جرى ذكرهم دفعا للالتباس لان
ذكر الجن أيضا قد جرى وقدم
الناس على قوله فى هذا القرآن كما
قدمه فى قوله قل لئن اجتمعت
الانس والجن وأما فى الكهف فعكس الترتيب لان اليهود سألته عن قصة أصحاب الكهف وغيرها وقد
أوجاها الله تعالى اليه فى القرآن فكانت العناية بالقرآن أكثر فكان تقديمه أجدر ۞ التأويل وان كادوا ليفتنونك أى من عمى قلوبهم ولولا

اذ كان عمى البصر لا يتفاوت فيكون أحدهما أزيد عمى من آخر الا بادخال أشد أو أبين فليس الامر
فى ذلك كذلك وانما قلنا ذلك من عمى القلب الذى يقع فيه التفاوت فانما عنى به عمى قلوب الكفار
عن حجج الله التى قد عاينتها أبصارهم فلذلك جاز ذلك وحسن * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل
التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا سفيان
عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فهو فى الآخرة أعمى قال أعمى عن حجته فى الآخرة ۞ القول فى
تأويل قوله تعالى ﴿وان كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا اليك لتفترى علينا غيره واذا لاتخذوك
خليلا﴾ اختلف أهل التأويل فى الفتنة التى كادا المشركون أن يفتنوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم بها عن الذى أوحى الله اليه الى غيره فقال بعضهم ذلك الالمام بالآلهة لان المشركين دعوه الى
ذلك فهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يعقوب
القمى عن جعفر عن سعيد قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلم الحجر الأسود فنعته قريش
وقالوا لا ندعه حتى يلم بآلهتنا فحدث نفسه وقال ما على أن ألم بها بعد أن يدعونى أستلم الحجر
والله يعلم أنى لها كاره فأبى الله فأنزل الله وان كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا اليك لتفترى علينا
غيره الآية **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولولا أن ثبتناك لقد كدت
تركن اليهم شيأ قليلا ذكر لنا أن قريشا خلوا برسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة الى الصبح
يكلمونه ويفخمونه ويسودونه ويقاربونه وكان فى قولهم أن قالوا انك تأتى بشئ لا يأتى به أحد
من الناس وأنت سيدنا وابن سيدنا فما زالوا يكلمونه حتى كاد أن يقارفهم ثم منعه الله وعصمه من
ذلك فقال ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيأ قليلا **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال
ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة لتفترى علينا غيره قال أطافوا به ليلة فقالوا أنت سيدنا وابن
سيدنا فأرادوه على بعض ما يريدون فهم أن يقارفهم فى بعض ما يريدون ثم عصمه الله فذلك قوله
لقد كدت تركن اليهم شيأ قليلا الذى أرادوا فهم أن يقارفهم فيه **حدثنا** القاسم قال ثنا
الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال قالوا له ائت آلهتنا فامسسها فذلك
قوله شيأ قليلا * وقال آخرون انما كان ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هم أن ينظر قوما
باسلامهم الى مدة سألوه الانظار اليها ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى
قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وان كادوا ليفتنونك عن الذى
أوحينا اليك لتفترى علينا غيره واذا لاتخذوك خليلا وذلك أن ثقيفا كانوا قالوا للنبى صلى الله عليه
وسلم يا رسول الله أجلنا سنة حتى يهدى لآلهتنا فاذا قبضنا الذى يهدى لآلهتنا أخذناه ثم أسلمنا
وكسرنا الآلهة فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطيهم وأن يؤجلهم فقال الله ولولا أن ثبتناك
لقد كدت تركن اليهم شيأ قليلا * والصواب من القول فى ذلك أن يقال ان الله تعالى ذكره أخبر عن
نبيه صلى الله عليه وسلم أن المشركين كادوا أن يفتنوه عما أوحاه الله اليه ليعمل بغيره وذلك هو
الافتراء على الله وجائز أن يكون ذلك كان ماذكر عنهم من ذكر أنهم دعوه الى أن يمس آلهتهم ويلم
بها وجائز أن يكون كان ذلك ماذكر عن ابن عباس من أمر ثقيف ومسألتهم اياه ما سألوه مما ذكرنا
وجائز أن يكون غير ذلك ولا بيان فى الكتاب ولا فى خبر يقطع العذر أى ذلك كان والاختلاف فيه
موجود على ما ذكرنا فلا شئ فيه أصوب من الايمان بظاهره حتى يأتى خبر يجب التسليم له ببيان
ما عنى بذلك منه وقوله واذا لاتخذوك خليلا يقول تعالى ذكره ولو فعلت ما دعوك اليه من الفتنة
عن

أن تبتنالك بالقول الثابت وهو قول لا اله الا الله الى أن بلغت حقيقة لا اله الا الله شيأ قليلا وانما وصفه بالقلة لأن بشريته مغلوبة وروحانيته غالبة ضعف الحياة وضعف الممات أى نحيى نفسك وأذقناك عذاب حياتها واستيلائها على الروح ونميت قلبك وأذقناك عذاب مماته وضعف روحك وبعده عن الحق سنة من قد أرسلنا أى جرت عادة الله تعالى بأن يجعل لكل نبى عدوا يؤذيه ويمكر به ثم بين طريق خلاص الانبياء والاولياء عن ورطة الابتلاء فقال أقم الصلاة أى أدها بالقلب الحاضر نهارا وليلا ان قرآن الفجر كان مشهودا بشواهد الحق بل الحق مشهود له ثم أدخلنى مدخل صدق يعنى السير فى الله بالله وأخرجنى مخرج صدق من حولى وأنانيتى واجعل لى من لدنك لا من لدن غيرك وفيه أن كل ذى مقام فانه لا يصل الى مقامه الا بسعى يلائم الوصول الى ذلك المقام كقوله وسعى لها سعيها وروى أن رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم يعرض حاجة فقال صلى الله عليه وسلم ما تريد فقال مرافقتك فى الجنة فقال صلى الله عليه وسلم أو غير ذلك فقال الرجل بلى مرافقتك فى الجنة فقال النبى صلى الله عليه وسلم فأعنى على نفسك بكثرة السجود جاء الحق من الواردات والشواهد وتجلى صفات الجمال والجلال وزهق الباطل وهو كل ما خلا الله من الموجودات ومن الخواطر كقوله

* ألا كل شئ ما خلا الله باطل *

ونتزل من القرآن ما هو شفاء لان كلام الحبيب طبيب القلوب

* ان الاحاديث من سلمى تسلينى *

قل الروح من أمر ربى قال العارفون لله تعالى عالمان عالم الامر الذى خلق لا من شئ وعالم الخلق الذى خلق من شئ ويعبر عنهما بالآخرة والدنيا والملكوت والملك والغيب والشهادة والمعنى والصورة والباطن والظاهر والارواح والاجسام وما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال أول ما خلق الله جوهرة وفى رواية درة فنظر اليها فذابت اول ما خلق الله اللوح أول ما خلق الله روحى وفى رواية نورى وأول

عن الذى أوحينا اليك لا تخذولك اذا لأنفسهم خليلا وكنت لهم وكانوا لك أولياء ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيأ قليلا﴾ يقول تعالى ذكره ولولا أن ثبتناك يا محمد بعصمتنا اياك عما دعاك اليه هؤلاء المشركون من الفتنة لقد كدت تركن اليهم شيأ قليلا يقول لقد كدت تميل اليهم وتطمئن شيأ قليلا وذلك ما كان صلى الله عليه وسلم هم به من أن يفعل بعض الذى كانوا سألوه فعله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر حين نزلت هذه الآية

حدثنا محمد بن بشار قال ثنا سليمن قال ثنا أبو هلال عن قتادة فى قوله ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيأ قليلا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكلنى الى نفسى طرفة عين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿اذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا﴾ يقول تعالى ذكره لو ركنت الى هؤلاء المشركين يا محمد شيأ قليلا فيما سألوك اذا لأذقناك ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله اذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات يعنى ضعف عذاب الدنيا والآخرة

حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله ضعف الحياة قال عذابها وضعف الممات قال عذاب الآخرة

حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله

حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله

حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة اذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات أى عذاب الدنيا والآخرة

حدثنا محمد قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ضعف الحياة وضعف الممات قال عذاب الدنيا وعذاب الآخرة

حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ضعف الحياة وضعف الممات يعنى عذاب الدنيا وعذاب الآخرة وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول فى قوله اذا لأذقناك ضعف الحياة مختصر كقولك ضعف عذاب الحياة وضعف الممات فهما عذابان عذاب الممات به ضوعف عذاب الحياة وقوله ثم لا تجد لك علينا نصيرا يقول ثم لا تجد لك يا محمد إن نحن أذقناك لركونك الى هؤلاء المشركين لو ركنت اليهم عذاب الحياة وعذاب الممات علينا نصيرا ينصرك علينا ويمنعك من عذابنا وينقذك مما نالك منا من عقوبة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلافك الا قليلا﴾ يقول عز وجل وان كاد هؤلاء القوم ليستفزونك من الارض يقول ليستخفونك من الارض التى أنت بها ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلافك الا قليلا يقول ولو أخرجوك منها لم يلبثوا بعدك فيها الا قليلا حتى أهلكهم بعذاب عاجل واختلف أهل التأويل فى الذين كادوا أن يستفزوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوه من الأرض وفى الارض التى أرادوا أن يخرجوه منها فقال بعضهم الذين كادوا أن يستفزوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك اليهود والارض التى أرادوا أن يخرجوه منها المدينة ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر بن سليمن عن أبيه قال زعم حضرمى أنه بلغه أن بعض اليهود قال للنبى صلى الله عليه وسلم ان أرض الانبياء أرض

ماخلق الله العقل وأول ماخلق الله القلم وماقيل عن بعض السلف ان أول ماخلق الله على الاطلاق ملك كروبى فالاسماء مختلفة والمسمى واحد وهو روح النبى صلى الله عليه وسلم فباعتبار أنه كان درة صدف الموجودات سمى درة وجوهرة وباعتبار نورانيته سمى نورا وباعتبار وفور عقله سمى عقلا اذ قال له أقبل الى الدنيا رحمة للعالمين فأقبل ثم قال له أدبر أى ارجع الى ربك فأدبر عن الدنيا ورجع الى المعراج ثم قال له وعزتى وجلالى ماخلقت خلقا أحب الىّ منك بك أعرف وبك آخذ يعنى طاعة من أخذ منك الدين والشريعة وبك أعطى أى بشفاعتك أعطى الدرجات العالية وبك أعاقب الكافرين وبك أثيب المؤمنين وباعتبار جريان الامور على وفق متابعته والاقتداء به سمى قلما وباعتبار غلبات صفات الملائكة عليه سمى ملكا كروبيا ولان كل الارواح خلقت من روحه كان أم الارواح وروحها فلهذا قيل له أمى وقد ورد فى الحديث آدم ومن دونه تحت لوائى يوم القيامة ولما كان الروح خليفة الله تعالى اتصف بالازلية دون الابدية ولما كان الجسد خليفة الروح فبالروح قوامه وقيامه لم يكن الجسد أزليا ولا أبديا الا بتبعية الروح ثم أخبر عن عزة القرآن وغيرة الرحمن بقوله ولئن شئنا لنذهبن الآية وفيه أنه لا يقدر على الاتيان والذهاب به الا الله تعالى لكنه أكد هذا المعنى بقوله قل لئن اجتمعت الانس والجن والمراد بالجن كل ماهو مستور عن العيون فيتناول الملائكة أيضا وفيه أنه لامثل لصفاته حتى الكلام كما أنه لامثل لذاته والله تعالى أعلم بالصواب ﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتى بالله والملائكة قبيلا أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربى هل كنت

الشام وان هذه ليست بأرض الانبياء فأنزل الله وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها * وقال آخرون بل كان القوم الذين فعلوا ذلك قريشا والارض مكة ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلافك الا قليلا وقد هم أهل مكة باخراج النبى صلى الله عليه وسلم من مكة ولو فعلوا ذلك لما توطنوا ولكن الله كفهم عن اخراجه حتى أمره ولقلما مع ذلك لبثوا بعد خروج نبى الله صلى الله عليه وسلم من مكة حتى بعث الله عليهم القتل يوم بدر **حدثنى** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ليستفزونك من الارض قال قد فعلوا بعد ذلك فأهلكهم الله يوم بدر ولم يلبثوا بعده الا قليلا حتى أهلكهم الله يوم بدر وكذلك كانت سنة الله فى الرسل اذا فعل بهم قومهم مثل ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد خلافك الا قليلا قال لو أخرجت قريش محمدا العذبوا بذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * وأولى القولين فى ذلك عندى بالصواب قول قتادة ومجاهد وذلك أن قوله وان كادوا ليستفزونك من الارض فى سياق خبر الله عز وجل عن قريش وذكره اياهم ولم يجر لليهود قبل ذلك ذكر فيوجه قوله وان كادوا الى أنه خبر عنهم فهو بأن يكون خبرا عمن جرى له ذكر أولى من غيره وأما القليل الذى استثناه الله جل ذكره فى قوله وانك لا يلبثون خلفك الا قليلا فانه فيما قيل ما بين خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى أن قتل الله من قتل من مشركيهم ببدر ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله واذا لا يلبثون خلفك الا قليلا يعنى بالقليل يوم أخذهم ببدر فكان ذلك هو القليل الذى لبثوا بعد **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله واذا لا يلبثون خلفك الا قليلا كان القليل الذى لبثوا بعد خروج النبى صلى الله عليه وسلم من بين أظهرهم الى بدر فأخذهم بالعذاب يوم بدر وعنى بقوله خلافك بعدك كما قال الشاعر

عقب الرذاذ خلافها فكأنما * بسط الشواطب بينهن حصيرا

يعنى بقوله خلافها بعدها وقد حكى عن بعضهم أنه كان يقرؤها خلفك ومعنى ذلك ومعنى الخلاف فى هذا الموضع واحد ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا﴾ يقول تعالى ذكره لو أخرجوك لم يلبثوا خلافك الا قليلا ولأهلكناهم بعذاب من عندنا سنتنا فيمن قد أرسلنا قبلك من رسلنا فانا كذلك كنا نفعل بالامم اذا أخرجت رسلها من بين أظهرهم ونصبت السنة على الخروج من معنى قوله لا يلبثون خلافك الا قليلا لان معنى ذلك لعذبناهم بعد قليل كسنتنا فى أمم من أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا عما جرت به كذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا أى سنة الامم والرسل كانت قبلك كذلك اذا كذبوا رسلهم وأخرجوهم لم يناظروا أن الله أنزل عليهم عذابه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه

الاشرارسولا ومامنع الناس أن يؤمنوا اذجاءهم الهدى الا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم انه كان بعباده خبيرا بصيرا ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والارض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلا لاريب فيه فأبى الظالمون الا كفورا قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لأمسكتم خشية الانفاق وكان الانسان قتورا ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسأل بني اسرائيل اذ جاءهم فقال له فرعون اني لأظنك يا موسى مسحورا قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر وانى لأظنك يا فرعون مثبورا فأراد أن يستفزهم من الارض فأغرقناه ومن معه جميعا وقلنا من بعده لبني اسرائيل اسكنوا الارض فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أرسلناك الا مبشرا ونذيرا وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا قل آمنوا به أو لا تؤمنوا ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا ﴿ القراآت تفجر من الفجر يعقوب وعاصم وحمزة وعلي وخلف سوى المفضل وابن الغالب الآخرون من التفجير تكثير الفعل وان كان الفاعل والمفعول مفردا حتى تنزل بالتخفيف أبو عمرو ويعقوب الآخرون

عليه وسلم أقم الصلاة يا محمد لدلوك الشمس واختلف أهل التأويل في الوقت الذي عناه الله بدلوك الشمس فقال بعضهم هو وقت غروبها والصلاة التي أمر باقامتها حينئذ صلاة المغرب ذكر من قال ذلك حدثني واصل بن عبد الأعلى الأسدي قال ثنا ابن فضيل عن أبي اسحق يعني الشيباني عن عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه أنه كان مع عبد الله بن مسعود على سطح حين غربت الشمس فقرأ أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل حتى فرغ من الآية ثم قال والذي نفسي بيده ان هذا لحين دلكت الشمس وأفطر الصائم ووقت الصلاة حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبي عدي عن سعيد عن قتادة عن عقبة بن عبد الغافر أن أبا عبيدة بن عبد الله كتب اليه ان عبد الله بن مسعود كان اذا غربت الشمس صلى المغرب ويفطر عندها ان كان صائما ويقسم عليها عينا ما يقسمه على شئ من الصلوات بالله الذي لا اله الا هو إن هذه الساعة لميقات هذه الصلاة ويقرأ فيها تفسيرها من كتاب الله أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله قال هذا لدلوك الشمس وهذا غسق الليل وأشار الى المشرق والمغرب حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد قال قال ابن عباس دلوك الشمس غروبها يقول دلكت براح حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن أبي اسحق عن الأسود عن عبد الله أنه قال حين غربت الشمس دلكت براح يعني براح مكانا حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن منصور عن مجاهد عن ابن عباس قال دلوكها غروبها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال قد ذكر لنا أن ابن مسعود كان يصليها اذا وجبت وعندها يفطر اذا كان صائما ثم يقسم عليها قسما لا يقسمه على شئ من الصلوات بالله الذي لا اله الا هو إن هذه الساعة لميقات هذه الصلاة ثم يقرأ ويصليها وتصديقها من كتاب الله أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل قال كان أبي يقول دلوكها حين تزيد الشمس تغرب الى أن يغسق الليل قال هي المغرب حين يغسق الليل وتدلك الشمس للغروب حدثني سعيد بن الربيع قال ثنا سفيان بن عيينة سمع عمرو بن دينار أبا عبيدة بن عبد الله بن مسعود يقول كان عبد الله بن مسعود يصلي المغرب حين يغرب حاجب الشمس ويحلف أنه الوقت الذي قال الله أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم قال قال عبد الله حين غربت الشمس هذا والله الذي لا اله غيره وقت هذه الصلاة وقال دلوكها غروبها * وقال آخرون دلوك الشمس ميلها للزوال والصلاة التي أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم باقامتها عند دلوكها الظهر ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الأعمش عن عمارة ابن عمير عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله قال دلوكها ميلها يعني الشمس حدثني يعقوب ابن ابراهيم قال ثنا هشيم عن مغيرة عن الشعبي عن ابن عباس قال في قوله أقم الصلاة لدلوك الشمس قال دلوكها زوالها حدثني موسى بن عبد الرحمن قال ثنا أبو أسامة عن عبد الحميد ابن جعفر عن نافع عن ابن عمر في قوله أقم الصلاة لدلوك الشمس قال دلوكها ميلها حدثنا

بالتشديد كسفا بفتح السين أبو جعفر ونافع وعاصم وابن ذكوان الباقون بالاسكان قال سيحان بلفظ الماضي ابن كثير وابن عامر الباقون قل على الامر فهو المهتدى باثبات الياء في الحالين سهل ونافع وأبو عمرو في الوصل الباقون بحذف الياء ربي اذا بفتح الياء أبو جعفر ونافع وأبو عمرو خبت زدناهم بادغام التاء في الزاي أبو عمرو وحمزة وعلي وخلف وهشام وسهل لقد علمت بضم التاء على التكلم على الآخرون بالفتح على الخطاب قل ادعوا بكسر اللام الساكنين عاصم وحمزة وسهل ويعقوب وعباس الآخرون بضمها لاتباع أو ادعوا بكسر الواو عاصم وحمزة وسهل الباقون بالضم أيامًا حمزة ورويس يقفان على أيا ثم يبتدئان ما تدعوا ويسمى هذا الوقف وقف البيان الباقون على كلمة واحدة ۞ الوقوف ينبوعا ○ لا تفجيرا ○ لا قبيلا ○ لا في السماء ط لابتداء النفي بعد طول القصة وقيل الأصح الوصل لان قوله ولن نؤمن لرقيك من كلامهم نقرؤه ط رسولا ○ رسولا ○ وبينكم ط بصيرا ○ المهتد ج لعطف جملتي الشرط مع التضاد من دونه لا لأن الواو لا يحتمل الاستئناف وصما ○ جهنم ط سعيرا ○ جديدا ○ لاريب فيه ط لتناهي الاستفهام الى الاخبار كفورا ○ الانفاق ط قتورا ○ مسحورا ○ بصائر ط للابتداء بان مع اتحاد القائل مثبورا ○ جميعا ○ لا للعطف لفيفا ○ ط لانقطاع النظم والمعنى نزل ط لابتداء النفي ونذيرا ○ احترازا من ايهام العطف تنزيلا ○ أولا تؤمنوا ط سجدا ○ لا لمفعولا ○ خشوعا ○ الرحمن ط لتصدير الشرط الحسنى ج لانقطاع نظم الشرط الى النهي مع اتحاد المراد سبيلا ○ تكبيرا ○ ۞ التفسير ليس من شرط كون النبي صادقا تواتر المعجزات وتتالي الآيات لان فتح هذا الباب يوجب نقيض المقصود وهو أن لا تثبت نبوته أبدا ولكن المعجز الواحد يكفي في صدق النبي واقتراح الزيادة من جملة العناد فلا جرم لما بين الله سبحانه اعجاز القرآن حكى مقترحات المعاندين بيانا لتصميمهم على الكفر قال

ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين بن واقد عن سيار بن سلامة عن أبي برزة الأسلمي قوله أقم الصلاة لدلوك الشمس قال اذا زالت **حدثنا** ابن حميد مرة أخرى قال ثنا أبو تميلة قال ثنا الحسين بن واقد قال ثنا سيار بن سلامة الرياحي قال أتيت أبا برزة فسألته والدي عن مواقيت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الظهر اذا زالت الشمس ثم تلا أقم الصلاة لدلوك الشمس **حدثني** الحسين بن علي الصدائي قال ثنا أبي قال ثنا مبارك عن الحسن قال قال الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل قال الظهر دلوكها اذا زالت عن بطن السماء وكان لها في الارض في ء **حدثنا** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا يونس عن الحسن في قوله أقم الصلاة لدلوك الشمس قال دلوكها زوالها **حدثني** يعقوب قال ثنا هشيم عن جويبر عن الضحاك مثل ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن أشعث عن جعفر عن أبي جعفر في أقم الصلاة لدلوك الشمس قال لزوال الشمس **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الزهري عن ابن عباس قال دلوك الشمس زيغها بعد نصف النهار يعني الظل **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة دلوك الشمس قال حين تزيغ عن بطن السماء **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أقم الصلاة لدلوك الشمس أي اذا زالت الشمس عن بطن السماء لصلاة الظهر **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد لدلوك الشمس قال حين تزيغ **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال دلوك الشمس حين تزيغ * وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال عني بقوله أقم الصلاة لدلوك الشمس صلاة الظهر وذلك أن الدلوك في كلام العرب الميل يقال منه دلك فلان الى كذا اذا مال اليه ومنه الخبر الذي روي عن الحسن أن رجلا قال له أبدا لك الرجل امرأته يعني بذلك أيميل بها الى المباطلة بحقها ومنه قول الراجز

هذا مقام قدمي رباح * غدوة حتى دلكت براح

ويروى براح بفتح الباء فمن روى ذلك براح بكسر الباء فانه يعني أنه يضع الناظر كفه على حاجبه من شعاعها لينظر ما لقي من غبارها وهذا تفسير أهل الغريب أبي عبيدة والاصمعي وأبي عمرو الشيباني وغيرهم وقد ذكرت في الخبر الذي رويت عن عبد الله بن مسعود أنه قال حين غربت الشمس دلكت براح يعني براح مكانا ولست أدري هذا التفسير أعني قوله براح مكانا من كلام من هو ممن في الاسناد أو من كلام عبد الله فان يكن من كلام عبد الله فلا شك أنه كان أعلم بذلك من أهل الغريب الذين ذكرت قولهم وأن الصواب في ذلك قوله دون قولهم وان لم يكن من كلام عبد الله فان أهل العربية كانوا أعلم بذلك منه ولما قال أهل الغريب في ذلك شاهد من قول العجاج وهو قوله

والشمس كادت تكون دنفا * أدفعها بالراح كي أبرحلفا

فأخبر أنه يدفع شعاعها لينظر الى مغيبها براحه ومن روى ذلك بفتح الباء فانه جعله اسما للشمس وكسر الحاء لاخراجه اياه على تقدير قطام وحذام ورقاش فاذا كان معنى الدلوك في كلام العرب

ابن عباس ان رؤساء مكة أرسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم جلوس عند الكعبة فأتاهم فقالوا يا محمد ان أرض مكة ضيقة فسير جبالها لتتسع وفجر لنا فيها ينبوعا نزرع فيها فقال لا أقدر عليه فقال قائل منهم أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا فقال لا أقدر عليه فقيل له أو يكون لك بيت من زخرف أى من ذهب فنغنيك عنا فقال لا أقدر عليه فقيل له فاذا كنت لا تستطيع الخير فاستطع الشر فأسقط السماء كما زعمت علينا كسفا فقال عبد الله ابن أمية المخزومى وأمه عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا والذى يحلف به لا أومن بك حتى تتخذ سلما فتصعد عليه ونحن ننظر فتأتى بأربعة من الملائكة فيشهدون لك بالرسالة ثم بعد ذلك لا أدرى أومن بك أم لا فأنزل الله هذه الآيات ولنشرع فى تفسير اللغات فقوله ينبوعا أى عينا غزيرة من شأنها النبوع من غير انقطاع والياء زائدة كيعبوب من عب الماء وقوله (أو تكون لك جنة) معناه هب أنك لا تفجر الانهار لأجلنا ففجرها من أجلك وقوله (كما زعمت) اشارة الى قوله سبحانه ان نشأ نخسف بهم الارض أو نسقط عليهم كسفا من السماء أو اشارة الى ما مر فى السورة من قوله أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصبا أى اجعل السماء قطعا متفرقة كالحاصب وأسقطها علينا وقال عكرمة كما زعمت يا محمد أنك نبى فأسقط السماء علينا وقيل كما زعمت أن ربك ان شاء فعل قال فى الكشاف الكسف بسكون السين وفتحها جمع كسفة بالسكون كسدرة وسدر وسدر وقال أبو على الكسف بالسكون الشئ المقطوع كالطحن للمطحون واشتقاقه على ما قال أبو زيد من كسفت الثوب كسفا اذا قطعته وقال الزجاج من كسفت الشئ اذا غطيته كأنه قيل أو تسقطها طبقا علينا وهو نصب على الحال فى القراءتين ومعنى (قبيلا) كفيلا بما تدعى من صحة النبوة والمراد أو تأتى بالله قبيلا وبالملائكة قبيلا فاختصر أو المراد المقابل كالعشير بمعنى المعاشر وفيه دليل على غاية جهلهم حيث لم

هو الميل فلا شك أن الشمس اذا زالت عن كبد السماء فقد مالت للغروب وذلك وقت صلاة الظهر وبذلك ورد الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وان كان فى اسناد بعضه بعض النظر **حدثنا** أبو كريب قال ثنا خالد بن مخلد قال ثنى محمد بن جعفر قال ثنى يحيى بن سعيد قال ثنى أبو بكر بن عمرو بن حزم الانصارى عن أبى مسعود عقبة بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانى جبرئيل عليه السلام لدلوك الشمس حين زالت فصلى بى الظهر **حدثنا** ابن حميد قال ثنا أبو تميلة قال ثنا الحسين بن واقد قال ثنى سيار بن سلامة الرياحى قال قال أبو برزة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى الظهر اذا زالت الشمس ثم تلا أقم الصلاة لدلوك الشمس **حدثنا** ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا عمرو بن قيس عن ابن أبى ليلى عن رجل عن جابر بن عبد الله قال دعوت نبى الله صلى الله عليه وسلم ومن شاء من أصحابه فطعموا عندى ثم خرجوا حين زالت الشمس فخرج النبى صلى الله عليه وسلم فقال اخرج يا أبا بكر قد دلكت الشمس **حدثنى** محمد بن عثمن الرازى قال ثنا سهل بن بكار قال ثنا أبو عوانة عن الاسود بن قيس عن نبيح العنزى عن جابر بن عبد الله عن النبى صلى الله عليه وسلم نحو حديث ابن حميد فاذا كان صحيحا ما قلنا بالذى به استشهدنا فبين اذا أن معنى قوله جل ثناؤه أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل أن صلاة الظهر والعصر بحدودهما مما أوجب الله علينا فيهما لانهما الصلاتان اللتان فرضهما الله على نبيه من وقت دلوك الشمس الى غسق الليل وغسق الليل هو اقباله ودنوه بظلامه كما قال الشاعر

آب هذا الليل اذ غسقا

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم فى الصلاة التى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم باقامتها عنده فقال بعضهم الصلاة التى أمر باقامتها عنده صلاة المغرب ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل قال غسق الليل بدو الليل **حدثنى** يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبى رجاء قال سمعت عكرمة سئل عن هذه الآية أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل قال بدو الليل **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال غسق الليل غروب الشمس **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة غسق الليل صلاة المغرب **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة الى غسق الليل بدو الليل لصلاة المغرب وقد ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لا تزال طائفة من أمتى على الفطرة ما صلوا صلاة المغرب قبل أن تبدو النجوم **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله الى غسق الليل يعنى ظلام الليل **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد كان أبى يقول غسق الليل ظلمة الليل

وقال آخرون هى صلاة العصر ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن أشعث عن جعفر عن أبى جعفر الى غسق الليل قال صلاة العصر

وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال الصلاة التى أمر النبى صلى الله عليه وسلم باقامتها عند غسق الليل هى صلاة

يعلموا أنه تعالى لا يجوز عليه المقابلة والمعاينة نظير قولهم لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا وقال ابن عباس أراد فوجا بعد فوج وقال الليث كل جند من الجن والانس قبيل وقد مر في تفسير قوله انه يراكم هو وقبيله قوله (بيت من زخرف) قال مجاهد كالا تبنى ما الزخرف حتى رأينا في قراءة عبد الله أو يكون لك بيت من ذهب وقال الزجاج هو الزينة ولا شئ في تحسين البيت وتزيينه كالذهب (أو ترقى في السماء) أي في معارجها فحذف المضاف يقال رقى في السلم وفي الدرجة والمصدر رقى وأصله فعول كقعود (و) معنى (لن نؤمن لرقيك) لن نؤمن بك لاجل رقيك (حتى تنزل علينا كتابا) من السماء فيه تصديقك قال الرسول متعجبا من اقتراحاتهم أو تنزيها لله من تحكماتهم أو من قولهم أو تأتي بالله (سبحان ربي هل كنت) أي لست (الا بشرا رسولا) فان طلبتم هذه الاشياء أن آتي بها من تلقاء نفسي فالبشر لا يقدر على أمثال ذلك فكيف أقدر أنا عليها وان أردتم أن أطلب من الله اظهارها على يدي فالرسول اذا أتى بمعجز واحد وجب الاكتفاء به ولا ضرورة الى طلب الزيادة وأنا عبد مأمور ليس لي أن أتحكم على الله عالم ليس بضروري في الدعوة ثم حكى عنهم شبهة أخرى فقال (وما منع الناس أن يؤمنوا) أي الايمان بالقرآن وبنبوة محمد (اذ جاءهم الهدى) وهو الوحي المعجز الهادي الى طريق النجاة (الا أن قالوا) منكرين (أبعث الله بشرا رسولا) ثم أجاب عن شبهتهم بقوله (قل لو كان في الارض ملائكة يمشون) على الاقدام كما يمشي الانس (مطمئنين) ساكنين فيها (لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) لان الرسول لا بد أن يكون من جنس المرسل اليهم فكأنه اعتبر لتنزيل الرسول من جنس الملائكة أمرين أحدهما كون سكان الارض ملائكة والثاني كونهم ماشين على الاقدام غير قادرين على الطيران بأجنحتهم قرآن الى السماء اذ لو كانوا قادرين على ذلك لطاروا وسمعوا من أهلها ما يجب معرفته وسماعه فلا يكون في بعثة الملك اليهم فائدة وجوز في الكشاف

المغرب دون غيرها الان غسق الليل هو ما وصفنا من اقبال الليل وظلامه وذلك لا يكون الا بعد مغيب الشمس فأما صلاة العصر فانها مما تقام بين ابتداء دلوك الشمس الى غسق الليل لا عند غسق الليل وأما قوله وقرآن الفجر فان معناه وأقم قرآن الفجر أي ما تقرأ به في صلاة الفجر من القرآن والقرآن معطوف على الصلاة في قوله أقم الصلاة لدلوك الشمس وكان بعض نحويي البصرة يقول نصب قوله وقرآن الفجر على الاغراء كأنه قال وعليك قرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا يقول ان ما تقرأ به في صلاة الفجر من القرآن كان مشهودا يشهده فيما ذكر ملائكة الليل وملائكة النهار * وبالذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل وجاءت الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك **حدثني** عبيد بن أسباط بن محمد القرشي قال ثنى أبي عن الأعمش عن ابراهيم عن ابن مسعود عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآية وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا قال تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار **حدثنا** محمد بن سهل قال ثنا آدم قال ثنا ليث بن سعد **وحدثنا** محمد ابن سهل بن عسكر قال ثنا ابن أبي مريم قال ثنا الليث بن سعد عن زيادة بن محمد عن محمد بن كعب القرظي عن فضالة بن عبيد عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يفتح الذكر في ثلاث ساعات يبقين من الليل في الساعة الاولى منهن ينظر في الكتاب الذي لا ينظر فيه أحد غيره فيمحو ما يشاء ويثبت ثم ينزل في الساعة الثانية الى جنة عدن وهي داره التي لم ترها عين ولا تخطر على قلب بشر وهي مسكنه ولا يسكن معه من بني آدم غير ثلاثة النبيين والصديقين والشهداء ثم يقول طوبى لمن دخلك ثم ينزل في الساعة الثالثة الى السماء الدنيا بروحه وملائكته فتنتفض فيقول قومي بعوني ثم يطلع الى عباده فيقول من يستغفرني أغفر له من يسألني أعطه من يدعوني فأستجيب له حتى يطلع الفجر فذلك يقول وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا قال موسى في حديثه شهده الله وملائكة الليل وملائكة النهار وقال ابن عسكر في حديثه فيشهده الله وملائكة الليل وملائكة النهار **حدثنا** ابن بشار قال ثنا ابن أبي عدي عن سعيد عن قتادة عن عقبة بن عبد الغافر قال قال أبو عبيدة بن عبد الله كان عبد الله يحدث أن صلاة الفجر عندها يجتمع الحرسان من ملائكة الله ويقرأ هذه الآية وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا وقرآن الفجر صلاة الصبح كنا نحدث أن عندها يجتمع الحرسان من ملائكة الله حرس الليل وحرس النهار **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد ابن ثور عن معمر عن قتادة وقرآن الفجر صلاة الفجر وأما قوله كان مشهودا فانه يقول ملائكة الليل وملائكة النهار يشهدون تلك الصلاة **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن عبد الله أنه قال في هذه الآية وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا قال تنزل ملائكة النهار وتصعد ملائكة الليل **حدثني** أبو السائب قال ثنا ابن فضيل عن ضرار بن عبد الله بن أبي الهذيل عن أبي عبيدة في قوله وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا قال يشهده حرس الليل وحرس النهار من الملائكة في صلاة الفجر **حدثنا** أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن ابراهيم في قوله وقرآن الفجر إن

أن يكون قوله بشرا وملكا منصوبين على الحال من رسولا بل زعم أن المعنى له أجوب ولعل ذلك لان الانكار توجه الى كون الرسول متصفا بحالة البشرية لا الملكية واذا كان أحد الصنفين المتقابلين حالا لزم أن يكون الآخر كذلك ثم ختم الكلام بما يجرى مجرى التهديد قائلا (قل كفى بالله) الآية وذلك أن اظهار المعجزة على وفق دعوى النبي شهادة من الله تعالى له على الصدق فاذا لم تسمع هذه الشهادة وهو عليم ببواطن الامور وخفيات الضمائر فكيف بظواهرها علم أن هذا مجرد الحسد والعناد من العباد فيجزيهم على حسب ذلك ثم بين أن الاقرار والانكار مستندان الى مشيئته وتقديره فقال (ومن يهد الله) الآية وقدم رخلاف المتكلمين من الاشاعرة والمعتزلة في مثله في آخر الاعراف وغيره وقوله (فهو المهتد) حمل على اللفظ وقوله (فلن تجد) حمل على المعنى والخطاب في لن تجد اما للنبي أو لكل من يستحق الخطاب والاولياء الانصار والحشر على الوجوه آما بمعنى السحب عليها كقوله يوم يسحبون في النار على وجوههم واما بمعنى المشي عليها كما روى أنه صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال ان الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم وقيل لابن عباس قد أخبر الله تعالى عنهم بأنهم يرون وينطقون ويسمعون حيث قال ورأى المجرمون النار دعوا هنالك ثبورا سمعوا لها الجمع بين ذلك تغيظا وزفيرا فكيف وبين قوله عميا وبكما وصما فأجاب بأنهم لا يرون ما يسرهم ولا ينطقون بحجة تقبل منهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم وفي رواية عطاء أنهم عمى عن النظر الى ما جعله الله لاوليائه بكم عن مخاطبة الله ومخاطبة الملائكة المقربين صم عن ثناء الله على أوليائه وقال مقاتل هذه الاحوال بعد قوله تعالى لهم اخسؤا فيها ولا تكلمون أو بعد أن يحاسبوا فيذهب بهم الى النار وانما جعلوا مؤوفي الحواس جزاء على ما كانوا عليه في الدنيا من التعامي والتصامم عن الحق ومن عدم النطق به (كلما خبت) أي سكن لهبها خبت النار تخبو خبوا

قرآن الفجر كان مشهودا قال كانوا يقولون تجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر فشهد فيها جميعا ثم يصعد هؤلاء ويقيم هؤلاء **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا يعني صلاة الصبح **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وقرآن الفجر قال صلاة الصبح **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وقرآن الفجر صلاة الصبح إن قرآن الفجر كان مشهودا قال تجتمع في صلاة الفجر ملائكة الليل وملائكة النهار **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله وقرآن الفجر يعني صلاة الغداة **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد وقرآن الفجر قال صلاة الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا قال مشهودا من الملائكة فيما يذكرون قال وكان علي بن أبي طالب وأبي بن كعب يقولان الصلاة الوسطى التي حض الله عليها صلاة الصبح قال وذلك أن صلاة الظهر وصلاة العصر صلاتا النهار والمغرب والعشاء صلاتا الليل وهي بينهما وهي صلاة نوم ما نعلم صلاة يغفل عنها مثلها **حدثني** يعقوب قال ثنا ابن علية عن الجريري عن أبي الورد بن ثمامة عن أبي محمد الحضرمي قال ثنا كعب في هذا المسجد قال والذي نفس كعب بيده ان هذه الآية وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا انها لصلاة الفجر انها المشهودة **حدثني** الحسن بن علي بن عباس قال ثنا بشر بن شعيب قال أخبرني أبي عن الزهري قال ثني سعيد بن المسيب وأبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر ثم يقول أبو هريرة اقرؤا ان شئتم وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد في قوله وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا قال صلاة الفجر تجتمع فيها ملائكة الليل وملائكة النهار ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ومن الليل فاسهر بعد نومة يا محمد بالقرآن نافلة لك خالصة دون أمتك والتهجد التيقظ والسهر بعد نومة من الليل وأما الهجود نفسه فالنوم كما قال الشاعر

ألا طرقتنا والرفاق هجود * فباتت بعلات النوال تجود

(وقال الحطيئة)

ألا طرقت هند الهنود وصحبتي * بحوران حوران الجنود هجود

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا أبي وشعيب بن الليث عن الليث عن مجالد بن يزيد عن أبي هلال عن الأعرج أنه قال أخبرني حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن رجل من الانصار أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فقال لأنظرن كيف يصلي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استيقظ فرفع رأسه الى السماء فتلا أربع آيات من آخر سورة آل عمران ان

وأخباها غيرها أى أحدها (زدناهم سعيرا) قال ابن قتيبة أى تسعرا وهو التلهب ولا ريب أن خبو النار تخفيف لاهلها فكيف يجمع بينه وبين قوله لا يخفف عنهم العذاب وأجيب بأنه يحصل (٩٦) لهم فى الحال الاولى خوف حصول الحالة الثانية فيستمر العذاب أو يقال لما عظم العذاب صار التفاوت الحاصل فى الوقتين غير مشعور به ويحتمل أن يقال المراد بعدم التخفيف أنه لا يتخلل زمان محسوس أو معتد به بين الخبو والتسعر وقال فى الكشاف لانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جعل الله جزاءهم أن سلط النار على أجرامهم تأكلها وتفنيها ثم يعيدها وفيه زيادة فى تحسرهم وفى الانتقام منهم ومما يدل على هذا التفسير قوله (ذلك جزاؤهم) الآية ثم أبدى للجاحدين حجة يستبصر المذعن للحق اذا تأمل فقال (أولم يروا) الآية وذلك أن من قدر على خلق السموات والارض كان على اعادة من هو أدون منها أقدر وعلى هذا فالمراد من خلق مثلهم اعادتهم بعد الافناء كما يقول المتكلمون من أن الاعادة مثل الابتداء (١) ومن قال أراد أنه قادر على افنائهم وايجاد غيرهم بصورتهم ليوحدوه ويتركوا الاعتراض عليه كقوله ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد أى يبعثهم وحين بين أن البعث أمر ممكن فى نفسه ذكر أن لوقوعه وقتا معلوما عنده فقال وجعل لهم أى لبعثهم (أجلا لا ريب فيه) قال جار الله قوله وجعل معطوف على قوله أولم يروا والمعنى قد علموا بدليل العقل أنه قادر على خلق أمثالهم وجعل لهم وأقول يحتمل أن يكون الواو للاستئناف ووجه النظم كما مر لما طلبوا اجراء الانهار والعيون فى أراضيهم لتتسع معايشهم بين الله تعالى أنهم لو ملكوا خزائن رحمة الله وهى رزقه وسائر نعمه على خلقه التى لا نهاية لها لبقوا على بخلهم وشحهم فضلا أن يملكوا خزائن هن بصدد الفناء والنفاد قال النحويون كلمة لو لحقتها أن تدخل على الافعال دون الاسماء لانها حين تكون على معناها الاصلى تفيد انتفاء من

فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار حتى مر بالاربع ثم أهوى الى القرية فأخذ سواكا فاستن به ثم توضأ ثم صلى ثم نام ثم استيقظ فصنع كصنعه أول مرة ويزعمون أنه التهجد الذى أمره الله **حدثنى** محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر وعبد الرحمن قالا ثنا سعيد عن أبى اسحق عن محمد بن عبد الرحمن عن علقمة والاسود أنهما قالا التهجد بعد نومة **حدثنا** ابن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن عبد الرحمن بن الاسود قال التهجد بعد نومة **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا يحيى بن سعيد عن شعبة قال ثنى أبو اسحق عن محمد بن عبد الرحمن بن يزيد عن علقمة والاسود بمثله **حدثنى** الحرث قال ثنا القاسم قال ثنا هشيم عن الاعمش عن ابراهيم عن علقمة قال التهجد بعد النوم **حدثنى** الحرث قال ثنا القاسم قال ثنا يزيد عن هشام عن الحسن قال التهجد ما كان بعد العشاء الآخرة **حدثت** عن عبد الله بن صالح عن الليث عن جعفر بن ربيعة عن الاعرج عن كثير بن العباس عن الحجاج بن عمرو قال انما التهجد بعد رقدة وأما قوله نافلة لك فانه يقول نفلا لك عن فرائضك التى فرضتها عليك واختلف فى المعنى الذى من أجله خص بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مع كون صلاة كل مصل بعد هجوده اذا كان قبل هجوده قد كان أدى فرائضه نافلة نفلا اذ كانت غير واجبة عليه فقال بعضهم معنى خصوصه بذلك هو أنها كانت فريضة عليه وهى لغيره تطوع وقيل له أنها نافلة لك أى فضلا لك من الفرائض التى فرضتها عليك مما فرضت على غيرك ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ومن الليل فتهجد به نافلة لك يعنى بالنافلة أنها للنبى صلى الله عليه وسلم خاصة أمر بقيام الليل وكتب عليه * وقال آخرون بل قيل ذلك له عليه السلام لانه لم يكن فعله ذلك يكفر عنه شيأ من الذنوب لان الله تعالى كان قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكان له نافلة فضل فأما غيره فهو له كفارة وليس هو له نافلة ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عبد الله بن كثير عن مجاهد قال النافلة للنبى صلى الله عليه وسلم خاصة من أجل أنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فما عمل من عمل سوى المكتوبة فهو نافلة له من أجل أنه لا يعمل ذلك فى كفارة الذنوب فهى نوافل وزيادة والناس يعملون ما سوى المكتوبة لذنوبهم فى كفارتها فليست للناس نوافل * وأولى القولين بالصواب فى ذلك القول الذى ذكرنا عن ابن عباس وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الله تعالى قد خصه بما فرض عليه من قيام الليل دون سائر أمته فأما ما ذكر عن مجاهد فى ذلك فقول لا معنى له لان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر عنه أكثر ما كان استغفار الذنوب بعد نزول قول الله عز وجل عليه ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وذلك أن هذه السورة أنزلت عليه بعد منصرفه من الحديبية وأنزل عليه اذا جاء نصر الله والفتح عام قبض وقيل له فيها فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا فكان بعد ذلك صلى الله عليه وسلم فى المجلس الواحد استغفار مائة مرة ومعلوم أن الله لم يأمره أن يستغفر الا لما يغفر له باستغفاره ذلك فبين اذا وجه فساد ما قاله مجاهد **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن الاعمش عن شمر عن عطية عن شهر عن أبى أمامة قال انما كانت النافلة للنبى صلى الله عليه وسلم خاصة **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة نافلة لك قال تطوعا وفضيلة لك وقوله عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا وعسى من الله واجبة وانما وجه قول أهل العلم عسى

(١) لعله ومنهم من قال أراد الخ وبمراجعة الفخر تعلم ما أوجده الاختصار فتنبه كتبه مصححه

من الله واجبة لعلم المؤمنين أن الله لا يدع أن يفعل بعباده ما أطمعهم فيه من الجزاء على أعمالهم والعوض على طاعتهم اياه ليس من صفته الغرور ولا شك أنه قد أطمع من قال ذلك له فى نفعه اذا هو تعاهده ولزمه فان لزم المقول له ذلك وتعاهده ثم لم ينفعه ولا سبب يحول بينه وبين نفعه اياه مع الاطماع الذى تقدم منه لصاحبه على تعاهده اياه ولزومه فانه لصاحبه غار بما كان من اخلافه اياه فيما كان أطمعه فيه بقوله الذى قال له واذ كان ذلك كذلك وكان غير جائز أن يكون جل ثناؤه من صفته الغرور لعباده صح ووجب أن كل ما أطمعهم فيه من طمع على طاعته أو على فعل من الافعال أو أمر أو نهى أمرهم به أو نهاهم عنه فانه موف لهم به وانه منه كالعدة التى لا يخلف الوفاء بها قالوا عسى ولعل من الله واجبة وتأويل الكلام أقم الصلاة المفروضة يا محمد فى هذه الاوقات التى أمرتك باقامتها فيها ومن الليل فتهجد فرضا فرضته عليك لعل ربك أن يبعثك يوم القيامة مقاما تقوم فيه محمودا تحمده وتغبط فيه ثم اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك المقام المحمود فقال أكثر أهل العلم ذلك هو المقام الذى هو يقومه صلى الله عليه وسلم يوم القيامة للشفاعة للناس ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن صلة بن زفر عن حذيفة قال يجمع الناس فى صعيد واحد فيسمعهم الداعى وينفذهم البصر حفاة عراة كما خلقوا قياما لا تكلم نفس الا باذنه ينادى يا محمد فيقول لبيك وسعديك والخير فى يديك والشر ليس اليك والمهدى من هديت عبدك بين يديك وبك واليك لا ملجأ ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت فهذا المقام المحمود الذى ذكره الله تعالى **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى اسحق عن صلة بن زفر عن حذيفة قال يجمع الناس فى صعيد واحد فلا تكلم نفس فأول ما يدعو محمدا النبى صلى الله عليه وسلم فيقول محمد النبى صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك ثم ذكر مثله **حدثنا** سليمان بن عمرو بن خالد الرقى قال ثنا عيسى بن يونس عن رشدين بن كريب عن أبيه عن ابن عباس قوله عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا قال المقام المحمود مقام الشفاعة **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن سلمة بن كهيل قال ثنا أبو الزعراء عن عبد الله فى قصة ذكرها قال ثم يؤمر بالصراط فيضرب على جسر جهنم فيمر الناس بقدر أعمالهم عنقا أولهم كالبرق وكمر الريح وكمر الطير وكأسرع البهائم ثم كذلك حتى يمر الرجل سعيا ثم مشيا حتى يجىء آخرهم يتلبط على بطنه فيقول رب لما أبطأت بى فيقول انى لم أبطئ بك انما أبطأ بك عملك قال ثم بأذن الله فى الشفاعة فيكون أول شافع يوم القيامة جبرئيل عليه السلام روح القدس ثم ابراهيم خليل الرحمن ثم موسى أو عيسى قال أبو الزعراء لا أدرى أيهما قال قال ثم يقوم نبيكم عليه الصلاة والسلام رابعا فلا يشفع أحد بعده فيما يشفع فيه وهو المقام المحمود الذى ذكر الله عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا ابن أبى عدى عن عوف عن الحسن فى قول الله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا قال المقام المحمود مقام الشفاعة يوم القيامة **حدثنا** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تعالى مقاما محمودا قال شفاعة محمد يوم القيامة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج

الشئ لانتفاء غيره والاسم يدل على الذوات والفعل هو الذى يدل على الآثار والاحوال لا الذوات وأيضا انها ههنا بمعنى ان الشرطية وهى مختصة بالفعل فلا بد من تقدير فعل بعدها فأصل الكلام لو تملكون تملكون مرتين فأضمرت لك اضمارا على شريطة التفسير فصار الضمير المتصل منفصلا لسقوط ما كان يتصل هو به فأنتم فاعل الفعل المضمر وتملكون تفسيره وقال علماء البيان فائدة هذا التصرف الدال على الاختصاص أنهم هم المختصون بالشح المتبالغ وذلك لان الفعل الاول لما سقط لاجل المفسر برز الكلام فى صورة المبتدا والخبر من حيث انه لا يقصد الفعل بل الفاعل كما فى قول حاتم لوذات سوار لطمتنى لا يقصد اللطمة بل اللاطمة أى لو حرة لطمتنى وقوله (خشية الانفاق) أى خوف الفقر من أنفق ماله اذا ذهب وأمسكتم متروك المفعول معناه لبخلتم (وكان الانسان قتورا) أى بخيلا شحيحا والقتر والاقتار والتقتير التقصير فى الانفاق وهذا الخبر لا ينافى ما قد يوجد فى الانسان من هو كريم جواد لان اللام للجنس أى هذا الجنس من شأنه الشح اذا كان باقيا على طبعه لانه خلق محتاجا الى ضرورات المسكن والملبس والمطعوم والمنكوح ولا بد له فى تحصيل هذه الاشياء من المال فبه تندفع حاجاته وتتم الامور المتوقفة على التعاون فلا جرم يحب المال ويمسكه لأيام الضرورة والفاقة ومن الناس من يحب المال محبة ذاتية لا عرضية فاذا الاصل فى الانسان هو البخل والجود منه انما هو أمر تكلفى أو عرضى طلبا للثناء أو الثواب وقيل المراد بهذا الانسان المعهود السابق ممن قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا بين الله تعالى أنهم لو ملكوا خزائن الارض لبخلوا بها ثم قال (ولقد آتينا موسى تسع آيات) فكأنه أراد انا آتيناه معجزات مساوية لهذه الامور التى اقترحتموها بل أقوى منها وأعظم فليس عدم الاستجابة الى ما طلبتموه من البخل ولكن لعدم المصلحة

أو لعدم استتباع الغاية لعلمنا باصرارهم والختم على قلوبهم عن ابن عباس أن الآيات التسع هن العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والحجر والبحر والطور الذى نتقه على بنى اسرائيل وعن الحسن الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الحجر والبحر والطور وعن عمر بن عبد العزيز أنه سأل محمد ابن كعب عنهن فذكر من جملتها حل عقدة اللسان والطمس على أموالهم فقال له عمر لا يكون الفقيه الا هكذا أخرج يا غلام الجراب فأخرجه فنفضه فاذا بيض مكسور بنصفين وجوز مكسور وفوم وحمص وعدس كلها حجارة وعن صفوان بن عسال أن بعض اليهود سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال أوحى الله الى موسى أن قل لبنى اسرائيل لا تشركوا بالله شيأ ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تفشوا سحر أحد الى ذى سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وأنتم يا يهود خاصة لا تعدوا فى السبت فقام اليهوديان فقبلا يديه ورجليه وقالا انك نبى ولولا أنا نخاف القتل لاتبعناك قال الامام فخر الدين الرازى هو أجود ما قيل فى الآيات التسع وأقول عد الاحكام من الآيات البينات فيه بعد اللهم الا أن يقال النهى عن مساوى الاخلاق والعادات من جملة علامات النبوة قال بعض العلماء أجابهم النبى صلى الله عليه وسلم بتسع وزاد واحدة تختص بهم وروى أبو داود هذا الحديث ولم يذكر ولا تقذفوا محصنة وشك شعبة فى أنه صلى الله عليه وسلم قال ولا تقذفوا محصنة أو قال ولا تولوا الفرار وقيل انه كان لموسى آيات أخر كانزال المن والسلوى عليه وعلى قومه وكالآيات التى عدها بعضهم من التسع وتركها بعضهم الا أن تخصيص العدد بالذكر لا يقدح فى الزيادة عليه هكذا قال الأصوليون ولكن الذوق يأبى أن لا يكون للتخصيص فائدة والذى يدور فى خلدى أن سبب التخصيص هو أن مرجع جميع معجزاته الى تسع أنواع كالسنين ونقص

عن مجاهد مثله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو معاوية عن عاصم الأحول عن أبى عثمان عن سلمان قال هو الشفاعة يشفعه الله فى أمته فهو المقام المحمود **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا وقد ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم خير بين أن يكون نبيا عبدا أو ملكا نبيا فأومأ اليه جبرئيل عليه السلام أن تواضع فاختار نبى الله أن يكون عبدا نبيا فأعطى به نبى الله ثنتين انه أول من تنشق عنه الارض وأول شافع وكان أهل العلم يرون أنه المقام المحمود الذى قال الله تبارك وتعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا شفاعة يوم القيامة **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد ابن ثور عن معمر عن قتادة مقاما محمودا قال هى الشفاعة يشفعه الله فى أمته **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر والثورى عن أبى اسحق عن صلة بن زفر قال سمعت حذيفة يقول فى قوله عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا قال يجمع الله الناس فى صعيد واحد حيث يسمعهم الداعى فينفذهم البصر حفاة عراة كما خلقوا سكوتا لا تكلم نفس الا باذنه قال فينادى محمد فيقول لبيك وسعديك والخير فى يديك والشر ليس اليك والمهدى من هديت وعبدك بين يديك ولك واليك لا ملجأ ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت قال فذلك المقام المحمود الذى ذكر الله عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا **حدثنا** محمد ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن أبى اسحق عن صلة بن زفر قال حذيفة يجمع الله الناس فى صعيد واحد حيث ينفذهم البصر ويسمعهم الداعى حفاة عراة كما خلقوا أول مرة ثم يقوم النبى صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك ثم ذكر نحوه الا أنه قال هو المقام المحمود * وقال آخرون بل ذلك المقام المحمود الذى وعد الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يبعثه اياه هو أن يقاعده معه على عرشه ذكر من قال ذلك **حدثنا** عباد بن يعقوب الأسدى قال ثنا ابن فضيل عن ليث عن مجاهد فى قوله عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا قال يجلسه معه على عرشه * وأولى القولين فى ذلك بالصواب ما صح به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ما **حدثنا** به أبو كريب قال ثنا وكيع عن داود بن يزيد عن أبيه عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا قال هى الشفاعة **حدثنا** على بن حرب قال ثنا مكى بن ابراهيم قال ثنا داود بن يزيد الاودى عن أبيه عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا قال هو المقام الذى أشفع فيه لأمتى **حدثنا** أبو عتبة الحمصى أحمد بن الفرج قال ثنا بقية بن الوليد عن الزبيدى عن الزهرى عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن كعب بن مالك أن النبى صلى الله عليه وسلم قال يحشر الناس يوم القيامة فأكون أنا وأمتى على تل فيكسونى ربى حلة خضراء ثم يؤذن لى فأقول ما شاء الله أن أقول فذلك المقام المحمود **حدثنى** محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا شعيب بن الليث قال ثنى الليث عن عبيد الله بن أبى جعفر أنه قال سمعت حمزة بن عبد الله بن عمر يقول سمعت عبد الله بن عمر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشمس لتدنو حتى يبلغ العرق نصف الاذن فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم عليه السلام فيقول لست صاحب ذلك ثم موسى عليه السلام فيقول كذلك ثم بمحمد فيشفع بين الخلق فيمشى حتى يأخذ بحلقة الجنة فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا **حدثنى** أبو زيد عمر بن شبة قال ثنا موسى

ابن اسمعيل قال ثنا سعيد بن زيد عن علي بن الحكم قال ثني عثمان عن ابراهيم عن الاسود وعلقمة عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لأقوم المقام المحمود فقال رجل يارسول الله وماذلك المقام المحمود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك اذا جيء بكم حفاة عراة غرلا فيكون أول من يكسى ابراهيم عليه السلام فيؤتى بريطتين بيضاوين فيلبسهما ثم يقعد مستقبل العرش ثم أوتى بكسوتي فألبسها فاقوم عن يمينه مقاما لا يقومه غيري يغبطني فيه الاولون والآخرون ثم يفتح نهر من الكوثر الى الحوض **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الزهري عن علي بن الحسين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة مد الله الارض مد الأديم حتى لا يكون لبشر من الناس الا موضع قدميه قال النبي صلى الله عليه وسلم فأكون أول من يدعى وجبرئيل عن يمين الرحمن والله ما رآه قبلها فأقول أي رب ان هذا أخبرني أنك أرسلته الي فيقول الله عز وجل صدق ثم أشفع قال فهو المقام المحمود **حدثنا** الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري عن علي بن الحسين قال قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة فذكر نحوه وزاد فيه ثم أشفع فأقول يارب عبادك عبدوك في أطراف الارض وهو المقام المحمود **حدثنا** ابن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا ابراهيم ابن طهمان عن آدم عن علي قال سمعت ابن عمر يقول ان الناس يحشرون يوم القيامة فيجيء مع كل نبي أمته ثم يجيء رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر الامم هو وأمته فيرقى هو وأمته على كوم فوق الناس فيقول يافلان اشفع ويافلان اشفع ويافلان اشفع فما زال يردها بعضهم على بعض(١) يرجع ذلك اليه وهو المقام المحمود الذي وعده الله اياه **حدثنا** محمد بن عوف قال ثنا حيوة وربيع قالا ثنا محمد بن حرب عن الزبيدي عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن كعب بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يحشر الناس يوم القيامة فأكون أنا وأمتي على تل فيكسوني ربي عز وجل حلة خضراء ثم يؤذن لي فأقول ماشاء الله أن أقول فذلك المقام المحمود وهذا وان كان هو الصحيح من القول في تأويل قوله عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا الذي ذكرنا من الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين فان ماقاله مجاهد من أن الله يقعد محمدا صلى الله عليه وسلم على عرشه قول غير مدفوع صحته لان من جهة خبر ولا نظر وذلك لانه لا خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من أصحابه ولا عن التابعين بإحالة ذلك فأما من جهة النظر فان جميع من ينتحل الاسلام انما اختلفوا في معنى ذلك على أوجه ثلاثة فقالت فرقة منهم الله عز وجل بائن من خلقه كان قبل خلقه الاشياء ثم خلق الاشياء فلم يماسها وهو كما لم يزل غير أن الاشياء التي خلقها اذ لم يكن هو لها مماسا وجب أن يكون لها مباينا اذ لا فعال للاشياء الا وهو مماس للاجسام أو مباين لها قالوا فاذ كان ذلك كذلك وكان الله عز وجل فاعل الاشياء ولم يجز في قولهم انه يوصف بأنه مماس للاشياء وجب بزعمهم أنه لها مباين فعلى مذهب هؤلاء سواء أقعد محمدا صلى الله عليه وسلم على عرشه أو على الارض اذ كان من قولهم ان بينونته من عرشه وبينونته من أرضه بمعنى واحد في أنه بائن منهما كليهما غير مماس لواحد منهما وقالت فرقة أخرى كان الله تعالى ذكره قبل خلقه الاشياء لا شيء يماسه ولا شيء يباينه ثم خلق الاشياء فأقامها بقدرته وهو كما لم يزل قبل خلقه الاشياء لا شيء يماسه ولا شيء يباينه فعلى قول هؤلاء أيضا سواء أقعد محمدا

(١) لعله حتى يرجع وحرر كتبه مصححه

الثمرات مثلا فانهما نوع واحد وهو القحط وقد يعسر ابداء ما به الاشتراك ولكن لا بد عندي من اعتقاد الانحصار في التسع لاجل خبر الصادق أما قوله (فاسئل بني اسرائيل) فالخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم والسؤال سؤال استشهاد لمزيد الطمأنينة والايقان لان الأدلة اذا تظاهرت كان ذلك أقوى وأثبت والمسؤلون مؤمنو بني اسرائيل كعبد الله بن سلام وأصحابه وقوله (اذ جاءهم) يتعلق بآتينا أو بمنتصب باضمار اذكر أو هو للتعليل والمراد فاسألهم يخبروك لانه جاءهم أي جاء آباءهم ويحتمل أن يكون الخطاب لموسى بتقدير القول أي فقلنا له حين جاءهم سل بني اسرائيل أي سلهم من فرعون وقل له أرسل معي بني اسرائيل أو سلهم عن ايمانهم وعن حال دينهم أو سلهم عن أن يعاضدوك ويساعدوك في الامور والمسحور الذي سحر فخولط عقله وقيل هو بمعنى الساحر كالمشؤم والميمون قاله الفراء وعن محمد بن جرير الطبري أن معناه أعطي علم السحر من قرأ علمت بضم التاء فظاهر لان موسى كان عالما بصحة الامر وأن هذه الآيات منزلها رب السموات والارض فأراد اني لا أشك في أمري بسبب تشكك مكذب مثلك ومن قرأ بفتحها فالمراد تبين أن كفر فرعون كفر جحود وعناد كقوله وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا وقوله للآيات هؤلاء كقوله * والعيش بعد أولئك الايام *

ومعنى (بصائر) بينات مكشوفات وانتصابها على الحال كأنه أشار بقوله ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والارض الى أنها أفعال خارقة للعادة وبقوله بصائر الى أن فاعله انما فعله لغرض تصديق المدعي فتم حد المعجز بمجموع القيدين ثم قارع موسى ظن فرعون بظنه فقال (اني لاظنك يافرعون مثبورا) قال الفراء أي ملعونا محبوسا عن الخير من قولهم ما ثبرك عن هذا أي ما منعك وصرفك وقال مجاهد وقتادة أي هالكا من الثبور الهلاك ولا ريب أن ظن موسى أصح من ظنه لان انكار ما علم صحته يستعقب لا محالة ويلا وثبورا وحسرة

وندامة ولهذا قال (فأراد) أى فرعون (أن يستفزهم من الارض) أى يستخف موسى وقومه من بسيط الارض أو من أرض مصر بالقتل والاستئصال أو بالنفى والاخراج والحاصل (١٠٠) أن فرعون عورض بنقيض المقصود فأغرق هو وقومه وأسكن بنو اسرائيل مكانه

تحقيقا لقوله ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله ثم أخبر عن المعاد قائلا (فاذا جاء وعد الآخرة) وهو قيام الساعة (جئنا بكم) يعنى معشر المكلفين كلهم (لفيفا) جماعات من قبائل شتى ذوى أديان ومذاهب مختلفة وذلك لأجل الحكم والجزاء والفصل والقضاء ولما بين اعجاز القرآن وأجاب عن شبهات القوم أراد أن يعظم شأن القرآن ويذكر جلالة قدره فقال (وبالحق أنزلناه) التقديم للتخصيص أى ما أردنا بانزاله الا تقرير الحق فى مركزه وتمكين الصواب فى نصابه قال جار الله أى ما أنزلنا القرآن الا بالحكمة المقتضية لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحكمة لاشتماله على الهداية الى كل خير أو وما أنزلناه من السماء الا بالحق محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين * وقال آخرون الحق هو الثابت كما أن الباطل هو الزاهق ولا ريب أن هذا الكتاب الكريم يشتمل على دلائل التوحيد وصفات الجلال والاكرام وعلى تعظيم الملائكة واقرار النبوات واثبات المعاد وعلى أصول الاديان والملل التى لا يتطرق اليها النسخ والتبديل وكل هذه الأمور تدل على المعنى المذكور لانها مما تبقى ببقاء الدهور قال أبو على الفارسى الباء فى الموضعين بمعنى مع كما فى قولك خرج بسلاحه أى أنزل القرآن مع الحق ونزل هو مع الحق ويحتمل أن تكون الباء الثانية بمعنى على كما فى قولك نزلت بزيد فيكون الحق عبارة عن محمد صلى الله عليه وسلم لان القرآن نزل به أى عليه (وما أرسلناك الا مبشرا) بالجنة (ونذيرا) من النار فهو ليس اليك وراء هذين شئ من اكراههم على الدين والاتيان بشئ مما اقترحوه ثم ان القوم كأنهم من تعنتهم طعنوا فى القرآن من جهة أنه لم

صلى الله عليه وسلم على عرشه أو على أرضه اذ كان سواء على قولهم عرشه وأرضه فى أنه لا يماس ولا مباين لهذا كما أنه لا يماس ولا مباين لهذه وقالت فرقة أخرى كان الله عز ذكره قبل خلقه الاشياء لا شئ يماسه ولا شئ يباينه ثم أحدث الاشياء وخلقها فخلق لنفسه عرشا استوى عليه جالسا وصار له مماسا كما أنه قد كان قبل خلقه الاشياء لا شئ يرزقه رزقا ولا شئ يحرمه ذلك ثم خلق الاشياء فرزق هذا وحرم هذا وأعطى هذا ومنع هذا قالوا فكذلك كان قبل خلقه الاشياء لا شئ يماسه ولا يباينه وخلق الاشياء فماس العرش بجلوسه عليه دون سائر خلقه فهو مماس ما شاء من خلقه ومباين ما شاء منه فعلى مذهب هؤلاء أيضا سواء أقعد محمدا على عرشه أو أقعده على منبر من نور اذ كان من قولهم ان جلوس الرب على عرشه ليس بجلوس يشغل جميع العرش ولا فى اقعاد محمد صلى الله عليه وسلم موجبا له صفة الربوبية ولا مخرجه من صفة العبودية لربه كما أن مباينة محمد صلى الله عليه وسلم ما كان مباينا له من الاشياء غير موجبة له صفة الربوبية ولا مخرجته من صفة العبودية لربه من أجل أنه موصوف بأنه له مباين كما أن الله عز وجل موصوف على قول قائل هذه المقالة بأنه مباين لها هو مباين له قالوا فاذا كان معنى مباين ومباين لا يوجب لمحمد صلى الله عليه وسلم الخروج من صفة العبودة والدخول فى معنى الربوبية فكذلك لا يوجب له ذلك قعوده على عرش الرحمن فقد تبين اذا بما قلنا أنه غير محال فى قول أحد ممن ينتحل الاسلام ما قاله مجاهد من أن الله تبارك وتعالى يقعد محمدا على عرشه فان قال قائل فانا لا ننكر اقعاد الله محمدا على عرشه (١) وانما ننكر اقعاده

حدثنى عباس بن عبد العظيم قال ثنا يحيى بن كثير عن الجريرى عن سيف السدوسى عن عبد الله بن سلام قال ان محمدا صلى الله عليه وسلم يوم القيامة على كرسى الرب بين يدى الرب تبارك وتعالى وانما ينكر اقعاده اياه معه قيل أفجائز عندك أن يقعده عليه لا معه فان أجاز ذلك صار الى الاقرار بأنه اما معه أو الى أنه يقعده والله للعرش مباين أو لا مماس ولا مباين وبأى ذلك قال كان منه دخولا فى بعض ما كان ينكره وان قال ذلك غير جائز كان منه خروجا من قول جميع الفرق التى حكينا قولهم وذلك فراق لقول جميع من ينتحل الاسلام اذ كان لا قول فى ذلك الا الاقوال الثلاثة التى حكيناها وغير محال فى قول منها ما قال مجاهد فى ذلك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه وقل يا محمد يا رب أدخلنى مدخل صدق واختلف أهل التأويل فى معنى مدخل الصدق الذى أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يرغب اليه فى أن يدخله اياه وفى مخرج الصدق الذى أمره أن يرغب اليه فى أن يخرجه اياه فقال بعضهم عنى بمدخل الصدق مدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة حين هاجر اليها ومخرج الصدق مخرجه من مكة حين خرج منها مهاجرا الى المدينة ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع وابن حميد قالا ثنا جرير عن قابوس بن أبى ظبيان عن أبيه عن ابن عباس قال كان النبى صلى الله عليه وسلم بمكة ثم أمر بالهجرة فأنزل الله تبارك وتعالى اسمه وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا **حدثنا** محمد بن عبد الله بن بزيع قال ثنا بشر بن المفضل عن عوف عن الحسن فى قول الله أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق قال كفار أهل مكة لما ائتمروا برسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتلوه أو يطردوه أو يوثقوه وأراد الله قتال أهل مكة فأمره أن يخرج الى المدينة

(١) لعل هذه الجملة زائدة من قلم الناسخ وستأتى فى محلها بعد سطرين فتأمل كتبه مصححه

نزل دفعة واحدة فأجاب عن شبهتهم بقوله (وقرآنا) هو منصوب بفعل يفسره (فرقناه) أى جعلنا نزوله مفرقا نجما وعن ابن عباس أنه قرأه مشددا وقال انه لم ينزل فى يومين أو ثلاثة بل كان بين أوله وآخره عشرون سنة يعنى أن فرق بالتخفيف يدل على فصل متقارب وقال أبو عبيدة التخفيف أعجب الىّ لأن تفسيره بيناه وليس التشديد معنى الا أنه نزل متفرقا فالفرق يتضمن التبيين ويؤكده ما رواه ثعلب عن ابن الاعرابى أنه قال فرقت أفرق بين الكلام وفرقت بين الاجسام وأقول ان ابن عباس اعتبر الفصل بين أول نزوله وبين آخره فرأى التشديد أولى ولعل المراد الفصول المتقاربة التى فيما بين المدة بدليل قوله (لتقرأه على الناس على مكث) بضم الميم أى على مهل وتؤدة ولقوله ونزلناه تنزيلا) أى على حسب المصالح والحوادث ثم خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يقول للمقترحين (آمنوا به أو لا تؤمنوا) وهو أمر وعيد وتهديد وخذلان قال جار الله قوله (ان الذين أوتوا العلم من قبله) اما أن يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية كأنه قيل تسل عن ايمان الجهلة بايمان العلماء الذين قرؤا الكتب من قبل نزول القرآن قال مجاهد هم أناس من أهل الكتاب حين سمعوا ما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم خروا سجدوا منهم زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعبد الله بن سلام وفى قوله (يخرون للاذقان سجدا) دون أن يقول يسجدون مبالغة من وجهين أحدهما أنه قيد الخرور وهو السقوط بالذقن فقال الزجاج لأن الذقن مجتمع اللحيين وكما يبتدئ الانسان بالخرور للسجود فأول ما يحاذى به الأرض من وجهه الذقن قلت هذا تصحيح للمعنى ولا يظهر منه لتغيير العبارة فائدة وقال غيره المراد تعفير اللحية فى التراب فان ذلك غاية الخضوع وان الانسان اذا استولى عليه خوف الله تعالى فربما سقط على الارض مغشيا عليه وثانيهما أنه لم يقل يخرون على الاذقان كما هو ظاهر وانما قال للاذقان لان اللام للاختصاص فكأنهم خصوا أذقانهم بالخرور أو خصوا الخرور بأذقانهم ثم حكى أنهم فى سجودهم أنهم يراعون شرائط التنزيه

فهو الذى قال الله أدخلنى مدخل صدق **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة مدخل صدق قال المدينة ومخرج صدق قال مكة **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق أخرجه الله من مكة الى الهجرة بالمدينة **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق قال المدينة حين هاجر اليها ومخرج صدق مكة حين خرج منها مخرج صدق قال ذلك حين خرج مهاجرا * وقال آخرون بل معنى ذلك وقل رب أمتنى اماتة صدق وأخرجنى بعد الممات من قبرى يوم القيامة مخرج صدق ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وقل رب أدخلنى مدخل صدق الآية قال يعنى بالادخال الموت والاخراج الحياة بعد الممات * وقال آخرون بل عنى بذلك أدخلنى فى أمرك الذى أرسلتنى به من النبوة مدخل صدق وأخرجنى منه مخرج صدق ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أدخلنى مدخل صدق قال فيما أرسلتنى به من أمرك وأخرجنى مخرج صدق قال كذلك أيضا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه * وقال آخرون بل معنى ذلك أدخلنى مدخل صدق الجنة وأخرجنى مخرج صدق من مكة الى المدينة ذكر من قال ذلك **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال قال الحسن أدخلنى مدخل صدق الجنة ومخرج صدق من مكة الى المدينة * وقال آخرون بل معنى ذلك أدخلنى فى الاسلام مدخل صدق ذكر من قال ذلك **حدثنا** سهل بن موسى الرازى قال ثنا ابن نمير عن اسمعيل بن أبى خالد عن أبى صالح فى قوله رب أدخلنى مدخل صدق قال أدخلنى فى الاسلام مدخل صدق وأخرجنى منه مخرج صدق * وقال آخرون بل معنى ذلك أدخلنى مكة آمنا وأخرجنى منها آمنا ذكر من قال ذلك **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد ابن سليمن قال سمعت الضحاك قال فى قوله رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق يعنى مكة دخل فيها آمنا وخرج منها آمنا * وأشبه هذه الاقوال بالصواب فى تأويل ذلك قول من قال معنى ذلك وأدخلنى المدينة مدخل صدق وأخرجنى من مكة مخرج صدق وانما قلنا ذلك أولى بتأويل الآية لان ذلك عقيب قوله وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلافك الا قليلا وقد دللنا فيما مضى على أنه عنى بذلك أهل مكة فاذ كان ذلك عقيب خبر الله عما كان المشركون أرادوا من استفزازهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوه عن مكة كان بينا اذ كان الله قد أخرجه منها أن قوله وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق أمر منه له بالرغبة اليه فى أن يخرجه من البلدة التى هم المشركون باخراجه منها مخرج صدق وأن يدخله البلدة التى نقله الله اليها مدخل صدق وقوله واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك واجعل لى ملكا نامرا ينصرنى على من ناوأنى وعزا أقيم به دينك وأدفع به عنه من أراده بسوء ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن عبد الله بن بزيع قال ثنا بشر بن المفضل عن عوف عن الحسن فى قول الله عز وجل واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا يوعده ليزعن

والتعظيم قائلين (سبحان ربنا ان كان وعد ربنا) بانزال القرآن وبعثة محمد صلى الله عليه وسلم فى كتبنا (لمفعولا) أى منجزا وان مخففة من الثقيلة ولهذا دخلت اللام فى خبر كان ثم ذكر أنهم كما خروا لاذقانهم فى حال كونهم ساجدين فقد خروا لها حال كونهم باكين

ويجوز أن يكون التكرير لاجل الدلالة على تكرير الفعل منهم بدليل قوله (ويزيدهم) أى القرآن (خشوعا) لين قلب ورطوبة عين ثم أراد أن يعلمهم كيفية الخشوع والدعاء فقال (قل ادعوا) عن ابن عباس سمعه أبو جهل يقول يا ألله يا رحمن فقال انه ينهانا أن نعبد آلهين وهو يدعو الها آخر وقيل ان أهل الكتاب قالوا انك لتقل ذكر الرحمن وقد أكثر الله فى التوراة هذا الاسم فنزلت قال جار الله الدعاء بمعنى التسمية لا النداء وهو يتعدى الى مفعولين تقول دعوته زيدا ثم تترك أحدهما استغناء عنه فتقول دعوت زيدا وأو للتخيير والمعنى على السبب الاول سموه بهذا الاسم أو بهذا وعلى السبب الثانى اذكروا اما هذا واما هذا (أياما تدعوا) يعنى أى هذين الاسمين سميتم وذكرتم فالتنوين عوض عن المضاف اليه وما صلة زيدت لتأكيد الابهام والضمير فى (فله) لا يرجع الى أحد الاسمين ولكن الى مسماهما وكان أصل الكلام أن يقال فهو أى ذلك الاسم حسن فوضع موضعه قوله فله الاسماء الحسنى لانه اذا حسنت أسماؤه كلها حسن هذان الاسمان ومعنى حسن الاسماء استقلالها بنعوت الجلال والاكرام وقد مر فى آخر الاعراف ثم ذكر كيفية أخرى للدعاء فقال (ولا تجهر بصلاتك) أى بقراءة صلاتك على حذف المضاف للعلم بأن الجهر والمخافتة من نعوت الصوت (١) لا الصلاة أفعالها فهو من اطلاق الكل وارادة الجزء ومنه يقال خفت صوته خفوتا اذا انقطع كلامه أو ضعف وسكن وخفت الزرع اذا ذبل وخافت الرجل بقراءته اذا لم يبين قراءته برفع الصوت روى سعيد بن جبير عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرفع صوته

(١) لعله أو من اطلاق الصلاة على بعض أفعالها فهو الخ تأمل . مصححه

ملك فارس وعز فارس وليجعلنه له وعز الروم وملك الروم وليجعلنه له **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا وان نبى الله علم أن لا طاقة له بهذا الامر الا بسلطان فسأل سلطانا نصيرا لكتاب الله عز وجل ولحدود الله ولفرائض الله ولاقامة دين الله وان السلطان رحمة من الله جعلها بين أظهر عباده لولا ذلك لاغار بعضهم على بعض فأكل شديدهم ضعيفهم * وقال آخرون بل عنى بذلك حجة بينة ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله عز وجل سلطانا نصيرا قال حجة بينة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال ذلك أمر من الله تعالى نبيه بالرغبة اليه فى أن يؤتيه سلطانا نصيرا له على من بغاه وكاده وحاول منعه من اقامته فرائض الله فى نفسه وعباده وانما قلت ذلك أولى بالصواب لان ذلك عقيب خبر الله عما كان المشركون هموا به من اخراجه من مكة فأعلمه الله عز وجل أنهم لو فعلوا ذلك عوجلوا بالعذاب عن قريب ثم أمره بالرغبة اليه فى اخراجه من بين أظهرهم اخراج صدق يحاوله عليهم ويدخله بلدة غيرها بعد خل صدق يحاوله عليهم ولا هلها فى دخوله اليها وأن يجعل له سلطانا نصيرا على أهل البلدة التى أخرجه أهلها منها وعلى كل من كان لهم شبيها وانما أوتى ذلك فقد أوتى لاشك حجة بينة وأما قوله نصيرا فان ابن زيد كان يقول فيه نحو قولنا الذى قلنا فيه **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا قال ينصرنى وقد قال الله لموسى سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما بآياتنا هذا مقدم ومؤخر انما هو سلطان بآياتنا فلا يصلون اليكما ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا﴾ يقول تعالى ذكره وقل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين كادوا أن يستفزوك من الارض ليخرجوك منها جاء الحق وزهق الباطل واختلف أهل التأويل فى معنى الحق الذى أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يعلم المشركين أنه قد جاء والباطل الذى أمره أن يعلمهم أنه قد زهق فقال بعضهم الحق هو القرآن فى هذا الموضع والباطل هو الشيطان ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وقل جاء الحق قال الحق القرآن وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وقل جاء الحق قال القرآن وزهق الباطل قال هلك الباطل وهو الشيطان * وقال آخرون بل عنى بالحق جهاد المشركين وبالباطل الشرك ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله وقل جاء الحق قال دنا القتال وزهق الباطل قال الشرك وما هم فيه **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد عن أبى معمر عن ابن مسعود قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وحول البيت ثلثمائة وستون صنما فجعل يطعنها ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا * وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال أمر الله تبارك وتعالى نبيه عليه السلام أن يخبر المشركين أن الحق قد جاء وهو كل ما كان لله فيه رضا وطاعة وأن الباطل قد زهق يقول وذهب كل ما كان لا رضا لله فيه ولا طاعة مما هو له معصية وللشيطان طاعة وذلك أن الحق هو كل ما خالف طاعة ابليس وأن

بالقراءة فاذا سمعه المشركون سبوه وسبوا من جاء به فأوحى الله اليه ولا تجهر بصلاتك فيسمعه المشركون فيسبوا الله عدوا بغير علم (ولا تخافت بها) فلا تسمع أصحابك (وابتغ بين ذلك) الذى ذكر من الجهر والمخافتة (سبيلا) وسطا وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم طاف بالليل ودور الصحابة فكان أبو بكر يخفى صوته فى صلاته ويقول أناجى ربى وقد علم حاجتى وكان عمر يرفع صوته ويقول أزجر الشيطان وأوقظ الوسنان فأمر النبى صلى الله عليه وسلم أبا بكر أن يرفع صوته قليلا وأمر عمر أن يخفض قليلا فنزلت الآية على حسب ذلك وقيل معناه ولا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلا بأن تجهر بصلاة الليل وتخافت بصلاة النهار وعن عائشة وأبى هريرة ومجاهد أن الصلاة ههنا الدعاء وقد روى هذا مرفوعا قال الحسن لا يرائى بعلانيتها ولا يسىء بسريرتها وأيضا فى الجهر اسماع غيره الذنوب وهو الموجب للتعيير والتوبيخ وعلى هذا ذهب قوم الى أن الآية منسوخة بقوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية قال جار الله ابتغاء السبيل مثل لابتغاء الوجه الوسط فى القراءة ولما أمر أن لا يذكر ولا ينادى الا باسمائه الحسنى نبه على كيفية التحميد بقوله (وقل الحمد لله) الآية قال فى الكشاف كيف لاق وصفه بنفى الولد والشريك والذل بكلمة التحميد وأجاب بأن من هذا وصفه هو الذى يقدر على ايلاء كل نعمة فهو الذى يستحق جنس الحمد وأقول الولد يتولد من جزء من أجزاء الوالد فالوالد مركب وكل مركب محدث والمحدث محتاج والمحتاج لا يقدر على كمال الانعام فلا يستحق كمال الحمد وأيضا الولد مبخلة والبخيل لا يستحق الحمد والشركة فى الملك انما تتصور لمن لا يستقل بالمالكية فيفتقر الى من يتم عشاركته أمور مملكته ومصالح تمدنه وكل من كان كذلك كان عاجزا بالنظر الى ذاته فلا يتم فيضانه فلا يستحق الحمد على الاطلاق وهكذا حكم من كان له ولى من الذل أى اتخذ حبيبا من أجل ذل به

الباطل هو كل ما وافق طاعته ولم يخصص الله عز ذكره بالخبر عن بعض طاعاته ولا ذهاب بعض معاصيه بل عم الخبر عن مجىء جميع الحق وذهاب جميع الباطل وبذلك جاء القرآن والتنزيل وعلى ذلك قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الشرك بالله أعنى على اقامة جميع الحق وابطال جميع الباطل وأما قوله عز وجل وزهق الباطل فان معناه ذهب الباطل من قولهم زهقت نفسه اذا خرجت وأزهقتها أنا ومن قولهم أزهق السهم اذا جاوز الغرض فاستمر على جهته يقال منه زهق الباطل يزهق زهوقا وأزهقه الله أى أذهبه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس ان الباطل كان زهوقا يقول ذاهبا وقوله عز وجل وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين يقول تعالى ذكره وننزل يا محمد عليك من القرآن ما هو شفاء يستشفى به من الجهل من الضلالة ويبصر به من العمى للمؤمنين ورحمة لهم دون الكافرين به لان المؤمنين يعملون بما فيه من فرائض الله ويحلون حلاله ويحرمون حرامه فيدخلهم بذلك الجنة وينجيهم من عذابه فهو لهم رحمة ونعمة من الله أنعم بها عليهم ولا يزيد الظالمين الا خسارا يقول ولا يزيد هذا الذى ننزل عليك من القرآن الكافرين به الا خسارا يقول اهلاكا لأنهم كلما نزل فيه أمر من الله بشئ أو نهى عن شئ كفروا به فلم يأتمروا لامره ولم ينتهوا عما نهاهم عنه فزادهم ذلك خسارا الى ما كانوا فيه قبل ذلك من الخسار ورجسا الى رجسهم قبل كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين اذا سمعه المؤمن انتفع به وحفظه ووعاه ولا يزيد الظالمين به الا خسارا انه لا ينتفع به ولا يحفظه ولا يعيه وان الله جعل هذا القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وإذا أنعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر كان يؤسا﴾ يقول تبارك وتعالى واذا أنعمنا على الانسان فنجيناه من كرب ما هو فيه فى البحر وهو ما قد أشرف فيه عليه من الهلاك بعصوف الريح عليه الى البر وغير ذلك من نعمنا أعرض عن ذكرنا وقد كان بنا مستغيثا دون كل أحد سوانا فى حال الشدة التى كان فيها ونأى بجانبه يقول وبعد منا بجانبه يعنى بنفسه كأن لم يدعنا الى ضر مسه قبل ذلك كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن مجاهد فى قوله ونأى بجانبه قال تباعد منا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله والقراءة على تصيير الهمزة فى نأى قبل الألف وهى اللغة الفصيحة وبها نقرأ وكان بعض أهل المدينة يقرأ ذلك وناء فيصير الهمزة بعد الالف وذلك وان كان لغة جائزة قد جاءت عن العرب بتقديمهم فى نظائر ذلك الهمز فى موضع فيه مؤخرا وتأخيرهموه فى موضع هو مقدم كما قال الشاعر

(١) اعلام يقلل راء رؤيا * فهو يهذى بما رأى فى المنام

وكما قال آبار وهى أبار فقدموا الهمزة فليس ذلك هو اللغة الجودى بل الاخرى هى الفصيحة وقوله عز وجل واذا مسه الشر كان يؤسا يقول واذا مسه الشر والشدة كان قنوطا من الفرج والروح * وبنحو الذى قلنا فى اليؤس قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا على بن داود قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله واذا مسه الشر كان يؤسا يقول قنطا

---

(١) هكذا وقع هذا البيت فى الأصول وهو غير مستقيم ولم نعثر عليه فحرر كتبه مصححه

واستفادة لامن عزة وقوة وافاضة أوالولى بمعنى الناصر أى ناصر من أجل مذلة به ليدفعها بموالاته وأيضا قد يمنعه الشريك من اصلاح الخير الى أوليائه والذى يكون له ولى من الذل يكون محتاجا اليه فيمنع عليه دون من استغنى عنه أما اذا كان منزها عن الولد وعن الشريك وعن أن يكون له ولى ينصره ويلى أمره كان مستوجبا لاعظم أنواع الحمد ومستحقا لاجل أقسام الشكر قال الامام فخر الدين الرازى التكبير أنواع منها تكبير الله فى ذاته وهو أن يعتقد أنه واجب الوجود لذاته غنى عن كل ماسواه ومنها تكبيره فى صفاته بأن يعتقدها كلها من صفات الجلال والاكرام وفى غاية العظمة ونهاية الكمال وأنها منزهة عن سمات التغير والزوال والحدوث والانتقال ومنها تكبيره فى أفعاله وعند هذا تعود مسئلة الجبر والقدر قال سمعت أن الاستاذ أبا اسحق الاسفرايني كان جالسا فى دار الصاحب بن عباد فدخل القاضى عبد الجبار بن أحمد الهمدانى فلما رآه قال سبحان من تنزه عن الفحشاء فقال الاستاذ سبحان من لايجرى فى ملكه الا مايشاء ومنها تكبير الله فى أحكامه وهو أن يعتقد أن أحكامه كلها جارية على سنن الصواب وقانون العدالة وقضية الاستقامة ومنها تكبيره عن هذا التكبير وتعظيمه عن هذا التعظيم وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا أفصح الغلام من بنى عبد المطلب علمه هذه الآية والله أعلم ﴿ التأويل وقالوا لن نؤمن لك كانوا أرباب الحس فلم يبصروا شواهد الحق ودلائل النبوة ولم يطلبوا منه ما كان هو عليه من تزكية النفوس وتصفية القلوب وتجلية الارواح وتفجير ينابيع الحكمة من أرض القلوب لانبات نخيل المشاهدات وأعناب المكاشفات فى جنات المواصلات النبى أبعث الله بشرا رسولا تعجبوا من كون البشر رسولا حين ظن أن الملك أعلى حالا من البشر وغفلوا عن رتبة الانسان الكامل حيث

حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واذا مسه الشر كان يؤسا يقول اذا مسه الشر أيس وقنط ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا﴾ يقول عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد للناس كلكم يعمل على شاكلته على ناحيته وطريقته فربكم أعلم بمن هو منكم أهدى سبيلا يقول ربكم أعلم بمن هو منكم أهدى طريقا الى الحق من غيره * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله قل كل يعمل على شاكلته يقول على ناحيته حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله على شاكلته قال على ناحيته حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قل كل يعمل على شاكلته قال على طبيعته على حدته حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قل كل يعمل على شاكلته يقول على ناحيته وعلى ماينوى * وقال آخرون الشاكلة الدين ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله كل يعمل على شاكلته قال على دينه الشاكلة الدين ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ويسألك الكفار بالله من أهل الكتاب عن الروح ماهى قل لهم الروح من أمر ربى وما أوتيتم أنتم وجميع الناس من العلم الا قليلا وذكر أن الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح فنزلت هذه الآية سألتهم اياه عنها كانوا قوما من اليهود ذكر الرواية بذلك حدثنا أبو هشام قال ثنا وكيع قال ثنا الاعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى حرث بالمدينة ومعه عسيب يتوكأ عليه فمر بقوم من اليهود فقال بعضهم سألوه عن الروح وقال بعضهم لاتسألوه فقام متوكئا على عسيبه فقمت خلفه فظننت أنه يوحى اليه فقال ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا فقال بعضهم لبعض ألم نقل لكم لاتسألوه حدثنا يحيى بن ابراهيم المسعودى قال ثنا أبى عن أبيه عن جده عن الأعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال بينا أنا أمشى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حرث بالمدينة اذ مررنا على يهود فقال بعضهم سلوه عن الروح فقالوا ما أربكم الى أن تسمعوا ما تكرهون فقاموا اليه فسألوه فقام فعرفت أنه يوحى اليه فقمت مكانى ثم قرأ ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا فقالوا ألم ننهكم أن تسألوه حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا داود عن عكرمة قال سأل أهل الكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح فأنزل الله تعالى ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا فقالوا أتزعم أنا لم نؤت من العلم الا قليلا وقد أوتينا التوراة وهى الحكمة ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا قال فنزلت ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله قال ما أوتيتم من علم فنجاكم الله به من النار فهو كثير طيب وهو فى علم الله قليل حدثنى اسمعيل بن أبى المتوكل قال ثنا الاشجعى أبو عاصم الحمصى قال ثنا اسحق بن عيسى أبو يعقوب قال ثنا القاسم بن معن عن الأعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال انى لمع النبى صلى الله عليه وسلم فى حرث بالمدينة اذ أتاه يهودى قال يا أبا القاسم ما الروح فسكت

النبي صلى الله عليه وسلم وأنزل الله عز وجل ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ويسئلونك عن الروح لقيت اليهود نبي الله صلى الله عليه وسلم فتغشوه وسألوه وقالوا ان كان نبيا علم فسيعلم ذلك فسألوه عن الروح وعن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين فأنزل الله في كتابه ذلك كله ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا يعني اليهود **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ويسئلونك عن الروح قال يهود تسأل عنه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ويسئلونك عن الروح قال يهود تسأله **حدثنا** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ويسئلونك عن الروح الآية وذلك أن اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم أخبرنا ما الروح وكيف تعذب الروح التي في الجسد وانما الروح من الله عز وجل ولم يكن نزل عليه فيه شئ فلم يحر اليهم شيأ فأتاه جبرئيل عليه السلام فقال له قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا فأخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقالوا له من جاءك بهذا فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم جاءني به جبريل من عند الله فقالوا والله ما قاله لك الا عدو لنا فأنزل الله تبارك اسمه قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك الآية **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم عن عبد الله قال كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم فررنا بأناس من اليهود فقالوا يا أبا القاسم ما الروح فأسكت فرأيت أنه يوحى اليه قال فتنحيت عنه الى سباطة فنزلت عليه ويسئلونك عن الروح الآية فقالت اليهود هكذا نجده عندنا واختلف أهل التأويل في الروح الذي ذكر في هذا الموضع ما هي فقال بعضهم هي جبرئيل عليه السلام ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ويسئلونك عن الروح قال هو جبرئيل قال قتادة وكان ابن عباس يكتمه وقال آخرون هي ملك من الملائكة ذكر من قال ذلك **حدثني** علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ويسئلونك عن الروح قال الروح ملك **حدثني** علي قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني أبو مروان يزيد بن سمرة صاحب قيسارية عمن حدثه عن علي بن أبي طالب أنه قال في قوله ويسئلونك عن الروح قال هو ملك من الملائكة له سبعون ألف وجه لكل وجه منها سبعون ألف لسان لكل لسان منها سبعون ألف لغة يسبح الله عز وجل بتلك اللغات كلها يخلق الله من كل تسبيحة ملكا يطير مع الملائكة الى يوم القيامة وقد بينا معنى الروح في غير هذا الموضع من كتابنا بما أغنى عن اعادته وأما قوله من أمر ربي فانه يعني أنه من الأمر الذي يعلمه الله عز وجل دونكم فلا تعلمونه ويعلم ما هو وأما قوله وما أوتيتم من العلم الا قليلا فان أهل التأويل اختلفوا في المعني بقوله وما أوتيتم من العلم الا قليلا فقال بعضهم عنى بذلك الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح وجميع الناس غيرهم ولكن لما ضم غير المخاطب الى المخاطب خرج الكلام على المخاطبة لان العرب كذلك تفعل اذا اجتمع في الكلام مخبر عنه غائب ومخاطب أخرجوا الكلام خطابا للجمع ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا محمد بن اسحق عن بعض أصحابه عن عطاء بن يسار قال

المحقق نجم الحق والدين المعروف بداية أراد الآيات التي تدل على نبوته فيما يتعلق بنفسه خاصة كالقائه في اليم واخراجه منه وتربيته في حجر العدو وتحريم المراضع عليه ونحو ذلك وبالحق أنزلناه لان الارواح المتعلقة بالعالم السفلي احتاجت في الرجوع الى عالم العلو الى حبل متين هو القرآن كقوله واعتصموا بحبل الله جميعا وبالحق نزل التمييز بين أهل السعادة والشقاوة بالاتباع وعدمه ان الذين أوتوا العلم من قبل نزوله في الازل اذا يتلى عليهم في الازل عند خطاب ألست بربكم يخرون للاذقان سجدا للاجابة يقولون بلى ويخرون للاذقان في عالم الصورة يبكون فالتواضع والسجود من شأن الارواح والبكاء والخشوع من شأن الاجساد ثم بين أن الارواح انما أرسلت الى الابدان للعبودية وذكر الله فقال قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى أي كل اسم من أسمائه حسن فادعوه حسنا وهو الدعاء بالاخلاص ولا تجهر بصلاتك رياء وسمعة ولا تخافت بها بأن تخفيها بالكلية فحرموا المتابعة والاسوة الحسنة وابتغ بين ذلك سبيلا باظهار الفرائض واخفاء النوافل والله تعالى أعلم

﴿سورة الكهف مكية الا قوله واصبر نفسك الآية حروفها ستة آلاف وثلثمائة وستون حرفا كلماتها ألف وخمسمائة وسبعة وسبعون آياتها مائة واحدى عشرة﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر بأسا شديدا من

لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا ماكثين فيه أبدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا لآبائهم

كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا اذ أوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا نحن نقص عليك نبأهم بالحق انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحدا انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا اذا أبدا وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وان الساعة لا ريب فيها اذ يتنازعون بينهم أمرهم فقال ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا

نزلت بمكة وما أوتيتم من العلم الا قليلا فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة أتاه أحبار يهود فقالوا يا محمد ألم يبلغنا أنك تقول وما أوتيتم من العلم الا قليلا أفعنيتنا أم قومك قال كلا قد عنيت قالوا فانك تتلو أنا أوتينا التوراة وفيها تبيان كل شئ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي في علم الله قليل وقد آتاكم ما ان عملتم به انتفعتم فأنزل الله ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام الى قوله ان الله سميع بصير حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله عز وجل وما أوتيتم من العلم الا قليلا قال يا محمد والناس أجمعون * وقال آخرون بل عنى بذلك الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح خاصة دون غيرهم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما أوتيتم من العلم الا قليلا يعني اليهود * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب أن يقال خرج الكلام خطابا لمن خوطب به والمراد به جميع الخلق لان علم كل أحد سوى الله وان كثر في علم الله قليل وانما معنى الكلام وما أوتيتم أيها الناس من العلم الا قليلا من كثير مما يعلم الله ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا اليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا﴾ يقول تعالى ذكره ولئن شئنا لنذهبن بالذي آتيناك من العلم الذي أوحينا اليك من هذا القرآن لنذهبن به فلا تعلمه ثم لا تجد لنفسك بما نفعل بك من ذلك وكيلا يعني قيما يقوم لك فيمنعنا من فعل ذلك بك ولا ناصرا ينصرك فيحول بيننا وبين ما نريد بك قال وكان عبد الله بن مسعود يتأول معنى ذهاب الله عز وجل به رفعه من صدور قارئيه ذكر الرواية بذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو بكر بن عياش عن عبد العزيز بن رفيع عن بندار عن معقل قال قلت لعبد الله وذكر أنه يسري على القرآن كيف وقد أثبتناه في صدورنا ومصاحفنا قال يسري عليه ليلا فلا يبقى منه في مصحف ولا صدر رجل ثم قرأ عبد الله ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا اليك حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنا اسحق بن يحيى عن المسيب بن رافع عن عبد الله بن مسعود قال تطرق الناس ريح حمراء من نحو الشام فلا يبقى في مصحف رجل ولا قلبه آية قال رجل يا أبا عبد الرحمن اني قد جمعت القرآن قال لا يبقى في صدرك منه شئ ثم قرأ ابن مسعود ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا اليك ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿الا رحمة من ربك ان فضله كان عليك كبيرا﴾ يقول عز وجل ولئن شئنا لنذهبن يا محمد بالذي أوحينا اليك ولكنه لا يشاء ذلك رحمة من ربك وتفضلا منه عليك ان فضله كان عليك كبيرا باصطفائه اياك لرسالته وانزاله عليك كتابه وسائر نعمه عليك التي لا تحصى ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾ يقول جل ثناؤه قل يا محمد للذين قالوا لك انا نأتي بمثل هذا القرآن لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثله لا يأتون أبدا بمثله ولو كان بعضهم لبعض عونا وظهيرا وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب قوم من اليهود جادلوه في القرآن وسألوه أن يأتيهم بآية غيره شاهدة له على نبوته لأن مثل هذا القرآن بهم قدرة على أن يأتوا به ذكر الرواية بذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا محمد بن اسحق قال ثنا محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال ثني سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم محمود بن سبحان وعمر بن أصان وبحري بن عمرو وعزير بن أبي عزير وسلام بن مشكم فقالوا أخبرنا يا محمد بهذا الذي جئتنا به حق من عند الله عز وجل فانا لا نراه متناسقا كما تناسق

التوراة

سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا ولا تقولن لشئ اني فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا ولبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض أبصر به وأسمع ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحدا ﴿ القراآت من لدنه بإتمام الدال شيأ بالضم وكسر النون ووصل الهاء بالياء يحيى الآخرون بضم الدال وسكون النون وضم الهاء ويشير مخففا حمزة وعلي الباقون بالتشديد هيئ لنا ويهيئ لكم بتليين الهمز فيهما الأوقية والاعشى في الوقف فاو وابدال الهمزة ألفا أبو عمرو ويزيد والاعشى والاصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء أبو جعفر ونافع وابن عامر والاعشى والبرجمي الآخرون على العكس تزاور خفيفا بحذف تاء التفاعل عاصم وحمزة وعلي وخلف تزور بتشديد الراء ابن عامر مثل تحمر ويعقوب الباقون تزاور بتشديد الزاي لادغام التاء فيه المهتدي كامر في سبحان والمثبت مشددة للمبالغة أبو جعفر ونافع وابن كثير وقرأ أبو عمرو ويزيد والاعشى والاصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف غير مهموز بورقكم بسكون الراء أبو عمرو وحمزة وحماد وأبو بكر والخزاز عن هبيرة وعباس بكسر الراء وادغام القاف في الكاف الآخرون بكسر الراء مظهرا ربي أعلم بفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو أن يهدين وان ترن وأن يؤتين وأن تعلمن بالياآت في الحالين سهل ويعقوب وابن كثير غير ابن فليح وزمعة وروى ابن شنبوذ عن قنبل كلها بالياء في الحالين وعن البزي وابن فليح كلها بغير ياء في الحالين وافقهم أبو جعفر ونافع وأبو عمرو بالياء في الوصل ثلثمائة سنين بالاضافة حمزة وعلي وخلف

التوراة فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أما والله انكم لتعرفون أنه من عند الله تجدونه مكتوبا عندكم ولو اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثله ما جاؤا به فقال عند ذلك وهم جميعا فنحاص وعبد الله بن صوريا وكنانة بن أبي الحقيق وأشيع وكعب بن أسد وسموأل بن زيد وجبل بن عمرو يا محمد ما يعلم هذا إنس ولا جان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما والله انكم لتعلمون أنه من عند الله وأني رسول الله تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة والانجيل فقالوا يا محمد ان الله يصنع لرسوله اذا بعثه ما شاء ويقدر منه على ما أراد فأنزل علينا كتابا نقرؤه ونعرفه والا جئنا بمثل ما تأتي به فأنزل الله عز وجل فيهم وفيما قالوا ﴿ قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله لئن اجتمعت الانس والجن الى قوله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا قال معينا قال يقول لو برزت الجن وأعانهم الانس فتظاهروا لم يأتوا بمثل هذا القرآن وقوله عز وجل لا يأتون بمثله رفع وهو جواب لقوله لئن لان العرب اذا أجابت لئن بلا رفعوا ما بعدها لان لئن كاليمين وجواب اليمين بلا مرفوع ورب ما جزم لان التي يجاب بها زيدت عليه لام كما قال الاعشى

لئن منيت بنا عن غب معركة ... لا تلفنا من دماء القوم ننتفل

﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس الا كفورا ﴾ يقول تعالى ذكره ولقد بينا للناس في هذا القرآن من كل مثل احتجاجا بذلك كله عليهم وتذكيرا لهم وتنبيها على الحق ليتبعوه ويعملوا به فأبى أكثر الناس الا كفورا يقول فأبى أكثر الناس الا جحودا للحق وانكارا لحجج الله وأدلته ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا ﴾ يقول تعالى ذكره وقال يا محمد المشركون بالله من قومك لن نصدقك حتى تفجر لنا من أرضنا هذه عينا تنبع لنا بالماء وقوله ينبوعا يفعول من قول القائل نبع الماء اذا ظهر وفار ينبع وينبع وهو ما نبع كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا أي حتى تفجر لنا من الارض عيونا أي بلدنا هذا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا قال عيونا حدثنا محمد قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة مثله حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ينبوعا قال عيونا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله واختلفت القراء في قراءة قوله تفجر فروى عن ابراهيم النخعي أنه قرأ حتى تفجر لنا خفيفة وقوله فتفجر الانهار خلالها تفجيرا بالتشديد وكذلك كانت قراء الكوفيين يقرؤنها فكأنهم ذهبوا بتخفيفهم الأولى الى معنى حتى تفجر لنا من الارض ماء مرة واحدة وبتشديدهم الثانية الى أنها تفجر في أماكن شتى مرة بعد أخرى اذا كان ذلك تفجر أنهارا لا نهر واحد (١) والتخفيف في الاولى والتشديد في الثانية على ما ذكرت من قراءة الكوفيين أعجب الي لما ذكرت من افتراق معنييهما وان لم تكن الاولى مدفوعة صحتها ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقال لك يا محمد مشركو

(١) في الكلام سقط ظاهر والحاصل انهم اتفقوا على تشديد فتفجر واختلفوا في حتى تفجر فبعضهم شدد وبعضهم خفف واختار المؤلف التشديد للعلة التي ذكرها فتنبه اه كتبه مصححه

الباقون بالتنوين ولا تشرك بالتاء على النهى ابن عامر وروح وزيد الآخرون ولا يشرك بياء الغيبة ورفع الكاف ۞ الوقوف عوما ○ ط لان قيما ليس بصفة له ولكنه انتصب بمحذوف دل عليه المتلو وهو أنزل أى أنزله قيما وللوصل وجه وهو أن يكون حالا من الكتاب أو العبد وما بينهما اعتراض حسنا ○ لا أبدا ○ ولدا ج ○ لان ما بعده يحتمل الصفة أو ابتداء واخبارا والوقف أوضح ليكون ادعاء الولد مطلقا كما هو الظاهر لآبائهم ط من أفواههم ط كذبا ○ أسفا ○ عملا ○ حزنا ○ ط لتمام القصة وما بعده استفهام تقرير وتعجيب عجبا ○ رشدا ○ عددا ○ لا للعطف أمدا ○ بالحق ط هدى ○ والوصل أولى للعطف شططا ○ آلهة ط لابتداء التحضيض بين ط كذبا ○ مرفقا ○ بخوة منه ط آيات الله ط فهو المهتد ج مرشدا ○ رقود قف والاولى الوصل على أن ما بعده حال أى رقدوا ونحن نقلبهم الشمال قف والوصل أحسن على أن المعنى نقلبهم وكلبهم باسط بالوصيد ط رعبا ○ بينهم ط كم لبثتم ط بعض يوم ط أحدا ○ أبدا ○ لا ريب فيها ج لان اذ يصلح أن يكون ظرفا للاعثار عليهم وأن يكون منصوبا باضمار اذكر بنيانا ط بهم ط مسجدا ○ رابعهم كلبهم ج فصلا بين المقالتين مع اتفاق الجملتين بالغيب ج لوقوع العارض كلبهم ط قليل ○ ظاهرا ص أحدا ○ بشاء الله ز لاتفاق الجملتين مع عارض الظرف والاستثناء رشدا ○ تسعا ○ لبثوا ج لاحتمال أن ما بعده مفعول قل أو اخبار مستأنف والارض ط لابتداء التعجب وأسمع ط من ولى ط لمن قرأ ولا تشرك على النهى ومن قرأ على الغيبة اخبارا جوز وقفه لاختلاف الجملتين أحدا ○ ۞ التفسير أصل الحمد والتكبير المذكورين فى آخر السورة المتقدمة بالحمد على أجزل نعمائه على العباد وهى نعمة انزال الكتاب على محمد صلى الله عليه وسلم قال بعض العلماء نزه نفسه فى أول سورة سبحان عما لا ينبغى

قيلا

قولك لن نصدقك حتى تستنبط لنا عينا من أرضنا تدفق بالماء أو تفور أو يكون لك بستان وهو الجنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا بأرضنا هذه التى نحن بها خلالها يعنى خلال النخيل والكروم ويعنى بقوله خلالها تفجيرا بينها فى أصولها تفجيرا بسبب أبنيتها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أو تسقط السما كما زعمت علينا كسفا﴾ اختلفت القراء فى قراءة قوله كسفا فقرأته عامة قراء الكوفة والبصرة بسكون السين بمعنى أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا وذلك أن الكسف فى كلام العرب جمع كسفة وهو جمع الكثير من العدد للجنس كما تجمع السدرة بسدر والتمرة بتمر فحكى عن العرب سماعا أعطنى كسفة من هذا الثوب أى قطعة منه يقال منه جاء نا بثريد كسف أى قطع خبز وقد يحتمل اذا قرئ كذلك كسفا بسكون السين أن يكون مرادا به المصدر من كسف فأما الكسف بفتح السين فانه جمع ما بين الثلاث الى العشر يقال كسفة واحدة وثلاث كسف وكذلك الى العشر وقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة وبعض الكوفيين كسفا بفتح السين بمعنى جمع الكسفة الواحدة من الثلاث الى العشر يعنى بذلك قطعا ما بين الثلاث الى العشر * وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب عندى قراءة من قرأه بسكون السين لان الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك لم يقصدوا فى مسئلتهم اياه ذلك أن يكون بحذ معلوم من القطع انما سألوا أن يسقط عليهم السماء قطعا وبذلك جاء التأويل أيضا عن أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله كسفا قال السماء جميعا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله قال ابن جريج قال عبد الله بن كثير عن مجاهد قوله كما زعمت علينا كسفا قال مرة واحدة والتى فى الروم ويجعله كسفا قال قطعا قال ابن جريج كسفا لقول الله ان نشأ نخسف بهم الارض أو نسقط عليهم كسفا من السماء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا قال أى قطعا حدثنا على قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله كسفا يقول قطعا حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة كسفا قال قطعا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا يعنى قطعا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أو تأتى بالله والملائكة قبيلا﴾ يقول تعالى ذكره عن قيل المشركين لنبى الله صلى الله عليه وسلم أو تأتى بالله يا محمد والملائكة قبيلا واختلف أهل التأويل فى معنى القبيل فى هذا الموضع فقال بعضهم معناه حتى يأتى بالله والملائكة كل قبيلة منا قبيلة قبيلة فيعاينونهم ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله والملائكة قبيلا قال على حدتنا كل قبيلة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله أو تأتى بالله والملائكة قبيلا قال قبائل على حدتها كل قبيلة * وقال آخرون معنى ذلك أو تأتى بالله والملائكة عيانا نقابلهم مقابلة فنعاينهم معاينة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أو تأتى بالله والملائكة

وهو اشارة الى كونه كاملا فى ذاته وحمد نفسه فى أول هذه السورة وهو اشارة الى كونه مكملا لغيره وفيه تنبيه على أن مقام التسبيح مبدأ ومقام التحميد نهاية موافقا لما ورد فى الذكر سبحان الله والحمد لله وفيه أن الاسراء أول درجات كماله من حيث انه يقتضى حصول الكمال له وانزال الكتاب غاية درجات كماله لان فيه تكميل الارواح البشرية ونقلها من حضيض البهيمية الى أوج الملكية ولا شك أن المنافع المتعدية أفضل من القاصرة كما ورد فى الخبر من تعلم وعلم وعمل فذاك يدعى عظيما فى السموات وانزال الكتاب على النبى صلى الله عليه وسلم نعمة عليه وعلينا أما أنه نعمة عليه فلانه اطلع بواسطته على أسرار التوحيد ونعوت الجلال والاكرام وأحوال الملائكة والانبياء وسائر النفوس المقدسة وعلى كيفية القضاء والقدر وتعلق أحوال العالم السفلى بالعالم العلوى والشهادة بالغيب وارتباط أحدهما بالآخر وأما أنه نعمة علينا فلانا نستفيد منه أيضا مثل ذلك ونعرف منه الاحكام الشرعية المفضية الى اصلاح المعاش والمعاد وفى انتصاب (قيما وجوه فاختار صاحب الكشاف أن يكون منصوبا بمضمر أى جعله وأنزله قيما وأبى أن يكون حالا لان العطف يدل على تمام الكلام وجعله حالا يدل على نقصانه وقال جامع الاصفهانى هما حالان متواليان الا أن الاولى جملة والثانية مفرد وقيل حال من الضمير فى قوله ولم يجعل له وفائدة الجمع بين نفى العوج واثبات الاستقامة هى التأكيد فرب مستقيم فى الظاهر لا يخرج عن أدنى عوج فى الحقيقة هذا تفسير ابن عباس ويحتمل أن يراد أنه قيم على سائر الكتب مصدق لها شاهد بحقيتها وأنه قيم بمصالح العباد وما لابد لهم منه من الشرائع والاحكام

قبيلا معاينة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج أو تأتى بالله والملائكة قبيلا فمعاينهم ووجهه بعض أهل العربية الى أنه بمعنى الكفيل من قولهم هو قبيل فلان بما لفلان عليه وزعيمه * وأشبه الأقوال فى ذلك بالصواب القول الذى قاله قتادة من أنه بمعنى المعاينة من قولهم قابلت فلانا مقابلة وفلان قبيل فلان بمعنى قبالته كما قال الشاعر

نصالحكم حتى تبوؤا بمثلها * كصرخة حبلى (١) يسرتها قبيلها

يعنى قابلتها وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يقول اذا وصفوا بتقدير فعيل من قولهم قابلت ونحوها جعلوا لفظ صفة الاثنين والجميع من المؤنث والمذكر على لفظ واحد نحو قولهم هذه قبيلى وهما قبيلى وهم قبيلى وهن قبيلى ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن المشركين الذين ذكر أمرهم فى هذه الآيات أو يكون لك يا محمد بيت من ذهب وهو الزخرف كما حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس أو يكون لك بيت من زخرف يقول بيت من ذهب حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله من زخرف قال من ذهب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أو يكون لك بيت من زخرف والزخرف هنا الذهب حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله أو يكون لك بيت من زخرف قال من ذهب حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن رجل عن الحكم قال قال مجاهد كنا لا ندرى ما الزخرف حتى رأيناه فى قراءة ابن مسعود أو يكون لك بيت من ذهب حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد قال لم أدر ما الزخرف حتى سمعنا فى قراءة عبد الله بن مسعود بيت من ذهب وقوله أو ترقى فى السماء يعنى أو تصعد فى درج الى السماء وانما قيل فى السماء وانما يرقى اليها لا فيها لان القوم قالوا أو ترقى فى سلم الى السماء فادخلت فى فى الكلام ليدل على معنى الكلام يقال رقيت فى السلم فأنا أرقى رقيا ورقيا ورقيا كما قال الشاعر

أنت الذى كلفتنى رقى الدرج * على الكلال والمشيب والعرج

وقوله ولن نؤمن لرقيك يقول ولن نصدقك من أجل رقيك الى السماء حتى تنزل علينا كتابا منشورا نقرؤه فيه أمرنا باتباعك والايمان بك كما حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله كتابا نقرؤه قال من رب العالمين الى فلان عند كل رجل صحيفة تصبح عند رأسه يقرؤها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه الا أنه قال كتابا نقرؤه من رب العالمين وقال أيضا تصبح عند رأسه موضوعة يقرؤها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه أى كتابا خاصا نؤمر فيه باتباعك وقوله قل سبحان ربى يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك

---

(١) فى اللسان أسلتها أى بثست منها اه كتبه مصححه

وعلى هذا يكون قوله ولم يجعل له عوجا اشارة الى أنه كامل فى ذاته مبرأ عن الاختلاف والتناقض مشتمل على كل ما هو فى نفس الامر حق وصدق وقوله قيما اشارة الى أنه مكمل لغيره مصلح بحسن بيانه وارشاده لاحوال معاشه ومعاده فتكون الآية نظير قوله فى أول البقرة

لاريب فيه هدى للمتقين ثم أراد أن يفصل ما أجمله فى قوله فيما فقال (لينذر بأساشديدا من لدنه) وحذف المنذر للعلم به بعمومه ولتطهير اللسان
عن ذكره أى لينذر الذين كفروا عذابا أليما صادرا من عنده والاجر الحسن الجنة بدليل قوله (ماكثين فيه) وهو حال من الضمير
فى لهم ثم كرر الانذار وذكر المنذر
لخصوصه وحذف المنذر به وهو
البأس الشديد لتقدم ذكره وقد
تذكر قضية كلية ثم يعطف عليها
بعض جزئياتها تنبيها على كونه
أعظم جزئيات ذلك الكلى ففى
عطف الانذار المخصوص على
الانذار المطلق دليل على أن أقبح
أنواع الكفر والمعصية اثبات
الولد لله تعالى على مازعم بعض كفار
قريش من أن الملائكة بنات الله
وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت
النصارى المسيح ابن الله ثم قال (مالهم
به) أى بالولد أو باتخاذ الله اياه (من علم
ولا لآبائهم) وانتفاء العلم بالشئ اما
بالجهل بالطريق الموصل اليه واما
لانه فى نفسه محال فلا يتعلق به العلم
لذلك وهو المراد فى الآية أى قولهم
هذا لم يصدر عن علم ولكن عن
جهل مفرط وتقليد لآبائهم
الذين هم مثلهم فى الجهالة قال جار
الله الضمير فى قوله (كبرت) يعود الى
قولهم اتخذ الله ولدا وسميت (كلمة)
كما يسمون القصيدة بها قلت ويجوز
أن يعود الى مضمر ذهنى يفسره
الظاهر كقولهم ربه رجلا ونعمت
امرأة عندى قال الواحدى انتصب
كلمة على التمييز وذلك أنك لو قلت
كبرت المقالة أو الكلمة جاز أن
يتوهم أنها كبرت كذبا أو جهلا
أو افتراء فلما قلت كلمة فقد ميزتها
من محتملاتها وقرئ بالرفع على
الفاعلية كما يقال عظم قولك قال
أهل البيان النصب أقوى وأبلغ
لافادته التعجب من جهتين من
جهة الصيغة ومن جهة التمييز كأنه
قيل ما أكبرها كلمة وفى وصف
الكلمة بقوله (تخرج من أفواههم) مبالغة أخرى من وجهين الاول أن كثيرا من وساوس الشيطان وكنوزا
وهواجس القلوب لا يملك العقلاء أن يتفوهوا به حياء وخجلا فبين الله تعالى أن هذا المنكر لم يستحيوا من اظهاره والنطق به فما أشنع

القائلين لك هذه الاقوال تنزيها لله عما يصفونه به وتعظيما له من أن يؤتى به وملائكته أو يكون
لى سبيل الى شئ مما تسألونيه هل كنت الا بشرا رسولا يقول هل أنا الا عبد من عبيده من بنى آدم
فكيف أقدر أن أفعل ما سألتمونى من هذه الامور وانما يقدر عليها خالقى وخالقكم وانما أنا رسول
أبلغكم ما أرسلت به اليكم والذى سألتمونى أن أفعله بيد الله الذى أنا وأنتم عبيده لا يقدر على ذلك
غيره وهذا الكلام الذى أخبر الله أنه كلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر كان من ملا من
قريش اجتمعوا لمناظرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحاجته فكلموه عما أخبر الله عنهم فى هذه
الآيات ذكر تسمية الذين ناظروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك منهم والسبب الذى من أجله
ناظروه به حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير قال ثنى محمد بن اسحق قال ثنى شيخ
من أهل مصر قدم منذ بضع وأربعين سنة عن عكرمة عن ابن عباس أن عتبة وشيبة ابنى ربيعة
وأبا سفيان بن حرب ورجلا من بنى عبد الدار وأبا البخترى أخا بنى أسد والاسود بن المطلب وزمعة
ابن الأسود والوليد بن المغيرة وأبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبى أمية وأمية بن خلف والعاص
ابن وائل ونبيها ومنبها ابنى الحجاج السهميين اجتمعوا أو من اجتمع منهم بعد غروب الشمس عند ظهر
الكعبة فقال بعضهم لبعض ابعثوا الى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذر وا فيه فبعثوا اليه ان
أشراف قومك قد اجتمعوا اليك ليكلموك فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا وهو يظن
أنه بدا لهم فى أمره بداء وكان عليهم حريصا يحب رشدهم ويعز عليه عنتهم حتى جلس اليهم فقالوا
يا محمد انا قد بعثنا اليك لنعذر فيك وانا والله ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت
على قومك لقد شتمت الآباء وعبت الدين وسفهت الاحلام وشتمت الآلهة وفرقت الجماعة فما بقى
أمر قبيح الا وقد جئته فيما بيننا وبينك فان كنت انما جئت بهذا الحديث تطلب مالا جمعنا لك
من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وان كنت انما تطلب الشرف فينا سودناك علينا وان كنت
تريد به ملكا ملكناك علينا وان كان هذا الذى يأتيك بما يأتيك به رئيا تراه قد غلب عليك
وكانوا يسمون التابع من الجن الرئى فربما كان ذلك بذلنا أموالنا فى طلب الطب لك حتى نبرئك
منه أو نعذر فيك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بى ما تقولون ما جئتكم بما جئتكم به أطلب
أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثنى اليكم رسولا وأنزل على كتابا وأمرنى
أن أكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم فان تقبلوا منى ما جئتكم به فهو
حظكم فى الدنيا والآخرة وان تردوه على أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم أو كما قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد فان كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فقد علمت أنه ليس
أحد من الناس أضيق بلادا ولا أقل مالا ولا أشد عيشا منا فسل ربك الذى بعثك بما بعثك به
فليسير عنا هذه الجبال التى قد ضيقت علينا ويبسط لنا بلادنا وليفجر فيها أنهارا كأنهار الشام
والعراق وليبعث لنا من مضى من آبائنا وليكن فيمن يبعث لنا منهم قصى بن كلاب فانه كان شيخا
صدوقا فنسألهم عما تقول حق هو أم باطل فان صنعت ما سألناك وصدقوك صدقناك وعرفنا به
منزلتك عند الله وأنه بعثك بالحق رسولا كما تقول فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بهذا
بعثت انما جئتكم من الله بما بعثنى به فقد بلغتكم ما أرسلت به اليكم فان تقبلوه فهو حظكم
فى الدنيا والآخرة وان تردوه على أصبر لامر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم قالوا فان لم تفعل لنا هذا
فخذ لنفسك فسل ربك أن يبعث ملكا يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك وتسأله فيجعل لك جنانا

فعلتهم وما أعظم فحشهم الثانى أن هذا الذى يقولونه لا يحكم به عقلهم وفكرهم البتة لكونه فى غاية البطلان وكأنه شئ يجرى على لسانهم بطريق التقليد احتج النظام على مذهبه أن الكلام جسم بان الخروج عبارة عن الحركة والحركة من خواص الاجسام

وكنوزا وقصورا من ذهب وفضة ويغنيك بها عما ترائ تبتغى فانك تقوم بالاسواق وتلتمس المعاش كما تلتمسه حتى نعرف فضل منزلتك من ربك ان كنت رسولا كما تزعم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنا بفاعل ما أنا بالذى يسأل ربه هذا وما بعثت اليكم بهذا ولكن الله بعثنى بشيرا ونذيرا فان تقبلوا ما جئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة وان تردوه على أصبر لامر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم قالوا فأسقط السماء علينا كسفا كما زعمت أن ربك ان شاء فعل فانا لا نؤمن لك الا أن تفعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الى الله ان شاء فعل بكم ذلك فقالوا يا محمد فما علم ربك أنا نجلس معك ونسألك عما سألناك عنه ونطلب منك ما نطلب فيتقدم اليك ويعلمك ما ترا جعنا به ويخبرك ما هو صانع فى ذلك أيضا اذا لم تقبل منا ما جئتنا به فقد بلغنا أنه انما يعلمك هذا رجل باليمامة يقال له الرحمن وانا والله ما نؤمن بالرحمن أبدا أعذرنا اليك يا محمد أما والله لا نتركك وما بلغت بنا حتى نهلكك أو تهلكنا قال قائلهم نحن نعبد الملائكة وهن بنات الله وقال قائلهم لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا فلما قالوا ذلك قام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم وقام معه عبد الله بن أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وهو ابن عمته ابن عاتكة ابنة عبد المطلب فقال له يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ثم سألوك لأنفسهم أمورا ليعرفوا منزلتك من الله فلم تفعل ذلك ثم سألوك أن تعجل ما تخوفهم به من العذاب فوالله لا أومن لك أبدا حتى تتخذ الى السماء سلما ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها وتأتى معك بنسخة منشورة معك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول وأيم الله لو فعلت ذلك لظننت أن لا أصدقك ثم انصرف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهله حزينا أسفا لما فاته مما كان يطمع فيه من قومه حين دعوه ولما رأى من مباعدتهم اياه فلما قام عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو جهل يا معشر قريش ان محمدا قد أبى الا ما ترون من عيب ديننا وشتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وسب آلهتنا وانى أعاهد الله لأجلسن له غدا بحجر قدر ما أطيق حمله فاذا سجد فى صلاته فخضخت رأسه به **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا ابن اسحق قال ثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت عن سعيد بن جبير أو عكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس بنحوه الا أنه قال وأبا سفيان بن حرب والنضر بن الحرث أبناء بنى عبد الدار وأبا البختري ابن هشام **حدثنى** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم عن أبى بشر عن سعيد قال قلت له فى قوله تعالى لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا قال قلت له نزلت فى عبد الله بن أبى أمية قال قد زعموا ذلك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا﴾ يقول تعالى ذكره وما منع يا محمد مشركى قومك الايمان بالله وبما جئتهم به من الحق اذ جاءهم الهدى يقول اذ جاءهم البيان من عند الله بحقيقة ما تدعوهم وصحة ما جئتهم به الا قولهم جهلا منهم أبعث الله بشرا رسولا فأن الاولى فى موضع نصب بوقوع منع عليها والثانية فى موضع رفع لان الفعل لها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل لو كان فى الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه قل يا محمد لهؤلاء الذين أبوا الايمان بك وتصديق ما جئتهم به من عندى استنكارا لأن يبعث الله رسولا من البشر لو كان أيها الناس فى الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا لأن الملائكة انما تراهم أمثالهم من الملائكة ومن خصه الله من بنى آدم برؤيتها فأما غيرهم

والجواب أن الخارج من الفم هو الهواء لان الحروف والاصوات كيفيات قائمة بالهواء فأسند الى الحال ما هو من شأن المحل مجازا ثم زاد فى تقبيح صورتهم بقوله (ان يقولون الا كذبا) وفيه ابطال قول من زعم أن الكذب هو الخبر الذى لا يطابق المخبر عنه مع علم قائله بأنه غير مطابق وذلك لأن القيد الاخير غير موجود ههنا مع أنه تعالى سماه كذبا ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله (فلعلك باخع) قال الليث بخع الرجل نفسه اذا قتلها غيظا وقال الاخفش والفراء أصل البخع الجهد يروى أن عائشة ذكرت عمر فقالت بخع الارض أى جهدها حتى أخذ ما فيها من أموال الملوك وقال الكسائى بخعت الارض بالزراعة اذا جعلتها ضعيفة بسبب متابعة الحراثة وبخع الرجل نفسه اذا نهكها و (أسفا) منصوب على المصدر أى تأسف أسفا وحذف الفعل لدلالة الكلام عليه وقال الزجاج هو مصدر فى موضع الحال أو مفعول له أى لفرط الحزن شبهه واياهم حين لم يؤمنوا بالقرآن وأعرضوا عن نبيهم برجل فارقته أحبته فهو يتساقط حسرات عليهم والحاصل أنه قيل له لا تعظم حزنك عليهم بسبب كفرهم فانه ليس عليك الا البلاغ فأما تحصيل الايمان فهم فليس اليك قال القاضى أطلق الحديث على القرآن فدل ذلك على أنه غير قديم وأجيب بأنه لا نزاع فى حدوث الحروف والاصوات وانما النزاع فى الكلام النفسى قوله سبحانه (انا جعلنا ما على الارض زينة لها) قال أهل النظم كأنه تعالى يقول انى خلقت الارض وزينتها ابتلاء للخلق بالتكاليف ثم انهم يتمردون ويكفرون ومع ذلك فلا أقطع عنهم موادها هذه النعم فأنت أيضا يا محمد لا تترك الاشتغال بدعوتهم

بعد أن لا تأسف عليهم وما على الارض المواليد الثلاثة أعنى المعادن والنبات والحيوان وأشرفها الانسان وقال القاضى الاولى أن لا يدخل المكلف فيه لان ما على الارض ليس زينة لها بالحقيقة وانما هو زينة لاهلها لغرض الابتلاء فالذى له الزينة يكون غيره عن الزينة ومضى أنه مجاز بالصورة والمراد انه تعالى يعاملهم معاملة لو صدرت تلك المعاملة عن غيره لكان من قبيل الابتلاء والامتحان وقدم هذا البحث بتمامه فى سورة البقرة فى تفسير قوله واذ ابتلى ابراهيم ربه واللام فى (لنبلوهم) للغرض عند المعتزلة أو العاقبة أو استتباع الغاية عند غيرهم حذرا من لزوم الاستكمال قال الزجاج (أيهم) رفع بالابتداء لان لفظه لفظ الاستفهام والمعنى لنمتحن هذا (أحسن عملا) أم ذلك ثم زهد فى الميل الى زينة الارض بقوله (وانا لجاعلون ما عليها) من هذه الزينة (صعيدا جرزا) أى مثل أرض بيضاء لا نبات فيها بعد أن كانت خضراء معشبة فى ازالة بهجته وامانة سكانه قال أبو عبيد الصعيد المستوى من الارض التى لا نبات فيها من قولهم امرأة جروز اذا كانت أكولا وسيف جراز اذا كان مستأصلا وجرز الجراد والشاء والابل الارض اذا أكلت ما عليها ثم ان القوم تعجبوا من قصة أصحاب الكهف وسألوا عنه الرسول صلى الله عليه وسلم على سبيل الامتحان فقال سبحانه (أم حسبت) يعنى بل أظننت يا انسان أنهم كانوا عجبا من آياتنا فقط فلا تحسبن ذلك فان آياتنا كلها عجب فان من كان قادرا على تخليق السموات والارض ثم تزيين الارض بأنواع المعادن والنبات والحيوان ثم جعلها بعد ذلك صعيدا خاليا عن الكل كيف تستبعدون قدرته وحفظه ورحمته بالنسبة الى طائفة مخصوصة وقال جار الله يعنى أن ذلك التزيين وغيره أعظم من قصة أصحاب الكهف يعنى أنه ذكر أولا عظيم قدرته ثم أضرب عن ذلك موبخا للانسان والحاصل أنك تعجب من هذا الادنى فكيف بما فوقه والكهف الغار الواسع فى الجبل والرقيم اسم كلبهم وعن سعيد بن جبير ومجاهد أنه لوح من حجارة

فلا يقدرون على رؤيتها فكيف يبعث اليهم من الملائكة الرسل وهم لا يقدرون على رؤيتهم وهم بهيآتهم التى خلقهم الله بها وانما يرسل الى البشر الرسول منهم كما لو كان فى الارض ملائكة يمشون مطمئنين ثم أرسلنا اليهم رسولا أرسلناه منهم ملكا مثلهم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم انه كان بعباده خبيرا بصيرا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه قل يا محمد للقائلين لك أبعث الله بشرا رسولا كفى بالله شهيدا بينى وبينكم فانه نعم الكافى والحاكم انه كان بعباده خبيرا يقول ان الله بعباده ذو خبرة وعلم بأمورهم وأفعالهم والمحق منهم والمبطل والمهدى والضال بصيرا بتدبيرهم وسياستهم وتصريفهم فيما شاء وكيف شاء وأحب لا يخفى عليه شئ من أمورهم وهو مجاز جميعهم بما قدم عند ورودهم عليه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا﴾ يقول تعالى ذكره ومن يهد الله يا محمد للايمان به والتصديق بقلبه وتصديق ما جئت به من عند ربك فوفقه لذلك فهو المهتدى الرشيد المصيب الحق لا من هداه غيره فان الهداية بيده ومن يضلل يقول ومن يضلله الله عن الحق فيخذله عن اصابته ولم يوفقه للايمان بالله وتصديق رسوله فلن تجد لهم يا محمد أولياء ينصرونهم من دون الله اذا أراد الله عقوبتهم والاستنقاذ منهم ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم يقول ونجمعهم عموقف القيامة من بعد تفرقهم فى القبور عند قيام الساعة على وجوههم عميا وبكما وهو جمع أبكم ويعنى بالبكم الخرس كما حدثنا الحسن بن يحيى قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله وبكما قال الخرس وصما وهو جمع أصم فان قال قائل وكيف وصف الله هؤلاء بأنهم يحشرون عميا وبكما وصما وقد قال ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها فأخبر أنهم يرون وقال اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا واذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا فاخبر أنهم يسمعون وينطقون قيل جائز أن يكون ما وصفهم الله به من العمى والبكم والصمم يكون صفتهم فى حال حشرهم الى موقف القيامة ثم يجعل لهم أسماع وأبصار وينطق فى أحوال أخر غير حال الحشر ويجوز أن يكون ذلك كما عن ابن عباس فى الخبر الذى حدثنيه على ابن داود قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما ثم قال ورأى المجرمون النار فظنوا وقال سمعوا لها تغيظا وزفيرا وقال دعوا هنالك ثبورا فأما قوله عميا فلا يرون شيأ يسرهم وقوله بكما لا ينطقون بحجة وقوله صما لا يسمعون شيأ يسرهم وقوله مأواهم جهنم يقول جل ثناؤه ومصيرهم الى جهنم وفيها مساكنهم وهم وقودها كما حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله مأواهم جهنم يعنى انهم وقودها وقوله كلما خبت زدناهم سعيرا يعنى بقوله خبت لانت وسكنت كما قال عدى بن زيد العبادى فى وصف مزنة

وسطه كاليراع أو سرج المجـ ـدل حينا يخبو وحينا ينير

يعنى بقوله يخبو السرج أنها تلين وتضعف أحيانا وتقوى وتنير أخرى ومنه قول القطامى

* فيخبو ساعة ويهب ساعا *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم فى العبارة عن تأويله ذكر من قال ذلك حدثنى على بن داود قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية

أو رصاص رقمت فيه أسماؤهم جعل على باب الكهف فعلى هذا يكون اللفظ عربيا فعيلا بمعنى مفعول ومثله ما روى أن الناس رقوا حديثهم نقر في الجبل وعن السدى أنه القرية التي خرجوا منها وقيل هو الوادي أو الجبل الذي فيه الكهف والعجب مصدر وصف به أو المراد ذات عجب وقوله (إذ أوى الفتية إلى الكهف) صاروا إليه وجعلوه مأواهم منصوب باضمار اذكر لا حسبت لفساد المعنى ولا يبعد أن يتعلق بعجبا والتنوين في (رحمة) اما للتعظيم أو للنوع وتقديم من لدنك للاختصاص أي رحمة مخصوصة بأنها من خزائن رحمتك وهي المغفرة والرزق والامن من الاعداء (وهيئ لنا) أي أصلح لنا من قولك هيأت الامر فتهيأ (من أمرنا) الذي نحن عليه من مفارقة الكفار (رشدا) أي أمرا ذا رشد حتى نكون بسببه راشدين غير ضالين فتكون من للابتداء ويجوز أن تكون للتجريد كما في قولك رأيت منك أسدا أي اجعل أمرنا رشدا كله فضربنا على آذانهم) قال المفسرون أي أغناهم والأصل فيه أن المفعول محذوف وهو الحجاب كما يقال بنى على امرأته أي بنى عليها القبة و(سنين) ظرف زمان و(عددا) أي ذوات عدد وهو مصدر وصف به والمراد بهذا الوصف اما القلة لان الكثير قليل عند الله وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون واما الكثرة قال الزجاج اذا قل فهم مقدار عدده فلم يحتج الى العدد واذا كثر احتاج الى أن يعد (ثم بعثناهم) أيقظناهم (لنعلم) لنظهر معلومنا وفعل العلم معلق لما في أي من معنى الاستفهام فارتفع (أي الحزبين) على الابتداء وخبره (أحصى) وهو فعل ماض وما في (لما لبثوا) مصدرية أي أحصى (أمدا) للبثهم فيكون الجار والمجرور صفة للامد فلما قدم صار حالا منه وقيل اللام زائدة وما بمعنى الذي وأمدا تمييز والتقدير أحصى لما لبثوه أمدا والأمد الغاية وزعم بعضهم أن أحصى أفعل تفضيل كما في قولهم أعدى من الجرب وأفلس من ابن المذلق ولم يستصوبه في الكشاف لان الشاذ لا يقاس عليه واختلفوا

عن علي عن ابن عباس في قوله كلما خبت قال سكنت **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس كلما خبت زدناهم سعيرا يقول كلما أحرقتهم نسعر بهم حطبا فاذا أحرقتهم فلم تبق منهم شيأ صارت جمرا تتوهج فذلك خبوها فاذا بدلوا خلقا جديدا عاودتهم **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن مجاهد **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس كلما خبت قال خبوها أنها تسعر بهم حطبا فاذا أحرقتهم فلم يبق منهم شئ صارت جمرا تتوهج فاذا بدلوا خلقا جديدا عاودتهم **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله كلما خبت زدناهم سعيرا يقول كلما احترقت جلودهم بدلوا جلودا غيرها ليذوقوا العذاب **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله كلما خبت زدناهم سعيرا قال كلما لان منها شئ **حدثت** عن مروان عن جويبر عن الضحاك كلما خبت قال سكنت وقوله زدناهم سعيرا يقول زدناهم هؤلاء الكفار سعيرا وذلك اسعار النار عليهم والتهابها فيهم وتأججها بعد خبوها في أجسامهم ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴿ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا﴾ يقول تعالى ذكره هذا الذي وصفنا من فعلنا يوم القيامة بهؤلاء المشركين ماذكرت أنا نفعل بهم من حشرهم على وجوههم عميا وبكما وصما وإصلائنا اياهم النار على ما بينا من حالتهم فيها ثوابهم بكفرهم في الدنيا بآياتنا يعني بأدلته وحججه وهم رسله الذين دعوهم الى عبادته وافرادهم اياه بالألوهة دون الأوثان والأصنام وبقولهم اذا أمروا بالايمان بالمعاد وبثواب الله وعقابه في الآخرة أئذا كنا عظاما مالية ورفاتا قد صرنا ترابا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا يقولون نبعث بعد ذلك خلقا جديدا كما ابتدأناه أول مرة في الدنيا استنكارا منهم لذلك واستعظاما وتعجبا من أن يكون ذلك ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴿أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والارض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلا لا ريب فيه فأبى الظالمون الا كفورا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم أولم ينظر هؤلاء القائلون من المشركين أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا بعيون قلوبهم فيعلموا أن الله الذي خلق السموات والارض فابتدعها من غير شئ وأقامها بقدرته قادر بتلك القدرة على أن يخلق مثلهم أشكالهم وأمثالهم من الخلق بعد فنائهم وقبل ذلك وأن من قدر على ذلك فلا يمتنع عليه اعادتهم خلقا جديدا بعد أن يصيروا عظاما ورفاتا وقوله وجعل لهم أجلا لا ريب فيه يقول تعالى ذكره وجعل الله لهؤلاء المشركين أجلا لهلاكهم ووقتا لعذابهم لا ريب فيه يقول لا شك فيه أنه آتيهم ذلك الأجل فأبى الظالمون الا كفورا يقول فأبى الكافرون الا جحودا بحقيقة وعده الذي أوعدهم وتكذيبا به ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴿قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لأمسكتم خشية الانفاق وكان الانسان قتورا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه قل يا محمد لهؤلاء المشركين لو أنتم أيها الناس تملكون خزائن أملاك ربي من الاموال وعنى بالرحمة في هذا الموضع المال اذا لأمسكتم خشية الانفاق يقول اذا لبخلتم به فلم تجودوا بها على غيركم خشية من الانفاق الافتقار كما **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج

قال قال ابن عباس اذا لأمسكتم خشية الانفاق قال الفقر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة خشية الانفاق أى خشية الفاقة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله وقوله وكان الانسان قتورا يقول وكان الانسان بخيلا ممسكا كما حدثنى على قال ثنا عبدالله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله وكان الانسان قتورا يقول بخيلا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس فى قوله وكان الانسان قتورا قال بخيلا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وكان الانسان قتورا قال بخيلا ممسكا وفى القتور فى كلام العرب لغات أربع يقال قتر فلان يقتر و يقتر وقتر يقتر وأقتر يقتر كما قال أبو دواد

لا أعد الاقتار عدما ولكن * فقد من قد رزئته الاعدام

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسئل بنى اسرائيل اذ جاءهم فقال له فرعون انى لأظنك يا موسى مسحورا﴾ يقول تعالى ذكره ولقد آتينا موسى بن عمران تسع آيات بينات تبين لمن رآها أنها حجج لموسى شاهدة على صدقه وحقيقة نبوته * وقد اختلف أهل التأويل فيهن وماهن فقال بعضهم فى ذلك ما حدثنى به محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات قال التسع الآيات البينات يده وعصاه ولسانه والبحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات إلقاء العصا مرتين عند فرعون ونزع يده والعقدة التى كانت بلسانه وخمس آيات فى الأعراف الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم * وقال آخرون نحوا من هذا القول غير أنهم جعلوا آيتين منهن احداهما الطمسة والأخرى الحجر ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بريدة ابن سفيان عن محمد بن كعب القرظى قال سألنى عمر بن عبد العزيز عن قوله ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فقلت له هى الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والبحر وعصاه والطمسة والحجر فقال وما الطمسة فقلت دعا موسى وأمن هرون فقال قد أجيبت دعوتكما وقال عمر كيف يكون الفقه الا هكذا فدعا عمر بن عبد العزيز بخريطة كانت لعبد العزيز بن مروان أصيبت بمصر فاذا فيها الجوزة والبيضة والعدسة ما تنكر مسخت حجارة كانت من أموال فرعون أصيبت بمصر * وقال آخرون نحوا من ذلك الا أنهم جعلوا اثنتين منهن احداهما السنين والأخرى النقص من الثمرات ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين بن واقد عن يزيد النحوى عن عكرمة ومطر الوراق فى قوله تسع آيات قالا الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والعصا واليد والسنون ونقص من الثمرات حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم عن مغيرة عن الشعبى فى قوله تسع آيات بينات قال الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والسنين ونقص من الثمرات وعصاه ويده حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال سئل عطاء بن أبى رباح عن قوله ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ماهى قال الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وعصى موسى ويده قال

فى تعيين الحزبين فعن عطاء عن ابن عباس أن أصحاب الكهف حزب والملوك الذين تداولوا المدينة ملكا بعد ملك حزب وقال مجاهد الحزبان من أصحاب الكهف وذلك أنهم لما انتبهوا اختلفوا فقال بعضهم لبثنا يوما أو بعض يوم وقال آخرون ربكم أعلم بما لبثتم وذلك حين حدسوا أن لبثهم قد تطاول وقال الفراء ان طائفتين من المسلمين فى زمان أصحاب الكهف اختلفوا فى مدة لبثهم (نحن نقص عليك نبأهم بالحق) أى على وجه الصدق (انهم فتية) شباب (آمنوا بربهم) أى بنى فوضع الظاهر موضع المضمر (وزدناهم هدى) أى بالتوفيق والتثبيت (وربطنا على قلوبهم) قويناها بالهام الصبر على فراق الخلائق والاوطان والفرار بالدين الى بعض الغيران (اذ قاموا) وفى هذا القيام أقوال فعن مجاهد أنهم اجتمعوا وراء المدينة من غير ميعاد فقال رجل منهم هو أكبر القوم انى لأجد فى نفسى شيأ ما أظن أحدا يجده أجد أن ربى رب السموات والارض فقالوا نحن كذلك فى أنفسنا فقاموا جميعا (فقالوا ربنا رب السموات والارض) وقال أكثر المفسرين انه كان لهم ملك جبار يقال له دقيانوس وكان يدعو الناس الى عبادة الطواغيت فثبت الله هؤلاء الفتية وعصمهم حتى قاموا بين يديه فقالوا ربنا رب السموات والارض وعن عطاء ومقاتل أنهم قالوا ذلك عند قيامهم من النوم والشطط الافراط فى الظلم والابعاد فيه من شط اذا بعد والمراد قولا ذا شطط أى بعيدا عن الحق (هؤلاء) مبتدأ و(قومنا) عطف بيان أو بدل و(اتخذوا) خبر وهو اخبار فى معنى انكار وفى اسم الاشارة تحقير لهم (لولا يأتون عليهم) هلا يأتون على حقيقة الهيتهم أو على عبادتهم (بسلطان بين) بحجة ظاهرة استدل بعدم الدليل على عدم الشركاء والاضداد فاستدل بعض العلماء بذلك على أن هذه طريقة ابن صحيحة ويمكن أن يجاب بأنه انما ذكر ذلك على سبيل التبكيت فمن المعلوم أن الاتيان بسلطان على عبادة الاوثان محال وفيه دليل على فساد

التقليد ويؤكده قوله (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) بنسبة الشريك اليه وخاطب بعضهم بعضا حين صمم عزمهم على الفرار بالدين وقوله (وما يعبدون) عطف على الضمير المنصوب يعني واذا عتزلتموهم ومعبوديهم وقوله (الا الله) استثناء منقطع على الظاهر ويجوز أن يكون متصلا بناء على أن المشركين يقرون بالخالق الاكبر وقيل هو كلام معترض اخبار من الله تعالى عن الفتية أنهم لم يعبدوا غير الله فما نافية قال الفراء (فأووا الى الكهف) جواب اذ ومعناه اذهبوا اليه واجعلوه مأواكم (ينشر لكم ربكم من رحمته) يبسطها لكم و(مرفقا) على القراءتين مشتق من الارتفاق الانتفاع وقيل فتح الميم أقيس وكسرها أكثر وقيل المرفق بالكسر ما ارتفقت به والمرفق بالفتح الامر الرافق وكان الكسائي ينكر في مرفق اليد الا كسر الميم قالوا ذلك ثقة بفضل الله وتوكلا عليه واما لانه أخبرهم نبي في عصرهم منهم أو من غيرهم (وترى الشمس) أيها الانسان (اذا طلعت تزاور) أصله من الزور بفتح الواو وهو الميل ومنه زاره اذا مال اليه والمراد أن الشمس تعدل عن سمتهم الى الجهتين فلا تقع عليهم والفجوة المتسع من المكان ومنه الحديث فاذا وجد بفجوة نص وللمفسرين في الآية قولان أحدهما أنهم في ظل نهارهم كله لا تصيبهم الشمس في طلوعها ولا غروبها مع أنهم في مكان واسع منفتح والى هذا الحجب أشار بقوله (ذلك من آيات الله) وثانيهما أن باب ذلك الكهف كان مفتوحا الى جانب الشمال فاذا طلعت الشمس كانت على يمين الكهف واذا غربت كانت على يساره فلذلك كانت الشمس لا تصل اليهم ثم انهم كانوا مع ذلك في منفسح من الغار بحيث يصيبهم فيه روح الهواء وبرد النسيم واعترض بأن عدم وصول الشمس اليهم لا يكون آية من آيات الله على هذا التقدير وأجيب بأن المشار اليه حفظهم في ذلك الغار مدة طويلة والمقصود من بيان وضع الغار تعيين مكانهم ثم بين الله سبحانه لطفه بهم بصون أبدانهم عن الفساد في تلك المدة المديدة كما لطف بهم في

ابن جريج وقال مجاهد مثل قول عطاء وزاد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات قال هما التاسعتان ويقولون التاسعتان السنين وذهاب عجمة لسان موسى **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة عن ابن عباس في قوله تسع آيات بينات وهي متتابعات وهي في سورة الاعراف ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات قال السنين في أهل البوادي ونقص من الثمرات لاهل القرى فهاتان آيتان والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم هذه نحس ويد موسى اذا أخرجها بيضاء للناظرين من غير سوء البرص وعصاه اذا ألقاها فاذا هي ثعبان مبين **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن ابن عباس قوله ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات قال يد موسى وعصاه والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والسنين ونقص من الثمرات * وقال آخرون نحوا من ذلك الا أنهم جعلوا السنين والنقص من الثمرات آية واحدة وجعلوا التاسعة تلقف العصا ما يأفكون ذكر من قال ذلك **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال قال الحسن في قوله تسع آيات بينات ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات قال هذه آية واحدة والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ويد موسى وعصاه اذ ألقاها فاذا هي ثعبان مبين واذ ألقاها فاذا هي تلقف ما يأفكون * وقال آخرون في ذلك ما **حدثني** محمد بن المثنى قال ثنى محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن عمرو بن مرة قال سمعت عبد الله بن سلمة يحدث عن صفوان بن عسال قال قال يهودي لصاحبه اذهب بنا الى النبي حتى نسأله عن هذه الآية ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات قال لا تقل له نبي فانه ان سمعك صارت له أربعة أعين قال فسألا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تشركوا بالله شيأ ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تمشوا ببريء الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة أو قال لا تفروا من الزحف « شعبة الشاك » وأنتم يا يهود عليكم خاصة لا تعدوا في السبت فقبلا يده ورجله وقالا نشهد أنك نبي قال فما يمنعكما أن تسلما قالا ان داود دعا أن لا يزال من ذريته نبي وانا نخشى أن تقتلنا يهود **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا سهل بن يوسف وأبو داود وعبد الرحمن بن مهدي عن سعيد عن عمرو قال سمعت عبد الله بن سلمة يحدث عن صفوان بن عسال المرادي عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه الا أن ابن مهدي قال لا تمشوا الى ذي سلطان وقال ابن مهدي أراه قال ببريء **حدثنا** أبو كريب قال ثنا عبد الله بن ادريس وأبو أسامة بنحوه عن شعبة بن الحجاج عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة عن صفوان بن عسال قال قال يهودي لصاحبه اذهب بنا الى هذا النبي فقال صاحبه لا تقل نبي انه لو سمعك كان له أربع أعين قال فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألانه عن تسع آيات بينات فقال هن ولا تشركوا بالله شيأ ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تمشوا ببريء الى ذي سلطان ليقتله ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تقذفوا المحصنة ولا تولوا يوم الزحف وعليكم خاصة يهود أن لا تعدوا في السبت قال فقبلوا يديه ورجليه وقالوا نشهد أنك نبي قال فما يمنعكم أن تتبعوني قالوا ان داود دعا أن لا يزال من ذريته نبي وانا نخاف ان اتبعناك أن تقتلنا يهود **حدثنا** مجاهد ابن موسى قال ثنا يزيد قال ثنا شعبة بن الحجاج عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة

أول الامر بالهداية فكان فيه ثناء عليهم وتذكير لغيرهم أن الهداية وضدها كلهما بمشيئة الله وعنايته الازلية وبلطفه وقهره الذى سبق به القلم وقال جار الله فيه تنبيه على أن من سلك طريقة الراشدين المهديين فهو الذى أصاب الفلاح ومن تعرض للخسران ظن

عن صفوان بن عسال عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه وأما قوله فاسأل بنى اسرائيل اذ جاءهم فان عامة قراء الاسلام على قراءته على وجه الامر بمعنى فاسأل يا محمد بنى اسرائيل اذ جاءهم موسى وروى عن الحسن البصرى فى تأويله ما حدثنى به الحرث قال ثنا القاسم قال ثنا حجاج عن هرون عن اسمعيل عن الحسن فاسأل بنى اسرائيل قال سؤالك اياهم نظرك فى القرآن وروى عن ابن عباس أنه كان يقرأ ذلك فسأل بمعنى فسأل موسى فرعون بنى اسرائيل أن يرسلهم معه على وجه الخبر ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا حجاج عن هرون عن حنظلة السدوسى عن شهر بن حوشب عن ابن عباس أنه قرأ فسأل بنى اسرائيل اذ جاءهم يعنى أن موسى سأل فرعون بنى اسرائيل أن يرسلهم معه والقراءة التى لا أستجيز أن يقرأ بغيرها هى القراءة التى عليها قراء الامصار لاجماع الحجة من القراء على تصويبها ورغبتهم عما خالفها وقوله فقال له فرعون انى لأظنك يا موسى مسحورا يقول فقال لموسى فرعون انى لأظنك يا موسى تتعاطى علم السحر فهذه العجائب التى تفعلها من سحرك وقد يجوز أن يكون مراده بقوله انى لأظنك يا موسى ساحرا فوضع مفعول موضع فاعل كما قيل انك مشؤم علينا وميمون وانما هو شائم ويامن وقد تأول بعضهم حجابا مستورا بمعنى حجابا ساترا والعرب قد تخرج فاعلا بلفظ مفعول كثيرا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والارض بصائر وانى لأظنك يا فرعون مثبورا﴾ اختلفت القراء فى قراءة قوله لقد علمت فقرأ عامة قراء الأمصار ذلك لقد علمت بفتح التاء على وجه الخطاب من موسى لفرعون وروى عن على بن أبى طالب رضوان الله عليه فى ذلك أنه قرأ لقد علمت بضم التاء على وجه الخبر من موسى عن نفسه ومن قرأ ذلك على هذه القراءة فانه ينبغى أن يكون على مذهبه تأويل قوله انى لأظنك يا موسى مسحورا انى لأظنك قد سحرت فترى أنك تتكلم بصواب وليس بصواب وهذا وجه من التأويل غير أن القراءة التى عليها قراء الامصار خلافها وغير جائز عندنا خلاف الحجة فيما جاءت به من القراءة مجمعة عليه وبعد فان الله تعالى ذكره قد أخبر عن فرعون وقومه أنهم جحدوا ما جاءهم به موسى من الآيات التسع مع علمهم بأنها من عند الله بقوله وأدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء فى تسع آيات الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فأخبر جل ثناؤه أنهم قالوا هى سحر مع علمهم واستيقان أنفسهم بأنها من عند الله فكذلك قوله لقد علمت انما هو خبر من موسى لفرعون بأنه عالم بأنها آيات من عند الله وقد ذكر عن ابن عباس أنه احتج فى ذلك بمثل الذى ذكرنا من الحجة قال حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه كان يقرأ لقد علمت يا فرعون بالنصب ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والارض ثم تلا وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فاذا كان ذلك كذلك فتأويل الكلام قال موسى لفرعون لقد علمت يا فرعون ما أنزل هؤلاء الآيات التسع البينات التى أريتكها حجة لى على حقيقة ما أدعوك اليه وشاهدة لى على صدقى وصحة قولى انى لله رسول ما بعثنى اليك الا رب السموات والارض لأن ذلك لا يقدر عليه ولا على أمثاله أحد سواه بصائر يعنى بالبصائر الآيات انهن بصائر لمن استبصر بهن وهدى لمن اهتدى بهن يعرف بهن من رآهن أن من جاء بهن فحق وأنهن من عند الله لا من عند غيره اذ كن معجزات لا يقدر عليهن ولا على شئ

يجد من يليه ويرشده ثم حكى طرفا آخر من غرائب أحوالهم فقال (وتحسبهم أيقاظا) هى جمع يقظ بكسر القاف كأنكاد فى جمع نكد (وهم رقود) جمع راقد كقعود فى قاعد واستبعده فى التفسير الكبير وقيل عيونهم مفتحة وهم نيام فيحسبهم الناظر لذلك أيقاظا وقال الزجاج لكثرة تقلبهم وقيل لهم تقلبتان فى السنة وقيل تقلبة واحدة فى يوم عاشوراء وعن مجاهد يمكثون رقودا على أيمانهم سبع سنين ثم يقلبون على شمائلهم فيمكثون رقودا سبع سنين وفائدة تقلبهم ظاهرة وهى أن لا تأكل لحومهم الارض قاله ابن عباس وتعجب منه الامام فخر الدين قال وان الله تعالى قادر على حفظهم من غير تقلب وأقول لا ريب فى قدرة الله تعالى ولكن الوسائط معتبرة فى أغلب الاحوال (وكلبهم باسط) حكاية الحال الماضية ولهذا عمل فى المفعول به والوصيد الفناء وقيل العتبة أو الباب قال السدى الكهف لا يكون له عتبة ولا باب وانما أراد أن الكلب منه موضع العتبة من البيت عن ابن عباس هربوا ليلا من ملكهم فروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم ومعه كلبه وقال كعب مروا بكلب فنبح عليهم فطردوه فعاد ففعلوا ذلك ثلاث مرات فقال لهم الكلب ما تريدون منى أنا أحب أحباء الله فناموا حتى أحرسكم وقال عبيد بن عمرو كان ذلك كلب صيدهم والاطلاع على الشئ الاشراف عليه قال الزجاج قوله

(فرارا) منصوب على المصدر لانه بمعنى التولية وسبب الرعب هيبة ألبسهم الله اياها وقيل طول أظفارهم وشعورهم وعظم أجرامهم ووحشة مكانهم منه يحكى أن معاوية غزا الروم فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس ليس منهن

لك ذلك قد منع الله منه من هو خير منك فقال (لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا) فقال معاوية لا أنتهي حتى أعلم علمهم فبعث ناسا فقال لهم اذهبوا فانظروا ففعلوا فلما دخلوا الكهف بعث الله ريحا فأخرجتهم (وكذلك) اشارة الى المذكور قبله أي وكما أنمناهم تلك النومة وفعلنا بهم ما فعلنا من الكرامات كذلك (بعثناهم) وفيه تذكير لقدرته على الاقامة والبعث جميعا ثم ذكر غاية بعثهم فقال (ليتساءلوا) أي ليقع التساؤل بينهم والاختلاف والتنازع في مدة اللبث غرض صحيح لما فيه من انكشاف الحال وظهور آثار القدرة (قال قائل منهم كم لبثتم) قال ابن عباس هو رئيسهم علم بخاطر ذلك الى الله تعالى حين رأى التغير في شعورهم وأظفارهم وبشرتهم والفاء في (فابعثوا) للتسبيب كأنه قيل واذ قد حصل اليأس من تعيين مدة اللبث فخذوا في شئ آخر مما يهمكم والورق الفضة مضروبة أو غير مضروبة وفي تزودهم الورق عند فرارهم دليل على أن امساك بعض ما يحتاج اليه الانسان في سفره وحضره لا ينافي التوكل على الله والمدينة طرسوس قال في الكشاف (أيها) معناه أي أهلها (أزكى طعاما) وأقول يحتمل أن يعود الضمير الى الأطعمة ذهنا كقوله زيد طيب أباعلى أن الاب هو زيد ويجوز أن يراد أي أطعمة المدينة أزكى طعاما على الوجه المذكور عن ابن عباس يريد ما حل من الذبائح لان عامة أهل بلدهم كانوا مجوسا وفيهم قوم يخفون أديانهم وقال مجاهد احترز وا من المغصوب لان ملكهم كان ظالما وقيل أيها أطيب وألذ وقيل الرخص (وليتلطف) وليتكلف اللطف فيما يباشره من أمر المبايعة حتى لا يغبن والأظهر أنهم طلبوا اللطف في أمر التخفي حتى لا يعرف

منهن سوى رب السموات والارض وهو جمع بصيرة وقوله وانى لأظنك يا فرعون مثبورا يقول انى لأظنك يا فرعون ملعونا ممنوعا من الخير والعرب تقول ما ثبرك عن هذا الامر أي ما منعك منه وما صدك عنه وثبره الله فهو يثبره ويثبره لغتان ورجل مثبور محبوس عن الخيرات هالك ومنه قول الشاعر

اذ أجارى الشيطان في سنن الغي ومن مال ميله مثبور

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** عبد الله بن عبد الله الكلابي قال ثنا أبو خالد الأحمر قال ثنا عمر بن عبد الله عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله انى لأظنك يا فرعون مثبورا قال ملعونا **حدثنا** أبو كريب قال ثنا مروان بن معاوية قال أخبرنا عمر بن عبد الله الثقفي عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله **حدثني** علي قال ثنا عبد الله قال ثنا معاوية عن علي عن ابن عباس قوله انى لأظنك يا فرعون مثبورا يقول ملعونا * وقال آخرون بل معناه انى لأظنك يا فرعون مغلوبا ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله انى لأظنك يا فرعون مثبورا يعني مغلوبا **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله انى لأظنك يا فرعون مثبورا يقول مغلوبا * وقال بعضهم معنى ذلك انى لأظنك يا فرعون هالكا ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثبورا أي هالكا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وانى لأظنك يا فرعون مثبورا أي هالكا (١) **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة بنحوه * وقال آخرون معناه انى لأظنك مبدلا مغيرا ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا عبد الله بن موسى عن عيسى بن موسى عن عطية انى لأظنك يا فرعون مثبورا قال مبدلا * وقال آخرون معناه مخبولا لا عقل له ذكر من قال ذلك **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وانى لأظنك يا فرعون مثبورا قال الانسان اذا لم يكن له عقل فما ينفعه يعني اذا لم يكن له عقل ينتفع به في دينه ومعاشه دعته العرب مثبورا قال أظنك ليس لك عقل يا فرعون قال بيناهو يخافه ولا ينطلق لساني أن أقول هذا لفرعون فلما شرح الله صدره اجترأ أن يقول له فوق ما أمره الله وقد بينا الذي هو أولى بالصواب في ذلك قبل ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ ﴿فأراد أن يستفزهم من الارض فأغرقناه ومن معه جميعا وقلنا من بعده لبني اسرائيل اسكنوا الارض فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا﴾ يقول تعالى ذكره فأراد فرعون أن يستفز موسى وبني اسرائيل من الارض فأغرقناه في البحر ومن معه من جنده جميعا ونجينا موسى وبني اسرائيل وقلنا لهم من بعد هلاك فرعون اسكنوا الارض أرض الشام فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا يقول فاذا جاءت الساعة وهي وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا يقول حشرناكم من قبوركم الى موقف القيامة لفيفا أي مختلطين

---

(١) لعل هذا السند تكرر من الناسخ تأمل كتبه مصححه

يؤيده قوله (ولا يشعرن بكم أحد) أي لا يفعلن ما يؤدي الى الشعور ويسبب له (انهم ان يظهروا) يطلعوا على مكانكم أو (عليكم يرجموكم) يقتلوكم أخبث القتلة وهي الرجم وكانه كانت عادتهم (أو يعيدوكم في ملتهم) بالاكراه العنيف وقال في الكشاف العود في معنى الصيرورة

أكثر شئ فى كلامهم يقولون ما عدت أفعل كذا يريدون ابتداء الفعل قلت يحتمل أن يكون العود ههنا على معناه الاصلى لاحتمال أن يكون أصحاب الكهف على ملة أهل المدينة قبل أن هداهم الله وفى أذن معنى الشرط كأنه قال ان رجعتم الى دينهم فلن تفلحوا أبدا قال المحققون لا خوف على المؤمن الفار بدينه أعظم من هذين فنفى الاول هلاك الدنيا وفى الثانى هلاك الآخرة وانما نفى الفلاح على التأبيد مع أن كفر المكره لا يضر لانهم خافوا أن يجرهم ظاهر الموافقة الى الكفر القلبى وكما أعثرناهم وبعثناهم (أعثرنا عليهم) سمى الاعلام اعثارا والعلم عثورا الان من كان غافلا عن شئ فعثر به نظر اليه وعرفه وكان الاعثار سببا لحصول العلم واليقين وفى سبب الاعثار قولان أحدهما أنه طالت شعورهم وأظفارهم طولا مخالفا للعادة وتغيرت بشرتهم فعرفوا بذلك والا كثرون قالوا ان ذلك الرجل لما ذهب بالورق الى السوق وكانت دراهم دقيانوسية اتهموه بأنه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك فقال له من أين وجدت هذه الدراهم قال بعت بها أمس شيأ من التمر فعرف الملك أنه ما وجد كنزا وأن الله بعثه بعد موته فقص عليه القصة ثم ذكر سبحانه غاية الاعثار فقال (ليعلموا أن وعد الله حق) يروى أن ملك ذلك العصر ممن كان ينكر البعث الا أنه كان مع كفره منصفا فجعل الله أمر الفتية دليلا للملك وقيل بل اختلفت الامة فى ذلك الزمان فقال بعضهم الجسد والروح يبعثان جميعا وقال آخرون الروح تبعث وأما الجسد فتأكله الارض ثم ان ذلك الملك كان يتضرع أن يظهر له آية يستدل بها على ما هو الحق فى المسئلة فأطلعه الله تعالى على أمر أصحاب الكهف حتى تقرر عنده صحة بعث الاجساد لان انتباههم بعد ذلك النوم الطويل يشبه من يموت ثم يبعث فالمراد بالتنازع هو اختلافهم فى حقيقة البعث والضمائر فى قوله (اذ يتنازعون بينهم أمرهم) تعود الى تلك الامة وقيل أراد اذ يتنازع الناس بينهم

قال

قد التف بعضكم على بعض لا تتعارفون ولا ينحاز أحد منكم الى قبيلته وجيشه من قولك لفف الجيوش اذا ضربت بعضها ببعض فاختلط الجميع وكذلك كل شئ خلط بشئ فقد لفف به وقد اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم نحو الذى قلنا فيه ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن ابن أبى رزين جئنا بكم لفيفا قال من كل قوم * وقال آخرون بل معناه جئنا بكم جميعا ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله جئنا بكم لفيفا قال جميعا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد جئنا بكم لفيفا جميعا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا أى جميعا أولكم وآخركم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله جئنا بكم لفيفا قال جميعا حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله جئنا بكم لفيفا يعنى جميعا و وحد اللفيف وهو خبر عن الجميع لانه بمعنى المصدر كقول القائل لففته لفا ولفيفا ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ ﴿وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أرسلناك الا مبشرا ونذيرا وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا﴾ يقول تعالى ذكره وبالحق أنزلنا هذا القرآن يقول أنزلناه نأمر فيه بالعدل والانصاف والأخلاق الجميلة والامور المستحسنة الحميدة وننهى فيه عن الظلم والامور القبيحة والاخلاق الردية والافعال الذميمة وبالحق نزل يقول وبذلك نزل من عند الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقوله وما أرسلناك الا مبشرا ونذيرا يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وما أرسلناك يا محمد الى من أرسلناك اليه من عبادنا الا مبشرا بالجنة من أطاعنا فانتهى الى أمرنا ونهينا ومنذرا المن عصانا وخالف أمرنا ونهينا وقرآنا فرقناه لتقرأه اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الامصار فرقناه بتخفيف الراء من فرقناه بمعنى أحكمناه وفصلناه وبيناه وذكر عن ابن عباس أنه كان يقرؤه بتشديد الراء فرقناه بمعنى نزلناه شيأ بعد شئ آية بعد آية وقصة بعد قصة * وأولى القراءتين بالصواب عندنا القراءة الاولى لانها القراءة التى عليها الحجة مجمعة ولا يجوز خلافها فيما كانت عليه مجمعة من أمر الدين والقرآن فاذا كان ذلك أولى القراءتين بالصواب فتأويل الكلام وما أرسلناك الا مبشرا ونذيرا وفصلناه قرآنا وبيناه وأحكمناه لتقرأه على الناس على مكث * وبنحو الذى قلنا فى ذلك من التأويل قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وقرآنا فرقناه يقول فصلناه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى جعفر عن الربيع عن أبى العالية عن أبى بن كعب أنه قرأ وقرآنا فرقناه مخففا يعنى بيناه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس وقرآنا فرقناه قال فصلناه حدثنا ابن المثنى قال ثنا بدل بن المحبر قال ثنا عباد يعنى ابن راشد عن داود عن الحسن أنه قرأ وقرآنا فرقناه خففها فرق الله بين الحق والباطل وأما الذين قرؤا القراءة الاخرى فانهم تأولوا ما قد ذكرت من التأويل ذكر من

أمر أصحاب الكهف ويتكلمون فى قصتهم أو يتنازعون بينهم تدبير أمرهم حين توفوا كيف يخفون مكانهم وكيف يسدون الطريق اليهم (فقالوا ابنوا) على باب كهفهم (بنيانا) يروى أنه انطلق الملك وأهل المدينة معه وأبصروهم وحمدوا الله على آياته الدالة على البعث ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم وتوفى الله أنفسهم فألقى الملك عليهم ثيابه وأمر بفعل لكل واحد تابوتا من ذهب فرآهم فى المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجدا فيكون فيه دليل على أن أولئك الاقوام كانوا عارفين بالله تعالى ومعترفين بالعبادة والصلاة وقيل ان الكفار قالوا انهم كانوا على ديننا ونتخذ عليهم بنيانا والمسلمين قالوا بل كانوا على ديننا فنتخذ عليهم مسجدا وقيل انهم تنازعوا فى عددهم وأسمائهم قال جار الله (ربهم أعلم بهم) من كلام المتنازعين كأنهم تذاكروا أمرهم وتناقلوا الكلام فى أنسابهم وأحوالهم فلما لم يهتدوا الى حقيقته قالوا ذلك أو هو من كلام الله عز وجل رد القول الخائضين فى حديثهم من أولئك المتنازعين أو من الذين تنازعوا فيهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله من أهل الكتاب والذين غلبوا على أمرهم المسلمون وملكهم المسلم لانهم بنوا عليهم مسجدا يصلى فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم وكانوا أولى بهم وبالبناء عليهم حفظا لتربتهم بها وضنا بها (سيقولون) يعنى الخائضين فى قصتهم من المؤمنين ومن أهل الكتاب المعاصرين وكان كما أخبر فكان معجزا يروى أن السيد والعاقب وأصحابهما من أهل نجران كانوا عند النبى صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر أصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبيا هم (ثلاثة رابعهم كلبهم) وقال العاقب وكان نسطوريا هم (خمسة وسادسهم كلبهم) فزيف الله قولهما بأن قال (رجما بالغيب) أى يرمون رميا بالخبر الخفى يقال فلان يرمى بالكلام رميا أى يتكلم من غير تدبر وكثيرا

قال ماحكيت من التأويل عن قارئ ذلك كذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى جعفر عن الربيع عن أبى العالية قال كان ابن عباس يقرؤها وقرآنا فرقناه مثقلة يقول أنزل آية آية **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا داود عن عكرمة عن ابن عباس قال قال أنزل القرآن جملة واحدة الى السماء الدنيا فى ليلة القدر ثم أنزل بعد ذلك فى عشرين سنة قال ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس لم ينزل جميعا وكان بين أوله وآخره نحو من عشرين سنة **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وقرآنا فرقناه قال فرقه لم ينزله جميعا وقرأ وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة حتى بلغ وأحسن تفسيرا ينقض عليهم ما يأتون به وكان بعض أهل العربية من أهل الكوفة يقول نصب قوله وقرآنا بمعنى ورحمة ويتأول ذلك وما أرسلناك الا مبشرا ونذيرا ورحمة ويقول جاز ذلك لان القرآن رحمة ونصبه على الوجه الذى قلناه أولى وذلك كما قال جل ثناؤه والقمر قدرناه منازل وقوله لتقرأه على الناس على مكث يقول لتقرأه على الناس على تؤدة فترتله وتبينه ولا تعجل فى تلاوته فلا يفهم عنك * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عبيد المكتب قال قلت لمجاهد رجل قرأ البقرة وآخر آل عمران وآخر قرأ البقرة وركوعهما وسجودهما واحد أيهما أفضل قال الذى قرأ البقرة وقرأ وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث **حدثنى** على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله لتقرأه على الناس على مكث يقول على تأييد **حدثنى** محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله على مكث قال على ترتيل **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله لتقرأه على الناس على مكث قال فى ترتيل **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله لتقرأه على الناس على مكث قال التفسير الذى قال الله ورتل القرآن ترتيلا تفسيره **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن عبيد عن مجاهد قوله لتقرأه على الناس على مكث على تؤدة وفى المكث لغات العرب لغات مكث ومكث ومكيثى مقصور ومكثانا والقراءة بضم الميم وقوله ونزلناه تنزيلا يقول تعالى ذكره فرقنا تنزيله وأنزلناه شيأ بعد شئ كما **حدثنى** يعقوب قال ثنا ابن علية قال حدثنا عن أبى رجاء قال تلا الحسن وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا قال كان الله تبارك وتعالى ينزل هذا القرآن بعضه قبل بعض لما علم أنه سيكون ويحدث فى الناس لقد ذكر لنا أنه كان بين أوله وآخره ثمانى عشرة سنة قال فسألته يوما على سخطة فقلت يا أبا سعيد وقرآنا فرقناه فثقلها أبو رجاء فقال الحسن ليس فرقناه ولكن فرقناه فقرأ الحسن مخففة قلت من يحدثك هذا يا أبا سعيد أصحاب محمد قال فمن يحدثنيه قال أنزل عليه بمكة قبل أن يهاجر الى المدينة ثمانى سنين وبالمدينة عشر سنين **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا لم ينزل فى ليلة ولا ليلتين ولا شهر ولا شهرين

ما يقال رجم بالظن مكان قولهم ظن وقال المسلمون هم سبعة وثامنهم كلبهم قال العلماء وهذا قول محقق عرفه المسلمون باخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لسان جبرئيل عليه السلام والذى يدل عليه أمور منها ما روى عن على عليه السلام أنهم سبعة نفر أسماؤهم عليخا ومكسلينا ومسلينيا هؤلاء أصحاب يمين الملك وكان عن يساره مرنوس ودبرنوش وشادنوش وكان يستشير هؤلاء الستة فى أمره والسابع الراعى الذى وافقهم واسمه كفشطوطوش واسم مدينتهم أفسوس واسم كلبهم قطمير وقيل ريان عن ابن عباس أن أسماء أصحاب الكهف تصلح للطلب والهرب واطفاء الحريق تكتب فى خرقة ويرمى بها فى وسط النار ولبكاء الطفل تكتب وتوضع تحت رأسه فى المهد وللحرث تكتب على القرطاس وترفع على خشب منصوب فى وسط الزرع وللضربان وللحمى المثلثة والصداع والغثى والجاه والدخول على السلاطين تشد على الفخذ اليمنى ولعسر الولادة تشد على فخذها الايسر ولحفظ المال والركوب فى البحر والنجاة من القتل ومنها قول صاحب الكشاف ان الواو فى قوله وثامنهم هى التى تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة فى قولك جاءنى رجل ومعه آخر كما تدخل على الجملة الواقعة حالا من المعرفة فى قولك مررت بزيد ومعه سيف وفائدته توكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت مستقر لان الواو ومقتضاها الجمعية وكأنهم وصفوا بكونهم سبعة مرتين بخلاف القولين الاولين فانهم وصفوا بما وصفوا مرة واحدة ولقائل أن يقول ان العاطف لا يوسط بين الوصف والموصوف البتة لشدة الاتصال بينهما ومقتضى الواو هو الحالة المتوسطة بين كمال الاتصال وكمال الانقطاع بل الواو اما للعطف عطف الجملة على الجملة واما للحال وجاز لانهم لم يسوغوا ذا الحال نكرة لامكان التباس الحال بالصفة فى نحو قولك رأيت رجلا راكبا وههنا الالتباس مرتفع لمكان

ماقلنا

ولا سنة ولا سنتين ولكن كان بين أوله وآخره عشرون سنة وما شاء الله من ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن قال كان يقول أنزل على نبى الله القرآن ثمانى سنين وعشرا بعد ما هاجر وكان قتادة يقول عشرا بمكة وعشرا بالمدينة ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل آمنوا به أو لا تؤمنوا ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء القائلين لك لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا آمنوا بهذا القرآن الذى لو اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثله لم يأتوا به ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا أو لا تؤمنوا به فان ايمانكم به لن يزيد فى خزائن رحمة الله ولا تركيكم الايمان به ينقص ذلك وان تكفروا به فان الذين أوتوا العلم بالله وآياته من قبل نزوله من مؤمنى أهل الكتابين اذا يتلى عليهم هذا القرآن يخرون تعظيما له وتكريما وعلما منهم بأنه من عند الله لأذقانهم سجدا بالارض واختلف أهل التأويل فى الذى عنى بقوله يخرون للأذقان فقال بعضهم عنى به الوجوه ذكر من قال ذلك **حدثنى** على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله يخرون للأذقان سجدا يقول للوجوه **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يخرون للأذقان سجدا قال للوجوه **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله * وقال آخرون بل عنى بذلك اللحى ذكر من قال ذلك **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال قال الحسن فى يخرون للأذقان قال للحى وقوله سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا يقول جل ثناؤه ويقول هؤلاء الذين أوتوا العلم من قبل نزول هذا القرآن اذا خروا للأذقان سجودا عند سماعهم القرآن يتلى عليهم تنزيها لربنا وتبرئة له مما يضيف اليه المشركون به ما كان وعد ربنا من ثواب وعقاب إلا مفعولا حقا يقينا ايمان بالقرآن وتصديق به والأذقان فى كلام العرب جمع ذقن وهو مجمع اللحيين واذ كان ذلك كذلك فالذى قال الحسن فى ذلك أشبه بظاهر التنزيل * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم فى الذين عنوا بقوله أوتوا العلم وفى يتلى عليهم ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد الذين أوتوا العلم من قبله الى قوله خشوعا قال هم ناس من أهل الكتاب حين سمعوا ما أنزل الله على محمد قالوا سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله قل آمنوا به أو لا تؤمنوا ان الذين أوتوا العلم من قبله من قبل النبى صلى الله عليه وسلم اذا يتلى عليهم ما أنزل اليهم من عند الله يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا * وقال آخرون عنى بقوله الذين أوتوا العلم من قبله محمد صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فى قوله اذا يتلى عليهم كتابهم **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله اذا يتلى عليهم ما أنزل اليهم من عند الله وانما قلنا عنى بقوله اذا يتلى عليهم القرآن لانه فى سياق ذكر القرآن لم يجر لغيره من الكتب ذكر فيصرف الكلام اليه ولذلك جعلت الهاء التى فى قوله من قبله من ذكر القرآن لان الكلام بذكره جرى قبله وذلك قوله وقرآنا فرقناه وما بعده فى سياق الخبر عنه فلذلك وجبت صحة ما قلنا اذ لم يأت بخلاف

الواو ومنها قول بعضهم ان الضمير فى قوله ويقولون سبعة لله تعالى والجمع للتعظيم ومنها قول ابن عباس حين وقعت الواو انقطعت العدة أى لم يبق بعدها عدة يلتفت اليها وثبت أنهم سبعة وثامنهم كلبهم على القطع (١٢١) والثبات ومنها أنه خص القولين الاولين بزيادة

ما فلنا فيه حجة يجب التسليم لها ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا ﴾ يقول تعالى ذكره ويخر هؤلاء الذين أوتوا العلم من مؤمنى أهل الكتابين من قبل نزول الفرقان اذا يتلى عليهم القرآن لأذقانهم يبكون ويزيدهم ما فى القرآن من المواعظ والعبر خشوعا يعنى خضوعا لأمر الله وطاعته واستكانة له **حدثنا** أحمد بن منيع قال ثنا عبد الله بن المبارك قال أخبرنا مسعر عن عبد الأعلى التيمى ان من أوتى من العلم ما لم يبكه لخليق أن لا يكون أوتى علما ينفعه لأن الله نعت العلماء فقال ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للأذقان الآيتين **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال ثنا عبد الله بن المبارك عن مسعر بن كدام عن عبد الأعلى التيمى بنحوه الا أنه قال اذا يتلى عليهم يخرون للأذقان ثم قال ويخرون للأذقان يبكون الآية **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا قال هذا جواب وتفسير للآية التى فى كهيعص اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه قل يا محمد للمشركى قومك المنكرين دعاء الرحمن ادعوا الله أيها القوم أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى بأى أسمائه جل جلاله تدعون ربكم فانما تدعون واحدا وله الاسماء الحسنى وانما قيل ذلك له صلى الله عليه وسلم لان المشركين فيما ذكر سمعوا النبى صلى الله عليه وسلم يدعو ربه يا رب يا الله ويا رب يا الرحمن فظنوا أنه يدعو الهين فأنزل الله على نبيه عليه الصلاة والسلام هذه الآية احتجاجا لنبيه عليهم ذكر الرواية بما ذكرنا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى محمد بن كثير عن عبد الله بن واقد عن أبى الجوزاء عن ابن عباس قال كان النبى صلى الله عليه وسلم ساجدا يدعو يا رحمن يا رحيم فقال المشركون هذا يزعم أنه يدعو واحدا وهو يدعو مثنى مثنى فأنزل الله تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى الآية **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى عيسى عن الأوزاعى عن مكحول أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يتهجد بمكة ذات ليلة يقول فى سجوده يا رحمن يا رحيم فسمعه رجل من المشركين فلما أصبح قال لأصحابه انظروا ما قال ابن أبى كبشة دعوا الليلة الرحمن الذى باليمامة وكان باليمامة رجل يقال له الرحمن فنزلت قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى (١) **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله أيا ما تدعوا بشئ من أسمائه **حدثنى** موسى بن سهل قال ثنا محمد بن بكار البصرى قال ثنى حماد بن عيسى عن عبيد بن الطفيل الجهنى قال ثنا ابن جريج عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز عن مكحول عن عراك بن مالك عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان لله تسعة وتسعين اسما كلهن فى القرآن من أحصاهن دخل الجنة « قال أبو جعفر » ولدخول ما فى قوله أيا ما تدعوا وجهان أحدهما أن

(١) كذا فى الأصول ولم يذكر المتن اتكالا على ما تقدم وقد تكرر ذلك منه فتنبه

قوله رجما بالغيب وتخصيص الشئ بالوصف يدل على أن الحال فى الباقى بخلافه فمن العمد أن يذكر الله تعالى جملة الاقوال الباطلة ولا يذكر الحق على أنه سبحانه منعه عن المناظرة معهم وعن الاستفتاء منهم فى هذا الباب وهذا المنع انما يصح اذا علم حكم هذه الواقعة وأيضا الله تعالى قال ما يعلمهم الا قليل وبعد أن لا يحصل العلم بذلك للنبى صلى الله عليه وسلم ويحصل لغير النبى صلى الله عليه وسلم كعلى وكابن عباس حين قال أنا من أولئك القليل وقد عرفت قولهما فى هذا الباب واذا حصل فالظاهر أنه حصل بهذا الوحى لان الاصل فيما سواه العدم وقيل الضمير فى سيقولون لاهل الكتاب خاصة أى سيقول أهل الكتاب فيهم كذا وكذا ولا علم بذلك الا فى قليل منهم وقوله سبحانه فى الموضعين الاخيرين ويقولون بغير السين لاريب أنهما للاستقبال أيضا الا أن ذلك يحتمل أن يكون لاجل الصيغة التى تصلح له وأن يكون لتقدير السين بحكم العطف كما تقول قد أكرم وأنعم أى وقد أنعم أما فائدة تخصيص الواو فى قوله وثامنهم فقد عرفت آنفا وقد يقال ان لعدد السبعة عند العرب تداولا على الألسنة فى مظان المبالغة من ذلك قوله تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة لان هذا العدد سبعة عقود فاذا وصلوا الى الثامنة ذكروا الفظا يدل على الاستئناف كقوله فى أبواب الجنة وفتحت أبوابها وكقوله ثيبات وأبكارا

وزيف القفال هذا الوجه بقوله تعالى هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر وذلك أنه لم يذكر الواو فى النعت الثامن والانصاف أن هذا التزييف ليس فى

موضعه لان وجود الواو هو الذى يفتقر الى التوجيه وأما عدمه فعلى الاصل وبين التوجيه والايجاب بون بعيد والقائل بصدد الاول دون الاخير ثم نهى نبيه صلى الله عليه وسلم عن (١٣٣) الجدال مع أهل الكتاب فى شأن أصحاب الكهف ثم قال (الا مراء ظاهرا) فقال جار الله

أى جدالا غير متعمق فيه وهو أن تقص عليهم ما أوحى الله اليك فحسب ولا تزيد من غير تجهيل ولا تعنيف وقال فى التفسير الكبير المراد أن لا يكذبهم فى تعيين ذلك العدد بل يقول هذا التعيين لا دليل عليه فوجب التوقف ثم نهاه عن الاستفتاء منهم فى شأنهم لان المفتى يجب أن يكون أعلم من المستفتى وههنا الامر بالعكس ولا سيما فى باب واقعة أصحاب الكهف كما بينا * ولنذكر ههنا مسئلة جواز الكرامات وما تتوقف هى عليه فنقول الولى مشتق من الولى وهو القرب فقيل فعيل بمعنى فاعل كعليم وقدير وذلك أنه توالت طاعاته من غير تخلل معصية وقيل بمعنى مفعول كقتيل وذلك أن الحق سبحانه تولى حفظه وحراسته وقرب منه بالفضل والاحسان فاذا ظهر فعل خارق للعادة على انسان فان كان مقرونا بدعوى الالهية كما نقل أن فرعون كانت تظهر على يده الخوارق وكما ينقل أن الدجال سيكون منه ذلك فهذا القسم جوزه الاشاعرة لان شكله وخلقه يدل على كذبه فلا يفضى الى التلبيس وان كان مقرونا بدعوى النبوة فان كان صادقا وجب أن لا يحصل له المعارض وان كان كاذبا وجب ويمكن أن يقال ان الكاذب يستحيل أن يظهر منه الفعل الخارق واليه ذهب جمهور المعتزلة وخالفهم أبو الحسين البصرى وصاحبه محمود الخوارزمى وجوزا ظهور خوارق العادات على من كان مردودا عن طاعة الله وسموه بالاستدراج وقد يفرق بين النبى الصادق والساحر الخبيث بالدعاء الى الخير أو الى الشر وان كان مقرونا بدعوى عن الولاية فصاحبه هو الولى ومن المحققين من لم يجوز للولى دعوى الولاية لانه مأمور بالاخفاء كما أن النبى مأمور بالاظهار ثم ان المعتزلة أنكروا

تكون صلة كما قيل عما قليل ليصبحن نادمين والآخر أن تكون فى معنى إن كررت لما اختلف لفظاهما كما قيل ما ان رأيت كالليلة ليلة وقوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا اختلف أهل التأويل فى الصلاة فقال بعضهم عنى بذلك ولا تجهر بدعائك ولا تخافت به ولكن بين ذلك وقالوا عنى بالصلاة فى هذا الموضع الدعاء ذكر من قال ذلك حدثنى يحيى ابن عيسى الدامغانى قال ثنا ابن المبارك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة فى قوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قالت فى الدعاء حدثنا بشار قال ثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت نزلت فى الدعاء حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة مثله حدثنا الحسن بن عرفة قال ثنا عباد بن العوام عن أشعث بن سوار عن عكرمة عن ابن عباس فى قول الله تعالى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال كانوا يجهرون بالدعاء فلما نزلت هذه الآية أمروا أن لا يجهروا ولا يخافتوا حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا حماد عن عمرو بن مالك البكرى عن أبى الجوزاء عن عائشة قالت نزلت فى الدعاء حدثنى مطر بن محمد الضبى قال ثنا عبد الله بن داود قال ثنا شريك عن زياد بن فياض عن أبى عياض فى قوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال الدعاء حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابراهيم الهجرى عن أبى عياض ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال نزلت فى الدعاء حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا شريك عن زياد بن فياض عن أبى عياض مثله حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ذكره عن عطاء ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال نزلت فى الدعاء حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد فى هذه الآية ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال فى الدعاء حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد قال نزلت فى الدعاء حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها فى الدعاء والمسألة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن ليث عن مجاهد قال نزلت فى الدعاء والمسألة حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى قال ثنى سفيان قال ثنى قيس بن مسلم عن سعيد بن جبير فى قوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال فى الدعاء حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد الزبيرى قال ثنا سفيان عن ابن عياش العامرى عن عبد الله بن شداد قال كان أعراب اذا سلم النبى صلى الله عليه وسلم قالوا اللهم ارزقنا إبلا وولدا قال فنزلت هذه الآية ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن هشام بن عروة عن أبيه فى قوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال فى الدعاء حدثنى ابن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ولا تجهر بصلاتك الآية قال فى الدعاء والمسألة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى عيسى عن الاوزاعى عن مكحول ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال ذلك فى الدعاء * وقال آخرون عنى بذلك الصلاة واختلف قائلو هذه المقالة فى المعنى الذى عنى بالنهى

كرامات الاولياء وأثبتهم أهل السنة مستدلين بالقرآن والاخبار والآثار والمعقول أما القرآن فكقصة مريم ونبأ أصحاب الكهف قال القاضي لابد أن يكون في ذلك الزمان نبي تنسب اليه تلك الكرامات وأجيب في التفسير الكبير بأن اقدامهم على النوم أمر غير خارق للعادة حتى يجعل ذلك معجزة لأحد وأما قيامهم من النوم بعد ثلثمائة سنة فهذا أيضا لا يمكن جعله معجزة لان الناس لا يصدقونهم في هذه الواقعة لانهم لا يعرف كونهم صادقين في هذه الدعوى الا اذا بقوا طول هذه المدة وعرفوا أن هؤلاء الذين جاؤا في هذا الوقت هم الذين ناموا قبل ذلك بثلثمائة وتسع سنين وكل هذه الشرائط لم توجد فامتنع جعل هذه الواقعة معجزة لأحد من الانبياء فلم يبق الا أن تجعل كرامة لهم ولقائل أن يقول لم لا يجوز أن يكون نفس بعثهم معجزا لنبي هذا الزمان وأما أن ذلك البعث بعد نوم طويل فيعرف بأمارات أخر كما مر من حديث الدرهم وغيره وأما الأخبار فمنها ما أخرج في الصحاح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لم يتكلم في المهد الا ثلاثة عيسى ابن مريم وصبي في زمان جريج وصبي آخر أما عيسى فقد عرفتموه وأما جريج فكان رجلا عابدا في بني اسرائيل وكانت له أم وكان يوما يصلي اذا شتاقت اليه أمه فقالت يا جريج فقال يارب الصلاة خير أم رؤيتها ثم صلى فدعته ثانيا مثل ذلك حتى كان ذلك ثلاث مرار وكان يصلي ويدعها فاشتد ذلك على أمه فقالت اللهم لا تمته حتى تريه المومسات وكانت في بني اسرائيل زانية فقالت لهم أنا أفتن جريجا حتى يزني فأتته فلم تقدر عليه شيأ وكان هناك راع يأوي بالليل الى أصل صومعته فأرادت الراعي على نفسها فأتاها فولدت غلاما وقالت ولدي هذا من جريج فأتاه بنو اسرائيل وكسروا صومعته وشتموه فصلى ودعا ثم نخس الغلام قال أبو هريرة كأني أنظر الى النبي صلى الله عليه وسلم حين قال بيده يا غلام من أبوك فقال فلان الراعي فندم القوم على ما كان منهم واعتذروا اليه

عن الجهر به منها فقال بعضهم الذي نهى عن الجهر به منها القراءة ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية ورسول الله صلى الله عليه وسلم متوار ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال كان اذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن فاذا سمع ذلك المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به قال فقال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تجهر بصلاتك فيسمع المشركون ولا تخافت بها عن أصحابك فلا تسمعهم القرآن حتى يأخذوا عنك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا بشر بن عمار عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس في قوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جهر بالصلاة بالمسلمين بالقرآن شق ذلك على المشركين اذا سمعوه فيؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشتم والعيب به وذلك بمكة فأنزل الله يا محمد لا تجهر بصلاتك يقول لا تعلن بالقراءة بالقرآن اعلانا شديدا يسمعه المشركون فيؤذونك ولا تخافت بالقراءة بالقرآن يقول لا تخفض صوتك حتى لا تسمع أذنيك وابتغ بين ذلك سبيلا يقول اطلب بين الاعلان والجهر وبين التخافت والخفض طريقا الجهر اشديدا ولا خفضا لا تسمع أذنيك فذلك القدر فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة سقط هذا كله يفعل الآن أي ذلك شاء **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها الآية هذا ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة كان اذا صلى بأصحابه فرفع صوته بالقراءة أسمع المشركين فاذوه فأمره الله أن لا يرفع صوته فيسمع عدوه ولا يخافت فلا يسمع من خلفه من المسلمين فأمره الله أن يبتغي بين ذلك سبيلا **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا جرير عن الأعمش عن جعفر بن اياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يرفع صوته بالقرآن فكان المشركون اذا سمعوا صوته سبوا القرآن ومن جاء به فكان النبي صلى الله عليه وسلم يخفي القرآن فلا يسمعه أصحابه فأنزل الله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا **حدثنا** محمد بن علي بن الحسن بن شقيق قال سمعت أبي يقول أخبرنا أبو حمزة عن الأعمش عن جعفر بن اياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رفع صوته سمع المشركون سبوا القرآن ومن جاء به واذا خفض لم يسمع أصحابه قال الله وابتغ بين ذلك سبيلا **حدثنا** أبو كريب قال ثنا يونس قال ثنا محمد بن اسحق قال ثني داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جهر بالقرآن وهو يصلي تفرقوا وأبوا أن يستمعوا منه فكان الرجل اذا أراد أن يستمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض ما يتلو وهو يصلي استرق السمع دونهم فرقا منهم فان رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع ذهب خشية أذاهم فلم يستمع فان خفض رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته لم يستمع الذين يستمعون من قراءته شيأ فأنزل الله عليه ولا تجهر بصلاتك فيتفرقوا عنك ولا تخافت بها فلا تسمع من أراد أن يسمعها ممن يسترق ذلك دونهم لعله يرعوي الى بعض ما يسمع فينتفع به وابتغ بين ذلك سبيلا **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يجهر بقراءة القرآن في المسجد الحرام فقالت قريش لا تجهر بالقراءة فتؤذي آلهتنا فنهجو ربك فأنزل الله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها الآية **حدثني** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن سعيد

وقالوا ابنى صومعتك من ذهب وفضة فأبى عليهم وبناها كما كانت وأما الصبى الآخر فان امرأة كانت معها صبى ترضعه اذ مر بها شاب جميل ذو شارة فقالت اللهم اجعل ابنى مثل هذا فقال الصبى اللهم لا تجعلنى مثله ثم مر بها امرأة ذكروا أنها سرقت وزنت وعوقبت فقالت اللهم لا تجعل ابنى مثل هذه فقال اللهم اجعلنى مثلها فقالت له أمه فى ذلك فقال ان الراكب جبار من الجبابرة وان هذه قيل لها سرقت ولم تسرق وزنيت ولم تزن وهى تقول حسبى الله * ومنها ما روى عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم فأواهم المبيت الى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا انه والله لا ينجيكم من هذه الصخرة الا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم فقال رجل منهم كان لى أبوان شيخان كبيران فكنت لا أغبق قبلهما فنأما فى طلب شجرة يوما فلم أرح عنهما وحلبت لهما غبوقهما فجئتهما به فوجدتهما نائمين فكرهت أن أوقظهما وكرهت أن أغبق قبلهما فقمت والقدح فى يدى أنتظر استيقاظهما حتى ظهر الفجر فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم ان كنت فعلت هذا ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت انفراجا لا يستطيعون الخروج منه ثم قال الآخر اللهم انه كانت لى ابنة عم وكانت أحب الناس الىّ فأردتها عن نفسها فامتنعت حتى ألمت سنة من السنين فجاءتنى فأعطيتها مالا عظيما على أن تخلى بينى وبين نفسها فلما قدرت عليها قالت لا آذن لك أن تفض الخاتم الا بحقه فتحرجت من ذلك العمل وتركتها وتركت المال معها اللهم فان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الثالث اللهم انى استأجرت عن أجراء فأعطيتهم أجورهم غير رجل واحد منهم ترك الذى له وذهب فثمرت أجره حتى كثرت منه الاموال فجاءنى بعد حين فقال يا عبد الله أد الى

ابن جبير عن ابن عباس فى قوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مختف بمكة فكان اذا صلى بأصحابه رفع الصوت بالقرآن فاذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به فقال الله لنبيه ولا تجهر بصلاتك أى بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن ولا تخافت بها عن أصحابك فلا تسمعهم وابتغ بين ذلك سبيلا **حدثنا** ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن الأعمش عن جعفر بن اياس عن سعيد بن جبير فى قوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال فى القراءة **حدثنا** ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا سعيد عن أبى بشر عن سعيد بن جبير فى هذه الآية ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا رفع صوته أعجب ذلك أصحابه واذا سمع ذلك المشركون سبوه فنزلت هذه الآية **حدثنى** يعقوب قال ثنا ابن علية عن سلمة عن علقمة عن محمد بن سيرين قال نبئت أن أبا بكر كان اذا صلى فقرأ خفض صوته وأن عمر كان يرفع صوته قال فقيل لابى بكر لم تصنع هذا فقال أناجى ربى وقد علم حاجتى قيل أحسنت وقيل لعمر لم تصنع هذا قال أطرد الشيطان وأوقظ الوسنان قيل أحسنت فلما نزلت ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا قيل لأبى بكر ارفع شيأ وقيل لعمر اخفض شيأ **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا حسان بن ابراهيم عن ابراهيم الصائغ عن عطاء فى قوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال يقول ناس انها فى الصلاة ويقول آخرون انها فى الدعاء **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا وكان نبى الله وهو بمكة اذا سمع المشركون صوته رموه بكل خبث فأمره الله أن يغض من صوته وأن يجعل صلاته بينه وبين ربه وكان يقال ما سمعته اذ ذاك فليس بمخافتة **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يرفع صوته بالصلاة فيرمى بالخبث فقال لا ترفع صوتك فتؤذى ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا * وقال آخرون انما عنى بذلك ولا تجهر بالتشهد فى صلاتك ولا تخافت بها ذكر من قال ذلك **حدثنى** أبو السائب قال ثنا حفص بن غياث عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت نزلت هذه الآية فى التشهد ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها **حدثنى** أبو السائب قال ثنا حفص عن أشعث عن ابن سيرين مثله وزاد فيه وكان الاعرابى يجهر فيقول التحيات لله والصلوات لله يرفع فيها صوته فنزلت ولا تجهر بصلاتك * وقال آخرون بل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بمكة جهارا فأمر باخفائها ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين عن يزيد عن عكرمة والحسن البصرى قالا قال فى بنى اسرائيل ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى يجهر بصلاته فآذى ذلك المشركين بمكة حتى أخفى صلاته هو وأصحابه فلذلك قال ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا وقال فى الاعراف واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين * وقال آخرون معنى ذلك ولا تجهر بصلاتك تحسنها من اتيانها فى العلانية ولا تخافت بها تسيئها فى السريرة ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة

أجرتي فقلت له كل ماترى من الابل والغنم والرقيق من أجرتك فقال ياعبدالله لاتستهزئ بي فقلت اني لاأستهزئ بأحد فأخذ ذلك كله اللهم ان كنت فعلته ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة عن الغار فخرجوا يمشون وهذا حديث صحيح متفق عليه

عن الحسن أنه كان يقول ولاتجهر بصلاتك ولاتخافت بها أي لاتراء بها علانية ولاتخفها سرا وابتغ بين ذلك سبيلا **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبدالرزاق قال أخبرنا معمر قال كان الحسن يقول في قوله ولاتجهر بصلاتك ولاتخافت بها قال لاتحسن علانيتها وتسيء سريرتها **حدثني** يعقوب قال ثنا هشيم عن عوف عن الحسن في قوله ولاتجهر بصلاتك ولاتخافت بها قال لاتراء بها في العلانية ولاتخفها في السريرة **حدثني** علي بن الحسن الازرق قال ثنا الاشجعي عن سفيان عن منصور عن الحسن ولاتجهر بصلاتك ولاتخافت بها قال تحسن علانيتها وتسيء سريرتها **حدثني** علي قال ثنا عبدالله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ولاتجهر بصلاتك ولاتخافت بها قال لاتصل مراآة الناس ولاتدعها مخافة * وقال آخرون في ذلك ما **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولاتجهر بصلاتك ولاتخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا قال السبيل بين ذلك الذي سن له جبرائيل من الصلاة التي عليها المسلمون قال وكان أهل الكتاب يخافتون ثم يجهر أحدهم بالحرف فيصيح به ويصيحون هم به وراءه فنهى أن يصيح كما يصيح هؤلاء وأن يخافت كما يخافت القوم ثم كان السبيل الذي بين ذلك الذي سن له جبرائيل من الصلاة * وأولى الاقوال في ذلك بالصحة ماذكرنا عن ابن عباس في الخبر الذي رواه أبوجعفر عن سعيد عن ابن عباس لان ذلك أصح الاسانيد التي روي عن صحابي فيه قول مخرجا وأشبه الاقوال بما دل عليه ظاهر التنزيل وذلك أن قوله ولاتجهر بصلاتك ولاتخافت بها عقيب قوله قل ادعوا الله أوادعوا الرحمن أياما تدعوا فله الاسماء الحسنى وعقيب تقريع الكفار بكفرهم بالقرآن وذلك بعدهم منه ومن الايمان فاذا كان ذلك كذلك فالذي هو أولى وأشبه بقوله ولاتجهر بصلاتك ولاتخافت بها أن يكون من سبب ماهو في سياقه من الكلام مالم يأت بمعنى يوجب صرفه عنه أو يكون على انصرافه عنه دليل يعلم به الانصراف عما هو في سياقه فاذا كان ذلك كذلك فتأويل الكلام قل ادعوا الله أوادعوا الرحمن أياما تدعوا فله الاسماء الحسنى ولاتجهر يامحمد بقراءتك في صلاتك ودعائك فيهار بك ومسألتك اياه وذكرك فيها فيؤذيك بجهرك بذلك المشركون ولاتخافت بها فلا يسمعها أصحابك وابتغ بين ذلك سبيلا ولكن التمس بين الجهر والمخافتة طريقا الى أن تسمع أصحابك ولايسمعه المشركون فيؤذوك ولولا أن أقوال أهل التأويل مضت بما ذكرت عنهم من التأويل وانا لانستجيز خلافهم فيما جاء عنهم لكان وجها يحتمله التأويل أن يقال ولاتجهر بصلاتك التي أمرنالك بالمخافتة بها وهي صلاة النهار لانها عجماء لايجهر بها ولاتخافت بصلاتك التي أمرنالك بالجهر بها وهي صلاة الليل فانها يجهر بها وابتغ بين ذلك سبيلا بأن تجهر بها بالتي أمرنالك بالجهر وتخافت بالتي أمرنالك بالمخافتة بها لاتجهر بجميعها ولاتخافت بكلها فكان ذلك وجها غير بعيد من الصحة ولكنا لانرى ذلك صحيحا لاجماع الحجة من أهل التأويل على خلافه فان قال قائل فأية قراءة هذه التي بين الجهر والمخافتة قيل **حدثني** مطر ابن محمد قال ثنا قتيبة ووهب بن جرير قالا ثنا شعبة عن الاشعث بن سليم عن الاسود ابن هلال قال قال عبدالله لم يخافت من أسمع أذنيه **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبدالرحمن قال ثنا شعبة عن الاشعث عن الاسود بن هلال عن عبدالله مثله ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره

* ومنها قوله صلى الله عليه وسلم رب أشعث أغبر ذي طمرين لايؤبه له لو أقسم على الله لأبره ولم يفرق بين شئ وشئ فيما يقسم به على الله * ومنها رواية سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بينا رجل يسوق بقرة قد حمل عليها اذ التفتت البقرة وقالت اني لم أخلق لهذا وانما خلقت للحرث فقال الناس سبحان الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم آمنت بهذا أنا وأبو بكر وعمر * ومنها رواية أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بينا رجل سمع رعدا أو صوتا في السحاب أن اسق حديقة فلان قال فغدوت الى تلك الحديقة فاذا رجل قائم فيها فقلت له ما اسمك قال فلان بن فلان فقلت فما تصنع بحديقتك هذه اذا صرمتها قال ولم تسأل عن ذلك قلت لأني سمعت صوتا في السحاب أن اسق حديقة فلان قال أما اذ قلت فاني أجعلها أثلاثا فأجعل لنفسي ولأهلي ثلثا وأجعل للمساكين وأبناء السبيل ثلثا وأنفق عليها ثلثا * وأما الآثار فمن كرامات أبي بكر الصديق أنه لما حملت جنازته الى باب قبر النبي صلى الله عليه وسلم ونودي السلام عليك يارسول الله هذا أبو بكر بالباب فاذا الباب قد فتح فاذا هاتف يهتف من القبر أدخلوا الحبيب الى الحبيب ومن كرامات عمر ما روي أنه بعث جيشا وأمر عليهم رجلا يدعى سارية بن حصين فبينا عمر يوم الجمعة يخطب جعل يصيح في خطبته ياسارية الجبل الجبل قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكتبت تاريخ هذه الكلمة فقدم رسول ذلك الجيش فقال ياأمير المؤمنين غدونا يوم الجمعة في وقت الخطبة فدهمونا فاذا بانسان يصيح ياسارية الجبل فأسندنا ظهورنا الى الجبل فهزم الله الكفار وظفرنا بالغنائم العظيمة قال بعض العلماء كان ذلك بالحقيقة معجزة للنبي صلى الله

تكبيرا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقل يا محمد الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا فيكون مربوبا لارب لان رب الارباب لا ينبغى أن يكون له ولد ولم يكن له شريك فى الملك فيكون عاجزا ذا حاجة الى معونة غيره ضعيفا ولا يكون الها من يكون محتاجا الى معين على ما حاول ولم يكن منفردا بالملك والسلطان ولم يكن له ولى من الذل يقول ولم يكن له حليف حالفه من الذل الذى به لان من كان ذا حاجة الى نصرة غيره فذليل مهين ولا يكون من كان ذليلا مهينا يحتاج الى ناصرها يطاع وكبره تكبيرا يقول وعظم ربك يا محمد بما أمرنا أن تعظمه به من قول وفعل وأطعه فيما أمرك ونهاك * وبنحو الذى قلنا فى قوله ولم يكن له ولى من الذل قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولم يكن له ولى من الذل قال لم يحالف أحدا ولا يبتغى نصر أحد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يعلم أهله هذه الآية الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا الصغير من أهله والكبير حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا أبو جنيد عن جعفر عن سعيد عن ابن عباس قال ان التوراة كلها فى خمس عشرة آية من بنى اسرائيل ثم تلا لا تجعل مع الله الها آخر حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى أبو صخر عن القرظى أنه كان يقول فى هذه الآية الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا الآية قال ان اليهود والنصارى قالوا اتخذ الله ولدا وقالت العرب لبيك لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك وقال الصابئون والمجوس لولا أولياء الله لذل الله فأنزل الله وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره أنت يا محمد على ما يقولون تكبيرا

﴿آخر تفسير سورة بنى اسرائيل والحمد لله رب العالمين﴾

﴿تفسير سورة الكهف﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما﴾ «قال أبو جعفر» يقول تعالى ذكره الحمد لله الذى خص برسالته محمدا وانتخبه لبلاغها عنه فابتعثه الى خلقه نبيا مرسلا وأنزل عليه كتابه قيما ولم يجعل له عوجا وعنى بقوله عز ذكره قيما معتدلا مستقيما وقيل عنى به أنه قيم على سائر الكتب يصدقها ويحفظها ذكر من قال عنى به معتدلا مستقيما حدثنى على بن داود قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله ولم يجعل له عوجا قيما يقول أنزل الكتاب عدلا قيما ولم يجعل له عوجا فأخبر ابن عباس بقوله هذا مع بيانه معنى القيم أن القيم مؤخر بعد قوله ولم يجعل له عوجا ومعناه التقديم بمعنى أنزل الكتاب على عبده قيما حدثت عن محمد بن زيد عن جويبر عن الضحاك فى قوله قيما قال مستقيما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ولم يجعل له عوجا قيما أى معتدلا لا اختلاف فيه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر

تدخلون على وآثار الزنا ظاهرة عليكم فقلت أوحى نزل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا ولكن فراسة صادقة وقيل لما طعن بالسيف فأول قطرة سقطت من دمه سقطت على المصحف على قوله فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ويروى أن جهجاها الغفارى عن انتزع العصا من يده وكسرها فى ركبته فوقعت الاكلة فى ركبته وأما على صلوات الله عليه فيروى أن واحدا من أصحابه سرق وكان عبدا

أسود فأتى به الى على عليه السلام فقال أسرقت قال نعم فقطع يده فانصرف من عند على رضى الله عنه فلقيه سلمان الفارسى وابن الكواء فقال ابن الكواء من قطع يدك قال أمير المؤمنين ويعسوب المسلمين وختن الرسول وزوج البتول فقال قطع يدك وتمدحه قال ولم لا أمدحه وقد قطع يدى بحق وخلصنى من النار فسمع سلمان ذلك فأخبر به عليا رضى الله عنه فدعا الأسود ووضع يده على ساعده وغطاه بمنديل ودعا بدعوات فسمعنا صوتا من السماء ارفع الرداء عن اليد فرفعنا الرداء فاذا اليد كما كانت باذن الله تعالى * وأما سائر الصحابة فعن محمد بن المنذر أنه قال ركبت البحر فانكسرت السفينة التى كنت فيها فركبت لوحا من ألواحها فطرحنى اللوح فى أجمة فيها أسد فخرج الى أسد فقلت يا أبا الحرث أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فتقدم ودلنى على الطريق ثم همهم فظننت أنه يودعنى ورجع وروى ثابت عن أنس أن أسيد بن حضير ورجلا آخر من الأنصار خرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذهب من الليل قطع وكانت ليلة مظلمة وفى يد كل واحد منهما عصاه فأضاءت عصا أحدهما حتى مشيا فى ضوئها فلما افترقا أضاءت لكل واحد منهما عصاه حتى مشى فى ضوئها وبلغ منزله وقيل لخالد بن الوليد ان فى عسكرك من يشرب الخمر فركب فرسه ليلا فطاف فى العسكر فرأى رجلا على فرس ومعه زق من خمر فقال ماهذا فقال خل فقال خالد اللهم اجعله خلا فذهب الرجل الى أصحابه وقال أتيتكم بخمر ماشربت العرب مثلها فلما فتحوا فاذا هى خل فقالوا والله ماجئتنا الا بخل فقال هذه والله دعوة خالد ومن الوقائع المشهورة أن خالد بن الوليد أكل كفا من السم على اسم الله وماضره وعن ابن عمر أنه كان فى بعض أسفاره فلقى جماعة على طريق خائفين من السبع فطرد السبع عن طريقهم ثم قال انما يسلط على ابن آدم ما يخافه ولو أنه لم يخف غير الله لما سلط عليه شئ وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث العلاء بن الحضرمى فى غزاة فقال

عن قتادة فى قوله ولم يجعل له عوجا قيما قال أنزل الله الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما قال وفى بعض القرا آت ولكن جعله قيما والصواب من القول فى ذلك عندنا ما قاله ابن عباس ومن قال بقوله فى ذلك لدلالة قوله ولم يجعل له عوجا فأخبر جل ثناؤه أنه أنزل الكتاب الذى أنزله الى محمد صلى الله عليه وسلم قيما مستقيما لا اختلاف فيه ولا تفاوت بل بعضه يصدق بعضا وبعضه يشهد لبعض لا عوج فيه ولا ميل عن الحق وكسرت العين من قوله عوجا لان العرب كذلك تقول فى كل اعوجاج كان فى دين أو فيما لا يرى شخصه قائما فيدرك عيانا منتصبا كالعوج فى الدين ولذلك كسرت العين فى هذا الموضع وكذلك العوج فى الطريق لانه ليس بالشخص المنتصب فأما ما كان من عوج فى الاشخاص المنتصبة قياما فان عينها تفتح كالعوج فى القناة والخشبة ونحوها وكان ابن عباس يقول فى معنى قوله ولم يجعل له عوجا ولم يجعل له ملتبسا ذكر من قال ذلك **حدثنا** على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس ولم يجعل له عوجا قيما ولم يجعل له ملتبسا ولا خلاف أيضا بين أهل العربية فى أن معنى قوله قيما وان كان مؤخرا التقديم الى جنب الكتاب وقيل انما افتتح جل ثناؤه هذه السورة بذكر نفسه بما هو له أهل وبالخبر عن انزال كتابه على رسوله اخبارا منه للمشركين من أهل مكة بأن محمدا رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك أن المشركين كانوا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء علمهموها اليهود من قريظة والنضير وأمروهم بمسئلتهموه عنها وقالوا ان أخبركم بها فهو نبى وان لم يخبركم بها فهو متقول فوعدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم للجواب عنها موعدا فأبطأ الوحى عنه بعض الابطاء وتأخر مجىء جبرائيل عليه السلام عنه عن ميعاده القوم فتحدث المشركون بأنه أخلفهم موعده وأنه متقول فأنزل الله هذه السورة جوابا عن مسائلهم وافتتح أولها بذكره وتكذيب المشركين فى أحدوثتهم التى تحدثوها بينهم ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير عن محمد بن اسحق قال ثنى شيخ من أهل مصر قدم منذ بضع وأربعين سنة عن عكرمة عن ابن عباس «فيما يروى أبو جعفر الطبرى» قال بعثت قريش النضر بن الحرث وعقبة بن أبى معيط الى أحبار يهود بالمدينة فقالوا لهم سلوهم عن محمد وصفوا لهم صفته وأخبروهم بقوله فانهم أهل الكتاب الأول وعندهم علم ما ليس عندنا من علم الانبياء فخرجا حتى قدما المدينة فسألوا أحبار يهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفوا لهم أمره وبعض قوله وقالا انكم أهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا قال فقالت لهم أحبار يهود سلوه عن ثلاث نأمركم بهن فان أخبركم بهن فهو نبى مرسل وان لم يفعل فالرجل متقول فروا فيه رأيكم سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الاول ما كان من أمرهم فانه قد كان لهم حديث عجيب وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الارض ومغاربها ما كان نبؤه وسلوه عن الروح ما هو فان أخبركم بذلك فانه نبى فاتبعوه وان هو لم يخبركم فهو رجل متقول فاصنعوا فى أمره ما بدا لكم فأقبل النضر وعقبة حتى قدما مكة على قريش فقالا يا معشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد قد أمرنا أحبار يهود أن نسأله عن أمور فأخبروهم بها فجاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد أخبرنا فسألوه عما أمروهم به فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبركم غدا بما سألتم عنه ولم يستثن فانصرفوا عنه فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة لا يحدث الله اليه

بينهم وبين المطلوب قطعة من البحر فدعا باسم الله الاعظم فمشوا على الماء وفى كتب الصوفية من هذا الباب روايات كثيرة ولاسيما فى كتاب تذكرة الاولياء ومن أرادها فليطالعها

* وأما المعقول فهو أن الرب حبيب العبد والعبد حبيب الرب لقوله يحبهم ويحبونه فاذا بلغ العبد فى طاعته مع عجزه الى حيث يفعل كل ما أمره الله فأى بعد فى أن يفعل الرب مع غاية قدرته وسعة جوده مرة واحدة ما يريد العبد وأيضا لو امتنع اظهار الكرامة فذلك اما لأجل أن الله تعالى ليس أهلا له فذلك قدح فى قدرته واما لأن المؤمن ليس أهلا له وهو بعيد لان معرفة الله والتوفيق على طاعته أشرف العطايا وأجزلها واذا لم يبخل الفياض بالاشرف فلأن لا يبخل بالأدون أولى ومن هنا قالت الحكماء ان النفس اذا قويت بحسب قوتها العلمية والعملية تصرفت فى أجسام العالم السفلى كما تتصرف فى جسده قلت وذلك أن النفس نور ولا يزال يتزايد نوريته واشراقه بالمواظبة على العلم والعمل وفيضان الانوار الالهية عليه حتى ينبسط ويقوى على انارة غيره والتصرف فيه والوصول الى مثل هذا المقام هو المعنى بقول على بن أبى طالب صلوات الله عليه والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسدانية ولكن بقوة ربانية حجة المنكرين للكرامات أن ظهور الخوارق دليل على النبوة فلو حصل لغير النبى لبطلت هذه الدلالة وأجيب بالفرق بين المعجز والكرامة بأن المعجز مقرون بدعوى النبوة والكرامة مقرونة بدعوى الولاية وأيضا النبى يدعى المعجزة ويقطع بها والولى اذا ادعى الكرامة لا يقطع بها وأيضا أنه يجب نفى المعارضة عن المعجزة ولا يجب

فى ذلك وحيا ولا يأتيه جبرائيل عليه السلام حتى أرجف أهل مكة وقالوا وعدنا محمد غدا واليوم خمس عشرة قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشئ مما سألناه عنه وحتى أحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث الوحى عنه وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة ثم جاءه جبرائيل عليه السلام من الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف فيها معاتبته اياه على حزنه عليهم وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية والرجل الطواف وقول الله عز وجل ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا قال ابن اسحق فبلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم افتتح السورة فقال الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب يعنى محمدا انك رسولى فى تحقيق ما سألوا عنه من نبوته ولم يجعل له عوجا قيما أى معتدلا لا اختلاف فيه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا ماكثين فيه أبدا﴾ يقول تعالى ذكره أنزل على عبده القرآن معتدلا مستقيما لا عوج فيه لينذركم أيها الناس بأسا من الله شديدا وعنى بالبأس العذاب العاجل والنكال الحاضر والسطوة وقوله من لدنه يعنى من عند الله

* وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير عن محمد بن اسحق لينذر بأسا شديدا عاجل عقوبة فى الدنيا وعذابا فى الآخرة من لدنه أى من عند ربك الذى بعثك رسولا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق بنحوه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله من لدنه أى من عنده فان قال قائل فأين مفعول قوله لينذر فان مفعوله محذوف اكتفى بدلالة ما ظهر من الكلام عليه من ذكره وهو مضمر متصل بينذر قيل البأس كأنه قيل لينذركم بأسا كما قيل يخوف أولياءه انما هو يخوفكم أولياءه وقوله ويبشر المؤمنين يقول ويبشر المصدقين الله ورسوله الذين يعملون الصالحات وهو العمل بما أمر الله بالعمل به والانتهاء عما نهى الله عنه أن لهم أجرا حسنا يقول ثوابا جزيلا لهم من الله على ايمانهم بالله ورسوله وعملهم فى الدنيا الصالحات من الاعمال وذلك الثواب هو الجنة التى وعدها المتقون وقوله ما كثين فيه أبدا خالدين لا ينتقلون عنه ولا ينقلون ونصب ما كثين على الحال من قوله أن لهم أجرا حسنا فى هذه الحال فى حال مكثهم فى ذلك الأجر * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا ماكثين فيه أبدا أى فى دار خلد لا يموتون فيها الذين صدقوك بما جئت به عن الله وعملوا بما أمرتهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا﴾ يقول تعالى ذكره ويحذر أيضا محمدا القوم الذين قالوا اتخذ الله ولدا من مشركى قومه وغيرهم بأس الله وعاجل نقمته وآجل عذابه على قيلهم ذلك كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا يعنى قريشا فى قولهم انما نعبد الملائكة وهن بنات الله وقولهم ما لهم به من علم يقول ما لقائلى هذا القول يعنى قولهم اتخذ الله ولدا به يعنى بالله من علم والهاء فى قوله به من ذكر الله وانما معنى الكلام ما لهؤلاء القائلين هذا القول بالله انه لا يجوز أن يكون له ولد من علم فلجهلهم بالله وعظمته قالوا ذلك وقوله ولا لآبائهم يقول ولا لاسلافهم الذين مضوا قبلهم على مثل الذى هم عليه اليوم كان لهم بالله وبعظمته علم وقوله كبرت كلمة تخرج من أفواههم اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدنيين والكوفيين والبصريين كبرت كلمة بنصب كلمة بمعنى كبرت كلمتهم التى قالوها كلمة على التفسير كما يقال نعم رجلا عمرو ونعم الرجل رجلا قام ونعم رجلا قام وكان بعض نحويى أهل البصرة يقول

نصبت كلمة لانها فى معنى أكبر بها كلمة كما قال جل ثناؤه وساءت مرتفقا وقال هى فى النصب مثل قول الشاعر

واقد علمت اذا اللقاح تروحت * هدج الرئال تكبهن شمالا

أى تكبهن الرياح شمالا فكأنه قال كبرت تلك الكلمة وذكر عن بعض المكيين أنه كان يقرأ ذلك كبرت كلمة رفعا كما يقال عظم قولك وكبر شأنك واذا قرئ ذلك كذلك لم يكن فى قوله كبرت كلمة مضمر وكان صفة للكلمة والصواب من القراءة فى ذلك عندى قراءة من قرأ كبرت كلمة نصبا لاجماع الحجة من القراء عليها فتأويل الكلام عظمت الكلمة كلمة تخرج من أفواه هؤلاء القوم الذين قالوا اتخذ الله ولدا والملائكة بنات الله كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق كبرت كلمة تخرج من أفواههم قولهم ان الملائكة بنات الله وقوله ان يقولون الا كذبا يقول عز ذكره ما يقول هؤلاء القائلون اتخذ الله ولدا بقيلهم ذلك الا كذبا وفرية افتروها على الله ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا ﴾ يعنى تعالى ذكره بذلك فلعلك يا محمد قاتل نفسك ومهلكها على آثار قومك الذين قالوا لك لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا تمردا منهم على ربهم ان هم لم يؤمنوا بهذا الكتاب الذى أنزلته عليك فيصدقوا بأنه من عند الله حزنا وتلهفا وجدا باد بارهم عنك واعراضهم عما أتيتهم به وتركهم الايمان بك يقال منه بخع فلان نفسه يبخعها بخعا وبخوعا ومنه قول ذى الرمة

الا أيهذا الباخع الوجد نفسه * لشئ نحته عن يديه المقادر

يريد نحته فخفف * وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله باخع قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فلعلك باخع نفسك يقول قاتل نفسك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله وأما قوله أسفا فان أهل التأويل اختلفوا فى تأويله فقال بعضهم معناه فلعلك باخع نفسك ان لم يؤمنوا بهذا الحديث غضبا ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا قال غضبا * وقال آخرون جزعا ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى ح وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله أسفا قال جزعا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * وقال آخرون معناه حزنا عليهم ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله أسفا قال حزنا عليهم وقد بينا معنى الاسف فيما مضى من كتابنا هذا بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وهذه معاتبة من الله عز ذكره على وجده بمباعدة قومه اياه فيما دعاهم اليه من الايمان بالله والبراءة من الآلهة والانداد وكان بهم رحيما * وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا يعاتبه على حزنه عليهم حين فاته ما كان يرجو منهم أى لا تفعل وقوله انا جعلنا ما على الأرض زينة لها يقول عز ذكره انا جعلنا ما على الارض زينة للارض لنبلوهم أيهم أحسن عملا يقول لنختبر عبادنا أيهم أترك لها وأتبع لأمرنا ونهينا وأعمل فيها بطاعتنا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن

نفيها عن الكرامة جميع هذا عند من يجوز للولى دعوى الولاية وأما من لا يجوز ذلك من حيث ان النبى مأمور بالاظهار لضرورة الدعوة والولى ليس كذلك ولكن اظهاره يوجب طلب الاشهار والفخر المنهى عنهما فانه يفرق بينهما بأن المعجز مسبوق بدعوى النبوة والكرامة غير مسبوقة بشئ من الدعاوى قالوا قال صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله سبحانه لن يتقرب الىّ المتقربون بمثل أداء ما افترضت عليهم لكن المتقرب الى الله بأداء الفرائض لا يحصل له شئ من الكرامات فالمتقرب اليه بأداء النوافل أولى بأن لا يحصل له ذلك وأجيب بأن الكلام فى المتقرب اليه بأداء الفرائض والنوافل جميعا قالوا قال تعالى وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الأنفس فالقول بطى الارض للاولياء طعن فى الآية وطعن فى محمد صلى الله عليه وسلم حين لم يصل من المدينة الى مكة الا فى أيام وأجيب بأن الآية وردت على ما هو المعهود المتعارف وكرامات الأولياء أحوال نادرة فتصير كالمستثناة من ذلك العموم وان محمدا صلى الله عليه وسلم لم يكن قاصرا عن رتبة بعض الأولياء ولكنه لم يتفق له ذلك أو لعله اتفق له فى غير ذلك السفر قالوا اذا ادعى الولى على انسان درهما فان لم يطالبه بالبينة كان تاركا لقوله البينة على المدعى وان طالبه كان عبثا لان ظهور الكرامة عليه دليل قاطع

على أنه لا يكذب ومع الدليل القاطع لا يجوز العمل بالظن والجواب مثل ما مر من أن النادر لا يحكم به قالوا لو جاز ظهور الكرامة على بعض الأولياء لجاز على كلهم واذا كثرت الكرامات انقلب خرق العادة وفقدها وأجيب بأن المطيعين فيهم قلة لقوله تعالى وقليل من عبادى الشكور والولى فيهم أعز من الكبريت الاحمر واتفاق الكرامة للولى أيضا على سبيل الندرة فكيف يصير ما يظهر عليه معتادا * فى الفرق بين الكرامات والاستدراج هو أن يعطيه الله كل ما يريده فى الدنيا ليزداد غيه وضلاله وقد يسمى مكرا وكيدا وضلالا واملاء والفرق أن صاحب الكرامة لا يستأنس بها ولكنه يخاف سوء الخاتمة وصاحب الاستدراج يسكن الى ما أوتى ويشتغل به وانما كان الاستئناس بالكرامات قاطعا للطريق لانه حينئذ اعتقد أنه مستحق لذلك وأن له حقا على الخالق فيعظم شأنه فى عينه ويفتخر بها لا بالمكرم ولا ريب أن الاعجاب مهلك ولهذا وقع ابليس فيما وقع والعبد الصالح هو الذى يزداد تذلله وتواضعه بين يدى مولاه بازدياد آثار الكرامة والولاية عليه قرأ المقرئ فى مجلس الاستاذ أبى على الدقاق اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه فقال علامة رفع العمل أن لا يبقى منه فى نظرك شئ فان بقى فهو غير مرفوع واختلف فى أن الولى هل يعرف كونه وليا قال الاستاذ أبو بكر بن

عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى ح **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ما على الارض زينة لها قال ما عليها من شئ **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انا جعلنا ما على الأرض زينة لها ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول ان الدنيا خضرة حلوة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء وأما قوله لنبلوهم أيهم أحسن عملا فان أهل التأويل قالوا فى تأويله نحو قولنا فيه ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو عاصم العسقلانى قال لنبلوكم أيكم أحسن عملا قال أترك لها **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا اختبارا لهم أيهم أتبع لأمرى وأعمل بطاعتى وقوله وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا يقول عز ذكره وانا لمخربوها بعد عمارتناها بما جعلنا عليها من الزينة فصيروها صعيدا جرزا لا نبات عليها ولا زرع ولا غرس وقد قيل انه أريد بالصعيد فى هذا الموضع المستوى بوجه الارض وذلك هو شبيه بمعنى قولنا فى ذلك * وبنحو الذى قلنا فى ذلك وبمعنى الجرز قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا يقول يهلك كل شئ عليها ويبيد **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد صعيدا جرزا قال بلقعا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا والصعيد الارض التى ليس فيها شجر ولا نبات **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا يعنى الارض ان ما عليها لفان وبائد وان المرجع لا الى فلا تأس ولا يحزنك ما تسمع وترى فيها **حدثنا** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله صعيدا جرزا قال الجرز الارض التى ليس فيها شئ ألا ترى أنه يقول أولم يروا أنا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا قال والجرز لا شئ فيها لا نبات ولا منفعة والصعيد المستوى وقرأ لا ترى فيها عوجا ولا أمتا قال مستوية يقال جرزت الارض فهى مجروزة وجرزها الجراد والنعم وأرضون أجراز اذا كانت لا شئ فيها ويقال للسنة المجدبة جرز وسنون أجراز لجدوبها ويبسها وقلة أمطارها قال الراجز

* قد جرفتهن السنون الاجراز * يقال أجرز القوم اذا صارت أرضهم جرزا وجرز والهم أرضهم اذا أكلوا نباتها كله ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم أم حسبت يا محمد أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا فان ما خلقت من السموات والارض وما فيهن من العجائب أعجب من أمر أصحاب الكهف وحجتى بكل ذلك ثابتة على هؤلاء المشركين من قومك وغيرهم من سائر عبادى * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا قال محمد بن عمرو فى حديثه قال ليسوا بأعجب آياتنا وقال الحرث فى حديثه بقولهم أعجب آياتنا ليسوا أعجب آياتنا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج

عن مجاهد قوله أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا كانوا يقولون هم عجب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا يقول قد كان من آياتنا ما هو أعجب من ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا أى وما قدر وامن قدر فيما صنعت من أمر الخلائق وما وضعت على العباد من حجج ما هو أعظم من ذلك * وقال آخرون بل معنى ذلك أم حسبت يا محمد أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا فان الذى آتيتك من العلم والحكمة أفضل منه ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا يقول الذى آتيتك من العلم والسنة والكتاب أفضل من شأن أصحاب الكهف والرقيم وانما قلنا ان القول الاول أولى بتأويل الآية لان الله عز وجل أنزل قصة أصحاب الكهف على نبيه احتجاجا بها على المشركين من قومه على ما ذكرنا فى الرواية عن ابن عباس اذ سألوه عنها اختبارا منهم له بالجواب عنها صدقه فكان تقريعهم بتكذيبهم بما هو أوكد عليهم فى الحجة مما سألوا عنهم وزعموا أنهم يؤمنون عند الاجابة عنه أشبه من الخبر عما أنعم الله على رسوله من النعم وأما الكهف فانه كهف الجبل الذى أوى اليه القوم الذين قص الله شأنهم فى هذه السورة وأما الرقيم فان أهل التأويل اختلفوا فى المعنى به فقال بعضهم هو اسم قرية أو واد على اختلاف بينهم فى ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا يحيى بن عبد الأعلى وعبد الرحمن قالا ثنا سفيان عن الشيبانى عن عكرمة عن ابن عباس قال يزعم كعب أن الرقيم القرية حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم قال الرقيم وادبين عسفان وأيلة دون فلسطين وهو قريب من أيلة حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت أبى عن عطية. قال الرقيم واد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانا نحدث أن الرقيم الوادى الذى فيه أصحاب الكهف حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله الرقيم قال يزعم كعب أنها القرية حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله الرقيم قال يقول بعضهم الرقيم كتاب بنيانهم ويقول بعضهم هو الوادى الذى فيه كهفهم حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول أما الكهف فهو غار الوادى والرقيم اسم الوادى * وقال آخرون الرقيم الكتاب ذكر من قال ذلك حدثنا على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم يقول الكتاب حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال ثنا أبى عن ابن قيس عن سعيد بن جبير قال الرقيم لوح من حجارة كتبوا فيه قصص أصحاب الكهف ثم وضعوه على باب الكهف حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد الرقيم كتاب ولذلك الكتاب خبر فلم يخبر الله عن ذلك الكتاب وعما فيه وقرأ وما أدراك ما عليون كتاب مرقوم ينشهده المقربون وما أدراك ما سجين كتاب مرقوم * وقال آخرون بل هو اسم جبل أصحاب الكهف ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس

فورك لا يجوز لان ذلك يوجب الأمن ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والأمن ينافى اعتقاد قهارية الله تعالى ويقتضى زوال العبودية الموجب لسخط الله وكيف يأمن الولى وقد وصف الله عباده المخلصين بقوله يدعوننا رغبا ورهبا وأيضا ان طاعة العباد ومعاصيهم لا تؤثر فى محبة الحق وعداوته لانها محدثة متناهية وصفاته قديمة غير متناهية والمحدث المتناهى لا يغلب القديم غير المتناهى فقد يكون العبد فى عين المعصية ونصيبه فى الازل هو المحبة وقد يكون فى عين الطاعة ونصيبه المبغضة ولهذا لا يحصل الجزم بكيفية الخاتمة قيل من هنا قال سبحانه من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ولم يقل من عمل حسنة ومن كانت محبته لا لعلة امتنع أن يصير عدو العلة المعصية وبالعكس ومحبة الحق وعداوته من الاسرار التى لا يطلع عليها الا الله أو من أطلعه عليها الله وقال الاستاذ أبو على الدقاق وتلميذه أبو القاسم القشيرى ان للولاية ركنين أحدهما انقياد للشريعة فى الظاهر والثانى كونه فى الباطن مستغرقا فى نور الحقيقة فاذا حصل هذان الامران وعرف الانسان ذلك عرف لا محالة كونه وليا وعلامته أن يكون فرحه بطاعة الله واستئناسه بذكر الله قلت لا ريب أن مداخل الاغلاط فى هذا الباب كثيرة ودون الوصول الى عالم الربوبية حجب وأستار من نيران وأنوار فالجزم بالولاية خطر

والقضاء بالحجة عمر والله تعالى أعلم * قال المفسرون ان اليهود حين قالت لقريش سلوا محمدا عن مسائل ثلاث عن الروح وعن أصحاب الكهف وعن ذى القرنين فسألوه قال صلى الله عليه وسلم أجيبكم عنها غدا ولم يستثن فاحتبس الوحى عنه خمس عشرة ليلة وقيل أربعين يوما ثم نزل قوله (ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا) أى لاجل شئ تعزم عليه ليس فيه بيان انه ماذا (الا أن يشاء الله) فقال العلماء انه لا يمكن أن يكون من تمام قوله انى فاعل اذ يصير المعنى الا أن يشاء الله أن لا أفعله أى الا أن تعرض مشيئة الله دون فعله وهذا ليس منهيا عنه فالصواب أن يقال انه من تمام قوله ولا تقولن ثم ان قدر المراد الا أن يشاء الله ان تقول انى فاعل ذلك غدا أى فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغد بعينه وقوله الا أن يشاء الله أن تقوله بأن يأذن لك فى ذلك الاخبار كان معنى صحيحا ولكنه لا يكون موافقا لسبب النزول فالمعنى الموافق هو أن يكون قوله هذا فى موضع الحال أى لا تقولنه الا متلبسا بأن يشاء الله يعنى قائلا ان شاء الله وهذا نهى تأديب لنبيه صلى الله عليه وسلم لان الانسان اذا قال سأفعل الفعل الفلانى غدا لم يبعد أن يموت قبل مجئ الغد أو يعوقه عن ذلك عائق فلو لم يقل ان شاء الله صار كاذبا فى هذا الوعد والكذب منهى وجوز فى الكشاف أن يكون ان شاء الله فى معنى كلمة تأبيد كأنه قيل ولا تقولنه أبدا قال

الرقيم الجبل الذى فيه الكهف «قال أبو جعفر» وقد قيل ان اسم ذلك الجبل بنجلوس حدثنا بذلك ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن عبد الله بن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس وقد قيل ان اسمه بناجلوس حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى وهب بن سليمن عن شعيب الجبائى أن اسم جبل الكهف بناجلوس واسم الكهف حيزم والكلب حمران وقد روى عن ابن عباس فى الرقيم ما حدثنا به الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال كل القرآن اعلمه الا حنانا والأواه والرقيم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى عمرو بن دينار أنه سمع عكرمة يقول قال ابن عباس ما أدرى ما الرقيم أكتاب أم بنيان * وأولى هذه الاقوال بالصواب فى الرقيم أن يكون معنيا به لوح أو حجر أو شئ كتب فيه كتاب وقد قال أهل الاخبار ان ذلك لوح كتب فيه أسماء أصحاب الكهف وخبرهم حين أووا الى الكهف ثم قال بعضهم رفع ذلك اللوح فى خزانة الملك وقال بعضهم بل جعل على باب كهفهم وقال بعضهم بل كان ذلك محفوظا عند بعض أهل بلدهم وانما الرقيم فعيل أصله مرقوم ثم صرف الى فعيل كما قيل للمجروح جريح وللمقتول قتيل يقال منه رقمت كذا وكذا اذا كتبته ومنه قيل للرقم فى الثوب رقم لانه الخط الذى يعرف به ثمنه ومن ذلك قيل للحية أرقم لما فيه من الآثار والعرب تقول عليك بالرقمة ودع الضفة يعنى عليك برقمة الوادى حيث الماء ودع الضفة الجانبة والضفتان جانبا الوادى وأحسب أن الذى قال الرقيم الوادى ذهب به الى هذا أعنى به الى رقمة الوادى * القول فى تأويل قوله تعالى (اذ أوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا حين أوى الفتية أصحاب الكهف الى كهف الجبل هربا بدينهم الى الله فقالوا اذ أووا ربنا آتنا من لدنك رحمة رغبة منهم الى ربهم فى أن يرزقهم من عنده رحمة وقوله وهيئ لنا من أمرنا رشدا يقول وقالوا يسر لنا مما نبتغى وما نلتمس من رضاك والهرب من الكفر بك ومن عبادة الأوثان التى يدعونا اليها قوما رشدا يقول سدادا الى العمل بالذى تحب وقد اختلف أهل العلم فى سبب مصير هؤلاء الفتية الى الكهف الذى ذكره الله فى كتابه فقال بعضهم كان سبب ذلك أنهم كانوا مسلمين على دين عيسى وكان لهم ملك عابد وثن دعاهم الى عبادة الاصنام فهربوا بدينهم منه خشية أن يفتنهم عن دينهم أو يقتلهم فاستخفوا منه فى الكهف ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا عمرو فى قوله أصحاب الكهف والرقيم كانت الفتية على دين عيسى على الاسلام وكان ملكهم كافرا وقد أخرج لهم صنما فأبوا وقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا قال فاعتزلوا عن قومهم لعبادة الله فقال أحدهم انه كان لأبى كهف يأوى فيه غنمه فانطلقوا بنا نكن فيه فدخلوه وفقدوا فى ذلك الزمان فطلبوا فقيل دخلوا هذا الكهف فقال قومهم لا نريد لهم عقوبة ولا عذابا أشد من أن نردم عليهم هذا الكهف فبنوه عليهم ثم ردموه ثم ان الله بعث عليهم ملكا على دين عيسى ورفع ذلك البناء الذى كان ردم عليهم فقال بعضهم لبعض كم لبثتم فقالوا لبثنا يوما أو بعض يوم حتى بلغ فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة وكان ورق ذلك الزمان كبارا فأرسلوا أحدهم يأتيهم بطعام وشراب فلما ذهب ليخرج رأى على باب الكهف شيأ أنكره فأراد أن يرجع ثم مضى حتى دخل المدينة فأنكر ما رأى ثم أخرج درهما فنظروا اليه فأنكروه وأنكروا الدرهم وقالوا من أين لك هذا هذا من ورق غير هذا الزمان واجتمعوا عليه يسألونه فلم يزالوا به حتى انطلقوا به

الى

الى ملكهم وكان لقومهم لوح يكتبون فيه ما يكون فنظروا فى ذلك اللوح وسأله الملك فأخبره بأمره ونظروا فى الكتاب متى فقد فاستبشروا به وبأصحابه وقيل له انطلق بنا فأرنا أصحابك فانطلق وانطلقوا معه ليريهم فدخل قبل القوم فضرب على آذانهم فقال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال مرج أمر أهل الانجيل وعظمت فيهم الخطايا وطغت فيهم الملوك حتى عبدوا الاصنام وذبحوا للطواغيت وفيهم على ذلك بقايا على أمر عيسى بن مريم متمسكون بعبادة الله وتوحيده فكان ممن فعل ذلك من ملوكهم ملك من الروم يقال له دقينوس كان قد عبد الاصنام وذبح للطواغيت وقتل من خالفه فى ذلك ممن أقام على دين عيسى بن مريم كان ينزل فى قرى الروم فلا يترك فى قرية ينزلها أحد ممن يدين بدين عيسى ابن مريم الا قتله حتى يعبد الاصنام ويذبح للطواغيت حتى نزل دقينوس مدينة الفتية أصحاب الكهف فلما نزلها دقينوس كبر ذلك على أهل الايمان فاستخفوا منه وهربوا فى كل وجه وكان دقينوس قد أمر حين قدمها أن يتبع أهل الايمان فيجمعوا له وأن تخذ شرطا من الكفار من أهلها يجعلوا يتبعون أهل الايمان فى أماكنهم التى يستخفون فيها فيستخرجونهم الى دقينوس فيقدمهم الى المجامع التى يذبح فيها للطواغيت فيخيرهم بين القتل وبين عبادة الاوثان والذبح للطواغيت فمنهم من يرغب فى الحياة ويقطع بالقتل فيفتتن ومنهم من يأبى أن يعبد غير الله فيقتل فلما رأى ذلك أهل الصلابة من أهل الايمان بالله جعلوا يسلمون أنفسهم للعذاب والقتل فيقتلون ويقطعون ثم يربط ما قطع من أجسادهم فيعلق على سور المدينة من نواحيها كلها وعلى كل باب من أبوابها حتى عظمت الفتنة على أهل الايمان فمنهم من كفر فترك ومنهم من صلب على دينه فقتل فلما رأى ذلك الفتية أصحاب الكهف حزنوا حزنا شديدا حتى تغيرت ألوانهم ونحلت أجسامهم واستعانوا بالصلاة والصيام والصدقة والتحميد والتسبيح والتهليل والتكبير والبكاء والتضرع الى الله وكانوا فتية أحداثا أحرارا من أبناء أشراف الروم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن عبد الله بن أبى نجيح عن مجاهد قال لقد حدثت أنه كان على بعضهم من حداثة أسنانه وضح الورق قال ابن عباس فكانوا كذلك فى عبادة الله ليلهم ونهارهم يبكون الى الله ويستغيثونه وكانوا ثمانية نفر مكسلمينا وكان أكبرهم وهو الذى كلم الملك عنهم ومحسيميلينيا ويمليخا ومرطوس وكشوطوش وبيرونس ودينموس ويطونس قالوس فلما أجمع دقينوس أن يجمع أهل القرية لعبادة الاصنام والذبح للطواغيت بكوا الى الله وتضرعوا اليه وجعلوا يقولون اللهم رب السموات والارض لن ندعو من دونك الها لقد قلنا اذا شططا اكشف عن عبادك المؤمنين هذه الفتنة وادفع عنهم البلاء وأنعم على عبادك الذين آمنوا بك ومنعوا عبادتك الاسر امستخفين بذلك حتى يعبدوك علانية فبيناهم على ذلك عرفهم عرفاؤهم من الكفار ممن كان يجمع أهل المدينة لعبادة الاصنام والذبح للطواغيت وذكروا أمرهم وكانوا قد خلوا فى مصلى لهم يعبدون الله فيه ويتضرعون اليه ويتوقعون أن يذكروا لدقينوس فانطلق أولئك الكفرة حتى دخلوا عليهم مصلاهم فوجدوهم سجودا على وجوههم يتضرعون ويبكون ويرغبون الى الله أن ينجيهم من دقينوس وفتنته فلما رآهم أولئك الكفرة من عرفائهم قالوا لهم ما خلفكم عن أمر الملك انطلقوا اليه ثم خرجوا من عندهم فرفعوا أمرهم الى دقينوس وقالوا اجتمع الناس للذبح لآلهتك وهؤلاء فتية من أهل بيتك يستخرون منك ويستهزؤن بك ويعصون أمرك ويتركون آلهتك ويعمدون الى مصلى لهم ولأصحاب عيسى ابن مريم يصلون فيه ويتضرعون الى الههم واله عيسى وأصحاب عيسى فلم تتركهم يصنعون هذا

أهل السنة فى صحة الاستثناء بل فى وجوبه دلالة على أن ارادة الله تعالى غالبة وارادة العبد مغلوبة ويؤكده أنه اذا قال المدين القادر على أداء الدين والله لأقضين هذا الدين غدا ثم قال ان شاء الله فاذا جاء الغد ولم يقض لم يحنث بالاتفاق وما ذاك الا لأن الله ما شاء ذلك الفعل مع أنه أمره باداء الدين وانما يقع الطلاق فى قول الرجل لامرأته أنت طالق ان شاء الله لان مشيئة الله غير معلومة فيلزم الدور لتوقف العلم بالمشيئة على العلم بوقوع الطلاق وبالعكس واستدل القائلون بأن المعدوم شئ بقوله ولا تقولن لشئ وذلك أن الشئ الذى سيفعله غدا معدوم مع أنه سماه شيأ فى الحال وأجيب بأنه مجاز كقوله أعصر خمرا (واذكر ربك) أى مشيئة ربك (اذا نسيت) كلمة الاستثناء ثم تنبهت لها وللعلماء فى مدة النسيان الى الذكر خلاف فعن ابن عباس يستثنى ولو بعد سنة ما لم يحنث وعن سعيد بن جبير ولو بعد يوم أو أسبوع أو شهر أو سنة وهو قول ابن عباس بعينه وعن طاوس هو استثناء ما دام فى مجلسه وعن عطاء يستثنى على مقدار حلب ناقة غزيرة وعند عامة الفقهاء لا أثر له فى الاحكام ما لم يكن موصولا قالوا ان الآيات الكثيرة دلت على وجوب الوفاء بالعهد والعقد فاذا أتى بالعهد وجب عليه الوفاء بمقتضاه خالفنا هذا الدليل فيما اذا كان الاستثناء متصلا بناء على أن المستثنى منه مع الاستثناء

وأداته كالكلام الواحد فاذا كان منفصلا لم يمكن هذا التوجيه فوجب الرجوع الى أصل الدليل وقيل أراد واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت كلمة الاستثناء وفيه بعث على الاهتمام بها وقيل اذكره اذا اعتراك النسيان فى بعض الامور لتذكر المنسى أو اذكره اذا تركت بعض ما أمرك به وليس لهذين القولين شديد ارتباط بما قبل وكذا قول من حمله على أداء الصلاة المنسية عند ذكرها واختلفوا فى المشار اليه بقوله (لأقرب من هذا) فالظاهر عند صاحب الكشاف أن المراد اذا نسيت شيأ فاذكر ربك وذكر ربك عند نسيانه أن تقول عسى ربى أن يهدينى لشئ آخر بدل هذا المنسى أقرب منه (رشدا) وأدنى خيرا ومنفعة وقيل ان ترك قوله ان شاء الله ليس بحسن وذكره أحسن فقوله هذا اشارة الى الترك وأقرب منه ذكر هذه الكلمة وقيل انه اشارة الى نبأ أصحاب الكهف ومعناه لعل الله يؤتينى من البينات والحجج على أنى نبى صادق ماهو أعظم فى الدلالة وأقرب رشدا من نبئهم وقد فعل ذلك حيث آتاه من قصص الانبياء والاخبار بالمغيبات ماهو أعظم وأدل عن قتادة أن قوله سبحانه ولبثوا فى كهفهم حكاية لاهل الكتاب وقل الله أعلم بما لبثوا رد عليهم ويؤيده قراءة عبد الله وقالوا لبثوا والجمهور على أنه بيان لما أجمل فى قوله فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عددا

وهم بين ظهرانى سلطانك وملكك وهم ثمانية نفر رئيسهم مكسلمينا وهم أبناء عظماء المدينة فلما قالوا ذلك لدقيانوس بعث اليهم فأتى بهم من المصلى الذى كانوا فيه تفيض أعينهم من الدموع معفرة وجوههم فى التراب فقال لهم ما منعكم أن تشهدوا الذبح لآلهتنا التى تعبد فى الارض وأن تجعلوا أنفسكم أسوة لسراة أهل مدينتكم ولمن حضر منا من الناس اختاروا منى اما أن تذبحوا لآلهتنا كما ذبح الناس واما أن أقتلكم فقال مكسلمينا ان لنا الها نعبده ملأ السموات والارض عظمته لن ندعو من دونه الها أبدا ولن نقر بهذا الذى تدعونا اليه أبدا ولكنا نعبد الله ربنا له الحمد والتكبير والتسبيح من أنفسنا خالصا أبدا اياه نعبد واياه نسأل النجاة والخير فأما الطواغيت وعبادتها فلن نقر بها أبدا ولسنا بكائنين عباد الشياطين ولا جاعلى أنفسنا وأجسادنا عباد الها بعد اذ هدانا الله له رهبتك أو فرقا من عبودتك اصنع بنا ما بدا لك ثم قال أصحاب مكسلمينا لدقيانوس مثل ما قال قال فلما قالوا ذلك له أمر بهم فنزع عنهم لبوس كان عليهم من لبوس عظمائهم ثم قال أما اذ فعلتم ما فعلتم فانى سأؤخركم أن تكونوا من أهل مملكتى و بطانتى وأهل بلادى وسأفرغ لكم فأنجز لكم ما وعدتكم من العقوبة وما يمنعنى أن أعجل ذلك لكم الا أنى أراكم فتيانا حديثة أسنانكم ولا أحب أن أهلككم حتى أستأنى بكم وأناجاعل لكم أجلا تذكرون فيه وتراجعون عقولكم ثم أمر بحلية كانت عليهم من ذهب وفضة فنزعت عنهم ثم أمر بهم فأخرجوا من عنده وانطلق دقيانوس مكانه الى مدينة سوى مدينتهم التى هم بها قريبا منها البعض ما يريد من أمره فلما رأى الفتية دقيانوس قد خرج من مدينتهم بادروا قدومه وخافوا اذا قدم مدينتهم أن يذكرهم فأتمروا بينهم أن يأخذ كل واحد منهم نفقة من بيت أبيه فيتصدقوا منها و يتزودوا بما بقى ثم ينطلقوا الى كهف قريب من المدينة فى جبل يقال له بنجلوس فيمكثوا فيه و يعبدوا الله حتى اذا رجع دقيانوس أتوه فقاموا بين يديه فيصنع بهم ما شاء فلما قال ذلك بعضهم لبعض عمد كل فتى منهم فأخذ من بيت أبيه نفقة فتصدق منها وانطلقوا بما بقى معهم من نفقتهم واتبعهم كلب لهم حتى أتوا ذلك الكهف الذى فى ذلك الجبل فلبثوا فيه ليس لهم عمل الا الصلاة والصيام والتسبيح والتكبير والتحميد ابتغاء وجه الله تعالى والحياة التى لا تنقطع وجعلوا نفقتهم الى فتى منهم يقال له مليخا فكان على طعامهم يبتاع لهم أرزاقهم من المدينة سرا من أهلها وذلك أنه كان من أجلهم وأجلدهم فكان مليخا يصنع ذلك فاذا دخل المدينة يضع ثيابا كانت عليه حسانا و يأخذ ثيابا كثياب المساكين الذين يستطعمون فيها ثم يأخذ ورقه فينطلق الى المدينة فيشترى لهم طعاما وشرابا و يتسمع و يتجسس لهم الخبر هل ذكرهو وأصحابه بشئ فى ملا المدينة ثم يرجع الى أصحابه بطعامهم وشرابهم و يخبرهم بما سمع من أخبار الناس فلبثوا بذلك ما لبثوا ثم قدم دقيانوس الجبار المدينة التى منها خرج الى مدينته وهى مدينة أفسوس فأمر عظماء أهلها فذبحوا للطواغيت ففزع من ذلك أهل الايمان فتخبؤا فى كل مخبا وكان مليخا بالمدينة يشترى لأصحابه طعامهم وشرابهم ببعض نفقتهم فرجع الى أصحابه وهو يبكى ومعه طعام قليل فأخبرهم أن الجبار دقيانوس قد دخل المدينة وأنهم قد ذكروا وافتقدوا والتمسوا مع عظماء أهل المدينة ليذبحوا للطواغيت فلما أخبرهم بذلك فزعوا فزعا شديدا ووقعوا سجودا على وجوههم يدعون الله و يتضرعون اليه و يتعوذون به من الفتنة ثم ان مليخا قال لهم يا اخوتاه ارفعوا رؤسكم فاطعموا من هذا الطعام الذى جئتكم به وتوكلوا على ربكم فرفعوا رؤسهم وأعينهم تفيض من الدمع حذرا وتخوفا على أنفسهم فطعموا منه وذلك مع غروب الشمس ثم جلسوا يتحدثون و يتدارسون و يذكر بعضهم بعضا على حزن منهم مشفقين مما أتاهم به صاحبهم من

الخبر فبيناهم على ذلك اذ ضرب الله على آذانهم فى الكهف سنين عددا وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف فأصابهم ما أصابهم وهم مؤمنون موقنون مصدقون بالوعد ونفقتهم موضوعة عندهم فلما كان الغد فقدهم دقيانوس فالتمسهم فلم يجدهم فقال لعظماء أهل المدينة لقد ساءنى شأن هؤلاء الفتية الذين ذهبوا لقد كانوا يظنون أن بى غضبا عليهم فيما صنعوا فى أول شأنهم لجهلهم ما جهلوا من أمرى ما كنت لأجهل عليهم فى نفسى ولا أؤاخذ أحدا منهم بشئ ان هم تابوا وعبدوا آلهتى ولو فعلوا التركتهم وما عاقبتهم بشئ سلف منهم فقال له عظماء أهل المدينة ما أنت بحقيق أن ترحم قوما فجرة مردة عصاة مقيمين على ظلمهم ومعصيتهم وقد كنت أجلتهم أجلا وأخرتهم عن العقوبة التى أصبت بها غيرهم ولو شاؤا لرجعوا فى ذلك الأجل ولكنهم لم يتوبوا ولم ينزعوا ولم يندموا على ما فعلوا وكانوا منذ انطلقت بذرون أموالهم بالمدينة فلما علموا بقدومك فروا فلم يروا بعد فان أحببت أن نؤتى بهم فأرسل الى آبائهم فامتحنهم واشدد عليهم بدلوك عليهم فانهم مختبؤن منك فلما قالوا ذلك لدقيانوس الجبار غضب غضبا شديدا ثم أرسل الى آبائهم فأتى بهم فسألهم عنهم وقال أخبرونى عن أبنائكم المردة الذين عصوا أمرى وتركوا آلهتى ائتونى بهم وأنبؤنى بمكانهم فقال له آباؤهم أما نحن فلم نعص أمرك ولم نخالف قد عبدنا آلهتك وذبحنا لهم فلم تقتلنا فى قوم مردة قد ذهبوا بأموالنا فبذروها وأهلكوها فى أسواق المدينة ثم انطلقوا فارتقوا فى جبل يدعى بنجلوس وبينه وبين المدينة أرض بعيدة هربا منك فلما قالوا ذلك خلى سبيلهم وجعل يأتمر ماذا يصنع بالفتية فألقى الله عز وجل فى نفسه أن يأمر بالكهف فيسد عليهم كرامة من الله أراد أن يكرمهم ويكرم أجساد الفتية فلا يحول ولا يطوف بها شئ وأراد أن يحييهم ويجعلهم آية لأمة تستخلف من بعدهم وأن يبين لهم أن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور فأمر دقيانوس بالكهف أن يسد عليهم وقال دعوا هؤلاء الفتية المردة الذين تركوا آلهتى فليموتوا كما هم فى الكهف عطشا وجوعا ولكن كهفهم الذى اختاروا لأنفسهم قبرا لهم ففعل بهم ذلك عدو الله وهو يظن أنهم أيقاظ يعلمون ما يصنع بهم وقد توفى الله أرواحهم وفاة النوم وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف قد غشاه الله ما غشاهم يقلبون ذات اليمين وذات الشمال ثم ان رجلين مؤمنين كانا فى بيت الملك دقيانوس يكتمان ايمانهما اسم أحدهما بيدروس واسم الآخر روناس فأمرا أن يكتبا شأن الفتية أصحاب الكهف أنسابهم وأسماءهم وأسماء آبائهم وقصة خبرهم فى لوحين من رصاص ثم يصنعا له تابوتا من نحاس ثم يجعلا اللوحين فيه ثم يكتبا عليه فى فم الكهف بين ظهرانى البنيان و يختما على التابوت بخاتمهما وقالا لعل الله أن يظهر على هؤلاء الفتية قوما مؤمنين قبل يوم القيامة فيعلم من فتح عليهم حين يقرأ هذا الكتاب خبرهم ففعلا ثم بنيا عليه فى البنيان فبقى دقيانوس وقرنه الذين كانوا منهم ما شاء الله أن يبقوا ثم هلك دقيانوس والقرن الذى كانوا معه وقرون بعده كثيرة وخلفت الخلوف بعد الخلوف **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عبد الله بن كثير عن مجاهد قال كان أصحاب الكهف أبناء عظماء مدينتهم وأهل شرفهم فخرجوا فاجتمعوا وراء المدينة على غير ميعاد فقال رجل منهم هو أسنهم انى لأجد فى نفسى شيأ ما أظن أن أحدا يجده قالوا ماذا تجد قال أجد فى نفسى أن ربى رب السموات والارض وقالوا نحن نجد فقاموا جميعا فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا فاجتمعوا أن يدخلوا الكهف وعلى مدينتهم اذ ذاك جبار يقال له دقيانوس فلبثوا فى الكهف ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا رقدا **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن عبد العزيز بن أبى رواد عن عبد الله

والمراد من قوله قل الله أعلم أن لا تتجاوزوا الحق الذى أخبر الله به ولا تلتفتوا الى ما سواه من اختلافات أهل الاديان نظيره قوله قل ربى أعلم بعدتهم بعد قوله سبعة وثامنهم كلبهم قال النحويون سنين عطف بيان لثلثمائة لان تميز مائة وأخواتها مجرور ومفرد وقيل فيه تقديم وتأخير أى لبثوا سنين ثلثمائة ومن قرأ بالاضافة فعلى وضع الجميع موضع الواحد فى التمييز كما مر فى قوله وقطعناهم اثنتى عشرة أسباطا أمما قوله (وازدادوا تسعا) أى تسع سنين لدلالة ما قبله عليه دون أن يقول ولبثوا ثلثمائة سنة وتسع سنين فعن الزجاج المراد ثلثمائة بحساب السنين الشمسية وثلثمائة وتسع بالسنين القمرية وهذا شئ تقريبى وقيل انهم لما استكملوا ثلثمائة سنة قرب أمرهم من الانتباه ثم اتفق ما أوجب بقاءهم فى النوم بعد ذلك تسع سنين ثم أكد قوله (الله أعلم بما لبثوا) بقوله (له غيب السموات والارض) أى ليس لغيره ما خفى فيهما من أحوالهما وأحوال سكانهما وهو مختص بذلك ثم زاد فى المبالغة فجاء بما دل على التعجب من ادراكه للمبصرات والمسموعات والضمير فى قوله (مالهم) لاهل السموات والارض وفيه بيان لكمال قدرته وأن الكل تحت قهره وتسخيره وأنه لا يتولى أمورهم غيره (ولا يشرك فى حكمه) وقضائه قبل أصحاب الكهف (أحدا) منهم ومن قرأ لا تشرك على النهى فهو معطوف على لا تقولن والمراد أنه

لا يسأل أحدا عما أخبره الله به من نبأ أصحاب الكهف واقتصر على بيانه وقيل الضمير فى مالهم لاصحاب الكهف أى أنه هو الذى حفظهم فى ذلك النوم الطويل وتولى أمرهم وقيل ليس للمختلفين فى مدة لبثهم من دون الله من يتولى أمورهم فكيف يعلمون هذه الواقعة من دون اعلامه وقيل فيه نوع تهديد لانهم لما ذكروا فى هذا الباب أقوالا على خلاف قول الله فقد استوجبوا العقاب فبين الله تعالى أنه (ليس لهم من دونه ولى) يمنع العقاب عنهم واعلم أن الناس اختلفوا فى زمان لبث أصحاب الكهف فى مكانهم فقيل كانوا قبل موسى عليه السلام وأنه ذكرهم فى التوراة فلهذا سألت اليهود ما سألوا وقيل دخلوا الكهف قبل المسيح وأخبرهو بخبرهم ثم لبثوا فى الوقت الذى بين عيسى ومحمد عليهما السلام وحكى القفال عن محمد بن اسحق أنهم دخلوا كهفهم بعد عيسى وقيل انهم لم يموتوا ولا يموتون الى يوم القيامة وذكر أبو على بن سينا فى باب الزمان من كتاب الشفاء ان ارسطاطا ليس الحكيم زعم أنه عرض لقوم من المتألهين حالة شبيهة بحالة أصحاب الكهف ثم قال أبو على ويدل التاريخ على أنهم كانوا قبل أصحاب الكهف وأما المكان فحكى القفال عن محمد بن موسى الخوارزمى المنجم أن الواثق أنفذه الى ملك الروم ليعرف أحوال أصحاب الكهف فوجهه مع طائفة الى ذلك الموضع قال وان الرجل

ابن عبيد بن عمير قال كان أصحاب الكهف فتيانا ملوكا مطوقين مسورين ذوى ذوائب وكان معهم كلب صيدهم فخرجوا فى عيد لهم عظيم فى زى وموكب وأخرجوا معهم آلهتهم التى يعبدون وقذف الله فى قلوب الفتية الايمان فآمنوا وأخفى كل واحد منهم الايمان عن صاحبه فقالوا فى أنفسهم من غير أن يظهر ايمان بعضهم لبعض نخرج من بين أظهر هؤلاء القوم لا يصيبنا عقاب بجرمهم فخرج شاب منهم حتى انتهى الى ظل شجرة فجلس فيه ثم خرج آخر فرآه جالسا وحده فرجا أن يكون على مثل أمره من غير أن يظهر ذلك منه فجاء حتى جلس اليه ثم خرج الآخرون فجاؤا حتى جلسوا اليهما فاجتمعوا فقال بعضهم لبعض ما جمعكم وقال آخر بل ما جمعكم وكل يكتم ايمانه من صاحبه مخافة على نفسه ثم قالوا ليخرج منكم فتيان فيخلوا فيتواثقا أن لا يفشى واحد منهما على صاحبه ثم يفشى كل واحد منهما لصاحبه أمره فانا نرجو أن نكون على أمر واحد فخرج فتيان منهم فتواثقا ثم تكلما فذكر كل واحد منهما أمره لصاحبه فأقبلا مستبشرين الى أصحابهما قد اتفقا على أمر واحد فاذا هم جميعا على الايمان واذا كهف فى الجبل قريب منهم فقال بعضهم لبعض ائووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا فدخلوا الكهف ومعهم كلب صيدهم فناموا فجعله الله عليهم رقدة واحدة فناموا ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا قال وفقدهم قومهم فطلبوهم وبعثوا البرد فعمى الله عليهم آثارهم وكهفهم فلما لم يقدروا عليهم كتبوا أسماءهم وأنسابهم فى لوح فلان بن فلان وفلان بن فلان أبناء ملوكنا فقدناهم فى عيد كذا وكذا فى شهر كذا وكذا فى سنة كذا وكذا فى مملكة فلان بن فلان ورفعوا اللوح فى الخزانة فمات ذلك الملك وغلب عليهم ملك مسلم مع المسلمين وجاء قرن بعد قرن فلبثوا فى كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا * وقال آخرون بل كان مصيرهم الى الكهف هربا من طلب سلطان كان طلبهم بسبب دعوى جناية ادعى على صاحب لهم أنه جناها ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال أخبرنى اسمعيل بن شروس أنه سمع وهب بن منبه يقول جاء حوارى عيسى بن مريم الى مدينة أصحاب الكهف فأراد أن يدخلها فقيل له ان على بابها صنما لا يدخلها أحد الا سجد له فكره أن يدخلها فأتى حماما فكان فيه قريبا من تلك المدينة فكان يعمل فيه يؤاجر نفسه من صاحب الحمام ورأى صاحب الحمام فى حمامه البركة ودر عليه الرزق فجعل يعرض عليه الاسلام وجعل يسترسل اليه وعلقه فتية من أهل المدينة وجعل يخبرهم خبر السماء والارض وخبر الآخرة حتى آمنوا به وصدقوه وكانوا على مثل حاله فى حسن الهيئة وكان يشترط على صاحب الحمام أن الليل لى لا تحول بينى وبين الصلاة اذا حضرت فكان على ذلك حتى جاء ابن الملك بامرأة فدخل بها الحمام فعيره الحوارى فقال أنت ابن الملك وتدخل معك هذه النكداء فاستحيا فذهب فرجع مرة أخرى فقال له مثل ذلك فسبه وانتهره ولم يلتفت حتى دخل ودخلت معه المرأة فما تا فى الحمام جميعا فأتى الملك فقيل له قتل صاحب الحمام ابنك فالتمس فلم يقدر عليه هربا قال من كان يصحبه فسموا الفتية فالتمسوا فخرجوا من المدينة فمروا بصاحب لهم فى زرع له وهو على مثل أمرهم فذكروا أنهم التمسوا فانطلق معهم الكلب حتى أواهم الليل الى الكهف فدخلوه فقالوا نبيت ههنا الليلة ثم نصبح ان شاء الله فترون رأيكم فضرب على آذانهم فخرج الملك فى أصحابه يتبعونهم حتى وجدوهم قد دخلوا الكهف فكلما أراد رجل أن يدخل أرعب فلم يطق أحد أن يدخله فقال قائل أليس لو كنت قدرت عليهم قتلتهم قال بلى قال فابن عليهم باب الكهف ودعهم فيه يموتوا عطشا وجوعا ففعل ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عددا

ثم بعثناهم لنعلم أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا ﴾ يعنى جل ثناؤه بقوله فضربنا على آذانهم فى الكهف فضربنا على آذانهم بالنوم فى الكهف أى ألقينا عليهم النوم كما يقول القائل لآخر ضربك الله بالفالج بمعنى ابتلاه الله به وأرسله عليه وقوله سنين عددا يعنى سنين معدودة ونصب العدد بقوله فضربنا وقوله ثم بعثناهم لنعلم أى الحزبين أحصى يقول ثم بعثناهم لنعلم أى الطائفتين اللتين اختلفا فى قدر مبلغ مكث الفتية فى كهفهم رقودا أحصى لما لبثوا أمدا يقول أصوب لقدر لبثهم فيه أمدا ويعنى بالأمد الغاية كما قال النابغة

الا لمثلك أو من أنت سابقه * سبق الجواد اذا استولى على الأمد

وذكر أن الذين اختلفوا فى ذلك من أمورهم قوم من قوم الفتية فقال بعضهم كان الحزبان جميعا كافرين وقال بعضهم بل كان أحدهما مسلما والآخر كافرا ذكر من قال كان الحزبان من قوم الفتية حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أى الحزبين من قوم الفتية حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بنحوه حدثنى القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ثم بعثناهم لنعلم أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا يقول ما كان لواحد من الفريقين علم لا لكفارهم ولا لمؤمنيهم وأما قوله أمدا فان أهل التأويل اختلفوا فى معناه فقال بعضهم معناه بعيدا ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله لما لبثوا أمدا يقول بعيدا * وقال آخرون معناه عددا ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أمدا قال عددا حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وفى نصب قوله أمدا وجهان أحدهما أن يكون منصوبا على التفسير من قوله أحصى كأنه قيل أى الحزبين أصوب عددا القدر لبثهم وهذا هو أولى الوجهين فى ذلك بالصواب لان تفسير أهل التفسير بذلك جاء والآخر أن يكون منصوبا بوقوع قوله لبثوا عليه كأنه قال أى الحزبين أحصى لبثهم غاية ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ نحن نقص عليك نبأهم بالحق انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم نحن يا محمد نقص عليك خبر هؤلاء الفتية الذين أووا الى الكهف بالحق يعنى بالصدق واليقين الذى لا شك فيه انهم فتية آمنوا بربهم يقول ان الفتية الذين أووا الى الكهف الذين سألك عن نبئهم الملأ من مشركى قومك فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى يقول وزدناهم الى ايمانهم بربهم ايمانا وبصيرة بدينهم حتى صبروا على هجران دار قومهم والهرب من بين أظهرهم بدينهم الى الله وفراق ما كانوا فيه من خفض العيش ولينه الى خشونة المكث فى كهف الجبل وقوله وربطنا على قلوبهم يقول عز ذكره وألهمناهم الصبر وشددنا قلوبهم بنور الايمان حتى عرفت أنفسهم عما كانوا عليه من خفض العيش كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وربطنا على قلوبهم يقول بالايمان وقوله اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض يقول حين قاموا بين يدى الجبار دقيوس فقالوا له اذ عاتبهم على

الموكل بذلك المقام فزعنى من الدخول عليهم فدخلت فرأيت الشعور على صدورهم فعرفت أنه تمويه واحتيال وأن الناس كانوا قد عالجوا تلك الجثث بالأدوية المجففة الحافظة لابدان الموتى عن البلى كالصبر وغيره قلت حين لم يملأ الخوار زمى رعبا من الاطلاع عليهم حصل القطع بأنهم ليسوا أصحاب الكهف والرقيم ولو صح ما حكينا عن معاوية حين غزا الروم حصل ظن غالب بأنهم منهم والله تعالى أعلم

﴿ التأويل الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب والعبد الحقيق من يكون حرا عن الكونين وهو محمد صلى الله عليه وسلم اذ يقول أمتى أمتى يوم يقول كل نبى نفسى نفسى ولانه هو الذى صح نسبة العبودية كما ينبغى أطلق عليه اسم العبد مطلقا وقيد لسائر الأنبياء كما قال عبده زكريا واذكر عبدنا داود ولانه كان خلقه القرآن قيل ولم يجعل له أى لقلبه عوجا لا يستقيم فيه القرآن ومن استقامة قلبه نال ليلة المعراج رتبة فأوحى الى عبده ما أوحى بلا واسطة جبرائيل ونال قلبه الاستقامة بأمر التكوين بقوله فاستقم كما أمرت أجرا حسنا هو التمتع من حسن الله وجماله فاعلم يا خع نفسك كان من عادته عليه الصلاة والسلام أن يبالغ فى المأمور به حتى ينهى عنه بالغ فى الدعوة والشفقة على أمته حتى قيل له لا تبخع نفسك وبالغ فى الانفاق الى أن أعطى قميصه فقعد عريانا فنهى عنه بقوله ولا تبسطها

كل البسط انا جعلنا ما على الأرض زينة أى زينا الدنيا وشهواتها للخلق ملائما لطبائعهم وجعلناها محل ابتلاء للمحب والسائل لنبلوهم أيهم أحسن عملا فى تركها ومخالفة هوى نفسه طلبا لله ومرضاته ثم أخبر عن سعادة السادة الذين أعرضوا عن الدنيا وأقبلوا على المولى بقوله أم حسبت ومعناه لا تعجب من حالهم فان فى أمتك من هو أعجب حالا منهم نفيهم أصحاب الخلوات الذين كهفهم بيت الخلوة ورقيمهم قلوبهم المرقومة برقم المحبة فانهم أووا الى الكهف خوفا من لقاء دقيانوس وفرارا منه فهؤلاء أووا الى الخلوة شوقا الى لقائى وفرارا الى وانهم طلبوا النجاة من شره والخروج من الغار بالسلامة بقولهم ربنا آتنا الآية فهؤلاء طلبوا الخلاص من شر نفوسهم والخروج من ظلمات الغار المجازى للوصول الى نور الوجود الحقيقى فضربنا على آذان باطنهم وحواسهم الأخر فى مدة الخلوة لمحو النقوش الفاسدة عن ألواح نفوسهم وانتقاشها بالعلوم الدينية والانوار الالهية ليفيئهم الله عنهم ويقيهم به وهو سر قوله ثم بعثناهم أى أحييناهم بنا لنعلم أى الحزبين أصحاب الخلوة أم أصحاب السلوة أحصى أى أكثر فائدة وأتم عائدة لأمد لبثهم فى الدنيا التى هى مزرعة الآخرة وزدناهم هدى فانهم كانوا يريدون الايمان الغيبى فأعماهم ثم بعثناهم حتى صار الايمان ايقانا والغيب عيانا اتخذوا

ترکهم عبادة آلهته ربنا رب السموات والارض يقول قالوا ربنا ملك السموات والارض وما فيهما من شئ وآلهتك مربوبة وغير جائز لنا أن نترك عبادة الرب ونعبد المربوب لن ندعو من دونه الها يقول لن ندعو من دون رب السموات والارض الها لأنه لا اله غيره وان كل ما دونه فهو خلقه لقد قلنا اذا شططا يقول جل ثناؤه لئن دعونا الها غير اله السموات والارض لقد قلنا اذا بدعائنا غيره الها شططا من القول يعنى غاليا من الكذب مجاوزا مقداره فى البطول والغلو كما قال الشاعر

ألا يا لقومى قد أشطت عواذلى ◦ ويزعمن أن أودى بحقى باطلى

يقال منه قد أشط فلان فى السوم اذا جاوز القدر وارتفع يشط اشطاطا وشططا فأما من البعد فانما يقال شط منزل فلان يشط شطوطا ومن الطول شطت الجارية تشط شطاطا وشطاطة اذا طالت ◦ وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله شططا قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لقد قلنا اذا شططا يقول كذبا **حدثنا** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله لقد قلنا اذا شططا قال لقد قلنا اذا خطأ قال الشطط الخطأ من القول ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا﴾ يقول عز ذكره مخبرا عن قيل الفتية من أصحاب الكهف هؤلاء قومنا اتخذوا من دون الله آلهة يعبدونها من دونه لولا يأتون عليهم بسلطان بين يقول هلا يأتون على عبادتهم اياها بحجة بينة وفى الكلام محذوف اجتزئ بما ظهر عما حذف وذلك فى قوله لولا يأتون عليهم بسلطان بين فالهاء والميم فى عليهم من ذكر الآلهة والآلهة لا يؤتى عليها بسلطان ولا يسئل السلطان عليها وانما يسئل عابدوها السلطان على عبادتهموها فعلوم اذ كان الامر كذلك أن معنى الكلام لولا يأتون على عبادتهموها واتخاذهموها آلهة من دون الله بسلطان بين ◦ وبنحو ما قلنا فى معنى السلطان قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لولا يأتون عليهم بسلطان بين يقول بعذر بين وعنى بقوله عز ذكره فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ومن أشد اعتداء وأشرك بالله ممن اختلق فتخرص على الله كذبا وأشرك مع الله فى سلطانه شريكا يعبده دونه ويتخذه الها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل بعض الفتية لبعض واذ اعتزلتم أيها الفتية قومكم الذين اتخذوا من دون الله آلهة وما يعبدون الا الله يقول واذ اعتزلتم قومكم والذين يعبدون من الآلهة سوى الله فما اذ كان ذلك معناه فى موضع نصب عطفا لها على الهاء والميم التى فى قوله واذ اعتزلتموهم ◦ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله وهى فى مصحف عبد الله وما يعبدون من دون الله هذا تفسيرها وأما قوله فأووا الى الكهف فانه يعنى به فصيروا الى غار الجبل الذى يسمى بنجلوس ينشر لكم ربكم من رحمته يقول يبسط لكم ربكم من رحمته بتيسيره لكم المخرج من الأمر الذى قد رميتم به من الكافر دقيانوس وطلبه اياكم لعرضكم على الفتنة وقوله فأووا الى الكهف جواب لاذ كأن معنى الكلام واذ اعتزلتم أيها القوم قومكم فأووا الى الكهف كما يقال اذا أذنبت فاستغفر الله وتب اليه وقوله ويهيئ لكم من أمركم مرفقا يقول ويسر لكم من أمركم الذى أنتم فيه من الغم والكرب خوفا منكم على أنفسكم ودينكم مرفقا ويعنى بالمرفق ما ترتفقون به من شئ وفى المرفق من اليد وغير اليد لغتان كسر الميم وفتح الفاء وفتح الميم وكسر الفاء وكان الكسائى ينكر

في مرفق الانسان الذي في اليد الا فتح الفاء وكسر الميم وكان الفراء يحكي فيهما أعني في مرفق الامر واليد اللغتين كلتيهما وكان ينشد في ذلك قول الشاعر * بت أجافي مرفقا عن مرفقي * ويقول كسر الميم فيه أجود وكان بعض نحويي أهل البصرة يقول في قوله من أمركم مرفقا شيأ ترتفقون به مثل المقطع ومرفقا جعله اسما كالمسجد ويكون لغة يقولون رفق يرفق مرفقا وان شئت مرفقا تريد رفقا ولم يقرأ * وقد اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة ويهيئ لكم من أمركم مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء وقرأته عامة قراء العراق في المصرين مرفقا بكسر الميم وفتح الفاء والصواب من القول في ذلك أن يقال انهما قراءتان بمعنى واحد قد قرأ بكل واحدة منهما قراء من أهل القرآن فبأيتهما قرأ القارئ فصيب غير أن الامر وان كان كذلك فان الذي أختار في قراءة ذلك ويهيئ لكم من أمركم مرفقا بكسر الميم وفتح الفاء لان ذلك أفصح اللغتين وأشهرهما في العرب وكذلك ذلك في كل ما ارتفق به من شئ ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا﴾ يقول تعالى ذكره وترى الشمس يا محمد اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين يعني بقوله تزاور تعدل وتميل من الزور وهو العوج والميل يقال منه في هذه الارض زور اذا كان فيها اعوجاج وفي فلان عن فلان ازورار اذا كان فيه عنه اعراض ومنه قول بشر بن أبي حازم

يؤم بها الحداة مياه نخل * وفيها عن أبانين ازورار

يعني اعراضا وصدا وقد اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة ومكة والبصرة تزاور بتشديد الزاي بمعنى تتزاور بتاءين ثم أدغم احدى التاءين في الزاي كما قيل تظاهرون عليهم وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين تزاور بتخفيف التاء والزاي كأنه عني به تفاعل من الزور وروي عن بعضهم تزور بتخفيف التاء وتسكين الزاي وتشديد الراء مثل تحمر وبعضهم تزاور مثل تحمار والصواب من القول في قراءة ذلك عندنا أن يقال انهما قراءتان أعني تزاور بتخفيف الزاي وتزاور بتشديدها معروفتان مستفيضة القراءة بكل واحدة منهما في قراء الأمصار متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فصيب الصواب وأما القراءتان الأخريان فانهما قراءتان لا أرى القراءة بهما وان كان لهما في العربية وجه مفهوم لشذوذهما عما عليه قرأة الامصار * وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله تزاور عن كهفهم قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي قال ثنا محمد بن أبي الوضاح عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير قال وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين قال تميل حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس تزاور عن كهفهم ذات اليمين يقول تميل عنهم حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال يقول تميل عن كهفهم يمينا وشمالا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين يقول تميل ذات اليمين تدعهم ذات اليمين حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله تزاور عن كهفهم ذات اليمين قال تميل عن كهفهم ذات اليمين حدثت عن يزيد بن هرون عن سفيان بن حسين عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لو أن الشمس تطلع عليهم لأحرقتهم ولو أنهم لا يقلبون لأكلتهم

من دونه آلهة من الدنيا والهوى وترى الشمس اذا طلعت قال الشيخ المحقق نجم الدين المعروف بداية هذا اخبار عن أصناف ألطافه بأضيافه وفيه اشارة الى أن نور ولايتهم يغلب نور الشمس ويرده عن الكهف كما يغلب نور المؤمن نار جهنم لقوله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن اذا ورد النار تستغيث النار وتقول جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي وهم في فجوة منه في متسع وفراغ من ذلك النور يدفع عنهم كل ضر ويراعيهم عن بلى أجسادهم وثيابهم قلت يحتمل أن يراد أن شمس الروح أو المعرفة والولاية اذا طلعت من أفق الهداية وأشرقت في سماء الواردات وهو حالة السكر وغلبات الوجد لا تنصرف في حال خلوتهم الى أمر يتعلق بالعقبى وهو جانب اليمين واذا غربت أي سكنت تلك الغلبات وظهرت حالة الصحو لا تلتفت هممهم أرواحهم الى أمر يتعلق بالدنيا وهو جانب الشمال بل تنحرف عن الجهتين الى المولى وهم في حال دفاع وفراغ مما يشغلهم عن الله وتحسبهم أيقاظا متصرفين في أمور الدنيا وهم رقود عنها لانهم يتصرفون فيها لاجل الحق لا لحظ النفس أو تحسبهم أيقاظا مشغولين بأمور الآخرة لان الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وهم رقود متصرفون في أمور الدنيا لان الناس بهم يرزقون ويمطرون وفي قوله ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال اشارة الى أنهم في التسليم لمقلب القلوب في الاحوال كلها كالميت بين يدي

الغسال قيل فى الآية دلالة على أن المريد الذى يربيه الله بلا واسطة المشايخ تكامل أمره فى ثلثمائة وتسع سنين والذى يربيه بواسطتهم تم أمره فى أربعينات معدودة ولهذا تكون ثمرة البساتين الزهر وثمرة الجبال (٣) وفى قوله وكلبهم باسط اشارة أن أكلب نفوسهم نائمة مع طاعة عن الاعمال بهار بيت القلوب والارواح معنى ان هذا النوع من التربية من قبيل القدرة الالهية التى اختصهم بها ويمكن أن يراد أن نفوسهم صارت بحيث تطيعهم فى جميع الاحوال وتحرسهم عما يضرهم ولمثت منهم رعبا مما شاهدت عليهم من آثار الانوار التى زدناهم وجلابيب الهيبة والعظمة التى ألبسناهم لبثنا يوما أو بعض يوم لأن أيام الوصال قصيرة فلما رأوا أنهم فى دهشة الوصال وحيرة الاحوال قالوا ربكم أعلم بما لبثتم لانه كان حاضرا معكم وأنتم غيب عنكم فابعثوا أحدكم من العجب أنهم ما احتاجوا مدة ثلثمائة وتسع سنين بما نالوا من غذاء الروح كقوله صلى الله عليه وسلم أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى فلما رجعوا من عند الله الحق الى عبدية أنفسهم احتاجوا الى الغذاء الجسمانى أزكى طعاما لما رجعوا الى العالم الجسمانى تعللوا من جمال الله بمشاهدة كل جميل وتوسلوا الى تلك الملاطفات بلطافة الاغذية الجسمانية وزكائها ولا يشعرن بكم أحدا فيه أن أرباب المعرفة والمحبة يجب أن يحترزوا

الارض قال وذلك قوله وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال **حدثنى** محمد بن سنان القزاز قال ثنا موسى بن اسمعيل قال ثنا محمد بن مسلم ابن أبى الوضاح عن سالم الافطس عن سعيد بن جبير قال تزاور عن كهفهم تميل وقوله واذا غربت تقرضهم ذات الشمال يقول تعالى ذكره واذا غربت الشمس تتركهم من ذات شمالهم وانما معنى الكلام وترى الشمس اذا طلعت تعدل عن كهفهم فتطلع عليه من ذات اليمين لئلا تصيب الفتية لانها لو طلعت عليهم قبالهم لأحرقتهم وثيابهم أو أشحبتهم واذا غربت تتركهم بذات الشمال فلا تصيبهم يقال منه قرضت موضع كذا اذا قطعته فجاوزته وكذلك كان يقول بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة وأما الكوفيون فانهم يزعمون أنه المحاذاة وذكروا أنهم سمعوا من العرب قرضته قبلا ودبرا وحذوته ذات اليمين والشمال وقبلا ودبرا أى كنت بحذائه قالوا والقرض والحذو بمعنى واحد وأصل القرض القطع يقال منه قرضت الثوب اذا قطعته ومنه قيل للمقراض مقراض لانه يقطع ومنه قرض الفأر الثوب ومنه قول ذى الرمة

الى ظعن يقرضن أجواز مشرف * شمالا وعن أيمانهن الفوارس

يعنى بقوله يقرضن يقطعن * وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** على قال ثنى أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله واذا غربت تقرضهم ذات الشمال يقول تدعهم **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا محمد بن أبى الوضاح عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير قال واذا غربت تقرضهم تتركهم ذات الشمال **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله عز وجل تقرضهم قال تتركهم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واذا غربت تقرضهم ذات الشمال يقول تدعهم ذات الشمال **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله تقرضهم ذات الشمال قال تدعهم ذات الشمال **حدثنى** ابن سنان القزاز قال ثنا موسى بن اسمعيل قال أخبرنا محمد بن مسلم بن أبى الوضاح عن سالم عن سعيد بن جبير واذا غربت تقرضهم قال تتركهم وقوله وهم فى فجوة منه يقول والفتية الذين أووا اليه فى متسع منه يجمع فجوات وفجاء ممدودا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وهم فى فجوة منه يقول فى فضاء من الكهف قال الله ذلك من آيات الله **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا محمد بن أبى الوضاح عن سالم الافطس عن سعيد بن جبير وهم فى فجوة منه قال المكان الداخل **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد وهم فى فجوة منه قال المكان الذاهب **حدثنى** ابن سنان قال ثنا موسى بن اسمعيل قال ثنا محمد بن مسلم أبو سعيد بن أبى الوضاح عن سالم الافطس عن سعيد بن جبير فى فجوة منه قال فى مكان داخل وقوله ذلك من آيات الله يقول عز ذكره فعلنا هذا الذى فعلنا بهؤلاء الفتية الذين قصصنا عليكم أمرهم من تصييرناهم اذ أردنا أن نضرب على آذانهم بحيث تزاور الشمس عن مضاجعهم ذات اليمين اذا هى طلعت وتقرضهم ذات الشمال اذا هى غربت مع كونهم فى المتسع من المكان بحيث لا تحرقهم الشمس فتشحبهم ولا تبلى على طول رقدتهم ثيابهم فتعفن على أجسادهم من حجج الله وأدلته على خلقه والادلة التى يستدل بها أولو الالباب على عظيم

قدرته وسلطانه وأنه لا يعجزه شئ أراده وقوله من يهد الله فهو المهتد يقول عز وجل من يوفقه الله للاهتداء بآياته وحججه الى الحق التى جعلها أدلة عليه فهو المهتدى يقول فهو الذى قد أصاب سبيل الحق ومن يضلل يقول ومن أضله الله عن آياته وأدلته فلم يوفقه للاستدلال بها على سبيل الرشاد فلن تجد له وليا مرشدا يقول فلن تجد له يا محمد خليلا وحليفا يرشده لاصابتها لان التوفيق والخذلان بيد الله يوفق من يشاء من عباده ويخذل من أراد يقول فلا يحزنك ادبار من أدبر عنك من قومك وتكذيبهم اياك فانى لو شئت هديتهم فآمنوا وبيدى الهداية والضلال ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وتحسب يا محمد هؤلاء الفتية الذين قصصنا عليك قصتهم لو رأيتهم فى حال ضربنا على آذانهم فى كهفهم الذى أووا اليه أيقاظا والأيقاظ جمع يقظ ومنه قول الراجز

ووجدوا اخوتهم أيقاظا * وسيف غياظ لهم غياظا

وقوله وهم رقود يقول وهم نيام والرقود جمع راقد كالجلوس جمع جالس والقعود جمع قاعد وقوله ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال يقول جل ثناؤه ونقلب هؤلاء الفتية فى رقدتهم مرة للجنب الايمن ومرة للجنب الأيسر كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وهذا التقليب فى رقدتهم الاولى قال وذكر لنا أن أبا عباض قال لهم فى كل عام تقليبتان حدثت عن يزيد قال أخبرنا سفيان بن حسين عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال قال لو أنهم لا يقلبون لأكلتهم الارض وقوله وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد اختلف أهل التأويل فى الذى عنى الله بقوله وكلبهم باسط ذراعيه فقال بعضهم هو كلب من كلابهم كان معهم وقد ذكرنا كثيرا ممن قال ذلك فيما مضى وقال بعضهم (١) كان انسانا من الناس طباخا لهم تبعهم وأما الوصيد فان أهل التأويل اختلفوا فى تأويله فقال بعضهم هو الفناء ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله بالوصيد يقول بالفناء حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ثنا محمد بن أبى الوضاح عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد قال بالفناء حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بالوصيد قال بالفناء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بالوصيد قال بالفناء قال ابن جريج يعنى باب الكهف حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد يقول بفناء الكهف حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله بالوصيد قال بفناء الكهف حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله بالوصيد قال يعنى بالفناء * وقال آخرون الوصيد الصعيد ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد يعنى فناءهم ويقال الوصيد الصعيد حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن هرون عن عنترة عن سعيد بن جبير فى قوله وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد قال الوصيد الصعيد حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير عن عمرو فى قوله

(١) قوله كان انسانا الخ كذا فى الاصول وفى ابن كثير وقيل كلب طباخ الملك وتذكا وافقهم على الدين وصحبه كلبه اه كتبه مصححه

عن شعور أهل الغفلة والسلوة ليعلموا أن وعد الله حق باحياء القلوب الميتة حق قدره الامر فيما أظهر وأبدى أو أسر وأخفى سيقولون ان القوى والاركان الاصلية للانسان ثلاثة الحيوانية والطبيعية والنفسانية التى منشؤهن القلب والكبد والدماغ رابعهم كلبهم هو النفس الناطقة ويقولون خمسة هو الحواس الظاهرة سادسهم النفس ويقولون سبعة هو الحواس الظاهرة مع الوهم المدرك للمعانى والخيال المدرك للصور وثامنهم كلبهم هو النفس المدرك للكليات قل ربى أعلم بعدتهم لأن القوى الباطنة والظاهرة وأفاعيلها وغاياتها لا يعلمهن الا الله سبحانه ومن أطلعه الله عليه وذلك قوله ما يعلمهم الا قليل والله أعلم بالصواب

﴿واتل ما أوحى اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر انا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع أجر من أحسن عملا أولئك لهم جنات عدن تجرى من تحتهم

الانهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وإستبرق متكئين فيها على الارائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيأ وفجرنا خلالهما نهرا وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا لكن هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا ولولا اذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله لا قوة الا بالله ان ترن أنا أقل منك مالا وولدا فعسى ربي أن يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحدا ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شئ مقتدرا المال

وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد قال الوصيد الصعيد التراب * وقال آخرون الوصيد الباب ذكر من قال ذلك حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة قال ثنا أبو عاصم عن شبيب عن عكرمة عن ابن عباس وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد قال بالباب وقالوا بالفناء * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال الوصيد الباب أوفنا الباب حيث يغلق الباب وذلك أن الباب يوصد وبصاده اطباقه واغلاقه من قول الله عز وجل انها عليهم مؤصدة وفيه لغتان الأصيد وهي لغة أهل نجد والوصيد وهي لغة أهل تهامة وذكر عن أبي عمرو بن العلاء قال انها لغة أهل اليمن وذلك نظير قولهم ورخت الكتاب وأرخته ووكدت الامر وأكدته فمن قال الوصيد قال أوصدت الباب فأنا أوصده وهو موصد ومن قال الأصيد قال آصدت الباب فهو مؤصد فكان معنى الكلام وكلبهم باسط ذراعيه بفناء كهفهم عند الباب يحفظ عليهم بابه وقوله لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا يقول لو اطلعت عليهم في رقدتهم التي رقدوها في كهفهم لأدبرت عنهم هاربا منهم فرارا ولملئت منهم رعبا يقول ولملئت نفسك من اطلاعك عليهم فزعا مما كان الله ألبسهم من الهيبة كي لا يصل اليهم واصل ولا تلمسهم يد لامس حتى يبلغ الكتاب فيهم أجله وتوقظهم من رقدتهم قدرته وسلطانه في الوقت الذي أراد أن يجعلهم عبرة لمن شاء من خلقه وآية لمن أراد الاحتجاج بهم عليه من عباده ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها واختلفت القراء في قراءة قوله ولملئت منهم رعبا فقرأته عامة قراء المدينة بتشديد اللام من قوله ولملئت بمعنى أنه كان يملأ مرة بعد مرة وقرأ ذلك عامة قراء العراق ولملئت بالتخفيف بمعنى لملئت مرة وهما عندنا قراءتان مستفيضتان في القراءة متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب * القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحدا انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا اذا أبدا ﴾ يقول تعالى ذكره كما أرقدنا هؤلاء الفتية في الكهف فحفظنا هم من وصول واصل اليهم وعين ناظر أن ينظر اليهم وحفظنا أجسامهم من البلاء على طول الزمان وثيابهم من العفن على مر الايام بقدرتنا فكذلك بعثناهم من رقدتهم وأيقظناهم من نومهم لنعرفهم عظيم سلطاننا وعجيب فعلنا في خلقنا وليزدادوا بصيرة في أمرهم الذي هم عليه من براءتهم من عبادة الآلهة واخلاصهم العبادة لله وحده لا شريك له اذا تبينوا طول الزمان عليهم وهم بهيئتهم حين رقدوا وقوله ليتساءلوا بينهم يقول ليسأل بعضهم بعضا قال قائل منهم كم لبثتم يقول عز ذكره فتساءلوا فقال قائل منهم لأصحابه كم لبثتم وذلك أنهم استنكروا من أنفسهم طول رقدتهم فقالوا لبثنا يوما أو بعض يوم يقول فأجابه الآخرون فقالوا لبثنا يوما أو بعض يوم ظنا منهم أن ذلك كذلك كان فقال الآخرون ربكم أعلم بما لبثتم فسلموا العلم الى الله وقوله فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة يعني مدينتهم التي خرجوا منها هاربا التي تسمى أفسوس فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه ذكر أنهم هبوا من رقدتهم جياعا فلذلك طلبوا الطعام ذكر من قال ذلك وذكر السبب الذي من أجله ذكر أنهم بعثوا من رقدتهم حين بعثوا منها حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال أخبرني اسمعيل بن (٣) بشر وس أنه سمع وهب بن منبه يقول انهم غبروا يعني الفتية من أصحاب الكهف بعد ما بنى عليهم باب الكهف زمانا بعد زمان ثم ان راعيا أدركه المطر عند الكهف فقال لو فتحت هذا الكهف وأدخلت غنمي من المطر فلم يزل يعالجه

حتى فتحا أدخله فيه وردّ اليهم أرواحهم فى أجسامهم من الغد حين أصبحوا فبعثوا أحدهم بورق يشترى طعاما فلما أتى باب مدينتهم رأى شيأ ينكره حتى دخل على رجل فقال يعنى بهذه الدراهم طعاما فقال ومن أين لك هذه الدراهم قال خرجت أنا وأصحاب لى أمس فأوانا الليل ثم أصبحوا فأرسلونى فقال هذه الدراهم كانت على عهد ملك فلان فأتى لك بها فرفعه الى الملك وكان ملكا صالحا فقال من أين لك هذه الورق قال خرجت أنا وأصحاب لى أمس حتى أدركنا الليل فى كهف كذا وكذا ثم أمرونى أن أشترى لهم طعاما قال وأين أصحابك قال فى الكهف قال فانطلقوا معه حتى أتوا باب الكهف فقال دعونى أدخل على أصحابى قبلكم فلما رأوه ودنا منهم ضرب على آذانهم وآذانهم فجعلوا كلما دخل رجل أرعب فلم يقدروا على أن يدخلوا عليهم فبنوا عندهم كنيسة اتخذوها مسجدا يصلون فيه **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة عن عكرمة قال كان أصحاب الكهف أبناء ملوك الروم رزقهم الله الاسلام فتعوذوا بدينهم واعتزلوا قومهم حتى انتهوا الى الكهف فضرب الله على سمعهم فلبثوا دهرا طويلا حتى هلكت أمتهم وجاءت أمة مسلمة وكان ملكهم مسلما فاختلفوا فى الروح والجسد فقال قائل يبعث الروح والجسد جميعا وقال قائل يبعث الروح فأما الجسد فتأكله الارض فلا يكون شيأ فشق على ملكهم اختلافهم فانطلق فلبس المسوح وجلس على الرماد ثم دعا الله تعالى فقال أى رب قد ترى اختلاف هؤلاء فابعث لهم آية تبين لهم فبعث الله أصحاب الكهف فبعثوا أحدهم يشترى لهم طعاما فدخل السوق فجعل ينكر الوجوه ويعرف الطرق ويرى الايمان بالمدينة ظاهرا فانطلق وهو مستخف حتى أتى رجلا يشترى منه طعاما فلما نظر الرجل الى الورق أنكرها قال حسبت أنه قال كأنها أخفاف الربع يعنى الابل الصغار فقال له الفتى أليس ملككم فلانا قال بل ملكنا فلان فلم يزل ذلك بينهما حتى رفعه الى الملك فسأله فأخبره الفتى خبر أصحابه فبعث الملك فى الناس فجمعهم فقال انكم قد اختلفتم فى الروح والجسد وان الله قد بعث لكم آية فهذا رجل من قوم فلان يعنى ملكهم الذى مضى فقال الفتى انطلقوا بى الى أصحابى فركب الملك وركب معه الناس حتى انتهى الى الكهف فقال الفتى دعونى أدخل الى أصحابى فلما أبصرهم ضرب على آذانه وعلى آذانهم فلما استبطؤه دخل الملك ودخل الناس معه فاذا أجساد لا ينكرون منها شيأ غير أنها لا أرواح فيها فقال الملك هذه آية بعثها الله لكم قال قتادة وعن ابن عباس كان قد غزا مع حبيب ابن مسلمة فمروا بالكهف فاذا فيه عظام فقال رجل هذه عظام أصحاب الكهف فقال ابن عباس لقد ذهبت عظامهم منذ أكثر من ثلثمائة سنة **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فيما ذكر من حديث أصحاب الكهف قال ثم ملك أهل تلك البلاد رجل صالح يقال له تيذوسيس فلما ملك بقى فى ملكه ثمانيا وستين سنة فتحزب الناس فى ملكه فكانوا أحزابا فمنهم من يؤمن بالله ويعلم أن الساعة حق ومنهم من يكذب بها فكبر ذلك على الملك الصالح تيذوسيس وبكى الى الله وتضرع اليه وحزن حزنا شديدا لما رأى أهل الباطل يزيدون ويظهرون على أهل الحق ويقولون لا حياة الا الحياة الدنيا وانما تبعث النفوس ولا تبعث الاجساد ونسوا ما فى الكتاب فجعل تيذوسيس يرسل الى من يظن فيه خيرا وأنهم أئمة فى الحق فجعلوا يكذبون بالساعة حتى كادوا أن يحولوا الناس عن الحق وملة الحواريين فلما رأى ذلك الملك الصالح تيذوسيس دخل بيته فأغلقه عليه ولبس مسحا وجعل تحته رمادا ثم جلس عليه فدأب ذلك ليله ونهاره زمانا يتضرع الى الله ويبكى اليه مما يرى فيه الناس ثم ان الرحمن الرحيم الذى يكره هلكة العباد أراد أن يظهر على القضية أصحاب الكهف ويبين للناس شأنهم ويجعلهم آية لهم وحجة عليهم ليعلموا أن الساعة آتية

والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا ﴿ القرآت وخرنابا التخفيف سهل ويعقوب غير رويس له ثمر وكذا بثمره بفتح الثاء والميم يزيد وعاصم وسهل ويعقوب وأبو عامر بضم الثاء واسكان الميم الباقون بضم الثاء والميم جميعا منها على الوحدة أبو عمرو وسهل ويعقوب وعاصم وحمزة وعلى وخلف الآخرون على التثنية لكن بالتشديد من غير ألف فى الحالين قتيبة وابن عامر وابن فليح ويعقوب بالالف فى الوصل الباقون بغير الالف واتفقوا على الالف فى الوقف بربى أحدا مفتوحة الياء أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو ان ترنى بفتح الياء السراندیبى عن قنبل غورا بضم الغين وكذلك فى الملك البرجمى الباقون بفتحها ولم يكن له بياء الغيبة الولاية بكسر الواو حمزة وعلى وخلف الآخرون بتاء التأنيث وفتح الواو لله الحق بالرفع أبو عمرو وعلى الآخرون بالجر عقبا بسكون القاف عاصم وحمزة وخلف الباقون بضمها الريح على التوحيد حمزة وعلى وخلف ﴿ الوقوف من كتاب ربك ط لاختلاف الجملتين ملتحدا ٥ عنهم ج لأن ما بعده يصلح حالا واستئنافها ما محذوف الالف لدلالة حال العتاب فرطا ٥ فليكفر لا لان الامر للتهديد بدليل انا أعتدنا فلو فصل صار مطلقا نارا ٥ لان ما بعده صفة سرادقها ط الوجوه ط الشراب ط مرتفقا ٥ عملا ج ٥ لاحتمال كون أولئك

مع ما بعده خبران الذين وقوله انا لا نضيع جملة معترضة الارائك ط الثواب ط مرتفقا ○ زرعا ○ ط شيأ لا العطف نهرا ○ ط ثم ج للعدول مع الفاء نفرا ○ ج لنفسه ج لاتحاد العامل بلا عطف أبدا ○ ط قائمة لا لان ما بعده شك من قول الكافر في البعث منقلبا ○ رجلا ○ ط لتمام الاستفهام أحدا ○ ماشاء الله لا لاتمام المقول الا بالله ج لابتداء الشرط المحذوف جوابه مع اتحاد القائل والمقول له وولدا ○ ج لاحتمال كون ما بعده جوابا للشرط زلقا ○ طلبا ○ أحدا ○ منتصرا ○ ط وقيل يوقف على هنالك والاوجه أن يبتدأ بهنالك أي عند ذلك يظهر لكل سالك سلطان الله ونفاذ أمره الحق ط على القراءتين عقبا ○ الرياح ط مقتدرا ○ زينة الحياة الدنيا ج فصلا بين المعجل الفاني والمؤجل الباقي مع اتفاق الجملتين أملا ○

﴿ التفسير لما أجاب عن سؤالهم بما أجاب أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يواظب على تلاوة الكتاب الموحى اليه وعلى الصبر مع الفقراء الذين آمنوا بما أنزل عليه واحتمل أن يكون اتل أمرا من التلو لا من التلاوة أي اتبع ما أوحي اليك والزم العمل بمقتضاه وقوله من كتاب ربك بيان للذي أوحي اليه ثم بين سبب اللزوم فقال لا مبدل لكلماته أي لا يقدر أحد على تغييرها وانما يقدر على ذلك هو وحده فليس لك ولا لغيرك

لا ريب فيها وأن يستجيب لعبده الصالح تبذوسبس و يتم نعمته عليه فلا ينزع منه ملكه ولا الايمان الذي أعطاه وأن يعبد الله لا يشرك به شيأ وأن يجمع من كان تبدد من المؤمنين فألقى الله في نفس رجل من أهل ذلك البلد الذي به الكهف وكان الجبل بجلوس الذي فيه الكهف لذلك الرجل وكان اسم ذلك الرجل أولياس أن يهدم البنيان الذي على فم الكهف فيبني به حظيرة لغنمه فاستأجر عاملين يجعلان ينزعان تلك الحجارة و يبنيان بها تلك الحظيرة حتى نزعا ما على فم الكهف حتى فتحا عنهم باب الكهف وحجبهم الله من الناس بالرعب فيزعمون أن أشجع من يريد أن ينظر اليهم غاية ما يمكنه أن يدخل من باب الكهف ثم يتقدم حتى يرى كلبهم دونهم الى باب الكهف نائما فلما نزعا الحجارة وفتحا عليهم باب الكهف أذن الله ذو القدرة والعظمة والسلطان محيي الموتى للفتية أن يجلسوا بين ظهري الكهف فجلسوا فرحين مسفرة وجوههم طيبة أنفسهم فسلم بعضهم على بعض حتى كأنما استيقظوا من ساعتهم التي كانوا يستيقظون لها اذا أصبحوا من ليلتهم التي يبيتون فيها ثم قاموا الى الصلاة فصلوا كالذي كانوا يفعلون لا يرون ولا يرى في وجوههم ولا أبشارهم ولا ألوانهم شيأ ينكرونه كهيئتهم حين رقدوا بعشي أمس وهم يرون أن ملكهم دقينوس الجبار في طلبهم والتماسهم فلما قضوا صلاتهم كما كانوا يفعلون قالوا لمليخا وكان هو صاحب نفقتهم الذي كان يبتاع لهم طعامهم وشرابهم من المدينة وجاءهم بالخبر أن دقينوس يلتمسهم و يسأل عنهم أنبئنا يا أخي ما الذي قال الناس في شأننا عشي أمس عند هذا الجبار وهم يظنون أنهم رقدوا كبعض ما كانوا يرقدون وقد خيل اليهم أنهم قد ناموا كأطول ما كانوا ينامون في الليلة التي أصبحوا فيها حتى تساءلوا بينهم فقال بعضهم لبعض كم لبثتم نياما قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم وكل ذلك في أنفسهم يسير فقال لهم مليخا افتقدتم والتمستم بالمدينة وهو يريد أن يؤتى بكم اليوم فتذبحون للطواغيت أو يقتلكم فاشاء الله بعد ذلك فعل فقال لهم مكسلمينا يا اخوتاه اعلموا أنكم ملاقون فلا تكفروا بعد ايمانكم اذا دعاكم عدو الله ولا تنكروا الحياة التي لا تبيد بعد ايمانكم بالله والحياة من بعد الموت ثم قالوا لمليخا انطلق الى المدينة فتسمع ما يقال لنا بها اليوم وما الذي نذكر به عند دقينوس وتلطف ولا يشعرن بنا أحدا وابتع لنا طعاما فأتنا به فانه قد آن لك وزدنا على الطعام الذي قد جئتنا به فانه قد كان قليلا فقد أصبحنا جياعا ففعل مليخا كما كان يفعل ووضع ثيابه وأخذ الثياب التي كان يتنكر فيها وأخذ ورقا من نفقتهم التي كانت معهم التي ضربت بطابع دقينوس الملك فانطلق مليخا حارجا فلما مر بباب الكهف رأى الحجارة منزوعة عن باب الكهف فعجب منها ثم مر فلم يبال بها حتى أتى المدينة مستخفيا يصد عن الطريق تخوفا أن يراه أحد من أهلها فيعرفه فيذهب به الى دقينوس ولا يشعر العبد الصالح أن دقينوس وأهل زمانه قد هلكوا قبل ذلك بثلثمائة وتسع سنين أو ما شاء الله من ذلك اذ كان ما بين أن ناموا الى أن استيقظوا ثلثمائة وتسع سنين فلما رأى مليخا باب المدينة رفع بصره فرأى فوق ظهر الباب علامة تكون لأهل الايمان اذا كان ظاهرا فيها فلما رآها عجب وجعل ينظر مستخفيا اليها فنظر يمينا وشمالا فتعجب بينه و بين نفسه ثم ترك ذلك الباب فتحول الى باب آخر من أبوابها فنظر فرأى من ذلك ما يحيط بالمدينة كلها ورأى على كل باب مثل ذلك فجعل يخيل اليه أن المدينة ليست بالمدينة التي كان يعرف ورأى ناسا كثيرا محدثين لم يكن يراهم قبل ذلك فجعل يمشي و يعجب و يخيل اليه أنه حيران ثم رجع الى الباب الذي أتى منه فجعل يعجب بينه و بين نفسه و يقول ما ليت شعري أما هذه عشية أمس فكان المسلمون يخفون هذه العلامة و يستخفون بها وأما اليوم فانها ظاهرة لعلى حالم ثم يرى أنه ليس بنائم فأخذ كساء

فجعله على رأسه ثم دخل المدينة فجعل يمشي بين ظهري سوقها فيسمع أناسا كثيرا يحلفون باسم عيسى بن مريم فزاده فرقا ورأى أنه حيران فقام مسندا ظهره الى جدار من جدر المدينة ويقول في نفسه والله ما أدري ما هذا أما عشية أمس فليس على الارض انسان يذكر عيسى بن مريم الا قتل وأما الغداة فأسمعهم وكل انسان يذكر أمر عيسى لا يخاف ثم قال في نفسه لعل هذه ليست بالمدينة التي أعرف أسمع كلام أهلها ولا أعرف أحدا منهم والله ما أعلم مدينة قرب مدينتنا فقام كالحيران لا يتوجه وجها ثم لقي فتى من أهل المدينة فقال له ما اسم هذه المدينة يا فتى قال اسمها انوس فقال في نفسه لعل بي مسا أو بي أمر أذهب عقلي والله يحق لي أن أسرع الخروج منها قبل أن أخزى فيها أو يصيبني شر فأهلك هذا الذي يحدث به عليخا أصحابه حين تبين لهم ما به ثم انه أفاق فقال والله لو عجلت الخروج من المدينة قبل أن يفطن بي لكان أكيس لي فدنا من الذين يبيعون الطعام فأخرج الورق التي كانت معه فأعطاها رجلا منهم فقال بعني بهذه الورق يا عبد الله طعاما فأخذها الرجل فنظر الى ضرب الورق ونقشها فعجب منها ثم طرحها الى رجل من أصحابه فنظر اليها ثم جعلوا يتطارحونها بينهم من رجل الى رجل ويتعجبون منها ثم جعلوا يتشاورون بينهم ويقول بعضهم لبعض ان هذا الرجل قد أصاب كنزا خبيثا في الارض منذ زمان ودهر طويل فلما رآهم يتشاورون من أجله فرق فرقا شديدا وجعل يرتعد ويظن أنهم قد فطنوا به وعرفوه وأنهم انما يريدون أن يذهبوا به الى ملكهم دقينوس يسلمونه اليه وجعل ناس آخرون يأتونه فيتعرفونه فقال لهم وهو شديد الفرق منهم أفضلوا علي فقد أخذتم ورقي فأمسكوا وأما طعامكم فلا حاجة لي به قالوا له من أنت يا فتى وما شأنك والله لقد وجدت كنزا من كنوز الأولين فأنت تريد أن تخفيه منا فانطلق معنا فأرناه وشاركنا فيه نخف عليك ما وجدت فانك ان لا تفعل فان بك السلطان فنسلمك اليه فيقتلك فلما سمع قولهم عجب في نفسه فقال قد وقعت في كل شئ كنت أحذر منه ثم قالوا يا فتى انك والله ما تستطيع أن تكتم ما وجدت ولا تظن في نفسك أنه يخفى حالك فجعل عليخا لا يدري ما يقول لهم وما يرجع اليهم وفرق حتى ما يحير اليهم جوابا فلما رأوه لا يتكلم أخذوا كساءه فطوقوه في عنقه ثم جعلوا يقودونه في سكك المدينة ملببا حتى سمع به من فيها فقيل أخذ رجل عنده كنز واجتمع عليه أهل المدينة صغيرهم وكبيرهم فجعلوا ينظرون اليه ويقولون والله ما هذا الفتى من أهل هذه المدينة وما رأيناه فيها قط وما نعرفه فجعل عليخا لا يدري ما يقول لهم مع ما يسمع منهم فلما اجتمع عليه أهل المدينة فرق فسكت فلم يتكلم ولو أنه قال انه من أهل المدينة لم يصدق وكان مستيقنا أن أباه وإخوته بالمدينة وأن حسبه من أهل المدينة من عظماء أهلها وأنهم سيأتونه اذا سمعوا وقد استيقن أنه من عشية أمس يعرف كثيرا من أهلها وأنه لا يعرف اليوم من أهلها أحدا فبينما هو قائم كالحيران ينتظر متى يأتيه بعض أهله أبوه أو بعض اخوته فيخلصه من أيديهم اذا اختطفوه فانطلقوا به الى رئيسي المدينة ومدبريها اللذين كان حيران أمرها وهما رجلان صالحان كان اسم أحدهما أريوس واسم الآخر أسطيوس فلما انطلق به اليهما ظن عليخا أنه ينطلق به الى دقينوس الجبار ملكهم الذي هرب وامنه فجعل يلتفت يمينا وشمالا وجعل الناس يسخرون منه كما يسخرون من المجنون والحيران فجعل عليخا يبكي ثم رفع رأسه الى السماء والى الله ثم قال اللهم اله السموات والارض أولج معي روحا منك اليوم تؤيدني به عند هذا الجبار وجعل يبكي ويقول في نفسه فرق بيني وبين اخوتي يا ليتهم يعلمون ما لقيت اني أذهب الى دقينوس الجبار فلو أنهم يعلمون فيأتون فنقوم جميعا بين يدي دقينوس فانا كنا وفقا نكون معا لا نكفر بالله ولا نشرك به شيأ ولا نعبد الطواغيت من دون الله فرق بيني

الا المواظبة على العلم والعمل به يؤكده قوله (ولن تجد من دونه ملتحدا) أي ملتجأ تعدل اليه ان هممت بذلك فرضا وأصل اللحد الميل كما مر في قوله يلحدون في أسمائه نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم في سورة الانعام عن طرد فقراء المؤمنين بقوله ولا تطرد الذين الآية وأمره في هذه السورة بحبس النفس معهم وبمراقبة أحوالهم بقوله (ولا تعد عيناك) قال جار الله انما لم يقل ولا تعدهم عيناك من عداه اذا جاوزه لانه ضمن عدا معنى نبا وفيه مبالغة من جهة تحصيل المعنيين جميعا كانه قيل ولا تقتحمهم عيناك مجاوزتين الى غيرهم ثم نهاه عن الالتفات الى الاغنياء الكفرة الذين التمس منه طرد الفقراء حتى يؤمنوا به فقال (ولا تطع من أغفلنا قلبه) قال أهل السنة معنى الاغفال ايجاد الغفلة وخلقها فيهم أو هو من أغفلها اذا تركها بغير سمة أي لم نسمه بالذكر ولم نجعله من الذين كتبنا في قلوبهم الايمان ويؤيد هذا المعنى أن الغفلة عن الذكر لو كانت بايجاد العبد والقصد الى ايجاد الغفلة عن الشئ لا يتصور الا مع الشعور بذلك الشئ لزم اجتماع الضدين وقالت المعتزلة معنى أغفلناه وجدناه غافلا بالخذلان والتخلية بينه وبين الاسباب المؤدية الى الغفلة يؤيده قوله واتبع هواه بالواو دون الفاء اذ لو كان اتباع الهوى من نتيجة خلق الغفلة في القلب لقيل فاتبع بالفاء ويمكن أن يجاب بأنه لا يلزم من كون

الشئ فى نفس الامر نتيجة لشئ أن يعتبر كونه نتيجة له والفاء من لوازم الثانى دون الاول على أن الملازمة بين الغفلة عن ذكر الله وبين متابعة الهوى غير كلية فقد يكون الانسان غافلا عن ذكر الله ومع ذلك لا يتبع هواه بل يبقى متوقفا متحيرا (وكان أمره فرطا) أى متجاوزا عن حد الاعتدال من قولهم فرس فرط اذا كان متقدما للخيل ويلزم منه أن يكون نابذا للحق وراء ظهره وأنت اذا تأملت وجدت حال الاغنياء المتحيرين بخلاف الفقراء المؤمنين لان هؤلاء الفقراء يدعون ربهم بالغداة والعشى ابتغاء وجه الله وطلبا لمرضاته فأقبلوا على الحق وشغلوا عن الخلق والاغنياء قد أعرضوا عن المولى وأقبلوا على الدنيا فوقعوا فى ظلمة الهوى وبقوا فى تيه الجهل والعمى وانما لم يجز طرد الفقراء لاجل ايمان الاغنياء لأن ايمان من ترك الايمان احترازا من مجالسة الفقراء كلا ايمان فوجب أن لا يلتفت اليه ثم بين أن الحق ما هو ومن أين هو قائلا (وقل الحق من ربكم) أى الدين الحق حصل ووجد من عند الله ويحتمل أن يراد بالحق الصبر مع الفقراء وقال فى الكشاف الحق خبر مبتدا محذوف والمعنى جاء الحق وزاحت العلل فلم يبق الا اختيار الايمان أو الكفر وفيه دليل على أن الايمان والكفر والطاعة والمعصية كلها مفوضة الى مشيئة العبد واختياره وحمله الاشاعرة على أمر التهديد وقالوا ان الفعل الاختيارى يمتنع

(١) فى عدد هذه الاسماء وضبطها اختلاف كثير بين ناقليها فلتحرر كتبه مصححه

وبينهم فلن يروني ولن أراهم أبدا وقد كنا توثقنا أن لا نفترق فى حياة ولا موت أبدا يا ليت شعري ما هو فاعل بى أقاتلي هو أم لا ذلك الذى يحدث به يمليخا نفسه فيما أخبر أصحابه حين رجع اليهم فلما انتهى الى الرجلين الصالحين أريوس وأسطيوس فلما رأى يمليخا أنه لم يذهب به الى دقيوس أفاق وسكن عنه البكاء فأخذ أريوس وأسطيوس الورق فنظرا اليها وعجبا منها ثم قال أحدهما لاخر الكنز الذى وجدت يا فتى هذا الورق يشهد عليك أنك قد وجدت كنزا فقال لهما يمليخا ما وجدت كنزا ولكن هذه الورق ورق آبائى ونقش هذه المدينة وضربها ولكن والله ما أدرى ما ذا أدرى ما أقول لكم فقال له أحدهما ممن أنت فقال له يمليخا ما أدرى فكنت أرى أنى من أهل هذه القرية قالوا فمن أبوك ومن يعرفك بها فأنبأهم باسم أبيه فلم يجدوا أحدا يعرفه ولا أباه فقال له أحدهما أنت رجل كذاب لا تنبئنا بالحق فلم يدر يمليخا ما يقول لهم غير أنه نكس بصره الى الارض فقال له بعض من حوله هذا رجل مجنون فقال بعضهم ليس بمجنون ولكنه يحمق نفسه عمدا لكى يتغفلت منكم فقال له أحدهما ونظر اليه نظرا شديدا أتظن أنك اذ تتجانن نرسلك ونصدق بأن هذا مال أبيك وضرب هذه الورق ونقشها منذ أكثر من ثلثمائة سنة وانما أنت غلام شاب تظن أنك تأفكنا ونحن شمط كما ترى وحولك سراة أهل المدينة وولاة أمرها انى لأظن سآمر بك فتعذب عذابا شديدا ثم أوثقك حتى تعترف بهذا الكنز الذى وجدت فلما قال ذلك قال يمليخا أنبؤنى عن شئ أسألكم عنه فان فعلتم صدقتكم عما عندى أرأيتم دقيوس الملك الذى كان فى هذه المدينة عشية أمس ما فعل فقال له الرجل ليس على وجه الارض رجل اسمه دقيوس ولم يكن الا ملك قد هلك منذ زمان ودهر طويل وهلكت بعده قرون كثيرة فقال له يمليخا فوالله انى اذا لحيران وما هو بصنيع أحد من الناس بما أقول والله لقد علمت لقد فررنا من الجبار دقيوس وانى قد رأيته عشية أمس حين دخل مدينة أفسوس ولكن لا أدرى أمدينة أفسوس هذه أم لا فانطلقا معى الى الكهف الذى فى جبل بنجلوس أريكم أصحابى فلما سمع أريوس ما يقول يمليخا قال ياقوم لعل هذه آية من آيات الله جعلها الله لكم على يدى هذا الفتى فانطلقوا بنا معه يرنا أصحابه كما قال فانطلق معه أريوس وأسطيوس وانطلق معهم أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم نحو أصحاب الكهف لينظروا اليهم ولما رأى الفتية أصحاب الكهف يمليخا قد احتبس عليهم بطعامهم وشرابهم عن القدر الذى كان يأتى به ظنوا أنه قد أخذ فذهب به الى ملكهم دقيوس الذى هربوا منه فبينما هم يظنون ذلك ويتخوفونه اذ سمعوا الاصوات وجلبة الخيل مصعدة نحوهم فظنوا أنهم رسل الجبار دقيوس بعث اليهم ليؤتى بهم فقاموا حين سمعوا ذلك الى الصلاة وسلم بعضهم على بعض وأوصى بعضهم بعضا وقالوا انطلقوا بنا فان أدركنا يمليخا فانه الآن بين يدى الجبار دقيوس ينتظر متى يأتيه فبينما هم يقولون ذلك وهم جلوس بفناء ظهرى الكهف فلم يروا الا أريوس وأصحابه وقوفا على باب الكهف وسبقهم يمليخا فدخل عليهم وهو يبكى فلما رأوه يبكى بكوا معه ثم سألوه عن شأنه فأخبرهم خبره وقص عليهم النبأ كله فعرفوا ذلك أنهم كانوا نياما بأمر الله ذلك الزمان كله وانما أوقظوا ليكونوا آية للناس وتصديقا للبعث وليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها ثم دخل على أثر يمليخا أريوس فرأى تابوتا من نحاس مختوما بخاتم من فضة فقام بباب الكهف ثم دعا رجالا من عظماء أهل المدينة ففتح التابوت عندهم فوجدوا فيه لوحا من رصاص مكتوبا فيهما كتاب فقرأهما فوجد فيهما (١) أن مكسلمينا ومحسلمينا ويمليخا ومرطونس وكسطونس ويبورس ويكرنوس ويطيونس وقالوش كانوا فتية هربوا من ملكهم دقيوس الجبار مخافة أن يفتنهم عن دينهم فدخلوا هذا الكهف فلما أخبر بمكانهم أمر بالكهف فسد عليهم بالحجارة وانا كتبنا شأنهم وقصة خبرهم ليعلمه من بعدهم ان عثر عليهم فلما قرؤه عجبوا وحمدوا الله

الله الذى أراهم آية للبعث فيهم ثم رفعوا أصواتهم بحمد الله وتسبيحه ثم دخلوا على الفتية الكهف فوجدوهم جلوسا بين ظهريه مشرقة وجوههم لم تبل ثيابهم نخر أريوس وأصحابه سجودا وحمدوا الله الذى أراهم آية من آياته ثم كلم بعضهم بعضا وأنبأهم الفتية عن الذى لقوا من ملكهم دقيوس ذلك الجبار الذى كانوا هربوا منه ثم ان أريوس وأصحابه بعثوا بريدا الى ملكهم الصالح تيذوسيس أن عجل لعلك تنظر الى آية من آيات الله جعلها الله على ملكك وجعلها آية للعالمين لتكون لهم نورا وضياء وتصديقا بالبعث فاعجل على فتية بعثهم الله وقد كان توفاهم منذ أكثر من ثلثمائة سنة فلما أتى الملك تيذوسيس الخبر قام من المسندة التى كان عليها ورجع اليه رأيه وعقله وذهب عنه همه ورجع الى الله عز وجل فقال أحمدك اللهم رب السموات والارض أعبدك وأحمدك وأسبح لك تطولت على ورحمتنى برحمتك فلم تطفئ النور الذى كنت جعلته لآبائى وللعبد الصالح قسطيطينوس الملك فلما نبأه أهل المدينة ركبوا اليه وساروا معه حتى أتوا مدينة أفسوس فتلقاهم أهل المدينة وساروا معه حتى صعدوا نحو الكهف حتى أتوه فلما رأى الفتية تيذوسيس فرحوا به وخروا سجودا على وجوههم وقام تيذوسيس قدامهم ثم اعتنقهم وبكى وهم جلوس بين يديه على الارض يسبحون الله ويحمدونه ويقول والله ما أشبه بكم الا الحواريون حين رأوا المسيح وقال فرج الله عنكم كأنكم الذين تدعون فتحشرون من القبور فقال الفتية لتيذوسيس انا نودعك السلام والسلام عليك ورحمة الله حفظك الله وحفظ لك ملكك بالسلام ونعيذك بالله من شر الجن والانس فأمر بعيش من خلر ونشيل ان أسوأ ما سلك فى بطن الانسان أن لا يعلم شيأ الا كرامة ان أكرم بها ولا هوان ان أهين به فبينما الملك قائم اذ رجعوا الى مضاجعهم فناموا وتوفى الله أنفسهم بأمره وقام الملك اليهم فجعل ثيابه عليهم وأمر أن يجعل لكل رجل منهم تابوت من ذهب فلما أمسوا ونام أتوه فى المنام فقالوا انا لم نخلق من ذهب ولا فضة ولكنا خلقنا من تراب والى التراب نصير فاتركنا كما كنا فى الكهف على التراب حتى يبعثنا الله منه فأمر الملك حينئذ بتابوت من ساج فجعلوهم فيه وحجبهم الله حين خرجوا من عندهم بالرعب فلم يقدر أحد على أن يدخل عليهم وأمر الملك فجعل كهفهم مسجدا يصلى فيه وجعل لهم عيدا عظيما وأمر أن يؤتى كل سنة فهذا حديث أصحاب الكهف حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن عبد العزيز بن أبى رواد عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال بعثهم الله يعنى الفتية أصحاب الكهف وقد سلط عليهم ملك مسلم يعنى على أهل مدينتهم وسلط الله على الفتية الجوع فقال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قال فردوا علم ذلك الى الله قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة واذا معهم ورق من ضرب الملك الذى كانوا فى زمانه فليأتكم برزق منه أى بطعام ولا يشعرن بكم أحدا فخرج أحدهم فرأى المعالم متنكرة حتى انتهى الى المدينة فاستقبله الناس لا يعرف منهم أحدا فخرج ولا يعرفونه حتى انتهى الى صاحب الطعام فسامه بطعامه فقال صاحب الطعام هات ورقك فأخرج اليه الورق فقال من أين لك هذا الورق قال هذه ورقنا وورق أهل بلادنا فقال هيهات هذه الورق من ضرب فلان بن فلان منذ ثلثمائة وتسع سنين أنت أصبت كنزا ولست بتاركك حتى أرفعك الى الملك فرفعه الى الملك واذا الملك مسلم وأصحابه مسلمون ففرح واستبشر وأظهر لهم أمره وأخبرهم خبر أصحابه فبعثوا الى اللوح فى الخزانة فأتوا به فوافق ما وصف من أمرهم فقال المشركون نحن أحق بهم هؤلاء أبناء آبائنا وقال المسلمون نحن أحق بهم هم مسلمون منا فانطلقوا معه الى الكهف فلما أتوا باب الكهف قال دعونى حتى أدخل على أصحابى حتى أبشرهم فانهم ان رأوكم معى أرعبتموهم فدخل فبشرهم وقبض الله أرواحهم قال وعمى الله عليهم مكانهم فلم يهتدوا فقال المشركون نبنى عليهم بنيانا فانهم أبناء آبائنا ونعبد الله فيها وقال

حصوله بدون القصد اليه ثم ذلك القصد لا بد أن يقع بالاختيار والقصد فنقل الكلام اليه ولا يتسلسل فلا بد أن ينتهى الى قصد واختيار يخلقه الله فيه فالانسان مضطر فى صورة مختار وفى صورة هذا التخيير دلالة على انه سبحانه لا ينتفع بايمان المؤمنين ولا يستضر بكفر الكافرين ثم بين وعيد الظالمين الذين وضعوا الكفر موضع الايمان وتحقير المؤمنين لاجل فقرهم مكان تعظيمهم لاجل ايمانهم فقال (انا أعتدنا) أى أعددنا وهيأنا (للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها) وهو الحجرة التى تكون حول الفسطاط فأثبت تعالى للنار شيأ شبيها بذلك يحيط بهم من جميع الجهات والمراد أنه لا مخلص لهم منها ولا فرج وقيل هو حائط من نار يطيف بهم وقيل هو دخان محيط بالكفار قبل دخولهم النار وهو المراد بقوله انطلقوا الى ظل ذى ثلاث شعب وقوله (يغاثوا بماء) وارد على سبيل التهكم كقولهم عتابك السيف والمهل كل ما أذيب من المعدنيات كالذهب والفضة والنحاس قاله أبو عبيدة والاخفش وقيل فى حديث مرفوع انه دردى الزيت وقيل الصديد والقيح أو ضرب من القطران وهذه الاستغاثة اما لطلب الشراب كقوله تسقى من عين آنية واما لدفع الحر ولاجل التبريد كقوله حكاية عنهم أفيضوا علينا من الماء ويروى أنهم اذا استغاثوا من حرجهنم صب عليهم القطران الذى يعم كل أبدانهم

كالقميص وقد يفسر بهذا قوله سرابيلهم من قطران عن النبي صلى الله عليه وسلم هو يعني المهل كعكر الزيت اذا قرب اليه سقطت فروة وجهه وهذا معنى قوله (يشوى الوجوه بئس الشراب) ذلك لأن المقصود من الشراب اراحة الأحشاء وهذا يحرقها ويشويها (وساءت) أي النار (مرتفقا) متكأ لاهلها ومنه المرفق لانه يتكأ عليه قال جار الله هذا المشاكلة قوله في أهل الجنة وحسنت مرتفقا والافلا ارتفاق لاهل النار الا أن يقال معنى ارتفق أنه نصب مرفقه ودعم به خده كعادة المغتمين وقال قائلون ان الشياطين رفقاء أهل النار من الانس والمعنى ساءت النار مجتمعا لأولئك الرفقاء ثم شرع في وعد المؤمنين فقال (ان الذين آمنوا) الآية فان جعلت (انا لانضيع) اعتراضا فظاهر وان جعلته خبرا وأولئك خبرا آخر أو كلاما مستأنفا للاخبار أو بيانا للمبهم فمعنى العموم في من أحسن يقوم مقام الرابط المحذوف والتقدير (من أحسن عملا) منهم وتفسير جنات عدن قد مر في سورتي التوبة والرعد ولاهل الجنة لباسان لباس التحلي ولباس الستر ولم يسم فاعل يحلون للتعظيم وهو الله جل وعلا أو الملائكة باذنه ومن في (من أساور) للابتداء وفي (من ذهب) للتبيين وتنكير أساور لابهام أمرها في الحسن وأساور أهل الجنة بعضها ذهب لهذه الآية وبعضها فضة لقوله وحلوا أساور

المسلمون نحن أحق بهم منا بنى عليهم مسجدا نصلي فيه ونعبد الله فيه * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب عندي قول من قال ان الله تعالى بعثهم من رقدتهم ليتساءلوا بينهم كما بيناقبل لأن الله عز ذكره كذلك أخبر عباده في كتابه وان الله أعثر عليهم القوم الذين أعثرهم عليهم ليتحقق عندهم بعث الله هؤلاء الفتية من رقدتهم بعد طول مدتها بهيئتهم يوم رقدوا لم يشيبوا على مر الايام والليالي عليهم ولم يهرموا على كر الدهور والازمان فيهم قدرته على بعث من أماته في الدنيا من قبره الى موقف القيامة يوم القيامة لان الله عز ذكره بذلك أخبرنا فقال وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لاريب فيها * واختلفت القراء في قراءة قوله فابعثوا أحدكم بورقكم هذه فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة وبعض العراقيين بورقكم هذه بفتح الواو وكسر الراء والقاف وقرأ عامة قراء الكوفة والبصرة بورقكم بسكون الراء وكسر القاف وقرأه بعض المكيين بكسر الراء وادغام القاف في الكاف وكل هذه القراآت متفقات المعاني وان اختلفت الالفاظ منها وهن لغات معروفات من كلام العرب غير أن الاصل في ذلك فتح الواو وكسر الراء والقاف لانه الورق وما عدا ذلك فانه داخل عليه طلب التخفيف وفيه أيضا لغة أخرى وهو الورق كما يقال للكبد كبد فاذا كان ذلك هو الاصل فالقراءة به الى أعجب من غير أن تكون الأخريان مدفوعة صحتهما وقد ذكرنا الرواية بأن الذي بعث معه بالورق الى المدينة كان اسمه يمليخا وقد حدثني عبيد الله بن محمد الزهري قال ثنا سفيان عن مقاتل فابعثوا أحدكم بورقكم هذه اسمه يمليخ وأما قوله فلينظر أيها أزكى طعاما فان أهل التأويل اختلفوا في تأويله فقال بعضهم معناه فلينظر أي أهل المدينة أكثر طعاما ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي حصين عن عكرمة أيها أزكى طعاما قال أكثر وحدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن أبي حصين عن عكرمة مثله الا أنه قال أيه أكثر * وقال آخرون بل معناه أيها أحل طعاما ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي حصين عن سعيد بن جبير أيها أزكى طعاما قال أحل حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن أبي حصين عن سعيد بن جبير مثله * وقال آخرون بل معناه أيها خير طعاما ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله أزكى طعاما قال خير طعاما * وأولى الاقوال عندي في ذلك بالصواب قول من قال معنى ذلك أحل وأطهر وذلك أنه لا معنى في اختيار الاكثر طعاما للشراء منه الا بمعنى اذا كان أكثرهم طعاما كان خليقا أن يكون الافضل منه عنده أو جد واذا شرط على المأمور الشراء من صاحب الأفضل فقد أمر بشراء الجيد كان ما عند المشتري ذلك منه قليلا الجيد أو كثيرا وانما وجه من وجه تأويل أزكى الى الاكثر لانه وجد العرب تقول قد زكا مال فلان اذا كثر وكما قال الشاعر

قبائلنا سبع وأنتم ثلاثة * والسبع أزكى من ثلاث وأطيب

بمعنى أكثر وذلك وان كان كذلك فان الحلال الجيد وان قل أكثر من الحرام الخبيث وان كثر وقيل فلينظر أيها فأضيف الى كناية المدينة والمراد بها أهلها لان تأويل الكلام فلينظر أي أهلها أزكى طعاما لمعرفة السامع بالمراد من الكلام وقد يحتمل أن يكونوا عنوا بقولهم أيها أزكى طعاما أيها أحل من أجل أنهم كانوا فارقوا قومهم وهم أهل أوثان فلم يستجيزوا أكل ذبيحتهم وقوله فليأتكم برزق منه يقول فليأتكم بقوت منه تقتاتونه وطعام تأكلونه كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن عبد العزيز بن أبي رواد عن عبد الله بن عبيد بن عمير فليأتكم برزق منه قال بطعام

وقوله

وقوله وليتلطف يقول وليترفق فى شرائه ما يشترى وفى طريقه ودخوله المدينة ولا يشعرن بكم أحدا يقول ولا يعلمن بكم أحدا من الناس وقوله انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم يعنون بذلك دقيانوس وأصحابه قالوا ان دقيانوس وأصحابه ان يظهروا عليكم فيعلموا مكانكم يرجموكم شتما بالقول كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فى قوله انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم قال يشتموكم بالقول يؤذوكم وقوله أو يعيدوكم فى ملتهم يقول أو يردوكم فى دينهم فتصيروا كفارا بعبادة الأوثان ولن تفلحوا اذا أبدا يقول ولن تدركوا الفلاح وهو البقاء الدائم والخلود فى الجنان اذا أى ان أنتم عدتم فى ملتهم أبدا أيام حياتكم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها اذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا﴾ يقول تعالى ذكره وكما بعثناهم بعد طول رقدتهم كهيئتهم ساعة رقدوا ليتساءلوا بينهم فيزدادوا بعظيم سلطان الله بصيرة وبحسن دفاع الله عن أوليائه معرفة كذلك أعثرنا عليهم يقول كذلك أطلعنا عليهم الفريق الآخر الذين كانوا فى شك من قدرة الله على احياء الموتى وفى مرية من انشاء أجسام خلقه كهيئتهم يوم قبضهم بعد البلى فيعلموا أن وعد الله حق ويوقنوا أن الساعة آتية لا ريب فيها ۞ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وكذلك أعثرنا عليهم يقول أطلعنا عليهم ليعلم من كذب بهذا الحديث أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها وقوله اذ يتنازعون بينهم أمرهم يعنى الذين أعثر واعلى الفتية يقول تعالى وكذلك أعثرنا هؤلاء المختلفين فى قيام الساعة واحياء الله الموتى بعد مماتهم من قوم تبذوسيس حين يتنازعون بينهم أمرهم فيما الله فاعل بمن أفناه من عباده فأبلاه فى قبره بعد مماته أمنشئهم هو أم غير منشئهم وقوله فقالوا ابنوا عليهم بنيانا يقول فقال الذين أعثرناهم على أصحاب الكهف ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم يقول رب الفتية أعلم بالفتية وشأنهم وقوله قال الذين غلبوا على أمرهم يقول جل ثناؤه قال القوم الذين غلبوا على أمر أصحاب الكهف لنتخذن عليهم مسجدا وقد اختلف فى قائلى هذه المقالة أهم الرهط المسلمون أم هم الكفار وقد ذكرنا بعض ذلك فيما مضى وسنذكر ان شاء الله ما لم يمض منه حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا قال يعنى عدوهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن عبد العزيز بن أبى رواد عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال عمى الله على الذين أعثرهم على أصحاب الكهف مكانهم فلم يهتدوا فقال المشركون نبنى عليهم بنيانا فانهم أبناء آبائنا ونعبد الله فيها وقال المسلمون بل نحن أحق بهم هم منا نبنى عليهم مسجدا نصلى فيه ونعبد الله فيه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربى أعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا﴾ يقول تعالى ذكره سيقول بعض الخائضين فى أمر الفتية من أصحاب الكهف هم ثلاثة رابعهم كلبهم ويقول بعضهم هم خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب يقول قذفا بالظن غير يقين علم كما قال الشاعر ۞ وأجعل منى الحق غيبا مرجما ۞ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب أى قذفا بالغيب حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن

من فضة وبعضها الؤلؤ لقوله فى الحج ولؤلؤا وجمع فى لباس الستر بين السندس وهو مارق من الديباج وبين الاستبرق وهو الغليظ منه جمعا بين النوعين والاستبرق عند بعضهم معرب استبره قيل انما لم يسم فاعل يحلون اشارة الى أن الحلى تفضل الله بها عليهم كرما وجودا ونسب اللبس اليهم تنبيها على أنهم استوجبوه بعملهم ثم وصفهم بهيئة المتنعمين والملوك من الاتكاء على أسرتهم والأرائك جمع أريكة وهو السرير المزين بالحجلة أما السرير وحده فلا يسمى أريكة ثم ان الكفار كانوا يفتخرون بخدمهم وحشمهم وأموالهم وأصناف تمتعاتهم على الفقراء المؤمنين فضرب الله مثلا للطائفتين تنبيها على أن متاع الدنيا لا يوجب الافتخار لاحتمال أن يصير الغنى فقيرا والفقير غنيا انما الفخر بالاعمال الصالحات والمراد مثل حال الكافرين والمؤمنين بحال رجلين وكانا أخوين من بنى اسرائيل أحدهما كافر اسمه قطروس والآخر مؤمن اسمه يهوذا وقيل هما المذكوران فى سورة والصافات فى قوله قال قائل منهم انى كان لى قرين ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فتشاطراهما فاشترى الكافر أرضا بألف فقال المؤمن اللهم ان أخى اشترى أرضا بألف دينار وأنا أشترى منك أرضا فى الجنة بألف فتصدق به ثم بنى أخوه دارا بألف فقال اللهم ان أخى بنى دارا بألف وانى أشترى منك دارا فى الجنة

بألف فتصدق به ثم تزوج أخوه امرأة بألف فقال اللهم انى جعلت ألفا صدا قا للجور ثم اشترى أخوه خدما ومتاعا بألف فقال اللهم انى اشتريت منك الولدان المخلدين بألف فتصدق به ثم اصابته حاجة فجلس لاخيه على طريقه فمر به فى حشمه فتعرض له فطرده ووبخه على التصدق بماله وقيل هما مثل لاخوين من بنى مخزوم مؤمن وهو عبدالله بن الاسد زوج أم سلمة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكافروهو الاسود بن عبد الأسد أما قوله (وحففناهما بنخل) فقال صاحب الكشاف انه يتعدى الى المفعول الثانى بالباء ومعناه جعلنا النخيل محيطا بالجنتين وهذا مما يؤثره الدهاقين فى كرومهم أن يجعلوها مؤزرة بالاشجار ولا سيما المثمرة منها وخاصة النخيل اذا أمكن (وجعلنا بينهما زرعا) فهما جامعتان للاقوات والفواكه وفيه أنهما مع سعة أطرافهما وتباعد أكنافهما لم يتوسطهما بقعة معطلة وفيه أنهما تأتى كل وقت بمنفعة أخرى متواصلة منشابكة وكل منهما منعوتة بوفاء الثمار لتمام الاكل وآتت محمول على لفظ كلتا لان لفظه مفرد ولو قيل آتتا على المعنى لجاز والظلم أصله النقصان وهو المراد ههنا (وفجرنا) من قرأ بالتخفيف فظاهر لانه نهر واحد ومن قرأ بالتشديد فللمبالغة لان النهر يمتد فى وسطهما فهو كالانهار (وكان له ثمر) قال الكسائى الثمرة اسم الواحد والثمر جمع وجمعه ثمار

قتادة فى قوله رجما بالغيب قال قذفا بالظن وقوله ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم يقول ويقول بعضهم هم سبعة وثامنهم كلبهم قل ربى أعلم بعدتهم يقول عز ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لقائلى هذه الاقوال فى عدد الفتية من أصحاب الكهف رجما منهم بالغيب ربى أعلم بعدتهم ما يعلمهم يقول ما يعلم عددهم الا قليل من خلقه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ما يعلمهم الا قليل يقول قليل من الناس * وقال آخرون بل عنى بالقليل أهل الكتاب ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس ما يعلمهم الا قليل قال يعنى أهل الكتاب وكان ابن عباس يقول أنا ممن استثناه الله ويقول عدتهم سبعة حدثنا ابن بشار قال ثنا عبدالرحمن قال ثنا اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس ما يعلمهم الا قليل قال أنا من القليل كانوا سبعة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ذكر لنا أن ابن عباس كان يقول أنا من أولئك القليل الذين استثنى الله كانوا سبعة وثامنهم كلبهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس عدتهم سبعة وثامنهم كلبهم وأنا ممن استثنى الله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله ما يعلمهم الا قليل قال كان ابن عباس يقول أنا من القليل هم سبعة وثامنهم كلبهم وقوله فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا يقول عز ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فلا تمار يا محمد يقول لا تجادل أهل الكتاب فيهم يعنى فى عدة أهل الكهف وحذفت العدة اكتفاء بذكرهم فيها لمعرفة السامعين بالمراد * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فلا تمار فيهم قال لا تمار فيهم وقوله إلا مراء ظاهرا اختلف أهل التأويل فى معنى المراء الظاهر الذى استثناه الله ورخص فيه لنبيه صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم هو ما قص الله فى كتابه أبيح له أن يتلوه عليهم ولا يماريهم بغير ذلك ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا يقول حسبك ما قصصت عليك فلا تمار فيهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا يقول الا بما قد أظهرنا لك من أمرهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا أى حسبك ما قصصنا عليك من شأنهم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فلا تمار فيهم قال حسبك ما قصصنا عليك من شأنهم حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا يقول حسبك ما قصصنا عليك * وقال آخرون المراء الظاهر هو أن يقول ليس كما تقولون ونحو هذا من القول ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله إلا مراء ظاهرا قال أن يقول لهم ليس كما تقولون ليس تعلمون عدتهم ان قالوا كذا وكذا فقل ليس كذلك فانهم لا يعلمون عدتهم وقرأ سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم حتى بلغ رجما بالغيب وقوله ولا تستفت فيهم منهم أحدا يقول تعالى ذكره ولا تستفت فى عدة الفتية من أصحاب الكهف منهم يعنى من أهل الكتاب أحدا لانهم لا يعلمون عدتهم وانما يقولون فيهم رجما بالغيب لا يقينا من القول * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا يحيى بن عيسى عن سفيان عن قابوس عن أبيه

عن ابن عباس فى قوله ولا تستفت فيهم منهم أحدا قال هم أهل الكتاب حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولا تستفت فيهم منهم أحدا من يهود حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ولا تستفت فيهم منهم أحدا من يهود قال ولا تسأل يهود عن أمر أصحاب الكهف الا ما قد أخبرتك من أمرهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولا تستفت فيهم منهم أحدا من أهل الكتاب كنا نحدث أنهم كانوا بنى الركنا والركنا ملوك الروم رزقهم الله الاسلام فتفرد وا بدينهم واعتزلوا قومهم حتى انتهوا الى الكهف فضرب الله على أصمختهم فلبثوا دهرا طويلا حتى هلكت أمتهم وجاءت أمة مسلمة بعدهم وكان ملكهم مسلما ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربى لأقرب من هذا رشدا ﴾ وهذا تأديب من الله عز ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم عهد اليه أن لا يجزم على ما يحدث من الامور أنه كائن لا محالة إلا أن يصله بمشيئة الله لأنه لا يكون شئ الا بمشيئة الله وانما قيل له ذلك فيما بلغنا من أجل أنه وعد سائليه عن المسائل الثلاث اللواتى قد ذكرناها فيما مضى اللواتى احداهن المسئلة عن أمر الفتية من أصحاب الكهف أن يجيبهم عنهن غدا يومهم ولم يستثن فاحتبس الوحى عنه فيما قيل من أجل ذلك خمس عشرة حتى حزنه ابطاؤه ثم أنزل الله عليه الجواب عنهن وعرف نبيه سبب احتباس الوحى عنه وعلمه ما الذى ينبغى أن يستعمل فى عداته وخبره عما يحدث من الامور التى لم يأته من الله بها تنزيل فقال ولا تقولن يا محمد لشئ انى فاعل ذلك غدا كما قلت لهؤلاء الذين سألوك عن أمر أصحاب الكهف والمسائل التى سألوك عنها سأخبركم عنها غدا الا أن يشاء الله ومعنى الكلام الا أن تقول معه ان شاء الله فترك ذكر تقول اكتفاء بما ذكر منه اذ كان فى الكلام دلالة عليه وكان بعض أهل العربية يقول جائز أن يكون معنى قوله الا أن يشاء الله استثناء من القول لا من الفعل كأن معناه عنده لا تقولن قولا الا أن يشاء الله ذلك القول وهذا وجه بعيد من المفهوم بالظاهر من التنزيل مع خلافه تأويل أهل التأويل وقوله واذكر ربك اذا نسيت اختلف أهل التأويل فى معناه فقال بعضهم واستثن فى يمينك اذا ذكرت أنك نسيت ذلك فى حال اليمين ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن هرون الحربى قال ثنا نعيم بن حماد قال ثنا هشيم عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس فى الرجل يحلف قال له أن يستثنى ولو الى سنة وكان يقول واذكر ربك اذا نسيت فى ذلك قيل للاعمش سمعته من مجاهد فقال ثنى به ليث بن أبى سليم يرى ذهب كسائى هذا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى جعفر عن الربيع عن أبى العالية فى قوله ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت الاستثناء ثم ذكرت فاستثن حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر عن أبيه فى قوله واذكر ربك اذا نسيت قال بلغنى أن الحسن قال اذا ذكر أنه لم يقل ان شاء الله فليقل ان شاء الله * وقال آخرون معناه واذكر ربك اذا عصيت ذكر من قال ذلك حدثنى نصر بن عبد الرحمن قال ثنا حكام ابن سلم عن أبى سنان عن ثابت عن عكرمة فى قول الله واذكر ربك اذا نسيت قال اذكر ربك اذا عصيت حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن أبى سنان عن ثابت عن عكرمة مثله * وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال معناه واذكر ربك اذا تركت ذكره لان أحد معانى النسيان فى كلام العرب الترك وقد بينا ذلك فيما مضى قبل فان قال قائل أفجائز للرجل أن يستثنى فى يمينه

ثم ثمر ككتاب وكتب بالحركة أو بالسكون وذكر أهل اللغة أن الثمر بالضم أنواع الاموال من الذهب والفضة وغيرهما والثمر بالفتح حمل الشجر وقال قطرب كان أبو عمرو ابن العلاء يقول الثمر المال والولد أى كان يملك مع الجنتين أشياء من النقود وغيرها وكان متمكنا من عمارة الارض ومن سائر التمتعات كيف شاء والمحاورة مراجعة الكلام من حار اذا رجع والنفر الانصار والحشم الذين يقومون بالذب عنه وقيل الاولاد الذكور لأنهم ينفرون معه دون الاناث ثم ان الكافر كأنه أخذ بيد المسلم يطوف به فى الجنتين ويريه ما فيهما ويفاخره بما ملك من المال دونه وذلك قوله سبحانه (ودخل جنته) قال جار الله معنى افراد الجنة بعد التثنية أنه لا نصيب له فى الجنة التى وعد المؤمنون فما ملكه فى الدنيا هو جنته لا غير ولم يقصد الجنتين ولا واحدة منهما قلت لا يبعد أن يكون قد دخل مع أخيه جنة واحدة منهما أو جعل مجموع الجنتين فى حكم جنة واحدة منهما يؤيده توحيد الضمير على أكثر القراآت فى قوله (لأجدن خيرا منها) وانما وصفه بقوله وهو ظالم لنفسه لانه لما اغتر بتلك النعم ولم يجعلها وسيلة الى الايمان بالله والاعتراف بالبعث وسائر مقدورات الله كان واضعا للنعم فى غير موضعها على أن نعمة الجنة بخصوصها مما يجب أن يستدل بها على أحوال النشور كقوله عز من قائل وترى الارض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء

اغترت وربت ان الذى أحياها لمحيى الموتى عكس الكافر القضيتين زعم دوام جنته التى هى بصدد الزوال قائلا (ما أظن ان تبيد) أى تهلك (هذه) الجنة (أبدا) وذلك لطول أمله واستيلاء الحرص عليه واغتراره بالمهلة حتى أنكر المحسوس وادعى غلبة الظن بامتناع النشور مع قيام الدلائل العقلية والحسية على امكانه ووجود الدلائل الشرعية على وجوبه قائلا (وما أظن الساعة قائمة) ثم أقسم على أنه ان رد الى ربه فرضا وتقديرا وكما يزعم صاحبه أن له رباوأنه سيرد اليه وجد خيرا من جنته فى الدنيا كأنه قاس الغائب على الشاهد وادعى أن النعم الدنيوية لن تكون استدراجية أصلا وانما تكون استحقاقا وكرامة و(منقلبا) نصب على التمييز أى مرجع تلك وعاقبتها لكونها باقية بزعمكم خيرمن هذه لكونها فانية حسا وفى اعتقادكم قال بعض العلماء الرد يتضمن كراهة المردود اليه فلهذا قال ولئن رددت أى عن جنتى هذه التى أظن أن لا تبيد أبدا الى ربى ولما لم يسبق مثل هذا المعنى فى حم قال هنالك ولئن رجعت الى ربى قوله (أكفرت) زعم الجمهور أن أخاه انما حكم بكفره لانه أنكر البعث وأقول يحتمل أن يكون كافرا بالله أيضا بل مشركا لقوله بعد ذلك ياليتنى لم أشرك بربى أحدا ولقول أخيه معرضا به لكنا هو الله ربى وليس فى قوله ولئن رددت الى ربى دلالة على أنه كان عارفا بربه لاحتمال

اذ كان معنى الكلام ماذكرت بعد مدة من حال حلفه قيل بل الصواب أن يستثنى ولو بعد حنث فى يمينه فيقول ان شاء الله ليخرج بقيله ذلك مما ألزمه الله فى ذلك بهذه الآية فيسقط عنه الحرج بتركه ما أمره بقيله من ذلك فأما الكفارة فلا تسقط عنه بحال الا أن يكون استثناؤه موصولا بيمينه فان قال فما وجه قول من قال له ثنياه ولو بعد سنة ومن قال له ذلك ولو بعد شهر وقول من قال مادام فى مجلسه قيل ان معناهم فى ذلك نحو معنانا فى أن ذلك له ولو بعد عشر سنين وأنه باستثنائه وقيله ان شاء الله بعد حين من حال حلفه يسقط عنه الحرج الذى لولم يقله كان له لازما فأما الكفارة فله لازمة بالحنث بكل حال الا أن يكون استثناؤه كان موصولا بالحلف وذلك أنا لا نعلم قائلا قال ممن قال له الثنيا بعد حين يزعم أن ذلك يضع عنه الكفارة اذا حنث ففى ذلك أوضح الدليل على صحة ماقلنا فى ذلك وأن معنى القول فيه كان نحو معنانا فيه وقوله وقل عسى أن يهدين ربى لأقرب من هذا رشدا يقول عز ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم وقل لعل الله أن يهدينى فيسددنى لأسد مما وعدتكم وأخبرتكم أنه سيكون ان هو شاء وقد قيل ان ذلك مما أمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يقوله اذا نسى الاستثناء فى كلامه الذى هو عنده فى أمر مستقبل مع قوله ان شاء الله اذا ذكر ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر عن أبيه عن محمد رجل من أهل الكوفة كان يفسر القرآن وكان يجلس اليه يحيى بن عباد قال ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربى لأقرب من هذا رشدا قال فقال واذا نسى الانسان أن يقول ان شاء الله قال فتوبته من ذلك أو كفارة ذلك أن يقول عسى أن يهدين ربى لأقرب من هذا رشدا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولبثوا فى كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض أبصر به وأسمع مالهم من دونه من ولى ولا يشرك فى حكمه أحدا ﴾ اختلف أهل التأويل فى معنى قوله ولبثوا فى كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا فقال بعضهم ذلك خبر من الله تعالى ذكره عن أهل الكتاب أنهم يقولون ذلك كذلك واستشهدوا على صحة قولهم ذلك بقوله قل الله أعلم بما لبثوا وقالوا لو كان ذلك خبرا من الله عن قدر لبثهم فى الكهف لم يكن لقوله قل الله أعلم بما لبثوا وجه مفهوم وقد أعلم الله خلقه مبلغ لبثهم فيه وقدره ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولبثوا فى كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا هذا قول أهل الكتاب فرده الله عليهم فقال قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله ولبثوا فى كهفهم قال فى حرف ابن مسعود وقالوا ولبثوا يعنى أنه قال الناس ألا ترى أنه قال قل الله أعلم بما لبثوا حدثنا على بن سهل قال ثنا ضمرة بن ربيعة عن ابن شوذب عن مطر الوراق فى قول الله ولبثوا فى كهفهم ثلثمائة سنين قال انما هو شئ قالته اليهود فرده الله عليهم وقال قل الله أعلم بما لبثوا * وقال آخرون بل ذلك خبر من الله عن مبلغ مالبثوا فى كهفهم ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولبثوا فى كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا قال عدد مالبثوا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه وزاد فيه قل الله أعلم بما لبثوا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن عبد العزيز بن أبى رواد عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال لبثوا فى كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا قال وتسع سنين حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق بنحوه حدثنا موسى

ابن عبد الرحمن المسروقى قال ثنا أبو أسامة قال ثنى الأجلح عن الضحاك بن مزاحم قال نزلت هذه الآية ولبثوا فى كهفهم ثلثمائة فقالوا أياما أو أشهرا أو سنين فأنزل الله سنين وازدادوا تسعا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولبثوا فى كهفهم قال بين جبلين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب أن يقال كما قال الله عز ذكره ولبث أصحاب الكهف فى كهفهم رقودا الى أن بعثهم الله ليتساءلوا بينهم والى أن أعثر عليهم من أعثر ثلثمائة سنين وتسع سنين وذلك أن الله بذلك أخبر فى كتابه وأما الذى ذكر عن ابن مسعود أنه قرأ وقالوا ولبثوا فى كهفهم وقول من قال ذلك من قول أهل الكتاب وقد رد الله ذلك عليهم فان معناه فى ذلك ان شاء الله كان أن أهل الكتاب قالوا فيما ذكر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للفتية من لدن دخلوا الكهف الى يومنا ثلثمائة سنين وتسع سنين فرد الله ذلك عليهم وأخبر نبيه أن ذلك قدر لبثهم فى الكهف من لدن أووا اليه الى أن بعثهم ليتساءلوا بينهم ثم قال جل ثناؤه لنبيه صلى الله عليه وسلم قل يا محمد الله أعلم بما لبثوا بعد أن قبض أرواحهم من بعد أن بعثهم من رقدتهم الى يومهم هذا لا يعلم بذلك غير الله وغير من أعلمه الله ذلك فان قال قائل ومما يدل على أن ذلك كذلك قيل الدال على ذلك أنه جل ثناؤه ابتدأ الخبر عن قدر لبثهم فى كهفهم ابتداء فقال ولبثوا فى كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا ولم يضع دليلا على أن ذلك خبر منه عن قول قوم قالوه وغير جائز أن يضاف خبره عن شئ الى أنه خبر عن غيره بغير برهان لأن ذلك لو جاز جاز فى كل أخباره واذا جاز ذلك فى أخباره جاز فى أخبار غيره أن يضاف اليه أنها أخباره وذلك قلب أعيان الحقائق وما لا يتخيل فساده فان ظن ظان أن قوله قل الله أعلم بما لبثوا دليل على أن قوله ولبثوا فى كهفهم خبر منه عن قوم قالوه فان ذلك كان يجب أن يكون كذلك لو كان لا يحتمل من التأويل غيره فأما وهو محتمل ما قلنا من أن يكون معناه قل الله أعلم بما لبثوا الى يوم أنزلنا هذه السورة وما أشبه ذلك من المعانى فغير واجب أن يكون ذلك دليلا على أن قوله ولبثوا فى كهفهم خبر من الله عن قوم قالوه واذ لم يكن دليلا على ذلك ولم يأت خبر بأن قوله ولبثوا فى كهفهم خبر من الله عن قوم قالوه ولا قامت بصحة ذلك حجة يجب التسليم لها صح ما قلنا وفسد ما خالفه واختلفت القراء فى قراءة قوله ثلثمائة سنين فقرأت ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين ثلثمائة سنين بتنوين ثلثمائة بمعنى ولبثوا فى كهفهم سنين ثلثمائة وقرأته عامة قراء أهل الكوفة ثلثمائة سنين باضافة ثلثمائة الى السنين غير منون * وأولى القراءتين فى ذلك عندى بالصواب قراءة من قرأه ثلثمائة بالتنوين سنين وذلك أن العرب انما تضيف المائة الى ما يفسرها اذا جاء تفسيرها بلفظ الواحد وذلك كقولهم ثلثمائة درهم وعندى مائة دينار لان المائة والألف عدد كثير والعرب لا تفسر ذلك الا بما كان بمعناه فى كثرة العدد والواحد يؤدى عن الجنس وليس ذلك للقليل من العدد وان كانت العرب ربما وضعت الجمع القليل موضع الكثير وليس ذلك بالكثير وأما اذا جاء تفسيرها بلفظ الجمع فانها تنون فتقول عندى ألف دراهم وعندى مائة دنانير على ما قد وصفت وقوله له غيب السموات والارض يقول تعالى ذكره لله علم غيب السموات والارض لا يعزب عنه علم شئ منه ولا يخفى عليه شئ يقول فسل الله علم مبلغ ما لبثت الفتية فى الكهف الى يومكم هذا فان ذلك لا يعلمه سوى الذى يعلم غيب السموات والارض وليس ذلك الا الله الواحد القهار وقوله أبصر به وأسمع يقول أبصر بالله وأسمع وذلك بمعنى المبالغة فى المدح كأنه قيل ما أبصره وأسمعه

أن يكون قد قال ذلك بزعم صاحبه كما أشرنا اليه وقوله (خلقك من تراب) أى خلق أصلك وهو اشارة الى مادته البعيدة وقوله (من نطفة) اشارة الى مادته القريبة ومعنى (سواك رجلا) عدلك وكملك حال كونك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال المكلفين ويجوز أن يكون رجلا تمييزا ولعل السر فى تخصيص الله سبحانه فى هذا المقام بهذا الوصف هو أن يكون دليلا على وجود الصانع أولا لان الاستدلال على هذا المطلوب بخلق الانسان أقرب الاستدلالات وفيه أيضا اشارة الى امكان البعث لان الذى قدر على الابداء أقدر على الاعادة وفيه أنه خلقه فقير الاغنيا فعلم منه أنه خلقه للعبودية والاقرار لا للفخر والانكار ثم استدرك لقوله أكفرت كأنه قال لا خيه أنت كافر بالله لكنى مؤمن موحد وأصل لكنا لكن أنا حذفت الهمزة بعد القاء حركتها على ما قبلها ثم استثقل اجتماع النونين فسكنت الاولى وأدغمت فى الثانية وضمير الغائب للشأن والجملة بعده خبر للشان والمجموع خبر أنا والراجع ياء الضمير وتقدير الكلام لكن أنا الشأن الله ربى قال أهل العربية اثبات ألف أنا فى الوصل ضعيف ولكن قراءة ابن عامر قوية بناء على أن الالف كالعوض عن حذف الهمزة (ولولا) للتحضيض وفعله قلت و (اذ دخلت) ظرف وقع فى البين توسعا وقوله (ماشاء الله) خبر مبتدا محذوف أو جملة شرطية محذوفة

وتأويل الكلام ما أبصر الله لكل موجود وأسمعه لكل مسموع لا يخفى عليه من ذلك شئ كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أبصر به وأسمع فلا أحد أبصر من الله ولا أسمع تبارك وتعالى حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أبصر به وأسمع مالهم من دونه من ولى قال يرى أعمالهم و يسمع ذلك منهم سميعا بصيرا وقوله مالهم من دونه من ولى يقول جل ثناؤه ما لخلقه دون ربهم الذى خلقهم ولى يلى أمرهم وتدبيرهم وصرفهم فيما هم فيه مصرفون ولا يشرك فى حكمه أحدا يقول ولا يجعل الله فى قضائه وحكمه فى خلقه أحدا سواه شريكا بل هو المنفرد بالحكم والقضاء فيهم وتدبيرهم وتصريفهم فيما شاء وأحب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واتل ما أوحى اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واتبع يا محمد ما أنزل اليك من كتاب ربك هذا ولا تترك تلاوته واتباع ما فيه من أمر الله ونهيه والعمل بحلاله وحرامه فتكون من الهالكين وذلك أن مصيرمن خالفه وترك اتباعه يوم القيامة الى جهنم لا مبدل لكلماته يقول لا مغير لما أوعد بكلماته التى أنزلها عليك أهل معاصيه والعاملين بخلاف هذا الكتاب الذى أوحيناه اليك وقوله ولن تجد من دونه ملتحدا يقول وان أنت يا محمد لم تتل ما أوحى اليك من كتاب ربك فتتبعه وتأتم به فنالك وعيد الله الذى أوعد فيه المخالفين حدوده لن تجد من دون الله موئلا تئل اليه ومعدلا تعدل عنه اليه لأن قدرة الله محيطة بك وبجميع خلقه لا يقدر أحد منهم على الهرب من أمر أراد به ۞ وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله ملتحدا قال أهل التأويل وان اختلفت ألفاظهم فى البيان عنه ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد عن سفيان عن منصور عن مجاهد فى قوله ملتحدا قال ملجأ حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ملتحدا قال ملجأ حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولن تجد من دونه ملتحدا قال موئلا حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله ملتحدا قال ملجأ ولا موئلا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولن تجد من دونه ملتحدا قال لا يجدون ملتحدا يلتحدونه ولا يجدون من دونه ملجأ ولا أحدا يمنعهم والملتحد انما هو المفتعل من اللحد يقال منه لحدت الى كذا اذا ملت اليه ومنه قيل للحد لحد لانه فى ناحية من القبر وليس بالشق الذى فى وسطه ومنه الالحاد فى الدين وهو المعاندة بالعدول عنه والترك له ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واصبر يا محمد نفسك مع أصحابك الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى بذكرهم اياه بالتسبيح والتحميد والتهليل والدعاء والاعمال الصالحة من الصلوات المفروضة وغيرها يريدون بفعلهم ذلك وجهه لا يريدون به عرضا من عرض الدنيا وقد ذكرنا اختلاف المختلفين فى قوله يدعون ربهم بالغداة والعشى فى سورة الانعام والصواب من القول فى ذلك عندنا فأغنى ذلك عن اعادته فى هذا الموضع والقراءة على قراءة ذلك بالغداة والعشى وقد ذكر عن عبد الله بن عامر وأبى عبد الرحمن السلمى أنهما كانا يقرآنه بالغدوة والعشى وذلك قراءة عند أهل العلم بالعربية مكروهة لأن غدوة معرفة ولا ألف ولا لام فيها وانما يعرف بالالف واللام

الجزاء تقدير الكلام الامر ما شاء الله أو أى شئ شاء الله كان استدل أهل السنة بالآية فى أنه لا يدخل فى الوجود شئ الا بأمر الله ومشيئته وأجاب الكعبى بأن المراد ما شاء الله مما تولى فعله لا ما هو من فعل العباد والجواب أن هذا التقدير مما يخرج الكلام عن الفائدة فانه كقول القائل السماء فوقنا وأجاب القفال بأنه أراد ما شاء الله من عمارة هذا البستان ويؤيده قوله (لا قوة الا بالله) أى ما قويت به على عمارته وتدبير أمره فهو بمعونة الله وزيف بأنه تخصيص للظاهر من غير دليل على أن عمارة ذلك البستان لعلها حصلت بالظلم والعدوان فالتحقيق أنه لا قوة لأحد على أمر من الامور الا باعانة الله واقداره عن عروة بن الزبير أنه كان يشلم حائطه أيام الرطب فيدخل من يشاء وكان اذا دخله ردد هذه الآية حتى يخرج ثم لما علمه الايمان وتفويض الأمر الى مشيئة الله أجابه عن افتخاره بالمال والنفر فقال (ان ترن أنا أقل) فأنا فصل وأقل مفعول ثان ومالا وولدا نصب على التمييز (فعسى ربى أن يؤتينى) فى الدنيا أو فى الآخرة جنة (خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا) هو مصدر كالغفران بمعنى الحساب أى مقدارا وقع فى حساب الله وهو الحكم بتخريبها وعن الزجاج عذاب حسبان وهو حساب ما كسبت يداك وقيل هو جمع حسبانة وهو السهم القصير يعنى الصواعق (فتصبح صعيدا زلقا)

مالم يكن معرفة فأما المعارف فلا تعرف بهما وبعد فان غدوة لا تضاف الى شئ وامتناعها من الاضافة دليل واضح على امتناع الالف واللام من الدخول عليها لان ما دخلته الالف واللام من الاسماء صلحت فيه الاضافة وانما تقول العرب أتيتك غداة الجمعة ولا تقول أتيتك غدوة الجمعة والقراءة عندنا فى ذلك ما عليه القراء فى الامصار لاستجازة غيرها لاجماعها على ذلك والعلة التى بينا من جهة العربية وقوله ولا تعد عيناك عنهم يقول جل ثناؤه لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تصرف عيناك عن هؤلاء الذين أمرتك يا محمد أن تصبر نفسك معهم الى غيرهم من الكفار ولا تجاوزهم اليه وأصله من قولهم عدوت ذلك فأنا أعدوه اذا جاوزته * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس فى قوله ولا تعد عيناك عنهم قال لا تجاوزهم الى غيرهم **حدثنى** على قال ثنى عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ولا تعد عيناك عنهم يقول لا تتعدهم الى غيرهم **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واصبر نفسك الآية قال قال القوم للنبى صلى الله عليه وسلم انا نستحيى أن نجالس فلانا وفلانا وفلانا فاجانبهم يا محمد وجالس أشراف العرب فنزل القرآن واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم ولا تحقرهم قال قد أمرونى بذلك قال ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا **حدثنا** الربيع بن سليمان قال ثنا ابن وهب قال أخبرنى أسامة بن زيد عن أبى حازم عن عبد الرحمن بن سهل بن حنيف أن هذه الآية لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى بعض أبياته واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه خرج يلتمس فوجد قوما يذكرون الله منهم ثائر الرأس وجاف الجلد وذو الثوب الواحد فلما رآهم جلس معهم فقال الحمد لله الذى جعل لى فى أمتى من أمرنى أن أصبر نفسى معه ورفعت العينان بالفعل وهو لا تعد وقوله تريد زينة الحياة الدنيا يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم لا تعد عيناك عن هؤلاء المؤمنين الذين يدعون ربهم الى أشراف المشركين تبتغى بمجالستهم الشرف والفخر وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه فيما ذكر قوم من عظماء أهل الشرك وقال بعضهم بل من عظماء قبائل العرب ممن لا بصيرة لهم بالاسلام فرأوه جالسا مع خباب وصهيب وبلال فسألوه أن يقيمهم عنه اذا حضروا قالوا فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عليه ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ثم كان يقوم اذا أراد القيام ويتركهم قعودا فأنزل الله عليه واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى الآية ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا يريد بزينة الحياة الدنيا مجالسة أولئك العظماء الأشراف وقد ذكرت الرواية بذلك فيما مضى قبل فى سورة الانعام **حدثنى** الحسين بن عمرو العنقزى قال ثنا أبى قال ثنا أسباط بن نصر عن السدى عن أبى سعيد الأزدى وكان قارئ الأزد عن أبى الكنود عن خباب فى قصة ذكرها عن النبى صلى الله عليه وسلم ذكر فيها هذا الكلام مدرجا فى الخبر ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا قال تجالس الأشراف **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرت أن عيينة بن حصن قال للنبى صلى الله عليه وسلم قبل أن يسلم لقد آذانى ريح سلمان الفارسى فاجعل لنا مجلسا منك لا يجامعونا فيه واجعل لهم مجلسا لا نجامعهم فيه فنزلت الآية **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أنه لما نزلت هذه الآية قال نبى الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى جعل فى أمتى من أمرت أن أصبر نفسى معه

أرضا بيضاء يزلق عليها زلقا لملاستها وزلقا وغورا كلاهما وصف بالمصدر كقولهم فلان زور وصوم ثم أخبر سبحانه عن تحقيق ما قدره المؤمن فقال (وأحيط بثمره) وهو عبارة عن اهلاكه وافنائه بالكلية من احاطة العدو بالشخص كقوله الا أن يحاط بكم (فأصبح يقلب كفيه) أى يندم (على ما أنفق فيها) لان النادم يفعل كذلك غالبا كما قد يعض أنامله (وهى خاوية على عروشها) أى سقطت عروشها على الارض وسقطت فوقها الكروم وقد مر فى البقرة فى قصة عزير وقوله (يا ليتنى لم أشرك) تذكر لموعظة أخيه وفيه دلالة ظاهرة على ما قلنا من أنه كان غير عارف بالله بل كان عابد صنم ومن ذهب الى أنه جعل كافرا لانكاره البعث فسره بأن الكافر لما اغتر بكثرة الاموال والاولاد فكأنه أثبت لله شريكا فى اعطاء العز والغنى أو أنه لما عجز الله عن البعث فقد جعله مساويا للخلقة فى هذا الباب وهو نوع من الاشراك وليس هذا الكلام منه ندما على الشرك ورغبة فى التوحيد المحض ولكنه رغب فى الايمان رغبة فى جنته وطمعا فى دوام ذلك عليه فلهذا لم يصر ندمه مقبولا ووصفه بعد ذلك بقوله (ولم يكن له فئة) طائفة (ينصرونه من دون الله) لانه وحده قادر على نصرة العباد (وما كان منتصرا) ممتنعا بقوته عن انتقام الله ولما علم من قصة الرجلين أن النصرة والعاقبة المحمودة كانت

للمؤمن على الكافر علم أن الأمر هكذا يكون فى حق كل مؤمن وكافر فقيل (هنالك) أى فى مثل ذلك الوقت والمقام الولاية الحق لله أو الولاية لله الحق والولاية بالفتح النصرة والتولى وبالكسر السلطان والملك أو المراد فى مثل تلك الحالة الشديدة يتوب الى الله ويلتجئ اليه كل مضطر يعنى أن قول الكافر يالينتى انما صدر عنه الجاء واضطرارا وجزعا ومما دهاه من شؤم كفره ولولا ذلك لم يقلها وقيل هنالك اشارة الى الآخرة كقوله لمن الملك اليوم لله وعقبا بضم القاف وسكونها بمعنى العاقبة لان من عمل لوجه الله لم يخسر قط ثم ضرب مثلا آخر لجبابرة قريش فقال (واضرب لهم) الآية وقد مر مثله فى أوائل يونس (انما مثل الحياة الدنيا كماء) ومعنى (فاختلط به) التف بسببه وقيل معناه روى النبات ورف لاختلاط الماء به وذلك لان الاختلاط يكون من الجانبين والهشيم ما تهشم وتحطم والذرو التطيير والاذهاب تقول ذرت الريح التراب وغيره تذروه وتذريه ذرو واذرو ذريا (وكان الله على كل شئ مقتدرا) من تكوينه أولا وتميته وسطا واذهابه آخرا ولا ريب أن أحوال الدنيا أيضا كذلك تظهر أولا فى غاية الحسن والنضارة ثم تتزايد الى أن تتكامل ثم تنتهى الى الزوال والفناء ومثل هذا ليس للعاقل أن يبتهج به وحين مهد القاعدة الكلية خصصها بصورة جزئية فقال (المال والبنون زينة الحياة

حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله تريد زينة الحياة الدنيا قال تريد أشراف الدنيا حدثنا صالح بن مسمار قال ثنا الوليد بن عبد الملك قال ثنا سليمن بن عطاء عن مسلمة بن عبد الله الجهنى عن عمه أبى مشجعة بن ربعى عن سلمان الفارسى قال جاءت المؤلفة قلوبهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة بن بدر والاقرع بن حابس وذووهم فقالوا يانبى الله انك لو جلست فى صدر المسجد ونفيت عنا هؤلاء وأرواح جباههم يعنون سلمان وأبا ذر وفقراء المسلمين وكانت عليهم جباب الصوف ولم يكن عليهم غيرها جلسنا اليك وحادثناك وأخذنا عنك فأنزل الله واتل ما أوحى اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا حتى بلغ انا أعتدنا للظالمين نارا يتهددهم بالنار فقام نبى الله صلى الله عليه وسلم يلتمسهم حتى أصابهم فى مؤخر المسجد يذكرون الله فقال الحمد لله الذى لم يمتنى حتى أمرنى أن أصبر نفسى مع رجال من أمتى معكم المحيا ومعكم الممات وقوله ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تطع يا محمد من شغلنا قلبه من الكفار الذين سألوك طرد الرهط الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى عنك عن ذكرنا بالكفر وغلبة الشقاء عليه واتبع هواه وترك اتباع أمر الله ونهيه وآثر هوى نفسه على طاعة ربه وهم فيما ذكر عيينة بن حصن والأقرع بن حابس وذووهم حدثنى الحسين بن عمرو بن محمد العنقزى قال ثنا أبى قال ثنا أسباط عن السدى عن أبى سعيد الازدى عن أبى الكنود عن خباب ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا قال عيينة والأقرع وأما قوله وكان أمره فرطا فان أهل التأويل اختلفوا فى تأويله فقال بعضهم معناه وكان أمره ضياعا ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله وكان أمره فرطا قال ابن عمرو فى حديثه قال ضائعا وقال الحرث فى حديثه ضياعا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال ضياعا * وقال آخرون بل معناه وكان أمره ندما ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا بدل بن المحبر قال ثنا عباد بن راشد عن داود فرطا قال ندامة * وقال آخرون بل معناه هلاكا ذكر من قال ذلك حدثنى الحسين بن عمرو قال ثنا أبى قال ثنا أسباط عن السدى عن أبى سعيد الأزدى عن أبى الكنود عن خباب وكان أمره فرطا قال هلاكا * وقال آخرون بل معناه خلافا للحق ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد وكان أمره فرطا قال مخالفا للحق ذلك الفرط * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال معناه ضياعا وهلاكا من قولهم أفرط فلان فى هذا الامر افراطا اذا أسرف فيه وتجاوز قدره وكذلك قوله وكان أمره فرطا معناه وكان أمر هذا الذى أغفلنا قلبه عن ذكرنا فى الرياء والكبر واحتقار أهل الايمان سرفا قد تجاوز حده فضيع بذلك الحق وهلك وقد حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو بكر بن عياش قال قيل له كيف قرأ عاصم فقال كان أمره فرطا قال أبو كريب قال أبو بكر كان عيينة بن حصن يفخر يقول أنا وأنا ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ ﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر انا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقل يا محمد لهؤلاء الذين أغفلنا قلوبهم عن ذكرنا واتبعوا أهواءهم الحق أيها الناس من عند ربكم واليه التوفيق والخذلان وبيده الهدى والضلال يهدى من يشاء منكم للرشاد فيؤمن ويضل من يشاء عن الهدى

فليكفر ليس الى من ذلك شئ واست بطارد لهوا كم من كان للحق متبعا وبالله وبما أنزل على مؤمنا فان شئتم فآمنوا وان شئتم فاكفروا فانكم ان كفرتم فقد أعذر لكم ربكم على كفركم به نارا أحاط بكم سرادقها وان آمنتم به وعملتم بطاعته فان لكم ما وصف الله لأهل طاعته وروى عن ابن عباس فى ذلك ما حدثنى على قال ثنا عبدالله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر يقول من شاء الله له الايمان آمن ومن شاء الله له الكفر كفر وهو قوله وما تشاؤن الا أن يشاء الله رب العالمين وليس هذا باطلاق من الله الكفر لمن شاء والايمان لمن أراد وانما هو تهديد ووعيد وقد بين أن ذلك كذلك قوله انا أعتدنا للظالمين نارا والآيات بعدها كما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبدالرزاق عن عمر بن حبيب عن داود عن مجاهد فى قوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر قال وعيد من الله فليس بعجزى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وقوله اعملوا ما شئتم قال هذا كله وعيد ليس مصانعة ولا مراشاة ولا تفويضا وقوله انا أعتدنا للظالمين نارا يقول تعالى ذكره انا أعددنا وهو من العدة للظالمين الذين كفروا بربهم كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله انا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها قال للكافرين وقوله أحاط بهم سرادقها يقول أحاط سرادق النار التى أعدها الله للكافرين بربهم وذلك فيما قيل حائط من نار يطيف بهم كسرادق الفسطاط وهى الحجرة التى تطيف بالفسطاط كما قال رؤبة

ياحكم بن المنذر بن الجارود * سرادق المجد عليك ممدود

وكما قال سلامة بن جندل

هو الموجل النعمان بيتا سماؤه * صدور الفيول بعد بيت مسردق

يعنى بيتا له سرادق ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس فى قوله انا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها قال حائط من نار حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عمن أخبره قال أحاط بهم سرادقها قال دخان يحيط بالكفار يوم القيامة وهو الذى قال الله ظل ذى ثلاث شعب وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك خبر يدل على أن معنى قوله أحاط بهم سرادقها أحاط بهم ذلك فى الدنيا وأن ذلك السرادق هو البحر ذكر من قال ذلك حدثنى العباس بن محمد والحسين بن نصر قالا ثنا أبو عاصم عن عبدالله بن أمية قال ثنى محمد بن حيى بن يعلى عن صفوان بن يعلى عن يعلى بن أمية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البحر هو جهنم قال فقيل له كيف ذلك فتلا هذه الآية أو قرأ هذه الآية نارا أحاط بهم سرادقها ثم قال والله لا أدخلها أبدا ولا دمت حيا ولا تصيبنى منها قطرة حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا يعمر بن بشر قال ثنا ابن المبارك قال أخبرنا رشدين بن سعد قال ثنى عمرو بن الحرث عن أبى السمح عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال سرادق النار أربعة جدر كثف كل واحد مثل مسيرة أربعين سنة حدثنا بشر قال ثنا ابن وهب قال أخبرنى عمرو بن الحرث عن دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ان لسرادق النار أربعة جدر كثف كل واحد مثل مسيرة أربعين سنة حدثنا بشر قال ثنا ابن وهب قال أخبرنى عمرو عن دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ماء كالمهل قال كعكر الزيت فاذا قربه اليه سقط فروة وجهه فيه وقوله وان يستغيثوا يغاثوا بماء

الدنيا والباقيات الصالحات) هى أعمال الخير التى تبقى ثمرتها (خير عند ربك ثوابا) أى تعلق ثواب وخيرا ملا لان الجواد المطلق أفضل مسؤل وأكرم مأمول وقيل هن الصلوات الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ففى التسبيح تنزيه له عن كل ما لا ينبغى وفى الحمد اقرار له بكونه مبدأ لافادة كل ما ينبغى وفى التهليل اعتراف بأنه لا شئ فى الامكان متصفا بالوصفين الا هو وفى التكبير اذعان لغاية عظمته وأنه أجل (١) من أن يعظم وقيل الطيب من القول والأصح كل عمل أريد به وجه الله وحده قاله قتادة ﴿ التأويل واتل على نفسك ما أوحى اليك من كتاب كتبه ربك فى الازل لا مبدل لكلماته الى الابد مع الذين يدعون ربهم وهم القلب والسر والروح والخفى فى غداة الازل الى عشى الأبد فانهم محبولون على طاعة الله كما أن النفس جبلت على طاعة الهوى وطلب الدنيا ولا تعد عيناك عنهم فانك ان لم تراقب أحوالهم تصرف فيهم النفس الامارة ولا تطع من أغفلنا يعنى النفس نارا هى نار القهر والغضب أحاط بهم سرادقها يعنى سرادق العزة بماء كالمهل كل ما هو لاهل اللطف أسباب لسهولة العيش وفراغ البال فانه سبحانه جعل لأهل القهر سببا لصعوبة الامر وشدة التعلق حتى شوت الوجوه أى أحرقت مواد التفاتهم الى عالم الارواح وفسدت استعداداتهم فبقوا فى أسفل سافلين الطبيعة

(١) عبارة الفخر وأجل من أن يصل العقل الى كنه كبريائه اه فتنبه كتبه مصححه

يحلون فيها من أساور والتحلية بالاساور اشارة الى ظهور آثار الملكات عليهم وقوله من ذهب رمز الى أنها ملكات مستحسنة معتدلة راسخة ويلبسون ثيابا فيه أن أنوار العبادات تلوح عليهم وتشتمل بهم وقوله خضرا اشارة الى أنها أنوار غير قاهرة ومن سندس اشارة الى ما لطف من الرياضات واستبرق الى ما شق منها متمكنين فيها على الارائك لانهم فرغوا بها وكلفوا وقضوا ما عليهم من المجاهدات وبقى مالهم من المشاهدات مثلا رجلين هما النفس الكافرة والقلب المؤمن جعلنا لاحدهما وهو النفس جنتين هما الهوى والدنيا من أعناب الشهوات وحففناهما بنخل حب الرياسة وجعلنا بينهما زرعا من التمتعات البهيمية وفجرنا خلالهما نهرا من القوى البشرية والحواس وكان له ثمر من أنواع الشهوات وهو يحاوره بجاذب النفس والقلب أنا أكثر منك مالا أى ميلا وأعز نفرا من أوصاف المذمومات وهو ظالم لنفسه فى الاستمتاع بجنة الدنيا على وفق الهوى لأجدن خيرا منها لانه غر بالله وكرمه فلا جرم يقال له ما غرك بربك الكريم هلا قلت ماشاء الله أى أتصرف فى جنة الدنيا كما شاء الله على ما أنفق فيها من العمر وحسن الاستعداد كما أنزلناه هو الروح العلوى الذى أنزل الى أرض الجسد فاختلط الروح بالاخلاق الذميمة فأصبح هشيما تلاشت منه نداوة الاخلاق الروحانية تذروه رياح الاهوية

كالمهل يقول تعالى ذكره وان يستغث هؤلاء الظالمون يوم القيامة فى النار من شدة ما بهم من العطش فيطلبوا الماء يغاثوا بماء كالمهل واختلف أهل التأويل فى المهل فقال بعضهم هو كل شئ أذيب وانماع ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أن ابن مسعود أهديت اليه سقاية من ذهب وفضة فأمر بأخدود فحفد فى الأرض ثم قذف فيه من جزل حطب ثم قذف فيه تلك السقاية حتى اذا أزبدت وانماعت قال لغلامه ادع من يحضرنا من أهل الكوفة فدعا رهطا فلما دخلوا عليه قال أترون هذا قالوا نعم قال ما رأينا فى الدنيا شبيها للمهل أدنى من هذا الذهب والفضة حين أزبدوا وانماع * وقال آخرون هو القيح والدم الأسود ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد فى قوله وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل قال القيح والدم **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بماء كالمهل قال القيح والدم الأسود كعكر الزيت قال الحرث فى حديثه يعنى دردى **حدثنى** على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله كالمهل قال يقول أسود كهيئة الزيت **حدثت** عن الحسين ابن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله بماء كالمهل ماء جهنم أسود وهى سوداء وشجرها أسود وأهلها سود **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل قال هو ماء غليظ مثل دردى الزيت * وقال آخرون هو الشئ الذى قد انتهى حره ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يعقوب القمى عن جعفر وهرون بن عنترة عن سعيد بن جبير قال المهل هو الذى قد انتهى حره وهذه الأقوال وان اختلفت بها ألفاظ قائلها فمتفقات المعنى وذلك أن كل ما أذيب من رصاص أو ذهب أو فضة فقد انتهى حره وأن ما أوقدت عليه من ذلك النار حتى صار كدردى الزيت فقد انتهى أيضا حره وقد **حدثت** عن معمر بن المثنى أنه قال سمعت المنتجع بن نبهان يقول والله لفلان أبغض الى من الطلياء والمهل قال فقلنا له وما هما فقال الحرباء والملة التى تنحدر عن جوانب الخبزة اذا ملت فى النار من النار كأنها سهلة حمراء مدفقة فهى أحره فالمهل اذا هو كل مائع قد أوقد عليه حتى بلغ غاية حره أو لم يكن مائعا فانماع بالوقود عليه وبلغ أقصى الغاية فى شدة الحر وقوله يشوى الوجوه بئس الشراب يقول جل ثناؤه يشوى ذلك الماء الذى يغاثون به وجوههم كما **حدثنى** محمد بن خلف العسقلانى قال ثنا حبان ابن شريح قال ثنا بقية عن صفوان بن عمرو عن عبد الله بن بسر هكذا قال ابن خلف عن أبى أمامة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله ويسقى من ماء صديد يتجرعه قال يقرب اليه فيتكرهه فاذا قرب منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فاذا شربه قطع أمعاءه يقول الله وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا ابراهيم بن اسحق الطالقانى ويعمر بن بشر قالا ثنا ابن المبارك عن صفوان عن عبد الله بن بسر عن أبى أمامة عن النبى صلى الله عليه وسلم مثله **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر وهرون بن عنترة عن سعيد بن جبير قال هرون اذا جاع أهل النار وقال جعفر اذا جاء أهل النار استغاثوا بشجرة الزقوم فأكلوا منها فاختلست جلود وجوههم فلو أن مارا مر بهم يعرفهم لعرف جلود وجوههم فيها ثم يصب عليهم العطش فيستغيثون فيغاثون بماء كالمهل وهو الذى قد انتهى

حره فاذا أدنوه من أفواههم انشوى من حره لحوم وجوههم التى قد سقطت عنها الجلود وقوله بئس الشراب يقول تعالى ذكره بئس الشراب هذا الماء الذى يغاث به هؤلاء الظالمون فى جهنم الذى صفته ماوصف فى هذه الآية وقوله وساءت مرتفقا يقول تعالى ذكره وساءت هذه النار التى أعددناها لهؤلاء الظالمين مرتفقا والمرتفق فى كلام العرب المتكأ يقال منه ارتفقت اذا اتكأت كما قال الشاعر

قالت له وارتفقت ألافتى * يسوق بالقوم غزالات الضحى

أرادوا تكأت على مرفقها وقد ارتفق الرجل اذا بات على مرفقه لا يأتيه نوم وهو مرتفق كما قال أبوذؤيب الهذلى

نام الخلى وبت الليل مرتفقا * كأن عينى فيها الصاب مذبوح

واما من الرفق فانه يقال قد ارتفقت بك مرتفقا وكان مجاهد يتأول قوله وساءت مرتفقا يعنى المجتمع ذكر الرواية بذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبوعاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مرتفقا أى مجتمعا حدثنى يعقوب قال ثنا معتمر عن ليث عن مجاهد وساءت مرتفقا قال مجتمعا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله ولست أعرف الارتفاق بمعنى الاجتماع فى كلام العرب وانما الارتفاق افتعال اما من المرفق واما من الرفق ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع أجر من أحسن عملا ﴾ يقول تعالى ذكره ان الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بطاعة الله وانتهوا الى أمره ونهيه انا لا نضيع ثواب من أحسن عملا فأطاع الله واتبع أمره ونهيه بل نجازيه بطاعته وعمله الحسن جنات عدن تجرى من تحتها الانهار فان قال قائل وأين خبر ان الأولى قيل جائز أن يكون خبرها قوله انا لا نضيع أجر من أحسن عملا فيكون معنى الكلام انا لا نضيع أجر من عمل صالحا فترك الكلام الاول واعتمد على الثانى بنية التكرير كما قيل يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه بمعنى عن قتال فيه على التكرير وكما قال الشاعر

ان الخليفة ان الله سربله * سربال ملك به ترجى الخواتيم

وروى ترجى وجائز أن يكون ان الذين آمنوا جزاء فيكون معنى الكلام ان من عمل صالحا فانا لا نضيع أجره فتضمر الفاء فى قوله انا وجائز أن يكون خبرها أولئك لهم جنات عدن فيكون معنى الكلام ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم جنات عدن ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أولئك لهم جنات عدن تجرى من تحتهم الانهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وإستبرق متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا ﴾ يقول تعالى ذكره لهؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات عدن يعنى بساتين اقامة فى الآخرة تجرى من تحتهم الانهار يقول تجرى من دونهم وبين أيديهم الانهار وقال جل ثناؤه من تحتهم ومعناه من دونهم وبين أيديهم يحلون فيها من أساور يقول يلبسون فيها من الحلى أساور من ذهب والاساور جمع اسوار وقوله يلبسون ثيابا خضرا من سندس والسندس جمع واحدها سندسة وهى مارق من الديباج والاستبرق ماغلظ منه وثخن وقيل ان الاستبرق هو الحرير ومنه قول المرقش

تراهن يلبسن المشاعر مرة * وإستبرق الديباج طورا لباسها

يعنى وغليظ الديباج وقوله متكئين فيها على الارائك يقول متكئين فى جنات عدن على الارائك

المختلفة فيكون حاله خلاف روح أدركته العناية الازلية فبعث اليه دهقان من أهل الكمال فرباه بماء العلم والعمل حتى يصير شجرة طيبة والباقيات الصالحات أى مافنى منك وبقى بربك والله أعلم بالصواب ﴿ ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا ويوم يقول نادوا شركائى الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا ولقد صرفنا فى هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الانسان أكثر شئ جدلا ومامنع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم الا أن تأتيهم سنة الاولين أو يأتيهم العذاب قبلا ومانرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا آياتى

وما أنذروا هزوا ومن أظلم ممن ذكر
بآيات ربه فأعرض عنها ونسى
ما قدمت يداه انا جعلنا على قلوبهم
أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا
وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا
اذا أبدا وربك الغفور ذو الرحمة
لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم
العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من
دونه موئلا وتلك القرى أهلكناهم
لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا ﴾
﴿ القراءات تسير الجبال على بناء
الفعل للمفعول ورفع الجبال ابن كثير
وابن عامر وأبو عمرو والآخرون على
بناء الفعل للفاعل ونصب الجبال
ما أشهدناهم يزيد الآخرون
ما أشهدتهم وما كنت على الخطاب
روى ابن وردان عن يزيد الباقون
على التكلم ويوم نقول بالنون
حمزة الباقون على الغيبة قبلا
بضمتين عاصم وحمزة والكسائى
الباقون بكسر القاف وفتح الباء
لمهلكهم بفتح الميم وكسر اللام
حفص لمهلكهم بفتحهما يحيى
وحماد والمفضل الباقون بضم الميم
وفتح اللام ﴿ الوقوف بارزة لا
لان التقدير وقد حشرناهم قبل
ذلك أحدا ○ ج للآية مع
العطف صفا ط للعدول والحذف
أى يقال لهم لقد جئتمونا أول
مرة ز لان بل قد يبتدأ به مع
أن الكلام متحد موعدا ○
أحصاها ج لاستئناف الواو
بعد تمام الاستفهام مع احتمال
الحال باضمار قد حاضرا ○ ط
أحدا ○ الا ابليس ط أمر ربه
ط عدو ط بدلا ○ أنفسهم ص

وهى السرر فى الحجال واحدتها أريكة ومنه قول الشاعر

(٣) حدود احفت فى السير حتى كأنما * يباشرن بالمعزاء مس الأرائك

ومنه قول الأعشى

بين الرواق وجانب من سترها * منها وبين أريكة الانصار

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله على الارائك قال هى الحجال قال معمر وقال غيره السرر فى الحجال وقوله نعم الثواب يقول نعم الثواب جنات عدن وما وصف جل ثناؤه أنه جعل لهؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات وحسنت مرتفقا يقول وحسنت هذه الارائك فى هذه الجنان التى وصف تعالى ذكره فى هذه الآية متكأ وقال جل ثناؤه وحسنت مرتفقا فأنث الفعل بمعنى وحسنت هذه الأرائك مرتفقا ولو ذكر لتذكير المرتفق كان صوابا لان نعم وبئس انما تدخلهما العرب فى الكلام لتدلا على المدح والذم لا للفعل فلذلك تذكرهما مع المؤنث وتوحدهما مع الاثنين والجماعة ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيأ وفجرنا خلالهما نهرا وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واضرب يا محمد لهؤلاء المشركين بالله الذين سألوك أن تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه مثلا مثل رجلين جعلنا لاحدهما جنتين أى جعلنا له بستانين من كروم وحففناهما بنخل يقول وأطفنا هذين البستانين بنخل وقوله وجعلنا بينهما زرعا يقول وجعلنا وسط هذين البستانين زرعا وقوله كلتا الجنتين آتت أكلها يقول كلا البستانين أطعم ثمره ومافيه من الغروس من النخل والكرم وصنوف الزروع وقال كلتا الجنتين ثم قال آتت فوحد الخبر لان كلتا لا يفرد واحدتها وأصله كل وقد تفرد العرب كلتا أحيانا ويذهبون بها وهى مفردة الى التثنية قال بعض الرجاز فى ذلك

فى كلتا رجليها سلامى واحده * كلتاهما مقرونة بزائده

يريد بكلت كلتا وكذلك تفعل بكلتا وكلا وكل اذا أضيفت الى معرفة وجاء الفعل بعدهن يجمع ويوحد وقوله ولم تظلم منه شيأ يقول ولم تنقص من الاكل شيأ بل آتت ذلك تاما كاملا ومنه قولهم ظلم فلان فلانا حقه اذا بخسه ونقصه كما قال الشاعر

تظلمنى مالى كذا ولوى يدى * لوى يده الله الذى هو غالبه

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولم تظلم منه شيأ أى لم تنقص منه شيأ وقوله وفجرنا خلالهما نهرا يقول تعالى ذكره وسيلنا خلال هذين البستانين نهرا يعنى بينهما وبين أشجارهما نهرا وقيل وفجرنا فثقل الجيم منه لأن التفجير فى النهر كله وذلك أنه يعم ماء فيسيل بعضه بعضا وقوله وكان له ثمر اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق وكان له ثمر بضم الثاء والميم واختلف قارئ ذلك كذلك فقال بعضهم كان له ذهب وفضة وقالوا ذلك هو الثمر لانها أموال مثمرة يعنى مكثرة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله عز وجل وكان له ثمر قال ذهب وفضة وفى قول الله عز وجل بثمره قال هى أيضا ذهب وفضة حدثنا القاسم قال ثنا

(٣) لم نعثر على هذا البيت بعد البحث وهو فى الأصل الخط كما ترى فليحرر اه كتبه مصححه

الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فى قوله ثمر قال ذهب وفضة قال وقوله وأحيط بثمره هى أيضا * وقال آخرون بل عنى به المال الكثير من صنوف الاموال ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنى حجاج عن هرون عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة قال قرأها ابن عباس وكان له ثمر بالضم وقال يعنى أنواع المال حدثنى على قال ثنا عبدالله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس وكان له ثمر يقول مال حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله وكان له ثمر يقول من كل المال حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله وأحيط بثمره قال الثمر من المال كله يعنى الثمر وغيره من المال كله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قال الثمر المال كله قال وكل مال اذا اجتمع فهو ثمر اذا كان من لون الثمرة وغيرها من المال كله * وقال آخرون بل عنى به الاصل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وكان له ثمر الثمر الأصل قال وأحيط بثمره قال بأصله وكأن الذين وجهوا معناها الى أنها أنواع من المال أرادوا أنها جمع ثمار جمع ثمر كما يجمع الكتاب كتابا والحمار حمرا وقد قرأ بعض من وافق هؤلاء فى هذه القراءة ثمر بضم الثاء وسكون الميم وهو يريد الضم فيها غير أنه سكنها طلب التخفيف وقد يحتمل أن يكون أراد بها جمع ثمرة كما تجمع الخشبة خشبا وقرأ ذلك بعض المدنيين وكان له ثمر بفتح الثاء والميم بمعنى جمع الثمرة كما تجمع الخشبة خشبا والقصبة قصبا * وأولى القراآت فى ذلك عندى بالصواب قراءة من قرأ وكان له ثمر بضم الثاء والميم لاجماع الحجة من القراء عليه وان كانت جمع ثمار كما الكتب جمع كتاب ومعنى الكلام وفجرنا خلالهما نهرا وكان له منهما ثمر بمعنى من جنتيه أنواع من الثمار وقد بين ذلك لمن وفق لفهمه قوله جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا ثم قال وكان له من هذه الكروم والنخل والزرع ثمر وقوله فقال لصاحبه وهو يحاوره يقول عز وجل فقال هذا الذى جعلنا له جنتين من أعناب لصاحبه الذى لا مال له وهو يخاطبه أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا يقول وأعز عشيرة ورهطا كما قال عيينة والأقرع لرسول الله صلى الله عليه وسلم نحن سادات العرب وأرباب الاموال فنح عنا سلمان وخبابا وصهيبا احتقارا لهم وتكبرا عليهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا وتلك والله أمنية الفاجر كثرة المال وعزة النفر ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربى لأجدن خيرا منها منقلبا﴾ يقول تعالى ذكره هذا الذى جعلنا له جنتين من أعناب دخل جنته وهى بستانه وهو ظالم لنفسه وظلمه نفسه كفره بالبعث وشكه فى قيام الساعة ونسيانه المعاد الى الله تعالى فأوجب لها بذلك سخط الله وأليم عقابه وقوله قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا يقول جل ثناؤه قال لما عاين جنته ورآها وما فيها من الاشجار والثمار والزروع والانهار المطردة شاكا فى المعاد الى الله ما أظن أن تبيد هذه الجنة أبدا ولا تفنى ولا تخرب وما أظن الساعة التى وعد الله خلقه الحشر فيها تقوم فتحدث ثم تمنى أمنية أخرى على شك منه فقال ولئن رددت الى ربى فرجعت اليه وهو غير موقن أنه راجع اليه لأجدن خيرا منها منقلبا يقول لأجدن خيرا من جنتى هذه عند الله ان رددت اليه مرجعا ومردا يقول لم يعطنى هذه الجنة فى الدنيا إلا ولى عنده أفضل منها فى المعاد ان رددت اليه كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله

عضدا ○ موبقا ○ مصرفا ○ مثل ط جدلا ○ قبلا ○ ومنذرين ج لاحتمال ما بعده الحال والاستئناف هزوا ○ يداه ط وقرا ○ ط لاختلاف الجملتين مع ابتداء الشرط أبدا ○ الرحمة ط العذاب ط موئلا ○ موعدا ○ ۞ التفسير لما بين خساسة الدنيا وشرف الآخرة أردفه بأحوال يوم القيامة وأهواله وفيه رد على أغنياء المشركين الذين افتخروا بكثرة الأموال والأولاد على فقراء المسلمين والتقدير واذكر يوم كذا عطفا على واضرب ويجوز أن ينتصب بالقول المضمر قبل ولقد

وما أظن الساعة قائمة قال شك ثم قال ولئن كان ذلك ثم رددت الى ربى لأجدن خيرا منها منقلبا ما أعطانى هذه إلا ولى عنده خير من ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا وما أظن الساعة قائمة كفور لنعم ربه مكذب بلقائه متمن على الله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا لكنا هو الله ربى ولا أشرك بربى أحدا﴾ يقول تعالى ذكره قال لصاحب الجنتين صاحبه الذى هو أقل منه مالا وولدا وهو يحاوره يقول وهو يخاطبه ويكلمه أكفرت بالذى خلقك من تراب يعنى خلق أبا لك آدم من تراب ثم من نطفة يقول ثم أنشأك من نطفة الرجل والمرأة ثم سواك رجلا يقول ثم عدلك بشرا سويا رجلا ذكرا لا أنثى يقول أكفرت بمن فعل بك هذا أن يعيدك خلقا جديدا بعدما تصير رفاتا لكنا هو الله ربى يقول أما أنا فلا أكفر بربى ولكن أنا هو الله ربى معناه أنه يقول ولكن أنا أقول هو الله ربى ولا أشرك بربى أحدا وفى قراءة ذلك وجهان أحدهما لكنا هو الله ربى بتشديد النون وحذف الالف فى حال الوصل كما يقال أنا قائم فتحذف الالف من أنا وذلك قراءة عامة قراء أهل العراق وأما فى الوقف فان القراء كلها تثبت فيها الالف لأن النون انما شددت لاندغام النون من لكن وهى ساكنة فى النون التى من أنا اذ سقطت الهمزة التى فى أنا فاذا وقف عليها ظهرت الالف التى فى أنا فقيل لكنا لانه يقال فى الوقف على أنا باثبات الالف لا باسقاطها وقرأ ذلك جماعة من أهل الحجاز لكنا باثبات الالف فى الوصل والوقف وذلك وان كان مما ينطق به فى ضرورة الشعر كما قال الشاعر

أنا سيف العشيرة فاعرفونى ۞ حميدا قد تذريت السناما

فأثبت الالف فى أنا فليس ذلك بالفصيح من الكلام والقراءة التى هى القراءة الصحيحة عندنا ما ذكرنا عن العراقيين وهو حذف الالف من لكن فى الوصل واثباتها فى الوقف ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله ان ترن أنا أقل منك مالا وولدا﴾ يقول عز ذكره وهلا اذ دخلت بستانك فأعجبك ما رأيت منه قلت ما شاء الله كان وفى الكلام محذوف استغنى بدلالة ما ظهر عليه منه وهو جواب الجزاء وذلك كان واذا وجه الكلام الى هذا المعنى الذى قلنا كانت ما نصبا بوقوع فعل الله عليه وهو شاء وجاز طرح الجواب لان معنى الكلام معروف كما قيل فان استطعت أن تبتغى نفقا فى الارض وترك الجواب اذ كان مفهوما معناه وكان بعض أهل العربية يقول ما من قوله ما شاء الله فى موضع رفع باضمار هو كأنه قيل قلت هو ما شاء الله لا قوة الا بالله يقول لا قوة على ما نحاول من طاعته الا به وقوله ان ترن أنا أقل منك مالا وولدا وهو قول المؤمن الذى لا مال له ولا عشيرة مثل صاحب الجنتين وعشيرته وهو مثل سلمان وصهيب وخباب يقول قال المؤمن للكافر ان ترنى أيها الرجل أنا أقل منك مالا وولدا ولما جعلت أنا عمادا نصبت أقل وبه القراءة عندنا لأن عليه قراءة الامصار واذا جعلته اسما رفعت أقل ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فعسى ربى أن يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل المؤمن الموقن للعاد الى الله للكافر المرتاب فى قيام الساعة ان ترنى أيها الرجل أنا أقل مالا وولدا فى الدنيا فعسى ربى أن يرزقنى خيرا من بستانك هذا ويرسل عليها يعنى على جنة الكافر التى قال لها ما أظن أن تبيد هذه أبدا حسبانا من السماء يقول عذابا من السماء ترمى به ربيا

جثثمونا وفاعل التسيير هو الله تعالى الا أنه سمى على احدى القراءتين ولم يسم فى الاخرى فتسييرها اما الى العدم لقوله ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا واما الى موضع لا يعلمه الا الله (وترى الارض بارزة) لأنه لا يبقى على وجهها شئ يسترها من العمارات ولا من الجبال والاشجار واما لأنها أبرزت ما فى بطنها من الاموات لقوله وألقت ما فيها وتخلت فيكون الاسناد مجازيا أى بارزا ما فى جوفها (وحشرناهم) الضمير للخلائق المعلوم حكما (فلم نغادر منهم أحدا) من الاولين والآخرين

ونقذف والحسبان جمع حسبانة وهى المرامى * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل
ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أو يرسل عليها
حسبانا من السماء عذابا حدثت عن محمد بن يزيد عن جويبر عن الضحاك قال عذابا
حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ويرسل عليها حسبانا من السماء
قال عذابا قال الحسبان قضاء من الله يقضيه حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى
عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال الحسبان العذاب حدثنا الحسن بن محمد
قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله حسبانا من السماء قال عذابا وقوله
فتصبح صعيدا زلقا يقول عز ذكره فتصبح جنتك هذه أيها الرجل أرضا ملساء لا شئ فيها قد ذهب
كل ما فيها من غرس ونبت وعادت خرابا بلاقع زلقا لا يثبت فى أرضها قدم لملاستها ودروس
ما كان نابتا فيها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فتصبح صعيدا
زلقا أى قد حصد ما فيها فلم يترك فيها شئ حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج
عن ابن جريج قال قال ابن عباس فتصبح صعيدا زلقا قال مثل الجرز حدثنى يونس قال
أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فتصبح صعيدا زلقا قال صعيدا زلقا وصعيدا جرزا
واحد ليس فيها شئ من النبات وقوله أو يصبح ماؤها غورا يقول أو يصبح ماؤها غائرا فوضع
الغور وهو مصدر مكان الغائر كما قال الشاعر

تظل جياده نوحا عليه * مقلدة أعنتها صفونا

بمعنى نائحة وكما قال الآخر

هريق من دموعهما سجاما * ضباع وجاوبى نوحا قياما

والعرب توحد الغور مع الجمع والاثنين وتذكر مع المذكر والمؤنث تقول ماء غور وما آن غور ومياه
غور ويعنى بقوله غورا ذاهبا قد غار فى الارض فذهب فلا تلحقه الرشاء كما حدثنا بشر قال
ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أو يصبح ماؤها غورا أى ذاهبا قد غار فى الارض وقوله
فلن تستطيع له طلبا يقول فلن تطيق أن تدرك الماء الذى كان فى جنتك بعد غوره بطلبك اياه
القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهى خاوية
على عروشها ويقول يا ليتنى لم أشرك بربى أحدا﴾ يقول تعالى ذكره وأحاط الهلاك والجوائح
بثمره وهى صنوف ثمار جنته التى كان يقول لها ما أظن أن تبيد هذه أبدا فأصبح هذا الكافر
صاحب هاتين الجنتين يقلب كفيه ظهرا لبطن تلهفا وأسفا على ذهاب نفقته التى أنفق فى جنته
وهى خاوية على عروشها يقول وهى خالية على نباتها وبيوتها * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل
التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فأصبح
يقلب كفيه أى يصفق كفيه على ما أنفق فيها متلهفا على ما فاته وهو يقول يا ليتنى لم أشرك بربى
أحدا ويقول يا ليتنى يقول يتمنى هذا الكافر بعد ما أصيب بجنته أنه لم يكن كان أشرك بربه أحدا
يعنى بذلك هذا الكافر اذا هلك وزالت عنه دنياه وانفرد بعمله وذا أنه لم يكن كفر بالله ولا أشرك به
شيأ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا
هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا﴾ يقول تعالى ذكره ولم يكن لصاحب هاتين الجنتين
فئة وهم الجماعة كما قال العجاج * كما يحوز الفئة الكمى * وبنحو ما قلنا فى ذلك
قال أهل التأويل وان خالف بعضهم فى العبارة عنه عبارتنا فان معناهم نظير معنانا فيه ذكر من

يقال غادره وأغدره اذا تركه والترك غير لائق ومنه الغدر ترك الوفاء والغدير ما غادره السيل لان اللائق بحال السيل أن يذهب بالماء كله ولا يخفى أن اللائق بحال رب العزة أن لا يترك أحدا من خلقه غير محشور والا كان قد حاد فى علمه وحكمته وقدرته قالت المشبهة فى قوله (وعرضوا على ربك) دليل على أنه سبحانه فى مكان يمكن أن يعرض عليه أهل القيامة وكذلك فى قوله (لقد جئتمونا) وأجيب بأنه تعالى شبه وقوفهم فى الموضع الذى يسألهم فيه عن أعمالهم بالعرض عليه وبالمجىء الى حكمه كما يعرض الجند

قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى ح وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله قال عشيرته حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله أي جند ينصرونه وقوله ينصرونه من دون الله يقول يمنعونه من عقاب الله وعذاب الله اذا عاقبه وعذبه وقوله وما كان منتصرا يقول ولم يكن ممتنعا من عذاب الله اذا عذبه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما كان منتصرا أي ممتنعا وقوله هنالك الولاية لله الحق يقول عز ذكره ثم وذلك حين حل عذاب الله بصاحب الجنتين في القيامة واختلفت القراء في قراءة قوله الولاية فقرأ بعض أهل المدينة والبصرة والكوفة هنالك الولاية بفتح الواو من الولاية يعنون بذلك هنالك الموالاة لله كقول الله الله ولي الذين آمنوا وكقوله ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا يذهبون بها الى الولاية في الدين وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة هنالك الولاية بكسر الواو من الملك والسلطان من قول القائل وليت عمل كذا أو بلدة كذا أليه ولاية * وأولى القراءتين في ذلك بالصواب قراءة من قرأ بكسر الواو وذلك أن الله عقب ذلك خبره عن ملكه وسلطانه وأن من أحل به نقمته يوم القيامة فلا ناصر له يومئذ فاتباع ذلك الخبر عن انفراده بالملكة والسلطان أولى من الخبر عن الموالاة التي لم يجر لها ذكر ولا معنى لقول من قال لا يسمى سلطان الله ولاية وانما يسمى ذلك سلطان البشر لان الولاية معناها أنه يلي أمر خلقه منفردا به دون جميع خلقه لا أنه يكون أميرا عليهم واختلفوا أيضا في قراءة قوله الحق فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والعراق خفضا على توجيهه الى أنه من نعت الله والى أن معنى الكلام هنالك الولاية لله الحق ألوهية (١) لا الباطل بطول ألوهيته التي يدعونها المشركون بالله آلهة وقرأ ذلك بعض أهل البصرة وبعض متأخري الكوفيين لله الحق برفع الحق توجيها منهما الى أنه من نعت الولاية ومعناه هنالك الولاية الحق لا الباطل لله وحده لا شريك له * وأولى القراءتين عندي في ذلك بالصواب قراءة من قرأه خفضا على أنه من نعت الله وأن معناه ما وصفت على قراءة من قرأ كذلك وقوله هو خير ثوابا يقول عز ذكره خير للمنيبين في العاجل والآجل ثوابا وخير عقبا يقول وخير هم عاقبة في الآجل اذا صار اليه المطيع له العامل بما أمره الله والمنتهي عما نهاه الله عنه والعقب هو العاقبة يقال عاقبة أمر كذا وعقباه وعقبه وذلك آخره وما يصير اليه منتهاه وقد اختلف القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الكوفة عقبا بضم العين وتسكين القاف (٢) والقول في ذلك عندنا أنهما قراءتان مستفيضتان في قرأة الامصار بمعنى واحد فبأيتهما قرأ القارئ فصيب

القول في تأويل قوله تعالى ﴿واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شئ مقتدرا﴾ يقول عز ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واضرب لحياة هؤلاء المستكبرين الذين قالوا لك اطرد عنك هؤلاء الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي اذا نحن جئناك الدنيا منهم مثلا يقول شبهها كماء أنزلناه من السماء يقول كمطر أنزلناه من السماء الى الارض فاختلط به نبات الارض يقول فاختلط بالماء نبات الارض فأصبح هشيما يقول فأصبح نبات الارض يابسا متفتتا تذروه الرياح يقول تطيره الرياح وتفرقه يقال منه ذرته الريح تذروه ذروا وذريته ذريا وأذرته تذريه اذراء كما قال الشاعر

فقلت له صوب ولا تجهدنه * فيذريك من أخرى القطاة فتزلق

على السلطان وانتصب صفا على الحال أي مصطفين ظاهرين ترى جماعاتهم كما يرى كل واحد لا يحجب أحد أحدا والصف اما واحد واما جمع كقوله يخرجكم طفلا أي أطفالا وقيل صفا أي قياما وبه فسر قوله فاذكروا اسم الله عليها صواف وقال القفال يشبه أن يكون الصف راجعا الى الظهور والبروز ومنه الصفصف للصحراء وهذا قريب من الاول وقد مر في الانعام أن وجه التشبيه في قوله (خلقناكم) أنهم يبعثون عراة لا شئ معهم أو المراد بعثناكم كما أنشأناكم وزعمهم أن لن يجعل الله لهم موعدا

(١) لعله لا الباطل الوهيته كالأصنام التي يدعونها الخ تأمل

(٢) سقط من قلم الناسخ القراءة الثانية وهي عقبا بضم العين والقاف فتنبه اه كتبه مصححه

يقال أذريت الرجل عن الدابة والبعير اذا ألقيته عنه وقوله وكان الله على كل شئ مقتدرا يقول وكان الله على تخريب جنة هذا القائل حين دخل جنته ما أظن أن تبيد هذه أبدا وما أظن الساعة قائمة واهلاكه أموال ذى الاموال الباخلين بها عن حقوقها وازالة دنيا الكافرين به عنهم وغير ذلك مما يشاء قادر لا يعجزه شئ أراده ولا يعييه أمر أراده يقول فلا يفخرذو الاموال بكثرة أمواله ولا يستكبر على غيره بها ولا يغترن أهل الدنيا بدنياهم فانما مثلها مثل هذا النبات الذى حسن استواؤه بالمطر فلم يكن إلا ريث أن انقطع عنه الماء فتناهى نهايته عاد يبسا تذروه الرياح فاسدا تنبو عنه أعين الناظرين ولكن ليعمل للباقى الذى لا يفنى والدائم الذى لا يبيد ولا يتغير ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا﴾ يقول تعالى ذكره المال والبنون أيها الناس التى يفخر بها عيينة والأقرع ويتكبران بها على سلمان وخباب وصهيب مما يتزين به فى الحياة الدنيا وليسا من عداد الآخرة والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا يقول وما يعمل سلمان وخباب وصهيب من طاعة الله ودعائهم ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه الباقى لهم من الاعمال الصالحة بعد فناء الحياة الدنيا خير يا محمد عند ربك ثوابا من المال والبنين التى يفتخر هؤلاء المشركون بها التى تفنى فلا تبقى لاهلها وخير أملا يقول وما يؤمل من ذلك سلمان وصهيب وخباب خير مما يؤمل عيينة والاقرع من أموالهما وأولادهما وهذه الآيات من لدن قوله واتل ما أوحى اليك من كتاب ربك الى هذا الموضع ذكر أنها نزلت فى عيينة والأقرع ذكر من قال ذلك حدثنا الحسين بن عمرو العنقزى قال ثنا أبى قال ثنا أسباط بن نصر عن السدى عن أبى سعيد الازدى وكان قارئ الازد عن أبى الكنود عن خباب فى قوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى ثم ذكر القصة التى ذكرناها فى سورة الانعام فى قصة عيينة والأقرع الى قوله ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا قال عيينة والأقرع واتبع هواه قال قال ثم ضرب لهم مثلا رجلين ومثل الحياة الدنيا واختلف أهل التأويل فى المعنى بالباقيات الصالحات اختلافا فهم فى المعنى بالدعاء الذى وصف جل ثناؤه به الذين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طردهم وأمره بالصبر معهم فقال بعضهم هى الصلوات الخمس وقال بعضهم هى ذكر الله بالتسبيح والتقديس والتهليل ونحو ذلك وقال بعضهم هى العمل بطاعة الله وقال بعضهم الكلام الطيب ذكر من قال هى الصلوات الخمس حدثنى محمد بن ابراهيم الأنماطى قال ثنا يعقوب بن كاسب قال ثنا عبد الله بن عبد الله الأموى قال سمعت عبد الله بن يزيد ابن هرمز يحدث عن عبيد الله بن عتبة عن ابن عباس أنه قال الباقيات الصالحات الصلوات الخمس حدثنى زريق بن اسحق قال ثنا قبيصة عن سفيان عن عبد الله بن مسلم عن سعيد بن جبير فى قوله والباقيات الصالحات قال الصلوات الخمس حدثنى يحيى بن ابراهيم المسعودى قال ثنا أبى عن أبيه عن جده عن الأعمش عن أبى اسحق عن عمرو بن شرحبيل فى هذه الآية والباقيات الصالحات قال هى الصلوات المكتوبات حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن عبد الله بن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال الباقيات الصالحات الصلوات الخمس حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الحسن بن عبد الله عن ابراهيم قال الباقيات الصالحات الصلوات الخمس حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن أبى اسحق عن أبى ميسرة والباقيات الصالحات قال الصلوات الخمس * ذكر من قال هن ذكر الله بالتسبيح والتحميد ونحو ذلك حدثنا ابن حميد وعبد الله بن أبى زياد ومحمد بن عمارة

أى وقتا لانجازما وعدوا على ألسنة الانبياء اما أن يكون حقيقة واما لان أفعالهم تشبه فعل من يزعم ذلك (ووضع الكتاب) أى جنسه وهو صحف الاعمال والوضع اما حسى وهو أن يوضع كتاب كل انسان فى يده اما فى اليمين أو فى الشمال واما عقلى ومعناه النشر والاعتبار (فترى المجرمين مشفقين) خائفين مما فى الكتاب لان الخائن خائف خوف العقاب وخوف الافتضاح ومعنى النداء فى (ياويلتنا) قدم فى المائدة فى قوله ياويلتى أعجزت وقوله (صغيرة ولا كبيرة) صفتان للهيئة أو المعصية أو

الاسدى قالوا ثنا عبدالله بن يزيد قال أخبرنا حيوة قال أخبرنا أبو عقيل زهرة بن معبد القرشى من بنى تيم من رهط أبى بكر الصديق أنه سمع الحرث مولى عثمان بن عفان يقول قيل لعثمان ما الباقيات الصالحات قال هن لا اله الا الله وسبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله **حدثنى** سعد بن عبدالله بن عبدالحكم قال ثنا أبو زرعة قال ثنا حيوة قال ثنا أبو عقيل زهرة بن معبد أنه سمع الحرث مولى عثمان بن عفان يقول قيل لعثمان بن عفان ما الباقيات الصالحات قال هى لا اله الا الله وسبحان الله وبحمده والله أكبر والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله **حدثنى** ابن عبدالرحيم البرقى قال ثنا ابن أبى مريم قال ثنا نافع بن يزيد ورشدين بن سعد قالا ثنا زهرة بن معبد قال سمعت الحرث مولى عثمان بن عفان يقول قالوا لعثمان ما الباقيات الصالحات فذكر مثله **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبدالرحمن قال ثنا سفيان عن عبدالله ابن مسلم بن هرمز عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله والباقيات الصالحات قال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت عبدالملك عن عطاء عن ابن عباس فى قوله والباقيات الصالحات قال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر **حدثنا** أبو كريب قال ثنا طلق بن غنام عن زائدة عن عبدالملك عن عطاء عن ابن عباس مثله **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبدالرحمن قال ثنا مالك عن عمارة ابن عبدالله بن صياد عن سعيد بن المسيب قال الباقيات الصالحات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال أخبرنى عبدالله بن عثمان بن خثيم عن نافع بن سرجس أنه أخبره انه سأل ابن عمر عن الباقيات الصالحات قال لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله ولا حول ولا قوة الا بالله قال ابن جريج وقال عطاء بن أبى رباح مثل ذلك **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبدالرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد قال الباقيات الصالحات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور عن مجاهد بنحوه **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد فى قوله والباقيات الصالحات قال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى أبو صخر أن عبدالله بن عبدالرحمن مولى سالم بن عبدالله حدثه قال أرسلنى سالم الى محمد ابن كعب القرظى فقال قل له القنى عند زاوية القبر فان لى اليك حاجة قال فالتقيا فسلم أحدهما على الآخر ثم قال سالم ما تعد الباقيات الصالحات فقال لا اله الا الله والحمد لله وسبحان الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله فقال له سالم متى جعلت فيها الاحول ولا قوة الا بالله فقال مازلت أجعلها قال فراجعه مرتين أو ثلاثا فلم ينزع قال فأثبت قال سالم أجل فأثبت فان أبا أيوب الانصارى حدثنى أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول عرج بى الى السماء فأريت ابراهيم فقال يا جبريل من هذا معك فقال محمد فرحب بى وسهل ثم قال مر أمتك فلتكثر من غراس الجنة فان تربتها طيبة وأرضها واسعة فقلت وما غراس الجنة قال لا حول ولا قوة الا بالله * وجدت فى كتابى عن الحسن ابن الصباح البزار عن أبى نصر التمار عن عبدالعزيز بن مسلم عن محمد بن عجلان عن سعيد المقبرى عن أبيه عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر من الباقيات الصالحات **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبدالرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن وقتادة فى قوله والباقيات الصالحات خير قال لا اله الا الله والله أكبر

والحمد

الفعلة وهى عبارة عن الاحاطة وضبط كل ما صدر عنهم لان الاشياء اما صغار واما كبار فاذا حصر الصنفين فقد حصر الكل وعن الفضيل ضحوا والله من الصغائر قبل الكبائر قلت وذلك أن تلك الصغائر هى التى جرأتهم على الكبائر وعن ابن عباس الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة وعن سعيد بن جبير الصغيرة المسيس والكبيرة الزنا وجوز فى الكشاف أن يريد ما كان عندهم صغائر وكبائر وتمام البحث فى المسألة أسلفناه فى أوائل سورة النساء فى تفسير قوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه فتذكر

والحمد لله وسبحان الله هن الباقيات الصالحات **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنا عمرو بن الحرث أن دراجا أبا السمح حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال استكثروا من الباقيات الصالحات قيل وما هي يا رسول الله قال الملة قيل وما هي يا رسول الله قال التكبير والتهليل والتسبيح والحمد ولا حول ولا قوة الا بالله **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني مالك عن عمارة بن صياد أنه سمع سعيد بن المسيب يقول في الباقيات الصالحات انها قول العبد الله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله **حدثني** ابن البرقي قال ثنا ابن أبي مريم قال أخبرنا يحيى بن أيوب قال ثني ابن عجلان عن عمارة بن صياد قال سألني سعيد بن المسيب عن الباقيات الصالحات فقلت الصلاة والصيام قال لم تصب فقلت الزكاة والحج فقال لم تصب ولكنهن الكلمات الخمس لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله * ذكر من قال هي العمل بطاعة الله عز وجل **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا قال الأعمال الصالحة سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر **حدثني** علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله والباقيات الصالحات قال هي ذكر الله قول لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله وتبارك الله ولا حول ولا قوة الا بالله وأستغفر الله وصلى الله على رسول الله والصيام والصلاة والحج والصدقة والعتق والجهاد والصلة وجميع أعمال الحسنات وهن الباقيات الصالحات التي تبقى لاهلها في الجنة مادامت السموات والارض **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا قال الأعمال الصالحة * ذكر من قال هي الكلم الطيب **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله والباقيات الصالحات قال الكلام الطيب * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال هن جميع أعمال الخير كالذي روى عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس لان ذلك كله من الصالحات التي تبقى لصاحبها في الآخرة وعليها يجازى ويثاب وان الله عز ذكره لم يخصص من قوله والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا بعضا دون بعض في كتاب ولا بخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ظن ظان أن ذلك مخصوص بالخبر الذي رويناه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فان ذلك بخلاف ما ظن وذلك أن الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انما ورد بأن قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر هن من الباقيات الصالحات ولم يقل هن جميع الباقيات الصالحات ولا كل الباقيات الصالحات وجائز أن تكون هذه باقيات صالحات وغيرها من أعمال البر أيضا باقيات صالحات ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا﴾ يقول تعالى ذكره ويوم نسير الجبال عن الارض فنبسها بسا ونجعلها هباء منبثا وترى الارض بارزة ظاهرة وظهورها الرأي أعين الناظرين من غير شيء يستترها من جبل ولا شجر هو بروزها * وبنحو ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى ح **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وترى الارض بارزة قال لا تحرفيها ولا غيابة ولا بناء ولا تحريفها **حدثني** القاسم قال ثنا

(ووجدوا ما عملوا حاضرا) في الصحف مثبتا فيها أو وجدوا جزاء ما عملوا ظاهرا على صفحات أحوالهم (ولا يظلم ربك أحدا) استدل الجبائي به على بطلان مذهب الاشاعرة في أن الأطفال يجوز أن تعذب بذنوب آبائهم فان ذلك ظلم والجواب أن الظلم انما يتصور في حق من تصرف في غير ملكه قالوا لو ثبت أن له بحكم المالكية أن يفعل ما يشاء من غير اعتراض عليه لم يكن لهذا الاخبار فائدة وأجيب بأن تلك القضية بعد الدلائل العقلية علمت من مثل هذه الآية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وترى الارض بارزة ليس عليها بناء ولا شجر وقيل معنى ذلك وترى الارض بارزا أهلها الذين كانوا فى بطنها فصاروا على ظهرها وقوله وحشرناهم يقول جمعناهم الى موقف الحساب فلم نغادر منهم أحدا يقول فلم نترك ولم نبق منهم تحت الارض أحدا يقال منه ما غادرت من القوم أحدا وما أغدرت منهم أحدا ومن أغدرت قول الراجز

هل لك والعارض منك عائض * فى هجمة يغدر منها القابض

وقوله وعرضوا على ربك صفا يقول عز ذكره وعرض الخلق على ربك يا محمد صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة يقول عز ذكره يقال لهم اذ عرضوا على الله لقد جئتمونا أيها الناس أحياء كهيئتكم حين خلقناكم أول مرة وحذف يقال من الكلام لمعرفة السامعين بأنه مراد فى الكلام وقوله بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا وهذا الكلام خرج مخرج الخبر عن خطاب الله به الجميع والمراد منه الخصوص وذلك أنه قد يرد القيامة خلق من الأنبياء والرسل والمؤمنين بالله ورسله وبالبعث ومعلوم أنه لا يقال يومئذ لمن ورد هامن أهل التصديق بوعد الله فى الدنيا وأهل اليقين فيها بقيام الساعة بل زعمتم أن لن نجعل لكم البعث بعد الممات والحشر الى القيامة موعدا وأن ذلك انما يقال لمن كان فى الدنيا مكذبا بالبعث وقيام الساعة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا﴾ يقول عز ذكره ووضع الله يومئذ كتاب أعمال عباده فى أيديهم فأخذ واحد بيمينه وأخذ واحد بشماله فترى المجرمين مشفقين مما فيه يقول عز ذكره فترى المجرمين المشركين بالله مشفقين يقول خائفين وجلين مما فيه مكتوب من أعمالهم السيئة التى عملوها فى الدنيا أن يؤاخذوا بها ويقولون ياويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها يعنى أنهم يقولون اذا قرؤا كتابهم ورأوا ما قد كتب عليهم فيه من صغائر ذنوبهم وكبائرها نادوا بالويل حين أيقنوا بعذاب الله وضجوا مما قد عرفوا من أفعالهم الخبيثة التى قد أحصاها كتابهم ولم يقدروا أن ينكروا صحتها كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها اشتكى القوم كما تسمعون الاحصاء ولم يشتك أحد ظلما فايا كم والمحقرات من الذنوب فانها تجتمع على صاحبها حتى تهلكه ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يضرب لها مثلا يقول كمثل قوم انطلقوا يسيرون حتى نزلوا بفلاة من الارض وحضر صنيع القوم فانطلق كل رجل يحتطب بقدر فعل الرجل يجىء بالعود ويجىء الآخر بالعود حتى جمعوا سوادا كثيرا وأججوا نارا فان الذنب الصغير يجتمع على صاحبه حتى يهلكه وقيل انه عنى بالصغيرة فى هذا الموضع الضحك ذكر من قال ذلك **حدثنى** زكريا بن يحيى بن أبى زائدة قال ثنا عبد الله بن داود قال ثنا محمد بن موسى عن (٣) الزبال بن عمرو عن ابن عباس لا يغادر صغيرة ولا كبيرة قال الضحك **حدثنا** أحمد بن حازم قال ثنا أبى قال حدثتنى أمى حمادة ابنة محمد قالت سمعت أبى محمد بن عبد الرحمن يقول فى هذه الآية فى قول الله عز وجل مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها قال الصغيرة الضحك ويعنى بقوله مال هذا الكتاب ما شأن هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة يقول لا يبقى صغيرة من ذنوبنا وأعمالنا ولا كبيرة منها الا أحصاها يقول الا حفظها ووجدوا ما عملوا فى الدنيا من عمل حاضرا فى كتابهم ذلك مكتوبا مثبتا فجوزوا بالسيئة مثلها والحسنة ما الله جازيهم بها ولا يظلم ربك أحدا يقول ولا يجازى

يحاسب الناس فى القيامة على ثلاثة يوسف وأيوب وسليمان يدعو المملوك فيقول له ما شغلك عنى فيقول جعلتنى عبد الآدمى فلم تفرغنى فيدعو يوسف فيقول كان هذا عبدا مثلك فلم يمنعه ذلك أن عبدنى فيؤمر به الى النار ثم يدعى بالمبتلى فاذا قال أشغلتنى بالبلاء دعا بأيوب فيقول قد ابتليت هذا بأشد من بلائك فلم يمنعه ذلك عن عبادتى ويؤمر به الى النار ثم يؤتى بالملك فى الدنيا مع ما آتاه الله من الغنى والسعة فيقول ماذا عملت فيما آتيتك فيقول شغلنى الملك عن ذلك فيدعى بسليمان فيقول هذا عبدى

ربك أحدا يا محمد بغير ما هو أهله لا يجازى بالاحسان الا أهل الاحسان ولا بالسيئة الا أهل السيئة وذلك هو العدل ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا﴾ يقول تعالى ذكره مذكرا هؤلاء المشركين حسد ابليس أباهم ومعلمهم ما كان منه من كبره واستكباره عليه حين أمره بالسجود له وأنه من العداوة والحسد لهم على مثل الذى كان عليه لأبيهم واذكر يا محمد اذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس الذى يطيعه هؤلاء المشركون ويتبعون أمره ويخالفون أمر الله فانه لم يسجد له استكبارا على الله وحسدا لآدم كان من الجن واختلف أهل التأويل فى معنى قوله كان من الجن فقال بعضهم انه كان من قبيلة يقال لهم الجن وقال آخرون بل كان من خزان الجنة فنسب الى الجنة وقال آخرون بل قيل من الجن لانه من الجن الذين استجنوا عن أعين بنى آدم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن خلاد بن عطاء عن طاوس عن ابن عباس قال كان اسمه قبل أن يركب المعصية عزازيل وكان من سكان الارض وكان من أشد الملائكة اجتهادا وأكثرهم علما فذلك هو الذى دعاه الى الكبر وكان من حى يسمون جنا حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان ابن سعيد عن بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس قال كان ابليس من حى من أحياء الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم من بين الملائكة وكان اسمه الحرث قال وكان خازنا من خزان الجنة قال وخلقت الملائكة من نور غير هذا الحى قال وخلقت الجن الذين ذكروا فى القرآن من مارج من نار وهو لسان النار الذى يكون فى طرفها اذا التهبت حدثنا ابن المثنى قال ثنى شبابة قال ثنا سلام بن مسكين عن قتادة عن سعيد بن المسيب قال كان ابليس رئيس ملائكة سماء الدنيا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن الاعمش عن حبيب بن أبى ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله الا ابليس كان من الجن قال كان ابليس من خزان الجنة وكان يدبر أمر سماء الدنيا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس كان ابليس من أشراف الملائكة وأكرمهم قبيلة وكان خازنا على الجنان وكان له سلطان السماء الدنيا وكان له سلطان الارض وكان فيما قضى الله أنه رأى أن له بذلك شرفا وعظمة على أهل السماء فوقع من ذلك فى قلبه كبر لا يعلمه الا الله فلما كان عند السجود حين أمره أن يسجد لآدم استخرج الله كبره عند السجود فلعنه وأخره الى يوم الدين قال قال ابن عباس وقوله كان من الجن انما سمى بالجنان أنه كان خازنا عليها كما يقال للرجل مكى ومدنى وكوفى وبصرى قاله ابن جريج * وقال آخرون هم سبط من الملائكة قبيلة وكان اسم قبيلته الجن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن صالح مولى التوأمة وشريك بن أبى نمر أحدهما أو كلاهما عن ابن عباس قال ان من الملائكة قبيلة من الجن وكان ابليس منها وكان يسوس ما بين السماء والأرض فعصى فمسخه الله عليه فسخه شيطانا رجيما لعنه الله ممسوخا قال واذا كانت خطيئة الرجل فى كبر فلا ترجه واذا كانت خطيئته فى معصية فارجه وكانت خطيئة آدم فى معصية وخطيئة ابليس فى كبر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن قبيل من الملائكة يقال لهم الجن وقال ابن عباس لو لم يكن من الملائكة لم يؤمر بالسجود وكان على خزانة السماء الدنيا قال وكان قتادة يقول جن عن طاعة ربه وكان الحسن يقول ألجأه الله الى نسبه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا

سليمن آتيته أكثر مما آتيتك فلم يشغله ذلك عن عبادتى اذهب فلا عذر لك فيؤمر به الى النار ثم انه سبحانه عاد على أرباب الخيلاء من قريش فذكر قصة آدم واستكبار ابليس عليه قال جار الله قوله كان من الجن كلام مستأنف جار مجرى التعليل بعد استثناء ابليس من الساجدين كأن قائلا قال ما باله لم يسجد فقيل (كان من الجن ففسق) والفاء للتسبيب أى كونه من الجن سبب فى فسقه ولو كان ملكا لم يفسق لثبوت عصمة الملائكة وقال آخرون اشتقاق الجن من الاستتار عن العيون فيشمل

عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله الا ابليس كان من الجن قال كان من قبيلة من الملائكة يقال لهم الجن حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبى عدى عن عوف عن الحسن قال ما كان ابليس من الملائكة طرفة عين قط وانه لأصل الجن كما أن آدم عليه السلام أصل الانس حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول كان ابليس على السماء الدنيا وعلى الارض وخازن الجنان حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فسجدوا الا ابليس كان من الجن كان ابن عباس يقول ان ابليس كان من أشراف الملائكة وأكرمهم قبيلة وكان خازنا على الجنان وكان له سلطان السماء الدنيا وسلطان الارض وكان مما سولت له نفسه من قضاء الله أنه رأى أن له شرفا على أهل السماء فوقع من ذلك فى قلبه كبر لا يعلمه الا الله فاستخرج الله ذلك الكبر منه حين أمره بالسجود لآدم فاستكبر وكان من الكافرين فذلك قوله للملائكة انى أعلم غيب السموات والارض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون يعنى ما أسر ابليس فى نفسه من الكبر وقوله كان من الجن كان ابن عباس يقول قال الله كان من الجن لانه كان خازنا على الجنان كما يقال للرجل المكى ومدنى وبصرى وكوفى * وقال آخرون كان اسم قبيلة ابليس الجن وهم سبط من الملائكة يقال لهم الجن فلذلك قال الله عز وجل كان من الجن فنسبه الى قبيلته حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد فى قوله كان من الجن قال من الجنانين الذين يعملون فى الجنان حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا أبو سعيد المحمدى اسمعيل بن ابراهيم قال ثنى سوار بن الجعد المحمدى عن شهر بن حوشب قوله من الجن قال كان ابليس من الجن الذين طردتهم الملائكة فأسره بعض الملائكة فذهب به الى السماء حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه قال كان خازن الجنان فسمى بالجنان حدثنى نصر بن عبد الرحمن الأودى قال ثنا أحمد بن بشير عن سفيان بن أبى المقدام عن سعيد بن جبير قال كان ابليس من خزنة الجنة وقد بينا القول فى ذلك فيما مضى من كتابنا هذا وذكرنا اختلاف المختلفين فيه فأغنى ذلك عن اعادته فى هذا الموضع وقوله ففسق عن أمر ربه يقول فخرج عن أمر ربه وعصاه عنه ومال كما قال رؤبة

يهوين فى نجد وغورا غائرا * فواسقا عن قصدها جوائرا

يعنى بالفواسق الابل المتعدلة عن قصد نجد وكذلك الفسق فى الدين انما هو الانعدال عن القصد والميل عن الاستقامة ويحكى عن العرب سماعا فسقت الرطبة من قشرها اذا خرجت منه وفسقت الفأرة اذا خرجت من جحرها وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول انما قيل ففسق عن أمر ربه لانه مراد به ففسق عن رده أمر الله كما تقول العرب اتخمت عن الطعام بمعنى اتخمت لما أكلته وقد بينا القول فى ذلك وأن معناه عدل وجار عن أمر الله وخرج عنه وقد زعم بعض أهل العلم بكلام العرب معنى الفسق الاتساع وزعم أن العرب تقول فسق فى النفقة بمعنى اتسع فيها قال وانما سمى الفاسق فاسقا لاتساعه فى محارم الله * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى ح وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تعالى ففسق عن أمر ربه قال فى السجود لآدم حدثنا القاسم قال

الحسين

الملائكة والنوع المسمى بالجن ثم من لم يوجب عصمة الملك فظاهر ومن أوجب قال كان بعضى صار أى مسخ عن حقيقة الملائكة الى حقيقة الجن وقد سلف هذا البحث بتمامه فى أول سورة البقرة ومعنى فسق عن أمر ربه خرج عن طاعته وحكى الزجاج عن الخليل وسيبويه أنه لما أمر فعصى كان سبب فسقه هو ذلك الأمر ولولا ذلك الأمر الشاق لما حصل ذلك الفسق فلهذا حسن أن يقال فسق عن أمر ربه وقال قطرب هو على حذف المضاف أى فسق عن ترك أمره ثم عجب من حال من أطاع ابليس فى الكفر

الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فى قوله ففسق عن أمر ربه قال عصى فى السجود لآدم وقوله أفتتخذونه وذرّيته أولياء من دونى وهم لكم عدو يقول تعالى ذكره أفتوالون يابنى آدم من استكبر على أبيكم وحسده وكفر نعمتى عليه وغره حتى أخرجه من الجنة ونعيم عيشه فيها الى الارض وضيق العيش فيها وتطيعونه وذرّيته من دون الله مع عداوته لكم قديما وحديثا وتتركون طاعة ربكم الذى أنعم عليكم وأكرمكم بأن أسجد لوالدكم ملائكته وأسكنه جنانه وآتاكم من فواضل نعمه مالا يحصى عدده وذرّية ابليس الشياطين الذين يغرّون بنى آدم كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد أفتتخذونه وذرّيته أولياء من دونى قال ذريته هم الشياطين وكان يعدّهم زلنبور صاحب الاسواق ويضع رايته فى كل سوق ما بين السماء والارض وثبر صاحب المصائب والأعور صاحب الزنا ومسوط صاحب الأخبار يأتى بها فيلقيها فى أفواه الناس ولا يجدون لها أصلا وداسم الذى اذا دخل الرجل بيته ولم يسلم ولم يذكر الله بصره من المتاع مالم يرفع واذا أكل ولم يذكر اسم الله أكل معه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال ثنا حفص بن غياث قال سمعت الأعمش يقول اذا دخلت البيت ولم أسلم رأيت مطهرة فقلت ارفعوا ارفعوا خاصمتهم ثم أذكر فأقول داسم داسم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى أبو معاوية عن الأعمش عن مجاهد قال هم أربعة ثبر وداسم وزلنبور والأعور ومسوط أحدها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أفتتخذونه وذرّيته أولياء من دونى الآية وهم يتوالدون كما تتوالد بنو آدم وهم لكم عدو حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو وهو أبو الجن كما آدم أبو الانس وقال قال الله لابليس انى لا أذر لآدم ذرية الا ذرأت لك مثلها فليس من ولد آدم أحد الا له شيطان قد قرن به وقوله بئس للظالمين بدلا يقول عز ذكره بئس البدل للكافرين بالله اتخاذا بليس وذرّيته أولياء من دون الله وهم لكم عدو من تركهم اتخاذ الله وليا باتباعهم أمره ونهيه وهو المنعم عليهم وعلى أبيهم آدم من قبلهم المتفضل عليهم من الفواضل مالا يحصى بدلا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة بئس للظالمين بدلا بئسما استبدلوا بعبادة ربهم اذ أطاعوا ابليس ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا﴾ يقول عز ذكره ما أشهدت ابليس وذريته خلق السموات والأرض يقول ما أحضرتهم ذلك فأستعين بهم على خلقها ولا خلق أنفسهم يقول ولا أشهدت بعضهم أيضا خلق بعض منهم فأستعين به على خلقه بل تفردت بخلق جميع ذلك بغير معين ولا ظهير يقول فكيف اتخذوا عدوهم أولياء من دونى وهم خلق من خلقى أمثالهم وتركوا عبادتى وأنا المنعم عليهم وعلى أسلافهم وخالقهم وخالق من يوالونه من دونى منفردا بذلك من غير معين ولا ظهير وقوله وما كنت متخذ المضلين عضدا يقول وما كنت متخذ من لا يهدى الى الحق ولكنه يضل فمن تبعه يجور به عن قصد السبيل أعوانا وأنصارا وهو من قولهم فلان يعضد فلانا اذا كان يقويه ويعينه * وبنحو ذلك قال بعض أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما كنت متخذ المضلين عضدا أى أعوانا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله وانما يعنى بذلك أن ابليس وذريته يضلون بنى آدم عن الحق ولا يهدونهم للرشد وقد يحتمل أن يكون عنى بالمضلين الذين هم أتباع على الضلالة وأصحاب على غير هدى

والمعاصى وخالف أمر الله فقال (أفتتخذونه) كأنه قيل أعقيب ما وجد منه من الاباء والفسق تتخذونه (وذرّيته أولياء من دونى) وتستبدلونهم بى وقصة آدم وابليس سمعها قريش من أهل الكتاب وعرفوا صحتها فلذلك صح الاحتجاج بها عليهم وان لم يعتقدوا كون محمد صلى الله عليه وسلم نبيا (بئس للظالمين بدلا) أى بئس البدل من الله ابليس لمن استبدل به فأطاعه بدل طاعته قال الجبائى فى الآية دلالة على أنه لا يريد الكفر ولا يخلقه فى العبد والا لم يصح هذا الذم والتوبيخ وعورض بالعلم والداعى كما

﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ويوم يقول نادوا شركائى الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا ﴾ يقول عز ذكره ويوم يقول الله عز ذكره للمشركين به الآلهة والانداد نادوا شركائى الذين زعمتم يقول لهم ادعوا الذين كنتم تزعمون أنهم شركائى فى العبادة لينصروكم ويمنعوكم منى فدعوهم فلم يستجيبوا لهم يقول واستغاثوا بهم فلم يغيثوهم وجعلنا بينهم موبقا فاختلف أهل التأويل فى معنى ذلك فقال بعضهم معناه وجعلنا بين هؤلاء المشركين وما كانوا يدعون من دون الله شركاء فى الدنيا يومئذ عداوة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عبدالله بن بزيع قال ثنا بشر بن المفضل عن عوف عن الحسن فى قول الله وجعلنا بينهم موبقا قال جعل بينهم عداوة يوم القيامة حدثنا ابن بشار قال ثنا عثمان بن عمر عن عوف عن الحسن وجعلنا بينهم موبقا قال عداوة * وقال آخرون معناه وجعلنا فعلهم ذلك لهم مهلكا ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبدالله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وجعلنا بينهم موبقا قال مهلكا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبدالرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله موبقا قال هلاكا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وجعلنا بينهم موبقا قال الموبق المهلك الذى أهلك بعضهم بعضا فيه أو بقى بعضهم بعضا وقرأ وجعلنا لمهلكهم موعدا حدثت عن محمد بن يزيد عن جويبر عن الضحاك موبقا قال هلاكا حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن عرفجة فى قوله وجعلنا بينهم موبقا قال مهلكا * وقال آخرون هو اسم واد فى جهنم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبى عدى عن سعيد عن قتادة عن أبى أيوب عن عمرو البكالى وجعلنا بينهم موبقا قال واد عميق فصل به بين أهل الضلالة وأهل الهدى وأهل الجنة وأهل النار حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وجعلنا بينهم موبقا ذكر لنا أن عمرا البكالى حدث عن عبدالله بن عمرو قال هو واد عميق فرق به يوم القيامة بين أهل الهدى وأهل الضلالة حدثنا أبو كريب قال ثنا عمر بن عبيد عن الحجاج بن أرطاة قال قال مجاهد وجعلنا بينهم موبقا قال واد فى النار حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى ح وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وجعلنا بينهم موبقا قال واد فى جهنم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنى محمد ابن سنان القزاز قال ثنا عبدالصمد قال ثنا يزيد بن درهم قال سمعت أنس بن مالك يقول فى قول الله عز وجل وجعلنا بينهم موبقا قال واد فى جهنم من قيح ودم * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب القول الذى ذكرناه عن ابن عباس ومن وافقه فى تأويل الموبق أنه المهلك وذلك أن العرب تقول فى كلامها قد أوبقت فلانا اذا أهلكته ومنه قول الله عز وجل أو يوبقهن بما كسبوا بمعنى يهلكهن ويقال للمهلك نفسه قد وبق فلان فهو يوبق و بقا ولغة بنى عامر يابق بغير همز وحكى عن تميم أنها تقول يبق وقد حكى وبق يبق و بوقا حكاها الكسائى وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يقول الموبق الموعد ويستشهد لقيله ذلك بقول الشاعر

وحادشرورى فالستار فلم يدع * تعارا له فى الواديين بموبق

ويتأوله بموعد وجائز أن يكون ذلك المهلك الذى جعل الله جل ثناؤه بين هؤلاء المشركين هو الوادى الذى ذكر عن عبدالله بن عمرو وجائز أن يكون العداوة التى قالها الحسن وقوله ورأى

مرمرارا قال أهل التحقيق ان الداعى لكفار قريش الى ترك دين محمد صلى الله عليه وسلم هو النخوة والعجب والترفع والتكبر وهذا شأن ابليس ومن تابعه فكل من كان غرضه من العلم أو العمل الفخر على الأقران والترفع على ابناء الزمان فانه مقتد بابليس وذريته وهذا مقام صعب نسأل الله الخلاص منه ثم دل على فساد عقيدة أهل الشرك وبطلان طريقتهم بقوله (ما أشهدتهم) فالأكثرون على أن الضمير للشركاء والمراد أنهم لو كانوا شركاء لى فى خلق السموات والارض وفى خلق

المجرمون

المجرمون النار يقول وعاين المشركون النار يومئذ فظنوا أنهم مواقعوها يقول فعلموا أنهم داخلوها كما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله فظنوا أنهم مواقعوها قال علموا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى عمرو بن الحرث عن دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الكافر يرى جهنم فيظن أنها مواقعته من مسيرة أربعين سنة وقوله ولم يجدوا عنها مصرفا يقول ولم يجدوا عن النار التى رأوا معدلا يعدلون عنها اليه يقول لم يجدوا من مواقعتها بدا الأن الله قد حتم عليهم ذلك ومن المصرف بمعنى المعدل قول أبى كبير الهذلى

أزهير هل عن شيبة من مصرف ٭ أم لا خلود لباذل متكلف

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولقد صرفنا فى هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الانسان أكثر شئ جدلا﴾ يقول عز ذكره ولقد مثلنا فى هذا القرآن للناس من كل مثل ووعظناهم فيه من كل عظة واحتججنا عليهم فيه بكل حجة ليتذكروا فينيبوا ويعتبروا فيتعظوا وينزجروا عما هم عليه مقيمون من الشرك بالله وعبادة الأوثان وكان الانسان أكثر شئ جدلا يقول وكان الانسان أكثر شئ مراء وخصومة لا ينيب لحق ولا ينزجر لموعظة كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وكان الانسان أكثر شئ جدلا قال الجدل الخصومة خصومة القوم لانبيائهم وردهم عليهم ما جاؤا به وقرأ ان هذا الا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون وقرأ يريد أن يتفضل عليكم وقرأ حتى توفى الآية ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس الآية وقرأ ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون قال هم ليس أنت لقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم الا أن تأتيهم سنة الاولين أو يأتيهم العذاب قبلا﴾ يقول عز ذكره وما منع هؤلاء المشركين يا محمد الايمان بالله اذ جاءهم الهدى بيان الله وعلموا صحة ما تدعوهم اليه وحقيقته والاستغفار مما هم عليه مقيمون من شركهم الا مجيئهم سنتنا فى أمثالهم من الأمم المكذبة رسلها قبلهم أو اتيانهم العذاب قبلا واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معناه أو يأتيهم العذاب فجأة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله أو يأتيهم العذاب قبلا قال فجأة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله ٭ وقال آخرون معناه أو يأتيهم العذاب عيانا ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أو يأتيهم العذاب قبلا قال قبلا معاينة ذلك القبل وقد اختلف القراء فى قراءة ذلك فقرأته جماعة ذات عدد أو يأتيهم العذاب قبلا بضم القاف والباء بمعنى أنه يأتيهم من العذاب ألوان وضروب ووجهوا القبل الى جمع قبيل كما يجمع القتيل القتل والجديد الجدد وقرأته جماعة أخرى أو يأتيهم العذاب قبلا بكسر القاف وفتح الباء بمعنى أو يأتيهم العذاب عيانا من قولهم كلمته قبلا وقد بينت القول فى ذلك فى سورة الانعام بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا آياتى وما أنذروا هزوا﴾ يقول عز ذكره وما نرسل رسلنا الا ليبشروا أهل الايمان والتصديق بالله بجزيل ثوابه فى الآخرة ولينذروا أهل الكفر به والتكذيب عظيم عقابه وأليم عذابه فينتهوا عن

أنفسهم يعنى لو كان بعضهم شاهدين خلق بعض مشاركين لى فيه كقوله ولا تقتلوا أنفسكم لأمكن أن يكونوا شركاء لى فى العبادة لكن الملزوم المساوى منتف فاللازم مثله يؤيد هذا التفسير قوله (وما كنت متخذ المضلين) أى متخذهم (عضدا) أعوانا فوضع المضلين موضع الضمير نعيا عليهم بالاضلال وقيل الضمير للمشركين الذين التمسوا طرد فقراء المؤمنين والمراد أنهم ما كانوا شركائى فى تدبير العالم بدليل أنى ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم وما اعتضدت بهم فى تدبير الدنيا والآخرة

الشرك بالله وينزجروا عن الكفر به ومعاصيه ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق يقول ويخاصم الذين كذبوا بالله ورسوله بالباطل وذلك كقولهم للنبي صلى الله عليه وسلم أخبرنا عن حديث فتية ذهبوا في أول الدهر لم يدر ما شأنهم وعن الرجل الذي بلغ مشارق الأرض ومغاربها وعن الروح وما أشبه ذلك مما كانوا يخاصمونه به يبتغون اسقاطه تعنيتا له صلى الله عليه وسلم فقال الله لهم انا لسنا نبعث اليكم رسلنا للجدال والخصومات وانما نبعثهم مبشرين أهل الايمان بالجنة ومنذرين أهل الكفر بالنار وأنتم تجادلونهم بالباطل طلبا منكم بذلك أن تبطلوا الحق الذي جاءكم به رسولي وعنى بقوله ليدحضوا به الحق ليبطلوا به الحق ويزيلوه ويذهبوا به يقال منه دحض الشئ اذا زال وذهب ويقال هذا مكان دحض أي مزل مزلق لا يثبت فيه خف ولا حافر ولا قدم ومنه قول الشاعر

رديت ونجى البشكري حذاره * وحاد كما حاد البعير عن الدحض

ويروى ونجى وأدحضته أنا اذا أذهبته وأبطلته وقوله واتخذوا آياتي وما أنذروا هزوا يقول واتخذوا الكافرون بالله حججه التي احتج بها عليهم وكتابه الذي أنزله اليهم والنذر التي أنذرهم بها مخربا يسخرون بها يقولون ان هذا الا أساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا ولو شئنا لقلنا مثل هذا ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسي ما قدمت يداه انا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا أبدا ﴾ يقول عز ذكره وأي الناس أوضع للاعراض والصدف في غير موضعهما ممن ذكره بآياته وحججه فدله بها على سبيل الرشاد وهداه بها الى طريق النجاة فأعرض عن آياته وأدلته التي في استدلاله بها الوصول الى الخلاص من الهلاك ونسي ما قدمت يداه يقول ونسي ما أسلف من الذنوب المهلكة فلم يتب منها ولم ينب كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ونسي ما قدمت يداه أي نسي ما سلف من الذنوب وقوله انا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا يقول تعالى ذكره انا جعلنا على قلوب هؤلاء الذين يعرضون عن آيات الله اذا ذكروا بها أغطية لئلا يفقهوه لان المعنى أن يفقهوا ما ذكروا به وقوله وفي آذانهم وقرا يقول في آذانهم ثقلا لئلا يسمعوه وان تدعهم الى الهدى يقول عز ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان تدع يا محمد هؤلاء المعرضين عن آيات الله عند التذكير بها الى الاستقامة على محجة الحق والايمان بالله وما جئتهم به من عند ربك فلن يهتدوا اذا أبدا يقول فلن يستقيموا اذا أبدا على الحق ولن يؤمنوا بما دعوتهم اليه لان الله قد طبع على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وربك الساتر يا محمد على ذنوب عباده بعفوه عنهم اذا تابوا منها ذو الرحمة بهم لو يؤاخذهم بما كسبوا هؤلاء المعرضين عن آياته اذا ذكروا بها بما كسبوا من الذنوب والآثام لعجل لهم العذاب ولكنه لرحمته بخلقه غير فاعل ذلك بهم الى ميقاتهم وآجالهم بل لهم موعد يقول لكن لهم موعد وذلك ميقات محل عذابهم وهو يوم بدر لن يجدوا من دونه موئلا يقول تعالى ذكره لن يجد هؤلاء المشركون وان لم يعجل لهم العذاب في الدنيا من دون الموعد الذي جعلته ميقاتا لعذابهم ملجأ يلجؤن اليه وملجى ينجون منه يعني أنهم لا يجدون معقلا يعتقلون به من عذاب الله يقال منه وألت من كذا الى كذا أئل ووئلا ومثل وعولا ومنه قول الشاعر

لا وألت نفسك خليتها * للعامريين ولم تكلم

بل هم قوم كسائر الخلق نظيره أن من اقترح عليك اقتراحات عظيمة فانك تقول له لست سلطان البلد ولا مدبر المملكة حتى تقبل منك كل اقتراحاتك وقيل أراد أن هؤلاء الظالمين جاهلون بما جرى به القلم في الازل من أحوال السعادة وضدها لأنهم لم يكونوا شاهدين خلق العالم فكيف يمكنهم أن يحكموا بحسن حالهم عند الله وبشرفهم ورفعتهم عند الخلق وباضداد هذه الاحوال للفقراء ومن قرأ وما كنت بفتح التاء فالخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى وما صح لك الاعتضاد

بهم وما ينبغي لك أن تغتر بهم ثم عاد الى توبيخهم بأحوال يوم القيامة وأضاف الشركاء الى نفسه على معتقدهم توبيخا لهم وقوى الكلام اذكر يا محمد أحوالهم وأحوال آلهتهم يوم القيامة اذ (يقول) الله لهم (نادوا) أي ادعوا من زعمتم أنهم (شركائي) فأهلتموهم للعبادة قال المفسرون أرادا لحن (فدعوهم) لم يذكر في هذه الآية أنهم كيف دعوا تلك الشركاء ولعل المراد بما في الآية الاخرى انا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا (فلم يستجيبوا لهم) ولم يدفعوا عنهم ضررا (وجعلنا بينهم موبقا)

يقول لا نجت وقول الاعشى

وقد أخالس رب البيت غفلته * وقد يحاذر مني ثم ما يئل

* وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى ح وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله موئلا قال محرزا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله لن يجدوا من دونه موئلا يقول ملجأ حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لن يجدوا من دونه موئلا أي لن يجدوا وليا ولا ملجأ حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لن يجدوا من دونه موئلا قال ليس من دونه ملجأ يئلون اليه ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا ﴾ يقول تعالى ذكره وتلك القرى من عاد وثمود وأصحاب الايكة أهلكنا أهلها لما ظلموا فكفروا بالله وآياته وجعلنا لمهلكهم موعدا يعني ميقاتا وأجلا حين بلغوه جاءهم عذاب فأهلكناهم به يقول فكذلك جعلنا لهؤلاء المشركين من قومك يا محمد الذين لا يؤمنون بك أبدا موعدا اذا جاءهم ذلك الموعد أهلكناهم سنتنا في الذين خلوا من قبلهم من ضربائهم كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى ح وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله لمهلكهم موعدا قال أجلا حدثنا القاسم قال ثني الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله واختلفت القراء في قراءة قوله لمهلكهم فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والعراق لمهلكهم بضم الميم وفتح اللام على توجيه ذلك الى أنه مصدر من أهلكوا اهلا كا وقرأه عاصم لمهلكهم بفتح الميم واللام على توجيهه الى المصدر من هلكوا هلا كا ومهلكا * وأولى القراءتين بالصواب عندي في ذلك قراءة من قرأه لمهلكهم بضم الميم وفتح اللام لاجماع الحجة من القراء عليه واستدلالا بقوله وتلك القرى أهلكناهم فأن يكون المصدر من أهلكنا اذ كان قد تقدم قبله أولى وقيل أهلكناهم وقد قال قبل وتلك القرى لان الهلاك انما حل بأهل القرى فعاد الى المعنى وأجرى الكلام عليه دون اللفظ وقال بعض نحويي البصرة قال وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا يعني أهلها كما قال واسئل القرية ولم يجئ بلفظ القرى ولكن أجرى اللفظ على القوم وأجرى اللفظ في القرية عليها الى قوله التي كنا فيها وقال أهلكناهم ولم يقل أهلكناها حمله على القوم كما قال جاءت تميم وجعل الفعل لبني تميم ولم يجعله لتميم ولو فعل ذلك لقال جاء تميم وهذا لا يحسن في نحو هذا لانه قد أراد غير تميم في نحو هذا الموضع فجعله اسما ولم يحتمل اذا اعتل أن يحذف ما قبله كله معنى التاء من جاءت مع بني تميم وترك الفعل على ما كان ليعلم أنه قد حذف شيأ قبل تميم وقال بعضهم انما جاز أن يقال تلك القرى أهلكناهم لان القرية قامت مقام الاهل فجاز أن ترد على الاهل مرة وعليها مرة ولا يجوز ذلك في تميم لان القبيلة تعرف به وليس تميم هو القبيلة وانما عرفت القبيلة به ولو كانت القبيلة قد سميت بالرجل لجرت عليه كما تقول وقعت في هود تريد في سورة هود وليس هود اسما للسورة وانما عرفت السورة به فلو سميت السورة بهود لم يجر فقلت وقعت في هود يا هذا فلم يجر وكذلك لو سمي بني تميم تميما لقيل هذه تميم قد أقبلت فتأويل الكلام وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لاهلاكهم موعدا ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ واذ قال موسى لفتاه

لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبا ﴾ يقول عز ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم واذكر يا محمد اذ قال موسى بن عمران لفتاه وشمع لا أبرح يقول لا أزال أسير حتى أبلغ مجمع البحرين كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله لا أبرح قال لا أنتهى وقيل عنى بقوله مجمع البحرين اجتماع بحر فارس والروم والمجمع مصدر من قولهم جمع يجمع ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله حتى أبلغ مجمع البحرين والبحران بحر فارس وبحر الروم وبحر الروم مما يلى المغرب وبحر فارس مما يلى المشرق حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله مجمع البحرين قال بحر فارس وبحر الروم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مجمع البحرين قال بحر الروم وبحر فارس أحدهما قبل المشرق والآخر قبل المغرب حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال مجمع البحرين (١) حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن الضريس قال ثنا أبو معشر عن محمد بن كعب فى قوله لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين قال طنجة وقوله أو أمضى حقبا يقول أو أسير زمانا ودهرا وهو واحد ويجمع كثيره وقليله أحقاب وقد تقول العرب كنت عنده حقبة من الدهر ويجمعونها حقبا وكان بعض أهل العربية يوجه تأويل قوله لا أبرح أى لا أزول ويستشهد لقوله ذلك ببيت الفرزدق

فما برحوا حتى تهادت نساؤهم * ببطحاء ذى قار عياب اللطائم

يقول ما زالوا وذكر بعض أهل العلم بكلام العرب أن الحقب فى لغة قيس سنة فأما أهل التأويل فانهم يقولون فى ذلك ما أنا ذاكره وهو أنهم اختلفوا فيه فقال بعضهم هو ثمانون سنة ذكر من قال ذلك حدثت عن هشيم قال ثنا أبو بلج عن عمرو بن ميمون عن عبد الله بن عمرو قال الحقب ثمانون سنة * وقال آخرون هو سبعون سنة ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد أو أمضى حقبا قال سبعين خريفا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله * وقال آخرون فى ذلك بنحو الذى قلنا ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله أو أمضى حقبا قال دهرا حدثنا أحمد بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله حقبا قال الحقب زمان حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أو أمضى حقبا قال الحقب الزمان ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله فى البحر سربا ﴾ يعنى تعالى ذكره فلما بلغ موسى وفتاه مجمع البحرين كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله مجمع بينهما قال بين البحرين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقوله نسيا حوتهما يعنى بقوله نسيا تركا كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نسيا حوتهما قال أضلاه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج

عن

عن الحسن موبقا عداوة والمعنى عداوة هى فى شدتها الهلاك كقولهم لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا وقال الفراء البين الوصل والمراد جعلنا تواصلهم فى الدنيا هلاكا يوم القيامة وفى الكشاف الموبق المهلك وهو مصدر كالمورد أى جعلنا بينهم واديا من أودية جهنم مشتركا هو مكان الهلاك والعذاب الشديد يهلكون فيه جميعا وجوز أن يريد بالشركاء الملائكة وعزيرا وعيسى ومريم وبالموبق البرزخ أى وجعلنا بينهم أمدا بعيدا يهلك فيه السائرون لفرط بعده لانهم فى قعر جهنم وهم فى أعلى الجنان قوله (فظنوا) قيل

(١) بياض بالأصل وفى الدر عن ابن عباس تفسير مجمع البحرين بملتقى البحرين فتأمل كتبه مصححه

عن مجاهد قال أضلاه * قال بعض أهل العربية ان الحوت كان مع يوشع وهو الذى نسيه فأضيف النسيان اليهما كما قال يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح دون العذب وانما جاز عندى أن يقال نسيا لأنهما كانا جميعا تزوداه لسفرهما فكان حمل أحدهما ذلك مضافا الى أنه حمل منهما كما يقال خرج القوم من موضع كذا وحملوا معهم كذا من الزاد وانما حمله أحدهم ولكنه لما كان ذلك عن رأيهم وأمرهم أضيف ذلك الى جميعهم فكذلك اذا نسيه حامله فى موضع قيل نسى القوم زادهم فأضيف ذلك الى الجميع بنسيان حامله ذلك فيجرى الكلام على الجميع والفعل من واحد فكذلك ذلك فى قوله نسيا حوتهما لأن الله عز ذكره خاطب العرب بلغتها وما يتعارفونه بينهم من الكلام وأما قوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان فان القول فى ذلك عندنا بخلاف ما قال فيه وسنبينه ان شاء الله تعالى اذا انتهينا اليه وأما قوله فاتخذ سبيله فى البحر سربا فانه يعنى أن الحوت اتخذ طريقه الذى سلكه فى البحر سربا كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فاتخذ سبيله فى البحر سربا قال الحوت اتخذ ويعنى بالسرب المسلك والمذهب يسرب فيه يذهب فيه ويسلكه ثم اختلف أهل العلم فى صفة اتخاذه سبيله فى البحر سربا فقال بعضهم صار طريقه الذى يسلك فيه كالجحر ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله سربا قال أثره كأنه جحر حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى محمد بن اسحق عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس عن أبى بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذكر حديث ذلك ما انجاب ماء منذ كان الناس (١) غير ثبت مكان الحوت الذى فيه فانجاب كالكوة حتى رجع اليه موسى فرأى مسلكه فقال ذلك ما كنا نبغى حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عطية قال ثنا عمرو بن ثابت عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله فاتخذ سبيله فى البحر سربا قال جاء فرأى أثر جناحيه فى الطين حين وقع فى الماء قال ابن عباس فاتخذ سبيله فى البحر سربا وحلق بيده * وقال آخرون بل صار طريقه فى البحر ماء جامدا ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال سرب من الجحر حتى أفضى الى البحر ثم سلك فجعل لا يسلك فيه طريقا الا صار ماء جامدا * وقال آخرون بل صار طريقه فى البحر جحرا ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال جعل الحوت لا يمس شيأ من البحر الا يبس حتى يكون صخرة * وقال آخرون بل انما اتخذ سبيله سربا فى البر الى الماء حتى وصل اليه لا فى البحر ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فاتخذ سبيله فى البحر سربا قال قال حشر الحوت فى البطحاء بعد موته حين أحياه الله قال ابن زيد وأخبرنى أبو شجاع انه رآه قال أتيت به فاذا هو شقة حوت وعين واحدة وشق آخر ليس فيه شئ * والصواب من القول فى ذلك أن يقال كما قال الله عز وجل واتخذ الحوت طريقه فى البحر سربا وجائز أن يكون ذلك السرب كان بانجياب عن الارض وجائز أن يكون كان بجمود الماء وجائز أن يكون كان بتحوله حجرا وأصح الأقوال فيه ما روى الخبر به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى ذكرنا عن أبى عنه * القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا﴾ يقول تعالى ذكره فلما جاوز موسى وفتاه مجمع البحرين قال موسى لفتاه يوشع آتنا غداءنا يقول جئنا بغدائنا وأعطناه وقال آتنا غداءنا كما يقال أتى الغداء وآتيته مثل ذهب وأذهبته

علموا وأيقنوا والأقرب أن الكفار يرون النار من مكان بعيد فيغلب على ظنونهم أنهم مخالطوها واقعون فيها فى تلك الساعة من غير تأخير ولا مهلة لشدة ما يسمعون من تغيظها نظيره اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا (ولم يجدوا عنها مصرفا) أى معدلا الى غيرها لأن الملائكة يسوقونهم اليها آخر الامر ولما ذكر أن الكفرة افتخروا على فقراء المسلمين بكثرة أموالهم ومتصرفاتهم وأجاب عن شبههم وأقوالهم الفاسدة وضرب الامثال النافعة وحكى أهوال الآخرة قال (ولقد صرفنا)

(١) كذا فى الأصل والذى فى الدر هكذا غير بيت ماء كان الحوت دخل منه الخ وفى تفسير ابن كثير غير مسير مكان الحوت الخ كتبه مصححه

لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا يقول لقد لقينا من سفرنا هذا عناء وتعبا وقال ذلك موسى فيما ذكر بعد ما جاوز الصخرة حين ألقى عليه الجوع ليتذكر الحوت ويرجع الى موضع مطلبه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال أرأيت اذ أوينا الى الصخرة فانى نسيت الحوت وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله فى البحر عجبا﴾ يقول تعالى ذكره قال فتى موسى لموسى حين قال له آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا أرأيت اذ أوينا الى الصخرة فانى نسيت الحوت هنالك وما أنسانيه الا الشيطان يقول وما أنسانى الحوت الا الشيطان أن أذكره فأن فى موضع نصب ردا على الحوت لان معنى الكلام وما أنسانى أن أذكر الحوت الا الشيطان سبق الحوت الى الفعل وردّ عليه قوله أن أذكره وقد ذكرنا أن ذلك فى مصحف عبد الله وما أنسانيه أن أذكره الا الشيطان حدثنى بذلك بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة حدثنى العباس بن الوليد قال سمعت محمد بن معقل يحدث عن أبيه أن الصخرة التى أوى اليها موسى هى الصخرة التى دون نهر الذئب على الطريق واتخذ سبيله فى البحر عجبا يعجب منه كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله فى البحر عجبا قال موسى يعجب من أثر الحوت فى البحر ودورانه التى غاب فيها فوجد عندها خضرا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله واتخذ سبيله فى البحر عجبا فكان موسى لما اتخذ سبيله فى البحر عجبا يعجب من سرب الحوت حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واتخذ سبيله فى البحر عجبا قال عجب والله حوت كان يؤكل منه دهرا أى شئ أعجب من حوت كان دهرا من الدهور يؤكل منه ثم صار حيا حتى حشر فى البحر حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال جعل الحوت لا يمس شيأ من البحر الا يبس حتى يكون صخرة فجعل نبى الله صلى الله عليه وسلم يعجب من ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا الحسن بن عطية قال ثنا عمرو بن ثابت عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس واتخذ سبيله فى البحر عجبا قال يعنى كان سرب الحوت فى البحر لموسى عجبا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما﴾ يقول تعالى ذكره فقال موسى لفتاه ذلك يعنى بذلك نسيانك الحوت ما كنا نبغى يقول الذى كنا نلتمس ونطلب لأن موسى كان قيل له صاحبك الذى تريده حيث تنسى الحوت كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ذلك ما كنا نبغ قال موسى فذلك حين أخبرت أنى واجد خضرا حيث يفوتنى الحوت حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله الا أنه قال حيث يفارقنى الحوت وقوله فارتدا على آثارهما قصصا يقول فرجعا فى الطريق الذى كانا قطعاه ناكصين على أدبارهما يقصان آثارهما التى كانا سلكاها * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله قصصا قال اتبع موسى وفتاه أثر الحوت فشقا البحر راجعين حدثنا القاسم قال ثنا

الحسين

وقد مر تفسيره فى السورة المتقدمة وحين لم يترك الكفار جدالهم وكانوا أبدا يتعللون بالاعذار الواهية ختم الآية بقوله (وكان الانسان أكثر شئ جدلا) يعنى أن الاشياء التى يتأتى منها الجدل ان فصلتها واحدا بعد واحد فان الانسان أكثرها خصومة فقوله أكثر شئ كقوله أول مرة وقد مر فى الانعام وكثرة جدل الانسان لسعة مضطربه فيما بين أوج الملكية الى حضيض البهيمية فليس له فى جانبى التصاعد والتسافل مقام معلوم قال أهل البرهان قوله تعالى فى سورة بنى اسرائيل وما منع الناس أن يؤمنوا

الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله فارتدا على آثارهما قصصا قال اتباع موسى وفتاه أثر الحوت بشق البحر وموسى وفتاه راجعان وموسى يعجب من أثر الحوت فى البحر ودوراته التى غاب فيها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال رجعا عودهما على بدئهما فارتدا على آثارهما قصصا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى محمد بن اسحق عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس عن أبى بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا أى يقصان آثارهما حتى انتهيا الى مدخل الحوت وقوله فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا يقول فوجد موسى وفتاه عند الصخرة حين رجعا اليها عبدا من عباد نا ذكر أنه الخضر آتيناه رحمة من عندنا يقول وهبنا له رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما يقول وعلمناه من عندنا أيضا علما كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة من لدنا علما أى من عندنا علما وكان سبب سفر موسى صلى الله عليه وسلم وفتاه ولقائه هذا العالم الذى ذكره الله فى هذا الموضع فيما ذكر أن موسى سئل هل فى الأرض أحد أعلم منك فقال لا أوحدته نفسه بذلك فكره ذلك له فأراد الله تعريفه أن من عباده فى الارض من هو أعلم منه وأنه لم يكن له أن يحتم على ما لا علم له به ولكن كان ينبغى له أن يكل ذلك الى عالمه * وقال آخرون بل كان سبب ذلك أنه سأل الله جل ثناؤه أن يدله على عالم يزداد من علمه الى علم نفسه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن هرون بن عنترة عن أبيه عن ابن عباس قال سأل موسى ربه وقال رب أى عبادك أحب اليك قال الذى يذكرنى ولا ينسانى قال فأى عبادك أقضى قال الذى يقضى بالحق ولا يتبع الهوى قال أى رب أى عبادك أعلم قال الذى يبتغى علم الناس الى علم نفسه عسى أن يصيب كلمة تهديه الى هدى أو ترده عن ردى قال رب فهل فى الارض أحد ؟ قال نعم قال رب فمن هو قال الخضر قال وأين أطلبه قال على الساحل عند الصخرة التى ينفلت عندها الحوت قال فخرج موسى يطلبه حتى كان ماذكر الله وانتهى اليه موسى عند الصخرة فسلم كل واحد منهما على صاحبه فقال له موسى انى أريد أن تستصحبنى قال انك لن تطيق صحبتى قال بلى قال فان صحبتنى فلا تسألنى عن شئ حتى أحدث لك منه ذكرا فانطلقا حتى اذا ركبا فى السفينة خرقها قال أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيأ امرا قال ألم أقل انك لن تستطيع معى صبرا قال لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسرا فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيأ نكرا الى قوله لاتخذت عليه أجرا قال فكان قول موسى فى الجدار لنفسه ولطلب شئ من الدنيا وكان قوله فى السفينة وفى الغلام لله قال هذا فراق بينى وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا فأخبره بما قال أما السفينة وأما الغلام وأما الجدار قال فساربه فى البحر حتى انتهى الى مجمع البحور وليس فى الارض مكان أكثر ماء منه قال وبعث ربك الخطاف فجعل يستقى منه بمنقاره فقيل لموسى كم ترى هذا الخطاف رزأ من هذا الماء قال ما أقل ما رزأ قال يا موسى فان علمى وعلمك فى علم الله كقدر ما استقى هذا الخطاف من هذا الماء وكان موسى قد حدث نفسه أنه ليس أحد أعلم منه أو تكلم به فمن ثم أمر أن يأتى الخضر حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أبى اسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال خطب موسى بنى اسرائيل فقال ما أحد أعلم بالله وبأمره منى فأوحى الله اليه أن يأتى هذا الرجل حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة أنه قيل له ان آية لفيك اياه أن تنسى بعض متاعك فخرج هو وفتاه يوشع بن نون وتزودا حوتا مملوحا حتى اذا كانا حيث شاء الله ردا الله الى الحوت روحه فسرب فى البحر فاتخذ الحوت طريقه سربا فى البحر

اذ جاءهم الهدى وقال فى هذه السورة بزيادة ويستغفروا ربهم لان المعنى هنالك ما منعهم عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم الا قولهم أبعث الله بشرا رسولا هلا بعث ملكا وجهلوا أن التجانس يورث التوانس ومعناه فى هذا الموضع ما منعهم من الايمان والاستغفار الا الاتيان بسنة الاولين وانتظار ذلك وعن الزجاج الاطلب سنتهم وهو قولهم ان كان هذا هو الحق وزاد فى هذه السورة ويستغفروا ربهم لأن قوم نوح أمروا بالاستغفار استغفروا ربكم انه كان غفارا وكذا قوم هود ويا قوم

(١) أى اعلم فتنبه وحرر كتبه مصححه

فسرب فيه فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا حتى بلغ قوله واتخذ سبيله في البحر عجبا فكان موسى اتخذ سبيله في البحر عجبا فكان يعجب من سرب الحوت حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أبي اسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما اقتص موسى أثر الحوت انتهى الى رجل راقد قد سجى عليه ثوبه فسلم عليه موسى فكشف الرجل عن وجهه الثوب ورد عليه السلام وقال من أنت قال موسى قال صاحب بني اسرائيل قال نعم قال أوما كان لك في بني اسرائيل شغل قال بلى ولكني أمرت أن آتيك وأصحبك قال انك لن تستطيع معي صبرا كما قص الله حتى بلغ فلما ركبا في السفينة خرقها صاحب موسى قال أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيأ امرا يقول نكرا قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قال أقتلت نفسا زاكية بغير نفس حدثنا أبو كريب قال ثنا يحيى ابن آدم قال ثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس ان نوفا يزعم أن الخضر ليس بصاحب موسى فقال كذب عدو الله حدثنا أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان موسى قام في بني اسرائيل خطيبا فقيل أي الناس أعلم فقال أنا فعتب الله عليه حين لم يرد العلم اليه فقال بلى عبد لي عند مجمع البحرين فقال يا رب كيف به فقيل تأخذ حوتا فتجعله في مكتل ثم قال لفتاه اذا فقدت هذا الحوت فأخبرني فانطلقا يمشيان على ساحل البحر حتى أتيا صخرة فرقد موسى فاضطرب الحوت في المكتل فخرج فوقع في البحر فأمسك الله عنه جرية الماء فصار مثل الطاق فصارت للحوت سربا وكان لهما عجبا ثم انطلقا فلما كان حين الغد قال موسى لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال ولم يجد موسى النصب حتى جاوز حيث أمره الله قال فقال أرأيت اذ أوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا قال فقال ذلك ما كنا نبغي فارتدا على آثارهما قصصا قال يقصان آثارهما قال فأتيا الصخرة فاذا رجل نائم مسجى بثوبه فسلم عليه موسى فقال وأنى بأرضنا السلام فقال أنا موسى قال موسى بني اسرائيل قال نعم قال يا موسى اني على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه وأنت على علم من علم علمكه لا أعلمه قال فاني أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا فانطلقا يمشيان على الساحل فعرف الخضر فحمل بغير نول فجاء عصفور فوقع على حرفها فنقر أو نقرتين في الماء فقال الخضر لموسى ما نقص علمي وعلمك من علم الله الا مقدار ما نقر أو نقص هذا العصفور من البحر « أبو جعفر الطبري يشك وهو في كتابه نقر » قال فبينما هو اذ لم يفجأ موسى الا وهو يتدود أو ينزع تختا منها فقال له موسى حملنا بغير نول وتخرقها لتغرق أهلها لقد جئت شيأ امرا قال ألم أقل انك لن تستطيع معي صبرا قال لا تؤاخذني بما نسيت قال وكانت الاولى من موسى نسيانا قال ثم خرجا فانطلقا يمشيان فأبصر غلاما يلعب مع الغلمان فأخذ برأسه فقتله فقال له موسى أقتلت نفسا زاكية بغير نفس لقد جئت شيأ نكرا قال ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا قال فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فلم يجدا أحدا يطعمهم ولا يسقيهم فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه بيده قال مسحه بيده فقال له موسى لم يضيفونا ولم ينزلونا لو شئت لاتخذت عليه أجرا قال هذا فراق بيني وبينك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوددت أنه كان صبر حتى يقص علينا قصصهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا ابن اسحق عن الحسن بن عمارة عن الحكم بن عتيبة عن سعيد بن جبير قال جلست عند

ابن

استغفروا ربكم ثم توبوا اليه وقوم صالح واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربي قريب مجيب وقوم شعيب واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربي رحيم ودود فلما خوفهم سنة الاولين أجرى المخاطبين مجراهم والحاصل أنهم لا يقدمون على الايمان والاستغفار الا عند نزول عذاب الاستئصال أو عند تواصل أصناف البلاء عيانا ومن قرأ بضمتين أراد أنواعا جمع قبيل قالت المعتزلة في الآية دلالة على أنه لا مانع من الايمان أصلا وقالت الاشاعرة العلم بأنه لا يؤمن والداعي الذي يخلقه الله في الكافر يمنعانه

ابن عباس وعنده نفر من أهل الكتاب فقال بعضهم يا أبا العباس ان نوفا ابن امرأة كعب يزعم
عن كعب أن موسى النبي الذي طلب العالم انما هو موسى بن ميشا قال سعيد قال ابن عباس أنوف
يقول هذا قال سعيد فقلت له نعم أنا سمعت نوفا يقول ذلك قال أنت سمعته يا سعيد قال قلت نعم قال
كذب نوف ثم قال ابن عباس حدثني أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان موسى
هو نبي بني اسرائيل سأل ربه فقال أي رب ان كان في عبادك أحد هو أعلم مني فادلني عليه فقال له
نعم في عبادي من هو أعلم منك ثم نعت له مكانه وأذن له في لقيه فخرج موسى معه فتاه ومعه حوت
مليح وقد قيل له اذا حيي هذا الحوت في مكان فصاحبك هنالك وقد أدركت حاجتك فخرج
موسى ومعه فتاه ومعه ذلك الحوت يحملانه فسار حتى جهده السير وانتهى الى الصخرة وإلى ذلك الماء
وذلك الماء ماء الحياة من شرب منه خلد ولا يقاربه شيء ميت الا حيي فلما زلا ومس الحوت الماء حيي
فاتخذ سبيله في البحر سربا فانطلقا فلما جاوزا منقلبه قال موسى آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا
نصبا قال الفتى وذكر أرأيت اذ أوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت وما أنسانيه الا الشيطان أن
أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا قال ابن عباس فظهر موسى على الصخرة حين انتهيا اليها فاذا رجل
متلفف في كساء له فسلم موسى فرد عليه العالم ثم قال له وما جاء بك ان كان لك في قومك لشغل قال
له موسى جئتك لتعلمني مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معي صبرا وكان رجلا يعلم علم الغيب قد
علم ذلك فقال موسى بلى قال وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا أي انما تعرف ظاهرا مما ترى من العدل
ولم تحط من علم الغيب بما أعلم قال ستجدني ان شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا وان رأيت
ما يخالفني قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء وان أنكرته حتى أحدث لك منه ذكرا فانطلقا
يمشيان على ساحل البحر يتعرضان الناس يلتمسان من يحملهما حتى مرت بهما سفينة جديدة
وثيقة لم يمر بهما من السفن شيء أحسن ولا أجمل ولا أوثق منها فسألا أهلها أن يحملوهما فحملوهما
فلما ظهرا فيها ولجت بهما مع أهلها أخرج منقارا له ومطرقة ثم عمد الى ناحية منها فضرب فيها
بالمنقار حتى خرقها ثم أخذ لوحا فطبقه عليها ثم جلس عليها يرقعها قال له موسى ورأى أمرا فظيعا به
أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا قال ألم أقل انك لن تستطيع معي صبرا قال لا تؤاخذني
بما نسيت أي ما تركت من عهدك ولا ترهقني من أمري عسرا ثم خرجا من السفينة فانطلقا حتى
اذا أتيا أهل قرية واذا غلمان يلعبون خلفها فهم غلام ليس في الغلمان أظرف منه ولا أنزى ولا أوضأ
منه فأخذه بيده وأخذ حجرا قال فضرب به رأسه حتى دمغه فقتله قال فرأى موسى أمرا فظيعا
لا صبر عليه صبي صغير لا ذنب له قال أقتلت نفسا زاكية بغير نفس أي صغيرة بغير نفس لقد جئت
شيئا نكرا قال ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد
بلغت من لدني عذرا أي قد أعذرت في شأني فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا
أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فهدمه ثم قعد يبنيه فخجر موسى مما رآه يصنع
من التكليف لما ليس عليه صبر فقال لو شئت لاتخذت عليه أجرا أي قد استطعمناهم فلم يطعمونا
وضفناهم فلم يضيفونا ثم قعدت في غير صنيعة ولو شئت لأعطيت عليه أجرا في عمله قال هذا فراق بيني
وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت
أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا وفي قراءة أبي بن كعب كل سفينة صالحة وانما
عبتها لأرده عنها فسلمت حين رأى العيب الذي صنعت بها وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا
أن يرهقهما طغيانا وكفرا فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما وأما الجدار فكان

فالمراد فقدان الموانع المحسوسة ثم
بين أنه انما أرسل الرسل مبشرين
بالثواب على الطاعة ومنذرين
بالعقاب على المعصية لكي يؤمنوا
طوعا وبين أن مع هذه الاحوال
(يجادل الذين كفروا بالباطل
ليدحضوا) ويزيلوا ويبطلوا (به
الحق) من ادحاض القدم وهو
ازلاقها (واتخذوا آياتي وما
أنذروا) أي الذي أنذروا من
العقاب أو انذارهم (هزوا) موضع
استهزاء قال جار الله جدالهم قولهم
للرسل ما أنتم الا بشر مثلنا ولو شاء
الله لأنزل ملائكة وما أشبه ذلك
قال أهل العرفان قوله (ومن أظلم

لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمرى أى ما فعلته عن نفسى ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا فكان ابن عباس يقول ما كان الكنز الا علما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى ابن اسحق عن الحسن بن عمارة عن أبيه عن عكرمة قال قيل لابن عباس لم نسمع (١) لفتى موسى يذكر من حديث وقد كان معه فقال ابن عباس فيما يذكر من حديث الفتى قال شرب الفتى من الماء فخلد فأخذه العالم فطابق به سفينة ثم أرسله فى البحر فانها لتموج به الى يوم القيامة وذلك أنه لم يكن له أن يشرب منه فشرب حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله واذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبا قال لما ظهر موسى وقومه على مصر أنزل قومه مصر فلما استقرت بهم الدار أنزل الله عليه أن ذكرهم بأيام الله فخطب قومه فذكرهم آتاهم الله من الخير والنعمة وذكرهم اذ أنجاهم الله من آل فرعون وذكرهم هلاك عدوهم وما استخلفهم الله فى الارض وقال كلم الله نبيكم تكليما واصطفانى لنفسه وأنزل على محبة منه وآتاكم الله من كل ما سألتموه فنبيكم أفضل أهل الارض وأنتم تقرؤن التوراة فلم يترك نعمة أنعمها الله عليهم الا ذكرها وعرفها اياهم فقال له رجل من بنى اسرائيل هم كذلك يا نبى الله فهل على الارض أحد أعلم منك يا نبى الله قال لا فبعث الله جبريل الى موسى عليهما السلام فقال ان الله يقول ومايدريك أين أضع علمى بلى ان على شط البحر رجلا أعلم منك فقال ابن عباس هو الخضر فسأل موسى ربه أن يريه اياه فأوحى الله اليه أن ائت البحر فانك تجد على شط البحر حوتا فخذه فادفعه الى فتاك ثم الزم شط البحر فاذا نسيت الحوت وهلك منك فثم تجد العبد الصالح الذى تطلب فلما طال سفر موسى نبى الله ونصب فيه سأل فتاه عن الحوت فقال له فتاه وهو غلامه أرأيت اذ أوينا الى الصخرة فانى نسيت الحوت وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره قال الفتى لقد رأيت الحوت حين اتخذ سبيله فى البحر سربا فأعجب ذلك موسى فرجع حتى أتى الصخرة فوجد الحوت يضرب فى البحر ويتبعه موسى وجعل موسى يقدم عصاه يفرج بها عن الماء يتبع الحوت وجعل الحوت لا يمس شيأ من البحر الا يبس حتى يكون صخرة فجعل نبى الله يعجب من ذلك حتى انتهى به الحوت الى جزيرة من جزائر البحر فلقى الخضر بها فسلم عليه فقال الخضر وعليك السلام وأنى يكون هذا السلام بهذه الارض ومن أنت قال أنا موسى فقال له الخضر أصاحب بنى اسرائيل قال نعم فرحب به وقال ما جاء بك قال جئتك على أن تعلمنى مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معى صبرا قال لا تطيق ذلك قال موسى ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا قال فانطلق به وقال له لا تسألنى عن شئ أصنعه حتى أبين لك شأنه فذلك قوله حتى أحدث لك منه ذكرا فركبا فى السفينة يريدان البر فقام الخضر فخرق السفينة فقال له موسى أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيأ إمرا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما ذكر أن نبى الله صلى الله عليه وسلم لما قطع البحر وأنجاه الله من آل فرعون جمع بنى اسرائيل فخطبهم فقال أنتم خير أهل الارض وأعلمه قد أهلك الله عدوكم وأقطعكم البحر وأنزل عليكم التوراة قال فقيل له ان ههنا رجلا هو أعلم منك قال فانطلق هو وفتاه يوشع بن نون يطلبانه وتزودا سمكة مملوحة فى مكتل لهما وقيل لهما اذا نسيتما ما معكما فقيدا رجلا عالما يقال له الخضر فلما أتيا ذلك المكان رد الله الى الحوت روحه فسرب له من البحر حتى أفضى الى البحر ثم سلك فجعل لا يسلك فيه طريقا الا صار ماء جامدا قال ومضى

ممن ذكر بآيات ربه) أى بالقرآن بدليل قوله أن يفقهوه وبتذكير الضمير (فأعرض عنها ونسى ما قدمت يداه) من الكفر والمعاصى فلم يتفكروا فى عاقبتها ولم يتدبروا فى جزائها متمسك القدرية وانما قال فى السجدة ثم أعرض عنها الان ما فى هذه السورة فى الكفار الاحياء الذين ايمانهم متوقع بعد أى ذكروا فأعرضوا عقب ذلك وما فى السجدة فى الكفار الاموات بدليل قوله ولو ترى اذ المجرمون ناكسو رؤسهم أى ذكروا مرة بعد أخرى وزمانا بعد زمان ثم أعرضوا عنها بالموت فلم يؤمنوا وانقطع رجاء

(١) الذى فى الدر بدل هذا لم نسمع يعنى موسى يذكر من حديث فتاه وقد كان الخ فتأمل وحرر كتبه مصححه

موسى وفتاه يقول الله عز وجل فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال أرأيت اذ أوينا الى الصخرة فانى نسيت الحوت ثم تلا الى قوله وعلمناه من لدنا علما فلقيا رجلا عالما يقال له الخضر فذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال انما سمى الخضر خضرا لانه قعد على فروة بيضاء فاهتزت به خضرا حدثنى العباس بن الوليد قال ثنا أبى قال ثنا الاوزاعى قال ثنا الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس أنه تمارى هو والحر بن قيس بن حصن الفزارى فى صاحب موسى فقال ابن عباس هو خضر فمر بهما أبى بن كعب فدعاه ابن عباس فقال انى تماريت أنا وصاحبى هذا فى صاحب موسى الذى سأل السبيل الى لقيه فهل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر شأنه قال انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بينا موسى فى ملا من بنى اسرائيل اذ جاءه رجل فقال تعلم مكان أحد أعلم منك قال موسى لا فأوحى الله الى موسى بلى عبدنا خضر فسأل موسى السبيل الى لقيه فجعل الله له الحوت آية وقيل له اذا فقدت الحوت فارجع فانك ستلقاه فكان موسى يتبع أثر الحوت فى البحر فقال فتى موسى لموسى أرأيت اذ أوينا الى الصخرة فانى نسيت الحوت قال موسى ذلك ما كنا نبغى فارتدا على آثارهما قصصا فوجدا عبدنا خضرا وكان من شأنهما ما قص الله فى كتابه حدثنى محمد بن مرزوق قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا عبد الله بن عمر النميرى عن يونس بن يزيد قال سمعت الزهرى يحدث قال أخبرنى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس أنه تمارى هو والحر بن قيس بن حصن الفزارى فى صاحب موسى ثم ذكر نحو حديث العباس عن أبى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معى صبرا﴾ يقول تعالى ذكره قال موسى للعالم هل أتبعك على أن تعلمن من العلم الذى علمك الله ما هو رشادا الى الحق ودليل على هدى قال انك لن تستطيع معى صبرا يقول تعالى ذكره قال العالم انك لن تطيق الصبر معى وذلك أنى أعمل بباطن علم علمنيه الله ولا علم لك الا بالظاهر من الامور فلا تصبر على ما ترى من الافعال كما ذكرنا من الخبر عن ابن عباس قبل من أنه كان رجلا يعمل على الغيب قد علم ذلك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا قال ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا﴾ يقول عز ذكره مخبرا عن قول العالم لموسى وكيف تصبر يا موسى على ما ترى منى من الأفعال التى لا علم لك بوجوه صوابها وتقيم معى عليها وأنت انما تحكم على صواب المصيب وخطا المخطئ بالظاهر الذى عندك وبمبلغ علمك وأفعالى تقع بغير دليل ظاهر لرأى عينك على صوابها لانها تبتدأ لأسباب تحدث آجلة غير عاجلة لا علم لك بالحادث عنها لانها غيب ولا تحيط بعلم الغيب خبرا يقول علما قال ستجدنى ان شاء الله صابرا على ما أرى منك وان كان خلافا لما هو عندى صواب ولا أعصى لك أمرا يقول وأنتهى الى ما تأمرنى وان لم يكن موافقا هواى ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شئ حتى أحدث لك منه ذكرا﴾ يقول تبارك وتعالى قال العالم لموسى فان اتبعتنى الآن فلا تسألنى عن شئ أعمله مما تستنكره فانى قد أعلمتك أنى أعمل العمل على الغيب الذى لا تحيط به علما حتى أحدث لك منه ذكرا يقول حتى أحدث أنا لك مما ترى من الأفعال التى أفعلها التى تستنكرها أذكرها لك وأبين لك شأنها وأبتدئك الخبر عنها كما حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فلا تسألنى عن شئ حتى أحدث لك منه ذكرا يعنى عن شئ أصنعه حتى أبين لك شأنه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فانطلقا حتى اذا ركبا فى السفينة خرقها قال أخرقتها

ايمانهم وقوله (انا جعلنا) وقدمر تفسيره فى الانعام الى قوله (فلن يهتدوا اذا أبدا) متمسك الجبرية وقلما تجد فى القرآن دليلا لأحد الفريقين الا ومعه دليل للفريق الآخر فهذا شبه ابتلاء من الله ولعله أراد بذلك اظهار مغفرته ورحمته على عباده كما قال (وربك الغفور ذو الرحمة) قال المفسرون الضمير فى قوله (لو يؤاخذهم) لأهل مكة الذين أفرطوا فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم والموعد يوم بدر وأقول لا يبعد أن يكون الضمير للناس فى قوله ولقد صرفنا للناس والموعد القيامة والموئل الملجأ يقال

لتغرق أهلها لقد جئت شيأ امرا ﴾ يقول تعالى ذكره فانطلق موسى والعالم يسيران يطلبان سفينة يركبانها حتى اذا أصاباها ركبا في السفينة فلما ركباها خرق العالم السفينة قال له موسى أخرقتها بعدما لجحنا في البحر لتغرق أهلها لقد جئت شيأ امرا يقول لقد جئت شيأ عظيما وفعلت فعلا منكرا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لقد جئت شيأ امرا أي عجبا ان قوما لجحوا سفينتهم لخرقتها كأحوج ما نكون اليها ولكن علم من ذلك ما لم يعلم نبي الله موسى ذلك من علم الله الذي آتاه وقد قال لنبي الله موسى عليه السلام فان اتبعتني فلا تسألني عن شئ حتى أحدث لك منه ذكرا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة لقد جئت شيأ امرا يقول نكرا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله لقد جئت شيأ امرا قال منكرا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله والامر في كلام العرب الداهية ومنه قول الراجز

قد لقي الأقران مني نكرا * داهية دهياء إدّا إمرا

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول أصله كل شئ شديد كثير ويقول منه قيل للقوم قد أمروا اذا كثروا واشتد أمرهم قال والمصدر منه الامر والاسم الامر واختلف القراء في قراءة قوله لتغرق أهلها فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين لتغرق أهلها بالتاء في لتغرق ونصب الأهل بمعنى لتغرق أنت أيها الرجل أهل هذه السفينة بالخرق الذي خرقت فيها وقرأ عامة قراء الكوفة ليغرق بالياء أهلها بالرفع على أن الأهل هم الذين يغرقون والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال انهما قراءتان معروفتان مستفيضتان في قرأة الأمصار متفقتا المعنى وان اختلفت ألفاظهما فبأي ذلك قرأ القارئ فمصيب وانما قلنا هما متفقتا المعنى لأنه معلوم أن انكار موسى على العالم خرق السفينة انما كان لأنه كان عنده أن ذلك سبب لغرق أهلها اذا أحدث مثل ذلك الحدث فيها فلا خفاء على أحد معنى ذلك قرئ بالتاء ونصب الاهل أو بالياء ورفع الاهل ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ قال ألم أقل انك لن تستطيع معي صبرا قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا ﴾ يقول عز ذكره قال العالم لموسى اذ قال له ما قال ألم أقل انك لن تستطيع معي صبرا على ما ترى من أفعالي لأنك ترى ما لم تحط به خبرا قال له موسى لا تؤاخذني بما نسيت فاختلف أهل التأويل في معنى ذلك فقال بعضهم كان هذا الكلام من موسى عليه السلام للعالم معارضة لأنه كان نسي عهده وما كان تقدم فيه حين استصحبه بقوله فان اتبعتني فلا تسألني عن شئ حتى أحدث لك منه ذكرا ذكر من قال ذلك حدثت عن يحيى بن زياد قال ثني يحيى بن المهلب عن رجل عن سعيد بن جبير عن أبي بن كعب الانصاري في قوله لا تؤاخذني بما نسيت قال لم ينس ولكنها من معاريض الكلام * وقال آخرون بل معنى ذلك لا تؤاخذني بتركي عهدك ووجه أن معنى النسيان الترك ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني محمد بن اسحق عن الحسن بن عمارة عن الحكم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لا تؤاخذني بما نسيت أي بما تركت من عهدك والصواب من القول في ذلك أن يقال ان موسى سأل صاحبه أن لا يؤاخذه بما نسي فيه عهده من سؤاله اياه على وجه ما فعل وسببه لا بما سأله عنه وهو لعهده ذاكر للصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن ذلك معناه من الخبر وذلك

وأل اذا نجا ووأل اليه اذا لجأ اليه قال الامام فخر الدين الرازي انما ذكر لفظ المبالغة في المغفرة دون الرحمة لان المغفرة ترك الاضرار والرحمة ايصال النفع وقدرة الله تعالى تتعلق بالاول لان ترك أضرار لا نهاية لها ممكن ولا تتعلق بالثاني لان فعل ما لا نهاية له محال أقول هذا فرق دقيق لو ساعده النقل على أن قوله ذو الرحمة أيضا لا يخلو عن مبالغة وكثيرا ما ورد في القرآن انه غفور رحيم بلفظ المبالغة في الجانبين وفي تعلق القدرة بترك غير المتناهي أيضا نظر لان مقدورات الله متناهية لا فرق في ذلك بين المبقى

ما حدثنا به أبو كريب قال ثنا يحيى بن آدم قال ثنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تؤاخذني بما نسيت قال كانت الاولى من موسى نسيانا وقوله لا ترهقني من أمري عسرا يقول لا تغشني من أمري عسرا يقول لا تضيق علي أمري معك وصحبتي إياك ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيأ نكرا﴾ يقول تعالى ذكره فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله العالم فقال له موسى أقتلت نفسا زكية واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والبصرة أقتلت نفسا زاكية وقالوا معنى ذلك المطهرة التي لا ذنب لها ولم تذنب قط لصغرها وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة نفسا زكية بمعنى التائبة المغفور لها ذنوبها ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس أقتلت نفسا زكية والزكية التائبة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال أقتلت نفسا زكية قال الزكية التائبة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر أقتلت نفسا زاكية قال قال الحسن تائبة هكذا في حديث الحسن وشهر زاكية حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله نفسا زكية قال تائبة ذكر من قال معناها المسلمة التي لا ذنب لها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني يعلى بن مسلم أنه سمع سعيد بن جبير يقول وجد خضر غلمانا يلعبون فأخذ غلاما طريفا فأضجعه ثم ذبحه بالسكين قال وأخبرني وهب بن سليمان عن شعيب الجبائي قال اسم الغلام الذي قتله الخضر جيسور قال أقتلت نفسا زاكية قال مسلمة قال وقرأها ابن عباس زكية كقولك زكا وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل الكوفة يقول معنى الزكية والزاكية واحد كالقاسية والقسية ويقول هي التي لم تجن شيأ وذلك هو الصواب عندي لاني لم أجد فرقا بينهما في شيء من كلام العرب واذا كان ذلك كذلك فبأي القراءتين قرأ ذلك القارئ فصيب لأنهما قراءتان مستفيضتان في قرأة الامصار بمعنى واحد وقوله بغير نفس يقول بغير قصاص بنفس قتلت فلزمها القتل قودا بها وقوله لقد جئت شيأ نكرا يقول لقد جئت بشيء منكر وفعلت فعلا غير معروف * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لقد جئت شيأ نكرا والنكر أشد من الامر ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قال ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا﴾ يقول تعالى ذكره قال العالم لموسى ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا على ما ترى من أفعالي التي لم تحط بها خبرا قال موسى له ان سألتك عن شيء بعدها يقول بعد هذه المرة فلا تصاحبني يقول ففارقني فلا تكن لي مصاحبا قد بلغت من لدني عذرا يقول قد بلغت العذر في شأني واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة من لدني عذرا بفتح اللام وضم الدال وتخفيف النون وقرأه عامة قراء الكوفة والبصرة بفتح اللام وضم الدال وتشديد النون وقرأه بعض قراء الكوفة باشمام اللام الضم وتسكين الدال وتخفيف النون وكأن الذين شددوا النون طلبوا للنون التي في لدن السلامة من الحركة اذ كانت في الاصل ساكنة ولو لم تشدد لتحركت فشددوها كراهة منهم تحريكها كما فعلوا في من وعن اذا أضافوهما الى مكنى المخبر عن نفسه فشددوهما فقالوا مني وعني وأما الذين خففوها فانهم وجدوا مكنى المخبر عن نفسه في حال الخفض

والمتروك ثم أشار الى قرى الاولين اعتبارا لغيرهم فقال (وتلك القرى) فاسم الاشارة مبتدأ وفيه تعظيم لشأنهم أو تبعيد لزمانهم ومكانهم والقرى صفة وما بعده خبر ولا يخفى حذف المضاف أي وتلك أصحاب القرى (أهلكناهم) ويجوز أن يكون تلك القرى منصوبا باضمار أهلكنا على شريطة التفسير (وجعلنا) لزمان اهلاكهم أو لاهلاكهم أو وقت هلاكهم (موعدا) وعدا أو وقت وعد لا يتأخرون عنه كما ضربنا لأهل مكة يوم بدر والمراد أنا عجلنا هلاكهم ومع ذلك لم ندع أن نضرب له وقتا

ياء وحدها الا نون معها فأجروا ذلك من لدن على حسب ما جرى به كلامهم فى ذلك مع سائر الاشياء غيرها والصواب من القول فى ذلك عندى أنهما لغتان فصيحتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء بالقرآن فبأيتهما قرأ القارئ فصيب غير أن أعجب القراءتين الى فى ذلك قراءة من فتح اللام وضم الدال وشدد النون لعلتين احداهما أنها أشهر اللغتين والاخرى أن محمد بن نافع البصرى حدثنا قال ثنا أمية بن خالد قال ثنا أبو الجارية العبدى عن أبى اسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبى بن كعب أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأ قد بلغت من لدنى عذرا مثقلة حدثنى عبد الله بن أبى زياد قال ثنا حجاج بن محمد عن حمزة الزيات عن أبى اسحق عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس عن أبى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم مثله وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية فقال استحيا فى الله موسى حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا بدل بن المحبر قال ثنا عباد بن راشد قال ثنا داود فى قول الله عز وجل ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استحيا فى الله موسى عندها حدثنى عبد الله بن أبى زياد قال ثنا حجاج بن محمد عن حمزة الزيات عن أبى اسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبى بن كعب قال كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا ذكر أحدا فدعا له بدأ بنفسه فقال ذات يوم رحمة الله علينا وعلى موسى لو لبث مع صاحبه لأبصر العجب ولكنه قال ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا مثقلة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا ﴾ يقول تعالى فانطلق موسى والعالم حتى اذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها من الطعام فلم يطعموهما واستضافاهم فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض يقول وجدا فى القرية حائطا يريد أن يسقط ويقع يقال منه انقضت الدار اذا انهدمت وسقطت ومنه انقضاض الكوكب وذلك سقوطه وزواله عن مكانه ومنه قول ذى الرمة * فانقض كالكوكب الدرى منصلتا * وقد روى عن يحيى بن يعمر أنه قرأ ذلك يريد أن ينقاض وقد اختلف أهل العلم بكلام العرب اذا قرئ ذلك كذلك فى معناه فقال بعض أهل البصرة منهم مجاز ينقاض أى ينقلع من أصله ويتصدع بمنزلة قولهم قد انقاضت السن أى انصدعت وتصدعت من أصلها يقال فرق كقيض السن أى لا يجتمع أهله وقال بعض أهل الكوفة منهم الانقياض الشق فى طول الحائط فى طى البئر وفى سن الرجل يقال قد انقاضت سنه اذا انشقت طولا وقيل ان القرية التى استطعم أهلها موسى وصاحبه فأبوا أن يضيفوهما الأيلة ذكر من قال ذلك حدثنى الحسين ابن محمد الذارع قال ثنا عمران بن المعتمر صاحب الكرابيسى قال ثنا حماد أبو صالح عن محمد بن سيرين قال انتابوا الأيلة فانه قل من يأتيها فيرجع منها خائبا وهى الارض التى أبوا أن يضيفوهما وهى أبعد أرض الله من السماء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية وتلا الى قوله لاتخذت عليه أجرا شر القرى التى لا تضيف الضيف ولا تعرف لابن السبيل حقه واختلف أهل العلم بكلام العرب فى معنى قول الله عز وجل يريد أن ينقض فقال بعض أهل البصرة ليس للحائط ارادة ولا للموات ولكنه اذا كان فى هذه الحال من رثه فهو ارادته وهذا كقول العرب فى غيره

يريد الرمح صدر أبى براء * ويرغب عن دماء بنى عقيل

وقال آخر منهم انما كلم القوم بما يعقلون قال وذلك لما دنا من الانقضاض جاز أن يقول يريد

يمكنهم التوبة قبل ذلك ۞ التأويل ويوم نسير الجبال وهى الأبدان الجامدة عن السلوك وترى أرض النفوس بارزة خالية عن موانع الطريق وحشرنا جميع القوى البشرية وعرضوا على ربك صفا لكل قوة ولكل جوهر رتبة تليق بها فالروح فى صف الارواح والقلب فى صف القلوب وكذا النفس وقواها ولقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة على هيئة الفطرة وقيل الانبياء فى صف والاولياء فى صف والمؤمنون فى صف والكافرون والمنافقون فى الصف الاخير لا يغادر صغيرة هى كل تصرف فى شئ بالشهوة

أن ينقض قال ومثله تكاد السموات يتفطرن وقولهم انى لأكاد أطير من الفرح وأنت لم تقرب من ذلك ولم تهم به ولكن لعظيم الامر عندك وقال بعض الكوفيين منهم من كلام العرب أن يقولوا الجدار يريد أن يسقط قال ومثله من قول العرب وقول الشاعر

ان دهرا يلف شملى بجمل * لزمان يهم بالاحسان

وقول الآخر

يشكو الىّ جملى طول السرى * صبرا جميلا فكلانا مبتلى

قال والجمل لم يشك انما تكلم به على أنه لو تكلم لقال ذلك قال وكذلك قول عنترة

وازورّ من وقع القنا بلبانه * وشكا الىّ بعبرة وتحمحم

قال ومنه قول الله عز وجل ولما سكت عن موسى الغضب والغضب لا يسكت وانما يسكت صاحبه وانما معناه سكن وقوله فاذا عزم الامر انما يعزم أهله وقال آخر منهم هذا من أفصح كلام العرب وقال انما ارادة الجدار ميله كما قال النبى صلى الله عليه وسلم لا ترا أى نارا هما وانما هو أن تكون نار ان كل واحدة من صاحبتها بموضع لو قام فيه انسان رأى الاخرى فى القرب قال وهو كقول الله عز وجل فى الاصنام وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون قال والعرب تقول دارى تنظر الى دار فلان تعنى قرب ما بينهما واستشهد بقول ذى الرمة فى وصفه حوضا أو منزلا دارسا

* قد كاد أو قدهم بالبيود *

قال فجعله يهم وانما معناه أنه قد تغير البلى والذى نقول به فى ذلك أن الله عز ذكره بلطفه جعل الكلام بين خلقه رحمة منه بهم ليبين بعضهم لبعض عما فى ضمائرهم مما لا تحسه أبصارهم وقد عقلت العرب معنى القائل

فى مهمه قلقت به هاماتها * قلق الفؤوس اذا أردن نصولا

وفهمت أن الفؤس لا توصف بما يوصف به بنو آدم من ضمائر الصدور مع وصفها اياها بأنها تريد وعلمت ما يريد القائل بقوله

كمثل هيل النقا طاف المشاء به * ينهال حينا وينهاه الثرى حينا

وانما لم يرد أن الثرى نطق ولكنه أراد به أنه تلبد بالندى فمنعه من الانهيال فكان منعه اياه من ذلك كالنهى من ذوى المنطق فلا ينهال وكذلك قوله جدارا يريد أن ينقض قد علمت أن معناه قد قارب من أن يقع أو يسقط وانما خاطب جل ثناؤه بالقرآن من أنزل الوحى بلسانه وقد عقلوا ما عنى به وان استعجم عن فهمه ذو البلادة والعمى وضل فيه ذو و الجهالة والغبا وقوله فأقامه ذكر عن ابن عباس أنه قال هدمه ثم قعد يبنيه حدثنا بذلك ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى ابن اسحق عن الحسن بن عمارة عن الحكم بن عتيبة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس * وقال آخرون فى ذلك ما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عمرو بن دينار عن سعيد بن جبير فوجد فيها جدارا يريد أن ينقض قال رفع الجدار بيده فاستقام * والصواب من القول فى ذلك أن يقال ان الله عز ذكره أخبر أن صاحب موسى وموسى وجدا جدارا يريد أن ينقض فأقامه صاحب موسى بمعنى عدل ميله حتى عاد مستويا وجائز أن يكون كان ذلك باصلاح بعد هدم وجائز أن يكون كان برفع منه له بيده فاستوى بقدرة الله وزال عنه ميله بلطفه ولا دلالة من كتاب الله ولا خبر للعذر قاطع بأى ّ ذلك كان من أى ّ وقوله قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا يقول قال موسى لصاحبه لو شئت لم تقم لهؤلاء القوم جدارهم حتى يعطوك على اقامتك أجرا فقال بعضهم انما عنى موسى بالاجر الذى قال له لو شئت لاتخذت عليه أجرا القرى

النفسانية وان كان من المباحات ولا كبيرة هى التصرف فى الدنيا على حبها لحب الدنيا رأس كل خطيئة ما أشهدتهم لانى لا أشهد الا أولياءى كما قلت سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم ورأى المجرمون النار رأوا فى الدنيا أسباب النار من الشهوات والآثام فوقعوا فيها ولم يجدوا ما يصرفهم عنها من الديانة والايمان الحقيقى فاذا رأوا النار فى الآخرة أيقنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا كما تعيشون تموتون وكما تموتون تبعثون وكان الانسان أكثر شئ جدلا فتارة مجادل فى التوحيد وأخرى فى النبوة ومرة فى الاصول

أى حتى يقرونا فانهم قد أبوا أن يضيفونا * وقال آخرون بل عنى بذلك العوض والجزاء على اقامته الحائط المائل واختلف القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة والكوفة لو شئت لاتخذت عليه أجرا على التوجيه منهم له الى أنه لافتعلت من الاخذ وقرأ ذلك بعض أهل البصرة لو شئت لتخذت بتخفيف التاء وكسر الخاء وأصله لافتعلت غير أنهم جعلوا التاء كأنها من أصل الكلمة ولأن الكلام عندهم فى فعل ويفعل من ذلك تخذ فلان كذا يتخذه تخذا وهى لغة فيما ذكر لهذيل وقال بعض الشعراء

وقد تخذت رجلى لدى جنب غرزها * نسيفا كأفحوص القطاة المطرق

والصواب من القول فى ذلك عندى أنهما لغتان معروفتان من لغات العرب بمعنى واحد فبأيتهما قرأ القارئ فصيب غير أنى أختار قراءته بتشديد التاء على لافتعلت لانها أفصح اللغتين وأشهرهما وأكثرهما على ألسن العرب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قال هذا فراق بينى وبينك سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا ﴾ يقول تعالى ذكره قال صاحب موسى لموسى هذا الذى قلته وهو قوله لو شئت لاتخذت عليه أجرا فراق بينى وبينك يقول فرقة مابينى وبينك أى مفرق بينى وبينك سأنبئك يقول سأخبرك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا يقول بما يؤول اليه عاقبة أفعالى التى فعلتها فلم تستطع على ترك المسئلة عنها وعن النكير على فيها صبرا

والله أعلم

﴿ تم الجزء الخامس عشر من تفسير الامام ابن جرير الطبرى ويليه الجزء السادس عشر أوله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى * أما السفينة ﴾

ومرة فى الفروع ولهذا كثرت المذاهب والاديان والملل والنحل ونسأل الصواب من ملهمه ومامنع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم أسباب الهداية ويستغفروا ربهم ان كانوا مذنبين الا أن تأتيهم سنة الاولين من الانبياء والاولياء والمؤمنين وهى جذبات العناية لأهل الهداية كقوله فى حضرة النبى صلى الله عليه وسلم والله لولا الله ماهتدينا أو يأتيهم العذاب قبلا كقوله

أنا نبى السيف أمرت أن
أقاتل الناس حتى
يقولوا لا اله الا الله
والله أعلم

(م)

﴿ فهرست الجزء الخامس عشر من تفسير الامام ابن جرير الطبرى ﴾

صحيفة	
٢	﴿ تفسير سورة بنى اسرائيل ﴾ - بيان معنى التسبيح
٣	ذكر بعض أحاديث وردت فى الاسراء
١٣	بيان أن الاسراء كان بالجسد لا بالروح
١٥	تأويل قوله تعالى ذرية من حملنا الآية وبيان ان المراد منه جميع بنى آدم
١٧	بيان المراد بالفسادين اللذين قضى على بنى اسرائيل بهما وذكر بعض أخبار تدل على تاريخهم
٢٤	تأويل قوله تعالى ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم وذكر الفساد الثانى لبنى اسرائيل وتخريب بختنصر لبيت المقدس
٣٤	تأويل قوله تعالى عسى ربكم الآية وبيان ماحصل لبنى اسرائيل من تسلط العرب عليهم وذكر الشواهد على مافيها
٣٧	تأويل قوله تعالى وكان الانسان عجولا وبيان أن العجلة فى الانسان طبيعة وكيف استعجل آدم عليه السلام
٣٨	تأويل قوله تعالى فمحونا آية الليل وبيان ماقيل فى السواد الذى فى القمر
٣٩	تأويل قوله تعالى وكل انسان ألزمناه طائره الخ وبيان أن لاعدوى ولا طيرة وأن السعد والشقاء قد قضيا
٤٢	تأويل قوله تعالى واذا أردنا أن نهلك قرية وبيان معنى الدمار وذكر الشاهد على ذلك
٤٤	بيان ماقيل فى مقدار القرن من السنين
٤٦	تأويل قوله تعالى وقضى ربك الآية وبيان معنى التأفيف
٤٧	بيان ماورد فى صلة الابوين
٥٢	تأويل قوله تعالى وآت ذا القربى حقه وبيان المراد من القرابة

صحيفة	
٥٧	بيان ما كانت العرب عليه من قتل أولادهم خشية الفاقة فنهاهم الله عنه
٥٨	بيان معنى السلطنة التى جعلت لولى الدم على الجانى
٦١	تأويل قوله تعالى ولا تقف الآية وبيان مااشتملت عليه من النهى عن شهادة الزور وغيرها
٦٥	بيان ماورد فى تسبيح الاشياء وفضل لا اله الا الله
٧٢	بيان أن بعض العرب كانوا يعبدون نفرا من الجن وأسلم المعبودون واستمر العابدون على عبادتهم
٧٥	تأويل قوله تعالى واذ قلنا لك ان ربك الآية وبيان الرؤيا التى رآها النبى صلى الله عليه وسلم فصارت فتنة
٨١	بيان معنى استفزاز الشيطان للعباد
٨٦	تأويل قوله تعالى ومن كان فى هذه أعمى الآية وبيان أن من جهل نعم الله عليه فى الدنيا فهو فى الآخرة أشد جهلا عن معرفة هذه النعم
٩١	بيان الصلاة التى أمر الله بها عند الدلوك ما هى وبيان الساعات التى يتجلى فيها على عباده
٩٦	بيان أن التهجد كان فى حقه عليه السلام فرضا وذكر المقام المحمود وماورد فيه
١٠٢	تأويل قوله تعالى وقل جاء الحق الآية وبيان مافى القرآن من الشفاء من الجهل
١٠٥	بيان ماقيل فى الروح
١٠٦	تأويل قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس الآية وذكر سبب النزول
١٠٧	بيان ماافترحته قريش من الآيات على رسول الله صلى الله عليه وسلم
١١٤	ذكر الآيات التسع التى أوتيها موسى

صحيفة		صحيفة	
١١٨	تأويل قوله تعالى وبالحق أنزلناه الآية وبيان المدة التي نزل فيها القرآن	١٥٢	بيان المدة التي لبثوها في الكهف
١٢١	تأويل قل ادعوا الله الآية وذكر أسباب النزول	١٥٥	بيان ما كانت تقوله عظماء العرب لرسول الله صلى الله عليه وسلم في شأن فقراء المؤمنين
١٢٦	﴿تفسير سورة الكهف﴾	١٥٦	تأويل قوله تعالى وقل الحق من ربكم وذكر الشواهد على السرادق
١٣٢	ذكر أصحاب الكهف وسبب خروجهم اليه	١٦٥	بيان معنى الباقيات الصالحات
١٣٨	ذكر مقر الكهف من الشمس	١٦٩	بيان أمر ابليس وما كان عليه ابتداء
١٤٣	ذكر بعث أهل الكهف من نومتهم	١٧٦	ذكر مسير موسى عليه السلام الى الخضر

﴿تمت﴾

﴿فهرست الجزء الخامس عشر من تفسير الامام النيسابوري الموضوع بالهامش﴾

صحيفة		صحيفة	
٣	﴿تفسير سورة الاسراء﴾	٥٣	ذكر دعاء جرب في دفع الملمات
٥	بيان ما استدل به بعضهم على أن الاسراء بالروح وما استدل به الأكثرون على أنه بالجسم يقظة	٥٦	تأويل تلك الآيات
١٤	بيان ما قالته الحكماء في سبب حصول الكلف في وجه القمر	٥٩	تفسير قوله واذ قلنا للملائكة الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
١٦	بيان ما قالته الحكماء في تأثير المعاصي في الروح وبيان أن وجوب شكر المنعم بالسمع لا بالعقل	٦٣	ذكر الاوجه التي بها أكرم الانسان
٢٠	بيان حقيقة الشكر	٦٧	تأويل تلك الآيات
٢٢	تأويل تلك الآيات	٦٩	تفسير قوله تعالى وان كادوا ليفتنونك الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
٢٤	تفسير قوله تعالى لا تجعل مع الله الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها	٧٤	ذكر مسائل تتعلق بقوله ان قرآن الفجر كان مشهودا
٣٥	بيان ما يبيح دم الانسان من الخصال	٧٨	ذكر ما كان لقريش من الاصنام حول الكعبة وما فعله النبي صلى الله عليه وسلم بها
٣٨	بيان ما احتج به نفاة القياس والجواب عنه	٨٠	بيان ان المباحث المتعلقة بالروح كثيرة وذكر طرف من مباحثها
٤١	تأويل تلك الآيات	٨٣	بيان أن للعقلاء في حقيقة الانسان اختلافات كثيرة وذكر الحق منها
٤٣	تفسير قوله ولقد صرفنا الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها	٨٥	ذكر الدليل على أن الروح جوهر مجرد
٤٦	ذكر ما كانت قريش تقوله في رسول الله	٨٨	تأويل تلك الآيات

صحيفة		صحيفة	
٩٠	تفسير قوله تعالى وقالوا لن نؤمن لك الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها	١٣٦	ذكر اختلاف الناس فى زمان لبث أصحاب الكهف فى مكانهم
٩٨	بيان الآيات التسع التى كانت لموسى	١٣٧	تأويل تلك الآيات
١٠٠	بيان ما اشتمل عليه القرآن الكريم	١٤١	تفسير قوله تعالى واتل ما أوحى اليك الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
١٠٤	تأويل تلك الآيات	١٤٩	ذكر قصة الاخوين المشار اليهما فى آية واضرب لهم مثلا رجلين الخ
١٠٧	﴿تفسير سورة الكهف﴾ وبيان القراآت والوقوف فيها	١٥٧	تأويل تلك الآيات
١١٦	ذكر مجمل قصة أصحاب الكهف	١٦١	تفسير قوله تعالى ويوم نسير الجبال الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
١٢٠	ذكر أسماء أهل الكهف وفوائد تتعلق بها	١٨٦	تأويل تلك الآيات
١٢٢	مسألة جواز الكرامات وما تتوقف عليه وذكر كرامات ثبتت لبعض الأولياء		

﴿تمت﴾

الجزء السادس عشر

من كتاب جامع البيان في تفسير القرآن

تأليف

الامام الكبير والمحدث الشهير من أطبقت الأمة على تقدمه فى التفسير

أبي جعفر محمد بن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هجرية

رحمه الله وأثابه رضاه آمين

وبهامشه

تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان

للعلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمى النيسابورى قدست أسراره

«فى كشف الظنون» قال الامام جلال الدين السيوطى فى الاتقان وكتابه «أى الطبرى» أجل التفاسير وأعظمها فانه يتعرض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على بعض والاعراب والاستنباط فهو يفوق بذلك على تفسير الأقدمين * وقال النووى أجمعت الامة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبرى * وعن أبى حامد الاسفرايينى أنه قال لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا اه

تنبيه

طبعت هذه النسخة بعد تصحيحها على الاصول الموجودة فى خزانة الكتبخانة الخديوية بمصر بالاعتناء التام نسأل الله تعالى حسن الختام

طبع هذا الكتاب على نفقة حضرة السيد عمر الخشاب الكتبى الشهير بمصر ونجله حضرة السيد محمد عمر الخشاب حفظهما الله ووفقنا واياهما لما يحبه ويرضاه

(الطبعة الأولى)

بالمطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر المحمية

سنة ١٣٢٨ هجريه

﴿ واذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى
أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا
فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما
فاتخذ سبيله في البحر سربا فلما جاوزا
قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من
سفرنا هذا نصبا قال أرأيت اذ أوينا
الى الصخرة فاني نسيت الحوت وما
أنسانيه الا الشيطان أن أذكره
واتخذ سبيله في البحر عجبا قال ذلك
ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما
قصصا فوجدا عبدا من عبادنا
آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه
من لدنا علما قال له موسى هل
أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا
قال انك لن تستطيع معي صبرا
وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا
قال ستجدني ان شاء الله صابرا ولا
أعصي لك أمرا قال فان اتبعتني
فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك
منه ذكرا فانطلقا حتى اذا ركبا
في السفينة خرقها قال أخرقتها
لتغرق أهلها لقد جئت شيأ امرا
قال ألم أقل انك لن تستطيع معي
صبرا قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا
ترهقني من أمري عسرا فانطلقا
حتى اذا لقيا غلاما فقتله قال أقتلت
نفسا زكية بغير نفس لقد جئت
شيأ نكرا قال ألم أقل لك انك لن
تستطيع معي صبرا قال ان سألتك
عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد
بلغت من لدني عذرا فانطلقا حتى
اذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها
فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها
جدارا يريد أن ينقض فأقامه قال
لو شئت لاتخذت عليه أجرا قال
هذا فراق بيني وبينك سأنبئك
بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا ﴾ يقول أما فعلي ما فعلت بالسفينة فلأنها كانت لقوم مساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها بالخرق الذي خرقتها كما حدثني محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل فأردت أن أعيبها قال أخرقها حدثنا الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقوله وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا وكان أمامهم وقدامهم ملك كما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة وكان وراءهم ملك قال قتادة أمامهم ألا ترى أنه يقول من ورائهم جهنم وهي بين أيديهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان في القراءة وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صحيحة غصبا وقد ذكر عن ابن عيينة عن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قرأ ذلك وكان أمامهم ملك « قال أبو جعفر » وقد جعل بعض أهل المعرفة بكلام العرب وراء من حروف الاضداد وزعم أنه يكون لما هو أمامه ولما خلفه واستشهد لصحة ذلك بقول الشاعر

أيرجو بنو مروان سمعي وطاعتي * وقومي تميم والفلاة ورائيا

ملك يأخذ كل سفينة غصبا وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنزلهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا ﴿ القرا آت أنسانيه بضم الهاء حفص والمفضل وقرأ علي بالامالة مع كسر الهاء نبغي بالياء في الحالين ابن كثير وسهل ويعقوب وافق (٣) أبو جعفر ونافع وأبو عمرو وعلي في الوصل الباقون بحذف الياء في الحالين اتباعا لخط المصحف رشدا بفتحتين أبو عمرو ويعقوب بضمتين ابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان الباقون رشدا بضم الراء وسكون الشين معي بفتح الياء حفص ستجدني إن بفتح الياء أبو جعفر ونافع فلا تسألني بنون التأكيد الثقيلة واثبات الياء أبو جعفر ونافع وابن عامر بحذف الياء ابن مجاهد عن ابن ذكوان والأحسن اثباتها لانه شاذ عن أهل الشام الآخرون بنون الوقاية وحذف الياء ليغرق أهلها بياء الغيبة وفتحها مع فتح الراء ورفع الاهل حمزة وعلي وخلف الباقون بتاء الخطاب مضمومة وكسر الراء من الاغراق ونصب الاهل زاكية على فاعلة أبو جعفر ونافع وابن عامر ويعقوب الآخرون زكية على فعيلة نكرا بضمتين حيث كان أبو جعفر ونافع غيرا سمعيل وابن ذكوان وسهل ويعقوب وأبو بكر وحماد فلا تصحبني من الصحبة روح وزيد الآخرون من المصاحبة من لدني خفيفا أبو جعفر ونافع وأبو بكر وحماد والمفضل يضيفوهما من الاضافة المفضل لتخذت من التخذ مدغما أبو عمرو وسهل ويعقوب وقرأ ابن كثير بالاظهار الباقون لاتخذت من الاتخاذ وقرأ حفص والمفضل والأعشى

بمعنى أمامي وقد أغفل وجه الصواب في ذلك وانما قيل لما بين يديه هو ورائي لأنك من ورائه فأنت ملاقيه كما هو ملاقيك فصار اذ كان ملاقيك كأنه من ورائك وأنت أمامه وكان بعض أهل العربية من أهل الكوفة لا يجيز أن يقال لرجل بين يديك هو ورائي ولا اذا كان وراءك أن يقال هو أمامي ويقول انما يجوز ذلك في المواقيت من الايام والازمنة كقول القائل وراءك يرشد بدو بين يديك حرشد يدلانك أنت وراءه فجاز لانه شيء يأتي فكأنه اذا لحقك صار من ورائك وكأنك اذا بلغته صار بين يديك قال فلذلك جاز الوجهان وقوله يأخذ كل سفينة غصبا فيقول القائل فما أغنى خرق هذا العالم السفينة التي ركبها عن أهلها اذ كان من من أجل خرقها يأخذ السفن كلها معيبها وغير معيبها وما كان وجه اعتلاله في خرقها بأنه خرقها لأن وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا قيل ان معنى ذلك أنه يأخذ كل سفينة صحيحة غصبا ويدع منها كل معيبة لأنه كان يأخذ صحاحها وغير صحاحها فان قال وما الدليل على أن ذلك كذلك قيل قوله فأردت أن أعيبها فأبان بذلك أنه انما عابها لان المعيبة منها لا يعرض لها فاكتفى بذلك من أن يقال وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة صحيحة غصبا على أن ذلك في بعض القراءة كذلك **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال هي في حرف ابن مسعود وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثني الحسن بن دينار عن الحكم بن عتيبة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال في قراءة أبي وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا وانما عبتها لأرده عنها **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا فاذا خلفوه أصلحوها برفت فاستمتعوا بها قال ابن جريج أخبرني وهب بن سليمن عن شعيب الجبائي أن اسم الرجل الذي كان يأخذ كل سفينة غصبا هدد بن بدد ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما ﴾ يقول تعالى ذكره وأما الغلام فانه كان كافرا وكان أبواه مؤمنين فعلمنا أنه يرهقهما يقول يغشيهما طغيانا وهو الاستكبار على الله وكفرا به * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل وقد ذكرنا ذلك في بعض الحروف وأما الغلام فكان كافرا ذكر من قال ذلك **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة وأما الغلام فكان كافرا في حرف أبي وكان أبواه مؤمنين فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين وكان كافرا في بعض القراءة قوله فخشينا وهي في مصحف عبد الله فخاف ربك أن يرهقهما طغيانا وكفرا **حدثنا** عمرو بن علي قال ثنا أبو قتيبة قال ثنا عبد الجبار بن عباس الهمداني عن أبي اسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الغلام

والبرجمي مظهرا يبدلهما من التبديل وكذلك في سورة التحريم ونون والقلم أبو جعفر ونافع وأبو عمرو الآخرون من الابدال رحما بضمتين ابن عامر ويزيد وعباس وسهل ويعقوب الباقون بسكون الحاء ﴿ الوقوف حقبا ٥ سربا ٥ غداءنا ز لانقطاع النظم مع صدق اتصال المعنى نصبا ٥ الحوت ز لتمام استفهام التعجب مع اتحاد الكلام وكون الواو حالا أن أذكره ج لاحتمال ما بعده الاستئناف والحال في البحر وقفة قيل عليه تم كلام يوشع ثم ابتدأ موسى فقال عجبا أي أعجب لذلك عجبا والوصل أجوز أي سبيلا عجبا أو اتخاذا عجبا ٥ نبغ قف

قد قيل لتمام قول أحدهما وابتداء فعلهما والوجه الوصل لعطف اللفظ وسرعة الرجوع على الفور قصصا ○ لا لاتصال النظم واتحاد الحال علما ○ رشدا ○ صبرا ○ خبرا ○ أمرا ○ ذكرا ○ فانطلقا وقفة لأن حتى اذا للابتداء خرقها ط أهلها ج لانقطاع النظم واتحاد القائل إمرا ○ صبرا ○ عسرا ○ فانطلقا وقفة لما مر فقتله لا لأن قال جواب اذا بغير نفس ط للفصل بين الاستفبار والاخبار نكرا ○ صبرا ○ فلا تصاحبني (٤) ج لاختلاف الجملتين عذرا ○ فانطلقا وقفة فاقامه ط أجرا ○ وينشر

ج صبرا ○ غصبا ○ وكفرا ○
ج للعطف مع الآية رحما ○ صالحا
ج لما قلنا من ربك ج عن أمري
ط صبرا ○ لانقطاع القصة

* التفسير هذه قصة أوردها الله تعالى لتعين على المقاصد السابقة مع كونها مستقلة في الافادة أما نفعها في قصة أصحاب الكهف فهو أن اليهود قالوا ان أخبركم محمد عنها فهو نبي والا فلا فذكر الله تعالى قصة موسى والخضر تنبيها على أن النبي لا يلزم أن يكون عالما بجميع القصص والأخبار وأما نفعها في الرد على كفار قريش حين افتخروا على فقراء المسلمين بكثرة الأموال والانصار فهو أن موسى عليه السلام مع كثرة علمه وعلو منصبه واستجمام موجبات الشرف التام في حقه ذهب الى الخضر وتواضع له لاجل طلب العلم فدل ذلك على أن التواضع خير من التكبر وأكثر العلماء على أن موسى المذكور في الآية هو موسى بن عمران صاحب التوراة والمعجزات وعن سعيد بن جبير أنه قال لابن عباس ان نوفا ابن امرأة كعب يزعم أن الخضر ليس بصاحب موسى بن عمران وانما هو صاحب موسى بن ميشا بن يعقوب وهو قد كان نبيا قبل موسى بن عمران فقال ابن عباس كذب عدو الله واحتج الأكثرون على صحة قولهم بأن موسى حيث أطلق في القرآن أريد به موسى بن عمران فلو كان المراد ههنا شخصا آخر لوجب تعريفه بحيث يتميز عن المشهور وأقرب حجة الأقلين وإليه ذهب جمهور اليهود أن موسى بن عمران بعد أن خصه الله تعالى بالمعجزات الظاهرة التي لم يتفق لمن قبله مثلها بعد أن يؤمر بالتعلم والاستفادة وأجيب بأن العالم الكامل في أكثر العلوم قد يجهل بعض المسائل فيحتاج في تعلمها الى من يختص بعلمها أما فتى موسى فالأكثر على أنه يوشع بن نون ويروى هذا القول عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل هو أخو يوشع وكان مصاحبا لموسى في السفر وعن الحسن انه أراد عبده ويؤيده ما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال ليقل أحدكم فتاي وفتاتي

الذي قتله الخضر طبع يوم طبع كافرا والخشية والخوف توجههما العرب الى معنى الظن وتوجه هذه الحروف الى معنى العلم بالشيء الذي يدرك من غير جهة الحس والعيان وقد بينا ذلك بشواهده في غير هذا الموضع بما أغنى عن اعادته وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول معنى قوله خشينا في هذا الموضع كرهنا لان الله لا يخشى وقال في بعض القراآت فخاف ربك قال وهو مثل خفت الرجلين أن يعولا وهو لا يخاف من ذلك أكثر من أنه يكرهه لهما وقوله فأردنا أن يبدلهما ربهما اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأه جماعة من قراء المكيين والمدنيين والبصريين فأردنا أن يبدلهما ربهما وكان بعضهم يعتل لصحة ذلك بأنه وجد ذلك مشددا في عامة القرآن كقول الله عز وجل فبدل الذين ظلموا وقوله واذا بدلنا آية مكان آية فألحق قوله فأردنا أن يبدلهما به وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة فأردنا أن يبدلهما بتخفيف الدال وكان بعض من قرأ ذلك كذلك من أهل العربية يقول أبدل يبدل بالتخفيف وبدل يبدل بالتشديد بمعنى واحد * والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان متقاربتا المعنى قد قرأ بكل واحدة منهما جماعة من القراء فبأيتهما قرأ القارئ فصيب وقيل ان الله عز وجل أبدل أبوي الغلام الذي قتله صاحب موسى منه بجارية ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب قال ثنا هاشم ابن القاسم قال ثنا المبارك بن سعيد قال ثنا عمرو بن قيس في قوله فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما قال بلغني أنها جارية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج أخبرني سليمان بن أمية أنه سمع يعقوب بن عاصم يقول أبدلا مكان الغلام جارية * قال ابن جريج وأخبرني عبد الله بن عثمان بن خثيم أنه سمع سعيد بن جبير يقول أبدلا مكان الغلام جارية * وقال آخرون أبدلهما ربهما بغلام مسلم ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما قال كانت أمه حبلى يومئذ بغلام مسلم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة أنه ذكر الغلام الذي قتله الخضر فقال قد فرح به أبواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل ولو بقي كان فيه هلاكهما فليرض امرؤ بقضاء الله فان قضاء الله للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب وقوله خيرا منه زكاة يقول خيرا من الغلام الذي قتله صلاحا ودينا كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة قال الاسلام وقوله وأقرب رحما اختلف أهل التأويل في تأويله فقال بعضهم معنى ذلك وأقرب رحمة بوالديه وأبر بهما من المقتول ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة وأقرب رحما أبر بوالديه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأقرب رحما أي أقرب خيرا * وقال آخرون بل معنى ذلك وأقرب أن يرحمه أبواه منهما للمقتول ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج

ولا يقل عبدى وأمتى قال أهل السير ان موسى لما ظهر على مصر مع بنى اسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط أمره الله أن يذكر قومه النعمة فقام فيهم خطيبا فذكر نعمة الله فقال انه اصطفى نبيكم وكلمه فقالوا له قد علمنا هذا فأى الناس أعلم قال أنا فعتب الله حين لم يرد العلم الى الله فأوحى الله اليه بل أعلم منك عبد لى بمجمع البحرين وهو الخضر وكان الخضر عليه السلام فى أيام أفريدون قبل موسى عليه السلام وكان على مقدمة ذى القرنين الاكبر وبقى الى أيام موسى ويروى أن موسى سأل ربه أى (٥) عبادك أحب اليك قال الذى يذكرنى ولا ينسانى قال فأى عبادك أقضى قال ابدى يقضى بالحق ولا يتبع الهوى قال فأى عبادك أعلم قال الذى يبتغى علم الناس الى علمه عسى أن يصيب كلمة تدله على الهدى أو ترده عن ردى فقال ان كان فى عبادك من هو أعلم منى فادللنى عليه قال أعلم منك الخضر قال فأين أطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال يارب كيف لى به قال تأخذ حوتا فى مكتل حيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فأخبرنى فذهبا يمشيان فرقد موسى عليه السلام فاضطرب الحوت ووقع فى البحر فلما جاء وقت الغداء طلب موسى الحوت فأخبره فتاه بوقوعه فى البحر فأتيا الصخرة فاذا رجل مسجى بثوبه فسلم عليه موسى عليه السلام فقال وأنى بأرضنا السلام فعرفه نفسه فقال ياموسى أنا على علم علمنيه الله لا تعلمه أنت وأنت على علم علمكه الله لا أعلمه أنا فلما ركبا السفينة جاء عصفور فوقع على حرفها فنقر فى الماء فقال الخضر ما ينقص علمى وعلمك من علم الله مقدار ما أخذ هذا العصفور من البحر قلت وهذا صحيح لان علم الانسان متناه وعلم الله غير متناه ولا نسبة للمتناهى الى غير المتناهى أصلا * ولنرجع الى التفسير قال الزجاج وتبعه جار الله

وأقرب رحما أرحم به منهما بالذى قتل الخضر وكان بعض أهل العربية يتأول ذلك وأقرب أن يرحماه والرحم مصدر رحمت يقال رحمته رحمة ورحما وكان بعض البصريين يقول من الرحم والقرابة وقد يقال رحم ورحم مثل عسر وعسر وهلك وهلك واستشهد لقوله ذلك ببيت العجاج

* ولم تعوج رحم من تعوجا *

ولا وجه للرحم فى هذا الموضع لان المقتول كان والذى أبدل الله منه والديه ولدا لأبوى المقتول فقرابتهما من والديه وقربهما منه فى الرحم سواء وانما معنى ذلك وأقرب من المقتول أن يرحم والديه فيبرهما كما قال قتادة وقد يتوجه الكلام الى أن يكون معناه وأقرب أن يرحماه غير أنه لا قائل من أهل التأويل تأوله كذلك فاذ لم يكن فيه قائل فالصواب فيه ما قلنا لما بينا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمرى ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قول صاحب موسى وأما الحائط الذى أقمته فانه كان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنزهما * اختلف أهل التأويل فى ذلك الكنز فقال بعضهم كان صحفا فيها علم مدفونة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وكان تحته كنزهما قال كان تحته كنز علم حدثنا يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن سعيد بن جبير وكان تحته كنزهما قال كان كنز علم حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى حصين عن سعيد بن جبير وكان تحته كنزهما قال علم حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا أبو داود قال ثنا شعبة عن أبى حصين عن سعيد بن جبير وكان تحته كنزهما قال علم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وكان تحته كنزهما قال صحف لغلامين فيها علم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال صحف علم حدثنى أحمد بن حازم الغفارى قال ثنا هناد قال ثنا مالك الشيبانية قالت سمعت صاحبى حماد بن الوليد الثقفى يقول سمعت جعفر بن محمد يقول فى قول الله عز وجل وكان تحته كنزهما قال سطران ونصف لم يتم الثالث عجبت للموقن بالرزق كيف يتعب وعجبت للموقن بالحساب كيف يغفل وعجبت للموقن بالموت كيف يفرح وقد قال وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين قالت وذكر أنهما حفظا بصلاح أبيهما ولم يذكر منهما صلاحا وكان بينهما وبين الاب الذى حفظا به سبعة آباء وكان نساجا حدثنى يعقوب قال ثنا الحسن ابن حبيب بن ذنبة قال ثنا سلمة بن محمد عن نعيم العنبرى وكان من جلساء الحسن قال سمعت الحسن يقول فى قوله وكان تحته كنزهما قال لوح من ذهب مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن يؤمن كيف يحزن وعجبت لمن يوقن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يعرف الدنيا

(لا أبرح) بمعنى لا أزال وقد حذف الخبر لدلالة حال السفر عليه ولان قوله (حتى أبلغ) غاية مضروبة فلا بد لها من ذى غاية فالمعنى لا أزال أسير الى أن أبلغ وجوز أن يكون المعنى لا برح سيرى حتى أبلغ على أن حتى أبلغ هو الخبر حذف المضاف وهو السير وأقيم المضاف اليه وهو ياء المتكلم مقامه فانقلب الفعل من لفظ الغائب الى لفظ المتكلم وجوز أيضا أن يكون لا أبرح بمعنى لا أزول من برح المكان والمعنى لا أبرح ما أنا عليه أى لا أترك المسير والطلب حتى أبلغ (مجمع البحرين) يعنى ملتقى بحرى فارس والروم وقد شرحنا وضع البحار فى سورة البقرة فى تفسير قوله والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وقيل أراد طنجة وقيل افريقية ومن غرائب التفسير أن البحرين موسى والخضر

لانهما بحرا العلم وهذا مع غرابته مستبشع جدا لان أحد البحرين اذا كان هو موسى عليه السلام فكيف يصح أن يقول حتى أبلغ مجمع البحرين اذ يؤل حاصل المعنى الى قولنا حتى أبلغ مكانا يجتمع فيه بحران من العلم أحدهما أنا (أو أمضى حقبا) أسير زمانا طويلا قال جار الله الحقب بالضم ثمانون سنة ويقال أكثر من ذلك وقيل انه تعالى أعلم موسى حال هذا العالم وما أعلمه موضعه بعينه فقال موسى لا أزال أمضى حتى يجتمع البحران فيصيرا بحرا واحدا أو أمضى (٦) دهرا طويلا حتى أجد هذا العالم وهذا اخبار من موسى عليه السلام بانه وطن نفسه على تحمل التعب الشديد الى أن يلقاه وفيه تنبيه على شرف العلم وأن طالب العلم يحق له أن يسافر ويتحمل المتاعب فى الطلب من غير ملال وكلال (فلما بلغا مجمع بينهما) قال جمهور المفسرين الضمير للبحرين أى تحقق ما قال موسى وبلغ المكان الذى وعد فيه لقاء الخضر ولا بد للبين من فائدة ولعل المراد حيث يكاد يلتقى وسط ما امتد من البحرين طولا والاضافة بمعنى فى أى مجمعا فى وسط البحرين فيكون كالتفصيل لمجمع البحرين والبيان والايضاح بكلام علام الغيوب تعالى أولى منه بكلام موسى أو البين بمعنى الافتراق أى البحران المفترقان يجتمعان هنالك ويحتمل على هذا أن يعود الضمير الى موسى والخضر أى وصلا الى الموضع الذى وعد اجتماع شملهما هنالك أو البين بمعنى الوصل لانه من الاضداد فيفيد مزيد التأكيد كقولهم جد جده وهذه الوجوه مما لا أجدها فى التفاسير فان كن صوابا فمن الله والا فمنى ومن الشيطان (نسيا حوتهما) لانه تعالى جعل انقلاب الحوت حيا علامة على مسكن الخضر قيل ان الفتى كان يغسل السمكة لانها كانت مملوحة فطفرت وسارت وقيل ان يوشع توضأ فى ذلك المكان فانتضح الماء على الحوت المالح فعاش ووثب الى الماء وقيل انفجرت هنالك عين من الجنة ووصلت قطرات من تلك العين الى السمكة فحييت وطفرت الى البحر ونسيان الافعال الحوت للذهول عن الاستدلال بهذه الحالة المخصوصة على الوصول الى المطلوب والسبب فى هذا الذهول مع أن هذه الحالة كانت أمارة لهما على الطلبة التى تناهضا من أجلها هو أن يوشع كان قد تعود مشاهدة المعجزات الباهرة فلم يبق لحياة السمكة ولقيام الماء وانتصابه مثل الطاق ونفوذها فى مثل السرب منه وقع عنده وقيل ان موسى عليه السلام لما استعظم علم نفسه أزال الله عن قلب صاحبه هذا العلم الذى يشبه الضرورى

وتقلبها بأهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى ابن اسحق عن الحسن بن عمارة عن الحكم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه كان يقول ما كان الكنز الا علما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن حميد عن مجاهد فى قوله وكان تحته كنز لهما قال صحف من علم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى عبد الله بن عياش عن عمر مولى غفرة قال ان الكنز الذى قال الله فى السورة التى يذكر فيها الكهف وكان تحته كنز لهما قال كان لوحا من ذهب مصمت مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجب لمن عرف الموت ثم ضحك عجب لمن أيقن بالقدر ثم نصب عجب لمن أيقن بالموت ثم أمن أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله * وقال آخرون بل كان مالا مكنوزا ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن عكرمة وكان تحته كنز لهما قال كنز مال حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى حصين عن عكرمة مثله حدثنا ابن المثنى قال ثنا أبو داود عن شعبة قال أخبرنى أبو حصين عن عكرمة مثله قال شعبة ولم نسمعه منه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة وكان تحته كنز لهما قال مال لهما قال قتادة أحل الكنز لمن كان قبلنا وحرم علينا فان الله يحل من أمره ما يشاء ويحرم وهى السنن والفرائض ويحل لأمة ويحرم على أخرى ولكن الله لا يقبل من أحد مضى الا الاخلاص والتوحيد له * وأولى التأويلين فى ذلك بالصواب القول الذى قاله عكرمة لان المعروف من كلام العرب أن الكنز اسم لما يكنز من مال وأن كل ما كنز فقد وقع عليه اسم كنز فان التأويل مصروف الى الاغلب من استعمال المخاطبين بالتنزيل ما لم يأت دليل يجب من أجله صرفه الى غير ذلك لعلل قد بيناها فى غير موضع وقوله أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما يقول فأراد ربك أن يدركا ويبلغا قوتهما وشدتهما ويستخرجا حينئذ كنزهما المكنوز تحت الجدار الذى أقمته رحمة من ربك بهما يقول فعلت فعلى هذا بالجدار رحمة من ربك لليتيمين وكان ابن عباس يقول فى ذلك ما حدثنى موسى ابن عبد الرحمن قال ثنا أبو أسامة عن مسعر عن عبد الملك بن ميسرة عن سعيد بن جبير قال قال ابن عباس فى قوله وكان أبوهما صالحا قال حفظا بصلاح أبيهما وما ذكر منهما صلاح حدثنا أبو كريب قال ثنا سفيان عن مسعر عن عبد الملك بن ميسرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس بمثله وقوله وما فعلته عن أمرى يقول وما فعلت يا موسى جميع الذى رأيتنى فعلته عن رأيى ومن تلقاء نفسى وانما فعلته عن أمر الله اياى به كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما فعلته عن أمرى كان عبدا مأمورا فمضى لامر الله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وما فعلته عن أمرى ما رأيت أجمع ما فعلته عن نفسى وقوله ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا يقول هذا الذى ذكرت لك من الاسباب التى من أجلها فعلت

تنبيها لموسى عليه السلام على أن العلم لا يحصل الا بتعليم الله وحفظه على قلوب عباده وانتصاب قوله (سربا) على أنه مفعول ثان لاتخذ أى اتخذ سبيله سبيلا سربا وهو بيت فى الارض وذلك أن الله تعالى أمسك اجراء الماء عن الحوت وجعله كالكوة حتى سرى الحوت فيه معجزة لموسى عليه السلام وللخضر وقيل السرب هو الذهاب والتقدير سرب فى البحر سربا الا أنه أقيم قوله واتخذ سبيله مقام سرب (فلما جاوزا) أى موسى وفتاه الموعد المعين وهو الصخرة (قال موسى لفتاه آتنا غداءنا) وهو ما يؤكل (٧) بالغداة (لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) تعبا وجوعا

قال المفسرون قوله من سفرنا هذا اشارة الى مسيرهما وراء الصخرة ولم ينصب ولا جاع قبل ذلك قال الفتى متعجبا (أرأيت) ومفعوله محذوف لدلالة قوله فانى نسيت الحوت عليه كأنه قال أرأيت ما دهانى ووقع لى (اذ أوينا الى الصخرة) قيل هى الصخرة التى دون نهر الزيت (فانى نسيت الحوت) عليها ثم ذكر ما يجرى مجرى السبب فى وقوع ذلك النسيان فقال (وما أنسانيه الا الشيطان) و(أن أذكره) بدل الاشتمال من الهاء فى أنسانيه أى وما أنسانى ذكره قال الكعبى لو كان النسيان بخلق الله وارادته لكان اسناد ذلك الى الله تعالى أولى من اسناده الى الشيطان اذ ليس له فى وجوده سعى ولا أثر وقال القاضى المراد بانساء الشيطان أن يشتغل قلب الانسان بوساوسه التى هى من فعله دون النسيان الذى يضاد الذكر لان ذلك لا يصلح أن يكون الا من قبل الله تعالى قال أهل البرهان لما كان اتخاذ الحوت سبيله فى البحر عقيب النسيان ذكر أولا فاتخذ بالفاء ولما حيل بينهما ثانيا بجملة معترضة هى قوله وما أنسانيه زال معنى التعقيب وبقى العطف المجرد فقال (واتخذ سبيله) بالواو وانتصاب (عجبا) كما مر فى سربا قال صلى الله عليه وسلم كان للحوت سربا ولموسى وفتاه عجبا (قال) موسى

الافعال التى استنكرتها منى تأويل يقول ما تؤل اليه وترجع الافعال التى لم تسطع على ترك مسئلتك اياى عنها وانكارك لها صبرا وهذه القصص التى أخبر الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بها عن موسى وصاحبه تأديب منه له وتقدم اليه بترك الاستعجال بعقوبة المشركين الذين كذبوه واستهزؤا به وبكتابه واعلام منه له أن أفعاله بهم وان جرت فيما ترى الاعين بما قد يجرى منه أحيانا لأوليائه فان تأويله صائر بهم الى أحوال أعدائه فيها كما كانت أفعال صاحب موسى واقعة بخلاف الصحة فى الظاهر عند موسى اذ لم يكن عالما بعواقبها وهى ماضية على الصحة فى الحقيقة وآئلة الى الصواب فى العاقبة ينبئ عن صحة ذلك قوله وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا العجل لهم العذاب بل لهم موعدا لن يجدوا من دونه موئلا ثم عقب ذلك بقصة موسى وصاحبه يعلم نبيه أن تركه جل جلاله تعجيل العذاب لهؤلاء المشركين بغير نظر منه لهم وان كان ذلك فيما يحسب من لا علم له بما الله مدبر فيهم نظرا منه لهم لان تأويل ذلك صائر الى هلاكهم وبوارهم بالسيف فى الدنيا واستحقاقهم من الله فى الآخرة الخزى الدائم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ويسئلونك عن ذى القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا انا مكنا له فى الارض وآتيناه من كل شئ سببا فأتبع سببا ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ويسألك يا محمد هؤلاء المشركون عن ذى القرنين ما كان شأنه وما كانت قصته فقل لهم سأتلو عليكم من خبره ذكرا يقول سأقص عليكم منه خبرا وقد قيل ان الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمر ذى القرنين كانوا قوما من أهل الكتاب فأما الخبر بأن الذين سألوه عن ذلك كانوا مشركى قومه فقد ذكرناه قبل وأما الخبر بأن الذين سألوه كانوا قوما من أهل الكتاب فحدثنا به أبو كريب قال ثنا زيد بن حباب عن ابن لهيعة قال ثنى عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن شيخين من تجيب قال أحدهما لصاحبه انطلق بنا الى عقبة بن عامر نتحدث قالا فأتياه فقالا اجئنا نتحدثنا فقال كنت يوما أخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجت من عنده فلقينى قوم من أهل الكتاب فقالوا نريد أن نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن لنا عليه فدخلت عليه فأخبرته فقال مالى ومالهم مالى علم الا ما علمنى الله ثم قال اسكب لى ماء فتوضأ ثم صلى قال فما فرغ حتى عرفت السرور فى وجهه ثم قال أدخلهم على ومن رأيت من أصحابى فدخلوا فقاموا بين يديه فقال ان شئتم سألتم فأخبرتكم عما تجدونه فى كتابكم مكتوبا وان شئتم أخبرتكم قالوا بلى أخبرنا قال جئتم تسألونى عن ذى القرنين وما تجدونه فى كتابكم كان شابا من الروم فجاء فبنى مدينة مصر الاسكندرية فلما فرغ جاءه ملك فعلا به فى السماء فقال له ما ترى فقال أرى مدينتى ومدائن ثم علا به فقال ما ترى فقال أرى مدينتى ثم علا به فقال ما ترى قال أرى الارض قال فهذا اليم محيط بالدنيا ان الله يعنى اليك تعلم الجاهل وتثبت العالم فأتى به السد وهو جبلان لينان يرشق عنهما كل شئ ثم مضى به حتى جاوز يأجوج ومأجوج ثم مضى به الى أمة أخرى وجوههم وجوه

(ذلك) يعنى اتخاذ الحوت السبيل فى البحر (ما كنا نبغى) أى انه الذى كنا نطلبه لانه أمارة الظفر بالمطلوب (فارتدا على آثارهما) فرجعا على طريقهما المسلوك (قصصا) مصدر لانه بمعنى الارتداد على الاثر أى يتبعان آثارهما اتباعا أو هو مصدر فى موضع الحال أى رجعا على الطريق الذى جاءا منه مقتصين (فوجدا عبدا من عبادنا) الأكثرون على أن ذلك العبد كان نبيا لانه تعالى وصفه بقوله (آتيناه رحمة من عندنا) والرحمة هى الوحى والنبوة بدليل قوله أهم يقسمون رحمة ربك وقوله وما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك ومنع أن كل رحمة نبوة

قالوا وصفه بقوله (وعلمناه من لدنا علما) والعلم المختص به تعالى هو الوحى والاخبار بالغيوب وأيضا قال فى آخر القصة وما فعلته عن أمرى أى عرفته وفعلته بأمر الله وذلك مستلزم للوحى وروى أن موسى عليه السلام لما وصل اليه قال السلام عليك فقال وعليك السلام يا نبى بنى اسرائيل فقال من عرفك هذا قال الذى بعثك الى والصوفية سموا العلوم الحاصلة بطريق المكاشفات العلوم اللدنية والتحقيق فيه اذا ضعفت القوى الحسية والخيالية بواسطة الرياضة (٨) قويت القوة العقلية وأشرقت الانوار الالهية على جواهر العقل ويفيض عليه من عالم الارواح أنوار يستعد بسببها لملاحظة أسرار الملكوت ومطالعة عالم اللاهوت والاكثرون أيضا على أن ذلك العبد هو الخضر سمى بذلك لانه كان لا يقف موقفا الا أخضر ذلك الموقف وقال الجبائى روى أن الخضر انما بعث بعد موسى عليه السلام من بنى اسرائيل فان صحت الرواية لم يكن ذلك العبد هو الخضر لانه بعث بعده وبتقدير كونه معاصرا له فانه أظهر الترفع على موسى حين قال وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا وأن موسى أظهر التواضع له حين قال ولا أعصى لك أمرا مع أنه كان مبعوثا الى كافة بنى اسرائيل والامة لا تكون أعلى حالا من النبى وان لم تكن الرواية صحيحة بأن الخضر لا يكون من بنى اسرائيل لم يجز أن يكون الخضر أفضل من موسى عليه السلام لانه تعالى قال لبنى اسرائيل وأنى فضلتكم على العالمين وأجيب بأنه يجوز أن يكون غير النبى فوق النبى فى علوم لا تتوقف نبوته عليها قال العلماء ان موسى راعى مع الخضر فى قوله (هل اتبعك) أنواعا من الادب منها انه جعل نفسه تبعا له مطلقا وفيه أن المتعلم يجب عليه الخدمة وتسليم النفس والاتيان بمثل أفعال الاستاذ وأقواله على جهة التبعية لا الاستقلال فان المتابعة هى الاتيان بمثل فعل الغير لاجل كونه فعلا لذلك الغير ولهذا سنا متبعين لليهود فى قولنا لا اله الا الله لا نا لا نقول كلمة وقوله التوحيد لاجل أنهم قالوها بل لقيام الدليل على قولها ولكنا متابعون فى الصلوات الخمس للنبى صلى الله عليه وسلم لا نا نأتى بها لاجل أنه أتى بها ومنها أنه استأذن فى اثبات هذه التبعية ومنها أنه قال على أن تعلمنى مما علمت وفيه اقرار على استاذه بالعلم وفيه أنه لم يطلب منه الا بعض علمه ولم يطلب منه أن يجعله مساويا له فى العلم كما يطلب الفقير من الغنى أن يدفع اليه جزأ من أجزاء ماله لا كله وفيه اعتراف بأن ذلك العلم علمه الله

الكلاب يقاتلون يأجوج ومأجوج ثم مضى به حتى قطع به أمة أخرى يقاتلون هؤلاء الذين وجوههم وجوه الكلاب ثم مضى حتى قطع به هؤلاء الى أمة أخرى قد سماهم واختلف أهل العلم فى المعنى الذى من أجله قيل لذى القرنين ذو القرنين فقال بعضهم قيل له ذلك من أجل أنه ضرب على قرنه فهلك ثم أحيى فضرب على القرن الآخر فهلك ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن عبيد المكتب عن أبى الطفيل قال سأل ابن الكواء عليا عن ذى القرنين فقال هو عبد أحب الله فأحبه وناصح الله فنصحه فأمرهم بتقوى الله فضربوه على قرنه فقتلوه ثم بعثه الله فضربوه على قرنه فمات **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا يحيى عن سفيان عن حبيب بن أبى ثابت عن أبى الطفيل قال سئل على رضوان الله عليه عن ذى القرنين فقال كان عبدا ناصح الله فناصحه فدعا قومه الى الله فضربوه على قرنه فمات فأحياه الله فدعا قومه الى الله فضربوه على قرنه فمات فسمى ذا القرنين **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن القاسم بن أبى بزة عن أبى الطفيل قال سمعت عليا وسألوه عن ذى القرنين أنبيا كان قال كان عبدا صالحا أحب الله فأحبه وناصح الله فنصحه فبعثه الله الى قومه فضربوه ضربتين فى رأسه فسمى ذا القرنين وفيكم اليوم مثله * وقال آخرون فى ذلك بما **حدثنى** به محمد ابن سهل البخارى قال ثنا اسمعيل بن عبد الكريم قال ثنى عبد الصمد بن معقل قال قال وهب بن منبه كان ذو القرنين ملكا فقيل له فلم سمى ذا القرنين قال اختلف فيه أهل الكتاب فقال بعضهم ملك الروم وفارس وقال بعضهم كان فى رأسه شبه القرنين * وقال آخرون انما سمى ذلك لان صفحتى رأسه كانتا من نحاس ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى ابن اسحق قال ثنى من لا أتهم عن وهب بن منبه اليمانى قال انما سمى ذا القرنين أن صفحتى رأسه كانتا من نحاس وقوله انا مكنا له فى الارض وآتيناه من كل شئ سببا يقول انا وطأنا له فى الارض وآتيناه من كل شئ سببا يقول وآتيناه من كل شئ يعنى ما يتسبب اليه وهو العلم به * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وآتيناه من كل شئ سببا يقول علما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وآتيناه من كل شئ سببا أى علما **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وآتيناه من كل شئ سببا قال من كل شئ علما **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله وآتيناه من كل شئ سببا قال علم كل شئ **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وآتيناه من كل شئ سببا علما **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وآتيناه من كل شئ سببا يقول علما

تعالى والاسمى فاعله وفيه اشعار بأن انعامه عليه فى هذا التعليم شبيه بانعام الله عليه فيه ومن هنا قيل أنا عبد من علمنى حرفا ومنها أن الخضر عرف أنه نبى صاحب المعجزات المشهورة ثم انه مع هذه المناصب العلية والمراتب السنية لم يطلب منه المال والجاه وانما طلب التعليم فقال على أن تعلمنى فدل ذلك على أنه لا كمال فوق كمال العلم وأنه لا يحسن صرف الهمة الا الى تحصيله وفيه أن كل من كانت احاطته بالعلوم أكثر كان علمه بما فيها من البهجة والسعادة أكثر فكان حرصه على زيادتها أوفر ومنها أنه قال (٩) رشدا وهو يصلح أن يكون مفعولا لتعلمنى واعلمت أى علما ذا رشد أرشد به فى دينى وفيه تعظيم لما سيعلمه فان الارشاد هو الأمر الذى لو لم يحصل حصل الضلال ثم انه تعالى حكى عن الخضر أنه قال لن تستطيع معى صبرا نفى استطاعة الصبر معه على وجه التأكيد لعلمه بأنه يتولى أمورا هى فى الظاهر منكرة والرجل الصالح لا سيما النبى الذى يحكم بظواهر الامور شرعا قلما يتمالك أن يصبر عليها و (خبرا) تمييز أى لم يحط به خبرك أو هو مصدر لكونه فى معنى الاحاطة استدلت الاشاعرة بالآية على أن الاستطاعة لا تحصل قبل الفعل والا لكانت الاستطاعة على الصبر حاصلة قبل الصبر فيكون قول الخضر ينفى الاستطاعة كذبا وكذا قوله وكيف تصبر لانه استفهام فى معنى الانكار أى لا تصبر البتة أجاب الجبائى بأنه أراد بنفى الاستطاعة أنه يثقل عليه الصبر لا أنه لا يستطيعه يقال فى العرف ان فلانا لا يستطيع أن يرى فلانا وأن يجالسه اذا كان يثقل عليه ذلك ولهذا (قال) له موسى (ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا أعصى) أى ستجدنى غير عاص (لك أمرا) ويجوز أن يكون قوله ولا أعصى جملة مستأنفة معطوفة على مثلها أى ستجدنى ولا أعصى قال أهل السنة فى قوله ان شاء الله بطريق الشك والصبر مأمور به دليل على أنه تعالى قد لا يريد من العبد ما أوجبه عليه قالت المعتزلة انما ذكره بطريق الادب وأجيب بأن هذا الادب ان صح معناه فقد ثبت المطلوب وان فسد فأى أدب فى ذكر الكلام الباطل قالت الاصوليون فى قوله ولا أعصى لك أمرا دليل على أن ظاهر الامر للوجوب لان تارك الامر عاص بهذه الآية والعاصى يستحق العقاب لقوله ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم قال المحققون فى قول الخضر تغليظ وتجهيل وفى قول موسى تحمل وتواضع فدل ذلك على أن المعلم ان رأى التغليظ على المتعلم فيما يعتقده نفعا وارشادا الى الخير فالواجب عليه ذكره وعلى المتعلم أن يتلقاه بالبشر والطلاقة ثم قال (فان اتبعتنى فلا تسألنى) شرط على موسى عليه السلام فى اتباعه

وقوله فأتبع سببا اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة فاتبع بوصل الألف وتشديد التاء بمعنى سلك وسار من قول القائل اتبعت أثر فلان اذا قفوته وسرت وراءه وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة فأتبع بهمز الألف وتخفيف التاء بمعنى لحق * وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب قراءة من قرأه فاتبع بوصل الألف وتشديد التاء لان ذلك خبر من الله تعالى ذكره عن مسير ذى القرنين فى الأرض التى مكن له فيها لا عن لحاقه السبب وبذلك جاء تأويل أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فاتبع سببا يعنى بالسبب المنزل حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله سببا قال منزلا وطريقا ما بين المشرق والمغرب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه حدثنى محمد بن عمارة الأسدى قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا اسرائيل عن أبى يحيى عن مجاهد فاتبع سببا قال طريقا فى الارض حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فاتبع سببا اتبع منازل الارض ومعالمها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فاتبع سببا قال (١) هذه الآن سبب الطرق كما قال فرعون ياهامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات قال طرق السموات حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله فاتبع سببا قال منازل الارض حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فاتبع سببا قال المنازل

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة ووجد عندها قوما قلنا ياذا القرنين اما أن تعذب واما أن تتخذ فيهم حسنا﴾ يقول تعالى ذكره حتى اذا بلغ ذو القرنين مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة فاختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأه بعض قراء المدينة والبصرة فى عين حمئة بمعنى أنها تغرب فى عين ماء ذات حمأة وقرأته جماعة من قراء المدينة وعامة قراء الكوفة فى عين حامية يعنى أنها تغرب فى عين ماء حارة واختلف أهل التأويل فى تأويلهم ذلك على نحو اختلاف القراء فى قراءته ذكر من قال تغرب فى عين حمئة حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا ابن أبى عدى عن داود عن عكرمة عن ابن عباس وجدها تغرب فى عين حمئة قال فى طين أسود حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا داود عن عكرمة عن ابن عباس أنه كان يقرأ فى عين حمئة قال ذات حمأة حدثنا الحسين بن الجنيد قال ثنا سعيد بن مسلمة قال ثنا اسمعيل بن علية عن عثمان بن حاضر قال سمعت عبد الله بن عباس يقول قرأ معاوية هذه الآية فقال عين حامية فقال ابن عباس انها عين حمئة قال فجعلا كعبا بينهما

(١) عبارة الدر هذه الآن الطرق ثم قال والشئ يكون اسمه واحدا وهو متفرق فى المعنى فتأمل منحه

أن لا يسأل عما خفي عليه وجه صحته حتى يكون الخضر هو المبتدئ بتعليمه اياه و باخباره عن وجه الحكمة فيه (فانطلقا) على ساحل البحر يطلبان السفينة فلما ركباها ير وى أن أهلها قالوا هما من اللصوص وأمروهما بالخروج فمنعهم صاحب السفينة وقال أرى وجوه الانبياء وقيل عرفوا الخضر فحملوهم بلا أجرة فلما حصلوا في اللجة أخذ الخضر الفأس فخرق السفينة بأن قلع لوحين من ألواحها مما يلي الماء وقيل خرق جدار السفينة ليعيبها لانه يتسارع الغرق (١٠) الى أهلها فعمل موسى يسد الخرق بثيابه و يقول (أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيأ إمرا) أتيت شيأ عظيما يقال أمر الامر اذا عظم و يقال في الشيء العجيب الذي لا يعرف له شبيه انه أمر إمر احتج الطاعنون في عصمة الانبياء بأن موسى عليه السلام اعترض على الخضر بعد توكيد العهود والمواثيق وذلك ذنب وأجيب بأنه لم يقل ذلك اعتراضا وتوبيخا ولكنه أحب أن يقف على حكمة ذلك الامر الخارج عن العادة أو أنه خالف الشرط بناء على النسيان ولهذا (قال لا تؤاخذني بما نسيت) ولا مؤاخذة على الناسي وما موصولة أو موصوفة أو مصدرية أي بالذي نسيته و بشيء نسيته و بنسياني وجوز في الكشاف أن لا يكون ناسيا في الحقيقة ولكنه أوهم بقوله لا تؤاخذني بما نسيت أنه قد نسي ليبسط عذره في الاعتراض على المعلم وهو من معاريض الكلام التي يتقى بها الكذب مع التوصل الى الغرض وجوز أيضا أن يكون النسيان بمعنى الترك أي بما تركت من وصيتك أول مرة (ولا ترهقني) ولا تغشني (من أمري عسرا) وأراد بأمره أمر المتابعة أي يسر علي متابعتك بالاغضاء وترك المناقشة وانما قال في هذه القصة خرقها بغير فاء لانه جعله جزاء الشرط وفي قصة الغلام جعل فقتله من جملة الشرط معطوفا عليه بفاء التعقيب لان القتل يعقب لقاء الغلام ولفظ الغلام يتناول الشاب البالغ كما يتناول الصغير ومنه قولهم رأى الشيخ خير من مشهد حسنا الغلام وأصله من الاغتلام وهو شدة الشبق وليس في القرآن أنهما كيف لقياه وهل كان يلعب مع جمع من الغلمان أو كان منفردا وهل كان مسلما أو كان كافرا وهل كان بالغا أو كان صغيرا واسم الغلام بالصغير أليق الا أن (بغير نفس) بالبالغ أليق لان الصبي لا يقتل قصاصا وعن ابن عباس أن نجدة الحروري الخارجي كتب اليه كيف جاز قتله وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت من

قال فارسلا الى كعب الاحبار فسألاه فقال كعب أما الشمس فانها تغيب في ثأط فكانت على ما قال ابن عباس والثأط الطين **حدثنا** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثني نافع بن أبي نعيم قال سمعت عبد الرحمن الاعرج يقول كان ابن عباس يقول في عين حمئة ثم فسر هاذات حمأة قال نافع وسئل عنها كعب فقال أنتم أعلم بالقرآن مني ولكني أجدها في الكتاب تغيب في طينة سوداء **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس وجدها تغرب في عين حمئة قال هي الحمأة **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في عين حمئة قال ثأط **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد في قول الله عز ذكره تغرب في عين حمئة قال ثأطة * قال وأخبرني عمرو بن دينار عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال قرأت في عين حمئة وقرأ عمرو بن العاص في عين حامية فأرسلنا الى كعب فقال انها تغرب في حمأة طينة سوداء **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة تغرب في عين حمئة والحمئة الحمأة السوداء **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا مروان بن معاوية عن ورقاء قال سمعت سعيد ابن جبير قال كان ابن عباس يقرأ هذا الحرف في عين حمئة و يقول حمأة سوداء تغرب فيها الشمس * وقال آخرون بل هي تغيب في عين حارة ذكر من قال ذلك **حدثني** علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس وجدها تغرب في عين حامية يقول في عين حارة **حدثنا** يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبي رجاء قال سمعت الحسن يقول في عين حامية قال حارة **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن في قوله في عين حامية قال حارة وكذلك قرأها الحسن * والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال انهما قراءتان مستفيضتان في قرأة الامصار ولكل واحدة منهما وجه صحيح ومعنى مفهوم وكلا وجهيه غير مفسد أحدهما صاحبه وذلك أنه جائز أن تكون الشمس تغرب في عين حارة ذات حمأة وطين فيكون القارئ في عين حامية واصفها بصفتها التي هي لها وهي الحرارة و يكون القارئ في عين حمئة واصفها بصفتها التي هي بها وهي أنها ذات حمأة وطين وقد روي بكلا صيغتيها اللتين قلت انهما من صفتها أخبار **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا العوام قال ثني مولى لعبد الله بن عمرو عن عبد الله قال نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الشمس حين غابت فقال في نار الله الحامية في نار الله الحامية لولا ما يزعها من أمر الله لأحرقت ما على الارض **حدثني** الفضل بن داود الواسطي قال ثنا أبو داود قال ثنا محمد بن دينار عن سعد بن أوس عن مصدع عن ابن عباس عن أبي بن كعب أن النبي صلى الله عليه وسلم أقرأه حمئة وقوله ووجد عندها قوما ذكر أن أولئك القوم يقال لهم ناسك وقوله قلنا ياذا القرنين اما أن تعذب يقول اما أن تقتلهم ان هم لم يدخلوا في الاقرار بتوحيد الله ويذعنوا لك بما تدعوهم اليه من طاعة ربهم واما أن تتخذ فيهم

حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك أن تقتل قال الكسائى الزاكية والزكية لغتان ومعناهما الطاهرة وقال أبو عمرو الزاكية التى لم تذنب والزكية التى أذنبت ثم تابت ويجوز أن يكون وصفها بالزكاء لانه لم يرها أذنبت فهى طاهرة عنده قيل النكر أقل من الامر لان قتل نفس واحدة أهون من اغراق أهل السفينة وقيل النكر أشد لأن ذلك كان خرقا يمكنه تداركه بالسد وهذا لا سبيل الى تداركه وأيضا الامر العجيب والعجب يستعمل فى الخير والشر والنكر ما تنكره العقول فهو شر وظاهر الآية (١١) يدل على أن موسى استبعد أن تقتل النفس

حسنا يقول واما أن تأسرهم فتعلمهم الهدى وتبصرهم الرشاد ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا﴾ يقول جل ثناؤه قال أما من ظلم فسوف نعذبه يقول أما من كفر فسوف نقتله كما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله أما من ظلم فسوف نعذبه قال هو القتل وقوله ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا يقول ثم يرجع الى الله تعالى بعد قتله فيعذبه عذابا عظيما وهو النكر وذلك عذاب جهنم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا﴾ يقول وأما من صدق الله منهم ووحده وعمل بطاعته فله عند الله الحسنى وهى الجنة جزاء يعنى ثوابا على ايمانه وطاعته ربه وقد اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة وبعض أهل البصرة والكوفة فله جزاء الحسنى برفع الجزاء واضافته الى الحسنى واذا قرئ ذلك كذلك فله وجهان من التأويل أحدهما أن يجعل الحسنى مرادا بها ايمانه وأعماله الصالحة فيكون معنى الكلام اذا أريد بها ذلك وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاؤها يعنى جزاء هذه الأفعال الحسنة والوجه الثانى أن يكون معنيا بالحسنى الجنة وأضيف الجزاء اليها كما قيل ولدار الآخرة خير والدار هى الآخرة وكما قال وذلك دين القيمة والدين هو القيم وقرأ آخرون فله جزاء الحسنى بمعنى فله الجنة جزاء فيكون الجزاء منصوبا على المصدر بمعنى يجازيه جزاء الجنة ۞ وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك عندى قراءة من قرأه فله جزاء الحسنى بنصب الجزاء وتنوينه على المعنى الذى وصفت من أن لهم الجنة جزاء فيكون الجزاء نصبا على التفسير وقوله وسنقول له من أمرنا يسرا يقول وسنعلمه نحن فى الدنيا ما تيسر لنا تعليمه مما يقربه الى الله ويلين له من القول وكان مجاهد يقول نحوا مما قلنا فى ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى ح وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله من أمرنا يسرا قال معروفا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ثم أتبع سببا حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا﴾ يقول تعالى ذكره ثم سار وسلك ذو القرنين طرقا ومنازل كما حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ثم أتبع سببا يعنى منزلا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ثم أتبع سببا منازل الارض ومعالمها حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا يقول تعالى ذكره ووجد ذو القرنين الشمس تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا وذلك أن أرضهم لا جبل فيها ولا شجر ولا تحتمل بناء فيسكنوا البيوت وانما يغورون فى المياه أو يسربون فى الأسراب

الا بالنفس وليس كذلك لانه قد يحل القتل بسائر الاسباب ولعله اعتبر السبب الأغلب الأقوى واختلفوا فى كيفية قتله فقيل قتل عنقه وقيل ضرب برأسه الحائط وعن سعيد بن جبير أضجعه ثم ذبحه بالسكين ثم انه سبحانه حكى عن الخضر أنه ما زاد على أن أذكره ما عاهد عليه فقال (ألم أقل لك) وانما زاد ههنا لك لان الانكار أكثر وموجب العتاب أقوى وقيل أكد التقرير الثانى بقوله لك كما تقول لمن توبخه لك أقول وايالك أعنى وقيل بين فى الثانى المقول له لما لم يبين فى الاول فعند هذا (قال) موسى (ان سألتك عن شئ بعدها) بعد هذه الكرة أو المسئلة (فلا تصاحبنى) نهاه عن المصاحبة حينئذ مع حرصه على التعلم لظهور عذره كما قال (قد بلغت من لدنى عذرا) وهذا كلام نادم شديد الندامة جره المقال واضطره الحال الى الاعتراف وسلوك سبيل الانصاف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخى موسى استحيا فقال ذلك (فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية) هى أنطاكية وقيل الايلة وهى أبعد أرض الله من السماء (استطعما أهلها) وكان حق الايجاز أن يقال استطعماهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتأكيد كقوله

ليت الغراب غداة ينعب بيننا * كان الغراب مقطع الأوداج

وأيضا لعله كره اجتماع الضميرين المتصلين فى مثل هذا اللفظ لما فيه من الكلفة والبشاعة والاستطالة (فأبوا أن يضيفوهما) يقال أضافه وضيفه اذا أنزله وجعله ضيفه والتركيب يدور على الميل من ضاف السهم عن الغرض والضيف يميل الى المضيف عن النبى صلى الله عليه وسلم كانوا أهل قرية لئاما قيل الاستطعام ليس من عادة الكرام فكيف أقدما عليه وأيضا الضيافة من المندوبات وترك المندوب غير منكر فكيف جاز لموسى أن يغضب عليهم حتى ترك عهد صاحبه وقال (لو شئت لاتخذت عليه

أجرا) وأجيب بأن الرجل اذا جاع بحيث ضعف عن الطاعة أو أشرف على الهلاك لزمه الاستطعام ووجبت اجابته ولقائل أن يقول لو كان قد بلغ الجوع الى حد الهلاك لم يقو على اصلاح الجدار ويجيب أن يقول انه أقام الجدار معجزة فقد روى أنه مسحه بيده فقام واستوى وقيل أقامه بعمود عمده به وقيل نقضه وبناه وروى أنه كان ارتفاع الجدار مائة ذراع قال أهل الاعتبار شر القرى التي لا يضاف الضيف فيها ولا يعرف لابن السبيل حقه ويحكى أن أهل تلك (١٢) القرية لما سمعوا نزول هذه الآية استحيوا وجاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمل من الذهب فقالوا يا رسول الله نشترى بهذا الذهب أن تجعل الباء تاء أى فأتوا أن يضيفوهما فامتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك (يريد أن ينقض) معناه يسرع سقوطه من انقض الطائر اذا هوى فى طيرانه يقال قضضته فانقض ويحتمل أن يكون افعل من النقض كاحمر من الحمرة فالنون تكون أصلية واحدى الضادين مكررة زائدة عكس الأول واستعيرت الارادة للمداناة والمشارفة تشبيها للجماد بالأحياء نظيره ولما سكت عن موسى الغضب قالتا أتينا طائعين ولما أقام الخضر الجدار ورأى موسى من الحرمان ومسيس الحاجة (قال) لصاحبه (لو شئت لاتخذت عليه أجرا) لطلبت على عملك جعلا حتى نستدفع به الضرورة واتخذ افتعل من تخذ كاتبع من تبع وليس من الأخذ على الأصح (قال) الخضر مشيرا الى الفراق المتصور فى قوله فلا تصاحبنى أو مشيرا الى السؤال والاعتراض (هذا فراق بينى) الاضافة بمعنى فى أى فراق أو سبب فراق فى بينى (وبينك) وحكى القفال أن البين ههنا بمعنى الوصل ثم شرع فى تقرير الحكم التى تضمنتها أفعاله وتلك الحكم تشترك فى أصل واحد هو أنه اذا تعارض الضرران وجب تحمل الأدنى لدفع الأعلى فقال (أما السفينة فكانت لمساكين) قيل كانت لعشرة اخوة خمسة منهم زمنى وخمسة (يعملون فى البحر) وقد تقدم استدلال الشافعى بهذه الآية على أن الفقير أسوأ حالا من المسكين (وكان وراءهم ملك) وهو مسمى بجلندى والوراء ههنا بمعنى الامام وقد مر فى قوله ومن ورائه عذاب غليظ وقيل أراد خلفهم وكان طريقهم فى الرجوع عليه وما كان عندهم خبره (يأخذ كل سفينة) أى غير معيبة (غصبا) ولا يخفى أن الضرر الحاصل من التخريق أهون من فوات السفينة بالكلية والتخريق وان كان تصرفا فى ملك الغير الا أنه اذا تضمن نفعا زائدا لم يكن به

كما حدثنى ابراهيم بن المستمر قال ثنا سليمن بن داود أبو داود قال ثنا سهل بن أبى الصلت السراج عن الحسن تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا قال كانت أرضا لا تحتمل البناء وكانوا اذا طلعت عليهم الشمس تغوروا فى الماء فاذا غربت خرجوا يتراعون كما ترعى البهائم قال ثم قال الحسن هذا حديث سمرة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا ذكر لنا أنهم كانوا فى مكان لا يستقر عليه البناء وانما يكونون فى أسراب لهم حتى اذا زالت عنهم الشمس خرجوا الى معايشهم وحروثهم قال كذلك وقد أحطنا بما لديه خبر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فى قوله وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا قال لم يبنوا فيها بناء قط ولم يبن عليهم فيها بناء قط وكانوا اذا طلعت عليهم الشمس دخلوا أسرابا لهم حتى تزول الشمس أو دخلوا البحر وذلك أن أرضهم ليس فيها جبل وجاءهم جيش مرة فقال لهم أهلها لا تطلعن عليكم الشمس وأنتم بها فقالوا لا نبرح حتى تطلع الشمس ما هذه العظام قالوا هذه جيش طلعت عليهم الشمس ههنا فماتوا قال فذهبوا هاربين فى الارض حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا قال بلغنا أنهم كانوا فى مكان لا يثبت عليهم بناء فكانوا يدخلون فى أسراب لهم اذا طلعت الشمس حتى تزول عنهم ثم يخرجون الى معايشهم * وقال آخرون هم الزنج ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا قال يقال هم الزنج وأما قوله كذلك فان معناه ثم أتبع سببا كذلك حتى اذا بلغ مطلع الشمس وكذلك من صلة أتبع وانما معنى الكلام ثم أتبع سببا حتى بلغ مطلع الشمس كما أتبع سببا حتى بلغ مغربها وقوله وقد أحطنا بما لديه خبرا يقول وقد أحطنا بما عند مطلع الشمس علما لا يخفى علينا مما هنالك من الخلق وأحوالهم وأسبابهم ولا من غيرهم شئ * وبالذى قلنا فى معنى الخبر قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله خبرا قال علما حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا قال علما ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ ﴿ثم أتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا قالوا ياذا القرنين ان يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا﴾ يقول تعالى ذكره ثم سار طرقا ومنازل وسلك سبلا حتى اذا بلغ بين السدين واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة وبعض الكوفيين حتى اذا بلغ بين السدين

بأس ولعل مثل هذا التصرف كان جائزا فى تلك الشريعة أو لعله كان من مخصوصات النبى صلى الله عليه وسلم قال جار الله قوله فأردت أن أعيبها مسبب عن خوف الغصب عليها وكان حقه أن يتأخر عن السبب ولكنه قدم للعناية أى تتعجب من هذا وهو مرادى وأنا مأمور به وأيضا خوف الغصب ليس هو السبب وحده ولكن مع كون السفينة لمساكين فتوسط ارادة العيب بين المسكنة والغصب كتوسط الظن بين المبتدا والخبر فى قولك زيد ظنى مقيم فى أنه يتعلق بالطرفين (وأما الغلام) فقد قيل انه كان (١٣) بالغا قاطع الطريق يقدم على الافعال المنكرة

بضم السين وكذلك جميع ما فى القرآن من ذلك بضم السين وكان بعض قراء المكيين يقرؤه بفتح ذلك كله وكان أبو عمرو بن العلاء يفتح السين فى هذه السورة ويضم السين فى يس ويقول السد بالفتح هو الحاجز بينك وبين الشئ والسد بالضم ما كان من غشاوة فى العين وأما الكوفيون فان قراءة عامتهم فى جميع القرآن بفتح السين غير قوله حتى اذا بلغ بين السدين فانهم ضموا السين فى ذلك خاصة وروى عن عكرمة فى ذلك ما حدثنا به أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا حجاج عن هرون عن أيوب عن عكرمة قال ما كان من صنعة بنى آدم فهو السد يعنى بالفتح وما كان من صنع الله فهو السد وكان الكسائى يقول هما لغتان بمعنى واحد * والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال انهما قراءتان مستفيضتان فى قرأة الامصار ولغتان متفقتا المعنى غير مختلفته فبأيتهما قرأ القارئ فصيب ولا معنى للفرق الذى ذكر عن أبى عمرو بن العلاء وعكرمة بين السد والسد لأنا لم نجد لذلك شاهدا يبين عن فرقان ما بين ذلك على ما حكى عنهما ومما يبين ذلك أن جميع أهل التأويل الذين روى لنا عنهم فى ذلك قول لم يحك لنا عن أحد منهم تفصيل بين فتح ذلك وضمه ولو كانا مختلفى المعنى لنقل الفصل مع التأويل ان شاء الله ولكن معنى ذلك كان عندهم غير مفترق فيفسر الحرف بغير تفصيل منهم بين ذلك وأما ما ذكر عن عكرمة فى ذلك فان الذى نقل ذلك عن أيوب هرون وفى نقله نظر ولا نعرف ذلك عن أيوب من رواية ثقات أصحابه والسد والسد جميعا الحاجز بين الشيئين وهما ههنا فيما ذكر جبلان سد ما بينهما فردم ذو القرنين حاجزا بين يأجوج ومأجوج ومن وراءهم ليقطع مادة غوائلهم وعيثهم عنهم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس حتى اذا بلغ بين السدين قال الجبلين الردم الذى بين يأجوج ومأجوج أمتين من وراء ردم ذى القرنين قال الجبلان أرمينية وأذربيجان حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة حتى اذا بلغ بين السدين وهما جبلان حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله بين السدين يعنى بين جبلين حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله بين السدين قال هما جبلان وقوله وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا يقول عز ذكره وجد من دون السدين قوما لا يكادون يفقهون قول قائل سوى كلامهم وقد اختلفت القراء فى قراءة قوله يفقهون فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة يفقهون قولا بفتح القاف والياء من فقه الرجل يفقه فقها وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة يفقهون قولا بضم الياء وكسر القاف من أفقهت فلانا كذا أفقهه إفقاها اذا فهمته ذلك * والصواب عندى من القول فى ذلك أنهما قراءتان مستفيضتان فى قرأة الامصار غير دافعة احداهما الاخرى وذلك ان القوم الذين أخبر الله عنهم هذا الخبر جائز أن يكونوا لا يكادون يفقهون قولا لغيرهم عنهم فيكون صوابا القراءة

وكان أبواه مضطرين الى التعصب له والذب عنه فكانا يقعان فى الفسق لذلك واحتمل أن يؤدى ذلك الى الكفر والارتداد كما قال (فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا) يقال رهقه أى غشيه وأرهقه اياه وقيل انه كان صبيا الا أنه تعالى علم من حاله أنه لو صار بالغا صدرت عنه هذه المفاسد فأعلم الخضر بحاله وأمره بقتله لئلا يرتد الابوان بسببه ومثل هذا لا يجوز الا اذا تأكد الظن بالوحى وقيل أراد نخفنا أن يغشى الوالدين طغيانا عليهما وكفرا بنعمتهما بعقوقه أو خفنا أن يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع فى بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر وجوز وا أن يكون قوله نخشينا من كلام الله تعالى أى كرهنا كراهة من خاف سوء عاقبة أمر فغيره والزكاة الطهارة والنقاء من الذنوب وكأنه بازاء قول موسى نفسا زاكية والرحم الرحمة والعطف بمعنى الاشفاق على الابوين يروى أنهما ولدت لهما جارية فتزوجها نبى فولدت نبيا هدى الله على يديه أمة من الامم ويروى أنها ولدت سبعين نبيا وقيل أبدلهما ابنا مؤمنا وقيل اسم الغلام المقتول الحيسون وفى نسخة الحسين (وأما الجدار فكان لغلامين) قيل اسمهما أصرم وصريم وقوله (فى المدينة) بعد قوله أتيا أهل قرية فيه دلالة على أن القرية لا تنافى المدينة ومعنى الاجتماع والاقامة مراعى فيهما أما الكنز فقيل هو المال لقوله (ويستخرجا) ولان المفهوم منه عند اطلاقه هو المال وقيل صحف فيها علم لقوله وكان أبوهما صالحا ودفن المال لا يليق بأهل الصلاح وعورض بقول قتادة أحل الكنز لمن قبلنا وحرم علينا وحرمت الغنيمة عليهم وأحلت لنا وجمع بعضهم بين الامرين فقال كان لوحا من ذهب مكتوبا فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل

وعجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وفى قوله وكان أبوهما صالحا دلالة على أن صلاح الآباء يقتضى العناية بأحوال الابناء عن جعفر بن محمد رضى الله عنه كان بين الغلامين وبين الاب الذى حفظا فيه سبعة آباء وذكر من صلاح أبيهما أن الناس كانوا يضعون الودائع عنده فيردها اليهم سالمة قالت العلماء الأشبه أن اليتيمين كانا جاهلين بحال الكنز ووصيهما كان عالما بالامر غائب وقد أشرف الجدار على السقوط و(رحمة (١٤) من ربك) مصدر منصوب بارادلانه فى معنى رحمهما أو مفعول له (وما فعلته عن أمرى) أى اجتهادى ورأيى وانما فعلته بأمر الله * سؤال لم قال فى الاول فأردت أن أعيبها وفى الثانى فأردنا وفى الثالث فأراد ربك الجواب لان الاول افساد فى الظاهر فأسنده الى نفسه وفى الثالث انعام محض فأسنده الى الله سبحانه وفى الثانى افساد من حيث القتل وانعام من حيث التبديل فجمع بين الأمرين ويمكن أن يقال ان القتل كان منه ولكن ازهاق الروح كان من الله ويحتمل أن يقال الوحدة فى الاول على الأصل والجمع فى الثانى تنبيه على أنه من العلماء المؤيدين بالعلوم الدينية والاسناد الى الله تعالى فى الآخرة اشارة الى أنه لا ارادة الا ارادة الله وما تشاؤن الا أن يشاء الله (ذلك) الذى ذكر من أسرار تلك الوقائع (تأويل ما لم تسطع عليه صبرا) أى يرجع المقصود من تلك الافاعيل الى ما قررناه وأصل تسطع تستطع كما فى قوله سأنبئك بتأويل ما لم تستطع الا أن التاء حذفت لأجل التخفيف وهذا شاذ من جهة القياس ولكنه ليس بشاذ فى الاستعمال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخى موسى لو لبث مع صاحبه لأبصر أعجب الاعاجيب ۞ التأويل واذ قال موسى لفتاه فيه أن المسافر لا بد له فى الطريق من الرفيق وفيه أن من شرطهما أن يكون أحدهما أميرا والآخر مأمورا وأن يعلم الرفيق عزيمته ومقصده حتى يكون على بصيرة من صحبته وأن لا يسأم من متاعب السفر حتى يظفر بمقصوده عرض

بذلك وجائز أن يكونوا مع كونهم كذلك كانوا لا يكادون أن يفقهوا غيرهم لعلل اما بألسنتهم واما بمنطقهم فتكون القراءة بذلك أيضا صوابا وقوله ان يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض اختلفت القراء فى قراءة قوله ان يأجوج ومأجوج فقرأت القراء من أهل الحجاز والعراق وغيرهم ان ياجوج وماجوج بغير همز على فاعول من يججت ومججت وجعلوا الالفين فيهما زائدتين غير عاصم بن أبى النجود والاعرج فانه ذكر أنهما قرآ ذلك بالهمز فيهما جميعا وجعلا الهمز فيهما من أصل الكلام وكأنهما جعلا يأجوج يفعول من أججت ومأجوج مفعول والقراءة التى هى القراءة الصحيحة عندنا أن ياجوج وماجوج بألف بغير همز لاجماع الحجة من القراء عليه وأنه الكلام المعروف على ألسن العرب ومنه قول رؤبة بن العجاج

لو أن ياجوج وماجوج معا * وعاد عاد واستجاشوا تبعا

وهم أمتان من وراء السد وقوله مفسدون فى الارض اختلف أهل التأويل فى معنى الافساد الذى وصف الله به هاتين الأمتين فقال بعضهم كانوا يأكلون الناس ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن الوليد الرملى قال ثنا ابراهيم بن أيوب الحوزانى قال ثنا الوليد بن مسلم قال سمعت سعيد بن عبد العزيز يقول فى قوله ان يأجوج ومأجوج مفسدون فى الارض قال كانوا يأكلون الناس * وقال آخرون بل معنى ذلك ان يأجوج ومأجوج سيفسدون فى الارض لأنهم كانوا يومئذ يفسدون ذكر من قال ذلك وذكر صفة اتباع ذى القرنين الأسباب التى ذكرها الله فى هذه الآية وذكر سبب بنائه للردم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا محمد بن اسحق قال ثنى بعض من يسوق أحاديث الاعاجم من أهل الكتاب ممن قد أسلم مما توارثوا من علم ذى القرنين ان ذا القرنين كان رجلا من أهل مصر اسمه مرزبا بن مردبة اليونانى من ولد يونن بن يافث بن نوح حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى محمد بن اسحق عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان الكلاعى وكان خالد رجلا قد أدرك الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذى القرنين فقال ملك مسح الارض من تحتها بالاسباب قال خالد وسمع عمر بن الخطاب رجلا يقول يا ذا القرنين فقال اللهم غفرا أما رضيتم أن تسموا بأسماء الانبياء حتى تسموا بأسماء الملائكة فان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك فالحق ما قال والباطل ما خالفه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى محمد بن اسحق قال فحدثنى من لا أتهم عن وهب بن منبه اليمانى وكان له علم بالاحاديث الاول أنه كان يقول ذو القرنين رجل من الروم ابن عجوز من عجائزهم ليس لها ولد غيره وكان اسمه الاسكندر وانما سمى ذا القرنين أن صفحتى رأسه كانتا من نحاس فلما بلغ وكان عبدا صالحا قال الله عز وجل له يا ذا القرنين انى باعثك الى أمم الارض وهى أمم مختلفة ألسنتهم وهم جميع أهل الارض ومنهم أمتان بينهما طول الارض كله ومنهم أمتان بينهما

وأن تكون نيته طلب شيخ يقتدى به فان طلب الشيخ فى الحقيقة هو طلب الحق ومجمع البحرين هو مجمع ولاية الشيخ وولاية المريد وعنده عين الحياة الحقيقية فاذا وقعت قطرة منها على حوت قلب المريد حيى واتخذ سبيله فى بحر الولاية سربا فلما جاوزا فيه اشارة الى أن المريد فى أثناء السلوك لو تطرقت اليه الملالة أصاب قلبه الكلالة وسولت له نفسه التجاوز عن صحبة الشيخ ظانا أن مقصوده يحصل من غير واسطة

الشيخ هيهات فانه ظن فاسد ومتاع كاسد الا ان أدركته العناية الأزلية ورد اليه صدق الارادة فيقول الرفيق التوفيق آتنا غداءنا وهو همة الشيخ وبركة صحبته لقد لقينا في سفرنا هذا الذي جاوزنا صحبة الشيخ نصبا فقال رفيقه أرأيت اذ أوينا الى الصخرة فنسيت حوت القلب قال ذلك ما كنا نبغي من حوت القلب الميت المملح بملح حب الدنيا وزينتها أن يتخذ سبيله في بحر ولاية شيخ كامل فوجدا عبدا من عبادنا حرا من رق غيرنا وفي قوله وعلمناه من لدنا علما اشارة الى أنه تعالى (١٥) أطلعه على بواطن الأشياء وحقائقها وهذا النوع من العلم لا يمكن تعلمه وانما يحصل بتصفية النفس وتجريد القلب عن العلائق الجسمانية وقد ذهب موسى الى تعلم العلم فكان من الوجب على الخضر أن يظهر له علما يمكن تعلمه فبين علم الخضر وبين مقصد موسى تباين وتناف فلهذا قال الخضر انك لن تستطيع معي صبرا وفي اظهار المسائل الثلاث اشارة الى ما قلنا من أن العلم الظاهر يباين العلم اللدني وليس من التعليم والتعلم في شئ واذا تأمل العاقل السالك في قول موسى هل أتبعك الخ وفي قول الخضر فان اتبعتني فلا تسألني الخ وجد أصول الشرائط التي شرطها الصوفية للمريد وللشيخ مودعة فيها وفي تفصيلها طول وقد أشرنا في التفسير الى طرف منها ومن أراد الكل فعليه بمطالعة كتاب آداب المريدين للشيخ المحقق أبي النجيب السهروردي تغمده الله بغفرانه حتى اذا ركبا في السفينة هي سفينة الشريعة خرقها بهدم الناموس في الظاهر مع صلاح الحال في الباطن وفيما بينه وبين علام الغيوب ومثل هذا قد يفعله كثير من المحققين طردا للعوام وحذرا من التباهي والعجب أخرقتها لتغرق أهلها في أودية الضلال اذا اقتدوا بك حتى اذا القيا غلاما هو النفس الأمارة

عرض الارض كله وأمم في وسط الارض منهم الجن والانس ويأجوج ومأجوج فاما الامتان اللتان بينهما طول الارض فأمة عند مغرب الشمس يقال لها ناسك وأما الاخرى فعند مطلعها يقال لها منسك وأما اللتان بينهما عرض الأرض فأمة في قطر الأرض الأيمن يقال لها هاويل وأما الأخرى التي في قطر الأرض الأيسر فأمة يقال لها تاويل فلما قال الله له ذلك قال له ذو القرنين الهي انك قد نبتني لامر عظيم لا يقدر قدره الا أنت فأخبرني عن هذه الامم التي بعثتني اليها بأي قوة أكابرهم وبأي جمع أكاثرهم وبأي حيلة أكايدهم وبأي صبر أقاسيهم وبأي لسان أناطقهم وكيف لي بأن أفقه لغاتهم وبأي سمع أعي قولهم وبأي بصر أنفذهم وبأي حجة أخاصمهم وبأي قلب أعقل عنهم وبأي حكمة أدبر أمرهم وبأي قسط أعدل بينهم وبأي حلم أصابرهم وبأي معرفة أفصل بينهم وبأي علم أتقن أمورهم وبأي يد أسطو عليهم وبأي رجل أطؤهم وبأي طاقة أخصمهم وبأي جند أقاتلهم وبأي رفق أستألفهم فانه ليس عندي يا الهي شئ مما ذكرت يقوم لهم ولا يقوى عليهم ولا يطيقهم وأنت الرب الرحيم الذي لا يكلف نفسا الا وسعها ولا تحملها الا طاقتها ولا يعنتها ولا يفدحها بل أنت ترأفها وترحمها قال الله عز وجل اني سأطوقك ما حملتك أشرح لك صدرك فيتسع كل شئ وأشرح لك فهمك فتفقه كل شئ وأبسط لك لسانك فتنطق بكل شئ وأفتح لك سمعك فتعي كل شئ وأمد لك بصرك فتنفذ كل شئ وأدبر لك أمرك فتتقن كل شئ وأحصي لك فلا يفوتك شئ وأحفظ عليك فلا يعزب عنك شئ وأشد لك ظهرك فلا يهدك شئ وأشد لك ركنك فلا يغلبك شئ وأشد لك قلبك فلا يروعك شئ وأسخر لك النور والظلمة فأجعلهما جندا من جنودك يهديك النور أمامك وتحوطك الظلمة من ورائك وأشد لك عقلك فلا يهولك شئ وأبسط لك من بين يديك فتسطو فوق كل شئ وأشد لك وطأتك فتهد كل شئ وألبسك الهيبة فلا يروعك شئ ولما قيل له ذلك انطلق يؤم الامة التي عند مغرب الشمس فلما بلغهم وجد جمعا وعددا لا يحصيه الا الله وقوة وبأسا لا يطيقه الا الله وألسنة مختلفة وأهواء متشتة وقلوبا متفرقة فلما رأى ذلك كاثرهم بالظلمة فضرب حولهم ثلاثة عساكر منها فأحاطتهم من كل مكان وحاشتهم حتى جمعتهم في مكان واحد ثم أخذ عليهم بالنور فدعاهم الى الله والى عبادته فمنهم من آمن له ومنهم من صد فعمد الى الذين تولوا عنه فأدخل عليهم الظلمة فدخلت في أفواههم وأنوفهم وآذانهم وأجوافهم ودخلت في بيوتهم ودورهم وغشيتهم من فوقهم ومن تحتهم ومن كل جانب منهم فاجوافها وتحيروا فلما أشفقوا أن يهلكوا فيها عجوا اليه بصوت واحد فكشفها عنهم وأخذهم عنوة فدخلوا في دعوته فجند من أهل المغرب أمما عظيمة فجعلهم جندا واحدا ثم انطلق بهم يقودهم والظلمة تسوقهم من خلفهم وتحرسهم من حولهم والنور أمامهم يقودهم ويدلهم وهو يسير في ناحية الارض اليمنى وهو يريد الامة التي في قطر الارض الايمن التي يقال لها

فقتله بسكين الرياضة وسيف المجاهدة حتى اذا أتيا أهل قرية هي الجسد وهم القوى الانسانية من الحواس وغيرها استطعما أهلها بطلب أفاعيلها التي تختص بها فأبوا أن يضيفوهما باعطاء خواصها كما ينبغي لكلال لها وضعفها فوجدا فيها جدارا هو التعلق الحائل بين النفس الناطقة وبين عالم المجردات يريد أن ينقض بقطع العلاقة فأقامه بتقوية البدن والرفق بالقوى والحواس كما قيل نفسك مطيتك فارفق بها لو شئت لاتخذت عليه أجرا ثوابا جزيلا أي لو شئت لصبرت على شدة الرياضة الى افاضة الانوار ونيل الكشوف أما السفينة فكانت لمساكين

هم العوام الذين يعلمون فى بحر الدنيا وليس لهم فى برعالم الربوبية سير وسلوك حتى يصلوا الى ملوك تحت أطمار فاردت أن أعينها فى الظاهر لتسلطهم بالاخلاص فى البواطن وكان وراءهم ملك هو الشيطان يأخذ كل سفينة غصبا لان كل عبادة تخلو عن الانكسار والذل والخشوع فانها للشيطان لا للرحمن وأما الغلام فكان أبواه وهما القلب والروح مؤمنين فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة هو النفس المطمئنة وأقرب رحما أى نسبة الى الأبوين (١٦) وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين هما النفس المطمئنة والملهمة وكان تحته كنز لهما هو حصول الكمالات النظرية والعملية وكان أبوهما وهو العقل المفارق صالحا كاملا بالفعل فلهذا ادخر لأجلهما ما ادخر فأراد ربك أن يبلغا أشدهما بتربية الشيخ وارشاده على سبيل الرفق والمداراة ويستخرجا ما كان كامنا فيهما ﴿ ويسئلونك عن ذى القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا انا مكنا له فى الارض وآتيناه من كل شئ سببا فأتبع سببا حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة ووجد عندها قوما قلنا ياذا القرنين اما أن تعذب واما أن تتخذ فيهم حسنا قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا ثم أتبع سببا حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا ثم أتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا قالوا ياذا القرنين ان يأجوج ومأجوج مفسدون فى الارض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا قال ما مكنى فيه ربى خير فأعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما آتونى زبر الحديد حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى اذا جعله نارا قال آتونى أفرغ عليه قطرا فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا قال هذا رحمة من ربى

هاويل وسخر الله له يده وقلبه ورأيه وعقله ونظره وائتماره فلا يخطئ اذا ائتمر واذا عمل عملا أتقنه فانطلق يقود تلك الأمم وهى تتبعه فاذا انتهى الى بحر أو مخاضة بنى سفنا من ألواح صغار أمثال النعال فنظمها فى ساعة ثم جعل فيها جميع من معه من تلك الأمم وتلك الجنود فلا تقطع الأنهار والبحار فتقها ثم دفع الى كل انسان لوحا فلا يكرثه حمله فلم يزل كذلك دأبه حتى انتهى الى هاويل فعمل فيها كعمله فى ناسك فلما فرغ منها مضى على وجهه فى ناحية الارض اليمنى حتى انتهى الى منسك عند مطلع الشمس فعمل فيها وجند منها جنودا كفعله فى الامتين اللتين قبلها ثم كر مقبلا فى ناحية الارض اليسرى وهو يريد تاويل وهى الأمة التى بحيال هاويل وهما متقابلتان بينهما عرض الارض كله فلما بلغها عمل فيها وجند منها كفعله فيما قبلها فلما فرغ منها عطف منها الى الأمم التى وسط الارض من الجن وسائر الناس ويأجوج ومأجوج فلما كان فى بعض الطريق مما يلى منقطع الترك نحو المشرق قالت له أمة من الانس صالحة ياذا القرنين ان بين هذين الجبلين خلقا من خلق الله وكثير منهم مشابه للانس وهم أشباه البهائم يأكلون العشب ويفترسون الدواب والوحوش كما تفترسها السباع ويأكلون خشاش الارض كلها من الحيات والعقارب وكل ذى روح مما خلق الله فى الارض وليس لله خلق ينمو نماءهم فى العام الواحد ولا يزداد كزيادتهم ولا يكثر ككثرتهم فان كانت لهم مدة على ما نرى من نمائهم وزيادتهم فلا شك أنهم سيملؤن الارض ويحلون أهلها عنها ويظهرون عليها فيفسدون فيها وليست تمر بنا سنة منذ جاورناهم الا ونحن نتوقعهم وننتظر أن يطلع علينا أوائلهم من بين هذين الجبلين فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا قال ما مكنى فيه ربى خير فأعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما أعدو الى الصخور والحديد والنحاس حتى أرتاد بلادهم وأعلم علمهم وأقيس ما بين جبليهم ثم انطلق يؤمهم حتى دفع اليهم وتوسط بلادهم فوجدهم على مقدار واحد ذكرهم وأنثاهم مبلغ طول الواحد منهم مثل نصف الرجل المربوع منا لهم مخالب فى موضع الأظفار من أيدينا وأضراس وأنياب كأضراس السباع وأنيابها وأحناك كأحناك الابل قوة تسمع لها حركة اذا أكلوا كالحركة الجرة من الابل أو كقضم الفحل المسن أو الفرس القوى وهم هلب عليهم من الشعر فى أجسادهم ما يواريهم وما يتقون به الحر والبرد اذا أصابهم ولكل واحد منهم أذنان عظيمتان احداهما بارزة ظهرها وبطنها والاخرى زغبة ظهرها وبطنها تسعانه اذا بسهما يلتحف احداهما ويفترش الاخرى ويصيف فى احداهما ويشتى فى الاخرى وليس منهم ذكر ولا أنثى الا وقد عرف أجله الذى يموت فيه ومنقطع عمره وذلك انه لا يموت ميت من ذكورهم حتى يخرج من صلبه ألف ولد ولا تموت الأنثى حتى يخرج من رحمها ألف ولد فاذا كان ذلك أيقن بالموت وهم يرزقون التنين أيام الربيع ويستمطرونه اذا تحينوه كما نستمطر الغيث لحينه فيقذفون منه كل سنة بواحد فيأكونه عامهم كله الى مثله من العام القابل فيغنيهم على كثرتهم ونمائهم فاذا أمطروا أخصبوا وعاشوا وسمنوا فاذا جاء وعد ربى جعله دكاء وكان وعد ربى حقا وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض ونفخ فى الصور فجمعناهم جمعا وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا الذين كانت أعينهم فى غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعا أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادى من دونى أولياء انا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا أولئك

الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا ان
الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر
قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الي أنما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا
يشرك بعبادة ربه أحدا ۞ القراآت فأتبع ثم أتبع مقطوعة ابن عامر وعاصم (١٧) وحمزة وعلى وخلف الباقون بالتشديد موصولة
حامية بالالف من غير همز ابن عامر
ويزيد وحمزة وعلى وخلف وعاصم
غير حفص الباقون حمئة بالهمزة
من غير ألف جزاء الحسنى بالنصب
منونا يعقوب وحمزة وعلى وخلف
وعاصم غير أبي بكر وحماد الآخرون
جزاء الحسنى بالرفع والاضافة
السدين بفتح السين ابن كثير وأبو
عمرو وحفص وأبو زيد عن المفضل
الآخرون بضمها يفقهون بضم الياء
وكسر القاف حمزة وعلى وخلف
الباقون بفتحهما يأجوج ومأجوج
حيث كان مهموزا عاصم غير
الشمونى فهل نجعل وبابه بادغام
اللام فى النون على وهشام خراجا
بالالف حمزة وعلى وخلف وعاصم
غير أبي بكر وحماد الباقون خرجا
بسكون الراء سدا بفتح السين ابن
كثير وأبو عمرو وحمزة وعلى وخلف
وعاصم والباقون بضمها مكنني
ابن كثير الباقون بادغام النون فى
النون ردما ائتونى يحيى وحماد
والابتداء بكسر الالف الصدفين
بضم الصاد والدال ابن كثير وابن
عامر وأبو عمرو وسهل ويعقوب
المفضل مخيرا أبو بكر وحماد بضم
الصاد واسكان الدال الآخرون
بفتح الصاد والدال قال ائتونى
والابتداء بكسر الالف يحيى وحماد
وحمزة فما اسطاعوا بالادغام حمزة
غير حماد وخلاد وقرأ أبو نشيط

وسمنوا ورؤى أثره عليهم فدرت عليهم الاناث وشبقت منهم الرجال الذكور واذا أخطأهم
هزلوا وأجدبوا وجفرت الذكور وحالت الاناث وتبين أثر ذلك عليهم وهم يتداعون تداعى الحمام
ويعوون عواء الكلاب ويتسافدون حيث التقوا تسافد البهائم فلما عاين ذلك منهم ذو القرنين
انصرف الى ما بين الصدفين فقاس ما بينهما وهو فى منقطع أرض الترك مما يلى مشرق الشمس
فوجد بعد ما بينهما مائة فرسخ فلما أنشأ فى عمله حفر له أساسا حتى بلغ الماء ثم جعل عرضه
خمسين فرسخا وجعل حشوه الصخور وطينه النحاس يذاب ثم يصب عليه فصار كأنه عرق من
جبل تحت الارض ثم علاه وشرفه بزبر الحديد والنحاس المذاب وجعل خلاله عرقا من نحاس
أصفر فصار كأنه برد محبر من صفرة النحاس وحمرته وسواد الحديد فلما فرغ منه وأحكمه انطلق
عامدا الى جماعة الانس والجن فبيناهو يسير دفع الى أمة صالحة يهدون بالحق وبه يعدلون
فوجد أمة مقتصدة يقسمون بالسوية ويحكمون بالعدل ويتآسون ويتراحمون حالهم
واحدة وكلمتهم واحدة وأخلاقهم مشتبهة وطريقتهم مستقيمة وقلوبهم متألفة وسيرتهم حسنة
وقبورهم بأبواب بيوتهم وليس على بيوتهم أبواب وليس عليهم أمراء وليس بينهم قضاة وليس
بينهم أغنياء ولا ملوك ولا أشراف ولا يتفاوتون ولا يتفاضلون ولا يختلفون ولا يتنازعون
ولا يسبون ولا يقتتلون ولا يقحطون ولا يحردون ولا تصيبهم الآفات التى تصيب الناس وهم
أطول الناس أعمارا وليس فيهم مسكين ولا فقير ولا فظ ولا غليظ فلما رأى ذلك ذو القرنين من
أمرهم عجب منه وقال أخبرونى أيها القوم خبركم فانى قد أحصيت الارض كلها برها وبحرها
وشرقها وغربها ونورها وظلمتها فلم أجد مثلكم فأخبرونى خبركم قالوا نعم فسلنا عما تريد قال
أخبرونى ما بال قبوركم موتاكم على أبواب بيوتكم قالوا اعدا فعلنا ذلك لئلا ننسى الموت ولا يخرج
ذكره من قلوبنا قال فما بال بيوتكم ليس عليها أبواب قالوا ليس فينا متهم وليس منا الا أمين مؤتمن
قال فما لكم ليس عليكم أمراء قالوا لا ننتظالم قال فما بالكم ليس فيكم حكام قالوا لا نختصم قال فما
بالكم ليس فيكم أغنياء قالوا لا نتكاثر قال فما بالكم ليس فيكم ملوك قالوا لا نتكابر قال فما بالكم
لا تتنازعون ولا تختلفون قالوا من قبل ألفة قلوبنا وصلاح ذات بيننا قال فما بالكم لا تسبون
ولا تقتتلون قالوا من قبل أنا غلبنا طبائعنا بالعزم وسمنا أنفسنا بالأحلام قال فما بالكم كلمتكم
واحدة وطريقتكم مستقيمة مستوية قالوا من قبل أنا لا نتكاذب ولا نتخادع ولا يغتاب بعضنا
بعضا قال فأخبرونى من أين تشابهت قلوبكم واعتدلت سيرتكم قالوا صحت صدورنا فقنعنا بذلك
الغل والحسد من قلوبنا قال فما بالكم ليس فيكم مسكين ولا فقير قالوا من قبل أنا نقسم بالسوية
قال فما بالكم ليس فيكم فظ ولا غليظ قالوا من قبل الذل والتواضع قال فما جعلكم أطول الناس
أعمارا قالوا من قبل أنا نتعاطى الحق ونحكم بالعدل قال فما بالكم لا تقحطون قالوا لا نغفل عن

والشمونى فما اصطاعوا بالصاد وهو الصحيح من نقل ابن مهران دكاء بالمد
حمزة وعلى وخلف وعاصم غير المفضل والخزاز عن هبيرة أفحسب الذين بسكون السين ورفع الباء يزيد ويعقوب والاعشى فى اختياره دونى
أولياء بفتح ياء المتكلم أبو جعفر ونافع وأبو عمرو وأن ينفد بياء الغيبة حمزة وعلى وخلف وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان ۞ الوقوف
القرنين ط ذكرا ٥ ط سببا لا سببا ٥ قولا ٥ ط حسنا ٥ نكرا ٥ الحسنى ج لاختلاف الجملتين يسرا ٥ ط لان ثم لترتيب

الاخبار سببا ٥ سترا ٥ كذلك ط أى كذلك القبيل الذين كانوا عند مغرب الشمس وقيل يبتدأ بكذلك أى ذلك كذلك أو الامر كذلك وقيل أى أحطنا بما لديه من العدد والعدد كذلك أى كعلمنا بقوم سبق ذكرهم خبرا ٥ ثم أتبع سببا ٥ قوما لا قولا ٥ سدا ٥ ردما ٥ الحديد ط انفخوا ط نارا لا لان قال جواب اذا قطرا ٥ ط لان ما بعده ابتداء اخبار نقبا ٥ من ربى ج لعطف الجملتين المختلفتين دكاء ج لذلك حقا ٥ ط لانقطاع القصة (١٨) جمعا ٥ لا للعطف عرضا ٥ لا سمعا ٥ أولياء ط نزلا ٥ أعمالا ٥ ط للفصل

بين الاستخبار والاخبار لان التقدير هم الذين ويجوز أن يكون نصبا على الذم أو جرا على البدل صنعا ٥ وزنا ٥ هزوا ٥ نزلا ٥ حولا ٥ مددا ٥ واحد ج لابتداء الشرط مع فاء التعقيب أحدا ٥ ﴿ التفسير لما أجاب عن سؤالين من أسئلة اليهود وانتهى الكلام الى حيث انتهى شرع فى السؤال الثالث والجواب عنه وأصح الاقوال أن ذا القرنين هو الاسكندر بن فيلقوس الرومى الذى ملك الدنيا بأسرها اذ لو كان غيره لانتشر خبره ولم يخف مكانه عادة يحكى أنه لما مات أبوه جمع ملك الروم بعد أن كان طوائف ثم قصد ملوك المغرب وقهرهم وأمعن حتى انتهى الى البحر الأخضر ثم عاد الى مصر فبنى الاسكندرية وسماها باسم نفسه ثم دخل الشام وقصد بنى اسرائيل ووردبيت المقدس وذبح فى مذبحه ثم عطف الى أرمينية وباب الابواب ودانت له العبرانيون والقبط والبربر ثم توجه نحو دارا ابن دارا وهزمه الى أن قتله فاستولى على ممالك الفرس ثم قصد الهند والصين وغزا الامم البعيدة ورجع الى خراسان وبنى المدن الكثيرة ورجع الى العراق ومرض بشهرزور ومات بها قال الامام فخر الدين الرازى لما ثبت بالقرآن أن ذا القرنين كان رجلا ملك الارض بالكلية أو ما يقرب منها وثبت من علم التاريخ أن من هذا شأنه ما كان الا الاسكندر وجب القطع بأن ذا القرنين هو الاسكندر قال وفيه اشكال لانه كان تلميذ الارسطاطاليس الحكيم وكان على مذهبه فتعظيم الله اياه يوجب الحكم بأن مذهب ارسطو حق وصدق وذلك مما لا سبيل اليه قلت ليس كل ما ذهب اليه الفلاسفة باطلا فلعله أخذ منهم ما صفا وترك ما كدر والسبب فى تسمية ذى القرنين أنه بلغ قرنى الشمس أى مطلعها ومغربها وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه طاف قرنى الدنيا يعنى جانبيها شرقها وغربها

الاستغفار قال فما بالكم لا تحردون قالوا من قبل أنا وطأنا أنفسنا للبلاء منذ كنا وأحببناه وحرصنا عليه فعرينا منه قال فما بالكم لا تصيبكم الآفات كما تصيب الناس قالوا لا نتوكل على غير الله ولا نعمل بالانواء والنجوم قال حدثونى أهكذا وجدتم آباءكم يفعلون قالوا نعم وجدنا آباءنا يرحمون مساكينهم ويواسون فقراءهم ويعفون عمن ظلمهم ويحسنون الى من أساء اليهم ويحلمون عمن جهل عليهم ويستغفرون لمن سبهم ويصلون أرحامهم ويؤدون أماناتهم ويحفظون رقيهم لصلاتهم ويوفون بعهودهم ويصدقون فى مواعيدهم ولا يرغبون عن أكفائهم ولا يستنكفون عن أقاربهم فأصلح الله لهم بذلك أمرهم وحفظهم ما كانوا أحياء وكان حقا على الله أن يحفظهم فى تركتهم **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن أبى رافع عن أبى هريرة عن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال ان يأجوج ومأجوج يحفرون السد كل يوم حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذى عليهم ارجعوا فتحفرونه غدا فيعيده الله وهو كهيئته يوم تركوه حتى اذا جاء الوقت قال ان شاء الله فيحفرونه ويخرجون على الناس فينشفون المياه ويتحصن الناس فى حصونهم فيرمون بسهامهم الى السماء فيرجع فيها كهيئة الدماء فيقولون قهرنا أهل الارض وعلونا أهل السماء فيبعث الله عليهم نغفا فى أقفائهم فتقتلهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفس محمد بيده ان دواب الارض لتسمن وتشكر من لحومهم **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن عاصم بن عمر بن قتادة الانصارى ثم الظفرى عن محمود بن لبيد أخى بنى عبد الأشهل عن أبى سعيد الخدرى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يفتح يأجوج ومأجوج فيخرجون على الناس كما قال الله عز وجل وهم من كل حدب ينسلون فيغشون الارض وينحاز المسلمون عنهم الى مدائنهم وحصونهم ويضمون اليهم مواشيهم فيشربون مياه الارض حتى ان بعضهم ليمر بالنهر فيشربون ما فيه حتى يتركوه يابسا حتى ان من بعدهم ليمر بذلك النهر فيقول لقد كان ههنا ماء مرة حتى لم يبق من الناس أحد الا انحاز الى حصن أو مدينة قال قائلهم هؤلاء أهل الارض قد فرغنا منهم بقى أهل السماء قال ثم يهز أحدهم حربته ثم يرمى بها الى السماء فترجع اليه مخضبة دما للبلاء والفتنة فبيناهم على ذلك بعث الله عليهم دودا فى أعناقهم كالنغف فتخرج فى أعناقهم فيصبحون موتى لا يسمع لهم حس فيقول المسلمون ألا رجل يشرى لنا نفسه فينظر ما فعل العدو قال فيتجرد رجل منهم لذلك محتسبا لنفسه قد وطنها على أنه مقتول فينزل فيجدهم موتى بعضهم على بعض فينادى يا معشر المسلمين ألا أبشروا فان الله قد كفاكم عدوكم فيخرجون من مدائنهم وحصونهم ويسرحون مواشيهم فما يكون لها رعى الا لحومهم فتشكر عنهم أحسن ما شكرت عن شئ من النبات أصابت قط **حدثنى** بحر بن نصر قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى معاوية عن أبى الزاهرية وشريح بن عبيد أن يأجوج ومأجوج

وقيل كان له قرنان صغيران وقيل انقرض فى وقته قرنان من الناس وقيل كان لتاجه قرنان وعن وهب أنه سمى بذلك لانه ملك الروم وفارس ويروى الروم والترك وعنه كانت صفحتا رأسه من نحاس وقيل كان على رأسه ما يشبه القرنين وقيل لشجاعته كما يسمى الشجاع كبشا كأنه ينطح أقرانه وقيل رأى فى المنام كأنه صعد الفلك وتعلق بطرف الشمس أى بقرنيها وزعم الفرس أن دارا الأكبر تزوج بابنة فيلقوس فلما قرب منها وجدرائحة منكرة فردها الى أبيها وكانت قد حملت منه بالاسكندر فولدت (١٩) الاسكندر وبقى عند فيلقوس وأظهر أنه ابنه وهو فى الحقيقة ابن دارا الاكبر وقال أبو الريحان انه من ملوك حمير والدليل عليه أن الاذواء كانوا من اليمن كذى يزن وغيره ويروى أنه ملك الدنيا بأسرها أربعة ذوالقرنين وسليمان وهما مؤمنان ونمرود وبختنصر وهما كافران واختلفوا فيه فقيل كان عبدا صالحا ملكه الارض وأعطاه العلم والحكمة وألبسه الهيبة وسخر له النور والظلمة فاذا سرى يهديه النور من أمامه وتحوطه الظلمة من ورائه وعن على رضى الله عنه سخر له السحاب ومدت له الاسباب وبسط له النور وأحب الله وأحبه وسأله ابن الكواء وكان من أصحابه ماذا القرنين أملك أم نبى فقال ليس بملك ولا نبى ولكن كان عبدا صالحا ضرب على قرنه الايمن فى طاعة الله أى فى جهاده فمات ثم بعثه الله فضرب على قرنه الايسر فمات فبعثه الله فسمى ذا القرنين وفيكم مثله يعنى نفسه قالوا وكان ذوالقرنين يدعو الناس الى التوحيد فيقتلونه فيحييه الله وقيل كان نبيا لقوله تعالى انا مكناله فى الارض والتمكين المعتد به هو النبوة ولقوله وآتيناه من كل شئ سببا وظاهره العموم فيكون قد نال أسباب النبوة ولقوله قلنا ياذا القرنين اما أن تعذب وتكليم الله بلا واسطة لا يصلح الا للنبى وقيل كان ملكا من الملائكة عن عمر أنه سمع رجلا يقول ياذا القرنين فقال اللهم غفرا أما رضيتم أن تسموا بأسماء الانبياء حتى تسميتم بأسماء الملائكة قوله (سأتلو عليكم) أى سأفعل هذا ان وفقنى الله تعالى وأنزل فيه وحيا والخطاب فى عليكم للسائلين وهم اليهود أو قريش كأبى جهل وأضرابه (وآتيناه من كل شئ سببا) طريقا موصلا اليه والسبب فى اللغة هو الحبل والمراد ههنا كل ما يتوصل به الى المقصود من علم أو قدرة أو آلة وذلك أنه أراد بلوغ المغرب فأتبع سببا وصله اليه وكذلك أراد المشرق فاتبع سببا موصلا اليه وأراد بلوغ السدين فاتبع سببا أدى اليه ثم انه سبحانه شرع فى

ومأجوج ثلاثة أصناف صنف طولهم كطول الأرز وصنف طوله وعرضه سواء وصنف يفترش أحدهم أذنه ويلتحف الاخرى فتغطى سائر جسده حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قالوا ياذا القرنين ان يأجوج ومأجوج مفسدون فى الارض قال كان أبو سعيد الخدرى يقول ان نبى الله صلى الله عليه وسلم قال لا يموت رجل منهم حتى يولد لصلبه ألف رجل قال وكان عبد الله بن مسعود يعجب من كثرتهم ويقول لا يموت من يأجوج ومأجوج أحد حتى يولد له ألف رجل من صلبه فالخبر الذى ذكرناه عن وهب بن منبه فى قصة يأجوج ومأجوج يدل على أن الذين قالوا لذى القرنين ان يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض انما أعلموه خوفهم ما يحدث منهم من الافساد فى الارض لانهم شكوا منهم افسادا كان منهم فيهم أو فى غيرهم والاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم سيكون منهم الافساد فى الارض ولا دلالة فيها أنهم قد كان منهم قبل احداث ذى القرنين السد الذى أحدثه بينهم وبين من دونهم من الناس فى الناس غيرهم افساد فاذا كان ذلك كذلك بالذى بينا فالصحيح من تأويل قوله ان يأجوج ومأجوج مفسدون فى الارض ان يأجوج ومأجوج مفسدون فى الارض وقوله فهل نجعل لك خرجا اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة فهل نجعل لك خرجا كأنهم نحوا به نحو المصدر من خرج الرأس وذلك جعله وقرأته عامة قراء الكوفيين فهل نجعل لك خراجا بالالف وكأنهم نحوا به نحو الاسم وعنوا به أجرة على بنائك لنا سدا بيننا وبين هؤلاء القوم * وأولى القراءتين فى ذلك عندنا بالصواب قراءة من قرأه فهل نجعل لك خراجا بالالف لان القوم فيما ذكر عنهم انما عرضوا على ذى القرنين أن يعطوه من أموالهم ما يستعين به على بناء السد وقد بين ذلك بقوله فأعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما ولم يعرضوا عليه جزية رؤسهم والخراج عند العرب هو الغلة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس فهل نجعل لك خراجا قال أجرا على أن نجعل بيننا وبينهم سدا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله فهل نجعل لك خراجا قال أجرا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قوله فهل نجعل لك خراجا قال أجرا وقوله على أن تجعل بيننا وبينهم سدا يقول قالوا له هل نجعل لك خراجا حتى أن تجعل بيننا وبين يأجوج ومأجوج حاجزا يحجز بيننا وبينهم ويمنعهم الخروج الينا وهو السد ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (قال ما مكنى فيه ربى خير فأعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما) يقول تعالى ذكره قال ذوالقرنين الذى مكننى فى عمل ما سألتمونى من السد بينكم وبين هؤلاء القوم ربى وطأ لى وقوانى عليه خير من جعلكم والاجرة التى تعرضونها على لبنائه ذلك وأكثر وأطيب ولكن أعينونى منكم بقوة أعينونى بفعلة وصناع

نعت مسيره الى المغرب قائلا (فأتبع سببا) أى سلك طريقا أفضى به الى سفر المغرب ومن قرأ بقطع الهمزة فمعناه اتبع نفسه سببا (حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حامية) أى حارة ومن قرأ بحذف الالف مهموزا فمعناه ذات حمأة أى طين أسود ولا تنافى بين القراءتين فمن الجائز أن تكون العين جامعة للوصفين عن أبى ذر قال كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمل فرأى الشمس حين غابت فقال أتدرى يا أبا ذر أين تغرب هذه قلت الله ورسوله (٣٠) أعلم قال فانها تغرب فى عين حامية قال حكماء الاسلام قد ثبت بالدلائل اليقينية أن الارض كروية فى وسط العالم وأن السماء محيطة بها من جميع الجوانب وأن الشمس فى فلكها تدور بدوران الفلك وأيضا قد وضح أن جرم الشمس أكبر من جرم الارض بمائة وست وستين مرة تقريبا فكيف يعقل دخولها فى عين من عيون الارض فتأويل الآية أن الشمس تشاهد هناك أعنى فى طرف العمارة كأنها تغيب وراء البحر الغربى فى الماء كما أن راكب البحر يرى الشمس تغيب فى الماء لانه لا يرى الساحل ولهذا قال وجدها تغرب ولم يخبر أنها تغرب فى عين ولا شك أن البحار الغربية قوية السخونة فهى حامية وأيضا حمئة لكثرة ما فى البحار من الطين الاسود أما قوله (ووجد عندها قوما) فالضمير ما للشمس واما للعين وذلك أن الانسان لما تخيل أن الشمس تغرب هناك كان سكان ذلك الموضع كأنهم سكنوا بالقرب من الشمس قال ابن جريج هناك مدينة لها اثنا عشر ألف باب لولا أصوات أهلها سمع الناس وجوب الشمس حين تجب كانوا كفرة بالله فخيره الله بين أن يعذبهم بالقتل وأن يتخذ فيهم حسنا وهو تركهم أحياء فاختار الدعوة والاجتهاد فقال (أما من ظلم) بالاصرار على الشرك (فسوف نعذبه) بالقتل فى الدنيا (ثم يرد الى ربه) فى الآخرة (فيعذبه عذابا نكرا) منكرا فظيعا روى صاحب الكشاف عن قتادة أنه كان يطبخ من كفر فى القدور وهو العذاب النكر ومن آمن أعطاه وكساه وفيه نظر لان العذاب النكر بعد أن يرد الى ربه لا يمكن أن يكون من فعل ذى القرنين ومن قرأ (جزاء) بالنصب أراد فله الفعلة (الحسنى) جزاء ومن قرأ بالرفع أراد فله جزاء الفعلة الحسنى التى هى كلمة الشهادة أو فله أن يجازى المثوبة الحسنى (وسنقول له من أمرنا) أى مما نأمر به الناس من الزكاة والخراج وغير ذلك (يسرا) أى قولا ذا يسر ليس بالصعب الشاق ثم حكى سفره الى أقصى الشرق قائلا (ثم أتبع سببا) أى

يحسنون البناء والعمل كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ما مكنى فيه ربى خير فأعينونى بقوة قال برجال أجعل بينكم وبينهم ردما وقال ما مكنى فأدغم احدى النونين فى الأخرى وانما هو ما مكننى فيه وقوله أجعل بينكم وبينهم ردما يقول أجعل بينكم وبين يأجوج ومأجوج ردما والردم حاجز الحائط والسد الا أنه أمنع منه وأشد يقال منه قد ردم فلان موضع كذا يردمه ردما ورداما ويقال أيضا ردم ثوبه يردمه وهو ثوب مردم اذا كان كثير الرقاع ومنه قول عنترة

هل غادر الشعراء من متردم * أم هل عرفت الدار بعد توهم

* وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أجعل بينكم وبينهم ردما قال هو كأشد الحجاب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أن رجلا قال يا نبى الله قد رأيت سد يأجوج ومأجوج قال انعته لى قال كانه البرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء قال قد رأيته ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿آتونى زبر الحديد حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى اذا جعله نارا قال آتونى أفرغ عليه قطرا فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا﴾ يقول عز ذكره قال ذو القرنين للذين سألوه أن يجعل بينهم وبين يأجوج ومأجوج سدا آتونى أى جيئونى بزبر الحديد وهى جمع زبرة والزبرة القطعة من الحديد كما حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله زبر الحديد يقول قطع الحديد حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله آتونى زبر الحديد قال قطع الحديد حدثنى اسمعيل بن سيف قال ثنا على ابن مسهر عن اسمعيل عن أبى صالح قوله زبر الحديد قال قطع الحديد حدثنى محمد بن عمارة الاسدى قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا اسرائيل عن أبى يحيى عن مجاهد قوله آتونى زبر الحديد قال قطع الحديد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة آتونى زبر الحديد أى فلق الحديد حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله آتونى زبر الحديد قال قطع الحديد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس آتونى زبر الحديد قال قطع الحديد وقوله حتى اذا ساوى بين الصدفين يقول عز ذكره فأتوه بزبر الحديد فجعلها بين الصدفين حتى اذا ساوى بين الجبلين بما جعل بينهما من زبر الحديد ويقال سوى والصدفان ما بين ناحيتى الجبلين ورؤسهما ومنه قول الراجز

قد أخذت ما بين عرض الصدفين * ناحيتها وأعالى الركنين

هيأ أسبابا تليق بسفر المشرق (حتى اذا بلغ مطلع الشمس) أى مكان طلوعها (وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا) عن كعب أن الستر هو الابنية وذلك أن أرضهم لا تمسكها فليس هناك شجر ولا جبل ولا أبنية تمنع شعاع الشمس وتدفع حره عنهم فاذا طلعت الشمس دخلوا فى أسراب لهم واذا غربت اشتغلوا بتحصيل المعاش لفالهم بالضد من أحوال سائر الخلق وعن مجاهد أن الستر الثياب وأنهم عراة كالزنج وحال كل من سكن فى البلاد القريبة من خط الاستواء كذلك حكى صاحب الكشاف عن بعضهم أنه قال خرجت حتى جاوزت الصين فسألت عن هؤلاء فقيل بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فاذا أحدهم يفرش أذنه ويلبس الاخرى وحين قرب طلوع الشمس سمعت كهيئة الصلصلة فغشى علىّ ثم أفقت فلما طلعت الشمس اذهى فوق الماء كهيئة الزيت فأدخلونا سربا لهم فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر فجعلوا يصطادون السمك ويطرحونه فى الشمس فينضج لهم وللمفسرين فى متعلق قوله (كذلك) وجوه أحدها كذلك أمر ذى القرنين اتبع هذه الاسباب حتى بلغ ما بلغ وقد علمنا حين ملكه ما عنده من الصلاحية لذلك الملك والاستقلال به الثانى لم نجعل لهم سترا مثل ذلك الستر الذى جعلنا لكم من الابنية أو الثياب الثالث بلغ مطلع الشمس مثل الذى بلغ من مغربها الرابع تطلع على قوم مثل ذلك القبيل الذى تغرب عليهم فقضى فى هؤلاء كما قضى فى أولئك من تعذيب الظالمين والاحسان الى المؤمنين وقد سبق بعض هذه الوجوه فى الوقوف ثم حكى سفره الى ناحية القطب الشمالى بعد تهيئة أسبابه قائلا (ثم أتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين) قيل السدان كان يخلق الله فهو بضم السين حتى يكون بمعنى مفعول أى هو مما فعله الله وخلقه واذا كان من عمل العباد فهو بالفتح حتى يكون حدثا قاله أبو عبيدة وابن الانبارى وانتصب بين على أنه مفعول به كما ارتفع بالفاعلية فى قوله لقد تقطع بينكم قال الامام فخر الدين الرازى الاظهر أن موضع السدين فى ناحية الشمال فقيل جبلان بين أرمينية واذربيجان وقيل فى منقطع أرض الترك وحكى محمد بن جرير الطبرى فى تاريخه أن صاحب اذربيجان أيام فتحها وجه انسانا من ناحية الخزر فشاهده ووصف أنه بنيان رفيع وراء خندق وثيق منيع وقيل ان الواثق رأى فى المنام كأنه فتح هذا الردم فبعث بعض الخدم اليه ليعاينوه فخرجوا من باب الابواب حتى وصلوا اليه

• وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله بين الصدفين يقول بين الجبلين **حدثنى** محمد ابن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس حتى اذا بلغ بين السدين قال هو سد كان بين صدفين والصدفان الجبلان **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى ح **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله الصدفين رؤس الجبلين **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله بين الصدفين يعنى الجبلين وهما من قبل أرمينية وأذربيجان **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة حتى اذا ساوى بين الصدفين وهما الجبلان **حدثنى** أحمد بن يوسف قال أخبرنا القاسم قال ثنا هشيم عن مغيرة عن ابراهيم أنه قرأها بين الصدفين منصوبة الصاد والدال وقال بين الجبلين والعرب فى الصدفين لغات ثلاث وقد قرأ بكل واحدة منها جماعة من القراء الفتح فى الصاد والدال وذلك قراءة عامة قراء أهل المدينة والكوفة والضم فيهما وهى قراءة أهل البصرة والضم فى الصاد وتسكين الدال وذلك قراءة بعض أهل مكة والكوفة والفتح فى الصاد والدال أشهر هذه اللغات والقراءة بها أعجب الىّ وان كنت مستجيزا القراءة بجميعها لاتفاق معانيها وانما اخترت الفتح فيهما لما ذكرت من العلة وقوله قال انفخوا يقول عز ذكره قال للفعلة انفخوا النار على هذه الزبر من الحديد وقوله حتى اذا جعله نارا وفى الكلام متروك وهو فنفخوا حتى اذا جعل ما بين الصدفين من الحديد نارا قال آتونى أفرغ عليه قطرا فاختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة قال آتونى بمد الالف من آتونى بمعنى أعطونى قطرا أفرغ عليه وقرأه بعض قراء الكوفة قال ائتونى بوصل الالف بمعنى جيئونى قطرا أفرغ عليه كما يقال أخذت الخطام وأخذت بالخطام وجئتك زيدا وجئتك بزيد وقد يتوجه معنى ذلك اذا قرئ كذلك الى معنى أعطونى فيكون كأن قارئه أراد مد الألف من آتونى فترك الهمزة الاولى من آتونى واذا سقطت الاولى همز الثانية وقوله أفرغ عليه قطرا يقول أصب عليه قطرا والقطر النحاس

• وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أفرغ عليه قطرا قال القطر النحاس **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثت** عن الحسين قال سمعت

وشاهدوه ووصفوا أنه بناء من لبن من حديد مشدّدة بالنحاس المذاب وعليه باب مقفل ثم ان ذلك الانسان لما حاول الرجوع أخرجهم الدليل الى البقاع المحاذية لسمرقند قال أبو الريحان البيرني ومقتضى هذا الخبر أن هذا الموضع في الربع الغربي الشمالي من المعمورة والله أعلم بحقيقة الحال ولما بلغ الاسكندر ما بين الجبلين اللذين سدما بينهما (وجد من دونهما) أي من ورائهما متجاوزا عنهما قريبا (قوما لا يكادون يفقهون) بأنفسهم أو يفقهون غيرهم قولهم (٢٢) لانهم لا يعرفون غير لغة أنفسهم * سؤال كيف فهم منهم ذو القرنين أن يأجوج ومأجوج مفسدون في الارض الخ وأجيب بأن كاد نفيه اثبات أو لعله فهم ما في ضميرهم بالقرائن والاشارات أو بوحي والهام وهما اسمان أعجميان بدليل منع الصرف وقيل مشتقان من أج الظليم في مشيه اذا هرول وتأجج النار اذا تلهبت ومن أجيج الريق أو موج البحر سموا بذلك لشدتهم وسرعة حركتهم وهما من ولد يافث وقيل يأجوج من الترك ومأجوج من الجيل والديلم ومن الناس من وصفهم بصغر الجثة وقصر القامة حتى الشبر ومنهم من وصفهم بطول القامة وكبر الجثة وأثبت لهم مخالب وأضراسا كأضراس السباع أما افسادهم في الارض فقيل كانوا يقتلون الناس وقيل يأكلون لحومهم وقيل يخرجون أيام الربيع فلا يتركون شيأ أخضر الا أكلوه ولا يابسا الا احتملوه (فهل نجعل لك خرجا) وخراجا أي جعلا نخرجه من أموالنا ونظيرهما النول والنوال وقيل الخرج ما يخرجه كل أحد من ماله والخراج ما يجبيه السلطان من البلد كل سنة وقال قطرب الخرج الجزية والخراج في الارض (قال) ذو القرنين (ما مكني فيه ربي) أي جعلني فيه مكينا اذا مكانة من المال واليسار (خير) مما تبذلون لي من الخراج نظيره قول سليمان فما آتاني الله خير مما آتاكم (فأعينوني بقوة) بآلات ورجال وصناع وقيل بمال أصرفه في هذا المهم ولا آخذه لنفسي والردم أكبر من السد من قولهم ثوب مردم رقاع فوق رقاع وزبر الحديد قطعه قال الخليل الزبرة من الحديد القطعة الضخمة من قرأ آتوني بالمد فظاهر ومن قرأ ائتوني من الاتيان فعلى حذف باء التعدية والنصب بنزع الخافض ثم ههنا اضمار أي فأتوه بها فوضع بعضها فوق بعض (حتى اذا ساوى بين الصدفين) وهما على القراءتين جانبا الجبلين لانهما يتصادفان أي يتقابلان (أفرغ عليه قطرا) أصب عليه النحاس

أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله أفرغ عليه قطرا يعني النحاس حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أفرغ عليه قطرا أي النحاس ليلزمه به حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله أفرغ عليه قطرا قال نحاسا وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يقول القطر الحديد المذاب ويستشهد لقوله ذلك بقول الشاعر

حساما كلون الملح صاف حديده * جرازا من أقطار الحديد المنعت

وقوله فما اسطاعوا أن يظهروه يقول عز ذكره فما اسطاع يأجوج ومأجوج أن يعلوا الردم الذي جعله ذو القرنين حاجزا بينهم وبين من دونهم من الناس فيصيروا فوقه وينزلوا منه الى الناس يقال منه ظهر فلان فوق البيت اذا علاه ومنه قول الناس ظهر فلان على فلان اذا قهره وعلاه وما استطاعوا له نقبا يقول ولم يستطيعوا أن ينقبوه من أسفله * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فما اسطاعوا أن يظهروه من فوقه وما استطاعوا له نقبا أي من أسفله حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله فما اسطاعوا أن يظهروه قال ما استطاعوا أن ينزعوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة فما اسطاعوا أن يظهروه قال أن يرتقوه وما استطاعوا له نقبا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج فما اسطاعوا أن يظهروه قال يعلوه وما استطاعوا له نقبا أي ينقبوه من أسفله واختلف أهل العربية في وجه حذف التاء من قوله فما اسطاعوا فقال بعض نحويي البصرة فعل ذلك لان لغة العرب أن تقول اسطاع يسطيع يريدون بها استطاع يستطيع ولكن حذفوا التاء اذا جمعت مع الطاء ومخرجهما واحد قال وقال بعضهم استاع فحذف الطاء لذلك وقال بعضهم أسطاع يسطيع فجعلها من القطع كأنها أطاع يطيع فجعل السين عوضا (١) من اسكان الواو وقال بعض نحويي الكوفة هذا حرف استعمل فكثر حتى حذف ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قال هذا رحمة من ربي فاذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا﴾ يقول عز ذكره فلما رأى ذو القرنين أن يأجوج ومأجوج لا يستطيعون أن يظهروا ما بنى من الردم ولا يقدرون على نقبه قال هذا الذي بنيته وسويته حاجزا بين هذه الامة ومن دون الردم رحمة من ربي رحم بها من دون الردم من الناس فأعانني برحمته لهم حتى بنيته وسويته ليكف بذلك غائلة هذه الأمة عنهم وقوله فاذا جاء وعد ربي جعله دكاء يقول فاذا جاء وعدربي الذي جعله ميقاتا لظهور هذه الامة وخروجها من وراء هذا الردم لهم جعله دكاء يقول سواه بالارض فألزقه بها من قولهم ناقة دكاء مستوية الظهر لا سنام لها وانما معنى الكلام جعله مدكوكا فقيل دكاء وكان

(١) أي عوضا من ذهاب حركة الواو وكما في اللسان كتبه مصححه

قتادة

المذاب وقطرا منصوب بأفرغ والتقدير آتونى قطرا أفرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثانى عليه وهذا مجمل ما يستدل به البصريون فى أن المختار عند تنازع الفعلين هو اعمال الثانى اذ لو عمل الأول لقال أفرغه عليه يحكى أنه حفر الاساس حتى بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينهما الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين الى أعلاهما ثم وضع المنافيخ حتى اذا صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمى فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا (٢٣) صلدا وقيل بعد ما بين السدين مائة فرسخ وعن

قتادة يقول فى ذلك ما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فاذا جاء وعد ربى جعله دكاء قال لا أدرى الجبلين يعنى به أو ما بينهما وذكر أن ذلك يكون كذلك بعد قتل عيسى بن مريم عليه السلام الدجال ذكر الخبر بذلك حدثنى أحمد بن ابراهيم الدورقى قال ثنا هشيم بن بشير قال أخبرنا العوام عن جبلة بن سحيم عن مؤثر وهو ابن عفازة العبدى عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقيت ليلة الاسراء ابراهيم وموسى وعيسى فتذاكروا أمر الساعة وردوا الأمر الى ابراهيم فقال ابراهيم لا علم لى بها فردوا الأمر الى موسى فقال موسى لا علم لى بها فردوا الأمر الى عيسى قال عيسى أما قيام الساعة لا يعلمه الا الله ولكن ربى قد عهد الىّ عما هو كائن دون وقتها عهد الىّ أن الدجال خارج وأنه مهبطى اليه فذكر أن معه قضيبين فاذا رآنى أهلكه الله قال فيذوب كما يذوب الرصاص حتى ان الحجر والشجر ليقول يا مسلم هذا كافر فاقتله فيهلكهم الله ويرجع الناس الى بلادهم وأوطانهم فيستقبلهم يأجوج ومأجوج من كل حدب ينسلون لا يأتون على شئ الا أكلوه ولا يمرون على ماء الا شربوه فيرجع الناس الىّ فيشكونهم فأدعو الله عليهم فيميتهم حتى تجوى الارض من نتن ريحهم فينزل المطر فيجرف أجسادهم فيلقيهم فى البحر ثم ينسف الجبال حتى تكون الارض كالأديم فعهد الىّ ربى أن ذلك اذا كان كذلك فان الساعة منهم كالحامل المتم التى لا يدرى أهلها متى تفجؤهم بولادها ليلا أو نهارا حدثنى عبيد بن اسمعيل قال ثنا المحاربى عن أصبغ بن زيد عن العوام بن حوشب عن جبلة بن سحيم عن مؤثر بن عفازة عن عبد الله بن مسعود قال لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم التقى هو وابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام فتذاكروا أمر الساعة فذكر نحو حديث أحمد بن ابراهيم الدورقى عن هشيم وزاد فيه قال العوام بن حوشب فوجدت تصديق ذلك فى كتاب الله تعالى قال الله عز وجل حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق فاذا هى شاخصة أبصار الذين كفروا وقال فاذا جاء وعد ربى جعله دكاء وكان وعد ربى حقا يقول وكان وعد ربى الذى وعد خلقه فى دك هذا الردم وخروج هؤلاء القوم على الناس وعينهم فيهم وغير ذلك من وعده حقا لأنه لا يخلف الميعاد فلا يقع غير ما وعد أنه كائن ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض ونفخ فى الصور فجمعناهم جمعا وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا﴾ يقول تعالى ذكره وتركنا عبادنا يوم يأتيهم وعدنا الذى وعدناهم بأنا ندك الجبال وتنسفها عن الارض نسفا فنذرها قاعا صفصفا بعضهم يموج فى بعض يقول يختلط جنهم بانسهم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب القمى عن هرون بن عنترة عن شيخ من بنى فزارة فى قوله وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض قال اذا ماج الجن والانس قال ابليس فأنا أعلم لكم علم هذا الامر فينطلق الى المشرق فيجد الملائكة

ممن لم يحص منهم من الناس ولا يقدرون أن يأتوا مكة ولا المدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله نغفا وهو دود يكون فى أنوف الابل والغنم فيدخل آذانهم فيموتون وقيل أراد أن قوم السد لما منعوا من الخروج ماج بعضهم فى بعض خلفه وقيل الضمير للخلق واليوم يوم القيامة أى وجعلنا الخلق يضطربون ويختلط انسهم وجنهم حيارى ونفخ الصور من آيات القيامة وسيجىء وصفه ومعنى عرض جهنم ابرازها وكشفها للذين عموا عنها فى الدنيا وفى ذلك نوع من العتاب للكفار لما يتداخلهم من الغم والفزع (عن ذكرى) أى عن آياتى التى ينظر اليها فأذكر بالتعظيم

فاطلق المسبب على السبب أو عن القرآن وتأمل معانيه وصفهم بالعمى عن الدلائل والآثار فأراد أن يصفهم بالصمم عن استماع الحق فقال (وكانوا لا يستطيعون سمعا) وهو أبلغ من أن لو قال وكانوا صما لان الأصم قد يستطيع السمع اذا صيح به وهؤلاء زالت عنهم الاستطاعة بالكلية احتجت الاشاعرة بالآية على أن الاستطاعة مع الفعل لانهم لما لم يسمعوا لم يستطيعوا وأجيب بأن المراد من نفي الاستطاعة النفرة والاستثقال ثم أنفذ في التوبيخ والوعيد قائلا (أفحسب (٣٤) الذين كفروا) والمراد أظنوا أنهم ينتفعون بما عبدوه مع اعراضهم عن تدبر آيات الله وتمردهم عن قبول أمره وأمر رسوله وفيه اضمار تقديره أفحسبوا اتخاذ عبادي أولياء نافعا والعباد اما عيسى والملائكة واما الشياطين الذين يطيعونهم واما الاصنام أقوال ومن قرأ بسكون السين فمعناه أفكافيهم ومحسبهم أن يتخذوهم أولياء على الابتداء والخبر أو على أنه مثل أقائم الزيدان يريد أن ذلك لا يكفيهم ولا ينفعهم عند الله كما حسبوا قال الزجاج النزل المأوى والمنزل وقيل انه الذي يعد للضيف فيكون تهكما به نحو فبشرهم بعذاب أما الذين ضل سعيهم أي ضاع وبطل عن علي رضي الله عنه أنهم الرهبان كقوله عاملة ناصبة وروى عنه صلى الله عليه وسلم أن منهم أهل حروراء وعن مجاهد أهل الكتاب والتحقيق أنه يندرج فيه كل ما يأتي بعمل خير لا يبتنى على ايمان واخلاص وعن أبي سعيد الخدري يأتي ناس بأعمال يوم القيامة هي عندهم في العظم كجبال تهامة فاذا وزنوها لم تزن شيأ وذلك قوله (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) قال القاضي ان من غلبت معاصيه طاعاته صار ما فعله من الطاعة كأن لم يكن فلا يدخل في الوزن شئ من طاعاته وهذا مبني على الاحباط والتكفير وفي قوله فحبطت أعمالهم اشارة الى ذلك أو المراد فنزدري بهم ولا يكون لهم عندنا وزن ومقدار وقيل لا يقام لهم ميزان لان الميزان انما يوضع لاهل الحسنات والسيئات من الموحدين (ذلك) الذي ذكرناه من أنواع الوعيد (جزاؤهم) وقوله (جهنم) عطف بيان للجزاء والسبب فيه انهم ضموا الى الكفر بالله اتخاذ آيات الله واتخاذ كل رسله هزؤا وتكذيبا ويجوز أن يكون كل من الامرين سببا مستقلا للتعذيب ثم أردف الوعيد بالوعد على عادته عن قتادة الفردوس أوسط الجنة وأفضلها وعن كعب ليس في الجنان أعلى من جنة الفردوس وفيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وعن مجاهد الفردوس

(قد قطعوا الارض ثم يظعن الى المغرب فيجد الملائكة قد قطعوا الأرض ثم يصعد يمينا وشمالا الى أقصى الارض فيجد الملائكة قطعوا الأرض فيقول ما من محيص فبيناهو كذلك اذ عرض له طريق كالشراك فأخذ عليه هو وذريته فبيناهم عليه اذ هجموا على النار فأخرج الله لهم من خزان النار قال يا ابليس ألم تكن لك المنزلة عند ربك ألم تكن في الجنان فيقول ليس هذا يوم عتاب لو أن الله فرض على فريضة لعبدته فيها عباد لم يعبده مثلها أحد من خلقه فيقول فان الله قد فرض عليك فريضة فيقول ما هي فيقول يأمرك أن تدخل النار فيتلكأ عليه فيقول له وبذريته بجناحيه فيقذفهم في النار فتفر النار زفرة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا جثى لركبتيه **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وترك بعضهم يومئذ يموج في بعض قال هذا أول يوم القيامة ثم نفخ في الصور على أثر ذلك فجمعناهم جمعا ونفخ في الصور قد ذكرنا اختلاف أهل التأويل فيما مضى في الصور وما هو وما عنى به واخترنا الصواب من القول في ذلك بشواهده المغنية عن اعادته في هذا الموضع غير أنا نذكر في هذا الموضع بعض ما لم نذكر في ذلك الموضع من الأخبار ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه قال ثنا أسلم عن بشر بن شغاف عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم أن أعرابيا سأله عن الصور قال قرن ينفخ فيه **حدثنا** أبو كريب قال ثنا معاوية بن هشام عن سفيان عن سليمان التيمي عن العجلي عن بشر بن شغاف عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه **حدثنا** محمد بن الحرث القنطري قال ثنا يحيى بن أبي بكير قال كنت في جنازة عمر بن ذر فلقيت مالك بن مغول فحدثنا عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم وحنى الجبهة وأصغى بالاذن متى يؤمر فشق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قولوا حسبنا الله وعلى الله توكلنا ولو اجتمع أهل منى ما أقالوا ذلك القرن كذا قال وانما هو ما أقلوا **حدثني** أبو السائب قال ثنا حفص عن الحجاج عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى ظهره وحظ بعينه قالوا ما نقول يا رسول الله قال قولوا حسبنا الله توكلنا على الله **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن فضيل عن مطرف عن عطية عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته يستمع متى يؤمر فينفخ فيه فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف نقول قال تقولون حسبنا الله ونعم الوكيل توكلنا على الله **حدثنا** أبو كريب والحسن بن عرفة قالا ثنا أسباط عن مطرف عن عطية عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله **حدثني** يعقوب قال ثنا شعيب بن حرب قال ثنا خالد أبو العلاء

هو البستان بالرومية وعن النبي صلى الله عليه وسلم الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مسيرة مائة عام والفردوس أعلاها درجة ومنها الانهار الاربعة فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فان فوقها عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة قال أهل السنة جعل جنات الفردوس نزلا فالاكرام التام يكون وراء ذلك وليس الا الرؤية ونظيره أنه جعل جهنم بأسرها نزلا فما وراءها هو العذاب الحقيقي وهو عذاب الحجاب كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون والحول التحول وفيه أنه لا مزيد على نعيم الفردوس حتى تنازعهم أنفسهم الى تلك الزيادة ويجوز أن يراد به تأكيد الخلود أي لا تحول فيطلب كقوله

* ولا ترى الضب بها ينجحر *

ولما ذكر أنواع الدلائل والبينات وشرح أقاصيص سئل عنها نبه على كمال حال القرآن والمداد اسم لما يمد به الشئ كالحبر والزيت للدواة والسراج والمعنى لو كتبت كلمات علم الله وحكمه وفرض أن جنس البحر مداد لهما لنفد البحر قبل نفاد الكلمات ولو جئنا بمثل البحر مددا لنفد أيضا وهو تمييز من مثله كقولك على التمرة مثلها زبدا والمدد والمداد واحد روى أن حيي بن أخطب قال في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ثم تقرؤن وما أوتيتم من العلم الا قليلا فنزلت هذه الآية يعني أن ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله قالت الاشاعرة ان كلام الله تعالى واحد واعترض عليهم بهذه الآية فانها صريحة في اثبات كلمات كثيرة لله تعالى وأجيب بأن المراد من الكلمات متعلقات علم الله تعالى وزعم الجبائي أن قوله قبل أن تنفد كلمات ربي بدل على أن كلمات الله قد تنفد بالجملة وما ثبت عدمه امتنع قدمه وأجيب بأن المراد الالفاظ الدالة على تعلقات تلك الصفة الازلية قلت الانصاف أن نفاد شئ قبل نفاد شئ آخر لا يدل على نفاد الشئ الآخر ولا على

قال ثنا عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى الجبهة وأصغى بالاذن متى يؤمر أن ينفخ ولو أن أهل منى اجتمعوا على القرن على أن يقلوه من الارض ما قدروا عليه قال فأبلس أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشق عليهم قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا **حدثنا** أبو كريب قال ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي عن اسمعيل بن رافع المدني عن يزيد بن فلان عن رجل من الانصار عن محمد بن كعب القرظي عن رجل من الانصار عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ الله من خلق السموات والأرض خلق الصور فأعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص بصره الى العرش ينتظر متى يؤمر قال أبو هريرة يا رسول الله وما الصور قال قرن قال وكيف هو قال قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات الاولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة القيام لرب العالمين وقوله فجمعناهم جمعا يقول فجمعنا جميع الخلق حينئذ لموقف الحساب جمعا وقوله وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا يقول وأبرزنا جهنم يوم ينفخ في الصور فأظهرناها للكافرين بالله حتى يروها ويعاينوها كهيئة السراب ولو جعل الفعل لها قيل أعرضت اذا استبانت كما قال عمرو بن كلثوم

وأعرضت اليمامة واشمخرت * كأسياف بأيدي مصلتينا

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي قال ثنا سفيان عن سلمة بن كهيل قال ثنا أبو الزعراء عن عبد الله قال يقوم الخلائق لله اذا نفخ في الصور قيام رجل واحد ثم يتمثل الله عز وجل للخلق فما يلقاه أحد من الخلائق كان يعبد من دون الله شيأ الا وهو مرفوع له يتبعه قال فيلقى اليهود فيقول من تعبدون قال فيقولون نعبد عزيرا قال فيقول هل يسركم الماء فيقولون نعم فيريهم جهنم وهي كهيئة السراب ثم قرأ وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا ثم يلقى النصارى فيقول من تعبدون فيقولون نعبد المسيح فيقول هل يسركم الماء فيقولون نعم قال فيريهم جهنم وهي كهيئة السراب ثم كذلك لمن كان يعبد من دون الله شيأ ثم قرأ عبد الله وقفوهم انهم مسؤلون ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعا﴾ يقول تعالى وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين الذين كانوا لا ينظرون في آيات الله فيتفكرون فيها ولا يتأملون حججه فيعتبرون بها فيتذكرون وينيبون الى توحيد الله وينقادون لأمره ونهيه وكانوا لا يستطيعون سمعا يقول وكانوا لا يطيقون أن يسمعوا ذكر الله الذي ذكرهم به وبيانه الذي بينه لهم في آي كتابه بخذلان الله اياهم وغلبة الشقاء عليهم وشغلهم بالكفر بالله وطاعة الشيطان فيتعظون به ويتدبرونه فيعرفون الهدى من الضلالة والكفر من الايمان وكان مجاهد يقول في ذلك ما **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث

عدم نفاده فلا يستفاد من الآية الا كثرة كلمات الله بحيث لا يضبطها عقول البشر أما أنها متناهية أو غير متناهية فلا دليل في الآية على أحد النقيضين ولكن الحق في نفس الامر أن كلمات الله لا تتناهى لانها تابعة لمعلوماته وهي غير متناهية بالبرهان ثم أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يسلك سبيل التواضع وهو أن حاله مقصور على البشرية لا يتخطاها الى الملكية الا أنه امتاز بنعت الايحاء اليه وكفى به بونا ومباينة ثم بين أن الموحى هو (انما الهكم اله واحد) وفي تخصيص هذا الوحي بالذكر

فائدة هي أن يستدل به على صدقه فان من علامات صدق مدعي النبوة أن يدعو الى التوحيد ثم أن يدعو الى العمل الصالح المقترن بالاخلاص وذلك قوله (فمن كان يرجو) أي يأمل حسن لقائه أو يخاف سوء لقائه واللقاء بمعنى الرؤية عند الاشاعرة وبمعنى لقاء الثواب أو العقاب عند المعتزلة (فليعمل عملا صالحا ولا يشرك) بعبادة ربه أحدا) قال المفسرون النهي عن الاشراك بالعبادة هو أن لا يرائي بعمله ولا يبتغي به الا وجه ربه يروى أن جندب بن زهير قال لرسول الله (٢٦) صلى الله عليه وسلم اني أعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرني فقال ان الله لا يقبل ما شورك فيه ويروى أنه قال له لك أجران أجر السر وأجر العلانية قال العلماء الرواية الأولى محمولة على ما اذا قصد بعمله الرياء والسمعة والرواية الثانية محمولة على ما اذا قصد أن يقتدى به قال في الكشاف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ عند مضجعه قل انما أنا بشر مثلكم كان له من مضجعه نورا يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وان كان مضجعه بمكة كان له نورا يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ ﴿ التأويل لما بين أن للانسان كمالا ممكنا ونقصا ممكنا عن له تحصيله بالتربية والارشاد أراد أن يبين أن الانسان الكامل انما هو مستحق الخلافة في الارض وهو ذو القرنين الذي ملك الجانبين أعني جانب عالم الارواح وجانب عالم الاشباح لأنه أوتي التمكين في الارض وأوتي أسباب كل شئ في عالم الوسائط والأسباب فبذلك يصير كاملا في نفسه مكملا لغيره فأتبع سببا من أسباب الوصول الى عالم السفلى وهو مغرب شمس الروح الانساني فوجدها تغرب في عين حمئة هي عالم القوى والطبائع والأجساد ووجد عندها قوما هم القوى البدنية والنفوس الارضية قلنا ياذا القرنين اما أن تعذبهم بالقتل بسكين الرياضة وسيف المجاهدة واما ان تتخذ فيهم حسنا هو الرفق والمداراة قال أما من ظلم بوضع خاصيته واستعمالها في غير موضعها فسوف نعذبه بقهره على خلاف ما هو مراده وهواه ثم يرد الى ربه وهو الشيخ الكامل الذي يربيه فيعذبه عذابا نكرا هو المنع عن مشتهياته أو يرد الى الله تعالى فيعذبه بعذاب البعد والقطيعة وأما من آمن وعمل

قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله لا يستطيعون سمعا قال لا يعقلون **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وكانوا لا يستطيعون سمعا قال لا يعلمون **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري الآية قال هؤلاء أهل الكفر ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء انا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا﴾ يقول عز ذكره أفظن الذين كفروا بالله من عبدة الملائكة والمسيح أن يتخذوا عبادي الذين عبدوهم من دون الله أولياء يقول كلا بل هم لهم أعداء * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج في قوله أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء قال يعني من يعبد المسيح ابن مريم والملائكة وهم عباد الله ولم يكونوا للكفار أولياء وبهذه القراءة أعني بكسر السين من أفحسب بمعنى الظن قرأت هذا الحرف قراء الامصار وروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعكرمة ومجاهد أنهم قرؤا ذلك أفحسب الذين كفروا بتسكين السين ورفع الحرف بعدها بمعنى أفحسبهم ذلك أي أفكفاهم أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء من عبادتي وموالاتي كما **حدثت** عن اسحق بن يوسف الازرق عن عمران بن حدير عن عكرمة أفحسب الذين كفروا قال أفحسبهم ذلك والقراءة التي نقرؤها هي القراءة التي عليها قراء الامصار أفحسب الذين بكسر السين بمعنى أفظن لاجماع الحجة من القراء عليها وقوله انا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا يقول أعددنا لمن كفر بالله جهنم منزلا ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء الذين يبغون عنتك ويجادلونك بالباطل ويحاورونك بالمسائل من أهل الكتابين اليهود والنصارى هل ننبئكم أيها القوم بالأخسرين أعمالا يعني بالذين أتعبوا أنفسهم في عمل يبغون به ربحا وفضلا فنالوا به عطبا وهلاكا ولم يدركوا ما طلبوا كالمشتري سلعة يرجو بها فضلا وربحا فخاب رجاؤه وخسر بيعه ووكس في الذي رجا فضله * واختلف أهل التأويل في الذين عنوا بذلك فقال بعضهم عنى به الرهبان والقسوس ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا المقبري قال ثنا حيوة بن شريح قال أخبرني السكن بن أبي كريمة أن أمه أخبرته أنها سمعت أبا خميصة عبد الله بن قيس يقول سمعت علي بن أبي طالب يقول في هذه الآية قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا هم الرهبان الذين حبسوا أنفسهم في الصوامع **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعت حيوة يقول ثني السكن بن أبي كريمة عن أمه أخبرته أنها سمعت عبد الله بن قيس يقول سمعت علي بن أبي طالب يقول فذكر نحوه **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد

صالحا فله جزاء الحسنى هو مقام الوصول والوصال وسنقول له من أمرنا يسرا هو التخفيف والاستراحة بعد الفناء والمجاهدة ثم أتبع أسباب الوصول الى عالم الارواح وهو مطلع شمس النفس الناطقة الانسانية فوجدها تطلع على قوم مجردين عن العلائق الجسمانية والعوائق الساترة الجسدانية حتى اذا بلغ بين السدين وهو عالم التعيش والتمدن والجولان فى جو أسباب قوام البدن وقيامه على وجه الجسمانية الى صلاح المعاد ونظامه وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا وهم العوام الذين قصارى أمرهم الجهل البسيط ان يأجوج ومأجوج القوى والطبائع مفسدون فى الارض البشرية باستعمال خواصها فى غير ما خلقت هى لأجلها فهل نجعل لك خرجا هو ترك الوجود وبذل الموجود فأعينونى بقوة بهمة صارفة وعزيمة صادقة آتونى زبر الحديد ملكات راسخة وهيآت ثابتة أو قولوا بأهن كالحديد فى المضاء وكالجبال الراسيات فى البقاء حتى اذا ساوى عرض ما بين طرفى العمر كما قيل من المهد الى اللحد قال انفخوا بالمداومة على الاذكار والاوراد حتى اذا جعله نارا بتأثير حرارة الطاعة والذكر فى حديد القلب قال آتونى أفرغ عليه قطرا هو جوهر المحبة وكيمياء الاخلاص النافذ فى سويدات القلوب بحيث لا ينفذ فيه كيد الشيطان ولا يعلوه ما سوى الرحمن الله حسبى

﴿سورة مريم مكية حروفها ثلاثة آلاف وثمانمائة وحرفان كلامها تسعمائة واثنان وستون آياتها ثمان وتسعون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم

كهيعص ذكر رحمت ربك عبده زكريا اذ نادى ربه نداء خفيا قال رب انى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا وانى خفت الموالى من ورائى وكانت امرأتى

عاقرا فهب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا قال رب أنى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا قال كذلك قال ربك هو على هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيأ قال رب اجعل لى آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا فخرج على قومه من المحراب فأوحى اليهم أن سبحوا بكرة وعشيا يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا﴾

عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن هلال بن يساف عن مصعب بن سعد قال قلت لأبى وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا أهم الحرورية قال هم أصحاب الصوامع **حدثنا** فضالة ابن الفضل قال قال بزيع سأل رجل الضحاك عن هذه الآية قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا قال هم القسيسون والرهبان **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن منصور عن هلال بن يساف عن مصعب بن سعد قال قال سعد هم أصحاب الصوامع **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مصعب بن سعد قال قلت لسعد يا أبت هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا أهم الحرورية فقال لا ولكنهم أصحاب الصوامع ولكن الحرورية قوم زاغوا فأزاغ الله قلوبهم * وقال آخرون بل هم جميع أهل الكتابين ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن مصعب بن سعد قال سألت أبى عن هذه الآية قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا أهم الحرورية قال لا هم أهل الكتاب اليهود والنصارى أما اليهود فكذبوا محمدا وأما النصارى فكفروا بالجنة وقالوا ليس فيها طعام ولا شراب ولكن الحرورية الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الارض أولئك هم الخاسرون فكان سعد يسميهم الفاسقين **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن ابراهيم بن أبى حرة عن مصعب بن سعد بن أبى وقاص عن أبيه فى قوله قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا قال هم اليهود والنصارى **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن أبى حرب بن أبى الاسود عن زاذان عن على بن أبى طالب أنه سئل عن قوله قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا قال هم كفرة أهل الكتاب كان أوائلهم على حق فأشركوا برهم وابتدعوا فى دينهم الذين يجتهدون فى الباطل ويحسبون أنهم على حق ويجتهدون فى الضلالة ويحسبون أنهم على هدى فضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ثم رفع صوته فقال وما أهل النهر منهم ببعيد * وقال آخرون بل هم الخوارج ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا يحيى عن سفيان عن سلمة بن كهيل عن أبى الطفيل قال سأل عبد الله ابن الكواء عليا عن قوله قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا قال أنتم يا أهل حروراء **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى يحيى بن أيوب عن أبى صخر عن أبى معاوية البجلى عن أبى الصهباء البكرى عن على بن أبى طالب أن ابن الكواء سأله عن قول الله عز وجل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا فقال على أنت وأصحابك **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن سلمة بن كهيل عن أبى الطفيل قال قام ابن الكواء الى على فقال من الأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا قال

۞ القراآت كهيعص بامالة الهاء فقط أبو عمرو وكهيعص بامالة الياء فقط حمزة وخلف وقتيبة وابن ذكوان وقرأ علي غير قتيبة ويحيى وحماد بامالتهما وقرأ أبو جعفر ونافع والخزاعي عن البزي وابن فليح بين الفتح والكسر والى الفتح أقرب الباقون بتفخيمهما صاد ذكر مدغما أبو عمرو وحمزة وخلف وابن عامر وسهل من ورائي بفتح الياء مهموزا ابن كثير غير زمعة والخزاعي عن البزي وقرأ زمعة عن ابن كثير والخزاعي عن البزي من وراى مثل عصاى يرثني ويرث (٣٨) بالجزم فيهما أبو عمرو وعلي الباقون برفعهما بشر له ثلاثيا وكذلك في آخر السورة

حزة عتيا وجثيا وصليا وبكيا بكسر الأوائل حمزة وعلي وافق حفص الا في بكيا الخزاز عن هبيرة عتيا الاولى بالكسر والثانية بالضم وقد خلقناك حمزة وعلي الآخرون خلقتك على التوحيد لي آية بفتح الياء أبو جعفر ونافع وأبو عمرو وابن شنبوذ عن أهل مكة ۞ الوقوف كهيعص ○ كوفي زكريا ○ ج لجواز تعلق اذ بذكر رحمة ربك ولاحتمال انتصابه باذكر محذوفا خفيا ○ شقيا ○ وليا لا آل يعقوب ق والوجه الوصل لعطف الجملتين المتفقتين يحيى لا لأن مابعده صفة غلام والاستئناف ليس بقوي سميا ○ عتيا ○ كذلك ○ بناء على أن التقدير الامر كذلك شيأ ○ آية ط سويا ○ وعشيا ○ بقوة ط صبيا ○ لا للعطف أي آتيناه الحكم وحنانا منا عليه وزكاة ط تقيا ○ عصيا ○ حيا ○ ۞ التفسير حروف المعجم في الوقف ثنائية وثلاثية وقد جرت عادة العرب بامالة الثنائيات وبتفخيم الثلاثيات وفي الزاي اعتبد الامران لانه قد يلحق بآخره ياء وقد لا يلحق فيصير ثنائيا ولاريب أن التفخيم أصل والامالة فرع عليه فمن قرأ بامالة الهاء والياء معا فعلى العادة ومن قرأ بتفخيمهما جميعا فعلى الاصل ومن قرأ بامالة أحداهما فلرعاية الجانبين وقد روى صاحب الكشاف عن الحسن أنه قرأ بضمهما فقيل لانه تصور أن عين الكلمة فيهما واو فنبه بالضم على أصلها والبحث عن هذه الفوائح قد سلف في أول البقرة ومما يختص بهذا الموضع ماروى عن ابن عباس أن قوله (كهيعص) ثناء من الله تعالى على نفسه فالكاف كاف لامور عباده والهاء هاد والعين عالم أو عزيز والصاد صادق وعنه أيضا أنه حمل الكاف على الكريم أو الكبير والياء على الكريم مرة وعلى الحكيم أخرى وعن الربيع بن أنس أن الياء من مجير وهذا التفسير لا يخلو عن تحكم الا أن يستند الى الوحي أو الالهام وارتفع (ذكر

ويلك أهل حروراء منهم حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن خالد (١) ابن عثمة قال ثنا موسى ابن يعقوب بن عبد الله قال ثني أبو الحويرث عن نافع بن جبير بن مطعم قال قال ابن الكواء لعلي بن أبي طالب ما الأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا قال أنت وأصحابك * والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال ان الله عز وجل عنى بقوله هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا كل عامل عملا يحسبه فيه مصيبا وأنه لله بفعله ذلك مطيع مرض وهو بفعله ذلك له مسخط وعن طريق أهل الايمان به جائر كالرهابنة والشمامسة وأمثالهم من أهل الاجتهاد في ضلالتهم وهم مع ذلك من فعلهم واجتهادهم بالله كفرة من أهل أي دين كانوا وقد اختلف أهل العربية في وجه نصب قوله أعمالا فكان بعض نحويي البصرة يقول نصب ذلك لانه لما أدخل الألف واللام والنون في الأخسرين لم يوصل الى الاضافة وكانت الأعمال من الأخسرين فلذلك نصب وقال غيره هذا باب الأفعل والفعلى مثل الأفضل والفضلى والأخسر والخسرى ولا تدخل فيه الواو ولا يكون معه مفسرا لانه قد انفصل عن هو كقوله الأفضل والفضلى واذا جاء معه مفسر كان للاول والآخر وقال ألا ترى أنك تقول مررت برجل حسن وجها فيكون الحسن للرجل والوجه وكذلك كبير عقلا وما أشبهه قال وانما جاز في الأخسرين لانه رده الى الأفعلة والأفعلة قال وسمعت العرب تقول الأولات دخولا والآخرات خروجا فصار للاول والثاني كسائر الباب قال وعلى هذا يقاس وقوله الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا يقول هم الذين لم يكن عملهم الذي عملوه في حياتهم الدنيا على هدى واستقامة بل كان على جور وضلالة وذلك أنهم عملوا بغير ما أمرهم الله به بل على كفر منهم به وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا يقول وهم يظنون أنهم بفعلهم ذلك لله مطيعون وفيما ندب عباده اليه مجتهدون وهذا من أدل الدلائل على خطا قول من زعم أنه لا يكفر بالله أحدا الا من حيث يقصد الى الكفر بعد العلم بوحدانيته وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء الذين وصف صفتهم في هذه الآية أن سعيهم الذي سعوا في الدنيا ذهب ضلالا وقد كانوا يحسبون أنهم محسنون في صنعهم ذلك وأخبر عنهم أنهم هم الذين كفروا بآيات ربهم ولو كان القول كما قال الذين زعموا أنه لا يكفر بالله أحد الا من حيث يعلم لوجب أن يكون هؤلاء القوم في عملهم الذي أخبر الله عنهم أنهم كانوا يحسبون فيه أنهم يحسنون صنعه كانوا مثابين مأجورين عليها ولكن القول بخلاف ما قالوا فاخبر جل ثناؤه عنهم أنهم بالله كفرة وأن أعمالهم حابطة وعنى بقوله أنهم يحسنون صنعا عملا والصنع والصنعة والصنيع واحد يقال فرس صنيع بمعنى مصنوع ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا﴾ يقول تعالى ذكره هؤلاء الذين وصفنا صفتهم الأخسرون أعمالا الذين كفروا بحجج ربهم وأدلته وأنكروا لقاءه فحبطت أعمالهم يقول فبطلت أعمالهم

(١) هي أم محمد وخالد أبوه فيلزم اثبات الالف اه كتبه مصححه

فلم

رحمة) على الخبر أى هذا المتلو من القرآن ذكر رحمة (ربك) وانتصب (عبده) على أنه مفعول لذكر و(زكريا) عطف بيان وقرئ برفعهما على اضافة المصدر الى المفعول وعن الكلبى أنه قرأ ذكر بلفظ الماضى مشددا تارة ورحمة وعبده منصوبان على المفعولية والفاعل ضمير المتلو ومخففا أخرى وعبده مرفوع على الفاعلية وقرئ ذكر على الامر وهى قراءة ابن معمر وقيل يحتمل على هذا أن تكون الرحمة عبارة عن زكريا لان كل نبى رحمة لأمته ويجوز أن يكون رحمة لنبينا صلى الله عليه وسلم ولامته لان طريقه فى الاخلاص والابتهال يصلح لان يقتدى به وكان ذكره رحمة لنا ولنبينا وفى خفاء ندائه وجوه منها أن الاخفاء أبعد عن الرياء وأدخل فى الخشية ولهذا فسره الحسن بأنه نداء لا رياء فيه ومنها أنه أخفاه لئلا يلام على طلب الولد فى غير وقته ومنها أنه أسره من مواليه الذين خافهم ومنها أنه خفت صوته لضعفه وهرمه كما جاء فى صفة الشيخ صوته خفات وسمعه تارات وأعله أتى بأقصى ما يقدر عليه من الصوت ومع ذلك كان خفيا لنهاية كبره ثم شرع فى حكاية ندائه قائلا (قال رب انى وهن العظم منى) الى قوله واجعله رب رضيا قال علماء المعانى فى الآية لطائف وذلك أصل الكلام يارب قد شخت فان الشيخوخة مشتملة على ضعف البدن وشيب الرأس ثم ترك الاجمال الى التفصيل لتوخى زيادة التقرير فصار ضعف بدنى وشاب رأسى ثم فى القرينة الاولى عدل من التصريح الى الكناية التى هى أبلغ منه فصار وهنت عظامى فان وهن عظام البدن لازم لضعفه ثم بنيت الكناية على المبتدا التقوى الحكم فصل أنا وهنت عظام بدنى ثم سلك طريق الاجمال والتفصيل لمزيد البيان فصار انى وهنت العظام من بدنى لانك اذا قلت انى وهنت العظام أفاد أن عظاما واهنة عندك فاذا قلت من بدنى فقد فصلت ثم ترك توسيط البدن لطلب مزيد اختصاص العظام ثم لطلب شمول العظام فردا فردا قصدت مرتبة ثانية هى ترك جمع العظم الى الافراد لان استغراق المفرد أشمل من استغراق الجمع فصل انى وهن العظم منى فصل انى وهنت العظام منى واذا حصل الوهن فى هذا الجنس الذى هو أصل الاعضاء وبه قوام البدن وقد يكون جنة لسائر الاعضاء الرئيسة كالقحف للدماغ والقص للقلب ففى الاعضاء الأخر أولى وأما القرينة الأخرى فتركت الحقيقة فيها الى الاستعارة التى هى أبلغ فصل اشتعل شيب رأسى وبيان الاستعارة فيه أنه شبه الشيب بشواظ النار

فلم يكن لها ثواب ينفع أصحابها فى الآخرة بل لهم منها عذاب وخزى طويل فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا يقول تعالى ذكره فلا نجعل لهم ثقلا وانما عنى بذلك أنهم لا تثقل بهم موازينهم لان الموازين انما تثقل بالأعمال الصالحة وليس لهؤلاء شئ من الاعمال الصالحة فتثقل به موازينهم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الأعمش عن شمر عن أبى يحيى عن كعب قال يؤتى يوم القيامة برجل عظيم طويل فلا يزن عند الله جناح بعوضة اقرؤا فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن الصلت قال ثنا ابن أبى الزناد عن صالح مولى التوأمة عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالأكول الشروب الطويل فيوزن فلا يزن جناح بعوضة ثم قرأ فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتى ورسلى هزوا﴾ يقول تعالى ذكره أولئك ثوابهم جهنم بكفرهم بالله واتخاذهم آيات كتابه وحجج رسله سخريا واستهزائهم برسله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا﴾ يقول تعالى ذكره ان الذين صدقوا بالله ورسوله وأقروا بتوحيد الله وما أنزل من كتبه وعملوا بطاعته كانت لهم بساتين الفردوس والفردوس معظم الجنة كما قال أمية

كانت منازلهم اذ ذاك ظاهرة * فيها الفراديس والفومان والبصل

واختلف أهل التأويل فى معنى الفردوس فقال بعضهم عنى به أفضل الجنة وأوسطها ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عباس بن الوليد قال ثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة قال الفردوس ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها حدثنا أحمد بن أبى سريج الرازى قال ثنا الهيثم أبو بشر قال أخبرنا الفرج بن فضالة عن لقمان عن عامر قال سئل أبو أسامة عن الفردوس فقال هى سرة الجنة حدثنا أحمد بن أبى سريج قال ثنا حماد بن عمرو النصيبى عن أبى على عن كعب قال ليس فى الجنان جنة أعلى من جنة الفردوس وفيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر * وقال آخرون هو البستان بالرومية ذكر من قال ذلك حدثنى على ابن سهل الرملى قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن عبد الله بن كثير عن مجاهد قال الفردوس بستان بالرومية حدثنا العباس بن محمد قال ثنا حجاج قال ابن جريج أخبرنى عبد الله عن مجاهد مثله * وقال آخرون هو البستان الذى فيه الأعناب ذكر من قال ذلك حدثنا عباس ابن محمد قال ثنا محمد بن عبيد عن الأعمش عن يزيد بن أبى زياد عن عبد الله بن الحرث عن كعب قال جنات الفردوس التى فيها الاعناب * والصواب من القول فى ذلك ما تظاهرت به الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ما حدثنا به أحمد بن أبى سريج قال ثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا همام بن يحيى قال ثنا زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن عبادة بن الصامت

فى بياضه وانارته وشبه انتشاره فى الشعر وفشوه فيه وأخذه منه كل ماخذ باشتعال النار ثم أخرجه مخرج الاستعارة بالكناية بأن حذف المشبه به وأداة التشبيه فصار اشتعل شيب رأسى ويمكن تقرير الاستعارة بوجه آخر وهو أن يكون استعمل اشتعل بدل انتشر فتكون الاستعارة تبعية تصريحية وقرينتها ذكر الشيب ثم تركت هذه المرتبة الى أبلغ منها وهى اشتعل رأسى شيبا وكونها أبلغ من جهات منها اسناد الاشتعال الى الرأس لافادته شمول الاشتعال الرأس (٣٠) كما لو قلت اشتعل بيتى نارا مكان اشتعل النار فى بيتى ومنها الاجمال والتفصيل الواقعان فى طريق التمييز ومنها تنكير شيبا للتعظيم كما هو حق التمييز ثم عدل الى مرتبة اخرى هى اشتعل الرأس منى شيبا لتوخى مزيد التقرير بالابهام ثم البيان على نحو وهن العظم منى ثم ترك لفظ منى لسبق ذكره فى القرينة الاولى ففى ذلك احالة تأدية المعنى على العقل دون اللفظ وكم بين الحوالتين مع أن بناء الكلام على الاختصار حيث قال رب بحذف حرف النداء وياء المتكلم يناسب الاختصار فى آخره وانما أطنب فى هذا المقام لان هذه الآية كالعلم فيما بين علماء المعانى ثم انه توسل الى الله عز وجل بما سلف له معه من الاستجابة قائلا (ولم أكن بدعائك رب شقيا) كما حكى أن محتاجا قال لكريم أنا الذى أحسنت الى وقت كذا فقال مرحبا بمن توسل الينا وقضى حاجته تقول العرب سعد فلان بحاجته اذا ظفر بها وشقى بها اذا خاب ولم ينلها ومعنى بدعائك أى بدعائى اياك واعلم أن زكريا عليه السلام قدم على السؤال أمورا ثلاثة الاول كونه ضعيفا والثانى أنه تعالى لم يرد دعاءه والثالث كون المطلوب بالدعاء سببا للمنفعة فى الدين وذلك قوله (وانى خفت الموالى) قال ابن عباس والحسن أى الورثة وعن مجاهد العصبة وعن أبى صالح الكلالة وعن الأصم بنى العم وهم الذين يلونه فى النسب وعن أبى مسلم المولى يراد به الناصر وابن العم والمالك والصاحب وهو ههنا من تقدم فى ميراثه وأرفعها كالولد والمختار أن المراد من الموالى الذين يخلفون بعده اما فى السياسة أو فى المال الذى كان له أو فى القيام بأمر الدين وكان من عاداتهم أن كل من كان الى صاحب الشرع أقرب كان متعينا للمحبورة وقوله (من ورائى) أى بعد موتى لا يتعلق بخفت لان الخوف بعد الموت محال ولكن بمحذوف أى الموالى الذين يخلفون من بعدى أو بمعنى الولاية فى الموالى أى خفت ولايتهم وسوء خلافتهم بعدى فان زكريا انضم له مع النبوة الولاية

عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مسيرة مائة عام والفردوس أعلاها درجة ومنها الانهار الاربعة والفردوس من فوقها فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس **حدثنا** موسى بن سهل قال ثنا موسى بن داود قال ثنا همام بن يحيى عن زيد بن أسلم عن عطاء ابن يسار عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض أعلاها الفردوس ومنها تفجر أنهار الجنة الاربعة فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى أبو يحيى بن سليمن عن هلال بن أسامة عن عطاء بن يسار عن أبى هريرة أو أبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فانها أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقها عرش الرحمن تبارك وتعالى ومنه تفجر أنهار الجنة **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا أبو عامر قال ثنا فليح عن هلال عن عبد الرحمن بن أبى عمرة عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم مثله الا أنه قال وسط الجنة وقال أيضا ومنه تفجر أو تتفجر **حدثنى** عمار بن بكار الكلاعى قال ثنا يحيى بن صالح قال ثنا عبد العزيز بن محمد قال ثنا زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض والفردوس أعلى الجنة وأوسطها وفوقها عرش الرحمن ومنها تفجر أنهار الجنة فاذا سألتم الله فسلوه الفردوس **حدثنا** أحمد بن منصور قال ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال ثنا الحرث بن عمير عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جنات الفردوس أربعة اثنتان من ذهب حليتهما وآنيتهما وما فيهما من شئ واثنتان من فضة حليتهما وآنيتهما وما فيهما من شئ **حدثنا** أحمد بن أبى سريج قال ثنا أبو نعيم قال ثنا أبو قدامة عن أبى عمران الجونى عن أبى بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جنات الفردوس أربع اثنتان من ذهب حليتهما وآنيتهما وما فيهما واثنتان من فضة حليتهما وآنيتهما وما فيهما **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يعقوب عن حفص عن شمر قال خلق الله جنة الفردوس بيده فهو يفتحها فى كل يوم خميس فيقول ازدادى طيبا لأوليائى ازدادى حسنا لأوليائى **حدثنا** ابن البرقى قال ثنا ابن أبى مريم قال أخبرنا محمد بن جعفر وابن الدراوردى قالا ثنا زيد بن أسلم عن عطاء ابن يسار عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للجنة مائة درجة كل درجة منها كما بين السماء والارض أعلى درجة منها الفردوس **حدثنى** أحمد بن يحيى الصوفى قال ثنا أحمد بن الفرج الطائى قال ثنا الوليد بن مسلم عن سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الفردوس من ربوة الجنة هى أوسطها وأحسنها **حدثنا** ابن بشار قال ثنا ابن أبى عدى قال أنبأنا اسمعيل بن مسلم عن الحسن عن سمرة بن جندب قال أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الفردوس هى أعلى الجنة وأحسنها

نخافى بعده على أحدهما أوعليهما وسبب الخوف القرائن والامارات التى ظهرت له من صفايح أحوالهم وأخلاقهم وانما قال خفت بلفظ الماضى لانه قصد به الاخبار عن تقادم الخوف ثم استغنى بدلالة الحال كمسئلة الوارث واظهار الحاجة عن الاخبار بوجود الخوف فى الحال وقرئ خفت الموالى بتشديد الفاء وعلى هذا فمعنى ورائى خلفى وبعدى أى قلوا وعجزوا عن أمر الدين والاقامة بوظائفه والظرف متعلق بالموالى أومعناه قدامى والظرف متعلق بخفت أى درجوا ولم يبق من يعتضد به ثم صرح بالمسئلة قائلا (فهب لى) وأكده بقوله (من لدنك) أى وليا صادرا من عندك مضافا الى اختراعك بلا سبب لانى وامرأتى لا نصلح للولادة من قرأ (يرثنى ويرث) بالجزم فيهما فهو جواب الدعاء ومن قرأ برفعهما فالأكثرون ومنهم جار الله قالوا انه صفة وقال صاحب المفتاح الاولى حمله على الاستئناف كأنه قيل لم تطلب الولد فقال يجبنى يرثنى أى لانه يرثنى لئلا يلزم منه أنه لم يوهب من وصف لهلاك يحيى قبل زكريا واعترض بأن حمله على الاستئناف يوجب الاخبار عما لم يقع وكذب النبى صلى الله عليه وسلم أمنع من كونه غير مستجاب الدعوة وأجيب بأن عدم ترتب الغرض من طلب الولد لا يوجب الكذب وأقول الاعتراض باق لان المعنى يؤل الى قولنا هب لى وليا موصوفا بالوراثة أو بأن الغرض منه الوراثة أوهب لى وليا أخبر عنه بأنه يرثنى وعلى التقادير يلزم عدم الاستجابة أو الكذب والحق فى الجواب هو ماسلف لنا فى قصة زكريا من سورة آل عمران أن النبى لا يطلب فى الدعاء الا الأصلح حتى لو كان الأصلح غير ما طلبه فصرفه الله تعالى عنه كان المصروف اليه هو بالحقيقة مطلوبه ويمكن أن يقال لعل الوراثة قد تحققت من يحيى وان قتل قبل زكريا وذلك بأن يكون قد تلقى منه كتاب أوشرع هو المقصود من وجود يحيى وبقى ذلك الكتاب أوالشرع معمولا به بعد زكريا أيضا الى حين وقد روى صاحب الكشاف ههنا قراءات شاذة لا فائدة كثيرة فى تعدادها الى قوله عن على وجماعة وارث من آل يعقوب أى يرثنى به وارث ويسمى التجريد فى علم البيان فقيل هو أن تجرد الكلام عن ذكر الاول حتى تقول جاءنى فلان فجاءنى رجل لا تريد به الا الاول ولذلك لا تذكر اسمه فى الجملة الثانية وتجرد الكلام عنه وأقول يشبه أن يكون معنى التجريد هو أنك تجرده عن جميع الاوصاف المنافية للمرجولية وكذا فى الآية كأنه جرده عن منافيات الوارثية بأسرها واختلف

وأرفعها **حدثنى** محمد بن مرزوق قال ثنا روح بن عبادة قال ثنا سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال للربيع ابنة النضر يا أم حارثة انها جنان وان ابنك أصاب الفردوس الأعلى والفردوس ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها وقوله نزلا يقول منازل ومساكن والمنزل من النزول وهو من نزول بعض الناس على بعض وأما النزل فهو الريع يقال ما طعامكم هذا نزل يراد به الريع وما وجدنا عندكم نزلا أى نزولا وقوله خالدين يقول لا بثين فيها أبدا لا يبغون عنها حولا يقول لا يريدون عنها تحولا وهو مصدر تحولت أخرج الى أصله كما يقال صغر صغرا وعاج يعوج عوجا * وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد لا يبغون عنها حولا قال متحولا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال سمعت مخلد بن الحسين يقول وسئل عنها قال سمعت بعض أصحاب أنس يقول قال يقول أولهم دخولا انما أدخلنى الله أولهم لانه ليس أحد أفضل منى ويقول آخرهم دخولا انما أخرنى الله لانه ليس أحد أعطاه الله مثل الذى أعطانى ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا﴾ يقول عز ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لو كان ماء البحر مدادا للقلم الذى يكتب به كلمات ربى لنفد ماء البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا يقول ولو مددنا البحر بمثل ما فيه من الماء مددا من قول القائل جئتك مددا لك وذلك من معنى الزيادة وقد ذكر عن بعضهم ولو جئنا بمثله مدادا كأن قارئ ذلك كذلك أراد لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو زدنا بمثل ما فيه من المداد الذى يكتب به مدادا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى ح **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله البحر مدادا لكلمات ربى للقلم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لو كان البحر مدادا لكلمات ربى يقول اذا لنفد ماء البحر قبل أن تنفد كلمات الله وحكمه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى أنما الهكم اله واحد فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا﴾ يقول تعالى ذكره قل لهؤلاء المشركين يا محمد انما أنا بشر مثلكم من بنى آدم لا علم لى الا ما علمنى الله وان الله يوحى الى أن معبودكم الذى يجب عليكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيأ معبود واحد لا ثانى له ولا شريك فمن كان يوجو القاء ربه يقول فمن يخاف ربه يوم

المفسرون فى أنه طلب ولدا يرثه أو طلب من يقوم مقامه ولدا كان أو غيره والاول أظهر لقوله فى آل عمران رب هب لى من لدنك ذرية طيبة ولقوله فى سورة الانبياء رب لا تذرنى فردا حجة المخالف أنه لما بشر بالولد استعظم وقال أنى يكون لى غلام ولو كان دعاؤه لأجل الولد ما استعظم ذلك والجواب ما مر فى آل عمران واختلفوا أيضا فى الوراثة فعن ابن عباس والحسن والضحاك هى وراثة المال وعنهم أيضا أن المراد يرثنى المال ويرث من آل يعقوب النبوة أو بالعكس وفى رواية أبى صالح أن المراد فى الموضعين النبوة فلفظ الارث مستعمل فى المال وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وفى العلم وأورثنا بنى اسرائيل الكتاب العلماء ورثة الانبياء وحجة الاولين ما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال رحم الله زكريا وما عليه من يرثه فان ظاهره يدل على أنه أراد بالوراثة المال وكذا قوله صلى الله عليه وسلم انا معشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة وأيضا العلم والنبوة كيف يحصل بالميراث ولو كان المراد ارث النبوة لم يحتج الى قوله (واجعله رب رضيا) لان النبى لا يكون الا مرضيا وأجيب بأنه اذا كان المعلوم من حال الابن أنه يصير نبيا بعده فيقوم بأمر الدين جاز أن يقال ورثه والمراد بكونه رضيا أن لا يوجد منه معصية ولا هم بها كما جاء فى حق يحيى وقد مر الحديث هناك ولا يلزم من هذا أن يكون يحيى مفضلا على غيره من الانبياء كلهم فلعل لبعضهم فضائل أخر تختص به احتجت الاشاعرة بالآية فى مسئلة خلق الاعمال وأجابت المعتزلة بأنه يفعل به ضروب الالطاف فيختار ما يصير مرضيا عنده وزيف بأن ارتكاب المجاز على خلاف الاصل وبأن فعل الالطاف واجب على الله فطلب ذلك بالدعاء والتضرع عبث واعلم أن أكثر المفسرين على أن يعقوب المذكور فى الآية هو يعقوب ابن اسحق بن ابراهيم لان زوجة زكريا كانت من ولد سليمن بن داود من ولد يهودا بن يعقوب وأما زكريا فقد كان من ولد هرون أخى موسى وهرون بن زكريا موسى من ولد لاوى بن يعقوب بن اسحق وكانت النبوة فى سبط يعقوب وهو اسرائيل عليه السلام وزعم بعض المفسرين أن المراد هو يعقوب بن ماثان أخو عمران بن ماثان وهذا قول الكلبى ومقاتل وعن مقاتل أن بنى ماثان كانوا رؤس بنى اسرائيل وملوكهم قوله (يا زكريا) الأكثرون على أنه نداء من الله تعالى لقرينة التخاطب من قوله رب انى وهن العظم منى الى قوله رب أنى يكون لى غلام ومنهم من قال هو نداء بذكره

لقائه ويراقبه على معاصيه ويرجو ثوابه على طاعته فليعمل عملا صالحا يقول فليخلص له العبادة وليفرد له الربوبية * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الربيع بن أبى راشد عن سعيد بن جبير فمن كان يرجو لقاء ربه قال ثواب ربه وقوله ولا يشرك بعبادة ربه أحدا يقول ولا يجعل له شريكا فى عبادته اياه وانما يكون جاعلا له شريكا بعبادته اذا را آى بعمله الذى ظاهره أنه لله وهو مريد به غيره * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا عمرو بن عبيد عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ولا يشرك بعبادة ربه أحدا (١) حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان ولا يشرك بعبادة ربه أحدا قال لا يرائى حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن عبد الكريم الجزرى عن طاوس قال جاء رجل فقال يا نبى الله انى أحب الجهاد فى سبيل الله وأحب أن يرى موطنى ويرى مكانى فأنزل الله عز وجل فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ومسلم بن خالد الزنجى عن صدقة بن يسار قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه وزاد فيه وانى أعمل العمل وأتصدق وأحب أن يراه الناس وسائر الحديث نحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عيسى بن يونس عن الأعمش قال ثنا حمزة أبو عمارة مولى بنى هاشم عن شهر بن حوشب قال جاء رجل الى عبادة بن الصامت فسأله فقال أنبئنى عما أسألك عنه أرأيت رجلا يصلى يبتغى وجه الله ويحب أن يحمد ويصوم ويبتغى وجه الله ويحب أن يحمد فقال عبادة ليس له شئ ان الله عز وجل يقول أنا خير شريك فمن كان له معى شريك فهو له كله لا حاجة لى فيه حدثنا أبو عامر اسمعيل بن عمرو السكونى قال ثنا هشام بن عمار قال ثنا ابن عياش قال ثنا عمرو ابن قيس الكندى أنه سمع معاوية بن أبى سفيان تلا هذه الآية فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا وقال انها آخر آية أنزلت من القرآن

آخر تفسير سورة الكهف

(١) كذا فى النسخة الخط وفى الدر عن سعيد لا يشرك لا يرائى بعبادة ربه أحدا كتبه مصححه

﴿تفسير سورة مريم عليها السلام﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

القول فى تأويل قوله تعالى ذكره ﴿كهيعص﴾ اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله تعالى ذكره كاف من كهيعص فقال بعضهم تأويل ذلك أنها حرف من اسمه الذى هو كبير دل به عليه واستغنى

الملك لقوله فى آل عمران فنادته الملائكة وجوز بعضهم الامرين واختلفوا فى عدم السمى فقيل أراد أنه لم يسم أحد يحيى قبله وقيل أراد أنه لا نظير له كقوله هل تعلم له سميا وذلك أنه جعل سيدا وحصورا ولم يعص ولم يهم بمعصية فكأنه جواب لقوله واجعله رب رضيا وأيضا سمى يحيى قبل دخوله فى الوجود وولد بين شيخ فان وعجوز عاقر فلا نظير له فى هذه الخواص قال بعض العلماء القول الاول أظهر لما فى الثانى من العدول عن الظاهر ولا يصار اليه الا لضرورة كما فى قوله فاعبده واصطبر لعبادته (٣٣) هل تعلم له سميا لانا نعلم أن مجرد كونه تعالى لا سمى له لا يقتضى عبادته فنقول السمى هنالك يراد به المثل والنظير ويمكن أن يقال ان التفرد بالاسم فيه ضرب من التعظيم فلا ضرورة فى الآية أيضا قال جار الله انما قيل للمثل سمى لان كل متشاكلين يسمى كل منهما باسم المثل والشبيه والشكل والنظير فكل واحد منهما سمى لصاحبه قلت ويقرب هذا من اطلاق اللازم وارادة الملزوم ولم سمى يحيى تكلفوا له وجوها فعن ابن عباس لانه تعالى أحيا عقر أمه وعن قتادة لانه تعالى أحيا قلبه بالايمان والطاعة أو من كان ميتا فأحييناه اذا دعاكم لما يحييكم ولهذا كان أول من آمن بعيسى وقيل لانه استشهد والشهداء أحياء وقيل لان الدين أحيى به لان زكريا سأله لاجل الدين قوله (وقد بلغت من الكبر) قال جار الله أى من أجل الكبر والطعن فى السن العالية فمن للتعليل ويجوز أن تكون للابتداء أى بلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى (عتيا) وهو اليبس والجساوة فى المفاصل والعظام يقال عتا العود عتيا اذا غيره طول الزمان الى حالة اليبس * سؤال انه قال فى آل عمران وقد بلغنى الكبر وامرأتى عاقر فلم عكس الترتيب فى هذه السورة وأجيب بأن الواو لا تفيد الترتيب قلت ان

بذكره عن ذكر باقى الاسم ذكر من قال ذلك **حدثنى** أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس قال ثنا عنبر قال ثنا حصين عن اسمعيل بن راشد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى هذه الآية كهيعص قال كبير يعنى بالكبير الكاف من كهيعص **حدثنا** هناد بن السرى قال ثنا أبو الأحوص عن حصين عن اسمعيل بن راشد عن سعيد بن جبير مثله **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا حصين عن اسمعيل بن راشد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان يقول كهيعص قال كاف كبير **حدثنى** أبو السائب قال أخبرنا ابن ادريس عن حصين عن اسمعيل بن راشد عن سعيد بن جبير فى كهيعص قال كاف كبير **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ثنا سفيان عن حصين عن اسمعيل عن سعيد بن جبير عن ابن عباس نحوه * وقال آخرون بل الكاف من ذلك حرف من حروف اسمه الذى هو كاف ذكر من قال ذلك **حدثنى** يحيى بن طلحة اليربوعى قال أخبرنا شريك عن سالم عن سعيد فى قوله كهيعص قال كاف كاف **حدثنا** أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح قال أخبرنا أبو روق عن الضحاك بن مزاحم فى قوله كهيعص قال كاف كاف **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن الكلبى مثله * وقال آخرون بل هو حرف من حروف اسمه الذى هو كريم ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن عطاء عن سعيد بن جبير كهيعص قال كاف من كريم * وقال الذين فسروا ذلك هذا التفسير الهاء من كهيعص حرف من حروف اسمه الذى هو هاد ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا أبو حصين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان يقول فى الهاء من كهيعص هاد **حدثنا** أبو حصين قال ثنا عنبر قال ثنا حصين عن اسمعيل بن راشد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله **حدثنا** هناد قال ثنا أبو الأحوص عن حصين عن اسمعيل عن سعيد مثله **حدثنى** أبو السائب قال ثنا ابن ادريس عن حصين عن اسمعيل بن راشد عن سعيد بن جبير نحوه **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن حصين عن اسمعيل عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله **حدثنى** يحيى بن طلحة قال ثنا شريك عن سالم عن سعيد بن جبير قال ها هاد **حدثنا** أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح قال أخبرنا أبو روق عن الضحاك بن مزاحم فى قوله كهيعص قال ها هاد **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا عنبسة عن الكلبى مثله * واختلفوا فى تأويل الياء من ذلك فقال بعضهم هو حرف من حروف اسمه الذى هو يمين ذكر من قال ذلك **حدثنى** أبو حصين قال ثنا عنبر قال ثنا حصين عن اسمعيل بن راشد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال يا من كهيعص يا يمين **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا حصين عن اسمعيل بن راشد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس

ذلك ورد على الاصل وهو تقديم نقص نفسه وههنا راعى الفاصلة (قال) الامر (كذلك) تصديقا له ثم ابتدأ قائلا (قال ربك) فحل كذلك رفع ويحتمل أن يكون نصبا بقال وذلك اشارة الى مبهم يفسره قوله (هو) أى خلق الغلام (على هين) ويحتمل أن يكون اشارة الى قول زكريا أنى يكون لى غلام أى كيف تعطينى الغلام أبأن تجعلنى وزوجتى شابين أو بأن تركنا على الشيخوخة فأجيب بقوله كذلك أى نهب الولد لك مع بقائك وبقاء زوجتك على حالتكما ولفظ الهين مجاز عن كمال القدرة وهو

فيعل من هان الشيء يهون اذا لم يصعب ولم يمتنع عن المراد (ولم تك شيأ) لان المعدوم ليس بشيء أو شيأ يعتد به كالنطفة أو كالجواهر التي لم تتألف بعد وفيه نفي استبعاد زكريا لان خلق الذات ثم تغييرها في أطوار الصفات ليس أهون من تبديل الصفات وهو احداث القوة المولدة في زكريا وصاحبته بعد أن لم تكن (قال رب اجعل لي آية) قدم تفسير الآية في أول آل عمران قوله (سويا) قيل انه صفة للياني أي تامة كاملة والاكثرون على أنه صفة زكريا أي وأنت (٣٤) سليم الحواس مستوى الخلق ما بك خرس ولا عي (فخرج على قومه من المحراب) قيل كان له موضع ينفرد فيه للصلاة والعبادة ثم ينتقل الى قومه وقيل كان موضعا يصلي فيه هو وغيره الا أنهم كانوا لا يدخلونه للصلاة الا باذنه (فأوحى اليهم) عن مجاهد أشار بدليل قوله في أول آل عمران الا رمزا وعن ابن عباس كتب لهم على الارض و (أن) هي المفسرة و (سبحوا) أي صلوا أو على الظاهر وهو قول سبحان الله عن أبي العالية أن البكرة صلاة الفجر والعشي صلاة العصر فلعلهم كانوا كانوا يصلون معه هاتين الصلاتين في محرابه وكان يخرج اليهم ويأذن لهم بلسانه فلما اعتقل لسانه خرج اليهم كعادته ففهمهم المقصود بالاشارة أو الكتابة وههنا اضمار والمراد فبلغ يحيى المبلغ الذي يجوز أن يخاطب فقلنا له (يا يحيى خذ الكتاب) أي التوراة لانها المعهود حينئذ ويحتمل أن يكون كتابا مختصا به وان كنا لا نعرفه الآن كقول عيسى اني عبد الله آتاني الكتاب والمراد بالأخذ اما الاخذ من حيث الحس واما الأخذ من حيث المعنى وهو القيام بواجبه كما ينبغي وذلك بتحصيل ملكة تقتضي سهولة الاقدام على المأمور به والاحجام عن المنهي عنه ثم أكده بقوله (بقوة) أي بجد وعزيمة (وآتيناه الحكم) أي الحكمة عن ابن عباس هو فهم التوراة والفقه في الدين ولذلك لما دعاه الصبيان الى اللعب وهو صبي قال ما للعب خلقت وعن معمر العقل وقيل النبوة وكل هذه الاوصاف على الاقوال من الخوارق كما في حق عيسى فلا استبعاد الا من حيث العادة والحنان أصله توقان النفس ثم استعمل في الرحمة وهو المراد ههنا وما قيل انه يحتمل أن يراد حنانا منا على زكريا أو على أمته يحيى لا يساعده وجود الواو وقيل أراد آتيناه الحكم والحنان على عبادنا كقوله في نبينا فبما رحمة من الله لنت لهم وأراد بقوله (وزكاة) أنه مع الاشفاق عليهم كان لا يخل باقامة

مثله **حدثنا** هناد قال ثنا أبو الأحوص عن حصين عن اسمعيل بن راشد عن سعيد بن جبير مثله **حدثني** أبو السائب قال ثنا ابن ادريس عن حصين عن اسمعيل بن راشد عن سعيد بن جبير يا يحيى * وقال آخرون بل هو حرف من حروف اسمه الذي هو حكيم ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن عطاء عن سعيد بن جبير كهيعص قال يا من حكيم * وقال آخرون بل هي حرف من قول القائل يا من يجير ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا ابراهيم بن الضريس قال سمعت الربيع ابن أنس في قوله كهيعص قال يا من يجير ولا يجار عليه * واختلف متأولو ذلك كذلك في معنى العين فقال بعضهم هي حرف من حروف اسمه الذي هو عالم ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن عطاء عن سعيد كهيعص قال عين من عالم **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن الكلبي مثله **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا حصين عن اسمعيل بن راشد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله **حدثنا** عمرو قال ثنا مروان بن معاوية عن العلاء بن المسيب بن رافع عن أبيه في قوله كهيعص قال عين من عالم * وقال آخرون بل هي حرف من حروف اسمه الذي هو عزيز ذكر من قال ذلك **حدثني** أبو حصين قال ثنا عبثر قال ثنا حصين عن اسمعيل بن راشد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس كهيعص عين عزيز **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن حصين عن اسمعيل عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله **حدثني** أبو السائب قال ثنا ابن ادريس عن حصين عن اسمعيل بن راشد عن سعيد بن جبير مثله **حدثنا** هناد قال ثنا أبو الأحوص عن حصين عن اسمعيل بن راشد عن سعيد بن جبير مثله **حدثني** يحيى بن طلحة اليربوعي قال ثنا شريك عن سالم عن سعيد بن جبير في قوله كهيعص قال عين عزيز * وقال آخرون بل هي حرف من حروف اسمه الذي هو عدل ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا جابر ابن نوح قال أخبرنا أبو روق عن الضحاك بن مزاحم في قوله كهيعص قال عين عدل * وقال الذين تأولوا ذلك هذا التأويل الصاد من قوله كهيعص حرف من حروف اسمه الذي هو صادق ذكر الرواية بذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا حصين عن اسمعيل بن راشد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان يقول في كهيعص صادق صادق **حدثني** أبو حصين قال ثنا عبثر قال ثنا حصين عن اسمعيل بن راشد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن حصين عن اسمعيل عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس مثله **حدثنا** هناد قال ثنا أبو الأحوص عن حصين عن اسمعيل ابن راشد عن سعيد بن جبير مثله **حدثني** أبو السائب قال ثنا ابن ادريس عن حصين

يجب عليهم لان الرأفة واللين رب ما تورث ترك الواجب ولهذا قال ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله ولا يخفى أنه لا يساعد هذا القول
وجود لفظة (من لدنا) وعن عطاء أن معنى حنانا تعظيما من لدنا وعن ابن عباس وقتادة والضحاك وابن جريج أن معنى زكاة عملا صالحا زكيا وقيل
كناية بحسن الثناء عليه كما يزكى الشهود وقيل بركة كقول عيسى جعلنى مباركا وقيل صدقة أى يتعطف على الناس ويتصدق عليهم ثم
خبر محمد صلى الله عليه وسلم عن جملة أحواله بقوله (وكان تقيا) بحيث لم يعص الله (٣٥) ولا هم بمعصية قط (وبرا بوالديه) لان تعظيم الوالدين

عن اسمعيل بن راشد عن سعيد بن جبير مثله **حدثنا** أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح قال
أخبرنا أبو روق عن الضحاك بن مزاحم قال صادق **حدثنى** يحيى بن طلحة قال ثنا
شريك عن سالم عن سعيد قال صادق يعنى الصادق من كهيعص **حدثنا** ابن حميد قال ثنا
حكام عن عمرو عن عطاء عن سعيد كهيعص قال صادق صادق **حدثنا** ابن حميد قال ثنا
حكام قال ثنا عنبسة عن الكلبى قال صادق * وقال آخرون بل هذه الكلمة كلها اسم
من أسماء الله تعالى ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن خالد بن خداش قال ثنى سالم بن
نبيه عن أبى بكر الهذلى عن عاتكة عن فاطمة ابنة على قالت كان على يقول يا كهيعص اغفر لى
حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله كهيعص
قال فانه قسم أقسم الله به وهو من أسماء الله * وقال آخرون كل حرف من ذلك اسم من أسماء الله
عز وجل ذكر من قال ذلك **حدثنى** مطر بن محمد الضبى قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى عن
عبد العزيز بن مسلم القسملى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية قال كهيعص ليس منها حرف
الا وهو اسم * وقال آخرون هذه الكلمة اسم من أسماء القرآن ذكر من قال ذلك **حدثنا**
الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله كهيعص قال اسم من
أسماء القرآن * قال أبو جعفر والقول فى ذلك عندنا نظير القول فى الم وسائر فواتح سور القرآن
التى افتتحت أوائلها بحروف المعجم وقد ذكرنا ذلك فيما مضى قبل فأغنى عن اعادته فى هذا الموضع
القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ذكر رحمة ربك عبده زكريا اذ نادى ربه نداء خفيا قال رب انى
وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا﴾ اختلف أهل العربية فى الرافع
لذكر والناصب للعبد فقال بعض نحويى البصرة فى معنى ذلك كأنه قال مما نقص عليك ذكر
رحمة ربك عبده وانتصب العبد بالرحمة كما تقول ذكر ضرب زيد عمرا وقال بعض نحويى الكوفة
رفعت الذكر بكهيعص وان شئت أضمرت هذا ذكر رحمة ربك قال والمعنى ذكر ربك عبده
برحمته تقديم وتأخير * قال أبو جعفر والقول الذى هو الصواب عندى فى ذلك أن يقال الذكر
مرفوع بمضمر محذوف وهو هذا كما فعل ذلك فى غيرها من السور وذلك كقول الله براءة من الله
ورسوله وكقوله سورة أنزلناها ونحو ذلك والعبد منصوب بالرحمة وزكريا فى موضع نصب لانه
بيان عن العبد فتأويل الكلام هذا ذكر رحمة ربك عبده زكريا وقوله اذ نادى ربه نداء خفيا
يقول حين دعا ربه وسأله بنداء خفى يعنى وهو مستسر بدعائه ومسألته اياه ما سأل كراهة منه
للرياء كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله اذ نادى ربه نداء
خفيا أى سرا وان الله يعلم القلب النقى ويسمع الصوت الخفى **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين
قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله اذ نادى ربه نداء خفيا قال لا يريد رياء **حدثنا** موسى بن
هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدى قال رغب زكريا فى الولد فقام

تلو تعظيم الله (ولم يكن جبارا عصيا)
وذلك أن الزاهد فى الدنيا قلما يخلو
عن طلب ترفع والرغبة فى احترام
فذكر أنه مع غاية زهده كان موصوفا
بالتواضع للخلق وتحقيق العبودية
للحق قال سفيان الجبار الذى يقتل
عند الغضب دليله قوله أتريد أن
تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس ان
تريد الا أن تكون جبارا فى الارض ثم
انه سبحانه سلم عليه فى ثلاثة مواطن
هى أوحش المواطن وأحوجها
الى طلب السلامة فيها ويحتمل أن
يكون هذا السلام من الملائكة
عليه الا أنه لما كان باذن الله كان
كسلام الله قيل انما قال (حيا) مع
أن المبعوث هو المعاد الى حال الحياة
تنبيها على كونه من الشهداء وهم
أحياء الا أنه يشكل بما يجىء فى
قصة عيسى ويوم أبعث حيا وذلك
أنه ورد فى الاخبار أن عيسى سيموت
بعد النزول والظاهر أنه أراد
ويوم يجعل حيا فوضع الاخص
موضع الاعم تأكيدا قيل السلام
عليه يوم ولد لا بد أن يكون تفضلا
من الله تعالى لانه لم يتقدم منه
عمل يجزى عليه وأما الآخران
فيجوز أن يكونا لاجل الثواب
قلت أكثر أموره خارق للعادة
فيحتمل أن يوجد منه فى بطن أمه
عمل يستحق الثواب كما يحكى أن أمه
قالت لمريم وهما حاملان انى أرى

فى بطنى يسجد لما فى بطنك ۞ التأويل ان زكريا الروح نادى ربه نداء خفيا من سر السر قال رب انى وهن منى عظم الروحانية
واشتعل شيب صفات البشرية وانى خفت صفات النفس أن تغلب وكانت امرأتى يعنى الجثة التى هى روح الروح عاقرا لا تلد الا بموهبة من
عندك فهب لى من لدنك سألا وليا فأعطاه الله نبيا وهو فى الحقيقة القلب الذى هو معدن العلم اللدنى فانه ولد الروح والنفس أعدى عدوه يرثنى
ويرث من آل يعقوب أى يتصف بصفة الروح وجميع الصفات الروحانيات واجعله رب رضيا بأن توطنه من تجلى صفات ربوبيتك ما يرضى به

نظيره ولسوف يعطيك ربك فترضى اسمه يحيى ان الله أحياه بنوره لم نجعل له من قبل سميا لا من الحيوانات ولا من الملائكة لانه هو الذى يقبل فيض الالوهية بلا واسطة وهو سر حمل الامانة كما قال ولكن يسعنى قلب عبدى المؤمن وقد بلغت من الكبر أى بسبب طول زمان تعلق القلب بالقالب عتيا يبسا وجفافا من غلبات صفات النفس آيتك أن لا تكلم الناس لا تخاطب الا الله ولا تلتفت الى ما سواه ثلاث ليال هى ثلاث مراتب الجماديات والحيوانيات والروحانيات سويا متمكنا فى هذا الحال من غير تلون فخرج زكريا الروح من محراب هواه وطبعه على قوم صفات نفسه وقلبه وأنانيته فأشار اليهم أن كونوا متوجهين الى الله معرضين عما سواه آناء الليل وأطراف النهار بل بكرة الازل وعشى الابد يا يحيى القلب خذ كتاب الفيض الالهى المكتوب لك فى الازل بقوة ربانية لا بقوة جسدانية لانه خلق ضعيفا وآتيناه الحكم فى صباه اذ خلق الخلق فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره وزكاه وتطهرا من الالتفات الى غيرنا وبرا بوالديه الروح والقالب أما بالروح فلأن القلب محل قبول الفيض الالهى لان الفيض نصيب الروح أولا ولكن لا يمسكه لغاية لطافته كما أن الهواء الصافى لا يقبل الضوء وينفذفيه وأما القلب ففيه صفاء وكثافة فبالصفاء يقبل الفيض وبالكثافة يمسكه وهذا أحد أسرار حمل الامانة وأما بر والدة القالب فهو استعمالها على وفق الشريعة والطريقة ولم يكن جبارا عصيا كالنفس الامارة بالسوء وسلام عليه يوم ولد فى أصل خلقه ويوم يموت من استعمال المعاصى بالتوبة ويوم يبعث حيا بالتربية والترقى الى مقام السلامة الله حسبى

﴿واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قالت انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال انما أنا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا فحملته فانتبذت به مكانا قصيا فأجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا فناداها من تحتها ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلى واشربى وقرى عينا فاما ترين من البشر أحدا فقولى انى نذرت للرحمن صوما فلن

فصلى ثم دعا ربه سرا فقال رب انى وهن العظم منى الى واجعله رب رضيا وقوله قال رب انى وهن العظم منى يقول تعالى ذكره فكان نداؤه الخفى الذى نادى به ربه أن قال رب انى وهن العظم منى يعنى بقوله وهن ضعف ورق من الكبر كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال رب انى وهن العظم منى أى ضعف العظم منى حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله وهن العظم منى قال نحل العظم قال عبد الرزاق قال قال الثورى وبلغنى أن زكريا كان ابن سبعين سنة وقوله واشتعل الرأس شيبا يقول وانتشر الشيب فى الرأس وقد اختلف أهل العربية فى وجه النصب فى الشيب فقال بعض نحويى البصرة نصب على المصدر من معنى الكلام كأنه حين قال اشتعل قال شاب فقال شيبا على المصدر قال وليس هو فى معنى تفقأت شحما وامتلأ لانه لان ذلك ليس بمصدر وقال غيره نصب الشيب على التفسير لانه يقال اشتعل شيب رأسى واشتعل رأسى شيبا كما يقال تفقأت شحما وتفقأ شحمى وقوله ولم أكن بدعائك رب شقيا يقول ولم أشق يا رب بدعائك لأنك لم تخيب دعائى قبل اذ كنت أدعوك فى حاجتى اليك بل كنت تجيب وتقضى حاجتى قبلك كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله ولم أكن بدعائك رب شقيا يقول قد كنت تعرفنى الاجابة فيما مضى ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وانى خفت الموالى من ورائى وكانت امرأتى عاقرا فهب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا﴾ يقول وانى خفت بنى عمى وعصبتى من ورائى يقول من بعدى أن يرثونى وقيل عنى بقوله من ورائى من قدامى ومن بين يدى وقد بينت جواز ذلك فيما مضى قبل وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وانى خفت الموالى من ورائى يعنى بالموالى الكلالة الاولياء أن يرثوه فوهب الله له يحيى حدثنا يحيى بن داود الواسطى قال ثنا أبو أسامة عن اسمعيل عن أبى صالح فى قوله وانى خفت الموالى من ورائى قال العصبة حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح عن اسمعيل عن أبى صالح فى قوله وانى خفت الموالى من ورائى قال خاف موالى الكلالة حدثنا مجاهد بن موسى قال ثنا يزيد قال أخبرنا اسمعيل بن أبى خالد عن أبى صالح بنحوه حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا اسمعيل بن أبى خالد عن أبى صالح وانى خفت الموالى من ورائى قال يعنى الكلالة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله خفت الموالى من ورائى قال العصبة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا الحسن قال أخبرنا

أكلم اليوم انسيا فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيأ فريا يأخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا فأشارت
إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا قال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة
ما دمت حيا وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه
يمترون ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون (٣٧) وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم

عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله اني خفت الموالي من ورائي قال العصبة حدثني
موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي واني خفت الموالي من ورائي والموالي هن
العصبة والموالي جمع مولى والمولى والولي في كلام العرب واحد وقرأت قراء الامصار واني خفت
الموالي بمعنى الخوف الذي هو خلاف الأمن وروى عن عثمان بن عفان أنه قرأه واني خفت الموالي
بتشديد الفاء وفتح الخاء من الخفة كأنه وجه تأويل الكلام واني ذهبت عصبتي ومن يرثني من بني
أعمامي واذا قرئ ذلك كذلك كانت الياء من الموالي مسكنة غير متحركة لأنها تكون في موضع
رفع بخفت وقوله وكانت امرأتي عاقرا يقول وكانت زوجتي لا تلد يقال منه رجل عاقر وامرأة
عاقر بلفظ واحد كما قال الشاعر

لبئس الفتى اذ كنت أعور عاقرا * جبانا فما عذري لدى كل محضر

وقوله فهب لي من لدنك وليا يقول فارزقني من عندك ولدا وارثا ومعينا وقوله يرثني ويرث من
آل يعقوب يقول يرثني من بعد وفاتي مالي ويرث من آل يعقوب النبوة وذلك أن زكريا كان من
ولد يعقوب * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب
قال ثنا جابر بن نوح عن اسمعيل عن أبي صالح قوله يرثني ويرث من آل يعقوب يقول يرث
مالي ويرث من آل يعقوب النبوة حدثنا مجاهد قال ثنا يزيد قال أخبرنا اسمعيل عن
أبي صالح في قوله يرثني ويرث من آل يعقوب قال يرث مالي ويرث من آل يعقوب النبوة حدثني
يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا اسمعيل بن أبي خالد عن أبي صالح في قوله يرثني ويرث من آل
يعقوب قال يرثني مالي ويرث من آل يعقوب النبوة حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال
أخبرنا اسمعيل بن أبي خالد عن أبي صالح في قوله يرثني ويرث من آل يعقوب قال يكون نبيا كما كانت
آباؤه أنبياء حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث
قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يرثني ويرث من آل
يعقوب قال وكان وراثته علما وكان زكريا من ذرية يعقوب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين
قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال كان وراثته علما وكان زكريا من ذرية يعقوب
حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة عن الحسن في قوله
يرثني ويرث من آل يعقوب قال نبوته وعلمه حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح عن
مبارك عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخي زكريا ما كان عليه من
ورثة ماله حين يقول فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب حدثنا بشر قال ثنا
يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يرثني ويرث من آل يعقوب قال كان الحسن يقول يرث
نبوته وعلمه قال قتادة ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ هذه الآية وأتى على يرثني

فاختلف الاحزاب من بينهم فويل
للذين كفروا من مشهد يوم عظيم
أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن
الظالمون اليوم في ضلال مبين
وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضي الأمر
وهم في غفلة وهم لا يؤمنون انا نحن
نرث الارض ومن عليها واينا
يرجعون ﴿ القرآت اني أعوذ بفتح
الياء أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو
عمرو ليهب لك على الغيبة أبو عمرو
ويعقوب وورش والحلواني عن
قالون وحمزة في الوقف الآخرون
لأهب على التكلم نسيا بفتح النون
حمزة وحفص الباقون بكسرها
من تحتها بكسر الميم على أنه حرف
جر ويجر التاء الثانية أبو جعفر
ونافع وسهل وحمزة وعلي وخلف
وعاصم غير أبي بكر وحماد الباقون
بفتحهما على أن من موصولة
والظرف صلتها تساقط بحذف تاء
التفاعل على وحمزة والخزاز عن هبيرة
تساقط من المفاعلة حفص غير
الخزاز يساقط بياء الغيبة على أن
الضمير للجذع وبادغام التاء في السين
سهل ويعقوب ونصير وحماد الباقون
مثله ولكن بتاء التأنيث على أن
الضمير للنخلة آتاني الكتاب بمالة
مفتوحة الياء علي وقرأ حمزة مرسلة
الياء مفخمة في الوصل بمالة في الوقف
وأوصاني بالامالة على قول الحق
بالنصب ابن عامر وعاصم ويعقوب

ان الله بكسر الهمزة عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن عامر وروح والمعدل عن زيد ﴿ الوقوف مريم لا ليصير اذ ظرفا لا ذكر شرقيا ○ للعطف زكيا ○ بغيا ○ كذلك ط لما مر هين ج لجواز كون الواو مقحمة أو معلقة بمحذوف كما يجيء منا ج لاختلاف الجملتين قضيا ○ فصيا ○ النخلة ج لترتب الماضي من غير عاطف والاولى أن يكون استئنافا منسيا ○ سريا ○ جنيا ○ زعينا ○ ج لان الشرط مع الفاء أحدا لا لأن ما بعده جواب الشرط انسيا ○ ج للعطف مع الآية تحمله ط فريا ○ بغيا ○ ج اليه ج صبيا ○

عبدالله ط لان الجملة لاتقع صفة للمعرفة ويمكن أن يجعل معنى التحقيق فى إن عاملا فيكون حالا فلا يوقف أينما كنت ص لطول الكلام
حيا ص ٥ لذلك والوصل أولى لان قوله وبرا معطوف على قوله مباركا بوالدتى ج لتبدل الكلام من الاثبات الى النفى شقيا ٥ حياه عيسى
ابن مريم ج على القراءتين لاحتمال أن يراد أقول قول الحق وأن يجعل حالا وأما فى قراءة الرفع فاما أن يكون بدلا من عيسى أو بيان
التقدير هو قول الحق يمترون ٥ من ولد لا (٣٨) استجهالا للتنزيه سبحانه ط فيكون ٥ ط لمن قرأ وان بالكسر فاعبدوه ط مستقيم
من بينهم ج لان ما بعده مبتدأ
مع الفاء عظيم ٥ وأبصر لا لأن
ما بعده ظرف للتعجب مبين ٥
وسمعت عن مشايخى رحمهم الله أن
الوقف على قوله قضى الأمر لازم لا
أقل من المطلوب لان ما بعده جملة
مستأنفة ولو وصل لاوهم أن يكون
حالا من القضاء وليس كذلك لا يؤمنون
٥ يرجعون ٥ ﴿ التفسير هذا
شروع فى ابتداء خلق عيسى ولا
ريب أن خلق الولد بين شخصين
فانيين أقرب الى مناهج العادات
من تخليق الولد من غير أب فلهذا
أخرت قصة عيسى عن قصة يحيى
ترقيا من باب التفهم من الأدنى الى
الأعلى وقوله اذ بدل الاشتمال من
مريم لان الازمان مشتملة على
مافيها وفى هذا الابدال تفخيم
لشأن الوقت كوقوع قصتها العجيبة
فيه والانتباذ افتعال من النبذ
الطرح كأنها ألقت نفسها الى
جانب معتزلة عن الناس فى مكان
يلى شرقى بيت المقدس أو شرقى
دارها قال ابن عباس من ههنا
اتخذت النصارى المشرق قبلة
(فاتخذت من دونهم حجابا) لابد
لهذا الاحتجاب من غرض صحيح
فمن المفسرين من قال انها لما رأت
الحيض تباعدت عن مكانها المعتاد
لكى تنتظر الطهر فتغتسل وتعود
فلما طهرت جاءها جبريل عليه
السلام وقيل طلبت الخلوة لأجل العبادة وقيل فى مشربة للاغتسال من الحيض محتجبة بحائط أو شئ يسترها
وقيل كانت فى منزل زوج أخت زكريا ولها محراب على حدة تسكنه وكان زكريا اذا خرج أغلق عليها بابها فتمنت أن تجد خلوة فى البيت
لتخلى رأسها فانفجر السقف لها فخرجت وجلست فى المشرفة وراء الجبل فأتاها الملك وذلك قوله (فأرسلنا اليها روحنا) يعنى جبرائيل لان
يحييه وبوحيه والاضافة للتشريف والتسمية مجاز كما تقول لمن تحبه انه روحى (فتمثل لها) حال كونه (بشرا سويا) تام الخلق أو حسن

ذكر

ويرث من آل يعقوب قال رحم الله زكريا ما كان عليه من ورثته حدثنا الحسن قال أخبرنا
عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال يرحم الله زكريا وما كان عليه
من ورثته ويرحم الله لوطا ان كان ليأوى الى ركن شديد حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال
ثنا أسباط عن السدى فهب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من آل يعقوب قال يرث نبوتى ونبوة آل
يعقوب واختلفت القراء فى قراءة قوله يرثنى ويرث من آل يعقوب فقرأت ذلك عامة قراء المدينة
ومكة وجماعة من أهل الكوفة يرثنى ويرث برفع الحرفين كليهما بمعنى فهب لى الذى يرثنى ويرث
من آل يعقوب على أن يرثنى ويرث من آل يعقوب من صلة الولى وقرأ ذلك جماعة من قراء
الكوفة والبصرة يرثنى ويرث بجزم الحرفين على الجزاء والشرط بمعنى فهب لى من لدنك وليا
يرثنى اذا وهبته لى وقال الذين قرؤا ذلك كذلك انما حسن ذلك فى هذا الموضع لان يرثنى من آية
التى قبلها قالوا وانما يحسن أن يكون مثل هذا صلة اذا كان غير منقطع مما هو له صلة كقولهم
يصدقنى * قال أبو جعفر وأولى القراءتين عندى فى ذلك بالصواب قراءة من قرأ برفع الحرفين
على الصلة للولى لان الولى نكرة وأن زكريا انما سأل ربه أن يهب له وليا يكون بهذه الصفة
روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أنه سأله وليا ثم أخبر أنه اذا وهبه له ذلك كان
صفته لأن ذلك لو كان كذلك كان ذلك من زكريا دخولا فى علم الغيب الذى قد حجبه الله عن خلقه
وقوله واجعله رب رضيا يقول واجعل يا رب الولى الذى تهبه لى مرضيا ترضاه أنت وترضاه
دينا وخلقا وخلقا والرضى فعيل صرف من مفعول اليه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى يا زكريا
انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا ﴾ يقول تعالى ذكره فاستجاب له ربه فقال
يا زكريا انا نبشرك بهبتنا لك غلاما اسمه يحيى كان قتادة يقول انما سماه الله يحيى لاحياه
بالايمان حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا زكريا انا نبشرك
بغلام اسمه يحيى عبد أحياه الله للايمان وقوله لم نجعل له من قبل سميا اختلف أهل التأويل
فى تأويل ذلك فقال بعضهم معناه لم تلد مثله عاقرقط ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا
عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ليحيى لم نجعل له من قبل سميا يقول لم نجعل له من
العواقر مثله ولد اقط * وقال آخرون بل معناه لم نجعل له من قبله مثلا ذكر من قال ذلك حدثنا
محمد بن المثنى قال ثنا أبو الربيع قال ثنا سالم بن قتيبة قال أخبرنا شعبة عن الحكم عن
مجاهد فى قوله لم نجعل له من قبل سميا قال شبيها حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال
ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح
عن مجاهد فى قوله لم نجعل له من قبل سميا قال مثلا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال
ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * وقال آخرون معنى ذلك أنه لم يسم باسمه أحدا

وانما مثل لها فى صورة الانسان لتستأنس بكلامه ولا تنفر عنه وتدرع الروحانى بجبريل مثلا تارة بالهيكل العظيم وأخرى بالصغير غير مستبعد والذين اعتقدوا أن جبرائيل جسمانى جوزوا أن يكون له أجزاء أصلية قليلة وأجزاء فاضلة فبتلك الاجزاء الاصلية يكون متمكنا من التشبه بصورة الانسان ولندرة أمثال هذه الامور لا يلزم منها قدح فى العلوم العادية المستندة الى الاحساس فلا يلزم الشك فى أن زيدا الذى نشاهده الآن هو الذى شاهدناه بالامس قوله (ان كنت تقيا) أى ان كان يرجى (٣٩) منك أن تتقى الله وترجع بالاستعاذة به فانى عائذة به منك وقيل انه كان فى ذلك العصر انسان فاجر اسمه تقى وكان يتتبع النساء فظنت أن ذلك المتمثل هو ذلك الشخص فاستعاذت بالله وقيل ان نافية أى ما كنت تقيا حين استحللت النظر الى وخلوت بى وحين علم جبرائيل خوفها (قال انما أنا رسول ربك) أرسلنى (لاهب لك) أو ليهب لك (غلاما زكيا) طاهرا من الذنوب ينمو على النزاهة والعفة وكيف زال خوفها بمجرد القيل احتمل أن يكون قد ظهر لها معجزة من جهة زكريا أو ارهاصا لعيسى أو الهاما من الله سبحانه وهل تقدر الملائكة على تركيب الاجزاء وخلق الحياة والنطق حتى صح قول جبرائيل لأهب لك قال اجتمعت الامة على أن لا قدرة للاجسام على ايجاد الجواهر واعدامها والافلا استبعاد فى تأثير بعض الاجسام فى بعضها لخاصية خصها الله بها ووجه صحة هذه القراءة أن جبرائيل صار سببا فى الهبة بالنفخ فى الدرع (قالت) استغرابا من حيث العادة لا تشكيكا فى قدرة الله (أنى يكون لى غلام) ولم تقل ههنا رب اما لانها تخاطب جبرائيل واما اكتفاء بما سلف فى آل عمران (ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا) هى الفاجرة التى تبغى الرجال عن المبرد أن أصله بغوى على فعول قلبت الواو ياء ثم أدغمت فى الياء وكسرت الغين للمناسبة عن ابن جنى أنه فعيل والا لقيل بغو كنهو عن المنكر خصصت بعد ما عممت لزيادة الاعتبار بهذا الخزى تبرئة لساحتها عن الفحشاء ولما جرى فى أول القصة من تمثل جبرائيل لها بصورة البشر حتى ظنت أنه يريدها بسوء فاستعاذت بالرحمن منه بخلاف هذه القصة فى آل عمران فانها بنيت على الامن والبشارة بقوله واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك فلم تحتج الى هذه الزيادة وقال جار الله المس عبارة عن النكاح الحلال لانه كناية عنه فى قوله من قبل أن تمسوهن أو لمستم النساء وانما يقال فى الزنا فجر بها وخبث بها ونحو ذلك ولا يليق به الكنايات والآداب قلت

ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لم نجعل له من قبل سميا لم يسم به أحد قبله **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله لم نجعل له من قبل سميا قال لم يسم يحيى أحد قبله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج مثله **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فى قول الله لم نجعل له من قبل سميا قال لم يسم أحد قبله بهذا الاسم **حدثنا** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى ان الله يبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا لم يسم أحد قبله يحيى * قال أبو جعفر وهذا القول أعنى قول من قال لم يكن ليحيى قبل يحيى أحد سمى باسمه أشبه بتأويل ذلك وانما معنى الكلام لم نجعل للغلام الذى نهب لك الذى اسمه يحيى من قبله أحدا مسمى باسمه والسمى فعيل صرف من مفعول اليه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال رب أنى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا﴾ يقول تعالى ذكره قال زكريا لما بشره الله بيحيى رب أنى يكون لى غلام ومن أى وجه يكون لى ذلك وامرأتى عاقر لا تحبل وقد ضعفت من الكبر عن مباضعة النساء أبأن تقوينى على ما ضعفت عنه من ذلك وتجعل زوجتى ولودا فانك القادر على ذلك وعلى ما تشاء أم بأن أنكح زوجة غير زوجتى العاقر يستثبت ربه الخبر عن الوجه الذى يكون من قبله له الولد الذى بشره الله به لا انكارا منه صلى الله عليه وسلم لحقيقة كون ما وعده الله من الولد وكيف يكون ذلك منه انكارا لأن يرزقه الولد الذى بشره به وهو المبتدئ مسئلة ربه ذلك بقوله فهب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من آل يعقوب بعد قوله انى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا وقال السدى فى ذلك ما **حدثنى** موسى ابن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال نادى جبرائيل زكريا ان الله يبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا فلما سمع النداء جاءه الشيطان فقال يا زكريا ان الصوت الذى سمعت ليس من الله انما هو من الشيطان يسخر بك ولو كان من الله أوحاه اليك كما يوحى اليك غيره من الامر فشك وقال أنى يكون لى غلام يقول من أين يكون وقد بلغنى الكبر وامرأتى عاقر وقوله وقد بلغت من الكبر عتيا يقول وقد عتوت من الكبر فصرت نحل العظام بابسها يقال منه للعود اليابس عود عات وعاس وقد عتا يعتو عتيا وعتوا وعسى يعسو عسيا وعسوا وكل متناه الى غايته فى كبر أو فساد أو كفر فهو عات وعاس * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن عكرمة عن ابن عباس قال قد علمت السنة كلها غير أنى لا أدرى أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فى الظهر والعصر أم لا ولا أدرى كيف كان يقرأ هذا الحرف وقد بلغت من الكبر عتيا أو عسيا **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله

لوسلم هذا من حيث اللغة الا أنه لا بد لزيادة قوله ولم أك بغيا في هذا المقام من فائدة وقد عرفت ما سنح لنا والله أعلم (قال كذلك قال ربك هو علي هين) تفسيره كما مر في قصة زكريا (ولنجعله) أي ولنجعل الغلام أو خلقه (آية للناس) يستدل بها على كمال اقتدارنا على ابداع الغرائب فعلنا ذلك ويجوز أن يكون معطوفا على تعليل مضمر يتعلق بما يدل عليه هين أي نخلقه لنبين به قدرتنا ولنجعله آية وقد مر مثل هذا في قوله وكذلك مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه (ورحمة منا) (٤٠) على عبادنا لان كل نبي رحمة لامته فبه يهدون الى صلاح الدارين (وكان أمرا مقضيا) مقدرا في اللوح أو أمرا حقيقا بأن يقضي به لكونه آية ورحمة وهذا مبني على أن رعاية الأصلح واجبة على الله وههنا اضمار قال ابن عباس فاطمأنت الى قوله فدنا منها فنفخ في جيب درعها فوصلت النفخة الى بطنها فحملت وقيل في ذيلها فوصلت الى الفرج وقيل في فمها وقيل ان النافخ هو الله كقوله فنفخت فيه من روحي وعلى هذا يقع تقديم ذكر جبرئيل كالضائع ولا سيما في قراءة من قرأ لاهب لك قيل حملته وهي بنت ثلاث عشرة سنة وقيل بنت عشرين وقد حاضت حيضتين قبل أن تحمل وكم مدة حملها عن ابن عباس في رواية تسعة أشهر كما في سائر النساء لانها لو كانت مخالفة لهن في هذه العادة لناسب أن يذكرها الله تعالى في أثناء مدائحها وقيل ثمانية أشهر ولم يعش مولود لثمانية الا عيسى قال أهل التنجيم انما لا يعيش لانه يعود الى تربية القمر وهو مغير معفن بسرعة حركته وغلبة التبريد والترطيب عليه وعن عطاء وأبي العالية والضحاك سبعة أشهر وقيل ستة أشهر وقيل حملته في ساعة وصور في ساعة ووضعته في ساعة حين زالت الشمس من يومها وعن ابن عباس في رواية أخرى كما حملته نبذته لقوله تعالى ان مثل عيسى عند الله الى قوله كن فيكون ولفا آت التعقيب في قوله (فحملته فانتبذت به مكانا قصيا فأجاءها المخاض) وعلى هذا فالمكان القصي هو أقصى الدار أو وراء الجبل بعيدا من أهلها ومعنى انتبذت به اعتزلت متلبسة به وهو في بطنها وقصي مبالغة قاص وروى الثعلبي عن وهب قال ان مريم لما حملت فأول من عرف هو يوسف النجار ابن عمها وكانا يخدمان المسجد ولا يعلم من أهل زمانهما أكثر عبادة وصلاحا منهما فقال لها انه وقع في نفسي من أمرك شيء ولا أحب أن أكتمه عنك فقالت قل قولا جميلا فقال أخبريني يا مريم هل نبت زرع بغير بذر قالت نعم ألم تعلم

وقد بلغت من الكبر عتيا قال يعني بالعتي الكبر **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و **حدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله عتيا قال نحول العظم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله من الكبر عتيا قال سنا وكان ابن بضع وسبعين سنة **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وقد بلغت من الكبر عتيا قال العتي الذي قد عتا عن الولد فيما يرى نفسه لا يولد له **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد ابن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله وقد بلغت من الكبر عتيا قال هو الكبر ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قال كذلك قال ربك هو علي هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيأ قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا﴾ يقول تعالى ذكره قال الله لزكريا مجيبا له قال كذلك يقول هكذا الامر كما تقول من أن امرأتك عاقر وأنك قد بلغت من الكبر العتي ولكن ربك يقول خلق ما بشرتك به من الغلام الذي ذكرت لك أن اسمه يحيى علي هين فهوان من قوله قال ربك هو علي هين كناية عن الخلق وقوله وقد خلقتك من قبل ولم تك شيأ يقول تعالى ذكره وليس خلق ما وعدتك أن أهبه لك من الغلام الذي ذكرت لك أمره منك مع كبرسنك وعقم زوجتك بأعجب من خلقيك فاني قد خلقتك فأنشأتك بشرا سويا من قبل خلقي ما بشرتك بأني واهبه لك من الولد ولم تك شيأ فكذلك أخلق لك الولد الذي بشرتك به من زوجتك العاقر مع عتيك وهن عظامك واشتعال شيب رأسك وقوله قال رب اجعل لي آية يقول تعالى ذكره قال زكريا يا رب اجعل لي علما ودليلا على ما بشرتني به ملائكتك من هذا الغلام عن أمرك ورسالتك ليطمئن الى ذلك قلبي كما **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله قال رب اجعل لي آية قال قال رب اجعل لي آية أن هذا منك **حدثنا** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال رب فان كان هذا الصوت منك فاجعل لي آية قال الله آيتك لذلك أن لا تكلم الناس ثلاث ليال سويا يقول جل ثناؤه علامتك لذلك ودليلك عليه أن لا تكلم الناس ثلاث ليال وأنت سوي صحيح لا علة بك من خرس ولا مرض يمنعك من الكلام ۞ ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن عطاء عن سعيد عن ابن عباس ثلاث ليال سويا قال اعتقل لسانه من غير مرض **حدثني** علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ثلاث ليال سويا يقول من غير خرس **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و **حدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ثلاث

أن الله تعالى أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذر أو تقول ان الله لا يقدر على الانبات حتى يستعين بالماء ألم تعلم أن الله تعالى خلق آدم وامرأته من غير ذكر ولا أنثى فقال يوسف لا أقول هذا ولكنى أقول ان الله قادر على ما يشاء وزالت التهمة عن قلبه وكان ينوب عنها فى خدمة المسجد لضيق قلبها واستيلاء الضعف عليها من الحمل فحين دنا نفاسها أوحى الله اليها أن اخرجى من أرض قومك لئلا يقتلوا ولدك فاحتملها يوسف الى أرض مصر على حمار له فلما بلغت تلك البلاد أدركها النفاس فألجأها الى (٤١) أصل نخلة قال جار الله أجاء منقول من جاء الا أن استعماله قد تغير بعد النقل الى معنى الالجاء لا يقال جئت المكان وأجاءنيه زيد كما يقال بلغته وأبلغنيه ونظيره آتى حيث لم يستعمل الا فى الاعطاء ولم يقل أتيت المكان وآتانيه فلان قلت حاصله تخصيص باء التعدية بعد تعميم و (المخاض) بفتح الميم وجمع الولادة قال الجوهرى مخضت الناقة بالكسر مخاضا مثل سمع سماعا قيل طلبت الجذع لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة يروى أنه كان جذعا النخلة يابسة فى الصحراء ليس لها رأس ولا ثمرة ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف اما كتعريف النجم والصعق لكون ذلك الجذع مشهورا هنالك واما للجنس أى جذع هذه الشجرة خاصة أرشدت اليها لتطعم منها الرطب الذى هو خرسة النفساء أى طعامها الموافق لها ولان النخلة أقل الاشياء صبرا على البرد ولا تثمر الا بالفاح فكان ظهور ذلك الرطب من ذلك الجذع فى الشتاء من دون لقاح وبارد ليلا على حصول الولد من غير ذكر قال فى الكشاف النسى اسم ما من حقه أن يطرح وينسى كخرقة الطامث ونحوها ونظيره الذبح لما من شأنه أن يذبح وعن يونس أن العرب اذا ارتحلوا قالوا انظروا أنساءكم يعنون العصا والقدح والشظاظ ونحوها تمنت لو كانت شيأ لا يعبأ به فحقه أن ينسى فى العادة ومعنى (منسيا) أنه قد نسى وطرح فوجد فيه النسيان الذى هو حقه وانما تمنت ذلك لما لحقها من فرط الحياء والخجل أو لأنهم بهتوها وهى عارفة ببراءة ساحتها فشق ذلك عليها أو خلوفها على الناس أن يعصوا الله بسببها ومن قرأ نسيا بالفتح فقد قال الفراء هما لغتان كالوتر والوتر ويجوز أن يكون نسبة بالمصدر كالحمل وقرئ نسأ بالهمز وهو الحليب المخلوط بالماء ينسؤه أهله لقلته ونزارته (فناداها من تحتها) الذى هو تحتها أو انسان

ليال سويا قال لا يمنعك من الكلام مرض **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا قال صحيحا لا يمنعك من الكلام مرض **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا من غير بأس ولا خرس وانما عوقب بذلك لانه سأل آيته بعد ما شافهته الملائكة مشافهة أخذ بلسانه حتى ما كان يفيض الكلام الا أوما أو ايماء **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة عن عكرمة فى قوله ثلاث ليال سويا قال سويا من غير خرس **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا وأنت صحيح قال فحبس لسانه فكان لا يستطيع أن يكلم أحدا وهو فى ذلك يسبح ويقرأ التوراة ويقرأ الانجيل فاذا أراد كلام الناس لم يستطع أن يكلمهم **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه اليمانى قال أخذ الله بلسانه من غير سوء بفعل لا يطيق الكلام وانما كلامه لقومه بالاشارة حتى مضت الثلاثة الايام التى جعلها الله آية لمصداق ما وعده من هبته له **حدثنا** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا يقول من غير خرس الا رمزا فاعتقل لسانه ثلاثة أيام وثلاث ليال * وقال آخرون السوى من صفة الايام قالوا ومعنى الكلام قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال متتابعات ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا قال ثلاث ليال متتابعات ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فخرج على قومه من المحراب فأوحى اليهم أن سبحوا بكرة وعشيا﴾ يقول تعالى ذكره فخرج زكريا على قومه من مصلاه حين حبس لسانه عن كلام الناس آية من الله له على حقيقة وعده اياه ما وعده فكان ابن جريج يقول فى معنى خروجه من محرابه ما **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فخرج على قومه من المحراب قال أشرف على قومه من المحراب «قال أبو جعفر» وقد بينا معنى المحراب فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فخرج على قومه من المحراب قال المحراب مصلاه وقرأ فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب وقوله فأوحى اليهم يقول أشار اليهم وقد تكون تلك الاشارة باليد وبالكتاب وبغير ذلك مما يفهم به عنه ما يريد وللعرب فى ذلك لغتان وحى وأوحى فمن قال وحى قال فى يفعل يحى ومن قال أوحى قال يوحى وكذلك أومى ويومى فمن قال ومى قال فى يفعل يمى ومن قال أومى قال يومى واختلف أهل التأويل فى المعنى الذى به أوحى الى قومه فقال بعضهم أوحى اليهم اشارة باليد ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فأوحى فأشار زكريا **حدثنا** القاسم قال

تحتها يعني جبريل بناء على أنه كان يقبل الولد كالقابلة أو أراد أسفل من مكانها الان مريم كانت أقرب الى الشجرة منه أو كان جبريل تحت الأكمة وهي فوقها فصاح بها لا تحزني وعن الحسن وسعيد بن جبير أن المراد به عيسى لان ذكر عيسى أقرب ولان موضع اللون للابن بالملك ولان الصلة يجب أن تكون معلومة للسامع والذي علم كونه حاصلا تحتها هو الولد ويجري القولان فيمن قرأ بكسر الميم وعن عكرمة وقتادة أن الضمير في تحتها النخلة قوله (سريا) (٤٢) جمهور المفسرين على أن السري هو الجدول وروى ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم سمي بذلك لان الماء يسري فيه وقيل هو من السرو ومعناه سخاء في مروءة ويقال فلان من سروات قومه أي من أشرافهم وجمع السري سراة وجمع سراة سروات عن الحسن كان والله عبدا سريا حجة هذا القائل أن النهر لا يكون تحتها بل الى جنبها ولا يمكن أن يقال المراد ان النهر تحت أمرها يجري بأمرها ويقف بأمرها كما في قوله وهذه الانهار تجري من تحتي لانه خلاف الظاهر وأجيب بأن المكان المستوى اذا كان فيه مبدأ معين فكل من كان أقرب منه كان فوق وكل من كان أبعد منه كان تحت وأراد أن النهر تحت الاكمة وهي فوقها وأيضا حمل السري على النهر موافق قوله وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين وقوله (فكلي واشربي) يروى أن جبريل ضرب برجله فظهر ماء عذب وقيل كان هناك ماء جار والاول أقرب لان قوله قد جعل ربك مشعر بالاحداث في ذلك الوقت قال القفال الجذع من النخلة هو الاسفل ومادون الرأس الذي عليه الثمرة وقال قطرب كل خشبة في أصل شجرة فهي جذع والباء في قوله بجذع النخلة كالزائد لان العرب تقول هزه وهز به والمعنى حركي جذع النخلة أو افعلي الهز به ورطبا تمييز أو مفعول تساقط على حسب القراآت اللازمة والمتعدية وعن الاخفش المراد جواز انتصابه بهزي أي هزي اليك رطبا جنيا بجذع النخلة أي تلعب على جذعها والجنى المأخوذ طريا والظاهر أنه ما أثمر الا الرطب وقد صار نخلا وقيل انه كان على حاله وانه أثمر مع الرطب غيره قالوا اذا أصعبت ولادة المرأة لم يكن لها خير من الرطب والتمر للنفساء عادة من ذلك الوقت وكذا التحنيك والمراد أنه جمع لها فائدتان في السري والرطب احداهما الاكل والشرب وقدم الاكل مع أن ذكر السري مقدم لان احتياج النفساء الى أكل الرطب أشد من احتياجها الى شرب الماء

ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه فأوحى اليهم قال الوحي الاشارة **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فأوحى اليهم قال أومى اليهم * وقال آخرون معنى أوحى كتب ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمود بن خداش قال ثنا عباد بن العوام عن سفيان بن حسين عن الحكم عن مجاهد في قول الله تعالى فأوحى اليهم أن سبحوا بكرة وعشيا قال كتب لهم في الارض **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن الثوري عن ابن أبي ليلى عن الحكم فأوحى اليهم قال كتب لهم **حدثنا** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي فخرج على قومه من المحراب فكتب لهم في كتاب أن سبحوا بكرة وعشيا وذلك قوله فأوحى اليهم * وقال آخرون معنى ذلك أمرهم ذكر من قال ذلك **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فأوحى اليهم أن سبحوا بكرة وعشيا قال ما أدري كتابا كتبه لهم أو اشارة أشارها والله أعلم قال أمرهم أن سبحوا بكرة وعشيا وهو لا يكلمهم وقوله أن سبحوا بكرة وعشيا قد بينت فيما مضى الوجوه التي ينصرف فيها التسبيح وقد يجوز في هذا الموضع أن يكون عني به التسبيح الذي هو ذكر الله فيكون أمرهم بالفراغ لذكر الله في طرفي النهار بالتسبيح ويجوز أن يكون عني به الصلاة فيكون أمرهم بالصلاة في هذين الوقتين وكان قتادة يقول في ذلك ما **حدثنا** به الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله فأوحى اليهم أن سبحوا بكرة وعشيا قال أومى اليهم أن صلوا بكرة وعشيا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا﴾ يقول تعالى ذكره فولد لزكريا يحيى فلما ولد قال الله له يا يحيى خذ الكتاب بقوة يعني كتاب الله الذي أنزله على موسى وهو التوراة بقوة يقول بجد كما **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله خذ الكتاب بقوة قال بجد **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و**حدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد خذ الكتاب بقوة قال بجد **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقال ابن زيد في ذلك ما **حدثني** به يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله يا يحيى خذ الكتاب بقوة قال القوة أن يعمل ما أمره الله به ويجانب فيه ما نهاه الله * قال أبو جعفر وقد بينت معنى ذلك بشواهده فيما مضى من كتابنا هذا في سورة آل عمران فأغنى ذلك عن اعادته في هذا الموضع وقوله وآتيناه الحكم صبيا يقول تعالى ذكره وأعطيناه الفهم لكتاب الله في حال صباه قبل بلوغه أسنان الرجال وقد **حدثنا** أحمد بن منيع قال ثنا عبد الله بن المبارك قال أخبرني معمر ولم يذكره عن أحد في هذه الآية وآتيناه الحكم صبيا قال بلغني أن الصبيان قالوا ليحيى اذهب بنا

لكثرة ما سال من الدماء والثانية سلوة الصدر لكونهما معجزين لزكريا أو ارهاصا لعيسى أو كرامتين لمريم وأشار الى هذه بقوله (وقرى عينا) لان قرة العين تلزم قوة القلب والتسلى من الهموم والاحزان وقيل ان ألم النفس أشد من ألم البدن فلم قدم دفع ألم البدن على دفع ألم القلب وأجيب بأن الخوف النفسى كان قليلا لتقدم بشارة جبريل فكان التذكر كافيا (فاما ترين) أصله ترأيين مثل تسمعين خففت الهمزة وسقطت نون الاعراب للجزم ثم ياء الضمير لالتقاء الساكنين وذلك بعد لحوق نون التأكيد وقدمر فى قوله (٤٣) اما يبلغن عندك الكبر اذا التأكيد فى هذه الصورة يقصد به أن الشرط مما سيقع غالبا فان مريم لابد أن ترى أحدا من البشر عادة عن أنس بن مالك الصوم هنا الصمت وعن ابن عباس مثله وقال أبو عبيدة كل ممسك عن طعام أو كلام أو سير فهو صائم وقيل أراد الصيام الا أنهم كانوا لا يتكلمون فى صيامهم قال القفال لعل مثل هذا النذر يجوز فى شرعنا لان الاحتراز عن كلام البشر يجرد الفكر لذكر الله تعالى وهو قربة ولعله لا يجوز لما فيه من التضييق والتشديد ولا حرج فى الاسلام وفى الكشاف نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم الصمت وروى أنه دخل أبو بكر الصديق على امرأة وقد نذرت أنها لا تتكلم فقال أبو بكر ان الاسلام هدم هذا فتكلمى وفى أمرها بهذا النذر معنيان أحدهما أن كلام عيسى أقوى فى ازالة التهمة وفيه أن تفويض الامر الى الأفضل أولى والثانى أن السكوت عن جدال السفهاء أصون للعرض ومن أذل الناس سفيه لم يجد مسافها وكيف أخبرتهم بالنذر قيل بالاشارة والالزم النقض وقيل خص هذا الكلام بالقرينة العقلية وقوله (انسيا) أراد المبالغة فى نفى الكلام أو أراد أنى أكلم الملائكة دون الانس وهذا أشبه بقوله فاما ترين من البشر (فأتت به) أى بعيسى (قومها تحمله) الجملة حال عن وهب قال أنساها كربة الميلاد وما سمعت من الناس ما كان من بشارة الملائكة فلما كلمها جاءها مصداق ذلك فاحتملته فأقبلت به الى قومها وعن ابن عباس أن يوسف النجار انتهى بمريم الى غار فلبثوا فيه أربعين يوما حتى طهرت من نفاسها ثم جاءت تحمله فكلمها عيسى فى الطريق فقال يا أماه أبشرى فانى عبد الله ومسيحه فلما دخلت به على قومها تباكوا وقالوا (لقد جئت شيأ فريا) بديعا من فرى الجلد وليس فى هذا ما يوجب تعييرا أو ذما لان أمرها كان خارجا عن المعتاد ويحتمل ان يراد انه أمر منكر خارج عن طريق

نلعب فقال ما للعب خلقت فأنزل الله وآتيناه الحكم صبيا وقوله وحنانا من لدنا يقول تعالى ذكره ورحمة منا به ومحبة له آتيناه الحكم صبيا * وقد اختلف أهل التأويل فى معنى الحنان فقال بعضهم معناه الرحمة ووجهوا الكلام الى نحو المعنى الذى وجهناه اليه ذكر من قال ذلك حدثنا على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وحنانا من لدنا يقول ورحمة من عندنا حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن سماك عن عكرمة فى هذه الآية وحنانا من لدنا قال رحمة حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله وحنانا من لدنا قال رحمة من عندنا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا جويبر عن الضحاك قوله وحنانا من لدنا قال رحمة من عندنا لا يملك عطاءها أحد غيرنا حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وحنانا من لدنا يقول رحمة من عندنا لا يقدر على أن يعطيها أحد غيرنا * وقال آخرون بل معنى ذلك ورحمة من عندنا لزكريا آتيناه الحكم صبيا وفعلنا به الذى فعلنا ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وحنانا من لدنا يقول رحمة من عندنا * وقال آخرون معنى ذلك وتعطفا من عندنا عليه فعلنا ذلك ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وحنانا من لدنا قال تعطفا من ربه عليه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * وقال آخرون بل معنى الحنان المحبة ووجهوا معنى الكلام الى ومحبة من عندنا فعلنا ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن يحيى بن سعيد عن عكرمة وحنانا من لدنا قال محبة عليه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وحنانا قال أما الحنان فالمحبة * وقال آخرون معناه تعظيما منا له ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو تميلة عن أبى حمزة عن جابر عن عطاء بن أبى رباح وحنانا من لدنا قال تعظيما من لدنا وقد ذكر عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال لا أدرى ما الحنان حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى عمرو بن دينار أنه سمع عكرمة عن ابن عباس قال لا والله ما أدرى ما حنانا وللعرب فى حنانك لغتان حنانك يا ربنا وحنانيك كما قال طرفة بن العبد فى حنانيك

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا * حنانيك بعض الشر أهون من بعض

وقال امرؤ القيس فى اللغة الاخرى

وعمنحها بنو شمجى بن جرم * معيزهم حنانك ذا الحنان

العفة والصلاح فيكون توبيخا ويؤكده قولهم (يا أخت هرون) الآية واختلفوا فى هرون فقيل كان أخاها من أبيها من أمثل بنى اسرائيل وهذا أظهر لان حمل اللفظ على الحقيقة أولى من غيره وقيل ويروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انهم عنوا هرون النبى أخا موسى عليهما السلام وكانت من أعقاب من كان معه فى طبقة الاخوة وبينهما ألف سنة وأكثر وعن السدى كانت من أولاده والمراد أنها واحدة منهم كما يقال يا أخا همدان أى يا واحدا منهم وقيل أراد يا رجلا (٤٤) صالحا فى زمانها أى كنت عندنا مثله فى الصلاح يحكى أنه تبع جنازته أربعون ألفا كلهم يسمى هرون تبركا به وباسمه وقيل كان رجلا طالحا معلنا بالفسق فسموه به وبالتشبيه بسيرته ويروى أنهم هموا برجمها (فأشارت اليه) أى أن عيسى هو الذى يحكم وبم عرفت ذلك اما بأن كلمها فى الطريق أو بالالهام أو بالوحى الى زكريا أو بقول جبريل على أن أمرها بالسكوت بعد ما سبق من البشارة قيل كان المستنطق لعيسى زكريا وعن السدى لما أشارت اليه غضبوا وقالوا لسخريتها بنا أشد علينا من زناها ثم (قالوا كيف نكلم من كان فى المهد) قال جار الله كان لا يقاع مضمون الجملة فى زمان ماض مبهم يصلح للقريب والبعيد وههنا للزمان القريب عن الحال بدلالة الحال أو هو حكاية حال ماضية أى كيف عهد قبل عيسى أن يكلم الناس (صبيا) فى المهد حتى نكلم هذا ويحتمل أن يقال كان زائدة نظرا الى أصل المعنى وان كان يفيد زيادة ارتباط مع رعاية الفاصلة أو هى تامة وصبيا حال مؤكدة يروى أنه كان يرضع فلما سمع مقالتهم ترك الرضاع وأقبل عليهم بوجهه وتكلم مع جاره وأشار بسبابته قائلا (انى عبد الله) فكان فيه أولا رد قول النصارى (آتانى الكتاب) هو الانجيل أو التوراة أى فهمها وقيل أكمل الله عقله واستنبأه طفلا بل فى بطن أمه وقيل أراد أنه سبق فى قضائه أو جعل الآتى لا محالة كأنه قد وجد والاول أظهر وصغر الجسم لا يقدح قال فى كمال العقل وخرق العادة فيه أكثر قالوا ان كمال عقله فى ذلك الوقت خارق للعادة فيكون المعجز متقدما على التحدى وهو غير جائز ولو كان نبيا فى ذلك الوقت وجب أن يشتغل ببيان الشرائع والاحكام ولو وقع ذلك لاشتهر ونقل والجواب أن بعض معجزات النبى لا بد أن يكون مقرونا بالتحدى أما الكل فممنوع وبعبارة أخرى لا بد أن يكون مقرونا بفعل خارق عن العادة ولكن كل فعل خارق للعادة فانه لا يلزم اقترانه

وقد اختلف أهل العربية فى حنانيك فقال بعضهم هو تثنية حنان * وقال آخرون بل هى لغة ليست بتثنية قالوا وذلك كقولهم حواليك وكما قال الشاعر * ضربا هذا زيدك وطعنا وخضا * وقد سوى بين جميع ذلك الذين قالوا حنانيك تثنية فى أن كل ذلك تثنية وأصل ذلك أعنى الحنان من قول القائل حن فلان الى كذا وذلك اذا ارتاح اليه واشتاق ثم يقال تحنن فلان على فلان اذا وصف بالتعطف عليه والرقة به والرحمة له كما قال الشاعر

تحنن علىّ هداك الملیك * فان لكل مقام مقالا

يعنى تعطف علىّ فالحنان مصدر من قول القائل حن فلان على فلان يقال منه حننت عليه فأنا أحن عليه حنينا وحنانا ومن ذلك قيل لزوجة الرجل حنته لتحننه عليها وتعطفه كما قال الراجز

وليلة ذات دجى سريت * ولم تضرنى حنة وبيت

وقوله وزكاة يقول تعالى ذكره وآتينا يحيى الحكم صبيا وزكاة وهو الطهارة من الذنوب واستعمال بدنه فى طاعة ربه فالزكاة عطف على الحكم من قوله وآتيناه الحكم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وزكاة قال الزكاة العمل الصالح حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله وزكاة قال العمل الصالح الزكى حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وزكاة يعنى العمل الصالح الزاكى وقوله وكان تقيا يقول تعالى ذكره وكان لله خائفا مؤديا فرائضه مجتنبا محارمه مسارعا فى طاعته كما حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وزكاة وكان تقيا قال طهرة لم يعمل بذنب حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وزكاة وكان تقيا قال أما الزكاة والتقوى فقد عرفهما الناس * القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا﴾ يقول تعالى ذكره وكان برا بوالديه مسارعا فى طاعتهما ومحبتهما غير عاق بهما ولم يكن جبارا عصيا يقول جل ثناؤه ولم يكن مستكبرا عن طاعة ربه وطاعة والديه ولكنه كان لله ولوالديه متواضعا متذللا يأتمر لما أمره به وينتهى عما نهاه عنه لا يعصى ربه ولا والديه وقوله عصيا فعيل بمعنى أنه ذو عصيان من قول القائل عصى فلان ربه فهو يعصيه عصيا وقوله وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا يقول وأمان من الله يوم ولد من أن يناله الشيطان من السوء بما ينال به بنى آدم وذلك أنه روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال كل بنى آدم يأتى يوم القيامة وله ذنب الا ما كان من يحيى ابن زكريا حدثنا بذلك ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن يحيى بن سعيد عن سعيد ابن المسيب قال ثنى ابن العاص أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك حدثنا الحسن

بالتحدى وكذا الكلام فى بيان الشرائع فان بعض أوقات النبى لابد أن يقترن به التحدى دون كل أوقاته وحالاته على أنه أشار الى بعض التكاليف بقوله وأوصانى بالصلاة والزكاة كما يجىء وعن بعضهم أنه كان نبيا بقوله وجعلنى نبيا ولكنه ما كان رسولا لانه ما جاء بالشريعة فى ذلك الوقت ومعنى كونه نبيا أنه رفيع القدر على الدرجة وضعف بأن النبى فى عرف الشرع أخص من ذلك ومعنى قوله (مباركا أينما كنت) نفاعا حيثما كنت روى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل معلما (٤٥) للخير وضلال كثير من أهل الكتاب باختلافهم فيه لا يقدح فى منصبه كما قيل

على نحت القوافى من معادنها *

وما على اذا لم تفهم البقر

وهذه سنة الله فى أنبيائه ورسله كلهم وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا

روى أن مريم سلمت عيسى الى المكتب فقالت للمعلم أدفعه اليك على أن لا تضربه فقال له اكتب فقال له أى شىء أكتب فقال اكتب أبجد فقال لا أكتب شيأ لا أدرى ثم قال ان لم تعلم ما هو فأنا أعلمك الالف من آلاء الله والباء من بهاء الله والجيم من جمال الله والدال من أداء الحق الى الله وقيل البركة أصلها من بروك البعير والمعنى جعلنى ثابتا فى دين الله مستقرا فيه وقيل البركة هى الزيادة والعلو فكأنه قال جعلنى فى جميع الاشياء غالبا منجحا الى أن يكرمنى الله بالرفع الى السماء عن قتادة أنه رأته امرأة وهو يحيى الموتى ويبرئ الاكمه والابرص فقالت طوبى لبطن حملتك وثدى أرضعت به فقال عيسى عليه السلام مجيبا لها طوبى لمن تلا كتاب الله واتبع ما فيه ولم يك جبارا شقيا (وأوصانى بالصلاة والزكاة) أى بأدائهما اما فى وقتهما المعين وهو وقت البلوغ واما فى الحال بناء على أنه كان مع صغره كامل العقل تام التركيب بحيث يقوى على أداء التكاليف ويؤيده قوله مادمت حيا وقيل الزكاة ههنا صدقة الفطر وقيل تطهير البدن من دنس الآثام وقيل أوصانى بأن آمركم بهما وفى قوله (وبرا بوالدتى) دلالة واشارة الى تبرئة أمه من الزنا والا لم يكن الرسول المعصوم مأمورا بالبر بها قال بعض العلماء لا تجد العاق الا جبارا شقيا وتلا قوله وبرا بوالدتى (ولم يجعلنى جبارا شقيا) ولا تجد سيئ الملكة الا متكبرا فخورا وقرأ وما ملكت أيمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا وانما نفى عن عيسى الشقاوة ولم ينف عنه المعصية كما نفى عن يحيى لما جاء فى الخبر ما أحد من بنى آدم الا أذنب أو هم بذنب الا يحيى بن زكريا ومن عقائد أهل السنة أن الأنبياء معصومون

قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله جبارا عصيا قال كان ابن المسيب يذكر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد يلقى الله يوم القيامة الا ذا ذنب الا يحيى بن زكريا * قال وقال قتادة ما أذنب ولا هم بامرأة وقوله ويوم يموت يقول وأمان من الله تعالى ذكره له من فتانى القبر ومن هول المطلع ويوم يبعث حيا يقول وأمان له من عذاب الله يوم القيامة يوم الفزع الأكبر من أن يروعه شىء أو أن يفزعه ما يفزع الخلق وقد ذكر عن ابن عيينة فى ذلك ما **حدثنى** أحمد بن منصور الفيروزى قال أخبرنى صدقة بن الفضل قال سمعت ابن عطية يقول أوحش ما يكون الخلق فى ثلاثة مواطن يوم يولد فيرى نفسه خارجا مما كان فيه ويوم يموت فيرى قوما لم يكن عاينهم ويوم يبعث فيرى نفسه فى محشر عظيم قال فأكرم الله فيها يحيى بن زكريا بخصه بالسلام عليه فقال وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أن الحسن قال ان عيسى ويحيى التقيا فقال له عيسى استغفر لى أنت خير منى فقال له الآخر استغفر لى أنت خير منى فقال له عيسى أنت خير منى سلمت على نفسى وسلم الله عليك فعرف والله فضلها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذكر يا محمد فى كتاب الله الذى أنزله عليك بالحق مريم ابنة عمران حين اعتزلت من أهلها وانفردت عنهم وهو افتعل من النبذ والنبذ الطرح وقد بينا ذلك بشواهده فيما مضى قبل * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت أى انفردت من أهلها **حدثنى** سليمان بن عبد الجبار قال ثنا محمد بن الصلت قال ثنا أبو كدينة عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا قال خرجت مكانا شرقيا **حدثنا** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال خرجت مريم الى جانب المحراب لحيض أصابها وهو قوله (١) فانتبذت من أهلها مكانا شرقيا فى شرقى المحراب وقوله مكانا شرقيا يقول فتنحت واعتزلت من أهلها فى موضع قبل مشرق الشمس دون مغربها كما **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله مكانا شرقيا قال من قبل المشرق **حدثنى** اسحق بن شاهين قال ثنا خالد بن عبد الله عن داود عن عامر عن ابن عباس قال انى لأعلم خلق الله لأى شىء اتخذت النصارى المشرق قبلة لقول الله فانتبذت من أهلها مكانا شرقيا فاتخذوا ميلاد عيسى قبلة **حدثنا** ابن المثنى قال ثنى عبد الأعلى قال ثنا داود عن عامر عن ابن عباس مثله **حدثنى** سليمان بن عبد الجبار قال أخبرنا محمد بن الصلت قال ثنا أبو كدينة عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس قال ان أهل الكتاب كتب عليهم الصلاة الى البيت والحج لله

(١) كذا هنا وفى موضعين بعد فانتبذت والقراءة اذ انتبذت فتنبه كتبه مصححه

عن الكبائر دون الصغائر قوله (والسلام علىّ) قالت العلماء انما عرف السلام ههنا بعد تنكيره فى قصة يحيى لان النكرة اذا تكررت تعرفت على أن تعريف الجنس قريب من تنكيره وقيل ان الأول من الله والقليل عنه كثير قليل منك يكفينى ولكن * قليلك لا يقال له قليل
وانى لأرضى منك يا هند بالذى * لو أبصره الواشى لقرت بلابله بلا وبأن لا أستطيع وبالمنى * وبالوعد حتى يسأم الوعد آمله
والثانى من عيسى والكثير منه لا يبلغ معشار (٤٦) سلام الله عن بعضهم أن عيسى عليه السلام قال ليحيى أنت خير منى

سلم الله عليك وسلمت على نفسى وأجاب الحسن بأن تسليمه على نفسه هو تسليم الله عليه وقال جار الله فى هذا التعريف تعريض باللعنة على متهمى مريم وأعدائها من اليهود لانه اذا زعم أن جنس السلام خاصته فقد عرض بأن ضده عليهم نظيره فى قصة موسى والسلام على من اتبع الهدى يعنى أن العذاب على من كذب وتولى يروى أنه كلمهم بهذه الكلمات ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان وعن اليهود والنصارى أنهم أنكروا تكلم عيسى فى المهد قائلين ان هذه الواقعة مما يتوفر الدواعى على نقلها فلو وجدت لاشتهرت وتواترت مع شدة غلو النصارى فيه وفى مناقبه وأيضا ان اليهود مع شدة عداوتهم له لو سمعوا كلامه فى المهد بالغوا فى قتله ودفعه فى طفوليته وأجاب المسلمون من حيث العقل بأنه لو لا كلامه الذى دلهم على براءتها من الذى قذفوها به لاقاموا عليها الحد ولم يتركوها ولعل حاضرى كلامه قليلون فلذلك لم يبلغ مبلغ التواتر ولعل اليهود لم يحضروا هناك فلذلك لم يشتغلوا وقتئذ بدفعه والله أعلم (ذلك) الموصوف بالصفات المذكورة من قوله انى عبد الله الى آخره هو (عيسى بن مريم) وفى

وماصرفهم عنهما الا قيل ربك فانتبذت من أهلها مكانا شرقيا فصلوا قبل مطلع الشمس **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا قال شاسعا متنحيا وقيل انها انما صارت بمكان يلى مشرق الشمس لان ما يلى المشرق عندهم كان خيرا مما يلى المغرب وكذلك ذلك فيما ذكر عند العرب وقوله فاتخذت من دونهم حجابا يقول فاتخذت من دون أهلها سترا يسترها عنهم وعن الناس وذكر عن ابن عباس أنها صارت بمكان يلى المشرق لأن الله أظلها بالشمس وجعل لها منها حجابا **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله انتبذت من أهلها مكانا شرقيا قال مكانا أظلتها الشمس أن يراها أحد منهم وقال غيره فى ذلك ما **حدثنا** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فاتخذت من دونهم حجابا من الجدران وقوله فأرسلنا اليها روحنا يقول تعالى ذكره فأرسلنا اليها حين انتبذت من أهلها مكانا شرقيا واتخذت من دونهم حجابا جبريل * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فأرسلنا اليها روحنا قال أرسل اليها فيما ذكر لنا جبريل **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه قال وجدت عندها جبريل قد مثله الله بشرا سويا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله فأرسلنا اليها روحنا قال جبريل **حدثنى** محمد بن سهل قال ثنا اسمعيل بن عبد الكريم قال ثنى عبد الصمد بن معقل بن أخى وهب قال سمعت وهب بن منبه قال أرسل الله جبريل الى مريم فتمثل لها بشرا سويا **حدثنا** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال فلما طهرت يعنى مريم من حيضها اذا هى برجل معها وهو قوله فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا يقول تعالى ذكره فتشبه لها فى صورة آدمى سوىّ الخلق منهم يعنى فى صورة رجل من بنى آدم معتدل الخلق ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قالت انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال انما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا﴾ يقول تعالى ذكره فخافت مريم رسولنا اذ تمثل لها بشرا سويا وظنته رجلا يريدها على نفسها **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال خشيت أن يكون انما يريدها على نفسها **حدثنا** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فتمثل لها بشرا سويا فلما رأته فزعت منه وقالت انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا فقالت انى أعوذ أيها الرجل بالرحمن منك تقول أستجير بالرحمن منك أن تنال منى ما حرمه عليك ان كنت ذا تقوى له تتقى محارمه وتجتنب معاصيه لان من كان لله تقيا فانه يجتنب ذلك ولو وجه ذلك الى أنها عنت انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تتقى الله فى استجارتى واستعاذتى به منك كان وجها كما **حدثنا**

كونه ابنا لهذه المرأة نفى كونه ابنا على ما زعمت الضالة وأكد هذا المعنى بقوله (قول الحق) ابن
فان كان الحق هو اسم الله فهو كقوله كلمة الله وانتصابه على المدح وان كان بمعنى الثابت والصدق فانتصابه على انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة المتقدمة كقولك هو عبد الله الحق وقول الحق من اضافة الموصوف الى الصفة مثل حق اليقين وقد مر آنفا وارتفاعه على أنه خبر بعد خبر أو بدل أو خبر مبتدا محذوف ومعنى تمترون تشكون من المرية الشك أو المراد يتمارون من المراء اللجاج وذلك أن اليهود قالوا

ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه قالت انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا ولا ترى الا أنه رجل من بنى آدم حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو بكر عن عاصم قال قال ابن زيد وذكر قصص مريم فقال قد علمت أن التقى ذو نهية حين قالت انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال انما أنا رسول ربك يقول تعالى ذكره فقال لها روحنا انما أنا رسول ربك يا مريم أرسلنى اليك لأهب لك غلاما زكيا * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق غير أبى عمرو لأهب لك بمعنى انما أنا رسول ربك يقول أرسلنى اليك لأهب لك غلاما زكيا على الحكاية وقرأ ذلك أبو عمرو بن العلاء ليهب لك غلاما زكيا بمعنى انما أنا رسول ربك أرسلنى اليك ليهب الله لك غلاما زكيا • قال أبو جعفر والصواب من القراءة فى ذلك ما عليه قراء الأمصار وهو لأهب لك بالالف دون الياء لان ذلك كذلك فى مصاحف المسلمين وعليه قراءة قديمهم وحديثهم غير أبى عمرو وغير جائز خلافهم فيما أجمعوا عليه ولا سائغ لأحد خلاف مصاحفهم والغلام الزكى هو الطاهر من الذنوب وكذلك تقول العرب غلام زالك وزكى وعال وعلى ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قالت أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا ﴾ يقول تعالى ذكره قالت مريم لجبريل أنى يكون لى غلام من أى وجه يكون لى غلام أمن قبل زوج أتزوج فأرزقه منه أم يبتدئ الله فى خلقه ابتداء ولم يمسسنى بشر من ولد آدم بنكاح حلال ولم أك اذلم يمسسنى منهم أحد على وجه الحلال بغيا بغيت ففعلت ذلك من الوجه الحرام فحملته من زنا كما حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى ولم أك بغيا يقول زانية قال كذلك قال ربك هو على هين يقول تعالى ذكره قال لها جبريل هكذا الامر كما تصفين من أنك لم يمسسك بشر ولم تكونى بغيا ولكن ربك قال هو على هين أى خلق الغلام الذى قلت أن أهبه لك على هين لا يتعذر على خلقه وهبته لك من غير فحل يفتحل لك وقوله ولنجعله آية للناس يقول ولكى نجعل الغلام الذى نهبه لك علامة وحجة على خلقى أهبه لك ورحمة منا يقول ورحمة منا لك ولمن آمن به وصدقه أخلقه منك وكان أمرا مقضيا يقول وكان خلقه منك أمرا قد قضاه الله ومضى فى حكمه وسابق علمه أنه كائن منك كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنى من لا أتهم عن وهب بن منبه وكان أمرا مقضيا أى ان الله قد عزم على ذلك فليس منه بد ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فحملته فانتبذت به مكانا قصيا فأجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا ﴾ وفى هذا الكلام متروك ترك ذكره استغناء بدلالة ما ذكر منه عنه فنفخنا فيها من روحنا بغلام فحملته فانتبذت به مكانا قصيا وبذلك جاء تأويل أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سهل قال ثنا اسمعيل بن عبد الكريم قال ثنى عبد الصمد بن معقل ابن أخى وهب بن منبه قال سمعت وهبا قال لما أرسل الله جبريل الى مريم تمثل لها بشرا سويا

فى ملك الغير فلا يتصور فى حقه فان أردتم هذا المعنى فلا نزاع وان أردتم شيأ آخر فما الدليل على استحالته احتج بعض الاشاعرة بالآية على قدم كلام الله لان قوله كن ان كان قديما فهو المطلوب وان كان محدثا احتاج فى حدوثه الى قول آخر وتسلسل واستدلت المعتزلة بها على حدوث كلامه قالوا ان قوله اذا قضى للاستقبال وذلك القول متأخر عن القضاء المحدث والمتأخر عن المحدث محدث وأيضا الفاء فى فيكون للتعقيب والقول متقدم عليه بلا فصل والمتقدم على المحدث بزمان قليل محدث وكلا الاستدلالين ضعيف لانه لا نزاع فى حدوث الحروف وانما النزاع فى كلام النفس وأيضا قوله كن عبارة عن نفاذ قدرته ومشيئته والا فليس ثم قول لان الخطاب مع المعدوم عبث ومع الموجود تحصيل للحاصل ومن الناس من زعم أن المراد من قوله كن هو صفة التكوين فانها زائدة على صفة القدرة لانه قادر على عوالم أخر سوى هذا وغير مكون لها ولعل هذا الزاعم سمى تعلق القدرة بالمقدور تكوينا ومن قرأ (وان الله) بالفتح فمعناه ولان الله (ربى وربكم فاعبدوه) وفيه أن الربوبية هى سبب العبادة فمن لم تصح ربوبيته لم يستحق أن يعبد ولا رب بالحقيقة الا الله انتهاء جميع الوسائط والاسباب اليه فلا يستحق العبادة الا هو وههنا نكتة هى أن الله تعالى لا يصح أن يقول ان الله ربى وربكم فاعبدوه والتقدير قل يا محمد بعد اظهار البراهين الباهرة على أن عيسى عبد الله ان الله ربى وربكم وقال أبو مسلم الاصفهانى انه من تتمة كلام عيسى وما بينهما اعتراض وعن وهب بن منبه عهد اليهم حين أخبرهم عن حاله وصفته أن كلنا عبيد الله تعالى (فاختلف الاحزاب من بينهم) أى من بين أهل الكتاب قال الكلبى هم اليهود والنصارى وقيل النصارى اختلفوا ثم اتفقوا على أن يرجعوا الى علماء زمانهم وهم يعقوب ونسطور

وملكا فقيل للاول ما تقول فى عيسى فقال هو الله هبط الى الارض فخلق وأحيا ثم صعد الى السماء فتبعه على ذلك خلق كثير وهم اليعقوبية وسئل الثانى فقال هو ابن الله فتابعه جم غفير وهم النسطورية وسئل الثالث فقال كذبوا وانما كان عبدا مخلوقا نبيا يطعم ويتناول خصمه وهو المؤمن المسلم وقيل كانوا أربعة والرابع اسمه اسرائيل فقال هو اله وأمه اله والثلاثة أقانيم والروح واحد واعلم أن بحث الحلول والاتحاد فيه طول وقد ينجر الكلام فيه الى مقامات يصعب الترقى اليها فلذلك ضل فيه من ضل وزل عنه من زل والله سبحانه

أعلى من جميع ذلك وأجل (فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم) أى من شهودهم هذا الجزاء والحساب فى ذلك اليوم أو من زمان شهودهم أو من مكان شهودهم فيه وهو الموقف ويحتمل أن يكون المشهد من الشهادة أى من يشهد عليهم الملائكة والانبياء أو جوارحهم فيه بالكفر والقبائح أو من مكان الشهادة أو وقتها وقيل هو ما قالوه وشهدوا به فى عيسى وأمه يوم ولادته ومعنى من التعليل أى الويل لهم من أجل المشهد وبسببه قال أهل البرهان انما قال ههنا فويل للذين كفروا وفى حم الزخرف فويل للذين ظلموا لان الكفر أبلغ من الظلم وقصة عيسى فى هذه السورة مشروحة وفيها ذكر نسبتهم اياه الى الله حتى قال ما كان لله أن يتخذ من ولد فذكر بلفظ الكفر وقصتهم فى الزخرف مهملة فوصفهم بلفظ دونه وهو الظلم قلت ويحتمل أن يقال الظلم اذا أريد به الشرك كان أخص من الكفر فعم أولا ثم خصص لان البيان بالمقام الثانى أليق (أسمع بهم وأبصر) صيغتان للتعجب والمراد أن هاتين الحاستين منهم جديران بتعجب منهما فى ذلك اليوم بعد ما كانوا صما وعميا فى الدنيا وذلك لكشف الغطاء ولحاق العيان بالخبر والتعجب استعظام الشئ بسبب عظمه ثم جوز استعمال لفظ التعجب عند مجرد الاستعظام من غير خفاء السبب أو من غير سبب قال بعض سفيان قرأت عند شريح بل عجبت ويسخرون فقال ان الله لا يعجب من شئ انما يعجب من لا يعلم فذكرت ذلك لابراهيم النخعى فقال ان شريحا شاعر يعجبه علمه وعبد الله أعلم بذلك منه والمعنى أنه صدر من الله فعل لو صدر مثله عن الخلق لدل على حصول التعجب فى قلوبهم وقيل معنى الآية التهديد بما سيسمعون ويبصرون مما يسوءهم وقيل أراد أسمع بهؤلاء وأبصر أى عرفهم مآل القوم الذين يأتوننا ليعتبروا ويتعظوا

فقالت له انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا ثم نفخ فى جيب درعها حتى وصلت النفخة الى الرحم فاشتملت **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه اليمانى قال لما قال ذلك يعنى لما قال جبريل قال كذلك قال ربك هو على هين الآية استسلمت لأمر الله فنفخ فى جيبها ثم انصرف عنها **حدثنا** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال طرحت عليها جلبابها لما قال جبريل ذلك لها فأخذ جبريل بكمها فنفخ فى جيب درعها وكان مشقوقا من قدامها فدخلت النفخة صدرها فحملت فأتتها أختها امرأة زكريا ليلة تزورها فقامت فتحت لها الباب التزمتها فقالت امرأة زكريا يا مريم أشعرت أنى حبلى قالت مريم أشعرت أيضا أنى حبلى قالت امرأة زكريا انى وجدت ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك فذلك قوله مصدقا بكلمة من الله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج يقولون انه انما نفخ فى جيب درعها وكمها وقوله فانتبذت به مكانا قصيا يقول فاعتزلت بالذى حملته وهو عيسى وتنحت به عن الناس مكانا قصيا يقول مكانا نائيا قاصيا عن الناس يقال هو بمكان قاص وقصى بمعنى واحد كما قال الراجز

لتقعدن مقعد القصى * منى ذى القاذورة المقلى

يقال منه قصا المكان يقصو قصوا اذا تباعد وأقصيت الشئ اذا أبعدته وأخرته * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فانتبذت به مكانا قصيا قال مكانا بعيدا **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله مكانا قصيا قال قاصيا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال لما بلغ أن تضع مريم خرجت الى جانب المحراب الشرقى منه فأتت أقصاه وقوله فأجاءها المخاض الى جذع النخلة يقول تعالى ذكره فألجأها المخاض الى جذع النخلة ثم قيل لما أسقطت الباء منه أجاءها كما يقال أتيتك بزيد فاذا حذفت الباء قيل آتيتك زيدا كما قال جل ثناؤه آتونى زبر الحديد والمعنى ائتونى بزبر الحديد ولكن الافعال مدت لما حذفت الباء وكما قالوا خرجت به وأخرجته وذهبت به وأذهبته وانما هو أفعل من الجئ كما يقال جاء هو وأجأته أنا أى جئت به ومثل من أمثال العرب «شر ما أجاءنى الى مخة عرقوب» وأشاء ويقال شر ما يجيئك ويشيئك الى ذلك ومنه قول زهير

وجار سار معتمدا اليكم * أجاءته المخافة والرجاء

يعنى جاء به وأجاءه الينا وأشاءك من لغة تميم وأجاءك من لغة أهل العالية وانما تأول من تأول ذلك

عن الاتيان بمثل فعلهم وقال الجبائى يجوز أن يراد أسمع الناس بهؤلاء وأبصرهم ليعتبروا بسوء عاقبتهم والوجه هو الاول يؤيده قوله (لكن الظالمون) أى لكنهم فوضع المظهر موضع المضمر (اليوم) وهو يوم التكليف (فى ضلال مبين) حيث أغفلوا النظر والاستماع وتركوا الجد والاجتهاد فى تحصيل الزاد للمعاد وهو (يوم الحسرة) لتحسر أهل النار فيه وقيل أهل الجنة أيضا اذا رأى الادنى مقام الاعلى والاول أصح لان هذه الخواطر لا توجد فى الجنة لانها دار السرور و (اذ) بدل من يوم الحسرة أو منصوب بالحسرة ومعنى (قضى الامر) فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه سئل عنه فقال يؤتى بالموت فيذبح كما يذبح الكبش والفريقان ينظران فيزداد أهل الجنة فرحا الى فرح وأهل النار غما الى غم قال أرباب المعقول ان الموت عرض فلا يمكن أن يصير حيوانا فالمراد أنه لا موت بعد ذلك عن الحسن (وهم فى غفلة) متعلق بقوله فى ضلال مبين وقوله وأنذرهم اعتراض ويحتمل أن يتعلق بأنذرهم أى أنذرهم على هذه الحال غافلين غير مؤمنين ويحتمل أن يكون اذ ظرفا للانذر أى أنذرهم حين قضى الأمر ببيان الدلائل وشرح أمر الثواب والعقاب ثم أخبر عنهم أنهم فى غفلة (وهم لا يؤمنون) ثم قرر بقوله (انا نحن نرث) أن أمور الدنيا كلها تزول وأن الخلق كلهم يرجعون الى حيث لا يملك الحكم الا الله وفيه من التخويف والانذار ما فيه ۞ التأويل واذكر فى الكتاب الازلى مريم القلب اذ انتبذت من أهلها تفردت من أهل الدنيا متوجها الى جانب شروق النور الالهى فاتخذت من دونهم حجاب الخلوة والعزلة فأرسلنا اليها روحنا وهو نور الالهام الربانى والخاطر الرحمانى كقوله وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا فتمثل لها بشرا سويا كما تمثل روح التوحيد بحروف لا اله الا الله لانتفاع الخلق به قالت انى أعوذ بالرحمن منك ظنا منها أنه يشغلها عن الله قال انما أنا رسول الوارد الربانى لأهب لك غلاما زكيا طاهرا عن لوث الظلمة الانسية وهو النفس المطمئنة القدسية ولم يمسسنى بشر خاطر من عالم البشرية ولم أك بغيا أطلب غير ما خلقت لاجله وهو التوجه الى عالم الروح المجرد لعملته بالقوة القريبة من الفعل فانتبذت به مكانا قصيا لافتقاره الى العبور على منازل الشريعة والطريقة فأجاءها مخاض الطلب

يعنى ألجأها الان المخاض لما جاءها الى جذع النخلة كان قد ألجأها اليه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله فأجاءها المخاض قال المخاض ألجأها **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال ألجأها المخاض قال ابن جريج وقال ابن عباس ألجأها المخاض الى جذع النخلة **حدثنا** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فأجاءها المخاض الى جذع النخلة يقول ألجأها المخاض الى جذع النخلة **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فأجاءها المخاض الى جذع النخلة قال اضطرها الى جذع النخلة واختلفوا فى أى المكان الذى انتبذت مريم بعيسى لوضعه وأجاءها اليه المخاض فقال بعضهم كان ذلك فى أدنى أرض مصر وآخر أرض الشأم وذلك أنها هربت من قومها لما حملت فتوجهت نحو مصر هاربة منهم ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن سهل قال ثنا اسمعيل بن عبد الكريم قال ثنى عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهب بن منبه يقول لما اشتملت مريم على الحمل كان معها قرابة لها يقال له يوسف النجار وكانا منطلقين الى المسجد الذى عند جبل صهيون وكان ذلك المسجد يومئذ من أعظم مساجدهم فكانت مريم ويوسف يخدمان فى ذلك المسجد فى ذلك الزمان وكان لخدمته فضل عظيم فرغبا فى ذلك فكانا يليان معالجته بأنفسهما تحبيره وكناسته وطهوره وكل عمل يعمل فيه وكان لا يعمل من أهل زمانهما أحد أشد اجتهادا وعبادة منهما فكان أول من أنكر حمل مريم صاحبها يوسف فلما رأى الذى بها استفظعه وعظم عليه وفظع به فلم يدر على ماذا يضع أمرها فاذا أراد يوسف أن يتهمها ذكر صلاحها وبراءتها وأنها لم تغب عنه ساعة قط واذا أراد أن يبرئها رأى الذى ظهر عليها فلما اشتد عليه ذلك كلمها فكان أول كلامه اياها أن قال لها انه قد حدث فى نفسى من أمرك أمر قد خشيته وقد حرصت على أن أميته وأكتمه فى نفسى فغلبنى ذلك فرأيت الكلام فيه أشفى لصدرى قالت فقل قولا جميلا قال ما كنت لأقول لك الا ذلك فحدثينى هل ينبت زرع بغير بذر قالت نعم قال فهل تنبت شجرة من غير غيث يصيبها قالت نعم قال فهل يكون ولد من غير ذكر قالت نعم ألم تعلم أن الله تبارك وتعالى أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذر والبذر يومئذ انما صار من الزرع الذى أنبته الله من غير بذر أولم تعلم أن الله بقدرته أنبت الشجر بغير غيث وأنه جعل بتلك القدرة الغيث حياة للشجر بعد ما خلق كل واحد منهما وحده أم تقول لن يقدر الله على أن ينبت الشجر حتى استعان عليه بالماء ولولا ذلك لم يقدر على انباته قال يوسف لها لا أقول هذا ولكنى أعلم أن الله تبارك وتعالى بقدرته على ما يشاء يقول لذلك كن فيكون قالت مريم أولم تعلم أن الله تبارك وتعالى خلق آدم وامرأته من غير أنثى وذاكر قال بلى فلما قالت له ذلك وقع فى نفسه أن الذى بها شئ من الله تبارك وتعالى وأنه لا يسعه أن يسألها عنه

(٧ - (ابن جرير) - سادس عشر)

والتعب الى جذع النخلة وهى كامة لا اله الا الله التى كان أصلها ثابتا فى أرض نفسها قالت ياليتنى مت قبل هذا قال بعض أهل التحقيق كلمة يذكرها الصالحون عند اشتداد الامر عليهم قال على عليه السلام يوم الجمل ياليتنى مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة وعن بلال ليتها لم تلده أمه وقيل ان مريم قالت ذلك لعلمها بأن الله تعالى يدخل النار خلقا كثيرا بسبب تهمتها وبسبب الغلو والتقصير فى حق ابنها وقيل ان مريم القلب قالت ياليتنى مت عن اللذات (٥٠) الجسمية قبل هذا الوقت الذى فزت باللذات الحقيقية وكنت نسيا منسيا

الحمول راحة والشهرة آفة فناداها بلسان الحال من تحت تصرفها من آلات القوى أن لا تحزنى قد جعل ربك تحتك أى تحت تصرفك سريا هو الغلام الموعود أو جدول الكشوف والعلوم الدينية وهزى اليك بجذع النخلة بالمداومة على الذكر تساقط عليك رطبا جنيا من المشاهدات والمكاشفات حالا فحالا فكلى واشربى من خوان الافضال وبحر النوال من مادته أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى وقرى عينا بأنوار الجمال فى حجرة الوصال فاما ترين من السوانح البشرية أحدا فقولى انى نذرت للرحمن صوما كما قيل الدنيا يوم ولنافيه صوم أى عن الالتفات لغير الله فأتت به قومها من عادة الجهال انكار أحوال أهل الكمال ياأخت هرون النفس المطمئنة أو الأمارة بناء على أن هرون كان صالحا أو طالحا ما كان أبوك وهو الروح المفارق امرأ سوء وما كانت أمك وهى القالب بغيا تستأنس الى غير عالم الطبيعة التى خلقت لاجلها فأشارت اليه فيه أن هذا القوم هم أهل الاشارات فى المهد مهد السر وذلك المتولد من نفخ الروح فى مريم القالب ليس ابنا لله ولا محالة ولا نفسه فاختلف الاحزاب فقوم عبدوا الله لاجله وقوم عبدوه طمعا فى جنته وقوم عبدوا الهوى وذلك قوله فويل للذين كفروا أسمع بهم أى بأهل الله وأبصر يوم يأتوننا فانهم بالله يسمعون وبه يبصرون وبغى

(واذكر فى الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا اذ قال لابيه ياأبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيأ ياأبت انى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى أهدك صراطا سويا ياأبت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا ياأبت انى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا قال أراغب أنت عن آلهتى ياابراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرنى مليا قال سلام عليك سأستغفر لك ربى

وذلك لما رأى من كتمانها لذلك ثم تولى يوسف خدمة المسجد وكفاها كل عمل كانت تعالجه وذلك لما رأى من رقة جسمها واصفرار لونها وكلف وجهها ونتو بطنها وضعف قوتها وذلك نظرها ولم تكن مريم قبل ذلك كذلك فلما دنا نفاسها أوحى الله اليها أن اخرجى من أرض قومك فانهم ان ظفروا بك عيروك وقتلوا ولدك فأفضت ذلك الى أختها وأختها حينئذ حبلى وقد بشرت بيحيى فلما التقيا وجدت أم يحيى ما فى بطنها خر لوجهه ساجدا معترفا بالعيسى فاحتملها يوسف الى أرض مصر على حماره ليس بينها حين ركبت وبين الاكاف شئ فانطلق يوسف بها حتى اذا كنا متاخمى الأرض مصر فى منقطع بلاد قومها أدركه مريم النفاس فألجأها الى آرى حمار يعنى مذود الحمار وأصل نخلة وذلك فى زمان أحسبه بردا أو حرا «الشك من أبى جعفر» فاشتملى مريم المخاض فلما وجدت منه شدة التجأت الى النخلة فاحتضنتها واحتوشتها الملائكة فأمروا صفوفا محدقين بها وقد روى عن وهب بن منبه قول آخر غير هذا وذلك ما حدثنا به ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه قال لما حضر ولادها يعنى مريم ووجدت ما تجد المرأة من الطلق خرجت من المدينة مغربة من ايلياء حتى تدركها الولادة الى قرية من ايلياء على ستة أميال يقال لها بيت لحم فأجاءها المخاض الى أصل نخلة اليها مدود بقرة تحتها ربيع من الماء فوضعته عندها * وقال آخرون بل خرجت لما حضر وضعها ما فى بطنها الى جانب المحراب الشرقى منه فأتت أقصاه فألجأها المخاض الى جذع النخلة وذلك قول السدى وقد ذكرت الرواية به قبل حدثنى زكريا بن يحيى بن أبى زائدة قال ثنا حجاج قال قال ابن جريج أخبرنى المغيرة بن عثمان قال سمعت ابن عباس يقول ما هى الا أن حملت فوضعت حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال وأخبرنى المغيرة بن عثمان بن عبد الله أنه سمع ابن عباس يقول ليس الا أن حملت فولدت وقوله ياليتنى مت قبل هذا ذكر أنها قالت ذلك فى حال الطلق استحياء من الناس كما حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال قالت وهى تطلق من الحبل استحياء من الناس ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا تقول ياليتنى مت قبل هذا الكرب الذى أنا فيه والحزن بولادتى المولود من غير بعل وكنت نسيا منسيا شيأ تنسى فتركه طلبه كحرق الحيض التى اذا ألقيت وطرحت لم تطلب ولم تذكر وكذلك كل شئ نسى وترك ولم يطلب فهو نسى ونسى بفتح النون وكسرها هما لغتان معروفتان من لغات العرب بمعنى واحد مثل الوتر والوتر والجسر والجسر وبأيتهما قرأ القارئ فصيب عندنا وبالكسر قرأت عامة قراء الحجاز والمدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة وبالفتح قرأه أهل الكوفة ومنه قول الشاعر

كأن لها فى الارض نسيا تقصه * اذا ما غدت وان تحدثك تبلت

كان بى حفيا وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربى عسى ألا أكون بدعاء ربى شقيا فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له
اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا واذكر فى الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا
نبيا وناديناه من جانب الطور الايمن وقربناه نجيا ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا واذكر فى الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد وكان
رسولا نبيا وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا واذكر فى (٥١) الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا

عليا أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل وممن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا الا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيأ جنات عدن التى وعد الرحمن عباده بالغيب انه كان وعده مأتيا لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقيا وما نتنزل الا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا رب السموات والارض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا

﴿ القرآت ربى انه بفتح الياء أبو جعفر ونافع وأبو عمرو مخلصا بفتح اللام حمزة وعلى وخلف وعاصم غير المفضل الباقون بكسرها ابراهام ومابعده هشام والاخفش عن ابن ذكوان اذا تتلى بالياء التحتانية وكذلك فى سورة الحج قتيبة نورث بالتشديد رويس

﴿ الوقوف ابراهيم ط نبيا ٥ شيأ ٥ سويا ٥ لا تعبد الشيطان ط عصيا ٥ وليا ٥ يا ابراهيم ٥ ج وقد يوصل ويوقف على آلهتى

ويعنى بقوله تقصه تطلبه لانها كانت نسيته حتى ضاع ثم ذكرته فطلبته ويعنى بقوله تبلت تحسن وتصدق ولو وجه النسى الى المصدر من النسيان كان صوابا وذلك أن العرب فيما ذكر عنها تقول نسيته نسيانا ونسيا كما قال بعضهم من طاعة الرب وعصى الشيطان يعنى وعصيان وكما تقول أتيته اتيانا وأتيا كما قال الشاعر

أتى الفواحش فيهم معروفة * ويرون فعل المكرمات حراما

وقوله منسيا مفعول من نسيت الشئ كأنها قالت ليتنى كنت الشئ الذى ألقى فترك ونسى * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى عطاء الخراسانى عن ابن عباس قوله ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا لم أخلق ولم ألد شيأ حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى وكنت نسيا منسيا يقول نسيا نسى ذكرى ومنسيا تقول نسى أثرى فلا يرى لى أثر ولا عين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وكنت نسيا منسيا أى شيأ لا يعرف ولا يذكر حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله وكنت نسيا منسيا قال لا أعرف ولا يدرى من أنا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن أبى جعفر عن الربيع بن أنس نسيا منسيا قال هو السقط حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا لم أكن فى الارض شيأ قط ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فناداها من تحتها أن لا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا﴾ اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق فناداها من تحتها بمعنى فناداها جبرائيل من بين يديها على اختلاف منهم فى تأويله فمن متأول منهم اذا قرأه من تحتها كذلك ومن متأول منهم أنه عيسى وأنه ناداها من تحتها بعدما ولدته وقرأ ذلك بعض قراء أهل الكوفة والبصرة فناداها من تحتها بفتح التاء من تحت بمعنى فنادتها الذى تحتها على أن الذى تحتها عيسى وأنه الذى نادى أمه ذكر من قال الذى ناداها من تحتها الملك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبد المؤمن قال سمعت ابن عباس قرأ فناداها من تحتها يعنى جبرائيل حدثنى عبد الله بن أحمد بن يونس قال أخبرنا عبثر قال ثنا حصين عن عمرو بن ميمون الأودى قال الذى ناداها الملك حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن الأعمش عن ابراهيم عن علقمة أنه قرأ فخاطبها من تحتها حدثنا أبو هشام الرفاعى قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان عن الأعمش عن ابراهيم عن علقمة أنه قرأ فخاطبها من تحتها حدثنا الرفاعى قال ثنا وكيع عن أبيه عن الأعمش عن ابراهيم عن علقمة أنه قرأها كذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا سفيان عن جويبر عن الضحاك فناداها من تحتها قال جبرائيل حدثنا ابن بشار قال ثنا

ملبا ٥ سلام عليك ج للابتداء بسين الاستقبال مع أن القائل واحد لك ربى ط حفيا ٥ وأدعو ربى ز لانقطاع النظم والوصل أولى لان عسى لطمع الاجابة فيوصل بالدعاء شقيا ٥ من دون الله لا لأن ما بعده جواب لما ويعقوب ط نبيا ٥ عليا ٥ موسى ز للابتداء بان مع ان المراد بالذكر اخلاص موسى نبيا ٥ نجيا ٥ نبيا ٥ اسماعيل ز لما مر نبيا ٥ ج للآية مع العطف والزكاة ص مرضيا ٥ ادريس ز نبيا ٥ عليا ٥ مع نوح ز على تقدير ومن ذرية ابراهيم وما بعده قوم اذا تتلى عليهم وكذا وجه من وقف على ذرية

آدم أو على اسرائيل والأصح أن الكل عطف على ذرية آدم والوقف على قوله واجتبينا لئلا يحتاج الى الحذف وليرجع ثناء السجود والبكاء الى الكل وبكيا ٥ غيا ٥ شيأ ٥ لا بناء على أن جنات بدل من الجنة بالغيب ط مأتيا ٥ سلاما ٥ وعشيا ٥ تقيا ٥ يا رب ج لاختلاف الجملتين ذلك ج لان قوله وما كان معطوف على نتنزل مع وقوع العارض نسيا ج ٥ لان ما بعده بدل أو خبر مبتدا محذوف لعبادته ط سميا ٥ ۞ التفسير (٥٣) ان الذين أثبتوا معبودا سوى الله منهم من أثبت معبودا حيا عاقلا كالنصارى ومنهم من عبد معبودا جمادا كعبدة الأوثان وكلا الفريقين ضال الا أن الفريق الثاني أضل وحين بين ضلال الفريق الاول شرع في بيان ضلال الفريق الثاني تدرجا من الاسهل الى الأصعب وانما بدأ بقصة ابراهيم عليه السلام لانه كان أبا العرب وكانوا مقرين بعلو شأنه وكمال دينه فكأنه قال لهم ان كنتم مقلدين فقلدوه في ترك عبدة الاوثان وعبادتها وان كنتم مستدلين فانظروا في الدلائل التي ذكرها على أبيه والمراد بذكر الرسول اياه في الكتاب أن يتلو ذلك على الناس كقوله واتل عليهم نبأ ابراهيم والافهو سبحانه هو الذي يذكره في تنزيله وقوله (اذ قال) بدل من ابراهيم وما بينهما اعتراض ولما كان هذا الاعتراض صار الوقف على ابراهيم مطلقا وجوز في الكشاف أن يتعلق اذ بكان أو بصديقا نبيا أي كان جامعا لخصائص الصديقين والأنبياء حين خاطب أباه تلك المخاطبات والصديق من أبنية المبالغة فهي اما مبالغة صادق لأن ملاك أمر النبوة الصدق واما مبالغة مصدق وذلك لكثرة تصديقه الحق وهذا أيضا بالحقيقة يعود الى الاول لان مصدق الحق لا يعتبر تصديقه الا اذا كان صادقا فيه والحاصل أنه كان صادقا جدا في أقواله مصدقا لجميع من تقدم من الانبياء والكتب وكان نبيا في نفسه رفيع القدر عند الله وعند الناس بحيث جعل واسطة بينه وبين للقوم عباده وقيل ان كان بمعنى صار والأصح أنه بمعنى الثبوت والاستمرار أي انه لم يزل موصوفا بالصدق والنبوة في الاوقات الممكن له ذلك فيها والتاء في يا أبت عوض من ياء الاضافة وقد مر في أول سورة يوسف أورد على أبيه الدلائل والنصائح وصدر كلا منها بالنداء المتضمن للرفق واللين استمالة لقلب أبيه وامتثالا لأمر ربه على ما روى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أوحى الله الى ابراهيم انك خليلي حسن خلقك

أبو عاصم عن سفيان عن جويبر عن الضحاك مثله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فناداها من تحتها أي من تحت النخلة **حدثنا** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي فناداها جبرائيل من تحتها أن لا تحزني **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله فناداها من تحتها قال الملك **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله فناداها من تحتها يعني جبرائيل كان أسفل منها **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس فناداها من تحتها قال ناداها جبرائيل ولم يتكلم عيسى حتى أتت قومها * ذكر من قال ناداها عيسى صلى الله عليه وسلم **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله فناداها من تحتها قال عيسى بن مريم **حدثنا** ابن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و **حدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن فناداها من تحتها ابنها **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال قال الحسن هو ابنها **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عمن لا يتهم عن وهب ابن منبه فناداها عيسى من تحتها أن لا تحزني **حدثني** أبو حميد أحمد بن المغيرة الحمصي قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا محمد بن مهاجر عن ثابت بن عجلان عن سعيد بن جبير قوله فناداها من تحتها قال عيسى أما تسمع الله يقول فأشارت اليه **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فناداها من تحتها قال عيسى ناداها أن لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا **حدثت** عن عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس عن أبي العالية الرياحي عن أبي بن كعب قال الذي خاطبها هو الذي حملته في جوفها ودخل من فيها * قال أبو جعفر وأولى القولين في ذلك عندنا قول من قال الذي ناداها ابنها عيسى وذلك أنه من كناية ذكره أقرب منه من ذكر جبرائيل فرده على الذي هو أقرب اليه أولى من رده على الذي هو أبعد منه ألا ترى أنه في سياق قوله فحملته فانتبذت به مكانا قصيا يعني به فحملت عيسى فانتبذت به ثم قيل فناداها فسقا على ذلك من ذكر عيسى والخبر عنه ولعلة أخرى وهي قوله فأشارت اليه ولم تشر اليه ان شاء الله الا وقد علمت أنه ناطق في حاله تلك وللذي كانت قد عرفت ووثقت به منه بمخاطبته اياها بقوله لها أن لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا وما أخبر الله عنه أنه قال لها أشيري للقوم اليه ولو كان ذلك قولا من جبرائيل لكان خليقا أن يكون في ظاهر الخبر مبينا أن عيسى سينطق ويحتج عنها للقوم وأمر منه لها بأن تشير اليه

ولو مع الكفار تدخل مداخل الابرار فان كلتى سبقت لمن حسن خلقه أن أظله تحت عرشى وأسكنه حظيرة القدس وأدنيه من جوارى فقوله (لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر) منسى المفعول لا منويه فان الغرض نفى الفعلين على الاطلاق دون التقييد وما موصولة أو موصوفة أى الذى لا يسمع أو معبودا لا يسمع و(شيأ) مفعول به من قوله أغن عنى وجهك أى ادفعه ويجوز أن يكون بمعنى المصدر أى شيأ من الاغناء وعلى هذا يجوز أن يقدر نحو ومع الفعلين السابقين أى لا يسمع شيأ من السماع الى آخره (٥٣) وحاصل الدليل أن العبادة غاية الخضوع فلا يستحقها الا أشرف الموجودات لا أخسها وهو الجماد غاية عذرهم عن ذلك هى أنها تماثيل أشياء يتصور نفعها أو ضرها كالكواكب وغيرها فيقال لهم أليس الكواكب وسائر الممكنات تنتهى فى الاحتياج الى واجب الوجود فاذا جعل شئ من هذه الاشياء معبودا فقد شورك الممكن والواجب فى نهاية التعظيم وهذا مما ينبو عنه الطبع السليم ورفع الوسائط من البين أدخل فى الاخلاص وأقرب الى الخلاص وقوله (يا أبت انى قد جاءنى) تنبيه ونصيحة وفيه أن هذا العلم تجدد له حصوله فيكون أقرب الى التصديق وفى قوله (من العلم مالم يأتك) فائدة هى أنه لم يسم أباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق ولكنه قال ان معى طائفة من العلم ليست معك فلا تستنكف وهب أنا فى مفازة وعندى معرفة بالدلالة دونك (فاتبعنى أهدك صراطا سويا) مستويا مؤديا الى المقصود وهو صلاح المعاش والمعاد استدل أرباب التعليم بالآية بأنه لابد من الاتباع وأجيب بأنه لا يلزم من اتباع النبى اتباع غيره والانصاف أن هذا الطريق أسهل ثم أكد المعنى المذكور بنصيحة أخرى زاجرة عما هو عليه فقال (يا أبت لا تعبد الشيطان) أى لا تطعه فان عبادة الاصنام هى طاعة الشيطان ثم أسقط حصة نفسه اذ لم يقل ان الشيطان عدو لبنى آدم بل قدم حق ربه فقال (ان الشيطان كان للرحمن عصيا) حين ترك أمره بالسجود عنادا واستكبارا لانسيانا وخطأ نبه بهذه النصيحة على وجود الرحمن ثم على وجود الشيطان وأن الرحمن مصدر كل خير والشيطان مظهر كل شر بدلالة الموضوع اللغوى وهذا القدر كاف من التنبيه لمن تأمل وأنصف ثم بين الباعث على هذه النصيحة فقال (يا أبت انى أخاف) وفيه مع التخويف من سوء العاقبة أنواع من الادب اذ ذكر الخوف والمس ونكر العذاب قال الفراء معنى أخاف أعلم والأكثرون على أنه محمول

القوم اذا سألوها عن حالها وحاله فاذا كان ذلك هو الصواب من التأويل الذى بينا فبين أن كلتا القراءتين أعنى من تحتها بالكسر ومن تحتها بالفتح صواب وذلك أنه اذا قرئ بالكسر كان فى قوله فناداها ذكر من عيسى واذا قرئ من تحتها بالفتح كان الفعل لمن وهو عيسى فتأويل الكلام اذا فناداها المولود من تحتها أن لا تحزنى يا أمه قد جعل ربك تحتك سريا كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فناداها من تحتها أن لا تحزنى قالت وكيف لا أحزن وأنت معى لا ذات زوج فأقول من زوج ولا مملوكة فأقول من سيدى أى شئ عذرى عند الناس يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا فقال لها عيسى أنا أكفيك الكلام * واختلف أهل التأويل فى المعنى بالسرى فى هذا الموضع فقال بعضهم عنى به النهر الصغير ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن البراء بن عازب قد جعل ربك تحتك سريا قال الجدول حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى اسحق قال سمعت البراء يقول فى هذه الآية قد جعل ربك تحتك سريا قال الجدول حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله قد جعل ربك تحتك سريا وهو نهر عيسى حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله قد جعل ربك تحتك سريا قال السرى النهر الذى كان تحت مريم حين ولدته كان يجرى يسمى سريا حدثنى أبو حصين قال ثنا عبثر قال ثنا حصين عن عمرو بن ميمون الأودى قال فى هذه الآية قد جعل ربك تحتك سريا قال السرى نهر يشرب منه حدثنا يعقوب وأبو كريب قالا ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن عمرو بن ميمون فى قوله قد جعل ربك تحتك سريا قال هو الجدول حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد سريا قال نهر بالسريانية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله قال ابن جريج نهر الى جنبها حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو داود قال ثنا شعبة عن قتادة عن الحسن فى قوله قد جعل ربك تحتك سريا قال كان سريا فقال جعد بن عبد الرحمن ان السرى الجدول فقال غلبتنا عليك الأمراء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو بكر بن عياش عن أبى حصين عن سعيد بن جبير قد جعل ربك تحتك سريا قال هو الجدول النهر الصغير وهو بالنبطية سرى حدثنى أبو حميد الحمصى قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا محمد بن مهاجر عن ثابت بن عجلان قال سألت سعيد بن جبير عن السرى قال نهر حدثنا أبو كريب قال ثنا هشيم عن مغيرة عن ابراهيم قال النهر الصغير حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم أنه قال هو النهر الصغير يعنى الجدول يعنى

على ظاهره لان ابراهيم عليه السلام لم يكن جازما بموت أبيه على الكفر والالم يشتغل بنصحه والخوف على الغير ظن وصول الضرر الى الغير مع تألم قلبه من ذلك كما يقال أنا خائف على ولدى وذكروا فى الولى وجوها منها أنه اذا استوجب عذاب الله كان مع الشيطان فى النار والف سبب الولاية أو مسببها غالبا واطلاق أحدهما على الآخر مجاز وليس هنالك ولاية حقيقية لقوله الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ومنها أن معنى كفرت بما أشركتمون من قبل ومنها أن حمل (٥٤) العذاب على الخذلان ومنها أن الولى بمعنى التالى والتابع قال جار الله جعل ولاية الشيطان ودخوله فى جملة أتباعه وأوليائه أكبر من نفس العذاب لان ولاية الشيطان فى مقابلة رضا الرحمن وقال عز من قائل ورضوان من الله أكبر واذا كان رضوان الله أكبر من نعيم الجنة فولاية الشيطان أعظم من عذاب النار ثم ان الشيخ قابل ملاطفات ابراهيم بالفظاظة والغلظة قائلا (أراغب أنت عن آلهتى يا ابراهيم) فقدم الخبر على المبتدا اشعارا بأنه عنده أعنى وفى هذا الاستفهام ضرب من التعجب والانكار لرغبته عن آلهته وفى قوله يا ابراهيم دون أن يقول يا بنى فى مقابلة يا أبت تهاون به كيف لا وقد صرح بالاهانة قائلا (لئن لم تنته لأرجمنك) باللسان أى لأشتمنك أو باليد أى لأقتلنك وأصله الرمى بالرجام ثم ههنا اضمار أى فاحذرنى (واهجرنى مليا) أى زمانا طويلا من الملاوة أو أراد مليا بالذهاب والهجران مطيقا له قويا عليه قبل أن أتخنك بالضرب فلما رأى ابراهيم اصرار أبيه على التمرد والجهالة (قال سلام عليك) يعنى سلام توديع ومتاركة كقوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وفيه أن متاركة المنصوح اذا ظهر منه آثار اللجاج من سنن المرسلين ويحتمل أن يكون قد دعا له بالسلامة استمالة له ورفقا به بدليل قوله (سأستغفر لك ربى انه كان بى حفيا) بليغا فى البر والالطاف وقد مر فى آخر الأعراف احتج بالآية بعض من طعن فى عصمة الأنبياء قال انه استغفر لأبيه الكافر وهو منهى عنه لقوله ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية ولقوله فى الممتحنة قد كانت لكم أسوة حسنة فى ابراهيم الى قوله الا قول ابراهيم لأبيه لأستغفرن لك فلو لم يكن هذا الاستغفار معصية لم يمنع من التأسى به والجواب لعل ابراهيم عليه السلام فى شرعه لم يجد ما يدل على القطع بتعذيب الكافر أو لعل هذا الفعل منه من باب ترك الأولى أو لعل الاستغفار بمعنى الاستبطاء كقوله قل للذين

قوله قد جعل ربك تحتك سريا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سلمة بن نبيط عن الضحاك قال جدول صغير بالسريانية حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله تحتك سريا الجدول الصغير من الانهار حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قد جعل ربك تحتك سريا والسرى هو الجدول تسميه أهل الحجاز حدثنا الحسن قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر فى قوله سريا قال هو جدول حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه قد جعل ربك تحتك سريا يعنى ربيع الماء حدثنا موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قد جعل ربك تحتك سريا والسرى هو النهر * وقال آخرون عنى به عيسى ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن قد جعل ربك تحتك سريا والسرى عيسى نفسه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله قد جعل ربك تحتك سريا يعنى نفسه قال وأى شئ أسرى منه قال والذين يقولون السرى هو النهر ليس كذلك النهر لو كان النهر لكان انما يكون الى جنبها ولا يكون النهر تحتها * قال أبو جعفر وأولى القولين فى ذلك عندى بالصواب قيل من قال عنى به الجدول وذلك أنه أعلمها الله أعطاها الله من الماء الذى جعله عندها وقال لها وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلى من هذا الرطب واشربى من هذا الماء وقرى عينا بولدك والسرى معروف من كلام العرب أنه النهر الصغير ومنه قول لبيد

فتوسطا عرض السرى وصدعا * مسجورة متجاورا قلامها

ويروى (١) فسما مسجورة ويروى أيضا فغادرا وقوله وهزى اليك بجذع النخلة ذكر أن الجذع كان جذعا يابسا وأمرها أن تهزه وذلك فى أيام الشتاء وهزها اياه كان تحريكه كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وهزى اليك بجذع النخلة قال حركيها ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وهزى اليك بجذع النخلة قال كان جذعا يابسا فقال لها هزيه تساقط عليك رطبا جنيا حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبد المؤمن قال سمعت أبا نهيك يقول كانت نخلة يابسة حدثنى محمد بن سهل بن عسكر قال ثنا اسمعيل بن عبد الكريم قال ثنى عبد الصمد بن معقل قال سمعت وهب بن منبه يقول فى قوله وهزى اليك بجذع النخلة فكان الرطب تساقط عليها وذلك فى الشتاء حدثنا موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى وهزى اليك بجذع النخلة وكان جذعا منها مقطوعا فهزته فاذا هو نخلة وأجرى لها فى المحراب نهرا فتساقطت النخلة رطبا جنيا فقال لها كلى واشربى وقرى عينا * وقال آخرون بل معنى ذلك وهزى اليك بالنخلة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان

(١) كذا فى نسخة الخط بغير نقط ولم نقف على هذه الرواية فحررها كتبه مصححه

منوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله والمعنى سأسأل ربى أن لا يخزيك بكفرك مادمت حيا والجواب فى الحقيقة مامر فى آخر سورة التوبة فى قوله عز من قائل وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه والمنع من التأسى لا يدل على المعصية فلعل الاستغفار مع ذلك الشرط كان من خصائصه كما أن كثيرا من الأمور كانت مباحة للرسول صلى الله عليه وسلم وهى محرمة علينا ثم صرح بما تضمنه السلام من التوديع والهجران فقال (وأعتزلكم) أى أهاجر الى الشام (و) أعتزل (ما تدعون) (٥٥) أى ما تعبدون (من دون الله) وقد يعبر بالدعاء عن العبادة لانه منها ومن وسائطها يدل على هذا التفسير قوله فلما اعتزلهم وما يعبدون أما قوله (وأدعو ربى) فيحتمل معنيين العبادة والدعاء كما يجىء فى سورة الشعراء وفى قوله (عسى أن لا أكون بدعاء ربى شقيا) تعريض بشقاوتهم بدعاء آلهتهم وعبادتها مع التواضع وهضم النفس المستفاد من لفظة عسى قال العلماء ما خسر على الله أحد فان ابراهيم لما ترك أباه الكافر وقومه فرارا بدينه عوضه الله أولادا مؤمنين أنبياء وذلك قوله (ووهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ووهبنا لهم) شيأ (من رحمتنا) عن الحسن هى النبوة وعن الكلبى المال والولد والأظهر أنها عامة فى ذلك كل خير دينى ودنيوى ولسان الصدق الثناء الحسن عبر باللسان عما يوجد به كما عبر باليد عما يطلق بها وهو العطية وقدم تحقيق الاضافة فى أول يونس فى قوله قدم صدق تبرأ ابراهيم من أبيه ابتغاء مرضاة الله فسماه الله أبا المؤمنين ملة أبيكم ابراهيم وتل ولده للجبين ففداه الله بذبح عظيم وأسلم نفسه لرب العالمين فجعل النار عليه بردا وسلاما وأشفق على هذه الامة فقال وابعث فيهم رسولا فأثر كه الله فى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فى الصلوات الخمس ووفى

قال قال مجاهد فى قوله وهزى اليك بجذع النخلة قال النخلة **حدثنا** ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن عيسى بن ميمون عن مجاهد فى قوله وهزى اليك بجذع النخلة قال العجوة **حدثنى** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن عمرو بن ميمون أنه تلا هذه الآية وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا قال فقال عمرو ما من شئ خير للنفساء من التمر والرطب وأدخلت الباء فى قوله وهزى اليك بجذع النخلة كما يقال زوجتك فلانة وزوجتك بفلانة وكما قال تنبت بالدهن بمعنى تنبت الدهن وانما تفعل العرب ذلك لأن الافعال يكنى عنها بالباء فيقال اذا كنيت عن ضربت عمرا فعلت به وكذلك كل فعل فلذلك تدخل الباء فى الافعال وتخرج فيكون دخولها وخروجها بمعنى فمعنى الكلام وهزى اليك جذع النخلة وقد كان لو أن المفسرين كانوا فسروه كذلك وهزى اليك رطبا بجذع النخلة بمعنى على جذع النخلة وجها صحيحا ولكن لست أحفظ عن أحد أنه فسره كذلك ومن الشاهد على دخول الباء فى موضع دخولها وخروجها منه سواء قول الشاعر

بواد يمان ينبت السدر صدره * وأسفله بالمرخ والشبهان

واختلف القراء فى قراءة قوله تساقط فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة والكوفة تساقط بالتاء من تساقط وتشديد السين بمعنى تتساقط عليك النخلة رطبا جنيا (١) ثم تدغم احدى التاءين فى الأخرى فتشدد وكأن الذين قرؤا ذلك كذلك وجهوا معنى الكلام الى وهزى اليك بجذع النخلة تساقط النخلة عليك رطبا وقرأ ذلك بعض قراء الكوفة تساقط بالتاء وتخفيف السين ووجه معنى الكلام الى مثل ما وجه اليه مشددوها غير أنهم خالفوهم فى القراءة وروى عن البراء بن عازب أنه قرأ ذلك يساقط بالياء **حدثنى** بذلك أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا يزيد عن جرير بن حازم عن أبى اسحق قال سمعت البراء بن عازب يقرؤه كذلك وكأنه وجه معنى الكلام الى وهزى اليك بجذع النخلة يتساقط الجذع عليك رطبا جنيا وروى عن أبى نهيك أنه كان يقرؤه تسقط بضم التاء واسقاط الألف **حدثنا** بذلك ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبد المؤمن قال سمعت أبا نهيك يقرؤه كذلك وكأنه وجه معنى الكلام الى تسقط النخلة عليك رطبا جنيا

قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال ان هذه القراآت الثلاث أعنى تساقط بالتاء وتشديد السين و بالتاء وتخفيف السين وبالياء وتشديد السين قراآت متقاربات المعانى قد قرأ بكل واحدة منهن قراء أهل معرفة بالقرآن فبأى ذلك قرأ القارئ فمصيب الصواب فيه وذلك أن الجذع اذا تساقط رطبا وهو ثابت غير مقطوع فقد تساقطت النخلة رطبا واذا تساقطت النخلة رطبا فقد تساقطت النخلة بأجمعها جذعها وغير جذعها وذلك أن النخلة مادامت قائمة على أصلها فانما هى جذع وجريد وسعف فاذا قطعت صارت جذعا فالجذع الذى أمرت مريم بهزه لم يذكر أحد نعلمه أنه كان جذعا مقطوعا غير السدى وقد زعم أنه عاد بهزها اياه نخلة فقد

(١) عبارة الجلالين بتاءين قلبت الثانية سينا وأدغمت فى السين فتأمل كتبه مصححه

فى حق سارة كما قال تعالى وابراهيم الذى وفى فجعل موطئ قدمه مباركا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعادى كل الخلق فى الله حين قال فانهم عدو لى إلا رب العالمين فلا جرم اتخذه الله خليلا ثم قفى قصة ابراهيم بقصة موسى عليه السلام لأنه تلوه فى الشرف والمخلص بكسر اللام الذى أخلص العبادة عن الشرك والرياء وأخلص وجهه لله وبالفتح الذى أخلصه الله و (كان رسولا نبيا) الرسول الذى معه كتاب من الانبياء والنبى الذى ينبئ عن الله عز وجل وان لم يكن معه كتاب وكان المناسب ذكر الأعم قبل الاخص الا أن رعاية الفاصلة اقتضت عكس ذلك كقوله

فى طه برب هرون وموسى (الايمن) من اليمين أى من ناحية اليمنى من موسى أو هو من اليمن صفة للطور أو للجانب (وقربناه) حال كونه (نجيا) أى مناجيا شبه تكليمه اياه من غير واسطة ملك بتقريب بعض الملوك واحدا من ندمائه للمناجاة والمسارة وعن أبى العالية أن التقريب حسى قربه حتى سمع صريف القلم الذى كتبت به التوراة والأول أظهر ومنه قولهم للعبادة تقرب وللملائكة انهم مقربون (ووهبنا له من رحمتنا) أى من أجلها أى بعض رحمتنا فيكون (أخاه) بدلا وهرون عطف بيان كقولك رأيت رجلا أخا زيد او (نبيا) حال من هرون قال ابن عباس كان هرون أكبر من موسى فتنصرف الهبة الى معاضدته وموازرته وذلك بدعاء موسى فى قوله واجعل لى وزيرا من أهلى وخص اسمعيل بن ابراهيم بصدق الوعد وان كان الانبياء كلهم صادقين فيما بينهم وبين الله أو الناس لانه المشهور المتواصف من خصاله من ذلك أنه وعد نفسه الصبر على الذبح فوفى به وعن ابن عباس أنه وعد صاحبا له أن ينتظره فى مكان فانتظره سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه واعد رجلا ونسى ذلك الرجل فانتظره من الضحى الى قريب من غروب الشمس وسئل الشعبى عن الرجل يعد صاحبه الى أى وقت ينتظره فقال اذا واعدته فى وقت الصلاة فانتظره الى وقت صلاة أخرى وكان يبدأ بأهله فى الأمر بالصلاح والعبادة ليجعلهم قدوة لغيرهم ولان الابتداء بالاحسان الدينى والدنيوى بمن هو أقرب أولى قوا أنفسكم وأهليكم نارا ابدأ بمن تعول ويحسن أن يقال أهله أمته كلهم أقارب أو أباعد من حيث انه يلزمه فى جميعهم ما يلزم المرء فى أهله خاصة من قضاء حقوق النصيحة والشفقة ورعاية مصالحهم الدينية والدنيوية وعلى القولين يندرج فى الصلاة الصلوات المفروضة والمندوبة كصلاة التهجد وغيرها وأما الزكاة فالأقرب أنها الصدقة المفروضة وعن ابن عباس أنها طاعة الله والاخلاص لان فاعلها يزكو بها عند الله وأما ادريس فالأصح أنه اسم عجمى بدليل منع الصرف كعمران اراد آدم ويعقوب وغيرهما وقيل افعيل من الدرس لكثرة دراسته كتاب الله ولعل معناه بالأعجمية قريب من الدراسة فظنه القائل مشتقا منها وفى رفعته أقوال منها أن المكان العلى شرف النبوة والزلفى عند الله وقد أنزل عليه ثلاثون صحيفة وهو أول من خط بالقلم ونظر فى علم النجوم والحساب وأول من خاط الثياب

صار معناه ومعنى من قال كان المتساقط عليها رطبا نخلة واحدا فتبين بذلك صحة ما قلنا وقوله جنيا يعنى مجنيا وانما كان أصله مفعولا فصرف الى فعيل والمجنى المأخوذ طريا وكل ما أخذ من ثمر أو نقل من موضعه بطراوته فقد اجتنى ولذلك قيل فلان يجتنى الكمأة ومنه قول ابن أخت جنيد

هذا جناى وخياره فيه * اذ كل جان يده الى فيه

* القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فكلى واشربى وقرى عينا فاما ترين من البشر أحدا فقولى انى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا﴾ يقول تعالى ذكره فكلى من الرطب الذى يتساقط عليك واشربى من ماء السرى الذى جعله ربك تحتك ولا تخشى جوعا ولا عطشا وقرى عينا بقرة وطيبى نفسا وافرحى بولادتك اياى ولا تحزنى ونصبت العين لانها هى الموصوفة بالقرار وانما معنى الكلام ولتقر عينك بولدك ثم حول الفعل عن العين الى المرأة صاحبة العين فنصبت العين اذ كان الفعل لها فى الاصل على التفسير نظير ما فعل بقوله فان طبن لكم عن شئ منه نفسا وانما هو ان طابت أنفسهن لكم وقوله وضاق بهم ذرعا ومنه قوله يساقط عليك رطبا جنيا انما هو يساقط عليك رطب الجذع فحول الفعل الى الجذع فى قراءة من قرأه بالياء وفى قراءة من قرأه تساقط بالتاء معناه يساقط عليك رطب النخلة ثم حول الفعل الى النخلة * وقد اختلفت القراء فى قراءة قوله وقرى فأما أهل المدينة فقرؤه وقرى بفتح القاف على لغة من قال قررت بالمكان أقر به وقررت عينا أقر قرورا وهى لغة قريش فيما ذكر لى وعليها القراءة وأما أهل نجد فانها تقول قررت به عينا أقر قرارا وقررت بالمكان أقر به فالقراءة على لغتهم وقرى عينا بكسر القاف والقراءة عندنا على لغة قريش بفتح القاف وقوله فاما ترين من البشر أحدا يقول فان رأيت من بنى آدم أحدا يكلمك أو يسائلك عن شئ من أمرك وأمر ولدك وسبب ولادتكه فقولى انى نذرت للرحمن صوما يقول فقولى انى أوجبت على نفسى لله صمتا أن لا أكلم أحدا من بنى آدم اليوم فلن أكلم اليوم انسيا * وبنحو الذى قلنا فى معنى الصوم قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا معتمر بن سليمان عن أبيه قال سمعت أنس بن مالك يقول فى هذه الآية انى نذرت للرحمن صوما صمتا **حدثنى** زكريا بن يحيى بن أبى زائدة قال ثنا حجاج قال أخبرنا ابن جريج قال أخبرنى المغيرة بن عثمان قال سمعت أنس بن مالك يقول انى نذرت للرحمن صوما قال صمتا **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله انى نذرت للرحمن صوما قال يعنى بالصوم الصمت **حدثنى** يعقوب قال ثنا ابن علية عن سليمان التيمى قال سمعت أنسا قرأ انى نذرت للرحمن صوما وصمتا **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة انى نذرت للرحمن صوما أما قوله صوما فانها صامت من الطعام والشراب والكلام **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال

ولبسها وكانوا يلبسون الجلود واسمه أخنوخ من أجداد نوح لانه نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ وأهل التنجيم بعضهم يسمونه هرمس ولهم نوادر فى استخراج طوالع المواليد ينسبونه اليه وقيل ان الله تعالى رفعه الى السماء والى الجنة وهو حى لم يمت * وقال آخرون رفع الى السماء وقبض روحه عن ابن عباس أنه سأل كعبا عن قوله ورفعناه مكانا عليا فقال جاءه خليل من الملائكة فسأله أن يكلم ملك الموت حتى يؤخر قبض روحه فحمله ذلك الملك بين جناحيه فصعد به فلما كان فى السماء (٥٧) الرابعة اذا بملك الموت يقول بعثت لاقبض روح ادريس فى السماء الرابعة وأنا أقول كيف ذلك وهو فى الارض فالتفت ادريس فرأى ملك الموت فقبض روحه هناك * وعن ابن عباس أنه رفع الى السماء السادسة وعن الحسن المراد أنه رفع الى الجنة ولا شئ أعلى منها (أولئك) المذكورون من لدن زكريا الى ادريس هم (الذين أنعم الله عليهم من النبيين) من للبيان لان جميع الانبياء منعم عليهم (من ذرية آدم) هى للتبعيض وكذا فى قوله (وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل) والمراد عن هو من ذرية آدم ادريس لقربه منه وبذرية من حمل مع نوح ابراهيم عليه السلام لانه من ولد سام بن نوح وبذرية ابراهيم اسمعيل وبذرية اسرائيل موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى بن مريم لان مريم من ذريته (وممن هدينا) يحتمل العطف على من الاولى والثانية وفى هذا الترتيب تنبيه على أن هؤلاء الانبياء اجتمع لهم مع كمال الأحساب شرف الأنساب وأن جميع ذلك بواسطة هداية الله وبمزيد اجتبائه واصطفائه ثم ان جعلت الذين خبرا لأولئك كان اذا يتلى كلاما مستأنفا وان جعلته صفة له كان خبرا وقد عرفت فى الوقوف سائر الوجوه من قرأ يتلى بالتذكير لان تأنيث الآيات غير حقيقى والفاصل حاصل والبكى جمع بالى فعول كسجود فى ساجد أبدلت الواو ياء وأدغمت وكسر ما قبلها للمناسبة ومن زعم أنه مصدر فقد سها لانها قرينة سجدا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا قال أبو مسلم أراد بالآيات التى فيها ذكر العذاب وقال غيره اطلاق الآيات والحديث المذكور يدل على العموم لان كل آية اذا فكر فيها المفكر صح أن يسجد عندها ويبكى قلت لعل المراد بآيات الله ما خصهم الله تعالى به من الكتب المنزلة لان القرآن حينئذ لم يكن منزلا

سمعت الضحاك يقول فى قوله نذرت للرحمن صوما قال كان من بنى اسرائيل من اذا اجتهد صام من الكلام كما يصوم من الطعام إلا من ذكر الله فقال ذلك لها الذلك فقالت انى أصوم من الكلام كما أصوم من الطعام إلا من ذكر الله فلما كلموها أشارت اليه فقالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا فأجابهم فقال انى عبد الله آتانى الكتاب حتى بلغ ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذى فيه يمترون * واختلفوا فى السبب الذى من أجله أمرها بالصوم عن كلام البشر فقال بعضهم أمرها بذلك لأنه لم يكن لها حجة عند الناس ظاهرة وذلك أنها جاءت وهى أيم بولد فأمرت بالكف عن الكلام ليكفيها الكلام ولدها ذكر من قال ذلك **حدثنا** هرون بن اسحق الهمدانى قال ثنا مصعب ابن المقدام قال ثنا اسرائيل قال ثنا أبو اسحق عن حارثة قال كنت عند ابن مسعود فجاء رجلان فسلم أحدهما ولم يسلم الآخر فقال ما شأنك فقال أصحابه حلف أن لا يكلم الناس اليوم فقال عبد الله كلم الناس وسلم عليهم فان تلك امرأة علمت أن أحدا لا يصدقها أنها حملت من غير زوج يعنى بذلك مريم عليها السلام **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد لما قال عيسى لمريم لا تحزنى قالت وكيف لا أحزن وأنت معى لا ذات زوج ولا مملوكة أى شئ عذرى عند الناس يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا فقال لها عيسى أنا أكفيك الكلام فاما ترين من البشر أحدا فقولى انى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا قال هذا كله كلام عيسى لأمه **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه فاما ترين من البشر أحدا فقولى انى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا فانى سأكفيك الكلام * وقال آخرون انما كان ذلك آية لمريم وابنها ذكر من قال ذلك **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله انى نذرت للرحمن صوما قال فى بعض الحروف صمتا وذلك أنك لا تلقى امرأة جاهلة تقول نذرت كما نذرت مريم ألا تكلم يوما الى الليل وانما جعل الله تلك آية لمريم ولابنها ولا يحل لأحد أن ينذر صمت يوم الى الليل **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فقرأ انى نذرت للرحمن صوما وكانت تقرأ فى الحرف الاول صمتا وانما كانت آية بعثها الله لمريم وابنها * وقال آخرون بل كانت صائمة فى ذلك اليوم والصائم فى ذلك الزمان كان يصوم عن الطعام والشراب وكلام الناس فأذن لمريم فى قدر هذا الكلام ذلك اليوم وهى صائمة ذكر من قال ذلك **حدثنا** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فاما ترين من البشر أحدا يكلمك فقولى انى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا فكان من صام فى ذلك الزمان لم يتكلم حتى يمسى فقيل لها لا تزيدى على هذا ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيأ فريا ﴿يقول تعالى ذكره فلما قال ذلك عيسى لأمه اطمأنت نفسها وسلمت لأمر الله وحملته حتى أتت به قومها كما **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة

واختلفوا فى السجود فقيل هو الخشوع والخضوع وقيل الصلاة وقيل سجدة التلاوة على حسب ما تعبدنا به ويحتمل أنهم عند الخوف كانوا يتعبدون بالسجود قال الزجاج الانسان فى حال خروره لا يكون ساجدا فالمراد خروا متهيئين للسجود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا القرآن بحزن فانه نزل بحزن وعن ابن عباس اذا قرأتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين أحدكم فليبك قلبه وقالت العلماء يدعو فى سجدة التلاوة بما يليق بها فان قرأ آية تنزيل السجدة قال اللهم اجعلنى من الساجدين لوجهك المسجدين بحمدك وأعوذ بك أن أكون من المستكبرين عن أمرك وان قرأ سجدة سبحان قال اللهم اجعلنى من الباكين اليك الخاشعين لك وان قرأ ما فى هذه السورة قال اجعلنى من عبادك المنعم عليهم المهديين الساجدين لك الباكين عند تلاوة آياتك ولما مدح هؤلاء الانبياء ترغيبا لغيرهم فى سيرتهم وصف أضدادهم لتنفير الناس عن طريقتهم قائلا (فخلف من بعدهم خلف) وهو عقب السوء كما مر فى آخر الأعراف فاضاعة الصلاة فى مقابلة الخمر وسجدوا واتباع الشهوات بازاء البكاء عن ابن عباس هم اليهود تركوا الصلاة المفروضة وشربوا الخمر واستحلوا نكاح الاخت من الاب وعن ابراهيم النخعى ومجاهد أضاعوها بالتأخير وعن على رضى الله عنه فى قوله واتبعوا الشهوات من بنى الشديد وركب المنظور ولبس المشهور وعن قتادة هو فى هذه الأمة (فسوف يلقون غيا) قال جار الله كل شر عند العرب غى وكل خير رشاد وقال الزجاج هو على حذف المضاف أى جزاء غى كقوله يلق أثاما أى مجازاة أثام وقيل غيا عن طريق الجنة وقيل هو واد فى جهنم تستعيذ منه أودية جهنم احتج بعضهم بقوله (الا من تاب وآمن) على أن تارك الصلاة كافر والا لم يحتج الى تجديد الايمان والجواب أنه اذا كان المذكورون هم الكفرة أو اليهود كما روى عن ابن عباس سقط الاستدلال واحتجت الأشاعرة فى أن العمل ليس من الايمان لان العطف دليل التغاير وأجاب الكعبى بأنه عطف الايمان على التوبة مع أنها من الايمان ومنع من أن التوبة من الايمان ولكنها شرطه لانها العزم على الترك والايمان اقرار باللسان وانما حذف الموصوف ههنا وقال فى الفرقان وعمل عملا صالحا لانه أوجز فى ذكر المعاصى فأوجز فى التوبة وأطال هناك فأطال هناك وهذا الاستثناء بحسب الغالب فقد يتوب عن كفره ويؤمن

عن ابن سحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه قال أنساها يعنى مريم كرب البلاء وخوف الناس ما كانت تسمع من الملائكة من البشارة بعيسى حتى اذا كلمها يعنى عيسى وجاءها مصداق ما كان الله وعدها احتملته ثم أقبلت به الى قومها * وقال السدى فى ذلك ما حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال لما ولدته ذهب الشيطان فأخبر بنى اسرائيل أن مريم قد ولدت فأقبلوا يشتدون فدعوها فأتت به قومها تحمله وقوله قالوا يا مريم لقد جئت شيأ فريا يقول تعالى ذكره فلما رأوا مريم ورأوا معها الولد الذى ولدته قالوا لها يا مريم لقد جئت بأمر عجيب وأحدثت حدثا عظيما وكل عامل عملا أجاده وأحسنه فقد فراه كما قال الراجز

قد أطعمتنى دقلا حجريا * قد كنت تفرين به الفريا

* وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تعالى فريا قال عظيما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لقد جئت شيأ فريا قال عظيما حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى لقد جئت شيأ فريا قال عظيما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه قال لما رأوها ورأوه معها قالوا يا مريم لقد جئت شيأ فريا أى الفاحشة غير المقاربة ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ يا أخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا ﴾ اختلف أهل التأويل فى السبب الذى من أجله قيل لها يا أخت هرون ومن كان هرون هذا الذى ذكره الله وأخبر أنهم نسبوا مريم الى أنها أخته فقال بعضهم قيل لها يا أخت هرون نسبة منهم لها الى الصلاح لأن أهل الصلاح فيهم كانوا يسمون هرون وليس بهرون أخى موسى ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله يا أخت هرون قال كان رجلا صالحا فى بنى اسرائيل يسمى هرون فشبهوها به فقالوا يا شبيهة هرون فى الصلاح حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا قال كانت من أهل بيت يعرفون بالصلاح ولا يعرفون بالفساد ومن الناس من يعرفون بالصلاح ويتوالدون به وآخرون يعرفون بالفساد ويتوالدون به وكان هرون مصلحا محببا فى عشيرته وليس بهرون أخى موسى ولكنه هرون آخر قال وذكر لنا أنه شيع جنازته يوم مات أربعون ألفا كلهم يسمون هرون من بنى اسرائيل حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن سعيد بن أبى صدقة عن محمد بن سيرين قال نبئت أن كعبا قال ان قوله يا أخت هرون ليس بهرون أخى موسى قال فقالت له عائشة كذبت قال يا أم المؤمنين ان كان

ولم يدخل بعد وقت الصلاة أو كانت المرأة حائضا ثم مات فهو من أهل النجاة مع أنه لم يعمل صالحا ومعنى (لا يظلمون شيأ) لا ينقصون شيأ من جزاء أعمالهم بل يضاعف لهم تفضلا تنبيها على أن تقدم الكفر لا يضرهم بعد أن يتوبوا ويحتمل أن ينتصب شيأ على المصدر أى شيأ من الظلم ومعنى (جنات عدن) قدم فى سورة التوبة فى قوله ومساكن طيبة فى جنات عدن وصفها الله تعالى بالاقامة والدوام خلاف ما عليه جنان الدنيا ولما كانت الجنة مشتملة على جنات عدن أبدلت منها ويحتمل انتصابها على (٥٩) الاختصاص وكذا انتصاب التى قال جار الله

النبى صلى الله عليه وسلم قاله فهو أعلم وأخبر والا فانى أجد بينهما ستمائة سنة قال فسكتت
حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يا أخت هرون قال اسم واطأ
اسما كما بين هرون وبينهما من الأمم أمم كثيرة حدثنا أبو كريب وابن المثنى وسفيان وابن
وكيع وأبو السائب قالوا ثنا عبد الله بن ادريس الأودى قال سمعت أبى يذكر عن سماك بن
حرب عن علقمة بن وائل عن المغيرة بن شعبة قال بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهل
نجران فقالوا الى ألستم تقرؤن يا أخت هرون قلت بلى وقد علمتم ما كان بين عيسى وموسى فرجعت
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين
قبلهم حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا عمرو عن سماك بن حرب عن
علقمة بن وائل عن المغيرة بن شعبة قال أرسلنى النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض حوائجه الى أهل
نجران فقالوا أليس نبيكم يزعم أن هرون أخو مريم هو أخو موسى فلم أدر ما أرد عليهم حتى رجعت
الى النبى صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك فقال انهم كانوا يسمون باسماء من كان قبلهم * وقال
بعضهم عنى به هرون أخو موسى ونسبت مريم الى أنها أخته لانها من ولده يقال للتميمى يا أخا تميم
وللمضرى يا أخا مضر ذكر من قال ذلك حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن
السدى يا أخت هرون قال كانت من بنى هرون أخى موسى وهو كما تقول يا أخا بنى فلان * وقال
آخرون بل كان ذلك رجلا منهم فاسقا معلن الفسق فنسبوها اليه * قال أبو جعفر والصواب
من القول فى ذلك ما جاء به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى ذكرناه وأنها نسبت الى
رجل من قومها وقوله ما كان أبوك امرأ سوء يقول ما كان أبوك رجل سوء يأتى الفواحش
وما كانت أمك بغيا يقول وما كانت أمك زانية كما حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا
أسباط عن السدى وما كانت أمك بغيا قال زانية وقال وما كانت أمك بغيا ولم يقل بغية لان ذلك
مما يوصف به النساء دون الرجال فجرى مجرى امرأة حائض وطالق وقد كان بعضهم يشبه ذلك بقولهم
ملحفة جديد وامرأة قتيل ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فأشارت اليه قالوا كيف نكلم من
كان فى المهد صبيا﴾ يقول تعالى ذكره فلما قال قومها ذلك لها قالت لهم ما أمرها عيسى بقيله لهم
ثم أشارت لهم الى عيسى أن كلموه كما حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن
السدى قال لما قالوا لها ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا قالت لهم ما أمرها الله به فلما
أرادوها بعد ذلك على الكلام أشارت اليه الى عيسى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا
سعيد عن قتادة قوله فأشارت اليه قال أمرتهم بكلامه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن
اسحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه فأشارت اليه يقول أشارت اليه أن كلموه حدثنا القاسم
قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله فأشارت اليه أن كلموه وقوله قالوا كيف
نكلم من كان فى المهد صبيا يقول تعالى ذكره قال قومها لها كيف نكلم من وجد فى المهد وكان

عدن علم بمعنى العدن وهو الاقامة وهو علم لارض الجنة لكونها مكان اقامة ولولا ذلك لما ساغ الابدال لان النكرة لا تبدل من المعرفة الا موصوفة ولما ساغ وصفها بالتى ومعنى (بالغيب) مع الغيبة أى وعدوها وهى غائبة عنهم غير حاضرة أو هم غائبون عنها لا يشاهدونها أو الباء للسببية أى وعدها عباده بسبب تصديق الغيب والايمان به خلاف حال المنافقين وقوله (انه كان وعده مأتيا) بالاول أنسب وهو مفعول بمعنى فاعل أو على أصله لان ما أتاك فقد أتيته وجوز فى الكشاف أن يكون من قولك أتى اليك احسانا أى كان وعده مفعولا منجزا قوله (الا سلاما) استثناء متصل على التأويل لان اللغو فضول الكلام ومالا طائل تحته كما تقدم فى يمين اللغو فى البقرة وفى المائدة أى ان كان تسليم بعضهم على بعض أو تسليم الملائكة عليهم لغوا فلا يسمعون لغوا الا ذلك كقولهم عتابك السيف أو استثناء منقطع أى لا يسمعون فيها الا قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة ويجوز أن يكون متصلا بتأويل آخر وهو أن معنى السلام الدعاء بالسلامة وأهل دار السلام عن الدعاء بالسلامة أغنياء فكان ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث لولا

ما فيه من فائدة الاكرام وفى الآية تنبيه ظاهر على وجوب اتقاء اللغو حيث نزه الله عنه الدار التى لا تكليف فيها ثم انه سبحانه من عادته ترغيب كل قوم بما أحبوه فى الدنيا فلذلك ذكر أساور من الذهب والفضة ولبس الحرير التى كانت للعجم والارائك التى هى الحجال المضروبة على الاسرة وكانت من عادة أشراف اليمن ولا شئ كان أحب الى العرب من الغداء والعشاء لانها العادة الوسطى المحمودة للمتنعمين منهم فوعدهم بذلك قائلا (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) هذا قول الحسن ولا يكون ثم ليل ولا نهار ولكن على التقدير أى يأكلون على مقدار الغداة الى

العشى وقيل أراد دوام الرزق كما تقول أنا عند فلان صباحا ومساء تريد الدوام ولا تقصد الوقتين المعلومين وقوله (تلك الجنة التى نورث) كقوله
فى الاعراف ونودوا أن تلكموا الجنة أورثتموها وهى استعارة أى تبقى عليهم الجنة كما يبقى على الوارث مال الموروث منه قال القاضى فى الآ
دلالة على أن الجنة يختص بدخولها من كان متقيا غير مرتكب للكبائر وأجيب بمنع الاختصاص وبأنه يصدق على صاحب الكبيرة أنه
اتقى الكفر * سئل ههنا ان قوله تعالى تلك الجنة التى نورث كلام الله وقوله بعده وما نتنزل الا بأمر ربك خطاب

من كلام الله فما وجه العطف بينهما وأجيب بأنه اذا كانت القرينة ظاهرة لم يقبح فظاهر قوله وما نتنزل الا بأمر ربك خطاب جماعة لواحد وانه لا يليق الا بالملائكة الذين ينزلون على الرسول كما روى أن قريشا بعثت خمسة رهط الى يهود المدينة يسألونهم عن صفة محمد صلى الله عليه وسلم وهل يجدونه فى كتابهم فسألوا النصارى فزعموا أنهم لا يعرفونه وقالت اليهود نجده فى كتابنا وهذا زمانه وقد سألنا رحمان اليمامة عن خصال ثلاث فلم يعرف فاسألوه عنهن فان أخبركم بخصلتين منها فاتبعوه فاسألوه عن فتية أصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح فلم يدر كيف يجيب فوعدهم الجواب ولم يقل ان شاء الله فاحتبس الوحى عليه أربعين يوما وقيل خمسة عشر يوما فشق عليه ذلك مشقة شديدة وقال المشركون ودعه ربه وقلاه فنزل جبرائيل عليه السلام فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أبطأت عنى حتى ساءظنى واشتقت اليك قال كنت أشوق ولكنى عبد مأمورا اذا بعثت نزلت واذا حبست احتبست فأنزل الله الآية وأنزل قوله ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا وسورة الضحى ومعنى التنزل على ما يليق بهذا الموضع هو النزول على مهل أى نزولنا فى الاحايين وقتا غب وقت ليس الا بأمر الله عز وجل ثم أكد جبرائيل ما ذكره بقوله (له ما بين أيدينا وما خلفنا) من الجهات والاماكن أو من الأزمنة الماضية والمستقبلة وما بينهما من المكان والزمان الذى نحن فيه فلا نتمالك أن ننتقل من جهة الى جهة أو من زمان الى زمان الا بأمر ربك ومشيئته وقيل له ما سلف من أمر الدنيا وما يستقبل من أمر الآخرة (وما بين ذلك) وهو ما بين النفختين أربعون سنة وقيل ما مضى من أعمارنا وما غبر منها والحال التى نحن فيها أو ما قبل وجودنا وبعد فنائنا وقيل الارض التى بين أيدينا اذا نزلنا والسماء التى وراءنا وما بين

فى قوله من كان فى المهد صبيا معناها التمام لا التى تقتضى الخبر وذلك شبيه المعنى بكان التى فى قوله
هل كنت إلا بشرا رسولا وانما معنى ذلك هل أنا الا بشر رسول وهل وجدت أو بعثت وكقول
زهير بن أبى سلمى (١) أجرت اليه حرة أرحبية * وقد كان لون الليل مثل الارندج
بمعنى وقد صار أو وجد وقيل انه عنى بالمهد فى هذا الموضع حجر أمه ذكر من قال ذلك حدثنا بشر
قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة من كان فى المهد صبيا والمهد الحجر * قال أبو جعفر وقد بينا
معنى المهد فيما مضى بشواهده فأغنى عن اعادته فى هذا الموضع ۞ القول فى تأويل قوله تعالى
﴿قال انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة
مادمت حيا﴾ يقول تعالى ذكره فلما قال قوم مريم لها كيف نكلم من كان فى المهد صبيا وظنوا
أن ذلك منها استهزاء بهم قال عيسى لهم متكلما عن أمه انى عبد الله آتانى الكتاب وكانوا حين
أشارت لهم الى عيسى فيما ذكر عنهم غضبوا كما حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط
عن السدى قال لما أشارت لهم الى عيسى غضبوا وقالوا السخرية بنا حين تأمرنا أن نكلم هذا
الصبى أشد علينا من زناها قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة
عن ابن اسحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا فأجابهم عيسى
عنها فقال لهم انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا الآية حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب
قال قال ابن زيد فى قوله قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا قال لهم انى عبد الله آتانى الكتاب
وجعلنى نبيا فقر أحتى بلغ ولم يجعلنى جبارا شقيا فقالوا ان هذا لأمر عظيم حدثت عن الحسين
قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول كيف نكلم من كان فى
المهد صبيا قال انى عبد الله لم يتكلم عيسى الا عند ذلك حين قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا
وقوله آتانى الكتاب يقول القائل أوآتاه الكتاب والوحى قبل أن يخلق فى بطن أمه فان معنى ذلك
بخلاف ما يظن وانما معناه وقضى يوم قضى أمور خلقه الى أن يؤتينى الكتاب كما حدثنى بشر
ابن آدم قال ثنا الضحاك يعنى ابن مخلد عن سفيان عن سماك عن عكرمة قال آتانى الكتاب قال
قضى أن يؤتينى الكتاب فيما مضى حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو عاصم قال أخبرنا سفيان
عن سماك عن عكرمة فى قوله انى عبد الله آتانى الكتاب قال القضاء حدثنا الحسن قال أخبرنا
عبد الرزاق عن اسرائيل عن سماك عن عكرمة فى قول الله انى عبد الله آتانى الكتاب قال قضى
أن يؤتينى الكتاب وقوله وجعلنى نبيا وقد بينت معنى النبى واختلاف المختلفين فيه والصحيح من
القول فيه عندنا بشواهده فيما مضى بما أغنى عن اعادته وكان مجاهد يقول فى معنى النبى وحده
ما حدثنا به محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا

(١) الذى فى ديوان زهير زجرت عليه قال شارحه أى على الطريق فتأمل كتبه مصححه

السماء والارض وعلى الأقوال فالمراد أنه المحيط بكل شئ لا يخفى عليه خافية ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة فكيف يقدم على فعل الا بأمره وقال أبو مسلم فى وجه النظم ان قوله وما نتنزل من قول أهل الجنة لمن يحضرتهم أى ما ننزل الجنة الا بأمر ربك أما قوله (وما كان ربك نسيا) فعلى القول الاول معناه أنه ما كان امتناع النزول الا لعدم الاذن ولم يكن لترك الله اياكم لقوله ماودعك ربك وما قلى وعلى قول غير أبى مسلم هو تأكيد لاحاطته تعالى بجميع الاشياء وأنه لا يجوز عليه أن يسهو عن شئ ما البتة (٦١) وعلى قول أبى مسلم المراد أنه ليس ناسيا لاعمال

الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال النبى وحده الذى يكلم وينزل عليه الوحى ولا يرسل وقوله وجعلنى مباركا اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك فقال بعضهم معناه وجعلنى نفاعا ذكر من قال ذلك حدثنى سليمن بن عبد الرحمن بن حماد الطلحى قال ثنا العلاء عن عائشة امرأة ليث عن ليث عن مجاهد وجعلنى مباركا قال نفاعا * وقال آخرون كانت بركته الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ذكر من قال ذلك حدثنى سليمن بن عبد الجبار قال ثنا محمد بن يزيد بن خنيس المخزومى قال سمعت وهيب بن الورد مولى بنى مخزوم قال لقى عالم عالما هو فوقه فى العلم فقال له يرحمك الله ما الذى أعلن من على قال الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فانه دين الله الذى بعث به أنبياءه الى عباده وقد اجتمع الفقهاء على قول الله وجعلنى مباركا أينما كنت وقيل مباركته قال الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أينما كان * وقال آخرون معنى ذلك جعلنى معلم الخير ذكر من قال ذلك حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال ثنا سفيان فى قوله وجعلنى مباركا أينما كنت قال معلما للخير حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن ليث عن مجاهد قوله وجعلنى مباركا أينما كنت قال معلما للخير حيثما كنت وقوله وأوصانى بالصلاة والزكاة يقول وقضى أن يوصينى بالصلاة والزكاة يعنى بالمحافظة على حدود الصلاة واقامتها على ما فرضها على وفى الزكاة معنيان أحدهما زكاة الاموال أن يؤديها والآخر تطهير الجسد من دنس الذنوب فيكون معناه وأوصانى بترك الذنوب واجتناب المعاصى وقوله مادمت حيا يقول ما كنت حيا فى الدنيا موجودا وهذا يبين عن أن معنى الزكاة فى هذا الموضع تطهير البدن من الذنوب لأن الذى يوصف به عيسى صلوات الله وسلامه عليه أنه كان لا يدخر شيأ لغد فتجب عليه زكاة المال الا أن تكون الزكاة التى كانت فرضت عليه الصدقة بكل ما فضل عن قوته فيكون ذلك وجها صحيحا ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل عيسى للقوم وجعلنى مباركا وبرا أى جعلنى برا بوالدتى والبر هو البار يقال هو بر بوالده وبار به وبفتح الباء قرأت هذا الحرف قراء الامصار وروى عن أبى نهيك ما حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبد المؤمن عن أبى نهيك أنه قرأ وبرا بوالدتى من قول عيسى عليه السلام قال أبو نهيك أوصانى بالصلاة والزكاة والبر بالوالدين كما أوصانى بذلك فكأن أبا نهيك وجه تأويل الكلام الى قوله وبرا بوالدتى هو من خبر عيسى عن وصية الله اياه به كما أن قوله وأوصانى بالصلاة والزكاة من خبره عن وصية الله اياه بذلك فعلى هذا القول يجب أن يكون نصب البر بمعنى عمل الوصية فيه لان الصلاة والزكاة وان كانتا مخفوضتين فى اللفظ فانهما بمعنى النصب من أجل أنه مفعول بهما وقوله ولم يجعلنى جبارا شقيا يقول ولم يجعلنى مستكبرا على الله فيما أمرنى به ونهانى عنه شقيا ولكن ذللنى لطاعته وجعلنى متواضعا كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر

العاملين فيثيب كلا منهم بحسب عمله فيكون من تمة حكاية قول أهل الجنة أو ابتداء كلام من الله تعالى خطابا لرسوله ويتصل به قوله (رب السموات والارض) أى بل هو ربهما (وما بينهما فاعبده) الفاء للسببية لان كونه رب العالمين سبب موجب لأن يعبد (واصطبر لعبادته) لم يقل على عبادته لانه جعل العبادة بمنزلة القرن فى قولك للمحارب اصطبر لقرنك أى أوجد الاصطبار لاجل مقاومته ثم أكد وجوب عبادته بقوله (هل تعلم له سميا) أى ليس له مثل ونظير حتى لا تخلص العبادة له وان عديم النظير لا بد أن يصبر على مواجب ارادته وتكاليفه خصوصا اذا كانت فائدتها راجعة الى المكلف وقيل أراد أنه لا شريك له فى اسمه وبيانه من وجهين أحدهما أنهم وان كانوا يطلقون لفظ الاله على الوثن الا أنهم لم يطلقوا لفظ الله على من سواه وعن ابن عباس أراد لا يسمى بالرحمن غيره قلت وهذا صحيح ولعله هو السر فى أنه لم يكرر لفظ الرحمن فى سورة تكريره فى هذه السورة وثانيهما هل تعلم من سمى باسمه على الحق دون الباطل لان التسمية على الباطل كلا تسمية ﴿التأويل واذكر فى الكتاب الازلى ابراهيم القلب انه كان صديقا للتصديق ثلاث مراتب

صادق صدق فى أقواله وصادق صدق فى أخلاقه وأحواله وصديق صدق فى قيامه مع الله فى الله بالله وهو الفانى عن نفسه الباقى بربه اذ قال لأبيه الروح الذى يعبد صنم الدنيا بتبعية النفس قد جاءنى من العلم اللدنى ما لم يأتك لماذ كرنا أن القلب محل للفيض الالهى أقبل من الروح كالمرآة فانها تقبل النور لصفائها وينعكس النور عنها لكثافتها وصقالتها وهبنا له اسحق السر ويعقوب الخفى وناديناه من جانب الطور الأيمن أسمعناه وسمى القلب من جانب طور الروح لامن جانب وادى النفس الذى هو على أيسر وكان يأمر أهله أى الجسم والنفس والقلب

والروح بالصلاة له توجه كل منهم توجها يليق بحاله وبالزكاة أى تزكية كل واحد منهم من الاخلاق الذميمة ورفعناه مكانا عليا فى مقعد صدق عند مليك مقتدر خروا بقلوبهم على عتبة العبودية سجدا بالتسليم للاحكام الازلية وبكيا بكاء السمع بذوبان الوجود على نار الشوق والمحبة عباده بالغيب أى بغيبتهم عن الوجود قبل التكوين كقوله ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ولهم رزقهم رؤيته الله على ما جاء فى الحديث وأكرمهم (٦٢) على الله من ينظر الى وجهه غدوا وعشيا وما نتنزل الا بأمر ربك المقدور فى علمه

تنادى أهل العزة من سرادقات العزة أن يا أهل الطبيعة أفيقوا من المتمنيات فانا ما ننزل من عالم الغيب الا بأمر ربك وما كان ربك نسيا ليحتاج الى تذكير متمن بل هو رب سموات الارواح وأرض الاجساد وما بينهما من النفوس والقلوب والاسرار له فاعبده بأركان الشريعة بجسدك وبآداب الطريقة بنفسك وبالاعراض عن الدنيا والاقبال على المولى بقلبك وبالفناء فى الله والبقاء به بروحك وبسرك هل تعلم له نظيرا فى المحبوبية لك والله أعلم بالصواب ﴿ ويقول الانسان أئذا ما مت لسوف أخرج حيا أولا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيأ فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أى الفريقين خير مقاما وأحسن نديا وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا حتى اذا رأوا ما يوعدون اما العذاب واما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا ونرثه ما يقول ويأتينا فردا واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا فلا تعجل عليهم انما نعد لهم عدا يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ

لنا أنه يعنى عيسى كان يقول سلونى فان قلبى لين وانى صغير فى نفسى مما أعطاه الله من التواضع وحدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وبر بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا ذكر لنا أن امرأة رأت ابن مريم يحيى الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص فى آيات سلطه الله عليهن وأذن له فيهن فقالت طوبى للبطن الذى حملك والثدى الذى أرضعت به فقال نبى الله ابن مريم يحيها طوبى لمن تلا كتاب الله واتبع ما فيه ولم يكن جبارا شقيا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا محمد بن كثير عن عبد الله بن واقد أبى رجاء عن بعض أهل العلم قال لا تجد عاقا الا وجدته جبارا شقيا ثم قرأ وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا قال ولا تجد سيئ الملكة الا وجدته مختالا فخورا ثم قرأ وما ملكت أيمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا وقوله والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا يقول والأمنة من الله على من الشيطان وجنده يوم ولدت أن يناله ما ينالون ممن يولد عند الولادة من الطعن فيه ويوم أموت من هول المطلع ويوم أبعث حيا يوم القيامة أن يناله الفزع الذى ينال الناس بمعاينتهم أهوال ذلك اليوم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا قال يخبرهم فى قصة خبره عن نفسه أنه لا أب له وأنه سيموت ثم يبعث حيا يقول الله تبارك وتعالى ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذى فيه يمترون ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذى فيه يمترون ﴾ يقول تعالى ذكره هذا الذى بينت لكم صفته وأخبرتكم خبره من أمر الغلام الذى حملته مريم هو عيسى ابن مريم وهذه الصفة صفته وهذا الخبر خبره وهو قول الحق يعنى أن هذا الخبر الذى قصصته عليكم قول الحق والكلام الذى تلوته عليكم قول الله وخبره لا خبر غيره الذى يقع فيه الوهم والشك والزيادة والنقصان على ما كان يقول الله تعالى ذكره فقولوا فى عيسى أيها الناس هذا القول الذى أخبركم الله به عنه لا ما قالته اليهود الذين زعموا أنه لغير رشدة وأنه كان ساحرا كذابا ولا ما قالته النصارى من أنه كان لله ولدا وان الله لم يتخذ ولدا ولا ينبغى ذلك له * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ذلك عيسى بن مريم قول الحق قال الله الحق حدثنى يحيى بن ابراهيم المسعودى قال ثنى أبى عن أبيه عن جده عن الأعمش عن ابراهيم قال كانوا يقولون فى هذا الحرف فى قراءة عبد الله قال الذى فيه يمترون قال كما قال الله ولو وجه تأويل ذلك الى ذلك عيسى بن مريم القول الحق بمعنى ذلك القول الحق ثم حذفت الالف واللام من القول وأضيف الى الحق كما قيل ان هذا لهو حق اليقين وكما قيل وعد الصدق الذى كانوا يوعدون كان تأويلا صحيحا وقد اختلفت القراء فى قراءة ذلك ففرأته عامة قراء الحجاز والعراق قول الحق برفع القول على ما وصفت من المعنى وجعلوه فى اعرابه تابعا لعيسى كالنعت له وليس الامر فى اعرابه عندى على ما قاله الذين زعموا أنه رفع على النعت لعيسى الا أن يكون معنى القول الكلام

الرحمن عهدا وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيأ ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا
وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا ان كل من في السموات والأرض الا آتي الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا
ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا وكم أهلكنا قبلهم من قرن
هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا ﴿ القراآت أئذا مثل أئنكم في الأنعام (٦٣) يذكر من الذكر ابن عامر ونافع وعاصم وسهل

على ما ذكرنا عن ابراهيم من تأويله ذلك كذلك فيصح حينئذ أن يكون نعتا لعيسى والا فرفعه عندي بمضمر وهو هذا قول الحق على الابتداء وذلك أن الخبر قد تناهى عن قصة عيسى وأمه عند قوله ذلك عيسى بن مريم ثم ابتدأ الخبر بأن الحق فيما فيه تمترى الأمم من أمر عيسى هو هذا القول الذي أخبر الله به عنه عباده دون غيره وقد قرأ ذلك عاصم بن أبي النجود وعبد الله بن عامر بالنصب وكأنهما أرادا بذلك المصدر ذلك عيسى بن مريم قولا حقا ثم أدخلت فيه الألف واللام وأما ما ذكر عن ابن مسعود من قراءته ذلك عيسى بن مريم قال الحق فانه بمعنى قول الحق مثل العاب والعيب والذام والذيم * قال أبو جعفر والصواب من القراءة في ذلك عندنا الرفع لاجماع الحجة من القراء عليه وأما قوله تعالى ذكره الذي فيه يمترون فانه يعني الذي فيه يختصمون ويختلفون من قولهم ماريت فلانا اذا جادلته وخاصمته * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون امترت فيه اليهود والنصارى فأما اليهود فزعموا أنه ساحر كذاب وأما النصارى فزعموا أنه ابن الله وثالث ثلاثة واله وكذبوا كلهم ولكنه عبد الله ورسوله وكلمته وروحه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله الذي فيه يمترون قال اختلفوا فقالت فرقة هو عبد الله ونبيه فآمنوا به وقالت فرقة بل هو الله وقالت فرقة هو ابن الله تبارك وتعالى عما يقولون علوا كبيرا قال فذلك قوله فاختلف الأحزاب من بينهم والتي في الزخرف قال دقيوس ونسطور ومار يعقوب قال أحدهم حين رفع الله عيسى هو الله وقال الآخر ابن الله وقال الآخر كلمة الله وعبده فقال المقتربان ان قولي هو أشبه بقولك وقولك بقولي من قول هذا فهلم فلنقاتلهم فقاتلوهم وأوطؤهم وغلبوهم حتى خرج النبي صلى الله عليه وسلم وهم مسلمة أهل الكتاب حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون قال اجتمع بنو اسرائيل فأخرجوا منهم أربعة نفر أخرج كل قوم عالمهم فامتروا في عيسى حين رفع فقال أحدهم هو الله هبط الى الأرض وأحيا من أحيا وأمات من أمات ثم صعد الى السماء وهم اليعقوبية فقال الثلاثة كذبت ثم قال اثنان منهم للثالث قل أنت فيه قال هو ابن الله وهم النسطورية فقال الاثنان كذبت ثم قال أحد الاثنين للآخر قل فيه قال هو ثالث ثلاثة الله اله وهو واله وأمه اله وهم الاسرائيلية ملوك النصارى قال الرابع كذبت هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته وهم المسلمون فكان لكل رجل منهم أتباع على ما قال فاقتتلوا فظهر على المسلمين وذلك قول الله ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس قال قتادة هم الذين قال الله فاختلف الاحزاب اختلفوا فيه فصاروا أحزابا ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ﴾ يقول تعالى ذكره لقد كفرت الذين قالوا ان عيسى ابن الله وأعظموا الفرية عليه فما ينبغي لله أن يتخذ

ورش والمعدل عن زيد والآخرون بتشديد الذال من التذكر مدغما ثم ننجي من الانجاء علي وروح والمعدل عن زيد الآخرون بالتشديد خبر مقاما بضم الميم ابن كثير الباقون بفتحها ريا بالتشديد أبو جعفر ونافع عن ورش وابن ذكوان والأعشى وحمزة في الوقف وعن حمزة أيضا بالهمز في الوقف ليدل على أصل اللغة الآخرون بهمز بعدها ياء وولدا وما بعده بضم الواو وسكون اللام حمزة وعلي الآخرون بفتحهما يكاد على التذكير نافع وعلي ينفطرن من الانفطار أبو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وخلف وابن عامر والمفضل وأبو بكر وحماد والخزاز عن هبيرة الباقون يتفطرن من التفطر ﴿ الوقوف حيا ○ شيأ ○ جثيا ○ ج للآية وللعطف عتيا ○ ج لذلك صليا ○ واردها ج لانقطاع النظم مع اتصال المعنى مقضيا ○ تقريبا للنجاة من الورود مع أن ثم لترتيب الاخبار جثيا ○ آمنوا لا لأن ما بعدها مفعول قال ندبا ○ ورثيا ○ مدا ○ لأن حتى لانتهاء مدد الضلالة أولا بتداء الرؤية وجواب اذا محذوف وهو آمنوا الساعة ط لابتداء التهديد جندا ○ هدى ○ مردا ○ وولدا ○ ط لابتداء الاستفهام للتقريع عهدا ط ○ للردع كلا ط مدا ○ لا للعطف فردا ○ عزا ○ كلا ط ضدا ○ أزا ○ لا للتعجيل عليهم ط عدا ○ ط وفدا ○ ط وردا ○ لئلا تشتبه الجملة بالوصف لهم عهدا ○ م حذرا من ايهام العطف ولدا ○ ط إدا ○ لا لأن ما بعده صفة هدا ○ لا لأن التقدير لان دعوا ولدا ○ ج لاحتمال ما بعده الحال والاستئناف ولدا ○ ط عبدا ○ ط فردا ○ ودا ○ لدا ○ من قرن ط ركزا ○ ﴿ التفسير لما أمر نبيه صلى الله عليه وسلم وأمته بالتبعية أن يعبدوا الله ويصطبروا على العبادة كان لمنكر أن يعترض بأن هذه

العبادات لامنفعة فيها فى الدنيا لانها مشقة ولا فى الآخرة لاستبعاد حشر الاجساد الى حالها فلا جرم حكى قول المنكر ليجيب عن ذلك فقال (و يقول الانسان) وهو للجنس لان هذا الاستغراب مركوز فى الطباع قبل النظر فى الدليل أولأن هذا القول اذا صدر عن بعض الافراد صح اسناده الى بنى نوعه لانه منهم كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل واحد منهم وقيل المراد بالانسان ههنا شخص معين هو أبو جهل أو أبى ابن خلف وقيل بعض الجنس وهم الكفرة (٦٤) وانتصب اذا بفعل مضمر يدل عليه أخرج المذكور لا نفسه لأن ما بعد لام الابتداء لا يعمل فيما قبله لا تقول اليوم لزيد قائم وانما جاز الجمع بين حرف الاستقبال وبين لام الابتداء المفيدة للحال لان اللام ههنا خلصت لأجل التأكيد كما خلصت الهمزة فى يا الله للتعويض واضمحل عنها معنى التعريف وما فى اذا ما للتوكيد أيضا وكأنهم قالوا مستنكرين أحقا أنا نخرج أحياء حين تمكن فينا الفناء بالموت والمراد بالخروج اما الخروج من الارض أو الخروج من حال الفناء أو التدوير ومن قولهم خرج فلان عالما اذا كان نادرا فى العلم فكأنه قال على سبيل الهزء سأخرج حيا نادرا وانما قدم الظرف وأولى حرف الانكار من قبل أن ما بعد الموت هو وقت كون الحياة منكرة ومنه جاء الانكار كقولك لمن أساء الى محسنه أحين تمت عليك نعمة فلان أسأت اليه ولما كان الانسان لا يصدر عنه هذا الانكار الا اذا لم يتذكر أولم يذكر النشأة الأولى قال سبحانه منبها على ذلك (أولا يذكر) وههنا اضمار تقديره أيقول ذلك ولا يذكر وزعم جار الله أن الواو عطفت لا يذكر على يقول فى قوله ويقول الانسان ووسطت همزة الانكار بين المعطوف عليه وحرف العطف قال العقلاء لو اجتمعت الخلائق على ايراد حجة فى البعث أو جزء من هذه لم يقدروا عليها لان خلق الذات مع الصفات أصعب من تغيير الذات فى أطوار الصفات وهذا معلوم لكل صانع يتكرر عنه عمل لأن الأول لم يستقر بعد فى خزانة خيال والثانى قد ارتسم واستقر وثبت له مثال واحتذاء واذا كان حال من يتفاوت فى قدرته الصعب والسهل كذلك فما الظن بمن لا يتوقف مقدوره الاعلى مجرد تعلق الارادة الأزلية به وفى قوله (ولم يك شيأ) بحث قد مر فى أول السورة منه وحين نبه على النكتة الضرورية أكدها بالاقسام قائلا (فوربك لنحشرنهم) الفاء للاستئناف وهو يفيد الاعراض عن قصة والشروع

ولدا ولا يصلح ذلك له ولا يكون بل كل شئ دونه فخلقه وذلك نظير قول عمرو بن أحمر

فى رأس خلقاء من عنقاء مشرفة * ما ينبغى دونها سهل ولا جبل

وأن من قوله أن يتخذ فى موضع رفع بكان وقوله سبحانه يقول تنزيها لله وتبرئة له أن يكون له ما أضاف اليه الكافرون القائلون عيسى ابن الله وقوله اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون يقول جل ثناؤه انما ابتدأ الله خلق عيسى ابتداء وأنشأه انشاء من غير فحل افتعل أمه ولكنه قال له كن فيكون لانه كذلك يبتدع الاشياء ويخترعها انما يقول اذا قضى خلق شئ أو انشاءه كن فيكون موجودا حادثا لا يعظم عليه خلقه لانه لا يخلقه بمعاناة وكلفة ولا ينشئه بمعالجة وشدة وقوله وان الله ربى وربكم فاعبدوه اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة وأن الله ربى وربكم واختلف أهل العربية فى وجه فتح أن اذا فتحت فقال بعض نحويى الكوفة فتحت ردا على عيسى وعطفا عليه بمعنى ذلك عيسى ابن مريم وذلك أن الله ربى وربكم واذا كان ذلك كذلك كانت أن رفعا وتكون بتأويل خفض كما قال ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم قال ولو فتحت على قوله وأوصانى بأن الله كان وجها وكان بعض البصريين يقول وذكر ذلك أيضا عن أبى عمرو بن العلاء وكان ممن يقرؤه بالفتح انما فتحت أن بتأويل وقضى أن الله ربى وربكم وكانت عامة قراء الكوفيين يقرؤنه وان الله بكسر ان بمعنى النسق على قوله فانما يقول له وذكر عن أبى بن كعب أنه كان يقرؤه فانما يقول له كن فيكون ان الله ربى وربكم بغير واو * قال أبو جعفر والقراءة التى نختار فى ذلك الكسر على الابتداء واذا قرئ كذلك لم يكن لها موضع وقد يجوز أن يكون عطفا على ان التى مع قوله قال انى عبد الله آتانى الكتاب وان الله ربى وربكم ولو قال قائل ممن قرأ ذلك نصبا نصب على العطف على الكتاب بمعنى آتانى الكتاب وآتانى أن الله ربى وربكم كان وجها حسنا ومعنى الكلام وانى وأنتم أيها القوم جميعا الله عبيد فاياه فاعبدوا دون غيره * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه قال عهد اليهم حين أخبرهم عن نفسه ومولده وموته وبعثه أن الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم أى انى وايا كم عبيد الله فاعبدوه ولا تعبدوا غيره وقوله هذا صراط مستقيم يقول هذا الذى أوصيتكم به وأخبرتكم أن الله أمرنى به هو الطريق المستقيم الذى من سلكه نجا ومن ركبه اهتدى لانه دين الله الذى أمر به أنبياءه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم﴾ يقول تعالى ذكره فاختلف المختلفون فى عيسى فصاروا أحزابا متفرقين من بين قومه كما **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنى الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله فاختلف الاحزاب من بينهم قال أهل الكتاب **حدثنا**

فى أخرى عقيبها والواو للقسم وشرف المقسم به دليل كمال العناية بالمقسم عليه واضافة القسم الى المخاطب وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم باجماع المفسرين تفخيم لشأنه ورفع من مقداره والواو فى (والشياطين) اما للعطف واما بمعنى مع بناء على أن كل كافر مقرون مع شيطانه فى سلسلة واذا حشر جميع الناس حشرا واحدا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا مع الشياطين بل الكفرة وان كان الضمير عائدا الى منكرى البعث فقط فلا اشكال وكذا فى قوله (لنحضرنهم حول جهنم جثيا) (٦٥) أى جثيا على الركب غير مشاة على أقدامهم لما يدهشهم من شدة الامر التى لا يطيقون معها القيام على الأرجل أو على العادة المعهودة فى مواقف مطالبات المولى ومقاولاتهم (ثم لننزعن) لنميزن (من كل شيعة) طائفة شاعت أى تبعت غاويا من الغواة وقد سبق تفسيره فى الانعام (أيهم أشد) قرئ بالنصب وهو ظاهر وأما المقتصرون على الضم فذهب سيبويه الى أنها مبنية كيلا يلزم خلاف القياس من وجهين أحدهما اعراب أى مع أن من حق الموصول أن يبنى والآخر حذف المبتدا مع أن الاصل فيه أن يكون مذكورا والتقدير أيهم هو أشد وذهب الخليل الى أنها معربة ولكنها لم تنصب على أن تكون مفعول لننزعن بل رفعت بتقدير الحكاية أى من كل شيعة مقول فيهم أيهم أشد فيكون من كل شيعة مفعول لننزعن كقولك أكلت من كل طعام أى بعض من كل ويجوز أن يقدر لننزعن الذين يقال فيهم أيهم أشد قال سيبويه لو جاز اضرب أيهم أفضل على الحكاية لجاز اضرب الفاسق الخبيث أى الذى يقال له الفاسق الخبيث وهذا باب قلما يصار اليه فى سعة الكلام ومذهب يونس فى مثله أن الفعل الذى قبل أى معلق عن العمل ويجيز التعليق فى غير أفعال القلوب ثم ان علقت قوله

القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فاختلف الاحزاب من بينهم ذكر لنا أنه لما رفع ابن مريم اتخذت بنو اسرائيل أربعة من فقهائهم فقالوا للأول ما تقول فى عيسى قال هو الله هبط الى الارض فخلق ما خلق وأحيا ما أحيا ثم صعد الى السماء فتابعه على ذلك ناس من الناس فكانت اليعقوبية من النصارى وقال الثلاثة الآخرون نشهد أنك كاذب فقالوا للثانى ما تقول فى عيسى قال هو ابن الله فتابعه على ذلك ناس من الناس فكانت النسطورية من النصارى وقال الاثنان الآخران نشهد أنك كاذب فقالوا للثالث ما تقول فى عيسى قال هو الله وأمه الله والله الله فتابعه على ذلك ناس من الناس فكانت الاسرائيلية من النصارى فقال الرابع أشهد أنك كاذب ولكنه عبد الله ورسوله هو كلمة الله وروحه فاختصم القوم فقال المرء المسلم أنشدكم الله ما تعلمون أن عيسى كان يطعم الطعام وأن الله تبارك وتعالى لا يطعم الطعام قالوا اللهم نعم قال هل تعلمون أن عيسى كان ينام قالوا اللهم نعم قال فخصمهم المسلم قال فاقتتل القوم قال فذكر لنا أن اليعقوبية ظهرت يومئذ وأصيب المسلمون فأنزل الله فى ذلك القرآن ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم **حدثنا** الحسن قال أخبرنا اسحق قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فاختلف الأحزاب من بينهم اختلفوا فيه فصاروا أحزابا وقوله فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم يقول فوادى جهنم الذى يدعى ويلا للذين كفروا بالله من الزاعمين أن عيسى لله ولد وغيرهم من أهل الكفر به من شهودهم يوما عظيما شأنه وذلك يوم القيامة وكان قتادة يقول فى تأويل ذلك ما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال الله فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم شهدوا هولا اذا عظيما ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم فى ضلال مبين﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن حال الكافرين به الجاعلين له أندادا والزاعمين أن له ولدا يوم ورودهم عليه فى الآخرة لئن كانوا فى الدنيا عميا عن ابصار الحق والنظر الى حجج الله التى تدل على وحدانيته صما عن سماع آى كتابه ومادعتهم اليه رسل الله فيها من الاقرار بتوحيده وما بعث به أنبياءه فما أسمعهم يوم قدومهم على ربهم فى الآخرة وأبصرهم يومئذ حين لا ينفعهم الابصار والسماع * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أسمع بهم وأبصر ذلك والله يوم القيامة سمعوا حين لا ينفعهم السمع وأبصروا حين لا ينفعهم البصر **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله أسمع بهم وأبصر قال أسمع قوم وأبصرهم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قال أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا يوم القيامة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى جعفر عن الربيع

(على الرحمن) بأشد كقولهم هو أشد على خصمه فظاهر وان علقته بالمصدر فذلك لا سبيل اليه عند النحويين لان المصدر لا يعمل فيما قبله فالوجه أن يقال انه بيان للمحذوف فكأنه سئل ان عتوه على من فقيل على الرحمن وكذا الكلام فى أولى بها صليا تعلق المجرور بأفعل من غير تأويل أو بصليا على التأويل صلى فلان النار يصلى صليا اذا احترق أخبر أولا أنه يميز من كل فرقة ضالة من هو أضل ثم بين بقوله (ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا) أنه يطرحهم أى أهل الضلال البعيد فى النار على

الترتيب يقدم أولاهم بالعذاب فأولاهم ولا ريب أن الضال المضل يكون أولى بالتقدم من الضال وكذا الكافر المعاند بالنسبة الى المقلدين كانوا جميعا مشتركين فى شدة العتو ويجوز أن يراد بالذين هم أولى المنتزعين كأنه قال ثم لنحن أعلم بتصلية هؤلاء وأنهم أولى بالصلى لكن دركاتهم أسفل (وان منكم) الخطاب للناس من غير التفات أو للانسان المذكور فيكون التفاتا وعلى التقديرين فان أريد الجنس كان لكن فى قوله (ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها (٦٦) جثيا) اشكال ولكنه يشكل بأن المؤمنين كيف يردون النار وأجيب بما روى عن جابر بن عبد الله أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال اذا دخل أهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض أليس وعدنا ربنا أن نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهى خامدة وعنه أيضا رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم حتى ان للناس ضجيجا من بردها وأما قوله أولئك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها وعن ابن عباس يردونها كأنها اهالة ومنهم من لم يفسر الورود ههنا بالدخول لان ابن عباس قال قد يرد الشئ الشئ ولم يدخله كقوله تعالى ولما ورد ماء مدين ومعلوم أن موسى لم يدخل الماء ولكنه قرب منه ويقال وردت القافلة البلد اذا قربت منه فالمراد بالورود جثوهم حولها وعن ابن مسعود والحسن وقتادة هو الجواز على الصراط لأن الصراط ممدود عليها وعن مجاهد هو مس الحمى جسده فى الدنيا قال عليه السلام الحمى من فيح جهنم وفى رواية الحمى حظ كل مؤمن من النار وان أريد بالناس أو بالانسان الكفرة فلا اشكال فى ورودهم النار ولكنه لا يطابقه قوله ثم ننجى الذين اتقوا ووجه بأنه أراد أن المتقين يساقون الى الجنة عقيب ورود الكفار لا أنهم يوردونها ثم يتخلصون * أسئلة كيف يندفع عنهم ضرر النار عند من فسر

ابن أنس عن أبى العالية قال أسمع بحديثهم اليوم وأبصر كيف يصنع بهم يوم يأتوننا **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا قال هذا يوم القيامة فأما الدنيا فلا كانت على أبصارهم غشاوة وفى آذانهم وقر فى الدنيا فلما كان يوم القيامة أبصروا وسمعوا فلم ينتفعوا وقر أر بنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون وقوله لكن الظالمون اليوم فى ضلال مبين يقول تعالى ذكره لكن الكافرون الذين أضافوا اليه ما ليس من صفته وافتروا عليه الكذب اليوم فى الدنيا فى ضلال مبين يقول فى ذهاب عن سبيل الحق وأخذ على غير استقامة مبين أنه جائر عن طريق الرشد والهدى لمن تأمله وفكر فيه فهدى لرشده ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضى الأمر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأنذر يا محمد هؤلاء المشركين بالله يوم حسرتهم وندمهم على ما فرطوا فى جنب الله وأورثت مساكنهم من الجنة أهل الايمان بالله والطاعة له وادخلوا هم مساكن أهل الايمان بالله من النار وأيقن الفريقان بالخلود الدائم والحياة التى لا موت بعدها فبالها حسرة وندامة * وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ثنا سفيان عن سلمة بن كهيل قال ثنا أبو الزعراء عن عبد الله فى قصة ذكرها قال ما من نفس الا وهى تنظر الى بيت فى الجنة وبيت فى النار وهو يوم الحسرة فيرى أهل النار البيت الذى كان قد أعده الله لهم لو آمنوا فيقال لهم لو آمنتم وعملتم صالحا كان لكم هذا الذى ترونه فى الجنة فتأخذهم الحسرة ويرى أهل الجنة البيت الذى فى النار فيقال لولا أن من الله عليكم **حدثنا** أبو السائب قال ثنا معاوية عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء بالموت يوم القيامة فيوقف بين الجنة والنار كأنه كبش أملح قال فيقال يا أهل الجنة هل تعرفون هذا فيشرئبون وينظرون فيقولون نعم هذا الموت فيقال يا أهل النار هل تعرفون هذا فيشرئبون وينظرون فيقولون نعم هذا الموت ثم يؤمر به فيذبح قال فيقول يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت قال ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضى الأمر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون وأشار بيده فى الدنيا **حدثنى** عبيد بن أسباط بن محمد قال ثنا أبى عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى هذه الآية وأنذرهم يوم الحسرة قال ينادى يا أهل الجنة فيشرئبون فينظرون ثم ينادى يا أهل النار فيشرئبون فينظرون فيقال هل تعرفون الموت قال فيقولون لا قال فيجاء بالموت فى صورة كبش أملح فيقال هذا الموت ثم يؤخذ فيذبح قال ثم ينادى يا أهل النار خلود فلا موت ويا أهل الجنة خلود فلا موت قال ثم قرأ وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضى الأمر **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس فى قوله وأنذرهم يوم الحسرة قال يصور الله الموت فى صورة كبش أملح فيذبح

قال

الورود بالدخول زعم بعضهم أن البقعة المسماة بجهنم لا يمتنع أن يكون فى خلالها مواضع خالية عن النار أشباه الطرق الى دركات جهنم والمؤمنون يردون تلك المواضع والأصح أنه سبحانه يزيل عنها طبيعة الاحراق بالنسبة الى المؤمنين وهو على كل شئ قدير ولهذا لا تضر النار الملائكة الموكلين بالعذاب * ما الفائدة فى ايراد المؤمنين النار اذا لم يعذبوا بها فيه وجوه منها أن يزدادوا سرورا اذا رأوا الخلاص منها ومنها

افتضاح الكافرين اذا اطلع المؤمنون عليهم ومنها أن المؤمنين يوبخون الكفار ويسخرون منهم كما سخروا فى الدنيا ومنها أن يزيد التذاذهم بالجنة فبضدها تتبين الاشياء * هل ثبت فى الاخبار كيفية دخول النار ثم خروج المتقين منها قد ثبت أن المحاسبة تكون فى الارض أو فى موضعها القوله يوم تبدل الارض غير الارض وجهنم قريبة من الارض والجنة فى السماء فالاجتماع يكون فى موضع الحساب ثم يدخلون من ذلك الموضع الى جهنم ثم يرفع الله أهل الجنة ويبقى أهل النار فيها قلت هذا على رأى (٦٧) الفلاسفة الاسلاميين ظاهر فالمحاسبة تكون فى الارض ومرور الكل يكون على كرة النار ثم يرفع أهل الكمال الى السماء ويبقى الكفرة فى النار ويؤيده قوله (كان) أى الورود (على ربك حتما) أى محتوما مصدر بمعنى المفعول (مقضيا) قضى به وعزم أن لا يكون غيره وذلك أن العبور من جميع الجوانب على كرة النار وأجمعت المعتزلة بذلك على أن العقاب واجب على الله عقلا وقال الاشاعرة شبه بالواجب من قبل استحالة تطرق الخلف اليه وقد سبق أن المتقى عند المعتزلة من يجتنب المعاصى كلها وعند غيرهم هو الذى اجتنب الشرك فقط وقد يهدم بالآية قاعدة القائل بمنزلة بين المنزلتين وأجيب أن تنجية المتقين أعم من أن تكون الى الجنة أو الى غيرها وهب أن تنجيتهم الى الجنة الا أن الذى طاعته ومعصيته سيان غير داخل فى المتقين ولا فى الظالمين فيبقى حكمه مسكوتا عنه ومن المعتزلة من تمسك بالوعيد بقوله (ونذر الظالمين) ومنع أن الصيغة للعموم ولو سلم فمخصص بآيات الوعد لما رد على منكرى البعث وقرر كيفية الحشر قال (واذا تتلى عليهم آياتنا) الآية والمراد أنهم عارضوا حجة الله بكلام أعوج فقالوا لو كنتم على الحق وكنا على الباطل لكان حالكم فى الدنيا أطيب من حالنا ولم يكن بالعكس لان الحكيم لا يليق به أن يهين أولياءه ويعز أعداءه يروى أنهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنون ويتطيبون ويتزينون ثم يدعون مفتخرين على فقراء المسلمين أنهم أكرم على الله عز وجل منهم قال جار الله معنى بينات مرتلات الالفاظ ملخصات المعانى مبينات المقاصد اما محكمات أو متشابهات قد تبعها البيان بالمحكمات أو تبيين الرسول قولا أو فعلا أو ظاهرات الاعجاز تحدى بها فلم يقدر على معارضتها أو حججا وبراهين وعلى التقادير تكون حالا مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا لان آيات الله لا تكون الا بهذه الاوصاف ومعنى (للذين آمنوا) أنهم

قال فيأس أهل النار من الموت فلا يرجونه فتأخذهم الحسرة من أجل الخلود فى النار وفيها أيضا الفزع الأكبر ويأمن أهل الجنة الموت فلا يخشونه وأمنوا الموت وهو الفزع الأكبر لانهم يخلدون فى الجنة قال ابن جريج يحشر أهل النار حين يذبح الموت والفريقان ينظرون فذلك قوله اذ قضى الأمر قال ذبح الموت وهم فى غفلة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن أبيه أنه أخبره أنه سمع عبيد بن عمير فى قصصه يقول يؤتى بالموت كأنه دابة فيذبح والناس ينظرون حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وأنذرهم يوم الحسرة قال يوم القيامة وقرأ أن تقول نفس ياحسرتا على ما فرطت فى جنب الله حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وأنذرهم يوم الحسرة من اسماء يوم القيامة عظمه الله وحذره عباده وقوله اذ قضى الأمر يقول اذ فرغ من الحكم لأهل النار بالخلود فيها ولأهل الجنة بمقام الأبد فيها يذبح الموت وقوله وهم فى غفلة يقول وهؤلاء المشركون فى غفلة عما الله فاعل بهم يوم يأتونه خارجين اليه من قبورهم من تخليده اياهم فى جهنم وتوريثه مساكنهم من الجنة غيرهم وهم لا يؤمنون يقول تعالى ذكره وهم لا يصدقون بالقيامة والبعث ومجازاة الله اياهم على سيئ أعمالهم بما أخبر أنه مجازيهم به ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿انا نحن نرث الارض ومن عليها واينا يرجعون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لا يحزنك تكذيب هؤلاء المشركين لك يا محمد فيما أتيتهم به من الحق فان الينا مرجعهم ومصيرهم ومصير جميع الخلق غيرهم ونحن وارثو الارض ومن عليها من الناس بفنائهم منها وبقائها لا مالك لها غيرنا ثم علينا جزاء كل عامل منهم بعمله عند مرجعه الينا المحسن منهم باحسانه والمسىء باساءته ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واذكر فى الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا اذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيأ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه واذكر يا محمد فى كتاب الله ابراهيم خليل الرحمن فاقصص على هؤلاء المشركين قصصه وقصص أبيه انه كان صديقا يقول كان من أهل الصدق فى حديثه وأخباره ومواعيده لا يكذب والصديق هو الفعيل من الصدق وقد بينا ذلك فيما مضى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع نبيا يقول كان الله قد نبأه وأوحى اليه وقوله اذ قال لأبيه يقول اذكره حين قال لابيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع يقول ما تصنع بعبادة الوثن الذى لا يسمع ولا يبصر شيأ ولا يغنى عنك شيأ يقول ولا يدفع عنك ضرشئ انما هو صورة مصورة لا تضر ولا تنفع يقول ما تصنع بعبادة ما هذه صفته اعبد الذى اذا دعوته سمع دعاءك واذا أحيط بك أبصرك فنصرك واذا نزل بك ضر دفع عنك * واختلف أهل العربية فى وجه دخول الهاء فى قوله يا أبت فكان بعض نحويى أهل البصرة يقول اذا وقفت عليها قلت يا أبه وهى هاء زيدت نحو قولك يا أمه ثم يقال يا أم اذا وصل ولكنه لما كان الأب على حرفين كان كأنه قد أخل به فصارت الهاء لازمة وصارت الياء كأنها بعدها فلذلك قالوا يا أبة أقبل وجعل التاء للتأنيث ويجوز الترخيم

يخاطبونهم بذلك أو يفوهون به لأجلهم وفى شأنهم والمقام بالضم موضع الاقامة أى المنزل وبالفتح موضع القيام والندى المجلس ونحن القوم حيث يتندون وقوله (أى الفريقين) يعنى المؤمنين بالآيات والجاحدين لها من الكلام المنصف على زعمهم والمقصود نحن أو أنتم على ما يظهر منا فى أحوال قيامنا وقعودنا وحسن الحال فى الدنيا دليل ظاهر على الفضل والرفعة وضده أمارة على النقص والضعة فأجابهم الله تعالى بقوله (وكم أهلكنا) أى كثيرا من المرات (٦٨) أهلكنا قبلهم أهل عصر فمن بيان المهلك ويجوز أن تكون زائدة للتأكيد

استفهامية لتقرير التكثير أو خبرية عند من يجوز زيادتها فى الموجب و (هم أحسن) فى محل النصب صفة لكم أو الجر صفة قرن والاثاث متاع البيت وقدم فى النحل فى قوله أثاثا ومتاعا الى حين قال الجوهرى من همز رئيا جعله من رأيت وهو ما رأته العين من حال حسنة وكسوة ظاهرة ومن لم يهمزه فاما أن يكون على تخفيف الهمز أى قلب الهمزة ياء وأدغم أو يكون من رويت ألوانهم وجلودهم رياأى امتلأت وحسنت وقال جار الله الرى هو المنظر والهيئة فعل بمعنى مفعول وقرئ بهمز قبله ياء على القلب كقولهم راء فى رأى وقرئ بالزاى المنقوطة واشتقاقه من الزى بالفتح وهو الجمع لان الزى محاسن مجموعة وفى الآية حذف والتقدير أحسن من هؤلاء والحاصل أنه تعالى أهلك من كان أكثر مالا وجمالا منهم وذلك دليل على فساد احدى مقدمتيهم وهى أن كل من وجد الدنيا كان حبيب الله أو على فساد المقدمة الاخرى وهى أن كل من كان حبيبا لله فانه لا يوصل اليه غما ثم بين أن مآل الضال الى الخزى والنكال وان طالت مدته وكثرت عدته وقوله (فليمدد له الرحمن) خبر مخرج على لفظ الأمر ايذانا بوجوب الامهال وأنه مفعول لامحالة لتنقطع معاذير الضال ويقال له يوم القيامة أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وليزدادوا اثما كقوله

عبيد

انما نملى لهم ليزدادوا اثما أو هو فى معنى الدعاء بأن يمهله الله عز وجل وينفس فى مدة حياته والغاية أحد الأمرين المذكورين أى انقطاع العذر أو ازدياد الاثم أما قوله (حتى اذا رأوا) الى آخره فقد قال فى الكشاف انه يحتمل أن يكون متصلا بقوله أى الفريقين الى آخره وما بينهما اعتراض قالوا أى الفريقين خبر مقاما وأحسن ندياحتى اذا رأوا ما يوعدون والمعنى لا يزالون يتفوهون بهذا القول مولعين به الى أن يشاهدوا

من يا أب أقبل لانه يجوز أن تدعوما تضيفه الى نفسك فى المعنى مضموما نحو قول العرب يا رب اغفر لى وتقف فى القرآن يا أبه فى الكتاب وقد يقف بعض العرب على الهاء بالتاء وقال بعض نحويى الكوفة الهاء مع أبة وأمة هاء وقف كثرت فى كلامهم حتى صارت كهاء التأنيث وأدخلوا عليها الاضافة فمن طلب الاضافة فهى بالتاء لا غير لانك تطلب بعدها الياء ولا تكون الهاء حينئذ الا تاء كقولك يا أبت لا غير ومن قال يا أبه فهو الذى يقف بالهاء لانه لا يطلب بعدها ياء ومن قال يا أبتا فانه يقف عليها بالتاء ويجوز بالهاء فأما بالتاء فلطلب ألف الندبة فصارت الهاء تاء لذلك والوقف بالهاء بعيد الافيمن قال يا أمية ناصب فجعل هذه الفتحة من فتحة الترخيم وكأن هذا طرف الاسم قال وهذا بعيد ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يا أبت انى قد جاءنى من العلم مالم يأتك فاتبعنى أهدك صراطا سويا﴾ يقول تعالى ذكره قال ابراهيم لأبيه يا أبت انى قد آتانى الله من العلم مالم يؤته فاتبعنى يقول فاقبل منى نصيحتى أهدك صراطا سويا يقول أبصرك هدى الطريق المستوى الذى لا تضل فيه ان لزمته وهو دين الله الذى لا اعوجاج فيه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يا أبت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا﴾ يقول تعالى ذكره يا أبت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان لله عاصيا والعصى هو ذو العصيان كما العليم ذو العلم وقد قال نوه من أهل العربية العصى هو العاصى والعليم هو العالم والعريف هو العارف واستشهدوا لقولهم ذلك بقول طريف بن تميم العنبرى

أو كلما وردت عكاظ قبيلة * بعثوا الى عريفهم يتوسم

وقالوا قال عريفهم وهو يريد عارفهم والله أعلم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يا أبت انى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا﴾ يقول يا أبت انى أعلم أنك ان مت على عبادة الشيطان أنه يمسك عذاب من عذاب الله فتكون للشيطان وليا يقول تكون له وليا دون الله وبترا الله منك فتهلك والخوف فى هذا الموضع بمعنى العلم كما الخشية بمعنى العلم فى قوله نخشى أن يرهقها طغيانا وكفرا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال أراغب أنت عن آلهتى يا ابراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرنى مليا﴾ يقول تعالى ذكره قال أبو ابراهيم لابراهيم حين دعاه ابراهيم الى عبادة الله وترك عبادة الشيطان والبراءة من الأوثان والأصنام أراغب أنت يا ابراهيم عن عبادة آلهتى لئن أنت لم تنته عن ذكرها بسوء لأرجمنك يقول لأرجمنك بالكلام وذلك السب والقول القبيح * وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال أراغب أنت عن آلهتى يا ابراهيم لئن لم تنته لأرجمنك بالشتيمة والقول حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج فى قوله لئن لم تنته لأرجمنك قال بالقول لأشتمنك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا

الموعود رأى عين (اما العذاب) فى الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم بالقتل والاسر وتغير أحوالهم من العز الى الذل ومن الغنى الى الفقر واما يوم القيامة ويحتمل أن تتصل بما يليها والمراد أنهم لا ينفكون عن ضلالتهم وسوء مقالتهم الى أن يعاينوا عذاب الدنيا أو الساعة ومقدماتها وقوله (فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا) فى مقابلة قولهم خير مقاما وأحسن نديا لان مقامهم هو مكانهم والندى المجلس الجامع لوجوه قومهم وأعوانهم والجند الاعوان ولا ريب أن مكان القتل والاسر شر مكان فى الدنيا ومكان عذاب النار شر مكان فى الآخرة ولا شك أيضا أنه لو كان لهم فى الوقتين ناصر قوى لم يلحقهم من الخزى والنكال ما لحقهم وحين بين حال أهل الضلال أراد أن يبين حال أهل الكمال فقال (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى) وذلك أن بعض الاهتداء يجر الى البعض الآخر كالايمان يجر الى الاخلاص فيه كما أن بعض الغواية يجر الى بعضها ومنهم من فسر الزيادة بالعبادات المرتبة على الايمان والوا وفى ويزيد للاستئناف وقد تكلف جار الله فقال انه للعطف على معنى فليمدد أى يزيد فى ضلال الضال بخذلانه ويزيد المهتدين هداية بتوفيقه وقد مر فى سورة الكهف أن الباقيات الصالحات فسرها الاكثرون بجميع الاعمال الصالحات المؤدية الى السعادات الباقيات وفسرها بعضهم بما هى أعظم ثوابا منها كالصلوات الخمس وغيرها وقوله (خير) يقتضى غيرا يكون مشاركا له فى أصل الخيرية ويكون هذا خيرا منه فان قدرنا ذلك شيأ فيه خيرية كبعض الاعمال الدنيوية المباحة أو كسائر الأعمال الصالحة عند من يفسر الباقيات بمعنى الأخص فظاهر أنها خير (ثوابا وخير مردا) أى مرجعا وعاقبة أو منفعة من قولهم هل لهذا الأمر مردود ان قدرنا ذلك شيأ لا ثواب فيه ولا خيرية كما زعم

عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله لأرجمنك يعنى رجم القول وأما قوله واهجرنى مليا فان أهل التأويل اختلفوا فى تأويله فقال بعضهم معنى ذلك واهجرنى حينا طويلا ودهرا ووجهوا معنى المليّ الى الملاوة من الزمان وهو الطويل منه ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا أبو داود قال ثنا محمد بن أبى الوضاح عن عبد الكريم عن مجاهد فى قوله واهجرنى مليا قال دهرا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله مليا قال حينا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن واهجرنى مليا قال طويلا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن فى قوله واهجرنى مليا قال زمانا طويلا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق واهجرنى مليا يقول دهرا والدهر المليّ حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا اسرائيل عن أبى حصين عن سعيد بن جبير واهجرنى مليا قال دهرا حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى واهجرنى مليا قال أبدا * وقال آخرون بل معنى ذلك واهجرنى سويا سالما من عقوبتى اياك ووجهوا معنى المليّ الى قول الناس فلان ملىّ بهذا الامر اذا كان مضطلعا به غنيا فيه وكأن معنى الكلام كان عندهم واهجرنى وعرضك وافرا من عقوبتى وجسيما معافى من أذاى ذكر من قال ذلك حدثنى على بن داود قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس واهجرنى مليا يقول اجتنبنى سويا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله واهجرنى مليا قال اجتنبنى سالما قبل أن يصيبك منى عقوبة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واهجرنى مليا قال سالما حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى بن كثير بن درهم أبو غسان قال ثنا فرقد بن خالد عن عطية الجدلى واهجرنى مليا قال سالما حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله واهجرنى مليا اجتنبنى سالما لا يصيبك منى معرة * قال أبو جعفر وأولى القولين بتأويل الآية عندى قول من قال معنى ذلك واهجرنى سويا سليما من عقوبتى لانه عقيب قوله لئن لم تنته لأرجمنك وذلك وعيد منه له ان لم ينته عن ذكر آلهته بالسوء أن يرجمه بالقول السيئ والذى هو أولى بأن يتبع ذلك التقدم اليه بالانتهاء عنه قبل أن تناله العقوبة فأما الامر بطول هجره فلا وجه له ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قال سلام عليك سأستغفر لك ربى انه كان بى حفيا وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربى عسى أن لا أكون

بدعاء الله أن المراد هى خيرثوابا من مفاخرات الكفار فيكون اطلاق الثواب على عقاب الكفار من قبيل التهكم ومن باب قولهم * تحية بينهم ضرب وجيع * ويكون وجه التفضيل فى الخير ما قيل فى قولهم الصيف أحر من الشتاء أى هو أبلغ فى حره من الشتاء فى برده ثم أردف مقالتهم الخفاء بأخرى مثلها قائلا على سبيل التعجب (أفرأيت) كأنه قال أخبر أيضا بقصة هذا الكافر واذكر حديثه عقيب حديث أولئك وانما استعملوا أرأيت بمعنى أخبر لأن رؤية الشئ من أسباب صحة الخبر عنه عن الحسن نزلت فى الوليد بن المغيرة والمشهور أنها فى العاص بن وائل

قال خباب بن الأرت كان لى عليه دين فاقتضيته وقيل صاغ له حليا فاقتضاه الاجر فقال انكم تزعمون انكم تبعثون وان فى الجنة ذهبا وفضة وحريرا فأنا أقضيك ثم فانى أوتى مالا وولدا حينئذ من قرأ ولدا بفتحتين فظاهر ومن قرأ بالضم فالسكون فاما جمع ولد كاسد فى أسد أو بمعنى الولد كالعرب والعرب فأنكر الله سبحانه عليه بقوله مستفهما (أطلع الغيب) من قولهم اطلع الجبل أى ارتقى الى أعلاه ولاختيار هذه الكلمة قيل كأنه قال أوقد بلغ من عظمة شأنه أن ارتقى الى عالم الغيب الذى تفرد به علام الغيوب (أم اتخذ عند الرحمن عهدا) عن الكلبى عن عهد الله اليه أن يؤتيه ذلك وعن قتادة هل له عمل صالح قدمه فهو يرجو بذلك ما يقول وقيل العهد كلمة الشهادة (كلا) ردع وتنبيه على الخطا فيما تصوره لنفسه وتمناه وفى قوله (سنكتب) بسين التسويف مع أن الحفظة يكتبون ما قاله فى الحال دليل على أن السين جردهنا لمعنى الوعيد أو أراد سيظهر له نبأ الكتابة بالتعذيب والانتصار يؤيده قوله (ونمد له) أى نطول له (من العذاب) ما يستأهله أمثاله من المستهزئين أو نزيده من العذاب ونضاعف له من المدد مده وأمده بمعنى ثم أكد المد بالمصدر وهو مؤذن بفرط الغضب أعاذنا الله منه ثم عكس استهزاءه بقوله (ونرثه ما يقول) أى نمنع عنه منتهى ما زعم أنه يناله فى الآخرة من المال والولد لانه تألى على الله فى قوله لأوتين ومن يتأل على الله يكذبه لان ذلك غاية الجراءة ونهاية الاشعبية والمراد هب أنا أعطيناه ما اشتهاه أما نرثه منه فى العاقبة (ويأتينا) غدا (فردا) بلا مال ولا ولد وكلام صاحب الكشاف فى الوجهين ملخبط فلتأمل فيه وكذا فى قوله فردا على الأول حال مقدرة نحو فادخلوها الدين لانه وغيره سواء فى اتيانه فردا حين يأتى ثم يتفاوتون بعد ذلك وذلك أن الخلود لا يتحقق الا بعد الدخول أما انفراده فيحقق فى حالة الاتيان وتفاوت الحال بعد ذلك واشتراك الكل فى الاتيان منفردا لا مدخل له فى المقصود فلا أدرى ما حمله واقعص على هذا التكلف قال ويحتمل أن هذا القول انما يقوله ما دام حيا فاذا قبضناه حلنا بينه وبين أن يقوله ويأتينا منفردا عنه غير قائل له أو أراد أن هذا القول لا تنساه ولا نلغيه بل نثبته فى صحيفته لنضرب به وجهه فى الموقف ونعيره به ويأتينا على فقره ومسكنته فردا من المال والولد لم نعطه سؤله ومتمناه فيجتمع عليه خطبان تبعة قوله وفقد سؤله وحين فرغ من الرد على منكرى البعث شرع فى الرد على عبدة

بدعاء ربى شقيا) يقول تعالى ذكره قال ابراهيم لأبيه حين توعده على نصيحته اياه ودعائه الى الله بالقول السيئ والعقوبة سلام عليك يا أبت يقول أمنة منى لك أن أعاود لك فيما كرهت ولدعائك الى ما توعدتنى عليه بالعقوبة ولكنى سأستغفر لك ربى يقول ولكنى سأسأل ربى أن يستر عليك ذنوبك بعفوه اياك عن عقوبتك عليها انه كان بى حفيا يقول ان ربى عهدته بى لطيفا يجيب دعائى اذا دعوته يقال منه تحفى بى فلان وقد بينت ذلك بشواهده فيما مضى بما أغنى عن اعادته ههنا * وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله انه كان بى حفيا يقول لطيفا **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله انه كان بى حفيا قال انه كان بى لطيفا فان الحفى اللطيف وقوله وأعتزلكم وما تدعون من دون الله يقول وأجتنبكم وما تدعون من دون الله من الأوثان والاصنام وأدعو ربى يقول وأدعو ربى باخلاص العبادة له وافراده بالربوبية عسى أن لا أكون بدعاء ربى شقيا بفضل عسى أن لا أشقى بدعاء ربى ولكن يجيب دعائى ويعطينى ما أسأله * القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا﴾ يقول تعالى ذكره فلما اعتزل ابراهيم قومه وعبادتهما كانوا يعبدون من دون الله من الأوثان آنسناه وحشته من فراقهم وأبدلناه منهم عن هو خير منهم وأكرم على الله منهم فوهبنا له ابنه اسحق وابن ابنه يعقوب بن اسحق وكلا جعلنا نبيا يقول وجعلناهم كلهم يعنى بالكل ابراهيم واسحق ويعقوب أنبياء وقال تعالى ذكره وكلا جعلنا نبيا فوحد ولم يقل أنبياء لتوحيد لفظ كل ووهبنا لهم من رحمتنا يقول جل ثناؤه ورزقنا جميعهم يعنى ابراهيم واسحق ويعقوب من رحمتنا وكان الذى وهب لهم من رحمته ما بسط لهم فى عاجل الدنيا من سعة رزقه وأغناهم بفضله وقوله وجعلنا لهم لسان صدق عليا يقول تعالى ذكره ورزقناهم الثناء الحسن والذكر الجميل من الناس كما **حدثنى** على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وجعلنا لهم لسان صدق عليا يقول الثناء الحسن وانما وصف جل ثناؤه اللسان الذى جعل لهم بالعلو لان جميع أهل الملل تحسن الثناء عليهم والعرب تقول قد جاءنى لسان فلان تعنى ثناءه أو ذمه ومنه قول عامر بن الحرث

انى أتتنى لسان لا أسر بها * من علو لا عجب منها ولا سخر

ويروى لا كذب فيها ولا سخر

جاءت مرجة قد كنت أحذرها * لو كان ينفعنى الاشفاق والحذر مرجة يظن بها

* القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واذكر فى الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم واذكر يا محمد فى كتابنا الذى أنزلناه اليك موسى بن عمران

الاصنام فبين أولا غرضهم وذلك أن يتعززوا بآلهتهم وينتفعوا بشفاعتهم ثم أنكر عليهم وردعهم بقوله (كلا) ثم أخبر عن مآل حالهم بقوله (سيكفرون) فان كان الضمير للمعبودين فهم اما الملائكة كقوله قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن واما الاصنام فلا بعد أن ينطق الله الجماد بذلك كقوله وألقوا اليهم القول انهم لكاذبون وان كان الضمير للعابدين فهو كقوله ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين أما الضمير في يكونون فللمعبودين وقوله عليهم في مقابلة قوله لهم (٧١) عزا وضد العز الهوان كأنه قيل ويكونون عليهم ذلالا لهم عزا ويحتمل أن يراد بالضد العون لانه يضاد العدو ووحد لاتفاق كلمتهم وفرط تضامهم وتوافقهم كقوله صلى الله عليه وسلم وهم يد على من سواهم ومعنى كون الآلهة أضدادا أي أعوانا عليهم أنهم وقود النار وأن المشركين عذبوا بسبب عبادتها ويحتمل أن يكون الضمير في يكونون للمشركين أي يكون المشركون كفرة بآلهتهم وأعداء لهم بعد أن كانوا يعبدونها وحيث بين مذاهب الفرق الضالة أراد أن يبين منشأها فقال (ألم تر أنا أرسلنا) الآية والأز الهز والتهييج قالت الأشاعرة في الآية دلالة على أنه تعالى مريد لجميع الكائنات لأن قول القائل أرسلت فلانا على فلان يفيد أنه سلطه عليه منه قوله صلى الله عليه وسلم سم الله وأرسل كلبك عليه ويؤيده قوله تؤزهم أي تغريهم على المعاصي وتحثهم عليها بالوسواس والتسويلات وقالت المعتزلة أراد بهذا الارسال التخلية بينهم وبينهم كما اذا لم يمنع الرجل من دخول بيت جيرانه وحاصل كلامهم أنه أرسل الأنبياء وأرسل الشياطين ثم خلى بين المكلفين وبين الانبياء والشياطين الا أنه خص أولياءه بمزيد الالطاف حتى قبلوا قول الأنبياء ومنع أعداءه تلك الألطاف وهو المسمى بالخذلان فقبلوا قول الشياطين ولما كان هذا الارسال سببا لهلاك الكفار عداه بعلى لا بالى قلت لا يخفى أن استناد الكل الى الله تعالى فنزاع الفريقين لفظي أو قريب منه (فلا تعجل عليهم) يقال عجلت عليه بكذا اذا استعجل منه أي لا تعجل عليهم بأن يهلكوا فتستريح أنت والمسلمون من شرورهم فليس بينك وبين ما تطلب من هلاكهم الا أيام محصورة وأنفاس معدودة قال ابن عباس نزلت في المستهزئين وهم خمسة رهط وعنه أنه كان اذا قرأها بكى وقال آخر العدد خروج نفسك وآخر العدد فراق أهلك وآخر العدد دخول قبرك وعن ابن السماك أنه كان عند المأمون فقرأها فقال اذا كانت الانفاس بالعدد

واقصص على قومك نبأه انه كان مخلصا * واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين انه كان مخلصا بكسر اللام من المخلص بمعنى انه كان يخلص لله العبادة ويفرده بالالوهة من غير أن يجعل له فيها شريكا وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة خلا عاصم انه كان مخلصا بفتح اللام من مخلص بمعنى ان موسى كان الله قد أخلصه واصطفاه لرسالته وجعله نبيا مرسلا * قال أبو جعفر والصواب من القول في ذلك عندي أنه كان صلى الله عليه وسلم مخلصا عبادة الله مخلصا للرسالة والنبوة فبأيتهما قرأ القارئ فصيب الصواب وكان رسولا يقول وكان لله رسولا الى قومه بني اسرائيل ومن أرسله اليه نبيا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا﴾ يقول تعالى ذكره وناديناه موسى من ناحية الجبل ويعني بالأيمن يمين موسى لان الجبل لا يمين له ولا شمال وانما ذلك كما يقال قام عن يمين القبلة وعن شمالها * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله من جانب الطور الأيمن قال جانب الجبل الأيمن وقد بينا معنى الطور واختلاف المختلفين فيه ودللنا على الصواب من القول فيما مضى بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وقوله وقربناه نجيا يقول تعالى ذكره وأدنيناه مناجيا كما يقال فلان نديم فلان ومنادمه وجليس فلان ومجالسه وذكر أن الله جل ثناؤه أدناه حتى سمع صريف القلم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وقربناه نجيا قال أدنى حتى سمع صريف القلم حدثنا محمد بن منصور الطوسي قال ثنا يحيى بن أبي بكر قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح قال أراه عن مجاهد في قوله وقربناه نجيا قال بين السماء الرابعة أو قال السابعة وبين العرش سبعون ألف حجاب حجاب نور وحجاب ظلمة وحجاب نور وحجاب ظلمة فما زال يقرب موسى حتى كان بينه وبينه حجاب (١) وسمع صريف القلم قال رب أرني أنظر اليك حدثنا علي بن سهل قال ثنى حجاج عن أبي جعفر عن الربيع عن أبي العالية قال قربه منه حتى سمع صريف القلم حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء عن ميسرة وقربناه نجيا قال أدنى حتى سمع صريف القلم في اللوح وقال شعبة أردفه جبرائيل عليه السلام وقال قتادة في ذلك ما حدثنا به الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وقربناه نجيا قال نجا بصدقه وقوله ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون يقول ووهبنا لموسى رحمة منا أخاه هرون نبيا يقول أيدناه بنبوته وأعناه بها كما حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن داود عن عكرمة قال قال ابن عباس قوله ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا قال كان هرون أكبر من موسى ولكن أراد وهب له نبوته ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان

---

(١) عبارة الدر حتى كان بينه وبينه حجاب فلما رأى مكانه وسمع الخ فتنبه كتبه مصححه

ولم يكن لها مدد فما أسرع ما تنفد وقال بعضهم شعر ان الحبيب من الاحباب مختلس * لا يمنع الموت بواب ولا حرس
وكيف يفرح بالدنيا ولذتها * فتى يعد عليه اللفظ والنفس ثم لما قرر أمر الحشر وأجاب عن شبه منكريه أراد
أن يشرح حال المكلفين وقتئذ فقال (يوم نحشر) وانتصابه بمضمر متقدم أو متأخر أى اذكر يوم كذا وكذا نفعل بالفريقين مما
يحيط به الوصف ويجوز أن ينتصب بلا يملكون خص المتقون بالجمع الى محل كرامة الرحمن وافدين يقال وفد فلان على
الامير وفادة أى ورد رسولا فهو وافد والجمع وفد كصاحب وصحب عن على رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما يحشرون على أرجلهم ولكنهم على نوق رحالها ذهب وعلى نجائب سروجها ياقوت وخص المجرمون بالسوق الى جهنم وردا أى وراداوهم الذين يردون الماء وفيه من الاهانة ما فيه كأنهم نعم عطاش تساق الى الماء وقال جار الله حقيقة الورد المسير الى الماء فسمى به الواردون قال بعض العلماء فى الآية دلالة على أن أهوال يوم القيامة تختص بالمجرمين لان المتقين من الابتداء يحشرون على هذا النوع من الكرامة فكيف يناله بعد ذلك شدة قلت يحتمل أن يكون الحشر الى الرحمن غير الحشر الى الموقف فيراد بالحشر الى الرحمن أى الى دار كرامته وسوقهم الى الجنة لقوله وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا وهذا بعد امتياز الفريقين فالأمن الكلى فيما بعد هذه الحالة لا ينافى الخوف والدهشة فيما قبلها كما ورد فى حديث الشفاعة وغيره وقوله (الى الرحمن) دون أن يقول الينا من وضع الظاهر موضع المضمر وفيه من البشارة ما فيه ولا يلزم منه التجسم للتأويل الذى ذكرناه والضمير فى لا يملكون للمكلفين المذكورين بقسميهم (١) وفاعله من اتخذ على البدلية لانه فى معنى الجمع ويجوز أن تكون الواو علامة للجمع كالتى فى أكلونى البراغيث فيكون من اتخذ فاعلا والاستثناء مفرغا ويجوز أن ينتصب من اتخذ على الاستثناء أو على تقدير حذف المضاف أى الا شفاعة من اتخذ واختلف المفسرون فى الشفاعة فقيل لا يملكون أن يشفعوا لغيرهم وقيل لا يملك غيرهم أن يشفعوا لهم واتخاذ العهد الاستظهار بالايمان والعمل أو بكلمة الشهادة وحدها والاول يناسب أصول المعتزلة والثانى يناسب أصول الاشاعرة وعن ابن مسعود

صادق الوعد وكان رسولا نبيا) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذكر يا محمد فى هذا الكتاب اسمعيل بن ابراهيم فاقصص خبره انه كان لا يكذب وعده ولا يخلف ولكنه كان اذا وعد ربه أو عبدا من عباده وعدا وفى به كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله انه كان صادق الوعد قال لم يعد ربه عدة الا أنجزها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى عمرو بن الحرث أن سهل بن عقيل حدثه أن اسمعيل عليه السلام وعد رجلا مكانا أن يأتيه فجاء ونسى الرجل فظل به اسمعيل وبات حتى جاء الرجل من الغد فقال ما برحت من ههنا قال لا قال انى نسيت قال لم أكن لأبرح حتى تأتى فبذلك كان صادقا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا﴾ يقول تعالى ذكره وكان يأمر أهله باقامة الصلاة وايتاء الزكاة وكان عند ربه مرضيا عمله محمودا فيما كلفه ربه غير مقصر فى طاعته ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واذكر فى الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا﴾ يقول تعالى ذكره واذكر يا محمد فى كتابنا هذا ادريس انه كان صديقا لا يقول الكذب نبيا نوحى اليه من أمرنا ما نشاء ورفعناه مكانا عليا ذكر أن الله رفعه وهو حى الى السماء الرابعة فذلك معنى قوله ورفعناه مكانا عليا يعنى به الى مكان ذى علو وارتفاع وقال بعضهم رفع الى السماء السادسة وقال آخرون الرابعة ذكر الرواية بذلك حدثنى يونس ابن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى جرير بن حازم عن سليمان الأعمش عن شمر ابن عطية عن هلال بن يساف قال سأل ابن عباس كعبا وأنا حاضر فقال له ما قول الله تعالى لادريس ورفعناه مكانا عليا قال كعب أما ادريس فان الله أوحى اليه انى رافع لك كل يوم مثل عمل جميع بنى آدم فأحب أن تزداد عملا فأتاه خليل له من الملائكة فقال ان الله أوحى الىّ كذا وكذا فكلم لى ملك الموت فليؤخرنى حتى أزداد عملا فحمله بين جناحيه ثم صعد به الى السماء فلما كان فى السماء الرابعة تلقاهم ملك الموت منحدرا فكلم ملك الموت فى الذى كلمه فيه ادريس فقال وأين ادريس فقال هو ذا على ظهرى قال ملك الموت فالعجب بعثت أقبض روح ادريس فى السماء الرابعة فجعلت أقول كيف أقبض روحه فى السماء الرابعة وهو فى الأرض فقبض روحه هناك فذلك قول الله تبارك وتعالى ورفعناه مكانا عليا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ورفعناه مكانا عليا قال ادريس رفع فلم يمت كما رفع عيسى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله الا أنه قال ولم يمت حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ورفعناه مكانا عليا قال رفع الى السماء السادسة فمات فيها حدثت عن الحسين قال سمعت

(١) راجع الكشاف يظهر لك الخلط فى الاعراب

أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه ذات يوم أيعجز أحدكم أن يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انى أعهد اليك فى هذه الحياة بأنى أشهد أن لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك و رسولك فلا تكلنى الى نفسى فانك ان تكلنى الى نفسى تقربنى من الشر وتباعدنى من الخير وانى لا أثق الا برحمتك فاجعل لى عندك عهدا توفينيه يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد فاذا قال ذلك طبع عليه بطابع ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين لهم عند الرحمن عهد فيدخلون الجنة ويجوز أن يكون من عهد الامير الى فلان بكذا اذا أمره به أى لا يشفع الا المأمور بالشفاعة المأذون له فيها كقوله وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيأ الا من بعد أن يأذن الله وحين رد على عبدة الاوثان عادا الى الرد على من أثبت له ولدا من اليهود والنصارى والعرب ومنهم من خص الآية بالرد على العرب القائلين بأن الملائكة بنات الله لأن الرد على النصارى تقدم فى أول السورة وفى قوله (لقد جئتم) التفات من الغيبة الى المخاطبة تسجيلا عليهم بالجراءة والتعرض لسخطه والاد الامر العجيب أو المنكر والتركيب يدل على الشدة والثقل ومنه أدت الناقة تؤد اذا رجعت الجنين فى جوفها ويقال فطره بالتخفيف اذا شقه ومطاوعه انفطر وبالتشديد للتكثير ومطاوعه تفطر وهذا البناء للتكثير وانتصب (هدا) اما على المصدر لان الخرور فى معناه واما لأن التقدير يهدهدا أو على الحال أى مهدودة أو على العلة أى لانها تهد ومحل (أن دعوا) اما مجرور بدلا من الهاء فى منه واما منصوب بنزع الخافض أى هدا لأن دعوا

أ لمعاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ورفعناه مكانا عليا ادريس أدركه الموت فى السماء السادسة **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد ورفعناه مكانا عليا قال السماء الرابعة **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن أبى هرون العبدى عن أبى سعيد الخدرى ورفعناه مكانا عليا قال فى السماء الرابعة **حدثنا** على بن سهل قال ثنا حجاج قال ثنا أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية الرياحى عن أبى هريرة أو غيره «شك أبو جعفر الرازى» قال لما أسرى بالنبى صلى الله عليه وسلم صعد به جبرائيل الى السماء الرابعة فاستفتح فقيل من هذا قال جبرائيل قالوا ومن معه قال محمد قالوا أوقد أرسل اليه قال نعم قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم المجىء جاء قال فدخل فاذا هو برجل قال هذا ادريس رفعه الله مكانا عليا **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله ورفعناه مكانا عليا قال حدثنا أنس بن مالك أن نبى الله حدث أنه لما عرج به الى السماء قال أتيت على ادريس فى السماء الرابعة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل وممن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم هؤلاء الذين اقتصصت عليك أنباءهم فى هذه السورة يا محمد الذين أنعم الله عليهم بتوفيقه فهداهم لطريق الرشد من الانبياء من ذرية آدم ومن ذرية من حملنا مع نوح فى الفلك ومن ذرية ابراهيم خليل الرحمن ومن ذرية اسرائيل وممن هدينا للايمان بالله والعمل بطاعته واجتبينا يقول وممن اصطفينا واخترنا لرسالتنا ووحينا فالذى عنى به من ذرية آدم ادريس والذى عنى به من ذرية من حملنا مع نوح ابراهيم والذى عنى به من ذرية ابراهيم اسحق و يعقوب واسمعيل والذى عنى به من ذرية اسرائيل موسى وهرون وزكريا وعيسى وأمه مريم ولذلك فرق تعالى ذكره أنسابهم وان كان يجمع جميعهم آدم لأن فيهم من ليس من ولد من كان مع نوح فى السفينة وهو ادريس وادريس جد نوح وقوله تعالى ذكره اذا تتلى عليهم آيات الرحمن يقول اذا تتلى على هؤلاء الذين أنعم الله عليهم من النبيين أدلة الله وحججه التى أنزلها عليهم فى كتبه خروا لله سجدا استكانة له وذلا وخضوعا لأمره وانقيادا و بكيا يقول خروا سجدا وهم باكون والبكى جمع باك كما العتى جمع عات والجثى جمع جاث فجمع وهو فاعل على فعول كما يجمع القاعد قعودا والجالس جلوسا وكان القياس أن يكون و بكوا وعتوا ولكن كرهت الواو بعد الضمة فقلبت ياء كما قيل فى جمع دلو أدل وفى جمع البهو أبه وأصل ذلك أفعل أدلو وأبهو فقلبت الواو ياء لجيئها بعد الضمة استثقالا وفى ذلك لغتان مستفيضتان قد قرأ بكل واحدة علماء من القراء بالقرآن بكيا وعتيا بالضم وبكيا وعتيا بالكسر وقد يجوز أن يكون البكى هو البكاء بعينه وقد **حدثنا** ابن بشار قال

علل الخرور بالهد والهد بالدعاء واما مرفوع بأنه فاعل هد أى هدها الدعاء وخبر الوجوه أوسطها كما مر فى الوقوف والدعاء اما بمعنى التسمية فيكون المفعول الاول متروكا طلبا للعموم والاحاطة بكل مادعى ولدا له واما بمعنى النسبة أى نسبوا الى الرحمن ولدا (وما ينبغى) لا يصح ولا يستقيم وهو فى الاصل مطاوع بغى اذا طلب وانما لا يصير مطلوبا لانه محال أما الولادة المعروفة فلا مقال فى استحالتها وأما التبنى فلان القديم لا جنس له حتى يميل طبعه اليه ميل الوالد الى الولد

فمن أضاف اليه ولدا فقد جعله كبعض خلقه وأخرجه بذلك عن استحقاق اسم الرحمن المختص به فليس أصول النعم وفروعها الا منه كما
لينكشف عن بصرك غطاؤه فأنت وجميع ما عندك عطاؤه وهذا من فوائد تكرير هذا الاسم في هذا المقام * سؤال كيف تؤثر هذه الكلمة
في الجمادات حتى تنفطر وتنشق وتخر أجيب بأنه سبحانه كأنه يقول كدت أفعل هذا بالسموات والارض والجبال عند دعائهم الولد لي غضبي
مني على من تفوه بها ولا حلمي أو هو تصوير لأثر (٧٤) هذه الكلمة في الدنيا أو المراد أن هذا الاعتقاد يوجب أن لا تكون هذه الاجرام

ماترى من النظام كقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقال أبو مسلم أراد أن هذه الاجرام لو كانت ممن يعقل كادت تفعل ذلك ثم بين أن العابدين والمعبودين في السموات أو في الارضين كلهم تحت قهره وتسخيره في الدنيا وفي الآخرة وأنه محيط بجمل أحوالهم وتفاصيلها فقال (ان كل) ان نافية أي ليس فرد من أفراد الخلائق (الا آتي الرحمن) الا وهو ملتجئ الى ربوبيته مقر بعبوديته ثم أجمل حال المؤمنين بما لامزيد عليه في باب الكرامة قائلا (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) أي سيحدث لهم في القلوب مودة من غير ماسبب من الاسباب المعهودة كقرابة أو اصطناع وذلك كما يقذف في قلوب أعدائهم الرعب والسين اما لأن السورة مكية وكان المؤمنون حينئذ ممقوتين بين الكفرة فوعدهم الله المودة بين الناس عند اظهار الاسلام واما أن يكون ذلك يوم القيامة يحببهم الى خلقه بما يعرض من حسناتهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي يا علي قل اللهم اجعل لي عندك عهدا واجعل لي في صدور المؤمنين مودة فأنزل الله تعالى هذه الآية وعن ابن عباس يعني يحبهم الله ويحببهم الى خلقه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل يا جبرائيل قد أحببت فلانا فأحبه فيحبه جبرائيل ثم ينادي في أهل السماء ان الله قد أحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض وعن قتادة ما أقبل العبد الى الله عز وجل الا أقبل الله بقلوب العباد اليه وعن كعب قال مكتوب في التوراة لا محبة لأحد في الارض حتى يكون ابتداؤها من الله تعالى ينزلها على أهل السماء ثم على أهل الارض وتصديق ذلك في القرآن سيجعل لهم الرحمن وداهذا قول جمهور المفسرين وعن أبي مسلم أن المراد أنه سيهب لهم في الجنة ما يحبون واستعمال المصدر بمعنى المفعول كثير

ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الأعمش عن ابراهيم قال قرأ عمر بن الخطاب سورة مريم فسجد وقال هذا السجود فأين البكي يريد فأين البكاء ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا﴾ يقول تعالى ذكره فخلف من بعد هؤلاء الذين ذكرت من الانبياء الذين أنعمت عليهم ووصفت صفتهم في هذه السورة خلف سوء خلفوهم في الارض أضاعوا الصلاة * ثم اختلف أهل التأويل في صفة اضاعتهم الصلاة فقال بعضهم كانت اضاعتموها تأخيرهم اياها عن مواقيتها وتضييعهم أوقاتها ذكر من قال ذلك حدثني علي بن سعد الكندي قال ثنا عيسى بن يونس عن الأوزاعي عن موسى بن سليمان عن القاسم بن مخيمرة في قوله فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة قال انما أضاعوا المواقيت ولو كان تركا كان كفرا حدثنا اسحق بن زيد الخطابي قال ثنا الفريابي عن الاوزاعي عن القاسم بن مخيمرة نحوه حدثنا عبد الكريم بن أبي عمير قال ثني الوليد بن مسلم عن أبي عمرو عن القاسم بن مخيمرة قال أضاعوا المواقيت ولو تركوها لصاروا بتركها كفارا حدثني يونس ابن عبد الأعلى قال ثنا الوليد بن مسلم عن الاوزاعي عن القاسم نحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني عيسى عن الاوزاعي عن ابراهيم بن يزيد أن عمر بن عبد العزيز بعث رجلا الى مصر في أمر أعجله للمسلمين فخرج الى حرسه وقد كان تقدم اليهم أن لا يقوموا اذا رأوه قال فأوسعوا له فجلس بينهم فقال أيكم يعرف الرجل الذي بعثناه الى مصر فقالوا كلنا نعرفه قال فليقم أحدثكم سنا فليدعه فأتاه الرسول فقال لا تعجلني أشد علي ثيابي فأتاه فقال ان اليوم الجمعة فلا تبرحن حتى تصلي وانا بعثناك في أمر أعجله للمسلمين فلا يعجلنك ما بعثناك له أن تؤخر الصلاة عن ميقاتها فانك مصليها لا محالة ثم قرأ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا ثم قال لم يكن اضاعتهم تركها ولكن أضاعوا الوقت حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن المسعودي عن القاسم بن عبد الرحمن والحسن بن مسعود عن ابن مسعود أنه قيل له ان الله يكثر ذكر الصلاة في القرآن الذين هم عن صلاتهم ساهون وعلى صلاتهم دائمون وعلى صلاتهم يحافظون فقال ابن مسعود رضي الله عنه على مواقيتها قالوا ما كنا نرى ذلك الا على الترك قال ذلك الكفر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عمر أبو حفص الابار عن منصور بن المعتمر قال قال مسروق لا يحافظ أحد على الصلوات الخمس فيكتب من الغافلين وفي افراطهن الهلكة وافراطهن اضاعتهن عن وقتهن * وقال آخرون بل كانت اضاعتهم وهاتركها ذكر من قال ذلك حدثني يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنا أبو صخر عن القرظي أنه قال في هذه الآية فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات يقول تركوا الصلاة * قال أبو جعفر وأولى التأويلين في ذلك عندي بتأويل الآية قول من قال اضاعتهموها تركها

وانما صار الى هذا القول لان المسلم التقى يبغضه الكفار وقد يبغضه المسلمون أكثرهم وقد يحصل مثل هذه المحبة للكفار والفساق فيكونون مرزوقين بميل الناس الى اختلاطهم وصحبتهم فكيف يمكن جعله انعاما فى حق المؤمنين وأيضا ان محبتهم فى قلوبهم من فعلهم لا من فعل الله فحمل الكلام على اعطاء المنافع به أولى وأجيب بأن المراد محبة الملائكة والانبياء والصالحين ومثل هذه لا تحصل للكافر والفاسق وبأنه محمول على فعل الالطاف وخلق داعية اكرامه فى قلوبهم ثم عظم شأن ما فى هذه

انها الدلالة قول الله تعالى ذكره بعده على أن ذلك كذلك وذلك قوله جل ثناؤه الا من تاب وآمن وعمل صالحا فلو كان الذين وصفهم بأنهم ضيعوها مؤمنين لم يستثن منهم من آمن وهم مؤمنون ولكنهم كانوا كفارا لا يصلون لله ولا يؤدون له فريضة فسقة قد آثروا شهوات أنفسهم على طاعة الله وقد قيل ان الذين وصفهم الله بهذه الصفة قوم من هذه الأمة يكونون فى آخر الزمان **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و**حدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا قال عند قيام الساعة وذهاب صالحى أمة محمد صلى الله عليه وسلم يتزو بعضهم على بعض فى الأزقة قال محمد بن عمرو زنا وقال الحرث زناة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقال زنا كما قال ابن عمرو **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو تميلة عن أبى حمزة عن جابر عن عكرمة ومجاهد وعطاء بن أبى رباح فخلف من بعدهم خلف الآية قال هم أمة محمد **وحدثنى** الحرث قال ثنا الأشيب قال ثنا شريك عن أبى تميم بن مهاجر فى قول الله فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة قال هم فى هذه الامة يتراكبون تراكب الأنعام والحمر فى الطرق لا يخافون الله فى السماء ولا يستحيون الناس فى الارض وأما قوله فسوف يلقون غيا فانه يعنى أن هؤلاء الخلف الذين خلفوا بعد أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين سيدخلون غيا وهو اسم واد من أودية جهنم أو اسم بئر من آبارها كما **حدثنى** عباس بن أبى طالب قال ثنا محمد بن زياد بن (٣) رزان قال ثنا شرقى بن قطامى عن لقمان بن عامر الخزاعى قال جئت أبا أمامة صدى بن عجلان الباهلى فقلت حدثنا حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فدعا بطعام ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن صخرة زنة عشر أواق قذف بها من شفير جهنم ما بلغت قعرها خمسين خريفا ثم تنتهى الى غى وأثام قال قلت وما غى وما أثام قال بئران فى أسفل جهنم يسيل فيهما صديد أهل النار وهما اللتان ذكر الله فى كتابه أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا وقوله فى الفرقان ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا عمرو بن عاصم قال ثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه عن قتادة عن أبى أيوب عن عبد الله بن عمرو فسوف يلقون غيا قال واديا فى جهنم **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن أبى عبيدة عن عبد الله فسوف يلقون غيا قال واديا فى النار **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى اسحق عن أبى عبيدة عن عبد الله أنه قال فى هذه الآية فسوف يلقون غيا قال نهر فى جهنم خبيث الطعم بعيد القعر **حدثنى** محمد بن عبيد المحاربى قال ثنا أبو الأحوص عن أبى اسحق عن أبى عبيدة عن أبيه فى قوله فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا قال الغى نهر فى جهنم

والرد على الفرق الضالة قائلا (فانما يسرناه) كأنه قال بلغ هذا المنزل أو بشر به وأنذر فانما أنزلناه بلسانك أى بلغتك وسهلناه وفصلناه لتبشر به وتنذر واللد جمع الألد الشديد الخصومة بالباطل كقوله فى البقرة وهو ألد الخصام يريد أهل مكة ثم ختم السورة بما هو غاية فى الانذار ونهاية فى التخويف لانبائه عن انقضاء القرون الخالية بالفناء أو بالافناء بحيث لم يبق منهم شخص يرى ولا صوت يسمع فيعلم منه أن ما آل حال الباقين أيضا الى ذلك فيجتهدوا فى تحصيل الزاد للمعاد ولا يصرفوا همتهم الى ما هو بصدد الزوال والنفاد والركز الصوت الخفى وركز الرمح تغييب طرفه فى الارض والركاز المال المدفون ﴿ التأويل ويقول النفس الانسانية لجهلها بالحقائق اذا مات عن الصفات البشرية أخرج حيا بالصفات الروحانية لنحشرنهم والشياطين فلكل شخص قرين من الشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم القهر والطبيعة وان منكم من الانبياء والاولياء والمؤمنين والكافرين الا هو واردها وهو الهوى بقدم الطبيعة حتما مقضيا لان حكمته الأزلية اقتضت خلق هذا النوع المركب من العلوى والسفلى ثم ننجى الذين اتقوا الهوى بقدم الشريعة على طريق الطريقة للوصول الى الحقيقة آياتنا من الحقائق والاسرار قال الذين كفروا ستروا الحق للذين آمنوا تحقيقا وايقانا وكم أهلكنا بحب الدنيا والاغراق فى بحر الشهوات والاحراق بنار المناصب للعرضيات اما العذاب وهو الموت على الانكار والغفلة واما الساعة وهى الاماتة عن الصفات البشرية عند قيام قيامة الشوق والمحبة فسيعلمون حزب الله من حزب الشيطان ويزيد الله بالترقى من الايمان الى الايقان ومن الايقان الى العيان أن دعوا للرحمن ولدا من فوائد ذكر اسم الرحمن ههنا أن الرحمانية أمهلتهم حتى قالوا ما قالوا والا

فالالوهية مقتضية لاعدامهم فى الحال وكلهم آتيه يوم القيامة فردا عن مشيئة وارادة بخلافهم فى الدنيا فانهم يظنون أن لهم ارادة واختيارا فانما يسرناه فيه أنه لولا تيسير الله درايته على قلب النبى صلى الله عليه وسلم والا فكيف يسع ظروف الحروف المحدثة المتناهية حقائق كلام الازلية غير المتناهية وكم أهلكنا قبله القرون بالاشتباه الحسن عليهم والله أعلم بالصواب

﴿ سورة طه مكية حروفها خمسة آلاف (٧٦) ومائتان واثنان وأربعون وكلماتها ألف وثلثمائة واحدى وأربعون وآياتها مائة وخمس وثلاثون ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى له ما فى السموات وما فى الارض وما بينهما وما تحت الثرى وان تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى وهل أتاك حديث موسى اذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى فلما أتاها نودى ياموسى انى أنا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى انى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى ان الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى وما تلك بيمينك ياموسى قال هى عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى ولى فيها مآرب أخرى قال ألقها ياموسى فألقاها فاذا هى حية تسعى قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى لنريك من آياتنا الكبرى اذهب الى فرعون انه طغى قال رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى واجعل لى وزيرا من أهلى هرون أخى اشدد به أزرى وأشركه فى أمرى كى نسبحك كثيرا ونذكرك أنك كنت بنا بصيرا قال قد أوتيت سؤلك ياموسى ﴾ القرآت طه بامالة الطاء والهاء حمزة وعلى وخلف ويحيى وحماد وعباس وقرأ أبو جعفر ونافع بين الفتح والكسر والى الفتح أقرب وفى الكشاف أن أبا عمرو فخم الطاء لاستعلائها وأمال الهاء والآخرون بتفخيمها لانهم امكنوا بضم الهاء وكذلك فى القصص حمزة انى آنست انى أنا الله بفتح ياء المتكلم فيهما أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو ولعلى آتيكم بفتح

فى النار يعذب فيه الذين اتبعوا الشهوات حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو الأحوص عن أبى اسحق عن أبى عبيدة عن أبيه فى قوله فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا قال الغى نهر جهنم فى النار يعذب فيه الذين اتبعوا الشهوات حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو الأحوص عن أبى اسحق عن أبى عبيدة عن عبد الله أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا قال نهر فى النار يقذف فيه الذين اتبعوا الشهوات * وقال آخرون بل عنى بالغى فى هذا الموضع الخسران ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فسوف يلقون غيا يقول خسرانا * وقال آخرون بل عنى به الشر ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فسوف يلقون غيا قال الغى الشر ومنه قول الشاعر

فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره * ومن يغو لا يعدم على الغى لائما

* قال أبو جعفر وكل هذه الاقوال متقاربات المعانى وذلك أن من ورد البئر التى ذكرها النبى صلى الله عليه وسلم والوادى الذى ذكره ابن مسعود فى جهنم فدخل ذلك فقد لاقى خسرانا وشرا حسبه به شرا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ الا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيأ ﴾ يقول تعالى ذكره فسوف يلقى هؤلاء الخلف السوء الذين وصف صفتهم غيا إلا الذين تابوا فراجعوا أمر الله والايمان به وبرسوله وعمل صالحا يقول وأطاع الله فيما أمره ونهاه عنه وأدى فرائضه واجتنب محارمه فأولئك يدخلون الجنة يقول فان أولئك منهم خاصة يدخلون الجنة دون من هلك منهم على كفره واضاعته الصلاة واتباعه الشهوات وقوله ولا يظلمون شيأ يقول ولا ينقصون من جزاء أعمالهم شيأ ولا يجمع بينهم وبين الذين هلكوا من الخلف السوء منهم قبل توبتهم من ضلالهم وقبل انابتهم الى طاعة ربهم فى جهنم ولكنهم يدخلون مدخل أهل الايمان ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ جنات عدن التى وعد الرحمن عباده بالغيب انه كان وعده مأتيا ﴾ يقول تعالى ذكره فأولئك يدخلون الجنة جنات عدن وقوله جنات عدن نصب ترجمة عن الجنة ويعنى بقوله جنات عدن بساتين اقامة وقد بينت ذلك فيما مضى قبل بشواهده المغنية عن اعادته وقوله التى وعد الرحمن عباده بالغيب يقول هذه الجنات هى الجنات التى وعد الرحمن عباده المؤمنين أن يدخلوها بالغيب لانهم لم يروها ولم يعاينوها فهى غيب لهم وقوله انه كان وعده مأتيا يقول تعالى ذكره ان الله كان وعده ووعده فى هذا الموضع موعوده وهو الجنة مأتيا يأتيه أولياؤه وأهل طاعته الذين يدخلهموها الله وقال بعض نحويى الكوفة خرج الخبر على ان الوعد هو المأتى ومعناه أنه هو الذى يأتى ولم يقل وكان وعده آتيا لان كل ما تأتى فأنت تأتيه وقال ألا ترى

ياء المتكلم أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر غير ابن مجاهد على النار هدى مماله على غير ليث وأبي حمدون وحمدويه وحمزة في رواية ابن معدان وأبي عمرو والنجاري عن ورش وأبي عمرو وغير ابراهيم وابن حماد أنى أنار بك بفتح الهمزة وياء المتكلم ابن كثير وأبو عمرو ويزيد بكسر الهمزة وفتح الياء نافع الباقون بكسر الهمزة وسكون الياء طوى منونا حيث كان عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن عامر وانا اخترناك على الجمع حمزة والمفضل لذكرى انني لي أمري عيني برأسي انني بفتح الياآت أبو جعفر ونافع وأبو عمرو لي فيها بالفتح حفص والمفضل والاعشى والبرجمي والاصبهاني عن ورش مخيرا أخفى اشدد بفتح الياء موصولة ابن كثير غير الخزاعي عن ابن فليح وأبو عمرو وأشدد بفتح الهمزة وأشركه بضمها على التكلم ابن عامر والباقون بضم الاول وفتح الثاني على الامر سولك بالواو أبو عمرو غير شجاع ويزيد والاعشى والاصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف الآخرون بالهمز ۞ الوقوف طه ○ كوفي ومن قال معناه يا رجل أو يا طالب أو يا هادي لم يقف لتشقى ○ لا للاستثناء يخشى ○ لا بناء على أن تنزيلا بدل تذكرة العلى ○ لان الرحمن مبتدأ استوى ○ الثرى ○ وأخفى ○ الاهو ط الحسنى ○ حديث موسى ○ لئلا يوهم أن اذ ظرف للاتيان هدى ○ يا موسى ○ نعليك ج للابتداء بان مع اتحاد القول طوى ○ ط الا لمن قرأ انا اخترناك يوحى ○ فاعبدني ○ لا للعطف لذكري ○ تسعى ○ فتردى ○ يا موسى ○ عصاي ج لامكان أن يجعل أتوكأ مستأنفا أو حالا والعامل أضم أو أشير بناء على أن هي بمعنى هذه أخرى ○ يا موسى ○ تسعى ○ ولا تخف ق لحق السين الاولى ○ آية أخرى ○ لا لتعلق اللام الكبرى ○ ج للآية والاستئناف بالامر على أن المقول متصل طغى ○ صدري ○ أمري ○ لا لساني ○ لا قولي ص لطول الكلام أهلي ○ لا أخي ○ لا وقف لمن قرأ أشدد بفتح الهمزة جوابا للدعاء ومن فتح الياء فله الوصل ومن قرأ اشدد بضم الهمزة فله الجواز لاتساق الدعاء على الدعاء بلا عاطف أزري ○ لا أمري ○ لا لتعلق كي كثيرا ○ بصيرا ○ يا موسى ○ ۞ التفسير في طه قولان للمفسرين أحدهما أنه من حروف التهجي وقد سلف البحث في أمثالها والذي زادوه ههنا أمور منها قول الثعلبي الطاء شجرة طوبى والهاء الهاوية

أنك تقول أتيت علي خمسين سنة وأتت علي خمسون سنة وكل ذلك صواب وقد بينت القول فيه والهاء في قوله انه من ذكر الرحمن ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا﴾ يقول تعالى ذكره لا يسمع هؤلاء الذين يدخلون الجنة فيها لغوا وهو الهذي والباطل من القول والكلام الا سلاما وهذا من الاستثناء المنقطع ومعناه ولكن يسمعون سلاما وهو تحية الملائكة اياهم وقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا يقول ولهم طعامهم وما يشتهون من المطاعم والمشارب في قدر وقت البكرة ووقت العشي من نهار أيام الدنيا وانما يعني أن الذي بين غدائهم وعشائهم في الجنة قدر ما بين غداء أحدنا في الدنيا وعشائه وكذلك ما بين العشاء والغداء وذلك لانه لا ليل في الجنة ولا نهار وذلك كقوله خلق الارض في يومين وخلق السموات والارض في ستة أيام يعني به من أيام الدنيا كما حدثنا علي بن سهل قال ثنا الوليد بن مسلم قال سألت زهير بن محمد عن قول الله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا قال ليس في الجنة ليل هم في نور أبدا ولهم مقدار الليل والنهار يعرفون مقدار الليل بارخاء الحجب واغلاق الابواب ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب وفتح الابواب حدثنا علي قال ثنا الوليد عن خليد عن الحسن وذكر أبواب الجنة فقال أبواب يرى ظاهرها من باطنها فتكلم وتكلم فتهمهم انفتحي انغلقي فتفعل حدثني ابن حرب قال ثنا موسى بن اسمعيل قال ثنا عامر بن يساف عن يحيى قال كانت العرب في زمانهم من وجد منهم عشاء وغداء فذاك الناعم في أنفسهم فأنزل الله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا قدر ما بين غدائكم في الدنيا الى عشائكم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا قال كانت العرب اذا أصاب أحدهم الغداء والعشاء عجب له فأخبرهم الله أن لهم في الجنة بكرة وعشيا قدر ذلك الغداء والعشاء حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال ليس بكرة ولا عشي ولكن يؤتون به على ما كانوا يشتهون في الدنيا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا فيها ساعتان بكرة وعشي فان ذلك لهم ليس ثم ليل انما هو ضوء ونور ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا﴾ يقول تعالى ذكره هذه الجنة التي وصفت لكم أيها الناس صفتها هي الجنة التي نورثها يقول نورث مساكن أهل النار فيها من عبادنا من كان تقيا يقول من كان ذا اتقاء عذاب الله باداء فرائضه واجتناب معاصيه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وما نتنزل الا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا﴾ ذكر أن هذه الآية نزلت من أجل استبطاء رسول الله صلى الله عليه وسلم جبرائيل بالوحي وقد ذكرت بعض الرواية ونذكر ان شاء الله باقي ما حضرنا ذكره مما لم نذكر قبل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا عبد الله بن أبان العجلي وقبيصة ووكيع و حدثنا سفيان بن وكيع

وكأنه أقسم بالجنة والنار ومنها ما روى عن جعفر الصادق رضى الله عنه أن الطاء طهارة أهل الدين والهاء هدايتهم وقيل أراد يا طاهرا من الذنوب ويا هاديا الى علام الغيوب ومنها قول سعيد بن جبير هو افتتاح باسمه الطيب الطاهر الهادى وقيل الطاء تسعة فى الحساب والهاء خمسة ومعناه يا أيها البدر القول الثانى أنها كلمة مفيدة ومعناها يا رجل مروى عن ابن عباس والحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وعكرمة والكلبى ثم قال سعيد بن جبير بلسان القبطية وقال قتادة بلسان اليونانية والسريانية وقال عكرمة بلسان الحبشة وقال الكلبى بلسان عك وهو عك ابن عدنان أخو معد وهو اليوم فى اليمن وعن الحسن أن طه أمر وأصله طأ أمر ابالوطء فقلبت الهمزة هاء وذلك لما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقوم فى تهجده على احدى رجليه فأمر بأن يطأ الارض بقدميه معاويؤكده ما روى أنه صلى الله عليه وسلم صلى بالليل حتى اسمعدت قدماه أى تورمتا فقال له جبرائيل ارفق على نفسك فان لها عليك حقا ونزلت طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى أى تتعب بالعبادة ولكنك بعثت بالحنيفية السهلة وعند الاكثرين معنى لتشقى لتتعب بفرط تأسفك عليهم وتحسرك على أن يؤمنوا والشقاء يجىء بمعنى التعب ومنه المثل أشقى من رائض مهر وأتعب وقيل ان أبا جهل والنضر بن الحرث قالا له انك شقى لانك تركت دين آبائك فرد الله عليهم بأن القرآن هو السبب فى نيل كل سعادة قال جار الله ان جعلت طه تعديد الأسماء الحروف فقوله ما أنزلنا ابتداء الكلام وان جعلته اسما للسورة فمبتدأ وما بعده خبر وقد أقيم الظاهر وهو القرآن مقام الضمير الرابط وان جعلته قسما فما يتلو جواب وكل واحد من لتشقى وتذكرة علة للفعل الا أن الاول وجب مجيئه مع اللام لانه ليس فعلا لفاعل الفعل المعلل والثانى جاز قطع اللام عنه لوجود الشرط ولا يجوز أن يكون تذكرة بدلا من محل لتشقى لاختلاف الجنسين فان التذكرة لا يمكن أن تحمل على الشقاء ولكنها نصب على الاستثناء المنقطع الذى فيه الا بمعنى لكن وفى قوله لتشقى والا تذكرة وجه آخر وهو أنه ما أنزلنا عليك القرآن لتتحمل متاعب التبليغ الا ليكون تذكرة أى ما أنزلنا عليك هذا النعب الشاق الا لهذا الغرض كما يقال ما شافهنا لك بذلك الكلام لتتأذى الا ليعتبر بك غيرك فانتصب

قال ثنا أبى جميعا عن عمر بن ذر قال سمعت أبى يذكر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن محمدا قال لجبرائيل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا فنزلت هذه الآية وما نتنزل الا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا قال هذا الجواب لمحمد صلى الله عليه وسلم **حدثنى** محمد بن معمر قال ثنا عبد الملك بن عمرو قال ثنا عمر بن ذر قال ثنى أبى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لجبرائيل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا فنزلت وما نتنزل الا بأمر ربك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وما نتنزل الا بأمر ربك الى وما كان ربك نسيا قال احتبس جبرائيل عن النبى صلى الله عليه وسلم فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وحزن فأتاه جبرائيل فقال يا محمد وما نتنزل الا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال لبث جبرائيل عن النبى صلى الله عليه وسلم فكأن النبى استبطأه فلما أتاه قال له جبرائيل وما نتنزل الا بأمر ربك الآية **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما نتنزل الا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا قال هذا قول جبرائيل احتبس جبرائيل فى بعض الوحى فقال نبى الله صلى الله عليه وسلم ما جئت حتى اشتقت اليك فقال له جبرائيل وما نتنزل الا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و**حدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تبارك وتعالى وما نتنزل الا بأمر ربك قال قول الملائكة حين استرانهم محمد صلى الله عليه وسلم كالتى فى الضحى **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال لبث جبرائيل عن محمد اثنتى عشرة ليلة ويقولون قلى فلما جاءه قال أى جبرائيل لقد رثت على حتى ظن المشركون كل ظن فنزلت وما نتنزل الا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وما نتنزل الا بأمر ربك احتبس عن نبى الله صلى الله عليه وسلم حتى تكلم المشركون فى ذلك واشتد ذلك على نبى الله فأتاه جبرائيل فقال اشتد عليك احتباسنا عنك وتكلم فى ذلك المشركون وانما نا عبد الله ورسوله اذا أمرنى بأمر أطعته وما نتنزل الا بأمر ربك يقول بقول ربك ثم اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك فقال بعضهم يعنى بقوله ما بين أيدينا من الدنيا وبقوله وما خلفنا الآخرة وما بين ذلك النفختين ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن أبى جعفر عن الربيع له ما بين أيدينا يعنى الدنيا وما خلفنا الآخرة وما بين ذلك النفختين **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى جعفر عن الربيع عن أبى العالية قال ما بين أيدينا من الدنيا وما خلفنا

تذكرة على أنه حال أو مفعول له واذا كانت حالا جاز أن يكون (تنزيلا) بدلا منها واذا كانت مفعولا لأجله لم يجز أن يكون تنزيلا بدلا منها
لان الشئ لا يعلل بنفسه فالانزال لا يعلل بالتنزيل فى الظاهر ويجوز أن ينتصب تنزيلا بمضمر أى نزل تنزيلا أو بأنزلنا لان معنى ما أنزلناه
الا تذكرة أنزلناه تذكرة أو على المدح والاختصاص أو بيخشى مفعولا به أى أنزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله عز وجل أى لمن يؤل
أمره الى الخشية لانه هو المنتفع به وبيانه و (ممن خلق) متعلق كان يعظهم به وبيانه و (ممن خلق) متعلق

من أمر الآخرة وما بين ذلك ما بين النفختين * وقال آخرون ما بين أيدينا الآخرة وما خلفنا
الدنيا وما بين ذلك ما بين الدنيا والآخرة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى
أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس بين أيدينا الآخرة وما خلفنا
من الدنيا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة له ما بين أيدينا من أمر
الآخرة وما خلفنا من أمر الدنيا وما بين ذلك ما بين الدنيا والآخرة وما كان ربك نسيا حدثنا
الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة له ما بين أيدينا من الآخرة
وما خلفنا من الدنيا وما بين ذلك ما بين النفختين حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول
أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله له ما بين أيدينا من الآخرة وما خلفنا من الدنيا
* وقال آخرون فى ذلك بما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن
ابن جريج ما بين أيدينا قال ما مضى أمامنا من الدنيا وما خلفنا ما يكون بعدنا من الدنيا والآخرة
وما بين ذلك قال ما بين ما مضى أمامهم وبين ما يكون بعدهم وكان بعض أهل العربية من أهل
البصرة يتأول ذلك له ما بين أيدينا قبل أن نخلق وما خلفنا بعد الفناء وما بين ذلك حين كنا * قال
أبو جعفر وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال معناه له ما بين أيدينا من أمر الآخرة لان
ذلك لم يجئ وهو جاء فهو بين أيديهم فان الاغلب فى استعمال الناس اذا قالوا هذا الامر بين يديك
أنهم يعنون به ما لم يجئ وأنه جاء فلذلك قلنا ذلك أولى بالصواب وما خلفنا من أمر الدنيا وذلك
ما قد خلفوه فمضى فصار خلفهم بتخليفهم اياه وكذلك تقول العرب لما قد جاوزه المرء وخلفه هو
خلفه ووراءه وما بين ذلك ما بين ما لم يمض من أمر الدنيا الى الآخرة لان ذلك هو الذى بين ذينك
الوقتين وانما قلنا ذلك أولى التأويلات به لان ذلك هو الظاهر الأغلب وانما يحمل تأويل القرآن
على الأغلب من معانيه ما لم يمنع من ذلك ما يجب التسليم له فتأويل الكلام اذا فلا تستبطئنا يا محمد
فى تخلفنا عنك فانا لا ننزل من السماء الى الارض الا بأمر ربك لنا بالنزول اليها له ما هو حادث من
أمور الآخرة التى لم تأت وهى آتية وما قد مضى فخلفناه من أمر الدنيا وما بين وقتنا هذا الى قيام
الساعة بيده ذلك كله وهو مالكه ومصرفه لا يملك ذلك غيره فليس لنا أن نحدث فى سلطانه أمرا
الا بأمره وما كان ربك نسيا يقول ولم يكن ربك ذا نسيان فيتأخر نزولى اليك بنسيانه
اياك بل هو الذى لا يعزب عنه شئ فى السماء ولا فى الارض تبارك وتعالى ولكنه أعلم بما يدبر
ويقضى فى خلقه جل ثناؤه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك
حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وما كان ربك
نسيا قال ما نسيك ربك ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ رب السموات والارض وما بينهما فاعبده
واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا ﴾ يقول تعالى ذكره لم يكن ربك يا محمد رب السموات والارض
وما بينهما نسيا لانه لو كان نسيا لم يستقم ذلك ولهلك لو لا حفظه اياه فالرب مرفوع ردا على قوله ربك

(ممن خلق) متعلق بتنزيلا فيكون الظرف لغوا أو بكائنا صفة له فيكون مستقرا وفائدة الانتقال الى الغيبة من لفظ المتكلم حين لم يقل تنزيلا منا أمور منها الافتنان فى الكلام على عادتهم ومنها تنسيق الصفات مع لفظ الغيبة ومنها التفخيم بالاسناد أولا الى ضمير المتكلم المطاع فى أنزلنا ثم الى المختص بصفات العظمة والتمجيد وقيل أنزلنا حكاية كلام جبرائيل فلا التفات و (العلى) جمع العليا تأنيث الاعلى وفى وصف السموات بها دلالة على عظم قدرة من يخلق مثلها فى علوها وبعد مرتقاها ويحصل منه تعظيم شأن القرآن بالضرورة فعلى قدر المرسل يكون حال الرسالة ومنه قول الحكماء عقول الرجال تحت لسان أقلامهم وارتفع (الرحمن) على المدح على تقدير هو الرحمن أو هو مبتدأ مشار بلامه الى من خلق والبحث فى الاستواء على العرش من جانبى المشبهة والموحدة قدمر مشبعا فى الانعام فى قوله وهو القاهر فوق عباده وفى الاعراف فى قوله ان ربكم الله الذى خلق السموات فلا حاجة الى الاعادة ثم أكد كمال ملكه وملكه بقوله (له ما فى السموات) الآية عن محمد بن كعب أن ما تحت الثرى هو ما تحت سبع الارضين وعن السدى هو الصخرة التى تحت الارض السابعة وقيل الثور أو الحوت والتحقيق أن الثرى هو التراب الندى وهو ما جاوز البحر من جرم الارض فالذى تحته هو ما بقى من جرم الارض الى المركز فيحتمل أن يكون هناك أشياء لا يعلمها الا الله سبحانه من المعادن وغيرها ولا ريب أن الكل لله سبحانه ثم بين كمال علمه بقوله (وان تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى) فالسر ما أسررته الى غيرك وأخفى من ذلك ما أخطرته ببالك أو السر هذا وأخفى منه ما لم تسره وقيل أخفى فعل ماض أى يعلم أسرار العباد وأخفى عنهم ما يعلم هو قلت هذا المعنى صحيح لانه تعالى محيط بجميع الاشياء فلا يعزب

عنه شئ قط ولا يحيط به شئ من الاشياء فلا يطلع على غيوبه أحد الا أن اللفظ يحصل فيه بشاعة اذا حمل على هذا التفسير فلهذا قال صاحب الكشاف وليس بذاك وكيف طابق الجزاء الشرط وأجيب بأن معناه ان تجهر بذكر الله من دعاء أو غيره فاعلم أنه غنى عن جهرك فالمراد بكون نهيا عن الجهر كقوله واذكر ربك فى نفسك واما أن يكون تعليما للعباد أن الجهر ليس لاسماع الله وانما هو لغرض آخر كأن يقتدى غيره به ومن فوائد الآية تزجر المكلف عن القبائح ظاهرة كانت أو باطنة وترغيبه فى الطاعات ظاهرة و باطنة وقد شرحه

شئ من حقيقة علمه تعالى فى تفسير قوله وعلم آدم الاسماء كلها وفى غير ذلك من المواضع المناسبة فلنقتصر الآن على ذلك ثم ذكر أن الموصوف بالقدرة والعلم على الوجه المذكور لا شريك له وهو الذى يستحق العبادة دون غيره واعلم أن مراتب التوحيد أربع الاقرار باللسان ثم الاعتقاد بالقلب ثم تأكيد ذلك الاعتقاد بالحجة ثم الاستغراق فى بحر المعرفة بحيث لا يدور فى خاطره سوى الاحد الصمد والاول بدون الثانى نفاق والثانى بدون الاول غير مفيد الا اذا لم يجد مهلة كما اذا نظر وعرف فمات ويروى أن ملك الموت مكتوب فى جبهته لا اله الا الله حتى اذا رآه المؤمن تذكر كلمة الشهادة فيكفيه ذلك ويؤيده ما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من الايمان والاقرار بدون الثالث ايمان المقلد وفيه خلاف مشهور والاصح أنه مقبول وأما المقام الرابع فهو مقام الصديقين والخاصة من عباد الله ومبتداه تفريق ونقص وتركه ورفض على ما قرره المحققون وآخره الفناء فى الله والبقاء به قال النحويون لا اله الا الله تقديره لا اله فى الوجود الا الله وقال أهل العرفان معناه لا اله فى الامكان الا الله روى أن موسى بن عمران قال يارب علمنى شيأ أذكرك به فقال قل لا اله الا الله فقال كل عبادك يقول فقال قل لا اله الا الله قال انما أريد شيأ تخصنى به قال يا موسى لو أن السموات السبع ومن فوقهن فى كفة ولا اله الا الله فى كفة لمالت بهن لا اله الا الله والبحث عن أسماء الله تعالى قد سلف فى تفسير البسملة وعن أسمائه الحسنى قدم فى آخر الاعراف فى قوله ولله الاسماء الحسنى واعلم أن الموجودات على ثلاثة أقسام كامل لا يحتمل الزيادة والنقصان وهو الله تقدس وتعالى وناقص لا يحتمل الكمال سوى الصورة الكمالية التى جبل عليها كجميع

وقوله فاعبده يقول فالزم طاعته وذل لامره ونهيه واصطبر لعبادته يقول واصبر نفسك على القيام لامره ونهيه والعمل بطاعته تفز برضاه عنك فانه الاله الذى لا مثل له ولا عدل ولا شبيه فى جوده وكرمه وفضله هل تعلم له سميا يقول هل تعلم يا محمد لربك هذا الذى أمرناك بعبادته والصبر على طاعته مثلا فى كرمه وجوده فتعبده رجاء فضله وطوله دونه كلا ماذلك بموجود * وبنحو ما قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله هل تعلم له سميا يقول هل تعلم للرب مثلا أو شبيها حدثنى سعيد بن عثمان التنوخى قال ثنا ابراهيم بن مهدى عن عباد بن عوام عن شعبة عن الحسن ابن عمارة عن رجل عن ابن عباس فى قوله هل تعلم له سميا قال شبيها حدثنى يحيى بن ابراهيم المسعودى قال ثنا أبى عن أبيه عن جده عن الأعمش عن مجاهد فى هذه الآية هل تعلم له سميا قال هل تعلم له شبيها هل تعلم له مثلا تبارك وتعالى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله هل تعلم له سميا لا سمى لله ولا عدل له كل خلقه يقر له ويعترف أنه خالقه ويعرف ذلك ثم يقر أهذه الآية ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فى قوله هل تعلم له سميا قال يقول لا شريك له ولا مثل

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ويقول الانسان أئذا ما مت لسوف أخرج حيا أولا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيأ﴾ يقول تعالى ذكره ويقول الانسان الكافر الذى لا يصدق بالبعث بعد الموت أخرج حيا فأبعث بعد الممات وبعد البلاء والفناء انكارا منه ذلك يقول الله تعالى ذكره أولا يذكر الانسان المتعجب من ذلك المنكر قدرة الله على احيائه بعد فنائه وايجاده بعد عدمه فى خلق نفسه أن الله خلقه من قبل مماته فأنشأه بشرا سويا من غير شئ ولم يك من قبل انشائه اياه شيأ فيعتبر بذلك ويعلم أن من أنشأه من غير شئ لا يعجز عن احيائه بعد مماته وايجاده بعد فنائه وقد اختلفت القراء فى قراءة قوله أولا يذكر فقرأه بعض قراء المدينة والكوفة أولا يذكر بتخفيف الذال وقد قرأ ذلك عامة قراء الكوفة والبصرة والحجاز أولا يذكر بتشديد الذال والكاف بمعنى أولا يتذكر والتشديد أعجب الىّ وان كانت الاخرى جائزة لان معنى ذلك أولا يتفكر فيعتبر

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فوربك يا محمد لنحشرن هؤلاء القائلين أئذا متنا لسوف نخرج أحياء يوم القيامة من قبورهم مقرنين بأوليائهم من الشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا والجثى جمع الجاثى كما حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا يعنى القعود وهو مثل قوله وترى كل أمة جاثية

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا﴾ يقول تعالى ذكره ثم لنأخذن من كل جماعة

الانسان من المخلوقات وناقص يتقلب بين الامرين فتارة يصعد الى حيث يخبر عنه بأنه فى مقعد صدق عند مليك مقتدر وتارة يتسفل الى أن يقال له ثم رددناه أسفل سافلين والكمال بالحقيقة لما ليس معرض الزوال فلا كمال فى الصحة والجاه والمال وانما الكمال فى الانتساب الى الكبير المتعال وهو تحقيق نسبة العبدية المنبئة عن عزة الربوبية وكل منتسب الى بلد أو قبيلة فانه يبالغ فى مدحها حتى يلزم مدحه بالعرض فيجب على المكلف أن يذكر ربه بالاسماء الحسنى حتى يثبت بذلك شرفه ويحسن ذكره (٨١) الهنا حسن الاسم دليل حسن المسمى وحسن المسمى يدل على أنه لا يفعل القبيح ولا يزال مواظبا على الاحسان كما قيل

ياحسن الوجه توق الخنا * لا تخلطن الزين بالشين

فياحسن الأسماء والصفات لا ترددنا عن خوان احسانك محرومين ذكر أن صيادا اصطاد سمكة وكانت له بنت فأخذتها وألقتها فى البحر وقالت انها ما وقعت فى الشبكة الا لغفلتها الهنا تلك المرأة رحمت سمكة بسبب غفلتها ونحن قد اصطادنا ابليس وأخرجنا من بحر رحمتك لغفلتنا فردنا الى مقرنا وأنت أرحم الراحمين

عن محمد بن كعب القرظى أن موسى عليه السلام قال يارب أى خلق أكرم عليك قال الذى لا يزال لسانه رطبا من ذكرى قال أى خلقك أعلم قال الذى يلتمس علما الى علمه قال وأى خلقك أعدل قال الذى يقضى على نفسه كما يقضى على الناس قال وأى خلقك أعظم جرما قال الذى يتهمنى وهو الذى يسألنى ثم لا يرضى بما قضيته له الهنا انا لا نتهمك فانا نعلم أن كل ما أحسنت فهو فضل وكل ما لا تفعله بنا من الاحسان فهو عدل فلا تؤاخذنا بسوء أعمالنا وعن الحسن اذا كان يوم القيامة نادى مناد سيعلم الجمع من أهل الكرم أين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون فيتخطون رقاب الناس ثم يقال أين الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر

منهم أشدهم على الله عتوا وتمردا فلنبدأن بهم * وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن على بن الأقمر عن أبى الأحوص ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا قال نبدأ بالأكابر فالأكابر جرما حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا يقول أيهم أشد للرحمن معصية وهى معصيته فى الشرك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله أيهم أشد على الرحمن عتيا يقول عصيا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله من كل شيعة قال أمة وقوله عتيا قال كفرا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وزاد فيه ابن جريج فلنبدأن بهم * قال أبو جعفر والشيعة هم الجماعة المتعاونون على الأمر من الأمور يقال من ذلك تشايع القوم اذا تعاونوا ومنه قولهم للرجل الشجاع انه لمشيع أى هو معان فمعنى الكلام ثم لننزعن من كل جماعة تشايعت على الكفر بالله أشدهم على الله عتوا فلنبدأن باصلائه جهنم والتشايع فى غير هذا الموضع التفرق ومنه قول الله عز ذكره وكانوا شيعا يعنى فرقا ومنه قول ابن مسعود أو سعد انى أكره أن آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول شيعت بين أمتى يعنى فرقت ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا﴾ يقول تعالى ذكره ثم لنحن أعلم من هؤلاء الذين ننزعهم من كل شيعة أولاهم بشدة العذاب وأحقهم بعظيم العقوبة وذكر عن ابن جريج أنه كان يقول فى ذلك ما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا قال أولى بالخلود فى جهنم * قال أبو جعفر وهذا الذى قاله ابن جريج قول لا معنى له لأن الله تعالى ذكره أخبر أن الذين ينزعهم من كل شيعة من الكفرة أشدهم كفرا ولا شك أنه لا كافر بالله الا مخلد فى النار فلا وجه وجميعهم مخلدون فى جهنم لأن يقال ثم لنحن أعلم بالذين هم أحق بالخلود من هؤلاء المخلدين ولكن المعنى فى ذلك ما ذكرنا وقد يحتمل أن يكون معناه ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى ببعض طبقات جهنم صليا والصلى مصدر صليت تصلى صليا والصلى فعول ولكن واوها انقلبت ياء فأدغمت فى الياء التى بعدها التى هى لام الفعل فصارت ياء مشددة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا﴾ يقول تعالى ذكره وان منكم أيها الناس الا واردها جهنم كان على ربك يا محمد ايرادهموها قضاء مقضيا قد قضى ذلك وأوجبه فى أم الكتاب واختلف أهل العلم فى معنى الورود الذى ذكره الله فى هذا الموضع فقال بعضهم الدخول ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عمرو قال أخبرنى من سمع ابن عباس يخاصم نافع بن الازرق فقال ابن عباس الورود

الله ثم ينادى أين الحامدون لله على كل حال ثم تكون التبعة والحساب على من بقى الهى فنحن حمدناك وأثنينا عليك بقدر قدرتنا وطاقتنا فاعف عنا بفضلك وحسن أسمائك وحين عظم شأن القرآن وبين حال الرسول صلى الله عليه وسلم فيما كلف من أعباء الرسالة قفاه بقصة موسى تثبيتا له وتقوية وتسلية قال الكلبى معنى (وهل أتاك) أى لم يأتك الى الآن وقد أتاك الآن فتنبه له ويقول المرء لصاحبه هل بلغك خبر كذا ليتطلع السامع لما يوحى اليه وعن مقاتل والضحاك عن ابن

عباس أن المراد منه تقرر الخبر في قلبه أي قد أتاك ذلك في الزمان المتقدم واذ ظرف للحديث لانه حدث أو المراد اذكر وقت كذا ومفعوله محذوف أي حين رأى نارا كان كيت وكيت قال أهل السير استأذن موسى شعيبا عليهما السلام في الخروج الى أمه وخرج بأهله وولداه الطريق ابن في ليلة شاتية مثلجة وكانت ليلة الجمعة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده وقدح فصلد زنده فرأى نارا من يسار الطريق من بعيد قال السدى ظن أنها من نيران الرعاة وقال الآخرون انه رآها في شجرة واختلفوا أيضا في أن الذي رآه كان نارا أم لا قالوا والصحيح كان نارا ليكون صادقا في خبره اذ الكذب لا يجوز (٨٢) على الانبياء ويمكن أن يقال اطلاق اللفظ على ما يشبه مسماه ليس بكذب فيه النار أربعة أقسام نار تأكل ولا تشرب وهي نار الدنيا ونار تشرب ولا تأكل وهي نار الشجر جعل لكم من الشجر الاخضر نارا ونارا تأكل وتشرب وهي نار المعدة ونارا لا تأكل ولا تشرب وهي نار موسى عليه السلام وبعبارة أخرى نور بلا حرقة وهي نار موسى وحرقة بلا نور وهي نار جهنم وحرقة ونور وهي نار الدنيا ولا حرقة ولا نور وهي نار الاشجار (فقال لأهله امكثوا) انما جمع لان أهله جمع وهم المرأة والخادم والولد ويجوز أن يخاطب المرأة وحدها ولكن أخرج الخطاب على ظاهر لفظ الاهل فانه اسم جمع وأيضا فقد يخاطب الواحد بلفظ الجماعة تفخيما أي أقيموا في مكانكم فقد (آنست نارا) أي أبصرت ابصار الاشبهة فيه أو ابصارا يؤنس به والتركيب يدل على الظهور ومن ذلك انسان العين لانه يظهر الاشياء ومنه الانس لظهورهم كما قيل الجن لاستتارهم ومنه الأنس ضد الوحشة لظهور المطلوب وهو المأنوس به قال جار الله لما وجد الايناس وكان مقطوعا متيقنا حققه لهم بكلمة إن ليوطن أنفسهم ولما كان الاتيان بالقبس ووجود الهدى مترقبين بنى الامر فيهما على الرجاء دون الجزم قائلا (لعلي آتيكم) قال المحققون فيه دلالة على أن ابراهيم عليه السلام لم يكذب البتة لان موسى قبل نبوته احترز عن الكذب المظنون فلم يقل الى آتيكم لئلا يعد عبد مالم يستيقن الوفاء به فابراهيم وهو أبو الانبياء أولى بالاحتراز من الكذب الصريح والقبس النار المقتبسة في رأس عود أو فتيلة ونحوها و (هدى) على حذف المضاف أي ذوي هدى أو اذا وجد الهداة فقد وجد الهدى والظاهر أنه أراد قوما يهدون الى الطريق وعن مجاهد وقتادة قوما ينفعوننى بهداهم في أبواب الدين وذلك أن همم الابرار معقودة في جميع أحوالهم بالامور الدينية لا يشغلهم عنها شاغل ومعنى الاستعلاء في على النار وهو مفعول ثان لاجد أو حال من ذوي هدى أن أهل النار يشغلون المكان القريب منها أو المصطلون بها تكتنفوها قياما

الدخول وقال نافع لافقرأ ابن عباس انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون أو ردوها أم لا وقال يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود أو ردوها أم لا أما أنا وأنت فسندخلها فانظر هل نخرج منها أم لا وما أرى الله مخرجك منها بتكذيبك قال فضحك نافع **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح قال قال أبو راشد الحروري ذكر واهذا فقال الحروري لا يسمعون حسيسها قال ابن عباس وبئس أمجنون أنت أين قوله تعالى يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود وقوله ونسوق المجرمين الى جهنم وردا وقوله وان منكم الا واردها والله ان كان دعاء من مضى اللهم أخرجني من النار سالما وأدخلني الجنة غانما قال ابن جريج يقول الورود الذي ذكره الله في القرآن الدخول ليردنها كل بر وفاجر في القرآن أربعة أوراد فأوردهم النار وحصب جهنم أنتم لها واردون ونسوق المجرمين الى جهنم وردا وقوله وان منكم الا واردها **حدثني** محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا يعني البر والفاجر ألم تسمع الى قول الله تعالى لفرعون يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود وقال ونسوق المجرمين الى جهنم وردا فسمى الورود في النار دخولا وليس بصادر **حدثنا** الحسن بن عرفة قال ثنا مروان بن معاوية عن بكار بن أبي مروان عن خالد بن معدان قال قال أهل الجنة بعد ما دخلوا الجنة ألم يعدنا ربنا الورود على النار قال قد مررتم عليها وهي خامدة * قال ابن عرفة قال مروان بن معاوية قال بكار بن أبي مروان أو قال جامدة **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا مرحوم بن عبد العزيز قال ثنى أبو عمران الجوني عن أبي خالد قال تكون الارض يوما نارا فما أعددتم لها قال فذلك قول الله وان منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا **حدثني** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن الجريري عن أبي السليل عن غنيم بن قيس قال ذكروا ورود النار فقال كعب تمسك النار للناس كأنها متن اهالة حتى يستوي عليها أقدام الخلائق برهم وفاجرهم ثم ينادي بها مناد أن أمسكي أصحابك ودعي أصحابي قال فيخسف بكل ولي لها ولها وهي أعلم بهم من الرجل بولده ويخرج المؤمنون ندية أبدانهم قال وقال كعب ما بين منكبي الخازن من خزنتها مسيرة سنة مع كل واحد منهم عمود له شعبتان يدفع به الدفعة فيصرع به في النار سبعمائة ألف **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن مالك بن مغول عن أبي اسحق قال كان أبو ميسرة ناما أوى الى فراشه قال ياليت أمي لم تلدني ثم يبكي فقيل وما يبكيك يا أبا ميسرة قال أخبرنا أنا واردوها ولم يخبرنا أنا صادرون عنها **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن اسمعيل عن قيس قال بكى

وقعودا فهم مشرفون عليها وان كان المكانان مستويين (فلما أتاها) أى أتى النار قال ابن عباس رأى شجرة خضراء من أسفلها الى أعلاها كأنها نار بيضاء تتقد وسمع تسبيح الملائكة ورأى نورا عظيما فخاف وبهت فألقيت عليه السكينة ثم نودى وكانت الشجرة عوسجة وقال وهب ظن موسى أنها أوقدت فأخذ من دقاق الحطب ليقتبس من لهبها فمالت اليه كأنها تريده فتأخر عنها وهابها ثم لم يزل تطمعه ويطمع فيها ثم لم يكن أسرع من خمودها فكأنها لم تكن ثم رمى موسى ببصره الى فرعها فاذا خضرته ساطعة فى السماء واذا نور بين السماء والارض له شعاع تكل عنه الأبصار فلما رأى موسى ذلك وضع يده على عينيه فنودى (يا موسى) من قرأ (أنى) بالفتح فتقديره نودى بأنى ومن قرأ بالكسر فلأن النداء فى معنى القول أولان التقدير نودى فقيل يا موسى وتكرير الضمير فى انى (أنا ربك) لتوكيد الدلالة وتحقيق المعرفة واماطة الشبهة روى أنه لما نودى يا موسى قال من المتكلم فقال الله عز وجل انى أنا ربك فوسوس اليه ابليس لعلك تسمع كلام شيطان فقال أنا عرفت أنه كلام الله بأنى أسمعه من جميع جهاتى الست وأسمعه بجميع أعضائى حتى كأن كل جارحة منى صارت أذنا وقيل لعله سمع النداء من جماد كالحصا والشجرة فيكون معجزا وأيضا انه رأى النار فى الشجرة الخضراء بحيث ان الخضرة ما كانت تطفئ تلك النار ولا النار تضر بالخضرة فعرف أنه لا يقدر عليه أحد الا الله وجوز الاشاعرة أن يكون قد خلق الله تعالى علما ضروريا بذلك والمعتزلة منعوا منه قالوا ان حصول العلم الضرورى بأن ذلك المتكلم هو الله يستلزم العلم الضرورى بوجود الصانع لاستحالة أن تكون الصفة معلومة بالضرورة والذات معلوما بالاستدلال وحصول العلم الضرورى بوجود الصانع ينافى التكليف وبالاتفاق لم يخرج موسى عن التكليف قال القاضى ان كانت النبوة قد تقدمت لموسى فلا كلام فى حصول هذه الخوارق والا وجب أن تكون المعجزات لغيره من الانبياء فى زمانه كشعيب مثلا قال وهذا أولى لان قوله وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى دليل على أنه أول وحى يوحى اليه وعند أهل السنة الارهاص جائز فلم يوجبوا احالة تلك الخوارق الى غيره وعندهم أن الله تعالى أسمعه الكلام الذى ليس بحرف ولا صوت والمعتزلة أنكروا وجود ذلك الكلام وقالوا انه تعالى خلق ذلك النداء فى جسم من الاجسام كالشجرة وهو قادر على ذلك وأهل السنة مما وراء النهر أثبتوا الكلام القديم الا أنهم زعموا أن الذى سمعه موسى صوت خلقه الله فى الشجرة لانه تعالى رتب النداء على أنه أتى النار والمرتب على المحدث محدث ومثله استدلال المعتزلة بقوله (فاخلع نعليك) على أن كلامه تعالى ليس بقديم

عبد الله بن رواحة فى مرضه فبكت امرأته فقال ما يبكيك قالت رأيتك تبكى فبكيت قال ابن رواحة انى قد علمت أنى وارد النار فما أدرى أنا ج منها أنا أم لا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو عمرو داود بن الزبرقان قال سمعت السدى يذكر عن مرة الهمدانى عن ابن مسعود وان منكم إلا واردها قال داخلها **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله وان منكم الا واردها قال يدخلها **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق عن ابن عيينة عن اسمعيل بن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم قال كان عبد الله بن رواحة واضع رأسه فى حجر امرأته فبكت امرأته قال ما يبكيك قالت رأيتك تبكى فبكيت قال انى ذكرت قول الله وان منكم إلا واردها فلا أدرى أنجو منها أم لا * وقال آخرون بل هو المر عليها ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وان منكم إلا واردها يعنى جهنم مر الناس عليها **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله وان منكم الا واردها قال هو المر عليها **حدثنا** خلاد بن أسلم قال أخبرنا النضر قال أخبرنا اسرائيل قال أخبرنا أبو اسحق عن أبى الأحوص عن عبد الله فى قوله وان منكم إلا واردها قال الصراط على جهنم مثل حد السيف فمر الطبقة الأولى كالبرق والثانية كالريح والثالثة كأجود الخيل والرابعة كأجود البهائم ثم يمرون والملائكة يقولون اللهم سلم سلم * وقال آخرون بل الورود هو الدخول ولكنه عنى الكفار دون المؤمنين ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا أبو داود قال ثنا شعبة قال أخبرنى عبد الله بن السائب عن رجل سمع ابن عباس يقرؤها وان منكم إلا واردها يعنى الكفار قال لا يردها مؤمن **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا عمر بن الوليد الشنى قال سمعت عكرمة يقول وان منكم إلا واردها يعنى الكفار * وقال آخرون بل الورود عام لكل مؤمن وكافر غير أن ورود المؤمن المرور وورود الكافر الدخول ذكر من قال ذلك **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وان منكم إلا واردها ورود المسلمين المرور على الجسر بين ظهريها وورود المشركين أن يدخلوها قال وقال النبى صلى الله عليه وسلم الزالون والزالات يومئذ كثير وقد أحاط الجسر سماطان من الملائكة دعواهم يومئذ يا الله سلم سلم * وقال آخرون ورود المؤمن ما يصيبه فى الدنيا من حمى ومرض ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن عثمان بن الأسود عن مجاهد قال الحمى حظ كل مؤمن من النار ثم قرأ وان منكم الا واردها **حدثنى** عمران بن بكار الكلاعى قال ثنا أبو المغيرة قال ثنا عبد الرحمن بن يزيد بن تميم قال ثنا اسمعيل بن عبيد الله عن أبى صالح عن أبى هريرة

لان الامر والمأمور معدوم سفه فلابد أن يكون هذا الامر عند وجود موسى فيكون محدثا أجابت الاشاعرة بأن كلامه الازلى ليس بأمر ونهى ولو سلم فأمره بالازل مستمر الى أن صار الشخص مأمورا من غير تغير فى أمره كالقدرة الازلية تتعلق بالمقدور الحادث وأما الحكمة الامر بخلع النعلين قال المفسرون لانهما كانتا من جلد حمار ميت غير مدبوغ وهو قول على ومقاتل والكلبى والضحاك وقتادة والسدى وقال الحسن وسعيد بن جبير ومجاهد ليباشر الوادى بقدميه متبركا به وقيل عظم البقعة عن وطئها الاحافيا يؤيده قوله (انك بالواد المقدس ومن هنا كره بعضهم الصلاة والطواف (٨٤) فى النعل وكان السلف يطوفون بالكعبة حفاة ومنهم من استعظم دخول المسجد بنعليه وكان اذا وقع منه ذلك تصدق وعلى القول الاول لا يكره الا اذا كان غير مدبوغ وقد صلى النبى صلى الله عليه وسلم فى نعليه ثم خلعهما فى الصلاة فخلع الناس نعالهم فلما سلم قال مالكم خلعتم نعالكم قالوا خلعت فخلعنا قال فان جبرائيل أخبرنى أن فيهما قذرا ورأى أن موسى خلع نعليه وألقاهما من وراء الوادى قال الجوهرى (طوى) بكسر الطاء وضمها اسم موضع بالشأم فمن صرفه جعله اسم واد ومكان ومن لم يصرفه جعله اسم بقعة وقال بعضهم طوى بالضم مثل طوى وهو الشئ المثنى أى طوى مرتين أى قدس وقال الحسن ثنيت فيه البركة والتقديس مرتين ويحتمل أن يراد نودى نداءين وقيل طوى مصدر كهدى ومعناه العلى وعن ابن عباس أنه مر بذلك الوادى ليلا فطواه فكان المعنى بالواد المقدس الذى طويته طيا أى قطعته حتى ارتفعت الى أعلاه (وأنا اخترتك) اصطفيتك للنبوة قيل فيه دلالة على أن النبوة لا تحصل بالاستحقاق وانما هى ابتداء عطية من الله وفى هذه الأخبار غاية اللطف والرحمة ولكن فى قوله (فاستمع) نهاية الجلال والهيبة ففى الاول رجاء وفى الثانى خوف كأنه قال لقد جاءك أمر عظيم فتأهب له واجعل جميع همتك مصروفة اليه و (لما يوحى) أى للذى يوحى أو للوحى متعلق باستمع أو باخترتك ثم قال (انني أنا الله لا اله الا أنا) ورتب عليه (فاعبدنى) ليعلم أن عبادته انما لزمت لالهيته وهو هنا قال العلماء ان الله معناه المستحق للعبادة قال الاصوليون تأخير البيان عن وقت الحاجة غير جائز ولكن عن وقت الخطاب جائز لانه أمره بالعبادة ولم يذكر كيفيتها وأيضا قال (وأقم الصلاة) ولم يبين هيأتها أجاب القاضى عن هذا الأخير بأنه لا يمتنع أن موسى عليه السلام قد عرف الصلاة التى تعبد الله بها شعيبا وغيره من الانبياء فكان الخطاب متوجها الى ذلك وزيف بأن حمل الخطاب متوجها

قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود رجلا من أصحابه وعك وأنا معه ثم قال ان الله يقول هو ناري أسلطها على عبدى المؤمن لتكون حظه من النار فى الآخرة * وقال آخرون يردها الجميع ثم يصدر عنها المؤمنون بأعمالهم ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا يحيى بن سعيد عن شعبة قال ثنى السدى عن مرة عن عبد الله وان منكم الا واردها قال يردونها ثم يصدرون عنها بأعمالهم **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ثنا شعبة عن السدى عن مرة عن عبد الله بنحوه **حدثنى** محمد بن عبيد المحاربى قال ثنا أسباط عن عبد الملك بن عبيد الله عن مجاهد قال كنت عند ابن عباس فأتاه رجل يقال له أبو راشد وهو نافع بن الأزرق فقال له يا ابن عباس أرأيت قول الله وان منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا قال أما أنا وأنت يا أبا راشد فسنردها فانظر هل نصدر عنها أم لا **حدثنا** ابن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا ابن جريج قال أخبرنى أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يسئل عن الورود فقال نحن يوم القيامة على كوى أو كربى فوق الناس فتدعى الامم بأوثانها وما كانت تعبد الأول فالاول فينطلق بهم ويتبعونه قال ويعطى كل انسان منافق ومؤمن نورا ويغشى ظلمة ثم يتبعونه وعلى جسر جهنم كلاليب تأخذ من شاء الله فيطفأ نور المنافق وينجو المؤمنون فتنجو أول زمرة كالقمر ليلة البدر وسبعون ألفا لا حساب عليهم ثم الذين يلونهم كأضوإ نجم فى السماء ثم كذلك ثم تحل الشفاعة فيشفعون ويخرج من النار من قال لا اله الا الله ممن فى قلبه وزن شعيرة من خير ثم يلقون فى نهر الجنة ويهريق عليهم أهل الجنة الماء فينبتون نبات الشئ فى السيل ثم يسألون فيجعل لهم الدنيا وعشرة أمثالها **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن المبارك عن الحسن قال قال رجل لأخيه هل أتاك بأنك وارد النار قال نعم قال فهل أتاك أنك صادر عنها قال لا قال ففيم الضحك قال فما رؤى ضاحكا حتى لحق بالله **حدثنا** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنا عمرو بن الحرث أن بكيرا حدثه أنه قال لبسر بن سعيد ان فلانا يقول ان ورود النار القيام عليها قال بسر أما أبو هريرة فسمعته يقول اذا كان يوم القيامة يجتمع الناس نادى مناد ليلحق كل أناس بما كانوا يعبدون فيقوم هذا الى الحجر وهذا الى الفرس وهذا الى الخشبة حتى يبقى الذين يعبدون الله فيأتيهم الله فاذا رأوه قاموا اليه فيذهب بهم فيسلك بهم على الصراط وفيه عليق فعند ذلك يؤذن بالشفاعة فيمر الناس والنبيون يقولون اللهم سلم سلم قال بكير فكان ابن عمير يقول فناج مسلم ومنكوس فى جهنم ومخدوش ثم ناج * وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال يردها الجميع ثم يصدر عنها المؤمنون فينجيهم الله ويهوى فيها الكفار وورودهم هو

التأسيس أولى قال لعله قد بين له ولكن لم يحك الله تعالى سوى هذا القدر وردبأن البيان أكثر فائدة من المجمل فلو كان مذكورا لكان أولى بالحكاية ولقائل أن يقول سلمنا أن المبين أكثر فائدة للمخاطب ولكن لانسلم أن حكاية المبين أولى فلعل حكاية المجمل تكفي لغيره لضرورة بعض هيآت ذلك التكليف منسوخا وان كان أصله باقيا وفي قوله (لذكري) وجوه لأن اللام اما بمعنى الوقت أو هي للتعليل والذكر اما باللسان أو هو ضد النسيان وياء المتكلم فاعل في الاصل أو مفعول وهل يحتمل الكلام تقدير مضاف أم لا ولمثل هذه الاعتبارات تعددت الوجوه فمنها أن اللام للتعليل والياء منصوب أي لتذكرني فان ذكري أن أعبد (٨٥) ويصلي لي أو أراد لتذكرني في الصلاة

هو ما تظاهرت به الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مرورهم على الصراط المنصوب على متن جهنم فناج مسلم ومكدس فيها * ذكر الاخبار المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن أم مبشر امرأة زيد بن حارثة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيت حفصة لا يدخل النار أحد شهد بدرا والحديبية قالت فقالت حفصة يا رسول الله أليس الله يقول وان منكم إلا واردها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ثم ينجي الله الذين اتقوا حدثنا الحسن بن مدرك قال ثنا يحيى بن حماد قال ثنا أبو عوانة عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن أم مبشر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثله حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن أم مبشر عن حفصة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لأرجو أن لا يدخل النار أحد شهد بدرا والحديبية قالت فقلت يا رسول الله أليس الله يقول وان منكم إلا واردها قال فلم أسمعه يقول ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن محمد بن اسحق قال ثني عبيد الله بن المغيرة بن معيقيب عن سليمن بن عمرو بن عبد العتواري أحد بني ليث وكان في حجر أبي سعيد قال سمعت أبا سعيد الخدري يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوضع الصراط بين ظهري جهنم عليه حسك كحسك السعدان ثم يستجيز الناس فناج مسلم ومجروح به ثم ناج ومحتبس ومكدس فيها حتى اذا فرغ الله من القضاء بين العباد تفقد المؤمنون رجالا كانوا معهم في الدنيا يصلون صلاتهم ويزكون زكاتهم ويصومون صيامهم ويحجون حجهم ويغزون غزوهم فيقولون أي ربنا عبادك من عبادك كانوا معنا في الدنيا يصلون صلاتنا ويزكون زكاتنا ويصومون صيامنا ويحجون حجنا ويغزون غزونا لا نراهم فيقول اذهبوا الى النار فمن وجدتم فيها منهم فأخرجوه فيجدونهم قد أخذتهم النار على قدر أعمالهم فمنهم من أخذته النار الى قدميه ومنهم من أخذته الى نصف ساقيه ومنهم من أخذته الى ركبتيه ومنهم من أخذته الى ثديه ومنهم من أخذته الى عنقه ولم تغش الوجوه فيستخرجونهم منها فيطرحونهم في ماء الحياة فيل وما ماء الحياة يا رسول الله قال غسل أهل الجنة فينبتون كما تنبت الزرعة في غثاء السيل ثم تشفع الأنبياء في كل من كان يشهد أن لا اله الا الله مخلصا فيستخرجونهم منها ثم يتعنن الله برحمته على من فيها فما يترك فيها عبدا في قلبه مثقال ذرة من الايمان الا أخرجه منها حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا أبي وشعيب بن الليث عن الليث بن خالد عن يزيد ابن أبي هلال عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله

لاشتمالها على الاذكار عن مجاهد والفرق أن اطلاق الذكر على العبادة والصلاة في الاول حقيقة شرعية وفي الثاني مجاز أو نقول في الاول تكون نفس الصلاة مطلوبة بالذات وفي الثاني تكون مطلوبة بعرض الذكر أو أراد لذكري خاصة لا تشوبه بذكر غيري ومنها أن المضاف مع ذلك محذوف أي لاخلاص ذكري وطلب وجهي ومنها أن الياء فاعل أي لاني ذكرتها في الكتب وأمرت بها أو لان أذكرك بالمدح والثناء أجعل لك لسان صدق ومنها أن اللام للوقت كقولك جئتك لوقت كذا أي لاوقات ذكري وهي مواقيت الصلاة ومنها أن يحمل الذكر على ضد النسيان أي لتكون لي ذاكرا غير ناس فعل المخلصين في كونهم رطاب اللسان في جميع الاحيان بذكر مولى الانعام ومولى الاحسان رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله أو أراد ذكر الصلاة بعد نسيانها وكان حق العبارة أن يقال لذكرها كقوله صلى الله عليه وسلم من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها اذا ذكرها فلعل المضاف محذوف أي لذكر صلاتي أو ذكر الصلاة هو ذكر الله فالياء في الاصل منصوب أو الذكر والنسيان من الله عز وجل في الحقيقة والياء فاعل قال الشافعي من فاتته صلاة يستحب أن يقضيها على ترتيب الاداء ولو ترك الترتيب جاز ولو دخل عليه وقت فريضة وتذكر فائتة فان كان في الوقت سعة يستحب أن يبدأ بالفائتة وان بدأ بصلاة الوقت جاز الا اذا ضاق الوقت فانه يجب الابتداء بصلاة الوقت وان تذكر الفائتة بعد ما شرع في صلاة الوقت أتمها ثم قضى الفائتة ويستحب أن يعيد صلاة الوقت بعدها وقال أبو حنيفة يجب الترتيب في قضاء الفوائت ما لم تزد على صلاة يوم وليلة حتى لو تذكر خلال صلاة الوقت بطلت الا أن يكون الوقت ضيقا فلا تبطل حجة الشافعي ما روي في حديث قتادة أنهم ناموا عن صلاة الفجر ثم انتبهوا بعد طلوع الشمس فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يقودوا رواحلهم

ثم صلاها ولو كان وقت الانتباه متعينا للصلاة لما فعل كذلك نعم انه وقت لتقرير الوجوب عليه ثم الوقت موسع بعد ذلك حجة أبي حنيفة
تعالى أقم الصلاة لذكرى وقوله صلى الله عليه وسلم فليصلها اذا ذكرها وفي حديث جابر أن عمر جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق
يسب كفار قريش ويقول يارسول الله ماصليت صلاة العصر حتى كادت تغيب الشمس فقال النبي صلى الله عليه وسلم وأنا والله ماصليتها
قال فنزل في البطحاء وصلى العصر بعد ماغابت الشمس ثم صلى المغرب بعدها وأما القياس فهما صلاتان فريضتان جمعهما وقت واحد
اليوم والليلة فاشبهتا صلاتي عرفة ومزدلفة فلما لم (٨٦) يجز اسقاط الترتيب فيهما وجب أن يكون كذلك حكم الفوائت فيما دون اليوم
والليلة وأما اذا دخل في حد الكثرة فيسقط هذا الترتيب ثم لما أمر موسى بالعبادة عامة وبالصلاة التي هي أفضلها خاصة علل ذلك بقوله (ان الساعة آتية) * سؤال كاد نفيه اثبات واثباته نفي فقوله (أكاد أخفيها) يكون معناه لا أخفيها وهو باطل لقوله ان الله عنده علم الساعة ولان قوله (لتجزى كل نفس) انما يليق بالاخفاء لا بالاظهار اذ لو كان المكلف عارفا وقت القيامة وكذا وقت الموت اشتغل بالمعاصي الى قريب من ذلك الوقت ثم تاب فيكون اغراء على المعصية والجواب لانسلم أن كاد اثباته نفي وانما هو للمقاربة فقط والباقي موكول الى القرينة ولئن سلم فالمراد بعدم الاخفاء اخباره بأنها آتية وان كان وقتها غير معين كأنه قال أكاد لا أقول هي آتية لفرط ارادة الاخفاء ولولا ما في الاخبار باتيانها مع تعمية وقتها من اللطف لما أخبرت به وبالغ بعض المفسرين في هذا المعنى فقال أراد أكاد أخفيها من نفسي أي لو صح اخفاؤها من نفسي لأخفيتها مني وأكدوا ذلك بأنهم وجدوه في مصحف أبي كذلك فقال قطرب هذا على عادة العرب في المخاطبة اذا بالغوا في كتمان الشيء قالوا كتمته من نفسي وقيل كاد من الله واجب وأراد أنا أخفيها من الخلق كقوله عسى أن يكون قريبا أي هو قريب قاله الحسن وعن أبي مسلم اتقوا أن أكاد بمعنى أريد كقوله كذلك كدنا ليوسف ومنه قولهم لا أفعل ذلك ولا أكاد أي لا أريد أن أفعله وقيل أكاد صلة والمعنى أن الساعة آتية أخفيها وقال أبو الفتح الموصلي الهمزة للازالة أي أكاد أظهرها معناه قرب اظهارها كقوله اقتربت الساعة ومثله ماروي عن أبي الدرداء وسعيد بن جبير أخفيها بفتح الهمزة من خفاه اذا أظهره وقوله (لتجزى) متعلق بأخفيها كما قلنا أو بآتية فلولا القيامة لم يتميز المطيع من العاصي والمحسن من المسيء وذلك خلاف قضية العدالة والحكمة واحتجاج المعتزلة بالآية ظاهر لانه قال (بما تسعى) أي بسعيها فلو لم يكن

عليه وسلم قال يؤتى بالحسر يعني يوم القيامة فيجعل بين ظهري جهنم قلنا يارسول الله وما الجسر
قال مدحضة مزلة عليه خطاطيف وكلاليب وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاء تكون بنجد
يقال لها السعدان يمر المؤمنون عليها كالطرف والبرق وكالريح وكأجاود الخيل والركاب فناج
مسلم ومخدوش مسلم ومكدوس في جهنم ثم يمر آخرهم يسحب سحبا فما أنتم بأشد مناشدة لي في الحق
قد تبين لكم من المؤمنين يومئذ للجبار تبارك وتعالى اذا رأوهم قد نجوا وبقي اخوانهم **حدثني**
أحمد بن عيسى قال ثنا سعيد بن كثير بن عفير قال ثنا ابن لهيعة عن أبي الزبير قال سألت
جابر بن عبد الله عن الورود فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هو الدخول يردون النار
حتى يخرجوا منها فآخر من يبقى رجل على الصراط يزحف فيرفع الله له شجرة قال فيقول أي رب
أدنني منها قال فيدنيه الله تبارك وتعالى منها قال ثم يقول أي رب أدخلني الجنة قال فيقول لعل
قال فيسأل قال فيقول ذلك لك وعشرة أضعافه أو نحوها قال فيقول يارب تستهزئ بي قال فيضحك
حتى تبدو لهواته وأضراسه **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني يحيى بن أيوب ح
وحدثنا أبو كريب قال ثنا محمد بن زيد عن رشدين جميعا عن زياد بن فائد عن سهل بن معاذ
عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من حرس وراء المسلمين في سبيل الله متطوعا
لا يأخذه سلطان يحرس لم ير النار بعينه الا تحلة القسم فان الله تعالى يقول وان منكم الا واردها
حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر أخبرني الزهري عن ابن المسيب
عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من مات له ثلاثة لم تمسه النار الا تحلة القسم يعني
الورود وأما قوله كان على ربك حتما مقضيا فان أهل التأويل اختلفوا في تأويله فقال بعضهم
معناه كان على ربك قضاء مقضيا ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم
قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح
عن مجاهد قوله حتما قال قضاء **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج
حتما مقضيا قال قضاء * وقال آخرون بل معناه كان على ربك قسما واجبا ذكر من قال ذلك
حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو عمرو داود بن الزبرقان قال سمعت السدي
يذكر عن مرة الهمداني عن ابن مسعود كان على ربك حتما مقضيا قال قسما واجبا **حدثنا**
بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة كان على ربك حتما مقضيا يقول قسما
واجبا * قال أبو جعفر وقد بينت القول في ذلك ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ثم ننجي الذين
اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ يقول تعالى ذكره ثم ننجي من النار بعد ورود جميعهم اياها الذين

أعمال العباد بسعيهم لم يصح هذا الاسناد ولو لم يكن الثواب مستحقا على العمل لم يكن لباء السببية معنى والجواب أن اعتبار الوسط لا ينافي انتهاء الكل الى الله واستناد الجزاء الى عنايته الأزلية التي لا علة لها ومعنى الفاء في (فلا يصدنك) أنه اذا صح عندك اني أخبرتك باتيان الساعة فلا تلتفت الى قول المخالف الذي يصدك عن التصديق بالساعة لان قوله ناشئ عن الهوى واتباعه وجوز أبو مسلم أن يكون الضمير في (عنها) للصلاة والعرب تذكر شيئين ثم ترمي بضميرهما الى السامع اعتمادا على أنه يرد كلا منهما الى ما هو له وزيف بأن هذا انما يصار اليه عند الضرورة ولا ضرورة هنا وأما الخطاب فالظاهر أنه لموسى لان الكلام أجمع معه وجوز (٨٧) بعضهم أن يكون لنبينا عليه السلام والمقصود الامة والنهي عن الصد في الظاهر لمن لا يؤمن بالساعة وهو بالحقيقة نهي لموسى عن التكذيب والوجه فيه أن صد الكافر عن التصديق سبب للتكذيب فذكر السبب ليدل على المسبب أو صد الكافر مسبب عن رخاوة الرجل في الدين ولين شكيمته فذكر المسبب ليدل على السبب كأنه قيل كن في الدنيا صلبا حتى لا يطمع في اغوائك الكافر والذي دعا الى هذا النهي البالغ في معناه هو أن في المبطلين والجاحدين كثرة وهي مزلة قدم فعلى المرء أن يكون مع المحقين وان قلوا لا مع غيرهم وان كثروا وفيه حث بليغ على العمل بالدليل وزجر قوي عن التقليد وانذار بأن الردى والهلاك مع اتباع الهوى * وههنا استدل الاصوليون على شرف علمهم ووجوب تعلمه كيلا يتمكن الخصم من تشكيكه وزعم القاضي أن في نسبة الصد الى الكافر بالبعث دليلا على أن القبائح انما تصدر عن العباد وعورض بالعلم والداعي كما مر مرارا قال أهل التحقيق قوله أولا لموسى اخلع نعليك اشارة الى التخلية وتطهير لوح الضمير عن الاغيار وما بعده اشارات الى التحلية وتحصيل ما ينبغي تحصيله وأصول ذلك

اتقوا خافوه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه ونذر الظالمين فيها جثيا يقول جل ثناؤه وندع الذين ظلموا أنفسهم فعبدوا غير الله وعصوا ربهم وخالفوا أمره ونهيه في النار جثيا يقول بروكا على ركبهم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ونذر الظالمين فيها جثيا على ركبهم **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة ونذر الظالمين فيها جثيا على ركبهم **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ونذر الظالمين فيها جثيا قال الجثي شر الجلوس لا يجلس الرجل جاثيا الا عند كرب ينزل به **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ان الناس وردوا جهنم وهي سوداء مظلمة فأما المؤمنون فأضاءت لهم حسناتهم فأنجوا منها وأما الكفار فأوبقتهم أعمالهم واحتبسوا بذنوبهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا﴾ يقول تعالى ذكره واذا تتلى على الناس آياتنا التي أنزلناها على رسولنا محمد بينات يعني واضحات لمن تأملها وفكر فيها أنها أدلة على ما جعلها الله أدلة عليه لعباده قال الذين كفروا بالله وبكتابه وآياته وهم قريش للذين آمنوا بذلك فصدقوا به وهم أصحاب محمد أي الفريقين خير مقاما يعني بالمقام موضع اقامتهم وهي مساكنهم ومنازلهم وأحسن نديا وهو المجلس يقال منه ندوت القوم أندوهم ندوا اذا جمعتهم في مجلس ويقال هو في ندي قومه وفي ناديهم بمعنى واحد ومن الندي قول حاتم

ودعيت في أولى الندي ولم * ينظر الي بأعين خزر

وتأويل الكلام واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين منا ومنكم أوسع عيشا وأنعم بالا وأفضل مسكنا وأحسن مجلسا وأجمع عددا وغاشية في المجلس نحن أم أنتم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس قوله خير مقاما وأحسن نديا قال المقام المنزل والندي المجلس **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن سليمن عن أبي ظبيان عن ابن عباس بمثله **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا قال المقام المسكن والندي المجلس والنعمة والبهجة التي كانوا فيها وهو كما قال الله لقوم فرعون حين أهلكهم وقص شأنهم في القرآن فقال كم تركوا من

ترجع الى علم المبدا وهو قوله اني أنا الله والى علم الوسط وهو قوله فاعبدني وانه مشتمل على الاعمال الجسمانية وقوله لذكري وهو مشتمل على الأعمال الروحانية والى علم المعاد وذلك قوله ان الساعة آتية وأيضا انه افتتح الخطاب بقوله وأنا اخترتك وهو غاية اللطف وختم الكلام بقوله فلا يصدنك الى آخره وهو قهر تنبيها على أن رحمته سبقت غضبه وأن العبد لا بد أن يكون سلوكه على قدمي الرجاء والخوف قوله (وما تلك) مبتدأ وخبر و (بيمينك) حال منتصب بمعنى الاشارة أو الاستفهام وجوز الكوفيون أن يكون تلك اسما موصولا صلته بيمينك أي ما التي بيمينك قيل لم يقل بيدك لأنه يحتمل أن يكون في يساره خاتم أو شيء آخر وكان يلتبس عليه الجواب ۞ أسئلة ما الفائدة في هذا السؤال

جوابه أن الصانع الماهر اذا أراد أن يظهر من الشئ الحقير كقطعة من حديد شيأ شريفا كاللبوس المسرد عرضه على الحاضرين ويقول ماهذا حتى انه بعد اظهار صنعته يلزمهم بقولهم ويقول خذوا هذا من ذلك الذى قلتم فكأنه سبحانه قال لموسى هل تعرف حقيقة ما فى عصاك وأنه خشبة يابسة حتى اذا قلبه ثعبانا عظيما كان قد نبهه على كمال قدرته الباهرة وقال أهل الخطابة انه سبحانه لما أطلعه على تلك الأمور المتصاعدة من الشجرة الى السماء وأسمعه تسبيح الملائكة ثم أسمعه كلام نفسه مما زجابا للطف والقهر والتكاليف تحير موسى ودهش ولم لا يعرف اليمين من الشمال فقيل له وما تلك بيمينك (٨٨) يا موسى ليعرف موسى أن يمينه هى التى فيها العصا وأيضا انه لما تكلم معه بكلام الالهية وقرب موسى أن يدهش تكلم معه بكلام البشر ازالة لتلك الدهشة والحيرة لا لأن المسؤل عنه مما يقع فيه الغلط كما أن السائل لا يجوز عليه الغلط نظيره حال المؤمن فى القبر يغلبه الوجل والخجل والحياء فيسئل عن أمر لا يشك فيه فى الدنيا وهو التوحيد دفعا للاجتياح وجلبا للاستئناس وأيضا لما عرف موسى كمال الالهية أراد أن يعرفه نقصان البشرية فسأله عن منافع العصا فذكر ماذكر فعرفه الله تعالى أن فيها منافع أجل مما ذكر تنبيها على أن عقول البشر قاصرة عن خفيات الأمور لولا التوفيق والارشاد * آخر خاطب موسى بلا واسطة وخاطب محمدا صلى الله عليه وسلم بواسطة جبرائيل فيلزم أن يكون موسى أفضل وجوابه المنع بدليل فأوحى الى عبده ما أوحى وبيان الأفضلية أن كلامه مع موسى لم يكن سرا وكلامه مع محمد سر لم يستأهل له سواه وأيضا حصل لأمته فى الدنيا شرف التكليم المصلى يناجى ربه وفى الآخرة شرف التسليم والتسليم سلام قولا من رب رحيم وأيضا ان موسى كان عند استغراقه فى بحر المحبة متعلقا بالعصا ومنافعها ومحمد عليه السلام لم يلتفت الى الكونين حين عرضا عليه مازاغ البصر وما طغى بل كان فانيا عن الاغيار باقيا بالواحد القهار ولهذا لم يزد فى الثناء حينئذ على قوله أنت كما أثنيت على نفسك * وههنا نكت منها أنه سبحانه لما أشار الى العصا واليد بقوله وما تلك بيمينك يا موسى حصل فى كل منهما برهان باهر ومعجز ماهر فصار أحدهما وهو الجماد حيوانا والآخر وهو الكثيف نورانيا لطيفا ثم انه تعالى ينظر فى كل يوم ثلثمائة وستين نظرة الى قلب العبد فأى عجب أن ينقلب قلبه الجامد المظلم حيا مستنيرا ومنها أن العصا صارت بين يمين موسى حيا فكذا لا يصير قلب المؤمن الذى هو بين اصبعين من أصابع الرحمن حيا ومنها أن العصا باشارة واحدة صارت بحيث ابتلعت سحر السحرة كلهم

جنات وعيون وكنوز ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين فالمقام المسكن والنعيم والندى المجمع والمجمع الذى كانوا يجتمعون فيه وقال الله فيما قص على رسوله فى أمر لوط اذ قال وتأتون فى ناديكم المنكر والعرب تسمى المجلس النادى **حدثنى** على قال ثنا عبدالله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وأحسن نديا يقول مجلسا **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و**حدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله أى الفريقين قال قريش تقولها لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وأحسن نديا قال مجالسهم يقولونه أيضا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أى الفريقين خير مقاما وأحسن نديا رأوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فى عيشهم خشونة وفيهم قشافة فعرض لهم الشرك بما تسمعون قوله وأحسن نديا يقول مجلسا **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبدالرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله أى الفريقين خير مقاما وأحسن نديا قال النتن المجلس وقرأ قول الله تعالى فليدع ناديه قال مجلسه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا﴾ يقول تعالى ذكره وكم أهلكنا يا محمد قبل هؤلاء القائلين من أهل الكفر للمؤمنين اذا تتلى عليهم آيات الرحمن أى الفريقين خير مقاما وأحسن نديا مجالس من قرن هم أكثر متاع منازل من هؤلاء وأحسن منهم منظرا وأجمل صورا فأهلكناهم وغيرنا صورهم ومن ذلك قول علقمة بن عبدة

كميت كلون الارجوان نشرته * لبيع الرئى فى الصوان المكعب

يعنى بالصوان التخت الذى تصان فيه الثياب * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن الأعمش عن أبى ظبيان عن ابن عباس أحسن أثاثا ورئيا قال الرئى المنظر والاثاث المتاع **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا ابن أبى عدى عن شعبة عن سليمن عن أبى ظبيان عن ابن عباس قال الرئى المنظر **حدثنى** على قال ثنا عبدالله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله أحسن أثاثا ورئيا يقول منظرا **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس أحسن أثاثا ورئيا الاثاث المال والرئى المنظر **حدثنا** ابن بشار قال ثنا هوذة قال ثنا عوف عن الحسن فى قوله أثاثا ورئيا قال الاثاث أحسن المتاع والرئى قال المال **حدثنا** بشر

فقلب المؤمن أولى أن يصير بمدد نظر الرب فى كل يوم مرات بحيث يبتلع سحر النفس الامارة بالسوء ثم ان جواب موسى عليه السلام يتم بقوله (هى عصاى) الا أنه زاد على ذلك لانه كان يحب المكالمة وكان المقام مقام انبساط وقرب فاغتنم الفرصة وجعل ذلك كالوسيلة الى درك الغرض وقيل هو جواب سؤال آخر كأنه سئل فما تصنع بها فأخذ فى ذكر منافعها وقيل خاف أن ينكر عليه استصحاب العصا كالنعلين ومعنى (أتوكأ عليها) أعتمد عليها اذا أعييت أو وقفت على رأس القطيع وعند الطفرة والتركيب يدور على الشد والايثاق (وأهش بها) أى أخبط الورق بها على رؤس غنمى لتأكله والتركيب يدل على الرخاوة (٨٩) واللين ومنه رجل هش المكسر أى سهل الشأن فيما يطلب من الحوائج وهو مدح وهش الخبز يهش بالكسر اذا كان ينكسر لرخاوته قال المحققون ان موسى عليه السلام كان يتوكأ على العصا ومحمد صلى الله عليه وسلم كان يتكل على فضل الله ورحمته قائلا مع أمته حسبنا الله ونعم الوكيل فورد فى حقه حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين أى حسبك وحسب من اتبعك وأيضا انه بدأ بمصالح نفسه فى قوله أتوكأ عليها ثم بمصالح رعيته بقوله وأهش بها على غنمى ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يشتغل فى الدنيا الا باصلاح أمر أمته وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون فلا جرم يقول موسى يوم القيامة نفسى نفسى ومحمد يقول أمتى أمتى ثم قال (ولى فيها مآرب) هى جمع المأربة بضم الراء الحاجة وقد تفتح الراء وحكى ابن الاعرابى وقطرب بكسر الراء أيضا ومثله الارب بفتحتين والاربة بكسر الهمزة وسكون الراء وانما قال (أخرى) لان المآرب فى معنى جماعة وتنكيره الاسماء الحسنى ومن آياتنا الكبرى قالوا انما أجمل موسى ليسأله عن تلك المآرب فتطول مكالمته وقالوا انقطع بالهيبة كلامه فأجمل وقيل

بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يقول الله تبارك وتعالى وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا أى أكثر متاعا وأحسن منزلة ومستقرا فأهلك الله أموالهم وأفسد صورهم عليهم تبارك وتعالى **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله أحسن أثاثا ورئيا قال أحسن صورا وأكثر أموالا **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أثاثا قال المتاع ورئيا قال فيما يرى الناس **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه **حدثنا** ابن حميد وبشر بن معاذ قالا ثنا جرير بن قابوس عن أبيه عن ابن عباس الأثاث المال والرئى المنظر الحسن **حدثنا** القاسم قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس ورئيا منظرا فى اللون والحسن **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أحسن أثاثا ورئيا قال الرئى المنظر والأثاث المتاع أحسن متاعا وأحسن منظرا **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول فى قوله أحسن أثاثا يعنى المال ورئيا يعنى المنظر الحسن * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة وربا غير مهموز وذلك اذا قرئ كذلك يتوجه لوجهين أحدهما أن يكون قارئه أراد الهمزة فأبدل منها ياء فاجتمعت الياء المبدلة من الهمز والياء التى هى لام الفعل فأدغمتا فجعلتا ياء واحدة مشددة ليلحقوا ذلك اذ كان رأس آية بنظائره من سائر رؤس الآيات قبله وبعده والآخر أن يكون من رويت أروى رؤية وريا واذا أريد به ذلك كان معنى الكلام وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن متاعا وأحسن نظرا لماله ومعرفة لتدبيره وذلك أن العرب تقول ما أحسن رؤية فلان فى هذا الأمر اذا كان حسن النظر فيه والمعرفة به وقرأ ذلك عامة قراء العراق والكوفة والبصرة ورئيا بهمزها بمعنى رؤية العين كأنه أراد أحسن متاعا ومرآة وحكى عن بعضهم أنه قرأ أحسن أثاثا وزيا بالزاى كأنه أراد أحسن متاعا وهيئة ومنظرا وذلك أن الزى هو الهيئة والمنظر من قولهم زيت الجارية بمعنى زينتها وهيأتها * قال أبو جعفر وأولى القراآت فى ذلك بالصواب قراءة من قرأه أثاثا ورئيا بالراء والهمز لاجماع الحجة من أهل التأويل على أن معناه المنظر وذلك هو من رؤية العين لا من الروية فلذلك كان المهموز أولى به فان قرأ قارئ ذلك بترك الهمز وهو يريد هذا المعنى فغير مخطئ فى قراءته وأما قراءته بالزاى فقراءة خارجة عن قراءة القراء فلا أستجيز القراءة بها لخلافها قراءتهم وان كان لهم فى التأويل وجه صحيح واختلف أهل العربية فى الأثاث أجمع هو أم واحد فكان الأحمر فيما ذكر لى عنه يقول هو جمع واحدتها أثاثة كما الحمام جمع

(١٢ - (ابن جرير) - سادس عشر)

فى المآرب كانت ذات شعبتين ومحجن فاذا طال الغصن حناه بالمحجن واذا طلب كسره لوا به بالشعبتين واذا سار ألقاها على عاتقه فعلق بها أدواته من القوس والكنانة والجراب وغيرها واذا كان فى البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيها وألقى عليها الكساء واستظل واذا قصر رشاؤه وصله بها وكان يقاتل بها السباع عن غنمه وقيل ان موسى عليه السلام كان أحس بأنه تعالى انما سأله عن أمر العصا لمنافع عظيمة فقال الهى ما هذه العصا الا كغيرها ولكنك لما سألت عنها وكلمتنى بسببها عرفت أن لى فيها مآرب أخرى وقيل كان فيها من المعجزات أنه كان يستقى بها فتطول بطول البئر وتصير شعبتاها دلوا وتكونان شمعتين

بالليل واذا ظهر عدو حاربت عنه واذا اشتهى ثمرة ركزها فأورقت وأثمرت وكان يحمل عليها زاده وسقاءه فجعلت تماشيه ويركزها الى الماء فاذا رفعها نضب وكانت تقيه الهوام قلت هذه الخوارق ان كانت بعد نبوة موسى فلا كلام وان كانت قبلها ففي صحة الرواية بعد كان الأنسب تقديمها عند تعدد المنافع وعلى تقدير صحتها فلعلها ارهاص أو من معجزات شعيب على ما روى أنه كان قد أعطاه قال أهل النكت ان موسى لما قال ولي فيها مآرب أخرى أراد الله سبحانه أن يعرفه أن فيها مآرب أخرى لا يفطن لها و (قال ألقها يا موسى و بوجه آخر كان في رجله شئ وهو النعل وفي يده شئ وهو العصا والرجل آلة الهرب واليد آلة الطلب فأمر بتركه تنبيها على أن السالك مادام في مقام الطلب والهرب كان مشتغلا بنفسه وطالبا لحظه فلا يحصل له كمال الاستغراق في بحر العرفان وفيه أن موسى عليه السلام مع جلالة منصبه وعلو شأنه لم يمكن له الوصول الى حضرة الجلال حتى خلع النعل وألقى العصا فأنت مع ألف وقر من المعاصي كيف يمكنك الوصول الى جنابه قال الكلبي الاستطاعة قبل الفعل لان القدرة على القاء العصا اما أن توجد والعصا في يده فذلك قولنا أو توجد وهي خارجة عن يده وذلك تكليف بأنه يلقي من يده ما ليس في يده ويمكن أن يجاب بأن القدرة مع القاء العصا قوله (فاذا هي حية تسعى) وفي موضع آخر فاذا هي ثعبان وفي آخر كأنها جان عبارات عن معبر واحد لان الحية اسم جنس يقع على الذكر والانثى والصغير والعظيم وأما الثعبان وهو العظيم من الحيات والجان وهو الدقيق منها فبينهما تناف في الظاهر لا في التحقيق لانها حين انقلابها كانت تكون حية صفراء دقيقة كالجان ثم تتورم ويتزايد جرمها حتى يصير ثعبانا آخر الامر أو أنها كانت في شخص ثعبان وسرعة حركة الجان ولهذا وصفها بالسعي وهو المشي بسرعة وخفة حركة والعجب أن موسى قال أتوكأ عليها فصدقه الله تعالى في ذلك وجعلها متكأ له بأن كانت أعظم معجزاته وانما قلبها حية في ذلك الوقت لتكون معجزة لموسى عليه السلام يعرف بها نبوة نفسه فان النداء والنور والكلام لم يكن في ظهور الدلالة كهذه ولان توالي المعجزات كتتابع الخلع والكرامات وأيضا عرضها عليه ليشاهدها ويوطن نفسه عليها حتى لا يخافها عند عدوه فالولي يستر العيوب والعدو يبرز المناقب في صورة المثالب فكيف اذا وجد مجال طعن وقدح وقد مر في الاعراف أن الحية كان لها عرف كعرف الفرس وكان بين لحييها أربعون ذراعا فلما رأى ذلك الامر العجيب

واحدتها حمامة والسحاب جمع واحدتها سحابة وأما الفراء فانه كان يقول لا واحد له كأن لا واحد له قال والعرب تجمع المتاع أمتعة وأماتيع ومتع قال ولو جمعت الاثاث لقلت ثلاثة أثث وأما الرئي فان جمعه آراء ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا حتى اذا رأوا ما يوعدون اما العذاب واما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين بربهم القائلين اذا تتلى عليهم آياتنا أي الفريقين منا ومنكم خير مقاما وأحسن نديا من كان منا ومنكم في الضلالة جائرا عن طريق الحق سالكا غير سبيل الهدى فليمدد له الرحمن مدا يقول فليطول له الله في ضلاله وليمله فيها إملاء * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني عمر ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا فليدعه الله في طغيانه وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقوله حتى اذا رأوا ما يوعدون اما العذاب واما الساعة يقول تعالى ذكره قل لهم من كان منا ومنكم في الضلالة فليمدد له الرحمن في ضلالته الى أن يأتيهم أمرالله اما عذاب عاجل أو يلقوا بهم عند قيام الساعة التي وعد الله خلقه أن يجمعهم لها فانهم لا محالة أتاهم وعد الله بأحد هذين الأمرين فسيعلمون من هو شر مكانا ومسكنا منكم ومنهم وأضعف جندا أهم أم أنتم ويتبينون حينئذ أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا﴾ يقول تعالى ذكره ويزيد الله من سلك قصد المحجة واهتدى لسبيل الرشد فآمن به وصدق بآياته فعمل بما أمره به وانتهى عما نهاه عنه هدى بما يتجدد له من الايمان بالفرائض التي فرضها عليه ويقر بلزوم فرضها اياه ويعمل بها فذلك زيادة من الله في اهتدائه بآياته هدى على هداه وذلك نظير قوله واذا أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه ايمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وقد كان بعضهم يتأول ذلك ويزيد الله الذين اهتدوا هدى بناسخ القرآن ومنسوخه فيؤمن بالناسخ كما آمن من قبل بالمنسوخ فذلك زيادة هدى من الله له على هداه من قبل والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا يقول تعالى ذكره والاعمال التي أمر الله بها العباد ورضيها منهم الباقيات لهم غير الفانيات الصالحات خير عند ربك جزاء لأهلها وخير مردا عليهم من مقامات هؤلاء المشركين بالله وأنديتهم التي يفتخرون بها على أهل الايمان في الدنيا * وقد بينا معنى الباقيات الصالحات وذكرنا اختلاف المختلفين في ذلك ودللنا على الصواب من القول فيه

الهائل ملكه من الفزع والنفار ما يملك البشر عند الاهوال حتى ذهل عن الدلائل وأخذ يفر ولو أنه بلغ حينئذ مقام ففروا الى الله لم يفر عن شئ أو لعله لما حصل له مقام المكالمة بقى فى قلبه عجب فأراه الله تعالى أنه بعد فى نقص الامكان ولم يفاوت عالم البشرية وما النصر والتثبيت الا من الله وحده فقد روى أنه لما قال له ربه لا تخف بلغ من ذهاب خوفه وطمأنينة نفسه أن أدخل يده فى فمها وأخذ بلحييها قال الشيخ أبو القاسم الانصارى ذلك الخوف من أقوى الدلائل على صدقه فى النبوة لان الساحر يعلم أن الذى أتى به تمويه فلا يخافه البتة وعن بعضهم أنه خافها لانه عرف ما لقى آدم منها قلت يحتمل أن يكون خوف موسى وهجره اياها من فوات المنافع المعدودة ولهذا علل عدم خوفه بقوله

فيما مضى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر بن راشد عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال جلس النبى صلى الله عليه وسلم ذات يوم فأخذ عودا يابسا لحط ورقه ثم قال ان قول لا اله الا الله والله أكبر والحمد لله وسبحان الله تحط الخطايا كما تحط ورق هذه الشجرة الريح خذهن يا أبا الدرداء قبل أن يحال بينك وبينهن هن الباقيات الصالحات وهن من كنوز الجنة قال أبو سلمة فكان أبو الدرداء اذا ذكر هذا الحديث قال لأهلن الله ولأكبرن الله ولأسبحن الله حتى اذا رآنى الجاهل حسب أنى مجنون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم أفرأيت يا محمد الذى كفر بآياتنا حجدنا فلم يصدق بها وأنكر وعيدنا من أهل الكفر وقال وهو بالله كافر وبرسوله لأوتين فى الآخرة مالا وولدا وذكر أن هذه الآيات أنزلت فى العاص بن وائل السهمى أبى عمرو بن العاص ذكر الرواية بذلك **حدثنا** أبو السائب وسعيد بن يحيى قالا ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مسلم عن مسروق عن خباب قال كنت رجلا قينا وكان لى على العاص بن وائل دين فأتيته أتقاضاه فقال والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد فقلت والله لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث قال فقال فاذا أنا مت ثم بعثت كما تقول جئتنى ولى مال وولد قال فأنزل الله تعالى أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا الى قوله ويأتينا فردا **حدثنى** به أبو السائب وقرأ فى الحديث وولدا **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس أن رجالا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يطلبون العاص بن وائل السهمى بدين فأتوه يتقاضونه فقال ألستم تزعمون أن فى الجنة فضة وذهبا وحريرا ومن كل الثمرات قالوا بلى قال فان موعدكم الآخرة فوالله لأوتين مالا وولدا ولأوتين مثل كتابكم الذى جئتم به فضرب الله مثله فى القرآن فقال أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا الى قوله ويأتينا فردا **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله لأوتين مالا وولدا قال العاص بن وائل يقوله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا فذكر لنا أن رجالا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أتوا رجلا من المشركين يتقاضونه دينا فقال أليس يزعم صاحبكم أن

(سنعيدها سيرتها الاولى) قال جار الله السيرة من السير كالركبة من الركوب يقال سار فلان سيرة حسنة ثم اتسع فيها فنقلت الى معنى المذهب والطريقة ومنه سير الاولين فيجوز أن ينتصب على الظرف أى فى طريقتها الاولى حال ما كانت عصا أو يكون أعاد منقولا بالهمزة من عاده بنزع الخافض بمعنى عاد اليه فيتعدى الى مفعولين أو يكون المراد بالاعادة الانشاء ثانيا ونصب سيرتها بفعل مضمر فى موضع الحال أى سنعيدها تسير سيرتها الأولى حيث كنت تتوكأ عليها ولك فيها المآرب التى عرفتها ثم قوى أمره بمعجزة ثانية فقال (واضمم يدك الى جناحك) يقال لكل ناحيتين جناحان ومنه جناحا العسكر وجناحا الانسان لجنبيهما والاصل المستعار منه جناحا الطائر سميا جناحين لانه يجنحهما عند الطيران أى يميلهما فقيل المراد بالآية تحت العضد بدليل قوله (تخرج) وعن ابن عباس معناه الى صدرك وضعف بأنه لا يطابقه قوله تخرج قلت لا شك أن الصدر مستور بالقميص فيظهر عند ذلك معنى الخروج ويفسره قوله فى موضع آخر وأدخل يدك فى جيبك والسوء الرداءة والقبيح فى كل شئ فكنى به عن البرص كما كنى عن العورة بالسوءة والبرص أبغض شئ عند العرب بحيث تجمه أسماعهم فكان جديرا بأن يكنى عنه ومعنى (بيضاء) أنها تنور كشعاع الشمس قال فى الكشاف من غير سوء من صلة البياض كما تقول ابيضت من غير سوء قلت لعله أراد أن من للتعليل أى ليس سبب البياض هو السوء وانما السبب غيره وحقيقته ترجع الى الابتداء وبيضاء وآية حالان معا أو متداخلتان واحتمل أن ينتصب آية بمضمر يدل عليه الكلام نحو خذ دونك وقوله (لنريك) اما أن يتعلق بهذا المحذوف أو بمحذوف آخر أى لنريك (من آياتنا) فعلنا ما فعلنا ولا يبعد عندى أن يتعلق بالامرين المذكورين أى ألقها واضمم لنريك قال الحسن اليد فى الاعجاز أعظم

من العصا لانه تعالى وصفها بالكبرى وضعف بأنه ليس فى اليد الا تغير اللون وأما فى العصا ففيه تغير اللون والزيادة فى الحجم وخلق الحيا
والقدرة على الامور الخارقة فالمراد لنريك بهاتين الآيتين بعض آياتنا الكبرى وجوز فى الكشاف أن يكون المراد لنريك بهما الكبر
من آياتنا ويرد عليه لزوم أن تكون الآيات الكبرى منحصرة فيهما وليس كذلك فان معجزات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أكبر من الكل
وكفانا بالقرآن شاهدا على ذلك ثم صرح بالمقصود من المعجزات فقال (اذهب الى فرعون) وخصه بالذكر لان قومه تبع له ثم بين العلة فى ذل
فقال (انه طغى) وعن وهب أن الله تعالى (٩٢) قال لموسى استمع كلامى واحفظ وصيتى وانطلق برسالتى فانك بعينى وبسمعى وان معك
يدى وبصرى وانى ألبستك جنة من سلطانى لتستكمل بها القوة فى أمرى بعثتك الى خلق ضعيف من خلقى بطر نعمتى وأمن مكرى وغرته الدنيا حتى جحد حقى وأنكر تقديسى وانى أقسم بعزتى لولا الحجة والعذر الذى وضعت بينى وبين خلقى لبطشت به بطشة جبار شديدة ولكن هان على وسقط من عينى فبلغه رسالتى وادعه الى عبادتى وحذره نقمتى وقل له قولا لينا لا يغتر بلباس الدنيا وان ناصيته بيدى لا يطرف ولا يتنفس الا بعلمى فى كلام طويل قال فسكت موسى سبعة أيام ثم جاءه ملك فقال له أجب ربك فيما أمرك فعند (قال رب اشرح لى صدرى) قال علماء المعانى أبهم أولا بقوله رب اشرح لى ويسر لى فعلم ان ثمة مشروحا وميسرا ثم بين فرفع الابهام بذكر الصدر والامر وكان أوكد من جهة الاجمال ثم التفصيل كان فى صدر موسى ضيق كما جاء فى موضع آخر ويضيق صدرى فسأل الله أن يبدل الضيق بالسعة حتى يفهم ما أنزل عليه من الوحى وقيل أراد شجعنى على مخاطبة فرعون وعلى تحمل أعباء الرسالة واعلم أن الكلام فى الدعاء وشرائطه وفوائده وسائر ما يتعلق به قد سبق منا فى البقرة فى تفسير قوله سبحانه واذا سألك عبادى عنى فانى قريب ولنذكر ههنا نكتا شريفة الأولى أنه تعالى كامل فى الازل الا أنه غير مكمل فى الازل لان التكميل هو جعل الشئ كاملا ولا شئ معه فى الازل فلا تكميل وذلك كما يقال انه سبحانه لا يعلم عند مفصلا لحركات أهل الجنة لان كل ماله عدد مفصل فهو متناه وحركات أهل الجنة غير متناهية فامتنع ذلك لا لقصور فى العلم بل لكون نفسه ممتنع الحصول ولما كان الغرض من التكوين تكميل الناقصين وكان الوجود أول صفة من صفات الكمال أجلس الله سبحانه عن هذه المائدة بعض المعدومات لانه لو أجلس الكل عليها لدخل فى الوجود ما لا نهاية له ولانتهت القدرة الذاتية لامتناع ايجاد الموجود

فى الجنة حريرا وذهبا قالوا بلى قال فيعاد كم الجنة فوالله لا أومن بكتابكم الذى جئتم به استهزاء بكتاب
الله ولأوتين مالا وولدا يقول الله أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا حدثنا الحسن بن يحيى
قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن الاعمش عن أبى الضحى عن مسروق قال قال
خباب بن الأرت كنت قينا بمكة فكنت أعمل للعاص بن وائل فاجتمعت لى عليه دراهم فجئته
لأتقاضاه فقال لى لا أقضيك حتى تكفر بمحمد قال قلت لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث قال
فاذا بعثت كان لى مال وولد قال فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تبارك
وتعالى أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا الى ويأتينا فردا * واختلفت القراء
فى قراءة قوله وولدا فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة وولدا بفتح الواو وبين
الولد فى كل القرآن غير أن أبا عمرو بن العلاء خص التى فى سورة نوح بالضم فقرأها مالا وولدوا
عامة قراء الكوفة غير عاصم فانهم قرؤا من هذه السورة من قوله مالا وولدا الى آخر السورة
واللتين فى الزخرف والتى فى نوح بالضم وسكون اللام * وقد اختلف أهل العربية فى معنى ذلك فقال
ضمت واوه فقال بعضهم ضمها وفتحها واحدوا نما هما لغتان مثل قولهم العدم والعدم والحزن
والحزن واستشهدوا لقيلهم ذلك بقول الشاعر

فليت فلانا كان فى بطن أمه * وليت فلانا كان ولد حمار

وبقول الحرث بن حلزة

ولقد رأيت معاشرا * قد ثمروا مالا وولدا

وقول رؤبة

الحمد لله العزيز فردا * لم يتخذ من ولد شيأ ولدا

وتقول العرب فى مثلها ولدك من دمى عقبيك قال وهذا كله واحد بمعنى الولد وقد ذكر لى أن بعض
تجعل الولد جمعا والولد واحدا ولعل الذين قرؤا ذلك بالضم فيما اختار وافيه الضم انما قرؤه كذلك
ليفرقوا به بين الجمع والواحد * قال أبو جعفر والذى هو أولى بالصواب من القول فى ذلك عندى
أن الفتح فى الواو من الولد والضم فيها بمعنى واحد وهما لغتان فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب
غير أن الفتح أشهر اللغتين فيهما فالقراءة به أعجب الى لذلك وقوله أطلع الغيب يقول عز ذكره أعلم
هذا القائل هذا القول علم الغيب فعلم أن له فى الآخرة مالا وولدا باطلاعه على علم ما غاب عنه
أم اتخذ عند الرحمن عهدا يقول أم آمن بالله وعمل بما أمر به وانتهى عما نهاه عنه فكان له بذلك
عند الله عهد أن يؤتيه ما يقول من المال والولد كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد

أن رحمته اقتضت وضع مائدة الوجود لبعض المعدومات دون بعض حتى صار ذلك البعض حيا مدركا للمنافى والملائم واللذة والألم والخير والشر فقال الأحياء عند ذلك يارب الأرباب شرفتنا بخلعة الوجود وخلعة الحياة ولكن ازدادت حاجتنا الا ناحال العدم وحال الجمادية ما كنا نحتاج الى الملائم والمخالف والموافق وما كنا نخاف المنافى والمؤذى والآن احتجنا الى طلب الملائم ودفع المنافى فان لم يكن لنا قدرة على الهرب والطلب كنا كالزمن المقعد فى الطريق عرضة للآفات وهدفا لسهام البليات فاقتضت الرحمة الكاملة تخصيص بعض الاحياء بالقدرة كما اقتضت تخصيص بعض المعدومات بالوجود وتخصيص بعض الموجودات بالحياة فقال القادر دون عند ذلك الهنا الجواد الكريم ان الحياة والقدرة بلا عقل لا تكون الا للبهائم المسخرة فى حمل الاثقال فأفض علينا من العقل الذى هو أشرف مخلوقاتك فأعطى بعضهم العقل فحصل فى أرواحهم نور البصيرة وجوهر الهداية فختامه مسك كما أن خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم كان أفضل المخلوقات فنظر العقل فى نفسه فرأى نفسه كالحقة المملوءة من الجواهر بل كسماء مزينة بالزواهر وهى العلوم الضرورية البديهية المركوزة فى بداية العقول وصرائح الأذهان يهتدى بها السائرون فى ظلمات برالشكوك وبحر الشبهات فاستدل العقل بتلك الأرقام على راقم وبتلك النقوش على نقاش فغلبته دهشة الأنوار الأزلية وكاد يغرق فى بحر الفكر ويضيق عليه نطاق التأمل والتدبر ويقع فى تجاذب أيدى الأعداء الداخلة والخارجة وشياطين الجن والانس فعند ذلك قال رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى فانتهاء جميع الحوادث اليه وتيسير الأمور الكلية والجزئية من عنده وهو الذى يعطى القابل قابليته والفاعل فاعليته * الثانية انه تعالى خاطبه أولا بالتوحيد انى أنا الله لا اله الا أنا وثانيا بالعبادة فاعبدنى وثالثا بمعرفة المعاد ان الساعة آتية ورابعا بمعرفة الحكمة فى جملة أفعاله وما تلك بيمينك وخامسا بعرض المعجزات الباهرة عليه لنريك من آياتنا الكبرى وسادسا بارساله الى أعظم الناس كفرا وكانت هذه التكاليف الشاقة سببا لضيق العطن وانحلال عقدة الصبر فلا جرم تضرع الى الله سبحانه قائلا رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى وههنا دقيقة هى أن شرح الصدر مقدمة لسطوع الأنوار الالهية فى القلب والاستماع مقدمة الفهم ولما أعطى موسى المقدمة بقوله فاستمع نسج موسى على ذلك المنوال فقال رب اشرح لى صدرى ولما آل الأمر الى محمد وكان خاتم النبيين ومقصودا من الكائنات ومخاطبا بقوله ألم نشرح لك صدرك أوتى النتيجة فقيل له وقل رب زدنى علما ووصف بقوله وسراجا منيرا

عن قتادة أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا بعمل صالح قدمه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ كلا سنكتب مايقول ونمد له من العذاب مدا ونرثه مايقول ويأتينا فردا ﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله كلا ليس الأمر كذلك ما اطلع الغيب فعلم صدق مايقول وحقيقة مايذكر ولا اتخذ عند الرحمن عهدا بالايمان بالله ورسوله والعمل بطاعته بل كذب وكفر ثم قال تعالى ذكره سنكتب مايقول أى سنكتب مايقول هذا الكافر بربه القائل لأوتين فى الآخرة مالا وولدا ونمد له من العذاب مدا يقول ونزيده من العذاب فى جهنم بقيله الكذب والباطل فى الدنيا زيادة على عذابه بكفره بالله وقوله ونرثه مايقول يقول عز ذكره ونسلب هذا القائل لأوتين فى الآخرة مالا وولدا ماله وولده ويصير لنا ماله وولده دونه ويأتينا هو يوم القيامة فردا وحده لا مال معه ولا ولد * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى ح وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ونرثه مايقول ماله وولده وذلك الذى قال العاصى ابن وائل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ونرثه مايقول ويأتينا فردا لامال له ولا ولد حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله ونرثه مايقول قال ماعنده وهو قوله لأوتين مالا وولدا وفى حرف ابن مسعود ونرثه ماعنده حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ونرثه مايقول قال ماجمع من الدنيا وماعمل فيها قال ويأتينا فردا قال فردا من ذلك لا يتبعه قليل ولا كثير حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ونرثه مايقول (١) نرثه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ﴾ يقول تعالى ذكره واتخذ يا محمد هؤلاء المشركون من قومك آلهة يعبدونها من دون الله لتكون هؤلاء الآلهة لهم عزا يمنعونهم من عذاب الله ويتخذون عبادتهموها عند الله زلفى وقوله كلا يقول عز ذكره ليس الامر كما ظنوا وأملوا من هذه الآلهة التى يعبدونها من دون الله فى أنها تنقذهم من عذاب الله وتنجيهم منه ومن سوء ان أراده بهم ربهم وقوله سيكفرون بعبادتهم يقول عز ذكره ولكن سيكفر الآلهة فى الآخرة بعبادة هؤلاء المشركين يوم القيامة اياها وكفرهم بها قيلهم لربهم تبرأنا اليك ما كانوا ايانا يعبدون فجحدوا أن يكونوا عبدوهم أو أمروهم بذلك وتبرؤا منهم وذلك كفرهم بعبادتهم وأما قوله ويكونون عليهم ضدا فان

(١) كذا فى ابن كثير أيضا والذى فى الدر عن ابن عباس ونرثه مايقول ماله وولده كتبه مصححه

فشرح الصدر هو أن يصير الصدر قابلا للنور والسراج المنير هو المعطى للنور فالتفاوت بين موسى ومحمد عليهما السلام هو التفاوت بين الآخذ والمعطى ولهذا قال موسى اللهم اجعلنى من أمة محمد * الثالثة انه تعالى ذكر عشرة أشياء ووصفها بالنور أحدها وصف ذاته بالنور انه نور السموات والارض وثانيها الرسول قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وثالثها الكتاب واتبعوا النور الذى أنزل معه ورابعها الايمان يريدون أن يطفؤا نور الله وخامسها عدل الله وأشرقت الارض بنور ربها وسادسها ضياء القمر وجعل القمر نورا وسابعها النهار وجعل الظلمات والنور وثامنها البينات انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور وتاسعها الانبياء نور على نور وعاشرها المعرفة مثل نوره كمشكاة فيها مصباح فكأن موسى عليه السلام قال أولا رب اشرح لى صدرى بمعرفة أنوار جلال كبريائك وثانيا رب اشرح لى صدرى بالتخلق بأخلاق رسلك وأنبيائك وثالثا رب اشرح لى صدرى باتباع وحيك وامتثال أمرك ونهيك ورابعا رب اشرح لى صدرى بنور الايمان واليقان بالهيتك وخامسا رب اشرح لى صدرى بالاطلاع على أسرار عدلك فى قضائك وحكمك وسادسا رب اشرح لى صدرى بالانتقال من نور شمسك وقمرك الى أنوار جلالك وعزتك كما فعله ابراهيم صلوات الرحمن عليه وسابعا رب اشرح لى صدرى عن مطالعة نهارك وليلك الى مطالعة نهار فضلك وليل عدلك وثامنا رب اشرح لى صدرى بالاطلاع على مجامع آياتك ومعاقد بيناتك فى أرضك وسمائك وتاسعا رب اشرح لى صدرى فى أن أكون خلف صدق أنبيائك المتقدمين متشبها بهم فى الانقياد لحكم رب العالمين وعاشرا رب اشرح لى صدرى بأن تجعل سراج الايمان كالمشكاة التى فيها المصباح * الرابعة شرح الصدر عبارة عن ايقاد النور فى القلب حتى يصير القلب كالسراج ومستوقد السراج محتاج الى سبعة أشياء زند وحجر وحراق وكبريت ومسرجة وفتيلة ودهن فالزند زند المجاهدة والذين جاهدوا فينا والحجر حجر التضرع ادعوا ربكم تضرعا وخفية والحراق * وبنحو منع الهوى ونهى النفس عن الهوى والكبريت الانابة وأنيبوا الى ربكم والمسرجة الصبر واستعينوا بالصبر والصلاة والفتيلة الشكر لئن شكرتم لأزيدنكم والدهن الرضا واصبر لحكم ربك ثم اذا صلحت هذه الادوات فلا تعول عليها بل ينبغى أن تطلب المقصود من حضرة ربك بالتضرع والدعاء قائلا رب اشرح لى صدرى فهنالك تسمع قد أوتيت سؤلك يا موسى * الخامسة هذا النور الروحانى المسمى بشرح الصدر أفضل من الشمس الجسمانية لوجوه أحدها الشمس يحجبها الغيم وشمس المعرفة لا تحجبها السموات السبع اليه يصعد الكلم الطيب

أهل التأويل اختلفوا فى تأويله فقال بعضهم معنى ذلك وتكون آلهتهم عليهم عونا وقالوا الضد العون ذكر من قال ذلك **حدثنا** على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ويكونون عليهم ضدا يقول أعوانا **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى ح **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ويكونون عليهم ضدا قال عونا عليهم تخاصمهم وتكذبهم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ويكونون عليهم ضدا قال أوثانهم يوم القيامة فى النار * وقال آخرون بل عنى بالضد فى هذا الموضع القرناء ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ويكونون عليهم ضدا يقول يكونون عليهم قرناء **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ويكونون عليهم ضدا قرناء فى النار يلعن بعضهم بعضا ويتبرأ بعضهم من بعض **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله ضدا قال قرناء فى النار * وقال آخرون معنى الضد ههنا العدو ذكر من قال ذلك **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ويكونون عليهم ضدا قال أعداء * وقال آخرون معنى الضد فى هذا الموضع البلاء ذكر من قال ذلك **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ويكونون عليهم ضدا قال يكونون عليهم بلاء الضد البلاء والضد فى كلام العرب هو الخلاف يقال فلان يضاد فلانا فى كذا اذا كان يخالفه فى صنيعه فيفسد ما أصلحه ويصلح ما أفسده واذ كان ذلك معناه وكانت آلهة هؤلاء المشركين الذين ذكرهم الله فى هذا الموضع يتبرؤن منهم وينتفون يومئذ صاروا لهم أضدادا فوصفوا بذلك * وقد اختلف أهل العربية فى وجه توحيد الضد وهو صفة لجماعة فكان بعض نحويى البصرة يقول وحد لانه يكون جماعة وواحدا مثل الرصد والأرصاد قال ويكون الرصد أيضا لجماعة وقال بعض نحويى الكوفة وحد لان معناه عونا وذكر أن أبا نهيك كان يقرأ ذلك **كما حدثنا** ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبد المؤمن قال سمعت أبا نهيك الأزدى يقرأ كلا سيكفرون يعنى الآلهة كلها انهم سيكفرون بعبادتهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا فلا تعجل عليهم انما نعد لهم عدا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ألم تر يا محمد أنا أرسلنا الشياطين على أهل الكفر بالله تؤزهم يقول تحركهم بالاغواء والاضلال فتزعجهم الى معاصى الله وتغريهم بها حتى يواقعوها أزا ازعاجا واغواء

وثانيها الشمس تغيب ليلا وشمس المعرفة لا تغيب ليلا ان ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا والمستغفرين بالاسحار سبحان الذي أسرى بعبده ليلا الليل للعاشقين ستير يا ليت أوقاته تدوم وعند الصباح يحمد القوم السرى وثالثها الشمس تفنى اذا الشمس كورت والمعرفة لا تفنى أصلها ثابت وفرعها في السماء سلام قولا من رب رحيم ورابعها الشمس اذا قارنها القمر انكسفت وشمس توحيد المعرفة وهي أشهد أن لا اله الا الله اذا لم تقرن بقمر النبوة وهي أشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يصل نوره الى عالم الجوارح وخامسها الشمس تسود الوجه والمعرفة تبيض الوجوه يوم تبيض وجوه وسادسها الشمس تحرق والمعرفة تنجي من الاحراق جزيا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي وسابعها الشمس تصدع والمعرفة تصعد اليه يصعد الكلم الطيب وثامنها الشمس منفعتها في الدنيا والمعرفة منفعتها في الدارين فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون وبوجه آخر الشمس زينة لأهل الارض والمعرفة زينة لأهل السماء وتاسعها الشمس فوقاني الصورة تحتاني المعنى والمعارف الالهية تحتانية الصورة فوقانية المعنى وفيه أن الخيبة مع الترفع والشرف مع التواضع وعاشرها الشمس تعرف أحوال الخلق والمعرفة تصل القلب الى الخالق والشمس تقع على الولي والعدو والمعرفة لا تحصل الا للولي ولما كان شرح الصدر الذي هو أول مراتب الروحانيات أشرف من أعلى مراتب الجسمانيات بدأ موسى بطلبه فقال رب اشرح لي صدري السادسة الشمس سراج أوقدها الله تعالى للفناء كل من عليها فان والمعرفة سراج استوقده للبقاء يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت والذي خلقه للفناء اذا قرب منه الشيطان احترق يجدله شهابا رصدا والذي خلقه للبقاء كيف يقرب منه الشيطان رب اشرح لي صدري وأيضا الشمس

* وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** على قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله أزا يقول تغريهم اغراء **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس تؤزهم الكافرين اغراء في الشرك امض امض في هذا الامر حتى توقعهم في النار امضوا في الغي امضوا **حدثنا** أبو كريب قال ثنا أبو ادريس عن جويبر عن الضحاك في قوله تؤزهم أزا قال تغريهم اغراء **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله تؤزهم أزا قال تزعجهم ازعاجا في معصية الله **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا ابن عثمة قال ثنا سعيد بن بشير عن قتادة في قول الله تؤزهم أزا قال تزعجهم الى معاصي الله ازعاجا **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله تؤزهم أزا قال تزعجهم ازعاجا في معاصي الله **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا فقرأ ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين قال تؤزهم أزا قال تسليطهم اشلاء على معاصي الله تبارك وتعالى وتغريهم عليها كما يغري الانسان الآخر على الشيء يقال منه أزرت فلانا بكذا اذا أغريته به أؤزه أزا وأزيزا وسمعت أزيز القدر وهو صوت غليانها على النار ومنه حديث معرف عن أبيه أنه انتهى الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل وقوله فلا تعجل عليهم انما نعد لهم عدا يقول عز ذكره فلا تعجل على هؤلاء الكافرين بطلب العذاب لهم والهلاك يا محمد انما نعد لهم عدا يقول فانما نؤخرهم لنوفيهم أعمالهم كلها ونحصيها حتى أنفاسهم لنجازيهم على جميعها ولم نترك تعجيل هلاكهم لخير أردناه بهم

* وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله انما نعد لهم عدا يقول أنفاسهم التي يتنفسون في الدنيا فهي معدودة كسنهم وآجالهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا﴾ يقول تعالى ذكره يوم نجمع الذين اتقوا في الدنيا مخالفوا عقابه فاجتنبوا لذلك معاصيه وأدوا فرائضه الى ربهم وفدا يعني بالوفد الركبان يقال وفدت على فلان اذا قدمت عليه وأوفد القوم وفدا على أميرهم اذا بعثوا من قبلهم بعثا والوفد في هذا الموضع بمعنى الجمع ولكنه وحد لانه مصدر واحدهم وافد وقد يجمع الوفد الوفود كما قال بعض بني حنيفة

انى لممتدح فما هو صانع * رأس الوفود مزاحم بن جساس

السماء ثم انها مع بعدها تزيل الظلمة عن بيتك فشمس المعرفة مع قربها لانها في قلبك أولى أن تزيل ظلمة المعصية والكفر عن قلبك وأيضا الانسان اذا استوقد سراجا فانه لا يزال يتعهده ويمده والله تعالى هو الموقد لسراج المعرفة ولكن الله حبب اليكم الايمان أفلا يمده وهو معنى قوله رب اشرح لي صدري وأيضا اذا كان في البيت سراج فان اللص لا يقرب منه وانه سبحانه قد أوقد سراج المعرفة في قلبك فكيف يقرب الشيطان منه رب اشرح لي صدري وأيضا المجوس اذا أوقدوا نارا لا يجوزون اطفاءها فالملك القدوس اذا أوقد سراج المعرفة في قلبك كيف يرضى باطفائها رب اشرح لي صدري * السابعة أنه سبحانه أعطى قلب المؤمن تسع كرامات أحدها أومن كان ميتا فاحييناه وقال صلى الله

عليه وسلم من أحيا أرضا ميتة فهي له فيعلم أنه لما خلق أرض القلب فأحياها بنور الايمان لا يكون لغيره فيها نصيب وثانيها الشفاء لما في صدور قوم مؤمنين وفيه أنه اذا وضع الشفاء في العسل بقيت تلك الخاصية فيه أبدا فاذا وضع الشفاء في الصدر فكيف لا يبقى أبدا وثالثها الطهارة أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى وفيه أن الصائغ اذا امتحن الذهب فبعد ذلك لا يدخله في النار فالله تعالى لما امتحن قلب المؤمن كيف يدخله النار بعده ورابعها الهداية ومن يؤمن بالله يهد قلبه وفيه أن الرسول صلى الله عليه وسلم يهدي نفسك والقرآن يهدي روحك والمولى يهدي قلبك والاول قد يحصل (٩٦) وقد لا يحصل انك لا تهدي من أحببت وكذا الثاني يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وأما هداية القلب فلا تزول البتة لان الهادي لا يزول ولكن الله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وخامسها الكتابة أولئك كتب في قلوبهم الايمان وفيه أن القرطاس اذا كتب فيه القرآن لم يجز احراقه فقلب المؤمن الذي فيه القرآن وجميع أحكام ذات الله وصفاته كيف يليق بالكريم احراقه وأيضا ان بشرا الحافي أكرم قرطاسا فيه اسم الله تعالى فنال سعادة الدارين فاكرام قلب فيه معرفة الله أولى بذلك وأيضا ان القرطاس اذا كتب فيه اسم الله الاعظم عظم قدره حتى انه لا يجوز للجنب والحائض مسه فالقلب الذي فيه أكرم الموجودات كيف يجوز للشيطان الخبيث أن يمسه وسادسها هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين وفيه أن أبا بكر لما نزلت عليه السكينة في الغار قيل له لا تحزن ان الله معنا فالمؤمن اذا نزلت السكينة في قلبه لا بد أن يقال له عند قبض الروح لا تخف ولا تحزن كما قال تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وسابعها المحبة والزينة كما قال ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وفيه أن الدهقان اذا ألقى في الارض حبة فهو لا يفسدها ولا يحرقها فهو سبحانه حين ألقى حبة المحبة في أرض القلب كيف يحرقها وثامنها وألف بين قلوبكم وفيه أن محمدا حين ألف بين قلوب أصحابه ماتركهم غيبة ولا حضورا سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فأكرم الاكرمين وأرحم الراحمين كيف يتركهم سلام قولا من رب رحيم وتاسعها الطمأنينة ألا بذكر الله تطمئن القلوب وفيه أن الحاجات غير متناهية وما سوى الله فهو متناه والمتناهي لا يقابل غير المتناهي فالكافي للمهمات لا يكون الا من له كمالات غير متناهيات فلا يزيل قلق الحوائج واضطراب الاماني الا الله سبحانه وبازاء هذه الكرامات ورد في حق الكفار اضدادها فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم في قلوبهم مرض قلوبهم قاسية الخ

وقد يكون الوفود في هذا الموضع جمع وافد كالجلوس جمع جالس * وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة قال ثنا ابن فضيل عن عبد الرحمن بن اسحق عن النعمان بن سعد عن علي في قوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا قال والله ما يحشرون الوفد على أرجلهم ولا يساقون سوقا ولكنهم يؤتون بنوق لم ير الخلائق مثلها عليها رحال الذهب وأزمتها الزبرجد فيركبون عليها حتى يضربوا أبواب الجنة حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي عن شعبة عن اسمعيل عن رجل عن أبي هريرة يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا قال على الابل حدثنا علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا يقول ركبانا حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا عمرو بن قيس الملائي قال ان المؤمن اذا خرج من قبره استقبله أحسن صورة وأطيبها ريحا فيقول هل تعرفني فيقول لا الا أن الله طيب ريحك وحسن صورتك فيقول كذلك كنت في الدنيا أنا عملك الصالح طالما ركبتك في الدنيا فاركبني أنت اليوم وتلا يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا قال وفدا الى الجنة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج في قوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا قال على النجائب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال سمعت سفيان الثوري يقول يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا قال على الابل النوق وقوله ونسوق المجرمين الى جهنم وردا يقول تعالى ذكره ونسوق الكافرين بالله الذين أجرموا الى جهنم عطاشا والورد مصدر من قول القائل وردت كذا أرده وردا والوارد لم يجمع وقد وصف به الجمع * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثني عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ونسوق المجرمين الى جهنم وردا يقول عطاشا حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي عن شعبة عن اسمعيل عن رجل عن أبي هريرة ونسوق المجرمين الى جهنم وردا قال عطاشا حدثني يعقوب والفضل بن صباح قالا ثنا اسمعيل بن علية عن أبي رجاء قال سمعت الحسن يقول في قوله ونسوق المجرمين الى جهنم وردا قال عطاشا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن يونس عن الحسن مثله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله الى جهنم وردا قال ظماء الى النار حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ونسوق المجرمين الى جهنم وردا قال سوقوا الله ما رأيتم عطاش حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال سمعت سفيان يقول في قوله

قلوبهم أكنة أن يفقهوه ختم الله على قلوبهم أم على قلوب أقفالها بل ران على قلوبهم طبع الله على قلوبهم فلاجل تلك الكرامات والهرب
من اعدادها قال موسى رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى * الثامنة فى حقيقة شرح الصدر وذلك أن لا يبقى للقلب التفات الى الدنيا لا رغبة
فيها بأن يكون متعلق القلب الاهل والولد وتحصيل مصالحهم ودفع المضار عنهم ولا رهبة بأن يكون خائفا من الاعداء والمنازعين فان القوة
الشهوية تضعفها كينبوع صغير فاذا وزعت على جداول كثيرة ضعف الكل وضاعت واذا انصب الكل فى موضع واحد ظهر أثرها وقويت
فلهذا سأل موسى ربه أن يوقفه على معايب الدنيا وقبح صفاتها ليكون متوجها (٩٧) بالكلية الى عالم القدس ومنازل الروحانيات وهذا

معنى قوله رب اشرح لى صدرى أو نقول انه لما كلف بضبط الوحى فى قوله فاستمع لما يوحى وبالمواظبة على خدمة الخالق فى قوله فاعبدنى فكأنه صار مكلفا بتدبير العالمين والالتفات الى أحدهما يمنع من الاشتغال بالآخر فسأل موسى ربه قوة وافية بالطرفين فقال رب اشرح لى صدرى أو نقول معدن النور هو القلب والاشتغال بما سوى الله من الزوجة والولد والصديق والعدو بل الجنة والنار هو الحجاب المانع من وصول نور شمس القلب الى فضاء الصدر فاذا قوى الله بصيرة العبد حتى طالع عجز الخلق وقلة فائدتهم فى الدارين صغروا فى عينه كالذباب والبق والبعوض فلا يدعوه رغبة الى شئ مما يتعلق بالدنيا ولا رهبة من شئ من ذلك فيصير الكل عنده كالعدم فعند ذلك يزول الحجاب وينفسح القلب بل الصدر للنور رب اشرح لى صدرى * التاسعة لنضرب مثلا لذلك فنقول البدن بالكلية كالمملكة والصدر كالقلعة والفؤاد كالصفة والقلب كالسرير والروح كالملك والعقل كالوزير والشهوة كالعامل الكبير الذى يجلب النعم الى البلدة والغضب كالاسفهيد الذى يشتغل بالضرب

والتأديب والحواس كالجواسيس وسائر القوى كالمحترفين والعملة
والصناع ثم ان الشيطان كملك مطاع وانه يخاصم هذه البلدة والقلعة والهوى والحرص وسائر الاخلاق الذميمة جنوده فاذا أخرج الروح
الوزير وهو العقل أخرج الشيطان فى مقابله الهوى فجعل العقل يدعو الى الله تعالى والهوى الى الشيطان ثم ان الروح أخرج الفطنة اعانة
للعقل فأخرج الخصم فى مقابلته الشهوة فالفطنة توقفك على معايب الدنيا والشهوة تحسن لذات الدنيا ثم ان الروح أمد الفطنة بالفكرة
حتى توقفك على الحاضر والغائب من المعايب على ما قال تفكر ساعة خير من عبادة سنة فأخرج الشيطان فى مقابلة الفكرة الغفلة ثم أخرج

سرق المجرمين الى جهنم وردا قال عطاشا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿لا يملكون الشفاعة
من اتخذ عند الرحمن عهدا﴾ يقول تعالى ذكره لا يملك هؤلاء الكافرون بربهم يا محمد يوم يحشر الله
المتقين اليه وفدا الشفاعة حين يشفع أهل الايمان بعضهم لبعض عند الله فيشفع بعضهم لبعض
من اتخذ منهم عند الرحمن فى الدنيا عهدا بالايمان به وتصديق رسوله والاقرار بما جاء به والعمل
بما أمره به كما حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس
قوله إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا قال العهد شهادة أن لا اله الا الله و يتبرأ الى الله من الحول والقوة
ولا يرجو إلا الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله
لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا قال المؤمنون يومئذ بعضهم لبعض شفعاء إلا
من اتخذ عند الرحمن عهدا قال عملا صالحا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن
قتادة قوله لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا أى بطاعته وقال فى آية أخرى لا تنفع
الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا ليعلموا أن الله يوم القيامة يشفع المؤمنين بعضهم
فى بعض ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول ان فى أمتى رجلا ليدخلن الله بشفاعته
الجنة أكثر من بنى تميم وكنا نحدث أن الشهيد يشفع فى سبعين من أهل بيته حدثنا بشر قال
ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن أبى المليح عن عوف بن مالك قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان شفاعتى لمن مات من أمتى لا يشرك بالله شيأ ومن فى قوله الا من فى موضع نصب
على الاستثناء ولا يكون خفضا بضمير اللام ولكن قد يكون نصبا فى الكلام فى غير هذا الموضع
وذلك كقول القائل أردت المرور اليوم الا العدو فانى لا أمر به فيستثنى العدو من المعنى وليس
كذلك فى قوله لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا لأن معنى الكلام لا يملك
هؤلاء الكفار الا من آمن بالله فالمؤمنون ليسوا من أعداد الكافرين ومن نصبه على أن معناه إلا لمن
اتخذ عند الرحمن عهدا فانه ينبغى أن يجعل قوله لا يملكون الشفاعة للمتقين فيكون معنى الكلام
حينئذ يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا فيكون
معناه عند ذلك إلا لمن اتخذ عند الرحمن عهدا فأما اذا جعل لا يملكون الشفاعة خبرا عن المجرمين
لم يكن حينئذ نصبا على أنه استثناء منقطع فيكون معنى الكلام لا يملكون الشفاعة لكن
من اتخذ عند الرحمن عهدا يملكه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولدا
لقد جئتم شيأ ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا﴾ يقول تعالى
ذكره وقال هؤلاء الكافرون بالله اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيأ ادا يقول تعالى ذكره للقائلين
من خلقه لقد جئتم أيها الناس شيأ عظيما من القول منكرا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال

الروح الحلم والثبات فان العجلة ترى الحسن قبيحا والقبيح حسنا فأخرج الشيطان بازائه العجلة والسرعة فلهذا قال صلى الله عليه وسلم ما دخل الرفق فى شئ الا زانه وما دخل الخرق فى شئ الا شانه وخلق السموات والارض فى ستة أيام ليتعلم منه الرفق والثبات فهذه هى الخصوصية الواقعة بين الصفين وقلبك وصدرك هو المعركة ثم ان لهذا الصدر الذى هو القلعة خندقا وهو الزهد فى الدنيا وله سور وهو الرغبة فى الآخرة فان كان الخندق عظيما والسور قويا عجز عسكر الشيطان وجنوده فانهزموا وان كان بالضد دخل الشيطان وجنوده من الكبر والهوى والعجب والبخل وسوء الظن بالله ومن النميمة والغيبة وسائر الخصال الذميمة وينحصر الملك فى القصر ويضعف الامر عليه ثم اذا جاء مدد التوفيق وأخرج هذا العسكر من القلعة انفسح وانشرح رب اشرح لى صدرى * النكتة العاشرة فى الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب الصدر مقر الاسلام أفمن شرح الله صدره للاسلام والقلب مقر الايمان حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم أولئك كتب فى قلوبهم الايمان والفؤاد مقر المشاهدة ما كذب الفؤاد ما رأى واللب مقام التوحيد انما يتذكر أولوا الالباب أى الذين خرجوا من قشر الوجود المجازى وبقوا بلب الوجود الحقيقى ثم ان القلب كاللوح المحفوظ فى العالم الصغير فاذا ركب العقل سفينة التوفيق وألقاها فى بحار أمواج المعقولات من عالم الروحانيات هبت من مهاب العظمة والكبرياء رخاء السعادة تارة ودبور الادبار أخرى فحينئذ يضطر الراكب الى التماس أنوار الهدايات وطلب انفتاح أبواب السعادات فيقول رب اشرح لى صدرى وانما سأل موسى شرح الصدر دون القلب لان انشراح الصدر يستلزم انشراح القلب دون العكس وأيضا شرح الصدر كالمقدمة لشرح القلب والحوادث يكفيه الاشارة فاذا علم أنه طالب للمقدمة فلا يليق بكرمه أن يمنعه النتيجة وأيضا انه راعى الادب فى الطلب فاقتصر على طلب الادنى فلا جرم أعطى المقصود فقال قد أوتيت سؤلك يا موسى وحين اجترأ فى طلب الرؤية بقوله أرنى أنظر اليك أجيب بقوله لن ترانى واعلم أن جميع المهيات الممكنة كالبلور الصافى الموضوع فى مقابلة شمس القدس ونور العظمة ومشرق الجلال فاذا وقع للقلب التفات اليها حصلت له نسبة اليها بأسرها فينعكس شعاع كبرياء الالهية من كل واحد منها الى القلب فيحرق القلب ومعلوم أن المحرق كلما كان أكثر كان الاحتراق أتم فلهذا قال موسى رب اشرح لى صدرى حتى أقوى على ادراك درجات الممكنات وأصل الى مقام الاحتراق بأنوار الجلال كما قال

أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبدالله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله شيأ إدا يقول قولا عظيما حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله لقد جئتم شيأ إدا يقول لقد جئتم شيأ عظيما وهو المنكر من القول حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا ثنا ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله شيأ إدا قال عظيما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبدالرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله شيأ إدا قال عظيما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله لقد جئتم شيأ ادا قال جئتم شيأ كبيرا من الامر حين دعوا للرحمن ولدا وفى الادّ لغات ثلاث يقال لقد جئت شيأ ادا بكسر الالف وأدا بفتح الالف وآدا بفتح الالف ومدها على مثال ماد فاعل وقرأه قراء الامصار بكسر الالف وبها نقرأ وقد ذكر عن أبى عبدالرحمن السلمى أنه قرأ ذلك بفتح الالف ولا أرى قراءته كذلك لخلافها قراءة قراء الامصار والعرب تقول لكل أمر عظيم ادّ وإمر ونكر ومنه قول الراجز

لقد لقى الاعداء منى نكرا * داهية دهياء إدّا إمرا

ومنه قول الآخر (١) * فى لهث منه وحثل ادّا *

وقوله تكاد السموات يتفطرن منه يقول تعالى ذكره تكاد السموات ينشققن قطعا من قبله اتخاذ الرحمن ولدا ومنه قيل فطرنا به اذا انشق * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبدالله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدّا أن دعوا للرحمن ولدا قال ان الشرك فزعت منه السموات والارض والجبال وجميع الخلائق الا الثقلين وكادت أن تزول منه لعظمه عند الله وكما لا ينفع مع الشرك احسان المشرك كذلك نرجو أن يغفر الله ذنوب الموحدين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقنوا موتاكم شهادة أن لا اله الا الله فمن قالها عند موته وجبت له الجنة قالوا يا رسول الله فمن قالها فى صحته قال ثلاث أوجب وأوجب ثم قال والذى نفسى بيده لو وضعت السموات والأرضين وما فيهن وما بينهن وما تحتهن فوضعن فى كفة الميزان ووضعت شهادة أن لا اله الا الله فى الكفة الأخرى لرجحت بهن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدّا

---

(١) لم نعثر عليه فحرره

نبينا صلى الله عليه وسلم أرنى الاشياء كما هى وههنا دقيقة وهى أن موسى لما زاد لفظة لى فى قوله رب اشرح لى دون أن يقول رب اشرح صدرى علم أنه أراد أن تعود منفعة الشرح اليه فلاجرم يقول يوم القيامة نفسى نفسى وان نبينا صلى الله عليه وسلم لما لم ينس أمته فى مقام القرب اذ قيل له السلام عليك أيها النبى فقال السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فلاجرم يقول يوم القيامة أمتى أمتى وشتان ما بين نبى يتضرع الى الله ويقول رب اشرح لى صدرى وبين نبى يخاطب أولا بقوله ألم نشرح لك صدرك ولا يخفى أن المراد بالشرح والتيسير عند أهل السنة هو خلقهما وعند المعتزلة تحريك الدواعى والبواعث بفعل الالطاف المسهلة فانه يحتمل أن يكون هنالك من الالطاف مالا يحسن فعلها الا بعد هذا السؤال أما قوله سبحانه (واحلل عقدة من لسانى) فاعلم أن النطق فضيلة عظيمة وموهبة جسيمة ولهذا قال خلق الانسان علمه البيان بغير توسيط العاطف كأنه انما يكون خالقا للانسان اذا علمه البيان وفى لسان الشاعر وهو زهير

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده

فلم يبق الا صورة اللحم والدم

وعن على كرم الله وجهه ما الانسان لولا اللسان الا صورة مصورة أو بهيمة مهملة وقالت العقلاء المرء بأصغريه المرء مخبوء تحت لسانه وفى مناظرة آدم والملائكة لم تظهر الفضيلة الا بالنطق ومن التعريفات المشهورة ان الانسان هو الحيوان الناطق وهذا النطق وان كان فى التحقيق هو ادراك المعانى الكلية لكن النطق اللسانى لا ريب أنه أظهر خواص الآدمى وقد نيط به أمر تمدنه والتعبير عما فى ضميره فقول موسى رب اشرح لى صدرى اشارة الى طلب النور الواقع فى القلب وقوله ويسر لى أمرى رمز الى تسهيل ذلك التحصيل وقوله واحلل طلب لسهولة أسباب التكميل لان اللسان آلة الافاضة والافادة وبه يتيسر ذلك الخطب الجسيم والمنصب العظيم

ذكر لنا أن كعبا كان يقول غضبت الملائكة واستعرت جهنم حين قالوا ما قالوا وقوله وتنشق الارض يقول وتكاد الارض تنشق فتنصدع من ذلك وتخر الجبال هدا يقول وتكاد الجبال يسقط بعضها على بعض سقوطا والهد السقوط وهو مصدر هددت فأنا أهد هدا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وتخر الجبال هدا يقول هدما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس وتخر الجبال هدا قال الهد الانقضاض حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وتخر الجبال هدا قال غضب الله قال ولقد دعا هؤلاء الذين جعلوا لله هذا الذى غضبت السموات والارض والجبال من قولهم لقد استتابهم ودعاهم الى التوبة فقال لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة قالوا هو وصاحبته وابنه جعلوهما الهين معه وما من اله الا اله واحد الى قوله ويستغفرونه والله غفور رحيم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أن دعوا للرحمن ولدا وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا ان كل من فى السموات والأرض الا آتى الرحمن عبدا﴾ يقول تعالى ذكره وتكاد الجبال أن تخر انقضاضا لأن دعوا للرحمن ولدا فأن فى موضع نصب فى قول بعض أهل العربية لاتصالها بالفعل وفى قول غيره فى موضع خفض بضمير الخافض وقد بينا الصواب من القول فى ذلك فى غير موضع من كتابنا هذا بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وقال أن دعوا للرحمن ولدا يعنى بقوله أن دعوا أن جعلوا له ولدا كما قال الشاعر

ألا رب من تدعو نصيحا وان تغب * تجده بغيب غير مستصح الصدر

وقال ابن أحمر

أهوى لها مسقصا حشرا فشبرقها * وكنت أدعو قذاها الاثمد الفردا

وقوله وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا يقول وما يصلح لله أن يتخذ ولدا لأنه ليس كالخلق الذين تغلبهم الشهوات وتضطرهم اللذات الى جماع الاناث ولا ولد يحدث الا من أنثى والله يتعالى عن أن يكون له خلقه وذلك كقول ابن أحمر

فى رأس خلقاء من عنقاء مشرقة * ما ينبغى دونها سهل ولا جبل

يعنى لا يصلح ولا يكون ان كل من فى السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا يقول ما جميع من فى السموات من الملائكة وفى الارض من البشر والانس والجن الا آتى الرحمن عبدا يقول الا يأتى ربه يوم القيامة عبدا له ذليلا خاضعا مقرا له بالعبودية لا نسب بينه وبينه وقوله آتى الرحمن انما هو

وحسبك يا فتى شرفا وفخرا * سكوت الحاضرين وأنت قائل

ومن الناس من مدح الصمت بوجوه منها قوله صلى الله عليه وسلم الصمت حكمة وقليل فاعله وقولهم مقتل الرجل بين فكيه وفى نوابغ الكلم يا بنى ق فالك لا تقرع فقالك ومنها أن الكلام خمسة أقسام فالذى ضرره خالص أو غالب أو مساو للنفع واجب الترك احترازا من السفه والعبث والذى نفعه خالص أو غالب عسر المراعاة فالاولى تركه ومنها أنه ما من موجود أو معدوم معلوم أو موهوم الا واللسان يتناوله باثبات أو نفى بحق أو بباطل بخلاف سائر الاعضاء فالعين لا تصل الا الى الالوان والسطوح والاذن لا تصل الا الى الاصوات والحروف واليد لا تصل الا الى الاجسام وكذا باقى الجوارح أما اللسان فانه رحب الميدان واسع

المضطرب خفيف المؤنة سهل التناول لا يحتاج الى آلات وأدوات للعصبية به فكان الاولى ترك الكلام وامساك اللسان والانصات الصمت فى نفسه ليس بفضيلة لانه أمر عدمى والنطق فى نفسه فضيلة وانما يصير رذيلة لاسباب عرضية مما عدد هاذلك القائل فيرجع الى ما قاله النبى صلى الله عليه وسلم رحم الله امرأ قال خيرا فغنم أوسكت فسلم قالوا ترك الكلام له أربعة أسماء الصمت وهو أعمها حتى يستعمل فيما ليس يقوى على النطق كقولهم مال ناطق أوصامت والسكوت وهو ترك الكلام ممن يقدر على الكلام والانصات هو السكوت مع استماع قال تعالى فاستمعوا له وأنصتوا (١٠٠) والاصاخة وهو الاستماع الى ما يصعب ادراكه كالسر والصوت من المكان البعيد أما الغض فقيل انها كانت فى أصل خلقته

وعن ابن عباس أنه فى حال صباه أخذ بلحية فرعون ونتفها فهم فرعون بقتله وقال هذا هو الذى يزول ملكى على يده فقالت آسية انه صبى لا يعقل وان شئت فامتحنه بالتمرة والجمرة وقيل بالياقوت والجمر فأحضرا بين يديه فأراد مد اليد الى الياقوت فحول جبرائيل يده الى الجمرة فأخذها ووضعها فى فيه فظهر به تعقد وتحبس عن بعض الحروف فان صحت هذه الرواية فالنار انما أحرقته وأثرت فيه اطفاء لثائرة غضب فرعون والا فالله سبحانه قادر على دفع الاحراق عن طبع النار كما فى حق ابراهيم صلوات الرحمن عليه وكما فى حق موسى حين ألقى فى التنور ويروى أن يده احترقت أيضا وأن فرعون اجتهد فى علاجها فلم يبرأ ولما دعاه قال الى أى رب تدعونى قال الى الذى أبرأ يدى وقد عجزت عنها وعن بعض العلماء أنه لم تبرأ يده لئلا ينعقد بينه وبين فرعون حرمة المؤاكلة من قصعة واحدة وقيل لم تحرق يده لان الصولة ظهرت باليد وانما احترق اللسان لانه خاطبه بقوله يا أبت * وما الحكمة فى طلب حل العقدة الأظهر كيلا يقع فى أداء الرسالة خلل فلهذا (قال يفقهوا قولى)

وقيل لان العقدة فى اللسان قد تقتضى الاستخفاف بالقائل وعدم الالتفات اليه وقيل اظهار للعجزة فكما أن يعمل

فاعل من أتيته فاتا آتيه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا﴾ يقول تعالى ذكره لقد أحصى الرحمن خلقه كلهم وعدهم عدا فلا يخفى عليه مبلغ جميعهم وعرف عددهم فلا يعزب عنه منهم أحد وكلهم آتيه يوم القيامة فردا فاعل وجميع خلقه سوف يرد عليه يوم تقوم الساعة وحيدا لا ناصر له من الله ولا دافع عنه فيقضى فيه ما هو قاض ويصنع به ما هو صانع ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا﴾ فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا يقول تعالى ذكره ان الذين آمنوا بالله ورسله وصدقوا ما جاءهم من عند ربهم فعملوا به فأحلوا حلاله وحرموا حرامه سيجعل لهم الرحمن ودا فى الدنيا فى صدور عباده المؤمنين ۞ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يحيى بن طلحة قال ثنا شريك عن سماك الملائى عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله سيجعل لهم الرحمن ودا قال محبة فى الناس فى الدنيا حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله سيجعل لهم الرحمن ودا قال محبا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله سيجعل لهم الرحمن ودا قال الود من المسلمين فى الدنيا والرزق الحسن واللسان الصادق حدثنى يحيى بن طلحة قال ثنا شريك عن عبيد المكتب عن مجاهد فى قوله سيجعل لهم الرحمن ودا قال محبة فى المسلمين فى الدنيا حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد فى قوله سيجعل لهم الرحمن ودا قال يحبهم ويحببهم الى خلقه حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد سيجعل لهم الرحمن ودا قال يحببهم ويحببهم الى المؤمنين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا على بن هاشم عن ابن أبى ليلى عن الحكم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال يحببهم ويحببهم حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا عمرو عن قتادة فى قوله سيجعل لهم الرحمن ودا قال ما أقبل عبد الى الله الا أقبل الله بقلوب العباد اليه وزاده من عنده حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا إى والله فى قلوب أهل الايمان ذكر لنا أن هرم بن حيان كان يقول ما أقبل عبد بقلبه الى الله الا أقبل الله بقلوب المؤمنين اليه حتى يرزقه مودتهم ورحمتهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أن عثمان بن عفان كان يقول ما من الناس عبد

حبس لسان زكريا عن الكلام كان معجزا له فكذا اطلاق لسان موسى كان معجزا فى حقه وهل زالت تلك العقدة بالكلية فعن الحسن نعم لقوله (قد أوتيت سؤلك يا موسى) والاصح أنه بقى بعضها لقوله تعالى حكاية عن فرعون أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين أنه يقارب أن لا يبين وكان فى لسان الحسين بن على رضى الله عنه رتة أى عجمة فى الكلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثها من عمه موسى وفى تنكير عقدة أى عقدة من عقد دلالة على أنه طلب حل بعضها بحيث يفهم عنه فهما جيدا ولم يطلب الفصاحة الكاملة وقال أفهم

التحقيق وذلك لان حل العقدة بالكلية نصيب محمد صلى الله عليه وسلم فكان أفصح العرب والعجم وقد قال تعالى ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن فلما كان ذلك حقا لليتيم أبي طالب لاجرم ما دار حوله ومن مطالب موسى قوله (واجعل لي وزيرا من أهلي هرون) قال أهل الاشتقاق الوزير من الوزر بالكسر فالسكون لانه يتحمل عن الملك أوزاره ومؤنه أو من الوزر بفتحتين وهو الملجأ لان الملك يعتصم برأيه ويلجئ اليه أموره أو من المؤازرة وهي المعاونة فيكون من الأزر والقوة ومنه قوله تعالى (اشدد به أزري) أي ظهري لانه محل القوة قال الجوهري آزرت فلانا أي عاونته والعامة تقول وازرته وعلى هذا فيكون القياس أزيرا بالهمز على ما حكي عن الاصمعي ووجه القلب حمل

يعمل خيرا ولا شرا الا كساه الله رداء عمله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق عن الثوري عن مسلم عن مجاهد عن ابن عباس في قوله سيجعل لهم الرحمن ودا قال محبة * وذكر أن هذه الآية نزلت في عبد الرحمن بن عوف حدثني محمد بن عبد الله بن سعيد الواسطي قال أخبرنا يعقوب بن محمد قال ثنا عبد العزيز بن عمران عن عبد الله بن عثمان بن أبي سليمن بن جبير ابن مطعم عن أبيه عن أمه أم ابراهيم ابنة أبي عبيدة بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيها عن عبد الرحمن بن عوف أنه لما هاجر الى المدينة وجد في نفسه على فراق أصحابه بمكة منهم شيبة ابن ربيعة وعتبة بن ربيعة وأمية بن خلف فأنزل الله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا وقوله فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين يقول تعالى ذكره فانما يسرنا يا محمد هذا القرآن بلسانك تقرؤه لتبشر به المتقين الذين اتقوا عقاب الله بأداء فرائضه واجتناب معاصيه بالجنة وتنذر به قوما لدا يقول ولتنذر بهذا القرآن عذاب الله قوما لد من قريش فانهم أهل لدد وجدل بالباطل لا يقبلون الحق واللد شدة الخصومة * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله لدا قال لا يستقيمون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وتنذر به قوما لدا يقول لتنذر به قوما ظلمة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وتنذر به قوما لدا أي جدلا بالباطل ذوي لدد وخصومة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا محمد بن فضيل عن ليث عن مجاهد في قوله وتنذر به قوما لدا قال بفجارا حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله قوما لدا قال جدلا بالباطل حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وتنذر به قوما لدا قال الألد الظلوم وقرأ قول الله وهو ألد الخصام حدثنا أبو صالح الصراري قال ثنا العلاء بن عبد الجبار قال ثنا مهدي بن ميمون عن الحسن في قول الله عز وجل وتنذر به قوما لدا قال صما عن الحق حدثني ابن سنان قال ثنا أبو عاصم عن هرون عن الحسن مثله وقد بينا معنى الألد فيما مضى بشواهده فأغنى ذلك عن اعادته في هذا الموضع ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا﴾ يقول تعالى ذكره وكثيرا أهلكنا يا محمد قبل قومك من مشركي قريش من قرن يعني من جماعة من الناس اذ سلكوا في خلاف

فعيل على مفاعل لاتحاد معنييهما في نحو عشير وجليس وصديق وغيرها وحمله على أخواته من نحو الموازرة ويوازر والاستعانة بالوزير وبحسن رأيه دأب الملوك العقلاء وقد استحسنه نبينا صلى الله عليه وسلم فقال اذا أراد الله بملك خيرا قيض له وزيرا صالحا ان نسي ذكره وان نوى خيرا أعانه عليه وان أراد شرا كفه وكان أنوشروان يقول لا يستغني أجود السيوف عن الصقل ولا أكرم الدواب عن السوط ولا أعلم الملوك عن الوزير وكفى بمرتبة الوزارة منقبة وفخرا وشرفا وذكرا أن النبي صلى الله عليه وسلم المؤيد بالمعجزات الباهرة ابتهل الى الله سبحانه في مقام القرب والمكالمة يطلبه منه فيجب على من أوتي هذه الرتبة أن يؤدي الى الله حقها ولا يغتر بالدنيا وما فيها ويزرع في أرض الوزارة ما لم يندم عليه وقت حصاده وقيل ان موسى خاف على نفسه العجز عن القيام بذلك الامر العظيم والخطب الجسيم فطلب المعين والأظهر أنه رأى أن التعاون على الدين والتظاهر عليه مع خلوص النية وصفاء الطوية أبعد عن التهمة وأعون على الغرض ولهذا حكي عن عيسى أنه قال من أنصاري الى الله وخوطب نبينا صلى الله عليه وسلم بقوله يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال ان لي في السماء وزيرين وفي الارض وزيرين فالذان في السماء جبرائيل وميكائيل والذان في الارض أبو بكر وعمر ثم ان موسى طلب أن يكون ذلك الوزير من أهله أي من أقاربه لتكون الثقة به أكثر وليكون الشرف في بيته أوفر وانه كان وائقا بأخيه هرون فأراد أن يخصه بهذا المنصب الشريف قضاء لحقوق الاخاء فمن منع المستوجبين فقد ظلم وكان أفصح منه لسانا وأكبر سنا وألين جانبا قال جار الله وزيرا وهرون مفعولا ثانيهما عناية بأمر الوزارة أو لي ووزيرا مفعولان وهرون عطف بيان للوزير وأخي في الوجهين بدل من هرون أو عطف بيان

آخر وقيل يجوز فيمن قرأ اشدد على الامر أن يجعل أخي مرفوعا على الابتداء واشدد خبره فيوقف على هرون وشد الازر به عبارة تقويته به وأن يجعله ناصرا له فيما عسى يرد عليه من الشدائد والخطوب بل يجعله وسيلة له فى أمر النبوة وطريق الرسالة لانه صرح بسؤال قوله وأشركه فى أمرى ثم ذكر غاية الادعية فان المقصد الاسنى هو الاستغراق فى بحر التوحيد ونفى الاشراك فان التعاون مهيع الرغبة ومسهل سلوك سبل الخيرات فقال (كى نسبحك كثيرا) أى تسبيحا كثيرا (ونذكرك) ذكرا (كثيرا) وقدم التسبيح وهو التنزيه لانه مقدم على الاثبات فبالأول تزول العقائد الفاسدة وبالثانى ترتسم النقوش الحسنة المفيدة ثم ختم الادعية بقوله (انك كنت بنا بصيرا) وفيه فوائد منها أنه فوض استجابة الدعوات الى علمه بأحوالهما وأنهما بصدد أهلية الاجابة أم لا وفيه من حسن الادب ما لا يخفى ومنها أنه عرض فقره واحتياجه على علمه وأنه مفتقر الى التعاون والتعاضد ولهذا سأل ما سأل ومنها أنه أعلم بأحوال أخيه هل يصلح لوزارته أم لا وأن وزارته هل تصير سببا لكثرة التسبيح والذكر وحين رأى من دقائق الادب وأنواع حسن الطلب ما يجب رعايته فلا جرم أجاب الله تعالى مطالبه وأنجح مآربه قائلا (قد أوتيت سؤلك) والسؤل بمعنى المسؤل كالخبز بمعنى المخبوز والاكل بمعنى المأكول وزيادة قوله (ياموسى) بعد رعاية الفاصلة لاجل كمال التميز والتعيين والله أعلم بصالح عبيده ۞ التأويل يامن طاب بطهارته بساط النبوة ما أنزلنا عليك القرآن الا لتسعد بتخلقك بخلقه ويسعد بسببك الاولون والآخرون من أهل السموات وأهل الارضين تنزيلا ممن خلق أرض بشريتك وسموات روحانيتك التى هى أعلى الموجودات الممكنات كما قال أول ما خلق الله روحى استوى بصفة الرحمانية على عرش قلبك ليكون معه وقت لا يسعك فيه ملك مقرب ولا نبى مرسل له ما فى السموات الروحانية من الصفات الحميدة وما فى الارض البشرية من الصفات الذميمة وما بينهما أى بين سماء الروح وأرض النفس وهو القلب بما فيه من الايمان والايقان والصدق والاخلاص وما تحت الثرى أى ما هو مركوز فى جبلة الانسانية وان تجهر بالقول ان يظهر شئ من صفاتك بالقول فانه يعلم السر وهو ما يظهر من سيرتك وأخفى هو ما أخفى الله من خفيك ۞ والسر فى اصطلاح الصوفية لطيفة بين القلب والروح وهو معدن الاسرار الروحانية والخفى لطيفة بين الروح والحضرة الالهية وهو مهبط أنوار الربوبية وأسرارها وجملتها المعقولات وقد يحصل لكل انسان عند نشأته الاولى وان كان كافرا والله

وركوب معاصى مسلكهم هل تحس منهم من أحد يقول فهل تحس أنت منهم أحدا يا محمد وتعاينه أو تسمع لهم ركزا يقول أو تسمع لهم صوتا بل بادوا وهلكوا وخلت منهم دورهم وأوحشت منهم منازلهم وصاروا الى دار لا ينفعهم فيها الا الصالح من عمل قدموه فكذلك قومك هؤلاء صائرون الى ما صار اليه أولئك ان لم يعاجلوا التوبة قبل الهلاك * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنا معاوية عن على عن ابن عباس قوله أو تسمع لهم ركزا قال صوتا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا قال هل ترى عينا أو تسمع ركزا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا يقول هل تسمع من صوت أو ترى من عين حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله أو تسمع لهم ركزا يعنى صوتا حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عيينة عن عمرو عن عطاء عن ابن عباس قال ركزا الناس أصواتهم قال أبو كريب قال سفيان هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا قال أو تسمع لهم حسا قال والركز الحس * قال أبو جعفر والركز فى كلام العرب الصوت الخفى كما قال الشاعر

فتوجست ركز الأنيس فراعها * عن ظهر غيب والأنيس سقامها

﴿ آخر تفسير سورة مريم والحمد لله رب العالمين ﴾

﴿ تفسير سورة طه ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى ﴾ قال أبو جعفر محمد بن جرير اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله طه فقال بعضهم معناه يا رجل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا أبو تميلة عن الحسن بن واقد عن يزيد النحوى عن عكرمة عن ابن عباس طه بالنبطية يا رجل حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى فان قومه قالوا له لتشقى هذا الرجل بربه فأنزل الله تعالى ذكره طه يعنى يا رجل ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى

حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى عبدالله بن مسلم وعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير أنه قال طه يارجل بالسريانية * قال ابن جريج وأخبرنى زمعة عن صالح عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس بذلك أيضا * قال ابن جريج وقال مجاهد ذلك أيضا حدثنا عمران بن موسى القزاز قال ثنا عبدالوارث بن سعيد قال ثنا عمارة عن عكرمة فى قوله طه قال يارجل كلمة بالنبطية حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبدالله عن عكرمة فى قوله طه قال بالنبطية يا انسان حدثنا محمد بن بشار قال ثنا وعاصم عن قرة بن خالد عن الضحاك فى قوله طه قال يارجل بالنبطية حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبدالرحمن قال ثنا سفيان عن حصين عن عكرمة فى قوله طه قال يارجل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله طه قال يارجل وهى بالسريانية حدثنا الحسن قال أخبرنا عبدالرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة والحسن فى قوله طه قالا يارجل حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد يعنى ابن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله طه قال يارجل * وقال آخرون هو اسم من أسماء الله وقسم أقسم الله به ذكر من قال ذلك حدثنا على قال ثنا عبدالله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله طه قال فانه قسم أقسم الله به وهو اسم من أسماء الله * وقال آخرون هو حروف هجاء * وقال آخرون هو حروف مقطعة يدل كل حرف منها على معنى واختلفوا فى ذلك اختلافهم فى الم وقد ذكرنا ذلك فى مواضعه وبينا ذلك بشواهده والذى هو أولى بالصواب عندى من الاقوال فيه قول من قال معناه يارجل لانها كلمة معروفة فى عك فيما بلغنى وأن معناها فيهم يارجل أنشدت لمهوش نويرة

هتفت بطه فى القتال فلم يجب * خفت عليه أن يكون موائلا

(وقال آخر)

ان السفاهة طه من خلائقكم * لابارك الله فى القوم الملاعين

فاذا كان ذلك معروفا فيهم على ماذكرنا فالواجب أن يوجه تأويله الى المعروف فيهم من معناه ولا معنى اذا وافق ذلك تأويل أهل العلم من الصحابة والتابعين فتأويل الكلام اذا يارجل ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ما أنزلناه عليك فتكلف ما لا طاقة لك به من العمل وذكر أنه قيل له ذلك بسبب ما كان يلقى من النصب والعناء والسهر فى قيام الليل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء

أو أجد على النار هدى بآداب الطريقة الى الحقيقة فلما أتاها نودى من شجرة القدس بخطاب الانس فاخلع نعليك أى اترك الالتفات الى الزوجة والولد فان النعل يعبر فى الرؤيا بهما أو اترك الالتفات الى الكونين انك واصل الى جناب القدس أو هما المقدمتان فى نحو قولنا العالم محدث وكل محدث فله محدث وموجد وذلك أنه اذا غرق فى لجة العرفان بقيت المقدمات على ساحل الوسائل وأنا اخترتك ياموسى القلب من سائر خلقى وجودك من البدن والنفس والسر والروح فاستمع بسمع الطاعة والقبول انى لما تجليت بأنانية الوهيتى لانانية وجودك المجازى لايبقى الا أنا فاعبدنى بافناء وجودك وأدم المناجاة معى لنيل ذكرى اياك بالتجلى أن قيامة العشق آتية أكاد أخفيها لعظم شأنها الا أن متقاضى الكرم اقتضى اظهارها لأخص عبيدى لتجزى كل نفس بما تسعى فى العبودية من الروح والسر والقلب والنفس والقالب فلما كان سعى الروح بحب الوطن الاصلى للرجوع الى أمكن اضافة ونفخت فيه من روحى فجزاؤه من تجلى صفات الجلال بانعدام الناسوتية فى اللاهوتية وكان سعى السعى بالخلو عن الاكوان لقبول فيض المكون فجزاؤه بافاضة الفيض

سعى عليه وسعى القلب بقطع تعلقات الكونين لتصفيته وقابليته لتجلى صفات الجمال والجلال فجزاؤه بدوام التجلى وأن يبيت عند ربه ويسقيه من الشراب الطهور الذى يزيل لوث الحدوث عن لوح القلوب لكشف حقائق القلوب وسعى النفس بتبديل الاخلاق الاوصاف الحيوانية فجزاؤه باشراق نور ربها لازالة ظلمة صفاتها واطمئنانها الى ذكر ربها التصير قابلة لجذبة ارجعى الى ربك فى القالب باستعمال أركان الشريعة وآداب الطريقة فجزاؤه رفعة الدرجات ونيل الكرامات فى الدارين فلا يصدنك عن هذه بعلمات النفس الامارة بالسوء التى لاتؤمن بها ويحتمل أن يقال أكاد أخفى الساعة ودخول الجنة والنار لئلا تكون عبادتى مشوبة

بطمع الجنة وخوف النار قالوا أخطأ موسى فى قوله هى عصاى وكان عليه أن يقول أنت أعلم بحالها منى وفى قوله أتوكأ عليها وكان أن يتكئ على لطف الله وكرمه فلهذا قيل له ألقها ياموسى وفى قوله وأهش بها على غنمى اذ نسى ان العصا لا تكون واسطة لرزق وانما الرزاق هو الله خذها ولا تخف فان الضار والنافع هو الله وحده فلا يكن خوفك الا منه ولا رجاؤك الا به واضمم يدك تحت عضدك تخرج بيضاء نقية من دون السؤال وعن الطمع وباقى الحقائق مذكور فى التفسير وفى قوله قد أوتيت بلفظ الماضى لتحقق أعطى ذلك بالتقدير الازلى لا بالتدبير العملى (١٠٤) والله أعلم بالصواب ﴿ولقد منا عليك مرة أخرى اذ أوحينا الى أمك ما يو

اقذفيه فى التابوت فاقذفيه فى اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لى وعدو له وألقيت عليك محبة منى ولتصنع على عينى اذ تمشى أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله فرجعناك الى أمك كى تقر عينها ولا تحزن وقتلت نفسا فنجيناك من الغم وفتناك فتونا فلبثت سنين فى أهل مدين ثم جئت على قدر ياموسى واصطنعتك لنفسى اذهب أنت وأخوك بآياتى ولا تنيا فى ذكرى اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى قالا ربنا انا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى قال لا تخافا انني معكما أسمع وأرى فأتياه فقولا انا رسولا ربك فأرسل معنا بنى اسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى انا قد أوحى الينا أن العذاب على من كذب وتولى قال فمن ربكما ياموسى قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى قال فما بال القرون الاولى قال علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى الذى جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى كلوا وارعوا أنعامكم ان فى ذلك لآيات لاولى النهى منها

جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى قال هى مثل قوله فاقرؤا ما تيسر منه فكانوا يعلقون الحبال فى صدورهم فى الصلاة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى قال فى الصلاة كقوله فاقرؤا ما تيسر منه فكانوا يعلقون الحبال بصدورهم فى الصلاة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى لا والله ما جعله الله شقيا ولكن جعله رحمة ونورا ودليلا الى الجنة وقوله الا تذكرة لمن يخشى يقول تعالى ذكره ما أنزلنا عليك هذا القرآن الا تذكرة لمن يخشى عقاب الله فيتقيه بأداء فرائض ربه واجتناب محارمه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الا تذكرة لمن يخشى وان الله أنزل كتبه وبعث رسله رحمة رحم الله بها العباد ليتذكروا ويتفكروا وينتفع رجل بما سمع من كتاب الله وهو ذكرى فيه حلاله وحرامه فقال تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله الا تذكرة لمن يخشى قال الذى أنزلناه عليك تذكرة لمن يخشى فمعنى الكلام اذا يا رجل ما أنزلنا عليك هذا القرآن لتشقى به ما أنزلناه الا تذكرة لمن يخشى واختلف أهل العربية فى وجه نصب تذكرة فكان بعض نحويى البصرة يقول قال الا تذكرة من قوله لتشقى فجعله ما أنزلنا عليك القرآن الا تذكرة وكان بعض نحويى الكوفة يقول هو على قوله ما أنزلناه الا تذكرة وكان بعضهم ينكر قول القائل نصبت بدلا من قوله لتشقى ويقول غير جائز لان لتشقى فى الجحد والا تذكرة فى التحقيق ولكنه تكرير وكان بعضهم يقول الكلام ما أنزلنا عليك القرآن الا تذكرة لمن يخشى لا لتشقى ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى﴾ يقول تعالى ذكره لمحمد صلى الله عليه وسلم هذا القرآن تنزيل من الرب الذى خلق الارض والسموات العلى جمع علياء واختلف أهل العربية فى وجه نصب قوله تنزيلا فقال بعض نحويى البصرة ذلك بمعنى نزل الله ذلك تنزيلا وقال بعض من أنكر ذلك من قيله هذا من كلامين ولكن هو تنزيل ثم أسقط هو واتصل بالكلام الذى قبله فخرج منه ولم يكن من لفظه * قال أبو والقولان جميعا عندى غير خطأ وقوله الرحمن على العرش استوى يقول تعالى ذكره الرحمن عرشه ارتفع وعلا وقد بينا معنى الاستواء بشواهده فيما مضى وذكرنا اختلاف المختلفين فيه ذلك عن اعادته فى هذا الموضع وللرفع فى الرحمن وجهان أحدهما بمعنى قوله تنزيلا لتكرير الكلام نزله من خلق الارض والسموات نزله الرحمن الذى على العرش استوى والآخر

خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك ياموسى فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى فتولى فرعون فجمع كيده ثم أتى قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى قالوا ان هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى فأجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا وقد أفلح اليوم من استعلى قالوا ياموسى اما أن تلقى واما أن نكون أول من ألقى قال بل ألقوا فاذا حبالهم

يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى فأوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف انك أنت الأعلى وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى فألقي السحرة سجدا قالوا آمنا برب هرون وموسى قال آمنتم له قبل أن آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض انما تقضي هذه الحياة الدنيا انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى انه من يأت ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ومن يأته مؤمنا (١٠٥) قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى

جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى ۞ القراآت ولتصنع بسكون اللام والعين على الأمر يزيد الآخرون بكسر اللام ونصب العين لنفسي اذهب في ذكري أذهبا بفتح ياء المتكلم أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو خلقه بفتح اللام على أنه فعل نصيرا الباقون بالسكون مهدا وكذلك في الزخرف عاصم وحمزة وعلي وخلف وروح الآخرون مهادا سوى بكسر السين أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو وعلي الآخرون بالضم لا نخلفه بالجزم جوابا للامر يزيد يوم الزينة على الظرف هيرة وقد خاب حيث كان بالامالة حمزة فيسحتكم من الاسحات حمزة وعلي وخلف وروبس وحفص الباقون بفتح الياء والحاء ان مخففة ابن كثير وحفص والمفضل الباقون مشددة هذين أبو عمرو وهذان بالتشديد ابن كثير الباقون بالتخفيف فاجمعوا بهمزة الوصل وفتح الميم أمر من الجمع أبو عمرو والآخرون على لفظ الامر من الاجماع وقد أفلح بنقل الحركة الى الدال حيث كان ورش وعباس وحمزة في الوقف تخيل بالتاء الفوقانية ابن ذكوان وروح والمعدل عن زيد الباقون وابن مجاهد عن ابن

على العرش استوى لان في قوله استوى ذكرا من الرحمن ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى﴾ يقول تعالى ذكره لله ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى ملكا له وهو مدبر ذلك كله ومصرف جميعه ويعني بالثرى الندي يقال للتراب الرطب المبتل ثرى منقوص يقال منه ثريت الارض تثرى ثرى منقوص والثرى مصدر * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما تحت الثرى والثرى كل شئ مبتل **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله وما تحت الثرى ما حفر من التراب مبتلا وانما عنى بذلك وما تحت الارضين السبع كالذي **حدثني** محمد بن ابراهيم السلمي المعروف بابن صدران قال ثنا أبو عاصم قال ثنا محمد بن رفاعة عن محمد بن كعب وما تحت الثرى قال الثرى سبع أرضين ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وان تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى﴾ يقول تعالى ذكره وان تجهر يا محمد بالقول أو تخفت به فسواء عند ربك الذي له ما في السموات وما في الارض فانه يعلم السر يقول فانه لا يخفى عليه ما استسررته في نفسك فلم تبده بجوارحك ولم تتكلم بلسانك ولم تنطق به وأخفى ثم اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله وأخفى فقال بعضهم معناه وأخفى من السر قال والذي هو أخفى من السر ما حدث به المرء نفسه ولم يعمله ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس يعلم السر وأخفى قال السر ما عملته أنت وأخفى ما قذف الله في قلبك مما لم تعمله **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله يعلم السر وأخفى يعني بأخفى ما لم يعمله وهو عامله وأما السر فيعني ما أسر في نفسه **حدثني** علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله يعلم السر وأخفى قال السر ما أسر ابن آدم في نفسه وأخفى قال ما أخفى ابن آدم مما هو فاعله قبل أن يعمله فالله يعلم ذلك فعله فيما مضى من ذلك وما بقي علم واحد وجميع الخلائق عنده في ذلك كنفس واحدة وهو قوله ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قال سعيد بن جبير عن ابن عباس السر ما أسر الانسان في نفسه وأخفى ما لا يعلم الانسان مما هو كائن **حدثني** زكريا بن يحيى بن أبي زائدة ومحمد بن عمرو قالا ثنا أبو عاصم عن عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله يعلم السر وأخفى قال أخفى الوسوسة زاد ابن عمرو والحرث في حديثهما والسر العمل الذي

ذكوان بالتحتانية تلقف بالتشديد والرفع على الاستئناف ابن ذكوان تلقف بالتخفيف والجزم حفص والمفضل وقرأ البزي وابن فليح مشددة التاء كيد ساحر على المصدر حمزة وعلي وخلف الباقون كيد ساحر على الوصف قال آمنتم بالمد أبو عمرو وسهل ويعقوب وابن عامر وأبو جعفر ونافع وابن كثير عن ابن مجاهد وأبي عون عن قنبل قال أمنتم على الخبر بغير مد حفص وابن مجاهد وأبو عون عن قنبل الباقون ءآمنتم بزيادة همزة الاستفهام ومن يأته مختلسة الهاء يزيد وقالون ويعقوب غير زيد وأبو عمرو عن طريق الهاشمي عن اليزيدي ومن يأته بسكون الهاء خلاد ورجاء والعجلي وشجاع واليزيدي غير أبي شعيب ويحيى

وحماد الباقون بأنه بالاشباع ۞ الوقوف أخرى ○ لا لأن اذ تفسير المرة ما يوحى ○ لا لأن ما بعده تفسير ما يوحى وعدوه ط منى ج لان الواو قد تكون مقحمة وتعلق اللام بألقيت وقد تكون عاطفة على محذوف أى لتحب ولتصنع ومن جزم اللام وقف على منى لاستحالة على عينى م لئلا يوهم أن اذ ظرف لتصنع من يكفله ط لانقطاع النظم وانتهاء الاستفهام على أن فاء التعقيب مع اتحاد القصة يجيز الوصل ولا تحزن ط لابتداء منة أخرى فتونا ○ ط ياموسى ○ لنفسى ○ لاتساق الكلام مع حق الفاء مضمرة ذكرى ○ ج لمثل ما قلنا والمضمر واو طغى ○ للآية مع الفاء يخشى ○ يطغى ○ (١٠٦) وأرى ○ ولا تعذبهم ط لان قد لتوكيد الابتداء وقد انقطع النظم على أن اتحاد المقول يجيز الوصل من ربك ط لذلك فان الواو للابتداء فى كتاب ج لاحتمال ما بعده الصفة والاستئناف ولا ينسى ○ بناء على أن الذى صفة الرب والاحسن تقديره هو الذى أو أعنى الذى ماء ط للالتفات شتى ○ أنعامكم ط النهى ○ أخرى ○ وأبى ○ ياموسى ○ سوى ○ ضحى ○ أتى ○ بعذاب ج لاختلاف الجملتين افترى ○ النجوى ○ المثلى ○ صفا ○ استعلى ○ ألقى ○ ألقوا ج لان التقدير فألقوا ما ألقوا فاذا حبالهم مع فاء التعقيب واذا المفاجأة المنافقين للوقف تسعى ○ موسى ○ الأعلى ○ ما صنعوا ط كيد ساحر ط أتى ○ وموسى ○ لكم ط السحر ق للقسم المحذوف ولانقطاع النظم مع فاء التعقيب واتمام مقصود الكلام النخل ج لابتداء معنى القسم ولفظ استفهام يعقبه مع اتفاق الجملة واتحاد الكلام وأبقى ○ قاض ط الحياة الدنيا ط من السحر ط وأبقى ○ جهنم ط ولا يحيى ○ العلى ○ لا لأن ما بعده بدل فيها ط تزكى ○ ۞ التفسير من عليه منا أنعم ومن عليه منة أى امتن عليه كأن الله سبحانه قال لموسى انى راعيت صلاحك قبل سؤالك فكيف لا أعطيك مرادك بعد السؤال أو كنت ربيتك من غير سابقة حق فلو منعتك ولم يسرون من الناس حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وأخفى قال الوسوسة حدثنا هناد قال ثنا أبو الاحوص عن سماك عن عكرمة فى قوله يعلم السر وأخفى قال أخفى حديث نفسك حدثنا ابن بشار قال ثنا الحسين بن الحسن الاشقر قال ثنا أبو كدينة عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله يعلم السر وأخفى قال السر ما يكون فى نفسك اليوم وأخفى ما يكون فى غد وبعد غد لا يعلمه الا الله * وقال آخرون بل معناه وأخفى من السر ما لم تحدث به نفسك ذكر من قال ذلك حدثنا الفضل بن الصباح قال ثنا ابن فضيل عن عطاء عن سعيد بن جبير فى قوله يعلم السر وأخفى قال السر ما أسررت فى نفسك وأخفى من ذلك ما لم تحدث به نفسك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وان تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى كنا نحدث أن السر ما حدثت به نفسك وأن أخفى من السر ما هو كائن مما لم تحدث به نفسك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا سليمن بن حرب قال ثنا أبو هلال قال ثنا أبو قتادة فى قوله يعلم السر وأخفى قال يعلم ما أسررت فى نفسك وأخفى مما لم يكن وهو كائن حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله يعلم السر وأخفى قال أخفى من السر ما حدثت به نفسك ومما لم تحدث به نفسك أيضا مما هو كائن حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله يعلم السر وأخفى أما السر فما أسررت فى نفسك وأما أخفى من السر فما لم تعمله وأنت عامله يعلم الله ذلك كله * وقال آخرون بل معنى ذلك انه يعلم سر العباد وأخفى سر نفسه فلم يطلع عليه أحدا ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يعلم السر وأخفى قال يعلم أسرار العباد وأخفى سره فلا يعلم * قال أبو جعفر وكأن الذين وجهوا تأويل ذلك الى أن السر هو ما حدث به الانسان غيره سرا وأن أخفى معناه ما حدث به نفسه وجهوا تأويل أخفى الى الخفى وقال بعضهم قد توضع أفعل موضع الفاعل واستشهد وا لقيلهم ذلك بقول الشاعر

تمنى رجال أن أموت وان أمت * فتلك سبيل لست فيها بأوحد

* والصواب من القول فى ذلك قول من قال معناه يعلم السر وأخفى من السر لان ذلك هو الظاهر من الكلام ولو كان معنى ذلك ما تأوله ابن زيد لكان الكلام وأخفى الله سره لأن أخفى فعل وافع متعذا كان بمعنى فعل على ما تأوله ابن زيد وفى انفراد أخفى من مفعوله والذى يعمل فيه لو كان بمعنى فعل الدليل الواضح على أنه بمعنى أفعل وأن تأويل الكلام فانه يعلم السر وأخفى منه فاذ كان ذلك تأويله فالصواب من القول فى معنى أخفى من السر أن يقال هو ما علم الله مما أخفى عن العباد

الحال مطلوبك لكان ذلك ردا بعد القبول وحرمانا بعد الاحسان وذلك ينافى الكرم الذاتى قالوا المنة تهدم الصنيعة فهى نوع من الأذى فقوله (ولقد منا عليك) يكون من المن لا من المنة قلت يحتمل أن لا تكون المنة من المنع المطلق أذية وانما تكون تنبيها على النعم وايقاظا من سنة الغفلة حتى يتلقى المكلف النعمة بالشكر والطاعة وانما قال (مرة أخرى) لان الجملة قصة واحدة وان كانت مشتملة على منن كثيرة والوحى الى أم موسى اما أن يكون على لسان نبى فى عصرها كشعيب مثلا أو عن لسان ملك لا على طريق النبوة كالوحى الى مريم فى قوله واذ

قالت الملائكة يا مريم أو أراها في المنام أنه وضع ولدها في التابوت وقذف في البحر ثم رده الله إليها أو ألهمها بذلك أو لعل الأنبياء المتقدمين كإبراهيم وإسحق ويعقوب أخبروا بذلك وانتهى خبرهم إليها ومعنى (ما يوحى) ما يجب أن يوحى لما فيه من المصلحة الدينية ولأنه أمر عظيم ولأنه مما لا يعلم إلا بطريق الوحي وأن هي المفسرة لأن الإيحاء في معنى القول والقذف يستعمل بمعنى الوضع أي ضعيه في التابوت وقد مر معناه في البقرة في قصة طالوت قال جار الله الضميران الباقيان في قوله فاقذفيه في اليم فليلقه عائدان إلى موسى أيضا لئلا يؤدي إلى تنافر النظم فإن المقذوف والملقى إذا كان موسى وهو في جوف التابوت لزم أن يكون التابوت (١٠٧) أيضا مقذوفا وملقى ويؤيده أن الضمير في قوله

ولم يعلموه مما هو كائن ولما يكن لأن ما ظهر وكان فغير سر وأن ما لم يكن وهو غير كائن فلا شيء وأن ما لم يكن وهو كائن فهو أخفى من السر لأن ذلك لا يعلمه إلا الله ثم من أعلمه ذلك من عباده وأما قوله تعالى ذكره الله لا إله إلا هو فإنه يعني به المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له يقول فإياه فاعبدوا أيها الناس دون ما سواه من الآلهة والأوثان له الأسماء الحسنى يقول جل ثناؤه ملعبودكم أيها الناس الأسماء الحسنى فقال الحسنى فوحد وهو نعت للأسماء ولم يقل الأحاسن لأن الأسماء تقع عليها هذه فيقال هذه أسماء وهذه في لفظه واحدة ومنه قول الأعشى

وسوف يعقبنيه إن ظفرت به * رب غفور وبيض ذات أطهار

فوحد ذات وهو نعت للبيض لأنه يقع عليها هذه كما قال حدائق ذات بهجة ومنه قوله جل ثناؤه مآرب أخرى فوحد أخرى وهي نعت لمآرب والمآرب جمع واحدتها مأربة ولم يقل أخر لما وصفنا ولو قيل أخر لكان صوابا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وهل أتاك حديث موسى إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى﴾ يقول تعالى ذكره ولنبيه محمد صلى الله عليه وسلم مسليه عما يلقى من الشدة من مشركي قومه ومعرفه ما آليه صائر أمره وأمرهم وأنه معليه عليهم وموهن كيد الكافرين ويحثه على الجد في أمره والصبر على عبادته وأن يتذكر فيما ينوبه فيه من أعدائه من مشركي قومه وغيرهم وفيما يزاول من الاجتهاد في طاعته ما ناب أخاه موسى صلوات الله عليه من عدوه ثم من قومه ومن بني إسرائيل وما لقي فيه من البلاء والشدة طفلا صغيرا ثم يافعا مترعرعا ثم رجلا كاملا وهل أتاك يا محمد حديث موسى بن عمران إذ رأى نارا ذكر أن ذلك كان في الشتاء ليلا وأن موسى كان أضل الطريق فلما رأى ضوء النار قال لأهله ما قال ذكر من قال ذلك حدثنا موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس قال لما قضى موسى الأجل سار بأهله فضل الطريق قال عبد الله بن عباس كان في الشتاء ورفعت لهم نار فلما رآها ظن أنها نار وكانت من نور الله قال لأهله امكثوا إني آنست نارا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن إسحق عن وهب بن منبه اليماني قال لما قضى موسى الأجل خرج ومعه غنم له ومعه زنده وعصاه في يده يهش بها على غنمه نهارا فإذا أمسى اقتدح بزنده نارا فأبات عليها هو وأهله وغنمه فإذا أصبح غدا بأهله وبغنمه فتوكأ على عصاه فلما كانت الليلة التي أراد الله بموسى كرامته وابتداءه فيها بنبوته وكلامه أخطأ فيها الطريق حتى لا يدري أين يتوجه فأخرج زنده ليقتدح نارا لأهله ليبنوا عليها حتى يصبح ويعلم وجه سبيله فأصلد زنده فلا يورى له نارا فقدح حتى أعياه لاحت

عدوه لموسى بالضرورة لأن عداوة التابوت غير معقولة وإذا كان الضمير الأول والضمير الأخير لموسى فالأنسب بإعجاز القرآن أن يكون الضمير المتوسط أيضا له لأن المعنى صحيح واللفظ متناسب فلا حاجة إلى العدول اعتمادا على القرينة واليم هو البحر والمراد ههنا نيل مصر والساحل شاطئ البحر وأصل الساحل القشر ولهذا قال ابن دريد هو مقلوب لأن الماء سحله فهو مسحول قال أهل الإشارة من خصوصية انشراح الصدر بنور الوحي أن يقذف في قلبه قذف الولد الذي هو أعز الأشياء في تابوت التوكل وبحر التسليم حتى يلقيه اليم بساحل إرادة الله ومشيئته يروى أنها جعلت في التابوت قطنا محلوجا فوضعته فيه وحصصته وقيرته ثم ألقته في اليم وكان يشرع منه إلى بستان فرعون نهر كبير فبيناهو جالس على رأس بركة مع آسية إذا بالتابوت فأمر به فأخرج ففتح فإذا صبي أصبح الناس وجها فأحبه عدو الله حبا شديدا لا يتمالك أن يصبر عنه وظاهر اللفظ يدل على أن التابوت التقط من الساحل فلعل اليم ألقاه بموضع من الساحل فيه فوهة نهر فرعون فأداه النهر إلى البركة أما

كون فرعون عدو الله من جهة كفره وعتوه فظاهر وأما كونه عدوا لموسى وهو صغير فباعتبار المآل أولا لأنه لو ظهر له حاله لقتله فسبحان من يرى حبيبه في حجر عدوه قالوا كان بحضرة فرعون حينئذ أربعمائة غلام وجارية فحين أشار بأخذ التابوت ووعد من يسبق إلى ذلك الاعتاق تسابقوا جميعا ولم يظفر بأخذه إلا واحد منهم فأعتق الكل والنكتة فيه أن عدو الله لم يجوز من كرمه حرمان البعض إذ عزم الكل على الأخذ فأكرم الأكرمين كيف لا يعتبر عزائم المؤمنين على الطاعة والخير فالمرجو منه اعتاق الكل من النار وإن وقع لبعضهم تقصير في العمل قوله (مني) إما أن يتعلق بالقيت أو يكون صفة للمحبة أي محبة حاصلة مني وعلى الوجهين فالمحبة إما محبة الله ومن أحبه الله أحبته القلوب وإما محبة

الناس التي زرعها الله في قلوبهم فقد روى أنه كانت على وجهه مسحة جمال وفي عينيه ملاحة لا يكاد يصبر عنه من رآه قال القاضي والوجه أقرب لأنه في الصغر لا يوصف بمحبة الله التي يرجع معناها الى ايصال الثواب وردّ بأن محبة الله عبارة عن ارادة الخير والنفع وهو من أن يكون جزاء على العمل أولا يكون ولهذا بين المحبة بقوله (ولتصنع على عيني) أي لتربى ويحسن اليك وأنا مراعيك ومراقبك كما يكلأ الشيء بالعينين اذا عني بحفظه ولما كان العالم بالشيء حارساله عن الآفات كما أن الناظر اليه يحرسه أطلق لفظ العين على العالم لاشتراكهما من هذا الوجه وأيضا العين سبب الحراسة (١٠٨) فأطلق السبب وأريد المسبب ويقال عين الله عليك اذا دعي له بالحفظ والحماية فالجار والمجرور في موضع الحال من ضمير المبني للمفعول في لتصنع وجوز في الكشاف أن يكون اذ تمشي ظرفا لتصنع وليس بذلك وانما هو ظرف لألقيت أو بدل من اذ أوحينا على أن الوقتين من زمان واحد واسع يقول الرجل لقيت فلانا سنة كذا ثم تقول وأنا لقيته اذ ذاك وربما لقيه هو في أولها وأنت في آخرها يروى أنه لما فشا الخبر أن آل فرعون أخذوا غلاما في اليم وأنه لا يرتضع من ثدي امرأة كما قال سبحانه وحرمنا عليه المراضع جاءت أخت موسى عليه السلام واسمها مريم متنكرة فقالت (هل أدلكم على من يكفله) فأتت بالام فقبل ثديها وذلك قوله (فرجعناك الى أمك) وقال في القصص فرددناه الى أمه تصديقا لقوله انا رادوه اليك (كي تقر عينها) بلقائك (ولا تحزن) بسبب وصول ابن غيرها الى معدتك (وقتلت) وأنت ابن اثنتي عشرة سنة (نفسا) هو القبطي الذي يجيء ذكره في القصص (فنجيناك من الغم) وهو اقتصاص فرعون منك وقيل الغم هو القتل بلغة قريش أو أراد بالغم خوف عقاب الله وذلك قوله فاغفر لي فغفر له (وفتناك فتونا) مصدر على فعول في المتعدي كالشكور والكفور أو جمع فتن كالظنون للظن أو جمع فتنة على ترك الاعتداد بتاء التأنيث كبدور في بدرة ويجوز في جمزة والفتنة المحنة والابتلاء بخير أو شر قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وفيها معنى التخليص من قولهم فتنت الذهب اذا أردت تخليصه عن سعيد بن جبير أنه سأل ابن عباس عن الفتون فقال أي خلصناك من محنة بعد محنة ولد في عام كان يقتل فيه الولدان وألقته أمه في البحر وهم فرعون بقتله وقتل قبطيا وأجر نفسه عشر سنين وضل الطريق وتفرقت غنمه في ليلة مظلمة وكان يقول عند كل واحدة فهذه فتنة يا ابن جبير قال العلماء لا يجوز اطلاق اسم الفتان على الله تعالى وان جاء وفتناك لانه صفة ذم في العرف وستجيء قصة

النار فرآها فقال لاهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى وعنى بقوله آنست نارا وجدت ومن أمثال العرب بعد اطلاع ايناس ويقال أيضا بعد ايناس وهو مأخوذ من الانس وقوله لعلى آتيكم منها بقبس يقول لعلى أجيئكم من النار التي آنست بشعلة والقبس هو النار في طرف العود أو القصبة يقول القائل لصاحبه أقبسني نارا فيعطيه اياها في طرف عود أو قصبة وانما أراد موسى بقوله لأهله لعلى آتيكم منها بقبس لعلى آتيكم بذلك لتصطلوا به كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن وهب بن منبه لعلى آتيكم منها بقبس قال بقبس تصطلون وقوله أو أجد على النار هدى دلالة تدل على الطريق الذي أضللناه اما من خبر هاد يهدينا اليه واما من بيان وعلم نتبينه به ونعرفه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله أو أجد على النار هدى يقول من يدل على الطريق حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله أو أجد على النار هدى قال هاديا يهديه الطريق حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أو أجد على النار هدى أي هدى يهدونه الطريق حدثني أحمد بن المقدام قال ثنا المعتمر قال سمعت أبي يحدث عن قتادة عن صاحب له عن حديث ابن عباس أنه زعم أنها (٣) ايلة أو أجد على النار هدى وقال أبي وزعم قتادة أنه هدى الطريق حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله أو أجد على النار هدى قال من يهديني الى الطريق حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن وهب بن منبه أو أجد على النار هدى قال هدى عن علم الطريق الذي أضللنا بنعت من خبر حدثني يونس قال أخبرنا سفيان عن أبي سعيد عن عكرمة قال قال ابن عباس لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى قال كانوا أضلوا عن الطريق فقال لعلى أجد من يدلني على الطريق أو آتيكم بقبس لعلكم تصطلون ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فلما أتاها نودي يا موسى اني أنا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى﴾ يقول تعالى ذكره فلما أتى النار موسى ناداه ربه يا موسى اني أنا ربك فاخلع نعليك كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن وهب بن منبه قال خرج موسى نحوها يعني نحو النار فاذا هي في شجر من العليق وبعض أهل الكتاب يقول في عوسجة فلما دنا استأخرت عنه فلما رأى استئخارها رجع عنها وأوجس في نفسه

لبثه فى أهل مدين وأنه على ثمان مراحل من مصر فى سورة القصص ان شاء العزيز قوله (على قدر) أى فى وقت سبق فى قضائى وقدرى أن أكلمك وأستنبئك فيه أو على مقدار من الزمان يوحى فيه الى الانبياء وهو رأس أربعين سنة أو على موعد قد عرفته باخبار شعيب أو غيره والصنع بالضم مصدر صنع اليه معروفا أو قبيحا أى فعل والاصطناع افتعال منه واستعماله فى الخير أكثر واصطنع فلان فلانا اذا اتخذه صنيعة واصطنعت فلانا لنفسى اذا اصطنعته وخرجته ومعناه أحسنت اليه حتى انه يضاف الىّ وقوله (لنفسى) أى لاصرفن جوامع همتك فى أوامرى حتى لا تشتغل بغيرما أمرتك به من تبليغ الرسالة واقامة الحجة وقال جار الله مثل حاله (١٠٩) بحال من يراه بعض الملوك أهلا للتقريب والتكريم لخصائص فيه فيصطنعه بالكرامة ويستخلصه لنفسه فلا يبصر الا بعينه ولا يسمع الا بأذنه ولا يأتمن على مكنون سره سواه وقال غيره من المعتزلة انه سبحانه اذا كلف عباده وجب عليه أن يلطف بهم ومن جملة الالطاف ما لا يعلم الا سماعه فلو لم يصطنعه للرسالة لبقى فى عهدة الواجب فهذا أمر فعله الله لاجل نفسه حتى يخرج عن عهدة ما يجب عليه ولما عد عليه المنن السابقة بازاء الادعية المذكورة رتب على ذكر ذلك أمرا ونهيا أما الامر فقوله (اذهب أنت وأخوك) وفيه بيان ما لاجله اصطنعه وهو الابلاغ وأداء الرسالة (بآياتى) أى مع آياتى لانهما لو ذهبا بدونها لم يلزمه الايمان وهذا من أقوى الدلائل على فساد التقليد وما هذه الآيات غير العصا واليد لانه لم يجر الا ذكرهما فأطلق الجمع على الاثنين أو لان كلا منهما مشتملة على آيات أخر أو لانه يستدل بكل منهما على وجود الله قادر على الكل عالم بالكل وعلى نبوة موسى وعلى جواز الحشر حيث انقلب الجماد حيوانا والمظلم مستنيرا ومثله قوله فيه آيات بينات مقام ابراهيم وقيل هما مع حل العقدة وقيل أراد اذهبا الى أمدكما بآياتى وأظهرها على أيديكما متى وقع الاحتياج اليها وأما النهى فقوله (ولا تنيا) بكسر النون مثل تعدا وقرئ تنيا بكسر حرف المضارعة أيضا للاتباع والونى بفتحتين الضعف والفتور والكلال والاعياء والمعنى لا تنسيانى بل اتخذا ذكرى وسيلة فى تحصيل المقاصد واعتقدا ان أمرا من الامور لا يتهنى لاحد الا بذكرى فان المداومة على ذكر الله توجب عدم الخوف من غيره وأن يستحقر فى نظره ما سواه لقوة نفسه واستنارة باطنه وقيل أراد بالذكر تبليغ الرسالة فان الذكر يقع على كل العبادات فضلا عن أعظمها فائدة وأتمها عائدة وقيل اذكرانى عند فرعون وقومه فانى لا أرضى بالكفر وأعاقب عليه وأثيب على الايمان وأرتضيه وبالجملة كل ما يتعلق بالترهيب والترغيب ما الفائدة فى تكرير قوله (اذهبا

منها خفية فلما أراد الرجعة دنت منه ثم كلم من الشجرة فلما سمع الصوت استأنس وقال الله تبارك وتعالى له يا موسى اخلع نعليك انك بالوادى المقدس طوى فخلعهما فألقاهما واختلف أهل العلم فى السبب الذى من أجله أمر الله موسى بخلع نعليه فقال بعضهم أمره بذلك لأنهما كانتا من جلد حمار ميت فكره أن يطأ بهما الوادى المقدس وأراد أن يمسه من بركة الوادى ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عاصم عن أبى قلابة عن كعب أنه رآهم يخلعون نعالهم فى الصلاة فقال أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك فقرئ عليه اخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى فقال كانت من جلد حمار ميت فأراد الله أن يمسه القدس حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين عن يزيد عن عكرمة فى قوله فاخلع نعليك قال كانتا من جلد حمار ميت حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال حدثنا أن نعليه كانتا من جلد حمار فخلعهما ثم أتاه حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله فاخلع نعليك قال كانتا من جلد حمار فقيل له اخلعهما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج * قال وأخبرنى عمر بن عطاء عن عكرمة وأبو سفيان عن معمر عن جابر الجعفى عن على بن أبى طالب فاخلع نعليك قال كانتا من جلد حمار فقيل له اخلعهما * قال وقال قتادة مثل ذلك * وقال آخرون كانتا من جلد بقر ولكن الله أراد أن يطأ موسى الارض بقدميه ليصل اليه بركتها ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال الحسن كانتا يعنى نعلى موسى من بقر ولكن انما أراد الله أن يباشر بقدميه بركة الارض وكان قد قدس مرتين قال ابن جريج وقيل لمجاهد زعموا أن نعليه كانتا من جلد حمار أو ميتة قال لا ولكنه أمر أن يباشر بقدميه بركة الارض حدثنى يعقوب قال قال أبو بشر يعنى ابن علية سمعت ابن أبى نجيح يقول فى قوله فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى قال يقول أفض بقدميك الى بركة الوادى * قال أبو جعفر وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال أمره الله تعالى ذكره بخلع نعليه ليباشر بقدميه بركة الوادى اذ كان واديا مقدسا وانما قلنا ذلك أولى التأويلين بالصواب لانه لا دلالة فى ظاهر التنزيل على أنه أمر بخلعهما من أجل أنهما من جلد حمار ولا لنجاستهما ولا خبر بذلك عمن يلزم بقوله الحجة وان فى قوله انك بالوادى المقدس بعقبه دليلا واضحا على أنه انما أمره بخلعهما لما ذكرنا ولو كان الخبر الذى حدثنا به بشر قال ثنا خلف بن خليفة عن حميد بن عبد الله بن الحرث عن ابن مسعود عن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال يوم كلم الله موسى كانت عليه جبة صوف وكساء صوف وسراويل صوف ونعلان من جلد حمار غير

الى فرعون) والجواب بعد التقرير والتأكيد أمرهما أن يشتغلا باداء الرسالة معا لا أن ينفرد به موسى أو الاول أمر بالذهاب الى كل بنى اسرائيل والقبط والثانى مخصوص بفرعون الطاغى ثم انه خوطب كلاهما وموسى حاضر فقط لانه أصل أو هو كقوله واذ قتلتم نفسا والقاتل واحد منهم ويحتمل أن هرون قد حضر وقتئذ فقد روى أن الله عز وجل أوحى الى هرون وهو بمصر أن يتلقى موسى وقيل ألهم بذلك وقيل سمع بحيث فتلقاه * سؤال لم أمرا بتليين القول للعدو المعاند جوابه لان من عادة الجبابرة اذا أغلظ لهم فى الكلام أن يزدادوا عتوا وعلوا وقيل لماله من حق تربية موسى شبه حق الابوة وكيف ذلك القول اللين الاصح أنه نحو قوله تعالى هل لك الى أن تزكى وأهديك الى ربك فتخشى لان ظاهره الاستفهام والمشورة وعرض ما فيه صلاح الدارين وقيل أراد عداه شبابا لا يهرم بعده وملكا لا ينزع منه الا بالموت وأن يبقى له لذة المطعم والمشرب والمنكح الى حين موته حكى عمرو ابن دينار قال بلغنى أن فرعون عمر أربعمائة وتسعا وستين سنة فقال له موسى ان أطعتنى فلك مثل ما عمرت فاذا مت فلك الجنة وقيل أراد كنياه وهو من ذوى الكنى الثلاث أبو العباس وأبو الوليد وأبو مرة ويحتمل أن يكون أمر بالقول اللين لانه كان فى موسى حدة وخشونة بحيث اذا غضب اشتعلت قلنسوته نارا فعالج حدته باللين ليكون حليما فى أداء الرسالة ومعنى الترجى فى لعله يعود الى موسى وأخيه أى اذهبا على رجائكما وباشرا الامر مباشرة من يرجو أن يثمر سعيه فعساه يتذكر بأن يرجع من الانكار الى الحق رجوعا كليا اذا تأمل فأنصف (أو يخشى) فيقل انكاره واصراره قالت المعتزلة جدوى ارسالهما اليه مع العلم بأنه لن يؤمن قطع المعذرة والزامه الحجة وقالت الاشاعرة العقول قاصرة عن معرفة سر القدر ولا سبيل الا التسليم وترك الاعتراض والسكوت بالقلب واللسان قالوا انه كمن يدفع سكينا الى من علم قطعا أنه يمزق بطن نفسه ثم يقول انى ما أردت بدفع السكين اليه الا الاحسان ويروى عن كعب انه قال والذى يحلف به كعب انه مكتوب فى التوراة فقولا له قولا لينا وسأقسى قلبه فلا يؤمن (قالا ربنا) فيه دليل على أن هرون أيضا كان حاضرا وقتئذ كما روينا وسئل أنه انشرح صدره وتيسر أمره فكيف قالا (اننا نخاف) فان حصول الخوف ينافى شرح الصدر وأجيب بأن المراد من شرح الصدر ضبط الاوامر والنواهى وحفظ الشرائع والاحكام بحيث لا يتطرق اليها خلل وتحريف وهذا شئ آخر مغاير لزوال الخوف قلت لعلهما خافا أن لا يتمكنا من أداء الرسالة بدليل قوله (أن يفرط علينا) أى يسبق رسالتنا ويبادرنا بالعقوبة (أو أن يطغى) أى يجاوز الحد

مذكى صحيحا لم نعده الى غيره ولكن فى اسناده نظر يجب التثبت فيه واختلفت القراء فى قراءة قوله انى أنا ربك فقرأ ذلك بعض قراء المدينة والبصرة نودى يا موسى أنى بفتح الالف من انى فأن على قراءتهم فى موضع رفع بقوله نودى فان معناه كان عندهم نودى هذا القول وقرأ بعض عامة قراء المدينة والكوفة بالكسر نودى يا موسى انى على الابتداء وان معنى ذلك قيل يا موسى انى * قال أبو جعفر والكسر أولى القراءتين عندنا بالصواب وذلك أن النداء قد حال بينه وبين العمل فى ان قوله يا موسى وحظ قوله نودى أن يعمل فى ان لو كانت قبل قوله يا موسى وذلك أن يقال نودى أن يا موسى انى أنا ربك ولا حظ لها فى ان التى بعد يا موسى وأما قوله انك بالوادى المقدس فانه يقول انك بالوادى المطهر المبارك كما حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله انك بالوادى المقدس يقول المبارك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد قوله انك بالوادى المقدس طوى قال قدس مرتين حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله انك بالوادى المقدس طوى قال بالوادى المبارك واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله طوى فقال بعضهم معناه انك بالوادى المقدس طويته فعلى هذا القول من قولهم طوى مصدر خرج من غير لفظه كأنه قال طويت الوادى المقدس طوى ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله انك بالوادى المقدس طوى يعنى الارض المقدسة وذلك أنه مر بواديها ليلا فطواه يقال طويت وادى كذا وكذا طوى من الليل وارتفع الى أعلى الوادى وذلك نبى الله موسى صلى الله عليه وسلم * وقال آخرون بل معنى ذلك مرتين وقال ناداه ربه مرتين فعلى قول هؤلاء طوى مصدر أيضا من غير لفظه وذلك أن معناه عندهم نودى يا موسى مرتين نداءين وكان بعضهم ينشد شاهدا لقوله طوى أنه بمعنى مرتين قول عدى ابن زيد العبادى

أعاذل ان اللوم فى غير كنهه * على طوى من غيك المتردد

وروى ذلك آخرون على ثنى أى مرة بعد أخرى وقالوا طوى وثنى بمعنى واحد ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فاخلع نعليك انك بالوادى المقدس طوى كنا نحدث أنه واد قدس مرتين وأن اسمه طوى * وقال آخرون بل معنى ذلك انه قدس طوى مرتين ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال الحسن كان قد قدس مرتين * وقال آخرون بل طوى اسم الوادى ذكر من قال

بأن يقول فيك مالا ينبغي أو يجاوز حد الاعتدال في معاقبتنا ان لم يعاجل بنا فلا نتمكن من اقامة وظائف الأداء وأيضا الدليل النقلي السمعي اذا انضاف الى الدليل العقلي زاده ايقانا وطمأنينة ولهذا (قال لا تخافا انني معكما) أي بالنصرة والتأييد (أسمع وأرى) ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل فأفعل بكما ما يوجب عنايتي وحراستي فلا يذهب وهمكما الى أن مواد كرامتي انقطعت عنكما اذا فارقتما مقام المكالمة فصار هذا الوهم سبب خوفكما ويجوز أن يكون الفعلان متروكي المفعول كأنه قيل أنا سامع مبصر واذا كان الحافظ والناصر كذلك تم الحفظ وكملت النصرة قال بعض الأصوليين في الآية دلالة على أن الامر لا يقتضي الفور والا كان تعللهما بالخوف معصية وانها غير جائزة على الرسل في الاصح وقال بعض المتكلمين فيها دليل على أن السمع والبصر صفتان زائدتان على العلم والا لزم التكرار فان معنيهما هي بالعلم ولقائل أن يقول الخاص يغاير العام ولكن لا يباينه ثم كرر الامر قائلا (فأتياه فقولا) فسئل انهما أمرا بأن يقولا له قولا لينا فكيف غلظاه أولا بقوله (انا رسولا ربك) ففيه ايجاب انقياده لهما واكراهه على طاعتهما وهذا مما يعظم على الجبار وثانيا بقوله (فأرسل معنا بني اسرائيل) وفيه ادخال النقص في ملكه لأنه كان يستخدمهم في الاعمال الشاقة وثالثا بقوله (ولا تعذبهم) وفيه منعه عما يريده بهم وأجيب بأن هذا القدر من التغليظ ضروري في أداء الرسالة قيل أليس الاولى أن يقولا انا رسولا ربك قد جئناك بآية من ربك فأرسل معنا بني اسرائيل فيكون ذكر المعجز مقرونا بادعاء الرسالة والجواب أن قوله فأرسل من تتمة الدعوى وانما وحد قوله بآية ومعه آيتان بل آيات لقوله اذهب أنت وأخوك بآياتي لانه أراد الجنس كأنه قيل قد جئناك ببيان من عند الله وبرهان قال في الكشاف قلت وفيه أيضا نوع من الأدب كما لو قلت أنا رجل

ذلك حدثني علي بن داود قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله طوى اسم للوادي حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد طوى قال اسم الوادي حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله بالوادي المقدس طوى قال ذلك الوادي هو طوى حيث كان موسى وحيث كان اليه من الله ما كان قال وهو نحو الطور * وقال آخرون بل هو أمر من الله لموسى أن يطأ الوادي بقدميه ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن منصور الطوسي قال ثنا صالح بن اسحق عن جعفر بن برقان عن عكرمة عن ابن عباس في قول الله تبارك وتعالى اخلع نعليك انك بالوادي المقدس طوى قال طأ الوادي حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى قال ثنا الحسن عن يزيد عن عكرمة في قوله طوى قال طأ الوادي حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن سعيد بن جبير في قول الله طوى قال طأ الارض حافيا كما تدخل الكعبة حافيا يقول من بركة الوادي حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد طوى طأ الارض حافيا * واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأه بعض قراء المدينة طوى بضم الطاء وترك التنوين كأنهم جعلوه اسم الارض التي بها الوادي كما قال الشاعر

نصروا نبيهم وشدوا أزره * بحنين يوم تواكل الابطال

فلم يجر حنين لانه جعله اسما للبلدة لا للوادي ولو كان جعله اسما للوادي لاجراه كما قرأت القراء ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم وكما قال الآخر

ألسنا أكرم الثقلين رحلا * وأعظمه ببطن حراء نارا

فلم يجر حراء وهو جبل لانه جعله اسما للبلدة فكذلك طوى في قراءة من لم يجره جعله اسما للارض وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة طوى بضم الطاء والتنوين وقارئو ذلك كذلك مختلفون في معناه على ما قد ذكرت من اختلاف أهل التأويل فأما من أراد به المصدر من طويت فلا مؤنثة في تنوينه وأما من أراد أن يجعله اسما للوادي فانه انما ينونه لانه اسم ذكر لا مؤنث وان لام الفعل منه ياء فزاده ذلك خفة فأجراه كما قال الله ويوم حنين اذ كان حنين اسم واد والوادي مذكر * قال أبو جعفر وأولى القولين عندي بالصواب قراءة من قرأه بضم الطاء والتنوين لانه ان يكن اسما للوادي فحظه التنوين لما ذكر قبل من العلة لمن قال ذلك وان كان مصدرا أو مفسرا فكذلك

فحصلت شيأ من العلم ولعل عندك علوما جمة على أن تخصيص عدد بالذكر لا يدل على نفي الزائد عليه وأيضا الاصل في معجزات موسى كان هي العصا ولهذا وقعت في معرض المعارضة كما أن الاصل في معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم كان هو القرآن فوقع لذلك في حيز التحدي (والسلام) أي جنس السلامة أو سلام خزنة الجنة (على من اتبع الهدى) يحتمل أن يكون هذا أيضا مما أمرا بأن يقولاه لفرعون ويحتمل أن تكون الرسالة قد تمت عند قوله بآية من ربك ويكون هذا وعدا بالسلامة من عقوبات الدارين لمن آمن وصدق قالت الأشاعرة في قوله (أن العذاب) أي جنسه أو كل فرد منه (على من كذب وتولى) دليل على أنه لا يعاقب أحدا من المؤمنين ترك العمل به في بعض الاوقات فوجب أن

يبقى على أصله فى نفى الدوام على أن العقاب المتناهى لا نسبة له الى النعيم المقيم الذى لا نهاية له فكانه لم يعاقب أصلا وأيضا العارف بالله قد اتبع الهدى فوجب أن يكون من أهل السلامة (قال فمن ربكما يا موسى) خاطب الاثنين ووجه النداء الى موسى لانه الاصل فى ادعاء الرسالة وهرون وزيره ويجوز أنه خص موسى عليه السلام بالنداء لما عرف من فصاحة هرون والرتة التى كانت فى لسان موسى فأراد أن يعجز عن الجواب قال أهل الأدب ان فرعون كان شديد البطش جبارا ومع ذلك لم يبدأ بالسفاهة والشغب بل شرع فى المناظرة وطلب الحجة فدل على أن الشغب من غير حجة شئ ما كان يرتضيه فرعون مع كمال (١١٢) جهله وكفره فكيف يليق ذلك بمن يدعى الاسلام والعلم وفى اشتغال موسى بافادة الدلالة على المطلوب دليل على فساد التقليد وفساد قول القائل بأن معرفة الله تستفاد من قول الرسول وفيه جواز حكاية كلام المبطل مقرونا بالجواب لئلا يبقى الشك وفيه أن المحق يجب عليه استماع شبهة المبطل حتى يمكنه الاشتغال بحلها واعلم أن العلماء اختلفوا فى كفر فرعون فقيل كان عارفا بالله الا أنه كان معاندا بدليل قوله لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والارض وقوله وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا وقوله فى سورة القصص وظنوا انهم الينا لا يرجعون وليس فيه الا انكار المعاد دون انكار المبدا وقوله فى الشعراء ومارب العالمين الى قوله ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون يعنى أنا أطلب منه الماهية وهو يشرح الوجود فدل على أنه اعترف بأصل الوجود وأيضا ان ملك فرعون لم يتجاوز القبط ولم يبلغ الشام لان موسى لما هرب الى مدين قال له شعيب لا تخف نجوت من القوم الظالمين فكيف يعتقد مثل هذا الشخص أنه اله العالم بل كل عاقل مكلف يعلم بالضرورة انه وجد بعد العدم فلا يكون واجب الوجود وأيضا انه سأل ههنا عن طالبا للكيفية وفى الشعراء عما طالبا للماهية فكأن موسى لما أقام الدلالة على الوجود ترك المناظرة والمنازعة معه فى هذا المقام لظهوره وشرع فى مقام أصعب لان العلم بماهية الله تعالى غير حاصل للبشر وأيضا انه قال فى الجواب (ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه) وصلة الذى لا بد أن تكون جملة معلومة الانتساب ومن الناس من قال انه كان جاهلا بالله بعد اتفاقهم على أن العاقل لا يجوز أن يعتقد فى نفسه أنه خالق السموات والارض ومافيهما فمنهم من قال انه كان دهريا نافيا للمؤثر أصلا ومنهم من قال انه فلسفى قائل بالعلة الموجبة أو هو من عبدة الكواكب أو من الحلولية والمجسمة وأما ادعاء الالهية والربوبية فبمعنى أنه يجب عليهم طاعته والانقياد لحكمه قال بعض العلماء انما قال

أيضا حكمه التنوين وهو عندى اسم الوادى واذ كان ذلك كذلك فهو فى موضع خفض رد على الوادى ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى انني أنا الله لا اله الا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري﴾ اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة القراء الذين قرؤا بالتشديد النون وأنا بفتح الالف من أنا رد على نودى يا موسى كأن معنى الكلام عندهم نودى يا موسى انى أنا ربك وأنا اخترتك وبهذه القراءة قرأ ذلك عامة قراء الكوفة وأما عامة قراء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة فقرؤه وأنا اخترتك بتخفيف النون على وجه الخبر من الله عن نفسه أنه اختاره * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال انهما قراءتان قد قرأ بكل واحدة منهما قراء أهل العلم بالقرآن مع اتفاق معنييهما فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب فيه وتأويل الكلام نودى أنا اخترناك فاجتبيناك لرسالتنا الى من نرسلك اليه فاستمع لما يوحى يقول فاستمع لوحينا الذى نوحيه اليك وعه واعمل به انني أنا الله يقول تعالى ذكره انني أنا المعبود الذى لا تصلح العبادة الا له لا اله الا أنا فلا تعبد غيرى فانه لا معبود تجوز أو تصلح له العبادة سواى فاعبدني يقول فأخلص العبادة لى دون كل ما عبد من دونى وأقم الصلاة لذكرى * واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك أقم الصلاة لى فانك اذا أقمتها ذكرتنى ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله أقم الصلاة لذكرى قال اذا صلى ذكر به حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله وأقم الصلاة لذكرى قال اذا عبد ذكر به * وقال آخرون بل معنى ذلك وأقم الصلاة حين تذكرها ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سفيان عن مغيرة عن ابراهيم فى قوله وأقم الصلاة لذكرى قال يصليها حين يذكرها حدثنى أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال ثنى عمى عبد الله بن وهب قال ثنى يونس ومالك بن شهاب قال أخبرنى سعيد بن المسيب عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من نسى صلاة فليصلها اذا ذكرها قال الله أقم الصلاة لذكرى وكان الزهرى يقرؤها أقم الصلاة لذكرى بمنزلة فعلى * قال أبو جعفر وأولى التأويلين فى ذلك بالصواب تأويل من قال معناه أقم الصلاة لتذكرنى فيها لان ذلك أظهر معنييه ولو كان معناه حين تذكرها لكان التنزيل أقم الصلاة اذ كرتها وفى قوله لذكرى دلالة بينة على صحة ما قال مجاهد فى تأويل ذلك ولو كانت القراءة التى ذكرناها عن الزهرى قراءة مستفيضة فى قرأة الامصار كان صحيحا تأويل من تأوله بمعنى أقم الصلاة حين

تذكرها

فمن ربكما ولم يقل فمن الهكما تعريضا بانه رب موسى كما قال ألم نربك فينا وليدا قلت يحتمل أن يكون تخصيص موسى بالنداء تنبيها على هذا المعنى ولم يعلم الكافر أن الربوبية التي ادعاها موسى لله في قوله انا رسولا ربك غير هذه في الحقيقة ولا مشاركة بينهما الا في اللفظ وهذا كما عارض نمرود ابراهيم صلوات الرحمن عليه في قوله أنا أحيي وأميت ولم يعلم أن احياءه واماتته ليسا من الاحياء والاماتة في شيء ثم شرع موسى في الدلالة على اثبات الصانع بأحوال المخلوقات وفيه دلالة على أن موسى كان أصلا في النبوة وأن هرون راعى الأدب فلم يشتغل بالجواب قبله لأن الاصل في النبوة هو موسى ولأن فرعون خصص موسى بالنداء من قر أخلقه بسكون اللام فاما بمعنى الخليقة والضمير المجرور لله وقدم المفعول الثاني ليتصل قوله ثم هدى والخليقة أي أعطى الخلائق ما به قوامهم من المطعوم والمشروب والملبوس والمنكوح ثم هداهم الى كيفية الانتفاع بها فيستخرجون الحديد من الجبال واللآلئ من البحار ويركبون الاغذية والادوية والاسلحة والامتعة ونظير هذا الكلام قوله الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى وقوله حكاية عن ابراهيم الذي خلقني فهو يهدين واما أن يكون الخلق بمعنى الصورة والشكل أي أعطى كل شيء صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به فأعطى العين هيئتها التي تطابق الابصار والاذن ما يوافق الاستماع والانف للشم واليد للبطش والرجل للمشي بل أعطى رجل الآدمي شكلا يوافق سعيه ورجل الحيوانات الأخر شكلا يطابق مشيها بل أعطى ذوات القرون رجلا توافق حاجتهن وكذا الخف والحافر وذوات المخالب وقيل أراد أعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة فجعل الحصان والحمار زوجين وكذا البعير والناقة والرجل والمرأة ومن قر أخلقه بفتح اللام صفة للمضاف أو المضاف اليه والمفعول الثاني متروك أي كل شيء خلقه الله لم يخله من عطائه وانعامه واعلم أن عجائب حكمة الله تعالى في مخلوقاته بحر لا ساحل له وقد دون العلماء طرفا منها في كتب التشريح وخواص الاحجار والنبات والحيوان ولنذكر ههنا واحدا منها هي أن الطبيعي يقول الثقيل هابط والخفيف صاعد فالماء لذلك فوق الارض والهواء فوق الماء والنار فوق الكل ثم انه سبحانه جعل العظم والشعر أصلب الاعضاء على طبيعة الارض وجعل مكانهما فوق البدن وجعل تحته الدماغ الذي هو بمنزلة الماء وجعل تحته النفس الذي هو الهواء وجعل تحته الحرارة الغريزية في القلب كالنار ليكون دليلا على وجود الفاعل المختار خلاف ما يقوله الدهري والطبيعي

تذكرها وذلك أن الزهري وجه بقراءته أقم الصلاة لذكري بالالف لا بالاضافة (١) اذ أقم لذكراها لأن الهاء والالف حذفتا وهما مرادتان في الكلام ليوفق بينها وبين سائر رؤس الآيات اذ كانت بالالف والفتح ولو قال قائل في قراءة الزهري هذه التي ذكرناها عنه انما قصد الزهري بفتحها تصييره الاضافة ألفا للتوفيق بينه وبين رؤس الآيات قبله وبعده لا أنه خالف بقراءته ذلك كذلك من قرأه بالاضافة وقال انما ذلك كقول الشاعر

أطوف ما أطوف ثم آوي * الى أماويروينى النقيع

وهو يريد الى أمي وكقول العرب يا أبا وأما وهي تريد يا أبي وأمي كان له بذلك مقال ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ان الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى﴾ يقول تعالى ذكره ان الساعة التي يبعث الله فيها الخلائق من قبورهم لموقف القيامة جائية أكاد أخفيها فعلى ضم الالف من أخفيها قراءة جميع قراء أمصار الاسلام بمعنى أكاد أخفيها من نفسي لئلا يطلع عليها أحد وبذلك جاء تأويل أكثر أهل العلم ذكر من قال ذلك حدثني على قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله أكاد أخفيها يقول لا أظهر عليها أحدا غيري حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ان الساعة آتية أكاد أخفيها قال لا تأتيكم الا بغتة حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن ليث عن مجاهد ان الساعة آتية أكاد أخفيها قال من نفسي حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله أكاد أخفيها قال من نفسي حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء ابن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أكاد أخفيها قال من نفسي حدثني عبد الأعلى ابن واصل قال ثنا محمد بن عبيد الطنافسي قال ثنا اسمعيل بن أبي خالد عن أبي صالح في قوله أكاد أخفيها قال يخفيها من نفسه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أكاد أخفيها وهي في بعض القراءة أخفيها من نفسي ولعمري لقد أخفاها الله من الملائكة المقربين ومن الانبياء المرسلين حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال في بعض الحروف ان الساعة آتية أكاد أخفيها من نفسي * وقال آخرون انما هو أكاد أخفيها بفتح الألف من أخفيها بمعنى أظهرها ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا

(١) لعله اذ اصلها أقم الصلاة لذكراها وان الألف والهاء حذفت الخ فتأمل كتبه مصححه

وسائر الكفار وأيضا اختصاص كل جسم بقوة وتركيب وهداية اما أن يكون واجبا أو جائزا والاول محال والا لم يقع فيها تغيير والثانى يستدعى مرجحا فان كان ذلك المرجح واجب الوجود لذاته فهو المطلوب وان كان جائز الوجود افتقر فى اتصافه بالوجود الى موجد ولابد من الانتهاء الى موجد يجب وجوده لذاته ثم انه يستغنى عن سمات النقص وشوائب الافتقار وليس الا الله الواحد القهار قال أهل التفسير وجحدوا فعارض الحجة بالتقليد والبال الحال أو أنه (١١٤) لما هدده بالعذاب فى قوله ان العذاب على من كذب وتولى قال فما بالهم كذبوا فما عذبوا فأجاب بأن هذا مما استأثر الله بعلمه وما أنا الا عبد مثلك لا أعلم منه الا ما يخبرنى به علام الغيوب أو أنه سأله عن أحوال القرون الخالية وعن شقاء من شقى منهم وسعادة من سعد ليصرف موسى عن المقصود ويشغله بالحكايات خوفا من أن يميل قلوب ملئه الى حجته الباهرة ودلائله الظاهرة فلم يلتفت موسى الى حديثه بل (قال علمها عند ربى) ولا يتعلق غرضى بأحوالهم ويجوز أن يكون الكلام قد انجر ضمنا أو صريحا الى احاطة الله سبحانه بكل شئ فنازعه الكافر قائلا ما بال سوالف القرون فى تمادى كثرتهم وتباعد أطرافهم كيف أحاط بهم وبأجزائهم وجواهرهم فأجاب بأن كل كائن محيط به علمه ولا يجوز عليه الخطأ والنسيان كما يجوز عليك أيها العبد الذليل والبشر الضئيل وقوله علمها عند ربى مع قوله فى كتاب لا يتنافيان بل المراد أنه تعالى عالم بجميع المغيبات مطلع على الكليات والجزئيات من أحوال الموجودات والمعدومات ومع ذلك فان جميع الاحوال ثابتة فى اللوح المحفوظ ثم كان لقائل أن يقول لعلها أثبتت فى اللوح لاحتمال الخطا والنسيان فتدارك ذلك بقوله (لا يضل ربى ولا ينسى) قال مجاهد هما واحد المراد أنه لا يذهب عنه شئ ولا يخفى عليه والأكثرون على خطائهم الفرق فقال القفال الاول اشارة الى كونه عالما بالكل والثانى اشارة الى بقاء ذلك العلم أى لا يضل عن معرفة الاشياء وما علم من ذلك لا ينساه ولا يتغير علمه يقال ضللت الشئ اذا أخطأته فى مكانه فلم تهتد له وقال مقاتل لا يخطئ ذلك الكتاب ربى ولا ينسى ما فيه وقال الحسن لا يخطئ وقت البعث ولا ينساه وقال أبو عمرو لا يغيب عن شئ ولا يعزب عنه شئ وقال ابن جرير لا يخطئ فى التدبير فيعتقد غير الصواب صوابا واذا عرفه لا ينساه والوجوه متقاربة والتحقيق ما قاله القفال وعن ابن عباس لا يترك من كفر به حتى ينتقم منه ولا يترك من وحده

يحيى بن واضح قال ثنا محمد بن سهل قال سألنى رجل فى المسجد عن هذا البيت

داب شهرين ثم شهرا دميكا * بأريكين يخفيان غميرا

فقلت يظهران فقال ورقاء بن اياس وهو خلفى أقرأنيها سعيد بن جبير أكاد أخفيها بنصب الالف وقد روى عن سعيد بن جبير وفاق القول الآخرين الذين قالوا معناه أكاد أخفيها من نفسى ذكر الرواية عنه بذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عطاء عن سعيد بن جبير ومنصور عن مجاهد قالا ان الساعة آتية أكاد أخفيها قالا من نفسى حدثنى عبيد بن اسمعيل الهبارى قال ثنا ابن فضيل عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير أكاد أخفيها قال من نفسى * قال أبو جعفر والذى هو أولى بتأويل الآية من القول قول من قال معناه أكاد أخفيها من نفسى لان تأويل أهل التأويل بذلك جاء والذى ذكر عن سعيد بن جبير من قراءة ذلك بفتح الالف قراءة لا أستجيز القراءة بها لخلافها قراءة الحجة التى لا يجوز خلافها فيما جاءت به نقلا مستفيضا فان قال قائل ولم وجهت تأويل قوله أكاد أخفيها بضم الالف الى معنى أكاد أخفيها من نفسى دون توجيهه الى معنى أكاد أظهرها وقد علمت أن للاخفاء فى كلام العرب وجهين أحدهما الاظهار والآخر الكتمان وأن الاظهار فى هذا الموضع أشبه بمعنى الكلام اذ كان الاخفاء من نفسه يكاد عند السامعين أن يستحيل معناه اذ كان محالا أن يخفى أحد عن نفسه شيأ هو به عالم والله تعالى ذكره لا يخفى عليه خافية قيل الامر فى ذلك بخلاف ما ظننت وانما وجهنا معنى أخفيها بضم الالف الى معنى أسترها من نفسى لان المعروف من معنى الاخفاء فى كلام العرب الستر يقال قد أخفيت الشئ اذا سترته وأن الذين وجهوا معناه الى الاظهار اعتمدوا على بيت لامرئ القيس بن عابس الكندى حدثت عن معمر بن المثنى أنه قال أنشدنيه أبو الخطاب عن أهله فى بلده

فان تدفنوا الداء لا نخفه * وان تبعثوا الحرب لا نقعد

بضم النون من لا نخفه ومعناه لا نظهره فكان اعتمادهم فى توجيه الاخفاء فى هذا الموضع الى الاظهار على ما ذكر وامن سماعهم هذا البيت على ما وصفت من ضم النون من نخفه وقد أنشدنى الثقة عن الفراء فان تدفنوا الداء لا نخفه بفتح النون من نخفه من خفيته أخفيه وهو أولى بالصواب لانه المعروف من كلام العرب فاذ كان ذلك كذلك وكان الفتح فى الالف من أخفيها غير جائز عندنا لما ذكرنا ثبت وصح الوجه الآخر وهو أن معنى ذلك أكاد أسترها من نفسى وأما وجه صحة القول فى ذلك فهو أن الله تعالى ذكره خاطب بالقرآن العرب على ما يعرفونه من كلامهم وجرى به

حتى يجازيه ولما ذكر الدليل العام المتناول لجميع المخلوقات السمويات والارضيات من الانسان وسائر الحيوانات وأنواع النباتات والجمادات ذكر الدلائل الخاصة فقال (الذى جعل لكم الارض مهدا) أى كالمهد وهو ما يهد للصبى قال أبو عبيدة الذى أختاره مهادا لانه اسم لما يمهد والمهد مصدر وقال غيره المهد اسم والمهاد جمع وقال المفضل هما مصدران (وسلك) أى حصل (لكم فيها سبلا) ووسطها بين الجبال والأودية والبرارى يقال سلكت الشئ فى الشئ سلكا بالفتح أى أدخلته فيه (فأخرجنا به) أى بواسطة انزال الماء ومن المتكلمين الأقدمين من أنكر تأثير الوسائط (ازواجا) أى أصنافا سميت بذلك لانها مزدوجة مقترن بعضها ببعض و (شتى) صفة للازواج جمع شتيت كمريض ومرضى أو صفة للنبات لا مصدر سمى به النابت كما سمى بالنبت فاستوى فيه الواحد والجمع يعنى أنها مختلفة النفع والطبع والطعم واللون والرائحة والشكل ثم ههنا اضمار والتقدير وقلنا أو قائلين (كلوا وارعوا أنعامكم) وذلك أن بعضها يصلح للناس وبعضها يصلح للبهائم وإباحة الاكل تتضمن اباحة سائر وجوه الانتفاع كقوله ولا تأكلوا أموالكم ومن نعم الله تعالى أن أرزاق العباد انما تتحصل بعمل الأنعام وقد جعل الله علفها مما يفضل عن حاجتهم ولا يقدرون على أكله قال الجوهرى النهية بالضم واحدة النهى وهى العقول لانها تنهى عن القبيح وجوز أبو على الفارسى أن يكون مصدرا كالهدى وخص أرباب العقول بذلك لانهم هم المنتفعون بالنظر فيها والاستدلال بها على وجود صانعها (منها خلقناكم) لأن آدم مخلوق من الارض أولان بنى آدم خلقوا من النطفة ودم الطمث المتولدين من الاغذية المنتهية الى العناصر الغالبة عليها الارضية أولما ورد فى الخبر أن الملك يأخذ من تربة المكان الذى يدفن فيه الآدمى فيذرها على النطفة (وفيها نعيدكم) لان الجسد يصير ترابا فيختلط بالارض الا من رفعه الله الى السماء وهو أيضا يحتمل أن يعاد اليها بعد ذلك ومنها نخرجكم تارة أخرى) بالحشر والبعث أو بأن نخرجكم ترابا وبلسانكم نحييكم بعد الاخراج أو المراد الاحياء فى القبر وههنا بحث وهو أن يكون قوله الذى جعل لكم الارض الى ههنا من تتمة كلام موسى أو هو ابتداء كلام من الله تعالى وعلى الاول يمكن أن يوجه قوله فأخرجنا بأن المراد فأخرجنا نحن معاشر عباده بذلك الماء بالحراثة والزرع أزواجا من نبات شتى الا أن قوله كلوا وارعوا الى قوله ومنها نخرجكم لا يطابقه وان قيل ان كلام موسى يتم عند قوله وأنزلنا من السماء ماء لم يصلح قوله فأخرجنا ابتداء كلام من الله لمكان فاء التعقيب فالصواب أن يتم كلام موسى عند قوله ولا ينسى ثم انه تعالى ابتدأ فقال الذى أى

خطابهم بينهم فلما كان معروفا فى كلامهم أن يقول أحدهم اذا أراد المبالغة فى الخبر عن اخفائه شيأ هو له مستسر قد كدت أن أخفى هذا الامر عن نفسى من شدة استسرارى به ولو قدرت أخفيه عن نفسى أخفيته خاطبهم على حسب ما قد جرى به استعمالهم فى ذلك من الكلام بينهم وما قد عرفوه فى منطقهم وقد قيل فى ذلك أقوال غير ما قلنا وانما اخترنا هذا القول على غيره من الاقوال لموافقة أقوال أهل العلم من الصحابة والتابعين اذ كنا لا نستجيز الخلاف عليهم فيما استفاض القول به منهم وجاء عنهم مجيئا يقطع العذر فأما الذين قالوا فى ذلك غير قولنا ممن قال فيه على وجه الانتزاع من كلام العرب من غير أن يعزوه الى امام من الصحابة أو التابعين وعلى وجه يحتمل الكلام غير وجهه المعروف فانهم اختلفوا فى معناه بينهم فقال بعضهم يحتمل معناه أريد أخفيها قال وذلك معروف فى اللغة وذكر أنه حكى عن العرب أنهم يقولون أولئك أصحابى الذين أكاد أنزل عليهم وقال معناه لا أنزل الا عليهم قال وحكى أكاد أبرح منزلى أى ما أبرح منزلى واحتج بيت أنشده لبعض الشعراء

كادت وكدت وتلك خير ارادة * لو عاد من لهو الصبابة مامضى

وقال يريد بكادت أرادت قال فيكون المعنى أريد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى قال ومما يشبه ذلك قول زيد الخيل

سريع الى الهيجاء شاك سلاحه * فما ان يكاد قرنه يتنفس

وقال كأنه قال فما يتنفس قرنه والاضعف المعنى قال وقال ذو الرمة

اذا غير النأى المحبين لم يكد * رسيس الهوى من حب مية يبرح

قال وليس المعنى لم يكد يبرح أى بعد يسر ويبرح بعد عسر وانما المعنى لم يبرح أو لم يرد يبرح والاضعف المعنى قال وكذلك قول أبى النجم

وان أتاك نسعى فاندبن أبا * قد كاد يضطلع الاعداء والخطبا

وقال يكون المعنى قد اضطلع الاعداء والا لم يكن مدحا اذا أراد كاد ولم يرد يفعل * وقال آخرون بل معنى ذلك ان الساعة آتية أكاد قال وانتهى الخبر عند قوله أكاد لأن معناه أكاد أن آتى بها قال ثم ابتدأ فقال ولكنى أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى قال وذلك نظير قول ابن ضابئ

هممت ولم أفعل وكدت وليتنى * تركت على عثمان تبكى أقاربه

فقال كدت ومعناه كدت أفعل * وقال آخرون معنى أخفيها أظهرها وقالوا الاخفاء والاسرار

هو الذى جعل الى آخره وعلى هذا يكون قوله فأخرجنا من قبيل الالتفات افتنانا للكلام وايذانا بأنه مطاع تنقاد الاشياء المختلفة لا تخصيصا بأن مثل هذا لا يدخل تحت قدرة أحد سواه والحاصل أنه تعالى عدد عليهم ما علق بالارض من المنافع حيث جعلها لهم يتقلبون عليها عند الاقامة وسوى لهم فيها مسالك يتقلبون بها فى أسفارهم وأنبت فيها أصناف النبات متاعا لهم ولانعامهم ثم ان الارض لهم كالأم التى منها أنشؤا وهى التى تجمعهم وتضمهم اذا ماتوا ثم يخرجون من الاجداث خروج الأجنة من الارحام ومن ثم قال ربهم صلى الله عليه وسلم تمسحوا بالارض أى ارقدوا (١١٦) واسجدوا عليها من غير حائل أو تيمموا بها فانها بكم برة أى انها لكم كالام ترءوم خلقناكم وفيها معايشكم وهى بعد الموت كفاتكم قوله عز وعلا (ولقد أريناه آياتنا) أى عرفناه صحتها ثم ان كان التعريف يستلزم حصول المعرفة فيكون كفره كفر جحود وعناد كقوله وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم والا كان كفر جهالة وضلالة * سؤال الجمع المضاف يفيد العموم ولاسيما اذا أكد بالكل لكنه تعالى ما أراه جميع الآيات لأن من جملتها ما أظهرها على الانبياء الاقدمين ولم يتفق لموسى مثلها الجواب هذا التعريف الاضافى محذوّ به حذو التعريف العهدى لو قيل الآيات كلها وهى التى ذكرت فى قوله ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ولوسلم العموم فالمراد أنه أراه الآيات الدالة على التوحيد فى قوله ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه وعلى النبوة باظهار المعجزات القاهرة وعلى المعاد لان تسليم القدرة على الانشاء يستلزم تسليم القدرة على الاعادة بالطريق الاولى أو أراد أنه أراه آياته المختصة به وعدد عليه سائر آيات الانبياء واخبار النبى الصادق جار مجرى العيان أو أراه بعض الآيات كراءة الكل كما أن تكذيب بعض الآيات يستلزم تكذيب الكل كما قال (فكذب) أى الآيات كلها (وأبى) قول الحق قال القاضى الاباء الامتناع وانه لا يوصف به الا من يتمكن من الفعل والترك والا لم يتوجه الذم وجواب الاشاعرة أنه لا يسئل عما يفعل ثم ان فرعون خاف أن تميل قلوب ملئه الى قول موسى فذكر ما يوجب نفار القوم عنه مع القدح فى نبوته لادعاء امكان معارضته قائلا (أجئتنا لتخرجنا) فان الاخراج من الديار قرينة القتل بدليل قولهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ثم طالب للمعارضة موعدا فان جعلته زمان الوعد بدليل قوله موعدكم يوم الزينة بالرفع كان الخلف فى لا نخلفه عائدا الى الوعد المعلوم من الموعد أو الى زمان الوعد مجازا وانتصب مكانا على أنه ظرف للوعد المقدر وان جعلته مكان الوعد لكونه

قد توجههما العرب الى معنى الاظهار واستشهد بعضهم لقيله ذلك ببيت الفرزدق

فلما رأى الحجاج جرد سيفه * أسر الحرورى الذى كان أضمرا

وقال عنى بقوله أسر أظهر قال وقد يجوز أن يكون معنى قوله وأسروا الندامة وأظهروها وذلك أنهم قالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا وقال جميع هؤلاء الذين حكينا قولهم لا يكون قول من قال معنى ذلك أكادأخفيها من نفسى أن يكون أراد أخفيها من قبلى ومن عندى وكل هذه الاقوال التى ذكرنا عمن ذكرنا توجيه منهم للكلام الى غير وجهه المعروف وغيره توجيه معانى كلام الله الى غير الأغلب عليه من وجوهه عند المخاطبين به ففى ذلك مع خلافه تأويل أهل العلم فيه شاهد عدل على خطأ ما ذهبوا اليه فيه وقوله لتجزى كل نفس بما تسعى يقول تعالى ذكره ان الساعة آتية لتجزى كل نفس يقول لتثاب كل نفس امتحنها ربها بالعمل فى الدنيا بما تسعى يقول بما تعمل من خير وشر وطاعة ومعصية وقوله فلا يصدنك عنها يقول تعالى ذكره فلا يردنك يا موسى عن التأهب للساعة من لا يؤمن بها يعنى من لا يقر بقيام الساعة ولا يصدق بالبعث بعد الممات ولا يرجو ثوابا ولا يخاف عقابا وقوله واتبع هواه يقول اتبع هوى نفسه وخالف أمر الله ونهيه فتردى يقول فتهلك ان أنت انصددت عن التأهب للساعة وتركت الايمان بها وبأن الله باعث الخلق لقيامها من قبورهم بعد فنائهم بصدهم من كفر بها وكان بعضهم يزعم أن الهاء والألف من قوله فلا يصدنك عنها كناية عن ذكر الايمان قال وانما قيل عنها ولم يقل عنه كناية عن الايمان كما قيل ان ربك من بعدها لغفور رحيم يذهب الى الفعلة ولم يجر للايمان ذكر فى هذا الموضع فيجعل ذلك من ذكره وانما جرى ذكر الساعة فهو بأن يكون من ذكرها أولى

* القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما تلك بيمينك يا موسى﴾ يقول تعالى ذكره وما هذه التى فى يمينك يا موسى فالباء فى قوله بيمينك من صلة تلك والعرب تصل تلك وهذه كما تصل الذى وذلك قول يزيد بن مفرغ

عدس ما لعباد عليك امارة * أمنت وهذا تحملين طليق

كأنه قال والذى تحملين طليق ولعل قائلا أن يقول وما وجه استخبار الله موسى عما فى يمينه ألم يكن عالما بأن الذى فى يده عصا قيل له ان ذلك على غير الذى ذهبت اليه وانما قال ذلك عز ذكره اذ أراد أن يحولها حية تسعى وهى خشبة فنبهه عليها وقرره بأنها خشبة يتوكأ عليها ويهش بها على غنمه ليعرفه قدرته على ما يشاء وعظم سلطانه ونفاذ أمره فيما أحب بتحويله اياها حية تسعى اذا أراد ذلك به ليجعل ذلك لموسى آية مع سائر آياته الى فرعون وقومه * القول فى تأويل قوله

تعالى (قال هى عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى ولى فيها مآرب أخرى) يقول تعالى ذكره مخبرا عن موسى قال موسى مجيبا لربه هى عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى يقول أضرب بها الشجر اليابس فيسقط ورقها فترعاه غنمى يقال منه هش فلان الشجر يهش هشا اذا خبط ورق أغصانها فسقط ورقها كما قال الراجز

أهش بالعصا على أغنامى * من ناعم الأرالة والبشام

* وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله وأهش بها على غنمى قال أخبط بها الشجر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأهش بها على غنمى قال كان نبى الله موسى صلى الله عليه وسلم يهش على غنمه ورق الشجر حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى وأهش بها على غنمى يقول أضرب بها الشجر للغنم فيقع الورق حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله هى عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى قال يتوكأ عليها حين يمشى مع الغنم ويهش بها يحرك الشجر حتى يسقط الورق الحبلة وغيرها حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسن عن عكرمة وأهش بها على غنمى قال أضرب بها الشجر فيسقط من ورقها على حدثنى عبد الله بن أحمد بن شبويه قال ثنا على بن الحسن قال ثنا حسين قال سمعت عكرمة يقول وأهش بها على غنمى قال أضرب بها الشجر فيتساقط الورق على غنمى حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وأهش بها على غنمى يقول أضرب بها الشجر حتى يسقط منه ما تأكل غنمى وقوله ولى فيها مآرب أخرى يقول ولى فى عصاى هذه حوائج أخرى هى جمع مأربة وفيها للعرب لغات ثلاث مأربة بضم الراء ومأربة بفتحها ومأربة بكسرها وهى مفعلة من قولهم لا أرب لى فى هذا الامر أى لا حاجة لى فيه وقيل أخرى وهن مآرب جمع ولم يقل أخر كما قيل له الاسماء الحسنى وقد بينت العلة فى توجيه ذلك هنالك * وبنحو الذى قلنا فى معنى المآرب قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن عبدة الضبى قال ثنا حفص بن جميع قال ثنا سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله ولى فيها مآرب أخرى قال حوائج أخرى قد علمتها حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ولى فيها مآرب أخرى يقول حاجة أخرى حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولى فيها مآرب أخرى قال حاجات

ابن زيد أى مستويا لا يحجب شيأ بارتفاعه وانخفاضه ليسهل على كل الحاضرين ما يجرى بين الفريقين وقال الكلبى مكانا سوى هذا المكان الذى نحن فيه الآن قال القاضى الاظهر أن قوله موعدكم يوم الزينة من قول فرعون لانه الطالب للاجتماع وقال الامام فخر الدين الرازى الأقرب أنه من كلام موسى ليكون الكلام مبنيا على السؤال والجواب ولان تعيين يوم الزينة يقتضى اطلاع الكل على ما سيقع وهذا انما يليق بالمحق الواثق بالغلبة لا بالمبطل المزور على أن موعدكم خطاب الجمع وليس هنالك الا موسى وهرون فاما أن يرتكب أن أقل الجمع اثنان وهو مذهب مرجوح واما أن يقال الجمع للتعظيم ولم يكن فرعون ليعظمهما ويوم الزينة يوم عيدلهم يتزينون فيه وعن مقاتل يوم النيروز وعن سعيد بن جبير يوم سوق لهم وعن ابن عباس هو يوم عاشوراء وانما قال و(أن يحشر) من غير تسمية الفاعل لانهم يجتمعون ذلك اليوم بأنفسهم من غير حاشر لهم ومحل أن يحشر رفع أو جر عطفا على اليوم أو الزينة عين اليوم ثم الساعة وهى (ضحى) ذلك اليوم وانما واعدهم ذلك اليوم ليكون علو كلمة الله وزهوق الباطل على رؤس الاشهاد لهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة وليشيع أمره العجيب فى الاقطار والاعصار والاطراف ولا كاف فى ذلك تقوية دين الحق وتكثير راغبيه وقلة شوكة المخالف وتوهين عزائمهم (فتولى فرعون) انصرف الى مقام تهيئة الأسباب المعارضة فان صاحب السحر يحتاج فى تدبير السحر الى طول الزمان ولهذا طلب الموعد وقال مقاتل أعرض وثبت على معارضته عن الحق (فجمع كيده) أى أسباب الكيد وأدوات الحيلة والتمويه من مهرة السحر وغير ذلك (ثم أتى) الموعد عن ابن عباس كانوا اثنين وسبعين ساحرا مع كل واحد منهم حبل وعصا وقيل أربعمائة وقيل أكثر من ذلك فضرب لفرعون قبة طولها سبعون ذراعا فجلس فيها ينظر اليهم فبين الله

تعالى أن موسى قدم قبل كل شئ الوعيد والتحذير على عادة الصالحين من أهل النصح والاشفاق ولاسيما الأنبياء المبعوثين رحمة للامم (ويل) نصب على المصدر الذى لا فعل له أو على النداء (لا تفتروا على الله كذبا) بأن تدعوا آياته ومعجزاته سحرا (فيسحتكم) السحت لغة أهل الحجاز والاسحات لغة أهل نجد وبنى تميم ومعناه الاستئصال حذرهم أمرين أحدهما عذاب الدارين والتنوين للتعظيم والآخر الخيبة والحرمان المقصود فان التمويه لا بقاء له (فتنازعوا أمرهم بينهم) كقوله فى الكهف اذ يتنازعون بينهم أمرهم أى وقع التنازع بينهم (وأسروا النجوى) الضمير لفرعون وقومه وقيل للسحرة ويؤيده (١١٨) ما روى عن ابن عباس أن نجواهم ان غلبنا موسى اتبعناه وعن قتادة ان كانوا ساحرا فسنغلبه وان كان من السماء فله أمر وعن وهب لما قال ويلكم الآية قالوا ما هذا بقول ساحر والأكثرون على الاول وذلك أنهم تفاوضوا وتشاوروا حتى استقروا على شئ واحد وهو أنهم (قالوا ان هذان لساحران) الى آخر الآية لا اشكال فى قراءة أبى عمرو وكذا فى قراءة ابن كثير وحفص لانه كقولك ان زيدا لمنطلق واللام فارقة بين المخففة والنافية وأما من قرأ ان بالتشديد وهذان بالألف فأورد عليه أن ان لم يعمل فى المثنى وأجيب بأنه على لغة بلحرث بن كعب وخثعم وبعض بنى عذرة ونسبها الزجاج الى كنانة وابن جنى الى بعض بنى ربيعة جعلوا التثنية كعصا وسعدى مما آخره ألف فلم يقلبوها ياء فى الجر والنصب وقيل ان بمعنى نعم واعترض أن ما بعده حينئذ يصير كقوله

* أم الحليس لعجوز شهربة *

ولا يجوز مثله الا فى ضرورة الشعر وانما موضع لام الابتداء فى السعة هو المبتدأ والجواب أن القرآن حجة على غيره وذكر الزجاج فى جوابه أن التقدير لهما ساحران فاللام داخلة على صدر الجملة الصغرى قال وقد عرضت هذا القول على محمد بن يزيد وعلى واسمعيل بن اسحق فارتضاه كل منهم وذكروا أنه أجود ما سمعناه فى هذا الباب وضعفه ابن جنى بأن المبتدأ انما كان يجوز حذفه لو كان أمرا معلوما جليا والا كان تكليفا بعلم الغيب للمخاطب واذا كان معروفا فقد استغنى بمعرفته عن تأكيده باللام وأيضا ان الحذف من باب الاختصار والتأكيد من باب الاطناب فالجمع بينهما محال مع أن ذكر المؤكد وحذف التأكيد أحسن فى العقول من العكس وأيضا امتنع البصريون من جعل النفس فى قولك زيد ضرب نفسه تأكيد المستكن فدل ذلك على أن تأكيد المنون غير جائز وأيضا لو كان ما ذهب اليه الزجاج جائزا لحمل النحويون قول الشاعر على ذلك ولم يحملوه على الاضطرار ولمن تبصر قول الزجاج أن

حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولى فيهما ما رب أخرى قال حاجات ومنافع حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ولى فيهما ما رب أخرى قال حاجات حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا جماد قال ثنا أسباط عن السدى ولى فيهما ما رب أخرى يقول حوائج أخرى أحمل عليها الزاد والسقاء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولى فيهما ما رب أخرى قال حوائج أخرى حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله ما رب أخرى قال حاجات منافع أخرى حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن وهب بن منبه ولى فيهما ما رب أخرى أى منافع أخرى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولى فيهما ما رب أخرى قال حوائج أخرى سوى ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ما رب أخرى قال حاجات أخرى ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ ﴿قال ألقها يا موسى فألقاها فاذا هى حية تسعى قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى﴾ يقول تعالى ذكره قال الله لموسى ألق عصاك التى بيمينك يا موسى يقول الله جل جلاله فألقاها موسى فجعلها الله حية تسعى وكانت قبل ذلك خشبة يابسة وعصا يتوكأ عليها موسى ويهش بها على غنمه فصارت حية بأمر الله كما حدثنا أحمد بن عبدة الضبى قال ثنا حفص ابن جميع قال ثنا سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس قال لما قيل لموسى ألقها يا موسى ألقاها فاذا هى حية تسعى ولم تكن قبل ذلك حية قال فرت بشجرة فأكلتها ومرت بصخرة فابتلعتها قال فجعل موسى يسمع وقع الصخرة فى جوفها قال فولى مدبرا فنودى أن يا موسى خذها فلم يأخذها ثم نودى الثانية أن خذها ولا تخف فلم يأخذها فقيل له فى الثالثة انك من الآمنين فأخذها حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال قال الله يعنى لموسى ربه ألقها يا موسى يعنى فألقاها فاذا هى حية تسعى فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب فنودى يا موسى لا تخف انى لا يخاف لدى المرسلون حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن وهب بن منبه قال ألقها يا موسى فألقاها فاذا هى حية تسعى تهتز لها أنياب وهيئة كما شاء الله أن تكون فرأى أمرا فظيعا فولى مدبرا ولم يعقب فناداه ربه يا موسى أقبل ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى وقوله قال خذها ولا تخف يقول تعالى ذكره قال الله لموسى خذ الحية والها والالف من ذكر الحية ولا تخف يقول ولا تخف من هذه الحية سنعيدها سيرتها الاولى يقول فانا سنعيدها الهيئتها الاولى التى كانت عليها قبل أن نصيرها حية وتردها عصا كما كانت يقال لكل من

يجيب عن الاول بأن التأكيد انما هو لنسبة الخبر الى المبتدا لا للمبتدا وحده ولو سلم فذكر اللام يدل على المبتدا المنوى وذكر المبتدا لا يدل على التأكيد فكان حذف المبتدا أولى وعن الثانى بأن الكلام قد يكون موجزا من وجه مطنبا من وجه آخر فلا منافاة وانما المنافاة اذا كانت الجهتان واحدة وعن الثالث بأنهم امتنعوا من حمل النفس على التأكيد فى المثال المذكور لانهم رأوا أن اسناد الفعل الى المظهر أولى من اسناده الى المضمر لا لأن تأكيد المنوى ممتنع على أنا بينا أن المؤكد ليس بمحذوف فى الآية مطلقا فان أحد طرفى الكلام مذكور وعن الرابع بأن ذهول المتقدمين عن هذا الوجه لا يقتضى كونه باطلا (١١٩) فكم ترك الاول للآخر * ولنرجع الى التفسير

قال الفراء الطريقة اسم لوجوه الناس وأشرافهم الذين هم قدوة لغيرهم يقال هم طريقة قومهم وهو طريقة قومه قبح أمر موسى فى أعين الحاضرين ونفرهم عنه بأنه ساحر والطباع نفور عن السحر وبأنه يقصد اخراجكم من دياركم وهذا أيضا مما يبغض القاصد اليهم وبأنه يريد أن يذهب بأشراف قومكم وأكابركم قالوا وهم بنو اسرائيل لقول موسى أرسل معنا بنى اسرائيل وجعلها الزجاج من باب حذف المضاف أى بأهل طريقتكم المثلى وسموا مذهبهم الطريقة المثلى والسنة الفضلى لان كل حزب بما لديهم فرحون والمثلى تأنيث الامثل أى الاشبه بالحق ومنهم من فسر الطريقة ههنا بالجاه والمنصب والرياسة وكان الأمر على ما يقال به من قرأ فاجمعوا من الجمع فظاهر ومن قرأ من الاجماع فمعناه اجعلوا كيدكم مجمعا عليه حتى لا تختلفوا تظيره ما مر فى سورة يونس فأجمعوا أمركم وشركاءكم سماه كيدا لانه علم أن السحر لا أصل له وقال الزجاج معناه لكن عزمكم كلكم كالكيد مجمعا عليه ثم أمرهم بأن يأتوا صفا أى مصطفين مجتمعين ليكون أهيب فى الصدور وأوقع فى النفوس وعن أبى عبيدة أنه فسر الصف بالمصلى أى مصلى من المصليات أو هو علم لمصلى بعينه لان الناس يصطفون فيه لعيدهم وصلواتهم (وقد أفلح اليوم من استعلى) أى فاز من غلب وهو اعتراض واعلم أن قصة السحرة أكثرها يشبه ما مر فى الاعراف وقد فسرناها هناك فنحن الآن نقتصر ونذكر ما هو المختص بهذه السورة (اما أن تلقى) أى اختر أحد الامرين القاءك أو القاءنا (فاذا حبالهم) هى اذا المفاجأة وأصلها الوقت أى فاجأ موسى وقت تخييل سعى حبالهم وعصيهم قال وهب سحروا عين موسى عليه السلام حتى تخيل ذلك وقيل أراد أنه شاهد شيأ لولا علمه بأنه لا حقيقة لذلك الشئ لظن فيها أنها تسعى فيكون تمثيلا (فأوجس) أضمر (فى نفسه خيفة) هو مفعول أوجس و (موسى) فاعله

كان على أمر فتركه وتحول عنه ثم راجعه عاد فلان سيرته الاولى وعاد لسيرته الاولى وعاد الى سيرته الاولى * ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** على قال ثنا عبدالله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله سيرتها الاولى يقول حالتها الاولى **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد سيرتها الاولى قال هيئتها **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن وهب بن منبه سنعيدها سيرتها الاولى أى سنردها عصا كما كانت **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة سنعيدها سيرتها الاولى قال الى هيئتها الاولى ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى لنريك من آياتنا الكبرى﴾ يقول تعالى ذكره واضمم يا موسى يدك فضعها تحت عضدك والجناحان هما اليدان كذلك روى الخبر عن أبى هريرة وكعب الأحبار وأما أهل العربية فانهم يقولون هما الجنبان وكان بعضهم يستشهد لقوله ذلك بقول الراجز * أضمه للصدر والجناح * ونحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله الى جناحك قال كفه تحت عضده **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقوله تخرج بيضاء من غير سوء ذكر أن موسى عليه السلام كان رجلا آدم فأدخل يده فى جيبه ثم أخرجها بيضاء من غير سوء من غير برص مثل الثلج ثم ردها فخرجت كما كانت على لونه **حدثنا** بذلك ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن وهب بن منبه **حدثنا** اسمعيل بن موسى الفزارى قال ثنا شريك عن يزيد بن أبى زياد عن مقسم عن ابن عباس فى قوله تخرج بيضاء من غير سوء قال من غير برص **حدثنا** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد من غير سوء قال من غير برص **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة فى قوله بيضاء من غير سوء قال من غير برص **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة من غير سوء قال من غير برص (١) **حدثنا** الحسن قال أخبرنا

(١) سبق هذا الحديث قبل حديث القاسم فهو مكرر سندا ومتنا فتنبه كتبه مصححه

أخر للفاصلة وذلك الخوف اما من جبلة البشرية حين ذهل عن الدليل وهو قول الحسن واما لانه خاف أن يخالج الناس شك فلا يتبعوه فلا مقاتل أو خاف أن يتأخر نزول الوحى عليه فى ذلك الوقت أو خاف أن يتفرق بعض القوم قبل أن يشاهدوا غلبته أو خاف تمادى الامر عليهم وتكرره فازال الله تعالى خوفه مجملا بقوله (انك أنت الاعلى) وفيه من أنواع التأكيد ما لا يخفى وهى الاستئناف والتصدير بان والتوسط بالفصل وكون الخبر معرفا ولفظ العلو ومعناه الغلبة وصورة التفضيل ولا فضل لهم ومفصلا بقوله (وألق ما فى يمينك) لم يقل عصاك لما علم فى الاعراف ولما فى هذه السورة وما تلك بيمينك وقال (١٢٠) جار الله هو تصغير لشأن العصا وتهوين لامر السحرة أى ألق العود الفرد الصغير الجرم الذى فى يمينك فانه بقدرة الله يبتلع (ما صنعوا) أى زوروا وافتعلوا على وحدته وكثرتها وصغره وعظمها أو هو تعظيم لشأنها أى لا تحفل بهذه الاجرام الكبيرة الكثيرة لان فى يمينك شيأ أعظم شأنا من كلها (انما صنعوا) ان الذى افتعلوه (كيد سحر) أى ذى سحر أو ذوى سحر أو هم فى توغلهم فى سحرهم كأنهم السحر بعينه أو الاضافة للبيان أى كيد هو سحر كقولك علم فقه وانما وحد ساحر فيمن قرأ على الوصف ليعلم أن المقصود هو الجنس كما قال (ولا يفلح الساحر) أى هذا الجنس ولو جمع لأوهم أن المراد هو العدد وانما نكر أولا لأن المراد تنكير الكيد كأنه قال هذا الذى أتوا به قسم واحد من أقسام السحر أو من أفعال السحرة وجميع أقسام السحر وأفراد السحرة لا فلاح فيها ومن نظائره انى لأكره أن أرى أحدكم سبهللا لا فى أمر دنيا ولا فى أمر آخرة ومعنى سبهللا أنه يجىء ويذهب فى غير شئ ومعنى (حيث أتى) أينما كان وأية سلك (فألقى السحرة سجدا) قال جار الله سبحان الله ما أعجب أمرهم قد ألقوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم ألقوا رؤسهم بعد ساعة للشكر فى السجود فما أعظم الفرق بين الالقاءين وروى أنهم لم يرفعوا رؤسهم حتى رأوا الجنة والنار ورأوا ثواب أهلها وعن عكرمة لما أخروا سجدا أدخلها أراهم الله فى سجودهم منازلهم التى يصيرون اليها فى الجنة واستبعده القاضى لانه كالالجاء الى الايمان وأنه ينافى التكليف قلت اذا كان الايمان مقدما على هذا الكشف فلا منافاة ولا الجاء ثم ان فرعون لعب لعب الحجل وأنكر عليهم ايمانهم وألقى شبهته فى البين أنه كبيرهم أى أسحرهم وأعلاهم درجة فى الصناعة أو معلمهم وأستاذهم من قول أهل مكة للمعلم أمرنى كبيرى أى أستاذى فى العلم أو غيره وأوعدهم بقطع الايدى والارجل (من خلاف) قال فى الكشاف من لابتداء الغاية لان القطع مبتدأ ونائئ من مخالفة العضو العضو لا من وفاقه اياه قلت الاولى

عبد الرزاق عن معمر عن قتادة فى قوله بيضاء من غير سوء قال من غير برص **حدثنا** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى تخرج بيضاء من غير سوء قال من غير برص **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله من غير سوء قال من غير برص **حدثنا** ابن بشار قال ثنا حماد بن مسعدة قال ثنا قرة عن الحسن فى قول الله بيضاء من غير سوء قال أخرجها الله من غير سوء من غير برص فعلم موسى أنه لقى ربه ونولد آية أخرى يقول وهذه علامة ودلالة أخرى غير الآية التى أريناك قبلها من تحويل العصا حية تسعى على حقيقة ما بعثناك به من الرسالة لمن بعثناك اليه ونصب آية على اتصالها بالفعل اذ لم يظهر لها ما يرفعها من هذه أو هى وقوله لنريك من آياتنا الكبرى يقول تعالى ذكره واضمم يدك يا موسى الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء كى نريك من أدلتنا الكبرى على عظيم سلطاننا وقدرتنا وقال الكبرى فوحد وقد قال من آياتنا كما قال له الأسماء الحسنى وقد بينا ذلك هنالك وكان بعض أهل البصرة يقول انما قيل الكبرى لانه أريد بها التقديم كأن معناها عنده لنريك الكبرى من آياتنا

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿اذهب الى فرعون انه طغى قال رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى واجعل لى وزيرا من أهلى هرون أخى﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه موسى صلوات الله عليه اذهب يا موسى الى فرعون انه طغى يقول انه تجاوز قدره وتمرد على ربه وقد بينا معنى الطغيان فيما مضى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وفى الكلام محذوف استغنى بفهم السامع بما ذكر منه وهو قوله اذهب الى فرعون انه طغى فادعه الى توحيد الله وطاعته وارسال بنى اسرائيل معك قال رب اشرح لى صدرى يقول رب اشرح لى صدرى لأمضى عما تودعه من وحيك وأجترئ به على خطاب فرعون ويسر لى أمرى يقول وسهل على القيام بما تكلفنى من الرسالة وتحملنى من الطاعة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله رب اشرح لى صدرى قال جرأتى وقوله واحلل عقدة من لسانى يقول وأطلق لسانى بالمنطق وكانت فيه فيما ذكر عجمة عن الكلام للذى كان من القائه الجمرة التى فيه يوم هم فرعون بقتله ذكر الرواية بذلك عن قاله **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن سعيد بن جبير فى قوله عقدة من لسانى قال عجمة لجمرة نار أدخلها فى فيه عن أمر امرأة فرعون تردبه عنه عقوبة فرعون حين أخذ موسى بلحيته وهو لا يعقل فقال هذا عدوى فقالت له انه لا يعقل **حدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح واحلل عقدة من لسانى لجمرة نار

أن يقال الخلاف ههنا بمعنى الجهة المخالفة حتى يصح معنى الابتداء أى لأقطعن أيديكم وأرجلكم مبتدأ من الجهتين المتخالفتين يمناوشمالا فيكون الجار والمجرور فى موضع الحال أى لأقطعنها مختلفات الجهات قيل (فى جذوع النخل) أى عليها والأصوب أن يقال هى على أصلها شبه تمكن المصلوب فى الجذع بتمكن المظروف فى الظرف (أينا أشد) أراد نفسه وموسى وفيه صلف باقتداره وقهره وما ألفه من تعذيب الناس واستخفاف بموسى مع الهزء به لان موسى لم يكن قط من التعذيب فى شئ قاله فى الكشاف قلت يحتمل أن يريد بقوله أينا الله تعالى ونفسه لتقدم ذكر رب هرون وموسى وقد سبق عذاب الله فى قوله ان العذاب على من كذب (١٢١) وتولى وفى قوله فيسحتكم بعذاب ويؤيده

أدخلها فى فيه عن أمر امرأة فرعون تدرأ به عنه عقوبة فرعون حين أخذ موسى بلحيته وهو لا يعقل فقال هذا عدو لى فقالت له انه لا يعقل هذا قول سعيد بن جبير **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله واحلل عقدة من لسانى قال بجمرة لجمرة أدخلها فى فيه عن أمر امرأة فرعون تردبه عنه عقوبة فرعون حين أخذ بلحيته **حدثنا** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال لما تحرك الغلام يعنى موسى أورثته أمه آسية صبيا فبينما هى ترقصه وتلعب به اذ ناولته فرعون وقالت خذه فلما أخذه اليه أخذ موسى بلحيته فنتفها فقال فرعون على الذباحين قالت آسية لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا انما هو صبى لا يعقل وانما صنع هذا من صباه وقد علمت أنه ليس فى أهل مصر أحلى منى أنا أضع له حليا من الياقوت وأضع له جمرا فان أخذ الياقوت فهو يعقل فاذبحه وان أخذ الجمر فانما هو صبى فأخرجت له ياقوتا وجمرا ووضعت له طستا من جر فجاء جبرائيل صلى الله عليه وسلم فطرح فى يده جمرة فطرحها موسى فى فيه فأحرقت لسانه فهو الذى يقول الله عز وجل واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى (١) فتوالت عن موسى من أجل ذلك وقوله يفقهوا قولى يقول يفقهوا عنى ما أخاطبهم وأراجعهم به من الكلام واجعل لى وزيرا من أهلى يقول واجعل لى عونا من أهل بيتى هرون أخى وفى نصب هرون وجهان أحدهما أن يكون هرون منصوبا بقوله اجعل ويكون الوزير اذا نصب على هذا الوجه فعلا لهرون والآخر أن يكون هرون منصوبا على الترجمة عن الوزير **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس كان هرون أكبر من موسى ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿اشدد به أزرى وأشركه فى أمرى كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا انك كنت بنا بصيرا﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن موسى انه سأل ربه أن يشد أزره بأخيه هرون وانما يعنى بقوله اشدد به أزرى قوظهرى وأعنى به يقال منه قد أزر فلان فلانا اذا أعانه وشد ظهره * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله اشدد به أزرى يقول اشدد به ظهرى **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله اشدد به أزرى يقول اشدد به أمرى وقوتى به فان لى به قوة وقوله وأشركه فى أمرى يقول واجعله شريكا مثل ما جعلتنى نبيا وأرسله معى الى فرعون كى نسبحك كثيرا يقول كى نعظمك بالتسبيح لك كثيرا ونذكرك كثيرا فنحمدك انك كنت بنا بصيرا يقول انك كنت ذا بصر بنا لا يخفى عليك من أفعالنا شئ وذكر عن عبد الله بن أبى اسحق أنه كان يقرأ أشدد به أزرى بفتح الالف من أشدد وأشركه فى أمرى بضم الالف من أشركه بمعنى الخبر من موسى عن نفسه أنه يفعل ذلك لا على

(١) فى نسخة الكتبخانه الخديوية قترالت ولعله فرالت وحرر كتبه مصححه

قول السحرة فى جوابه والله خير وأبقى (لن نؤثرك) لن نختارك (على ماجاءنا من البينات) المعجزات الظاهرات (و) على (الذى فطرنا) أو الواو للقسم وعلى هذا يجوز أن يكون على ماجاءنا بمعنى فيما جاءنا أى لن نميل البتة والحالة هذه وعلى الوجه الاول ففحوى الكلام لن نترك طاعة خالقنا والتصديق بمعجزات نبيه لأجل هوالك (فاقض ما أنت قاض) تمم ما شئت من العذاب (انما تقضى هذه الحياة الدنيا) أى فى مدة الحياة العاجلة وقرئ تقضى مبنيا للمفعول هذه الحياة بالرفع اجراء للظرف مجرى المفعول به اتساعا مثل صيم يوم الجمعة والحاصل أن قضاءك وحكمك منحصر فى مدة حياتنا الفانية والايمان وثمرته باق لا يزول والعقل يقتضى تحمل الضرر الفانى للفوز بالسعادة الباقية وللخلاص من العقاب الأبدى وذلك قولهم (انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا) قال الحسن سبحان الله قوم كفار ثبت فى قلوبهم الايمان طرفة عين فلم يتعاظم عندهم أن قالوا فى ذات الله تعالى فاقض ما أنت قاض والله ان أحدهم ليصحب القرآن ستين عاما ثم ليبيع دينه بثمن غبن ولما كان أقرب خطاياهم عهدا

ما أظهروه من السحر قالوا (وما أكرهتنا عليه من السحر) وفى هذا الاكراه وجوه عن ابن عباس أن الفراعنة كانوا يكرهون فتيانهم على تعلم السحر ليوم الحاجة فكانوا من ذلك القبيل وروى أنهم قالوا لفرعون أرنا موسى نائما ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر الساحر لان الساحر اذا نام بطل سحره فأبوا أن يعارضوه وعن الحسن أنهم حشروا من المدائن مكرهين وزعم عمر بن عبيد أن دعوة السلطان اكراه وليس بقوى فلا اكراه الا مع الخوف فيشمل وجد الحكم بالاكراه والا فلا وباقى الآيات ابتداء اخبار من الله أو هى من تمة كلامهم فيه قولان ولعل الأول أولى (انه) أى الشأن (من يأت ربه) أى

حيث لا حكم الا هو فيسقط استدلال المجسمة حال كون الآتى (مجرما فان له جهنم لا يموت فيها) موتة مريحة (ولا يحيى) حياة ممتعة فان
صاحب الكبيرة مجرم وكل مجرم فان له جهنم بالآية لعموم من الشرطية بدليل صحة الاستثناء فيحصل القطع بوعيد أصحاب الكبائر
الأشاعرة بأن المجرم كثيرا ما يجيء فى القرآن بمعنى الكافر كقوله يتساءلون عن المجرمين ما سلككم فى سقر الى قوله وكنا نكذب بيوم
ولا ريب أن التكذيب بالبعث والجزاء كفر وكقوله ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون الى آخر السورة فلم قلتم ان المجرم
ليس بمعنى الكافر فتبطل المقدمة الاولى سلمنا (١٢٢) لكن المقدمة الثانية كليتها ممنوعة على الاطلاق وانما هى كلية بشرط عدم

وحينئذ لا يحصل القطع بالوعيد على الاطلاق سلمنا المقدمتين والنتيجة لكنه معارض بعموم الوعد فى قوله ومن يأته مؤمنا فان قيل صاحب الكبيرة لم يأته مؤمنا عندنا قلنا يصدق عليه المؤمن لان الايمان صدر عنه فى الزمان الماضى كالضارب على من قد ضرب أمس وليس بين الحال والزمان الماضى منافاة كلية ولهذا صح جاءنى زيد قد قام بل صح قوله قد عمل الصالحات وأنه حال آخر فكأنه قيل ومن يأته قد آمن قد عمل ولئن قيل ان عقاب المعصية يحبط ثواب الطاعة قلنا ممنوع بل العكس أولى لان الدفع أسهل من الرفع واقامة الحد على التائب فى بعض الصور لاجل المحنة لا لاجل التنكيل وقوله نكالا من الله فى حق من لم يتب بعد من السرقة سلمنا أن قوله ومن يأته مؤمنا لا يعم صاحب الكبيرة الا أن قوله فأولئك لهم الدرجات العلى من الجنة لمن أتى بالايمان والاعمال الصالحات أى الواجبات لان الزائد عليها غير محصور فسائر الدرجات التى غير عالية لابد أن تكون لغيرهم وما هم الا العصاة من أهل الايمان ثم عظم شأن المذكور بقوله (وذلك جزاء من تزكى) أى قال لا اله الا الله قاله ابن عباس وفيه دليل على أن قوله ومن يأته مؤمنا يشمل صاحب الكبيرة وقال آخرون تزكى أى تطهر من دنس

الذنوب وعلى هذا يقع صاحب الكبيرة خارجا ﴿ ولقد أوحينا الى موسى أن أسر بعبادى فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا لا تخاف
ولا تخشى فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم وأضل فرعون قومه وما هدى يا بنى اسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم وواعدناكم
جانب الطور الأيمن ونزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبى ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى
وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى وما أعجلك عن قومك يا موسى قال هم أولاء على أثرى وعجلت اليك رب لترضى قال فانا

وجه الدعاء واذا قرئ ذلك كذلك جزم أشدد وأشرك على الجزاء أو جواب الدعاء وذلك قراءة ابن عامر وحفص وقرأ الباقون بالرفع على القراءة بها وان كان لها وجه مفهوم لخلافها قراءة الحجة التى لا يجوز خلافها ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قال قد أوتيت سؤلك يا موسى ولقد مننا عليك مرة أخرى اذ أوحينا الى أمك ما يوحى ﴾ يقول تعالى ذكره قال الله لموسى صلى الله عليه وسلم قد أعطيت ما سألت يا موسى ربك من شرح صدرك وتيسيره لك أمرك وحل عقدة لسانك وتصيير أخيك هرون وزيرا لك وشد أزرك به واشراكه فى الرسالة معك ولقد مننا عليك مرة أخرى يقول تعالى ذكره ولقد تطولنا عليك يا موسى قبل هذه المرة مرة أخرى وذلك حين أوحينا الى أمك اذ ولدتك فى العام الذى كان فرعون يقتل فيه كل مولود ذكر من قومك ما أوحينا اليها ثم فسر تعالى ذكره ما أوحى الى أمه فقال يوحى اقذفيه فى التابوت فأن فى موضع نصب ردا على ما التى فى قوله ما يوحى وترجمة عنها ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أن اقذفيه فى التابوت فاقذفيه فى اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لى وعدو له وألقيت عليك محبة منى ﴾ يقول تعالى ذكره ولقد مننا عليك يا موسى مرة أخرى حين أوحينا الى أمك أن اقذفى ابنك موسى حين ولدتك فى التابوت فاقذفيه فى اليم يعنى بالليم النيل فليلقه اليم بالساحل يقول فاقذفيه فى اليم يلقه اليم بالساحل وهو جزاء أخرج مخرج الامر كأن اليم المأمور كما قال جل ثناؤه اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم يعنى اتبعوا سبيلنا نحمل عنكم خطاياكم ففعلت ذلك أمه به فألقاه اليم بشرعة آل فرعون كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن اسحق قال لما ولدت موسى أمه أرضعته حتى اذا أمر فرعون بقتل الولدان من سنته تلك عمدت اليه فصنعت به ما أمرها الله تعالى جعلته فى تابوت صغير ومهدت له فيه ثم عمدت الى النيل ففتحت فيه وأصبح فرعون فى مجلس له كان يجلسه على شفير النيل كل غداة فبينا هو جالس اذ مر به التابوت فقذف به وآسية ابنة مزاحم امرأته جالسة الى جنبه فقال ان هذا الشئ فى البحر فأتونى فخرج اليه أعوانه حتى جاؤا به ففتح التابوت فاذا فيه صبى فى مهده فألقى الله عليه محبته وعطفه عليه نفسه وعنى جل ثناؤه بقوله يأخذه عدو لى وعدو له فرعون وهو العدو كان لله ولموسى عدوا قال موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله فاقذفيه فى اليم وهو البحر وقوله فليلقه اليم بالساحل * واختلف أهل التأويل فى معنى المحبة التى قال الله جل ثناؤه وألقيت عليك محبة منى فقال بعضهم عنى بذلك أنه حببه الى عباده ذكر من قال ذلك حدثنى الحسين بن على الصدائى والعباس بن محمد الدورى قالا ثنا حسين الجعفى عن موسى بن قيس الحضرمى عن سلمة بن كهيل فى قوله وألقيت عليك محبة منى قال عباس حببتك الى عبادى وقال الصدائى حببتك الى خلقى * وقال آخرون

قومك من بعدك وأضلهم السامرى فرجع موسى الى قومه غضبان أسفا قال ياقوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا أفطال عليكم العهد أم أردتم
أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدى قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى
السامرى فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا الهكم واله موسى فنسى أفلا يرون أن لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولقد
قال لهم هرون من قبل ياقوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى قال
ياهرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن أفعصيت أمرى قال يابن أم لا تأخذ (١٢٣) بلحيتى ولا برأسى انى خشيت أن تقول فرقت بين
بنى اسرائيل ولم ترقب قولى قال
فما خطبك ياسامرى قال بصرت
بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من
أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت
لى نفسى قال فاذهب فان لك فى
الحياة أن تقول لا مساس وان لك
موعدا لن تخلفه وانظر الى الهك
الذى ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم
لننسفنه فى اليم نسفا انما الهكم الله
الذى لا اله الا هو وسع كل شئ علما
كذلك نقص عليك من أنباء ما قد
سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا من
أعرض عنه فانه يحمل يوم القيامة
وزرا خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة
حملا يوم ينفخ فى الصور ونحشر
المجرمين يومئذ زرقا يتخافتون
بينهم ان لبثتم الا عشرا نحن أعلم بما
يقولون اذ يقول أمثلهم طريقة ان
لبثتم الا يوما ويسئلونك عن الجبال
فقل ينسفها ربى نسفا فيذرها
قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا
أمتا يومئذ يتبعون الداعى لا عوج
له وخشعت الاصوات للرحمن
فلا تسمع الا همسا يومئذ لا تنفع
الشفاعة الا من أذن له الرحمن
ورضى له قولا يعلم ما بين أيديهم وما
خلفهم ولا يحيطون به علما وعنت
الوجوه للحى القيوم وقد خاب من
حمل ظلما ومن يعمل من الصالحات
وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا

بل معنى ذلك أى حسنت خلقك ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى
ابراهيم بن مهدى عن رجل عن الحكم بن أبان عن عكرمة قوله وألقيت عليك محبة منى قال حسنا
وملاحة * قال أبو جعفر والذى هو أولى بالصواب من القول فى ذلك أن يقال ان الله ألقى محبته
على موسى كما قال جل ثناؤه وألقيت عليك محبة منى فحببه الى آسية امرأة فرعون حتى تبنته وغذته
وربته والى فرعون حتى كف عنه عاديته وشره وقد قيل انما قيل وألقيت عليك محبة منى لانه حببه
الى كل من رآه ومعنى ألقيت عليك محبة منى حببتك اليهم يقول الرجل لآخر اذا أحبه ألقيت
عليك رحمتى أى محبتى ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولتصنع على عينى اذ تمشى أختك
فتقول هل أدلكم على من يكفله فرجعناك الى أمك كى تقر عينها ولا تحزن وقتلت نفسا فنجيناك
من الغم وفتناك فتونا فلبثت سنين فى أهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى﴾ اختلف أهل التأويل
فى تأويل قوله ولتصنع على عينى فقال بعضهم معناه ولتغذى وتربى على محبتى وارادتى ذكر من قال
ذلك **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله ولتصنع على
عينى قال هو غذاؤه ولتغذى على عينى **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى
قوله ولتصنع على عينى قال جعله فى بيت الملك ينعم ويترف غذاؤه عندهم غذاء الملك فتلك الصنعة
* وقال آخرون بل معنى ذلك وأنت بعينى فى أحوالك كلها ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم
قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج ولتصنع على عينى قال أنت بعينى اذ جعلتك
أمك فى التابوت ثم فى البحر واذ تمشى أختك وقرأ ابن نهيك ولتصنع بفتح التاء وتأوله كما **حدثنا**
ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبد المؤمن قال سمعت أبا نهيك يقرأ ولتصنع
على عينى فسألته عن ذلك فقال ولتعمل على عينى * قال أبو جعفر والقراءة التى لا أستجيز القراءة
بغيرها ولتصنع بضم التاء لاجماع الحجة من القراء عليها واذا كان ذلك كذلك فأولى التأويل به
التأويل الذى تأوله قتادة وهو وألقيت عليك محبة منى ولتغذى على عينى ألقيت عليك المحبة منى
وعنى بقوله على عينى عمر أى منى ومحبة وارادة وقوله اذ تمشى أختك فتقول هل أدلكم على من
يكفله يقول تعالى ذكره حين تمشى أختك تتبعك حتى وجدتك ثم تأتى من يطلب المراضع لك
فتقول هل أدلكم على من يكفله وحذف من الكلام ما ذكرت بعد قوله اذ تمشى أختك استغناء
بدلالة الكلام عليه وانما قالت أخت موسى ذلك لهم لما **حدثنا** موسى بن هرون قال ثنا
عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال لما ألقته أمه فى اليم قالت لأخته قصيه فلما التقطه آل
فرعون وأرادوا له المرضعات فلم يأخذ من أحد من النساء وجعل النساء يطلبن ذلك لينزلن عند
فرعون فى الرضاع فأبى أن يأخذ فقالت أخته هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون

هضما وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من
قبل أن يقضى اليك وحيه وقل رب زدنى علما ﴿القراآت لا تخف دركا بالجزم حمزة الباقون لا تخاف بالرفع أنجيتكم وواعدتكم ورزقكم
على التوحيد حمزة وعلى وخلف ووعدناكم من الوعد أبو عمرو وسهل ويعقوب فيحل ومن يحلل بالضم فيهما على الآخرون بالكسر علكنا
بفتح الميم أبو جعفر ونافع وعاصم غير المفضل بضمها حمزة وعلى وخلف بكسرها الباقون والمفضل حملنا بفتح الحاء والميم مخففة أبو عمرو وسهل
ويعقوب وحمزة وعلى وخلف سوى حفص الآخرون بضم الحاء وكسر الميم مشددة تنبعنى بالياء الساكنة فى الحالين ابن كثير وسهل ويعقوب

وافق أبو عمرو ونافع غير اسمعيل في الوصل وقرأ يزيد واسمعيل بفتح الياء الباقون بحذفها يا ابن أم بكسر الميم ابن عامر وحمزة وعلي وحفص وعاصم غير حفص لم تبصر وابتاء الخطاب حمزة وعلي وخلف الباقون على الغيبة فنبذتها مدغما أبو عمرو وحمزة وعلي وخلف ويزيد ودون وسهل لن تخلفه بكسر اللام ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب الآخرون بفتحها النحر قنه بفتح النون وضم الراء يزيد الآخرون من التحريق يخف بالجزم على النهي ابن كثير أن نقضي بالنون مبنيا للفاعل وحيه بالنصب يعقوب الباقون بالياء مضمومة وبفتح الضاد وحيه ابن

۞ الوقوف يسا ج لأن قوله لا تخاف يصلح (١٢٤) صفة للطريق مع حذف الضمير العائد أي لا تخاف فيه ويصلح مستأنفا ونو

لا تخف فوقفه أجوز لعدم العاطف ووقوع الحائل مع تعقب النهي الامر الا أن يكون جوابا للامر فلا يوقف ولا تخشى ○ ما غشيهم ط لأن التقدير وقد أضل من قبل على الحال الماضية دون العطف لانه عند ما غشيه لم يتفرغ للاضلال وما هدى ○ والسلوى ○ غضبي ج هوى ○ اهتدى ○ يا موسى ○ لترضى ○ السامري ○ أسفا ج لاتساق الماضي على الماضي بلا ناسق حسنا ط موعدي ○ السامري ○ لا فنسي ○ ط قولا لا للعطف ولا نفعا ○ ط فتنتم به ج للابتداء بان مع اتصال العطف أمري ج موسى ○ أن لا تتبعن ط أمري ○ برأسي ج للابتداء بان مع اتصال المعنى واتحاد القائل قولي ○ يا سامري ○ نفسي ○ لا مساس ص لن تخلفه ج لاختلاف الجملتين عاكفا ط للقسم المحذوف نسفا ○ الاهو ط علما ○ سبق ج للاستئناف والحال ذكرا ج ○ لان الشرطية تصلح صفة للذكر وتصلح مبتدأ بها وزرا ○ لا لأن قوله خالدين حال من الضمير في يحمل وهو عائد الى من ومن للجمع معنى فيه ط حملا ○ لا لأن يوم ينفخ بدل من يوم القيامة زرقا ○ ج لأن ما بعده يصلح للصفة وللاستئناف عشرا ○ يوما ○ نسفا ○ لا صفصفا ○ لا أمتا ○ لا عوج له ج لاختلاف الجملتين همسا ○ قولا ○ علما ○ عن القيوم ط ظلما ○ هضما ○ ذكرا ○ الحق ج وحيه ز لعطف الجملتين المتفقتين مع اعتراض الظرف وما أضيف اليه علما ○ ۞ التفسير هذا شروع في قصة انجاء بني اسرائيل واهلاك عدوهم وقد تقدم في البقرة وفي الاعراف وفي يونس ومعنى (فاضرب لهم طريقا) اجعل لهم من قولهم ضرب له في ماله سهما وضرب اللبن عمله أو أراد بين لهم طريقا (في البحر) بالضرب بالعصا حتى ينفلق فعدى الضرب الى الطريق ثم بين أن جميع أسباب الامن حاصلة في ذلك الطريق واليبس مصدر وصف به ومثله اليبس ونحوهما العدم والعدم ويوصف به المؤنث لذلك فيقال ناقتنا

فأخذوها وقالوا بل قد عرفت هذا الغلام فدلينا على أهله قالت ما أعرفه ولكن انما قلت هم لك ناصحون حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال قالت يعني أم موسى لأخت قصيه فانظري ماذا يفعلون به فخرجت في ذلك فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون وقد احتبس الى الرضاع والتمس الثدي وجمعوا له المراضع حين ألقى الله محبتهم عليه فلا يؤتى بامرأة فيقبل ثديها فيرمضهم ذلك فيؤتى بمرضع بعد مرضع فلا يقبل شيأ منهم فقالت لهم أخته حين رأت من وجدهم به وحرصهم عليه هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون أي لمن عندكم وحرصكم على مسرة الملك وعنى بقوله هل أدلكم على من يكفله هل أدلكم على من يضم اليه فيحفظه ويرضعه ويربيه وقيل معنى وكفلها زكرياضمها وقوله فرجعناك الى أمك كي تقر عينها ولا تحزن يقول تعالى ذكره فرددناك الى أمك بعد ما صرت في أيدي آل فرعون كيما تقر عينها بسلامتك ونجاتك من القتل والغرق في اليم وكيلا تحزن عليك من الخوف من فرعون عليك أن يقتلك كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما قالت أخت موسى لهم ما قالت قالوا هات فأتت أمه فأخبرتها فانطلقت معها حتى أتتهم فنا ولوها اياه فلما وضعته في حجرها أخذ ثديها وسر وابذلك منه ورده الله الى أمه كي تقر عينها ولا تحزن فبلغ لطف الله لها وله أن رد عليها ولدها وعطف عليها نفع فرعون وأهل بيته مع الأمنة من القتل الذي يتخوف على غيره فكانهم كانوا من أهل بيت فرعون في الامان والسعة فكان على فرش فرعون وسرره وقوله وقتلت نفسا يعني جل ثناؤه بذلك قتله القبطي الذي قتله حين استغاثه عليه الاسرائيلي فوكزه موسى وقوله فنجيناك من الغم يقول تعالى ذكره فنجيناك من غمك بقتلك النفس التي قتلت اذ أرادوا أن يقتلوك بها فخلصناك منهم حتى هربت الى أهل مدين فلم يصلوا الى قتلك وقود به وكان قتله اياه فيما ذكر خطأ كما حدثني واصل بن عبد الأعلى قال ثنا محمد ابن فضيل عن أبيه عن سالم عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما قتل موسى الذي قتل من آل فرعون خطأ فقال الله له وقتلت نفسا فنجيناك من الغم وفتناك فتونا حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة ومحمد بن عمرو قالا ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فنجيناك من الغم قال من قتل النفس حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فنجيناك من الغم النفس التي قتل * واختلف أهل التأويل في تأويل قوله وفتناك فتونا فقال بعضهم ابتليناك ابتلاء واختبرناك اختبارا ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية

عن علي عن ابن عباس قوله وفتناك فتونا يقول اختبرناك اختبارا حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس وفتناك فتونا قال ابتليت بلاء حدثني العباس بن الوليد الآملي قال ثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا أصبغ بن زيد الجهني قال أخبرنا القاسم بن أيوب قال ثني سعيد بن جبير قال سألت عبد الله بن عباس عن قول الله لموسى وفتناك فتونا فسألته عن الفتون ماهي فقال لي استأنف النهار يا ابن جبير فان لها حديثا طويلا قال فلما أصبحت غدوت على ابن عباس لأنتجز منه ماوعدني قال فقال ابن عباس تذاكر فرعون وجلساؤه ماوعد الله ابراهيم أن يجعل في ذريته أنبياء وملوكا فقال بعضهم ان بني اسرائيل ينتظرون ذلك وما يشكون ولقد كانوا يظنون أنه يوسف بن يعقوب فلما هلك قالوا ليس هكذا كان الله وعد ابراهيم فقال فرعون فكيف ترون قال فأمروا بينهم وأجمعوا أمرهم على أن يبعث رجالا معهم الشفار يطوفون في بني اسرائيل فلا يجدون مولودا ذكرا الا ذبحوه فلما رأوا أن الكبار من بني اسرائيل يموتون بآجالهم وأن الصغار يذبحون قالوا يوشك أن تفنوا بني اسرائيل فتصيرون الى أن تباشروا من الاعمال والخدمة التي كانوا يكفونكم فاقتلوا عاما كل مولود ذكر فيقل أبناؤهم ودعوا عاما لا تقتلوا منهم أحدا فتشب الصغار مكان من يموت من الكبار فانهم لن يكثروا بمن تستحيون منهم فتخافون مكاثرتهم اياكم ولن يقلوا بمن تقتلون فأجمعوا أمرهم على ذلك فحملت أم موسى بهرون في العام المقبل الذي لا يذبح فيه الغلمان فولدته علانية آمنة حتى اذا كان العام المقبل حملت بموسى فوقع في قلبها الهم والحزن وذلك من الفتون يا ابن جبير مما دخل عليه في بطن أمه مما يراد به فأوحى الله اليها ألا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين وأمرها اذا ولدته أن تجعله في تابوت ثم تلقيه في اليم فلما ولدته فعلت ما أمرت به حتى اذا توارى عنها ابنها أتاها ابليس فقالت في نفسها ما صنعت بابني لو ذبح عندي فواريته وكفنته كان أحب الي من أن ألقيه بيدي الى حيتان البحر ودوابه فانطلق به الماء حتى أوفى به عند فرضة مستقى جواري آل فرعون فرأينه فأخذنه فهممن أن يفتحن الباب فقال بعضهن لبعض ان في هذا مالا وانا ان فتحناه لم نصدقنا امرأة فرعون بما وجدنا فيه فحملنه كهيئته لم يحركن منه شيأ حتى دفعنه اليها فلما فتحته رأت فيه الغلام فألقى عليه منها محبة لم يلق مثلها منها على أحد من الناس وأصبح فؤاد أم موسى فارغا من كل شئ الا من ذكر موسى فلما سمع الذباحون بأمره أقبلوا الى امرأة فرعون بشفارهم يريدون أن يذبحوه وذلك من الفتون يا ابن جبير فقالت للذباحين انصرفوا عني فان هذا الواحد لا يزيد في بني اسرائيل فأتى فرعون فأستوهبه اياه فان وهبه لي كنتم قد أحسنتم وأجلتم وان

وقد سلف منه في السور المذكورة ما حكي في الاخبار وروي في الآثار ونسبة الاضلال الى فرعون لا تنافي انتهاء الكل الى ارادة الله ومشيئته وقوله (وما هدى) تأكيد للاضلال وفيه تهكم به في قوله وما أهديكم الا سبيل الرشاد ثم عدد ما أنعم به على بني اسرائيل ويجوز أن يكون خطابا لليهود المعاصرين لأن النعمة على الآباء نعمة في حق الابناء ومثله قوله (وواعدناكم جانب الطور الايمن) أي الواقع على يمين من انطلق من مصر الى الشام لان منفعة المواعدة عادت اليهم وان كانت المواعدة لنبيهم فبكتب التوراة في ألواح قام شرعهم واستقام أمر معاشهم ومعادهم (كلوا) من تتمة القول وطغيانهم في الرزق هو شغلهم باللهو والتنعم عن القيام بشكرها وتعدي حدود الله فيها بالاسراف والتقتير والغصب ومن قرأ (فيحل) بالكسر فبمعنى الوجوب من قولهم حل الدين يحل اذا وجب أداؤه ومن قرأ بالضم فبمعنى النزول ونزول الغضب نزول نتائجه من العقوبات والمثلات ومعنى (هوى) هلك وأصله السقوط من مكان عال كالجبل وقيل هوى أي وقع في الهاوية * سؤال كيف أثبت المغفرة في حق من استجمع التوبة والايمان والعمل الصالح والمغفرة انما تتصور في حق من أذنب وأيضا ما معنى قوله (ثم اهتدى) بعد الامور المذكورة والاهتداء انما يكون قبلها لا أقل من أن يكون معها الجواب أراد وانى لغفار لمن تاب من الكفر وآمن وعمل صالحا وفيه دليل لمن ذهب الى وجوب تقديم التوبة من الكفر على الايمان والحاصل أن الغفران يعود الى الذنوب السابقة على هذه الامور ويجوز أن يراد أنه اذا تاب من الكفر وأقبل على الايمان والعمل الصالح فان الله يغفر الصغائر التي تصدر عنه في خلال ذلك كقوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم وأما الاهتداء فالمراد به الاستقامة والثبات على الامور المذكورة كقوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ومعنى ثم الدلالة على تباين المرتبتين فان المداومة

على الخدمة أصعب من الشروع فيها كما قيل لكل الى شأوالعلى حركات * ولكن عز يزفى الرجال ثبات ونظير هذا العطف قوله أهلكناها فجاءها بأسنا وقدمر البحث فيه ويروى أن موسى قدمضى مع النقباء السبعين الى الطور على الموعد المضروب ثم تقدمهم شوقا الى كلام ربه وتنجز ماوعد به بناء على اجتهاده وظنه أن ذلك أقرب الى رضا الله فأنكر الله تعالى تقدمه قائلا (وما أعجلك عن قومك) أى شئ عجل بك عنهم فالمراد بالقوم النقباء لاجميع قومه على ماتوهم بعضهم بؤكده قوله (هم أولاء على أثرى) ولم يكن جميع قومه على أثره قال جار الله قد تضمن ماواجهه به رب العزة شيئين أحدهما انكار العجلة فى نفسها والثانى السؤال عن سبب التقدم فكان أهم الامرين

الى موسى تمهيد العذر من العجلة نفسها فاعتل بأنه لم يوجد منى الا تقدم يسير وليس بينى وبينهم الا مسافة يتقدم مثلها الوفد رأسهم ومقدمهم ثم عقبه بجواب السؤال عن السبب فقال (وعجلت اليك رب لترضى) أى طلبت دوام رضاك عنى أومزيد رضاك بناء على اجتهادى أن التعجيل الى مقام المكالمة والحرص على ذلك يوجب مزيد الثواب والكرامة وقيل لما أنكر عليه الاستعجال دهش خوفا من العقاب فتحير فى الجواب (قال فانا قد فتنا قومك) يعنى جميع قومه الذين خلفهم مع هرون وكانوا ستمائة ألف مانجا من عبادة العجل الا اثنا عشر ألفا ويروى أنهم أقاموا بعد مفارقته عشرين ليلة وحسبوها أربعين مع أيامها وقالوا قد أكملنا العدة ثم كان أمر العجل بعد ذلك فسئل انه تعالى كيف قال لموسى عند مقدمه انا قد فتنا قومك وأجيب بأنه على عادة الله تعالى فى اخباره عن الامور المترقبة بلفظ الماضى تحقيقا للوقوع أوأراد بدء الفتنة لأن السامرى افترص غيبة موسى فعزم على اضلال قومه غب انطلاقه ولقائل أن يمنع كون هذه الاخبار عند مقدم موسى عليه السلام بل لعله عند رجوعه بدليل فاء التعقيب فى قوله فرجع موسى قال جار الله انه رجع بعد ما استوفى الاربعين ذا القعدة وعشر ذى الحجة وأوتى التوراة وسامرى منسوب الى قبيلة من بنى اسرائيل يقال لها السامرة وقيل السامرة قوم من اليهود يخالفونهم فى بعض دينهم وقيل كان علجا من كرمان واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا وكان من قوم يعبدون البقر قالت المعتزلة الفتنة بمعنى الاضلال لا يجوز أن تنسب الى الله تعالى لانه يناقض قوله وأضلهم السامرى وانما الفتنة بمعنى الامتحان بتشديد التكليف ومنه فتنت الذهب بالنار وبيان ذلك أن السامرى لما أخرج لهم العجل صار وامكلفين بأن يستدلوا بحدوث جملة الاجسام على أن العجل

أمر بذبحه لم ألمكم فلما أتت به فرعون قالت قرة عين لى ولك قال فرعون يكون لك وأما أنا فلا حاجة لى فيه فقال والذى يحلف به لو أقر فرعون أن يكون له قرة عين كما أقرت به لهداه الله به كما هدى به امرأته ولكن الله حرمه ذلك فأرسلت الى من حولها من كل أنثى لها لبن لتختار له ظئرا فجعل كلما أخذته امرأة منهم لترضعه لم يقبل ثديها حتى أشفقت امرأة فرعون أن يمتنع من اللبن فيموت فحزنها ذلك فأمرت به فأخرج الى السوق مجمع الناس ترجو أن تصيب له ظئرا يأخذ منها فلم يقبل من أحد وأصبحت أم موسى فقالت لأخته قصيه واطلبيه هل تسمعين له ذكرا أحى ابنى أم قد أكلته دواب البحر وحيتانه ونسيت الذى كان الله وعدها فبصرت به أخته عن جنب وهم لا يشعرون فقالت من القرح حين أعياهم الظؤرات أنا أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فأخذوها وقالوا وما يدريك ما نصحهم له هل يعرفونه حتى شكوا فى ذلك وذلك من الفتون يا ابن جبير فقالت نصحهم له وشفقتهم عليه رغبتهم فى ظؤرة الملك ورجاء منفعته فتركوها فانطلقت الى أمها فأخبرتها الخبر فجاءت فلما وضعته فى حجرها نزا الى ثديها حتى امتلأ جنباه فانطلق البشراء الى امرأة فرعون يبشرونها أن قد وجدنا لابنك ظئرا فأرسلت اليها فأتيت بها وبه فلما رأت ما يصنع بها قالت امكثى عندى حتى ترضعين ابنى هذا فانى لم أحب حبه شيأ قط قال فقالت لا أستطيع أن أدع بيتى وولدى فيضيع فان طابت نفسك أن تعطينيه فأذهب به الى بيتى فيكون معى لا آلوه خيرا فعلت والا فانى غير تاركة بيتى وولدى وذكرت أم موسى ما كان الله وعدها فتعاسرت على امرأة فرعون وأيقنت أن الله تبارك وتعالى منجز وعده فرجعت بابنها الى بيتها من يومها فأنبته الله نباتا حسنا وحفظه لما قضى فيه فلم يزل بنو اسرائيل وهم مجتمعون فى ناحية المدينة يمتنعون به من الظلم والسخرة التى كانت فيهم فلما ترعرع قالت امرأة فرعون لأم موسى أزيرينى ابنى فوعدتها يوما تزيرها اياه فيه فقالت لخواصها وظؤرتها وقهارمتها لا يبقين أحد منكم الا استقبل ابنى بهدية وكرامة ليرى ذلك وأنا باعثة أمينة تحصى ما يصنع كل انسان منكم فلم تزل الهدية والكرامة والتحف تستقبله من حين خرج من بيت أمه الى أن دخل على امرأة فرعون فلما دخل عليها نحلته وأكرمته وفرحت به وأعجبها ما رأت من حسن أثرها عليه وقالت انطلقن به الى فرعون فلينحله وليكرمه فلما دخلوا به عليه جعلته فى حجره فتناول موسى لحية فرعون حتى مدها فقال عدو من أعداء الله ألا ترى ما وعدانه ابراهيم أنه سيصرعك ويعلوك فأرسل الى الذباحين ليذبحوه وذلك من الفتون يا ابن جبير بعد كل بلاء ابتلى به وأريد به فجاءت امرأة فرعون تسعى الى فرعون فقالت ما بدالك فى هذا الصبى الذى قد وهبته لى قال ألا ترين بزعم أنه سيصرعنى ويعلونى فقالت اجعل بينى وبينك أمرا تعرف فيه الحق ائت بجمرتين ولؤلؤتين فقربهن

فقرب بن اليه فان بطش باللؤلؤتين واجتنب الجمرتين علمت أنه يعقل وان تناول الجمرتين ولم يرد اللؤلؤتين فاعلم أن أحدا لا يؤثر الجمرتين على اللؤلؤتين وهو يعقل فقرب ذلك اليه فتناول الجمرتين فزعوهما منه مخافة أن يحرقا يده فقالت المرأة ألا ترى فصرفه الله عنه بعد ما قد هم به وكان الله بالغ أمره فلما بلغ أشده وكان من الرجال لم يكن أحد من آل فرعون يخلص الى أحد من بنى اسرائيل معه بظلم ولا سخرة حتى امتنعوا كل امتناع فبينما هو يمشى ذات يوم فى ناحية المدينة اذ هو برجلين يقتتلان أحدهما من بنى اسرائيل والآخر من آل فرعون فاستغاثه الاسرائيلى على الفرعونى فغضب موسى واشتد غضبه لانه تناوله وهو يعلم منزلة موسى من بنى اسرائيل وحفظه لهم ولا يعلم الناس الا انما ذلك من قبل الرضاعة غير أم موسى الا أن يكون الله أطلع موسى من ذلك على ما لم يطلع عليه غيره فوكز موسى الفرعونى فقتله وليس يراهما أحد الا الله والاسرائيلى فقال موسى حين قتل الرجل هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين ثم قال رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له انه هو الغفور الرحيم فأصبح فى المدينة خائفا يترقب الأخبار فأتى فرعون فقيل له ان بنى اسرائيل قد قتلوا رجلا من آل فرعون فخذلنا بحقنا ولا ترخص لهم فى ذلك فقال ابغونى قاتله ومن يشهد عليه لأنه لا يستقيم أن يقضى بغير بينة ولا ثبت فطلبوا له ذلك فبينما هم يطوفون لا يجدون ثبتا اذ مر موسى من الغد فرأى ذلك الاسرائيلى يقاتل فرعونيا فاستغاثه الاسرائيلى على الفرعونى فصادف موسى وقد ندم على ما كان منه بالأمس وكره الذى رأى فغضب موسى فمد يده وهو يريد أن يبطش بالفرعونى فقال للاسرائيلى لما فعل بالأمس واليوم انك لغوى مبين فنظر الاسرائيلى موسى بعد ما قال فاذا هو غضبان كغضبه بالأمس الذى قتل فيه الفرعونى فخاف أن يكون بعد ما قال له انك لغوى مبين أن يكون اياه أراد ولم يكن أراده وانما أراد الفرعونى فخاف الاسرائيلى فحاجز الفرعونى فقال يا موسى أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالأمس وانما قال ذلك مخافة أن يكون اياه أراد موسى ليقتله فتتار كافا نطلق الفرعونى الى قومه فأخبرهم بما سمع من الاسرائيلى من الخبر حين يقول أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالأمس فأرسل فرعون الذباحين فسلك موسى الطريق الأعظم فطلبوه وهم لا يخافون أن يفوتهم وجاء رجل من شيعة موسى من أقصى المدينة فاختصر طريقا قريبا حتى سبقهم الى موسى فأخبره الخبر وذلك من الفتون يا ابن جبير حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله فتونا قال بلاء القاوه فى التابوت ثم فى البحر ثم التقاط آل فرعون اياه ثم خروجه خائفا * قال محمد بن عمرو وقال أبو عاصم خائفا

معترفين بالرب الأكبر لكنهم عدوا العجل على التأويل الذى تذكر عبدة الاصنام أو على تأويل الحلول والوعد الحسن هو انزال التوراة التى فيها هدى ونور وقيل هو الثواب على الطاعات ومثله ما روى عن مجاهد ان العهد المذكور من قوله ولا تطغوا فيه الى قوله ثم اهتدى وقيل وعدهم اهلاك فرعون ووعدهم أرضهم ودارهم وقد فعل ومنها قوله (أفطال عليكم العهد) أى الزمان يريد مدة مفارقته لهم وعدوه أن يقيموا على أمره وما تركهم عليه من الايمان فاخلفوا موعده بعبادتهم العجل وقيل أراد عهدهم بنعم الله تعالى من الانجاء وغيره والاكثرون على الاول لما روى أنه وعدهم ثلاثين كما أمر الله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة فجاء بعد الأربعين لقوله تعالى وأتممناها بعشر ولما روى أنهم حسبوا العشرين أربعين ومنها قوله (أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم) قالوا هذا لا يمكن اجراؤه على الظاهر لان أحدا لا يريد هلاك نفسه ولكن المعصية وهو خلاف الموعد لما كانت توجب ذلك صح هذا الكلام لأن مريد السبب مريد للمسبب بالعرض

احتج العلماء بالآية وبما مر من قوله فيحل عليكم غضبى أن الغضب من صفات الافعال لا من صفات الذات لان صفة ذات الله تعالى لا تنزل فى شئ من الأجسام وموعد موسى هو ما ذكرنا من أنهم وعدوه الاقامة على دينه الى أن يرجع اليهم من الطور وقيل وعدوه اللحاق به والمجئ على أثره (قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا) بالحركات الثلاث أى بأن ملكنا أمرنا أى لو ملكنا أمرنا وخلينا ورأينا لما أخلفناه ولكن غلبنا من جهة السامرى وكيده والظاهر أن القائلين هم عبدة العجل وقيل انهم الذين لم يعبدوا العجل وقد يضيف الرجل فعل قرينه الى نفسه فكأنهم قالوا الشبهة قويت على عبدة العجل فلم يقدروا على منعهم ولم يقدروا أيضا على مخالفتهم حذرا من التفرقة وزيادة الفتنة

أو جائعا شك أبو عاصم وقال الحرث خائفا يترقب ولم يشك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقال خائفا يترقب ولم يشك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وفتناك فتونا يقول ابتليناك بلاء **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وفتناك فتوناه والبلاء على اثر البلاء * وقال آخرون معنى ذلك أخلصناك ذكر من قال ذلك **حدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وفتناك فتونا أخلصناك اخلاصا **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن يعلى بن مسلم قال سمعت سعيد بن جبير يفسر هذا الحرف وفتناك فتونا قال أخلصناك اخلاصا * قال أبو جعفر وقد بينا فيما مضى من كتابنا هذا معنى الفتنة وأنها الابتلاء والاختبار بالأدلة المغنية عن الاعادة فى هذا الموضع وقوله فلبثت سنين فى أهل مدين وهذا الكلام قد حذف منه بعض ما به تمامه اكتفاء بدلالة ما ذكر عما حذف ومعنى الكلام وفتناك فتونا فخرجت خائفا الى أهل مدين فلبثت سنين فيهم وقوله ثم جئت على قدر يا موسى يقول جل ثناؤه ثم جئت للوقت الذى أردنا ارسالك الى فرعون رسولا ولمقداره * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ثم جئت على قدر يا موسى يقول لقد جئت لميقات يا موسى **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال على قدر يا موسى قال موعد **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال على ذى موعد **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله على قدر يا موسى قال قدر الرسالة والنبوة والعرب تقول جاء فلان على قدر اذا جاء لميقات الحاجة اليه ومنه قول الشاعر

نال الخلافة أو كانت له قدرا * كما أتى ربه موسى على قدر

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واصطنعتك لنفسى اذهب أنت وأخوك بآياتى ولا تنيا فى ذكرى اذهبا الى فرعون انه طغى﴾ يقول تعالى ذكره واصطنعتك لنفسى أنعمت عليك يا موسى هذه النعم ومننت عليك هذه المنن اجتباء منى لك واختيارا لرسالتى والبلاغ عنى والقيام بأمرى ونهيى اذهب أنت وأخوك هرون بآياتى يقول بأدلتى وحججى اذهبا الى فرعون بها انه تمرد فى ضلاله وغيه فابلغاه رسالاتى ولا تنيا فى ذكرى يقول ولا تضعفا فى أن تذكرانى فيما أمرتكما ونهيتكما

ثم ان القوم بينوا ذلك العذر المجمل فقالوا (ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم) أى أثقالا من حلى القبط كما مر فى الاعراف وقيل الأوزار الآثام وانها فى الحقيقة أثقال مخصوصة معنوية (٣) سموا بذلك لان المغانم لم تحل حينئذ أولأنهم كانوا مستأمنين فى دار الحرب وليس للمستأمن أن يأخذ مال الحربى وقيل ان تلك الحلى كان القبط يتزينون بها فى مجامع الكفر ومجالس المعاصى فلذلك وصفت بأنها أوزار كما يقال فى آلات المعاصى (فقذفناها) أى فى الحفرة كان هرون أمرهم بجمع الحلى انتظار العود موسى أوفى موضع أمرهم السامرى بذلك بعد أن أوقد النار (فكذلك ألقى السامرى) مثل فعلنا أراهم أنه يلقى حليا فى يده مثل ما ألقوا وانما ألقى التربة التى أخذها من موطئ حافر فرس جبريل كما يجىء فى قوله فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها (فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار) قدم فى الأعراف (فقالوا) أى السامرى ومن تبعه (هذا الهكم واله موسى فنسى) موسى أن يطلبه ههنا فذهب يطلبه عند الطور أوفنسى السامرى وترك ما كان عليه من الايمان الظاهر أونسى الاستدلال على أن العجل لا يجوز أن يكون الها بقوله (أفلا يرون أن لا يرجع) أن مخففة من الثقيلة ولهذا لم تعمل وقرئ بالنصب على أنها الناصبة قال العلماء ظهور الخوارق على يد مدعى الالهية جائز لانه لا يحصل الالتباس وههنا كذلك فوجب أن لا يمتنع خلق الحياة فى صورة العجل وروى عكرمة عن ابن عباس أن هرون مر بالسامرى وهو يصنع العجل فقال ما تصنع فقال أصنع ما ينفع ولا يضر فادع لى فقال اللهم أعطه ما سألك فلما مضى هرون قال السامرى اللهم انى أسألك أن يخور فخار وعلى هذا التقدير يكون معجزا للنبى لا السامرى ثم انه سبحانه أخبر أن هرون لم يأل نصحا واشفاقا فى شأن نفسه وفى شأن القوم قبل أن يقول لهم السامرى ما قال أما شفقته على نفسه فهى فان أنه أدخلها فى زمرة الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر أما الامتثال فانه امتثل فى نفسه وفى شأن القوم أمر أخيه حين قال لهم يا قوم انما فتنتم به قال جار الله كأنهم أول ما وقعت عليه أبصارهم حين طلع من الحفرة فتنوا به واستحسنوه فقبل أن ينطق السامرى بادرهم هرون فزجرهم عن الباطل أولا بأن هذا من جملة الفتن ثم دعاهم الى الحق بقوله (وان ربكم الرحمن) ومن فوائد تخصيص هذا الاسم بالمقام أنهم ان تابوا عما عزموا عليه فان الله يرحمهم ويقبل توبتهم ثم بين أن الوسيلة الى معرفة كيفية عبادة الله هو اتباع النبى وطاعته

فقال (اتبعونى وأطيعوا أمرى) وهذا ترتيب فى غاية الحسن واعلم أن الشفقة على خلق الله أصل عظيم فى الدين وقاعدة متينة روى النعمان ابن بشير عن النبى صلى الله عليه وسلم مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم مثل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا هو جالس اذ نظر الى شاب على باب المسجد فقال من أراد أن ينظر الى رجل من أهل النار فلينظر اليه فسمع الشاب ذلك فولى وقال الهى وسيدى هذا رسولك يشهد على بانى من أهل النار وأنا أعلم أنه صادق فاذا كان الامر كذلك فأسألك أن تجعلنى فداء أمة محمد صلى الله عليه وسلم وتشعل النار بى حتى يبر يمينه (١٢٩) ولا تسفع النار أحدا فهبط جبريل وقال يا محمد بشر الشاب بأنى قد أنقذته من النار بتصديقه لك وفداء أمتك بنفسه وشفقته على الخلق قال أهل السنة ههنا ان الشيعة تمسكوا بقوله صلى الله عليه وسلم أنت منى بمنزلة هرون من موسى ثم ان هرون ما منعته التقية فى مثل ذلك الجمع بل صعد المنبر وصرح بالحق ودعا الناس الى متابعته فلو كانت أمة محمد صلى الله عليه وسلم على الخطا لكان يجب على على كرم الله وجهه أن يفعل ما فعل هرون من غير تقية وخوف وللشيعة أن يقولوا ان هرون صرح بالحق وخاف فسكت ولهذا عاتبه موسى بما عاتب فاعتذر بأن القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى وهكذا على رضى الله عنه امتنع أولا من البيعة فلما آل الامر الى ما آل أعطاهم ما سألوا وانما قلت هذا على سبيل البحث لا لأجل التعصب ثم ان القوم قابلوا حسن موعظة هرون بالتقليد والجمود قائلين (لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى) ولا يخفى ما فى هذا الكلام من أنواع التوكيد من جهة النفى بلن ومن لفظ البراح والعكوف ومن صيغة اسم الفاعل ومن تقديم الخبر ثم حكى ما جرى بين موسى وهرون بعد الرجوع وقوله

فان ذكركما اياى يقوى عزائمكما ويثبت أقدامكما لأنكما اذا ذكرتمانى ذكرتما منى عليكما نعما جمة ومننا لا تحصى كثرة يقال منه ونى فلان فى هذا الأمر وعن هذا الأمر اذا ضعف وهو ينى ونى كما قال العجاج

فما ونى محمد مذ أن غفر * له الاله ما مضى وما غبر

* وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ولا تنيا يقول لا تبطئا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولا تنيا فى ذكرى يقول ولا تضعفا فى ذكرى حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ولا تنيا فى ذكرى قال لا تضعفا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد تنيا تضعفا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا تنيا فى ذكرى يقول لا تضعفا فى ذكرى حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله ولا تنيا فى ذكرى قال لا تضعفا حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ولا تنيا فى ذكرى يقول لا تضعفا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولا تنيا فى ذكرى قال الوانى هو الغافل المفرط ذلك الوانى

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى قالا ربنا انا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى﴾ يقول تعالى ذكره لموسى وهرون فقولا لفرعون قولا لينا ذكر أن القول اللين الذى أمرهما الله أن يقولاه له هو أن يكنياه حدثنى جعفر ابن ابنة اسحق بن يوسف الازرق قال ثنا سعيد بن محمد الثقفى قال ثنا على بن صالح عن السدى فقولا له قولا لينا قال كنياه وقوله لعله يتذكر أو يخشى اختلف فى معنى قوله لعله فى هذا الموضع فقال بعضهم معناها ههنا الاستفهام كأنهم وجهوا معنى الكلام الى فقولا له قولا لينا فانظرا هل يتذكر ويراجع أو يخشى الله فيرتدع عن طغيانه ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله لعله يتذكر أو يخشى يقول هل يتذكر أو يخشى * وقال آخرون معنى لعل ههنا كى ووجهوا معنى الكلام الى اذهبا الى فرعون انه طغى فادعواه وعظاه ليتذكر أو يخشى كما يقول القائل اعمل عملك لعلك تأخذ أجرك بمعنى لتأخذ أجرك وافرغ من عملك لعلنا نتغدى بمعنى لنتغدى أو حتى نتغدى ولكلا هذين القولين وجه حسن ومذهب

(ما منعك اذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن) كقوله ما منعك ألا تسجد فى أن لا فى هذه مزيدة أم لا وقد مر فى الأعراف وفى هذا الاتباع قولان فعن ابن عباس ما منعك من اتباعى بمن أطاعك والحق بى وترك المقام بين أظهرهم وقال مقاتل أراد الاتباع فى وصيته كأنه قال هلا قاتلت من كفر بمن آمن ومالك لا تباشر الأمر كما كنت أباشره قال الاصوليون فى قوله (أفعصيت أمرى) دلالة على أن تارك المأمور به عاص والعاصى يستحق العقاب لقوله ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم فيعلم منه أن الامر للوجوب واحتج الطاعنون فى عصمة الانبياء بأن موسى عليه السلام هل أمر هرون باتباعه أم لا وعلى التقديرين فهرون اتبعه أم لا

فان لم يأمره أو أمره ولكن اتبعه فلامته لهرون من غير جرم تكون ذنبا وان أمره ولم يتبعه كان هرون عاصيا وأيضا قوله أفعصيت استفهام بمعنى الانكار فاما أن يكون موسى كاذبا فى نسبة العصيان الى هرون واما أن يكون هرون عاصيا وأيضا أخذه بلحية هرون ورأسه ان كان بعد البحث والتفتيش فهرون عاص والا فموسى وأجيب بان كل ذلك أمور اجتهادية جائزة الخطا أو هى من باب ترك الاولى وقدم فى اوائل البقرة فى قصة آدم ما يتعلق بهذه المسئلة قوله (ولم ترقب قولى) أى وصيتى لك بحفظ الدهماء واجتماع الشمل يؤيده قوله (انى خشيت أن تقول فرقت) قال الامام أبو القاسم الانصارى

ما تحملوا وأما قوم موسى فقد رأوا ذلك مع زيادة سائر الآيات التسع ومع ذلك اغتروا بصوت العجل وعكفوا على عبادته فعرفنا أن الغرض لا يحصل الا بهداية الله تعالى ولما فرغ موسى من عتاب هرون أقبل على السامرى ويمكن أن يكون بعيدا ثم حضر أو ذهب اليه موسى ليخاطبه قال جار الله الخطب مصدر خطب الامر اذا طلبه فاذا قيل لمن يفعل شيأ ما خطبك فمعناه ما طلبك له والغرض منه الانكار عليه وتعظيم صنيعه (قال) أى السامرى (بصرت بما لم يبصروا به) قال ابن عباس ورواه أبو عبيدة علمت بما لم يعلموا به من البصارة يعنى العلم وقال الآخرون رأيت بما لم تروه فالباء للتعدية رجح العلماء قراءة الغيبة على الخطاب احترازا من نسبة عدم البصارة الى النبى صلى الله عليه وسلم والقبضة بالفتح مصدر بمعنى المفعول وهو المقبوض بجميع الكف عامة المفسرين على أن المراد بالرسول جبريل عليه السلام وأثره التراب الذى أخذه من موقع حافر دابته واسمها حيزوم فرس الحياة ومتى رآه الأكثرون على أنه رآه يوم فلق البحر كان جبريل على الرمكة وفرعون على حصان وكان لا يدخل البحر فتقدم جبريل فتبعه فرس فرعون وعن على رضى الله عنه فى ان جبريل لما نزل ليذهب بموسى الى الطور أبصره السامرى من بين الناس وكان راكب حيزوم فقال ان لهذا شأنا فقبض من تربة موطئه فمعنى الآية فقبضت من أثر فرس المرسل اليك يوم حلول الميعاد ثم من المفسرين من جوز أن السامرى لم يعرف أنه جبريل ومنهم من قال انه عرفه عن ابن عباس انما عرفه لانه رباه فى صغره وحفظه من القتل حين أمر فرعون بقتل أولاد بنى اسرائيل فكانت المرأة تلد وتطرح ولدها حيث لا يشعر به آل فرعون فتأخذ الملائكة الولدان فيربونهم حتى يترعرعوا ويختلطوا بالناس فكان السامرى أخذ

صحيح وقوله قالا ربنا انا نخاف أن يفرط علينا يقول تعالى ذكره قال موسى وهرون ربنا انا نخاف فرعون ان نحن دعوناه الى ما أمرتنا أن ندعوه اليه أن يعجل علينا بالعقوبة وهو من قولهم فرط منى الى فلان أمر اذا سبق منه ذلك اليه ومنه فارط القوم وهو المتعجل المتقدم أمامهم الى الماء أو المنزل كما قال الراجز * قد فرط العلج علينا وعجل * وأما الافراط فهو الاسراف والاشطاط والتعدى يقال منه أفرطت فى قولك اذا أسرف فيه وتعدى وأما التفريط فانه التوانى يقال منه فرطت فى هذا الامر حتى فات اذا توانى فيه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أن يفرط علينا قال عقوبة منه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله انا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى قال نخاف أن يعجل علينا اذ نبلغه كلامك أو أمرك يفرط ويعجل وقرأ لا تخافا انى معكما أسمع وأرى ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قال لا تخافا انى معكما أسمع وأرى فأتياه فقولا انا رسولا ربك فأرسل معنا بنى اسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى ﴾ يقول الله تعالى ذكره قال الله لموسى وهرون لا تخافا فرعون انى معكما أعينكما عليه وأبصر كما أسمع ما يجرى بينكما وبينه فافهمكما ما تحاورانه به وأرى ما تفعلان وبفعل لا يخفى على من ذلك شئ فأتياه فقولا له انا رسولا ربك * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال لا تخافا انى معكما أسمع وأرى ما يحاوركما فأوحى اليكما فتجاوبانه وقوله فأتياه فقولا انا رسولا ربك أرسلنا اليك بأمرك أن ترسل معنا بنى اسرائيل فأرسلهم معنا ولا تعذبهم بما تكلفهم من الاعمال الرديئة قد جئناك بآية معجزة من ربك على أنه أرسلنا اليك بذلك ان أنت لم تصدقنا فيما نقول لك أريناكها والسلام على من اتبع الهدى يقول والسلامة لمن اتبع هدى الله وهو بيانه يقال السلام على من اتبع الهدى ولمن اتبع بمعنى واحد ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ انا قد أوحى الينا أن العذاب على من كذب وتولى قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى ﴾ يقول تعالى ذكره لرسوله موسى وهرون قولا لفرعون انا قد أوحى الينا ربك أن عذابه الذى لا نفاد له ولا انقطاع على من كذب بما ندعوه اليه من توحيد الله وطاعته واجابة رسله وتولى يقول وأدبر معرضا عما جئناه به من الحق كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أن العذاب على من كذب وتولى كذب بكتاب الله وتولى عن طاعة الله وقوله قال فمن ربكما يا موسى

جبريل وجعل كف نفسه فى فيه وارتضع منه العسل واللبن فلم يزل يختلف اليه حتى عرفه وقال أبو مسلم اطلاق الرسول على جبريل فى هذا المقام من غير قرينة تكليف بعلم الغيب وأيضا تخصيص السامرى من بين الناس برؤية جبريل وبمعرفة خاصية تراب حافر دابته لا يخلو عن تعسف ولو جاز اطلاع بعض الكفرة على تراب هذا شأنه فلقائل أن يقول لعل موسى اطلع على شئ آخر لاجله قدر على الخوارق فالاولى أن يراد بالرسول موسى فقد يواجه الحاضر بلفظ الغائب كما يقال ما قول الامير فى كذا ويكون اطلاق الرسول منه على موسى نوعا من التهكم لانه كان كافرا به مكذبا وأراد بأثره سنته ورسمه من قولهم فلان يقفو أثر فلان أى عرفت أن الذى عليه ليس بحق

وقد كنت قبضت شيأ من سنتك فطرحتها فعلى قول العامة يكون قوله (وكذلك سولت لى نفسى) اشارة الى ما أوحى اليه وليه الشيطان أن تلك التربة اذا نبذت على الجماد صار حيوانا وعلى قول أبى مسلم يشير الى أن اتباع أثره كان من تسويلات النفس الأمارة فلذلك تركته ثم بين موسى أن له عقوبة فى الدنيا وعقوبة فى الآخرة يروى أنه أراد أن يقتله فمنعه الله من ذلك وقال لا تقتله فانه سخى وفى قوله (لا مساس) وجوه الاول انه حرم عليه مماسة الناس لانه اذا اتفق أن هنالك مماسة فأحدهم الماس والثانى الممسوس فلذلك اذا رأى أحدا صاح لا مساس ويقال ان قومه باق فيهم ذلك الى الآن الثانى أن المراد منع الناس من مخالطته قال مقاتل ان موسى أخرجه من محلة بنى اسرائيل وقال له اخرج أنت وأهلك طريدا الى البرارى اعترض الواحدى عليه بأن الرجل اذا صار مهجورا فلا يقول هو لا مساس وانما يقال له ذلك وأجيب بأن هذا على الحكاية أى أجعلك يا سامرى بحيث اذا أخبرت عن حالك لم تقل الا لا مساس والثالث قول أبى مسلم ان المراد انقطاع نسله وان يخبر بأنه لا يمكن له مماسة المرأة أى مجامعتها وأما حاله فى الآخرة

فى هذا الكلام متروك ترك ذكره استغناء بدلالة ما ذكر عليه عنه وهو قوله فأتياه فقالا له ما أمرهما به ربهما وأبلغا رسالته فقال فرعون لهما فمن ربكما يا موسى فخاطب موسى وحده بقوله يا موسى ووجه الكلام قبل ذلك الى موسى وأخيه وانما فعل ذلك كذلك لان المجاوبة انما تكون من الواحد وان كان الخطاب لجماعة لا من الجميع وذلك نظير قوله نسيا حوتهما وكان الذى يحمل الحوت واحدا وهو فتى موسى يدل على ذلك قوله انى نسيت الحوت وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره وقوله قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه يعنى نظير خلقه فى الصورة والهيئة كالذكور من بنى آدم أعطاهم نظير خلقهم من الاناث أزواجا وكالذكور من البهائم أعطاها نظير خلقها وفى صورتها وهيئتها من الاناث أزواجا فلم يعط الانسان خلاف خلقه فيزوجه بالاناث من البهائم ولا البهائم بالاناث من الانس ثم هداهم للمأتى الذى منه النسل والنماء كيف يأتيه ولسائر منافعه من المطاعم والمشارب وغير ذلك * وقد اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم بنحو الذى قلنا فيه ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله أعطى كل شئ خلقه ثم هدى يقول خلق لكل شئ زوجة ثم هداه لمنكحه ومطعمه ومشربه ومسكنه ومولده حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى يقول أعطى كل دابة خلقها زوجها ثم هدى للنكاح * وقال آخرون معنى قوله ثم هدى أنه هداهم الى الألفة والاجتماع والمناكحة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى يعنى هدى بعضهم الى بعض ألف بين قلوبهم وهداهم للتزويج أن يزوج بعضهم بعضا * وقال آخرون معنى ذلك أعطى كل شئ صورته وهى خلقه الذى خلقه به ثم هداه لما يصلحه من الاحتيال للغذاء والمعاش ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس عن ليث عن مجاهد فى قوله أعطى كل شئ خلقه ثم هدى قال أعطى كل شئ صورته ثم هدى كل شئ الى معيشته حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله أعطى كل شئ خلقه ثم هدى قال سوى خلق كل دابة ثم هداها لما يصلحها فعلمها اياه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى قال سوى خلق كل دابة ثم هداها لما يصلحها وعلمها اياه ولم يجعل

ذلك قوله (وان لك موعدا لن تخلفه) قال جار الله من قرأ بكسر اللام فهو من أخلفت الموعد اذا وجدته خلفا ثم بين ما آل حال الهه فقال (وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا) أى ظللت فحذف احدى اللامين تخفيفا (لنحرقنه) من الاحراق ففيه دليل على أنه صار لحما ودما لان الذهب لا يمكن احراقه بالنار ونسفه فى اليم قال السدى أمر موسى بذبحه فسال منه الدم ثم أحرق ثم نسف والنسف النقض ومن جعله من الحرق أى لنبردنه بالمبرد ففيه دلالة على أنه لم ينقلب حيوانا الا اذا أريد برد عظامه ومن جعله من التحريق فانه يحتمل الوجهين والمراد اظهار السامرى وابطال كيده ومحق صنيعه والله خير الماكرين ثم ختم الكلام ببيان الدين الحق فقال (انما الهكم) أى المستحق للعبادة

والتعظيم (الله الذى لا اله الا هو وسع كل شئ علما) قدم مثله فى الانعام قال مقاتل أى يعلم من يعبده وحين فرغ من قصة موسى شرع فى
رسولنا صلى الله عليه وسلم فقال (كذلك) أى نحو ما اقتصصنا عليك قصة موسى وفرعون والسامرى (نقص عليك

سائر أخبار الرسل مع أممهم تكثيرا لمعجزاتك ثم عظم شأن القرآن بقوله (وقد آتيناك من لدنا ذكرا) أى ما ذكر فيه كل ما يحتاج اليه المكلف فى دينه وفى دنياه والوزر العقوبة الثقيلة التى تنقض ظهر صاحبها أو المراد جزاء الوزر وهو الاثم (خالدين فيه) أى فى ذلك الوزر أو فى احتماله (وساء) فيه ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص محذوف للقرينة أى ساء حملا وزرهم واللام فى (لهم) للبيان كما فى هيت لك ويجوز أن يكون ساء بمعنى قبح ويكون فيه ضمير الوزر وانتصب حملا على التمييز ولهم حال من حملا ولا أدرى لم أنكره صاحب الكشاف اللهم الا أن يمنع وقوع الحال من التمييز وفيه نظر قال ابن السكيت الحمل بالفتح ما كان فى بطن أو على رأس شجرة وبالكسر ما كان على ظهر أو رأس وفى الصور قولان أشهرهما أنه القرن يؤيده قوله فاذا نقر فى الناقور وانه تعالى يعرف أمور الآخرة بأمثال ما شوهد فى الدنيا ومن عادة الناس النفخ فى البوقات عند الأسفار وفى العساكر فجعل الله تعالى النفخ فى تلك الآلة علامة لخراب الدنيا ولا عادة الاموات وأقربهما من المعقول أن الصور جمع صورة يؤكده قراءة من قرأ بفتح الواو يقال صورة وصور كبدرة ودرر والنفخ نفخ الروح فيها ولكنه يرد عليه أن النفخ يتكرر لقوله تعالى ثم نفخ فيه أخرى والاحياء لا يتكرر بعد الموت الا ما ثبت من سؤال القبر وليس هو بمراد من النفخة الاولى بالاتفاق (ونحشر المجرمين) عن ابن عباس هم الذين اتخذوا مع الله الها آخر وقالت المعتزلة هم الكفار والعصاة وفى الزرق وجوه قال الضحاك ومقاتل ان الزرقة أبغض شئ من

الناس فى خلق البهائم ولا خلق البهائم فى خلق الناس ولكن خلق كل شئ فقدره تقديرا
محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن حميد عن مجاهد أعطى كل شئ خ
ثم هدى قال هداه الى حيلته ومعيشته * وقال آخرون بل معنى ذلك أعطى كل شئ ما يصلحه
ثم هداه له ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر
قتادة قوله أعطى كل شئ خلقه قال أعطى كل شئ ما يصلحه ثم هداه له * قال أبو جعفر و
اخترنا القول الذى اخترنا فى تأويل ذلك لأنه جل ثناؤه أخبر أنه أعطى كل شئ خلقه لا
المعطى نفسه بل انما يعطى ما هو غيره لان العطية تقتضى المعطى والمعطى والعطية ولا تك
العطية هى المعطى واذا لم تكن هى هو وكانت غيره وكانت صورة كل خلق بعض أجزائه
معلوما أنه اذا قيل أعطى الانسان صورته أنه انما يعنى أنه أعطى بعض المعانى التى به سمى
دعى انسانا فكأن قائلا قال أعطى كل خلق نفسه وليس ذلك اذا وجه اليه الكلام بالمعروف
معانى العطية وان كان قد يحتمله الكلام فاذ كان ذلك كذلك فالأصوب من معانيه أن يكو
موجها الى أن كل شئ أعطاه ربه مثل خلقه فزوجه به ثم هداه لما بينا ثم ترك ذكر مثل ب
أعطى كل شئ خلقه كما يقال عبد الله مثل الاسد ثم يحذف مثل فيقول عبد الله الاسد
فى تأويل قوله تعالى (قال فما بال القرون الاولى قال علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينس
يقول تعالى ذكره قال فرعون لموسى اذ وصف موسى ربه جل جلاله بما وصفه به من
السلطان وكثرة الانعام على خلقه والافضال فاشأن الامم الخالية من قبلنا لم تقر بما تقول وانت
بما تدعو اليه ولم تخلص له العبادة ولكنها عبدت الآلهة والأوثان من دونه ان كان الامر
ما تصف من أن الاشياء كلها خلقه وأنها فى نعمه تتقلب وفى مننه تتصرف فأجابه موسى فقال
هذه الامم التى مضت من قبلنا فيما فعلت من ذلك عند ربى فى كتاب يعنى فى أم الكتاب لا
بأمرها وما كان سبب ضلال من ضل منهم فذهب عن دين الله لا يضل ربى يقول لا يخطئ
فى تدبيره وأفعاله فان كان عذب تلك القرون فى عاجل وعجل هلاكها فالصواب ما فعل وان كا
أخر عقابها الى القيامة فالحق ما فعل هو أعلم بما يفعل لا يخطئ فى فعله ولا ينسى فيترك فعل ما
حكمة وصواب * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى
قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فى كتاب لا يضل ربى ولا ينس
يقول لا يخطئ ربى ولا ينسى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله
بال القرون الاولى يقول فما أعمى القرون الاولى فوكلها نبى الله موكلا فقال علمها عند ربى الا
يقول أى أعمارها وآجالها * وقال آخرون معنى قوله لا يضل ربى ولا ينسى واحد ذكر من
ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال
ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله لا يضل ربى ولا ينسى قال
هما شئ واحد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد
مثله والعرب تقول ضل فلان منزله اذا أخطأه يضله بغير ألف وكذلك ذلك فى كل ما كان من
ثابت لا يبرح فأخطأه مريده فانها تقول ضله ولا تقول أضله فاما اذا ضاع منه ما يزول بنفسه
دابة وناقة وما أشبه ذلك من الحيوان الذى ينفلت منه فيذهب فانها تقول أضل فلان

العيون الى العرب لان الروم أعداؤهم وانهم زرق العيون ومن كلامهم فى صفة العدو أسود الكبد أصهب السبال أزرق العين وقال الكلبى زرقا أى عميا قال الزجاج يخرجون بصراء فى أول أمرهم لقوله ليوم تشخص فيه الابصار ولقوله اقرأ كتابك ثم يؤل حالهم الى العمى وان حدقة من يذهب نور بصره تزرق وقيل زرقا أى عطاشا لقوله ونسوق المجرمين الى جهنم وردا فكأنهم من شدة العطش يتغير سواد عيونهم حكاه ثعلب عن ابن الاعرابى (يتخافتون) يتسارون (بينهم) من شدة خوفهم أو لأن صدورهم امتلأت رعبا وهؤلاء يستقصرون مدة لبثهم فى الدنيا اما لأنها أيام سرورهم وهن قصار واما لانها قد انقضت والذاهب قليل وان طال ولاسيما بالنسبة الى الابد السرمدى كأن ظنينهم يقول قدر لبثنا فى الدنيا بالقياس الى لبثنا فى الآخرة كعشرة أيام فقال أعقلهم بل كاليوم الواحد وانما قال عشرا لان المراد عشر ليال وقال مقاتل أراد عشر ساعات أى بعض يوم وعلى هذا فأفضلهم رد عليهم استقصارهم وتقالهم وقيل المراد لبثهم فى القبور قال أهل النظم كأن سائلا سأل كيف يصح التخافت بين المجرمين والجبال حائلة مانعة فلذلك قال (ويسألونك عن الجبال) وقال الضحاك ان مشركى مكة قالوا على سبيل الاستهزاء يا محمد كيف يكون حال الجبال يوم القيامة فنزلت ويحتمل أن يكون هذا جواب شبهة تمسك بها منكر والبعث منهم جالينوس زعم أن الأفلاك لا تفنى لانها لو فنيت لابتدأت بالنقصان حتى تنتهى الى البطلان وكذا الجبال وغيرها من الاجرام الكلية فأمر الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يبين لهم هذه المسئلة الاصولية من غير

أوثاله أو ناقته بضله بالألف وقد بينا معنى النسيان فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿الذى جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى﴾ اختلف أهل التأويل فى قراءة قوله مهدا فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة الذى جعل لكم الارض مهادا بكسر الميم من المهاد والحاق ألف فيه بعد الهاء وكذلك علمهم ذلك فى كل القرآن وزعم بعض من اختار قراءة ذلك كذلك أنه انما اختاره من أجل أن المهاد اسم الموضع وأن المهد الفعل قال وهو مثل الفرش والفراش وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين مهدا بمعنى الذى مهد لكم الارض مهدا * والصواب من القول فى ذلك أن يقال انهما قراءتان مستفيضتان فى قرأة الامصار مشهورتان فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب فيها وقوله وسلك لكم فيها سبلا يقول وأنهج لكم فى الارض طرقا والهاء فى قوله فيها من ذكر الارض كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وسلك لكم فيها سبلا أى طرقا وقوله وأنزل من السماء ماء يقول وأنزل من السماء مطرا فأخرج به أزواجا من نبات شتى وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن انعامه على خلقه بما يحدث لهم من الغيث الذى ينزله من سمائه الى أرضه بعد تناهى خبره عن جواب موسى فرعون عما سأله عنه وثنائه على ربه بما هو أهله يقول جل ثناؤه فأخرجنا نحن أيها الناس بما ننزل من السماء من ماء أزواجا يعنى ألوانا من نبات شتى يعنى مختلفة الطعوم والأرايع والمنظر * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله من نبات شتى يقول مختلف ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿كلوا وارعوا أنعامكم ان فى ذلك لآيات لأولى النهى﴾ يقول تعالى ذكره كلوا أيها الناس من طيب ما أخرجنا لكم بالغيث الذى أنزلناه من السماء الى الأرض من ثمار ذلك وطعامه وما هو من أقواتكم وغذائكم وارعوا أنعامكم فيما هو أرزاق بهائمكم منه وأقواتها أنعامكم ان فى ذلك لآيات يقول ان فيما وصفت فى هذه الآية من قدرة ربكم وعظيم سلطانه لآيات يعنى لدلالات وعلامات تدل على وحدانية ربكم وأن لا اله لكم غيره أولى النهى يعنى أهل الحجى والعقول والنهى جمع نهية كالكشى جمع كشية « قال أبو جعفر » والكشى شحمة تكون فى جوف الضب شبيهة بالسرة وخص تعالى ذكره بأن ذلك آيات لأولى النهى لانهم أهل التفكر والاعتبار وأهل التدبر والاتعاظ ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾ يقول تعالى ذكره من الأرض خلقنا كم أيها الناس فأنشأنا كم أجساما ملطفة وفيها نعيدكم يقول وفى الأرض نعيدكم بعد مماتكم فنصيركم ترابا كما كنتم قبل انشائنا كم بشرا سويا ومنها نخرجكم يقول ومن الارض نخرجكم كما كنتم قبل مماتكم أحياء فننشئكم منها كما أنشأنا كم أول مرة وقوله تارة أخرى يقول مرة أخرى كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومنها نخرجكم تارة أخرى يقول مرة أخرى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله تارة أخرى قال مرة أخرى الخلق الآخر * قال أبو جعفر فتأويل الكلام اذ من الأرض أخرجنا كم ولم تكونوا شيأ خلقا سويا وسنخرجكم منها بعد مماتكم مرة أخرى كما أخرجنا كم منها أول مرة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولقد أريناه آياتنا كلها

تأخير ولهذا أدخل فاء التعقيب فى الجواب والنسف القلع وقال الخليل التطيير والاذهاب كأنه يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها وحاصل الجواب أن كل بطلان لا يلزم أن يكون ذبوليا بل قد يكون رفعيا والضمير فى (فيذرها) للمضاف المحذوف أى فيدع مقارها ومراكزها

وهو للارض للعلم بها كقوله ما ترك على ظهرها والقاع المستوى من الارض وقيل المكان المطمئن وقيل مستنقع الماء والصفصف الملساء المستوية وقيل التى لا نبات فيها والأمت النتو اليسير وقيل التلال الصغار قالوا العوج بالكسر فى المعانى وكأنه نفى العوج الذى يدق عن الاحساس ولا يدرك الا بالقياس الهندسى واذا كان هذا النوع من العوج الاعتبارى منتفيا فكيف بالعوج الحسى وقد يستدل بالآية على أن الارض يومئذ تكون لزة حقيقية اذ لو كانت مضلعة وقعت بين الاضلاع فصول مشتركة فيعوج الامتداد القائم عليها هنالك ثم انه تعالى وصف ذلك اليوم بان الخلائق فيه (يتبعون الداعى) قيل هو النفخ فى الصور وقوله (لا عوج له) أى لا يعدل عن أحد بدعائه بل يحشر الكل وقيل ان اسرافيل أو ملكا آخر يقوم على صخرة بيت المقدس ينادى أيها العظام النخرة والاوصال المتفرقة واللحوم المتمزقة قومى الى ربك للحساب والجزاء فلا يعوج له مدعو بل يتبعون صوته من غير انحراف (وخشعت الاصوات للرحمن) خفضت من شدة الفزع (فلا تسمع) أيها السامع (الا همسا) وهو الصوت الخفى وذلك أن الجن والانس علموا أن لا ملك لهم سواه وحق لمن كان الله محاسبه أن يخشع طرفه ويضعف صوته ويختلط قوله ويطول غمه وعن ابن عباس والحسن وعكرمة وابن زيد الهمس وطء الاقدام الى المحشر قوله (الا من أذن له الرحمن) يصلح أن يكون من منتصبا على المفعولية وأن يكون مرفوعا على البدلية بتقدير حذف المضاف أى لا تنفع الشفاعة الا شفاعة من أذن له الرحمن (ورضى له) أى لأجله (قولا) قال الامام فخر الدين الرازى الاحتمال الاول أولى لعدم التزام الاضمار ولان درجة الشافع درجة عظيمة فلا تصلح ولا تحصل الا لمن أذن له فيها وكان عند الله مرضيا فلو حملنا الآية على ذلك كان من ايضاح الواضحات بخلاف ما لو حملت على المشفوع وأقول الاحتمالان متقاربان متقار

فكذب وأبى ﴾ يقول تعالى ذكره ولقد أرينا فرعون آياتنا يعنى أدلتنا وحججنا على حقية ما أرسلنا به رسولينا موسى وهرون اليه كلها فكذب وأب أن يقبل من موسى وهرون ما جاءا به من عند ربهما من الحق استكبارا وعتوا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى ﴾ يقول تعالى ذكره قال فرعون لما أريناه آياتنا كلها لرسولنا موسى أجئتنا يا موسى لتخرجنا من منازلنا ودورنا بسحرك هذا الذى جئتنا به فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نتعداه لنجىء بسحر مثل الذى جئت به فننظر أينا يغلب صاحبه لا نخلف ذلك الموعد نحن ولا أنت مكانا سوى يقول بمكان عدل بيننا وبينك ونصف وقد اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والبصرة وبعض الكوفيين مكانا سوى بكسر السين وقرأته عامة قراء الكوفة مكانا سوى بضمها « قال أبو جعفر » والصواب من القول فى ذلك عندنا أنهما لغتان أعنى الكسر والضم فى السين من سوى مشهورتان فى العرب وقد قرأت بكل واحدة منهما علماء من القراء مع اتفاق معنييهما فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وللعرب فى ذلك اذا كان بمعنى العدل والنصف لغة هى أشهر من الكسر والضم وهو الفتح كما قال جل ثناؤه تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم واذا فتحت السين منه مددت واذا كسرت أو ضممت قصرت كما قال الشاعر

فان أبانا كان حل ببلدة * سوى بين قيس قيس عيلان والفزر

ونظير ذلك من الأسماء طوى وطوى وثنى وثنى وعدى وعدى * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله مكانا سوى قال منصفا بينهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة مكانا سوى أى عادلا بيننا وبينك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قوله مكانا سوى قال نصفا بيننا وبينك حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى قال يقول عدلا وكان ابن زيد يقول فى ذلك ما حدثنى به يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله مكانا سوى قال مكانا مستويا يتبين للناس ما فيه لا يكون صوب ولا شئ فيغيب بعض ذلك عن بعض مستوحين يرى ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى فتولى فرعون فجمع كيده ثم أتى ﴾ يقول تعالى ذكره قال موسى لفرعون حين سأله أن يجعل بينه وبينه موعدا للاجتماع موعدكم للاجتماع يوم الزينة يعنى يوم عيد كان لهم أو سوق كانوا يتزينون فيه وأن يحشر الناس يقول وأن يساق الناس من كل فج وناحية فذلك موعدنا بينى وبينك للاجتماع * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس

قوله

لان المشفوع لا تقبل الشفاعة فى حقه الا اذا أذن الرحمن لأجله فيعود الى الثانى قالت المعتزلة الفاسق غير مرضى عند الله تعالى فوجب أن لا ينتفع بشفاعة الرسول وأجيب بأنه قد رضى لأجله قولا واحدا من أقواله وهو كلمة الشهادة قالوا هب أن الفاسق قد رضى الله قولا لأجله فلم قلتم ان الاذن حاصل للشافع فى حقه والجواب أنا أيضا نمنع من أن الاذن غير حاصل فى حقه على أنه قال فى موضع آخر ولا يشفعون الا لمن ارتضى فلم يعتبر الا أحد القيدين ثم أخبر عن نهاية علمه بقوله (يعلم ما بين أيديهم) الضمير للذين يتبعون الداعى أى يعلم ما يقدمهم من الاحوال وما يستقبلونه (ولا يحيطون) بمعلومه (علما) وقال الكلبى ومقاتل الضمير للشافعين من الملائكة والانبياء كما مر فى آية الكرسى وفيه تقريع لمن يعبد الملائكة ليشفعوا له أى يعلم ما كان قبل خلقهم وما كان منهم بعد خلقهم من أمر الآخرة والثواب والعقاب وانهم لا يعلمون شيأ من ذلك فكيف يصلحون للمعبودية ثم ذكر غاية قدرته فقال (وعنت الوجوه) أى ذلت رقاب الممكنات منقادين لأمره كالاساري عنا يعنو عنوا اذا صار أسيرا وقيل أراد وجوه العصاة فى القيامة كقوله سيئت وجوه الذين كفروا ولعله خص الوجوه بالذكر لان أثر الذل والانكسار فيها أبين وأظهر قال جار الله (وقد خاب) وما بعده اعتراض أى كل من ظلم فهو خائب خاسر ولأهل السنة أن يخصوا الظلم ههنا بالشرك أو يعارضوا هذا العموم بعمومات الوعد من قرأ فلا يخاف بالرفع فعلى الاستئناف أى فهو لا يخاف كقوله فينتقم الله منه ومن قرأ فلا يخف فجزاه فليأمن له لان النهى عن الخوف أمر بالامن من

قوله قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى فانه يوم زينة يجتمع الناس اليه ويحشر الناس له **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال موعدكم يوم الزينة قال يوم زينتهم ويوم عيدهم وأن يحشر الناس ضحى الى عيدهم **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد يوم الزينة قال يوم السوق **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يوم الزينة موعدهم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنى** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال موسى موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى وذلك يوم عيدهم **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال موعدكم يوم الزينة يوم عيد كان لهم وقوله وأن يحشر الناس ضحى يجتمعون لذلك الميعاد الذى وعدوه **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله قال موعدكم يوم الزينة قال يوم العيد يوم يتفرغ الناس من الأعمال ويشهدون ويحضرون ويرون **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال موعدكم يوم الزينة يوم عيد كان فرعون يخرج له وأن يحشر الناس ضحى حتى يحضروا أمرى وأمرك وأن من قوله وأن يحشر الناس ضحى رفع بالعطف على قوله يوم الزينة وذكر عن أبى نهيك فى ذلك **ما حدثنا** ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبد المؤمن قال سمعت أبا نهيك يقول وأن يحشر الناس ضحى يعنى فرعون يحشر قومه وقوله فتولى فرعون يقول تعالى ذكره فأدبر فرعون معرضا عما أتاه من الحق فجمع كيده يقول فجمع مكره وذلك جمعه سحرته بعد أخذه اياهم بتعلمه ثم أتى يقول ثم جاء الموعد الذى وعده موسى وجاء بسحرته ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى﴾ يقول تعالى ذكره قال موسى لسحرة فلما جاءهم فرعون ويلكم لا تفتروا على الله كذبا يقول لا تختلقوا على الله كذبا ولا تتقولوه فيسحتكم بعذاب فيستأصلكم بهلاك فيبيدكم وللعرب فيه لغتان سحت وأسحت وسحت أكثر من أسحت يقال منه سحت الدهر (٣) وأسحت مال فلان اذا أهلكه فهو يسحته سحتا وأسحته يسحته اسحاتا ومن الاسحات قول الفرزدق

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع ✻ من المال الا مسحتا أو مجلف

ويروى الا مسحت أو مجلف ✻ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فيسحتكم بعذاب يقول فيهلككم **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فيسحتكم بعذاب يقول فيستأصلكم بعذاب **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله فيسحتكم بعذاب قال فيستأصلكم بعذاب فيهلككم **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فيسحتكم بعذاب قال يهلككم هلاكا ليس فيه بقية قال والذى يسحت ليس فيه بقية **حدثنا** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فيسحتكم بعذاب يقول يهلككم بعذاب ✻ واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة

فسر الظلم بأنه الأخذ فوق حقه والهضم بالنقص من حقه كصفة المطففين فيقدر مضافا محذوفا أى فلا يخاف جزاء ظلم ولا هضم لأنه لم يظلم ولم يهضم ومن فسر الظلم بأنه العقاب لا على جريمة والهضم بأنه النقص من الثواب فلا يحتاج الى تقدير المضاف قال أبو مسلم الظلم أن ينقص من

الثواب والهضم أن لا يوفى حقه من التعظيم لان الثواب مع كونه من اللذات لا يكون ثوابا الا اذا قارنه التعظيم قال جار الله (وكذلك) عطف على قوله كذلك نقص أى ومثل ذلك الانزال وعلى نهجه وكما أنزلنا عليك هؤلاء الآيات المضمنة للوعيد أنزلنا القرآن كله عربيا لان العرب أصل وغيرهم تبع لأن النبى عربى (وصرفنا فيه من الوعيد) كررناه وفصلناه ويدخل فى ضمنه الفرائض والمحارم لأن الوعيد يتعلق بترك أحدهما وبفعل الآخر (لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا) حمل جار الله الأول على ارادة ترك المعاصى والثانى على فعل الخير والطاعة لأن الذكر قد يطلق على الطاعة والعبادة قلت لا ريب أن القرآن ينفر عن السيئات ويبعث على الطاعات من حيث ان فهم معانيه يؤدى الى ذلك وانما قدم الاول على الثانى لان التخلية مقدمة على التحلية ويحتمل أن تكون التقوى عبارة عن فعل الخيرات وترك المنكرات جميعا والذكر يكون محمولا على ضد النسيان أى ان نسوا شيأ من التروك والافعال أحدث لهم ذكرا اذا تأملوا معانيه وكلمة أو على الاول للتخيير والاباحة لا للتنافى وعلى الثانى يجوز أن تكون للتنافى وقيل أراد أنزلنا القرآن ليتقوا فان لم يحصل ذلك فلا أقل من أن يوجب القرآن لهم ذكرا أى شرفا ومنصبا كقوله وانه لذكر لك ولقومك وعلى التقدير ين يكون فى انزال القرآن نفع ثم عظم شأن القرآن من وجه آخر وهو عظمة شأن منزله قائلا (فتعالى الله الملك الحق) ارتفع صفاته عن صفات المخلوقين أنزل القرآن ليحترزوا عما لا ينبغى وانه منزه عن الانتفاع والتضرر بطاعاتهم ومعاصيهم ومعنى الحق قد مر فى البسملة قال جار الله فيه استعظام له ولما يصرف عليه عباده من أوامره ونواهيه ووعده ووعيده والادارة بين ثوابه وعقابه وغير ذلك كما يجرى عليه أمر ملكوته قال أبو مسلم ان من قوله ويسئلونك عن الجبال الى ههنا كلام تام وقوله (ولا تعجل) خطاب

وبعض أهل الكوفة فيسحتكم بفتح الياء من سحت يسحت وقرأته عامة قراء الكوفة فيسحكم بضم الياء من أسحت يسحت * قال أبو جعفر والقول فى ذلك عندنا أنهما قراءتان مشهورتان ولغتان معروفتان بمعنى واحد فبأيتهما قرأ القارئ فصيب غير أن الفتح فيها أعجب الى لانها لغة أهل العالية وهى أفصح والأخرى وهى الضم فى نجد وقوله وقد خاب من افترى يقول ولم يظفر من يخلق كذبا ويقوله بكذبه ذلك بحاجته التى طلبها به ورجا ادراكها به ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى قالوا ان هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى﴾ يقول تعالى ذكره فتنازع السحرة أمرهم بينهم وكان تنازعهم أمرهم بينهم فيما ذكر أن قال بعضهم لبعض ما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى قال السحرة بينهم ان كان هذا ساحرا فانا سنغلبه وان كان من السماء فله أمر * وقال آخرون بل هو أن بعضهم قال لبعض ما هذا القول بقول ساحر ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال حدثت عن وهب بن منبه قال جمع كل ساحر حباله وعصيه وخرج موسى معه أخوه يتكئ على عصاه حتى أتى المجمع وفرعون فى مجلسه معه أشراف أهل مملكته قد استكف له الناس فقال موسى للسحرة حين جاءهم ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى فتراد السحرة بينهم وقال بعضهم لبعض ما هذا بقول ساحر وقوله وأسروا النجوى يقول تعالى ذكره وأسروا السحرة المناجاة بينهم ثم اختلف أهل العلم فى السرار الذى أسروه فقال بعضهم هو قول بعضهم لبعض ان كان هذا ساحرا فانا سنغلبه وان كان من أمر السماء فانه سيغلبنا * وقال آخرون فى ذلك ما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال حدثت عن وهب ابن منبه قال أشار بعضهم الى بعض بتناجز ان هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى من دون موسى وهرون قالوا فى نجواهم ان هذين لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى قالوا ان هذان لساحران يعنون بقولهم ان هذان موسى وهرون لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما موسى وهرون صلى الله عليهما * وقد اختلفت القراء فى قراءة قوله ان هذان لساحران فقرأته عامة قراء الأمصار ان هذان بتشديد إن وبالالف فى هذان وقالوا قرأنا ذلك كذلك وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول ان خفيفة فى معنى ثقيلة وهى لغة لقوم يرفعون بها ويدخلون اللام ليفرقوا بينها وبين التى تكون فى معنى ما وقال بعض نحويى الكوفة ذلك على وجهين أحدهما على لغة بنى الحرث بن كعب ومن جاورهم يجعلون الاثنين فى رفعهما ونصبهما وخفضهما بالالف وقد أنشدنى رجل من الاسد عن بعض بنى الحرث بن كعب

فأطرق اطراق الشجاع ولو يرى * مساغا لناباه الشجاع لصمما

قال وحكى عنه أيضا هذا خط يدا أخى أعرفه قال وذلك وان كان قليلا أقيس لأن العرب قالوا

مستأنف وقال آخرون انه صلى الله عليه وآله كان يخاف أن يفوته شئ فيقرأ مع الملك فانه تعالى حين شرح كيفية نفع القرآن للمكلفين وبين أنه سبحانه متعال عن الانتفاع والتضرر بالطاعات والمعاصى وأنه موصوف بالملك الدائم والعز الباقى وكل من كان كذلك وجب أن يصون رسوله عن السهو والنسيان فى أمر الوحى وما يتعلق بصلاح العباد فى المعاش والمعاد قال ولا تعجل بالقرآن لانه حصل لك الأمان من السهو والنسيان (من قبل أن يقضى اليك وحيه) أى من قبل أن تتم قراءة جبريل ونحوه قوله لا تحرك به لسانك لتعجل به قاله مقاتل والسدى وابن عباس فى رواية عطاء وقال مجاهد وقتادة أراد ولا تعجل بالقرآن فتقرأ على أصحابك من قبل أن يوحى اليك بيان معانيه أى لا تبلغ ما كان مجملا حتى يأتيك البيان وقال الضحاك ان أهل مكة وأسقف نجران قالوا يا محمد أخبرنا عن كذا وكذا وقد ضربنا لك أجلا ثلاثة أيام فأبطأ الوحى عليه وفشت المقالة أن اليهود قد غلبوا فنزلت هذه الآية أى لا تعجل بنزول القرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه من اللوح المحفوظ الى اسرافيل ومنه الى جبرائيل ومنه اليك وعن الحسن أن امرأة أتت النبى صلى الله عليه وسلم فقالت زوجى لطم وجهى فقال بينكما القصاص فنزلت الآية فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القصاص وانما نشأت هذه الاقوال لان قوله ولا تعجل بالقرآن يحتمل التعجيل بقراءته فى نفسه أو فى تأديته الى غيره أو فى اعتقاد ظاهره أو فى تعريف الغير ما يقتضيه الظاهر وقوله من قبل أن يقضى اليك وحيه احتمل أن يراد من قبل أن يقضى اليك تمامه أو من قبل أن يقضى اليك بيانه فقد يجوز أن يحصل عقيبه استثناء أو شرط أو غيرهما من المخصصات والمبينات ويؤكد هذه المعانى قوله (وقل رب زدنى علما) لان معرفة البيان علم زائد على

مسلمون فجعلوا الواو تابعة للضمة لانها لا تعرب ثم قالوا رأيت المسلمين فجعلوا الياء تابعة لكسرة الميم قالوا فلما رأوا الياء من الاثنين لا يمكنهم كسر ما قبلها وثبت مفتوحا تركوا الالف تتبعه فقالوا رجلان فى كل حال قال وقد اجتمعت العرب على اثبات الالف فى كلا الرجلين فى الرفع والنصب والخفض وهما اثنان الا بنى كنانة فانهم يقولون رأيت كلى الرجلين ومررت بكلى الرجلين وهى نبيحة قليلة مضوا على القياس قال والوجه الآخر أن تقول وجدت الالف من هذا دعامة وليست بلام فعل فلما بنيت زدت عليها نونا ثم تركت الالف ثابتة على حالها الاتزول بكل حال كما قالت العرب الذى ثم زادوا نونا تدل على الجمع فقالوا الذين فى رفعهم ونصبهم وخفضهم كما تركوا هذان فى رفعه ونصبه وخفضه قال وكان القياس أن يقولوا الذون وقال آخرون منهم ذلك من الجزم المرسل ولو نصب لخرج الى الانبساط وحدثت عن أبى عبيدة معمر بن المثنى قال قال أبو عمرو وعيسى بن عمر ويونس ان هذين لساحران فى اللفظ وكتب هذان كما يريدون الكتاب واللفظ صواب قال وزعم أبو الخطاب أنه سمع قوما من بنى كنانة وغيرهم يرفعون الاثنين فى موضع الجر والنصب قال وقال بشر بن هلال ان بمعنى الابتداء والايجاب ألا ترى أنها تعمل فيما يليها ولا تعمل فيما بعد الذى بعدها فترفع الخبر ولا تنصبه كما نصبت الاسم فكان مجازان هذان لساحران مجاز كلامين مخرجه انه اى نعم ثم قلت هذان ساحران ألا ترى أنهم يرفعون المشترك كقول ضابئ

فمن يك أمسى بالمدينة رحله * فانى وقيارها لغريب

وقوله ان السيوف غدوها ورواحها * تركت هوازن مثل قرن الأعضب

قال ويقول بعضهم ان الله وملائكته يصلون على النبى فيرفعون على شركة الابتداء ولا يعملون فيه ان قال وقد سمعت الفصحاء من المحرمين يقولون ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك قال ونراها قوم على تخفيف نون ان واسكانها قال ويجوز لانهم قد أدخلوا اللام فى الابتداء وهى فصل قال * أم الحليس لعجوز شهربه * قال وزعم قوم أنه لا يجوز لانه اذا خفف نون ان فلا بد له من أن يدخل الا فيقول ان هذان الا ساحران * قال أبو جعفر والصواب من القراءة فى ذلك عندنا ان بتشديدنونها وهذان بالالف لاجماع الحجة من القراء عليه وأنه كذلك هو فى خط المصحف ووجهه اذا قرئ كذلك مشابهته الذين اذ زادوا على الذى النون وأقروا فى جميع الاحوال الاعراب على حالة واحدة فكذلك ان هذان زيدت على هذا نون وأقرى فى جميع أحوال الاعراب على حال واحدة وهى لغة بلحرث بن كعب وخثعم وزبيد ومن وليهم من قبائل اليمن وقوله ويذهبا بطريقتكم المثلى يقول ويغلبا على ساداتكم وأشرافكم يقال هو طريقة قومه ونظورة قومه ونظيرتهم اذا كان سيدهم وشريفهم والمنظور اليه يقال ذلك للواحد والجمع وربما جمعوا فقالوا هؤلاء طرائق قومهم ومنه قول الله تبارك وتعالى كنا طرائق قددا وهؤلاء نظائر قومهم وأما قوله المثلى فانها تأنيث الامثل يقال للمؤنث خذ المثلى منهما وفى المذكر خذ الأمثل منهما ووحدت المثلى وهى صفة ونعت للجماعة كما قيل له الاسماء الحسنى وقد يحتمل أن يكون المثلى أنثت لتأنيث الطريقة * وبنحو ما قلنا فى معنى قوله بطريقتكم المثلى قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ويذهبا بطريقتكم المثلى

معرفة الاجمال والظاهر أن هذا الاستجمال كان أمرا اجتهاديا وكان الأولى تركه فلذلك نهى عنه قال جار الله هذا الأمر متضمن للتواضع والشكر له عند ما علم من ترتيب التعلم أى علمتنى يارب لطيفة فى باب التعلم وأدبا جميلا ما كان عندى فزدنى علما الى علم ومن

فضائل العلم أن النبى صلى الله عليه وسلم ما أمر بطلب الزيادة فى شئ الا فى العلم وفيه اشارة الى أن أسرار القرآن غير متناهية اللهم ان هذا العبد الضعيف معترف بقصوره ونقصانه فأسألك مما سألك به نبيك أن ترزقنى بتبعيته علما ينفعنى فى الدارين ۞ التأويل ولقد أوحينا الى موسى القلب أن أسر بعبادى وهم صفات القلب من الاخلاق الحميدة سربهم من مصر البشرية الى بحر الروحانية فاضرب لهم بعصا الذكر طريقا يبسا من ماء الهوى وطين الصفات الحيوانية وباقى التأويل كما مر فى يونس ونزلنا عليكم من صفاتنا وسلوى أخلاقنا فاتصفوا بطيبات أخلاقنا ولا تطغوا فيه بافشاء أسرار الربوبية الى غيرنا كمن قال أنا الحق وسبحانى فان الحالات لا تصلح للمقالات وانى لغفار لمن رجع عن الطغيان وآمن بالربوبية وعمل صالحا فى مقام العبودية ثم اهتدى فتحقق أن حضرة الربوبية منزهة عن دنس الوهم والخيال ومقام الوصال مباين للقيل والقال وعجلت اليك فيه أن الشوق اذا غلب انقطع العلائق وأن مطلوب السائل لا ينبغى أن يكون الا رضا الله قد فتنا قومك من بعدك فيه أن فتنة الأمة والمريد مقرونة بالنبى والشيخ علمنا أى بارادتنا ومشيئتنا ولكن بارادة الله ومشيئته فكذلك ألقى السامرى من غير اختيار منه ولكن باضطرار من القدر يا ابن أم قيل خاطبه بذلك ليذكره قول الملائكة يا ابن النساء الحيض ما للتراب ورب الأرباب فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها فيه أن الكرامة لأهل الكرامة كرامة ولاهل الغرامة استدراج وفتنة فيصرفونها فى الباطل

يقول أمثلكم وهم بنو اسرائيل **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ويذهبا بطريقتكم المثلى قال أولى العقل والشرف والأنساب **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فى قوله ويذهبا بطريقتكم المثلى قال أولى العقول والاشراف والانساب **حدثنا** أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ويذهبا بطريقتكم المثلى وطريقتهم المثلى يومئذ كانت بنو اسرائيل وكانوا أكثر القوم عددا وأموالا وأولادا قال عدو الله انما يريدان أن يذهبا بهم لأنفسهما **حدثنا** الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله بطريقتكم المثلى قال يعنى اسرائيل **حدثنى** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى ويذهبا بطريقتكم المثلى يقول يذهبا بأشراف قومكم * وقال آخرون معنى ذلك ويغيرا سنتكم ودينكم الذى أنتم عليه من قولهم فلان حسن الطريقة ذكر من قال ذلك **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ويذهبا بطريقتكم المثلى قال يذهبا بالذى أنتم عليه يغيرا ما أنتم عليه وقرأ ذروني أقتل موسى وليدع ربه انى أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر فى الارض الفساد قال هذا قوله ويذهبا بطريقتكم المثلى وقال يقول طريقتكم اليوم طريقة حسنة فاذا غيرت ذهبت هذه الطريقة * وروى عن على فى معنى قوله ويذهبا بطريقتكم المثلى ما **حدثنا** به القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا عبد الرحمن بن اسحق عن القاسم عن على بن أبى طالب قال بصرفان وجوه الناس اليهما * قال أبو جعفر وهذا القول الذى قاله ابن زيد فى قوله ويذهبا بطريقتكم المثلى وان كان قولا له وجه يحتمله الكلام فان تأويل أهل التأويل خلافه فلا أستجيز لذلك القول به ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فأجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا وقد أفلح اليوم من استعلى ﴾ اختلفت القراء فى قراءة قوله فأجمعوا كيدكم فقرأته عامة قراء المدينة والكوفة فأجمعوا كيدكم بهمز الألف من فأجمعوا ووجهوا معنى ذلك الى فأحكموا كيدكم واعزموا عليه من قولهم أجمع فلان الخروج وأجمع على الخروج كما يقال أزمع عليه ومنه قول الشاعر

يا ليت شعرى والمنى لا تنفع * هل أغدون يوما وأمرى مجمع

يعنى بقوله مجمع قد أحكم وعزم عليه ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم من لم يجمع على الصوم من الليل فلا صوم له وقرأ ذلك بعض قراء أهل البصرة فاجمعوا كيدكم بوصل الألف وترك همزها من جمعت الشئ كأنه وجهه الى معنى فلا تدعوا من كيدكم شيأ الا جئتم به وكان بعض قارئى هذه القراءة يعتل فيما ذكر لى لقراءته ذلك كذلك بقوله فتولى فرعون فجمع كيده * قال أبو جعفر والصواب فى قراءة ذلك عندنا همز الالف من أجمع لاجماع الحجة من القراء عليه وأن السحرة هم الذين كانوا به معروفين فلا وجه لان يقال لهم اجمعوا ما دعيتم له مما أنتم به عالمون لان المرء انما يجمع ما لم يكن عنده الى ما عنده ولم يكن ذلك يوم تزيد فى علمهم مما كانوا يعلمونه من السحر بل كان يوم اظهاره أو كان متفرقا مما هو عنده بعضه الى بعض ولم يكن السحر متفرقا عندهم فيجمعونه وأما قوله فجمع كيده

والطبيعة لا فى الحق والحقيقة قوله لا مساس فيه معارضة بنقيض مقصود من أراد الجمعية والغلبة واتباع الناس اياه فعدت بالتفرد والتوحش والنفار عن الخلق زرقا ان الوجه أشرف أعضاء الانسان والعين أشرف أعضاء الوجه وزرق العين دلالة على خروجها عن الاعتدال واذا كان أشرف الاعضاء خارجا عن الاعتدال فما ظنك بغيرها وكذا بالاخلاق التابعة للامزجة وعنت الوجوه أى كل جهة بها يستند الممكن الى الواجب يتبعون الداعى لان كل ناس تدعى بامامهم فيتبعونه البتة وأهل الله لا يفرون الا الى الله فى قوله والله يدعوا الى دار السلام وعلى الله المستعان ﴿ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ان لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فاما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم ان فى ذلك لآيات لاولى النهى ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة

فغير شبيه المعنى بقوله فأجمعوا كيدكم وذلك أن فرعون كان هو الذى يجمع و يحتفل بما يغلب به موسى مما لم يكن عنده مجتمعا حاضرا فقيل فتولى فرعون فجمع كيده وقوله ثم ائتوا صفا يقول احضروا وجيئوا صفا والصف ههنا مصدر ولذلك وحد ومعناه ثم ائتوا صافوفا والصف فى كلام العرب موضع آخر وهو قول العرب أتيت الصف اليوم يعنى به المصلى الذى يصلى فيه وقوله وقد أفلح اليوم من استعلى يقول قد ظفر بحاجته اليوم من علا على صاحبه فقهره كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال حدثت عن وهب بن منبه قال جمع فرعون الناس لذلك الجمع ثم أمر السحرة فقال ائتوا صفا وقد أفلح اليوم من استعلى أى قد أفلح من أفلج اليوم على صاحبه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قالوا ياموسى اما أن تلقى واما أن نكون أول من ألقى قال بل ألقوا فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى﴾ يقول تعالى ذكره فأجمعت السحرة كيدهم ثم أتوا صفا فقالوا لموسى ياموسى اما أن تلقى واما أن نكون أول من ألقى وترك ذكر ذلك من الكلام اكتفاء بدلالة الكلام عليه واختلف فى مبلغ عدد السحرة الذين أتوا يومئذ صفا فقال بعضهم كانوا سبعين ألف ساحر مع كل ساحر منهم حبل وعصا ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن هشام الدستوائى قال ثنا القاسم بن أبى بزة قال جمع فرعون سبعين ألف ساحر فألقوا سبعين ألف حبل وسبعين ألف عصا فألقى موسى عصاه فاذا هى ثعبان مبين فاغر به فاه فابتلع حبالهم وعصيهم فألقى السحرة عند ذلك سجدا فخروا على وجوههم حين رأوا الجنة والنار وثواب أهلهما فعند ذلك قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات * وقال آخرون بل كانوا نيفا وثلاثين ألف رجل ذكر من قال ذلك حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال قالوا ياموسى اما أن تلقى واما أن نكون نحن الملقين قال لهم موسى ألقوا فألقوا حبالهم وعصيهم وكانوا بضعة وثلاثين ألف رجل ليس منهم رجل إلا ومعه حبل وعصا * وقال آخرون بل كانوا خمسة عشر ألفا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال حدثت عن وهب بن منبه قال صف خمسة عشر ألف ساحر مع كل ساحر حباله وعصيه * وقال آخرون كانوا تسعمائة ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال كان السحرة ثلثمائة من العريش وثلثمائة من فيوم و يشكون فى ثلثمائة من الاسكندرية فقالوا لموسى اما أن تلقى ما معك قبلنا واما أن نلقى ما معنا قبلك وذلك قوله واما أن نكون أول من ألقى وأن فى قوله اما أن فى موضع نصب وذلك أن معنى الكلام اختر ياموسى أحد هذين الامرين اما أن تلقى قبلنا واما أن نكون أول من ألقى ولو قال قائل هو رفع كان مذهبا كأنه وجهه الى أنه خبر كقول القائل

فسيرا فاما حاجة تقضيانها * واما مقيل صالح وصديق

وقوله قال بل ألقوا يقول تعالى ذكره قال موسى للسحرة بل ألقوا أنتم ما معكم قبلى وقوله فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى وفى هذا الكلام متروك وهو فألقوا ما معهم من الحبال والعصى فاذا حبالهم ترك ذكره استغناء بدلالة الكلام الذى ذكر عليه عنه وذكر أن السحرة سحروا عين موسى وأعين الناس قبل أن يلقوا حبالهم وعصيهم فخيل حينئذ الى موسى أنها تسعى

الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أولم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوى ومن اهتدى ۞ القرآت وانك بالكسر أبو بكر وحماد والخراز ونافع الباقون بالفتح عطفا على أن لا تجوع ولا يلزم منه دخول ان المكسورة على المفتوحة للفصل بالخبر ولانه يجوز في المعطوف ما لا يجوز في المعطوف عليه أعمى بالامالة حمزة وعلى وخلف حشرتنى بفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن كثير ترضى مبينا للمفعول علي وأبو بكر وحماد والمفضل زهرة بفتح الهاء قتيبة وسهل ويعقوب الآخرون بسكونها وقرأ حمزة وعلى وخلف هذه السورة وكل سورة آياتها على الياء بالامالة المفرطة وان شاء بين الفتح والكسر ۞ الوقوف عزما ○ الا ابليس ط أبى ○ فتشقى ○ ولا تعرى ○ لمن قرأ وانك بالكسر ولا تضحى ○ لا يبلى ○ الجنة ز لنوع عدول عن ذكر حال اثنين الى بيان فعل من هو المقصود فغوى ○ ص وهدى ○ عدو ج لابتداء الشرط مع الفاء ولا يشقى ○ يوم القيامة أعمى ○ بصيرا ○ فنسيتها ج لعطف المختلفتين تنسى ○ بآيات ربه ط وأبقى ○ مساكنهم ط النهى ○ مسمى ○ ط غروبها ج لعطف الجملتين مع اختلاف النظم ترضى ○ لنفتنهم فيه ط وأبقى ○ عليها ط رزقا ط نرزقك ط للتقوى ○ من ربه ط الاولى ○ ونخزى ○ فتربصوا ج لسين التهديد مع الفاء اهتدى ○ ۞ التفسير في تعلق قصة آدم بما قبلها وجوه منها أنه لما قال كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق ثم عظم شأن القرآن وبالغ فيه ذكر هذه القصة انجازا للوعد ومنها أنه لما قال وصرفنا

كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال حدثت عن وهب بن منبه قال قالوا يا موسى اما أن تلقى واما أن نكون أول من ألقى قال بل ألقوا فكان أول ما اختطفوا بسحرهم بصر موسى وبصر فرعون ثم أبصار الناس بعد ثم ألقى كل رجل منهم ما في يده من العصى والحبال فاذا هي حيات كأمثال الجبال قد ملأت الوادي يركب بعضها بعضا * واختلفت القراء في قراءة قوله يخيل اليه فقرأ ذلك عامة قراء الامصار يخيل اليه بالياء بمعنى يخيل اليهم سعيها واذا قرئ ذلك كذلك كانت أن في موضع رفع وروى عن الحسن البصري أنه كان يقرؤه تخيل بالتاء بمعنى تخيل حبالهم وعصيهم بأنها تسعى ومن قرأ ذلك كذلك كانت أن في موضع نصب لتعلق تخيل بها وقد ذكر عن بعضهم أنه كان يقرؤه تخيل اليه بمعنى تتخيل اليه واذا قرئ ذلك كذلك أيضا فان في موضع نصب بمعنى تتخيل بالسعي لهم والقراءة التي لا يجوز عندي في ذلك غيرها يخيل بالياء لاجماع الحجة من القراء عليه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ فأوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف انك أنت الأعلى وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى ﴾ يعني تعالى ذكره بقوله فأوجس في نفسه خوفا موسى فوجده وقوله قلنا لا تخف انك أنت الأعلى يقول تعالى ذكره قلنا لموسى اذ أوجس في نفسه خيفة لا تخف انك أنت الأعلى على هؤلاء السحرة وعلى فرعون وجنده والقاهر لهم وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا يقول وألق عصاك تبتلع حبالهم وعصيهم التي سحروها حتى خيل اليك أنها تسعى وقوله انما صنعوا كيد ساحر اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة انما صنعوا كيد ساحر برفع كيد وبالألف في ساحر بمعنى ان الذي صنعه هؤلاء السحرة كيد من ساحر وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة انما صنعوا كيد سحر برفع الكيد وبغير الالف في السحر بمعنى ان الذي صنعوه كيد سحر والقول في ذلك عندي أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى وذلك أن الكيد هو المكر والخدعة فالساحر مكره وخدعته من سحر يسحره ومكر السحر وخدعته تخيله الى المسحور على خلاف ما هو به في حقيقته فالساحر كائد بالسحر والسحر كائد بالتخييل فالى أيهما أضفت الكيد فهو صواب وقد ذكر عن بعضهم أنه قرأ كيد سحر بنصب كيد ومن قرأ ذلك كذلك جعل انما حرفا واحدا وأعمل صنعوا في كيد « قال أبو جعفر » وهذه قراءة لا أستجيز القراءة بها لاجماع الحجة من القراء على خلافها وقوله ولا يفلح الساحر حيث أتى يقول ولا يظفر الساحر بسحره بما طلب أين كان وقد ذكر عن بعضهم أنه كان يقول معنى ذلك أن الساحر يقتل حيث وجد وذكر بعض نحويي البصرة أن ذلك في حرف ابن مسعود ولا يفلح الساحر أين أتى وقال العرب تقول جئتك من حيث لا تعلم ومن أين لا تعلم وقال غيره من أهل العربية الاول جزاء يقتل الساحر حيث أتى وأين أتى وقال أما قول العرب جئتك من حيث لا تعلم ومن أين لا تعلم فانما هو جواب لم يفهم فاستفهم كما قالوا أين الماء والعشب ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ فألقي السحرة سجدا قالوا آمنا برب هرون وموسى قال آمنتم له قبل أن آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى ﴾ وفي هذا الكلام متروك قد استغني بدلالة ما ترك عليه وهو فألقي موسى عصاه فتلقفت ما صنعوا فألقي السحرة سجدا قالوا

فيه من الوعيد أردفه بهذه القصة ليعلم أن طاعة بني آدم للشيطان أمر قديم وخلة موروثة وذلك أنه عهد الى آدم من قبل هؤلاء الذين صرف لأجلهم الوعيد فنسي وترك العهد ومنها أن قوله ولا تعجل بالقرآن دليل على أنه صلى الله عليه وسلم زاد على قدر الواجب في رعاية أمر الدين وكان مفرطا في أداء الرسالة وحفظ ما أمر به فناسب أن يعطف عليه قصة آدم لأنه كان موسوما بالتفريط والافراط والتفريط كلاهما من باب ترك الاولى واذا كان أول الأنبياء وخاتمهم موصوفين بما فيه نوع تقصير فما ظنك بغيرهما ومن هنا يعرف أفضلية الخاتم فانه سعى في طلب الكمال الى أن عوتب بالخروج عن حد الاعتدال وآدم توسط في حيز النقصان فلا جرم وسم بالظلم والعصيان ومنها أن محمدا صلى الله عليه وآله أمر بأن يقول رب زدني علما ثم ذكر عقيبه قصة آدم تنبيها على أن بني آدم مفتقرون في جميع أحوالهم الى التضرع واللجأ الى الله حتى ينفتح عليهم أبواب التيسير في العلم والعمل ومعنى (عهدنا الى آدم) أمرناه ووصيناه (من قبل) أي من قبل محمد والقرآن وفي النسيان قولان أحدهما أنه نقيض الذكر عن الحسن والله ما عصى قط الا بنسيان والثاني أن معناه الترك وعلى هذا يحتمل أن يقال أقدم على الأكل من غير تأويل وأن يقال أقدم عليه بتأويل قدم في البقرة قال أهل الاشارة عهد اليه أن لا يعلق نوره فانقاد للشيطان وهو النسيان والعزم أيضا فيه أقوال أحدها عزما على الذنب لأنه أخطأ ولم يتعمد وثانيها عزما في العود الى الذنب ثانيا وثالثها رأيا وصبرا أي لم يكن من أهل العزيمة والثبات اذ كان من حقه أن يتصلب في المأمور به فصلبا يؤيس الشيطان من التسويل قال جار الله قوله ولم نجد له يجوز أن يكون بمعنى العلم ومفعولا له عزما وأن يكون بمعنى نقيض العدم كأنه قال وعدمنا له عزما قوله (واذ قلنا للملائكة) سلف في البقرة مستقصى قوله (ان هذا عدو لك) ذكر وا في سبب عداوته اياه أنه كان شابا عالما

آمنا برب هرون وموسى وذكر أن موسى لما ألقى ما في يده تحول ثعبانا فالتقم كل ما كانت السحرة ألقته من الحبال والعصي ذكر الرواية عمن قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد قال لما اجتمعوا وألقوا ما في أيديهم من السحر خيل اليه من سحرهم أنها تسعى فأوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف انك أنت الأعلى وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين قال فتحت فالها مثل الدحل ثم وضعت مشفرها على الارض ورفعت الآخر ثم استوعبت كل شئ ألقوه من السحر ثم جاء اليها فقبض عليها فاذا هي عصا فخر السحرة سجدا قالوا آمنا برب هرون وموسى قال آمنتم له قبل أن آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف قال فكان أول من قطع الأيدي والأرجل من خلاف فرعون ولأصلبنكم في جذوع النخل قال فكان أول من صلب في جذوع النخل فرعون حدثنا موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي فأوجس في نفسه خيفة موسى فأوحى الله اليه لا تخف وألق ما في يمينك تلقف ما يأفكون فألقى عصاه فأكلت كل حبة لهم فلما رأوا ذلك سجدوا وقالوا آمنا برب العالمين رب هرون وموسى حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال حدثت عن وهب بن منبه فأوجس في نفسه خيفة موسى لما رأى ما ألقوا من الحبال والعصي خيل اليه أنها تسعى وقال والله ان كانت لعصيا في أيديهم ولقد عادت حيات وما تعدو عصاي هذه أو كما حدث نفسه فأوحى الله اليه أن ألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى وفرح موسى فألقى عصاه من يده فاستعرضت ما ألقوا من حبالهم وعصيهم وهي حيات في عين فرعون وأعين الناس تسعى فجعلت تلقفها تبتلعها حية حية حتى ما يرى بالوادي قليل ولا كثير مما ألقوا ثم أخذها موسى فاذا هي عصا في يده كما كانت ووقع السحرة سجدا قالوا آمنا برب هرون وموسى لو كان هذا سحرا ما غلبنا وقوله قال آمنتم له قبل أن آذن لكم يقول جل ثناؤه وقال فرعون للسحرة أصدقتم وأقررتم لموسى بما دعاكم اليه من قبل أن أطلق ذلك لكم انه لكبيركم يقول ان موسى لعظيمكم الذي علمكم السحر كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال حدثت عن وهب بن منبه قال لما قالت السحرة آمنا برب هرون وموسى قال لهم فرعون وأسف ورأى الغلبة البينة آمنتم له قبل أن آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر أي لعظيم السحار الذي علمكم وقوله فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف يقول فلأقطعن أيديكم وأرجلكم مخالفا بين قطع ذلك وذلك أن يقطع يمنى اليدين ويسرى الرجلين أو يسرى اليدين ويمنى الرجلين فيكون ذلك قطعا من خلاف وكان فيما ذكر أول من فعل ذلك فرعون وقد ذكرنا الرواية بذلك وقوله ولأصلبنكم في جذوع النخل يقول ولأصلبنكم على جذوع النخل كما قال الشاعر

هم صلبوا العبدي في جذع نخلة * فلا عطست شيبان الا بأجدعا

يعني على جذع نخلة وانما قيل في جذوع لان المصلوب على الخشبة يرفع في طولها ثم يصير عليها فيقال صلب عليها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولأصلبنكم في جذوع النخل لما رأى السحرة ما جاء به عرفوا أنه من الله فخروا سجدا وآمنوا عند ذلك قال

قوله وعلم ادم الاسماء كلها وابليس كان شيخا جاهلا لانه أثبت فضله بفضيلة أصله والشيخ الجاهل أبدا يكون عدو الشاب العالم وأيضا الماء والتراب متضادان للنار (فلا يخرجنكما) فلا يكون (١٤٢) سببا لاخراجكما لان الفاعل الحقيقي هو الله سبحانه (فتشقى) فتتعب في طلب القوت وسائر ما يتعيش به الانسان أسند الشقاء اليه وحده مع اشتراكهما في الخروج لان الرجل أصل في باب الانفاق والكسب والمرأة تابعة له ثم بين ذلك الشقاء بقوله (ان لك أن لا تجوع فيها) الى آخره والظمأ العطش وتقول ضحيت للشمس بالكسر أضحى ضحاء ممدودا اذا برزت لها والمراد به الكن مع أن الجنة ليس فيها شمس حتى يتصور فيها الضحاء نفى كون هذه الامور في الجنة ليثبت حصولها في غيرها ولا ريب أن أصول المتاعب في الدنيا هي الشبع والري والكسوة والكن وأما المنكوح فشتركة الا أن مؤن النكاح تختص بالدنيا وأنها أيضا ترجع الى المذكورات روى أنه كان لباسهما الظفر فلما أصابا الخطيئة نزع عنهما وتركت هذه البقايا في أطراف الأصابع (فوسوس اليه الشيطان) أنهى اليه وسوسة كما مر في الاعراف بيان الوسوسة أنه (قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد) أضافها الى الخلد وهو الخلود لان من أكل منها خلد بزعمه كما قيل لحيزوم فرس الحياة لان من باشر أثره حي (وملك لا يبلى) أي لا ينقطع ولا يزول قال القاضي ليس في الظاهر أنه قبل ذلك منه لانه لا بد أن يحصل بين حال التكليف وحال المجازاة فصل بالموت والنبي يمتنع أن لا يعلم هذا القدر وأجيب بالمنع ولو سلم فلم لا يكفي الفصل بغشي أو نوم خفيف ولو سلم أنه لا يكفي فلم استحال أن يجهل النبي ذلك كما جهل عدم جواز الرؤية على زعمكم حين قال أرني أنظر اليك ومما يدل على أن آدم قبل وسوسته ذكره قوله تعالى (فأكلا) بالفاء والفاء مشعر بالعلية كقول الصحابي زنى ماعز فرجم وما في الآية قدمر تفسيره في الاعراف الا قوله (وعصى آدم ربه

عدو الله فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف الآية **حدثنا** موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال فرعون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل فقتلهم وقطعهم كما قال عبد الله بن عباس حين قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين وقال كانوا في أول النهار سحرة وفي آخر النهار شهداء وقوله ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى يقول ولتعلمن أيها السحرة أينا أشد عذابا لكم وأدوم أنا أو موسى ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض انما تقضي هذه الحياة الدنيا انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى﴾ يقول تعالى ذكره قالت السحرة لفرعون لما توعدهم بما توعدهم به لن نؤثرك فنتبعك ونكذب من أجلك موسى على ما جاءنا من البينات يعني من الحجج والأدلة على حقيقة ما دعاهم اليه موسى والذي فطرنا يقول قالوا لن نؤثرك على الذي جاءنا من البينات وعلى الذي فطرنا ويعني بقوله فطرنا خلقنا فالذي من قوله والذي فطرنا خفض على قوله ما جاءنا وقد يحتمل أن يكون قوله والذي فطرنا خفضا على القسم فيكون معنى الكلام لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والله وقوله فاقض ما أنت قاض يقول فاصنع ما أنت صانع واعمل بنا ما بدا لك انما تقضي هذه الحياة الدنيا يقول انما تقدر أن تعذبنا في هذه الحياة الدنيا التي تفنى ونصب الحياة الدنيا على الوقت وجعلت انما حرفا واحدا * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال حدثت عن وهب بن منبه لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا أي على الله على ما جاءنا من الحجج مع بينة فاقض ما أنت قاض أي اصنع ما بدا لك انما تقضي هذه الحياة الدنيا أي ليس لك سلطان الا فيها ثم لا سلطان لك بعده وقوله انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا يقول تعالى ذكره انا أقررنا بتوحيد ربنا وصدقنا بوعده ووعيده وأن ما جاء به موسى حق ليغفر لنا خطايانا يقول ليعفو لنا عن ذنوبنا فيسترها علينا وما أكرهتنا عليه من السحر يقول ليغفر لنا ذنوبنا وتعلمنا ما تعلمنا من السحر وعملنا به الذي أكرهتنا على تعلمه والعمل به وذكر أن فرعون كان أخذهم بتعليم السحر ذكر من قال ذلك **حدثني** موسى بن سهل قال ثنا نعيم ابن حماد قال ثنا سفيان بن عيينة عن أبي سعيد عن عكرمة عن ابن عباس في قول الله تبارك وتعالى وما أكرهتنا عليه من السحر قال غلمان دفعهم فرعون الى السحرة تعلمهم السحر بالفرما **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وما أكرهتنا عليه من السحر قال أمرهم بتعلم السحر قال تركوا كتاب الله وأمروا قومهم بتعليم السحر وما أكرهتنا عليه من السحر قال أمرتنا أن نتعلمه وقوله والله خير وأبقى يقول والله خير منك يا فرعون جزاء لمن أطاعه وأبقى عذابا لمن عصاه وخالف أمره كما **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق والله خير وأبقى خير منك ثوابا وأبقى عذابا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي معشر عن محمد بن كعب ومحمد بن قيس في قول الله والله خير وأبقى قالا خير امنك ان أطيع وأبقى منك عذابا ان عصى ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿انه من يأت ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى﴾ يقول تعالى

فغوى) قال بعض الناس ان آدم ذنبه كبيرة والامم يوصف بالعصيان والغواية فان العاصى والغاوى اسمان مذمومان عرفا وشرعا وقد ترتب الوعيد عليهما وأجيب بأن المعصية مخالفة الامر والامر قد يكون مندوبا وزيف بالمنع من أن المندوب غير مأمور به ثم من أن مخالفه عاص والا كان الأنبياء كلهم عصاة لانهم لا ينكفون عن ترك المندوب قالوا يقال أشرت اليه فى أمر كذا فعصانى وأمرته بشرب الدواء فعصانى وأجيب بالمنع من أن هذا من مستعملات العرب العاربة ولو سلم فلعله انما يقال ذلك اذا عرف أن المستشير لابد له أن يفعل ذلك وحينئذ يكون معنى الايجاب حاصلا وان لم يكن وجوب شرعى لان ذلك الايجاب لم يصدر عن الشارع ومنهم من زعم أنه ذنب صغير وهم عامة المعتزلة وردبأن العاصى اسم من يستحق العقاب وهذا لا يليق بالصغيرة وأجاب أبو مسلم الاصفهانى بأنه عصى فى مصالح الدنيا لا فيما يتصل بالتكاليف ولهذا قال سبحانه فغوى أى خاب من نعيم الجنة لأن الرشد هو أن يتوصل بشئ الى شئ فيصل الى المقصود والغى ضده وأنه سعى فى طلب الخلود فنال ضد المقصود وعن بعضهم فغوى أى بشم من كثرة الاكل وزيفه جار الله وردقول أبى مسلم بأن مصالح الدنيا تكون مباحة فلا يوصف تاركها بالعصيان قلت فى هذا نظر والأحوط فى هذا الباب أن يعتقد كون هذه الواقعة قبل النبوة بدليل قوله (ثم اجتباه ربه) أى اختاره للرسالة (وهدى) لحفظ أسباب العصمة أصل الاجتباء هو الجمع كما مر فى آخر الاعراف يروى عن أبى أمامة

ذكره مخبرا عن قيل السحرة لفرعون انه من يأت ربه من حلقه مجرما يقول مكتسبا الكفر به فان له جهنم يقول فان له جهنم مأوى ومسكنا جزاء له على كفره لا يموت فيها فيخرج نفسه ولا يحيا فتستقر نفسه فى مقرها فتطمئن ولكنها تتعلق بالحناجر منهم ومن يأته مؤمنا موحدا لا يشرك به قد عمل الصالحات يقول قد عمل ما أمره به ربه وانتهى عما نهاه عنه فأولئك لهم الدرجات العلى يقول فأولئك الذين لهم درجات الجنة العلى ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى﴾ يقول تعالى ذكره ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى ثم بين تلك الدرجات العلى ما هى فقال هن جنات عدن يعنى جنات اقامة لا ظعن عنها ولا نفاد لها ولا فناء تجرى من تحتها الانهار يقول تجرى من تحت أشجارها الانهار خالدين فيها يقول ماكثين فيها الى غير غاية محدودة فالجنات من قوله جنات عدن مرفوعة بالرد على الدرجات كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فى قوله ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى قال عدن وقوله وذلك جزاء من تزكى يقول وهذه الدرجات العلى التى هى جنات عدن على ما وصف جل جلاله ثواب من تزكى يعنى من تطهر من الذنوب فأطاع الله فيما أمره ولم يدنس نفسه بمعصيته فيما نهاه عنه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولقد أوحينا الى موسى أن أسر بعبادى فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى﴾ يقول تعالى ذكره ولقد أوحينا الى نبينا موسى اذ تابعناله الحجج على فرعون فأبى أن يستجيب لأمر ربه وطغى وتمادى فى طغيانه أن أسر ليلا بعبادى يعنى بعبادى من بنى اسرائيل فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا يقول فاتخذ لهم فى البحر طريقا يابسا واليبس واليبس بجمع أيباس تقول وقفوا فى أيباس من الارض واليبس المخفف يجمع يبوس * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله يبسا قال يابسا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وأما قوله لا تخاف دركا ولا تخشى فانه يعنى لا تخاف من فرعون وجنوده أن يدركوك من ورائك ولا تخشى غرقا من بين يديك ووحلا * وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله لا تخاف دركا ولا تخشى يقول لا تخاف من آل فرعون دركا ولا تخشى من البحر غرقا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لا تخاف دركا ولا تخشى يقول لا تخاف أن يدركك فرعون من بعدك ولا تخشى الغرق أمامك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال أصحاب موسى هذا فرعون قد أدركنا وهذا البحر قد غشينا فأنزل الله لا تخاف دركا أصحاب فرعون ولا تخشى من البحر وحلا حدثنى أحمد ابن الوليد الرملى قال ثنا عمرو بن عون قال ثنا هشيم عن بعض أصحابه فى قوله لا تخاف دركا ولا تخشى قال الوحل * واختلفت القراء فى قراءة قوله لا تخاف دركا فقرأته عامة قراء الامصار غير الأعمش وحمزة لا تخاف دركا على الاستئناف بلا كما قال واصطبر عليها لا نسألك رزقا فرفع وأكثر

ورؤيت أحلام بنى آدم يحلم آدم لرجح حلمه وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما قال العلماء فيه دليل على أنه لا راد لقضائه وما قدره كائن لا محالة واذا جاء القضاء عمى البصر والدليل قد يكون فى غاية الظهور ومع ذلك يخفى على أعقل الناس كما خفى على آدم عداوة ابليس وأنه

ماجاء فى الامر الجواب مع لا بالرفع وقرأ ذلك الأعمش وحمزة لاتخف دركا فجزما لاتخاف على الجزم ورفعا ولاتخشى على الاستئناف كما قال جل ثناؤه يولوكم الأدبار ثم لاينصرون فاستأنف بثم ولم يجزه بقوله ولاتخشى الجزم وفيه الياء كان جائزا كما قال الراجز * هزى اليك الجذع يجنيك الجنا * وأعجب القراءتين الى أن أقرأ بهما لاتخاف على وجه الرفع لان ذلك أفصح اللغتين وان كانت الاخرى جائزة وكان بعض نحويى البصرة يقول معنى قوله لاتخاف دركا اضرب لهم طريقا لاتخاف فيه دركا قال وحذف فيه كما تقول زيدا أكرمت وأنت تريد أكرمته وكما تقول واتقوا يوما لاتجزى نفس عن نفس شيأ أى لاتجزى فيه وأما نحويو الكوفة فانهم ينكرون حذف فيه الا فى المواقيت لانه يصلح فيها أن يقال قمت اليوم وفى اليوم ولا يجيزون ذلك فى الاسماء ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ماغشيهم وأضل فرعون قومه وماهدى﴾ يقول تعالى ذكره فسرى موسى ببنى اسرائيل اذ أوحينا اليه أن أسر بهم فأتبعهم فرعون بجنوده حين قطعوا البحر فغشى فرعون وجنده من اليم ماغشيهم فغرقوا جميعا فأضل فرعون قومه وما هدى يقول جل ثناؤه وجاوز فرعون بقومه عن سواء السبيل وأخذ بهم على غير استقامة وذلك أنه سلك بهم طريق أهل النار بأمرهم بالكفر بالله وتكذيب رسله وماهدى يقول وماسلك بهم الطريق المستقيم وذلك أنه نهاهم عن اتباع رسول الله موسى والتصديق به فأطاعوه فلم يهتدوا بأمره اياهم بذلك ولم يهتدوا باتباعهم اياه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يابنى اسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الأيمن ونزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات مارزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبى﴾ يقول تعالى ذكره فلما نجا موسى بقومه من البحر وغشى فرعون وقومه من اليم ماغشيهم قلنا لقوم موسى يابنى اسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم فرعون وواعدناكم جانب الطور الأيمن ونزلنا عليكم المن والسلوى وقد ذكرنا كيف كانت مواعدة الله موسى وقومه جانب الطور الأيمن وقد بينا المن والسلوى باختلاف المختلفين فيهما وذكرنا الشواهد على الصواب من القول فى ذلك فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع * واختلفت القراء فى قراءة قوله قد أنجيناكم فكانت عامة قراء المدينة والبصرة يقرؤنه قد أنجيناكم بالنون والالف وسائر الحروف الأخر معه كذلك وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة قد أنجيتكم بالتاء وكذلك سائر الحروف الأخر الا قوله ونزلنا عليكم المن والسلوى فانهم وافقوا الآخرين فى ذلك وقرؤه بالنون والالف والقول فى ذلك عندنا أنهما قراءتان معروفتان باتفاق المعنى فبأيتهما قرأ القارئ ذلك فصيب وقوله كلوا من طيبات مارزقناكم يقول تعالى ذكره لهم كلوا يابنى اسرائيل من شهيات رزقنا الذى رزقناكم وحلاله الذى طيبناه لكم ولا تطغوا فيه يقول ولاتعتدوا فيه ولا تظلم فيه بعضكم بعضا كما حدثنا على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ولا تطغوا فيه يقول ولا تظلموا وقوله فيحل عليكم غضبى يقول فينزل عليكم عقوبتى كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فيحل عليكم غضبى يقول فينزل عليكم غضبى * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والمدينة والبصرة والكوفة فيحل عليكم بكسر الحاء ومن يحلل بكسر اللام ووجهوا معناه الى فيجب عليكم غضبى وقرأ ذلك جماعة من أهل الكوفة فيحل عليكم بضم الحاء ووجهوا تأويله الى ماذكرنا عن قتادة من أنه فيقع وينزل عليكم غضبى * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء وقد حذر الله الذين قيل لهم هذا القول

تعرض لسخط الله فى شأنه حين امتنع من سجوده فكيف قبل منه وسوسة لولا كتاب من الله سبق قال المحققون الأولى أن لا يطلق لفظ العاصى والغاوى على آدم عليه السلام وان ورد فى القرآن وعصى آدم ربه فغوى لأنه لم تصدر عنه الزلة الامرة واحدة وصيغة اسم الفاعل تنبئ عن المزاولة ولان المسلم اذا تاب عن الشرب أو الزنا وحسنت توبته لا يقال له شارب وزان ولان السيد يجوز له أن يشتم عبده بما شاء وليس لغيره ذلك (قال اهبطا) قدمر تفسير مثله فى البقرة خاطبهما بالهبوط لانهما أصلا البشر ثم عم الخطاب لهما ولذريتهما فى قوله فاما يأتينكم أما قوله (بعضكم لبعض عدو) فقد قال القاضى يكفى فى توفية هذا الظاهر حقه أن يكون ابليس والشياطين أعداء الناس والناس أعداء لهم فاذا انضاف الى ذلك عداوة بعض الفريقين لبعض لم يمتنع دخوله فى الكلام عن ابن عباس ضمن الله لمن اتبع القرآن أن لا يضل فى الدنيا ولا يشقى فى الآخرة ثم تلا قوله فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى والسبب فيه أن العقاب فى الآخرة لأجل أنه قد ضل عن الدين فى مدة التكليف واتباع كتاب الله يستلزم عدم

من بنى اسرائيل وقوع بأسه بهم ونزوله بمعصيتهم اياه ان هم عصوه وخوفهم وجوبه لهم فسواء قرئ ذلك بالوقوع أو بالوجوب لأنهم كانوا قد خوفوا المعنيين كليهما ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى﴾ يقول تعالى ذكره ومن يجب عليه غضبى فينزل به فقد تردى فشقى كما حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فقد هوى يقول فقد شقى وقوله وانى لغفار لمن تاب يقول وانى لذو غفر لمن تاب من شركه فرجع منه الى الايمان بى وآمن يقول وأخلص لى الالوهة ولم يشرك فى عبادته اياى غيرى وعمل صالحا يقول وأدى فرائضى التى افترضتها عليه واجتنب معاصى ثم اهتدى يقول ثم لزم ذلك فاستقام ولم يضيع شيأ منه * وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وانى لغفار لمن تاب من الشرك وآمن يقول وحد الله وعمل صالحا يقول أدى فرائضى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وانى لغفار لمن تاب من ذنبه وآمن به وعمل صالحا فيما بينه وبين الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى جعفر الرازى عن الربيع وانى لغفار لمن تاب من الشرك وآمن يقول وأخلص لله وعمل فى اخلاصه واختلفوا فى معنى قوله ثم اهتدى فقال بعضهم معناه لم يشك فى ايمانه ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ثم اهتدى يقول لم يشك * وقال آخرون معنى ذلك ثم لزم الايمان والعمل الصالح ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ثم اهتدى يقول ثم لزم الاسلام حتى يموت عليه * وقال آخرون بل معنى ذلك ثم استقام ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى جعفر الرازى عن الربيع بن أنس ثم اهتدى قال أخذ بسنة نبيه صلى الله عليه وسلم * وقال آخرون بل معناه أصاب العمل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وعمل صالحا ثم اهتدى قال أصاب العمل * وقال آخرون معنى ذلك عرف أمر مثيبه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن الكلبى وانى لغفار لمن تاب من الذنب وآمن من الشرك وعمل صالحا أدى ما افترضت عليه ثم اهتدى عرف مثيبه ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا * وقال آخرون بما حدثنا اسمعيل بن موسى الفزارى قال أخبرنا عمر بن شاكر قال سمعت ثابتا البنانى يقول فى قوله وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى قال الى ولاية أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم * قال أبو جعفر وانما اخترنا القول الذى اخترنا فى ذلك من أجل أن الاهتداء هو الاستقامة على هدى ولا معنى للاستقامة عليه الا وقد جمعه الايمان والعمل الصالح والتوبة فمن فعل ذلك وثبت عليه فلا شك فى اهتدائه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما أعجلك عن قومك يا موسى قال هم أولاء على أثرى وعجلت اليك رب لترضى﴾ يقول تعالى ذكره وما أعجلك وأى شىء أعجلك عن قومك يا موسى فتقدمتهم وخلفتهم وراءك ولم تكن معهم قال هم أولاء على أثرى يقول قومى على أثرى يلحقون بى وعجلت اليك رب لترضى يقول وعجلت أنا فسبقتهم رب كيما ترضى عنى وانما قال الله تعالى ذكره لموسى ما أعجلك عن قومك لانه جل ثناؤه فيما بلغنا حين نجاه وبنى اسرائيل من فرعون وقومه وقطع بهم البحر وعدهم جانب الطور الايمن فتعجل موسى الحدب وأقام هرون فى بنى اسرائيل يسير بهم على أثر موسى كما حدثنا ابن حميد قال ثنا

الضلال عن الدين المستتبع للنجاة من العقاب فى الآخرة وأما الشقاء الذى قد يلحق المؤمن فى الدنيا فلا اعتداد به لقصر مدته على أن الرضا بالقضاء يهون عليه مصائب الدنيا وآفاتها ثم ذكر وعيد من أعرض عن ذكره ظاهر الكلام يدل على ان الذكر ههنا هو الهدى المذكور لان قوله ومن أعرض عن ذكرى فى مقابلة قوله فمن اتبع هداى وقد مر فى أول البقرة أن المراد به الشريعة والبيان وقال كثير من المفسرين ان الذكر هو القرآن وسائر كتب الله وفيه نوع تخصيص والضنك الضيق مصدر وصف به

سلمة عن ابن اسحق قال وعد الله موسى حين أهلك فرعون وقومه ونجاه وقومه ثلاثين ليلة ثم
بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة تلقاه فيها بما شاء فاستخلف موسى هرون فى بنى اسرائيل
السامرى يسيرهم على أثر موسى ليلحقهم به فلما كلم الله موسى قال له ما أعجلك عن قومك
يا موسى قال هم أولاء على أثرى وعجلت اليك رب لترضى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب
قال قال ابن زيد فى قوله وعجلت اليك رب لترضى قال لأرضيك ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى
﴿ قال فانا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامرى فرجع موسى الى قومه غضبان أسفا قال
ياقوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم
موعدى ﴾ يقول الله تعالى ذكره قال الله لموسى فانا يا موسى قد ابتلينا قومك من بعدك ببعد
العجل وذلك كان فتنتهم من بعد موسى ويعنى بقوله من بعدك من بعد فراقك اياهم يقول
تبارك وتعالى وأضلهم السامرى وكان اضلال السامرى اياهم دعاءه اياهم الى عبادة العجل وقوله
فرجع موسى الى قومه يقول فانصرف موسى الى قومه من بنى اسرائيل بعد انقضاء الأربعين
غضبان أسفا متغيظا على قومه حزينا لما أحدثوا بعده من الكفر بالله كما حدثنى محمد بن سعد
قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله غضبان أسفا
يقول حزينا وقال فى الزخرف فلما آسفونا يقول أغضبونا والأسف على وجهين الغضب والحزن
حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى غضبان أسفا يقول حزينا حدثنى
بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا
حزينا على ما صنع قومه من بعده حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا
عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن
مجاهد قوله أسفا قال حزينا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج
عن مجاهد مثله وقوله قال ياقوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا يقول ألم يعدكم ربكم أنه غفار لمن تاب
وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى ويعدكم جانب الطور الأيمن وينزل عليكم المن والسلوى فتلك وعد
الله الحسن بنى اسرائيل الذى قال لهم موسى ألم يعدكم ربكم وقوله أفطال عليكم العهد أم أردتم أن
يحل عليكم غضب من ربكم يقول أفطال عليكم العهد بى وبجميل نعم الله عندكم وأياديه لديكم أم أردتم
أن يحل عليكم غضب من ربكم يقول أم أردتم أن يجب عليكم غضب من ربكم فتستحقوه بعبادتكم
العجل وكفركم بالله فأخلفتم موعدى وكان اخلافهم موعده عكوفهم على العجل وتركهم السير على
أثر موسى للموعد الذى كان الله وعدهم وقولهم لهرون اذ نهاهم عن عبادة العجل ودعاهم الى السير
معه فى أثر موسى لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى
﴿ قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامرى
فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا الهكم وإله موسى فنسى ﴾ يقول تعالى ذكره قال قوم موسى
لموسى ما أخلفنا موعدك بملكنا يعنون بموعده عهده الذى كان عهده اليهم كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا
أبو عاصم قال ثنا عيسى ح وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن
أبى نجيح عن مجاهد قوله موعدى قال عهدى وذلك العهد والموعد هو ما بيناه قبل وقوله بملكنا
يخبر جل ذكره عنهم أنهم أقروا على أنفسهم بالخطا وقالوا انا لم نطق حمل أنفسنا على الصواب ولم نملك
أمرنا حتى وقعنا فى الذى وقعنا فيه من الفتنة * وقد اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء

ولهذا استوى فيه المذكر والمؤنث يقال منزل ضنك ومعيشة ضنك كأنه قيل ذات ضنك قالت الحكماء عيش الدنيا ضنك ضيق لانقضائه وقصر مدته وكثرة شوائبه وانما العيش الواسع عيش الآخرة وهذا الضيق المتوعد به اما فى الدنيا أو فى القبر أو فى الآخرة مال الى كل طائفة أما الأول فلأن المسلم الراضى بقضاء ربه معه من التسليم والتوكل والقناعة ما يعيش به عيشا رافغا والمعرض عن الدين متول عليه الحرص والشح فلا ينفك عن الانقباض والطموح ما ليس يناله من الفراغ

المدينة بملكنا بفتح الميم وقرأته عامة قراء الكوفة بملكنا بضم الميم وقرأه بعض أهل البصرة بملكنا بالكسر فأما الفتح والضم فهما بمعنى واحد وهما بقدرتنا وطاقتنا غير أن أحدهما مصدر والآخر اسم وأما الكسر فهو بمعنى ملك الشئ وكونه للمالك * واختلف أيضا أهل التأويل فى تأويله فقال بعضهم معناه ما أخلفنا موعدك بأمرنا ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ما أخلفنا موعدك بملكنا يقول بأمرنا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله بملكنا قال بأمرنا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * وقال آخرون معناه بطاقتنا ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا أى بطاقتنا حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا يقول بطاقتنا * وقال آخرون معناه ما أخلفنا موعدك بهوانا ولكنا لم نملك أنفسنا ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ما أخلفنا موعدك بملكنا قال يقول بهوانا قال ولكنه جاءت ثلاثة قال ومعهم حلى استعاروه من آل فرعون وثياب * قال أبو جعفر وكل هذه الاقوال الثلاثة فى ذلك متقاربات المعنى لان من لم يملك نفسه لغلبة هواه على ما أمر فانه لا يمتنع فى اللغة أن يقول فعل فلان هذا الامر وهو لا يملك نفسه وفعله وهو لا يضبطها وفعله وهو لا يطيق تركه فاذا كان ذلك كذلك فسواء بأى القراآت الثلاث قرأ ذلك القارئ وذلك أن من كسر الميم من الملك فانما يوجه معنى الكلام الى ما أخلفنا موعدك ونحن نملك الوفاء به لغلبة أنفسنا ايانا على خلافه وجعله من قول القائل هذا ملك فلان لما يملكه من المملوكات وأن من فتحها فانه يوجه معنى الكلام الى نحو ذلك غير أنه يجعله مصدرا من قول القائل ملكت الشئ أملكه ملكا وملكة كما يقال غلبت فلانا أغلبه غلبا وغلبة وأن من ضمها فانه وجه معناه الى ما أخلفنا موعدك بسلطاننا وقدرتنا أى ونحن نقدر أن نمتنع منه لأن كل من قهر شيأ فقد صار له السلطان عليه وقد أنكر بعض الناس قراءة من قرأه بالضم فقال أى ملك كان يومئذ لبنى اسرائيل وانما كانوا بمصر مستضعفين فأغفل معنى القوم وذهب غير مرادهم ذهابا بعيدا وقارئ ذلك بالضم لم يقصد والمعنى الذى ظنه هذا المنكر عليهم ذلك وانما قصدوا الى أن معناه ما أخلفنا موعدك بسلطان كانت لنا على أنفسنا نقدر أن نردها عما أتت لأن هواها غلبنا على اخلاف ذلك الموعد وقوله ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم يقول ولكنا حملنا أثقالا وأحمالا من زينة القوم يعنون من حلى آل فرعون وذلك أن بنى اسرائيل لما أراد موسى أن يسير بهم ليلا من مصر بأمر الله اياه بذلك أمرهم أن يستعيروا من أمتعة آل فرعون وحليهم وقال ان الله مغنمكم ذلك ففعلوا واستعاروا من حلى نسائهم وأمتعتهم فذلك قولهم لموسى حين قال لهم أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدى ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم فهو ما كان مع بنى اسرائيل من حلى آل فرعون يقول خطؤنا بما أصبنا من حلى عدونا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى

والرفاغ الكلى فلا هم له الا هم الدنيا
عن ابن عباس المعيشة الضنك هى أن يضيق عليه أبواب الخير فلا يهتدى لشئ منها ومن الكفرة من ضربت عليه الذلة والمسكنة
وسئل الشبلى عن قوله صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم أهل البلاء فاسألوا الله العافية فقال أهل البلاء هم أهل الغفلات عن الله تعالى فعقوبتهم أن يردهم الله تعالى الى أنفسهم وأى معيشة أضيق وأشد من أن يرد الانسان الى نفسه قلت التحقيق أن بعض البليات من العقوبات فطلب العافية منها لازم وبعضها المزيد

الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله أوزارا
قال أثقالا وقوله من زينة القوم قال هي الحلى التي استعار وامن آل فرعون فهي الأثقال
حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ولكنا
حملنا أوزارا قال أثقالا من زينة القوم قال حليهم حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا
أسباط عن السدى ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم يقول من حلى القبط حدثني يونس
قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم قال الحلى الذي
استعاروه والثياب ليست من الذنوب في شئ لو كانت الذنوب كانت حملناها نحملها فليست
الذنوب في شئ * واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة وبعض المكيين
بضم الحاء وتشديد الميم بمعنى أن موسى يحملهم ذلك وقرأته عامة قراء الكوفة والبصرة وبعض
المكيين حملنا بتخفيف الحاء والميم وفتحهما بمعنى أنهم حملوا ذلك من غير أن يكلفهم حمله أحد
* قال أبو جعفر والقول عندي في تأويل ذلك أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى لأن
القوم حملوا وأن موسى قد أمرهم بحمله فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب وقوله فقذفناها
يقول فألقيناها تلك الأوزار من زينة القوم في الحفرة فكذلك ألقى السامري يقول فكما قذفنا
نحن تلك الأثقال فكذلك ألقى السامري ما كان معه من تربة حافر فرس جبريل * وبنحو الذي
قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال
ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن
مجاهد قوله فقذفناها قال فألقيناها فكذلك ألقى السامري كذلك صنع حدثنا القاسم قال
ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فقذفناها قال فألقيناها فكذلك ألقى
السامري فكذلك صنع حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فقذفناها أي
فنبذناها وقوله فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار يقول فأخرج لهم السامري مما قذفوه ومما ألقوه
عجلا جسدا له خوار ويعني بالخوار الصوت وهو صوت البقر ثم اختلف أهل العلم في كيفية خروج
السامري العجل فقال بعضهم صاغه صياغة ثم ألقى من تراب حافر فرس جبرئيل في فمه فخار ذكر
من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فكذلك ألقى السامري وقد
كان الله وقت لموسى ثلاثين ليلة ثم أتمها بعشر فلما مضت الثلاثون قال عدو الله السامري انما
أصابكم الذي أصابكم عقوبة بالحلي الذي كان معكم فهلموا وكانت حليا (١) تعيروها من آل فرعون
فسار واوهي معهم فقذفوها اليه فصورها صورة بقرة وكان قد صر في عمامته أو في ثوبه قبضة من
أثر فرس جبرئيل فقذفها مع الحلي والصورة فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فجعل يخور خوار البقر
فقال هذا الهكم وإله موسى حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة
قال لما استبطأ موسى قومه قال لهم السامري انما احتبس عليكم لاجل ما عندكم من الحلي وكان
استعار واحليا من آل فرعون فجمعوه فأعطوه السامري فصاغ منه عجلا ثم أخذ القبضة التي قبض
من أثر الفرس فرس الملك فنبذها في جوفه فاذا هو عجل جسد له خوار قالوا هذا الهكم وإله موسى
ولكن موسى نسي ربه عندكم * وقال آخرون في ذلك بما حدثني موسى قال ثنا عمرو
قال ثنا أسباط عن السدى قال أخذ السامري من تربة الحافر حافر فرس جبرئيل فانطلق موسى
واستخلف هرون على بني اسرائيل وواعدهم ثلاثين ليلة فأتمها الله بعشر قال لهم هرون يا

الدرجات ولكن الانسان خلق ضعيفا فكثيرا ما يؤل أمر المبتلى الى الجزع والفزع فيحرم الثواب فتطلب العافية من هذا القسم أيضا خوفا من المآل وأما الثاني فعن ابن مسعود وأبي سعيد الخدري ورفعه أبو هريرة الى النبي صلى الله عليه وسلم أنه عذاب القبر للكافر وعن ابن عباس أن الآية نزلت في الاسود ابن عبد الله المخزومي والمراد ضغطة القبر تختلف فيه أضلاعه وأما الثالث فعن الحسن وقتادة والكلبي أنه ضيق في الآخرة وفي جهنم وأن طعامهم فيها الضريع والزقوم والحميم والغسلين فلا يموتون فيها

(١) لعله تعوروها أي استعاروها كما أورده في اللسان في قصة العجل من حديث ابن عباس تأمل اه كتبه مصححه

اسرائيل ان الغنيمة لا تحل لكم وان حلى القبط انما هو غنيمة فاجمعوها جميعا فاحفروا لها حفرة
ولا فتوها فان جاء موسى فأحلها أخذتموها والا كان شيأ لم تأكلوه فجمعوا ذلك الحلى فى تلك الحفرة
فجاء السامرى بتلك القبضة فقذفها فأخرج الله من الحلى عجلا جسدا له خوار وعدت بنو اسرائيل
موعد موسى فعدوا الليلة يوما واليوم يوما فلما كان لعشرين خرج لهم العجل فلما رأوه قال لهم
السامرى هذا الهكم واله موسى فنسى فعكفوا عليه يعبدونه وكان يخور ويمشى فكذلك ألقى
السامرى ذلك حين قال لهم هرون احفروا لهذا الحلى حفرة واطرحوه فيها فطرحوه فقذف
السامرى تربته وقوله فقال هذا الهكم واله موسى يقول فقال قوم موسى الذين عبدوا العجل هذا
معبودكم ومعبود موسى وقوله فنسى يقول فضل وترك ثم اختلف أهل التأويل فى قوله فنسى من
قائله ومن الذى وصف به وما معناه فقال بعضهم هذا من الله خبر عن السامرى والسامرى هو
الموصوف به وقالوا معناه أنه ترك الدين الذى بعث الله به موسى وهو الاسلام ذكر من قال ذلك
حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى محمد بن اسحق عن حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير
عن ابن عباس قال يقول الله فنسى أى ترك ما كان عليه من الاسلام يعنى السامرى * وقال
آخرون بل هذا خبر من الله عن السامرى أنه قال لبنى اسرائيل وأنه وصف موسى بأنه ذهب
يطلب ربه فأضل موضعه وهو هذا العجل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى
أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فقذفناها يعنى زينة القوم حين
أمرنا السامرى لما قبض قبضة من أثر جبرائيل عليه السلام فألقى القبضة على حليهم فصار عجلا
جسدا له خوار فقالوا هذا الهكم واله موسى الذى انطلق يطلبه فنسى يعنى نسى موسى ضل عنه
فلم يهتد له **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فنسى يقول طلب هذا
موسى فخالفه الطريق **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة
فنسى يقول قال السامرى موسى نسى ربه عندكم **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم
قال ثنا عيسى و**حدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن
أبى نجيح عن مجاهد قوله فنسى موسى قال هم يقولونه أخطأ الرب العجل **حدثنا** القاسم قال
ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فنسى قال نسى موسى أخطأ الرب
العجل قوم موسى يقولونه **حدثنى** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى
فنسى يقول ترك موسى الهه ههنا وذهب يطلبه **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال
ابن زيد فى قوله هذا الهكم واله موسى فنسى قال يقول فنسى حيث وعده ربه ههنا ولكنه نسى
حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله هذا
الهكم واله موسى فنسى يقول نسى موسى ربه فأخطأه وهذا العجل اله موسى * قال أبو جعفر
والذى هو أولى بتأويل ذلك القول الذى ذكرناه عن هؤلاء وهو أن ذلك خبر من الله عز ذكره
عن السامرى أنه وصف موسى بأنه نسى ربه وأن ربه الذى ذهب يريده هو العجل الذى أخرجه
السامرى لاجماع الحجة من أهل التأويل عليه وأنه عقيب ذكر موسى وهو أن يكون خبرا من
السامرى عنه بذلك أشبه من غيره ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أفلا يرون ألا يرجع اليهم
قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولقد قال لهم هرون من قبل يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن
فاتبعونى وأطيعوا أمرى قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى ﴾ يقول تعالى
ذكره وبخا عبدة العجل والقائلين له هذا الهكم واله موسى فنسى وعابهم بذلك وسفه أحلامهم

ولا يحيون أما قوله (ونحشره يوم القيامة أعمى) كقوله ونحشر المجرمين يومئذ زرقا فمن فسر الزرق بالعمى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى قال الجبائى أراد أنه لا يهتدى يوم القيامة الى طريق ينال منه خيرا كالأعمى وعن مجاهد والضحاك ومقاتل أنه أراد أعمى عن الحجة وهى رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس قال القاضى هذا القول ضعيف لانه لا بد فى القيامة أن يعلمهم الله تعالى بطلان ما كانوا عليه بتمييزه لهم الحق من الباطل

بما فعلوا ونالوا منه أفلا يرون أن العجل الذى زعموا أنه الههم واله موسى لا يكلمهم ولا
لم يرد عليهم جوابا ولا يقدر على ضر ولا نفع فكيف يكون ما كانت هذه صفته الها كما حد
محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى ح وحدثنى الحرث قال ثنا
قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد لا يرجع اليهم قولا العجل حدثنا
قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد أفلا يرون ألا يرجع اليهم
قال العجل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال الله أفلا يرون ألا يرجع
اليهم ذلك العجل الذى اتخذوه قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا وقوله ولقد قال لهم هرون
قبل يقول ولقد قال لعبدة العجل من بنى اسرائيل هرون من قبل رجوع موسى اليهم وقبل
ما قال مما أخبر الله عنه انما فتنتم به يقول انما اختبر الله انما نكم ومحافظتكم على دينكم به
العجل الذى أحدث فيه الخوار ليعلم به الصحيح الايمان منكم من المريض القلب الشاك فى
كما حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال لهم هرون انما فتنتم به يقول
انما ابتليتم به يقول بالعجل وقوله وان ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى يقول ولكن ربكم
الرحمن الذى يعم جميع الخلق نعمه فاتبعونى على ما آمركم به من عبادة الله وترك عبادة العجل
وأطيعوا أمرى فيما آمركم به من طاعة الله واخلاص العبادة له وقوله قالوا لن نبرح عليه عاكفين
يقول قال عبدة العجل من قوم موسى لن نزال على العجل مقيمين نعبده حتى يرجع الينا موسى
القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال ياهرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن أفعصيت أمرى﴾
قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى انى خشيت أن تقول فرقت بين بنى اسرائيل ولم ترقب قولى
يقول تعالى ذكره قال موسى لاخيه هرون لما فرغ من خطاب قومه ومراجعته اياهم على ما كان
من خطافعلهم ياهرون أى شئ منعك اذ رأيتهم ضلوا عن دينهم فكفروا بالله وعبدوا العجل ألا
تتبعنى * واختلف أهل التأويل فى المعنى الذى عذل موسى عليه أخاه من تركه اتباعه فقال
بعضهم عذله على تركه السير بمن أطاعه فى أثره على ما كان عهد اليه ذكر من قال ذلك حدثنا
ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس
قال لما قال القوم لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى أقام هرون فيمن تبعه من المسلمين
ممن لم يفتتن وأقام من يعبد العجل على عبادة العجل وتخوف هرون ان سار بمن معه من المسلمين
أن يقول له موسى فرقت بين بنى اسرائيل ولم ترقب قولى وكان له هائبا مطيعا حدثنى يونس
قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ما منعك اذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعنى قال تدعهم
* وقال آخرون بل عذله على تركه أن يصلح ما كان من فساد القوم ذكر من قال ذلك حدثنا
القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله ما منعك اذ رأيتهم ضلوا أن لا تتبعنى
قال أمر موسى هرون أن يصلح ولا يتبع سبيل المفسدين فذلك قوله أن لا تتبعنى أفعصيت أمرى
بذلك وقوله قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى وفى هذا الكلام متروك ترك ذكره استغناء بدلالة
الكلام عليه وهو ثم أخذ موسى بلحية أخيه هرون ورأسه يجره اليه فقال هرون يا ابن أم لا تأخذ
بلحيتى ولا برأسى وقوله انى خشيت أن تقول فرقت بين بنى اسرائيل ولم ترقب قولى فاختلف
أهل العلم فى صفة التفريق بينهم الذى خشيه هرون فقال بعضهم كان هرون خاف أن يسير بمن
أطاعه وأقام على دينه فى أثر موسى ويخلف عبدة العجل وقد قالوا له لن نبرح عليه عاكفين حتى
يرجع الينا موسى فيقول له موسى فرقت بين بنى اسرائيل ولم ترقب قولى بسيرك بطائفة وتركك

ومن هذه حاله لا يوصف بذلك الا مجازا باعتبار ما كان لكن قوله وقد كنت بصيرا ينافيه قال الامام فخر الدين الرازى رحمه الله ومما يؤكد هذا الاعتراض أنه تعالى علل ذلك العمى بما أن المكلف نسى الدلائل فى الدنيا فلو كان العمى الحاصل فى الآخرة عين ذلك النسيان لم يكن للمكلف بسبب ذلك ضرر كما فى الدنيا قال والتحقيق فى الجواب عن الاعتراض هو أن النفوس الجاهلة فى الدنيا اذا فارقت أبدانها تبقى على جهالتها فى الآخرة فتصير تلك الجهالة سببا لأعظم الآلام الروحانية وأقول على القاضى

يحتمل أن يكون مجازا باعتبار الغاية فقد ينفى الشئ باعتبار عدم غايته وثمرته فلا ينافى كونه أعمى فى الآخرة بهذا الاعتبار اعلام الله تعالى اياه الحجة ولا كونه بصيرا فى الدنيا كونه أعمى فى الآخرة بالاعتبار المذكور لأن المعرض عن الدليل يشبه أن يكون كافرا معاندا ويكون الغرض من الاعلام التوبيخ والالزام يؤيده قوله تعالى فى جوابه (كذلك) أى مثل ذلك فعلت أنت ثم فسر ذلك بقوله (أتتك آياتنا) أى دلائلنا واضحة مستنيرة (فنسيتها) أى تركت العمل بها والقيام بموجبها (وكذلك اليوم

قسم طائفة وراءك ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله تعالى ما منعك اذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن أفعصيت أمرى قال خشيت أن تقول فرقت بين بنى اسرائيل ولم ترقب قولى قال خشيت أن يتبعنى بعضهم ويتخلف بعضهم * وقال آخرون فى معنى ذلك خشيت أن نقتتل فيقتل بعضنا بعضا ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج انى خشيت أن تقول فرقت بين بنى اسرائيل ولم ترقب قولى قال كنا نكون فرقتين فيقتل بعضنا بعضا حتى نتفانى * قال أبو جعفر وأولى القولين فى ذلك بالصواب القول الذى قاله ابن عباس من أن موسى عذل أخاه هرون على تركه اتباع أمره من اتبعه من أهل الايمان فقال له هرون انى خشيت أن تقول فرقت بين جماعتهم فتركت اتباعهم وراءك وجئت ببعضهم وذلك بين فى قول هرون للقوم ياقوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى وفى جواب القوم له وقيلهم لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى وقوله ولم ترقب قولى يقول ولم تنظر قولى وتحفظه من مراقبة الرجل الشئ وهى مناظرته اياه كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس لم ترقب قولى قال لم تحفظ قولى ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قال فما خطبك ياسامرى قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لى نفسى ﴾ يعنى جل ثناؤه بقوله فما خطبك ياسامرى قال موسى للسامرى فما شأنك ياسامرى وما الذى دعاك الى ما فعلته كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فما خطبك ياسامرى يقول ما أمرك ما شأنك ما هذا الذى أدخلك فيما دخلت فيه حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال ما خطبك ياسامرى قال ما لك ياسامرى وقوله قال بصرت بما لم يبصروا به يقول قال السامرى علمت ما لم يعلموه وهو فعلت من البصيرة أى صرت بما عملت بصيرا كما ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قتل فرعون الولدان قالت أم السامرى لو نحيته عنى حتى لا أراه ولا أدرى فتقتله فجعلته فى غار فجاء جبرئيل فجعل كف نفسه فى فيه فجعل يرضعه العسل واللبن فلم يزل يختلف اليه حتى عرفه ثم عرفته اياه حين قال فقبضت قبضة من أثر الرسول * وقال آخرون هى بمعنى أبصرت ما لم يبصروه وقالوا يقال بصرت بالشئ وأبصرته كما يقال أسرعت وسرعت ماشئت ذكر من قال هو بمعنى أبصرت حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال بصرت بما لم يبصروا يعنى فرس جبرئيل عليه السلام وقوله فقبضت قبضة من أثر الرسول يقول قبضت قبضة من تحت حافر فرس جبرئيل * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا سلمة قال ثنى محمد بن اسحق عن حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما قذفت بنو اسرائيل ما كان معهم من زينة آل فرعون فى النار وتكسرت على السامرى أثر فرس جبرئيل عليه السلام فأخذ ترابا من أثر حافره ثم أقبل الى النار فنبذها وقال كن عجلا جسدا له خوار فكان للبلاء والفتنة حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال قبض قبضة من أثر جبرئيل فالقبضة على حليهم فصار عجلا جسدا له خوار فقال هذا الهكم وإله موسى حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها قال من

تحت حافر فرس جبرئيل نبذه السامرى على حلية بنى اسرائيل فانسبك عجلا جسدا له
خفيف الريح فيه فهو خواره والعجل ولد البقرة * واختلف القراء فى قراءة هذين الحرفين
عامة قراء المدينة والبصرة بصرت بما لم يبصروا به بالياء بمعنى قال السامرى بصرت بما لم
به بنو اسرائيل وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة بصرت بما لم تبصروا به بالتاء على وجه المخاطبة
صلى الله عليه وسلم وأصحابه بمعنى قال السامرى لموسى بصرت بما لم تبصر به أنت وأصحابك
فى ذلك عندى أنهما قراءتان معروفتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء مع صحة
كل واحدة منهما وذلك أنه جائز أن يكون السامرى رأى جبرئيل فكان عنده ما كان بأن حدثته
نفسه بذلك أو بغير ذلك من الاسباب أن تراب حافر فرسه الذى كان عليه يصلح لما حدثته
نبذه فى جوف العجل ولم يكن علم ذلك عند موسى ولا عند أصحابه من بنى اسرائيل فقال
لموسى بصرت بما لم تبصر وا به أى علمت بما لم تعلموا به وأما اذا قرئ بصرت بما لم يبصروا به
فلا مؤنة فيه لانه معلوم أن بنى اسرائيل لم يعلموا ما الذى يصلح له ذلك التراب وأما قوله فقبضت
قبضة من أثر الرسول فان قراءة الامصار على قراءته بالضاد بمعنى فأخذت بكفى كلها ترابا من زلق
فرس الرسول وروى عن الحسن البصرى وقتادة ما حدثنى أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم
قال ثنا هشيم عن عباد بن عوف عن الحسن أنه قرأها فقبصت قبصة بالصاد وحدثنى أحمد
ابن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا هشيم عن عباد عن قتادة مثل ذلك بالصاد بمعنى أخذت
بأصابعى من تراب أثر فرس الرسول والقبضة عند العرب الأخذ بالكف كلها والقبصة الأخذ
بأطراف الأصابع وقوله فنبذتها يقول فألقيتها وكذلك سولت لى نفسى يقول وكما فعلت
القائى القبضة التى قبضت من أثر الفرس على الحلية التى أوقد عليها حتى انسبكت فصارت
جسدا له خوار سولت لى نفسى يقول زينت لى نفسى أنه يكون ذلك كذلك كما حدثنى يونس
قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد وكذلك سولت لى نفسى قال كذلك حدثنى يونس

* القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قال فاذهب فان لك فى الحياة أن تقول لا مساس وان لك موعدا
لن تخلفه وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه فى اليم نسفا انما الهكم
الذى لا اله الا هو وسع كل شئ علما ﴾ يقول تعالى ذكره قال موسى للسامرى فاذهب فان لك
فى أيام حياتك أن تقول لا مساس أى لا أمس ولا أمس وذكر أن موسى أمر بنى اسرائيل أن
لا يواكلوه ولا يخالطوه ولا يبايعوه فلذلك قال له ان لك فى الحياة أن تقول لا مساس فبقى ذلك
ذكر فى قبيلته كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان
السامرى عظيما من عظماء بنى اسرائيل من قبيلة يقال لها سامرة ولكن عدو الله نافق بعد ما
البحر مع بنى اسرائيل قوله فاذهب فان لك فى الحياة أن تقول لا مساس فبقايا هم اليوم يقولون
لا مساس وقوله وان لك موعدا لن تخلفه اختلفت القراء فى قراءته فقرأته عامة قراء أهل المدينة
والكوفة لن تخلفه بضم التاء وفتح اللام بمعنى وان لك موعد العذاب وعقوبة تبتدئ على ما فعلت
اضلالك قومى حتى عبدوا العجل من دون الله لن يخلفكه الله ولكن يذيقكه وقرأ ذلك الحسن
وقتادة وأبو نهيك وان لك موعدا لن تخلفه بضم التاء وكسر اللام بمعنى وان لك موعدا لن تخلفه أنت
يا سامرى وتأولوه بمعنى لن تغيب عنه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن
واضح قال ثنا عبد المؤمن قال سمعت أبا نهيك يقرأ لن تخلفه أنت يقول لن تغيب عنه حدثنا
بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وان لك موعدا لن تخلفه يقول لن تغيب عنه

قال

تنسى) تترك بلا فائدة النظر والاعتبار وعلى الامام الرازى انه لا يلزم من كون المكلف غير متضرر بنسيان الدلائل فى الدنيا كونه غير متضرر به فى الآخرة وأما قوله فى الجواب المحقق بناء على قاعدة الحكيم ان جهل النفس يصير سببا لتعذيبها فان كان منع القول المعتزلة انه تعالى يعلم المكلف بطلان ما كان عليه فى الدنيا فذاك لا يفتقر الى العدول وان كان تسليما لقولهم فمن أين يتحمل الاعتراض هذا وقد رأيت فى بعض الآثار ان أشد الناس عمى يوم القيامة هم الذين حفظوا القرآن ثم نسوه دليله قوله

« قال أبو جعفر » والقول فى ذلك عندى أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى لانه لاشك أن الله موف وعده خلقه بحشرهم لموقف الحساب وأن الخلق موافون ذلك اليوم فلا الله مخلفهم ذلك ولا هم مخلفوه بالتخلف عنه فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب فى ذلك وقوله وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا يقول وانظر الى معبودك الذى ظلت عليه مقيما تعبده كما حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ظلت عليه عاكفا الذى أقمت عليه حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال فقال له موسى انظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا يقول الذى أقمت عليه وللعرب فى ظلت لغتان الفتح فى الظاء وبها قرأ قراء الامصار والكسر فيها وكأن الذين كسروا نقلوا حركة اللام التى هى عين الفعل من ظلت اليها ومن فتحها أقر حركتها التى كانت لها قبل أن يحذف منها ئ والعرب تفعل فى الحروف التى فيها التضعيف ذلك فيقولون فى مسست مست ومست وفى هممت بذلك همت به وهل أحست فلانا وأحسسته كما قال الشاعر

خلا ان العتاق من المطايا * أحسن به فهن اليه شوس

وقوله لنحرقنه اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق لنحرقنه بضم النون وتشديد الراء بمعنى لنحرقنه بالنار قطعة قطعة وروى عن الحسن البصرى أنه كان يقرأ ذلك لنحرقنه بضم النون وتخفيف الراء بمعنى لنحرقنه بالنار احراقة واحدة وقرأه أبو جعفر القارئ لنحرقنه بفتح النون وضم الراء بمعنى لنبردنه بالمبارد من حرقته أحرقه وأحرقه كما قال الشاعر

بذى فرقين يوم بنو حبيب * نيوبهم علينا يحرقونا

* والصواب فى ذلك عندنا من القراءة لنحرقنه بضم النون وتشديد الراء من الاحراق بالنار كما حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله لنحرقنه يقول بالنار حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس لنحرقنه فحرقه ثم ذراه فى اليم وانما اخترت هذه القراءة لاجماع الحجة من القراء عليها وأما أبو جعفر فانى أحسبه ذهب الى ما حدثنا به موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه فى اليم نسفا ثم أخذه فذبحه ثم حرقه بالمبرد ثم ذراه فى اليم فلم يبق بحر يومئذ الا وقع فيه شئ منه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه فى اليم نسفا قال وفى بعض القراءة لنذبحنه ثم لنحرقنه ثم لننسفنه فى اليم نسفا حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى حرف ابن مسعود وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا لنذبحنه ثم لنحرقنه ثم لننسفنه فى اليم نسفا وقوله ثم لننسفنه فى اليم نسفا يقول ثم لنذرينه فى البحر تذرية يقال منه نسف فلان الطعام بالمنسف اذا ذراه فطير عنه قشوره وترابه باليد أو الريح * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ثم لننسفنه فى اليم نسفا يقول لنذرينه فى البحر حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال ذراه فى اليم واليم البحر حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال ذراه فى اليم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة

تعالى (أتتك آياتنا فنسيتها) اللهم اجعلنى ممن يواظب على تلاوة كتابك حتى لا أنساه يوم ألقاك (وكذلك نجزى من أسرف) قيل عصى ربه والأظهر أنه أراد أشرك وكفر بدليل قوله (ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة) وهو الحشر على العمى (أشد وأبقى) من ضيق المعيشة فى العاجل أو أراد وتركنا اياه فى العمى أشد وأبقى من تركه لآياتنا ثم وبخ المعرضين عن الدلائل بعدم الاعتبار بأحوال القرون الخالية فقال (أفلم يهد لهم)

فى اليم قال فى البحر وقوله انما الهكم الله الذى لا اله الا هو يقول ما لكم أيها القوم معبودا الا الذى عبادة جميع الخلق لا تصلح العبادة لغيره ولا تنبغى أن تكون الاله وسع كل شئ علما يقول أحاط بكل شئ علما فعلمه فلا يخفى عليه منه شئ ولا يضيق عليه علم جميع ذلك يقال منه فلان يسع لهذا الامر اذا أطاقه وقوى عليه ولا يسع له اذا عجز عنه فلم يطقه ولم يقو عليه وكان قتادة يقول فى ذلك ما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وسع كل شئ علما يقول أحاط كل شئ علما تبارك وتعالى ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا من أعرض عنه فانه يحمل يوم القيامة وزرا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم كما قصصنا عليك يا محمد نبأ موسى وفرعون وقومه وأخبار بنى اسرائيل مع موسى كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق يقول كذلك نخبرك بأنباء الأشياء التى قد سبقت من قبلك فلم تشاهدها ولم تعاينها وقوله وقد آتيناك من لدنا ذكرا يقول تعالى ذكره لمحمد صلى الله عليه وسلم وقد آتيناك يا محمد من عندنا ذكرا يتذكر به ويتعظ به أهل العقل والفهم وهو هذا القرآن الذى أنزله الله عليه فجعله ذكرى للعالمين وقوله من أعرض عنه يقول تعالى ذكره من ولى عنه فأدبر فلم يصدق به ولم يقر فانه يحمل يوم القيامة وزرا يقول فانه يأتى به يوم القيامة يحمل حملا ثقيلا وذلك الاثم العظيم كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله يوم القيامة وزرا قال اثما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملا يوم ينفخ فى الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا يتخافتون بينهم ان لبثتم الا عشرا﴾ يقول تعالى ذكره خالدين فى وزرهم فأخرج الخبر جل ثناؤه عن هؤلاء المعرضين عن ذكره فى الدنيا أنهم خالدون فى أوزارهم والمعنى أنهم خالدون فى النار بأوزارهم ولكن لما كان معلوما المراد من الكلام اكتفى بما ذكر عما لم يذكر وقوله وساء لهم يوم القيامة حملا يقول تعالى ذكره وساء ذلك الحمل والثقل من الاثم يوم القيامة حملا وحق لهم أن يسوءهم ذلك وقد أوردهم مهلكة لا منجى منها * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وساء لهم يوم القيامة حملا يقول بئسما حملوا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وساء لهم يوم القيامة حملا يعنى بذلك ذنوبهم وقوله يوم ينفخ فى الصور يقول تعالى ذكره وساء لهم يوم القيامة يوم ينفخ فى الصور فقوله يوم ينفخ فى الصور رد على يوم القيامة وقد بينا معنى النفخ فى الصور وذكرنا اختلاف المختلفين فى معنى الصور والصحيح فى ذلك من القول عندنا بشواهده المغنية عن اعادته فى هذا الموضع قبل * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الامصار يوم ينفخ فى الصور بالياء وضمها على ما لم يسم فاعله بمعنى يوم يأمر الله اسرافيل فينفخ فى الصور وكان أبو عمرو بن العلاء يقرأ ذلك يوم ننفخ فى الصور بالنون بمعنى يوم ننفخ نحن فى الصور وكأن الذى دعاه الى قراءة ذلك كذلك طلبه التوفيق بينه وبين قوله ونحشر المجرمين اذ كان لا خلاف بين القراء فى نحشر أنها بالنون * قال أبو جعفر والذى أختار فى ذلك من القراءة يوم ينفخ بالياء على وجه ما لم يسم فاعله لأن ذلك هو القراءة التى عليها قراء الامصار وان كان للذى قرأ أبو عمرو وجه غير فاسد وقوله ونحشر المجرمين يومئذ زرقا يقول تعالى ذكره

بالفاء وفى السجدة بالواو لان الكلام ههنا كالمتصل بقوله ومن أعرض عن ذكرى وهناك كالمنفصل عن الاعراض لانه قال ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها وبعد ذلك أورد قصة موسى فناسب الاستئناف بالواو وأما حذف من ههنا واثباته هناك فلما مر من أن من تفيد الاستيعاب وهناك قد زاد فى القرون بشرح قصة بنى اسرائيل وما فيهم من الملوك والانبياء قال فى الكشاف فاعل لم يهد الجملة بعده وأنكر البصريون مثل هذا لان

ونسوق أهل الكفر بالله يومئذ الى موقف القيامة زرقا فقيل عنى بالزرق فى هذا الموضع ما يظهر فى أعينهم من شدة العطش الذى يكون بهم عند الحشر لرأى العين من الزرق وقيل أريد بذلك أنهم يحشرون عميا كالذى قال الله ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وقوله يتخافتون بينهم ان لبثتم الاعشرا يقول تعالى ذكره يتهامسون بينهم ويسر بعضهم الى بعض ان لبثتم فى الدنيا يعنى أنهم يقول بعضهم لبعض ما لبثتم فى الدنيا الاعشرا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله يتخافتون بينهم يقول يتسارون بينهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يتخافتون بينهم أى يتسارون بينهم ان لبثتم الاعشرا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿نحن أعلم بما يقولون اذ يقول أمثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما﴾ يقول تعالى ذكره نحن أعلم منهم عند اسرارهم وتخافتهم بينهم بقيلهم ان لبثتم الاعشرا بما يقولون لا يخفى علينا مما يتسارونه بينهم شئ اذ يقول أمثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما يقول تعالى ذكره حين يقول أوفاهم عقلا وأعلمهم فيهم ان لبثتم فى الدنيا الا يوما * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن شعيبة فى قوله اذ يقول أمثلهم طريقة يقول أعلمهم فى أنفسهم ان لبثتم الا يوما حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد فى قوله أمثلهم طريقة أوفاهم عقلا وانما عنى جل ثناؤه بالخبر عن قيلهم هذا القول يومئذ اعلام عباده أن أهل الكفر به ينسون من عظيم ما يعاينون من هول يوم القيامة وشدة جزعهم من عظيم ما يردون عليه ما كانوا فيه فى الدنيا من النعيم واللذات ومبلغ ما عاشوا فيها من الأزمان حتى يخيل الى أعقلهم فيهم وأذكرهم وأفهمهم أنهم لم يعيشوا فيها الا يوما ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا﴾ يقول تعالى ذكره ويسألك يا محمد قومك عن الجبال فقل لهم ينذرها ربى تذريه ويطيرها بقلعها واستئصالها من أصولها ودكه بعضها على بعض وتصييره اياها هباء منبثا فيذرها قاعا صفصفا يقول تعالى ذكره فيدع أماكنها من الارض اذا نسفها نسفا قاعا يعنى أرضا ملساء صفصفا يعنى مستويا لا نبات فيه ولا نشز ولا ارتفاع * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله قاعا صفصفا يقول مستويا لا نبات فيه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فيذرها قاعا صفصفا قال مستويا الصفصف المستوى حدثنى يونس قال أخبرنا عبد الله بن يوسف قال ثنا عبد الله بن لهيعة قال ثنا أبو الاسود عن عروة قال كنا قعودا عند عبد الملك حين قال كعب ان الصخرة موضع قدم الرحمن يوم القيامة فقال كذب كعب انما الصخرة جبل من الجبال ان الله يقول ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا فسكت عبد الملك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله صفصفا قال مستويا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * قال أبو جعفر وكان بعض أهل العلم بلغات العرب من أهل الكوفة يقول القاع مستنقع الماء والصفصف الذى لا نبات فيه وقوله لا ترى فيها عوجا ولا أمتا يقول لا ترى فى الارض عوجا ولا أمتا * واختلف أهل التأويل فى معنى العوج والأمت فقال بعضهم عنى بالعوج فى هذا

الجملة لا تقع فاعلا فلهذا قال يريد أو لم يهد لهم هذا المعنى أو مضمون هذا الكلام قال القفال جعل كثرة ما أهلك من القرون مبينا لهم وقال الزجاج أراد أو لم نبين لهم ما يهدون به لو تدبروا وتأملوا وقيل فيه ضمير الله أو الرسول والجملة بعده تفسره يريد أن قريشا يتقلبون فى بلاد عاد وثمود ويمشون فى مساكنهم ويعاينون آثار هلاكهم والنهى العقول وقد مر فى السورة قال بعض أهل اللغة ان للنبهة مزية على العقل فلا يقال الا لمن له عقل ينتهى به

الموضع الأودية وبالأمت الروابى والنشوز ذكر من قال ذلك **حدثنى** على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله لا ترى فيها عوجا ولا أمتا يقول وادیا ولا اكمة يقول رابية **حدثنى** محمد بن عبد الله المخرمى قال ثنا أبو عامر العقدى عن عبد الواحد ابن صفوان مولى عثمان قال سمعت عكرمة قال سئل ابن عباس عن قوله لا ترى فيها عوجا ولا أمتا قال هى الارض البيضاء أو قال الملساء التى ليس فيها بنية مرتفعة **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد لا ترى فيها عوجا ولا أمتا قال ارتفاعا ولا انخفاضا **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله لا ترى فيها عوجا ولا أمتا قال لا تعادى الأمت التعادى * وقال آخرون بل عنى بالعوج فى هذا الموضع الصدوع وبالأمت الارتفاع من الآكام وأشباهها ذكر من قال ذلك **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله لا ترى فيها عوجا قال صدعا ولا أمتا يقول ولا أكمة * وقال آخرون عنى بالعوج الميل وبالأمت الاثر ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله لا ترى فيها عوجا ولا أمتا يقول لا ترى فيها ميلا والأمت الأثر مثل الشراك * وقال آخرون الأمت المحانى والاحداب ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال الأمت الحدب * قال أبو جعفر وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال عنى بالعوج الميل وذلك أن ذلك هو المعروف فى كلام العرب فان قال قائل وهل فى الارض اليوم من عوج فيقال لا ترى فيها يومئذ عوجا قيل ان معنى ذلك ليس فيها أودية وموانع تمنع الناظر أو السائر فيها عن الأخذ على الاستقامة كما يحتاج اليوم من أخذ فى بعض سبلها الى الاخذ أحيانا يمينا وأحيانا شمالا لما فيها من الجبال والأودية والبحار وأما الأمت فانه عند العرب الاثناء والضعف مسموع منهم مدحبله حتى ما ترك فيه أمتا أى اثناء وملأ سقاءه حتى ما ترك فيه أمتا ومنه قول الراجز

* ما فى انجذاب سيره من أمت * يعنى من وهن وضعف فالواجب اذا كان ذلك معنى الأمت عندهم أن يكون أصوب الأقوال فى تأويله ولا ارتفاع ولا انخفاض لان الانخفاض لم يكن الا عن ارتفاع فاذ كان ذلك كذلك فتأويل الكلام لا ترى فيها ميلا عن الاستواء ولا ارتفاعا ولا انخفاضا ولكنها مستوية ملساء كما قال جل ثناؤه قاعا صفصفا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ يومئذ يتبعون الداعى لا عوج له وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا ﴾ يقول تعالى ذكره يومئذ يتبع الناس صوت داعى الله الذى يدعوهم الى موقف القيامة فيحشرهم اليه لا عوج له يقول لا عوج لهم عنه ولا انحراف ولكنهم سراعا اليه يحشرون وقيل لا عوج له والمعنى لا عوج لهم عنه لان معنى الكلام ما ذكرنا من أنه لا يعوجون له ولا عنه ولكنهم يؤمونه ويأتونه كما يقال فى الكلام دعانى فلان دعوة لا عوج لى عنها أى لا أعوج عنها وقوله وخشعت الأصوات للرحمن يقول تعالى ذكره وسكنت أصوات الخلائق للرحمن فوصف الاصوات بالخشوع والمعنى لاهلها انهم خضع جميعهم لربهم فلا تسمع لناطق منهم منطقا الا من أذن له الرحمن كما **حدثنى** على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وخشعت الأصوات للرحمن يقول سكنت وقوله فلا تسمع الا همسا يقول انه وطء الاقدام الى المحشر وأصله الصوت الخفى يقال همس فلان الى فلان بحديثه اذا أسره اليه وأخفاه ومنه قول الراجز

عن القبائح فقوله أولى النهى كقوله أولى العزم والحزم ومن هذا فسره بعضهم بأهل الورع والتقوى ثم بين الوجه الذى لاجله لا ينزل العذاب معجلا على من كذب من هذه الامة فقال (ولولا كلمة) هى العدة بتأخير جزائهم الى الآخرة كتبها فى اللوح المحفوظ وأخبر بها ملائكته ورسله لأن فيهم أو فى نسلهم من يؤمن أو لمصلحة أخرى خفية قال أهل السنة انه بحكم المالكية له أن يفعل ما يشاء من غير علة واللزام مصدر لازم وصف به وقيل

وهن يمشين بنا هميسا * ان يصدق الطير ننك لميسا

يعنى بالهمس صوت أخفاف الابل فى سيرها * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا على بن عابس عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فلا تسمع الا همسا قال وطء الأقدام حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا يعنى همس الأقدام وهو الوطء حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فلا تسمع الا همسا يقول الصوت الخفى حدثنا اسمعيل بن موسى السدى قال أخبرنا شريك عن عبد الرحمن بن الأصبهانى عن عكرمة فلا تسمع الا همسا قال وطء الأقدام حدثنا ابن بشار قال ثنا سليمن قال ثنا حماد عن حميد عن الحسن فلا تسمع الا همسا قال همس الأقدام حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فلا تسمع الا همسا قال قتادة كان الحسن يقول وقع أقدام القوم حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال ثنا ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله فلا تسمع الا همسا قال تهافتا وقال تخافت الكلام حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله همسا قال خفض الصوت حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال خفض الصوت قال وأخبرنى عبد الله بن كثير عن مجاهد قال كلام الانسان لا تسمع تحرك شفتيه ولسانه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فلا تسمع الا همسا يقول لا تسمع الا مشيا قال المشى الهمس وطء الاقدام ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن ورضى له قولا يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما﴾ يقول تعالى ذكره يومئذ لا تنفع الشفاعة الا شفاعة من أذن له الرحمن أن يشفع ورضى له قولا وأدخل فى الكلام له دليلا على اضافة القول الى كناية من وذلك كقول القائل لآخر رضيت لك عملك ورضيته منك وموضع من من قوله الا من أذن له نصب لأنه خلاف الشفاعة وقوله يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم يقول تعالى ذكره يعلم ربك يا محمد ما بين أيدى هؤلاء الذين يتبعون الداعى من أمر القيامة وما الذى يصيرون اليه من الثواب والعقاب وما خلفهم يقول ويعلم أمر ما خلفوه وراءهم من أمر الدنيا كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يعلم ما بين أيديهم من أمر الساعة وما خلفهم من أمر الدنيا وقوله ولا يحيطون به علما يقول تعالى ذكره ولا يحيط خلقه به علما ومعنى الكلام أنه محيط بعباده علما ولا يحيط عباده به علما وقد زعم بعضهم أن معنى ذلك أن الله يعلم ما بين أيدى ملائكته وما خلفهم وأن ملائكته لا يحيطون علما بما بين أيدى أنفسهم وما خلفهم وقال انما أعلم بذلك الذين كانوا يعبدون الملائكة أن الملائكة كذلك لا تعلم ما بين أيديها وما خلفها موبخهم بذلك ومقرعهم بأن من كان كذلك فكيف يعبد وأن العبادة انما تصلح لمن لا تخفى عليه خافية فى الارض ولا فى السماء ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وعنت الوجوه للحى القيوم وقد خاب من حمل ظلما﴾ يقول تعالى ذكره استأسرت وجوه الخلق واستسلمت للحى الذى لا يموت القيوم على خلقه بتدبيره اياهم وتصريفهم لما شاؤا وأصل العنو الذل يقال منه عنا وجهه لربه يعنو عنوا يعنى خضع له وذل وكذلك قيل للاسير عان لذلة الاسر فأما قولهم أخذت الشئ عنوة فانه يكون وان كان معناه يؤل الى هذا أن يكون أخذه غلبة ويكون

فعال لما يفعل به فهو بمعنى ملزم كأنه آلة اللزوم أى (لكان) الاخذ العاجل (لزاما وأجل مسمى) وهو عذاب الآخرة وقيل يوم بدر معطوف على كلمة وجوز فى الكشاف أن يكون معطوفا على الضمير فى كان ولعله انما جوز ذلك للفصل أى لكان الاخذ العاجل وأجل مسمى لازمين لهم كما كانا لازمين لعاد وثمود ولم ينفرد الأجل المسمى دون الاخذ العاجل وحين بين أنه لا يهلكهم بعذاب الاستئصال أمره بالصبر على ما يقولون من التكذيب

أخذه عن تسليم وطاعة كما قال الشاعر

هل أنت مطيعي أيها القلب عنوة * ولم تلح نفس لم تلم فى اختيالها

وقال آخر

فما أخذوها عنوة عن مودة * ولكن بضرب المشرفى استقالها

* وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وعنت الوجوه للحى القيوم يقول ذلت حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وعنت الوجوه للحى القيوم يعنى بعنت استسلموا لى حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وعنت الوجوه قال خشعت حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وعنت الوجوه للحى القيوم أى ذلت الوجوه للحى القيوم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله وعنت الوجوه للحى القيوم قال ذلت الوجوه حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور قال ثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه قال قال طلق اذا سجد الرجل فقد عنا وجهه أو قال عنا حدثنى أبو حصين عبد الله بن أحمد قال ثنا عبثر قال ثنا حصين عن عمرو بن مرة عن طلق بن حبيب فى هذه الآية وعنت الوجوه للحى القيوم قال هو وضع الرجل رأسه ويديه وأطراف قدميه حدثنى أبو السائب قال ثنا ابن فضيل عن ليث عن عمرو بن مرة عن طلق بن حبيب فى قوله وعنت الوجوه للحى القيوم قال هو وضعك جبهتك وكفيك وركبتيك وأطراف قدميك فى السجود حدثنا خلاد بن أسلم قال ثنا محمد بن فضيل عن حصين عن عمرو بن مرة عن طلق بن حبيب فى قوله وعنت الوجوه للحى القيوم قال وضع الجبهة والانف على الارض حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن عمرو بن مرة عن طلق بن حبيب فى قوله وعنت الوجوه للحى القيوم قال هو السجود على الجبهة والراحتين والركبتين والقدمين حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وعنت الوجوه للحى القيوم قال استأسرت الوجوه للحى القيوم صاروا أسارى كلهم له قال والعانى الاسير وقد بينا معنى الحى القيوم فيما مضى بما أغنى عن اعادته ههنا وقوله وقد خاب من حمل ظلما يقول تعالى ذكره ولم يظفر بحاجته وطلبته من حمل الى موقف القيامة شركا بالله وكفرا به وعملا بمعصيته * وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله وقد خاب من حمل ظلما قال من حمل شركا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وقد خاب من حمل ظلما قال من حمل شركا الظلم ههنا الشرك * القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما﴾ يقول تعالى ذكره وتقدست أسماؤه ومن يعمل من صالحات الأعمال وذلك فيما قيل أداء فرائض الله التى فرضها على عباده وهو مؤمن يقول وهو مصدق بالله وأنه مجاز أهل طاعته وأهل معاصيه على معاصيهم فلا يخاف ظلما يقول فلا يخاف من الله أن يظلمه فيحمل عليه سيئات غيره فيعاقبه عليها ولا هضما يقول لا يخاف أن يهضمه حسناته فينقصه ثوابها * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر

وسائر الاذيات زعم الكلبى ومقاتل أنها منسوخة بآية القتال وليس بذاك فان كلا منهما معمول بها فى موضعها (وسبح بحمد ربك) أى متلبسا بحمده على أن وفقك للتسبيح وأعانك عليه والأكثرون أنها بمعنى الصلاة ليكون كقوله واستعينوا بالصبر والصلاة ولانه بين أوقاتها فقبل طلوع الشمس هو صلاة الفجر وقبل غروبها صلاة الظهر والعصر لانهما واقعتان فى النصف الاخير من النهار (ومن آناء الليل فسبح) المغرب والعتمة

من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن وانما يقبل الله من العمل ما كان فى ايمان حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن قال زعموا أنها الفرائض * ذكر من قال ماقلنا فى معنى قوله فلا يخاف ظلما ولا هضما حدثنا أبو كريب وسليمن ابن عبد الجبار قالا ثنا ابن عطية عن اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس لا يخاف ظلما ولا هضما قال هضما غصبا حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قال لا يخاف ظلما ولا هضما قال لا يخاف ابن آدم يوم القيامة أن يظلم فيزاد عليه فى سيئاته ولا يظلم فيهضم من حسناته حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما يقول أنا قاهر لكم اليوم آخذكم بقوتى وشدتى وأنا قادر على قهركم وهضمكم فانما بينى وبينكم العدل وذلك يوم القيامة حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سلمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فلا يخاف ظلما ولا هضما أما هضما فهو أن يقهر الرجل بقوته يقول الله يوم القيامة لا آخذكم بقوتى وشدتى ولكن العدل بينى وبينكم ولا أظلم عليكم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله هضما قال انتقاص شئ من حق عمله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنى موسى بن عبد الرحمن المسروقى قال ثنا أبو أسامة عن مسعر قال سمعت حبيب بن أبى ثابت يقول فى قوله ولا هضما قال الهضم الانتقاص حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله فلا يخاف ظلما ولا هضما قال ظلما أن يزاد فى سيئاته ولا يهضم من حسناته حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فلا يخاف ظلما ولا هضما قال لا يخاف أن يظلم فلا يجزى بعمله ولا يخاف أن ينتقص من حقه فلا يوفى عمله حدثنا الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا سلام بن مسكين عن ميمون بن سياه عن الحسن فى قول الله تعالى فلا يخاف ظلما ولا هضما قال لا ينتقص الله من حسناته شيأ ولا يحمل عليه ذنب مسيء وأصل الهضم النقص يقال هضمنى فلان حقى ومنه امرأة هضيم أى ضامرة البطن ومنه قولهم قد هضم الطعام اذا ذهب وهضمت لك من حقك أى حططتك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا﴾ يقول تعالى ذكره كما رغبنا أهل الايمان فى صالحات الأعمال بوعدناهم ما وعدناهم كذلك حذرنا بالوعيد أهل الكفر بالمقام على معاصينا وكفرهم بآياتنا فأنزلنا هذا القرآن عربيا اذ كانوا عربا وصرفنا فيه من الوعيد فبيناه يقول وخوفناهم فيه بضروب من الوعيد لعلهم يتقون يقول كى يتقونا بتصريفنا ما صرفنا فيه من الوعيد أو يحدث لهم ذكرا يقول أو يحدث لهم هذا القرآن ذكرا فيعتبرون ويتعظون بفعلنا بالأمم التى كذبت الرسل قبلها وينزجرون عما هم عليه مقيمون من الكفر بالله * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون ما حذروا به من أمر الله وعقابه ووقائعه بالامم قبلهم أو يحدث لهم القرآن ذكرا أى جدا وورعا حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله

وقوله (وأطراف النهار) أى فى طرفيه بجمع للمبالغة وأمن الالباس أولان أقل الجمع اثنان أو أراد طرفى كل نهار تكرار لصلاتى الفجر والعصر لا المغرب على ما ظن اعتناء بشأنهما كقوله والصلاة الوسطى وآناء جمع انى وهو الساعة وقدم فى آل عمران وانما قدم آناء الليل وأدخل الفاء فى فسبح المؤذنة بتلازم ما قبلها وما بعدها تنبيها على زيادة الاهتمام بشأن صلاة الليل لان الليل وقت السكون والراحة وهدو الاصوات

أو يحدث لهم ذكرا قال جدا وورعا وقد قال بعضهم فى أو يحدث لهم ذكرا ان معناه أو يحدث لهم شرفا بايمانهم به ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه وقل رب زدنى علما ﴾ يقول تعالى ذكره فارتفع الذى له العبادة جميع خلقه الملك الذى قهر سلطانه كل ملك وجبار الحق عما يصفه به المشركون من خلقه ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولا تعجل يا محمد بالقرآن فتقرئه أصحابك أو تقرأه عليهم من قبل أن يوحى اليك بيان معانيه فعون على اكتابه واملائه ما كان الله ينزله عليه من كتابه من كان يكتبه ذلك من قبل أن يبين له معانيه وقيل لا تتله على أحد ولا تملله عليه حتى نبينه لك * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه قال لا تتله على أحد حتى نبينه لك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال يقول لا تتله على أحد حتى نتمه لك هكذا قال القاسم حتى نتمه حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه يعنى لا تعجل حتى نبينه لك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه أى بيانه حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه قال تبيانه حدثنا ابن المثنى وابن بشار قالا ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن قتادة من قبل أن يقضى اليك وحيه من قبل أن يبين لك بيانه وقوله وقل رب زدنى علما يقول تعالى ذكره وقل يا محمد رب زدنى علما الى ما علمتنى أمره بمسئلته من فوائد العلم ما لا يعلم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما ﴾ يقول تعالى ذكره وان يضيع يا محمد هؤلاء الذين نصرف لهم فى هذا القرآن من الوعيد عهدى ويخالفوا أمرى ويتركوا طاعتى ويتبعوا أمر عدوهم ابليس ويطيعوه فى خلاف أمرى فقد عصانا فعل ذلك أبوهم آدم ولقد عهدنا اليه يقول ولقد وصينا آدم وقلنا له ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فوسوس اليه الشيطان فأطاعه وخالف أمرى فحل به من عقوبتى ما حل وعنى جل ثناؤه بقوله من قبل هؤلاء الذين أخبر أنه صرف لهم الوعيد فى هذا القرآن وقوله فنسى يقول فترك عهدى كما حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى يقول فترك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله فنسى قال ترك أمر ربه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما قال قال له يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى فقر أحتى بلغ لا تظمأ فيها ولا تضحى وقر أحتى بلغ وملك لا يبلى قال فنسى ما عهد اليه فى ذلك قال وهذا عهد الله اليه قال ولو كان له عزم ما أطاع عدوه الذى حسده وأبى أن يسجد له مع من سجد له ابليس وعصى الله الذى كرمه وشرفه وأمر ملائكته فسجدوا له حدثنا ابن المثنى وابن بشار قالا ثنا يحيى بن سعيد وعبد الرحمن ومؤمل قالوا ثنا سفيان عن الأعمش عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال انما سمى الانسان لانه عهد اليه فنسى

قالصلاة فيه أشق على النفس وأدخل فى الاخلاص وأقرب من المحافظة على الخشوع والاخبات وبعضهم أخرج من الآية صلاة الظهر لانه خصص قبل الغروب بصلاة العصر ومنهم من زاد فيها النوافل لان الصلاة فى الاوقات المذكورة تشملها والامر قد يكون للندب لا أقل من التغليب وقال أبو مسلم الاقرب حمل التسبيح على التنزيه والاجلال كأنه لما أمره بالصبر على أذية القوم يعشه على الاشتغال بالتقديس والمواظبة

وقوله ولم نجد له عزما اختلف أهل التأويل فى معنى العزم ههنا فقال بعضهم معناه الصبر ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولم نجد له عزما أى صبرا حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن قتادة ولم نجد له عزما قال صبرا حدثنا ابراهيم بن يعقوب الجوزجانى قال ثنا أبو النضر قال ثنا شعبة عن قتادة مثله * وقال آخرون بل معناه الحفظ قالوا ومعناه ولم نجد له حفظا لما عهدنا اليه ذكر من قال ذلك حدثنى أبو السائب قال ثنا ابن ادريس عن أبيه عن عطية ولم نجد له عزما قال حفظا لما أمرته حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هاشم بن القاسم عن الأشجعى عن سفيان عن عمرو بن قيس عن عطية فى قوله ولم نجد له عزما قال حفظا حدثنا عباد بن محمد قال ثنا قبيصة عن سفيان عن عمرو بن قيس عن عطية فى قوله ولم نجد له عزما قال حفظا لما أمرته به حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولم نجد له عزما يقول لم نجد له حفظا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولم نجد له عزما قال العزم المحافظة على ما أمره الله تبارك وتعالى بحفظه والتمسك به حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله ولم نجد له عزما يقول لم نجعل له عزما حدثنى القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا الحجاج ابن فضالة عن لقمان بن عامر عن أبى أمامة قال لو أن أحلام بنى آدم جمعت منذ يوم خلق الله تعالى آدم الى يوم الساعة ووضعت فى كفة ميزان ووضع حلم آدم فى الكفة الأخرى لرجح حلمه بأحلامهم وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما * قال أبو جعفر وأصل العزم اعتقاد القلب على الشئ يقال منه عزم فلان على كذا اذا اعتقد عليه ونواه ومن اعتقاد القلب حفظ الشئ ومنه الصبر على الشئ لانه لا يجزع جازع الا من خور قلبه وضعفه فاذا كان ذلك كذلك فلا معنى لذلك أبلغ مما بينه الله تبارك وتعالى وهو قوله ولم نجد له عزما فيكون تأويله ولم نجد له عزم قلب على الوفاء لله بعهده ولا على حفظ ما عهد اليه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ﴾ يقول تعالى ذكره معلما نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ما كان من تضييع آدم عهده ومعرفه بذلك أن ولده لن يعدوا أن يكونوا فى ذلك على منهاجه الا من عصمه الله منهم واذكر يا محمد اذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى أن يسجد له فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك ولذلك من شأنه لم يسجد لك وخالف أمرى فى ذلك وعصانى فلا تطيعاه فيما يأمركما به فيخرجكما بمعصيتكما ربكما وطاعتكما له من الجنة فتشقى يقول فيكون عيشك من كد يدك فذلك شقاؤه الذى حذره ربه كما حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد قال أهبط الى آدم ثور أحمر فكان يحرث عليه ويمسح العرق من جبينه فهو الذى قال الله تعالى ذكره فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى فكان ذلك شقاءه وقال تعالى ذكره فتشقى ولم يقل فتشقيا وقد قال فلا يخرجنكما لان ابتداء الخطاب من الله كان لآدم عليه السلام فكان فى اعلامه العقوبة على معصيته اياه فيما نهاه عنه من أكل الشجرة الكفاية من ذكر المرأة اذ كان معلوما أن حكمها فى ذلك حكمه كما قال عن اليمين وعن الشمال قعيد اجتزئ بمعرفة السامعين معناه من ذكر فعل صاحبه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ان لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ﴾ يقول

عليه فى كل الاوقات وقوله (لعلك ترضى) كقوله عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ولسوف يعطيك ربك فترضى ولا ريب أن الاطماع من الكريم واجب الوقوع اللهم ارزقنا شفاعته ولما حث رسوله على الامور الدينية نهاه عن الميل الى الزخارف الدنيوية فقال (ولا تمدن عينيك) أى نظر عينيك ومد النظر تطويله استحسانا للمنظور اليه وفيه أن النظر الغير الممدود معفو عنه كما لو نظر فغض وقال أبو مسلم المنهى عنه فى الآية ليس هو التطويل وانما هو الأسف أى لا تأسف على ما فاتك مما نالوا من حظ الدنيا قال أبو رافع

تعالى ذكره مخبرا عن قيله لآدم حين أسكنه الجنة ان لك يا آدم أن لا تجوع فيها ولا تعرى و
فى قوله أن لا تجوع فيها فى موضع نصب بان التى فى قوله ان لك وقوله وأنك لا تظمأ فيها اختلف
القراء فى قراءتها فقرأ ذلك بعض قراء المدينة والكوفة بالكسر وانك على العطف على قوله ان لك
وقرأ ذلك بعض قراء المدينة وعامة قراء الكوفة والبصرة وأنك بفتح ألفها عطفا بها على أن
فى قوله أن لا تجوع فيها و وجهوا تأويل ذلك الى أن لك هذا وهذا فهذه القراءة أعجب القراءتين
الى لأن الله تبارك وتعالى ذكره وعد ذلك آدم حين أسكنه الجنة فكون ذلك بأن يكون معطوفا
على أن لا تجوع أولى من أن يكون خبرا مبتدأ وان كان الآخر غير بعيد من الصواب وعنى بقوله
لا تظمأ فيها لا تعطش فى الجنة مادمت فيها ولا تضحى يقول لا تظهر للشمس فيؤذيك حرها
قال ابن أبى ربيعة

رأت رجلا أما اذا الشمس عارضت * فيضحى وأما بالعشى فيحصر

* وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح
قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى يقول لا يصيبك
فيها عطش ولا حر حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه
عن ابن عباس قوله وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى يقول لا يصيبك حر ولا أذى حدثنى أحمد
ابن عثمان بن حكيم الأودى قال ثنا عبد الرحمن بن شريك قال ثنى أبى عن خصيف
عن سعيد بن جبير لا تظمأ فيها ولا تضحى قال لا تصيبك الشمس حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال
ثنا سعيد عن قتادة ولا تضحى قال لا تصيبك شمس وقوله فوسوس اليه الشيطان يقول فألقى اليه
آدم الشيطان وحدثه فقال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد يقول قال له هل أدلك على شجرة
ان أكلت منها خلدت فلم تمت وملكت ملكا لا ينقضى فيبلى كما حدثنا موسى قال ثنا عمرو
قال ثنا أسباط عن السدى قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ان أكلت منها
كنت ملكا مثل الله أو تكونا من الخالدين فلا تموتان أبدا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى وتقدس
﴿ فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم
ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ﴾ يقول تعالى ذكره فأكل آدم وحواء من الشجرة
التى نهاهما عن الأكل منها وأطاعا أمر ابليس وخالفا أمر ربهما فبدت لهما سوآتهما يقول
فانكشفت لهما عوراتهما وكانت مستورة عن أعينهما كما حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال
ثنا أسباط عن السدى قال انما أراد يعنى ابليس بقوله هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى
ليبدى لهما ما توارى عنهما من سوآتهما بهتك لباسهما وكان قد علم أن لهما سوأة وكانا لا يريان
من كتب الملائكة ولم يكن آدم يعلم ذلك وكان لباسهما الظفر فأبى آدم أن يأكل منها فتقدمت
حواء فأكلت ثم قالت يا آدم كل فانى قد أكلت فلم يضرنى فلما أكل آدم بدت لهما سوآتهما وقوله
وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة يقول أقبلا يشدان عليهما من ورق الجنة كما حدثنا
موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة
يقول أقبلا يغطيان عليهما بورق التين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة
قوله وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة يقول يوصلان عليهما من ورق الجنة وقوله وعصى
آدم ربه فغوى يقول وخالف أمر ربه فتعدى الى ما لم يكن له أن يتعدى اليه من الأكل من الشجرة
التى نهاه عن الأكل منها وقوله ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى يقول اصطفاه ربه من بعد معصيته

نزل ضيف بالنبى صلى الله عليه وسلم فبعثنى الى يهودى يستقرضه فقال لا أقرضه الا برهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لأمين فى السماء وانى لأمين فى الارض احمل اليه درعى الحديد فنزلت والأزواج الاصناف وقيل أى أشكالا وأشباها من الكفار لأنهم أشكال فى الذهاب عن الصواب وقد مر فى آخر الحجر ولقد شدد العلماء المتقون فى وجوب غض البصر عن أبنية الظلمة وملابسهم ومراكبهم لأنهم اتخذوها لعيون النظارة فالناظر اليها محصل لغرضهم فيكون اغراء لهم على اتخاذها قال جار الله انتصب

ويرزقه الرجوع الى مايرضى عنه والعمل بطاعته وذلك هو كانت توبته التى تابها عليه وقوله
وهدى يقول وهداه للتوبة فوفقه لها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال اهبطا منها جميعا
بعضكم لبعض عدو فاما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى﴾ يقول تعالى
ذكره قال الله تعالى لآدم وحواء اهبطا جميعا الى الارض بعضكم لبعض عدو يقول أنتما عدو
ابليس وذريته وابليس عدو كما وعدو ذريتكما وقوله فاما يأتينكم منى هدى يقول فان يأتكم
يا آدم وحواء وابليس منى هدى يقول بيان لسبيلى وما أختاره لخلقى من دين فمن اتبع هداى
يقول فمن اتبع بيانى ذلك وعمل به ولم يزغ عنه فلا يضل يقول فلا يزول عن محجة الحق ولكنه يرشد
فى الدنيا ويهتدى ولا يشقى فى الآخرة بعقاب الله لان الله يدخله الجنة وينجيه من عذابه * وبنحو
الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى الحسين بن يزيد الطحان
قال ثنا أبو خالد الأحمر عن عمرو بن قيس الملائى عن عكرمة عن ابن عباس قال تضمن الله لمن
قرأ القرآن واتبع ما فيه أن لا يضل فى الدنيا ولا يشقى فى الآخرة ثم تلا هذه الآية فمن اتبع هداى فلا
يضل ولا يشقى حدثنى نصر بن عبد الرحمن الأودى قال ثنا حكام الرازى عن أيوب بن
موسى عن عمرو الملائى عن ابن عباس أنه قال ان الله قد ضمن فذكر نحوه حدثنا ابن حميد قال
ثنا حكام عن أيوب (٣) بن يسار أبى عبد الرحمن عن عمرو بن قيس عن رجل عن ابن عباس بنحوه
حدثنا على بن سهل الرملى قال ثنا أحمد بن محمد النسائى عن أبى سلمة عن عطاء عن سعيد بن
جبير قال قال ابن عباس من قرأ القرآن واتبع ما فيه عصمه الله من الضلالة ووقاه أظنه أنا قال من
هول يوم القيامة وذلك أنه قال فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى فى الآخرة ۞ القول فى تأويل
قوله تعالى ﴿ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم
حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾ يقول تعالى
ذكره ومن أعرض عن ذكرى الذى أذكره به فتولى عنه ولم يقبله ولم يستجب له ولم يتعظ به فينزجر
عما هو عليه مقيم من خلافه أمر ربه فان له معيشة ضنكا يقول فان له معيشة ضيقة والضنك من
المنازل والاماكن والمعايش الشديد يقال هذا منزل ضنك اذا كان ضيقا وعيش ضنك الذكر
والأنثى والواحد والاثنان والجميع بلفظ واحد ومنه قول عنترة * وان نزلوا بضنك فانزل * وبنحو
الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى
معاوية عن على عن ابن عباس قوله فان له معيشة ضنكا يقول الشقاء حدثنى محمد بن عمرو قال
ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن
ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ضنكا قال ضيقة حدثنا الحسن قال ثنا عبد الرزاق عن معمر
عن قتادة فى قوله فان له معيشة ضنكا قال الضنك الضيق حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن
عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد فى قوله فان له معيشة ضنكا يقول
ضيقة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله
* واختلف أهل التأويل فى الموضع الذى جعل الله لهؤلاء المعرضين عن ذكره العيشة الضنك
والحال التى جعلهم فيها فقال بعضهم جعل ذلك لهم فى الآخرة فى جهنم وذلك أنهم جعل طعامهم فيها
الضريع والزقوم ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو بن على بن مقدم قال ثنا يحيى
ابن سعيد عن عوف عن الحسن فى قوله فان له معيشة ضنكا قال فى جهنم حدثنى يونس قال
أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ففقر أحتى

زهرة على الذم أو على تضمين متعنا
بمعنى خولنا وأعطينا أو على ابداله
من محل به أو على ابداله من أزواجا
والتقدير ذوى زهرة وهى الزينة
والبهجة ومن قرأ بفتح الهاء فمعناها
أيضا أو هى جمع زاهر كأنهم لصفاء
ألوانهم وظهور آثار النعومة عليهم
زاهر وهذه الدنيا بخلاف ما عليه
المؤمنون الصلحاء من شحوب
الألوان والتقشف فى الثياب وقوله
(لنفتنهم) أى لنبلوهم كقوله انا جعلنا
ما على الأرض زينة لها لنبلوهم
وقيل لنعذبهم كقوله فلا تعجبك
أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله
ليعذبهم وقال الكلبى ومقاتل

بلغ ولم يؤمن بآيات ربه قال هؤلاء أهل الكفر قال ومعيشة ضنكا فى النار شوك من زقوم وغسلين والضريع شوك من نار وليس فى القبر ولا فى الدنيا معيشة ما المعيشة والحياة الا وقرأ قول الله عز وجل يا ليتنى قدمت لحياتى قال لمعيشتى قال والغسلين والزقوم شئ لا يعرف الدنيا حدثنا الحسن قال ثنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة فان له معيشة ضنكا فى النار * وقال آخرون بل عنى بذلك فان له معيشة فى الدنيا حراما قال ووصف انهم معيشتهم بالضنك لان الحرام وان اتسع فهو ضنك ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين بن واقد عن يزيد عن عكرمة فى قوله معيشة ضنكا هى المعيشة التى أوسع الله عليه من الحرام حدثنى داود بن سليمن بن يزيد المكى البصرة قال ثنا عمرو بن جرير البجلى عن اسمعيل بن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم معيشة ضنكا قال رزقا فى معصيته حدثنى عبد الأعلى بن واصل قال ثنا قال ثنا أبو بسطام عن الضحاك فان له معيشة ضنكا قال الكسب الخبيث حدثنى اسمعيل الصرارى قال ثنا محمد بن سوار قال ثنا أبو اليقظان عمار بن محمد عن محمد التيمى عن الضحاك فى قوله فان له معيشة ضنكا قال العمل الخبيث والرزق السى آخرون ممن قال عنى أن لهؤلاء القوم المعيشة الضنك فى الدنيا انما قيل لها ضنك وان كانت لانهم ينفقون ما ينفقون من أموالهم على تكذيب منهم بالخلف من الله وايأس من وسوء ظن منهم بربهم فتشتد ذلك عليهم معيشتهم وتضيق ذكر من قال ذلك حدثنى ابن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا يقول كل مال أعطيته عبدا من عبادى فى لا يتقينى فيه لا خير فيه وهو الضنك فى المعيشة و يقال ان قوما ضلالا أعرضوا عن الحق وكا سعة من الدنيا مكثرين فكانت معيشتهم ضنكا وذلك أنهم كانوا يرون أن الله عز وجل لبس لهم معايشهم من سوء ظنهم بالله والتكذيب به فاذا كان العبد يكذب بالله و يسيئ الظن به علىه معيشته فذلك الضنك * وقال آخرون بل عنى بذلك أن ذلك لهم فى البرزخ وهو عذ ذكر من قال ذلك حدثنى يزيد بن مخلد الواسطى قال ثنا خالد بن عبد الله عن عبد ابن اسحق عن أبى حازم عن النعمان بن أبى عياش عن أبى سعيد الخدرى قال فى قول الله ضنكا قال عذاب القبر حدثنى محمد بن عبد الله بن بزيع قال ثنا بشر بن المفضل ثنا عبد الرحمن بن اسحق عن أبى حازم عن النعمان بن أبى عياش عن أبى سعيد الخدرى ان المعيشة الضنك التى قال الله عذاب القبر حدثنى حوثرة بن محمد المنقرى قال ثنا عن أبى حازم عن أبى سلمة عن أبى سعيد الخدرى فان له معيشة ضنكا قال يضيق عليه قبره تختلف أضلاعه حدثنى محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا أبى وشعيب بن اللي قال ثنا خالد بن يزيد عن ابن أبى هلال عن أبى حازم عن أبى سعيد أنه كان يقول الضنك عذاب القبر انه يسلط على الكافر فى قبره تسعة وتسعون تنينا تنهشه وتخدش حتى يبعث وكان يقال لو أن تنينا منها نفخ الارض لم تنبت زرعا حدثنا مجاهد بن موسى قال يزيد قال ثنا محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال يطبق على الكافر قبره حتى فيه أضلاعه وهى المعيشة الضنك التى قال الله معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح عن اسمعيل بن أبى خالد عن أبى صالح والسدى فى قوله

لنشدد عليهم فى التكليف لان الاجتناب عن المعاصى مع القدرة يكون أشق على النفس (ورزق ربك) هو ثواب الآخرة أو ما رزقت من الاسلام والنبوة (خير وأبقى) وقيل أراد به الحلال الطيب الذى يحق أن ينسب الى ربك خير من أموالهم التى غلب عليها الغصب والسرقة وسائر وجوه الخيانة وأبقى بركة ونماء وحسن عاقبة (وأمر أهلك) فى سورة مريم وكان يأمر أهله بالصلاة أى أقبل أنت مع أهلك على عبادة الله ومن السلف من كان اذا أصاب أهله خصاصة قال قوموا فصلوا بهذا أمر الله

ضنكا قال عذاب القبر حدثنا محمد بن اسمعيل الاحمسى قال ثنا محمد بن عبيد قال ثنا سفيان الثورى عن اسمعيل بن أبى خالد عن أبى صالح فى قوله فان له معيشة ضنكا قال عذاب القبر حدثنى عبد الرحمن بن الأسود قال ثنا محمد بن ربيعة قال ثنا أبو عميس عن عبد الله بن مخارق عن أبيه عن عبد الله فى قوله معيشة ضنكا قال عذاب القبر حدثنى عبد الرحيم البرقى قال ثنا عمرو بن أبى مريم قال ثنا محمد بن جعفر وابن أبى حازم قالا ثنا أبو حازم عن النعمان بن أبى عياش عن أبى سعيد الخدرى معيشة ضنكا قال عذاب القبر * قال أبو جعفر وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال هو عذاب القبر الذى حدثنا به أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال حدثنى عمى عبد الله بن وهب قال أخبرنى عمرو بن الحرث عن دراج عن ابن حجيرة عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال أتدرون فيم أنزلت هذه الآية فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى أتدرون ما المعيشة الضنك قالوا الله ورسوله أعلم قال عذاب الكافر فى قبره والذى نفسى بيده انه ليسلط عليه تسعة وتسعون تنينا أتدرون ما التنين تسعة وتسعون حية لكل حية تسع رؤوس ينفخون فى جسمه ويلسعونه ويخدشونه الى يوم القيامة وان الله تبارك وتعالى أتبع ذلك بقوله ولعذاب الآخرة أشد وأبقى فكان معلوما بذلك أن المعيشة الضنك التى جعلها الله لهم قبل عذاب الآخرة لأن ذلك لو كان فى الآخرة لم يكن لقوله ولعذاب الآخرة أشد وأبقى معنى مفهوم لأن ذلك ان لم يكن تقدمه عذاب لهم قبل الآخرة حتى يكون الذى فى الآخرة أشد منه بطل معنى قوله ولعذاب الآخرة أشد وأبقى فاذ كان ذلك كذلك فلا تخلو تلك المعيشة الضنك التى جعلها الله لهم من أن تكون لهم فى حياتهم الدنيا أو فى قبورهم قبل البعث اذ كان لا وجه لأن تكون فى الآخرة فلما قد بينا فان كانت لهم فى حياتهم الدنيا فقد يجب أن يكون كل من أعرض عن ذكر الله من الكفار فان معيشته فيها ضنك وفى وجودنا كثيرا منهم أوسع معيشة من كثير من المقبلين على ذكر الله تبارك وتعالى القابلين له المؤمنين فى ذلك ما يدل على أن ذلك ليس كذلك واذ خلا القول فى ذلك من هذين الوجهين صح الوجه الثالث وهو أن ذلك فى البرزخ وقوله ونحشره يوم القيامة أعمى اختلف أهل التأويل فى صفة العمى الذى ذكر الله فى هذه الآية أنه يبعث هؤلاء الكفار يوم القيامة به فقال بعضهم ذلك عمى عن الحجة لا عمى البصر ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن اسمعيل الاحمسى قال ثنا محمد بن عبيد قال ثنا سفيان الثورى عن اسمعيل بن أبى خالد عن أبى صالح فى قوله ونحشره يوم القيامة أعمى قال ليس له حجة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ونحشره يوم القيامة أعمى قال عن الحجة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقيل يحشر أعمى البصر * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك ما قال الله تعالى ذكره وهو أنه يحشر أعمى عن الحجة ورؤية ما يسر كما أخبر جل ثناؤه فعم ولم يخصص وقوله قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم فى ذلك ما حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرزاق قال ثنا ابن أبى نجيح عن مجاهد قال رب لم حشرتنى أعمى لا حجة لى وقوله وقد كنت بصيرا اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معناه وقد كنت بصيرا بحجتى ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وقد كنت بصيرا قال عالما بحجتى * وقال آخرون بل معناه وقد كنت ذا بصر أبصر به الاشياء

رسوله ثم يتلو هذه الآية وعن عروة ابن الزبير أنه كان اذا رأى ما عند السلاطين قرأ ولا تمدن عينيك الآية ثم ينادى الصلاة الصلاة رحمكم الله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية يذهب الى فاطمة وعلى كل صباح ويقول الصلاة وكان يفعل ذلك شهرا وقوله (واصطبر عليها) أراد أنك كما تأمرهم بها فحافظ عليها فان الوعظ بلسان الفعل أتم منه بلسان القول (لا نسألك رزقا) كما يريد الملوك خراجا من رعيتهم والسادة خرجا من عبيدهم (بل نحن نرزقك) كقوله وما أريد أن

ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وقد كنت في الدنيا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كان بعيد البصر قصير النظر أعمى عن الحق * قال أبو جعفر والصواب من القول في ذلك عندنا أن الله عز ثناؤه وجل ثناؤه عم بالخبر عنه بوصفه نفسه بالبصر ولم يخصص منه معنى دون معنى فذلك على ما عمه فاذ كان ذلك كذلك فتأويل الآية قال رب لم حشرتني أعمى عن حجتي ورؤية الأشياء وقد كنت في الدنيا ذا بصر بذلك كله فان قال قائل وكيف قال هذا لربه لم حشرتني أعمى مع معاينته عظيم سلطانه أجهل في ذلك الموقف أن يكون لله أن يفعل به ما أم ما وجه ذلك قيل ان ذلك منه مسئلة لربه يعرفه الجرم الذي استحق به ذلك اذ كان قد علم وظن أن لا جرم له استحق ذلك به منه فقال رب لأي ذنب ولأي جرم حشرتني أعمى وقد كنت من قبل في الدنيا بصيرا وأنت لا تعاقب أحدا الا بدون ما يستحق منك من العقاب ونحو ذلك أتتك آياتنا فنسيتها يقول تعالى ذكره قال الله حينئذ للقائل له لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا فعلت ذلك بك لحشرتك أعمى كما أتتك آياتي وهي حجج وأدلته وبيانه الذي بينه في كتبه فنسيتها يقول فتركتها وأعرضت عنها ولم تؤمن بها ولم تعمل وعني بقوله كذلك أتتك هكذا أتتك وقوله وكذلك اليوم تنسى يقول فكما نسيت آياتنا في الدنيا فتركتها وأعرضت عنها فكذلك اليوم تنساك فتتركك في النار * وقد اختلف أهل التأويل في معنى قوله وكذلك اليوم تنسى فقال بعضهم بمثل الذي قلنا في ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن اسمعيل الاحمسي قال ثنا محمد بن عبيد قال ثنا سفيان الثوري عن اسمعيل بن أبي خالد عن أبي صالح في قوله وكذلك اليوم تنسى قال في النار حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أبي نجيح عن مجاهد في قوله كذلك أتتك آياتنا فنسيتها قال فتركتها وكذلك اليوم تنسى وكذلك اليوم تترك في النار وروى عن قتادة في ذلك ما حدثني بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى قال نسي من الخير ولم ينس من الشر وهذا القول الذي قاله قتادة قريب المعنى مما قاله أبو صالح ومجاهد لان تركه اياهم في النار أعظم لهم * القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ﴾ يقول تعالى ذكره وهكذا نجزي أي نثيب من أسرف فعصى ربه ولم يؤمن برسله وكتبه فنجعل له معيشة ضنكا في البرزخ كما قد بينا قبل ولعذاب الآخرة أشد وأبقى يقول جل ثناؤه ولعذاب في الآخرة أشد لهم مما وعدتهم في القبر من المعيشة الضنك وأبقى يقول وأدوم منها لانه الى غير أمد ولا نهاية * القول في تأويل قوله تعالى ﴿ أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لآيات لأولي النهى ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم أفلم يهد لقومك المشركين بالله ومعنى يهد يبين يقول أفلم يبين لهم كثرة ما أهلكنا قبلهم من الامم التي سلفت قبلهم التي يمشون هم في مساكنهم ودورهم ويرون آثار عقوباتنا التي أحللناها بهم سوء مغبة ما هم عليه مقيمون من الكفر بآياتنا ويتعظوا بها ويعتبروا وينيبوا من الاذعان ويؤمنوا بالله ورسوله خوفا أن يصيبهم بكفرهم بالله مثل ما أصابهم * وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم لأن قريشا كانت

يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين والحاصل أنا انما أمرناك بالصلاة فذلك لاجل انتفاعك بثوابها لا لأنا ننتفع بها وقيل لا نسألك رزقا لنفسك ولا لأهلك بل نحن نرزقك واياهم فلا تهتم بأمر الرزق والمعيشة وفرغ بالك لامر الآخرة وفي معناه قولهم من كان في عمل الله كان الله في عمله وقال أهل الاشارة ورزق ربك رمز الى قوله أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني قال عبد الله بن سلام كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نزل بأهله ضيق أو شدة أمرهم بالصلاة (والعاقبة) أي الجميلة (للتقوى)

الى الشأم فتمر بمساكن عاد وثمود ومن أشبههم فترى آثار وقائع الله تعالى بهم فلذلك قال لهم أفلم يعذرهم ما يرون من فعلنا بهم بكفرهم بنا نزول مثله بهم وهم على مثل فعلهم مقيمون وكان الفراء يقول لا يجوز فى كم فى هذا الموضع أن يكون الا نصبا بأهلكنا وكان يقول وهو وان لم يكن الا نصبا فان جملة الكلام رفع بقوله يهدلهم و يقول ذلك مثل قول القائل قد تبين لى أقام عمرو أم زيد فى الاستفهام وكقوله سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون و يزعم أن فيه شيأ يرفع سواء لا يظهر مع الاستفهام قال ولو قلت سواء عليكم صمتكم ودعاؤكم تبين ذلك الرفع الذى فى الجملة وليس الذى قال الفراء من ذلك كما قال لأن كم وان كانت من حروف الاستفهام فانها لم تجعل فى هذا الموضع للاستفهام بل هى واقعة موقع الاسماء الموصوفة ومعنى الكلام ما قد ذكرنا قبل وهو أفلم يبين لهم كثرة اهلاكنا كا قبلهم القرون التى يمشون فى مساكنهم أو أفلم تهدهم القرون الهالكة وقد ذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله أفلم يهدلهم من أهلكنا فكم واقعة موقع من فى قراءة عبد الله هى فى موضع رفع بقوله يهدلهم وهو أظهر وجوهه وأصح معانيه وان كان للذى قاله وجه ومذهب على بعد وقوله ان فى ذلك لآيات لأولى النهى يقول تعالى ذكره ان فيما يعاين هؤلاء و يرون من آثار وقائعنا بالامم المكذبة رسلها قبلهم وحلول مثلاتنا بهم لكفرهم بالله لآيات يقول لدلالات وعبرا وعظات لأولى النهى يعنى لأهل الحجى والعقول ومن ينهاه عقله وفهمه ودينه عن مواقعة ما يضره * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله لأولى النهى يقول التقى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان فى ذلك لآيات لأولى النهى أهل الورع ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى ﴾ يقول تعالى ذكره ولولا كلمة سبقت من ربك يا محمد أن كل من قضى له أجلا فانه لا يخترمه قبل بلوغه أجله وأجل مسمى يقول ووقت مسمى عند ربك سماه لهم فى أم الكتاب وخطه فيه هم بالغوه ومستوفوه لكان لزاما يقول للازمهم الهلاك عاجلا وهو مصدر من قول القائل لازم فلان فلانا يلازمه ملازمة ولزاما اذا لم يفارقه وقدم قوله لكان لزاما قبل قوله وأجل مسمى ومعنى الكلام ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزاما فاصبر على ما يقولون * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى الأجل المسمى الدنيا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى وهذه من مقاديم الكلام يقول لولا كلمة سبقت من ربك (١) الى أجل مسمى لكان لزاما والأجل المسمى الساعة لان الله تعالى يقول بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى قال هذا مقدم ومؤخر ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزاما * واختلف أهل التأويل فى معنى قوله لكان لزاما فقال بعضهم معناه لكان موتا ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله لكان

ثم عاد الى قوله فاصبر على ما يقولون فحكى واحدة من شبهاتهم هى قولهم (لولا يأتينا بآية من ربه) كأنهم لم يعتدوا بالقرآن الذى أخرس شقاشقهم فرد الله عليهم بقوله (أولم تأتهم بينة ما فى الصحف الأولى) لأن القرآن برهان سائر الكتب المنزلة لانه معجز دونها فهو شاهد لها بالصحة وأنها من عند الله وقيل أراد بالبينة ما فيها من بشارة مقدم محمد صلى الله عليه وسلم وعن ابن جرير أنه مارأوا فيها من قصص الأمم المكذبة و بيان اهلاكهم بعد اقتراح الآيات وانما أتاهم هذا البيان فى القرآن فلهذا

(١) لعله وأجل بالواو تأمل كتبه مصححه

لزاما يقول موتا * وقال آخرون بل معناه لكان قتلا ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد لكان لزاما واللزام القتل وقوله فاصبر على ما يقولون يقول تعالى ذكره لنبيه فاصبر يا محمد على ما يقول هؤلاء المكذبون بآيات الله من قومك لك انك ساحر ومجنون وشاعر ونحو ذلك من القول وسبح بحمد ربك يقول وصل بثنائك على ربك وقل عبر ربك والمعنى بحمد ربك كما تقول أعجبني ضرب زيد والمعنى ضرب بي زيدا وقوله قبل طلوع الشمس وذلك صلاة الصبح وقبل غروبها وهي العصر ومن آناء الليل وهي ساعات الليل واحدها إنى على تقدير حمل ومنه قول المخبل السعدى

حلو ومر كعطف القدح مرته * في كل إنى قضاه الليل ينتعل

ويعني بقوله ومن آناء الليل فسبح صلاة العشاء الآخرة لانها تصلى بعد مضى آناء من الليل وقوله وأطراف النهار يعني صلاة الظهر والمغرب وقيل أطراف النهار والمراد بذلك الصلاتان اللتان ذكرنا لان صلاة الظهر في آخر طرف النهار الاول وفي أول طرف النهار الآخر فهي في طرفيه والطرف الثالث غروب الشمس وعند ذلك تصلى المغرب فلذلك قيل أطراف وقد يحتمل أن يقال أريد به طرفا النهار وقيل أطراف كما قيل صغت قلوبكما بجمع والمراد قلبان فيكون ذلك أول طرف النهار الآخر وآخر طرفه الآخر * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عاصم عن أبي زيد عن ابن عباس فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها قال الصلاة المكتوبة حدثنا تميم بن المنتصر قال ثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا اسمعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبد الله قال كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى القمر ليلة البدر فقال انكم راؤن ربكم كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته فان استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم تلا فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها قال ابن جريج العصر وأطراف النهار قال المكتوبة حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس قال هي صلاة الفجر وقبل غروبها قال صلاة العصر ومن آناء الليل قال صلاة المغرب والعشاء وأطراف النهار قال صلاة الظهر حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار قال من آناء الليل العتمة وأطراف النهار المغرب والصبح ونصب قوله وأطراف النهار عطفا على قوله قبل طلوع الشمس لان معنى ذلك فسبح بحمد ربك آخر الليل وأطراف النهار * وبنحو الذي قلنا في معنى آناء الليل قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس ومن آناء الليل قال المعنى من الليل كله حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن أبي رجاء قال سمعت الحسن قرأ ومن آناء الليل قال من أوله وأوسطه وآخره حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس في قوله ومن آناء الليل فسبح قال آناء الليل جوف الليل وقوله لعلك ترضى يقول كي ترضى * وقد اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والعراق لعلك ترضى بفتح التاء وكان عاصم والكسائي يقرآن ذلك لعلك ترضى بضم التاء وروى ذلك عن أبي عبد الرحمن السلمي وكأن الذين قرؤا ذلك بالفتح ذهبوا الى معنى ان الله يعطيك

وصف القرآن بكونه بينة ما في الصحف الاولى ثم بين الحكمة في نزول القرآن فقال (ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله) أي من قبل البرهان المذكور الدال عليه البينة (لقالوا) أي في القيامة لأن الهالك لا قول له في الدنيا وعن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يحتج على الله تعالى يوم القيامة ثلاثة الهالك في الفترة يقول لم يأتني رسول والا كنت أطوع خلقك وتلا قوله لولا أرسلت الينا رسولا والمغلوب على عقله يقول لم تجعل لي

حتى ترضى عطيته وثوابه اياك وكذلك تأوله أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله لعلك ترضى قال الثواب ترضى بما يثيبك الله على ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج لعلك ترضى قال بما تعطى وكأن الذين قرؤا ذلك بالضم وجهوا معنى الكلام الى لعل الله يرضيك من عبادتك اياه وطاعتك له والصواب من القول فى ذلك عندى أنهما قراءتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء وهما قراءتان مستفيضتان فى قرأة الامصار متفقتا المعنى غير مختلفتيه وذلك أن الله تعالى ذكره اذا أرضاه فلا شك أنه يرضى وأنه اذا رضى فقد أرضاه الله فكل واحدة منهما تدل على معنى الأخرى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولا تنظر الى ما جعلنا الضراء هؤلاء المعرضين عن آيات ربهم وأشكالهم متعة فى حياتهم الدنيا يتمتعون بها من زهرة عاجل الدنيا ونضرتها لنفتنهم فيه يقول لنختبرهم فيما متعناهم به من ذلك ونبتليهم فان ذلك فان زائل وغرور وخدع تضمحل ورزق ربك الذى وعدك أن يرزقكه فى الآخرة حتى ترضى وهو ثوابه اياه خير لك مما متعناهم به من زهرة الحياة الدنيا وأبقى يقول وأدوم لانه لا انقطاع له ولا نفاد وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى يهودى يستسلف منه طعاما فأبى أن يسلفه الا برهن ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن موسى ابن عبيدة عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبى رافع قال أرسلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى يهودى يستسلفه فأبى أن يعطيه الا برهن فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا محمد بن كثير عن عبد الله بن واقد عن يعقوب بن يزيد عن أبى رافع قال نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فأرسلنى الى يهودى بالمدينة يستسلفه فأتيته فقال لا أسلفه الا برهن فأخبرته بذلك فقال انى لأمين فى أهل السماء وفى أهل الارض فاحمل درعى اليه فنزلت ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم وقوله ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا الى قوله والعاقبة للتقوى ويعنى بقوله أزواجا منهم رجالا منهم أشكالا وبزهرة الحياة الدنيا زينة الحياة الدنيا كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله زهرة الحياة الدنيا أى زينة الحياة الدنيا ونصب زهرة الحياة الدنيا على الخروج من الهاء التى فى قوله به من متعنا به كما يقال مررت به الشريف الكريم فتنصب الشريف الكريم على فعل مررت وكذلك قوله الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا تنصب على الفعل بمعنى متعناهم به زهرة فى الحياة الدنيا وزينة لهم فيها وذكر الفراء أن بعض بنى فقعس أنشده

أبعد الذى بالسفح سفح كواكب * رهينة رمس من تراب وجندل

فنصب رهينة على الفعل من قوله أبعد الذى بالسفح وهذا لا شك أنه أضعف فى العمل نصبا من قوله متعنا به أزواجا منهم لان العامل فى الاسم وهو رهينة حرف خافض لا ناصب * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لنفتنهم فيه قال لنبتليهم فيه ورزق ربك خير وأبقى مما متعنا به هؤلاء من هذه الدنيا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسئلك رزقا نحن نرزقك

عقلا أنتفع به ويقول الصبى كنت صغيرا لا أعقل فيرفع لهم نارا ويقال لهم ادخلوها فيدخلها من كان فى علم الله أنه سعيد ويتلكأ من كان فى علمه أنه شقى فيقول الله تعالى عصيتم اليوم فكيف برسولى لو أتاكم وطعن المعتزلة فى هذا الخبر قالوا لا يحسن العقاب على ما لم يفعل وقال الجبائى فى الآية دلالة على وجوب فعل اللطف والمراد أنه يجب أن يفعل بالمكلفين ما يؤمنون عنده والا كان لهم أن يقولوا هلا فعلت ذلك بنا لنؤمن وقال

والعاقبة للتقوى﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأمر يا محمد أهلك واصطبر عليها يقول واصطبر على القيام بها وأدائها بحدودها أنت لا نسألك رزقا يقول لا نكلفك مالا بل نكلفك عملا ببدنك نؤتيك عليه أجرا عظيما وثوابا جزيلا نحن نرزقك يقول نحن نعطيك المال ونكسبك ولا نسألكه وقوله والعاقبة للتقوى يقول والعاقبة الصالحة من عمل كريم لأهل التقوى والخشية من الله دون من لا يخاف له عقابا ولا يرجو له ثوابا * وبنحو الذي قلنا قوله وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني أبو السائب قال ثنا حفص بن غياث عن هشام بن عروة قال كان عروة اذا رأى ما عند السلاطين يعجبه فقال لا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى ثم ينادي بالصلاة يرحمكم الله حدثنا أبو كريب قال ثنا عثام عن هشام بن عروة عن أبيه أنه كان اذا رأى شيأ من الدنيا جاء الى أهله فقال الصلاة وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك حدثنا العباس بن عبد العظيم قال ثنا جعفر بن عون قال أخبرنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عطاء قال كان يبيت عند عمر بن الخطاب من غلمانه اناويرفا وكانت له من الليل ساعة يصليها فاذا لم يقم من الليل كان قياما وكان اذا صلى من الليل ثم فرغ قرأ هذه الآية وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها الآية حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني هشام بن سعد عن زيد بن أسلم

﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى﴾ يقول تعالى ذكره قال هؤلاء المشركون الذين وصف صفتهم في الآيات قبل هلا يأتينا محمد من ربه كما أتى قومه صالح بالناقة وعيسى باحياء الموتى وابراء الأكمه والأبرص يقول الله تعالى أولم يأتهم بيان ما في الكتب التي قبل هذا الكتاب من أنباء الأمم من قبلهم التي أهلكهم الله لما سألوا الآيات فكفروا بها لما أتتهم كيف عجلنا لهم العذاب وأنزلنا بهم بأسنا بكفرهم بها يحذر هؤلاء فاذا يؤمنهم ان أتتهم الآية أن يكون حالهم حال أولئك * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله أولم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى قال التوراة والانجيل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أولم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى الكتب التي خلت من الامم التي عذبنا مساكنهم

﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى﴾ يقول تعالى ذكره ولو أنا أهلكنا هؤلاء المشركين الذين يكذبون بهذا القرآن من قبل أن ننزله عليهم ومن قبل أن نبعث اليهم رسولا يدعوهم الى ما فرضنا عليهم فيه بعذاب ننزله بهم بكفرهم بالله لقالوا يوم القيامة اذ وردوا على الله عقابهم ربنا هلا أرسلت الينا رسولا يدعونا الى طاعتك فنتبع آياتك يقول فنتبع حجتك ونعمل بما تنزله عليه من أمرك ونهيك من قبل أن نذل بتعذيبك ايانا ونخزى به كما حدثني محمد بن اسحق قال ثنا أبو قتيبة سلم بن قتيبة عن فضيل بن مرزوق عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يحتج على الله يوم القيامة ثلاثة الهالك في الفترة والمعتوه

الكعبي فيها أوضح دليل على أنه تعالى يقبل الاحتجاج من عباده وليس معنى قوله لا يسئل عما يفعل أن الجور منه يكون عدلا بل تأويله أنه لا يقع منه الا العدل واذا ثبت أنه تعالى يقبل الحجة فلو لم يكونوا قادرين على ما أمروا به لكان لهم فيه أعظم حجة واستدل أهل السنة بها على أن الوجوب لا يتحقق الا بالشرع والا لكان العقاب حاصلا قبل مجيئه ثم ختم السورة بوعيد اجمالي فقال (قل كل) أي كل منا ومنكم

على عقله والصبى الصغير فيقول المغلوب على عقله لم تجعل لى عقلا أنتفع به ويقول الهالك فى الفترة لم يأتنى رسول ولا نبى ولو أتانى لك رسول أو نبى لكنت أطوع خلقك لك وقرأ لولا أرسلت الينا رسولا ويقول الصبى الصغير كنت صغيرا لا أعقل قال فترفع لهم نار ويقال لهم ردوها قال فيردها من كان فى علم الله أنه سعيد ويتلكأ عنها من كان فى علم الله أنه شقى فيقول اياى عصيتم فكيف برسلى لو أتتكم

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوى ومن اهتدى﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد كلكم أيها المشركون بالله متربص يقول منتظر لمن يكون الفلاح والى ما يؤول أمرى وأمركم متوقف ينتظر دوائر الزمان فتربصوا يقول فترقبوا وانتظروا فستعلمون من أهل الطريق المستقيم المعتدل الذى لا اعوجاج فيه اذا جاء أمر الله وقامت القيامة أنحن أم أنتم ومن اهتدى يقول وستعلمون حينئذ من المهتدى الذى هو على سنن الطريق القاصد غير الجائر عن قصده منا ومنكم وفى من من قوله فستعلمون من أصحاب الصراط السوى والثانية من قوله ومن اهتدى وجهان الرفع وترك اعمال تعلمون فيهما كما قال جل ثناؤه لنعلم أى الحزبين أحصى والنصب على اعمال تعلمون فيهما كما قال جل ثناؤه والله يعلم المفسد من المصلح

(تم)

﴿تم الجزء السادس عشر من تفسير ابن جرير الطبرى ويليه الجزء السابع عشر أوله (سورة الانبياء)﴾

(متربص) عاقبة أمره وهذا الانتظار اما قبل الموت بسبب الأمر بالجهاد أو ظهور الدولة والغلبة أو بالموت فان كل واحد من الخصمين ينتظر موت صاحبه واما بعد الموت وهو ظهور أثر الثواب والعقاب وتميز المحق والمبطل ويؤيده قوله (فستعلمون) الى آخره وهذا من كلام المنصف وبالله المستعان

(تم)

فهرست

الجزء السادس عشر

من تفسير الامام ابن جرير الطبرى

﴿ فهرست الجزء السادس عشر من تفسير الامام ابن جرير الطبرى ﴾

صحيفة	
٢	تأويل قوله تعالى أما السفينة وبيان ان كلمة وراء من حروف الاضداد والشاهد عليه
٥	بيان المراد بالكنز الذى كان تحت جدار اليتيمين وأن الكنز كان فى شريعتهم حلالا
٧	بيان خبر ذى القرنين ومسيره وما لقى من العجائب والخلاف فيه هل هو ملك أو آدمى
١٣	ذكر بناء السد وايراد الاخبار عن يأجوج ومأجوج
٢٣	تأويل قوله تعالى وتركنا بعضهم الآية وبيان حقيقة الصور وما فى القيامة من الأهوال
٢٦	بيان الأخسرين أعمالا من هم
٢٩	تأويل قوله ان الذين آمنوا الآية وبيان الخلاف فى معنى الفردوس
٣٢	بيان أن الرياء من جملة الاشراك بالله
٣٢	﴿ تفسير سورة مريم ﴾
٣٥	ذكر خبر زكريا ودعائه وسبب سؤاله ربه الولد
٤٢	تأويل قوله تعالى يا يحيى خذ الكتاب وبيان ما أوتيه يحيى عليه السلام من معالى الاحوال وذكر الشواهد على معنى الحنان
٤٥	ذكر قصة مريم عليها السلام والمكان الذى اتخذته وارسال الملك اليها والسبب الذى من أجله اتخذ النصارى المشرق قبلة
٤٩	ذكر ما جرى بين مريم ويوسف النجار
٥١	ذكر الذى نادى مريم من تحتها وبعض فوائد للتمر والعجوة
٥٦	تأويل قوله تعالى فكلى واشربى الآية وبيان ما دار بينها وبين قومها من المحاورة
٥٨	بيان وجه كون مريم أخت هرون
٦٢	بيان اختلاف الناس فى أمر عيسى عليه السلام

صحيفة	
٦٦	تأويل قوله تعالى وأنذرهم يوم الحسرة الآية وبيان ما يراه أهل الموقف من صورة الموت
٦٧	ذكر ابراهيم عليه السلام ومحاورته لأبيه
٧١	ذكر موسى عليه السلام وبيان المراد بتقريبه
٧٢	ذكر ادريس عليه السلام وما قيل فى رفعه
٧٤	بيان ما قيل فى معنى اضاعة الصلاة
٧٧	تأويل قوله تعالى وما نتنزل الا بأمر ربك الآية وذكر ما جرى بين رسول الله وجبريل
٨١	ذكر ما ورد فى ورود الناس جهنم
٩١	تأويل قوله تعالى أفرأيت الذى كفر بآياتنا الآية وذكر أسباب نزولها
٩٦	ذكر ما ورد فى ركوب بعض أهل الموقف النوق
١٠٠	تأويل قوله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية وبيان أنه ما يقبل أحد عمل الله بقلبه الا أقبل الله بقلوب الناس اليه
١٠٢	﴿ تفسير سورة طه ﴾
١٠٥	بيان ما هو أخفى من السر
١٠٧	ذكر خروج موسى بأهله وما لاقاه من الشدة
١٠٩	ذكر السبب فى كون موسى أمر بخلع نعليه
١١٢	تأويل قوله تعالى وأنا اخترتك وبيان أن الصلاة ذكر لله
١١٧	بيان فوائد عصا موسى
١١٩	بيان لون موسى وذكر بعض حلاه
١٢٤	ذكر امتناع موسى عليه السلام من المراضع وما تم لأمه معه
١٣١	ذكر ما حصل بين موسى وفرعون من المحاورة
١٣٤	بيان يوم الزينة
١٣٩	بيان ما حصل بين موسى والسحرة
١٤١	بيان ما حصل بين السحرة وفرعون

صحيفة		صحيفة	
١٤٦	بيان فتنة السامرى لبنى اسرائيل	١٦٠	بيان العهد الذى عهد الى آدم عليه السلام
١٥٠	بيان مافعله موسى بأخيه هرون واعتذار هرون له	١٦٣	بيان معيشة الضنك التى تكون للكافر
١٥١	بيان مارآه السامرى من أثر جبريل	١٦٧	تأويل قوله تعالى ولولا كلمة سبقت الآية وبيان معنى الأجل واللزام
١٥٣	بيان مافعله موسى بالسامرى وعجله	١٦٩	بيان ما أمر به صلى الله عليه وسلم من اعراضه عن الدنيا وزهرتها
١٥٥	بيان مايفعل بالجبال عند قيام الساعة		

﴿ تمت ﴾

﴿ فهرست الجزء السادس عشر من تفسير الامام النيسابورى الموضوع بالهامش ﴾

صحيفة		صحيفة	
٤	بيان أن موسى صاحب الخضر هو موسى بن عمران لا موسى بن ميشا كما يدعيه اليهود	٣٣	بيان معنى السمى المنفى عن يحيى عليه السلام
٥	بيان المراد بالبحرين	٣٥	تأويل تلك الآيات
٦	بيان أن سبب نسيان الفتى لأمر الحوت هو إلفه المعجزات	٣٦	تفسير قوله تعالى واذكر فى الكتاب مريم الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
٨	بيان أنواع الأدب التى راعاها موسى مع الخضر	٤٠	بيان سن مريم عند حملها ومدة الحمل
١٤	تأويل تلك الآيات	٤٣	بيان أن نذر عدم الكلام يجوز فى شرعنا أولا
١٧	تفسير قوله تعالى ويسئلونك عن ذى القرنين الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها	٤٦	بيان أن اليهود والنصارى أنكروا تكلم عيسى فى المهد والرد عليهم
١٨	ذكر خبر ذى القرنين	٤٧	بيان ما احتج به بعض الاشاعرة على قدم كلام الله
٢٠	بيان أن الأرض كروية وأن السماء محيطة بها وصغر الأرض عن الشمس	٤٩	تأويل تلك الآيات
٢١	بيان موضع السدين	٥١	تفسير قوله تعالى واذكر فى الكتاب ابراهيم الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
٢٢	بيان خبر يأجوج ومأجوج	٥٣	حاصل دليل منع العبادة لغيره تعالى
٢٥	بيان مذهب اليه الأشاعرة من أن كلام الله واحد والاعتراض عليهم والجواب عنه	٥٦	بيان صدق الوعد الذى خص به اسمعيل عليه السلام
٢٦	تأويل تلك الآيات	٦٠	ذكر سؤال قريش اليهود عن صفة رسول الله وتعليم اليهود لهم بعض أسئلة سألوه عنها
٢٨	﴿ تفسير سورة مريم ﴾	٦١	تأويل تلك الآيات
٢٩	بيان ما فى قوله رب انى وهن العظم منى الآية من اللطائف	٦٢	تفسير قوله تعالى ويقول الانسان الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها

صحيفة	
٦٦	ذكر فائدة ايراد المؤمنين النار مع كونهم لم يعذبوا بها
٦٧	بيان ما أجمعت عليه المعتزلة من أن العقاب واجب على الله وغير ذلك مما ذهبوا اليه
٧٠	بيان قصة العاصي بن وائل مع خباب بن الأرت
٧١	بيان ما استدل به الاشاعرة على أنه تعالى مريد لجميع الكائنات
٧٣	بيان الدليل على استحالة الولد على الله
٧٥	تأويل تلك الآيات
٧٦	﴿ تفسير سورة طه ﴾
٧٩	بيان ما هو أخفى من السر
٨٠	بيان مراتب التوحيد
٨٠	بيان أن الموجودات على ثلاثة أقسام
٨٢	بيان أن النار على أربعة أقسام
٨٣	بيان ما قالته الاشاعرة في تكليم الله لموسى وما قالته المعتزلة
٨٤	بيان ما قيل في الطواف والصلاة بالنعل
٨٥	بيان حكم من فاتته صلوات وأراد قضاءها
٨٧	﴿ أسئلة ﴾

صحيفة	
٨٩	ذكر فوائد عصا موسى
٩٢	بيان ما قاله الله لموسى حين أمره بالذهاب الى فرعون
١٠٢	تأويل تلك الآيات
١٠٤	تفسير قوله تعالى ولقد منناعليك مرة أخرى الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
١١٠	بيان مقدار عمر فرعون
١١٢	بيان أن العلماء اختلفوا في أن فرعون كان عنادا أو جهلا
١٢١	بيان ما رزقته السحرة من كمال الايمان
١٢٢	تفسير قوله تعالى ولقد أوحينا الى موسى الآيات وبيان القراآت والوقوف
١٢٥	بيان أن التوبة من الكفر يجب تقديمها على الايمان
١٢٨	بيان ما قاله هرون للسامري وهو يصنع العجل
١٣٠	بيان ما رآه السامري
١٣٨	تأويل تلك الآيات
١٣٩	تفسير قوله ولقد عهدنا الى آدم الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
١٤٧	بيان ان أهل البلاء هم أهل الغفلة

﴿ تم فهرست الجزء السادس عشر من النيسابوري ﴾

الجزء السابع عشر

من كتاب جامع البيان في تفسير القرآن

تأليف

الامام الكبير والمحدث الشهير من أطبقت الأمة على تقدمه فى التفسير

أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هجرية

رحمه الله وأثابه رضاه آمين

وبهامشه

تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان

للعلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمى النيسابورى قدست أسراره

«فى كشف الظنون» قال الامام جلال الدين السيوطى فى الاتقان وكتابه «أى الطبرى» أجل التفاسير وأعظمها فانه يتعرض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على بعض والاعراب والاستنباط فهو يفوق بذلك على تفسير الأقدمين * وقال النووى أجمعت الامة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبرى * وعن أبى حامد الاسفرايينى أنه قال لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا اه

تنبيه

طبعت هذه النسخة بعد تصحيحها على الاصول الموجودة فى خزانة الكتبخانة الخديوية بمصر بالاعتناء التام نسأل الله تعالى حسن الختام

طبع هذا الكتاب على نفقة حضرة السيد عمر الخشاب الكتبى الشهير بمصر ونجله حضرة السيد محمد عمر الخشاب حفظهما الله ووفقنا واياهما لما يحبه ويرضاه

(الطبعة الأولى)

بالمطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر المحمية

سنة ١٣٢٨ هجريه

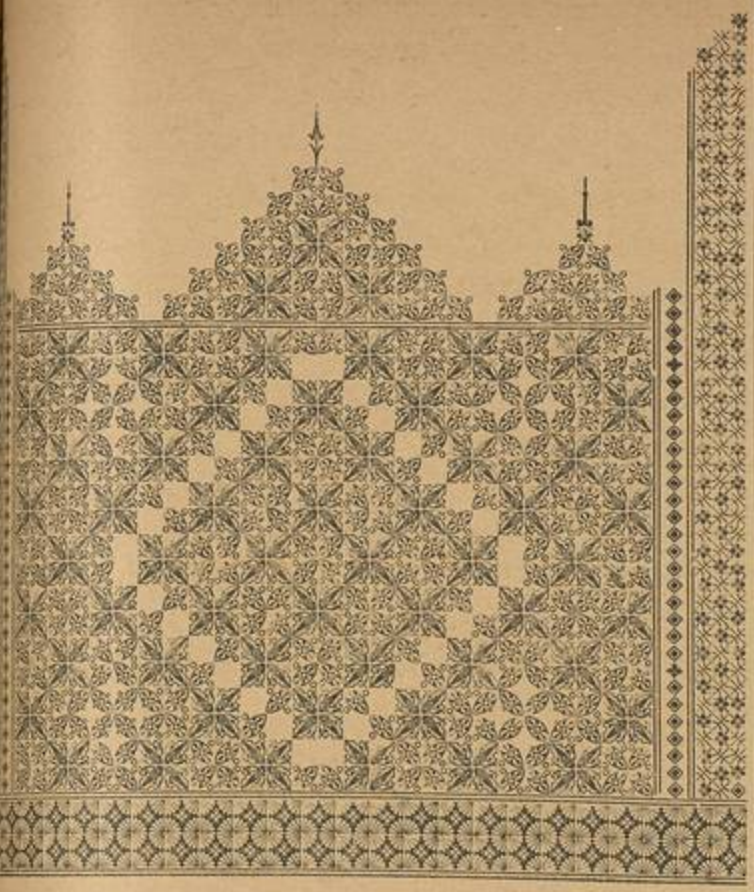

﴿ تفسير سورة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سورة الأنبياء مكية حروفها أربعة آلاف وثمانمائة وتسعون كلمها ألف ومائة وثمان وسبعون آياتها مائة وست عشرة)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا الا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون قال ربي يعلم القول في السماء والارض وهو السميع العليم بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الاولون ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين ثم صدقناهم الوعد فأنجيناهم ومن نشاء وأهلكنا المسرفين لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين فلما أحسوا بأسنا اذا هم منها يركضون لا تركضوا وارجعوا الى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسئلون قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون وله من في السموات والارض ومن عنده

الآية

﴿ القول في تأويل قوله تعالى ذكره ﴿ اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ﴾ يقول تعالى ذكره دنا حساب الناس على أعمالهم التي عملوها في دنياهم ونعمهم التي أنعمها عليهم في أبدانهم وأجسامهم ومطاعمهم ومشاربهم وملابسهم وغير ذلك من نعمه عندهم ومسئلته إياهم ماذا عملوا فيها وهل أطاعوه فيها فانتهوا الى أمره ونهيه في جميعها أم عصوه فخالفوا أمره فيها ﴿ وهم في غفلة معرضون ﴾ يقول وهم في الدنيا عما الله فاعل بهم من ذلك يوم القيامة وعن دنو محاسبته منهم واقترابه لهم في سهو وغفلة وقد أعرضوا عن ذلك فتركوا الفكر فيه والاستعداد له والتأهب جهلا منهم بما هم لاقوه عند ذلك من عظيم البلاء وشديد الأهوال * وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله وهم في غفلة معرضون قال أهل التأويل وجاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا أبو الوليد قال ثنى أبو معاوية قال أخبرنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وهم في غفلة معرضون قال في الدنيا ﴿ في تأويل قوله تعالى ذكره ﴿ ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون ﴾ يقول تعالى ذكره ما يحدث الله من تنزيل شئ من هذا القرآن للناس ويذكرهم به ويعظهم الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم * وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث

لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون ﴿ ۞ القراآت قال ربي بالألف حمزة وعلي وحفص الباقون قل على الأمر نوحي بالنون مبنيا للفاعل حفص غير الخزاز الباقون بالياء مجهولا ۞ الوقوف معرضون ج للآية مع احتمال كون ما بعده صفة أو استئنافا يلعبون لا لأن لاهية حال أخرى مترادفة أو متداخلة من ضمير يلعبون وهي لقلوبهم في المعنى قلوبهم ط مثلكم ج لابتداء الاستفهام مع اتحاد المقول تبصرون ○ والارض ز لاتفاق الجملتين مع استغناء الثانية عن الاولى العليم ○ شاعر ج لاختلاف النظم مع اتحاد المقول الأولون ○ أهلكناها ج لابتداء الاستفهام مع اتحاد المقول يؤمنون ○ لا تعلمون ○ خالدين ○ المسرفين ○ ذكركم ○ تعقلون ○ آخرين ○ يركضون ○ ط لتقدير القول تسئلون ○ ظالمين ○ خامدين ○ لاعبين ○ من لدنا ○ على جعل ان نافية والأصح أنها للشرط فاعلين ○ زاهق لا تصفون ○ والارض ط لان ما بعده مبتدأ يستحسرون ○ ج لأن ما بعده يصلح حالا واستئنافا لا يفترون ○ ۞ التفسير قال جار الله اللام في قوله للناس اما صلة لاقترب أو تأكيد لاضافة الحساب اليهم كقولك في أزف رحيل الحي أزف للحي الرحيل فيه تأكيدان من جهة تقديم الحي ومن جهة اظهار اللام ثم تزيد تأكيدا آخر من جهة وضع ضمير الحي مضافا اليه الرحيل موضع لام التعريف فيه فتقول أزف للحي رحيلهم والمراد اقترب للناس وقت حسابهم وهو القيامة كقوله اقتربت الساعة فاذا اقتربت الساعة فقد اقترب ما يكون فيها من الحساب وغيره كأنه لما هدد في خاتمة السورة الآية بقول ما ينزل عليهم من شئ من القرآن الا استمعوه وهم يلعبون ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا الا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون ﴾ يقول تعالى ذكره لاهية قلوبهم غافلة يقول ما يستمع هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم في هذا القرآن الا وهم يلعبون غافلة عنه قلوبهم لا يتدبرون حكمه ولا يتفكرون فيما أردعه الله من الحجج عليهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لاهية قلوبهم يقول غافلة قلوبهم وقوله وأسروا النجوى الذين ظلموا يقول وأسر هؤلاء الناس الذين اقتربت الساعة حسابهم وهم في غفلة معرضون لاهية قلوبهم النجوى بينهم يقول وأظهروا المناجاة بينهم فقالوا هل هذا الذي يزعم أنه رسول من الله أرسله اليكم الا بشر مثلكم يقولون هل هو الا انسان مثلكم في صوركم وخلقكم يعنون بذلك محمدا صلى الله عليه وسلم وقال الذين ظلموا فوضعهم بالظلم بفعلهم وقيلهم الذي أخبر به عنهم في هذه الآيات أنهم يفعلون ويقولون من الاعراض عن ذكر الله والتكذيب برسوله والذين من قوله وأسروا النجوى الذين ظلموا في الاعراب وجهان الخفض على أنه تابع للناس في قوله اقترب للناس حسابهم والرفع على الرد (١) على الأسماء الذين في قوله وأسروا النجوى من ذكر الناس كما قيل ثم عموا وصموا كثير منهم وقد يحتمل أن يكون رفعا على الابتداء ويكون معناه وأسروا النجوى ثم قال هم الذين ظلموا وقوله أفتأتون السحر وأنتم تبصرون يقول وأظهروا هذا القول بينهم وهي النجوى التي أسروها بينهم فقال بعضهم لبعض أتقبلون السحر وتصدقون به وأنتم تعلمون أنه سحر يعنون بذلك القرآن كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أفتأتون السحر وأنتم تبصرون قال قاله أهل الكفر لنبيهم لما جاءه به من عند الله زعموا أنه ساحر وأن ما جاءه به سحر قالوا أفتأتون السحر وأنتم تبصرون ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ قل ربي يعلم القول في السماء والأرض وهو السميع العليم ﴾ اختلفت القراء في قراءة قوله قل ربي فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والبصرة وبعض الكوفيين قل ربي على وجه الأمر وقرأ بعض قراء مكة وعامة قراء الكوفة قال ربي على وجه الخبر وكأن الذين قرؤه على وجه الامر أرادوا من تأويله قل يا محمد للقائلين أفتأتون السحر وأنتم تبصرون ربي يعلم قول كل قائل في السماء والارض لا يخفى عليه منه شئ وهو السميع لذلك كله ولما يقولون من الكذب العليم بصدق وحقيقة ما أدعوكم اليه وباطل ما تقولون وغير ذلك من الأشياء كلها وكأن الذين قرؤا ذلك على وجه الخبر أرادوا قال محمد ربي يعلم القول خبرا من الله عن جواب نبيه اياهم والقول في ذلك عندي قراءتان مشهورتان في قراءة الامصار قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء وجاءت بهما صاحف المسلمين متفقتا المعنى وذلك أن الله اذا أمر محمدا بقيل ذلك قاله واذا قاله فعن أمر الله قاله فبأيتهما قرأ القارئ فصيب الصواب في قراءته ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون ﴾ يقول تعالى ذكره ما صدقوا به من الحكمة هذا القرآن ولا أنه من عند الله ولا أقروا بأنه وحي أوحاه الله الى محمد صلى الله عليه وسلم بل قال بعضهم هو أهاويل رؤيا رآها في النوم وقال بعضهم هو فرية واختلاق افتراه واختلقه من قبل نفسه وقال بعضهم بل محمد شاعر وهذا الذي جاءكم به شعر فليأتنا بآية يقول قالوا فليحدثنا محمد ان كان صادقا في قوله ان الله بعثه رسولا الينا وان هذا الذي يتلوه علينا وحي من الله أوحاه الينا بآية تعقل بحجة ودلالة على حقيقة ما يقول ويدعي كما أرسل الأولون يقول كما جاءت به الرسل الأولون من قبله من احياء الموتى وابراء الأكمه والأبرص وكناقة صالح وما أشبه ذلك من المعجزات التي

(١) لعله على الاسم الذي الخ تأمل كتبه مصححه

المتقدمة بقوله فستعلمون بين فى أول هذه السورة أن وقت ذلك العلم قريب فان قيل كيف وصف بالاقتراب وقد مضى دون هذا القول أكثر من سبعمائة عام فالجواب أن كل ما هو آت قريب وانما البعيد الذى دخل فى خبر كان قال القائل شعر

فلا زال ما تهواه أقرب من غد * ولا زال ما تخشاه أبعد من أمس على أنه لم يمض بعد يوم من أيام الله وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون ومما يدل على أن الباقى من مدة التكليف أقل من الماضى قوله صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين وقد وعد بعث خاتم النبيين فى آخر الزمان وفى ذكر هذا الاقتراب تنبيه للغافلين وزجر للمذنبين فالمراد بالناس كل من له مدخل فى الحساب وهم جميع المكلفين ومارو ى عن ابن عباس أن المراد بالناس المشركون فمن باب اطلاق اسم الجنس على بعضه بالدليل القائم وهو ما يتلوه من صفات المشركين من الغفلة والاعراض وغيرهما والذكر الطائفة النازلة من القرآن وقرئ (محدث) بالرفع صفة على المحل واحتجت المعتزلة بالآية على أن القرآن محدث وأجاب الاشاعرة بأنه لا نزاع فى حدوث المركب من الأصوات والحروف لأنه متجدد فى النزول وانما النزاع فى الكلام النفسى الذى لا يصح عليه الاتيان والنزول وزعم الامام فخر الدين الرازى رضى الله عنه ان حاصل قول المعتزلة فى هذا المقام يؤل الى قولنا القرآن ذكر وبعض الذكر محدث لان قوله من ذكر من ربهم محدث لا يدل على حدوث كل ما كان ذكرا بل على أن ذكرا ما محدث كما أن قول القائل لا يدخل هذا البلد رجل فاضل الا يبغضونه لا يدل على أن كل رجل يجب أن يكون فاضلا واذا كان كذلك فيصير صورة القياس كقولنا الانسان حيوان وبعض الحيوان فرس وانه لا ينتج شيأ لان كلية الكبرى شرط فى انتاج الشكل الاول كما عرف فى علم الميزان قلت ان المعتزلة لا يحتاجون فى اثبات دعواهم الى تركيب مثل هذا القياس لأن مدعاهم يثبت بتسليم احدى مقدمتى القياس الذى ركبه وهى بعض الذكر محدث لانه نقيض ما يدعيه الاشاعرة وهو لا شئ من القرآن بمحدث واذا صدق أحد النقيضين كذب الآخر بالضرورة فقد أن الامام غلطهم فى هذا القياس الذى ركبه ثم لقائل أن يقول تتميما لقول المعتزلة اذا ثبت أن بعض القرآن محدث لزم أن يكون كله

لا يقدر عليها الا الله ولا يأتى بها الا الأنبياء والرسل * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أضغاث أحلام يقول أى فعل حالم انما هى رؤيا رآها بل افتراه بل هو شاعر كل هذا قد كان منهم وقوله فليأتنا بآية كما أرسل الأولون يقول كما جاء عيسى بالبينات وموسى بالبينات والرسل حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله أضغاث أحلام قال مشتبهة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله أضغاث أحلام قال أهاويلها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقال تعالى ذكره بل قالوا ولا جحد فى الكلام ظاهر فيحقق ببل لأن الخبر عن أهل الجحود والتكذيب فاجتزى بمعرفة السامعين بما دل عليه قوله بل من ذكر الخبر عنهم على ما قد بينا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون ﴾ يقول تعالى ذكره ما آمن قبل هؤلاء المكذبين محمدا من مشركى قومه الذين قالوا فليأتنا محمد بآية كما جاءت به الرسل قبله من أهل قرية عذبناهم بالهلاك فى الدنيا اذ جاءهم رسولنا اليهم بآية معجزة أفهم يؤمنون يقول أفهؤلاء المكذبون محمدا السائلوه الآية يؤمنون به ان جاءتهم آية ولم تؤمن قبلهم أسلافهم من الامم الخالية التى أهلكناها برسلها مع مجيئها * وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أهلكناها أفهم يؤمنون يصدقون بذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون أى الرسل كانوا اذا جاؤا قومهم بالبينات فلم يؤمنوا لم يناظروا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحى اليهم فسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه وما أرسلنا يا محمد قبلك رسولا الى أمة من الامم التى خلت قبل أمتك الا رجالا مثلهم نوحى اليهم ما نريد أن نوحيه اليهم من أمرنا ونهينا لا ملائكة فاذا أنكروا من ارسالنا اليهم وأنت رجل كسائر الرسل الذين قبلك الى أممهم وقوله فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون يقول للقائلين لمحمد صلى الله عليه وسلم فى تناجيهم بينهم هل هذا الا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون أنكرتم وجهلتم أمر الرسل الذين كانوا من قبل محمد فلم تعلموا أيها القوم أمرهم انسانا كانوا أم ملائكة فاسألوا أهل الكتب من التوراة والانجيل ما كانوا يخبروكم عنهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون يقول

فاسألوا

لان القائل قائلان أحدهما ذهب الى قدم كله والثانى الى حدوث كله ولم يذهب أحد الى قدم بعضه وحدوث بعضه قال أهل البرهان انما قال فى هذه السورة من ربهم محدث لموافقة قوله بعده هذا قل ربى يعلم وقال فى الشعراء من ذكر من الرحمن محدث لكثرة ذكر الرحيم فيها فكان الرحمن بالرحيم أنسب قوله تعالى (يلعبون) اللعب الاشتغال بما لا يعنى قوله (لاهية) هى من لهى عنه بالكسر اذا ذهل وغفل وفيه ان هم الا كالانعام بل هم لا يحصلون من الاستماع والتذكير الا على مثل ما تحصل هى عليه (٥) آذانهم تسمع وقلوبهم لا تعى ولا تفقه ومعنى

(وأسروا النجوى) بالغوا فى اخفائها وجعلوها بحيث لا يفطن أحد لها ولا يعلم أنهم متناجون وفى واو أسروا وجهان أحدهما أنه على لغة من يجوز الحاق علامة التثنية والجمع بالفعل اذا كان مقدما على فاعله وثانيهما وهو الأقوى أن الواو ضمير راجع الى الناس المقدم ذكرهم والذين ظلموا بدل منهم أو هو منصوب المحل على الذم أو هو مبتدأ خبره أسروا النجوى مقدما عليه وعلى التقادير أراد وأسروا النجوى هؤلاء فوضع المظهر موضع المضمر تسجيلا على فعلهم بأنه ظلم ثم أبدل من النجوى قوله (هل هذا الا بشر) الى قوله (وأنتم تبصرون) أى أتقبلون سحره وتحضرون هنالك وأنتم ترون أنه رجل مثلكم أو تعلمون أنه سحر وأنتم من أهل البصر والعقل وجوز بعضهم أن يكون قوله هل هذا الى آخره مفعولا لقالوا مضمرا وانما أسروا نجوى هذا الحديث لانهم أرادوا شبه التشاور فيما بينهم تحريا لهدم أمر النبى كما جاء فى كلام الحكماء ويرفع أيضا الى النبى صلى الله عليه وسلم استعينوا على حوائجكم بالكتمان ويجوز أن يسروا بذلك ثم يقولوا للرسول والمؤمنين ان كان ما تدعون حقا فأخبرونا بما أسررنا من قرأ (قال ربى) فعلى حكاية الرسول صلى الله

(وسألوا أهل التوراة والانجيل) قال أبو جعفر أراه أنا قال) يخبر وكم أن الرسل كانوا رجالا يأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق وقيل أهل الذكر أهل القرآن ذكر من قال ذلك حدثنى أحمد ابن محمد الطوسى قال ثنى عبد الرحمن بن صالح قال ثنى موسى بن عثمان عن جابر الجعفى قال لما نزلت فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون قال على نحن أهل الذكر حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون قال أهل القرآن والذكر القرآن وقرأ انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين﴾ ثم صدقناهم الوعد فأنجيناهم ومن نشاء وأهلكنا المسرفين يقول تعالى ذكره وما جعلنا الرسل الذين أرسلناهم من قبلك يا محمد الى الأمم الماضية قبل أمتك جسدا لا يأكلون الطعام يقول لم نجعلهم ملائكة لا يأكلون الطعام ولكن جعلناهم أجسادا مثلك يأكلون الطعام كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام يقول ما جعلناهم جسدا الا ليأكلوا الطعام حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام يقول لم أجعلهم جسدا ليس فيهم أرواح لا يأكلون الطعام ولكن جعلناهم جسدا فيها أرواح يأكلون الطعام * قال أبو جعفر وقال وما جعلناهم جسدا فوحد الجسد وجعله موحدا وهو من صفة الجماعة وانما جاز ذلك لان الجسد بمعنى المصدر كما يقال فى الكلام وما جعلناهم خلقا لا يأكلون وقوله وما كانوا خالدين يقول ولا كانوا أربابا لا يموتون ولا يفنون ولكنهم كانوا بشرا أجسادا فماتوا وذلك أنهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما قد أخبر الله عنهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى قوله أو تأتى بالله والملائكة قبيلا قال الله تبارك وتعالى لهم ما فعلنا ذلك بأحد قبلكم فنفعل بكم وانما كنا نرسل اليهم رجالا نوحى اليهم كما أرسلنا اليكم رسولا نوحى اليه أمرنا ونهينا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما كانوا خالدين أى لا بد لهم من الموت أن يموتوا ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ثم صدقناهم الوعد فأنجيناهم ومن نشاء وأهلكنا المسرفين﴾ يقول تعالى ذكره ثم صدقنا رسلنا الذين كذبتهم أممهم وسألتهم الآيات فأتيناهم ما سألوه من ذلك ثم أقاموا على تكذيبهم اياها وأصروا على جحودهم نبوتها بعد الذى أتتهم من آيات ربها وعدناهم الذى وعدناهم من الهلاك على اقامتهم على الكفر بربهم بعد مجىء الآية التى سألوا وذلك كقوله جل ثناؤه فمن يكفر بعد منكم فانى أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين وكقوله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب ونحو ذلك من المواعيد التى وعد الأمم مع مجىء الآيات وقوله فأنجيناهم يقول تعالى ذكره فأنجينا الرسل عند اصرار أممها على تكذيبها بعد

عليه وسلم كأنه قال انكم وان أخفيتم قولكم وطعنكم فان ربى عالم بذلك وانه من وراء عقابه يصف نفسه فى بعض المواضع بأنه يعلم السر وذلك حين يريد تخصيصه بعلم الغيب ووصف نفسه ههنا بأنه يعلم القول قال جار الله هذا آكد لانه عام يشمل السر والجهر فكان فى العلم به العلم بالسر وزيادة وأقول هذا اذا كان اللام فى القول للاستغراق أما اذا كان للجنس فلا يلزم زيادة العلم اذ لا دلالة للعام على الخاص بل نقول العلم بالسر يستلزم العلم بالجهر بالطريق الأولى فلا مزية لاحدى العبارتين على الأخرى (وهو السميع العليم) خصص علمه بالمسموعات أو لانهم عمم

وقال الامام قدم السميع على العليم لانه لابد من استماع الكلام أولا ثم من حصول العلم بمعناه قلت هذا قياس للغائب على الحاضر فهو
قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر) معنى هذه الاضرابات مع ملاحظة ما قبلها أنهم أنكروا أولا كون الرسول من جنس البشر
كأنهم قالوا سلمنا ذلك ولكن الذى ادعيت أنه معجز ليس بمعجز لغاية أنه خارق للعادة وليس كل ما هو خارق للعادة معجزا فقد يكون سحرا
اذا ساعدنا على أن فصاحة القرآن خارجة (٦) عن العادة لكنا عن تسليم هذه المقدمة بمراحل فانا ندعى أنه فى غاية الركاكة

النظم كأضغاث أحلام وهى الأحلام المختلطة التى لا أصل لها وقد مر فى سورة يوسف سلمنا ولكنه من جنس كلام الاوساط افتراه من عنده سلمنا أنه كلام فصيح ولكنه لا يتجاوز فصاحة الشعراء واذا كان حال هذا المعجز هكذا (فليأتنا بآية) لا يتطرق الهاشئ من هذه الاحتمالات (كما أرسل الأولون) أى كما أتى الأولون بالآيات لان ارسال الرسل متضمن لاتيانهم بالآيات ومن تأمل فى هذه الأقوال المحكية عن أولئك الكفرة علم أنها كلام مبطل متحيرها ئم فى أودية الضلال والا يكفى فى اعجاز القران أنهم عدلوا حين تحدوا به عن المعارضة بالحروف الى المقارعة بالسيوف ثم بين أن الآيات التى يقترحونها لا فائدة لهم فيها لأنهم أعتى من الأمم السالفة وأنهم ما آمنوا عند مجىء الآيات المقترحة فأهلكوا لاجل ذلك (أفهم يؤمنون) مع شدة شكيمتهم فيه معنى الانكار أى لا يؤمنون البتة وحينئذ يجب اهلاكهم ولكن قد سبق القول من الله أن هذه الأمة أمنوا من عذاب الاستئصال ثم أجاب عن شبهتهم الأولى وهى قولهم هل هذا الا بشر مثلكم بقوله (وما أرسلنا قبلك الا رجالا) وقد مر مثله فى آخر سورة يوسف وفى النحل وانما جاز الامر بالرجوع الى أهل الكتاب وان كانوا من الكفرة لان هذا الخبر قد تواتر عندهم وبلغ حد الضرورة على أن أهل الكتاب كانوا يتابعون المشركين فى معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان قولهم عندهم حجة وقيل أهل الذكر أهل القرآن وضعف بأنهم كانوا طاعنين القرآن وفى محمد صلى الله عليه وسلم فكيف يؤمرون بالرجوع الى قولهم واستدل كثير من الفقهاء بالآية فى أن للعامى أن يرجع الى فتيا العلماء وللمجتهد أن يأخذ بقول مجتهد آخر وأجيب بأنها خطاب مشافهة وارد فى الواقعة المخصوصة وفى السؤال عن أهل الكتاب فلا يتعدى

الآيات ومن نشاء وهم أتباعها الذين صدقوها وآمنوا بها وقوله وأهلكنا المسرفين يقول تعالى ذكره وأهلكنا الذين أسرفوا على أنفسهم بكفرهم بربهم كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأهلكنا المسرفين والمسرفون هم المشركون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون﴾ اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك فقال بعضهم معناه لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم فيه حديثكم ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله فيه ذكركم قال حديثكم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم قال حديثكم أفلا تعقلون قال فى قد أفلح بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا سفيان نزل القرآن بمكارم الأخلاق ألم تسمعه يقول لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون ۞ وقال آخرون بل عنى بالذكر فى هذا الموضع الشرف وقالوا معنى الكلام لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه شرفكم ۞ قال أبو جعفر وهذا القول الثانى أشبه بمعنى الكلمة وهو نحو مما قال سفيان الذى حكينا عنه وذلك أنه شرف لمن اتبعه وعمل بما فيه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين فلما أحسوا بأسنا اذا هم منها يركضون﴾ يقول تعالى ذكره وكثيرا قصمنا من قرية والقصم أصله الكسر يقال منه قصمت ظهر فلان اذا كسرته وانقصمت سنه اذا انكسرت وهو ههنا معنى به أهلكنا وكذلك تأوله أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وكم قصمنا قال أهلكنا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله وكم قصمنا من قرية قال أهلكنا هؤلاء الظلمة قال ابن جريج قصمنا من قرية قال باليمن قصمنا بالسيف أهلكوا **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله قصمنا من قرية قال قصمها أهلكها وقوله من قرية كانت ظالمة أجرى الكلام على القرية والمراد بها أهلها لمعرفة السامعين بمعناه وكان ظلمها كفرها بالله وتكذيبها رسوله وقوله وأنشأنا بعدها قوما آخرين يقول تعالى ذكره وأحدثنا بعد ما أهلكنا هؤلاء الظلمة من أهل هذه القرية التى قصمناها بظلمها قوما آخرين سواهم وقوله فلما أحسوا بأسنا يقول فلما عاينوا عذابنا قد حل بهم ورأوه ووجدوا مسه يقال منه قد أحسست من فلان ضعفا وأحسست منه اذا هم منها يركضون يقول اذا هم مما أحسوا بأسنا النازل بهم يهربون سراعا عجلى يعدون منهزمين يقال منه ركض فلان فرسه اذا كده بسياقته ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿لا تركضوا

عن مورد النص وقدمر فى آخر سورة يوسف الفرق بين قوله وما أرسلنا من قبلك وقوله وما أرسلنا قبلك بغير من وليس الا هنا وفى أوائل
الفرقان وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا أنهم ثم أكد كون الرسل من جنس البشر بقوله (وما جعلناهم جسدا) الآية كأنهم قالوا انه بشر يأكل
كما نأكل ويموت كما نموت فلعلهم اعتقدوا خلود الملائكة لأقل من العمر الطويل ولا بد من تقدير مضاف محذوف أى وما جعلنا الانبياء قبلك
ذوى جسد غير طاعمين والا قيل وما جعلناهم جسدا ووحد الجسد لارادة الجنس (٧) أى ذوى ضرب من الاجساد أو أراد كل واحد
منهم قوله (صدقناهم الوعد) أصله
فى الوعد فنصب بنزع الخافض ثم
فسر الوعد بقوله (فأنجيناهم ومن
نشاء) وهم المؤمنون ثم نبههم على
عظيم نعمه عليهم بقوله (لقد
أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم) أى
شرفكم وصيتكم أو فيه بيان مكارم
الأخلاق التى بها يبقى الذكر
الجميل مع الثواب الجزيل ثم
أوعدهم وحذرهم ما جرى على
الأمم المكذبة فقال (وكم قصمنا)
والقصم القطع الكبير وهو الذى
يبين تلاؤم الاجزاء وذا لم يبين فهو
الفصم بالفاء وذلك أن القاف حرف
شديد والفاء رخو لوحظ جانب
المعنى فى اللفظ ومعنى (من قرية)
من أهل قرية لقوله (وأنشأنا
بعدها قوما آخرين) والضمائر فى
قوله (فلما أحسوا) الى آخر القصة
والمراد بالاحساس الادراك بحاسة
اللمس أو علم لاشك فيه كالمحسوس
المشاهد والركض ضرب الدابة
بالرجل كأنهم ركبوا دوابهم
يركضونها هاربين منهزمين من
قريتهم حين أدركتهم مقدمة
العذاب قال الجوهرى الركض
تحريك الرجل على الدابة استحثاثا
لها ثم كثر حتى قيل ركض الفرس
اذا عدا فعلى هذا يجوز أن القوم
كانوا يعدون على أرجلهم فقيل لهم
لا تركضوا والقائل اما من الملائكة
أو من المؤمنين أو يجعلون أحقاء

وارجعوا الى ما أترفتم فيه وما كنتم لعلكم تسئلون ﴾ يقول تعالى ذكره لا تهربوا وارجعوا
الى ما أترفتم فيه يقول الى ما أنعمتم فيه من عيشتكم وما كنتم كما حدثنى محمد بن سعد قال
ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله لا تركضوا وارجعوا
الى ما أترفتم فيه وما كنتم لعلكم تسئلون يعنى من نزل به العذاب فى الدنيا ممن كان يعصى الله
من الأمم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث
قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله لا تركضوا لا تفروا
حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا
بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وارجعوا الى ما أترفتم فيه يقول ارجعوا الى
دنياكم التى أترفتم فيها حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة
وارجعوا الى ما أترفتم فيه قال الى ما أترفتم فيه من دنياكم * واختلف أهل التأويل فى معنى قوله
لعلكم تسئلون فقال بعضهم معناه لعلكم تفقهون وتفهمون بالمسئلة ذكر من قال ذلك حدثنى
محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن
قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله لعلكم تسئلون قال تفقهون حدثنا
القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد لعلكم تسئلون قال
تفقهون * وقال آخرون بل معناه لعلكم تسئلون من دنياكم شيأ على وجه السخرية والاستهزاء
ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لعلكم تسئلون
استهزاء بهم حدثنى محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة لعلكم
تسئلون من دنياكم شيأ استهزاء بهم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قالوا يا ويلنا انا كنا
ظالمين فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين ﴾ يقول تعالى ذكره قال هؤلاء
الذين أحل الله بهم بأسه بظلمهم لما نزل بهم بأس الله يا ويلنا انا كنا ظالمين بكفرنا بربنا فما زالت
تلك دعواهم يقول فلم تزل دعواهم حين أتاهم بأس الله بظلمهم أنفسهم يا ويلنا انا كنا ظالمين
حتى قتلهم الله فحصدهم بالسيف كما يحصد الزرع ويستأصل قطعا بالمناجل وقوله خامدين يقول
هالكين فذا نطفأت شرارتهم وسكنت حركتهم فصاروا همودا كما تخمد النار فتطفأ * وبنحو
الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا
سعيد عن قتادة قوله فما زالت تلك دعواهم الآية فلما رأوا العذاب وعاينوه لم يكن لهم هجيرى الا قولهم
يا ويلنا انا كنا ظالمين حتى دمر الله عليهم وأهلكهم حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد
ابن ثور عن معمر عن قتادة قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا
خامدين يقول حتى هلكوا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج

ان يقال لهم ذلك أو أسمع رب العزة ملائكته هذا القول لينفعهم فى دينهم أو ألهم الله الكفار ذلك فخد ثوابه أنفسهم (وارجعوا الى
ما أترفتم فيه) من العيش الهنىء والاترافا بطار النعمة (لعلكم تسئلون) غدا عما جرى عليكم وعلى أموالكم ومساكنكم فتجيبوا السائل
عن علم ومشاهدة أو اجلسوا فى مجالسكم حتى يسألكم عبيدكم وحشمكم عما تأمرون وماذا ترسمون فينفذ فيهم أمركم ونهيكم أو يسألكم
الناس مستعينين بتدابيركم بآرائكم أو يسألكم الوافدون وأرباب الطمع مستمطرين سحاب أكفكم اما لانهم كانوا أسخياء ولكن سمعة

ورياء واما الانتهم بخلاء وفى كل هذه الوجوه تهكم بهم وتوبيخ لهم (فما زالت تلك) الدعوى وهى قولهم ياويلنا الان المولول كأنه يدعو (دعواهم) الاول اسم مازال والثانى خبره أو بالعكس والدعوى بمعنى الدعوة وقدم فى قوله وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين والحصود كقوله منها قائم وحصيد شبهوا بالزرع المستأصل والنار التى تخمد فتصير رمادا أى جعلناهم مشبهين بالمحصود والخامد ووحد لان المراد زرعا حصيدا ولان فعيلا قد يستوى (٨) فيه الواحد والجمع عن ابن عباس أن الآية نزلت فى حضور وسحول قريتين تنسب اليهما الثياب وفى الحديث كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثوبين سحوليين وروى حضوريين بعث الله اليهم نبيا فقتلوه فسلط الله عليهم بختنصر كما سلطه على أهل بيت المقدس فاستأصلهم فكأن القوم حصدوا بالسيف وروى أنه لما أخذتهم السيوف نادى منادٍ من السماء بالثارات الأنبياء قال أهل النظم لما بين اهلاك كثير من القرى لأجل ظلمهم وتكذيبهم منها اللتان رواهما ابن عباس أتبعه ما يدل على أنه فعل ذلك عدلا ومجازاة لا عبثا ولا مجازفة فقال (وما خلقنا السماء والارض) الآية أى وما سويناهذا السقف المرفوع والمهاد الموضوع (وما بينهما) من الاركان والموالید كما تسوى الجبابرة سقوفهم وفرشهم وسائر زخارفهم للهو أو اللعب وانما سويناهما لغايات صحيحة ومنافع للخلق دينية ودنيوية كما مر طرف منها فى أول البقرة ويمكن أن يقال المقصود من سياق الآية تقرير نبوة محمد والرد على منكريه لانه ظهر المعجز عليه فان كان صادقا فهو المطلوب وان كان كاذبا كان اظهار المعجز عليه من باب اللعب وهو منفى عنه سبحانه قال القاضى عبد الجبار فيه دليل على أنه لا يخلق اللعب وكل قبيح والا كان لاعبا وعورض بمسألتى العلم والداعى ثم بين أن السبب فى ترك اتخاذ اللهو واللعب ليس هو العجز والضعف ولكن لان الحكمة تنافيه معنى (من لدنا) من جهة قدرتنا وقيل اللهو الولد بلغة اليمن أو المرأة وقيل من لدنا أى من الملائكة لا من الانس ردا على من قال عزير ابن الله والمسيح ابن الله ويحتمل أن يقال من لدنا أى من عندنا على سبيل الخفية فلا تعرفونه ولا تسمعون اسمه فيكون الرد شاملا لكل من اتخذ لله ولدا اولومن الملائكة ثم أضرب عن اتخاذ اللهو واللعب فوصف نفسه بما يضاد فعل العبث قائلا (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه

قال ابن عباس حصيدا الحصاد خامدين خمود النار اذا طفئت **حدثنا** سعيد بن الربيع ثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال انهم كانوا أهل حصون وان الله بعث عليهم بختنصر فبعث اليهم جيشا فقتلهم بالسيف وقتلوا نبيا لهم فحصدوا بالسيف وذلك قوله فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين بالسيف ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين﴾ يقول تعالى ذكره وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين عليكم أيها الناس ولتعتبروا بذلك كله فتعلموا أن الذى دبره وخلقه لا يشبهه شئ وأنه لا تكون الالوهة الا له ولا تصلح العبادة لشئ غيره ولم يخلق ذلك عبثا ولعبا كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين يقول ما خلقنا ذلك عبثا ولا باطلا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين﴾ يقول تعالى ذكره لو أردنا أن نتخذ زوجة وولدا لاتخذنا ذلك من عندنا ولكنا لا نفعل ذلك ولا يصلح لنا فعله ولا ينبغى لأنه لا ينبغى أن يكون لله ولد ولا صاحبة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سليمن بن عبيد الله الغيلانى قال ثنا أبو قتيبة قال ثنا سلام بن مسكين قال ثنا عقبة بن أبى حمزة قال شهدت الحسن بمكة وجاءه طاوس وعطاء ومجاهد فسألوه عن قول الله تبارك وتعالى لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه قال الحسن اللهو المرأة **حدثنى** سعيد بن عمرو السكونى قال ثنا بقية بن الوليد عن على بن هرون عن محمد عن ليث عن مجاهد فى قوله لو أردنا أن نتخذ لهوا قال زوجة **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لو أردنا أن نتخذ لهوا الآية أى ان ذلك لا يكون ولا ينبغى واللهو بلغة أهل اليمن المرأة **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة لو أردنا أن نتخذ لهوا قال اللهو فى بعض لغة أهل اليمن المرأة لاتخذناه من لدنا وقوله ان كنا فاعلين **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قوله ان كنا فاعلين ما كنا فاعلين **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال ثنى مريم صاحبته وعيسى ولده فقال تبارك وتعالى لو أردنا أن نتخذ لهوا نساء وولدا لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين قال من عندنا ولا خلقنا جنة ولا نارا ولا موتا ولا بعثا ولا حسابا **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله لاتخذناه من لدنا من عندنا وما خلقنا جنة ولا نارا ولا موتا ولا بعثا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون﴾ يقول تعالى ذكره ولكن ننزل الحق من عندنا وهو كتبنا وتنزيله على الكفر به وأهله فيدمغه يقول فيهلكه كما يدمغ الرجل الرجل بأن يشجه على رأسه

هو) يعنى الباطل (زاهق) أى ففاجأ الدمغ زهوق الباطل قال علماء المعانى هذا من باب استعارة المحسوس للمعقول بجامع عقلى فأصل استعمال القذف والدمغ فى الاجسام لان القذف الرمى بنحو الحجارة والدمغ من دمغه اذا شجه حتى بلغت الشجة الدماغ ثم استعير القذف لايراد الحق على الباطل والدمغ لاذهاب الباطل بجامع الزهوق ثم وبخهم ونعى عليهم بما وصفوه بالولد وغير ذلك مما لا يجوز عليه وينافى وجوب الوجود وبما وصفوا رسوله به من السحر (٩) والشعر وغير ذلك من الأوصاف المضادة للرسالة فقال (ولكم الويل مما تصفون) أى تصفونه به ثم بين كمال قدرته ونهاية حلمه وحكمته فقال (وله من فى السموات والارض) والمراد بمن عنده الملائكة المقربون والمقصود عندية الشرف والرتبة فأما عندية المكان ففيها بحث طويل قال الزجاج (لا يستحسرون) أى لا يتعبون ولا يعسهم الاعياء قال جار الله كان الأبلغ فى وصفهم أن ينفى عنهم أدنى الحسور ولكنه ذكر بلفظ المبالغة وهو استفعل لبيان أن ما هم فيه يوجب غاية الحسور وأنهم أحقاء بتلك العبادات الشاقة بأن يستحسروا ومع ذلك لا يعدونها تعبا عليهم ثم أكد ذلك بقوله (يسبحون الليل والنهار) منصوبان على الظرفية (لا يفترون) لا يلحقهم الفتور والكلال وحاصل الآية أن الملائكة مع غاية شرفهم ونهاية قربهم لا يستنكفون عن طاعة الله فكيف يليق بالبشر مع ضعفهم ونقصهم أن يتمردوا عن طاعته وقدمر فى أول سورة البقرة استدلال مفضلى الملائكة على الأنبياء بهذه الآية وبغيرها فلا حاجة الى اعادته عن عبد الله بن الحرث بن نوفل قال قلت لكعب الأحبار أرأيت قول الله عز وجل يسبحون الليل والنهار لا يفترون ثم قال جاعل الملائكة رسلا أولئك عليهم لعنة الله والملائكة أليس الرسالة واللعن مانعين لهم عن التسبيح أجاب كعب بأن التسبيح لهم كالنفس لنا لا يمنعهم عن الاشتغال بشئ آخر واعترض بأن آلة التنفس فينا مغايرة للسان فلهذا صح اجتماع التنفس والتكلم وأجيب بأنه لا استبعاد فى أن يكون لهم ألسن كثيرة أو يكون المراد بعدم الفتور أنهم لا يتركون التسبيح فى أوقاته

تبلغ الدماغ واذا بلغت الشجة ذلك من المشجوج لم يكن له بعدها حياة وقوله فاذا هو زاهق يقول فاذا هو هالك مضمحل كما **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فاذا هو زاهق قال هالك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فاذا هو زاهق قال ذاهب * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق والحق كتاب الله القرآن والباطل ابليس فيدمغه فاذا هو زاهق أى ذاهب وقوله ولكم الويل مما تصفون يقول ولكم الويل من وصفكم ربكم بغير صفته وقيل لكم انه اتخذ زوجة وولدا وفريتكم عليه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل الا أن بعضهم قال معنى تصفون تكذبون * وقال آخرون معنى ذلك تشركون وذلك وان اختلفت به الالفاظ فمتفقة معانيه لأن من وصف الله بأن له صاحبة فقد كذب فى وصفه اياه بذلك وأشرك به ووصفه بغير صفته غير أن أولى العبارات أن يعبر بها عن معانى القرآن أقربها الى فهم سامعيه ذكر من قال ما قلنا فى ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولكم الويل مما تصفون أى تكذبون **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج ولكم الويل مما تصفون قال تشركون وقوله مما يصفون قال يشركون قال وقال مجاهد سيجزيهم وصفهم قال قولهم الكذب فى ذلك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وله من فى السموات والارض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون﴾ يقول تعالى ذكره وكيف يجوز أن يتخذ الله لهوا وله ملك جميع من فى السموات والارض والذين عنده من خلقه لا يستنكفون عن عبادتهم اياه ولا يعيون من طول خدمتهم له وقد علمتم أنه لا يستعبد والد ولده ولا صاحبته وكل من فى السموات والارض عبيده فأنى يكون له صاحبة وولد يقول أولا تتفكرون فيما تفترون من الكذب على ربكم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ولا يستحسرون لا يرجعون **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ولا يستحسرون لا يحسرون **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا يستحسرون قال لا يعيون **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله ولا يستحسرون قال لا يعيون **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة مثله **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون قال لا يستحسرون لا يملون ذلك الاستحسار قال ولا يفترون ولا يسأمون هذا كله معناه واحد والكلام مختلف وهو

اللائقة به ۞ التأويل اقترب لأهل النسيان أن يحاسبوا أنفسهم كقوله ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما يأتيهم من وعظ وتذكير من عالم رباني محدث الهامه الا أنكروه وعليه ونسبوه الى التخليط ونحوه وما جعلناهم جسدا فيه ان الله قادر على أن لا يجعل النبي والولي ذا جسد ولكن اقتضت حكمته كونهم ذوي أجساد آكلين للطعام فان الطعام للروح الحيواني الذي هو مركب الروح الانساني كالدهن للسراج وبالقوى الحيوانية تتم (١٠) الكمالات النفسانية وتدرك المحسوسات وتستفاد العلوم المستندة الى الاحساس والتجربة وتفصيله أكثر من أن يحصى قال بعض المشايخ لولا الهوى ما سلك أحد طريقا الى الله وما كانوا خالدين والسر فيه أن يعلموا من الموت حقيقة اسم الميت كما علموا من الحياة حقيقة اسم المحيي ثم صدقناهم الوعد الذي وعدناهم حين أهبطوا الى الأرض فأنجيناهم ومن نشاء من متابعيهم من هاوية الهوان وعالم الطبيعة وأهلكنا المسرفين الذين أسرفوا على أنفسهم بالركون الى أسفل سافلين الطبائع وكم قصمنا من أهل قرية قالب فلما أحسوا بأسنا وهي شدة قطع التعلق عن الكونين فان الفطام عن المألوف شديد لا تركضوا منابل ففروا الينا وارجعوا الى التنعمات الروحانية ومساكنكم الاصلية لعلكم تسئلون عزة وكرامة وما خلقنا سموات الارواح وأرض الاجساد وما بينهما من النفوس والقلوب والاسرار من غير غاية وانما خلقناها لتكون لطفنا وقهرنا بل نقذف بالحق على الباطل للحق ثلاث مراتب مرتبة أفعال الحق ومرتبة صفات الحق ومرتبة ذات الحق ففي كل مرتبة يتجلى الحق فيها للعبد أزهق باطل تلك المرتبة عن العبد حتى اذا تجلى له بأفعاله ذهب عنه باطل الأفعال واذا تجلى له بصفاته ذهب باطل صفاته واذا تجلى له بذاته في ذاته فيقول أنا الحق وسبحاني والويل لمن لم يذهب باطله باحدى هذه المراتب ۞ القول فيبقى متصفا بالوجود المجازي ﴿أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون

من قولهم بعير حسير اذا أعيا وقام ومنه قول علقمة بن عبدة

بها جيف الحسرى فأما عظامها ۞ فبيض وأما جلدها فصليب

۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿يسبحون الليل والنهار لا يفترون أم اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون﴾ يقول تعالى ذكره يسبح هؤلاء الذين عنده من ملائكته ربهم الليل والنهار لا يفترون من تسبيحهم اياه كما حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا جعيد عن اسحق بن عبد الله بن الحرث عن أبيه أن ابن عباس سأل كعبا عن قوله يسبحون الليل والنهار لا يفترون (١) ويسبحون الليل والنهار لا يسأمون فقال هل يؤدك طرفك هل يؤدك نفسك قال لا قال فانهم ألهموا التسبيح كما ألهمتم الطرف والنفس حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني أبو معاوية عن أبي اسحق الشيباني عن حسان بن مخارق عن عبد الله بن الحرث قال قلت لكعب الأحبار يسبحون الليل والنهار لا يفترون أما يشغلهم رسالة أو عمل قال يا ابن أخي انهم جعل لهم التسبيح كما جعل لكم النفس ألست تأكل وتشرب وتقوم وتقعد وتجيء وتذهب وأنت تنفس قلت بلى قال فكذلك جعل لهم التسبيح حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن وأبو داود قالا ثنا عمران القطان عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة عن عمرو البكالي عن عبد الله بن عمر قال ان الله خلق عشرة أجزاء فجعل تسعة أجزاء الملائكة وجزأ سائر الخلق وجزأ الملائكة عشرة أجزاء فجعل تسعة أجزاء يسبحون الليل والنهار لا يفترون وجزأ لرسالته وجزأ الخلق عشرة أجزاء فجعل تسعة أجزاء الجن وجزأ سائر بني آدم وجزأ بني آدم عشرة أجزاء فجعل يأجوج ومأجوج تسعة أجزاء وجزأ سائر بني آدم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يسبحون الليل والنهار لا يفترون يقول الملائكة الذين هم عند الرحمن لا يستكبرون عن عبادته ولا يسأمون فيها وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم بينما هو جالس مع أصحابه اذ قال تسمعون ما أسمع قالوا ما نسمع من شئ يا نبي الله قال اني لأسمع أطيط السماء وما تلام أن تئط وليس فيها موضع راحة الا وفيه ملك ساجد أو قائم وقوله أم اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون يقول تعالى ذكره أتخذ هؤلاء المشركون آلهة من الأرض هم ينشرون يعني بقوله هم الآلهة يقول هذه الآلهة التي اتخذوها تنشر الاموات يقول يحيون الأموات وينشرون الخلق فان الله هو الذي يحيي ويميت كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثني عيسى ح وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ينشرون يقول يحيون حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون يقول أفي آلهتهم أحد يحيي ذلك ينشرون وقرأ قول الله قل من يرزقكم من السماء والارض الى قوله مالكم كيف تحكمون

---

(١) التلاوة يسبحون له بالليل والنهار وهم الخ

لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم
انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء
كل شئ حى أفلا يؤمنون وجعلنا فى الارض رواسى أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم
عن آياتها معرضون وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد

أفان مت فهم الخالدون كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا أهذا الذى يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون خلق الانسان من عجل سأريكم آياتى فلا تستعجلون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر أفلا يرون أنا نأتى الارض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون قل انما أنذركم بالوحى ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن ياويلنا انا كنا ظالمين ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيأ وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان

﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون﴾ يقول تعالى ذكره لو كان فى السموات والأرض آلهة تصلح لهم العبادة سوى الله الذى هو خالق الأشياء وله العبادة والالوهة التى لا تصلح الا له لفسدتا يقول لفسد أهل السموات والأرض فسبحان الله رب العرش عما يصفون يقول جل ثناؤه فتنزيها لله وتبرئة له مما يفترى به عليه هؤلاء المشركون به من الكذب كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون يسبح نفسه اذا قيل عليه البهتان ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون﴾ يقول تعالى ذكره لا سائل يسأل رب العرش عن الذى يفعل بخلقه من تصريفهم فيما شاء من حياة وموت واعزاز واذلال وغير ذلك من حكمه فيهم لانهم خلقه وعبيده وجميعهم فى ملكه وسلطانه والحكم حكمه والقضاء قضاؤه لا شئ فوقه يسأله عما يفعل فيه قول له لم فعلت ولم لم تفعل وهم يسئلون يقول جل ثناؤه وجميع من فى السموات والأرض من عباده مسؤلون عن أفعالهم ومحاسبون على أعمالهم وهو الذى يسألهم عن ذلك ويحاسبهم عليه لانه فوقهم ومالكهم وهم فى سلطانه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون يقول لا يسئل عما يفعل بعباده وهم يسئلون عن أعمالهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قوله لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون قال لا يسئل الخالق عن قضائه فى خلقه وهو يسأل الخلق عن عملهم حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون قال لا يسئل الخالق عما يقضى فى خلقه والخلق مسؤلون عن أعمالهم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معى وذكر من قبلى بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون﴾ يقول تعالى ذكره أتخذ هؤلاء المشركون من دون الله آلهة تنفع وتضر وتخلق وتحيى وتميت قل يا محمد لهم هاتوا برهانكم يعنى حجتكم يقول هاتوا ان كنتم تزعمون أنكم محقون فى قيلكم ذلك حجة ودليلا على صدقكم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قل هاتوا برهانكم يقول هاتوا بينتكم على ما تقولون وقوله هذا ذكر من معى يقول هذا الذى جئتكم به من عند الله من القرآن والتنزيل ذكر من معى يقول خبر من معى مما لهم من ثواب الله على ايمانهم به وطاعتهم اياه وما عليهم من عقاب الله على معصيتهم اياه وكفرهم به وذكر من قبلى يقول وخبر من قبلى من الامم التى سلفت قبلى وما فعل الله بهم فى الدنيا وهو فاعل بهم فى الآخرة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله هذا ذكر من معى يقول هذا القرآن فيه ذكر الحلال والحرام وذكر من قبلى يقول

وضياء وذكرا للمتقين الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون﴾

﴿ القراآت الا نوحى اليه بالنون حمزة وعلى وخلف وعاصم غير أبى بكر وحمادا ى اله بفتح الياء أبو جعفر ونافع وأبو عمرو ابن ذكوان الأول بغير واو ابن كثير الآخرون بواو ومتوسطة بين همزة الاستفهام والفعل ونظائرها كثيرة ترجعون بفتح التاء وكسر الجيم يعقوب وابن مجاهد عن ابن ذكوان ولا تسمع من الاسماع خطابا للنبى صلى الله عليه وسلم الصم بالنصب ابن عامر الآخرون على الغيبة من السماع

الصم بالرفع مثقال حبة بالرفع على كان التامة وكذلك فى سورة لقمان أبو جعفر ونافع الباقون بالنصب ۞ الوقوف ينشرون ○ لفسدتا ج للابتداء بسبحان للتعظيم مع فاء التعقيب تعجيلا للتنزيه يصفون ○ يسئلون ○ آلهة ط برهانكم ج لاتحاد المقول من غير عاطف قبلى ط لايعلمون ○ لا لأن مابعده مفعول معرضون ○ فاعبدون ○ سبحانه ط مكرمون ○ ط لان مابعده صفة بعد صفة يعملون ○ ولايشفعون ○ لا للاستثناء مشفقون ○ (١٢) جهنم ط الظالمين ○ ففتقناهما ط لانتهاء الاستفهام الى الاخبار ج يؤمنون ○ يهتدون ○ محفوظا ج لاحتمال الواو والاستئناف والحال معرضون ○ والقمر ط يسبحون ○ الخلد ط الخالدون ○ الموت ط فتنة ط ترجعون ○ هزوا ط آلهتكم ج لاحتمال الواو والاستئناف والحال كافرون ○ من عجل ط فلا تستعجلون ○ صادقين ○ ينصرون ○ ينظرون ○ يستهزؤن ○ ط من الرحمن ط معرضون ○ من دوننا ط فصلا بين الاستفهام والاخبار يصحبون ○ العمر ط من أطرافها ط الغالبون ○ بالوحى ط لاستئناف ولايسمع بالياء التحتانية والوصل أجوز لتتميم المقول ومن قرأ على الخطاب وقف لانه خرج عن المقول ينذرون ○ ظالمين ○ شيأ ط أتينا بها ط حاسبين ○ للمتقين ○ لا لاتصال الصفة ولايخفى أنه يحتمل النصب أو الرفع على المدح فيجوز أن لايوصل مشفقون ○ أنزلناه ط منكرون ۞ التفسير انه سبحانه بدأ فى أول السورة بذكر المعاد ثم انجر الكلام الى النبوات وما يتصل بها سؤالا وجوابا فختم الكلام بالالهيات لانها المقصود بالذات فقال على سبيل الاضراب عما قبلها والانكار لما بعدها بواسطة أم المنقطعة أم اتخذوا آلهة من الارض نسبت الى الارض كما يقال فلان من مكة لانها أصنام تعبد فى الارض مما لان الآلهة على ضربين أرضية وسماوية أو أراد أنها من جنس الارض لانها تنحت من حجر أو تعمل من جوهر آخر أرضى ويقال أنشر الله الموتى ونشرها أى أحياها ومن أعظم المنكرات أن ينشر الموتى بعض الموات كأنهم بادعائهم لها الالهية ادعوا لها الانشار وان كانوا منكرين البعث فضلا عن قدرة الاصنام عليه لانه لايستحق هذا الاسم الا القادر على كل مقدور والانشار من جملة المقدورات بالدلائل

ذكر أعمال الأمم السالفة وما صنع الله بهم والى ماصاروا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج هذا ذكر من معى قال حديث من معى وحديث من قبلى وقوله بل أكثرهم لايعلمون الحق يقول بل أكثر هؤلاء المشركين لايعلمون الصواب فيما يقولون ولا فيما يأتون ويذرون فهم معرضون عن الحق جهلا منهم به وقلة فهم وكان قتادة يقول فى ذلك ما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة بل أكثرهم لايعلمون الحق فهم معرضون عن كتاب الله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لااله الا أنا فاعبدون﴾ يقول تعالى ذكره وما أرسلنا يا محمد من قبلك من رسول الى أمة من الأمم الا نوحى اليه أنه لامعبود فى السموات والأرض تصلح العبادة له سواى فاعبدون يقول فأخلصوا لى العبادة وأفردوا لى الالوهة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لااله الا أنا فاعبدون قال أرسلت الرسل بالاخلاص والتوحيد لايقبل منهم «قال أبو جعفر أظنه أنا قال» عمل حتى يقولوه ويقروا به والشرائع مختلفة فى التوراة شريعة وفى الانجيل شريعة وفى القرآن شريعة حلال وحرام وهذا كله فى الاخلاص له والتوحيد له ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون﴾ يقول تعالى ذكره وقال هؤلاء الكافرون بربهم اتخذ الرحمن ولدا من ملائكته فقال جل ثناؤه استعظاما مما قالوا وتبريا مما وصفوه به سبحانه يقول تنزيها له عن ذلك ماذلك من صفته بل عباد مكرمون يقول ما الملائكة كما وصفهم به هؤلاء الكافرون من بنى آدم ولكنهم عباد مكرمون يقول أكرمهم الله كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون قال قالت اليهود ان الله تبارك وتعالى صاهر الجن فكانت منهم الملائكة قال الله تبارك وتعالى تكذيبا لهم وردا عليهم بل عباد مكرمون وان الملائكة ليس كما قالوا انما هم عباد أكرمهم الله بعبادته **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة **وحدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة وقالوا اتخذ الرحمن ولدا قالت اليهود وطوائف من الناس ان الله تبارك وتعالى صاهر الجن الى الجن والملائكة من الجن قال الله تبارك وتعالى سبحانه بل عباد مكرمون وقوله لايسبقونه بالقول يقول جل ثناؤه لايتكلمون الا بما يأمرهم به ربهم ولايعملون عملا الا به **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال قال الله لايسبقونه بالقول يثنى عليهم وهم بأمره يعملون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يعلم مابين أيديهم وما خلفهم ولايشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون﴾ يقول تعالى ذكره يعلم مابين أيدى ملائكته مالم يبلغوه ماهو وماهم فيه قائلون وعاملون وما خلفهم يقول وما مضى من قبل اليوم

الباهرة وفيه باب من التهكم والتسجيل واشعار بأن ما استبعدوه من الله لا يصح استبعاده لان الاقتدار على الابداء والاعادة من لوازم الالهية ومعنى (لهم) أفادت الخصوصية كأنه قيل أم اتخذوا آلهة لا يقدر على الانشار الا هم وحدهم وفيه رمز الى أن الأمر المختص بالاهتداء هو وحده ولما قدم الانكار شرع فى دليل التوحيد فقال (لو كان فيهما) أى فى السموات والأرض وقدم ذكرهما (آلهة الا الله) أى غير الله قال النحويون الا ههنا بمعنى غير لتعذر حمل الا على الاستثناء لانها تابعة لجمع منكور غير محصور والاستثناء لا يصح الا اذا كان المستثنى داخلا فى المستثنى منه لولا الاستثناء وقد يقال ان الافى هذه المادة لا يمكن أن تكون للاستثناء لانا لو حملناها على الاستثناء لصار المعنى لو كان فيهما آلهة ليس معهم الله وهذا يوجب بطريق المفهوم أنه لو كان فيهما آلهة معهم الله لم يحصل الفساد وللمفسرين فى تفسير الآية طريقان أحدهما حمل الغائب على الشاهد والمعنى لو كان يتولاهما ويدبر أمرهما آلهة غير الواحد الذى هو فاطرهما (لفسدتا) وفيه دلالة على أمرين الاول وجوب أن لا يكون مدبرهما الا واحدا والثانى أن لا يكون ذلك الواحد الا اياه لقوله غير الله وانما وجب الامر ان لعلمنا أن الرعية تفسد بتدبير الملكين لما يحدث بينهما من التغالب والتناكر والاختلاف وثانيهما طريق التمانع بأن يقال لو فرضنا الهين وأراد أحدهما تحريك جسم والآخر تسكينه فان وقع مرادهما لزم اجتماع الضدين فى محل واحد وان لم يقع مرادهما لزم عجزهما وان وقع مراد أحدهما دون الآخر فذلك الآخر عاجز لا يصلح للالهية والاعتراض على هذا التقدير من وجهين الاول أن اختلافهما فى الارادة أمر ممكن والممكن لا يجب أن يقع * والثانى أن الفساد فى السموات والأرض كيف يترتب على اختلافهما وفى الجواب طريقان أحدهما الرجوع الى التفسير الأول وهو احالة الأمر على ما هو الغالب المعتاد من أن الملك عظيم ولا يجتمع لملكين على شول والشول جماعة النوق التى جف لبنها وارتفع ضرعها وأتى عليها من نتاجها سبعة أشهر أو ثمانية فلابد من وقوع التنازع والاختلاف وحدوث الهرج والمرج عند ذلك الطريق الثانى العدول الى ضرب آخر من البيان وهو أن اتفاق الالهين على مقدور واحد محال لان كلا منهما مستقل بالتأثير كامل فى القدرة فاذا وقع المقدور بأحدهما استحال أن يقع بالآخر مرة أخرى على أنه

مما خلفوه وراءهم من الازمان والدهور وما عملوا فيه قالوا ذلك كله محصى لهم وعليهم لا يخفى عليه من ذلك شئ * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم يقول يعلم ما قدموا وما أضاعوا من أعمالهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى يقول ولا تشفع الملائكة الا لمن رضى الله عنه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى يقول الذين ارتضى لهم شهادة أن لا اله الا الله **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله الا لمن ارتضى قال لمن رضى عنه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى يوم القيامة وهم من خشيته مشفقون **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة يقول ولا يشفعون يوم القيامة **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة مثله وقوله وهم من خشيته مشفقون يقول وهم من خوف الله وحذار عقابه أن يحل بهم مشفقون يقول حذرون أن يعصوه ويخالفوا أمره ونهيه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين﴾ يقول تعالى ذكره ومن يقل من الملائكة انى اله من دون الله فذلك الذى يقول ذلك منهم نجزيه جهنم يقول نثيبه على قيله ذلك جهنم كذلك نجزى الظالمين يقول كما نجزى من قال من الملائكة انى اله من دون الله جهنم كذلك نجزى ذلك كل من ظلم نفسه فكفر بالله وعبد غيره وقيل عنى بهذه الآية ابليس وقال قائلو ذلك انما قلنا ذلك لانه لا أحد من الملائكة قال انى اله من دون الله سواه ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج ومن يقل منهم قال قال ابن جريج من يقل من الملائكة انى اله من دونه فلم يقله الا ابليس دعا الى عبادة نفسه فنزلت هذه فى ابليس **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين وانما كانت هذه الآية خاصة لعدو الله ابليس لما قال ما قال لعنه الله وجعله رجيما فقال فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم قال هى خاصة لابليس ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شئ حى أفلا يؤمنون﴾ يقول تعالى ذكره أولم ينظر هؤلاء الذين كفروا بالله بأبصار قلوبهم

لو أراد كل واحد منهما أن يوجده هو فهذا أيضا اختلاف ولو قيل انه يريد كل واحد منهما أن يكون الموجد له أحدهما لا بعينه فهذا ان مبهمة لا تصلح للتأثير فلا بد من الاختلاف وقد عرفت حاله ولزوم الفساد حينئذ ظاهر لأن كل ما يصدر عن الهين عاجزين أو اله عاجز لم يكن على الوجه الأصلح والنمط الأصوب بل العاجز لا يصلح للايجاد أصلا فلا يوجد على ذلك التقدير شئ من الممكنات وهو الفساد الكلى ومنهم من يقرر دليل التمانع على وجوه أخر منها أنا لو قدرنا (١٤) الهين فهل يقدر كل واحد منهما على أن يمنع صاحبه عن مراده أم لا فان قلت يقدر كان كل منهما مقهورا للآخر وان قلت لا يقدر فقد ثبت عجز كل واحد منهما ومنها أن أحدهما هل يقدر على أن يستر شيأ من أفعاله عن الآخر أولا فان قدر فالمستور عنه جاهل عاجز والا فالاول عاجز ولا يخفى ما فى أمثال هذين الوجهين من الضعف لان عدم القدرة على المحال لا يسمى عجزا ولهذا لا يمكن أن يقال انه تعالى عاجز عن خلق مثله أو انه اذا أوجد شيأ نفدت قدرته عن خلق ذلك الشئ وحصل له عجز ومن الطاعنين فى دليل التمانع من فسر الآية بأن المراد لو كان فى السماء والارض آلهة غير الله كما تزعم عبدة الأصنام لزم فساد العالم لانها جمادات لا تقدر على وجوه التدبير والتصرف لأنفسها فضلا عن غيرها ولقائل أن يقول ان الآلهة لو كانت منفردة بالتدبير يلزم الفساد أما انها لو كانت وسائط أو معاونة للاله الاعظم كما تزعم عبدة الاوثان فمن أين يلزم الفساد واعلم انا قد بينا دلائل التوحيد فى مواضع من هذا الكتاب ولا سيما فى سورة البقرة فى تفسير قوله والهكم اله واحد ولنا فى هذا المقام طريقة أخرى ما أظنها وطئت قبلى فأقول وبالله التوفيق ان الوحدة من صفات الكمال وقد ركز ذلك فى العقول حتى ان كل عامل مهما تم له أمر بواحد لم يتعد فيه الى اثنين واذا اضطر الى الشركة والتعاون راعى فيه الأبسط فالأبسط لا يزيد العدد الا بقدر

فيروا بها ويعلموا أن السموات والارض كانتا رتقا يقول ليس فيهما ثقب بل كانتا ملتصقتين يقال منه رتق فلان الفتق اذا شد فهو يرتقه رتقا ورتوقا ومن ذلك قيل للمرأة التى فرجها ملتحم رتقاء ووحد الرتق وهو من صفة السماء والارض وقد جاء بعد قوله كانتا لانه مصدر مثل قول الزور والصوم والفطر وقوله ففتقناهما يقول فصدعناهما وفرجناهما ثم اختلف أهل التأويل فى معنى وصف الله السموات والارض بالرتق وكيف كان الرتق وبأى معنى فتق فقال بعضهم عنى بذلك أن السموات والارض كانتا ملتصقتين ففصل الله بينهما بالهواء ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا يقول ملتصقتين حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما الآية يقول كانتا ملتصقتين فرفع السماء ووضع الارض حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما كان ابن عباس يقول كانتا ملتزقتين ففتقهما الله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما قال كان الحسن وقتادة يقولان كانتا جميعا ففصل الله بينهما بهذا الهواء * وقال آخرون بل معنى ذلك أن السموات كانت مرتتقة طبقة ففتقها الله فجعلها سبع سموات وكذلك الارض كانت كذلك مرتتقة ففتقها فجعلها سبع أرضين ذكر من قال ذلك حدثنى محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تبارك وتعالى رتقا ففتقناهما من الارض ست أرضين معها فتلك سبع أرضين معها ومن السماء ست سموات معها فتلك سبع سموات معها قال ولم تكن الارض والسماء متماسكتين حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد ابن ثور عن معمر عن ابن أبى نجيح عن مجاهد رتقا ففتقناهما قال فتقهن سبع سموات بعضهن فوق بعض وسبع أرضين بعضهن تحت بعض حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحو حديث محمد بن عمرو عن أبى عاصم حدثنا عبد الحميد بن بيان قال أخبرنا محمد بن يزيد عن اسمعيل قال سألت أبا صالح عن قوله كانتا رتقا ففتقناهما قال كانت الارض رتقا والسموات رتقا ففتق من السماء سبع سموات ومن الارض سبع أرضين حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال كانت سماء واحدة ثم فتقها فجعلها سبع سموات فى يومين فى الخميس والجمعة وانما سمى يوم الجمعة لانه جمع فيه خلق السموات والارض فذلك حين يقول خلق السموات والارض فى ستة أيام يقول كانتا رتقا ففتقناهما

---

* وقال

الجهات الاعتبارية الافتقارية فيها أقل مما لو كان المبدأ أزيد من واحد وهذه قضية يقينية اذا عرفت هذه المقدمة فنقول انه سبحانه أراد أن يدفع هذا النقص من الممكنات ولو هذه بمعنى ان والمراد أن هذا النقص والفساد لازم لوجود آلهة غير الله سواء كان الله من جملتهم أم لا ولن يرضى العاقل بما فيه نقصه وفساده فوجب أن لا يعتقد الها غير الله وهذه النتيجة هي المراد بقوله (فسبحان الله رب العرش عما يصفون) من الانداد والشركاء فتكون هذه الآية نظيرة قوله ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء (١٥) متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا وفيه قول زيد بن عمرو بن نفيل حين فارق قومه

أربا واحدا أم ألف رب * أدين اذا تقسمت الأمور

تركت اللات والعزى جميعا * كذلك يفعل الرجل البصير

ثم أكد تفرده بالالهية بقوله (لا يسئل عما يفعل) وفيه رد على الثنوية والمجوس الذين أثبتوا لله شريكا فاعلا للشرور والآلام وذلك أنهم طلبوا الحكمة في أفعال الله تعالى فقالوا لو كان مدبر العالم واحدا لم يخص هذا بانواع الخيرات من الصحة والغنى وذلك بأصناف الشرور من المرض والفقر فذكر سبحانه أن الاعتراض على أفعاله ينافي الديانة وأن له أن يفعل ما يشاء كما يشاء ولا مجال للسؤال عن أفعاله فكل من الاشاعرة والمعتزلة سلموا أنه لا يجوز أن يقال لله لم فعلت ولكنهم جعلوا عدم جواز السؤال على مأخذ آخر أما الاشاعرة فذهبوا الى أن أفعاله لا تعلل بالمصالح والأغراض وله بحكم الملكية أن يفعل في مخلوقاته ما شاء فان من تصرف في ملك نفسه لا يقال له لم فعلت وكيف يتصور في حقه استحقاق الذم واستحقاق المدح له قديم وما يثبت للشئ لذاته يستحيل أن يتبدل لاجل تبدل الصفات وكما أن ذاته غير معللة بشئ فكذلك صفاته وأفعاله وانه غير محتاج الى الاسباب والوسائط والاغراض والمقاصد وأما المعتزلة فقد قالوا انه تعالى عالم بقبح القبائح وعالم بكونه غنيا عنها ومن كان كذلك فانه يستحيل أن يفعل القبيح واذا عرف المكلف اجمالا أن كل ما يفعله الله فهو حكمة وصواب وجب أن يسكت عن لم واذا كان الملوك المجازيون لا يسألهم من في مملكتهم عما يوردون ويصدرون من تدبير مملكتهم تهيبا واجلالا لهم مع جواز الخطا والزلل عليهم فلك الملوك ورب الارباب أولى بان لا يسئل عن أفعاله مع ما ركز في العقول من أن كل ما يفعله فهو حسن مشتمل على الغايات الصحيحة ثم زاد الالهية تأكيدا بقوله (وهم يسئلون) وفيه رد على منكري التكليف

* وقال آخرون بل عنى بذلك أن السموات كانت رتقا لا تمطر والارض كذلك رتقا لا تنبت ففتق السماء بالمطر والارض بالنبات ذكر من قال ذلك حدثنا هناد قال ثنا أبو الأحوص عن سماك عن عكرمة أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما قال كانتا رتقا لا يخرج منهما شئ ففتق السماء بالمطر وفتق الارض بالنبات قال وهو قوله والسماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع حدثني الحسين بن علي الصدائي قال ثنا أبي عن الفضيل ابن مرزوق عن عطية في قوله أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما قال كانت السماء رتقا لا تمطر والارض رتقا لا تنبت ففتق السماء بالمطر وفتق الارض بالنبات وجعل من الماء كل شئ حي أفلا يؤمنون حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما قال كانت السموت رتقا لا ينزل منها مطر وكانت الارض رتقا لا يخرج منها نبات ففتقهما الله فأنزل مطر السماء وشق الارض فأخرج نباتها وقرأ ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شئ حي أفلا يؤمنون * وقال آخرون انما قيل ففتقناهما لان الليل كان قبل النهار ففتق النهار ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس قال خلق الليل قبل النهار ثم قال كانتا رتقا ففتقناهما * قال أبو جعفر وأولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال معنى ذلك أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا من المطر والنبات ففتقنا السماء بالغيث والارض بالنبات وانما قلنا ذلك أولى بالصواب في ذلك لدلالة قوله وجعلنا من الماء كل شئ حي على ذلك وأنه جل ثناؤه لم يعقب ذلك بوصف الماء بهذه الصفة الا والذي تقدمه من ذكر أسبابه فان قال قائل فان كان ذلك كذلك فكيف قيل أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا والغيث انما ينزل من السماء الدنيا قيل ان ذلك مختلف فيه قد قال قوم انه انما ينزل من السماء السابعة وقال آخرون من السماء الرابعة ولو كان ذلك أيضا كما ذكرت من أنه ينزل من السماء الدنيا لم يكن في قوله أن السموات والارض دليل على خلاف ما قلنا لأنه لا يمتنع أن يقال السموات والمراد منها واحدة فتجمع لان كل قطعة منها سماء كما يقال ثوب أخلاق وقميص أسمال فان قال قائل وكيف قيل ان السموات والارض كانتا فالسموات جمع وحكم جميع الاناث أن يقال في قليله كن وفي كثيره كانت قيل انما قيل ذلك كذلك لانهما صنفان فالسموات نوع والارض اخر وذلك نظير قول الأسود بن يعفر

ان المنية والحتوف كلاهما * توفى المخارم يرقبان سوادي

فقال كلاهما وقد ذكر المنية والحتوف لما وصفت من أنه عنى النوعين وقد أخبرت عن أبي عبيدة معمر بن المثنى قال أنشدني غالب التغلبي للقطامي

الذاهبين الى أن العباد لا يسئلون عما فعلوا فى دار الدنيا قالوا ان التكليف أمر غير معقول لانه اما أن يتوجه على العبد حال استواء داعيته الى الفعل والترك وهو محال لان صدور الفعل عن المكلف يستدعى الترجيح فالتكليف بالترجيح فى حال عدم الترجيح تكليف بالمحال واما أن يتوجه حال الرجحان ويكون الفعل حينئذ واجب الوقوع فيكون التكليف عبثا وأيضا التكليف بما هو معلوم الوقوع لله عبث لانه واجب الوقوع وبما هو غير معلوم الوقوع تكليف بما لا يطاق وأيضا سؤال العبد لعبد ان لم يكن فيه فائدة فعبث وان كان فيه فائدة عادت الى الله تعالى كان محتاجا مستكملا وان عادت الى العبد فالله تعالى قادر على ايصالها اليه من غير واسطة التكليف على أن السؤال ان كان لاجل ايصال الضرر فذلك لا يليق بالكريم الرحيم وجوابهم أن الاسباب والوسائط معتبرة فى كل شئ من عالم الاسباب حتى الثواب والعقاب على أن حاصل الشبهات يرجع الى أن المنكر كأنه قال انه تعالى لم كلف عباده ولم كلفهم ما لا يطيقون وهو يناقض القاعدة المهدة انه لا يسئل عما يفعل ثم كرر (أم اتخذوا من دونه آلهة) استفظاعا لكفرهم وليرتب عليه قوله (قل هاتوا برهانكم) على ذلك عقلا أو نقلا أما العقل فقد مر أنه يقضى بعدم الشريك حذرا من الفساد وأما النقل ففقوله (هذا ذكر من معى) هو من اضافة المصدر الى المفعول أى عظة لامتى عن ابن عباس واختاره القفال والزجاج أنه أراد هذا هو الكتاب المنزل على من معى من الامة وهذا هو الكتاب المنزل على من تقدمنى من الانبياء وأممهم يعنى التوراة والانجيل والزبور والصحف والكل وارد فى معنى التوحيد ونفى الشركاء وعن سعيد بن جبير وقتادة ومقاتل والسدى أن قوله وذكر من قبلى صفة للقرآن أيضا لانه اشتمل على أحوال الامم الماضية كما اشتمل على أحوال هذه الامة ثم ختم الآية بقوله (بل أكثرهم) تنبيها على أن وقوعهم فى هذا المذهب الباطل ليس لاجل دليل ساقهم اليه بل لان عندهم ما هو أصل الشر والفساد وهو عدم العلم وفقد التمييز بين الحق والباطل فلذلك أعرضوا عن استماع الحق وطلبه وفى لفظ الاكثر اشارة الى أن فيهم من يعلم ولكنه يعاند وأجرى لفظ الاكثر على الكل على عادة الفصحاء كيلا يكون الكلام بصدد المنع ثم قرر أى التوحيد خصوصا قوله هذا ذكر من معى وذكر من قبلى على أحد التفسيرين بقوله (وما أرسلنا) الآية تم

ألم يحزنك أن حبال قيس * وتغلب قد تباينتا انقطاعا

بجعل حبال قيس وهى جمع وحبال تغلب وهى جمع اثنين وقوله وجعلنا من الماء كل شئ حى يقول تعالى ذكره وأحيينا بالماء الذى ننزله من السماء كل شئ كما حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وجعلنا من الماء كل شئ حى قال كل شئ حى خلق من الماء فان قال قائل وكيف خص كل شئ حى بأنه جعل من الماء دون سائر الاشياء غيره فقد علمت أن كثيرا من الاشياء غير الماء الزروع والنبات والاشجار وغير ذلك مما لا حياة له ولا يقال له حى ولا ميت قيل لا شئ من ذلك الا وله حياة وموت وان خالف معناه فى ذلك معنى ذوات الارواح فى أنه لا أرواح فيه وان فى ذوات الارواح أرواحا فلذلك قيل وجعلنا من الماء كل شئ حى وقوله أفلا يؤمنون يقول أفلا يصدقون بذلك ويقرون بألوهة من فعل ذلك ويفردونه بالعبادة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وجعلنا فى الارض رواسى أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون﴾ يقول تعالى ذكره أولم ير هؤلاء الكفار أيضا من حجتنا عليهم وعلى جميع خلقنا أنا جعلنا فى الارض جبالا راسية والرواسى جمع راسية وهى الثابتة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وجعلنا فى الارض رواسى أى جبالا وقوله أن تميد بهم يقول أن لا تتكفأ بهم يقول جعل ثناؤه فجعلنا فى هذه الارض هذه الرواسى من الجبال فثبتناها لئلا تتكفأ بالناس وليقدر وا بالثبات على ظهرها كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كانوا على الارض تمور بهم لا تستقر فأصبحوا وقد جعل الله الجبال وهى الرواسى أوتادا للارض وجعلنا فيها فجاجا سبلا يعنى مسالك واحدها فج كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وجعلنا فيها فجاجا أى أعلاما وقوله سبلا أى طرقا وهى جمع السبيل وكان ابن عباس فيما ذكر عنه يقول انما عنى بقوله وجعلنا فيها فجاجا وجعلنا فى الرواسى فالهاء والالف فى قوله وجعلنا فيها من ذكر الرواسى حدثنا بذلك القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله وجعلنا فيها فجاجا سبلا قال بين الجبال وانما اخترنا القول الآخر فى ذلك وجعلنا الهاء والالف من ذكر الارض لانها اذا كانت من ذكرها دخل فى ذلك السهل والجبل وذلك أن ذلك كله من الارض وقد جعل الله خلقه فى ذلك كله فجاجا سبلا ولا دلالة تدل على أنه عنى بذلك فجاج بعض الارض التى جعلها لهم سبلا دون بعض فالعموم بها أولى وقوله لعلهم يهتدون يقول تعالى ذكره جعلنا هذه الفجاج فى الارض ليهتدوا الى السير فيها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون﴾ يقول تعالى ذكره وجعلنا السماء سقفا للارض مسموكا وقوله محفوظا يقول حفظناها من كل شيطان رجيم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى

وحدثنى

على خزاعة وأمثالهم القائلين بان الملائكة بنات الله بقوله (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) ثم نزه نفسه عن ذلك بقوله (سبحانه) ثم أخبر عما هم عليه في الواقع وهو أن الملائكة عباد الله (مكرمون) مقربون (لا يسبقونه بالقول) أى بقولهم أى يتبعون قوله ولا يقولون شيأ حتى يقوله لهم بأمره (وهم بأمره يعملون) فهم التابعون لأمر الله في أقوالهم وأفعالهم (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) قدم تفسيره في طه وفي آية الكرسى (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) كقوله في طه لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن ورضى له قولا وقد مر البحث فيه قال في الكشاف (وهم من خشيته مشفقون) أى متوقعون من أمارة ضعيفة قلت لعله أراد أنهم يتوقعون ما هو سبب لخشيته وهو العقاب من أدنى أمارة بخلاف البشر فانهم لا يتوقعون ذلك الا من أمارة قوية ويحتمل أن يقال انهم يخشون الله ومع ذلك يحذرون من أن تلك الخشية يقع فيها تقصير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى جبرئيل عليه السلام ليلة المعراج ساقطا كالحلس من خشية الله عز وجل ثم نبه على غاية عظمته ونهاية جبروته بقوله (ومن يقل منهم انى اله من دونه) فيحتمل أن يدعى الالهية لنفسه دون الله أو يدعى أنه اله مع الله أى بعد مجاوزة الهيته وهذا على سبيل الفرض والتقدير كقوله ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون وفي قوله (فذلك) دون أن يقول فهو تبعيد للمشرك الجاحد عن ساحة عزته وفيه تفظيع لامر المشرك وتهديد عظيم لمن أشرك وأراد بالظلم ههنا الشرك والمعتزلة عموه والاول أظهر ثم عدل في أدلة التوحيد الى منهج آخر من البيان وهو الاستدلال بالآفاق والأنفس قائلا (أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض) أى جماعة السموات وجماعة الارض (كانتا رتقا ففتقناهما) الرتق بالسكون السد رتقت الشئ فارتتق أى التأم ومنه امرأة رتقاء ومصدرها الرتق بالتحريك والفتقاء ضدها أى كانتا مرتوقتين فجعلناهما مفتوقتين عن ابن عباس في رواية عكرمة وهو قول الحسن وقتادة أن المراد كانتا شيأ واحدا ملتزقتين ففصل الله بينهما ورفع السماء الى حيث هي وأقر الارض ومثله قول كعب خلق الله السموات والارض ملتصقتين ثم خلق ريحا توسطتهما فحصل الفتق وقال أبو صالح ومجاهد كانت السموات متلاصقات لا فرج بينها ففتقها الله بأن جعلها سبعا وكذلك

وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله سقفا محفوظا قال مرفوعا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وجعلنا السماء سقفا محفوظا الآية سقفا مرفوعا وموجا مكفوفا وقوله وهم عن آياتها معرضون يقول وهؤلاء المشركون عن آيات السماء ويعنى بآياتها شمسها وقمرها ونجومها معرضون يقول يعرضون عن التفكر فيها وتدبر ما فيها من حجج الله عليهم ودلالتها على وحدانية خالقها وأنه لا ينبغى أن تكون العبادة الا لمن دبرها وسواها ولا تصلح الا له * وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وهم عن آياتها معرضون قال الشمس والقمر والنجوم آيات السماء **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقوله وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون يقول تعالى ذكره والله الذى خلق لكم أيها الناس الليل والنهار نعمة منه عليكم وحجة ودلالة على عظيم سلطانه وأن الالوهة له دون كل ما سواه فهما يختلفان عليكم لصلاح معايشكم وأمور دنياكم وآخرتكم وخلق الشمس والقمر أيضا كل في فلك يسبحون يقول كل ذلك في فلك يسبحون * واختلف أهل التأويل في معنى الفلك الذى ذكره الله في هذه الآية فقال بعضهم هو كهيئة حديدة الرحى ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله كل في فلك يسبحون قال فلك كهيئة حديدة الرحى **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج كل في فلك قال فلك كهيئة حديدة الرحى **حدثنا** ابن حميد قال ثني جرير عن قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس كل في فلك يسبحون قال فلك السماء * وقال آخرون بل الفلك الذى ذكره الله في هذا الموضع سرعة جرى الشمس والقمر والنجوم وغيرها ذكر من قال ذلك **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله كل في فلك يسبحون الفلك الجرى والسرعة * وقال آخرون الفلك موج مكفوف تجرى الشمس والقمر والنجوم فيه * وقال آخرون بل هو القطب الذى تدور به النجوم واستشهد قائل هذا القول لقوله هذا بقول الراجز

باتت تناجى الفلك الدوارا * حتى الصباح تعمل الأقتارا

* وقال آخرون في ذلك ما **حدثنا** به بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله كل في فلك يسبحون أى في فلك السماء **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن

(٣ - (ابن جرير) - سابع عشر)

الارضون وعن ابن عباس فى رواية أخرى وعليه كثير من المفسرين أن السموات والارض كانتا رتقا بالاستواء والصلابة ففتق الله السماء بالمطر والارض بالنبات والشجر ويشبه أن يراد بالسموات على هذا التفسير السحب نظيره قوله والسماء ذات الرجع والارض ذات الصدع ويؤيده قوله عقيبه وجعلنا من الماء كل شئ حى وقيل انما جمع السموات وان كان نزول المطر من السماء الدنيا فقط باعتبار الجهة لان جهتها هى جهتهن أو باعتبار أن كل قطعة منها سماء (١٨) فيكون كقولهم ثوب أخلاق وبرمة أعشار وقريب من هذا قول من قال المعنى السموات والارض كانتا مظلمتين ففتقهما الله تعالى باظهار النور فيهما كقوله وآية لهم الليل نسلخ منه النهار وقال أبو مسلم الاصفهانى الرتق حالة العدم اذ ليس فيها ذوات متميزة فكأنها أمر واحد متصل متشابه والفتق الايجاد لحصول التميز وانفصال بعض الحقائق عن البعض فيكون كقوله فاطر السموات والارض والفطر الشق وعن بعض علماء الاسلام أن الرتق انطباق منطقتى الحركتين الاولى والثانية الموجب لبطلان العمارات وفصول السنة والفتق افتراقهما المقتضى لامكان العمارة ولتغير الفصول وفيه بعد * وههنا سؤال وهو أن الكفار متى رأوهما رتقا حتى صح هذا الاستفهام للتقرير كيف وقد قال الله تعالى ما أشهدتهم خلق السموات والارض والجواب على الاقوال الاخيرة ظاهر فان فتق السماء بالمطر والأرض بالنبات أو فتقهما بتنفيذ النور فيهما واظهاره عليهما أمور محسوسة وكذا ادخالهما من العدم الى الوجود مما يشهد به الحس السليم والعقل المستقيم وأما على القولين الاولين فلعلهم علموا ذلك من أهل الكتاب وكانوا يقبلون قولهم لما بينهما من التوافق فى عداوة النبى صلى الله عليه وسلم وقال صاحب الكشاف فى الجواب انه وارد فى القرآن الذى هو معجزة فى نفسه فقام مقام المرئى المشاهد

معمر عن قتادة كل فى فلك يسبحون قال يجرى فى فلك السماء كما رأيت **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله كل فى فلك يسبحون قال الفلك الذى بين السماء والارض من مجارى النجوم والشمس والقمر وقرأ تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقرا منيرا وقال تلك البروج بين السماء والارض وليست فى الارض كل فى فلك يسبحون قال فيما بين السماء والارض النجوم والشمس والقمر * وذكر عن الحسن أنه كان يقول الفلك طاحونة كهيئة فلكة المغزل * والصواب من القول فى ذلك أن يقال كما قال الله عز وجل كل فى فلك يسبحون وجائز أن يكون ذلك الفلك كما قال مجاهد كحديدة الرحى وكما ذكر عن الحسن كطاحونة الرحى وجائز أن يكون موجا مكفوفا وأن يكون قطب السماء وذلك أن الفلك فى كلام العرب هو كل شئ دائر فجمعه أفلاك وقد ذكرت قول الراجز

* باتت تناجى الفلك الدوارا *

واذ كان كل ما دار فى كلامها فلكا ولم يكن فى كتاب الله ولا فى خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عمن يقطع بقوله العذر دليل يدل على أى ذلك هو من أى كان الواجب أن نقول فيه ما قال ونسكت عما لا علم لنا به فاذا كان الصواب فى ذلك من القول عندنا ما ذكرنا فتأويل الكلام والشمس والقمر كل ذلك فى دائر يسبحون وأما قوله يسبحون فان معناه يجرون ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله كل فى فلك يسبحون قال يجرون **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يسبحون قال يجرون وقيل كل فى فلك يسبحون فأخرج الخبر عن الشمس والقمر مخرج الخبر عن بنى آدم بالواو والنون ولم يقل يسبحن أو تسبح كما قيل والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين لان السجود من أفعال بنى آدم فلما وصفت الشمس والقمر بمثل أفعالهم أجرى الخبر عنهما مجرى الخبر عنهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفان مت فهم الخالدون كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وما خلدنا أحدا من بنى آدم يا محمد قبلك فى الدنيا فنخلدك فيها ولا بد لك من أن تموت كما مات من قبلك رسلنا أفان مت فهم الخالدون يقول فهؤلاء المشركون برجهم هم الخالدون فى الدنيا بعدك لا ما ذلك كذلك بل هم ميتون بكل حال عشت أو مت فأدخلت الفاء فى ان وهى جزاء وفى جوابه لان الجزاء متصل بكلام قبله ودخلت أيضا فى قوله فهم لانه جواب للجزاء ولو لم يكن فى قوله فهم الفاء جاز على وجهين أحدهما أن تكون محذوفة وهى مرادة والآخر أن يكون مرادا تقديمها الى الجزاء فكأنه قال أفهم الخالدون ان مت وقوله كل نفس ذائقة الموت يقول تعالى ذكره كل نفس منفوسة

من

أو أن تلاصق الارض والسماء وتباينهما كلاهما جائز فى العقل فلا بد للتباين دون التلاصق من مخصص وهو القديم سبحانه قوله (وجعلنا من الماء كل شئ حى) قال السكاكى صاحب المفتاح أى جعلنا مبدأ كل حى من هذا الجنس الذى هو جنس الماء واعترض عليه بأنه كيف يصح ذلك وآدم من تراب والجن من نار والمشهور أن الملائكة ليست أجساما مائية وأجاب بأنه يأتى فى الروايات أنه جل وعز خلق الملائكة

خلقه معالجة غصص الموت ومتجرعة كأسها وقوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة يقول تعالى
ذكره ونختبركم أيها الناس بالشر وهو الشدة نبتليكم بها وبالخير وهو الرخاء والسعة والعافية
فتشكروا به * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال
ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة
يعنى الرخاء والشدة وكلاهما بلاء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله
ونبلوكم بالشر والخير فتنة يقول نبلوكم بالشر بلاء والخير فتنة واليناترجعون حدثنا يونس
قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة واليناترجعون قال نبلوهم
فى ما يحبون وبما يكرهون نختبرهم بذلك لننظر كيف شكرهم فيما يحبون وكيف صبرهم فيما
يكرهون حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله
ونبلوكم بالشر والخير يقول نبتليكم بالشدة والرخاء والصحة والسقم والغنى والفقر والحلال والحرام
والطاعة والمعصية والهدى والضلالة وقوله واليناترجعون يقول واليناير دون فيجازون
بأعمالهم حسنها وسيئها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك
الا هزوا أهذا الذى يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد
صلى الله عليه وسلم واذا رآك يا محمد الذين كفروا بالله ان يتخذونك إلا هزوا يقول ما يتخذونك
الا مهزوا يقول بعضهم لبعض أهذا الذى يذكر آلهتكم يعنى بقوله يذكر آلهتكم بسوء ويعيبها
ويعجب منهم من ذلك يقول الله تعالى ذكره فيعجبون من ذكرك يا محمد آلهتهم التى لا تضر ولا تنفع
بسوء وهم يذكر الرحمن الذى خلقهم وأنعم عليهم ومنه نفعهم وبيده ضرهم واليه مرجعهم بما
هو أهله منهم أن يذكروه به كافرون والعرب تضع الذكر موضع المدح والذم فيقولون سمعنا فلانا
يذكر فلانا وهم يريدون سمعناه يذكره بقبيح ويعيبه ومن ذلك قول عنترة

لا تذكرى مهرى وما أطعمته * فيكون جلدك مثل جلد الأجرب

يعنى بذلك لا تعيبى مهرى وسمعناه يذكره بخير ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿خلق الانسان من
عجل سأريكم آياتى فلا تستعجلون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين﴾ يقول تعالى ذكره
خلق الانسان يعنى آدم من عجل * واختلف أهل التأويل فى تأويله فقال بعضهم معناه من عجل
فى بدنه وخلقته كان من العجلة وعلى العجلة ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن
يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد فى قوله خلق الانسان من عجل قال لما نفخ فيه الروح فى
رأسه ذهب لينهض فقال الله خلق الانسان من عجل حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا
أسباط عن السدى قال لما نفخ فيه يعنى فى آدم الروح فدخل فى رأسه عطس فقالت الملائكة
قل الحمد لله فقال الحمد لله فقال الله له رحمك ربك فلما دخل الروح فى عينيه نظر الى ثمار الجنة فلما

ذلك قلت فعلى هذا يكون قوله
وجعلنا داخلا فى حيز الاستفهام
كأنه قيل ألم يروا أنا فتقنا السموات
والارض بعد رتقهما وجعلنا من
الماء كل حيوان ومن المفسرين
من جعل الحى شاملا للنبات أيضا
كقوله فأحيا به الارض بعد موتها
قوله (وجعلنا فى الارض رواسى أن
تميد بهم) قدم تفسيره فى أول
النحل وباقى الآية كقوله فى
طه وسلك لكم فيها سبلا والفجاج
جمع الفج وهو الطريق الواسع
وهى صفة سبلا قدمت عليه
فصارت حالا عنه أراد أنه حين
خلقها جعلها على تلك الصفة فهذا
كالبيان لما أبهم فى قوله لتسلكوا
منها سبلا فجاجا والاهتداء اما حسى
أى تهتدون الى البلاد واما عقلى
وهو الاهتداء الى وحدانية الله
تعالى ومنهم من زعم أن الضمير فى
قوله وجعلنا فيها عائد الى الجبال
وهذا قول مقاتل والضحاك
ورواية عطاء عن ابن عباس
وروى عن ابن عمر أنه قال كانت
الجبال منضمة فلما أغرق قوم نوح
فرقها فجاجا وجعل فيها طرقا قال
علماء الاسلام ليس فى قوله (وجعلنا
السماء سقفا) أن السماء للارض
كالسقف للبيت لانها فوق لا يقابله
مثله ولكنه أطلق عليها اسم
السقف لانها كذلك فى النظر
بالنسبة الى سكان كل بقعة وفى

محفوظ وجهان أى (محفوظا) بقدرته من أن يقع على الارض أو محفوظ بالنهب عن الشياطين
(وهم عن آياتها معرضون) فلا
يتدبرون فى ترتيبها ومسيراتها وطلوع أجرامها وغروبها واتصالاتها وانصرافاتها وتأثيراتها فيما دونها باذن خالقها ومبدعها قوله
(كل فى فلك) من مقلوب الكل والفلك فى اللغة كل شئ دائر وجمعه أفلاك وزعم الضحاك أنه ليس بجسم وانما هو مدار هذه النجوم
والاكثرون على أن الفلك جسم تدور النجوم عليه ثم اختلفوا فى حقيقته فقال الكلبى ماء مكفوف أى مجموع تجرى فيه الكواكب

بدليل قوله يسبحون والسباحة لا تكون الا في الماء وردبانه يقال فرس سابح اذا امتد في الجري وقالت الحكماء هو جسم كروي لا
خفيف غير قابل للخرق والالتئام والنمو والذبول ولذلك منعوا من كون الفلك ساكنا والكواكب متحركة فيه كالسمك في الماء وع
عن السباحة بأنها في النظر كذلك قال صاحب الكشاف التنوين في كل عوض من المضاف اليه أي كلهم فورد عليه اشكال ان أ
أنه لم يسبق الا ذكر الشمس والقمر فكيف (٢٠) يعود ضمير الجمع اليهما وأجاب بأن ذلك باعتبار كثرة مطالعهما كما يجمع بالن
والاقمار لذلك ويمكن أن يقال أقل الجمع اثنان أو أنه جعل النجوم تبعا لذكرهما الثاني أن كلهم ليسوا في فلك ولكن كل منهم في فلك آخر على ما يشهد به علم الهيئة وأجاب بأنه أراد جنس الفلك كقولك كسانا الامير حلة أو أراد كل واحد قلت لو صح هذا التقدير الثاني لم يرد الاشكال الاول ولكنه ينافي قوله يسبحون مجموعا قال بعض الحكماء في هذا الجمع دلالة على أن الكواكب احياء ناطقة وأجيب بأنه انما جمع جمع العقلاء لان السباحة من فعلهم قلت قد يسبح كثير من الحيوانات فلعل المختص بالعقلاء هو السباحة الصناعية المكتسبة وههنا بحث وهو أن الامام فخر الدين الرازي استحسن قول بعض الاوائل ان الحركة السماوية صنف واحد وهي الآخذة من المشرق الى المغرب الا أن بعضها أبطأ من البعض كالحركات الغربية وكذا اختلافات تلك الحركات بسبب تلك المختلفات قال وهذا أقرب ليكون غاية سرعة الحركة للفلك الاعظم وغاية السكون للجرم الذي هو أبعد عن المحيط وهو الارض ولئلا يلزم بسبب حركة ما دون الفلك الاعظم بحركته وبحركاتها الخاصة تحرك الجرم الواحد في زمان واحد بحركتين مختلفتين الى جهتين فانه يستلزم كون الجسم دفعة واحدة في مكانين قلت أما حديث كون ما هو أبعد عن المركز أسرع حركة فافنا عي
وأما لزوم كون الجسم دفعة واحدة في مكانين فممنوع لان التي تظهر في المتحرك هي الحركة المركبة الحاصلة من فضل الأسرع على لا كل من الحركتين وهذا مشاهد من حركة النملة الى خلاف جهة حركة الرحى ومن حركة راكب السفينة فيها الى خلاف جهة
وأما الذي استحسنه من كلام الاوائل فباطل لانه لو كان كذلك لحصلت الاظلال اللائقة بكل جزء من أجزاء فلك البروج في يوم بليلة

دخل في جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل أن تبلغ الروح رجليه عجلان الى نمار الجنة فذلك
يقول خلق الانسان من عجل يقول خلق الانسان عجولا **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال
ابن ثور عن معمر عن قتادة خلق الانسان من عجل قال خلق عجولا * وقال آخرون معنى
الانسان من عجل أي من تعجيل في خلق الله اياه ومن سرعة فيه وعلى عجل وقالوا خلقه الله في
النهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس على عجل في خلقه اياه قبل مغيبها ذكر من قال ذلك **حد**
محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن
ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله خلق الانسان من عجل قال قول
حين خلق بعد كل شئ آخر النهار من يوم خلق الخلق فلما أحيا الروح عينيه ولسانه ورأ
تبلغ أسفله قال يارب استعجل بخلقي قبل غروب الشمس (١) **حدثني** الحرث قال ثنا الح
قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين
ثني حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد خلق الانسان من عجل قال آدم حين خلق بعد كل
ثم ذكر نحوه غير أنه قال في حديثه استعجل بخلقي فقد غربت الشمس **حدثني** يونس
أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله خلق الانسان من عجل قال على عجل خلق آدم آخر
اليوم من ذينك اليومين يريد يوم الجمعة وخلقه على عجل وجعله عجولا * وقال بعض أهل العر
من أهل البصرة ممن قال نحو هذه المقالة انما قال خلق الانسان من عجل وهو يعني أنه خل
من تعجيل من الأمر لانه قال انما قولنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون قال فهذا
وقوله فلا تستعجلون اني سأريكم آياتي وعلى قول صاحب هذه المقالة يجب أن يكون كل خلق
خلق على عجل لان كل ذلك خلق بأن قيل له كن فكان فاذا كان ذلك كذلك فما وجه خصو
الانسان اذا ذكر أنه خلق من عجل دون الاشياء كلها وكلها مخلوق من عجل وفي خصوص
تعالى ذكره الانسان بذلك الدليل الواضح على أن القول في ذلك غير الذي قاله صاحب هذه
* وقال آخرون منهم هذا من المقلوب وانما خلق العجل من الانسان وخلقت العجلة من الان
وقالوا ذلك مثل قوله ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة انما هو لتنوء العصبة بها متثاقلة
هذا وما أشبهه في كلام العرب كثير مشهور قالوا وانما كلم القوم بما يعقلون قالوا وذلك
قولهم عرضت الناقة وكقولهم اذا طلعت الشعرى واستوت العود على الحرباء أي استوت الحرباء
على العود كقول الشاعر

وتركب خيلا لا هوادة بينها * وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر

وكقول ابن مقبل

حسرت كفي عن السربال آخذة * فرد يجر على أيدي المفدينا

(١) لعل هذا السند زيادة من قلم الناسخ فليتأمل وليحرر كتبه مصححه

ارتفاعات المناسبة لها فى البلاد المتفقة العرض وليس كذلك وقد ذكرنا هذا المعنى فى كتبنا النجومية أيضا وحين فرغ من بيان طرف من هيئة الاجرام السماوية ومنافعها الدنيوية نبه بقوله (وما جعلنا البشر من قبلك الخلد) على أن هذه الآثار لا تدوم ولا تخلق للبقاء وانما خلقت للابتلاء والامتحان ولكى يتوصل بها المكلفون الى السعادات المدخرة لهم فى الآخرة وهى دار الخلود وبوجه آخر لما فرغ من دلائل التوحيد شرع فى دلائل الانفس فقال وما جعلنا الآية عن مقاتل أن ناسا كانوا يقولون ان محمدا يموت فنزلت وقيل لعلهم ظنوا أنه لو مات لتغير الشرع وهذا ينافى كونه خاتم الانبياء فبين الله سبحانه أن حاله كحال من تقدمه من الانبياء فى المفارقة من دار الدنيا والاكثرون على أن سبب النزول هو أنهم كانوا يقدرون أنه سيموت فيشمتون بموته فنفى الله عنه الشماتة لهذه وفى معناه قول القائل

فقل للشامتين بنا أفيقوا ... سيلقى الشامتون كما لقينا

قوله (كل نفس ذائقة الموت) قد تقدم فى آخر ال عمران تفسيره قوله (ونبلوكم) أى نعاملكم معاملة المختبر بما نسوق اليكم من الشرور والخيرات فيظهر عندهما صبركم وشكركم وقدم الشر لان الموت من باب الشر وفى نظر أهل الظاهر و (فتنة) مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظه وحين أثبت الموت الذى هو الفراق عن دار التكليف بين بقوله (واينا ترجعون) أن الجزاء على الاعمال ثابت مرئى البتة بعد المفارقة استدلت المجسمة بقوله واينا أنه تعالى جسم ليمكن الرجوع الى حيث هو والتناسخية بأن الرجوع مسبوق بالكون فى المكان المرجوع اليه وجواب الاولين أنه أراد الرجوع الى حيث لا حكم الا له وجواب الآخرين التسليم لكنه لا يفيد مطلوبهم لان الرجوع الى المبدأ غير الرجوع

حمرت السربال عن كفى ونحو ذلك من المقلوب وفى اجماع أهل التأويل على خلاف هذا القول الكفاية المغنية عن الاستشهاد على فساده بغيره * قال أبو جعفر والصواب من القول فى تأويل ذلك عندنا الذى ذكرناه عمن قال معناه خلق الانسان من عجل فى خلقه أى على عجل من صفته فى ذلك وانما قيل ذلك كذلك لانه لو در بخلقه مغيب الشمس فى آخر ساعة من نهار يوم الجمعة فى ذلك الوقت نفخ فيه الروح وانما قلنا أولى الاقوال التى ذكرناها فى ذلك بالصواب لدلالة قوله سأريكم آياتى فلا تستعجلون على ذلك وأن أبا كريب حدثنا قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى الجمعة لساعة (١) يقللها قال لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيرا الا آتاه الله اياه فقال عبد الله بن سلام قد علمت أى ساعة هى آخر ساعات النهار من يوم الجمعة قال الله خلق الانسان من عجل سأريكم آياتى فلا تستعجلون حدثنا أبو كريب قال ثنا المحاربى وعبدة بن سليمن وأسير بن عمرو عن محمد بن عمرو قال ثنا أبو سلمة عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه وذكر كلام عبد الله بن سلام بنحوه فتأويل الكلام اذا كان الصواب فى تأويل ذلك ما قلنا بما به استشهدنا خلق الانسان من عجل ولذلك يستعجل ربه بالعذاب سأريكم آياتى فلا تستعجلون أيها المستعجلون ربهم بالآيات القائلون لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم يا هوشاعر فلنأتنا بآية كما أرسل الاولون آياتى كما فعلت بمن قبلكم من الامم التى أهلكناها بتكذيبها الرسل اذا أتتها الآيات فلا تستعجلون يقول فلا تستعجلوا ربكم بها فانا سنأتيكم بها ونريكموها * واختلفت القراء فى قراءة قوله خلق الانسان من عجل فقرأته عامة قراء الأمصار خلق الانسان من عجل بضم الخاء على مذهب ما لم يسم فاعله وقرأه حميد الأعرج خلق بفتحها بمعنى خلق الله الانسان والقراءة التى عليها قراء الامصار هى القراءة التى لا أستجيز خلافها وقوله ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين يقول تعالى ذكره ويقول هؤلاء المستعجلون ربهم بالآيات والعذاب لمحمد صلى الله عليه وسلم متى هذا الوعد يقول متى جئتنا هذا الذى تعدنا من العذاب ان كنتم صادقين فيما تعدوننا به من ذلك وقيل هذا الوعد الذى هو الموعود لمعرفة السامعين معناه وقيل ان كنتم صادقين كأنهم قالوا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين به ومتى فى موضع نصب لان معناه أى وقت هذا الوعد وأى يوم هو فهو نصب على الظرف لانه وقت * القول فى تأويل قوله تعالى ﴿لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون﴾ يقول تعالى ذكره لو يعلم هؤلاء الكفار المستعجلون عذاب ربهم ماذا لهم من البلاء حين تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون فلا يكفون عن وجوههم النار التى تلفحها ولا عن ظهورهم فيدفعونها عنها بأنفسهم ولا هم ينصرون ولا لهم ناصر ينصرهم فيستنقذهم حينئذ من عذاب الله لما أقاموا على ما هم عليه مقيمون من الكفر بالله ولسارعوا الى التوبة منه والايمان بالله ولما استعجلوا لأنفسهم البلاء * القول

(١) فى ابن كثير من رواية ابن أبى حاتم وقبض اصابعه يقللها فتنبه كتبه مصححه

واعلم أن مثل هذه الآية سيجىء فى سورة العنكبوت الا أنه قال هناك ثم الينا ولم يذكر قوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة فكأن هذه الفاصلة قامت مقام التراخى فى ثم قال السدى ومقاتل مر النبى صلى الله عليه وسلم بأبى جهل وأبى سفيان فقال أبو جهل لأبى سفيان هذا نبى بنى عبد مناف فقال أبو سفيان وما تنكر أن يكون نبيا فى بنى عبد مناف فسمع النبى صلى الله عليه وسلم قولهما فقال لأبى جهل ما أراك منتهيا حتى ينزل بك ما نزل بعمك الوليد بن المغيرة وأما أنت يا أبا سفيان فانما قلت ما قلت حمية فأنزل الله تعالى (واذا رآك الذين كفروا ان

يتخذونك) أى ما يتخذونك (الا هزوا) ثم فسر ذلك بقوله (أهذا الذى يذكر آلهتكم) والذكر أعم من أن يكون بالخير أو بالشر الا أن
من العدو يفهم منه الذم لا الثناء والمعنى أنه يبطل معبوديتها وينكر عبادتها ويقبح أمرها ثم بين غاية جهالتهم وتعكيس قضيتهم بقوله
بذكر الرحمن هم كافرون) قدم الجار والمجرور وكرر الضمير ليفيد أنهم عاكفون هممهم على ذكر آلهتهم من كونها شفعاء وغير
ذكرها ذاكر بخلاف ذلك ساءهم وأما ذكر (٢٢) الرحمن الذى منه جلائل النعم ودقائقها وأصولها وفروعها فلا يخطر ببالهم

ولو ذكره ذاكر استهزؤا به حتى ان بعضهم يقولون ما نعرف الرحمن الا مسيلمة فهم أحق أن يتخذوا هزوا ويحتمل أن تكون الباء للسببية أى هم كافرون بسبب ذكرهم الرحمن لاعلى ما ينبغى فيكون الذكر فى الموضعين بمعنى واحد وقيل بذكر الرحمن أى بما أنزل اليك من القرآن وكانوا يستعجلون بعذاب الله كما يجىء من قوله ويقولون متى هذا الوعد فقدم لذلك أولا مقدمة هى قوله (خلق الانسان) أى هذا الجنس (من عجل) أراد أنه مجبول على افراط العجلة كما مر فى قوله وكان الانسان عجولا وعن ابن عباس أنه آدم أراد أن يقوم حين بلغ الروح صدره وعن مجاهد أن آدم لما دخل الروح رأسه وعينه رأى الشمس قاربت الغروب فقال يارب عجل خلقى قبل أن تغيب الشمس وعن ابن عباس أيضا انه النضر بن الحرث والاول أظهر وقيل العجل الطين بلغة حمير وقال الاخفش أى من تعجل فى الامر وهو قوله كن وقيل هو على القلب أى خلق العجل من الانسان (سأريكم آياتى) وهى الهلاك المعجل فى الدنيا والعذاب فى الآخرة (فلا تستعجلون) فانها كائنة لا محالة فى وقتها وقيل هى أدلة التوحيد وصدق الرسول وقيل آثار القرون الخالية بالشام واليمن * سؤال قوله خلق الانسان من عجل فيه أن الآدمى معذور على الاستعجال لانه له كالامر الطبيعى الذى لا بد منه فلم رتب عليه النهى بقوله فلا تستعجلون وأجيب بأن فيه تنبيها على أن ترك العجلة حالة شريفة وخصلة عزيزة وقال جار الله هذا كما ركب فيه الشهوة وأمر أن لا يتبع هواه * آخر القوم استعجلوا الوعد على جهة التكذيب ومن هذا حاله لا يكون مستعجلا فى الحقيقة أجيب بأن الاستعجال على هذا الوجه أدخل لانه استعجال على أمر موهوم عندهم لا معلوم (لو يعلم) جواب لو محذوف وحين مفعول به ليعلم والمعنى لو يعلمون الوقت الذى يستعجلون

فى تأويل قوله تعالى ﴿ بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون ﴾ يقول تعالى ذكره لا تأتى هذه النار التى تلفح وجوه هؤلاء الكفار الذين وصف أمرهم فى هذه الآية حين تأتيهم عن علم منهم بوقتها ولكنها تأتيهم مفاجأة لا يشعرون بمجيئها فتبهتهم يقول فتفجؤهم بغتة وتلفح وجوههم معاينة كالرجل يبهت الرجل فى وجهه بالشئ حتى يبقى المبهوت كالمدهوش منه فلا يستطيعون ردها يقول فلا يطيقون حين تبغتهم فتبهتهم دفعها عن أنفسهم ولا هم ينظرون يقول ولا هم وان لم يطيقوا دفعها عن أنفسهم يؤخرون بالعذاب بها التوبة يحدثونها وانابة لانها ليست حين عمل وساعة توبة وانابة بل هى ساعة مجازاة وانابة ﴿ القول فى تأويل قوله ﴾ ﴿ ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان يتخذك يا محمد هؤلاء القائلون لك هل هذا الا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون اذ رأوك هزوا ويقولون هذا الذى يذكر آلهتكم كفرا منهم بالله ورسوله عليه فلقد استهزئ برسل من رسلنا الذين أرسلناهم من قبلك الى أممهم يقول فوجب وزل بهم ما استهزؤا بهم وسخروا منهم من امهم ما كانوا به يستهزؤن يقول جل ثناؤه حل بهم الذى كانوا به يستهزؤن من البلاء والعذاب الذى كانت رسلهم تخوفهم نزوله بهم يستهزؤن يقول جل ثناؤه يعد وهؤلاء المستهزؤن بك من هؤلاء الكفرة أن يكونوا كأسلافهم من الامم المكذبة رسلها فيحل بهم من عذاب الله وسخطه باستهزائهم بك نظير الذى نزل بهم ﴿ القول فى تأويل قوله ﴾ ﴿ قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون ﴾ يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المستعجليك بالعذاب القائلين متى هذا الوعد ان كنتم صادقين من يكلؤكم أيها القوم يقول من يحفظكم ويحرسكم بالليل اذا نمتم وبالنهار اذا تصرفتم من الرحمن يقول من أمر الرحمن ان نزل بكم ومن عذابه ان حل بكم وترك ذكر الامر وقيل الرحمن اجتزاء بمعرفة السامعين لمعناه من ذكره * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس فى قوله قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن قال يحرسكم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن قل من يحفظكم بالليل والنهار من الرحمن يقال منه كلأت القوم اذا حرستهم أكلؤهم كما قال ابن هرمة

ان سليمى والله يكلؤها * ضنت بشئ ما كان يرزؤها

قوله بل هم عن ذكر ربهم معرضون وقوله بل تحقيق لحد قد عرفه المخاطبون بهذا الكلام لم يكن مذكورا فى هذا الموضع ظاهرا ومعنى الكلام ومالهم أن لا يعلموا أنه لا كالئ لهم من أمرنا اذا هو حل بهم ليلا أو نهارا بل هم عن ذكر مواعظ ربهم وحججه التى احتج بها عليهم معرضون

وقت احاطة النار بهم لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال ويجوز أن يكون يعلم متروك المفعول أى لو كانوا من أهل العلم لما كانوا مستعجلين وعلى هذا يكون حين منصوبا بمضمر أى حين لا يكفون يعلمون أنهم كانوا على الباطل وخص الوجوه والظهور بالذكر لان نكاية النار فى هذين العضوين أشد مع أن الاحاطة التامة تفهم منهما ثم بين أن وقت مجىء العذاب غير معلوم لهم فان مجىء الساعة مخفى عن المكلفين ليكونوا أقرب الى تلافى الذنوب فقال (بل تأتيهم بغتة فتبهتهم) قال جار الله أى لا يكفونها بل تفجؤهم فتغلبهم قلت فائدة بل فى هذه المقامات للانتقال من جملة الى أخرى أهم من الاولى ويحتمل أن تكون لو لظاهر التمنى والضمير للنار وقيل للساعة وفى قوله (ولا هم ينظرون) تذكير بامهالهم فى دار الدنيا أى ثم يهلكون بعد طول الامهال ثم سلى رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله (ولقد استهزئ) الآية وقدمرت فى أول الانعام ولما بين أن الكفار فى الآخرة لا يكفون عن وجوههم النار ذكر أنهم فى الدنيا أيضا مفتقرون الى حراسة الله وكلاءته فقال (قل من يكلؤكم بالليل) اذا نمتم (والنهار) اذا تقلبتم فى وجوه المصالح (من الرحمن) أى من بأسه وعذابه كالقتل والسبى ونحوهما قيل انما خص الرحمن بالذكر لتلقينا للجواب حتى يقول العاقل أنت الكالئ يا الهنا لكل الخلائق برحمتك ونظيره ما غرك بربك الكريم ثم أضرب عن الأمر بالاستفهام قائلا (بل هم عن ذكر ربهم معرضون) لا يخطرونه ببالهم فضلا أن يخافوا بأسه كأنه أمر رسوله بسؤالهم عن الكالئ ثم بين أنهم لا يصلحون لذلك لاعراضهم عن ذكر من يكلؤهم أما قوله (أم لهم آلهة تمنعهم) فذكر فى الكشاف أنه اضراب عن الكلام السابق عما فى أم من معنى بل وقال غيره الميم زائدة وانه استفهام مستأنف والتقدير ألهم آلهة تمنعهم من دوننا من العذاب ومعنى (من دوننا) أن تلك الآلهة لا تجاوز منعنا وحفظنا ثم استأنف فقال (لا يستطيعون) ويجوز أن يكون خبر مبتدا محذوف أى تلك الآلهة ليست تقدر على نصر أنفسها فكيف تحفظ غيرها وتنصرها وقوله (ولا هم منا يصحبون) قال المازنى هو من أصحبت الرجل اذا منعته والاكثرون على أنه من الصحبة بمعنى النصرة والمعونة ومنه قولهم صحبك الله والحاصل أن من لا يكون قادرا على دفع الآفات ولا يكون ممنوعا من الله بالاعانة والنصرة كيف يتوقع منه دفع ضر أو جلب نفع ولما أبطل كون الاصنام

لا يتدبرون ذلك فلا يعتبرون به جهلا منهم وسفها ۞ القول فى تأويل قوله ﴿أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون﴾ يقول تعالى ذكره ألهؤلاء المستعجلى ربهم بالعذاب آلهة تمنعهم ان نحن أحللنا بهم عذابنا وأنزلنا بهم بأسنا من دوننا ومعناه أم لهم آلهة من دوننا تمنعهم منا ثم وصف جل ثناؤه الآلهة بالضعف والمهانة وما هى به من صفتها فقال وكيف تستطيع آلهتهم التى يدعونها من دوننا أن تمنعهم منا وهى لا تستطيع نصر أنفسها وقوله ولا هم منا يصحبون اختلف أهل التأويل فى المعنى بذلك وفى معنى يصحبون فقال بعضهم عنى بذلك الآلهة وأنها لا تصحب من الله بخير ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا الا يستطيعون نصر أنفسهم يعنى الآلهة ولا هم منا يصحبون يقول لا يصحبون من الله بخير ۞ وقال آخرون بل معنى ذلك ولا هم منا ينصرون ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولا هم منا يصحبون قال لا ينصرون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا الى قوله يصحبون قال ينصرون قال قال مجاهد ولا هم يحفظون حدثنا على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ولا هم منا يصحبون يجارون (١) ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولا هم منا يصحبون يقول ولا هم منا يجارون وهو قوله وهو يجير ولا يجار عليه يعنى الصاحب وهو الانسان يكون له خفير مما يخاف فهو قوله يصحبون ۞ قال أبو جعفر وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال هذا القول الذى حكيناه عن ابن عباس وان هم من قوله ولا هم من ذكر الكفار وأن قوله يصحبون بمعنى يجارون يصحبون بالجوار لان العرب تحكى عنها أنا لك جار من فلان وصاحب بمعنى أجير لك وأمنعك وهم اذا لم يصحبوا بالجوار ولم يكن لهم مانع من عذاب الله مع حفظ الله عليهم فلم يصحبوا بخير ولم ينصروا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر أفلا يرون أنا نأتى الارض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون﴾ يقول تعالى ذكره ما لهؤلاء المشركين من آلهة تمنعهم من دوننا ولا جار يجيرهم من عذابنا اذا نحن أردنا عنابهم فاتكلوا على ذلك وعصوا رسلنا اتكالا منهم على ذلك ولكنا متعناهم بهذه الحياة الدنيا وآباءهم من قبلهم حتى طال عليهم العمر وهم على كفرهم مقيمون لا تأتيهم منا واعظة من عذاب ولا زاجر من عقاب على كفرهم وخلافهم أمرنا وعبادتهم الاوثان والاصنام فنسوا عهدنا وجهلوا موقع نعمتنا عليهم ولم يعرفوا موضع الشكر وقوله أفلا يرون أنا نأتى الارض ننقصها من أطرافها يقول تعالى ذكره أفلا يرى هؤلاء المشركون بالله السائلو محمد صلى الله عليه وسلم الآيات المستعجلوه بالعذاب أنا نأتى الارض نخربها من نواحيها بقهرنا أهلها وغلبتنا هم واجلائهم عنها وقتلهم

(١) هنا سقط كما يظهر من سابق عادته فتأمل كتبه مصححه

نافعة أضرب عن ذلك منتقلا الى بيان أن ما هم فيه من الحفظ والكلاءة والتمتع بالحياة العاجلة هو من الله لا من مانع يمنعهم من الاهلاك ولا من ناصر يعينهم على أسباب التمتع سوى الله وفى قوله (حتى طال عليهم العمر) اشارة الى أنه لما امتدت أيام الروح والطمأنينة حسبوا أن ذلك لن يزول عنهم فاغتروا به ونسوا المنعم فاستأهلوا العقاب كما أشار اليه بقوله (أفلا يرون أنا نأتى الارض ننقصها من أطرافها) وفى لفظ الآية تصوير ما كان الله يجريه على أيدى المسلمين الذين هم حزب الله من نقص ديار الكفر وتخريبها وعمارة حوزة الاسلام وتشييد مبانيه وقدم مثله فى آخر سورة الرعد والاستفهام فى قوله (أفهم الغالبون) للتقرير أى لنحن الغالبون وهم المغلوبون ثم بين أن هذه الانذارات ليست من قبل الرسول ولكنه بالوحى ثم مهد عذر الرسول ان لم تنجع فيهم رسالته بأن الصم لا يسمعون دعاء المنذر واللام فى الصم للعهد أى لا يسمع هؤلاء الانذار فوضع الصم فى موضع اسم الاشارة اذانا بأنهم هم الموسومون بالصمم عن استماع الحق ولو كان اللام للجنس لكان الانسب اطلاق الدعاء لان الصم لا تسمع الدعاء بشروا أو أنذروا ثم ذكر أنهم لا يعترفون بالتقصير والظلم الا عند معاينة العذاب فقال (ولئن مستهم نفحة) وفى ذكر المس وبناء المرة من النفح الذى هو بمعنى القلة والنزارة منه قولهم نفحه بعطية أى رضخه ونفحته الدابة وهو ريح يسير دليل على أنهم فى غاية الضعف يجزعون من أدنى أثر من عذاب الله قوله (ونضع الموازين القسط) المراد من الوضع الاحضار والقسط أى العدل صفة الموازين وان كان موحدا كقولهم للقوم انهم عدل قاله الفراء وعن الزجاج أراد ذوات القسط واللام فى (ليوم القيامة) بمعنى الوقت كما يقال جئت لتاريخ كذا وقيل أراد لأجل الحساب يوم القيامة وقدم تحقيق الوزن وما يتعلق به من الابحاث فى أول سورة الاعراف يروى أن داود عليه السلام سأل ربه أن يريه غير الميزان فلما رآه غشى عليه ثم أفاق فقال يا الهى من الذى يقدر أن يملأ كفته حسنات فقال يا داود انى اذا رضيت عن عبدى ملأتها بتمرة وفى قوله (فلا تظلم نفس شيأ) بحث بين المعتزلة والاشاعرة وقدم مرارا (وان كان) أى الوزن أو العمل (مثقال حبة من خردل أتينا بها) أنث ضمير المثقال باعتبار اضافته الى الحبة قيل الحبة أعظم من الخردلة فكيف قال حبة من خردل وأجيب بأن الوجه فيه أن تفرض الخردلة كالحبة

بالسيوف فيعتبروا بذلك ويتعظوا به ويحذروا منا أن ننزل من بأسنا بهم نحو الذى قد أنزلناه فعلنا ذلك به من أهل الأطراف وقد تقدم ذكر القائلين بقولنا هذا ومخالفيه بالروايات عنهم فى سورة الرعد بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وقوله أفهم الغالبون يقول تبارك وتعالى أفهؤلاء المشركون المستعجلو محمد بالعذاب الغالبونا وقدرأوا قهرنا من أحللنا بساحته بأسنا فى أطراف الارضين ليس ذلك كذلك بل نحن الغالبون وانما هذا تقريع من الله تعالى لهؤلاء المشركين بجهلهم يقول أفيظنون أنهم يغلبون محمدا ويقهرونه وقد قهرمن ناوأه من أهل أطراف الارض غيرهم كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أفهم الغالبون يقول ليسوا بغالبين ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الغالب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل انما أنذركم بالوحى ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء القائلين فلياتنا بآية كما أرسل الاولون انما أنذركم أيها القوم بتنزيل الله الذى يوحيه الى من عنده وأخوفكم به بأسه كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قل انما أنذركم بالوحى أى بهذا القرآن وقوله ولا يسمع الصم الدعاء اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الامصار ولا يسمع بفتح الياء من يسمع بمعنى أنه فعل للصم والصم حينئذ مرفوعون وروى عن أبى عبد الرحمن السلمى أنه كان يقرأ ولا تسمع بالتاء وضمها فالصم على هذه القراءة مرفوعة لان قوله ولا تسمع لم يسم فاعله ومعناه على هذه القراءة ولا يسمع الله الصم الدعاء * قال أبو جعفر والصواب من القراءة عندنا فى ذلك ما عليه قراء الامصار لاجماع الحجة من القراء عليه ومعنى ذلك ولا يصغى الكافر بالله بسمع قلبه الى تذكر ما فى وحى الله من المواعظ والذكر فينتفع به ويعتبر فينزجر عما هو عليه مقيم من ضلاله اذا تلى عليه وأريد به ولكنه يعرض عن الاعتبار به والتفكر فيه فعل الأصم الذى لا يسمع ما يقال له فيعمل به * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون يقول ان الكافر قد صم عن كتاب الله لا يسمعه ولا ينتفع به ولا يعقله كما يسمعه المؤمن وأهل الايمان ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين﴾ يقول تعالى ذكره ولئن مست هؤلاء المستعجلين بالعذاب يا محمد نفحة من عذاب ربك يعنى بالنفحة النصيب والحظ من قولهم نفح فلان لفلان من عطائه اذا أعطاه قسما أو نصيبا من المال كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك الآية يقول لئن أصابتهم عقوبة وقوله ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين يقول لئن أصابتهم هذه النفحة من عقوبة ربك يا محمد بتكذيبهم بك وكفرهم ليعلمن حينئذ غب تكذيبهم بك وليعترفن على أنفسهم بنعمة الله واحسانه اليهم وكفرانهم أياديه عندهم وليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين فى عبادتنا الآلهة والاندادو تركنا عبادة الله الذى خلقنا وأنعم علينا ووضعنا العبادة

ثم تعتبر الحبة من ذلك الدينار والظاهر أنه أراد الحبة من حيث اللغة وقوله من خردل بيان لها لان الحبة أعم من أن تكون من الخردل أو من الحنطة أو من غيرهما ولكن المبالغة فى الاول أكثر وذلك أن الخردلة سدس شعيرة وهى نصف سدس ثمن الدينار عند الحساب ونصف سدس سدسه فى الشرع والحبة ثمن تسع الدينار فى عرف حساب فارس والعراق فتقال حبة من خردل يكون على الوجه الاول ثمن تسع خردلة وعلى ما قلنا يكون هو الخردل بعينه والحاصل أن شيأ من الاعمال صغيرا كان أو (٢٥) كبيرا غير ضائع من علم الله وأنه يجازى عليه

غير موضعها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيأ وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾ يقول تعالى ذكره ونضع الموازين العدل وهو القسط وجعل القسط وهو موحد من نعت الموازين وهو جمع لانه فى مذهب عدل ورضا ونظر وقوله ليوم القيامة يقول لاهل يوم القيامة ومن ورد على الله فى ذلك اليوم من خلقه وقد كان بعض أهل العربية يوجه معنى ذلك الى فى كأن معناه عنده ونضع الموازين القسط فى يوم القيامة وقوله فلا تظلم نفس شيأ يقول فلا يظلم الله نفسا ممن ورد عليه منهم شيأ بأن يعاقبه بذنب لم يعمله أو ينقصه ثواب عمل عمله وطاعة أطاعه بها ولكن يجازى المحسن باحسانه ولا يعاقب مسيأ الا باساءته * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ونضع الموازين القسط ليوم القيامة الى آخر الآية وهو كقوله والوزن يومئذ الحق يعنى بالوزن القسط بينهم بالحق فى الاعمال الحسنات والسيئات فمن أحاطت حسناته بسيئاته ثقلت موازينه يقول أذهبت حسناته سيئاته ومن أحاطت سيئاته بحسناته فقد خفت موازينه وأمه هاوية يقول أذهبت سيئاته حسناته حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله ونضع الموازين القسط ليوم القيامة قال انما هو مثل كما يجوز الوزن كذلك يجوز الحق قال الثورى قال ليث عن مجاهد ونضع الموازين القسط قال العدل وقوله وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها يقول وان كان الذى له من عمل الحسنات أو عليه من السيئات وزن حبة من خردل أتينا بها يقول جئنا بها فأحضرناها اياه كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها قال كتبناها وأحصيناها له وعليه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها قال يؤتى بها الله وعليك ثم يعفو إن شاء أو يأخذ ويجزى بما عمل له من طاعة وكان مجاهد يقول فى ذلك ما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله وان كان مثقال حبة من خردل آتينا بها قال جازينا بها حدثنا عمرو بن عبد الحميد قال ثنا سفيان عن ليث عن مجاهد أنه كان يقول وان كان مثقال حبة من خردل آتينا بها قال جازينا بها وقال أتينا بها فأخرج قوله بها مخرج كناية المؤنث وان كان الذى تقدم ذلك قوله مثقال حبة لانه عنى بقوله بها الحبة دون المثقال ولو عنى به المثقال لقيل به وقد ذكر أن مجاهدا انما تأول قوله أتينا بها على ما ذكرنا عنه لانه كان يقرأ ذلك آتينا بها بمد الألف وقوله وكفى بنا حاسبين يقول وحسب من شهد ذلك الموقف بنا حاسبين لانه لا أحد أعلم بأعمالهم وما سلف فى الدنيا من صالح أو سيئ منا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين﴾

رؤى الشبلى فى المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال حاسبونى فدققوا * ثم منوا فأعتقوا قال فى التفسير الكبير زعم الجبائى أن من استحق مائة جزء من العقاب فأتى بطاعة يستحق بها حسين جزأ من الثواب فهذا الأقل منحبط بالاكثر ويبقى الاكثر كما كان والآية تبطل قوله لان الله تعالى تمدح بأن اليسير من الطاعة لا يسقط ولو كان الامر كما قاله الجبائى لسقطت الطاعة من غير فائدة قلت للجبائى أن يقول الاتيان بالطاعة مشروط عندى بعدم الاحباط كما أن العقاب على المعصية مشروط عندكم بعدم العفو (وكفى بنا حاسبين) كقوله وكفى بالله حسيبا وحين فرغ من دلائل التوحيد والنبوة والمعاد شرع فى قصص الأنبياء تسلية لنبيه وتثبيتا وعظة لامته وتذكيرا وقدم قصة موسى الا أنه أوجز فيها ههنا والموجز تقدمه الفصحاء غالبا ولان موسى أقوى حالا ومعجزة ولان ذكر التوراة يناسب ما تقدم من قوله قل انما أنذركم بالوحى وصف التوراة بأنها جامعة لكونها فرقانا يفرق به بين الحق والباطل وقد مر سائر تفاسير الفرقان فى أول البقرة (وضياء) كقوله فيها هدى ونور (وذكرا للمتقين) أى شرفا وموعظة أو ذكر ما يحتاجون اليه

فى دينهم ودنياهم وقوله (بالغيب) اما حال من الرب أى حال كونه غائبا عن حسهم والله لا يغيب عنه شئ فيكون كقوله صلى الله عليه وسلم فان لم تكن تراه فانه يراك واما حال منهم أى حال كونهم غائبين عن عذاب الآخرة وأهوالها أو غائبين عن الناس أى يخشون ربهم فى الخلوات ثم عظم شأن القرآن بقوله (وهذا ذكر مبارك) أى كثير البركة (أنزلناه أفأنتم له منكرون) أى أنتم دون سائر الناس مع علمكم بفصاحته وإعجازه تخصونه بالانكار ولا يخفى ما فيه من التوبيخ للعرب ومن داناهم

﴿ التأويل أم اتخذوا آلهة من أرض البشرية ثم هم يحيون القلوب الميتة بل الله يحييها بنور ذكره وطاعته لو كان في سماء الروا
وأرض البشرية آلهة الا الله كالعقل والهوى لفسدتا كما فسد سماء أرواح الفلاسفة حين أثبتت عقولهم للواجب صفات لا تليق به و
أرض بشرية الطبائعية حين زلت قدمهم عن استعمال قوانين الشريعة بمقتضى هوى الطبيعة لا يسئل عما يفعل لان أفعاله تعالى
عن الحكمة والقدرة وهم يسئلون لان أفعالهم منشؤها الظلومية والجهولية لا يسبقونه بالقول لانه ليس فيهم ما

داعية العقل وهو الطبع الذى يجذب صاحبه الى السفل ولهذا وصفهم بالاكرام ووصف بنى آدم بالتكريم فى قوله ولقد كرمنا بنى آدم ففى التكريم تكثير ليس فى الاكرام والسبب أن أمر بنى آدم أشكل وحالهم أصعب يعلم ما بين أيديهم من خجالة قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها وما خلفهم من الامر بسجود آدم والاستغفار لمن فى الارض ألم ير الذين كفروا يعنى أنهم رأوها فى عالم الارواح لانها خلقت قبل الاجساد بألفى عام وفى رواية بأربعة آلاف سنة كانتا رتقا أى كانت سموات الارواح متعلقة بأرض القوالب ففتقناهما بالمفارقة وقطع التعلق وجعلنا من ماء حياة العلم كل شئ حى بالحياة الأبدية وجعلنا فى الارض أرض القالب رواسى هى هموم العلائق البدنية أن تميدبهم فلولاها لمالت كل نفس الى عالمها وبطل الغرض من التكليف ويمكن أن يكون الرواسى اشارة الى الأبدال الذين هم أوتاد الارض بهم يرزق ويعطر الناس فجاجا سبلا هى طرق الارشاد والتسليك وجعلنا سماء القلب سقفا محفوظا من وساوس شياطين الانس والجن وهو الذى خلق ليل البشرية ونهار الروحانية وشمس المعرفة وقمر الاسلام كل فى فلك يسبحون فأهل الاسلام فى فلك الشريعة وأهل الايمان فى فلك الطريقة وأهل الولاية فى فلك أطوار الحقيقة كل نفس ذائقة الموت أما النفس بآية الحيوانية فلأن من خواصها أن تصير الغذاء من جنسها فلا جرم اذا عجز الغذاء عن التشبيه بها العجز القوة الغاذية حل أجلها وأما النفس الناطقة فلأن من خواصها أنها تصير من جنس غذائها وهو الكمالات العلمية والعملية التى هى فيوض ربانية يتجوهر الروح بجوهرها فيحصل له الفناء عن وجوده والبقاء بشهود ربه ونبلوكم بالمكروهات التى تسمونها شرا وبالمحبوبات التى تحسبونها خيرا فتنة فربما

يقول تعالى ذكره ولقد آتينا موسى بن عمران وأخاه هرون الفرقان يعنى به الكتاب الذى
بين الحق والباطل وذلك هو التوراة فى قول بعضهم ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو
ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء
عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله الفرقان قال الكتاب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين
ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد
قتادة قوله ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان الفرقان التوراة حلالها وحرامها وما فرق الله بين
والباطل وكان ابن زيد يقول فى ذلك ما حدثنى به يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن
فى قوله ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان قال الفرقان الحق آتاه الله موسى وهرون فرق بينهما
فرعون فضى بينهم بالحق وقرأ وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان قال يوم بدر * قال أبو جعفر
القول الذى قاله ابن زيد فى ذلك أشبه بظاهر التنزيل وذلك لدخول الواو فى الضياء ولو كان الفرقان
هو التوراة كما قال من قال ذلك لكان التنزيل ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان ضياء
الضياء الذى آتى الله موسى وهرون هو التوراة التى أضاءت لهما ولمن اتبعهما أمر دينهم فبصر
الحلال والحرام ولم يقصد بذلك فى هذا الموضع ضياء الابصار وفى دخول الواو فى ذلك دليل على
الفرقان غير التوراة التى هى ضياء فان قال قائل وما ينكر أن يكون الضياء من نعت الفرقان و
كانت فيه واو فيكون معناه وضياء آتيناه ذلك كما قال بزينة الكواكب وحفظا قيل له ان
وان كان الكلام يحتمله فان الأغلب من معانيه ما قلنا والواجب أن يوجه معانى كلام الله
الأغلب الأشهر من وجوهها المعروفة عند العرب ما لم يكن بخلاف ذلك ما يجب التسليم له من
خبر أو عقل وقوله وذكرا للمتقين يقول وتذكيرا لمن اتقى الله بطاعته وأداء فرائضه واجت
معاصيه ذكرهم بما آتى موسى وهرون من التوراة ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ الذ
يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون ﴾ يقول تعالى ذكره آتينا موسى وهر
الفرقان الذكر الذى آتيناهما للمتقين الذين يخافون ربهم بالغيب يعنى فى الدنيا أن يعاقبهم
الآخرة اذا قد مواعليه بتضييعهم ما ألزمهم من فرائضه فهم من خشيته يحافظون على حدو
وفرائضه وهم من الساعة التى تقوم فيها القيامة مشفقون حذرون أن تقوم عليهم فيردوا على ربه
قد فرطوا فى الواجب عليهم لله فيعاقبهم من العقوبة بما لا قبل لهم به ﴿ القول فى تأويل قو
تعالى ﴿ وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون ﴾ يقول جل ثناؤه وهذا القرآن الذى أنز
الى محمد صلى الله عليه وسلم ذكر لمن تذكر به وموعظة لمن اتعظ به مبارك أنزلناه كما أنزلنا التو
الى موسى وهرون ذكرا للمتقين أفأنتم له منكرون يقول تعالى ذكره أفأنتم أيها القوم له
الكتاب الذى أنزلناه الى محمد منكرون وتقولون هو أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فلي

الامر عكس ما تصورتم والينا ترجعون اختيارا وقهرا واذا رآه الذين كفروا فيه أن الاغيار لا ينظرون الى الاخيار الا بعين الانكار خلق الانسان من عجل بالنسبة الى خلق السموات والارض وما بينهما فانها خلقت فى ستة أيام ونحن رت طينة آدم أربعين صباحا مع أن فيها أنموذجا من الكل واستعدادا لقبول الخلافة وقابلية تجلى الذات والصفات ومظهرية الكنز الخفى وأشار الى هذه المعانى بقوله سأريكم آياتى أى فى مظاهر الآفاق ومرايا أنفسكم بالتدريج وبالتربية فى كل طور فلا تستعجلون (٢٧) فان حد الاستكمال من المهد الى اللحد بل من الازل الى الابد وهذا منطق الطير لا يفهمه الا سليمن الوقت ويمكن أيضا أن يقال ان الروح الانسانى أول شئ تعلقت به القدرة وهذا معنى العجلة قل من يكلؤكم فيه أن ملوك الارض لو حرسوهم بالليل والنهار من الخصوم والاعداء فمن لهم حتى يحفظوهم فى ليل البشرية ونهار الروحانية من سطوات قهر الجلال الذى الرحمانية من صفاته كما أن الرحيمية من صفات الجمال فلو وكلهم بأنفسهم لوكلهم الى ظلمة البشرية بقوا فى الجهل ولو وكلهم بالاضلال فى نور المعقولات تاهوا فى أودية الحيرة والحجب النورية والمنع من الحجب الظلمانية والجهل البسيط أسرع من ازالة الجهل المركب بل متعنا هؤلاء الجهال وآباءهم الذين علموهم تلك المعقولات التى صارت حجبا نورية لهم حتى اغتروا بظاهر الحال وأنكروا المعاد والشريعة ثم بين أن الحق يغلب على الباطل البتة فقال أولم يروا أنا نأتى الارض البشرية ونضع الموازين ميزان الفضل قد نصب فى الازل نحن قسمنا تلك الرسل فضلنا وميزان العدل ينصب فى الابد ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فالاول كالبذرة والثانى كالثمرة ﴿ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين اذ قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون﴾ يقول تعالى ذكره ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل موسى وهرون ووفقناه للحق وأنقذناه من بين قومه وأهل بيته من عبادة الاوثان كما فعلنا ذلك بمحمد صلى الله عليه وسلم وعلى ابراهيم فأنقذناه من قومه وعشيرته من عبادة الاوثان وهديناه الى سبيل الرشاد توفيقا منا له * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وهذا ذكر مبارك الى قوله أفأنتم له منكرون أى هذا القرآن ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴿ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين اذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون﴾ يقول تعالى ذكره ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل موسى وهرون ووفقناه للحق وأنقذناه من بين قومه وأهل بيته من عبادة الاوثان كما فعلنا ذلك بمحمد صلى الله عليه وسلم وعلى ابراهيم فأنقذناه من قومه وعشيرته من عبادة الاوثان وهديناه الى سبيل الرشاد توفيقا منا له * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى ح وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل قال هديناه صغيرا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل قال هداه صغيرا حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد آتينا ابراهيم رشده من قبل قال هداه صغيرا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل يقول آتيناه هداه وقوله وكنا به عالمين يقول وكنا عالمين به أنه ذو يقين وايمان بالله وتوحيده لا يشرك به شيأ اذ قال لأبيه وقومه يعنى فى وقت قيله وحين قيله لهم ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون يقول قال لهم أى شئ هذه الصور التى أنتم عليها مقيمون وكانت تلك التماثيل أصنامهم التى كانوا يعبدونها كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون قال الاصنام حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقد بينا فيما مضى من كتابنا هذا أن العاكف على الشئ المقيم عليه بشواهد ذلك وذكرنا الرواية عن أهل التأويل ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴿قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين﴾ يقول تعالى ذكره قال أبو ابراهيم وقومه لابراهيم وجدنا آباءنا لهذه الاوثان عابدين فنحن على ملة آبائنا نعبدها كما كانوا يعبدون قال ابراهيم لقد كنتم أيها القوم أنتم وآباؤكم بعبادتكم اياها فى ضلال مبين يقول فى ذهاب عن سبيل الحق وجور عن قصد السبيل مبين يقول بين لمن تأمله بعقل انكم كذلك فى جور عن الحق قالوا أجئتنا بالحق يقول قال أبوه وقومه له أجئتنا بالحق فيما تقول أم أنت هازل لاعب من اللاعبين ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴿قال بل ربكم

بآية كما أرسل الاولون وانما الذى آتيناه من ذلك ذكر المتقين كالذى آتينا موسى وهرون ذكرا للمتقين * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وهذا ذكر مبارك الى قوله أفأنتم له منكرون أى هذا القرآن ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴿ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين اذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون﴾ يقول تعالى ذكره ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل موسى وهرون ووفقناه للحق وأنقذناه من بين قومه وأهل بيته من عبادة الاوثان كما فعلنا ذلك بمحمد صلى الله عليه وسلم وعلى ابراهيم فأنقذناه من قومه وعشيرته من عبادة الاوثان وهديناه الى سبيل الرشاد توفيقا منا له * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى ح وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل قال هديناه صغيرا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل قال هداه صغيرا حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد آتينا ابراهيم رشده من قبل قال هداه صغيرا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل يقول آتيناه هداه وقوله وكنا به عالمين يقول وكنا عالمين به أنه ذو يقين وايمان بالله وتوحيده لا يشرك به شيأ اذ قال لأبيه وقومه يعنى فى وقت قيله وحين قيله لهم ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون يقول قال لهم أى شئ هذه الصور التى أنتم عليها مقيمون وكانت تلك التماثيل أصنامهم التى كانوا يعبدونها كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون قال الاصنام حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقد بينا فيما مضى من كتابنا هذا أن العاكف على الشئ المقيم عليه بشواهد ذلك وذكرنا الرواية عن أهل التأويل ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴿قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين﴾ يقول تعالى ذكره قال أبو ابراهيم وقومه لابراهيم وجدنا آباءنا لهذه الاوثان عابدين فنحن على ملة آبائنا نعبدها كما كانوا يعبدون قال ابراهيم لقد كنتم أيها القوم أنتم وآباؤكم بعبادتكم اياها فى ضلال مبين يقول فى ذهاب عن سبيل الحق وجور عن قصد السبيل مبين يقول بين لمن تأمله بعقل انكم كذلك فى جور عن الحق قالوا أجئتنا بالحق يقول قال أبوه وقومه له أجئتنا بالحق فيما تقول أم أنت هازل لاعب من اللاعبين ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴿قال بل ربكم

التماثيل التى أنتم لها عاكفون قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين قال بل ربكم رب السموات والارض الذى فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون فرجعوا الى أنفسهم

فقالوا انكم أنتم الظالمون ثم نكسوا على رؤسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيأ ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم وأرادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين ونجيناه ولوطا الى الأرض التي باركنا فيها للعالمين ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين ولوطا آتيناه حكما وعلما ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث انهم كانوا قوم سوء فاسقين وأدخلناه في رحمتنا انه من الصالحين ونوحا اذ نادى من قبل فاستجبنا له ونجيناه وأهله من الكرب العظيم ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره الى الارض التي باركنا فيها وكنا بكل شئ عالمين ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وكنا لهم حافظين وأيوب اذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين واسمعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين وأدخلناهم في رحمتنا انهم من الصالحين وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه انهم أعجبك

كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين

﴿ القراآت جذاذا بكسر الجيم على الآخرون بضمها أف بفتح الفاء ابن كثير وابن عامر وسهل ويعقوب أف بالكسر والتنوين أبو جعفر ونافع وحفص الباقون بالكسر من غير تنوين لتحصنكم بالنون أبو بكر وحماد ورويس وبالتاء الفوقانية والضمير للصنعة أو للدرع لانها

رب السموات والارض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين ﴾ يقول تعالى ذكره قال ابراهيم لهم بل جئتكم بالحق لا اللعب ربكم رب السموات والارض الذي خلقهن وأنا على ذلكم من أن ربكم هو رب السموات والارض الذي فطرهن دون التماثيل التي أنتم لها عاكفون ودون كل أحد سواه شاهد من الشاهدين يقول فاياه فاعبدوا لا هذه التماثيل التي هي خلقه التي لا تضر ولا تنفع ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون ﴾ ذكر أن ابراهيم صلوات الله عليه حلف بهذه اليمين في سر من قومه وخفاء وأنه لم يسمع ذلك منه إلا الذي أفشاه عليه حين قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين فقال سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله وتالله لأكيدن أصنامكم قال قول ابراهيم حين استتبعه قومه الى عيدلهم فأبى وقال اني سقيم فسمع منه وعيد أصنامهم رجل منهم استأخر وهو الذي يقول سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وتالله لأكيدن أصنامكم قال نرى أنه قال ذلك حيث لم يسمعوه بعد أن تولوا مدبرين وقوله فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الأمصار سوى يحيى بن وثاب والاعمش والكسائي فجعلهم جذاذا (١) بمعنى جمع جذيذ كأنهم أرادوا به جمع جذيذ وجذاذ كما يجمع الخفيف خفاف والكريم كرام * وأولى القراءتين في ذلك عندنا بالصواب قراءة من قرأه جذاذا بضم الجيم لاجماع قراء الامصار عليه وأن ما أجمعت عليه فهو الصواب وهو اذا قرئ كذلك مصدر مثل الرفات والفتات والدقاق لا واحد وأما من كسر الجيم فانه جمع للجذيذ والجذيذ هو فعيل صرف من مجذوذ اليه مثل كسير وهشيم والمجذوذة المكسورة قطعا * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله فجعلهم جذاذا يقول حطاما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد جذاذا كالصريم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فجعلهم جذاذا أي قطعا وكان سبب فعل ابراهيم صلوات الله عليه بآلهة قومه ذلك كما حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي أن ابراهيم قال له أبوه يا ابراهيم ان لنا عيدا الوقد خرجت معنا اليه قد

---

(١) لعل في العبارة سقطا والحاصل أن الناس قرؤه جذاذا بالضم وابن وثاب ومن معه بالكسر فتنبه

مؤنثة سماعا ابن عامر ويزيد وحفص والمفضل وروح وزيد الباقون بالياء التحتانية والضمير لداود عليه السلام أو للبوس والكل بتخفيف الصاد والرياح على الجمع ليزيد بطريق المفضل الآخرون على التوحيد مسنى الضر وعبادى الصالحون فى آخر السورة مرسلة الياء حمزة الباقون بفتحها وأن ان يقدر بالياء مجهولا يعقوب نجى بضم النون الواحدة وتشديد الجيم وتسكين الياء ابن عامر وعباس وأبو بكر وحماد الآخرون من الانجاء مخففا ۞ الوقوف عالمين ج ٥ لان اذ يصلح ظرفا لآتينا أو لرشده أو للعلم به ومفعولا

لاذكر محذوفا عاكفون ٥ عابدين ٥ مبين ٥ اللاعبين ٥ فطرهن ز لواو الابتداء والحال أولى الشاهدين ٥ يرجعون ٥ الظالمين ٥ ابراهيم ٥ يشهدون ٥ يا ابراهيم ٥ ط فعله ز وفيه بعد ويجىء فى التفسير ينطقون ٥ الظالمون ٥ لا للعطف على رؤسهم ج لاتحاد المقصود مع اضمار القول ينطقون ٥ ولا يضركم ط لاستئناف الدعاء عليهم من دون الله ط تعقلون ٥ فاعلين ٥ على ابرهيم ٥ لا بناء على أن التقدير وقد أرادوا الأخسرين ج ٥ للعطف والآية للعالمين ٥ اسحق ط بناء على أن المراد ووهبنا له يعقوب حال كونه نافلة نافلة ط صالحين ٥ الزكاة ج لاحتمال الاستئناف والحال عابدين ٥ وكان ينبغى أن لا يوقف للعطف ولكنهم حكموا بالوقف لتمام القصة وكذلك أمثالها الخبائث ط فاسقين ٥ لا بناء على أن التقدير وقد أدخلناه رحمتنا ط الصالحين ٥ العظيم ٥ ج للعطف مع الآية بآياتنا ط أجمعين ٥ غنم القوم ج لاحتمال الواو بعده الاستئناف والحال شاهدين ٥ لا للعطف بالفاء سليمان ج لانقطاع النظم بتقديم المفعول مع اتحاد الكلام وعلما ز لعطف

أعجبك ديننا فلما كان يوم العيد نخرجوا اليه خرج معهم ابراهيم فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه وقال انى سقيم يقول أشتكى رجلى فتواطؤا رجليه وهو صريع فلما مضوا نادى فى آخرهم وقد بقى منهم ناس تالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين فسمعوها منه ثم رجع ابراهيم الى بيت الآلهة فاذا هن فى بهو عظيم مستقبل باب البهو صنم عظيم الى جنبه أصغر منه بعضها الى بعض كل صنم يليه أصغر منه حتى بلغوا باب البهو واذا هم قد جعلوا طعاما فوضعوه بين أيدى الآلهة قالوا اذ كان حين نرجع رجعنا وقد بركت الآلهة فى طعامنا فأكلنا فلما نظر اليهم ابراهيم والى ما بين أيديهم من الطعام قال ألا تأكلون فلما لم تجبه قال مالكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين فأخذ فأسا حديدا فنقر كل صنم فى حافتيه ثم علق الفأس فى عنق الصنم الأكبر ثم خرج فلما جاء القوم الى طعامهم نظروا الى آلهتهم قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم وقوله إلا كبيرا لهم يقول إلا عظيما للآلهة فان ابراهيم لم يكسره ولكنه فيما ذكر علق الفأس فى عنقه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج إلا كبيرا لهم قال قال ابن عباس إلا عظيما لهم عظيم آلهتهم قال ابن جريج وقال مجاهد وجعل ابراهيم الفأس التى أهلك أصنامهم مسندا الى صدر كبيرهم الذى ترك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال جعل ابراهيم الفأس التى أهلك بها أصنامهم مسندة الى صدر كبيرهم الذى ترك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال أقبل عليهن كما قال الله تبارك وتعالى ضربا باليمين ثم جعل يكسرهن بفأس فى يده حتى اذا بقى أعظم صنم منهار بط الفأس بيده ثم تركهن فلما رجع قومه رأوا ما صنع بأصنامهم فراعهم ذلك وأعظموه وقالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين وقوله لعلهم اليه يرجعون يقول فعل ذلك ابراهيم بآلهتهم ليعتبروا ويعلموا أنها اذا لم تدفع عن نفسها ما فعل بها ابراهيم فهى من أن تدفع عن غيرها من أراده بسوء أبعد فيرجعوا عما هم عليه مقيمون من عبادتها الى ما هو عليه من دينه وتوحيد الله والبراءة من الاوثان * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لعلهم اليه يرجعون قال كادهم بذلك لعلهم يتذكرون أو يبصرون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون﴾ يقول تعالى ذكره قال قوم ابراهيم لما رأوا آلهتهم قد جعلت الا الذى ربط به الفأس ابراهيم من فعل هذا بآلهتنا ان الذى فعل هذا بآلهتنا لمن الظالمين أى لمن الفاعلين بها ما لم يكن له فعله قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم يقول قال الذين

المنفقين مع نوع عدول والطير ط فاعلين ٥ من بأسكم ج للاستفهام مع الفاء شاكرون ٥ فيها ط عالمين ٥ دون ذلك ج لاحتمال الاستئناف والحال حافظين ٥ الراحمين ٥ ط للفاء وللآية للعابدين ٥ وذا الكفل ط الصابرين ٥ وقد يوصل لعطف وأدخلناهم على نجينا للقدرة فى رحمتنا ط الصالحين ٥ سجانك قد يوقف لاجل ان ولكنه داخل فى حكم النداء الظالمين ج ٥ على ما ذكر فى الوجهين فاستجبنا له لا لاتفاق الجملتين واتصال النجاة بالاستجابة من الغم ط المؤمنين ٥ الوارثين ٥ فاستجبنا له ٥ لامكان

الفصل بين الاستجابة المعجلة وحصول الولد الموهوب على المهلة زوجه ط ورهبا ط خاشعين ط للعالمين ۝ التفسير الرشد الاهتداء لوجوه المصالح فى الدين والدنيا وقد يخص ههنا بالنبوة لقوله رشده ومعنى الاضافة أن لهذا الرشد شأنا ولقوله (وكنا به عالمين) وفيه أنه علم منه أسرارا عجيبة وأحوالا بديعة حتى اتخذه خليلا واصطفاه نبيا نظيره الله أعلم حيث يجعل رسالته وعلى هذا فمعنى قوله من قبل أى من قبل موسى وهرون قاله ابن عباس وعلى الاول يحتمل هذا وأن يراد من قبل البلوغ حين استدل بالكواكب قاله مقاتل وعن ابن عباس فى رواية الضحاك حين أخذ الله ميثاق النبيين فى صلب آدم قالت الاشاعرة أراد بايتاء الرشد خلق ذلك فيه اذ لو حمل على أسباب ذلك تناول الكفار أجاب الكعبى بأن هذا انما يقال فيمن قبل لا فيمن رد نظيره بأن يعطى الاب كل واحد من ولديه ألفا فقبله أحدهما وثمره ورده الآخر أو أخذه ثم ضيعه فيقال أغنى فلان ابنه فيمن ثمر المال ولا يقال مثله فيمن ضيع واعترض بأن قبوله على هذا التقدير يكون جزأ من مسمى الرشد وحينئذ لا يصح استناد ايتاء الرشد الى الله وحده وهذا بخلاف نص القرآن والتمثال اسم للشئ المصنوع مشبها بخلق من خلق الله تعالى من مثلث الشئ بالشئ شبهته به واسم ذلك الممثل تمثال جعل ابراهيم عليه السلام هذا التجاهل والتغابى ابتداء كلامه لينظر فيما عساهم يوردونه من شبهة فيحلها لهم مع ما فى هذا السؤال من تحقير آلهتهم وتسفيه أحلافهم وفى قوله (أنتم لها عاكفون) دون أن يقول عليها كقوله يعكفون على أصنام لهم نوع آخر من التجهيل والتوبيخ لانه ادعى عليهم أنهم جعلوا العكوف مختصا بها دون خالقها وخالق كل شئ (قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين) لا يمكن لهم أن يتمسكوا بشئ آخر سوى التقليد فزيف طريقتهم بالتنبيه على خطئهم وخطأ أسلافهم فقال لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين لان كل مذهب لا يستند الى دليل كان صاحبه ضالا أو فى حكم ذلك ثم ان القوم تعجبوا من تضليلهم مع كثرتهم ووحدته ومنعهم عما ألفوه وضربوا به فقالوا (أجئتنا بالحق) أى بما ليس بهزل ودعابة (أم أنت من اللاعبين) فحينئذ عدل ابراهيم عن مجرد التنبيه الى اثبات الدعوى بالبينة والدليل وجاهدهم أولا باللسان قائلا (بل ربكم رب السموات والارض الذى فطرهن) الظاهر أن الضمير للسموات والارض

سمعوه يقول تالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين سمعنا فتى يذكرهم يعيب يقال له ابراهيم كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قالوا سمعنا فتى يذكرهم قال ابن جريج يذكرهم بعيبهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قوله سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم سمعناه يسبها ويعيبها ويستهزئ بها لم نسمع أحدا يقول ذلك غيره وهو الذى نظن صنع هذا بها وقوله فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون يقول تعالى ذكره قال قوم ابراهيم بعضهم لبعض فأتوا بالذى فعل هذا بآلهتنا الذى سمعتموه يذكرها بعيب ويسبها وينذمها على أعين الناس فقيل معنى ذلك على رؤس الناس وقال بعضهم معناه بأعين الناس ومرأى منهم وقالوا انما أريد بذلك أظهروا والذى فعل ذلك للناس كما تقول العرب اذا أظهر الأمر وشهر كان ذلك على أعين الناس يراد به كان بأيدى الناس * واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله لعلهم يشهدون فقال بعضهم معناه لعل الناس يشهدون عليه أنه الذى فعل ذلك فتكون شهادتهم عليه حجة لنا عليه وقالوا انما فعلوا ذلك لانهم كرهوا أن يأخذوه بغير بينة ذكر من قال ذلك حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون عليه أنه فعل ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون قال كرهوا أن يأخذوه بغير بينة * وقال آخرون بل معنى ذلك لعلهم يشهدون ما يعاقبونه به فيعاينونه ويرونه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال بلغ ما فعل ابراهيم بآلهة قومه نمرود وأشراف قومه فقالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون أى ما يصنع به وأظهر معنى ذلك أنهم قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون عقوبتنا اياه لانه لو أريد بذلك ليشهدوا عليه بفعله كان يقال انظروا من شهده يفعل ذلك ولم يقل أحضروه بمجمع من الناس ۝ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون﴾ يقول تعالى ذكره فأتوا بابراهيم فلما أتوا به قالوا له أأنت فعلت هذا بآلهتنا من الكسر بها يا ابراهيم فأجابهم ابراهيم بل فعله كبيرهم هذا وعظيمهم فاسألوا الآلهة من فعل بها ذلك وكسرها ان كانت تنطق أو تعبر عن نفسها * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما أتى به واجتمع له قومه عند ملكهم نمرود قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون غضب من أن يعبد وامعه هذه الصغار وهو أكبر منها فكسرهن حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله بل فعله كبيرهم هذا الآية وهى هذه الخصلة التى كادهم بها وقد زعم بعض من لا يصدق بالآثار ولا يقبل من الاخبار الا ما استفاض به النقل من العوام أن معنى قوله بل فعله كبيرهم هذا انما هو بل فعله كبيرهم هذا ان كانوا ينطقون فاسألوهم أى ان كانت الآلهة المكسورة

لأنه قبل كونه للتماثيل أدخل فى تضليلهم وأثبت للاحتجاج عليهم وقوله (وأنا على ذلكم من الشاهدين) فيه تأكيد وتحقيق لما قاله كقول الرجل اذا بالغ فى مدح أحد أو ذمه أشهد إنه كريم أو لئيم لان الشهادة خبر قاطع وفيه أنه قادر على اثبات ما ادعاه بالحجج والبينات كما قالوا ثم أخبر أنه سيجاهدهم جهادا بالفعل من غير تقية وخوف فقال (وتالله لأكيدن أصنامكم) قال جار الله فى تاء القسم مع أنه عوض عن الواو زيادة معنى وهو التعجب كأنه تعجب من سهولة الكيد على يده لان ذلك (٣١) لصعوبته كان كالمقنوط منه خصوصا فى زمن نمرود مع شدة شكيمته وقوة سلطانه قلت لا ريب أن هذا مستبعد عادة ولكنه سهل لمن أيده الله ونصره كما قال على رضى الله عنه والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسدانية ولكن بقوة ربانية * سؤال الكيد هو الاحتيال على الغير فى ضرر لا يشعر به فكيف يتصور ذلك فى حق الأصنام وجوابه أنه قال ذلك بناء على زعمهم أنه يجوز ذلك عليها أو أراد لأكيدنكم فى أصنامكم لانه بذلك الفعل أهمهم وأحزنهم قال السدى كانوا اذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الاصنام فسجدوا ثم عادوا الى منازلهم فلما كان هذا الوقت قال آزر لابراهيم لو خرجت معنا فخرج معهم فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه وقال انى سقيم اشتكى رجلى فلما بقى هو وضعفاء الناس نادى وقال تالله لأكيدن أصنامكم وروى الكلبى أن ابراهيم كان من أهل بيت ينظرون فى النجوم وكانوا اذا خرجوا الى عيدهم لم يتركوا الا مريضا فلما هم ابراهيم بالذى هم به من كسر الاصنام نظر قبل يوم العيد الى السماء فقال لاصحابه انى أرانى أشتكى عدا فذلك قوله فى الصافات فنظر نظرة فى النجوم فقال انى سقيم وأصبح من الغد معصوبا رأسه فخرج القوم لعيدهم ولم يتخلف أحد غيره فقال سرا أما والله لأكيدن أصنامكم فسمعه رجل واحد وأخبر به غيره وانتشر الخبر وعلى الوجهين يصح قوله فيما بعد قالوا سمعنا فتى يذكرهم وروى أن آزر خرج به فى يوم عيدلهم فبدؤا ببيت الاصنام فدخلوه وسجدوا لها ووضعوا بينها طعاما خرجوا به معهم وقالوا الى أن نرجع بركت الآلهة على طعامنا فذهبوا وبقى ابراهيم فنظر الى الاصنام وكانت سبعين صنما مصطفة وثمة صنم عظيم مستقبل الباب وكان من ذهب وفى عينيه جوهرتان تضيئان بالليل فكسرها كلها بفأس فى يده حتى اذا لم يبق الا الكبير علق الفأس فى عنقه (فجعلهم جذاذا) قال الجوهرى جذذت

تحقيق فان كبيرهم هو الذى كسرهم وهذا قول خلاف ما تظاهرت به الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ابراهيم لم يكذب الا ثلاث كذبات كلها فى الله قوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله انى سقيم وقوله لسارة هى أختى وغير مستحيل أن يكون الله تعالى ذكره أذن لخليله فى ذلك ليتفرغ قومه به ويحتج به عليهم ويعرفهم موضع خطئهم وسوء نظرهم لانفسهم كما قال مؤذن يوسف لاخوته أيتها العير انكم لسارقون ولم يكونوا سرقوا شيأ ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فرجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون ثم نكسوا على رؤسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون﴾ يقول تعالى ذكره فذكروا حين قال لهم ابراهيم صلوات الله عليه بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون فى أنفسهم ورجعوا الى عقولهم ونظر بعضهم الى بعض فقالوا انكم معشر القوم الظالمون هذا الرجل فى مسألتكم اياه وقيلكم له من فعل هذا بآلهتنا يا ابراهيم وهذه آلهتكم التى فعل بها ما فعل حاضرتكم فاسألوها * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فرجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون قال ارعووا ورجعوا عنه يعنى عن ابراهيم فيما ادعوا عليه من كسرهن الى أنفسهم فيما بينهم فقالوا لقد ظلمناه وما زاده الا كما قال **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فرجعوا الى أنفسهم قال نظر بعضهم الى بعض فقالوا انكم أنتم الظالمون وقوله ثم نكسوا على رؤسهم يقول حولوا ثاوه ثم غلبوا فى الحجة فاحتجوا على ابراهيم بما هو حجة لابراهيم عليهم فقالوا لقد علمت ما هؤلاء الاصنام ينطقون كما **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثم قالوا يعنى قوم ابراهيم وعرفوا أنها يعنى آلهتهم لا تضر ولا تنفع ولا تبطش لقد علمت ما هؤلاء ينطقون أى لا تتكلم فتخبرنا من صنع هذا بها وما تبطش بالايدى فنصدقك يقول الله ثم نكسوا على رؤسهم فى الحجة عليهم لابراهيم حين جادلهم فقال عند ذلك ابراهيم حين ظهرت الحجة عليهم بقولهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال الله ثم نكسوا على رؤسهم أدركت الناس حيرة سوء * وقال آخرون معنى ذلك ثم نكسوا فى الفتنة ذكر من قال ذلك **حدثنى** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى ثم نكسوا على رؤسهم قال نكسوا فى الفتنة على رؤسهم فقالوا لقد علمت ما هؤلاء ينطقون * وقال بعض أهل العربية معنى ذلك ثم رجعوا عما عرفوا من حجة ابراهيم فقالوا لقد علمت ما هؤلاء ينطقون وانما اخترنا القول الذى قلنا فى معنى ذلك لان نكس الشئ على رأسه قلبه على رأسه وتصيير أعلاه أسفله ومعلوم أن القوم لم يقلبوا على رؤس أنفسهم وأنهم انما نكست حجتهم فأقيم الخبر عنهم مقام الخبر عن حجتهم واذ كان ذلك كذلك فنكس الحجة لاشك انما هو احتجاج المحتج على خصمه بما هو حجة لخصمه وأما قول السدى ثم نكسوا فى الفتنة فانهم لم يكونوا خرجوا من الفتنة قبل ذلك فنكسوا فيها وأما قول من قال من أهل العربية ما ذكرنا عنه فقول بعيد من الفهوم لانهم لو كانوا رجعوا عما عرفوا

الشئ جذا قطعته وكسرته والجذاذ والجذاذ ما كسر منه وضمه أفصح من كسره قلت فعلى هذا هو اسم جمع لا جمع (الا كبيرا لهم) أى الخلقة كبار وبنا وقيل فى التعظيم ويحتمل أن يكون جامعا للامرين أما الضمير الواحد فى قوله (لعلهم اليه يرجعون) فيحتمل عوده الى ابراهيم أى جعلهم جذاذا واستبقى الكبير رجاء أنهم يرجعون الى دينه أو الى السؤال عنه لما تسامعوه من انكاره لدينهم وسبه لآلهتهم فيكسرها بقوله بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ويحتمل (٣٢) عوده الى الكبير كما ذهب اليه الكلبى والمعنى لعلهم يرجعون اليه كما يرجع العالم فى حل المشكلات فيقولون مالهؤلاء مكسورة ومالك صحيحا والفأس على عاتقك وهذا بناء على ظنهم ان الاصنام قد تتكلم وتجيب على أن نفس ذلك الكبير كان دليلا على فساد مذهبهم لان الآلة يغلب كل شئ ولا يغلبه شئ لانهم كانوا يعظمونها ويقولون ان المستخف بها يلحقه ضرر عظيم حين كسرها ابراهيم ولم ينله ضرر من تلك الجهة بطل ما اعتقدوه فلما انكشفت لهم جلية الحال و (قالوا من فعل هذا) الكسر والحطم والاستخفاف (بآلهتنا انه لمن الظالمين) المعدودين فى جملة من يضع الشئ فى غير موضعه لانه وضع الاهانة مكان التعظيم (قالوا سمعنا) احتمل أن يكون القائل واحدا ونسب القول الى الجماعة لانه منهم واحتمل أن يكون جمعا على الوجهين اللذين رويناهما أولانهم سمعوا منه قوله على وجه الاستهزاء ماهذه التماثيل والفعلان بعد (فتى) صفتان له الا أن الاول ضرورى ذكره لانك لا تقول سمعت زيدا وتسكت حتى تذكر شيأ مما يسمع والثانى ليس كذلك والأصح أن قوله ابراهيم فاعل يقال لان المراد الاسم لا المسمى وقيل هو خبر مبتدا محذوف أو منادى (قالوا) أى فيما بينهم (فأتوا به على أعين الناس) الجار والمجرور فى محل الحال أى بمرأى منهم ومنظر أو معاينا ومشاهدا قال فى الكشاف معنى الاستعلاء فى على أنه يثبت اتيانه فى الاعين ويتمكن ثبات الراكب على المركوب وتمكنه منه (لعلهم يشهدون) عليه بما سمع منه وبما فعله فيكون حجة عليه قاله الحسن وقتادة والسدى وعطاء عن عباس وقال محمد بن اسحق معناه لعلهم يحضرون عقوبته ليكون ذلك زاجرا لهم عن الاقدام على مثل فعله وههنا اضمار أى فأتوا به (قالوا أأنت فعلت هذا) الظلم والاستخفاف (بآلهتنا يا ابراهيم) طلبوا منه الاعتراف ليقدموا على ايذائه فـ(قال بل فعله كبيرهم) وقوله (فاسألوهم

من حجة ابراهيم ما احتجوا عليه بما هو حجة له بل كانوا يقولون له لا نسألهم ولكن نسألك فأخبرنا من فعل ذلك بها وقد سمعنا أنك فعلت ذلك ولكن صدقوا القول فقالوا لقد علمت ما هؤلاء ينطقون وليس ذلك رجوعا عما كانوا عرفوا بل هو اقرار به ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيأ ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون﴾ يقول تعالى ذكره قال ابراهيم لقومه أفتعبدون أيها القوم ما لا ينفعكم شيأ ولا يضركم وأنتم قد علمتم أنه لم تمنع نفسها ممن أرادها بسوء ولا هى تقدر أن تنطق ان سئلت عمن يأتيها بسوء فتخبر به فلا تستحيون من عبادة ما كان هكذا كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيأ ولا يضركم الآية يقول يرحمه الله ألا ترون أنهم لا يدفعون عن أنفسهم الضر الذى أصابهم وأنهم لا ينطقون فيخبرونكم من صنع ذلك بهم فكيف ينفعون أو يضرون وقوله أف لكم يقول قبحا لكم وللآلهة التى تعبدون من دون الله أفلا تعقلون نبه ما تفعلون من عبادتكم ما لا يضر ولا ينفع فتتركوا عبادته وتعبدوا الله الذى فطر السموات والارض والذى بيده النفع والضر ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين﴾ يقول تعالى ذكره قال بعض قوم ابراهيم لبعض حرقوا ابراهيم بالنار وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين يقول ان كنتم ناصريها ولم تريدوا ترك عبادتها وقيل ان الذى قال ذلك رجل من أكراد فارس ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن ليث عن مجاهد قوله حرقوه وانصروا آلهتكم قال قالها رجل من أعراب فارس يعنى الأكراد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى وهب بن سليمان عن شعيب الجبائى قال ان الذى قال حرقوه هيزن خسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال أجمع نمرود وقومه فى ابراهيم فقالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين أى لا تنصروها منه الا بالتحريق بالنار ان كنتم ناصريها حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى محمد بن اسحق عن الحسن بن دينار عن ليث بن أبى سليم عن مجاهد قال تلوت هذه الآية على عبد الله بن عمر فقال أتدرى يا مجاهد من الذى أشار بتحريق ابراهيم بالنار قال قلت لا قال رجل من أعراب فارس قلت يا أبا عبد الرحمن أو هل للفرس أعراب قال نعم الكرد هم أعراب فارس فرجل منهم هو الذى أشار بتحريق ابراهيم بالنار وقوله قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم فى الكلام متروك اجتزئ بدلالة ما ذكر عليه منه وهو فأوقدوا له نارا البحرى ثم ألقوه فيها فقلنا للنار يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم وذكر أنهم لما أرادوا احراقه بنوا له بنيانا كما حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال قالوا ابنوا له بنيانا

صفة كبيرهم زعم الطاعنون فى عصمة الانبياء أن هذا القول من ابراهيم كذب وأكدوا قولهم بما جاء فى الحديث ان ابراهيم لم يكذب الا ثلاث كذبات وللعلماء فى جوابهم طريقان أحدهما تسليم أنه كذب ولكنهم قالوا الكذب ليس قبيحا لذاته وانما يقبح لاشتماله على مفسدة وقد يحسن الكذب اذا اشتمل على مصلحة كتخليص نبى ونحوه وزيف هذا الطريق بأنا لو جوزنا أن يكذب النبى لمصلحة لبطل الوثوق بالشرائع فلعل الأنبياء أخبروا عما أخبروا والمصلحة المكلفين فى باب المعاش مع أنه (٣٣) ليس للخبر عنه وجود كما فى الواقع الطريق

الثانى وعليه جمهور المحققين المنع من أنه كذب وبيانه من وجوه الاول أنه من المعاريض التى يقصد بها الحق وهو الزام الخصم وتبكيته كما لو قال لك صاحبك وقد كتبت كتابا بالخط فى غاية الحسن أنت كتبت هذا وصاحبك أمى لا يحسن الخط فقلت له بل كتبته أنت كان قصدك بهذا الجواب تقرير ما لك مع استهزاء به لا نفيه عنك واثباته للامى الثانى أن ابراهيم عليه السلام غاظته تلك الأصنام حين أبصرها مصطفة مزينة وكان غيظ كبيرها أشد لما رأى من زيادة تعظيمهم له فأسند الفعل اليه لانه هو الذى تسبب لاستهانته بها الثالث أن يكون ذلك حكاية لما يؤول اليه مذهبهم كأنه قال ما تنكرون أن يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى الها أن يقدر على أمثال هذه الافعال ويؤيد هذا الوجه ما يحكى أنه قال فعله كبيرهم هذا غضب أن تعبد معه هذه الصغار الرابع ما روى عن الكسائى أنه كان يقف عند قوله بل فعله ثم يبتدئ كبيرهم هذا أى فعله من فعله الخامس عن بعضهم أنه يقف عند قوله كبيرهم هذا فاسئلوهم وأراد بالكبير نفسه لان الانسان أكبر من كل صنم السادس أن فى الكلام تقديما وتأخيرا والتقدير بل فعله كبيرهم هذا ان كانوا ينطقون فاسألوهم فيكون اضافة الفعل الى كبيرهم مشروطا بكونهم ناطقين فلما لم يكونوا ناطقين امتنع أن

ألقوه فى الجحيم قال فجمعوه فى بيت وجمعوا له حطبا حتى ان كانت المرأة لتمرض فتقول لئن عافانى الله لأجمعن حطبا لابراهيم فلما جمعوا له وأكثروا من الحطب (١) حتى ان الطير لتمر بها فتحترق من شدة وهجها فعمدوا اليه فرفعوه على رأس البنيان فرفع ابراهيم صلى الله عليه وسلم رأسه الى السماء فقالت السماء والارض والجبال والملائكة ربنا ابراهيم يحرق فيك فقال أنا أعلم به وان دعاكم فأغيثوه وقال ابراهيم حين رفع رأسه الى السماء اللهم أنت الواحد فى السماء وأنا الواحد فى الارض ليس فى الارض أحد يعبدك غيرى حسبى الله ونعم الوكيل فقذفوه فى النار فناداها فقال يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم فكان جبريل عليه السلام هو الذى ناداها وقال ابن عباس ولو لم يتبع بردها سلاما لمات ابراهيم من شدة بردها فلم يبق يومئذ نار فى الارض إلا طفئت ظنت أنها هى تعنى فلما طفئت النار نظروا الى ابراهيم فاذا هو ورجل آخر معه واذا رأس ابراهيم فى حجره يمسح عن وجهه العرق وذكر أن ذلك الرجل هو ملك الظل وأنزل الله نارا فانتفع بها بنو آدم وأخرجوا ابراهيم فأدخلوه على الملك ولم يكن قبل ذلك دخل عليه **حدثنى** ابراهيم بن المقدام أبو الأشعث قال ثنا المعتمر قال سمعت أبى قال ثنا قتادة عن أبى سليمن عن كعب قال ما أحرقت النار من ابراهيم الا وثاقه **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم قال ذكر لنا أن كعبا كان يقول ما انتفع بها يومئذ أحد من الناس وكان كعب يقول ما أحرقت النار يومئذ الا وثاقه **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن الأعمش عن شيخ عن على بن أبى طالب رضى الله عنه فى قوله يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم قال بردت عليه حتى كادت تقتله حتى قيل وسلاما قال لا تضريه **حدثنا** أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح قال أخبرنا اسمعيل عن المنهال بن عمرو قال قال ابراهيم خليل الله ما كنت أيام أنعم منى من الايام التى كنت فيها فى النار **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد قال لما ألقى ابراهيم خليل الله صلى الله عليه وسلم فى النار قال الملك خازن المطر ربك يطلبك ابراهيم رجا أن يؤذن له فيرسل المطر قال فكان أمر الله أسرع من ذلك فقال يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم فلم يبق فى الارض نار إلا طفئت **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن الحرث عن أبى زرعة عن أبى هريرة قال ان أحسن شئ قاله أبو ابراهيم لما رفع عنه المنجنيق وهو فى النار وجده برشح جبينه فقال عند ذلك نعم الرب ربك يا ابراهيم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى وهب بن سليمن عن شعيب الحبائى قال ألقى ابراهيم فى النار وهو ابن ست عشرة سنة وذبح اسحق وهو ابن سبع سنين وولدته سارة وهى ابنة تسعين سنة وكان مذبحه من بيت ايلياء على ميلين ولما علمت سارة بما أراد بابنها اسحق ظنت يومين وماتت اليوم الثالث قال ابن جريج قال كعب الأحبار ما أحرقت النار من ابراهيم شيئا غير وثاقه الذى أوثقوه به **حدثنا** الحسن قال ثنا الحسين قال ثنا معتمر بن سليمن

(١) أى أشعلوه حتى كما يستفاد من عبارة الخطيب المفسر فتنبه كتبه مصححه

يكونوا فاعلين السابع قراءة محمد بن السميفع فعله كبيرهم بالتشديد أى فلعل الفاعل كبيرهم وفيه تعسف وأما قول ابراهيم عليه السلام انى سقيم فلعله كان به سقم قليل وسوف يجىء تمام البحث فيه وأما قوله لسارة انها أختى فالمراد أنها أخته فى الدين فلم يكن وقتئذ على وجه الارض مسلم سواهما (فرجعوا الى أنفسهم) حين نبههم على قبح طريقتهم (فقالوا انكم أنتم الظالمون) لانكم تعبدون من لا يستحق العبادة

وقال مقاتل معناه فلاموا أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون لابراهيم حيث تزعمون أنه كسرها مع أن الفأس بين يدى الصنم الكبير وهو الظالمون لانفسكم اذ سألتم منه ذلك حتى أخذ يستهزئ بكم فى الجواب يقال نكسته أى قلبته فجعلت أسفله أعلاه وانتكس انقلب وانتكاس الانسان هو أن يكون رأسه من تحت فلهذا قال (ثم نكسوا على رؤسهم) والمراد أنهم استقاموا حين رجعوا الى أنفسهم وجاؤا بالفكرة ثم انقلبوا عن تلك الحالة فأخذوا فى المجادلة قائلين (لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) وفيه أنهم رضوا بالاهتمام تقاصر حالهم عن الحيوان الناطق وقال ابن جرير المعنى نكست حجتهم فأقيم الخبر عنهم مقام الخبر عن حجتهم وبيان انتكاس الحجة قولهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فان هذه حجة عليهم لا لهم وقيل المراد بانتكاس رؤسهم اطراقهم خجلا وانكسارا ثم زاد ابراهيم فى توبيخهم قائلا (أفتعبدون) الآية وقد مر فى سورة سبحان أن أف صوت يدل على التضجر واللام لبيان المتأفف به أى لكم ولآلهتكم هذا التأفف وذلك أنه أضجره ما رأى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم (قالوا حرقوه) المشهور أن الذى أشار بتحريقه هو نمرود بن كنعان ابن سنجاريب بن نمرود بن كوش بن حام بن نوح وقال مجاهد سمعت ابن عمر يقول انه رجل من أعراب العجم يريد الأكراد وعن ابن جريج عن وهب أن الذى قال هذا القول قد خسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة روى مقاتل أن نمرود وقومه أجمعوا على احراقه فبنوا بنيانا بحظيرة بكوثى وهى من قرى الانباط وذلك قوله ابنوا له بنيانا فألقوه فى الجحيم ثم جمعوا له الحطب الكثير أربعين يوما حتى ان كانت المرأة لتمرض فتقول ان عافانى الله لأجمعن حطبا لابراهيم فلما اشتعلت النار اشتدت وصار الهواء بحيث لو مر الطير فى أقصى الهواء لاحترق ثم أخذوا ابراهيم ووضعوه فى المنجنيق مقيدا مغلولا ففتحت السماء والارض

التيمى عن بعض أصحابه قال جاء جبريل الى ابراهيم عليهما السلام وهو يوثق أو يقمط ليلقى فى النار فقال يا ابراهيم ألك حاجة قال أما اليك فلا * قال ثنا معتمر قال ثنا ابن كعب عن أبى عثمان أن ابراهيم قال حين جعلوا يوثقونه ليلقوه فى النار لا اله الا أنت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية فى قوله قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم قال السلام الذى لا يؤذيه بردها ولولا أنه قال وسلاما لكان البرد أشد عليه من الحر **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله بردا قال بردت عليه وسلاما لا تؤذيه **حدثنا** عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم قال قال كعب ما انتفع أحد من أهل الارض يومئذ بنار ولا أحرقت النار يومئذ شيئا الا ابراهيم * وقال قتادة لم تأت يومئذ دابة الا أطفأت عنه النار الا الوزغ * وقال الزهرى أمرت النار أن لا تحرق الا وثاق ابراهيم صلى الله عليه وسلم بقتله وسماه فويسقا وقوله وأرادوا به كيدا يقول تعالى ذكره وأرادوا بابراهيم كيدا فجعلناهم الأخسرين يعنى الهالكين وقد **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج وأرادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين قال ألقوا شيخا منهم فى النار لأنه نجاته كما نجى ابراهيم صلى الله عليه وسلم فاحترق ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ونجيناه ولوطا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين﴾ يقول تعالى ذكره ونجينا ابراهيم ولوطا من أعدائهم وقومه من أرض العراق الى الارض التى باركنا فيها للعالمين وهى أرض الشأم فارق صلوات الله عليه قومه ودينهم وهاجر الى الشأم وهذه القصة التى قص الله من نبأ ابراهيم وقومه تذكير من الله قوم محمد صلى الله عليه وسلم من قريش أنهم قد سلكوا فى عبادتهم الاوثان وأذاهم محمدا على ذلك عن عبادتها ودعائهم الى عبادة الله مخلصين له الدين مسلك أعداء أبيهم ابراهيم ومخالفتهم دينه دين محمد فى براءته من عبادتها واخلاصه العبادة لله وفى دعائهم الى البراءة من الاصنام وفى الصبر على ما يلقى منهم فى ذلك سالك منهاج أبيه ابراهيم وأنه مخرجه من بين أظهرهم كما أخرج ابراهيم من بين أظهر قومه حين تمادوا فى غيهم الى مهاجره من أرض الشأم ومسل بذلك نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم عما يلقى من قومه من المكروه والأذى ومعلمه أنه منجيه منهم كما نجى أباه ابراهيم من كفرة قومه واختلف أهل التأويل فى الارض التى ذكر الله أنه نجى ابراهيم ولوطا اليها ووصفه أنه باركها للعالمين فقال بعضهم بنحو الذى قلنا فى ذلك ذكر من قال ذلك **حدثنا** الحسين بن عمرو المروزى أبو عمار قال ثنا الفضل بن موسى عن الحسين بن واقد عن الربيع بن أنس عن أبى العالية عن أبى بن كعب ونجيناه ولوطا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين قال الشأم وما عذب الا خرج من تلك الصخرة التى ببيت المقدس **حدثنا** ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن فرات القزاز عن الحسن فى قوله الى الارض التى باركنا فيها قال الشأم

ونفخت الهواء لاحترق ثم أخذوا ابراهيم ووضعوه فى المنجنيق مقيدا مغلولا ففتحت السماء والارض

ومن فيهما من الملائكة الا الثقلين فجة واحدة أى ربنا ليس فى أرضك أحد يعبدك غير ابراهيم وانه يحرق فيك فأذن لنا فى نصرته سبحانه ان استغاث بأحد منكم فأغيثوه وان لم يدع غيرى فأنا أعلم به وأنا وليه فخلوا بينى وبينه فلما أرادوا القاءه فى النار أتاه خازن الماء وقال ان شئت طيرت النار فى الهواء فقال ابراهيم لا حاجة لى اليك ثم رفع رأسه الى السماء فقال أنت الواحد فى السماء وأنا الواحد فى

في الارض أحد يعبدك غيري حسبي الله ونعم الوكيل وروى أنه قال لا اله الا أنت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك
وجبريل في الهواء فقال يا ابراهيم هل لك من حاجة قال أما اليك فلا قال فسل ربك قال حسبي من سؤالي علمه بحالي فأرسل الله
ملكة أخذوا بضبعيه وأقعدوه في الارض فاذا عين ماء عذب وورد أحمر ونرجس ولم تحرق النار منه الا وثاقه وأتاه جبرائيل بقميص من حرير
ة وقال يا ابراهيم ان ربك يقول أما علمت أن النار لا تضر أحبائي قال المنهال بن عمرو أخبرت أن ابراهيم مكث في النار أربعين

يوما أو خمسين وقال ما كنت أيام أطيب عيشا مني اذ كنت فيها قلت وذلك لاستغراقه في بحر الفيوض والآثار الربانية ولو لم يكن فيه الا القرب من لطف خلده والبعد من قهر عدوه لكفى ثم نظر نمرود من صرح له مشرف على ابراهيم فرآه جالسا في روضة ومعه جليس له من الملائكة والحطب يحترق حواليه فناداه يا ابراهيم هل تستطيع أن تخرج منها قال نعم فقام يمشي حتى خرج فقال نمرود اني مقرب الى ربك قربانا فذبح أربعة آلاف بقرة وكف عن ابراهيم وكان ابراهيم عليه السلام اذ ذاك ابن ست عشرة سنة قال العلماء اختاروا العقاب بالنار لانها أهول ما يعاقب به وأفظعه ولهذا جاء في الحديث لا يعذب في النار الا خالقها ومن ثم قالوا (وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين) أي ان كنتم ناصرين آلهتكم نصرا قويا فاختاروا له أشد العقاب وهو الاحراق والا كنتم مقصرين في نصرتها (قلنا) عن السدي أن القائل هو جبرائيل عليه السلام والأكثرون على أنه سبحانه وذهب أبو مسلم الاصفهاني الى أنه لا قول هناك بل أراد به الجعل لان النار جماد فلا فائدة في خطابه ويمكن أن يجاب بأن الله قادر على أن يخلق لها فهما يصح به التخاطب ولو سلم فلعل في ذلك الخطاب مصلحة

قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها
ين كانا بأرض العراق فأنجيا الى أرض الشام وكان يقال للشام عماد دار الهجرة ومانقص
ن الارض زيد في الشام ومانقص من الشام زيد في فلسطين وكان يقال هي أرض المحشر
شر وبها مجمع الناس وبها ينزل عيسى بن مريم وبها يهلك الله شيخ الضلالة الكذاب الدجال
دثنا أبو قلابة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت فيما يرى النائم كأن الملائكة حملت
ي بالكتاب فوضعته بالشام فأولته أن الفتن اذا وقعت فان الايمان بالشام وذكر لنا أن رسول الله
لى الله عليه وسلم قال ذات يوم في خطبة انه كائن بالشأم جند وبالعراق جند وباليمن جند فقال رجل
رسول الله خر لي فقال عليك بالشام فان الله قد تكفل لي بالشام وأهله فمن أبى فليلحق بأمنه
ق بقدره وذكر لنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال يا كعب ألا تحول الى المدينة فانها
جر رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضع قبره فقال له كعب يا أمير المؤمنين اني أجد في كتاب
ه المنزل أن الشام كنز الله من أرضه وبها كنزه من عباده حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق
ل أخبرنا معمر عن قتادة ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين قال هاجرا جميعا من كوثى
الشام حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال انطلق ابراهيم
وط قبل الشام فلقي ابراهيم سارة وهي بنت ملك حران وقد طعنت على قومها في دينهم فتزوجها
على أن لا يغيرها حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال خرج ابراهيم مهاجرا الى
ه وخرج معه لوط مهاجرا وتزوج سارة ابنة عمه فخرج بها معه يلتمس الفرار بدينه والأمان على
ه به حتى نزل حران فمكث فيها ما شاء الله أن يمكث ثم خرج منها مهاجرا حتى قدم مصر ثم
رج من مصر الى الشام فنزل السبع من أرض فلسطين وهي برية الشام ونزل لوط بالمؤتفكة
ى من السبع على مسيرة يوم وليلة أو أقرب من ذلك فبعثه الله نبيا صلى الله عليه وسلم
دثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله ونجيناه ولوطا الى
رض التي باركنا فيها للعالمين قال نجاه من أرض العراق الى أرض الشام حدثنا القاسم
ل ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية أنه قال
ه الآية باركنا فيها للعالمين قال ليس ماء عذب الا يهبط الى الصخرة التي ببيت المقدس قال ثم
رق في الارض حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ونجيناه ولوطا
الى الارض التي باركنا فيها للعالمين قال الى الشأم * وقال آخرون بل يعني مكة وهي الارض التي
ل الله تعالى التي باركنا فيها للعالمين ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني
ي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ونجيناه ولوطا الى الأرض التي
كنا فيها للعالمين يعني مكة ونزول اسمعيل البيت ألا ترى أنه يقول ان أول بيت وضع للناس للذي

---

(١) في ابن كثير على أن يفر بها فليحرر

ة والظاهر أن قوله (يا نار) خطاب لتلك النار المخصوصة فان الغرض يتعلق ببردها فقط وفي النار منافع للخلائق فلا يحسن من الكريم
ها وقيل المذكور اسم الماهية فلا بد من حصول البرد في تلك الماهية أينما وجدت ويناسبه رواية مجاهد عن ابن عباس أنه لم يبق
في الدنيا نار الا طفئت واختلفوا في أن النار كيف بردت فقيل انه تعالى أزال عنها ما فيها من الحر والاحراق وأبقى ما فيها من الاضاءة
شراق والله على كل شئ قدير وقيل خلق في جسد ابراهيم كيفية مانعة من وصول أذى النار كما يفعل بخزنة جهنم وكذلك في النعامة

لا يضرها ابتلاع الحديدة المحماة والسمندل ولا يؤذيه المقام فى النار وقيل جعل بينه وبين النار حائلا منع من وصول أثر النار اليه والمحقق
القول الاول لان النص دل ظاهره على أن نفس النار صارت باردة وليست الحرارة جزأ من مسمى النار حتى يمتنع كونها نارا وهى باردة
على القولين الآخرين فيلزم أن لا يحصل البرد فيها وهو خلاف النص قوله (وسلاما) أى ذات برد وسلام فبولغ فى ذلك حتى كأن ذاتها برد
والمعنى ابردى حتى يسلم منك ابراهيم أو ابردى برداً غير ضار ويناسبه ما روى عن ابن عباس لو لم يقل ذلك لأهلكه

وقوله (على ابراهيم) حال من فاعل الكون أو متعلق بالبرد والسلام ولولا هذا القيد لكانت النار بردا على كافة الخلق قوله (فجعلناهم الاخسرين) وفى الصافات فجعلناهم الاسفلين لان فى هذه السورة كادهم ابراهيم لقوله لأكيدن أصنامكم وكادوه لقوله وأرادوا به كيدا فغلبهم ابراهيم لانه كسر أصنامهم وسلم من نارهم فكانوا هم الأخسرين وفى الصافات قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه فى الجحيم فأججوا نارا عظيمة وبنوا بناء عاليا ورفعوه اليه ورموا به الى أسفل فرفعه الله وجعلهم فى الدنيا من السافلين وفى العقبى فى السافلين ويروى أنهم بنوا لابراهيم بنيانا وألقوه فيه ثم أوقد عليه النار سبعة أيام ثم أطبقوا عليه ثم فتحوا عنه فاذا هو غير محترق يعرق عرقا فقال لهم حارث أبو لوط ان النار لا تحرقه لانه سحر النار ولكن اجعلوه على شىء وأوقدوا تحته فان الدخان يقتله فجعلوه فوق برج وأوقدوا تحته فطارت شرارة فوقعت فى لحية أبى لوط فأحرقته فآمن له لوط كما يجىء فى العنكبوت وهاجر الى أرض الشام فذلك قوله (ونجيناه ولوطا الى الارض التى باركنا فيها) أى بالخصب وسعة الارزاق أو بالمنافع الدينية لان أكثر الانبياء بعثوا فيها وقيل ما من ماء أرض عذب الا وينبع أصله من تحت صخرة بيت المقدس يروى أنه نزل بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة وقيل الى الارض مكة (ووهبنا له) أى لابراهيم (اسحق ويعقوب نافلة) هى ولد الولد وهى حال من يعقوب فقط وقيل النافلة العطية الزائدة ومنه الصلاة النافلة ونوفل للرجل الكثير العطاء وعلى هذا احتمل أن يكون حالا من يعقوب فقط أى سأل اسحق فأعطيه وأعطى يعقوب زيادة من غير سؤال واحتمل أن يكون حالا من كليهما أى وهبنا هما له عطية منا والاول قول مجاهد وعطاء والثانى وهو أن النافلة العطية قول

بيكة مباركا وهدى للعالمين * قال أبو جعفر وانما اخترنا ما اخترنا من القول فى ذلك لانه لا خلاف
بين جميع أهل العلم أن هجرة ابراهيم من العراق كانت الى الشام وبها كان مقامه أيام حياته
وان كان قد كان قدم مكة وبنى بها البيت وأسكنها اسمعيل ابنه مع أمه هاجر غير أنه لم يقم
ولم يتخذها وطنا لنفسه ولا لوط والله انما أخبر عن ابراهيم ولوط أنهما أنجاهما الى الارض
بارك فيها للعالمين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا
صالحين وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة
وكانوا لنا عابدين﴾ يقول تعالى ذكره ووهبنا لابراهيم اسحق ولدا ويعقوب ولد ولده نافلة
* واختلف أهل التأويل فى المعنى بقوله نافلة فقال بعضهم عنى به يعقوب خاصة ذكر من قال
ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس
قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة يقول ووهبنا له اسحق ولدا ويعقوب ابن ابن نافلة **حدثنا**
قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة والنافلة ابن
يعقوب **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب
نافلة قال سأل واحدا فقال رب هب لى من الصالحين فأعطاه واحدا وزاده يعقوب ويعقوب ولد
* وقال آخرون بل عنى بذلك اسحق ويعقوب قالوا وانما معنى النافلة العطية وهما جميعا من
الله أعطاهما اياه ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان
عن ابن جريج عن عطاء فى قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة قال عطية **حدثنى** محمد بن عمرو
قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا
ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله اسحق ويعقوب نافلة قال عطاء **حدثنا** القاسم
قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * قال أبو جعفر وقد بينا
فيما مضى قبل أن النافلة الفضل من الشىء يصير الى الرجل من أى شىء كان ذلك وكلا والبه اسحق
ويعقوب كان فضلا من الله تفضل به على ابراهيم وهبة منه له وجائز أن يكون عنى به أنه آتاهما
جميعا نافلة منه له وأن يكون عنى أنه آتاه نافلة يعقوب ولا برهان يدل على أى ذلك المراد من الكلام
فلا شىء أولى أن يقال فى ذلك مما قال الله ووهب الله لابراهيم اسحق ويعقوب نافلة وقوله وكلا
جعلنا صالحين يعنى عاملين بطاعة الله مجتنبين محارمه وعنى بقوله كلا ابراهيم واسحق ويعقوب
وقوله وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا يقول تعالى ذكره وجعلنا ابراهيم واسحق ويعقوب أئمة يهدون
بهم فى الخير فى طاعة الله فى اتباع أمره ونهيه ويقتدى بهم ويتبعون عليه كما **حدثنا** بشر
قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا جعلهم الله أئمة
يقتدى بهم فى أمر الله وقوله يهدون بأمرنا يقول يهدون الناس بأمر الله اياهم بذلك ويدعونهم

اس وأبي بن كعب وقتادة والفراء والزجاج (وكلا) من ابراهيم واسحق ويعقوب (جعلنا صالحين) قال الضحاك أي مرسلين وقال غيره عالمين
ن وفي قوله جعلناهم صالحين وكذا في قوله (وجعلناهم أئمة) دلالة الاشاعرة على أن الصلاح بجعل الله وكذا الامامة وغيرها من الافعال أ اب
ائي بأنه أراد تسميتهم بذلك ومدحهم وأنه حكم به لهم كما يقال ان الحاكم عدل فلانا وجرحه اذا حكم بالعدالة والجرح وضعف بأنه خلاف
ر وقوله (يهدون بأمرنا) أي يدعون الناس الى دين الله بأمرنا وارادتنا قال أهل السنة فيه أن الدعوة الى الحق والمنع من

الباطل لا يجوز الا بأمر الله تعالى وقالت المعتزلة فيه أن من صلح لأن يقتدى به في الدين فالهداية واجبة عليه ليس له أن يخل بها ويتثاقل عنها ولا خلاف في أن الهادي اذا كان مهتديا بنفسه كان الانتفاع بهداه أعم والنفوس الى الاقتداء به أميل فلذلك قال (وأوحينا اليهم فعل الخيرات) أي أن يفعلوها لان المراد هو ايحاء أن يحدثوا الخيرات من أنفسهم ونفس الفعل الخير لا يمكن ايحاؤه فرد الى فعل الخيرات تخفيفا فان المقصود معلوم ثم أضيف المصدر الى المفعول لافادة تخفيف آخر في اللفظ وكذلك اقام الصلاة وايتاء الزكاة أي أوحينا اليهم أن يقيموا ويؤتوا قال الزجاج حذف الهاء من اقامة لان المضاف اليه عوض منها وقال غيره الاقام والاقامة مصدران ولا ريب أن تخصيص هاتين الخصلتين بالذكر دليل على شرفهما والاولى أصل التعظيم لامر الله والثانية أصل الشفقة على خلق الله (وكانوا لنا عابدين) فيه أنه سبحانه لما وفى بعهد الربوبية فآتاهم النبوة والدرجات العالية فهم أيضا وفوا بعهد العبودية فلم يغفلوا عنها طرفة عين قوله (ولوطا) عن الزجاج أنه معطوف على أوحينا وعن أبي مسلم أنه معطوف على قوله ولقد آتينا ابراهيم والحكم الحكمة

ته والى عبادته وقوله وأوحينا اليهم فعل الخيرات يقول تعالى ذكره وأوحينا فيما أوحينا أن
لوا الخيرات وأقيموا الصلاة بأمرنا بذلك وكانوا لنا عابدين يقول كانوا الناخاشعين لا يستكبرون
ن طاعتنا وعبادتنا ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ولوطا آتيناه حكما وعلما ونجيناه من
رية التي كانت تعمل الخبائث انهم كانوا قوم سوء فاسقين ﴾ يقول تعالى ذكره وآتينا لوطا حكما
ونفصل القضاء بين الخصوم وعلما يقول وآتيناه أيضا علما بأمر دينه وما يجب عليه لله من
ضه وفي نصب لوط وجهان أن ينصب لتعلق الواو بالفعل كما قلنا وآتينا لوطا والآخر بعضمر
ي واذكر لوطا وقوله ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث يقول ونجيناه من عذابنا
ي أحللناه بأهل القرية التي كانت تعمل الخبائث وهي قرية سدوم التي كان لوط بعث الى أهلها
كانت الخبائث التي كانوا يعملونها اتيان الذكران في أدبارهم وخذفهم الناس وتضاربهم
ذبتهم مع أشياء أخر كانوا يعملونها من المنكر فأخرجه الله حين أراد اهلاكهم الى الشام كما
ثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال أخرجهم الله يعني لوطا
شبه زيناوزعرنا الى الشام حين أراد اهلاك قومه وقوله انهم كانوا قوم سوء فاسقين مخالفين
ر الله خارجين عن طاعته ومايرضى من العمل ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وأدخلناه
رحمتنا انه من الصالحين ﴾ يقول تعالى ذكره وأدخلنا لوطا في رحمتنا بانجائنا مما أحللنا
قومه من العذاب والبلاء وانقاذناه منه انه من الصالحين يقول ان لوطا من الذين كانوا يعملون
لطاعتنا ويتهون الى أمرنا ونهينا ولا يعصوننا وكان ابن زيد يقول في معنى قوله وأدخلناه في
رحمتنا ما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وأدخلناه في رحمتنا
هي الاسلام ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ونوحا اذ نادى من قبل فاستجبنا له ونجيناه
وأهله من الكرب العظيم ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم
أجمعين ﴾ يقول تعالى ذكره واذكر يا محمد نوحا اذ نادى ربه من قبلك ومن قبل ابراهيم ولوط وسألنا
اهلاك قومه الذين كذبوا الله فيما توعدهم به من وعيده وكذبوا نوحا فيما آتاهم به من الحق من
عند ربه وقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فاستجبنا له دعاءه ونجيناه وأهله يعني بأهله
أهل الايمان به من ولده وحلائلهم من الكرب العظيم يعني بالكرب العظيم العذاب الذي أحل
بالكذبين من الطوفان والغرق والكرب شدة الغم يقال منه قد كربني هذا الامر فهو يكربني كربا
ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا يقول ونصرنا نوحا على القوم الذين كذبوا بحججنا
وأدلتنا فأنجيناه منهم فأغرقناهم أجمعين انهم كانوا قوم سوء يقول تعالى ذكره ان قوم نوح الذين كذبوا
رسلنا كانوا قوم سوء يسيئون الاعمال فيعصون الله ويخالفون أمره ﴿ القول في تأويل قوله
تعالى ﴿ وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين
ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين ﴾ يقول

صل الفصل بين الخصوم وقيل النبوة والقرية سدوم والمراد أهلها وخبائثهم مشهورة قد عددت في الاعراف وفي هود و (قوم سوء)
ير رجل صدق (وأدخلناه في رحمتنا) أي أهل رحمتنا أو في الجنة والثواب عن ابن عباس والضحاك وقال مقاتل هي النبوة أي أنه لما
ن الصالحين آتيناه النبوة كي يقوم بحقها وقال أهل التحقيق حين آتاه الحكم والعلم وتخلص من جلساء السوء فتحت عليه أبواب
كاشفات وتجلت له أنوار الذات والصفات وانها هي الرحمة في الحقيقة قوله (ونوحا) وكذا نظائره معطوف على قوله ولقد آتينا أو المراد واذكر

نوحا و(اذ نادى) بدل منه أى اذكر وقت ندائه (من قبل) هؤلاء المذكورين والنداء هو دعاؤه على قومه بنحو قوله رب انى مغلوب فانتصر
رب لا تذر على الارض من الكافرين دياراً بدليل قوله (فاستجبنا له فنجيناه وأهله) أى أهل دينه وهم من معه فى الفلك (من الكرب
وهو الطوفان وما كان فيه من تكذيب قومه وايذائهم وفى لفظ الكرب وهو الغم الذى يأخذ بالنفس ثم وصفه بالعظم اشعاراً بأنه عليما
لقى من قومه أذى شديداً لا يكتنه كنهه ثم زاده (٣٨) بياناً بقوله (ونصرناه) الآية تقول نصرته منه فانتصر اذا جعلته منتصراً
منتقماً (وداود وسليمن اذ يحكمان
فى) شأن (الحرث اذ نفشت) ظرف
ليحكمان وهو حكاية حال ماضية
قال ابن السكيت النفش بالتحريك
أن ينتشر الغنم بالليل من غير راع
وعليه جمهور المفسرين و عن
الحسن انه يكون ليلا ونهاراً وليس
فى قوله (وكنا لحكمهم) دلالة على
أن أقل الجمع اثنان لاحتمال أنه
أراد هما والمتحاكمين اليهما والضمير
فى (ففهمناها) للحكومة أو
الفتوى ويروى أنه دخل رجلان
على داود عليه السلام أحدهما
صاحب حرث أى زرع وقيل كرم
والآخر صاحب غنم فقال صاحب
الحرث ان غنم هذا دخلت حرثى
وأكلت منه شيأ فقال داود
اذهب فان الغنم لك فخر جا فمرا على
سليمن وهو ابن احدى عشرة سنة
فقال كيف قضى بينكما فأخبراه
فقال لو كنت أنا القاضى لقضيت
بغير هذا فأخبر بذلك أبوه فدعاه
وقال كيف كنت تقضى بينهما
قال أدفع الغنم الى صاحب الحرث
فتكون له منافعها من الدر والنسل
والوبر حتى اذا عاد الحرث من العام
القابل كهيئته يوم أكل دفعت
الغنم الى أهلها وقبض صاحب
الحرث حرثه قال أبو بكر الاصم
الحكمان واحد لان الثانى بيان
للاول والمشهور عن الصحابة ومن
بعدهم أنهما متغايران لقوله وكنا
لحكمهم ولقوله ففهمناها والفاء للتعقيب فدل على أنه فهم حكما خلاف الاول وعلى تقدير الاختلاف فهما

تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذكر داود وسليمن يا محمد اذ يحكمان فى الحرث * واختلف
أهل التأويل فى ذلك الحرث ما كان فقال بعضهم كان نبتا ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن بشار قال
ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن اسحق عن مرة فى قوله اذ يحكمان فى الحرث قال
الحرث نبتا **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أن
القوم وقعت فى زرع ليلا * وقال آخرون بل كان ذلك الحرث كرما ذكر من قال ذلك
أبو كريب قال ثنا المحاربى عن أشعث عن أبى اسحق عن مرة عن ابن مسعود فى قوله
وسليمن اذ يحكمان فى الحرث قال كرم قد أنبت عناقيده **حدثنا** تميم بن المنتصر قال أخبرنا
عن شريك عن أبى اسحق عن مسروق عن شريح قال كان الحرث كرما * قال أبو جعفر
الأقوال فى ذلك بالصواب ما قال الله تبارك وتعالى اذ يحكمان فى الحرث والحرث انما هو حرث الزرع
وجائز أن يكون ذلك كان زرعا وجائز أن يكون غرسا وغير ضائر الجهل بأى ذلك كان
نفشت فيه غنم القوم يقول حين دخلت فى هذا الحرث غنم القوم الآخرين من غير أهل الحرث
فرعته أو أفسدته وكنا لحكمهم شاهدين يقول وكنا لحكم داود وسليمن والقوم الذين حكما
فيما أفسدت غنم أهل الغنم من حرث أهل الحرث شاهدين لا يخفى علينا منه شئ ولا يغيب عنا
وقوله ففهمناها يقول ففهمنا القضية فى ذلك سليمن دون داود وكلا آتينا حكما وعلما يقول كل
من داود وسليمن والرسل الذين ذكرهم فى أول هذه السورة آتينا حكما وهو النبوة وعلما يعنى
بأحكام الله وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا**
أبو كريب وهرون بن ادريس الاصم قالا ثنا المحاربى عن أشعث عن أبى اسحق عن مرة عن ابن
مسعود فى قوله وداود وسليمن اذ يحكمان فى الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم قال كرم قد أنبت
عناقيده فأفسدته قال فقضى داود بالغنم لصاحب الكرم فقال سليمن غير هذا يا نبى الله قال وما
قال يدفع الكرم الى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان وتدفع الغنم الى صاحب الكرم
فيصيب منها حتى اذا كان الكرم كما كان دفعت الكرم الى صاحبه ودفعت الغنم الى صاحبها
قوله ففهمناها سليمن **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن
عن ابن عباس قوله وداود وسليمن اذ يحكمان فى الحرث الى قوله وكنا لحكمهم شاهدين يقول
لما حكما شاهدين وذلك أن رجلين دخلا على داود أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم
صاحب الحرث ان هذا أرسل غنمه فى حرثى فلم يبق من حرثى شيأ فقال له داود اذهب فان الغنم
لك فقضى بذلك داود مر صاحب الغنم بسليمن فأخبره بالذى قضى به داود فدخل سليمن على
داود فقال يا نبى الله ان القضاء سوى الذى قضيت فقال كيف قال سليمن ان الحرث لا يخرج
صاحبه ما يخرج منه فى كل عام فله من صاحب الغنم أن يبيع من أولادها وأصوافها وأشعارها
حتى يستوفى ثمن الحرث فان الغنم لها نسل فى كل عام فقال داود قد أصبت القضاء كما قضيت فيه

الله
بالوحى أو بالاجتهاد فيه خلاف بين العلماء فمنهم من لم يجوز الاجتهاد على الانبياء أصلا كالجبائى لقوله وما ينطق عن الهوى ان أتبع الا
الى ولان النبى قادر على تحصيل حكم الواقعة بالنص ولان مقتضى الاجتهاد مظنون وخلاف المظنون لا يوجب الكفر وخلاف
يوجب الكفر ولما ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يتوقف فى بعض الاحكام انتظاراً للوحى ولو جاز له الاجتهاد لم يتوقف ولا

على النبي لجاز على جبرائيل أيضا وحينئذ يرتفع الأمان عن الوحي فلعل هذه الشرائع من مجتهدات جبرائيل وأجيب بأنه اذا أوحى اليه جواز الاجتهاد له صح قوله وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وبأن الحكم الحاصل عن الاجتهاد مقطوع لا مظنون لأنه تعالى اذا قال له مهما غلب على ظنك كون الحكم في الأصل معللا بكذا ثم غلب على ظنك قيام ذلك المعنى في صورة أخرى فاحكم بذلك فهذا الحكم مقطوع به وان كان الظن واقع في طريقه سلمنا جواز المخالفة لكنه مشروط بصدوره عن غير معصوم ولهذا لو اجتمعت الأمة على مسئلة اجتهادية امتنع خلافهم وكان الرسول أوكد وبأن التوقف لعله وجد منه حين لم يظهر له وجه الاجتهاد وبأن الأمة أجمعوا على عدم جواز اجتهاد جبرائيل ومما يدل على جواز الاجتهاد لنا أنه اذا غلب على ظن المجتهد أحد الطرفين فان عمل بهما كان جمعا بين النقيضين وان أهملهما لزم ارتفاع النقيضين وان عمل بالمرجوح دون الراجح فذلك باطل بالاتفاق فلم يبق الا العمل بالراجح قال الجبائي ولئن سلمنا أن الاجتهاد على الأنبياء جائز لكن هذه المسئلة غير اجتهادية لان الذي أتلفه صاحب الماشية مجهول المقدار فكيف يجعل الغنم في مقابلة ذلك وأيضا ان اجتهاد داود ان كان صوابا فالاجتهاد لا ينقض بالاجتهاد وان كان خطأ فكيف لم يذكر الله توبته بل مدحه بقوله وكلا آتينا حكما وعلما وأيضا الوحي بالاجتهاد لم يسم ذلك علما وأيضا قوله ففهمناها يدل على أنه من الله لا من سليمان وأجيب بأن الجهالة بعد تسليمها قد تكون معفوا عنها كما في حكم المصراة ولعل الخطأ في اجتهاده كان من الصغائر فلهذا أهمل ذكره والاجتهاد من باب العلوم والظن في الطريق كما مر والذي يحصل في نظر المجتهد مستند الى الله أما الذين منعوا من الاجتهاد مطلقا أو في هذه المسئلة فذهبوا الى أن حكومة

لله سليمان **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن علي ابن زيد قال ثني خليفة عن ابن عباس قال قضى داود بالغنم لأصحاب الحرث فخرج الرعاة معهم الكلاب فقال سليمان كيف قضى بينكم فأخبروه فقال لو وافيت أمركم لقضيت بغير هذا فأخبر بذلك داود فدعاه فقال كيف تقضي بينهم قال أدفع الغنم الى أصحاب الحرث فيكون لهم أولادها وألبانها وسلاؤها ومنافعها ويبذر أصحاب الغنم لاهل الحرث مثل حرثهم فاذا بلغ الحرث الذي كان عليه أخذ أصحاب الحرث الحرث وردوا الغنم الى أصحابها **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى قال ثنا ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله اذ نفشت فيه غنم القوم قال أعطاهم داود رقاب الغنم بالحرث وحكم سليمان بجزة الغنم وألبانها لاهل الحرث وعليهم رعايتها على أهل الحرث ويحرث لهم أهل الغنم حتى يكون الحرث كهيئته يوم أكل ثم يدفعونه الى أهله ويأخذون غنمهم **حدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثني ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج بنحوه الا أنه قال وعليهم رعيها **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن اسحق عن مرة في قوله اذ نفشت فيه غنم القوم قال كان الحرث نبتا فنفشت فيه ليلا واختصموا فيه الى داود فقضى بالغنم لأصحاب الحرث فمروا على سليمان فذكروا ذلك له فقال لا تدفع الغنم فيصيبون منها يعني أصحاب الحرث ويقوم هؤلاء على حرثهم فاذا كان كما كان ردوا عليهم فنزلت ففهمناها سليمان **حدثنا** تميم بن المنتصر قال أخبرنا اسحق عن شريك عن أبي اسحق عن مسروق عن شريح في قوله اذ نفشت فيه غنم القوم قال كان النفش ليلا وكان الحرث كرما قال فجعل داود الغنم لصاحب الكرم قال فقال سليمان ان صاحب الكرم قد بقي له أصل أرضه وأصل كرمه فاجعل له أصوافها وألبانها قال فهو قول الله ففهمناها سليمان **حدثنا** ابن أبي زياد قال ثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا اسمعيل عن عامر قال جاء رجلان الى شريح فقال أحدهما ان شياه هذا قطعت غزلا لي فقال شريح نهارا أم ليلا قال ان كان نهارا فقد برئ صاحب الشياه وان كان ليلا فقد ضمن ثم قرأ وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم قال كان النفش ليلا **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا اسمعيل بن أبي خالد عن عامر عن شريح بنحوه **حدثني** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا اسمعيل بن أبي خالد عن الشعبي عن شريح مثله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة في قوله وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث الآية النفش بالليل والهمل بالنهار ذكر لنا أن غنم القوم وقعت في زرع ليلا فرفع ذلك الى داود فقضى بالغنم لاصحاب الزرع فقال سليمان ليس كذلك ولكن له نسلها ورسلها وعوارضها وجزازها حتى اذا كان من العام المقبل كهيئته يوم أكل وقعت الغنم الحرث بها وقبض صاحب الزرع زرعه فقال الله ففهمناها سليمان **حدثنا** ابن

ولم تنسخ بحكومة سليمان ولا استبعاد في أن يوحي الناسخ الى غير من أوحى اليه المنسوخ قال الفقهاء مثال حكومة داود في شرعنا قول أبي حنيفة في العبد اذا جنى على النفس خطأ يدفعه المولى بذلك أو يفديه وعند الشافعي يبيعه في ذلك ويفديه ولعل قيمة الغنم كانت على قدر النقصان في الحرث ومثال حكومة سليمان قول الشافعي فيمن غصب عبدا فأبق من يده فانه يضمن القيمة فينتفع به المغصوب منه بازاء ما فوته الغاصب من منافع العبد فاذا ظهر العبد يرد ويقال له ضمان الحيلولة هذا لو وقعت هذه القضية في شرعنا فلا ضمان عند أبي حنيفة وأصحابه

لا بالليل ولا بالنهار لان جرح العجماء جبار الا أن يكون معها راع والشافعي يوجب الضمان بالليل دون النهار لأن الليل وقت الهدء و
الماشية فتسريحها تقصير من صاحبها بخلاف النهار وعن البراء بن عازب أنه كانت له ناقة ضارية فدخلت حائطا فأفسدته فذ
ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى أن حفظ الحوائط بالنهار على أهلها وأن حفظ الماشية بالليل على أهلها لان على أ
الماشية ما أصابت ماشيتهم بالليل قال بعض (٤٠) الأصوليين كل مجتهد مصيب لقوله وكلا آتينا حكما وعلما وقال بعضهم المص
واحد لقوله ففهمناها سليمن ولو كان كلاهما مصيبا لم يكن لتخصيص سليمن بالفهم فائدة وضعف بعضهم كلا الاستدلالين بعد تسليمهما بأن ما ثبت في شرعهم لا يلزم أن يكون ثابتا في شرعنا ولما مدح داود على سبيل الاشتراك ذكر ما يختص بكل منهما فبدأ بداود قائلا (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن) أي حال كونهن مسبحات أو هو استئناف كأنه قيل كيف سخرهن فقال يسبحن (والطير) وهو معطوف على الجبال أو مفعول معه وتسبيح الجبال اما حقيقة أو مجاز وعلى الأول قال مقاتل كان اذا سبح داود سبح الجبال والطير معه وقال الكلبي اذا سبح داود أجابته الجبال وقال سليمن بن حيان كان داود اذا وجد فترة أمر الله تعالى الجبال فسبحت فيزداد نشاطا واشتياقا وعلى الثاني قيل كانت الجبال تسير معه حيث سار فكل من رآها كان يسبح الله تعالى فلما حملت على التسبيح وصفت به وهذا القول اختيار كثير من أصحاب المعاني والمعتزلة لان الجماد غير قابل للحياة والفهم عندهم ولان المتكلم هو الذي يفعل الكلام لا الذي يكون محلا للكلام ولهذا يقال ان المتكلم هو الله حين كلم موسى لا الشجرة وانما قدم تسبيح الجبال على الطير لأن ذلك أدل على القدرة وأدخل في الاعجاز فان الطير أقرب الى الحيوان الناطق من الجماد ولا يلزم من نطق الطير قال أو الجبل أن يكونا مكلفين فليس كل ناطق مكلفا كالأطفال والمجانين (وكنا فاعلين) أي قادرين على أن نفعل أمثال هذا الخوارق على أيدي الأنبياء لأجلهم وان كانت عجيبة عندكم واللبوس اللباس يقال البس لكل حالة لبوسها والمراد الدرع عن قتادة أنها كانت صفائح فسردها وحلقها داود فجمعت الخفة والتحصين وتوارث الناس منه وعمت النعمة بها كل المحاربين فلذلك قال (فهل أنتم شاكرون) قال علماء المعا

عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة والزهري اذ نفشت فيه غنم القوم قال نفشت غنم
حرث قوم قال الزهري والنفش لا يكون الا ليلا فقضى داود أن يأخذ الغنم ففهمها الله سليمن
فلما أخبر بقضاء داود قال لا ولكن خذوا الغنم ولكم ما خرج من رسلها وأولادها وأصوافها الى الح
حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله اذ نفشت فيه غنم القو
قال في حرث قوم قال معمر قال الزهري النفش لا يكون الا بالليل والهمل بالنهار قال قتادة فقضى
يأخذوا الغنم ففهمها الله سليمن ثم ذكر باقي الحديث نحو حديث ابن عبد الأعلى **حدثني** يون
قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وداود وسليمن اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه
القوم الآيتين قال انفلتت غنم رجل على حرث رجل فأكلته فجاء الى داود فقضى فيها بالغنم لصاح
الحرث بما أكلت وكأنه رأى أنه وجه ذلك فمروا بسليمن فقال ما قضى بينكم نبي الله فأخبروه
ألا أقضي بينكما عسى أن ترضيا به فقالا نعم فقال أما أنت يا صاحب الحرث فخذ غنم هذا الرجل فذ
فيها كما كان صاحبها أصب من لبنها وعارضتها وكذا وكذا ما كان يصيب واحرث أنت يا صاح
الغنم حرث هذا الرجل حتى اذا كان حرثه مثله ليلة نفشت فيه غنمك فأعطه حرثه وخذ غنم
فذلك قول الله تبارك وتعالى وداود وسليمن اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وفر أ
بلغ قوله وكلا آتينا حكما وعلما **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن
جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس في قوله اذ نفشت فيه غنم القوم قال رعت **حدثنا** ا
حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال النفش الرعية تحت الليل * قال ثنا سلمة عن ابن اسح
عن الزهري عن حرام بن محيصة بن مسعود قال دخلت ناقة للبراء بن عازب حائطا لبعض الانص
فأفسدته فرفع ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اذ نفشت فيه غنم القوم فقضى على اه
بما أفسدت الناقة وقال على أصحاب الماشية حفظ الماشية بالليل وعلى أصحاب الحوائط حف
حيطانهم بالنهار قال الزهري وكان قضاء داود وسليمن في ذلك أن رجلا دخلت ماشيته زرع ر
فأفسدته ولا يكون النفوش الا بالليل فارتفعا الى داود فقضى بغنم صاحب الغنم لصاحب الزرع
فانصرفا فمرا بسليمن فقال بما قضى بينكما نبي الله فقالا قضى بالغنم لصاحب الزرع فقال لع
الحكم لعلى غير هذا انصرفا معي فأتى أباه داود فقال يا نبي الله قضيت على هذا بغنمه لصاحب الزرع
قال نعم قال يا نبي الله ان الحكم لعلى غير هذا قال وكيف يا بني قال تدفع الغنم الى صاحب الزرع
فيصيب من ألبانها وسمونها وأصوافها وتدفع الزرع الى صاحب الغنم يقوم عليه فاذا عاد الزرع الى
حاله التي أصابته الغنم عليها ردت الغنم على صاحب الغنم ورد الزرع الى صاحب الزرع فقال د
لا يقطع الله فلك فقضى بما قضى سليمن قال الزهري فذلك قوله وداود وسليمن اذ يحكمان في الحر
الى قوله حكما وعلما **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة وعلي بن مجاهد عن محمد بن اسح

هذا التركيب أدخل فى الانباء عن طلب الشكر من قولنا فهل أنتم تشكرون اذ المختار فيه أن يقدر مفسر محذوف أى هل تشكرون تشكرون ومن قولنا أفأنتم شاكرون لانه وان كان ينبئ عن عدم التجدد لكان الجملة الاسمية الا أنه دون المذكور فى القرآن فان هل أدعى للفعل من الهمزة فترك الفعل معه يكون أدخل فى الانباء عن استدعاء المقام عدم التجدد لان تخلف المعلول عن العلة القوية يدل على وجود مانع أقوى منه اذا تخلف عن العلة الضعيفة ثم حكى ما أنعم به على سليمن فقال (ولسليمن) أى (٤١) وسخرنا له (الريح) حال كونها عاصفة ولا ينافى هذا

قال فحدثنى من سمع الحسن يقول كان الحكم بما قضى به سليمن ولم يعنف الله داود فى حكمه وقوله وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير يقول تعالى ذكره وسخرنا مع داود الجبال والطير يسبحن معه اذا سبح وكان قتادة يقول فى معنى قوله يسبحن فى هذا الموضع ما حدثنا به بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير أى يصلين مع داود اذا صلى وقوله وكنا فاعلين يقول وكنا قد قضينا أنا فاعلو ذلك ومسخرو الجبال والطير فى أم الكتاب مع داود عليه الصلاة والسلام ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون﴾ يقول تعالى ذكره وعلمنا داود صنعة لبوس لكم واللبوس عند العرب السلاح كله درعا كان أو جوشنا أو سيفا أو رمحا يدل على ذلك قول الهذلى

ومعى لبوس للبيس كأنه * روق بجبهة ذى نعاج مجفل

وانما يصف بذلك رمحا وأما فى هذا الموضع فان أهل التأويل قالوا عنى الدروع ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وعلمناه صنعة لبوس لكم الآية قال كانت قبل داود صفائح قال وكان أول من صنع هذا الحلق وسرد داود حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة وعلمناه صنعة لبوس لكم قال كانت صفائح فأول من سردها وحلقها داود عليه السلام * واختلفت القراء فى قراءة قوله لتحصنكم فقرأ ذلك أكثر قراء الأمصار لتحصنكم بالياء بمعنى ليحصنكم اللبوس من بأسكم ذكروه لتذكير اللبوس وقرأ ذلك أبو جعفر يزيد بن القعقاع لتحصنكم بالتاء بمعنى لتحصنكم الصنعة فأنث لتأنيث الصنعة وقرأ شيبة بن نصاح وعاصم بن أبى النجود لنحصنكم بالنون بمعنى لنحصنكم نحن من بأسكم * قال أبو جعفر وأولى القراآت فى ذلك بالصواب عندى قراءة من قرأه بالياء لانها القراءة التى عليها الحجة من قراء الامصار وان كانت القراآت الثلاث التى ذكرناها متقاربات المعانى وذلك أن الصنعة هى اللبوس واللبوس هى الصنعة والله هو المحصن به من البأس وهو المحصن بتصيير الله اياه كذلك ومعنى قوله ليحصنكم ليحرزكم وهو من قوله قد أحصن فلان جاريته وقد بينا معنى ذلك بشواهده فيما مضى قبل والبأس القتال وعلمنا داود صنعة سلاح لكم ليحرزكم اذا لبستموه ولقيتم فيه أعداءكم من القتل وقوله فهل أنتم شاكرون يقول فهل أنتم أيها الناس شاكرو الله على نعمته عليكم بما علمكم من صنعة اللبوس المحصن فى الحرب وغير ذلك من نعمه عليكم يقول فاشكرونى على ذلك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولسليمن الريح عاصفة تجرى بأمره الى الارض التى باركنا فيها وكنا بكل شئ عالمين﴾ يقول تعالى ذكره وسخرنا لسليمن بن داود الريح عاصفة وعصوفها شدة هبوبها تجرى بأمره الى الارض التى باركنا فيها يقول تجرى الريح بأمر سليمن الى الارض التى باركنا فيها يعنى الى الشام وذلك أنها كانت تجرى بسليمن وأصحابه الى حيث شاء سليمن ثم تعود به الى منزله بالشام فلذلك

قوله فى ص فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب لان المراد أنها مع كونها فى نفسها رخية طيبة كالنسيم كانت فى عملها عاصفة تحمل كرسيه من اصطخر الى الشام أو أنها كانت فى وقت رخاء وفى وقت عاصفة الهبوب بها على حسب ارادته وأمره وفى قوله (وكنا بكل شئ عالمين) اشارة أنه فعل كل ما فعل بالانبياء المذكورين عن حكمة بالغة وتدبير محكم واحاطة بأحوالهم وعلم باستئهالهم قوله (ومن الشياطين) أى سخرنا من الشياطين (من يغوصون له) ويجوز أن يكون الكلام خبرا ومبتدأ ومن موصولة أو موصوفة كانوا يغوصون لأجله فى البحار فيستخرجون الجواهر (ويعملون عملا دون ذلك) أى متجاوزا ما ذكر من بناء المدائن والقصور وسائر الصنائع العجيبة قالت العلماء الظاهر أن التسخير لكفارهم دون المؤمنين منهم لاطلاق الشياطين ولقوله وكنا لهم حافظين أى من أن يزيغوا عن أمره أو يبدلوا أو يوجد منهم فساد فى الجملة اذ كان من دأبهم أن يفسدوا بالليل ما عملوا بالنهار والحفظ اما بسبب الملائكة أو مؤمنى الجن الموكلين بهم أو بأن حبب اليهم طاعته وخوفهم مخالفته قال ابن عباس فى تفسيره

يريد أن سلطانه مقيم عليهم يفعل بهم ما يشاء قال الجبائى كيف تتهيأ منهم هذه الاعمال وأجسامهم رقيقة وانما تمكنهم الوسوسة فقط فلعل الله تعالى كثف أجسامهم خاصة وقواهم على تلك الاعمال الشاقة وزاد فى عظمهم معجزة لسليمن فلما مات سليمن ردهم الى الخلقة الاولى اذ لو أبقاهم على الخلقة الثانية لكان شبهة على الناس فلعل بعض الناس يدعى النبوة ويجعله دلالة عليها واعترض عليه الامام فخر الدين الرازى رضى الله عنه بأنك لم قلت ان الجن أجسام فلعلهم من الموجودات

التى ليست متحيزة ولا حالة فى المتحيز ولا يلزم منه الاشتراك مع البارى فان الاشتراك فى اللوازم الثبوتية لا يدل على الاشتراك فى الملزومات فضلا عن اللوازم السلبية سلمنا أن الجن أجسام لكن لم قلت ان البنية شرط للقدرة وليس فى يدكم الا الاستقراء الضعيف سلمنا أنه لا بد من تكثير أجسامهم فمن أين يلزم ردهم الى الخلقة الاولى فان قال لئلا يفضى الى التلبيس قلنا اذا ثبت أن ذلك كان معجزة لنبى قبله لم يمكن المتنبى به الاستدلال ومن عجيب قدرة الله سبحانه أن أصلب (٤٢) الاجسام فى هذا العالم الحجارة والحديد وقد سخرهما الله تعالى لداود فألانهما

الحجر ولين الحديد وفى ذلك دلالة باهرة على أنه تعالى قادر على احياء العظام الرميمة ومن الغرائب أن الشياطين مخلوقة من النار وكان يأمرهم بالغوص فى الماء وفيه اظهار الضد بالضد فتبارك الله رب العالمين * ومن عجائب القصص والاخبار حكاية أيوب عليه السلام وصبره على بلائه حتى صار مثلا عن وهب بن منبه أنه كان من الروم من ولد عيص بن اسحق وكانت أمه من ولد لوط اصطفاه الله وجعله نبيا ومع ذلك بسط عليه الدنيا وكثر أهله وماله وكان له سبعة بنين وسبع بنات وله أصناف المواشى وخمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ونخيل وكان ابليس لا يحجب عن السموات حين أخرجه الله من الجنة حتى رفع عيسى عليه السلام فحجب عن أربع حتى اذا ولد نبينا صلى الله عليه وسلم حجب عن جميع السموات الا من استرق السمع قال فسمع ابليس تحاور الملائكة فى شأن أيوب فأدركه الحسد فقال يارب انك أنعمت على عبدك أيوب فشكرك وعافيته فحمدك ثم لم تجربه بشدة ولا بلاء وأنا زعيم ان ضربته بالبلاء ليكفرن بك فقال الله تعالى انطلق فقد سلطتك على ماله فجمع ابليس عفاريت الجن وقال لهم ماذا عندكم من القوة فانى سلطت على مال أيوب فقال عفريت أعطيت من القوة ما اذا شئت تحولت اعصارا من النار فأحرقت كان

كل شئ فقال ابليس فأت الابل ورعاتها فذهب ولم يشعر الناس حتى ظهر من تحت الارض اعصار لا يدنو منها شئ الا احترق فلم يزل يحرقها ورعاتها حتى أتى على آخرها فذهب ابليس على شكل أولئك الرعاء الى أيوب فوجده قائما يصلى فلما فرغ من الصلاة قال يا أيوب هل تدرى ما الذى صنع ربك وأخبره بحال الابل ورعاتها فقال أيوب انها ماله اذا شاء نزعه فقال ابليس ان الناس منهم من يقول ما كان أيوب يعبد

قيل الى الارض التى باركنا فيها كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه قال كان سليمان اذا خرج الى مجلسه عكفت عليه الطير وقام له الجن والانس حتى يجلس الى سريره وكان امر أغزاه فلما يقعد عن الغزو ولا يسمع فى ناحية من الارض بملك الا أتاه حتى يذله وكان فيما يزعمون اذا أراد الغزو أمر بعسكره فضرب له بخشب ثم نصبه على الخشب ثم حمل عليه الناس والدواب وآلة الحرب كلها حتى اذا حمل معه ما يريد أمر العاصف من الريح فدخلت تحت ذلك الخشب فاحتملته حتى اذا استقلت أمر الرخاء فغدته شهرا فى روحته وشهرا فى غدوته الى حيث أراد يقول الله عز وجل فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب قال ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر قال فذكر لى أن منزلا بناحية دجلة مكتوب فيه كتب كتبه بعض صحابة سليمان اما من الجن واما من الانس نحن نزلناه وما بنيناه وبنيا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن راحلون منه ان شاء الله قائلون الشام حدثنى بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولسليمان الريح عاصفة الى قوله وكنا لهم حافظين قال ورث الله سليمان داود فورثه نبوته وملكه وزاده على ذلك أن سخر له الريح والشياطين حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولسليمان الريح عاصفة تجرى بأمره قال عاصفة شديدة تجرى بأمره الى الارض التى باركنا فيها قال الشام واختلفت القراء فى قراءة قوله ولسليمان الريح فقرأته عامة قراء الامصار بالنصب على المعنى الذى ذكرناه وقرأ ذلك عبد الرحمن الاعرج الريح رفعا باللام فى سليمان على ابتداء الخبر عن أن لسليمان الريح * قال أبو جعفر والقراءة التى لا أستجيز القراءة بغيرها فى ذلك ما عليه قراء الامصار لاجماع الحجة من القراء عليه وقوله وكنا بكل شئ عالمين يقول وكنا عالمين بأن فعلنا ما فعلنا لسليمان من تسخير ناله واعطائنا ما أعطيناه من الملك وصلاح الخلق فعلى علم منا بموضع ما فعلنا به من ذلك فعلنا ونحن عالمون بكل شئ لا يخفى علينا منه شئ * القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وكنا لهم حافظين﴾ يقول تعالى ذكره وسخرنا أيضا لسليمان من الشياطين من يغوصون له فى البحر ويعملون عملا دون ذلك من البنيان والتماثيل والمحاريب وكنا لهم حافظين يقول وكنا لأعمالهم ولاعدادهم حافظين لا يؤدوا حفظ ذلك كله * القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وأيوب اذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذكر أيوب يا محمد اذ نادى ربه وقد مسه الضر والبلاء رب انى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجبنا له يقول تعالى ذكره فاستجبنا لأيوب دعاءه اذ نادانا فكشفنا ما كان به من ضر وبلاء وجهد وكان الضر الذى أصابه والبلاء الذى نزل به امتحانا من الله له واختبارا وكان سبب ذلك كما حدثنى محمد بن سهل بن عسكر البخارى قال ثنا اسمعيل بن عبد الكريم بن (١) هشام قال ثنى عبد الصمد بن معقل قال سمعت وهب بن منبه يقول

(١) لعله ابن معقل أبو هشام كما يعلم من الخلاصة فتدبر كتبه مصححه

شيأ وما كان الا فى غرور ومنهم من يقول لو كان الهه يقدر على شئ لمنع من وليه ومنهم من يقول بل هو الذى فعل ما فعل ليشمت به أعداءه ويفجع به أصدقاءه فقال أيوب الحمد لله حين أعطانى وحين نزع منى خرجت من بطن أمى عريانا وأحشر الى الله عريانا ولو علم الله فيك أيها العبد خيرا لنقل روحك مع تلك الارواح وصرت شهيدا وأوجر فيك فرجع ابليس الى أصحابه خاسئا فقال عفريت آخر عندى من القوة ما اذا شئت صحت صوتا لا يسمعه ذو روح الا خرجت (٤٣) روحه فقال ابليس فأت الغنم ورعاءها فانطلق

كان بدء أمر أيوب الصديق صلوات الله عليه أنه كان صابرا نعم العبد قال وهب ان لجبريل بين يدى الله مقاما ليس لأحد من الملائكة فى القربة من الله والفضيلة عنده وان جبريل هو الذى يتلقى الكلام فاذا ذكر الله عبدا بخير تلقاه جبرائيل منه ثم تلقاه ميكائيل وحوله الملائكة المقربون حافين من حول العرش وشاع ذلك فى الملائكة المقربين صارت الصلاة على ذلك العبد من أهل السموات فاذا صلت عليه ملائكة السموات هبطت عليه بالصلاة الى ملائكة الارض وكان ابليس لا يحجب بشئ من السموات وكان يقف فيهن حيث شاء ما أراد ومن هنالك وصل الى آدم حين أخرجه من الجنة فلم يزل على ذلك يصعد فى السموات حتى رفع الله عيسى بن مريم فحجب من أربع وكان يصعد فى ثلاث فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حجب من الثلاث الباقية فهو محجوب هو وجميع جنوده من جميع السموات الى يوم القيامة الا من استرق السمع فأتبعه شهاب ثاقب ولذلك أنكرت الجن ما كانت تعرف حين قالت وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا الى قوله شهابا رصدا قال وهب فلم يرع ابليس الا تجاوب ملائكتها بالصلاة على أيوب وذلك حين ذكره الله وأثنى عليه فلما سمع ابليس صلاة الملائكة أدركه البغى والحسد وصعد سريعا حتى وقف من الله مكانا كان يقفه فقال يا الهى نظرت فى أمر عبدك أيوب فوجدته عبدا أنعمت عليه فشكرك وعافيته فحمدك ثم لم تجربه بشدة ولم تجربه ببلاء وأنا لك زعيم لئن ضربته بالبلاء ليكفرن بك ولينسينك وليعبدن غيرك قال الله تبارك وتعالى له انطلق فقد سلطتك على ماله فانه الأمر الذى تزعم أنه من أجله يشكرنى ليس لك سلطان على جسده ولا على عقله فانفض عدو الله حتى وقع الأرض ثم جمع عفاريت الشياطين وعظماءهم وكان لأيوب البثنية من الشام كلها بما فيها من شرقها وغربها وكان له بها ألف شاة برعاتها وخمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ومال وحمل آلة كل فدان أتان لكل أتان ولد من اثنين وثلاثة وأربعة وخمسة وفوق ذلك فلما جمع ابليس الشياطين قال لهم ماذا عندكم من القوة والمعرفة فانى قد سلطت على مال أيوب فهى المصيبة الفادحة والفتنة التى لا يصبر عليها الرجال قال عفريت من الشياطين أعطيت من القوة ما اذا شئت تحولت اعصارا من نار فأحرقت كل شئ آتى عليه فقال له ابليس فأت الابل ورعاتها فانطلق يؤم الابل وذلك حين وضعت رؤسها وثبتت فى مراعيها فلم تشعر الناس حتى ثار من تحت الارض اعصار من نار تنفخ منها أرواح السموم لا يدنو منها أحد الا احترق فلم يزل يحرقها ورعاتها حتى أتى على آخرها فلما فرغ منها تمثل ابليس على قعود منها بازاعيها ثم انطلق يؤم أيوب حتى وجده قائما يصلى فقال يا أيوب قال لبيك قال هل تدرى ما الذى صنع بك الذى اخترت وعبدت ووحدت بابلك ورعاتها قال أيوب انها ماله أعارنيه وهو أولى به اذا شاء نزعه وقد عاما وطنت نفسى ومالى على الفناء قال ابليس وان ربك أرسل عليها نارا من السماء فاحترقت ورعاتها حتى أتى على آخر شئ منها ومن رعاتها فتركت الناس مبهوتين وهم

فصاح بها فماتت ومات رعاؤها فخرج ابليس متمثلا بقهرمان الرعاة الى أيوب فقال له القول الاول وردد عليه أيوب الرد الاول فرجع ابليس صاغرا فقال له عفريت آخر عندى من القوة اذا شئت تحولت رياحا عاصفة أقلع كل شئ أتيت عليه قال فاذهب الى الحرث والثيران فأتاهم فأهلكهم وأخبر ابليس به أيوب فرد عليه مثل الرد الاول فعمل ابليس بصيب أمواله شيأ فشيأ حتى أتى على جميعها فلما رأى ابليس صبره على ذلك صعد الى السماء وقال يا الهى هل أنت مسلطى على ولده فانها الفتنة الكاملة فقال الله انطلق فقد سلطتك فأتى أولاد أيوب فى قصرهم فقلب القصر عليهم ثم جاء الى أيوب متمثلا بالمعلم وهو جريح مشدوخ الرأس يسيل دمه ودماغه فقال لو رأيت بنيك كيف انقلبوا منكوسين على رؤسهم تسيل جميع أدمغتهم من أنوفهم لتقطع قلبك فلم يزل يقول هذا ويرققه حتى رق أيوب وبكى وقبض قبضة من التراب فحثاها على رأسه فاغتنم ذلك ابليس ثم لم يلبث أيوب حتى استغفر واسترجع فصعد ابليس ووقف موقفه وقال الهى انما هون أيوب خطب المال والولد لعلمه أنك تعيدله المال والولد فهل أنت مسلطى على جسده وانى لأزعم لو ابتليته فى جسده ليكفرن بك فقال تعالى انطلق فقد سلطتك على جسده وليس لك سلطان على عقله وقلبه ولسانه فأتاه فنفخ فى منخره حين هو ساجد فاشتعل منه جسده وخرج من فرقه الى قدمه ثآليل وقد وقعت فيه حكة لا علكها فكان يحك بأظفاره حتى كشطت أظفاره ثم حكها بالمسوح الخشنة ثم حكها بالفخار والحجارة ولم يزل يحكها حتى تقطع لحمه وتغير وأنتن فأخرجه أهل القرية وجعلوه على كناسة وجعلوا له عريشا ورفضه الناس كلهم غير امرأته رحمة بنت افرايم بن يوسف عليه السلام فكانت تصلح أموره ثم ان وهبا طول فى

الحكاية الى أن قال ان أيوب عليه السلام أقبل على الله تعالى مستغيثا متضرعا اليه قائلا يارب لاى شئ خلقتنى بالينى كنت حيضة أقذفتنى أمى بالينى كنت عرفت الذى أذنبته والعمل الذى عملت حتى صرفت وجهك الكريم عنى ألم أكن للغريب دارا وللمسكين قرارا وللتيم ولى وللارملة قيما الهى أنا عبد ذليل فان أحسنت فالمن لك وان أسأت فبيدك عقوبتى جعلتنى للبلاء غرضا وسلطت على مالوسلطته على جبل لضعف عن حمله الهى تقطعت أصابعى وسقطت (٤٤) لهواتى وتناثر شعرى وذهب المال وصرت أسأل اللقمة فيطعمنى من يمن بها على ويعيرنى بفقرى وهلاك أولادى

قال الامام أبو القاسم الانصارى فى جملة هذا الكلام ليتك لو كرهتنى لم تخلقنى ثم قال ولو كان ذلك صحيحا لاغتنمه ابليس فان قصده أن يحمله على الشكوى وأن يخرجه من زمرة الصابرين قلت ان غرض ابليس لا يحصل بمجرد الشكوى وانما كان غرضه أن يرتد أيوب عليه السلام ولهذا قال سفيان بن عيينة من شكا الى الله تعالى فانه لا يعد ذلك جزعا اذا كان فى شكواه راضيا بقضاء الله تعالى اذ ليس من شرط الصبر استعلاء البلاء ألم تسمع قول يعقوب عليه السلام انما أشكو بثى وحزنى الى الله * ومما حكاه الله سبحانه من شكوى أيوب قوله (انى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين) الضر بالفتح الضرر فى كل شئ وبالضم الضرر فى النفس من مرض وهزال قال جار الله ألطف فى السؤال حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة عليه وذكر به بما يجب أن يصدر دعاء الرحمة عنه ولم يصرح بالمطلوب وحسن الطلب باب من أبواب الادب يحكى أن عجوزا تعرضت لسليمن بن عبد الملك فقالت يا أمير المؤمنين مشت حرذان بيتى على العصا فقال لها ألطفت فى السؤال لاجرم لأردنها تنب وثبة الفهود ولأملأ بيتها حبا وفى قوله وأنت أرحم الراحمين رمز الى أنه جواد مطلق لا يرحم لمنفعة تعود اليه ولا لمضرة يدفعها عنه ولا يطلب شيأ

وقوف عليها يتعجبون منهم من يقول ما كان أيوب يعبد شيأ وما كان الا فى غرور ومنهم من يقول لو كان الله أيوب يقدر على أن يصنع من ذلك شيأ لمنع وليه ومنهم من يقول بل هو فعل الذى فعل ليشمت به عدوه وليفجع به صديقه قال أيوب الحمد لله حين أعطانى وحين نزع منى عريانا خرجت من بطن أمى وعريانا أعود فى التراب وعريانا أحشر الى الله ليس ينبغى لك أن تفرح حين أعارك الله وتجزع حين قبض عاريته الله أولى بك وبما أعطاك ولو علم الله فيك أيها العبد خير النقل ر وحك مع ملك الارواح فأجرنى فيك وصرت شهيدا ولكنه علم منك شرا فأخرك من أجله فعراك الله من المصيبة وخلصك من البلاء كما يخلص الزوان من القمح الخلاص ثم رجع ابليس الى أصحابه خاسئا ذليلا فقال لهم ماذا عندكم من القوة فانى لم أكلم قلبه قال عفريت من عظمائهم عندى من القوة ما اذا شئت صحت صوتا لا يسمعه ذو روح الا خرجت مهجة نفسه قال له ابليس فأت الغنم ورعاتها فانطلق يؤم الغنم ورعاتها حتى اذا وسطها صاح صوتا جثمت أمواتا من عند آخرها ورعاؤها ثم خرج ابليس متمثلا بقهرمان الرعاء حتى اذا جاء أيوب وجده وهو قائم يصلى فقال له القول الأول وردد عليه أيوب الرد الأول ثم ان ابليس رجع الى أصحابه فقال لهم ماذا عندكم من القوة فانى لم أكلم قلب أيوب فقال عفريت من عظمائهم عندى من القوة اذا شئت تحولت ريحا عاصفا تنسف كل شئ تأتى عليه حتى لا أبقى شيأ قال له ابليس فأت الفدادين والحرث فانطلق يؤمهم وذلك حين قربوا الفدادين وأنشؤا فى الحرث والانن وأولادهار توع فلم يشعروا حتى هبت ريح عاصف تنسف كل شئ من ذلك حتى كأنه لم يكن ثم خرج ابليس متمثلا بقهرمان الحرث حتى جاء أيوب وهو قائم يصلى فقال له مثل قوله الاول وردد عليه أيوب مثل رده الاول فلما رأى ابليس أنه قد أفنى ماله ولم ينجح منه صعد سريعا حتى وقف من الله الموقف الذى كان يقفه فقال يا الهى ان أيوب يرى أنك ما متعته بنفسه وولده فأنت معطيه المال فهل أنت مسلطى على ولده فانها الفتنة المضلة والمصيبة التى لا تقوم لها قلوب الرجال ولا يقوى عليها صبرهم فقال الله تعالى له انطلق فقد سلطتك على ولده ولا سلطان لك على قلبه ولا جسده ولا على عقله فانقض عدو الله جوادا حتى جاء بنى أيوب وهم فى قصرهم فلم يزل يزلزل بهم حتى تداعى من قواعده ثم جعل يناطح الجدر بعضها ببعض ويرميهم بالخشب والجندل حتى اذا مثل بهم كل مثلة رفع بهم القصر حتى اذا أقله بهم فصار وافيه منكسين انطلق الى أيوب متمثلا بالمعلم الذى كان يعلمهم الحكمة وهو جريح مشدوخ الوجه يسيل دمه ودماغه متغير الا يكاد يعرف من شدة التغير والمثلة التى جاء متمثلا فيها فلما نظر اليه أيوب هاله وحزن ودمعت عيناه وقال له يا أيوب لو رأيت كيف أفلت من حيث أفلت والذى رمانا به من فوقنا ومن تحتنا ولو رأيت بنيك كيف عذبوا وكيف مثل بهم وكيف قلبوا فكانوا منكسين على رؤسهم تسيل دماؤهم ودماغهم من أنوفهم وأجوافهم وتقطر من أشفارهم ولو رأيت كيف عفنت بطونهم فتناثرت أمعاؤهم ولو رأيت كيف قذفوا بالخشب

ولا يجلب مدحا وكل رحيم سواه فانما رحمته لغرض من الاغراض أو لرقة طبع ونحو ذلك على أن تلك الرحمة أيضا تتوقف على داعية يخلقها الله فيه والآفات والآلام التى تراها فى هذا العالم كلها مستندة الى صفة قهره التى لا بد لكل ملك منه أو مستتبعة لمصالح وغايات لا يعلمها الا هو وانها ضرورية فى الوجود لاشتمالها على خيرات أكثر من الشرور واختلف العلماء فى السبب الذى لاجله دعا الله أيوب فعن أنس

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أيوب عليه السلام بقى فى البلاء ثمانى عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد الا رجلين من اخوانه كانا يغدوان اليه ويروحان فقد خلا عليه ذات يوم فوجد ا ريحا ففالا لو كان لأيوب عند الله خير ما بلغ الى هذه الحالة قال فما شق على أيوب شئ مما ابتلى به مثل ما سمع منهما فقال اللهم ان كنت تعلم انى لم أبت شبعان وأنا أعلم بمكان جائع فصدق وهما يسمعان ثم خر أيوب ساجدا وقال اللهم انى لا أرفع رأسى حتى تكشف ما بى فكشف الله ما به * وقال الحسن (٤٥) مكث أيوب بعدما ألقى على الكناسة سبع سنين وأشهرا ولم يبق له مال ولا ولد ولا صديق غير امرأته صبرت معه وكانت تأتيه بالطعام وكان أيوب مواظبا على حمد الله والثناء عليه والصبر على ما ابتلاه فصرخ ابليس صرخة جزعا من صبر أيوب فاجتمع جنوده من أقطار الارض وقالوا له ما خبرك قال أعيانى هذا العبد الذى سألت الله أن يسلطنى عليه وعلى ماله وولده فانه لا يزيد بالبلاء الا صبرا وحمدا لله تعالى فقالوا له أين مكرك أين عملك الذى أهلكت به من مضى من أين أتيت آدم حين أخرجته من الجنة قال من قبل امرأته قالوا فشأنك بأيوب من قبل امرأته فانه لا يستطيع أن يعصيها لانه لا يقربه أحد غيرها قال أصبتم فانطلق حتى اذا أتى امرأته فتمثل لها فى صورة رجل فقال أين بعلك يا أمة الله قالت هو هذا يحك قروحه وتتردد الدواب فى جسده فظن ابليس أنها جزعت فطمع فيها ووسوس اليها وذكرها ما كان بها من النعم والمال وذكرها جمال أيوب وشبابه قال الحسن فصرخت فلما صرخت علم أن قد جزعت فأتاها بسخلة وقال لتذبح هذه باسم أيوب ويبرأ قال فجاءت تصرخ يا أيوب حتى متى يعذبك ربك أين المال وأين الماشية أين الولد أين الصديق أين اللون أين الحسن أين جسمك الذى قد بلى وقد صار مثل الرماد وتتردد فيه الدواب اذبح هذه السخلة واستر ح فقال أيوب أتاك عدو الله ونفخ فيك ويلك من أعطانا الذى تذكرين من المال والولد والصحة قالت الله قال كم متعنا به قالت ثمانين سنة قال فنذكم ابتلانا الله بهذا البلاء قالت منذ سبع سنين وأشهر قال ويلك ما أنصفت ربك ألا صبرت فى البلاء ثمانين سنة والله لئن شفانى الله لأجلدنك مائة جلدة أمرتنى أن تذبح لغير الله وحرام على أن أذوق بعد هذا شيأ من طعامك وشرابك الذى تأتينى به فطردها فلما نظر أيوب فى شأنه وليس عنده لا طعام ولا شراب ولا صديق وقد ذهب امرأته خر ساجدا

بالخشب والجندل يشدخ دماغهم وكيف دق الخشب عظامهم وخرق جلودهم وقطع عصبهم ولو رأيت العصب عريانا ولو رأيت العظام متهشمة فى الأجواف ولو رأيت الوجوه مشدوخة ولو رأيت الجدر تناطح عليهم ولو رأيت ما رأيت قطع قلبك فلم يزل يقول هذا ونحوه ولم يزل يرققه حتى رق أيوب فبكى وقبض قبضة من التراب فوضعها على رأسه فاغتنم ابليس عند ذلك فصعد سريعا بالذى كان من جزع أيوب مسرورا به ثم لم يلبث أيوب أن فاء وأبصر فاستغفر وصعد قرناؤه من الملائكة بتوبته منه فبدروا ابليس الى الله فوجدوه قد علم بالذى رفع اليه من توبة أيوب فوقف ابليس خازيا ذليلا فقال يا الهى انما هون على أيوب خطر المال والولد أنه يرى أنك ما متعته بنفسه فأنت تعيد له المال والولد فهل أنت مسلطى على جسده فأنا لك زعيم لئن ابتليته فى جسده لينسينك وليكفرن بك وليجحدنك نعمتك قال الله انطلق فقد سلطتك على جسده ولكن ليس لك سلطان على لسانه ولا على قلبه ولا على عقله فانقض عدو الله جوادا فوجد أيوب ساجدا فعجل قبل أن يرفع رأسه فأتاه من قبل الارض فى موضع وجهه فنفخ فى منخره نفخة اشتعل منها جسده فتر هل ونبتت ثآليل مثل أليات الغنم ووقعت فيه حكة لا يملكها فحك بأظفاره حتى سقطت كلها ثم حك بالعظام وحك بالحجارة الخشنة وبقطع المسوح الخشنة فلم يزل يحكه حتى نفد لحمه وتقطع ولما نغل جلد أيوب وتغير وأنتن أخرجه أهل القرية فجعلوه على تل وجعلوا له عريشا ورفضه خلق الله غير امرأته فكانت تختلف اليه بما يصلحه ويلزمه وكان ثلاثة من أصحابه اتبعوه على دينه فلما رأوا ما ابتلاه الله به رفضوه من غير أن يتركوا دينه واتهموه يقال لأحدهم بلدد واليفر وصافر قال فانطلق اليه الثلاثة وهو فى بلائه فبكتوه فلما سمع منهم أقبل على ربه فقال أيوب صلى الله عليه وسلم رب لأى شئ خلقتنى لو كنت اذ كرهتنى فى الخير تركتنى فلم تخلقنى يا ليتنى كنت حيضة ألقتنى أمى ويا ليتنى مت فى بطنها فلم أعرف شيأ ولم تعرفنى ما الذنب الذى أذنبت لم يذنبه أحد غيرى وما العمل الذى عملت فصرفت وجهك الكريم عنى لو كنت أمتنى فألحقتنى بآبائى فالموت كان أجمل بى فأسوة لى بالسلاطين الذين صفت من دونهم الجيوش يضربون عنهم بالسيوف بخلابهم عن الموت وحرصا على بقائهم أصبحوا فى القبور جاثمين حتى ظنوا أنهم سيخلدون وأسوة لى بالملوك الذين كنزوا الكنوز وطمروا المطامير وجمعوا الجموع وظنوا أنهم سيخلدون وأسوة لى بالجبارين الذين بنوا المدائن والحصون وعاشوا فيها المئين من السنين ثم أصبحت خرابا مأوى للوحوش ومثنى للشياطين قال اليفر اليمانى قد أعيانا أمرك يا أيوب ان كلمناك فما نرى للحديث منك موضعا وان نسكت عنك مع الذى نرى فيك من البلاء فذلك علينا قد كنا نرى من أعمالك أعمالا كنا نرجو لك عليها من الثواب غير ما رأينا فانما يحصد امرؤ ما زرع ويجزى بما عمل أشهد على الله الذى لا يقدر قدر عظمته ولا يحصى عدد نعمه الذى ينزل الماء من السماء فيحيى به الميت ويرفع به الخافض ويقوى به الضعيف الذى تضل حكمة

وقال انى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين فقال ارفع رأسك فقد استجيبت لك اركض برجلك فركض برجله فنبعت عين ماء فاغتسل منه
فلم يبق فى ظاهر بدنه دابة الا سقطت ثم ضرب رجله مرة أخرى فنبعت عين أخرى فشرب منها فلم يبق فى جوفه داء الا خرج وقام صحيحا وعاد
اليه شبابه وجماله حتى صار أحسن مما كان حتى ذكر أن الماء الذى اغتسل منه تطاير على صدره جرادا من ذهب فجعل يضمه بيده فاوحى
يا أيوب ألم أغنك قال بلى ولكنها بركتك فمن يشبع منها قال فخرج حتى جلس على مكان مشرف ثم ان امرأته قالت هباك

طردنى أفأتركه حتى يموت وتأكله السباع لأرجعن اليه فلما رجعت مارأته فى تلك الكناسة ولا تلك الحالة فجعلت تطوف وتبكى فدعاها أيوب وقال ما تريدين يا أمة الله فقالت أردت ذلك المبتلى الذى كان ملقى على الكناسة فقال تعرفينه اذا رأيته قالت وهل يخفى على أحد براه فتبسم قائلا أنا هو فعرفته بضحكه فاعتنقته ثم قال انك أمرتنى أن أذبح لابليس وانى أطعت الله وعصيت الشيطان فعافانى الله ببركة ذلك

* الرواية الثالثة قال الضحاك ومقاتل بقى فى البلاء سبع سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام وسبع ساعات فلما غلب أيوب ابليس ذهب ابليس الى امرأته على هيئة ليست كهيئة بنى آدم فى العظم والجسم والجمال على مركب لبس كمراكب الناس وقال لها أنت صاحبة أيوب قالت نعم قال فهل تعرفينى قالت لا قال أنا اله الارض أنا صنعت بأيوب ما صنعت وذلك أنه عبد الله السماء وتركنى فأغضبنى ولو سجد لى سجدة واحدة رددت عليه وعليك جميع ما لكما من مال وولد فان ذلك عندى قال وهب وسمعت أنه قال لو أن صاحبك أكل طعاما ولم يسم الله تعالى لعوفى مما فيه من البلاء وأيضا قال لها لو شئت فاسجدى لى سجدة واحدة حتى أرد عليك المال والولد وأعافى زوجك فرجعت الى أيوب فأخبرته فقال أتاك عدو الله ليفتنك عن دينك ثم أقسم لئن عافانى الله لأجلدنك مائة جلدة فيحييهم

وقال عند ذلك مسنى الضر يعنى من طمع ابليس فى سجودى وسجود زوجتى له * الرواية الرابعة قال اسمعيل السدى ان ابليس تمثل للغوث
فى صورة بشر وقال لئن تركتم أيوب فى قريتكم أعدى اليكم ما به من العلة فأخرجوه الى باب البلد ثم قال لهم ان امرأته تدخل عليكم وتعمل
وتمس زوجها أما تخافون أن تعدى اليكم علته فحينئذ لم يستعملها أحد فتحيرت وكان لها ثلاث ذوائب فمدت الى احداها وقطعتها وباعتها

الحكماء عند حكمته وعلم العلماء عند علمه حتى تراهم من العى فى ظلمة يموجون أن من رجا معونة
الله هو القوى وأن من توكل عليه هو المكفى هو الذى يكسر ويجبر ويجرح ويداوى قال أيوب
لذلك سكت فعضضت على لسانى ووضعت لسوء الخدمة رأسى لانى علمت أن عقوبته غير تؤخر
وجهى وأن قوته نزعت قوة جسدى فأنا عبده ما قضى على أصابنى ولا قوة لى الا ما حمل على
كانت عظامى من حديد وجسدى من نحاس وقلبى من حجارة لم أطق هذا الأمر ولكن هو
ابتلانى وهو يحمله عنى أتيتمونى غضابا رهبتم قبل أن تسترهبوا وبكيتم من قبل أن تضربوا
كيف بى لو قلت لكم تصدقوا عنى بأموالكم لعل الله أن يخلصنى أو قربوا عنى قربانا لعل الله أن
يتقبله منى ويرضى عنى اذا استيقظت تمنيت النوم رجاء أن أستريح فاذا نمت كادت تجود نفسى
تقطعت أصابعى فانى لأرفع اللقمة من الطعام بيدى جميعا فما تبلغان فى الاعلى الجهد منى
تساقطت لهواتى ونخر رأسى فما بين أذنى من سداد حتى ان احداهما لترى من الاخرى وان دماغى
ليسيل من فى تساقط شعرى عنى فكأنما حرق بالنار وجهى وحدقتاى هما متدليتان على
خدى ورم لسانى حتى يتكفى فما أدخل فيه طعاما الا غصنى ودمت شفتاى حتى غطت العلة
أنفى والسفلى ذقنى تقطعت أمعائى فى بطنى فانى لأدخل الطعام فيخرج كما دخل ما أحسه ولا
ينفعنى ذهبت قوة رجلى فكأنهما قرابتا ماء ملئتا لا أطيق حملهما أحمل لحافى بيدى وأسنانى فما
أطيق حمله حتى يحمله معى غيرى ذهب المال فصرت أسأل بكفى فيطعمنى من كنت أعوله اللقمة
الواحدة فيمنها على ويعيرنى هلك بنى وبناتى ولو بقى منهم أحد أعاننى على بلائى ونفعنى ولبس
العذاب بعذاب الدنيا انه يزول عن أهلها ويموتون عنه ولكن طوبى لمن كانت له راحة فى الدار التى
لا يموت أهلها ولا يتحولون عن منازلهم السعيد من سعد هنالك والشقى من شقى فيها قال بلدد
كيف يقوم لسانك بهذا القول وكيف تفصح به أتقول ان العدل يجور أم تقول ان القوى
يضعف ابدك على خطيئتك وتضرع الى ربك عسى أن يرحمك ويتجاوز عن ذنبك وعسى ان كنت
بريا أن يجعل هذا لك ذخرا فى آخرتك وان كان قلبك قد قساقان قولنا لن ينفعك ولن يأخذ
فيك هيهات أن تنبت الآجام فى المفاوز وهيهات أن ينبت البردى فى الفلاة من توكل على
الضعيف كيف يرجو أن يمنعه ومن جحد الحق كيف يرجو أن يوفى حقه قال أيوب انى لأعلم أن
هذا هو الحق لن يفلح العبد على ربه ولا يطيق أن يخاصمه فأى كلام لى معه وان كان الى القوة
هو الذى سمك السماء فأقامها وحده وهو الذى يكشطها اذا شاء فتنطوى له وهو الذى سطح
الارض فدحاها وحده ونصب فيها الجبال الراسيات ثم هو الذى يزلزلها من أصولها حتى تعود
أسافلها أعالها وان كان فى الكلام فأى كلام لى معه من خلق العرش العظيم بكلمة واحدة
فحشاه السموات والارض وما فيهما من الخلق فوسعه وهو فى سعة واسعة وهو الذى كلم البحار
ففهمت قوله وأمرها فلم تعد أمره وهو الذى يفقه الحيتان والطير وكل دابة وهو الذى يكلم الموتى

فأعطوها بذلك خبزا ولحما فقال أيوب من أين هذا قالت كل فانه حلال فلما كان من الغد لم تجد شيأ فباعت الثانية وكذلك فعلت فى اليوم الثالث وقالت كل فانه حلال فقال لا آكل أو تخبرينى فأخبرته فبلغ ذلك من أيوب ما الله به عليم فقال رب انى مسنى الضر * والرواية الخامسة قيل سقطت دودة من لحمه فرفعها وردها الى موضعها وقال قد جعلنى الله طعمة لك فعضته عضة شديدة فقال مسنى الضر فأوحى الله اليه لولا أنى جعلت فى كل شعرة منك صبرا لما صبرت واعلم أن مس الضر ههنا مطلق الا أنه ورد فى ص مقيدا وذلك قوله أنى مسنى الشيطان بنصب وعذاب فصح أن يكون سند الهذه الروايات الا أن الجبائى طعن فيها بأن الشيطان كيف يقدر على احداث الامراض والاسقام والقادر على ذلك قادر على خلق الاجسام وحينئذ يكون الها وأيضا ان هذه التأثيرات تنافى قوله سبحانه حكاية عنه وما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم والجواب أنه كان باذن من الله كما حكينا فلا محذور ولا تنافى وقال ومن البعيد أنه لم يسأل الله الا عند أمور مخصوصة والجواب أن الامور مرهونة بأوقاتها وقال انتهاء أمراض الانبياء الى حد التنفير من القبول غير جائز والجواب المنع ولا سيما بشرط العافية فى العاقبة قوله سبحانه (فكشفنا ما به من ضر) مجمل يقتضى اعادته الى ما كان فى بدنه وأحواله وقوله (وآتيناه أهله ومثلهم معهم) تفصيل لذلك المجمل وفيه قولان الاول قال ابن عباس وابن مسعود وقتادة ومقاتل والكلبى ان الله تعالى أحياله أهله يعنى أولاده بأعيانهم والثانى قال الليث أرسل مجاهد الى عكرمة وسئل عن الآية فقال أراد أهلك لك فى الآخرة وآتيناك مثلهم فى الدنيا فقد روى أن زوجته ولدت بعد ذلك ستة وعشرين ابنا له ثم بين الحكمة فى ذلك الابتلاء ثم الاستجابة بقوله

فيجيبهم قوله ويكلم الحجارة فتفهمه ويأمرها فتطيعه * قال اليفر عظيم ما تقول يا أيوب ان الجلود لتقشعر من ذكر ما تقول ان ما أصابك ما أصابك بغير ذنب أذنبته مثل هذه الحدة وهذا القول أزلك هذه المنزلة عظمت خطيئتك وكثرت طلابك وغصبت أهل الاموال على أموالهم فلبست وهم عراة وأكلت وهم جياع وحبست عن الضعيف بابك وعن الجائع طعامك وعن المحتاج معروفك وأسررت ذلك وأخفيته فى بيتك وأظهرت أعمالا كنا نرك تعملها فظننت أن الله لا يجزيك الا على ما ظهر منك وظننت أن الله لا يطلع على ما غيبت فى بيتك وكيف لا يطلع على ذلك وهو يعلم ما غيبت الأرضون وما تحت الظلمات والهواء قال أيوب صلى الله عليه وسلم ان تكلمت لم ينفعنى الكلام وان سكت لم تعذرونى قد وقع على كيدى وأحبطت ربى بخطيئتى وأنمت أعدائى وأمكنتهم من عنقى وجعلتنى للبلاء غرضا وجعلتنى للفتنة نصبا لم تنفسنى مع ذلك ولكن أتبعنى ببلاء على اثر بلاء ألم أكن للغريب دارا وللمسكين قرارا وللبتيم وليا وللأرملة قيما ما رأيت غريبا الا كنت له دارا مكان داره وقرارا مكان قراره ولا رأيت مسكينا الا كنت له مالا مكان ماله وأهلا مكان أهله وما رأيت يتيما الا كنت له أبا مكان أبيه وما رأيت أيما الا كنت لها قيما ترضى قيامه وأنا عبد ذليل ان أحسنت لم يكن لى كلام باحسان لان المن لربى وليس لى وان أسأت فبيده عقوبتى وقد وقع على بلاء لو سلطته على جبل ضعف عن حمله فكيف يحمله ضعفى * قال اليفر أتحاج الله يا أيوب فى أمره أم تريد أن تناصفه وأنت خاطئ أو تبرئها وأنت غير برىء خلق السموات والارض بالحق وأحصى ما فيهما من الخلق فكيف لا يعلم ما أسررت وكيف لا يعلم ما عملت فيجزيك به وضع الله ملائكة صفوفا حول عرشه وعلى أرجاء سمواته ثم احتجب بالنور فأبصارهم عنه كليلة وقوتهم عنه ضعيفة وعزيزهم عنه ذليل وأنت تزعم أن لخاصمك وأدلى الى الحكم معك وهل تراه فتناصفه أم هل تسمعه فتحاوره قد عرفنا فيك قضاءه انه من أراد أن يرتفع وضعه ومن اتضع له رفعه * قال أيوب صلى الله عليه وسلم ان أهلكنى فمن ذا الذى يعرض له فى عبده ويسأله عن أمره لا يرد غضبه شئ الا رحمته ولا ينفع عبده الا التضرع له فالرب أقبل على برحمتك وأعلمنى ماذنبى الذى أذنبت أولأى شئ صرفت وجهك الكريم عنى وجعلتنى لك مثل العدو وقد كنت تكرمنى ليس يغيب عنك شئ تحصى قطر الامطار وورق الاشجار وذر التراب أصبح جلدى كالثوب العفن بأيه أمسكت سقط فى يدى فهب لى قربانا من عندك وفرجا من بلائى بالقدرة التى تبعث موتى العباد وتنشر بها ميت البلاد ولا تهلكنى بغير أن تعلمنى ماذنبى ولا تفسد عمل يديك وان كنت غنيا عنى ليس ينبغى فى حكمك ظلم ولا فى نقمتك عجل وانما يحتاج الى الظلم الضعيف وانما يعجل من يخاف الفوت ولا تذكرنى خطئى وذنوبى اذكر كيف خلقتنى من طين فجعلت مضغة ثم خلقت المضغة عظاما وكسوت العظام لحما وجلدا وجعلت العصب والعروق لذلك قواما وشددة وربيتنى صغيرا ورزقتنى كبيرا ثم حفظت عهدك

(رحمة من عندنا) لايوب (وذكرى) لغيره من العابدين للرحمن أو الرحمة والذكرى كلاهما (للعابدين) لكى يتفكروا فيصبروا كما صبر حتى يثابوا فى الدارين كما أثيب وانما خص الرحمة والتذكرة بالعابدين لانهم هم المنتفعون بذلك لا الذين يعبدون الهوى والشيطان قال أهل البرهان انما قال فى هذه السورة رحمة من عندنا وقال فى ص رحمة منا لانه بالغ ههنا فى الدعاء بزيادة قوله وأنت أرحم الراحمين فبالغ فى الاستجابة لان لفظ عند يدل على مزيد التخصيص وأنه سبحانه تولى ذلك من غير واسطة وحين ذكر صبر أيوب وانقطاعه اليه ذكر غيره من

الانبياء المشهورين بالصبر منهم اسمعيل عليه السلام صبر على الانقياد للذبح وعلى الاقامة بوادلا زرع فيه ولا ضرع وصبر على بناء البيت و
قواعده فلاجرم أخرج الله ببركة ذلك من صلبه خاتم النبيين ومنهم ادريس وقد مر ذكره فى سورة مريم قال ابن عمر بعث الى قومه داعيا الى
الله فأبوا فأهلكهم الله ورفع ادريس الى السماء ومنهم ذوالكفل قيل هو زكريا وعلى هذا فقد تقدمت قصته أيضا وفى هذا القول نظر
لقصة زكريا تجيء عن عقيب فيلزم التكرار وقيل هو الياس وكان خمسة من الانبياء ذوى اسمين اسرائيل ويعقوب والياس
وذوالكفل وعيسى والمسيح ويونس وذوالنون ومحمد وأحمد وقيل يوشع ابن نون سمى بذلك لانه ذوالحظ من الله دينا ودنيا أولانه كان له ضعف عمل الانبياء فى زمانه وضعف ثوابهم وقال أبو موسى الاشعرى ومجاهد انه لم يكن نبيا ولكن كان عبدا صالحا وقال الحسن والاكثرون انه من الانبياء وهذا أقرب لانه معطوف عليهم معدود فيما بينهم يروى عن ابن عباس أن اليسع أو نبيا آخر فى بنى اسرائيل قربت وفاته فأراد أن يستخلف رجلا على الناس فقال من يقبل منى خلافتى على أن يصلى بالليل ويصوم بالنهار ويقضى بين الناس فلا يغضب فقام رجل وقال أنا أتكفل لك هذه الثلاثة فدفع اليه ملكه ووفى بما ضمن فحسده ابليس فأتاه وقت القيلولة فقال ان لى غريما قد ظلمنى حتى وقد دعوته اليك فأبى فأرسل معى من يأتيك به فأرسل معه وقعد حتى فاتته القيلولة وعاد الى صلاته وصلى ليله الى الصباح ثم أتاه من الغد وقال مثل ذلك حتى شغله عن القيلولة وهكذا فى اليوم الثالث وقيل انه فى اليوم الثالث قال للبواب قد غلب على النعاس فجاء ابليس فلم يأذن له البواب فدخل من كوة البيت ودق الباب من داخل فاستيقظ الرجل وعاتب البواب فقال أما من قبلى فلم تؤت فقام الى الباب فاذا هو مغلق وابليس على صورة شيخ فى البيت فقال له أتنام والخصوم على الباب فعرفه وقال ابليس

وفعلت أمرا فان أخطأت فبين لى ولا تهلكنى غما وأعلمنى ذنبى فان لم أرضك فأنا أهل أن تعذ
وان كنت من بين خلقك تخصى على عملى وأستغفرك فلا تغفر لى ان أحسنت لم أرفع رأسى و
أسأت لم تبلغنى ريق ولم تقلنى عثرتى وقد ترى ضعفى تحتك وتضرعى لك فلم خلقتنى أولم أخرجنى
من بطن أمى لو كنت كمن لم يكن لكان خيرا لى فليست الدنيا عندى تخطر لغضبك وليس جسد
يقوم بعذابك فارحمنى وأذقنى طعم العافية من قبل أن أصير الى ضيق القبر وظلمة الأرض و
الموت * قال صافر قد تكلمت يا أيوب وما يطيق أحد أن يحبس فك تزعم أنك برىء فهل ينفعك
كنت بريئا وعليك من يحصى عملك وتزعم أنك تعلم أن الله يغفر لك ذنوبك هل تعلم سمك السم
كم بعده أم هل تعلم عمق الهواء كم بعده أم هل تعلم أى الارض أعرضها أم هل عندك لها
مقدار تقدرها به أم هل تعلم أى البحر أعمقه أم هل تعلم بأى شئ تحبسه فان كنت تعلم (٣)
العلم وان كنت لا تعلمه فان الله خلقه وهو يحصيه لو تركت كثرة الحديث وطلبت الحد
رجوت أن يرحمك فبذلك تستخرج رحمته وان كنت تقيم على خطيئتك وترفع الى الله يديك عند
الحاجة وأنت مصر على ذنبك اصرار الماء الجارى فى صبب لا يستطاع احباسه فعند طلب الحاجة
الى الرحمن تسود وجوه الاشرار وتظلم عيونهم وعند ذلك يسر بنجاح حوائجهم الذين تركوا
الشهوات تزينا بذلك عند ربهم وتقدموا فى التضرع ليستحقوا بذلك الرحمة حين يحتاجون اليها
وهم الذين كابدوا الليل واعتزلوا الفرش وانتظروا الاسحار قال أيوب أنتم قوم قد أعجبتكم أنفسكم
وقد كنت فيما خلا والرجال يوقرونى وأنا معروف حتى منتصف من خصمى قاهر لمن هو اليوم
يقهرنى يسألنى عن علم غيب الله لا أعلمه ويسألنى فلعمرى ما نصح الأخ لأخيه حين نزل به البلاء
كذلك ولكنه يبكى معه وان كنت جادا فان عقلى يقصر عن الذى تسألنى عنه فسل طير السماء
هل تخبرك وسل وحوش الارض هل ترجع اليك وسل سباع البرية هل تجيبك وسل حيتان
البحر هل تصف لك كل ما عددت تعلم أن الله صنع هذا بحكمته وهيأه بلطفه أما يعلم ابن آدم
الكلام ما سمع بأذنيه وما طعم بفيه وما شم بأنفه وأن العلم الذى سألت عنه لا يعلمه الا الله الذى
خلقه له الحكمة والجبروت وله العظمة واللطف وله الجلال والقدرة ان أفسد فمن ذا الذى يصلح
وان أعجم فمن ذا الذى يفصح ان نظر الى البحار يبست من خوفه وان أذن لها ابتلعت الارض
فانما يحملها بقدرته هو الذى تهت الملوك عند ملكه وتطيش العلماء عند علمه وتعيا الحكماء عند
حكمته ويخسأ المبطلون عند سلطانه هو الذى يذكر المنسى وينسى المذكور ويجرى الظلمة
والنور هذا علمى وخلقه أعظم من أن يحصيه عقلى وعظمته أعظم من أن يقدرها مثلى * قال
يلدد ان المنافق يجزى بما أسر من نفاقه وتضل عنه العلانية التى خادع بها وتوكل على الجزاء به
الذى عملها ويهلك ذكره من الدنيا وينظم نوره فى الآخرة ويوحش سبيله وتوقعه فى الأحبولة سيره
وينقطع اسمه من الارض فلا ذكر له فيها ولا عمران لا يرثه ولد مصلحون من بعده ولا يبقى له أصل

يعرف

قال نعم أعيتنى فى كل شئ فعلت هذه الافعال لأغضبك فعصمك الله منى فسمى ذا الكفل لانه قد وفى بالكفالة ولا خلاف أن ذا النون هو يونس
لان النون هو السمكة والاسم اذا دار بين أن يكون لقبا محضا وبين أن يكون مقيدا فحمله على المقيد أولى واختلفوا فى أن وقوعه فى بطن
الحوت كان قبل اشتغاله بأداء الرسالة أو بعده أما القول الاول فعن ابن عباس أن يونس وقومه كانوا من فلسطين فغزاهم ملك وسبى منهم

عرف به ويبهت من يراه وتقف الاشعار عند ذكره * قال أيوب ان أكن غويا فعلي غواي وان أكن
فأي منعة عندي ان صرخت فمن ذا الذي يصرخني وان سكت فمن ذا الذي يعذرني ذهب
عني وانقضت أحلامي وتنكرت لي معارفي دعوت غلامي فلم يجبني وتضرعت لأمتي فلم
تحنني وقع علي البلاء فرفضوني أنتم كنتم أشد علي من مصيبتي انظروا وابهتوا من العجائب
التي في جسدي أما سمعتم بما أصابني وما شغلكم عني ما رأيتم بي لو كان عبد يخاصم ربه رجوت
أن أغلب عند الحكم ولكن لي رب اجبارا تعالى فوق سمواته وألقاني ههنا وهنت عليه لا هو
يعذرني بعذري ولا هو أدناني فأخاصم عن نفسي يسمعني ولا أسمعه ويراني ولا أراه وهو محيط بي
ليجلي لي اذ ابت كليتاي وصعق روحي ولو نفسني فأتكلم بملء في ونزع الهيبة مني علمت بأي
ذنب عذبني نودي فقيل يا أيوب قال لبيك قال أنا هذا قد دنوت منك فقم فاشدد ازارك وقم
كالجبار فانه لا ينبغي لي أن يخاصمني إلا جبار مثلي ولا ينبغي أن يخاصمني إلا من يجعل الزنار
على الأسد والسخال في فم العنقاء واللجام في فم التنين ويكيل مكيالا من النور ويزن مثقالا
من الريح ويصر صرة من الشمس ويرد أمس لغد لقد منتك نفسك أمرا ما يبلغ بمثل قوتك
وكنت اذ منتك نفسك ذلك ودعتك اليه تذكرت أي مرام رامت بك أردت أن تخاصمني بفيك
أردت أن تحاجني بخطابك أم أردت أن تكاثرني بضعفك أين أنت مني يوم خلقت الارض
وضعتها على أساسها هل علمت بأي مقدار قدرتها أم كنت معي تمد بأطرافها أم تعلم ما بعد
رابها أم على أي شيء وضعت أكنافها أبطاعتك جل الماء الارض أم بحكمتك كانت
الارض للماء غطاء أين كنت مني يوم رفعت السماء سقفا في الهواء لا بعلائق ثبتت من فوقها ولا
بمهاد عم من تحتها هل يبلغ من حكمتك أن تجري نورها أو تسير نجومها أو يختلف بأمرك
ليلها ونهارها أين أنت مني يوم سخرت البحار ونبعت الانهار أقدرتك حبست أمواج البحار
في حدودها أم قدرتك فتحت الارحام حين بلغت مدتها أين أنت مني يوم صببت الماء على
التراب ونصبت شوامخ الجبال هل لك من ذراع يطيق حملها أم هل تدري كم من مثقال فيها أم
على الماء الذي أنزل من السماء هل تدري أم تلده أو أب يوالده أحكمتك أحصت القطر وقسمت
الارزاق أم قدرتك تثير السحاب وتغشيه الماء هل تدري ما أصوات الرعود أم من أي شيء تلهب
البروق هل رأيت عمق البحور أم هل تدري ما بعد الهواء أم هل خزنت أرواح الاموات أم هل
تدري أين خزانة الثلج أو أين خزائن البرد أم أين جبال البرد أم هل تدري أين خزانة الليل بالنهار
أين خزانة النهار بالليل وأين طريق النور وبأي لغة تتكلم الاشجار وأين خزانة الريح وكيف
حسه الاغلاق ومن جعل العقول في أجواف الرجال ومن شق الاسماع والابصار ومن ذلت
له الانكة لملكه وقهر الجبارين بجبروته وقسم أرزاق الدواب بحكمته ومن قسم للأسد أرزاقها
وعرف الطير معايشها وعطفها على أفراخها من أعتق الوحش من الخدمة وجعل مساكنها البرية

ههنا رجل عاص أو عبد آبق لأن السفينة لا تفعل هذا من غير ريح الا وفيها رجل عاص ومن عادتنا في مثل هذا البلاء أن نقترع فمن خرجت له القرعة ألقيناه في البحر حتى تسلم السفينة فاقترعوا ثلاث مرات فوقعت القرعة كلها على يونس فقال أنا الرجل العاصي والعبد الآبق وألقى نفسه في البحر فابتلعه حوت فأوحى الله تعالى الى الحوت لا تؤذ منه شعرة فاني جعلت بطنك سجنا له ولم أجعله طعاما لك ثم نجاه الله من بطن الحوت فنبذه بالعراء كالفرخ المنتوف ليس عليه شعر ولا جلد فأنبت الله عليه شجرة من يقطين يستظل بها ويأكل من ثمرتها حتى اشتد فلما يبست الشجرة حزن عليها يونس فقيل له أتحزن على شجرة ولم تحزن على مائة ألف أو يزيدون حيث لم تذهب اليهم ولم تطلب سلامتهم فتوجه يونس نحوهم حتى دخل أرضهم وهم منه غير بعيد فقال لملكهم ان الله أرسلني اليك لترسل معي بني اسرائيل فقالوا ما نعرف ما تقول ولو علمنا أنك صادق لفعلنا ولقد أتينا كم في ديار كم وسبينا كم فلو كان كما تقول لمنعنا الله منكم فطاف فيهم ثلاثة أيام يدعوهم الى ذلك فأبوا عليه فأوحى الله اليه قل لهم ان لم تؤمنوا جاءكم العذاب فأبلغهم فأبوا فخرج من عندهم فلما فقدوه ندموا على فعلهم فانطلقوا يطلبونه فلم يقدروا عليه فقال

لهم اطلبوه فان كان في المدينة فليس ما ذكره بشيء وان كان قد خرج فهو كما قال فطلبوه فلم يجدوه فلما أيسوا أغلقوا باب مدينتهم فلم
يخلصها بقرهم وغنمهم وعزلوا الوالدة عن ولدها وكذا الصبيان والامهات فلما طلع الصبح رأوا العذاب ينزل من السماء فشقوا جيوبهم
ووضعت الحوامل ما في بطونها وصاح الصبيان وثغت المواشي فرفع الله عنهم فبعثوا الى يونس وآمنوا به وبعثوا معه بني اسرائيل * القول

الثانى وعليه أكثر المفسرين أن قصة الحوت كانت بعد دعائه أهل نينوى وتبليغه رسالة الله اليهم كما مر فى سورة يونس وما الطاعنون فى عصمة الأنبياء بهذه القصة من وجوه الأول أنه ذهب مغاضبا لربه هكذا فسره ابن عباس وابن مسعود والحسن والشعبى وسعيد ابن جبير ووهب واختاره ابن قتيبة ومحمد بن جرير ومن المعلوم أن مغاضبة الله من أعظم الذنوب ولئن سلم أنه كان مغاضبا لقومه فقد كان أيضا محظورا لانه كان يجب أن يصبر معهم

الثانى قوله (فظن أن لن نقدر عليه) وهو شك فى قدرة الله الثالث انه

بأنه من الظالمين والظلم من صفات الذم الرابع اخبار الله تعالى فى موضع آخر بقوله فالتقمه الحوت وهو مليم والمليم ذو الملامة الخامس قوله للنبى صلى الله عليه وسلم ولا تكن كصاحب الحوت وقال فى موضع آخر فاصبر كما صبر أولوا العزم والجواب أنه عليه السلام غضب لأجل ربه أنفة لدينه وبغضا للكفر وأهله وغاضب قومه عفا رقته كى يخوفهم حلول العقاب عليهم عندها فغابة ما فى الباب أن تلك المغاضبة ترك الاولى وهو الصبر على مشاق الرسالة بعد أدائها الى أن يأذن الله له فى المهاجرة وعن الثانى أن معنى لن نقدر عليه لن نضيق كقوله الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ومن قدر عليه رزقه فهو من القدر لا من القدرة ويجوز أن يكون من القدر بمعنى القضاء قال الزجاج يقال قدر الله الشئ قدرا وقدره تقديرا والمعنى فظن أن لن نقضى عليه بشدة وهو قول مجاهد وقتادة والضحاك والكلبى وابن عباس فى رواية واختاره الفراء والزجاج يقال قدر الله عليه الضراء وقدر له السراء كما يقال قدر القاضى على فلان أوله ولئن سلمنا أنه من القدرة فالمراد القدرة بالفعل أى فظن أن لن نعمل فيه قدرتنا فالقدرة غير وإعمالها غير فظن انتفاء الأول

كفر دون الثانى أو هو وارد على سبيل التمثيل والاستعارة أى

قال

كانت حاله ممثلة بحال من ظن أن لن نقدر عليه فى مراغمته قومه من غير انتظار لامر الله أو هو استفهام بمعنى التوبيخ معناه أظن أن لن نقدر عليه عن ابن زيد سلمنا الكل لكن هذه الواقعة لعلها قبل رسالته كما حكينا ومثل هذا الظن فى حق غير الأنبياء لا يبعد بوسوسة الشيطان ولكن المؤمن يرده بعد ذلك بالبرهان وعن البواقى أن الكل راجع الى ترك الاولى ونحن لا ننكر ذلك وكفى

لا تستأنس بالاصوات ولا تهاب المسلطين أمن حكمتك تفرعت أفراخ الطير وأولاد الوحوش لأمهاتها أم من حكمتك عطفت أمهاتها عليها حتى أخرجت لها الطعام من بطونها وآثرتها بالعيش على نفوسها أم من حكمتك يبصر العقاب الصيد فأصبح فى أماكن القتلى أين أنا منى يوم خلقت بهموت مكانه فى منقطع التراب والوتينان يحملان الجبال والقرى والعمران آذانهما كأنهما شجر الصنوبر الطوال رؤسهما كأنها آكام الجبال وعروق أخذاهما كأنها أرشية الحديد وكأن جلودهما فلق الصخور وعظامهما كأنها عمد النحاس هما رأسا خلق الذين خلقت للقتال أأنت ملأت جلودهما لحما أم أنت ملأت رؤسهما دماغا أم هل لك فى خلقهما من شئ أم لك بالقوة التى عملتها يد أو هل يبلغ من قوتك أن تخطم على أنوفهما أو تضع يدك على رؤسهما أو تقعد لهما على طريق فتحبسهما أو تصدهما من قوتهما أين أنت يوم خلقت التنين رزقه فى البحر ومسكنه فى السحاب عيناه توقدان نارا ومنخراه يثوران دخانا أذناه مثل قوس السحاب يثور منهما لهب كأنه اعصار العجاج جوفه يحترق ونفسه يلتهب وزنده كأمثال الصخور وكأن صريف أسنانه صوت الصواعق وكأن نظر عينيه لهب البرق أسراره لا تدخله الهموم غرثه الجيوش وهو متكئ لا يفزعه شئ ليس فيه مفصل الحديد عنده مثل التبن والنحاس عنده مثل الخيوط لا يفزع من النشاب ولا يحس وقع الصخور على جسده ويضحك من النازل ويسير فى الجيوش كأنه عصفور ويهلك كل شئ يمر به ملك الوحوش واياه آثرت بالقوة على خلقى هل أنت آخذه بأحبولتك فرابطه بلسانه أو واضع اللجام فى شدقه أتطنه يوفى بعهدك أو يسجح من خوفك هل تحصى عمره أم هل تدرى أجله أو تفوت رزقه أم هل تدرى ماذا خرب من الارض أم ماذا بقى فيما بقى من عمره أتطيق غضبه حين يغضب أم تأمره فيعطيك تبارك الله وتعالى * قال أيوب صلى الله عليه وسلم قصرت عن هذا الامر الذى تعرض لى ليت الارض انشقت بى فذهبت فى بلائى ولا أتكلم بشئ يسخط ربى اجتمع على البلاء الهى جعلتنى لك مثل العدو وقد كنت تكرمنى وغيرك نعمى وقد علمت أن الذى ذكرت صنع يديك وتدبير حكمتك وأعظم من هذا ما شئت عملت لا يعجزك شئ ولا يخفى عليك خافية ولا تغيب عنك غائبة من هذا الذى يظن أن يستر عنك سرا وأنت تعلم ما يخطر على القلوب وقد علمت منك فى بلائى هذا ما لم أكن أعلم وخفت حين بلوت أمرك أكثر مما كنت أخاف انما كنت أسمع بسطوتك سمعا فأما الآن فهو بصر العين انما تكلمت حين تكلمت لتعذرنى وسكت حين سكت لترحمنى كلمة زلت فلن أعود قد وضعت يدى على فى وعضضت على لسانى وألصقت بالتراب خدى ودست وجهى لصغارى وسكت كما أسكتنى خطيئتى فاغفر لى ما قلت فلن أعود لشئ تكرهه منى * قال الله تبارك وتعالى يا أيوب نفذ فيك علمى وبحلمى صرت عنك غضبى اذ خطئت فقد غفرت لك وردد عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم فاغتسل بهذا الماء فان فيه شفاءك وقرب عن صحابتك قربانا واستغفر لهم فانهم قد عصونى فيك حدثنا ابن جبر

ثنا سلمة قال ثنى محمد بن اسحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه اليمانى وغيره من أهل الكتب الاول أنه كان من حديث أيوب أنه كان رجلا من الروم وكان الله قد اصطفاه ونبأه وابتلاه فى الغنى بكثرة الولد والمال وبسط عليه من الدنيا فوسع عليه فى الرزق وكانت له البثنية من أرض الشام أعلاها وأسفلها وسهلها وجبلها وكان له فيها من أصناف المال كله من الابل والبقر والغنم والخيل والحمير ما لا يكون للرجل أفضل منه فى العدة والكثرة وكان الله قد أعطاه أهلا وولدا من بنين ونساء وكان برا تقيا رحيما بالمساكين يطعم المساكين ويحمل الارامل ويكفل الأيتام ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل وكان شاكرا لأنعم الله عليه مؤديا لحق الله فى الغنى فدا متنع من عدو الله ليس أن يصيب منه ما أصاب من أهل الغنى من العزة والغفلة والسهو والتشاغل عن أمر الله بما هو فيه من الدنيا وكان معه ثلاثة قد آمنوا به وصدقوه وعرفوا فضل ما أعطاه الله على من سواه منهم رجل من أهل اليمن يقال له اليفر ورجلان من أهل بلاده يقال لأحدهما صوفر وللآخر بلدد وكلهم من بلاده كهولا وكان لا بليس عدو الله منزل من السماء السابعة يقع به كل سنة موقعا يسأل فيه فصعد الى السماء فى ذلك اليوم الذى كان يصعد فيه فقال الله له أو قيل له عن الله هل قدرت من أيوب عبدى على شئ قال أى رب وكيف أقدر منه على شئ وانما ابتليته بالرخاء والنعمة والسعة فى الدنيا وأعطيته الأهل والمال والولد والغنى والعافية فى جسده وأهله وماله فماله لا يشكرك ويعبدك ويطيعك وقد صنعت ذلك به لو ابتليته بنزع ما أعطيته لحال عما كان عليه من شكرك وعبادتك ولخرج من طاعتك الى غيرها أو كما قال عدو الله فقال قد سلطتك على أهله وماله فكان الله هو أعلم به ولم يسلطه عليه الا رحمة ليعظم له الثواب بالذى يصيبه من البلاء وليجعله عبرة للصابرين وذكرى للعابدين فى كل بلاء نزل بهم ليتأسوا به وليرجوا من عاقبة الصبر فى عرض البلاء الثواب الآخرة وما صنع الله بأيوب فانحط عدو الله سريعا فجمع عفاريت الجن ومردة الشياطين من جنوده فقال انى قد سلطت على أهل أيوب وماله فماذا عليكم فقال قائل منهم أكون اعصارا فيه نار فلا أمر بشئ من ماله الا أهلكته قال أنت وذاك فخرج حتى أتى ابله فأحرقها ورعاتها جميعا فجاء عدو الله الى أيوب فى صورة قيمه عليها وهو فى مصلى فقال يا أيوب أقبلت نار حتى غشيت ابلك فأحرقتها ومن فيها غيرى فجئتك أخبرك بذلك فعرفه أيوب فقال الحمد لله الذى هو أعطاها وهو أخذها الذى أخرج ذلك منها كما يخرج الزؤان من الحب النقى ثم انصرف عنه فعمل يصيب ماله مالا فلا يأتى مرعى على آخره كلما انتهى اليه هلك مال من ماله حمد الله وأحسن عليه الثناء ورضى بالقضاء ووطن نفسه بالصبر على البلاء حتى اذا لم يبق له مال أتى أهله وولده وهم فى قصر لهم معهم مواشيهم وخدامهم فتمثل ريحا عاصفا فاحتمل القصر من نواحيه فألقاه على أهله وولده فشدخهم تحته ثم أتاه فى صورة قهرمانه عليهم قد شدخ وجهه فقال يا أيوب قد أتت ريح عاصف فاحتملت القصر من نواحيه ثم ألقته على أهلك وولدك فشدختهم غيرى فجئتك أخبرك ذلك فلم يجزع على شئ

(سبحانك) تنزيه له عن كل النقائص منها الظن المذكور على أى وجه فرض ومنها العجز عن تخليصه ومنها خلو ذلك الفعل عن حكمة كاملة (انى كنت من الظالمين) بالفرار من غير اذن وأنا الآن من التائبين وفيه من حسن الطلب ما فيه فلذلك قال (فاستجبنا له) ثم بين الاستجابة بقوله (ونجيناه من الغم) أى من غمه بسبب كونه فى بطن الحوت وبسبب خطيئته (و) كما أنجينا يونس من كرب الحبس اذ دعانا (كذلك ننجى المؤمنين) من كل كرب اذا استغاثوا بنا عن النبى صلى الله عليه وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له وعن الحسن ما نجاه والله الا اقراره على نفسه بالظلم وقد بقى فى الآية بحث لفظى وهو أن بعض أهل العربية غلطوا عاصما فى قراءته نجى بالتشديد والنون لاتدغم فى الجيم واستخرج بعضهم له وجها وهو أن يكون نجى فعلا ماضيا مجهولا من التنجية لكنه أرسل الياء وأسند الفعل الى المصدر المضمر ونصب المؤمنين بذلك المصدر أى نجى نجاء المؤمنين كقولك ضرب الضرب زيدا ثم ضرب زيدا على اضمار المصدر وأنشد ابن قتيبة حجة لهذه القراءة

ولو ولدت فقيرة جرو كلب
لسب بذلك الجرو الكلابا

وقال أبو على الفارسى وغيره من أئمة المحققين ان مثل هذا لا يجوز الا فى ضرورة الشعر وانما الوجه الصحيح فى قراءة عاصم أن يحمل ذلك على الاخفاء فلعل الراوى التبس عليه نظنه ادغاما ثم بين انقطاع زكريا وتبتله اليه ورغبته فيمن يؤنسه ويعينه فى أمر دينه ودنياه وان انتهى الحال به وبزوجته فى الكبر الى اليأس من ذلك عادة وفى قوله (وأنت خير الوارثين) وجهان أحدهما أنه ثناء على الرب بأن مآل كل الامور اليه فيكون مؤكدا لما فوض من أمر الولد والثانى أنه أراد ان لم ترزقنى من يرثنى فلا أبالى فانك خير وارث وفى اصلاح زوجه وجوه منها أنها جعلت صالحة للولادة بعد

عقرها ومنها أنها جعلت حسنة الخلق وكانت سيئة الخلق ولا شك أن حسن خلق الزوج نعمة عظيمة ومنها أن الاصلاح يتعلق بأمر الدين سأل ربه المعونة على الدين والدنيا بالولد والأهل جميعا ويرد على الوجه الاول أن اصلاح الزوج مقدم على هبة الولد والجواب أن الواو لا الترتيب أو أراد بالهبة ارادة الهبة أما الضمير فى قوله (انهم كانوا يسارعون فى الخيرات) فقد قيل انه عائد الى زكرياء وولده وأهله وقال انه للمذكورين من الانبياء عليهم السلام يريد أنهم ما استحقوا الاجابة الى طلباتهم الا لمسارعتهم فى تحصيل الخيرات وهى أجل ما يمدح به المؤمن لانه يدل على الجد والرغبة فى الطاعة (ويدعوننا رغبا) فى ثوابنا (ورهبا) عن عقابنا ومعنى (خاشعين) قال الحسن ذلالا لأمر الله وقيل متواضعين وعن مجاهد الخشوع الخوف الدائم فى القلب وفى تقديم الجار والمجرور على خاشعين اشارة الى أنهم لا يخشون أحدا الا الله وروى الأعمش عن ابراهيم النخعى أنه الذى اذا أرخى ستره وأغلق بابه رأى الله منه خيرا ليس هو الذى يأكل خشبا أى علفا ويلبس خشنا ويطأ طئ رأسه ولما فرغ من ذكر الرجال الكاملين ذكر من هى سيدة نساء العالمين فقد حها باحصان فرجها احصانا كليا من الحلال والحرام جميعا حتى انها منعت جبرائيل حين درعها قبل أن عرفته والنفخ فيها عبارة عن احياء عيسى فى بطنها أى فنفخنا الروح فى عيسى فيها كقول الزمر فنفخت فى بيت فلان أى نفخت فى المزمار فى بيته أو المراد وفعلنا النفخ فى مريم من جهة روحنا وهو جبرائيل لانه نفخ فى جيب درعها فوصل النفخ الى جوفها وهذا البيان هو المراد فى سورة التحريم فلذلك قال فنفخنا فيه أراد فرج الجيب أو غيره وانما قال (وجعلناها وابنها آية للعالمين) لأنه أراد أن مجموعهما آية واحدة وهى ولادتها اياه من غير أب ۞ التأويل الاشارات المفهومة من قصص الانبياء أكثرها مر فلنذكر ما يختص بالمقام منها قوله بل فعله كبيرهم أى الله الكبير لان كسر الاصنام ليس من طبيعة الانسانية بل من طبيعتها أن تنحتها فان صدر من أحدهم كان فانما ذلك بتوفيق الله وتأييده فقوله هذا بدل الكل من الضمير فى فعله قالوا حرقوه اذا أراد الله أن يكمل عبدا من عباده المخلصين فداه عظيما كما لو أراد استكمال حوت فى البحر فداه كثيرا من الحيتان الصغار فلما أراد تخليص جسد الخلة من غش البشرية جعل نمرود

أصابه جزعه على أهله وولده وأخذ ترابا فوضعه على رأسه ثم قال ليت أمى لم تلدنى ولم أكن وسر بها عدو الله منه فأصعد الى السماء جذلا وراجع أيوب التوبة مما قال فحمد فسبقت توبته عدو الله الى الله فلما جاء وذكر ما صنع قيل له قد سبقتك توبته إليه ومراجعته قال أى رب فسلطنى على جسده قال قد سلطتك على جسده الا على لسانه ونفسه وسمعه وبصره فأقبل اليه عدو الله وهو ساجد فنفخ فى جسده نفخة أشعل ما بين قرنه قدمه كحريق النار ثم خرج فى جسده ثآليل كأليات الغنم فحك بأظفاره حتى ذهبت ثم بالحجارة حتى تساقط لحمه فلم يبق منه الا العروق والعصب والعظام عيناه يجولان فى رأسه للنظر للعقل ولم يخلص الى شئ من حشو البطن لانه لا بقاء للنفس الا بها فهو يأكل ويشرب على من حشوته فمكث كذلك ما شاء الله أن يمكث حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن عن بن دينار عن الحسن أنه كان يقول مكث أيوب فى ذلك البلاء سبع سنين وستة ملقى على رماد مكنسة فى جانب القرية قال وهب بن منبه ولم يبق من أهله الا امرأة واحدة عليه وتكسب له ولا يقدر عدو الله منه على قليل ولا كثير مما يريد فلما طال البلاء عليه وسئمها الناس وكانت تكسب عليه ما تطعمه وتسقيه قال وهب بن منبه فحدثت أنها لم يوما من الايام ما تطعمه فما وجدت شيأ حتى جزت قرنا من رأسها فباعته برغيف فأتته به فلبث فى ذلك البلاء ثلاث السنين حتى ان كان المار ليمر فيقول لو كان لهذا عند الله خير لأراحه هو فيه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال حدثنى محمد بن اسحق قال وكان وهب يقول لبث فى ذلك البلاء ثلاث سنين لم يزد يوما واحدا فلما غلبه أيوب فلم يستطع منه شيأ أغرى لامرأته فى هيئة ليست كهيئة بنى آدم فى العظم والجسم والطول على مركب ليس من مراكب الناس له عظم وبهاء وجمال ليس لها فقال لها أنت صاحبة أيوب هذا الرجل المبتلى قالت نعم هل تعرفيننى قالت لا قال فأنا إله الارض وأنا الذى صنعت بصاحبك ما صنعت وذلك أنه عبد السماء وتركنى فأغضبنى ولو سجد لى سجدة واحدة رددت عليه وعليك كل ما كان لكما من وولد فانه عندى ثم أراها اياهم فيما ترى ببطن الوادى الذى لقيها فيه قال وقد سمعت أنه انما لو أن صاحبك أكل طعاما ولم يسم عليه لعوفى مما به من البلاء والله أعلم وأراد عدو الله أن يأتيه من قبلها فرجعت الى أيوب فأخبرته بما قال لها وما أراها قال أوقد أتاك عدو الله ليفتنك عن ثم أقسم ان الله عافاه ليضربنها مائة ضربة فلما طال عليه البلاء جاءه أولئك النفر الذين كانوا قد آمنوا به وصدقوه معهم فتى حديث السن قد كان آمن به وصدقه فجلسوا الى أيوب ونظروا ما به من البلاء فأعظموا ذلك وفظعوا به وبلغ من أيوب صلوات الله عليه مجهوده وذلك حين أراد أن يفرج عنه ما به فلما رأى أيوب ما أعظموا مما أصابه قال أى رب لأى شئ خلقتنى ولو كنت اذ قضيت على البلاء تركتنى فلم تخلقنى ليتنى كنت دما ألقتنى أمى ثم ذكر نحو حديث ابن

له حتى أجمعوا على تحريقه ولم يعلموا أن تلك النار له نور وذلك العذاب له روح وريحان لأن نار العشق قد أحرقت أنانيته حتى لم يرغير
يل لم يبق الا هو فلم يمكن للنار أن تتصرف فيه فوقع قوله قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم تمثيلا لهذا المعنى

بالنار خوفني قومي فقلت لهم * النار ترحم من في قلبه نار ونجينا ابراهيم الروح ولوط القلب من أرض البشرية الى

س الروحانية المتبركة المشرفة المشرقة لتجلي الذات والصفات ونجيناه من قرية القالب التي كانت تعمل الخبائث

بالأوصاف البهيمية والسبعية وداود الروح وسليمن القلب اذ يحكمان في شأن حرث الدنيا اذ نفشت أي دخلت فيه في ظلمة ليل البشرية غنم القوم أي الصفات البشرية من غير راعي العقل فأفسدت الحرث بالافراط والاسراف فحكم الروح بانجذابه الى عالمه بالكلية أن يمنع الأوصاف عن التصرف فيها مطلقا ففهمناها سليمن القلب لكونه متقلبا في طودي الروح والجسد أن يحكم بمنع التصرف فيها الى أن يعود الحرث من حالة الاسراف فيه المؤدي الى الفساد الى حالة التوسط والاعتدال الذي هو المعتبر في باب الكمال والاكمال جمعا بين المصلحتين ورعاية للجانبين وسخرنا مع داود الجبال وهي الاعضاء والجوارح التي فيها ثقل وكثافة يسبحن بتسبيحه والطير وهن القوى الحيوانية السيارة بل الطيارة بين فضاء القلب والقالب هذا في الباطن وأما في الظاهر فاذا استولى سلطان الذكر على أجزاء البدن انعكس نوره في مرآة القلب الى ما يحاذيها من الجمادات والحيوانات فيذكر ما يذكره كالحصاة سبحت في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن بعض الصحابة أنه قال كنا نأكل الطعام ونسمع تسبيحه وعلمناه صنعة لبوس لكم ان الله تعالى

سمعيل بن عبد الكريم الى وكابدوا الليل واعتزلوا الفرش وانتظروا الاسحار ثم زاد فيه أولئك
ؤمنون الذي لا يخافون ولا يهتمون ولا يحزنون فأين عاقبة أمرك يا أيوب من عواقبهم قال
ى حضرهم وسمع قولهم ولم يفطنوا له ولم يأبهوا لمجلسه وانما قيضه الله لهم لما كان من جورهم في
حق وشططهم فأراد الله أن يصغر به اليهم أنفسهم وأن يسفه بصغره لهم أحلامهم فلما تكلم
داوى في الكلام فلم يزدد الا حكما وكان القوم من شأنهم الاستماع والخشوع اذا وعظوا أو ذكروا
قبل انكم تكلمتم قبلي أيها الكهول وكنتم أحق بالكلام وأولى به مني لحق أسنانكم ولأنكم
قدمتم قبلي ورأيتم وعلمتم مالم أعلم وعرفتم مالم أعرف ومع ذلك قد تركتم من القول أحسن من الذي
ركتم من الرأي أصوب من الذي رأيتم ومن الامر أجمل من الذي أتيتم ومن الموعظة أحكم من الذي
وعظتم وقد كان لأيوب عليكم من الحق والذمام أفضل من الذي وصفتم هل تدرون أيها الكهول
ما حق من انتقصتم وحرمة من انتهكتم ومن الرجل الذي عبتم واتهمتم ولم تعلموا أيها الكهول أن
أيوب نبي الله وخيرته وصفوته من أهل الارض يومكم هذا اختاره الله لوحيه واصطفاه لنفسه
وخصه على نبوته ثم لم تعلموا ولم يطلعكم الله على أنه سخط شيأ من أمره مذ آتاه ما آتاه الى يومكم
هذا ولا على أنه نزع منه شيأ من الكرامة التي أكرمه بها مذ آتاه ما آتاه الى يومكم هذا ولا أن أيوب
غير الحق في طول ما صحبتموه الى يومكم هذا فان كان البلاء هو الذي أزرى به عندكم ووضعه في
أنفسكم فقد علمتم أن الله يبتلي النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ثم ليس بلاؤه لأولئك
مما يسخطه عليهم ولا لهوانه لهم ولكنها كرامة وخيرة لهم ولو كان أيوب ليس من الله بهذه المنزلة
التي هو بها في النبوة ولا في الاثرة ولا في الفضيلة ولا في الكرامة الا أنه أخ أحببتموه على وجه الصحابة لكان
الجميل بالحكيم أن يعذل أخاه عند البلاء ولا يعيره بالمصيبة بما لا يعلم وهو مكروب حزين ولكن
يرحمه ويبكي معه ويستغفر له ويحزن لحزنه ويدله على مراشد أمره وليس بحكيم ولا رشيد من
جهل هذا فالله الله أيها الكهول في أنفسكم قال ثم أقبل على أيوب صلى الله عليه وسلم فقال وقد
كان في عظمة الله وجلاله وذكر الموت ما يقطع لسانك ويكسر قلبك وينسيك حجتك ألم تعلم يا أيوب
أن لله عبادا أسكتتهم خشيته من غير عي ولا بكم وانهم لهم الفصحاء النطقاء النبلاء الألباء العالمون
بالله وبآياته ولكنهم اذا ذكروا عظمة الله انقطعت ألسنتهم واقشعرت جلودهم وانكسرت
قلوبهم وطاشت عقولهم اعظاما لله واعزازا واجلالا فاذا استفاقوا من ذلك استبقوا الى الله بالأعمال
الزكية يعذون أنفسهم مع الظالمين والخاطئين وانهم لأنزاه برآء ومع المقصرين والمفرطين وانهم
ليس أقوياء ولكنهم لا يستكثرون لله الكثير ولا يرضون لله بالقليل ولا يدلون عليه بالأعمال
وهم مرؤعون مفزعون مغتمون خاشعون وجلون مستكينون معترفون متى ما رأيتهم يا أيوب
يا أيوب ان الله يزرع الحكمة بالرحمة في قلب الصغير والكبير فتى نبتت في القلب يظهرها الله على
لسان وليست تكون الحكمة من قبل السن ولا الشيبة ولا طول التجربة واذا جعل الله العبد

داود الروح كيفية الاناة القلب الذي هو في القساوة بمنزلة الحديد حتى يتولد من ذلك القلب أوصاف جيدة تحصن الانسان من بأس
الاعداء التي هي النفس والهوى والشيطان وسخرنا لسليمن القلب ريح الروح الحيواني فانه مركب الروح الانساني به يتهيأ له السير الى
ما ورك له فيه ومن الشياطين وهم الاوصاف النفسية من يغوصون له في بحر الحديد فيستخرجون درر الفضائل الانسية ويعملون
دون ذلك من الوسائط والوسائل الى تلك الفضائل وكنا لهم حافظين من أن يزيغوا عن سواء السبيل ويميلوا عن جادة الشريعة وقانون

الطريقة قال أهل التحقيق اذا بلغ الانسان مبلغ الرجال البالغين سخر الله له بحسب مقامه السفليات والعلويات كما لسليمن الريح والجن والشياطين والطير ومن العلويات الشمس حين ردت لاجل صلاته وسخر لداود عليه السلام الجبال والطير والحديد والاحجار التى قتل بها جالوت وسخر لنبينا جميع السفليات والعلويات حتى قال زويت لى الارض وقال أوتيت مفاتيح خزائن الارض وكان الماء ينبع من بين أصابعه وقال نصرت بالصبا وكانت الاشجار تسلم عليه وتسجد له وتنقاد له من مكانها وترجع والحيوانات تتكلم معه وتشهد بنبوته وقال أسلم شيطانى على يدى * وأما من العلويات فقد انشق القمر باشارته وسخر له البراق وجبرائيل وعبر السموات والجنة والنار والعرش والكرسى الى مقام قاب قوسين أو أدنى وأيوب القلب المبتلى بديوان الهواجس والوساوس الذى فارقه أوصافه الحميدة وأخلاقه الشريفة لشدة تأمله بالعلائق البدنية وعوائق الامور الدنيوية فكشفنا ما به من ضر بأن قلنا له اركض برجلك تطهره وألق ما فى يمينك لينبع ماء حياة العلم والمعرفة فتسلم من تعلقات الكونين المؤذية للقلب والروح وذا النون الروح اذ ذهب من عالمه مغاضبا لغيره من المجردات فألقى فى بحر الدنيا فالتقمه حوت النفس الامارة بالسوء وابتلع حوت النفس حوت القالب فنادى فى ظلمات حجب النفس والقالب والدنيا وزكريا الروح وهبنا له يحيى القلب وأصلحنا له زوج القالب ويدعوننا رغبا فى الفناء فينا ورهبا من البقاء بأنانيتهم وكانوا لنا خاشعين أما القالب فبأعمال الشريعة وأما النفس فبتهذيب الأخلاق وأما القلب فبالاطمئنان بذكر الله وأما السر فباجتهاده فى كشف الاسرار وأما الروح فببذل الوجود فى طلب المعبود وأما الخفى فبافنائه فى الله وبقائه بالله ومريم النفس التى أحصنت قلبها عن تصرفات الكونين فحملت بالحياة الأبدية ﴿ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون وتقطعوا أمرهم بينهم كل الينا راجعون فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وانا له كاتبون وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون

حكيما فى الصبا لم يسقط منزله عند الحكماء وهم يرون عليه من الله نور الكرامة ولكنكم أعجبتكم أنفسكم وظننتم أنكم عوفيتم باحسانكم فهنالك بغيتم وتعززتم ولو نظرتم فيما بينكم وبين ربكم ثم صدقتم أنفسكم لوجدتم لكم عيوبا سترها الله بالعافية التى ألبسكم ولكنى قد أصبحت لا ولیس لى رأى ولا كلام معكم قد كنت فيما خلا مسموعا كلامى معروفا رأيى حتى منتصفا من خصم قاهرا لمن هو اليوم يقهرنى مهيبا مكانى والرجال مع ذلك ينصتون لى ويوقرونى فأصبحت اليوم انقطع رجائى ورفع حذرى وملنى أهلى وعقنى أرحامى وتنكرت لى معارفى ورغب عنى صديقى وقطعنى أصحابى وكفرنى أهل بيتى وجحدت حقوقى ونسيت صنائعى أصرخ فلا يصرخ أعتذر فلا يعذرونى وان قضاءه هو الذى أذلنى وأقانى وأخسأنى وان سلطانه هو الذى أنحل جسمى ولو أن ربى نزع الهيبة التى فى صدرى وأطلق لسانى حتى أتكلم بملء فى ثم ينبغى للعبد أن يحاج عن نفسه لرجوت أن يعافينى عند ذلك مما بى ولكنه ألقانى وتعالى عنى يرانى ولا أراه ويسمعنى ولا أسمعه لا نظر الى فرحمنى ولا دنانى ولا أدنانى فأدلى بعذرى وأتكلم ببراءتى وأخاصم عن نفسى لما قال ذلك أيوب وأصحابه عنده أظله غمام حتى ظن أصحابه أنه عذاب ثم نودى منه ثم قيل له يا أيوب ان الله يقول ها أنا ذا قد دنوت منك ولم أزل منك قريبا فقم بعذرك الذى زعمت وتكلم ببراءتك وخاصم عن نفسك واشدد ازارك ثم ذكر نحو حديث عسكر عن اسمعيل الى آخره وزاد فيه ورحتى سبقت غضبى فاركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فيه شفاؤك وقد وهبت لك أهلك ومثلهم معهم ومالك ومثله معه وزعموا ومثله معه لتكون لمن خلفك آية ولتكون عبرة لأهل البلاء وعزاء للصابرين فركض برجله فانفجرت له عين فيها فاغتسل فأذهب الله عنه كل ما كان به من البلاء ثم خرج فجلس وأقبلت امرأته تلتمسه فى منجه فلم تجده فقامت كالوالهة متلددة ثم قالت يا عبد الله هل لك علم بالرجل المبتلى الذى كان ههنا لعل ثم تبسم فعرفته بضحكه فاعتنقته **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه قال لما حدثت عبد الله بن عباس حديثه واعتناقها اياه قال عبد الله فوالذى نفس عبد الله بيده ما فارقته من عناقه حتى مر بهما كل مال لهما وولد **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال وقد سمعت بعض من يذكر الحديث عنه أنه حين سألت عنه فقال لها وهل تعرفينه اذا رأيته قالت نعم ومالى لا أعرفه فتبسم ثم قال ها أنا ذا وقد فرج الله عنى ما كنت فيه فعند ذلك اعتنقته قال وهب فأوحى الله اليه فى قسمه ليضربنها فى الذى كلمته أن خذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث أى قد برت يمينك يقول الله تعالى انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب يقول الله ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولى الألباب **حدثنا** يحيى بن طلحة اليربوعى قال ثنا فضيل بن عياض عن هشام عن الحسن قال لقد مكث أيوب مطروحا على كناسة سبع سنين وأشهرا ما يسأل الله أن يكشف ما به قال وما على وجه الأرض

واقترب الوعد الحق فاذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون لا يحزنهم الفزع الاكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده (٥٥) وعدا علينا انا كنا فاعلين ولقد كتبنا في الزبور

خلق أكرم على الله من أيوب فيزعمون أن بعض الناس قال لو كان لرب هذا فيه حاجة ما صنع به هذا فعند ذلك دعا حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن يونس عن الحسن قال بلي أيوب على كناسة لبني اسرائيل سبع سنين وأشهرا تختلف عليه الدواب حدثني محمد بن اسحق قال ثنا يحيى بن معين قال ثنا ابن عيينة عن عمرو عن وهب بن منبه قال لم يكن لأيوب أكلة انما كان يخرج به مثل ثدي النساء ثم ينفقه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا مخلد بن حسين عن هشام عن الحسن وحجاج عن مبارك عن الحسن زاد أحدهما على الآخر قال ان أيوب آتاه الله مالا وأوسع عليه وله من النساء والبقر والغنم والابل وان عدو الله ابليس قيل له هل تقدر أن تفتن أيوب قال رب ان أيوب أصبح في دنيا من مال وولد ولا يستطيع أن لا يشكرك ولكن سلطني على ماله وولده فسترى كيف يطيعني ويعصيك قال فسلطه على ماله وولده قال فكان يأتي بالماشية من ماله من الغنم فيحرقها بالنيران ثم يأتي أيوب وهو يصلي متشبها براعي الغنم فيقول يا أيوب تصلي لربك ما ترك الله لك من ماشيتك شيأ من الغنم الا أحرقها بالنيران وكنت ناحية فجئت لأخبرك قال فيقول أيوب اللهم أنت أعطيت وأنت أخذت مهما تبق نفسي أحمدك على حسن بلائك فلا يقدر منه على شئ مما يريد ثم يأتي ماشيته من البقر فيحرقها بالنيران ثم يأتي أيوب فيقول له ذلك ويرد عليه أيوب مثل ذلك قال وكذلك فعل بالابل حتى ما ترك له من ماشية حتى هدم البيت على ولده فقال يا أيوب أرسل الله على ولدك من هدم عليهم البيوت حتى هلكوا فيقول أيوب مثل ذلك قال رب هذا حين أحسنت الى الاحسان كله قد كنت قبل اليوم يشغلني حب المال بالنهار ويشغلني حب الولد بالليل شفقة عليهم فالآن أفرغ سمعي لك وبصري وليلي ونهاري بالذكر والحمد والتقديس والتهليل فينصرف عدو الله من عنده لم يصب منه شيأ مما يريد قال ثم ان الله تبارك وتعالى قال كيف رأيت أيوب قال ابليس أيوب قد علم أنك سترد عليه ماله وولده ولكن سلطني على جسده فان أصابه الضر فيه أطاعني وعصاك قال فسلط على جسده فأتاه فنفخ فيه نفخة قرح من لدن قرنه الى قدمه قال فأصابه البلاء بعد البلاء حتى جعل فوضع على مزبلة كناسة لبني اسرائيل فلم يبق له مال ولا ولد ولا صديق ولا أحد يقربه غير زوجته صبرت معه بصدق وكانت تأتيه بطعام وتحمد الله معه اذا حمد أيوب على ذلك لا يفتر من ذكر الله والتحميد والثناء على الله والصبر على ما ابتلاه الله قال الحسن فصرخ ابليس عدو الله صرخة جمع فيها جنوده من أقطار الارض جزعا من صبر أيوب فاجتمعوا اليه وقالوا له جعتنا ما خبرك ما أعياك قال أعياني هذا العبد الذي سألت ربي أن يسلطني على ماله وولده فلم أدع له مالا ولا ولدا فلم يزدد بذلك الا صبرا وثناء على الله وتحميدا له ثم سلطت على جسده فتركته قرحة ملقاة على كناسة بني اسرائيل لا يقربه الا امرأته فقد افتضحت بربي فاستعنت بكم فاعينوني عليه قال فقالوا له أين مكرك أين علمك الذي أهلكت به من مضى قال بطل ذلك كله في

من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادي الصالحون ان في هذا لبلاغا لقوم عابدين وما أرسلناك الا رحمة للعالمين قل انما يوحى الي أنما الهكم اله واحد فهل أنتم مسلمون فان تولوا فقل آذنتكم على سواء وان أدري أقريب أم بعيد ما توعدون انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون وان أدري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين قال رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون ۞ القرآت وحرم بكسر الحاء حمزة وعلي وعاصم غير حفص وأبي زيد عن المفضل فتحت بالتشديد ابن عامر ويزيد ويعقوب لا يحزنهم بضم الياء وكسر الزاء يزيد تطوى بضم التاء الفوقانية وفتح الواو والسماء بالرفع يزيد للكتب على الجمع حمزة وعلي وخلف وحفص بدأنا مثل أنشأنا قال بالالف على حكاية قول الرسول رب بحذف الياء اكتفاء بالكسرة حفص غير الخزاز رب بضم الباء على أنه مبتدأ أحكم على صيغة التفضيل يزيد عن يعقوب الباقون رب احكم يصفون على الغيبة المفضل وابن ذكوان في رواية ۞ الوقوف واحدة ز لان المقصود من قوله وأنا ربكم قوله فاعبدون وكان الكلام متصلا فاعبدون ○ بينهم ط راجعون ○ لسعيه ج لاختلاف الجملتين كاتبون ○

لا يرجعون ○ ينسلون ○ كفروا ط لاضمار القول ظالمين ○ جهنم ط واردون ○ ما وردوها ط خالدون ○ فيها ط لا يسمعون ○ الحسنى لا لأن ما بعده خبران مبعدون ○ لا لأن ما بعده خبر بعد خبر حسيسها ج لاحتمال الواو الحال والاستئناف خالدون ○ ج لاحتمال الجملة بعده أن تكون صفة أو استئنافا الملائكة ط لان التقدير قائلين هذا يومكم توعدون ○ للكتب ط لان الجار يتعلق بما بعده نعيده ط لحق المضمر أي وعدنا وعدا علينا ط فاعلين ○ الصالحون ○ عابدين ○ ط لاختلاف الجملتين للعالمين ○

واحد ج للاستفهام مع الفاء مسلمون ٥ على سواء ط لابتداء النفي توعدون ٥ تكتمون ٥ حين ٥ بالحق ط لان ما بعد مبتدأ خارج عن المقول ومن قرأ ربي احكم فوقفه مجوز لنوع عدول من الواحد الى الجمع تصفون ٥ ﴿ التفسير لما فرغ من قصص الانبياء أراد أن يذكر ما استقر عليه أمر الشرائع في آخر الزمان فقال (ان هذه أمتكم) وسيرتكم فالامة الدين والطريقة لانه أصل وقانون يرجع اليه والتركيب دلالة على ذلك وهذا اشارة الى ملة (٥٦) الاسلام أي ان هذه الملة هي طريقتكم وسيرتكم التي يجب أن تكونوا عليها لما كونها طريقة واحدة غير مختلفة (وأنا ربكم) لاغيري (فاعبدون) والخطاب للناس كافة وكان الظاهر أن يقال بعده وتقطعتم أمركم بينكم أي جعلتم أمر دينكم بينكم قطعا كما يقسم الشيء بين الجماعة فيصير لهذا نصيب ولهذا نصيب فصرتم فرقا مختلفة وأخرا باشتى الا أنه عدل من الخطاب الى الغيبة على طريقة الالتفات كأنه يقبح أمرهم الى غيرهم فيقول ألا ترون الى عظيم ما ارتكب هؤلاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال تفرقت بنو اسرائيل على احدى وسبعين فرقة فهلكت سبعون وخلصت فرقة وان أمتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة وتخلص فرقة واحدة قالوا يا رسول الله ومن الفرقة الناجية قال الجماعة الجماعة فهذا الحديث مفسر للاية من حيث ان هذه الامة يجب أن يكونوا على كلمة واحدة طعن بعضهم في الحديث أنه ان أراد بالاثنتين والسبعين فرقة أصول الاديان فانها لا تبلغ هذا العدد وان أراد الفروع فانها أضعاف هذا العدد وأجيب بأنه أراد ستفترق أمتي هذا العدد في حال ما وهذا لا ينافي كون العدد في بعض الأحوال أنقص أو أزيد قال أهل البرهان انما قال في هذه السورة فاعبدون وتقطعوا بالواو وفي المؤمنين فاتقون فتقطعوا بالفاء لان الخطاب ههنا أعم والعبادة أعم من التقوى وأيضا الخطاب يتناول الكفار وقد وجد منهم التقطع قبل هذا القول وفي سورة المؤمنين الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بدليل قوله يا أيها الرسل كلوا من الطيبات ثم قال فتقطعوا أي ظهر منهم أي من أمتهم التقطع بعد هذا القول ولأن التقطع منهم أغرب أكده هنالك بقوله زبرا وفي قوله كل الينا راجعون وعيد عظيم للفرق المختلفة ثم فصل ما آل اليهم بقوله (فمن يعمل) الآية والكفران مثل في حرمان الثواب كما أن الشكر مثل

أيوب فأشيروا علي قالوا نشير عليك أرأيت آدم حين أخرجته من الجنة من أين أتيته قال من قبل امرأته قالوا فشأنك بأيوب من قبل امرأته فانه لا يستطيع ان يعصيها وليس أحد يقربه غيرها قال أصبتم فانطلق حتى أتى امرأته وهي تصدق فتمثل لها في صورة رجل فقال أين بعلك يا أمة الله قالت هو ذاك يحك قروحه ويتردد الدواب في جسده فلما سمعها طمع أن تكون كلمة فرج فوقع في صدرها فوسوس اليها فذكرها ما كانت فيه من النعم والمال والدواب وذكرها جمال أيوب وشبابه وما هو فيه من الضر وأن ذلك لا ينقطع عنهم أبدا قال الحسن فصرخت فلما صرخت علم أن قد صرخت وجزعت أتاها بسخلة فقال ليذبح هذا الى أيوب ويبرأ قال فجاءت تصرخ يا أيوب يا أيوب حتى متى يعذبك ربك ألا يرحمك أين الماشية أين المال أين الولد أين الصديق أين لونك الحسن قد تغير وصار مثل الرماد أين جسمك الحسن الذي قد بلي وتردد فيه الدواب اذبح هذه السخلة واستراح قال أيوب أتاك عدو الله فنفخ فيك فوجد فيك رفقا وأجبته وبك أرأيت ما تبكين عليه مما تذكرين مما كنا فيه من المال والولد والصحة والشباب من أعطانيه قالت الله قال فكم متعناه قالت ثمانين سنة قال فذكم ابتلانا الله بهذا البلاء الذي ابتلانا به قالت منذ سبع سنين وأشهر قال ويلك والله ما عدلت ولا أنصفت ربك ألا صبرت حتى نكون في هذا البلاء الذي ابتلانا ربنا به ثمانين سنة كما كنا في الرخاء ثمانين سنة والله لئن شفاني الله لأجلدنك مائة جلدة هيه أمرتيني أن أذبح لغير الله طعامك وشرابك الذي تأتيني به علي حرام وأن أذوق ما تأتيني به بعد اذ قلت لي هذا فاعزبي عني فلا أراك فطردها فذهبت فقال الشيطان هذا قد وطن نفسه ثمانين سنة على هذا البلاء الذي هو فيه فباء بالغلبة ورفضه ونظر أيوب الى امرأته وقد طردها وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق قال الحسن ومر به رجلان وهو على تلك الحال ولا والله ما على ظهر الارض يومئذ أكرم على الله من أيوب فقال أحد الرجلين لصاحبه لو كان لله في هذا حاجة ما بلغ به هذا فلم يسمع أيوب شيأ كان أشد عليه من هذه الكلمة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن جرير بن حازم عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال كان لأيوب أخوان فأتياه فقاما من بعيد لا يقدران أن يدنوا منه من ريحه فقال أحدهما لصاحبه لو كان الله علم في أيوب خيرا ما ابتلاه بما أرى قال فما جزع أيوب من شيء أصابه جزعه من كلمة الرجل فقال أيوب اللهم ان كنت تعلم أني لم أبت ليلة شبعان قط وأنا أعلم مكان جائع فصدقني فصدق وهما يسمعان ثم قال اللهم ان كنت تعلم أني لم أتخذ قميصين قط وأنا أعلم مكان عار فصدقني فصدق وهما يسمعان قال ثم خر ساجدا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال حدثني مخلد بن الحسين عن هشام عن الحسن قال فقال رب اني مسني الضر ثم رد ذلك الى ربه فقال وأنت أرحم الراحمين **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن جرير عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال فقيل له ارفع رأسك فقد استجيب لك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن مبارك

فى اعطائه فى قوله فأولئك كان سعيهم مشكورا وانما لم يقل فلا يكفر سعيه لان نفى الجنس أبلغ فان نفى الماهية يستلزم نفى جميع أفرادها وفى قوله (وانا له) أى لذلك السعى (كاتبون) مبالغة أخرى فان المثبت فى الصحيفة أبعد من النسيان والغلط كما قيل قيدوا العلم بالكتابة ولا سيما اذا كان الكاتب ممن لا يجوز عليه السهو والنسيان قال المفسرون معناه حافظون لنجازى عليه وقيل مثبتون فى أم الكتاب أو فى صحف الاعمال هذا حال السعداء وأما أحوال اضدادهم فذلك قوله (وحرام) ومن قرأ حرم فانه فعل بمعنى (٥٧) مفعول والتركيب يدور على المنع أى ممتنع أو ممنوع وهذا خبر لابد له من مبتدإ وذلك قوله (أنهم لا يرجعون) أو غير ذلك والرجوع اما الرجوع عن الشرك الى الاسلام أو الرجوع الى الدنيا أو الى الآخرة وعلى الاول اما أن تكون لا زائدة أكدت للتأكيد ومعنى الآية ممتنع على أهل قرية عزمنا على اهلاكها أو قدرنا اهلاكها أن يرجعوا أو يتوبوا الى أن تقوم الساعة والمراد تصميمهم على الكفر واما ان تكون معيدة ولكن الحرام بمعنى الواجب تسمية لاحد الضدين باسم الآخر باشتراكهما فى المنع الا أن الوجوب منع عن الترك والحرمة منع عن الفعل وقد ورد فى الاستعمال مثل ذلك قال سبحانه قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا وتركه الشرك واجب وليس بمحرم وقالت الخنساء

وان حراما لا أرى الدهر باكيا
على شجوه الا بكيت على عمرو

وعلى الثانى فالاهلاك على أصله والمعنى أن رجوعهم الى الدنيا ممتنع أو عدم رجوعهم واجب الى قيام الساعة نظيره قوله فلا يستطيعون توصية ولا الى أهلهم يرجعون وعلى الثالث فقوله حتى غاية لقوله لا يرجعون أى ممتنع عدم رجوع المهلكين الى عذاب الآخرة حتى الساعة وذلك أن رجوعهم الى عذاب النار قبل الساعة واجب بقوله النار يعرضون عليها غدوا وعشيا وقال أبو مسلم أراد أن رجوعهم الى الآخرة واجب الى هذه الغاية أى أنهم يكونون أول الناس حضورا فى محفل القيامة وعلى الرابع فالمعنى وحرام عليهم ذلك وهو المذكور من السعى المشكور غير المكفور لانهم لا يرجعون عن الكفر الى أن تقوم الساعة قوله تعالى (حتى اذا فتحت) حتى هى التى يقع بعدها الجملة وهى ههنا مجموع الشرط والجزاء واذا المفاجأة تسد مسد فاء الجزاء وقد يجمع بينهما

عن الحسن ومخلد عن هشام عن الحسن دخل حديث أحدهما فى الآخر قالا فقيل له اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فركض برجله فنبعت عين فاغتسل منها فلم يبق عليه من دائه شئ ظاهر الا سقط فأذهب الله كل ألم وكل سقم وعاد اليه شبابه وجماله أحسن ما كان وأفضل ما كان ثم ضرب برجله فنبعت عين أخرى فشرب منها فلم يبق فى جوفه داء الا خرج فقام صحيحا وكسى حلة قال فجعل يتلفت ولا يرى شيأ مما كان له من أهل ومال الا وقد أضعفه الله له حتى والله ذكر لنا ان الماء الذى اغتسل به تطاير على صدره جرادا من ذهب قال فجعل يضمه بيده فأوحى الله اليه يا أيوب ألم أغنك قال بلى ولكنها بركتك فمن يشبع منها قال فخرج حتى جلس على مكان مشرف ثم ان امرأته قالت أرأيت ان كان طردنى الى من أكله أدعه يموت جوعا أو يضيع فتأكله السباع لأرجعن اليه فرجعت فلا كناسة ترى ولا من تلك الحال التى كانت واذا الامور قد تغيرت فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكى وذلك بعين أيوب قالت وهابت صاحب الحلة أن تأتيه فتسأل عنه فأرسل اليها أيوب فدعاها فقال ما تريدين يا أمة الله فبكت وقالت أردت ذلك المبتلى الذى كان منبوذا على الكناسة لا أدرى أضاع أم ما فعل قال لها أيوب ما كان منك فبكت وقالت بعلى فهل رأيته وهى تبكى انه قد كان ههنا قال وهل تعرفينه اذا رأيتيه قالت وهل يخفى على أحد رآه ثم جعلت تنظر اليه وهى تهابه ثم قالت أما انه كان أشبه خلق الله به اذ كان صحيحا قال فانى أنا أيوب الذى أمرتينى أن أذبح للشيطان وانى أطعت الله وعصيت الشيطان فدعوت الله فرد على ما ترين قال الحسن ثم ان الله رحمها بصبرها معه على البلاء أن أمره تخفيفا عنها أن يأخذ جماعة من الشجر فيضربها ضربة واحدة تخفيفا عنها بصبرها معه **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وأيوب اذ نادى ربه أنى مسنى الضر الى آخر الآيتين فانه لما مسه الشيطان بنصب وعذاب أنساه الله الدعاء أن يدعوه فيكشف ما به من ضر غير أنه كان يذكر الله كثيرا ولا يزيده البلاء فى الله الا رغبة وحسن ايمان فلما انتهى الأجل وقضى الله أنه كاشف ما به من ضر أذن له فى الدعاء ويسره له وكان قبل ذلك يقول تبارك وتعالى لا ينبغى لعبدى أيوب أن يدعونى ثم لا أستجيب له فلما دعا استجاب له وأبدله بكل شئ ذهب له ضعفين رد اليه أهله ومثلهم معهم وأثنى عليه فقال انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب * واختلف أهل التأويل فى الأهل الذى ذكر الله فى قوله وآتيناه أهله ومثلهم معهم أهم أهله الذين أوتيهم فى الدنيا أم ذلك وعد وعده الله أيوب أن يفعل به فى الآخرة فقال بعضهم انما آتى الله أيوب فى الدنيا مثل أهله الذين هلكوا فانهم لم يردوا عليه فى الدنيا وانما وعد الله أيوب أن يؤتيه اياهم فى الآخرة **حدثنى** أبو السائب سلم بن جنادة قال ثنا ابن ادريس عن ليث قال أرسل مجاهد رجلا يقال له قاسم الى عكرمة يسأله عن قول الله لأيوب وآتيناه أهله ومثلهم معهم فقال قيل له ان أهلك لك فى الآخرة فان شئت عجلناهم لك فى الدنيا وان شئت كانوا لك فى الآخرة وآتيناك

للتعاون على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد وانما احتيج الى هذا التأكيد لان الشرط يحصل فى آخر أيام الدنيا والجزاء انما يحصل يوم القيامة ولعل بينهما فاصلة بالزمان الا أن التفاوت القليل كالمعدوم والمضاف محذوف أى سد ياجوج وماجوج وتانينك لانهما قبيلتان وهما من جنس الانس كما مر فى آخر الكهف يقال الناس عشرة أجزاء تسعة منها ياجوج وماجوج وفى الحد ان منكم واحدا ومن ياجوج وماجوج ألف (٥٨) قوله (وهم من كل حدب ينسلون) قال أكثر المفسرين الضمير لياجوج وما يخرجون حين يفتح السد وعن مجاهد أنه لجميع المكلفين الذين يساقون الى المحشر والحدب ما ارتفع من الارض والنسل الاسراع (واقترب) عطف على فتحت وهو داخل فى الشرط و (الوعد الحق) القيامة وقوله (فاذا هى شاخصة) كقوله فى سورة ابراهيم ليوم تشخص فيه الابصار وقال فى الكشاف هى ضمير مبهم توضحه الابصار وتفسره قلت فعلى هذا هى مبتدأ وشاخصة خبره وأبصار بدل هى ولو قيل هى ضمير القصة مبتدأ والجملة التى هى أبصار الذين كفروا شاخصة خبره جاز وهو قول سيبويه ثم ههنا اضمار أى يقولون (ياويلنا) وهو فى موضع الحال من الذين كفروا والعامل شاخصة (قد كنا فى غفلة من هذا) الوعد أو الامر (بل كنا ظالمين) أنفسنا بتلك الغفلة وبتكذيب الرسل وعبادة الاوثان ثم بين حال معبوديهم يوم القيامة فقال (انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) أى محصوب بها بمعنى محصوب فيها والحصب الرمى ومنه الحصباء لانه يرمى بها الشئ وقرئ حطب واللام فى قوله (أنتم لها واردون) كاللام فى قوله هو لزيد ضارب وذلك لضعف عمل اسم فيما تقدم عليه والمعنى لابد لكم أن تردوها ولا معدل لكم عن دخولها ثم ألزمهم الحجة بقوله (لو كان هؤلاء) المعبودون (آلهة) فى الحقيقة (ما وردوها) لكنهم واردوها للخبر الصادق الذى يتنبه لصدقه من يتأمل فى اعجازه فينتج أن هؤلاء ليسوا وأنها لا تستحق تعظيما أصلا ثم أخبر أنهم بعد ورودهم النار لا يخلصون منها أبدا فقال (وكل) أى من العابدين والمعبودين (فيها لهم فيها زفير) قد سبق معانيه فى آخر سورة هود (وهم فيها لا يسمعون) شيأ اما لانهم يجعلون فى توابيت من نار عن ابن مسعود وا

مثلهم فى الدنيا فقال يكونون لى فى الآخرة وأوتى مثلهم فى الدنيا قال فرجع الى مجاهد فقال أم * وقال آخرون بل ردهم اليه بأعيانهم وأعطاه مثلهم معهم ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن قال ثنا حكام بن سلم عن أبى سنان عن ثابت عن الضحاك عن ابن مسعود وآتيناه أهله و معهم قال أهله بأعيانهم **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى عن أبيه عن ابن عباس قال لما دعا أيوب استجاب الله له وأبدله بكل شئ ذهب له ضعفين رد اليه ومثلهم معهم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجا ووهبنا له أهله ومثلهم معهم قال أحياهم بأعيانهم ورد اليه مثلهم (١) **حدثنا** ابن حميد قال جرير عن ليث عن مجاهد فى قوله وآتيناه أهله ومثلهم معهم قال قيل له ان شئت أحييناهم لك شئت كانوا لك فى الآخرة وتعطى مثلهم فى الدنيا فاختار أن يكونوا فى الآخرة ومثلهم فى ال **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وآتيناه أهله ومثلهم معهم (٣) قال الح وقتادة أحيا الله أهله بأعيانهم وزاده اليهم مثلهم * وقال آخرون بل آتاه المثل من نسل ماله رده عليه وأهله فأما الاهل والمال فانه ردهما عليه ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن عبدالأ قال ثنا ابن ثور عن معمر عن رجل عن الحسن ومثلهم معهم قال من نسلهم وقوله رحمة ن بمعنى فعلنا بهم ذلك رحمة منا له وقوله وذكرى للعابدين يقول وتذكرة للعابدين ربهم فعلنا ذل ليعتبروا به ويعلموا أن الله قد يبتلى أولياءه ومن أحب من عباده فى الدنيا بضروب من الب فى نفسه وأهله وماله من غير هوان به عليه ولكن اختبارا منه له ليبلغ بصبره عليه واحتسابه وحسن يقينه منزلته التى أعدها له تبارك وتعالى من الكرامة عنده وقد **حدثنا** القاسم ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى معشر عن محمد بن كعب القرظى فى قوله رحمة من ع وذكرى للعابدين قال أيما مؤمن أصابه بلاء فذكر ما أصاب أيوب فليقل قد أصاب من هو خ منا نبيا من الانبياء ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ واسمعيل وادريس وذا الكف كل من الصابرين وأدخلناهم فى رحمتنا انهم من الصالحين ﴾ يعنى تعالى ذكره باسمع اسمعيل بن ابراهيم صادق الوعد وبادريس اخنوخ وبذى الكفل رجلا تكفل من بع الناس اما من نبى واما من ملك من صالحى الملوك بعمل من الاعمال فقام به من بعده فأثنى عليه حسن وفائه بما تكفل به وجعله من المعدودين فى عباده مع من حمد صبره على طاع وبالذى قلنا فى أمر هؤلاء جاءت الاخبار عن سلف العلماء ذكر الرواية بذلك عنهم **حدثنا** محمد بن قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن عبدالله بن الحرث أن نبى الانبياء قال من تكفل لى أن يصوم النهار ويقوم الليل ولا يغضب فقام شاب فقال أنا فقال اجلس عاد فقال من تكفل لى أن يقوم الليل ويصوم النهار ولا يغضب فقام ذلك الشاب فقال أنا فق اجلس ثم عاد فقال من تكفل لى أن يقوم الليل ويصوم النهار ولا يغضب فقام ذلك الشاب فق

---

(١) هذا يناسب الاستشهاد على عدم ردهم بأعيانهم فلعله مؤخر من تقديم تأمل

تعالى يصمهم كما يعميهم والصمم فى بعض الاوقات لا ينافى كونهم سامعين أقوال أهل الجنة فى غير ذلك الوقت أو المراد أنهم لا يسمعون ما يسرهم أو الضمير للمعبودين والسماع سماع اجابة وعلى هذا فالضمير فى لهم فى فيهاز فير للعابدين وجاز اعتمادا على فهم السامع حيث يرد كلا من الضميرين الى ما يناسبهما كأنه قيل العابد يدعو والمعبود لا يجيب ويجوز أن يكون للمعبودين أيضا لان فيهم من يتأتى منه الزفير كالشياطين فغلب أولان الجماد ينطقه الله وقتئذ والزفير بمعنى اللهيب والله أعلم روى أن (٥٩) رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وصناديد

أنا فقال تقوم الليل وتصوم النهار ولا تغضب فمات ذلك النبى فجلس ذلك الشاب مكانه يقضى بين الناس فكان لا يغضب فجاءه الشيطان فى صورة انسان ليغضبه وهو صائم يريد أن يقبل فضرب الباب ضربا شديدا فقال من هذا فقال رجل له حاجة فأرسل معه رجلا فقال لا أرضى بهذا الرجل فأرسل معه آخر فقال لا أرضى بهذا فخرج اليه فأخذ بيده فانطلق معه حتى اذا كان فى السوق خلاه وذهب فسمى ذا الكفل **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا عفان بن مسلم قال ثنا وهيب قال ثنا داود عن مجاهد قال لما كبر اليسع قال لو أنى استخلفت على الناس رجلا يعمل عليهم فى حياتى حتى أنظر كيف يعمل قال فجمع الناس فقال من يتقبل لى بثلاث أستخلفه يصوم النهار ويقوم الليل ولا يغضب قال فقام رجل تزدريه العين فقال أنا فقال أنت تصوم النهار وتقوم الليل ولا تغضب قال نعم قال فردهم ذلك اليوم وقال مثلها اليوم الآخر فسكت الناس وقام ذلك الرجل فقال أنا فاستخلفه قال فجعل ابليس يقول للشياطين عليكم بفلان فأعياهم فقال دعونى واياه فأتاه فى صورة شيخ كبير فقير فأتاه حين أخذ مضجعه للقائلة وكان لا ينام الليل والنهار الا تلك النومة فدق الباب فقال من هذا قال شيخ كبير مظلوم قال فقام ففتح الباب فجعل يقص عليه فقال ان بينى وبين قومى خصومة وانهم ظلمونى وفعلوا بى وفعلوا فجعل يطول عليه حتى حضر الرواح وذهبت القائلة وقال اذا رجعت فأتنى آخذ لك بحقك فانطلق وراح فكان فى مجلسه فجعل ينظر هل يرى الشيخ فلم يره فجعل يتغيبه فلما كان الغد جعل يقضى بين الناس وينتظره فلا يراه فلما رجع الى القائلة فأخذ مضجعه أتاه فدق الباب فقال من هذا قال الشيخ الكبير المظلوم ففتح له فقال ألم أقل لك اذا قعدت فأتنى فقال انهم أخبث قوم اذا عرفوا أنك قاعد قالوا نحن نعطيك حقك واذا قمت جحدونى قال فانطلق فاذا رجعت فأتنى قال ففاتته القائلة فراح فجعل ينظر فلا يراه فشق عليه النعاس فقال لبعض أهله لا تدعن أحدا يقرب هذا الباب حتى أنام فانى قد شق على النوم فلما كان تلك الساعة جاء فقال له الرجل وراءك فقال انى قد أتيته أمس فذكرت له أمرى قال والله لقد أمرنا أن لا ندع أحدا يقربه فلما أعياه نظر فرأى كوة فى البيت فتسور منها فاذا هو فى البيت واذا هو يدق الباب قال واستيقظ الرجل فقال يا فلان ألم آمرك قال أما من قبلى والله فلم تؤت فانظر من أين أتيت قال فقام الى الباب فاذا هو مغلق كما أغلقه واذا هو معه فى البيت فعرفه فقال أعدو الله قال نعم أعييتنى فى كل شئ ففعلت ما ترى لأغضبك فسماه ذا الكفل لانه تكفل بأمر فوفى به **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فى قوله وذا الكفل قال رجل صالح غير نبى تكفل لنبى قومه أن يكفيه أمر قومه ويقيمه لهم ويقضى بينهم بالعدل ففعل ذلك فسمى ذا الكفل **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بنحوه الا أنه قال ويقضى بينهم بالحق **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن أبى معشر عن محمد بن قيس

قريش فى الحطيم وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فجلس اليهم فعرض له النضر بن الحرث وكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ألحمه ثم تلا عليهم انكم وما تعبدون من دون الله الآية فأقبل عبد الله بن الزبعرى فأخبره الوليد ابن المغيرة بما جرى فقال معترضا أليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال عليه السلام بل هم عبدوا الشياطين التى أمرتهم بذلك وأنزل الله تعالى ان الذين سبقت الآية فخرج من الحديث والآية جواب ابن الزبعرى على أتم وجه وأكمله كأنه قيل أولا ان الآية باقية على عمومها الآن الذين عبدوا عزيرا والمسيح والملائكة لم يعبدوهم فى الحقيقة وانما عبدوا الشياطين التى دعتهم الى ذلك ولئن سلم أنهم عبدوهم فى الحقيقة لكنهم مخصوصون بما سبقت لهم منا الخصلة الحسنى وهى السعادة أو البشرى بالثواب أو بتوفيق الطاعة وكل ميسر لما خلق له ومن المفسرين من أجاب عن اعتراض ابن الزبعرى بوجوه أخر منها أن قوله انكم خطاب لمشركى قريش وانهم لم يعبدوا سوى الاصنام ولقائل أن يقول حمل الآية على العموم أتم فائدة ومنها أن قوله وما تعبدون لا يتناول العقلاء فيسقط الاعتراض ولقائل أن يقول ما أعم لما بين فيشمل ذوى العقول وغيرهم ولهذا جاء والسماء وما بناها سبحان ما سخركن لنا ومنها أنه تعالى يصور لهم فى النار ملكا على صورة من عبدوه وضعف بأن القوم لم يعبدوا تلك الصورة وبأن الملك لا يتعذب بالنار لكرامته جهنم واعلم أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فقوله (ان الذين) لا يبعد أن يكون عاما لكل المؤمنين ويؤيده ما روى أن على اقرأ هذه الآية ثم قال أنا منهم وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف وزعم مثبتو العفو أن الحسنى فى الآية هى الوعد بالعفو

لانه قال أولئك عنها مبعدون بازاء قوله أنتم لها واردون والورود الدخول فالابعاد الاخراج من النار بعد أن كانوا فيها وأيضا إبعاد البعيد محال وقوله (لا يسمعون حسيسها) اذ الصوت الذى يحس به مخصوص بما بعد الاخراج وأيضا قوله لا يحزنهم الفزع الاكبر يفهم منه أنه يحزنهم الفزع الاصغر فالاكبر عذاب الكفار والاصغر عذاب صاحب الكبيرة والاكثرون على أن المراد من قوله مبعدون أنهم لا يدخلون النار ولا يقربونها البتة لان ما جعل بعيدا عن شئ ابتداء يحسن أن يقال انه أبعد عنه وهؤلاء لم يفسروا الورود فى قوله وان منكم الا واردها بالدخول كما مر فى سورة مريم وفى قوله لا يسمعون حسيسها تأكيد للابعاد فقد لا يدخل النار ويسمع حسيسها ثم بين أنهم مع البعد عن المنافى منتفعون بالقرب من الملائم ملتذون به على سبيل التأبيد فقال (وهم فيما اشتهت) به (أنفسهم) أى فيما تطلبه للالتذاذ به (خالدون) هذا نصيب أهل الجنة وأما أهل الله فهم فيما اشتهت قلوبهم وأرواحهم وأسرارهم خالدون والفزع الاكبر قيل النفخة الاخيرة لقوله ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الارض وعن الحسن هو الانصراف الى النار فانه لا فزع أكبر مما اذا شاهدوا النار وهذا أمر يشترك فيه أهل النار جميعا ثم مراتب التعذيب بعد ذلك متفاوتة وعن الضحاك وسعيد بن جبير هو حين تطبق النار على أهلها فيفزعون لذلك فزعة عظيمة وقيل حين يذبح الموت على صورة كبش أملح فعند ذلك يستقر أهل النار فى النار وأهل الجنة فى الجنة وتستقبلهم الملائكة مهنئين قائلين (هذا يومكم) أى وقت ثوابكم (الذى كنتم توعدون) ذلك قال الضحاك هم الحفظة الذين كتبوا أعمالهم والعامل فى (يوم نطوى السماء) لا يحزنهم أو تتلقاهم فنادى

قال كان فى بنى اسرائيل ملك صالح فكبر فجمع قومه فقال أيكم يكفل لى بملكى هذا على أن يصوم النهار ويقوم الليل ويحكم بين بنى اسرائيل بما أنزل الله ولا يغضب قال فلم يقم أحد الا فتى شاب فازدراه لحداثة سنه فقال أيكم يكفل لى بملكى هذا على أن يصوم النهار ويقوم الليل ولا يغضب ويحكم بين بنى اسرائيل بما أنزل الله فلم يقم الا ذلك الفتى قال فازدراه فلما كانت الثالثة قال مثل ذلك فلم يقم الا ذلك الفتى فقال تعال فخلى بينه وبين ملكه فقام الفتى ليله فلما أصبح جعل يحكم بين بنى اسرائيل فلما انتصف النهار دخل ليقيل فأتاه الشيطان فى صورة رجل من بنى آدم فجذب ثوبه فقال أتنام والخصوم ببابك قال اذا كان العشية فأتنى قال فانتظره بالعشى فلم يأته فلما انتصف النهار دخل ليقيل جذب ثوبه وقال أتنام والخصوم على بابك قال قلت لك ائتنى العشى فلم تأتنى ائتنى بالعشية فلما كان بالعشى انتظره فلم يأت فلما دخل ليقيل جذب ثوبه فقال أتنام والخصوم ببابك قال أخبرنى من أنت لو كنت من الانس سمعت ما قلت قال هو الشيطان جئت لأفتنك فعصمك الله منى فقضى بين بنى اسرائيل بما أنزل الله زمانا طويلا وهو ذو الكفل سمى ذا الكفل لانه تكفل بالملك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن أبى موسى الاشعرى قال وهو يخطب الناس ان ذا الكفل لم يكن نبيا ولكن كان عبدا صالحا تكفل بعمل رجل صالح عند موته كان يصلى لله كل يوم مائة صلاة فأحسن الله عليه الثناء فى كفالته اياه **حدثنا** ابن حميد قال ثنا الحكم قال ثنا عمرو قال أما ذو الكفل فانه كان على بنى اسرائيل ملك فلما حضره الموت قال من يكفل لى أن يكفينى بنى اسرائيل ولا يغضب ويصلى كل يوم مائة صلاة فقال ذو الكفل أنا فجعل ذو الكفل يقضى بين الناس فاذا فرغ صلى مائة صلاة فكاده الشيطان فأمهله حتى اذا قضى بين الناس وفرغ من صلاته وأخذ مضجعه فنام أتى الشيطان بابه فجعل يدقه فخرج اليه فقال ظلمت وصنع بى وصنع فأعطاه خاتمه وقال اذهب فأتنى بصاحبك وانتظره فأبطأ عليه الآخر حتى اذا عرف أنه قد نام وأخذ مضجعه أتى الباب أيضا كى يغضبه فجعل يدقه وخدش وجه نفسه فسالت الدماء فخرج اليه فقال مالك فقال لم يتبعنى وضربت وفعل فأخذه ذو الكفل وأنكر أمره فقال أخبرنى من أنت وأخذه أخذا شديدا قال فأخبره من هو **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله وذا الكفل قال قال أبو موسى الاشعرى لم يكن ذو الكفل نبيا ولكنه كفل بصلاة رجل كان يصلى كل يوم مائة صلاة فوفى فكفل بصلاته فلذلك سمى ذا الكفل ونصب اسمعيل وادريس وذا الكفل عطفا على أيوب ثم استؤنف بقوله كل فقال كل من الصابرين ومعنى الكلام كلهم من أهل الصبر فيما نابهم فى الله وقوله وأدخلناهم فى رحمتنا انهم من الصالحين يقول تعالى ذكره وأدخلنا اسمعيل وادريس وذا الكفل والهاء والميم عائدتان عليهم فى رحمتنا انهم من الصالحين يقول انهم ممن صلح فأطاع الله وعمل بما أمره ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه

والسجل اسم للطومار الذى يكتب فيه وعن ابن عباس أنه ملك يطوى كتب بنى آدم اذا رفعت اليه وهو مروى أيضا عن على رضى عنه وروى أيضا أبو الجوزاء عن ابن عباس أنه كاتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بمعروف قال الزجاج هو الرجل بلغة الحبش فعلى هذه الوجوه فالطى وهو المصدر مضاف الى الفاعل وعلى الوجه الاول هو مضاف الى المفعول والفاعل محذوف كطى الطاوى للسجل

وهو قول الاكثرين واشتقاقه من السجل الدلو العظيم وقد قرئ به والتركيب يدل على الامتلاء والاجتماع ولهذا لايسمى الدلو سجلا الا اذا كان فيه ماء ومنه أسجلت الحوض ملأته وقوله (للكتاب) أى للكتابة ومعناه ليكتب فيه أولما يكتب فيه لان الكتاب أصله المصدر كالبناء ثم يوقع على المكتوب ومن جمع فعناه للمكتوبات أى ما يكتب فيه من المعانى الكثيرة وكيفية هذا الطى لا يعلمها الا من أخبر عن ذلك أما قوله (كما بدأنا) فمن المفسرين من قال انه ابتداء كلام ومنهم من قال انه وصف قوله (٦١) هذا يومكم الذى كنتم توعدون بقوله يوم نطوى ثم عقبه بوصف آخر فقال كما بدأنا أول خلق وهو مفعول نعيد الذى يفسره (نعيده) وما كافة أى نعيد أول الخلق كما بدأناه تشبيها للاعادة بالابتداء فى تناول القدرة لهما على السواء فكما أوجده أولا عن عدم يعيده ثانيا عن عدم ومنهم من قال الاعادة انما تتعلق بالضم والتركيب بعد تفريق الاجزاء الاصلية والآية لا تطابقه كل المطابقة وأول خلق كقولك هو أول رجل أى اذا فضلت رجلا رجلا فهو أولهم وانما خص أول الخلائق بالذكر تصويرا للايجاد عن العدم ودفعا للاعتراض وجوز جار الله أن تنتصب الكاف بفعل مضمر يفسره نعيده وما موصولة أى نعيد مثل الذى بدأنا نعيده وأول خلق ظرف لبدأنا أى أول ما خلق أو حال من ضمير الموصول الساقط من اللفظ وقوله (وعدا) مصدر مؤكد لان قوله نعيد عدة للاعادة وقيل أراد حتما (علينا) لسبب الاخبار عن ذلك وتعلق العلم بوقوعه فان وقوع ما علم الله وقوعه واجب ثم حقق ذلك بقوله (انا كنا فاعلين) أى سنفعل ذلك لامحالة فانا قادرون عليه عن سعيد بن جبير ومجاهد والكلبى ومقاتل وابن زيد أن الزبور جنس للكتب المنزلة كلها والذكر أم الكتاب يعنى اللوح ففيه كتابة كل ما سيكون

فنادى فى الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين ﴾ يقول تعالى ذكره واذكر يا محمد ذا النون يعنى صاحب النون والنون الحوت وانما عنى بذى النون يونس بن متى وقد ذكرنا قصته فى سورة يونس بما أغنى عن ذكره فى هذا الموضع وقوله اذ ذهب مغاضبا يقول حين ذهب مغاضبا * واختلف أهل التأويل فى معنى ذهابه مغاضبا وعمن كان ذهابه وعلى من كان غضبه فقال بعضهم كان ذهابه عن قومه وأياهم غاضب ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وذا النون اذ ذهب مغاضبا يقول غضب على قومه **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله اذ ذهب مغاضبا أما غضبه فكان على قومه * وقال آخرون ذهب عن قومه مغاضبا لربه اذ كشف عنهم العذاب بعد ما وعدهموه ذكر من قال ذلك وذكر سبب مغاضبته ربه فى قولهم **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن يزيد ابن زياد عن عبد الله بن أبى سلمة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال بعثه الله يعنى يونس الى أهل قريته فردوا عليه ما جاءهم به وامتنعوا منه فلما فعلوا ذلك أوحى الله اليه انى مرسل عليهم العذاب فى يوم كذا وكذا فاخرج من بين أظهرهم فأعلم قومه الذى وعده الله من عذابه اياهم فقالوا ارمقوه فان خرج من بين أظهركم فهو والله كائن ما وعدكم فلما كانت الليلة التى وعدوا بالعذاب فى صبحها أدلج وراءه القوم فخرجوا من القرية الى برازين أرضهم وفرقوا بين كل دابة وولدها ثم عجوا الى الله فاستقالوه فأقالهم وتنظر يونس الخبر عن القرية وأهلها حتى مر به ما زعم فقال ما فعل أهل القرية فقال فعلوا أن نبيهم خرج من بين أظهرهم عرفوا انه صدقهم ما وعدهم من العذاب فخرجوا من قريتهم الى برازين الارض ثم فرقوا بين كل ذات ولد وولدها وعجوا الى الله وتابوا اليه فقبل منهم وأخر عنهم العذاب قال فقال يونس عند ذلك وغضب والله لا أرجع اليهم كذابا أبدا وعدتهم العذاب فى يوم ثم رد عنهم ومضى على وجهه مغاضبا **حدثنا** ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا عوف عن سعيد بن أبى الحسن قال بلغنى أن يونس لما أصاب الذنب انطلق مغاضبا لربه واستزله الشيطان **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى يحيى بن زكريا بن أبى زائدة عن مجالد بن سعيد عن الشعبى فى قوله اذ ذهب مغاضبا قال مغاضبا لربه **حدثنا** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن اسمعيل بن عبد الملك عن سعيد بن جبير فذكر نحو حديث ابن حميد عن سلمة وزاد فيه قال فخرج يونس ينظر العذاب فلم ير شيأ قال جربوا علىّ كذبا فذهب مغاضبا لربه حتى أتى البحر **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا محمد بن اسحق عن ربيعة ابن أبى عبد الرحمن عن وهب بن منبه اليمانى قال سمعته يقول ان يونس بن متى كان عبدا صالحا وكان فى خلقه ضيق فلما حملت عليه أثقال النبوة ولها أثقال لا يحملها الا قليل تفسخ تحتها تفسخ الربع تحت الحمل فقذفها بين يديه وخرج هاربا منها يقول الله لنبيه صلى الله عليه وسلم فاصبر كما صبر

اعتبار الملائكة وكتب الانبياء كلهم منتسخة منه وعن قتادة أن الزبور هو القرآن والذكر هو التوراة وعن الشعبى أن الزبور هو كتاب داود عليه السلام والذكر التوراة وجوز الامام فخر الدين أن يراد بالذكر العلم أى كتبنا فيه بعد أن كنا عالمين غير ساهين والمراد تحقيق وقوع المكتوب فيه والارض أرض الجنة والعباد الصالحون هم المؤمنون العاملون بما يجب عليهم نظيره قوله وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين قاله ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد والسدى وأبو العالية وانما ذهبوا الى هذا القول لان أرض الدنيا

تعم الصالح وغير الصالح ولان الآية وردت بعد ذكر الاعادة وعن ابن عباس أيضا فى رواية الكلبى أنها أرض الدنيا يرثها المؤمنون بعد اجلاء الكفار نظيره وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض وقيل الأرض المقدسة يرثها أمة محمد صلى الله عليه وسلم عند نزول عيسى بن مريم (ان فى هذا) الذى ذكر فى السورة من الاخبار والوعد والوعيد وغير ذلك (لبلاغا) لكفاية (لقوم عابدين) عاملين بما ينبغى عمله من الخيرات بعد ما علموا من كيفية أدائها والبلاغ ما يبلغ به المرء مطلوبه من الوسائط والوسائل ولا مطلوب أجل من سعادة الدارين فكل من كان وسيلة الى نيل هذا المطلوب على الوجه الأتم الاكمل كان وجوده رحمة من الله للطالب المتحير وماذاك الا الخاتم النبيين فلهذا قال (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) وكونه رحمة للكل لا ينافى قتله بعض الكفرة والتعرض لاموالهم وأولادهم كما أن كى بعض أعضاء المريض بل قطعه لا ينافى حذق الطبيب واشفاقه على المريض ومن هنا قيل آخر الدواء الكى والعاقل لا ينسب التقصير الى الفاعل لقصور فى القابل قالت المعتزلة لو كان كفر الكافر بخلق الله لم يكن ارسال الرسول رحمة له لانه لا يحصل له حينئذ الا لزوم الحجة عليه وأجيب بأن كونه رحمة للفجار هو أنهم أمنوا بسببه عذاب الاستئصال ولا يلزم أن يكون الرسول رحمة للمؤمنين من جهة كونه رحمة للكافرين والجواب المحقق أن كونه رحمة عامة بالنسبة الى أمة الدعوة لا ينافى كونه رحمة خاصة بالنسبة الى أمة الاجابة وهو قريب مما ذكرناه أولا والحجة وتبعتها لازمة على الكافر وان لم يبعث النبى غايته أنها بعد البعثة ألزم وفى الآية دلالة على أن النبى صلى الله عليه وسلم أفضل من الملائكة لانه رحمة لهم فانهم من العالمين وعورض بقوله ويستغفرون لمن فى الارض والاستغفار رحمة والجواب أن الرحمة بمعنى كونه فى نفسه مكملا كاملا فى الغاية غير الرحمة بمعنى الدعاء فلا يلزم من كون الاول سببا للافضلية كون الثانى كذلك ثم بين أن أصل تلك الرحمة وأسها هو دعاؤه الى التوحيد والبراءة عن الشرك فقال (قل انما يوحى الى) ان كانت ما موصولة فمعناه ان الذى يوحى الى هو أن وصفه تعالى مقصور على الوحدانية لا يتجاوز الى ما يناقضها أو يضادها بأى قسمة فرضت وان كانت كافة فالمعنى أن الوحى مقصور على استئثار الله بالوحدة وذلك أن القصر يكون أبدا الى انما وفى قوله (فهل أنتم مسلمون) بعث لهم على قبول هذا الوحى الذى هو أصل التكاليف كلها وفيه نوع من التهديد فلذلك صرح به

أولوا العزم من الرسل واصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت أى لا تلق أمرى كما ألقاه وهذا القول أعنى قول من قال ذهب عن قومه مغاضبا لربه أشبه بتأويل الآية وذلك لدلالة قوله فظن أن لن نقدر عليه على ذلك على أن الذين وجهوا تأويل ذلك الى أنه ذهب مغاضبا لقومه انما زعموا أنهم فعلوا ذلك استنكارا منهم أن يغاضب نبى من الانبياء ربه واستعظاما له وهم بقيلهم انه ذهب مغاضبا لقومه قد دخلوا فى أمر أعظم مما أنكروا وذلك أن الذين قالوا ذهب مغاضبا لربه اختلفوا فى سبب ذهابه كذلك فقال بعضهم انما فعل ما فعل من ذلك كراهة أن يكون بين قوم قد جربوا عليه الخلف فيما وعدهم واستحيا منهم ولم يعلم السبب الذى دفع به عنهم البلاء وقال بعض من قال هذا القول كان من أخلاق قومه الذين فارقهم قتل من جربوا عليه الكذب عسى أن يقتلوه من أجل أنه وعدهم العذاب فلم ينزل بهم ما وعدهم من ذلك وقد ذكرنا الرواية بذلك فى سورة يونس فكرهنا اعادته فى هذا الموضع * وقال آخرون بل انما غاضب ربه من أجل أنه أمر بالمصير الى قوم لينذرهم بأسه ويدعوهم اليه فسأل ربه أن ينظره ليتأهب للشخوص اليهم فقيل له الامر أسرع من ذلك ولم ينظر حتى شاء أن ينظر الى أن يأخذ نعلا ليلبسها فقيل له نحو القول الاول وكان رجلا فى خلقه ضيق فقال أعجلنى ربى أن آخذ نعلا فذهب مغاضبا وممن ذكر هذا القول عنه الحسن البصرى

حدثنى بذلك الحرث قال ثنا الحسن بن موسى عن أبى هلال عن شهر بن حوشب عنه * قال أبو جعفر وليس فى واحد من هذين القولين من وصف نبى الله يونس صلوات الله عليه شئ الا وهو دون ما وصفه به ما وصفه الذين قالوا ذهب مغاضبا لقومه لان ذهابه عن قومه مغاضبا لهم وقد أمره الله تعالى بالمقام بين أظهرهم ليبلغهم رسالته ويحذرهم بأسه وعقوبته على تركهم الايمان به والعمل بطاعته لا شك أن فيه ما فيه ولولا أنه قد كان صلى الله عليه وسلم أتى ما قاله الذين وصفوه بإتيان الخطيئة لم يكن الله تعالى ذكره ليعاقبه العقوبة التى ذكرها فى كتابه ويصفه بالصفة التى وصفه بها فيقول لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم ويقول فالتقمه الحوت وهو مليم فلولا أنه كان من المسبحين للبث فى بطنه الى يوم يبعثون وقوله فظن أن لن نقدر عليه اختلف أهل التأويل فى تأويله فقال بعضهم معناه فظن أن لن نعاقبه بالتضييق عليه من قولهم قدرت على فلان اذا ضيقت عليه كما قال الله جل ثناؤه ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله ذكر من قال ذلك

حدثنى على قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فظن أن لن نقدر عليه يقول ظن أن لن يأخذه العذاب الذى أصابه

حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فظن أن لن نقدر عليه يقول ظن أن لن نقضى عليه عقوبة ولا بلاء فيما صنع بقومه فى غضبه اذ غضب عليهم وفراره وعقوبته أخذ النون اياه

حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن الحكم عن مجاهد أنه قال فى هذه الآية فظن أن لن نقدر عليه قال فظن أن لن نعاقبه بذنبه

قائلا (فان تولوا فقل آذنتكم) أى أعلمتكم والمراد ههنا أخص من ذلك وهو الانذار (على سواء) هو الدعاء الى الحرب مجاهرة كقوله فانبذ اليهم على سواء الى وقت أى حال كونكم مستوين فى ذلك لا فرق بين القريب والاجنبى والقاصى والدانى والشريف والوضيع ولهذا قال أبو مسلم الايذان على سواء هو الدعاء الى الحرب مجاهرة كقوله فانبذ اليهم على سواء وقيل أراد أعلمتكم ما هو الواجب عليكم من أصول التكاليف ولا سيما التوحيد على السوية من غير فرق فى الابلاغ بين مكلف ومكلف ولست (أدرى أقريب ما توعدون) أم بعيد والموعود قيل هو عذاب الآخرة واعترض بأنه ينافى قوله واقترب الوعد الحق وقيل هو الامر بالقتال لان السورة مكية وكان الامر بالجهاد بعد الهجرة وقيل هو اعلاء شأن الاسلام وغلبة ذويه فانه لابد أن يلحق للكفار حينئذ ذلة وصغار ولما أمره أن ينفى عن نفسه علم الغيب أمره أن يقول لهم ان الله سبحانه هو العالم بالسر والعلن فيعلم ما تجاهرون به من المطاعن فى الاسلام وما تكتمونه فى صدوركم من الاحن والضغائن فيجازيكم على القبيلين (وان أدرى لعله) أى ما أدرى لعل تأخير هذا الوعد أو ابهام وقته أو تأخير الامر بالجهاد امتحان لكم لينظر كيف تعملون وتمتيع لكم (الى حين) حضور وقت الموعد وقال الحسن لعل ما أنتم عليه من الدنيا ونعيمها بلية لكم وقيل أراد لعل ما بينت وأعلمت وأوعدت ابتلاء لكم لان المعرض عن الايمان مع البيان حالا بعد حال يكون عذابه أشد ومعنى (رب احكم بالحق) اقض بينى وبين من يكذبنى بالعذاب قال قتادة أمره الله تعالى أن يقتدى بالانبياء فى هذه الدعوة وكانوا يقولون ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق فاستجيب له فعذبوا ببدر وقال جار الله معنى بالحق لانجابهم وشدد عليهم كما هو حقهم كما قال اشدد وطأتك على مضر وقيل معناه وافعل بينى وبينهم بما يظهر الحق للجميع تنصرنى عليهم كأنه سبحانه قال له قل داعيا الى ربك احكم بالحق وقل متوعدا للكفار (وربنا الرحمن المستعان) الذى يستعان به (على ما تصفون) من الشرك والكفر وما تعارضون به دعوتى من الاباطيل وكانوا يطمعون أن يكون لهم الغلبة والدولة فقلب الله الامر عليهم وفى هذا الامر تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم ورفع من مقداره حيث أمر بالانقطاع الى الرب فى دفع أذية القوم ليحصل له مع الخلاص من أذيتهم شرف الاستجابة وهذه غاية العناية ۞ التأويل ان هذه

حدثنى موسى بن عبد الرحمن المسروقى قال ثنا زيد بن حباب قال ثنى شعبة عن مجاهد ولم يذكر فيه الحكم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فظن أن لن نقدر عليه قال يقول ظن أن لن نعاقبه حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة والكلبى فظن أن لن نقدر عليه قالا ظن أن لن نقضى عليه العقوبة حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فظن أن لن نقدر عليه يقول ظن أن الله لن يقضى عليه عقوبة ولا بلاء فى غضبه الذى غضب على قومه وفراقه اياهم حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن ابن عباس فى قوله فظن أن لن نقدر عليه قال البلاء الذى أصابه * وقال آخرون بل معنى ذلك فظن أنه يعجز ربه فلا يقدر عليه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا عوف عن سعيد بن أبى الحسن قال بلغنى أن يونس لما أصاب الذنب انطلق مغاضبا لربه واستزله الشيطان حتى ظن أن لن نقدر عليه قال وكان له سلف وعبادة وتسبيح فأبى الله أن يدعه للشيطان فأخذه فقذفه فى بطن الحوت فمكث فى بطن الحوت أربعين من بين ليلة ويوم فأمسك الله نفسه فلم يقتله هنالك فتاب الى ربه فى بطن الحوت وراجع نفسه قال فقال سبحانك انى كنت من الظالمين قال فاستخرجه الله من بطن الحوت برحمته بما كان سلف من العبادة والتسبيح فجعله من الصالحين قال عوف وبلغنى أنه قال فى دعائه وبنيت لك مسجدا فى مكان لم يبنه أحد قبلى حدثنا ابن بشار قال ثنا هوذة قال ثنا عوف عن الحسن فظن أن لن نقدر عليه وكان له سلف من عبادة وتسبيح فتداركه الله بها فلم يدعه للشيطان حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن عبد الرحمن بن الحرث عن اياس بن معاوية المدنى أنه كان اذا ذكر عنده يونس وقوله فظن أن لن نقدر عليه يقول اياس فلم فر * وقال آخرون بل ذلك بمعنى الاستفهام وانما تأويله أفظن أن لن نقدر عليه ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فظن أن لن نقدر عليه قال هذا استفهام وفى قوله فما تغنى النذر قال استفهام أيضا « قال أبو جعفر » وأولى هذه الاقوال فى تأويل ذلك عندى بالصواب قول من قال عنى به فظن يونس أن لن نحبسه ونضيق عليه عقوبته له على مغاضبته ربه وانما قلنا ذلك أولى بتأويل الكلمة لانه لا يجوز أن ينسب الى الكفر وقد اختاره لنبوته ووصفه بأن ظن أن ربه يعجز عما أراد به ولا يقدر عليه وصف له بأنه جهل قدرة الله وذلك وصف له بالكفر وغير جائز لأحد وصفه بذلك وأما ما قاله ابن زيد فانه قول لو كان فى الكلام دليل على أنه استفهام حسن ولكنه لا دلالة فيه على أن ذلك كذلك والعرب لا تحذف من الكلام شيأ ألهم اليه حاجة الا وقد أبقت دليلا على أنه مراد فى الكلام فاذ لم يكن فى قوله فظن أن لن نقدر عليه دلالة على أن المراد به الاستفهام كما قال ابن زيد كان معلوما أنه ليس به واذ

أمتكم فيه اشارة الى أن السالك اذا عبر المقامات التى ذكرنا تصير متفرقات شمله مجتمعة فى الفناء بالله والبقاء به فيكون أمة واحدة فى ذاته كما أن ابراهيم كان أمة فيعرفه الله نفسه و يقول أنا ربكم الذى بلغتكم هذه الرتبة فاعبدون أى فاعرفون وتقطعوا أمرهم فمنهم من سكن الى الدنيا ومنهم من سكن الى الجنة ومنهم من فر الى الله كل الينا راجعون أما طالب الدنيا فيرجع الى صورة قهرنا وهى جهنم وأما طالب الآخرة فيرجع الى صورة رحمتنا وهى الجنة وأما الذى يطلبنا فانه يرجع الينا بالحقيقة وانا له كاتبون فى الازل من أهل السعادة حتى اذا فتح سد يأجوج النفس ومأجوج الهوى والسد أحكام الشريعة وفتحها مخالفاتها وموافقات الطبع وهم أعنى دواعى النفس من كل معدن شهوة من الحواس الظاهرة والباطنة ينسلون فيفسدون ما يمرون عليه من القلب والسر والروح واقترب الوعد اهلاك القلوب الغافلة فاذا هى شاخصة أبصار بصائرها بالانهماك فى الاهواء ان الذين سبقت لهم منا الحسنى العناية الازلية لا يسمعون حسيسها أعنى مقالات أهل البدع والاهواء وهم فيما اشتهت أنفسهم المطمئنة المجذوبة بجذبة ارجعى فى مقامات السير فى الله خالدون الفزع الاكبر قوله فى الازل هؤلاء فى النار ولا أبالى يوم نطوى سماء وجود الانسان بتجلى صفات الجلال فى افناء مراتب الوجود من الانتهاء الى الابتداء وذلك قوله كما بدأنا أول خلق نعيده يعنى أن الرجوع يكون بالتدريج كما أن البدء كان بالتدريج خلق النطفة علقة ثم خلق العلقة مضغة ثم خلق المضغة عظاما ثم كسا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر ففى الاعادة يجب أن يمر السالك من الاحساس على الحيوانية ثم النباتية ثم المعدنية ثم البسائط العنصرية ثم الملكوتية ثم الروحانية ثم الى صفات الربوبية بجذبة ارجعى الى ربك ولقد كتبنا فى الزبور أى فى أم الكتاب من بعد الذكر أى بعد أن

فسد هذان الوجهان صح الثالث وهو ما قلنا وقوله فنادى فى الظلمات اختلف أهل التأويل فى المعنى بهذه الظلمات فقال بعضهم عنى بها ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن اسرائيل عن أبى اسحق عن عمرو بن ميمون فنادى فى الظلمات قال ظلمة بطن الحوت وظلمة البحر وظلمة الليل وكذلك قال أيضا ابن جريج **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن يزيد بن زياد عن عبد الله بن أبى سلمة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال نادى فى الظلمات ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين **حدثنى** محمد بن ابراهيم السلمى قال ثنا أبو عاصم قال أخبرنا محمد بن رفاعة قال سمعت محمد بن كعب يقول فى هذه الآية فنادى فى الظلمات قال ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فنادى فى الظلمات قال ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فنادى فى الظلمات قال ظلمة بطن الحوت وظلمة البحر وظلمة الليل

* وقال آخرون انما عنى بذلك أنه نادى فى ظلمة جوف حوت فى جوف حوت آخر فى البحر قالوا فذلك هو الظلمات ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن سالم بن أبى الجعد فنادى فى الظلمات قال أوحى الله الى الحوت أن لا تضر له لحما ولا عظما ثم ابتلع الحوت حوت آخر قال فنادى فى الظلمات قال ظلمة حوت ثم حوت ثم ظلمة البحر « قال أبو جعفر » والصواب من القول فى ذلك أن يقال ان الله أخبر عن يونس أنه ناداه فى الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين ولا شك أنه قد عنى باحدى الظلمات بطن الحوت وبالأخرى ظلمة البحر وفى الثالثة اختلاف وجائز أن تكون تلك الثالثة ظلمة الليل وجائز أن تكون كون الحوت فى جوف حوت آخر ولا دليل يدل على أى ذلك من أى فلا قول فى ذلك أولى بالحق من التسليم لظاهر التنزيل وقوله لا اله الا أنت سبحانك يقول نادى يونس بهذا القول معترفا بذنبه تائبا من خطيئته انى كنت من الظالمين فى معصيتى اياك **كما حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن يزيد بن زياد عن عبد الله بن أبى سلمة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال نادى فى الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين معترفا بذنبه تائبا من خطيئته **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال أبو معشر قال محمد بن قيس قوله لا اله الا أنت سبحانك ما صنعت من شئ فلم أعبد غيرك انى كنت من الظالمين حين عصيتك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا جعفر بن سليمان عن عوف الاعرابى قال لما صار يونس فى بطن الحوت ظن أنه قد مات ثم حرك رجله فلما تحركت سجد مكانه ثم نادى يا رب اتخذت لك مسجدا فى موضع ما اتخذه أحد **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى

قلنا للقلم اكتب نظيره كن فيكون أن أرض جنة الوجود الحقيقى يرثها عبادى الصالحون وهم الذين طويت سماء وجودهم المجازى فالوجود المجازى لكونه غير ثابت ولا مستقر كالسماء والوجود الحقيقى لكونه ثابتا ومستقرا على حالة واحدة كالارض لقوم عابدين عارفين وما أرسلناك من كتم العدم الا رحمة للعالمين فلولاك لما خلقت الافلاك أول ما خلق الله روحى ولولا الأزل لم تنته الهوية الى الآخر والله أعلم

ابن

﴿سورة الحج مكية الا قوله هذان خصمان الى صراط الحميد حروفها خمسة آلاف ومائة وخمسة وسبعون كلمها ألف ومائتان واحدى وسبعون آياتها ثمان وسبعون﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه الى (٦٥) عذاب السعير يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من

ابن اسحق عمن حدثه عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم قال سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد الله حبس يونس فى بطن الحوت أوحى الله الى الحوت أن خذه ولا تخدش له لحما ولا تكسر عظما فأخذه ثم هوى به الى مسكنه من البحر فلما انتهى به الى أسفل البحر سمع يونس حسا فقال فى نفسه ما هذا قال فأوحى الله اليه وهو فى بطن الحوت ان هذا تسبيح دواب البحر قال فسبح وهو فى بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا ربنا انا نسمع صوتا ضعيفا بأرض غريبة قال ذاك عبدى يونس عصانى فحبسته فى بطن الحوت فى البحر قالوا العبد الصالح الذى كان يصعد اليك منه فى كل يوم وليلة عمل صالح قال نعم قال فشفعوا له عند ذلك فأمر الحوت فقذفه فى الساحل كما قال الله تبارك وتعالى وهو سقيم ✻ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين﴾ يقول تعالى ذكره فاستجبنا ليونس دعاءه ايانا اذ دعانا فى بطن الحوت ونجيناه من الغم الذى كان فيه بحبسنا فى بطن الحوت وغمه بخطيئته وذنبه وكذلك ننجى المؤمنين يقول جل ثناؤه وكما أنجينا يونس من كرب الحبس فى بطن الحوت فى البحر اذ دعانا كذلك ننجى المؤمنين من كربهم اذا استغاثوا بنا ودعونا ✻ وبنحو الذى قلنا فى ذلك جاء الاثر ذكر من قال ذلك حدثنا عمران بن بكار الكلاعى قال ثنا يحيى بن صالح قال ثنا أبو يحيى بن عبد الرحمن قال ثنى بشر بن منصور عن على بن زيد عن سعيد بن المسيب قال سمعت سعد بن مالك يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اسم الله الذى اذا دعى به أجاب واذا سئل به أعطى دعوة يونس بن متى قال فقلت يا رسول الله هى ليونس بن متى خاصة أم لجماعة المسلمين قال هى ليونس بن متى خاصة وللمؤمنين عامة اذا دعوا بها ألم تسمع قول الله تبارك وتعالى فنادى فى الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين فهو شرط الله لمن دعاه بها ✻ واختلفت القراء فى قراءة قوله ننجى المؤمنين فقرأت ذلك قراء الامصار سوى عاصم بنونين الثانية منهما ساكنة من نجيناه فنحن ننجيه وانما قرؤا ذلك كذلك وكتابته فى المصاحف بنون واحدة لأنه لو قرئ بنون واحدة وتشديد الجيم بمعنى ما لم يسم فاعله كان المؤمنون رفعا وهم فى المصاحف منصوبون ولو قرئ بنون واحدة وتخفيف الجيم كان الفعل للمؤمنين وكانوا رفعا ووجب مع ذلك أن يكون قوله نجى مكتوبا بالالف لانه من ذوات الواو وهو فى المصاحف بالياء فان قال قائل فكيف كتب ذلك بنون واحدة وقد علمت أن حكم ذلك اذا قرئ ننجى أن يكتب بنونين قيل لأن النون الثانية لما سكنت وكان ساكن غير ظاهر على اللسان حذفت كما فعلوا ذلك بالاخفاء والنون من ان لخفائها اذ كانت مدغمة فى اللام من لا وقرأ ذلك عاصم نجى المؤمنين بنون واحدة وتثقيل الجيم وتسكين الياء فان يكن عاصم وجه قراءته ذلك الى قول العرب ضرب الضرب زيدا فكنى عن المصدر الذى هو النجاء بجعل الخبر أعنى خبر ما لم يسم فاعله المؤمنين كأنه أراد وكذلك نجى النجاء المؤمنين مكنى عن النجاء

ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الارحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيأ وترى الارض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شئ قدير وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ثانى عطفه ليضل عن سبيل الله له فى الدنيا خزى ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد يدعو لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد من كان يظن أن لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ

ولقد أنزلنا آيات بينات وأن الله يهدى من يريد ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ان الله على كل شئ شهيد ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم ان الله يفعل ما يشاء هذان خصمان اختصموا

فى ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤسهم الحميم يصهر به ما فى بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق ﴿ القراآت سكرى فى الحرفين على تأويل الجماعة حمزة وعلى وخلف ونفرتم تخرجكم بالنصب فيهما المفضل وربأت بالهمزة حيث كان يزيد ليضل بفتح الياء ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب خاسر الدنيا اسم فاعل منصوبا على الحالية روح وزيد ثم ليقطع ثم ليقضوا بكسر اللام فيهما أبو عمرو وسهل ويعقوب وابن عامر وورش وافق القواس فى ليقضوا وزاد ابن عامر وليوفوا وليطوفوا وقرأ الاعشى وليوفوا بالتشديد وقرأ أبو بكر وحماد وليوفوا بالتشديد وسكون اللام الباقون بالتخفيف والسكون هذان بتشديد النون ابن كثير ﴿ الوقوف ربكم ج على تقدير فان عظيم ٥ شديد ٥ مريد ٥ لا لأن ما بعده صفة السعير ٥ لنبين لكم ط لأن التقدير ونحن نقر ومن قرأ بالنصب لم يقف أشدكم ج لانقطاع النظم فى اتحاد المعنى شيأ ط بهيج ٥ قدير ٥ لا للعطف فيها لا القبور ٥ منير ٥ لا لأن ما بعده حال عن سبيل الله ط الحريق ٥ للعبيد ٥ حرف ج للشرط مع الفاء به لا للعطف مع الفاء مع الاستقلال على وجهه ق الا لمن قرأ خاسر الدنيا والآخرة ط المبين ٥ ينفعه ط البعيد ٥ من نفعه ط العشير ٥ الانهار ط ما يريد ٥ ما يغيظ ٥ بينات ط من يريد ٥ يوم القيامة ط شهيد ٥ من الناس ط وقيل يوصل ويوقف على العذاب ط مكرم ط ما يشاء ٥ فى ربهم ز لعطف الجملتين المتفقتين مع أن ما بعده ابتداء بيان حال الفريقين أحدهما فالذين كفروا والثانى ان الله يدخل من تارج ٥ الحميم ج ٥ لان ما بعده يصلح استئنافا وحالا أو وصفا على أن اللام للجنس كما فى قوله * ولقد أمر على اللئيم يسبنى * والجلود ٥ ط حديد ٥ الحريق ٥ من ﴿ التفسير انه قد انجر الكلام من خاتمة السورة المتقدمة الى حديث الاعادة وما قبلها أو بعدها كوراثة المؤمنين الارض وما معها كعلى السماء فلا جرم بدأ الله سبحانه فى هذه السورة بذكر القيامة وأهوالها حثا على التقوى التى هى خير زاد الى المعاد ويدخل فى التقوى فعل الواجبات وترك المنكرات ولا يكاد يدخل فيها النوافل لان المكلف لا يخاف بتركها العذاب وانما يرجو بفعلها الثواب ويمكن أن يقال ان

فهو وجه وان كان غيره أصوب والا فان الذى قرأ من ذلك على ما قرأه لحن لان المؤمنين اسم على القراءة التى قرأها ما لم يسم فاعله والعرب ترفع ما كان من الاسماء كذلك وانما حمل عاصما على هذه القراءة أنه وجد المصاحف بنون واحدة وكان فى قراءته اياه على ما عليه قراءة القراء الحاق نون أخرى ليست فى المصحف فظن أن ذلك زيادة ما ليس فى المصحف ولم يعرف لحذفها وجها يصرفه اليه * قال أبو جعفر والصواب من القراءة التى لا أستجيز غيرها فى ذلك عندنا ما عليه قراء الامصار من قراءته بنونين وتخفيف الجيم لاجماع الحجة من القراء عليه وتخطئتها خلافه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرنى فردا وأنت خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين ﴾ يقول تعالى ذكره ولنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذكر يا محمد زكريا حين نادى ربه رب لا تذرنى وحيدا فردا الا ولدا ولا عقب وأنت خير الوارثين يقول فارزقنى وارثا من آل يعقوب يرثنى ثم رد الامر الى الله فقال وأنت خير الوارثين يقول الله جل ثناؤه فاستجبنا لزكريا دعاءه ووهبنا له يحيى ولدا وارثا يرثه وأصلحنا له زوجه * واختلف أهل التأويل فى معنى الصلاح الذى عناه الله جل ثناؤه بقوله وأصلحنا له زوجه فقال بعضهم كانت عقيما فأصلحها بأن جعلها ولودا ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبيد المحاربى قال ثنا حاتم بن اسمعيل عن حميد بن مخرم عن عمار عن سعيد فى قوله وأصلحنا له زوجه قال كانت لا تلد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس فى قوله وأصلحنا له زوجه قال وهبنا له ولدها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأصلحنا له زوجه كانت عاقرا فجعلها الله ولودا ووهب له منها يحيى * وقال آخرون كانت سيئة الخلق فأصلحها الله له بأن رزقها حسن الخلق * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك أن يقال ان الله أصلح لزكريا زوجه كما أخبر تعالى ذكره بأن جعلها ولودا حسنة الخلق لان كل ذلك من معانى اصلاحه اياها ولم يخصص الله جل ثناؤه بذلك بعضا دون بعض فى كتابه ولا على لسان رسوله ولا وضع على خصوص ذلك دلالة فهو على العموم ما لم يأت ما يجب التسليم له بأن ذلك مراد به بعض دون بعض وقوله انهم كانوا يسارعون فى الخيرات يقول الله ان الذين سميناهم يعنى زكريا وزوجه ويحيى كانوا يسارعون فى الخيرات فى طاعتنا والعمل بما يقربهم الينا وقوله ويدعوننا رغبا ورهبا يقول تعالى ذكره وكانوا يعبدوننا رغبا ورهبا وعنى بالدعاء فى هذا الموضع العبادة كما قال وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربى عسى أن لا أكون بدعاء ربى شقيا ويعنى بقوله رغبا أنهم كانوا يعبدونه رغبة منهم فيما يرجون منه من رحمته وفضله ورهبا يعنى رهبة منهم من عذابه وعقابه بتركهم عبادته وركوبهم معصيته * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا قال رغبا فى رحمة الله ورهبا

حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ويدعوننا رغبا ورهبا قال خوفا وطمعا قال وليس ينبغي لاحدهما أن يفارق الآخر * واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الامصار رغبا ورهبا بفتح الغين والهاء من الرغب والرهب واختلف عن بعض في ذلك فروي عنه الموافقة في ذلك للقراء وروى عنه أنه قرأها رغبا ورهبا بضم الراء وتسكين الغين والهاء والصواب من القراءة في ذلك ما عليه قراء الامصار وذلك الفتح في الحرفين كليهما وقوله وكانوا لنا خاشعين يقول وكانوا لنا متواضعين متذللين ولا يستكبرون عن عبادتنا ودعائنا * القول في تأويل قوله تعالى ﴿والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين﴾ يقول تعالى ذكره ولنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذكر التي أحصنت فرجها يعني مريم بنت عمران ويعني بقوله أحصنت حفظت ومنعت فرجها مما حرم الله عليها أن تمكن منه واختلف في الفرج الذي عنى الله جل ثناؤه أنها أحصنته فقال بعضهم عني بذلك فرج درعها أنها حفظته من الفاحشة * وقال آخرون عني بذلك جيب درعها أنها منعت جبرئيل قبل أن تعلم أنه رسول ربها وقبل ان تثبته معرفة قالوا والذي يدل على ذلك قوله فنفخنا فيها من روحنا والتي أحصنت فرجها قالوا وكان معلوما بذلك أن معنى الكلام والتي أحصنت فنفخنا فيها من روحنا * قال أبو جعفر والذي هو أولى القولين عندنا بتأويل ذلك قول من قال أحصنت فرجها من الفاحشة لان ذلك هو الأغلب من معنييه عليه والأظهر في ظاهر الكلام فنفخنا فيها من روحنا يقول فنفخنا في جيب درعها من روحنا وقد ذكرنا اختلاف المختلفين في معنى قوله فنفخنا فيها في غير هذا الموضع والاولى بالصواب من القول في ذلك فيما مضى بما أغنى إعادته في هذا الموضع وقوله وجعلناها وابنها آية للعالمين يقول وجعلنا مريم وابنها عبرة للعالمين يعتبرون بهما ويتفكرون في أمرهما فيعلمون عظيم سلطاننا وقدرتنا على ما نشاء وقيل في قيل آيتين وقد ذكر آيتين لان معنى الكلام جعلناهما علما للناس وحجة فكل واحدة منهما تعني الدلالة على الله وعلى عظيم قدرته يقوم مقام الآخر اذ كان أمرهما في الدلالة على الله واحدا * القول في تأويل قوله تعالى ﴿ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾ يقول تعالى ذكره ان هذه ملتكم ملة واحدة وأنا ربكم أيها الناس فاعبدون دون الآلهة والأوثان وسائر ما تعبدون من دوني * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله أمتكم أمة واحدة يقول دينكم دين واحد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال مجاهد في قوله ان هذه أمتكم أمة واحدة قال دينكم دين واحد ونصبت الأمة الثانية على القطع وقد قرأه جماعة قراء الامصار وهو الصواب عندنا لان الأمة الثانية نكرة والاولى معرفة وان كان ذلك كذلك وكان الخبر قبل مجيء النكرة مستغنيا عنها كان وجه الكلام النصب هذا

كتاب الله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ويدعوننا رغبا ورهبا قال خوفا وطمعا قال وليس ينبغي لاحدهما أن يفارق الآخر * واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الامصار رغبا ورهبا بفتح الغين والهاء من الرغب والرهب واختلف عن بعض في ذلك فروي عنه الموافقة في ذلك للقراء وروى عنه أنه قرأها رغبا ورهبا بضم الراء وتسكين الغين والهاء والصواب من القراءة في ذلك ما عليه قراء الامصار وذلك الفتح في الحرفين كليهما وقوله وكانوا لنا خاشعين يقول وكانوا لنا متواضعين متذللين ولا يستكبرون عن عبادتنا ودعائنا * القول في تأويل قوله تعالى ﴿والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين﴾ يقول تعالى ذكره ولنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذكر التي أحصنت فرجها يعني مريم بنت عمران ويعني بقوله أحصنت حفظت ومنعت فرجها مما حرم الله عليها أن تمكن منه واختلف في الفرج الذي عنى الله جل ثناؤه أنها أحصنته فقال بعضهم عني بذلك فرج درعها أنها حفظته من الفاحشة * وقال آخرون عني بذلك جيب درعها أنها منعت جبرئيل قبل أن تعلم أنه رسول ربها وقبل ان تثبته معرفة قالوا والذي يدل على ذلك قوله فنفخنا فيها من روحنا والتي أحصنت فرجها قالوا وكان معلوما بذلك أن معنى الكلام والتي أحصنت فنفخنا فيها من روحنا * قال أبو جعفر والذي هو أولى القولين عندنا بتأويل ذلك قول من قال أحصنت فرجها من الفاحشة لان ذلك هو الأغلب من معنييه عليه والأظهر في ظاهر الكلام فنفخنا فيها من روحنا يقول فنفخنا في جيب درعها من روحنا وقد ذكرنا اختلاف المختلفين في معنى قوله فنفخنا فيها في غير هذا الموضع والاولى بالصواب من القول في ذلك فيما مضى بما أغنى إعادته في هذا الموضع وقوله وجعلناها وابنها آية للعالمين يقول وجعلنا مريم وابنها عبرة للعالمين يعتبرون بهما ويتفكرون في أمرهما فيعلمون عظيم سلطاننا وقدرتنا على ما نشاء وقيل في قيل آيتين وقد ذكر آيتين لان معنى الكلام جعلناهما علما للناس وحجة فكل واحدة منهما تعني الدلالة على الله وعلى عظيم قدرته يقوم مقام الآخر اذ كان أمرهما في الدلالة على الله واحدا * القول في تأويل قوله تعالى ﴿ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾ يقول تعالى ذكره ان هذه ملتكم ملة واحدة وأنا ربكم أيها الناس فاعبدون دون الآلهة والأوثان وسائر ما تعبدون من دوني * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله أمتكم أمة واحدة يقول دينكم دين واحد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال مجاهد في قوله ان هذه أمتكم أمة واحدة قال دينكم دين واحد ونصبت الأمة الثانية على القطع وقد قرأه جماعة قراء الامصار وهو الصواب عندنا لان الأمة الثانية نكرة والاولى معرفة وان كان ذلك كذلك وكان الخبر قبل مجيء النكرة مستغنيا عنها كان وجه الكلام النصب هذا

ضوعف زلل الاشياء عن مقارها ومراكزها ومعناها شدة التحريك وتضعيف الحروف دليل على تضعيف المعنى كأنه

والاضافة اضافة المصدر الى الفاعل على المجاز الحكمي العائد الى الاسناد في قولك زلزلت الساعة الارض أو الى المفعول فيه على الاتساع فلا مجاز في الحكم لان المراد حينئذ هو أن فاعلها الله في القيامة قاله الحسن وعن الشعبي هي طلوع الشمس من مغربها فتكون الاضافة بمعنى اللام كقولك أشراط الساعة قالت المعتزلة في الآية دلالة على ان المعدوم شيء لان الله تعالى سمى زلزلة الساعة شيأ مع أنها معدومة أجابت الاشاعرة بأن المراد هو أنها اذا وجدت كانت شيأ عظيما وانتصب (يوم ترونها) أي الزلزلة بقوله (تذهل) أي تغفل عن دهشة (كل مرضعة) وهي التي ترضع بالفعل مباشرة للارضاع وانما يقال لها المرضع من غيرها اذا أريد معنى اعم وهو أنه من شأنها الارضاع بالقوة أو بالفعل كحائض وطالق وفي هذا تصوير لهول الزلزلة كأنه بلغ مبلغا لو ألقمت المرضعة الرضيع ثديها نزعته عن فيه لما يلحقها من الخوف وما في (عما أرضعت) مصدرية أو موصولة أي عن ارضاعها أو عن الذي أرضعته وهو الطفل عن الحسن تذهل المرضعة عن ولدها الغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها الغير تمام وانما قال (كل ذات حمل) دون كل حامل ليكون نصا في موضع

ان الحمل بالفتح هو ما كان في بطن أو على رأس شجرة والثاني خارج بدليل العقل فبقي الاول قال القفال ذهول المرضعة ووضع ذات الحمل يحتمل أن يكون على جهة التمثيل كقوله يوما يجعل الولدان شيبا (وترى الناس) أفرد بعد أن جمع لان الزلزلة تراها الناس جميعا فالخطاب شامل للناس فانه يراه من له أهلية الخطاب بالرؤية وقتئذ ولعله ليس الا النبي صلى الله عليه وسلم قوله (سكارى وما هم بسكارى) نفى السكر أولا على وجه التشبيه فان الخوف مدهش كالمسكر ونفاه ثانيا على التحقيق اذ لم يشربوا خمرا وهذه أمارة كل مجاز روى أبو سعيد

الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل يوم القيامة يا آدم فيقول لبيك وسعديك فينادى بصوت ان الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا الى النار قال يارب وما بعث النار قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون فحينئذ تضع الحامل حملها ويشيب الوليد وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم فقالوا يارسول الله أينا ذلك الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من (٦٨) يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعون ومنكم واحد أنتم فى الناس كالشعرة السوداء فى جنب الثور الابيض أو كالشعرة البيضاء فى جنب الثور الاسود واختلفوا فى أن شدة ذلك اليوم تحصل لكل واحد أو لاهل النار خاصة فقيل ان الفزع الاكبر يعم وغيره يختص بأهل النار وان أهل الجنة يحشرون وهم آمنون وقيل تحصل للكل ولا اعتراض لاحد على الله ثم أراد أن يحتج على منكرى البعث فقدم لذلك مقدمة تشمل أهل الجدال كلهم فقال (ومن الناس من يجادل) نظيره ومن الناس من يقول وقدم اعرابه فى أول البقرة ومعنى (فى الله) فى شأن الله وفيما يجوز عليه ومالا يجوز من الصفات والافعال ويفهم من قوله (بغير علم) ان المعارف كلها ليست ضرورية وأن المذموم من الجدال هو هذا القسم وأما الجدال الصادر عن العلم والتحقيق فمحمود مأمور به فى قوله وجادلهم بالتى هى أحسن والشيطان المريد العاتى سمى بذلك لخلوه عن كل خير وقد مر فى قوله مردوا على النفاق والمراد ابليس وجنوده أو رؤساء الكفار الذين يدعون أشياعهم الى الكفر عن ابن عباس نزلت فى النضر بن الحرث وكان مجادلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الاولين والله غير قادر على احياء من بلى وصار ترابا ومعنى (كتب عليه) قضى على ذلك الشيطان أو علم من حاله وظهر وتبين والاول يليق بأصول الاشاعرة والثانى بأصول الاعتزال وقيل المراد كتب على من يتبع الشيطان ولا يخلو عن تعسف أنه من تولى الشيطان أى جعله وليا له أضله عن طريق الجنة وهداه الى النار قال صاحب الكشاف أن الاول فاعل كتب والثانى عطف عليه وفيه نظر لان من يبقى بلا جواب ان جعلت شرطية وبلا خبر ان جعلت موصولة والصحيح أن قوله فأنه مبتدأ خبر محذوف صاحبه والتقدير من تولاه فشأنه أنه يضله أو أنه يضله ثابت اللهم الا اذا جعلت من موصوفة تقديره كتب على من يتبع الشيطان

مع اجماع الحجة من القراء عليه وقد ذكر عن عبد الله بن أبى اسحق رفع ذلك أنه قرأ أمة واحدة بينه تكرير الكلام كأنه أراد ان هذه أمتكم هذه أمة واحدة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وتقطعوا أمرهم بينهم كل الينا راجعون﴾ يقول تعالى ذكره وتفرق الناس فى دينهم الذى أمرهم الله به ودعاهم اليه فصار وافيه أحزابا فتهودت اليهود وتنصرت النصارى وعبدت الاوثان ثم أخبر جل ثناؤه عما هم اليه صائرون وأن مرجع جميع أهل الأديان اليه متوعدا بذلك أهل الزيغ منهم والضلال ومعلمهم أنه لهم بالمرصاد وأنه مجاز جميعهم جزاء المحسن باحسانه والمسىء باساءته * وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله وتقطعوا أمرهم بينهم قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وتقطعوا أمرهم بينهم قال تقطعوا واختلفوا فى الدين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وانا له كاتبون﴾ يقول تعالى ذكره فمن عمل من هؤلاء الذين تفرقوا فى دينهم بما أمره الله به من العمل الصالح وأطاعه فى أمره ونهيه وهو مقر بوحدانية الله مصدق بوعده ووعيده منيب من الأنداد والآلهة فلا كفران لسعيه يقول فان الله يشكر عمله الذى عمل له مطيعا له وهو به مؤمن فيثيبه فى الآخرة ثوابه الذى وعد أهل طاعته أن يثيبهموه ولا يكفر ذلك له فيجحده ويحرمه ثوابه على عمله الصالح وانا له كاتبون يقول ونحن نكتب أعماله الصالحة كلها فلا نترك منها شيأ نجزيه على صغير ذلك وكبيره وقليله وكثيره * قال أبو جعفر والكفران مصدر من قول القائل كفرت فلانا نعمته فأنا أكفره كفرا وكفرانا ومنه قول الشاعر

من الناس ناس ما تنام خدودهم * وخدى ولا كفران لله نائم

۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون﴾ اختلفت القراء فى قراءة قوله وحرام فقرأته عامة قراء أهل الكوفة وحرم بكسر الحاء وقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والبصرة وحرام بفتح الحاء والالف والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان مشهورتان متفقتا المعنى غير مختلفتيه وذلك أن الحرم هو الحرام والحرام هو الحرم كما الحل هو الحلال والحلال هو الحل فبأيتهما قرأ القارئ فصيب وكان ابن عباس يقرؤه وحرم بتأويل وعزم حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن أبى المعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس كان يقرؤها وحرم على قرية قال فقلت لسعيد أى شىء حرم قال عزم حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى المعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس كان يقرؤها وحرم على قرية قلت لابى المعلى ما الحرم قال عزم عليها حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا داود عن عكرمة عن ابن عباس أنه كان يقرأ هذه الآية وحرم على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون فلا يرجع منهم راجع ولا يتوب منهم تائب حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا

أنه شخص تولى الشيطان فأنه كذا أى كتب عليه ذلك وحين نبه عموما على فساد طريقة المجادلين بغير علم خصص المقصود من ذلك والمعنى
ان ارتبتم فى البعث فعلكم ما يزيل ريبكم وهو أن تنظروا فى بدء خلقكم فبين التراب والنطفة والماء الصافى كماء الفحل لانه ينطف نطفا أى
يسيل سيلا تاما مبانية وكذا بين النطفة والعلقة وهى قطعة الدم الجامد لانها اذ ذاك تعلق بالرحم وكذا بين العلقة والمضغة وهى قدر ما يمضغ
من اللحم ولا ريب أن القادر على تقليب الانسان فى هذه الاطوار المتباينة ابتداء قادر على اعادته الى أحد هذه الاطوار بل
هذه أدخل فى القدرة وأهون
فى القياس قال الجوهرى المخلقة
التامة الخلق وقال قتادة والضحاك
أراد أنه يخلق المضغ متفاوتة منها
ما هو كامل الخلقة أملس من
العيوب ومنها ما هو على عكس
ذلك فلذلك يتفاوت الناس فى
خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم
وتمامهم ونقصهم وقال مجاهد
المخلقة الولد يخرج حيا وغير المخلقة
السقط لانه لم يتوارد عليها خلق
بعد خلق وقيل المخلقة المصورة
وغير المخلقة ضدها وهو الذى
يبقى لحما من غير تخطيط وشكل
ويناسبه ما روى علقمة عن عبد
الله قال اذا وقعت النطفة فى الرحم
بعث الله ملكا فقال يارب مخلقة أو
غير مخلقة فان قال غير مخلقة مجتها
الارحام دما وان قال مخلقة قال
يارب فما صفتها أذكر أم أنثى
ما رزقها وأجلها أشقى أم سعيد
فيقول سبحانه انطلق الى الكتاب
فاستنسخ منه هذه النطفة فينطلق
الملك فينسخها فلا يزال معه حتى
يأتى آخر صفتها وقوله (لنبين
لكم) غاية لقوله خلقنا كم أى انما
نقلنا كم من حال الى حال ومن طور
الى طور لنبين لكم بهذا التدريج
قدرتنا وحكمتنا وفى ورود الفعل
غير معدى الى المبين اشعار بأن ذلك
المبين مما لا يكتنه كنهه ولا يحيط
به الوصف وقيل أراد ان كنتم

داود عن عكرمة قال وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون قال لم يكن ليرجع منهم راجع
حرام عليهم ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا عيسى بن فرقد قال ثنا جابر الجعفى قال سألت
أبا جعفر عن الرجعة فقرأ هذه الآية وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون فكأن أبا جعفر
وجه تأويل ذلك الى أنه وحرام على أهل قرية أمتناهم أن يرجعوا الى الدنيا والقول الذى قاله
عكرمة فى ذلك أولى عندى بالصواب وذلك ان الله تعالى ذكره أخبر عن تفريق الناس دينهم الذى
بعث به اليهم الرسل ثم أخبر عن صنيعه بمن عمل بمعاداته اليه رسله من الايمان به والعمل بطاعته
ثم أتبع ذلك قوله وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون فلأن يكون ذلك خبرا عن صنيعه
بمن أبى اجابة رسله وعمل بمعصيته وكفر به أحرى ليكون بيانا عن حال القرية الاخرى التى لم تعمل
الصالحات وكفرت به فاذ كان ذلك كذلك فتأويل الكلام حرام على أهل قرية أهلكناهم بطبعنا
على قلوبهم وختمنا على أسماعهم وأبصارهم اذ صدوا عن سبيلنا وكفروا بآياتنا أن يتوبوا ويراجعوا
الايمان بنا واتباع أمرنا والعمل بطاعتنا واذ كان ذلك تأويل قول الله وحرم وعزم على ما قال سعيد
لم تكن لا فى قوله أنهم لا يرجعون صلة بل تكون بمعنى النفى ويكون معنى الكلام وعزم نا على قرية
أهلكناها أن لا يرجعوا عن كفرهم وكذلك اذا كان معنى قوله وحرم نوجبه وقد زعم بعضهم
أنها فى هذا الموضع صلة فان معنى الكلام وحرام على قرية أهلكناها أن يرجعوا وأهل التأويل
الذين ذكرناهم كانوا أعلم بمعنى ذلك منه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿حتى اذا فتحت يأجوج
ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون﴾ يقول تعالى ذكره حتى اذا فتح عن يأجوج ومأجوج
وهما أمتان من الامم ردمهما كما **حدثنى** عصام بن داود بن الجراح قال ثنى أبى قال ثنا
سفيان بن سعيد الثورى قال ثنا منصور بن المعتمر عن ربعى بن حراش قال سمعت حذيفة بن
اليمان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الآيات الدجال ونزول عيسى ونار تخرج من
قعر عدن أبين تسوق الناس الى المحشر تقيل معهم اذا قالوا والدخان والدابة ثم يأجوج ومأجوج
قال حذيفة قلت يارسول الله وما يأجوج ومأجوج قال يأجوج ومأجوج أمم كل أمة أربعمائة
ألف لا يموت الرجل منهم حتى يرى ألف عين تطرف بين يديه من صلبه وهم ولد آدم فيسيرون الى
خراب الدنيا يكون مقدمتهم بالشام وساقتهم بالعراق فيمرون بأنهار الدنيا فيشربون الفرات
ودجلة وبحيرة الطبرية حتى يأتوا بيت المقدس فيقولون قد قتلنا أهل الدنيا فقاتلوا من فى السماء
فيرمون بالنشاب الى السماء فترجع نشابهم مخضبة بالدم فيقولون قد قتلنا من فى السماء وعيسى
والمسلمون بجبل طور سيتين فيوحى الله جل جلاله الى عيسى أن أحرز عبادى بالطور وما يلى أيلة
ثم ان عيسى يرفع رأسه الى السماء ويؤمن المسلمون فيبعث الله عليهم دابة يقال لها النغف تدخل
من مناخرهم فيصبحون موتى من حاق الشام الى حاق العراق حتى تنتن الارض من جيفهم ويأمر
الله السماء فتمطر كأفواه القرب فتغسل الارض من جيفهم وتنتهم فعند ذلك طلوع الشمس من

قد ريب من البعث فانا نخبركم أنا خلقنا كم من كذا وكذا لنبين لكم ما يزيل ريبكم فى أمر بعثكم فان القادر على هذه الاشياء كيف يعجز عن
الاعادة ولما بين كيفية خلق الانسان بالتدريج الى أن تتكامل أعضاؤه أراد أن يبين أن من الابدان ما تجمه الارحام ومنها ما تنطوى هى عليه
الى كمال النضج والتربية فأسقط القسم الاول اكتفاء بالثانى فاستأنف قائلا (ونقر فى الارحام ما نشاء) أن نقره من ذلك (الى أجل مسمى) هو
كما ستة أشهر الى أربع سنين غايتها عرفت بالاستقراء (ثم نخرجكم) أى كل واحد منكم طفلا أو الغرض الدلالة على الجنس فاكتفى بالواحد

(ثم) نربيكم شيأ بعد شئ (لتبلغوا أشدكم) ومن قرأ ونقر بالنصب فمعناه خلقنا كم مدرجين هذا التدريج لغايتين احداهما أن نبين قدرتنا والثانية أن نقر فى الارحام من نقر حتى تولدوا وتنشأوا وتبلغوا احدا التكليف والأشد كمال القوة والتميز كأنه شدة فى غير شئ واحد فلذلك بنى على لفظ الجمع قوله (ومنكم من يرد الى أرذل العمر) وقد مر فى النحل شبيهه فليرجع اليه ثم أكد أمر البعث بالاستدلال من حال النبات أيضا فقال (وترى) أى تشاهد أيها المستحق للخطاب (٧٠) (الارض) حال كونها (هامدة) ميتة يابسة لانبات بها والتركيب يدل على ذهاب مابه قوام الشئ وروائه من ذلك همدت النار هموداً طفئت وذهبت بكليتها وهمد الثوب هموداً بلى (فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت) تحركت ولا يكاد يستعمل الاهتزاز الا فى حركة تصدر عن سرور ونشاط (وربت) انتفخت وزادت كما مر فى قوله زبدا رابيا وذلك فى الرعد والمراد كمال تهيؤ الارض لظهور النبات منها ومن قرأ بالهمزة فمعناه ارتفعت من قولهم ربأ القوم اذا كان لهم طليعة فوق شرف ثم أشار الى كمال حالة فى الظهور بقوله (وأنبتت من كل زوج) أى بعض من كل صنف (بهيج) والبهجة النضارة وحسن الحال ولهذا قال المبرد هو الشئ المشرق الجميل واسناد الانبات الى الارض مجاز لان المنبت بالحقيقة هو الله (ذلك) الذى ذكرنا من خلق بنى آدم واحياء الارض مع مافى تضاعيف ذلك من عجائب الصنع وغرائب الابداع حاصل (بأمور خمسة الاول (أن الله هو الحق) الثابت الذى لا يزول ملكه وملكه لا حق فى الحقيقة الا هو فما سواه يكون مستندا الى خلقه وتكوينه لا محالة الثانى أنه من شأنه احياء الموتى الثالث أنه على كل شئ قدير وهذا كالبيان لما تقدمه فان القادر على كل شئ ممكن قادر لا محالة على احياء الموتى لانه من جملة الممكنات وبيان امكانه ظاهر فان كل ما جاز على شئ فى وقت ما جاز عليه فى سائر الاوقات اذ لو امتنع فاما لغيره فالاصل عدمه واما لذاته وهذا يقتضى أن لا يتصف به أولا فان ما بالذات لا يزول بالغير الرابع والخامس قوله (وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور) قد مر فى الكشاف معناه أنه حكيم لا يخلف ميعاده وقد وعد الساعة والبعث فلا بد أن يفى بما وعد قلت ان هذا التفسير غير واف فلقائل أن يقول فحاصل الآيات يرجع الى قولنا ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقنا كم بالتدريج وأحيينا الارض بسبب أنا وعدنا الساعة ووعدنا الله

مغربها حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن أبى جعفر عن الربيع عن أبى العالية قال ان يأجوج ومأجوج يزيدون على سائر الانس الضعف وان الجن يزيدون على الانس الضعف وان يأجوج ومأجوج رجلان اسمهما يأجوج ومأجوج حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد ابن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى اسحق قال سمعت وهب بن جابر يحدث عن عبد الله بن عمرو أنه قال ان يأجوج ومأجوج يمر أولهم بنهر مثل دجلة ويمر آخرهم فيقول قد كان فى هذا مرة ماء لا يموت رجل منهم الا ترك من ذريته ألفا فصاعدا وقال من بعدهم ثلاث أمم لا يعلم عددهم الا الله تاويل وتاريس وناسك أو منسك شك شعبة حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن وهب بن جابر الخيوانى قال سألت عبد الله بن عمرو عن يأجوج ومأجوج أمن بنى آدم هم قال نعم ومن بعدهم ثلاث أمم لا يعلم عددهم الا الله تاريس وتاويل ومنسك حدثنا ابن المثنى قال ثنا سهل بن حماد أبو عتاب قال ثنا شعبة عن النعمان بن سالم قال سمعت نافع بن جبير بن مطعم يقول قال عبد الله بن عمرو يأجوج ومأجوج لهم أنهار يلقمون ماشاؤا ونساء يجامعون ماشاؤا وشجر يلقمون ماشاؤا ولا يموت رجل الا ترك من ذريته ألفا فصاعدا حدثنا محمد بن عمارة قال ثنا عبد الله بن موسى قال أخبرنا زكريا عن عامر عن عمرو بن ميمون عن عبد الله بن سلام قال ما مات أحد من يأجوج ومأجوج الا ترك ألفا من ذرء فصاعدا حدثنى يحيى بن ابراهيم المسعودى قال ثنا أبى عن أبيه عن جده عن الاعمش عن عطية قال قال أبو سعيد يخرج يأجوج ومأجوج فلا يتركون أحدا الا قتلوه الا أهل الحصون فيمرون على البحيرة فيشربونها فيمر الماء فيقول كأنه كان ههنا ماء قال فيبعث الله عليهم النغف حتى يكسر أعناقهم فيصيروا خبالا فتقول أهل الحصون لقد هلك أعداء الله فيدلون رجلا لينظر ويشترط عليهم ان وجدهم أحياء أن يرفعوه فيجدهم قد هلكوا قال فينزل الله ماء السماء فيقذفهم فى البحر فتطهر الارض منهم ويغرس الناس بعدهم الشجر والنخل وتخرج الارض ثمرتها كما كانت تخرج فى زمن يأجوج ومأجوج حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن عبيد الله بن أبى يزيد قال رأى ابن عباس صبيانا ينزو بعضهم على بعض يلعبون فقال ابن عباس هكذا يخرج يأجوج ومأجوج حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم قال ثنا عمرو بن قيس قال بلغنا أن ملكا دون الردم يبعث خيلا كل يوم يحرسون الردم لا يامن يأجوج ومأجوج أن تخرج عليهم قال فيسمعون جلبة وأمرا شديدا حدثنا عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن أبى اسحق أن عبد الله بن عمرو قال ما يموت الرجل من يأجوج ومأجوج حتى يولد له من صلبه ألف وان من ورائهم لثلاث أمم ما يعلم عددهم الا الله منسك وتاويل وتاريس حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة عن عمرو البكالى قال ان الله جزأ الملائكة والانس والجن عشرة أجزاء فتسعة منهم الكروبيون و

الملائكة

وهذا كلام غير منتظم فى الظاهر كما ترى ولو صح هذا الاستغنى عن التطويل بأن يقال مثلا لا تشكوا فى أمر البعث فانه كائن لا محالة والذى يسنح لى فى تفسيره أنه سبحانه أزال الشك فى أمر البعث بقوله ان كنتم فى ريب من البعث فزيل ريبكم هذان الاستدلالان ثم لما كان لسائل أن يسأل لم خلق الانسان وما يترتب عليه معاشه فأجيب بأن لهذا الشأن وهو خلق الانسان أسبابا فاعلية وأسبابا غائية أما الاولى فهى أنه تعالى واجب الوجود الحق وأنه قادر على كل مقدور لا سيما احياء الموتى الذى استدللنا عليه لانه أهون وأن

الملائكة الذين يحملون العرش ثم هم أيضا الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون قال ومن بقى من الملائكة لأمر الله ووحيه ورسالته ثم جزأ الانس والجن عشرة أجزاء فتسعة منهم الجن لا يولد من الانس ولد إلا ولد من الجن تسعة ثم جزأ الانس عشرة أجزاء فتسعة منهم يأجوج ومأجوج وسائر الانس جزء **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج قال أمتان من وراء ردم ذى القرنين **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن غير واحد عن حميد بن هلال عن أبى الصيف قال قال كعب اذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج حفر واحتى يسمع الذين يلونهم قرع فؤسهم فاذا كان الليل قالوا نجىء غدا فنخرج فيعيدها الله كما كانت فيجيئون من الغد فيجدونه قد أعاده الله كما كان فيحفرونه حتى يسمع الذين يلونهم قرع فؤسهم فاذا كان الليل ألقى الله على لسان رجل منهم يقول نجىء غدا فنخرج ان شاء الله فيجيئون من الغد فيجدونه كما تركوه فيحفرون ثم يخرجون فتمر الزمرة الاولى بالبحيرة فيشربون ماءها ثم تمر الزمرة الثانية فيلحسون طينها ثم تمر الزمرة الثالثة فيقولون قد كان ههنا مرة ماء وتفر الناس منهم فلا يقوم لهم شئ يرمون بسهامهم الى السماء فترجع مخضبة بالدماء فيقولون غلبنا أهل الارض وأهل السماء فيدعو عليهم عيسى بن مريم فيقول اللهم لا طاقة ولا يدين لنا بهم فاكفناهم بما شئت فيسلط الله عليهم دودا يقال له النغف فتفرس رقابهم ويبعث الله عليهم طيرا فتأخذهم بمناقرها فتلقيهم فى البحر ويبعث الله عينا يقال لها الحياة تطهر الارض منهم وتنبتها حتى ان الرمانة ليشبع منها السكن قيل وما السكن يا كعب قال أهل البيت قال فبينا الناس كذلك اذ أتاهم الصريخ أن ذا السويقتين يريده فيبعث عيسى طليعة سبعمائة أو بين السبعمائة والثمانمائة حتى اذا كانوا ببعض الطريق بعث الله ريحا يمانية طيبة فيقبض الله فيها روح كل مؤمن ثم يبقى عجاج من الناس يتسافدون كما تتسافد البهائم فعليهم تقوم الساعة كمثل رجل يطيف حول فرسه ينتظرها متى تضع فمن تكلف بعد قولى هذا شيأ أو على هذا شيأ فهو المتكلف **حدثنا** العباس بن الوليد البيروتى قال أخبرنى أبى قال سمعت ابن جابر قال ثنى محمد بن جابر الطائى ثم الحمصى ثنى عبد الرحمن بن جبير بن نفير الحضرمى قال ثنى أبى أنه سمع النواس بن سمعان الكلابى يقول ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال وذكر أمره وأن عيسى بن مريم يقتله ثم قال فبينا هو كذلك أوحى الله اليه ياعيسى انى قد أخرجت عبادا لى لا يدى لأحد بقتالهم فحرز عبادى الى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أحدهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ثم ينزل آخرهم ثم يقول لقد كان بهذه مرة ماء فيحاصر نبى الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور يومئذ خيرا لأحدهم من مائة دينار لأحدكم فيرغب نبى الله عيسى وأصحابه الى الله فيرسل الله عليهم النغف فى رقابهم فيصبحون فرسى موت نفس واحدة فيهبط نبى الله عيسى وأصحابه فلا يجدون موضعا الا قد ملأه زهمهم ونتنهم ودماؤهم فيرغب نبى الله عيسى

قدرته لا تظهر الا اذا تعلقت بالمقدور فكمال القدرة بالفعل هو أن يتعلق بكل مقدور يصح فى القسمة العقلية وهذا النوع من المقدور كان ثابتا فى القسمة لانه واسطة بين العالم العلوى والعالم السفلى وله تعلق بالطرفين وانجذاب الى القبيلين فوجب فى الحكمة والقدرة ايجاده ثم ايجاد ما يتوقف عليه بقاؤه واستكماله وأما علته الغائية فهى أن داره الاولى كانت دار تكليف وقد هيأ نالله دارا أخرى لاجل الجزاء وذلك لا يحصل الا بالبعث والنشور ولعل هذا الموضع مما لم يفسره على هذا الوجه غيرى أرجو أن يكون صوابا والله تعالى أعلم بمراده قوله (ومن الناس من يجادل) عن ابن عباس أنه أبو جهل وقيل هو النضر أيضا وكرر التأكيد كما كرر سائر الاقاصيص وقال أبو مسلم الاول فى المقلدين فانهم قد يجادلون تصويبا بالتقليد هم وهذا فى المقلدين المتبوعين بدليل قوله ليضل عن سبيل الله قال العلماء أراد بالعلم العلم الضرورى وبالهدى النظرى من العلم لانه يهدى الى المعرفة وبالكتاب المنير العلم السمعى المتعلق بالوحى قال

بعض أهل اللغة العطف المنكب وقال الجوهرى عطفا الرجل جانباه من لدن رأسه الى وركه ويقال فلان ثنى عطفه عنى أى أعرض وقيل هو عبارة عن الكبر والخيلاء كلى الجيد قال جار الله لما أدى جداله الى الضلال جعل كأنه غرضه ولما كان الهدى معرضا له فتركه وأعرض عنه بالباطل جعل كالخارج بالجدال وفسر الخزى ههنا بما أصابه يوم بدر (ذلك) الذى منى به شئ من خزى الدنيا وعذاب الآخرة بما قدمت يداه وباقى مباحث الآية قد سلف فى آخر آل عمران ثم أخبر عن شقاق أهل النفاق بقوله (ومن الناس من يعبد الله

على حرف) أى على طرف من الدين لا فى وسطه فهذا مثل لكونه مضطربا فى أمر الدين غير ثابت القدم كالذى يكون على طرف العسكر ينهزم بأدنى سبب وباقى الآية تفصيل لهذا الاجمال قال الكلبى نزلت فى أعاريب قدموا المدينة فكان أحدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امرأته غلاما وكثر ماله وماشيته قال ما أصبت منذ دخلت فى دينى هذا الا خيرا واطمأن به وقر وان كان الامر بخلافه قال ما أصبت الا شرا وانقلب عن دينه الذى أظهره بلسانه وفر وهذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد وقتادة وقيل نزلت فى المؤلفة قلوبهم منهم الاقرع بن حابس والعباس (٧٣) بن مرداس وعن أبى سعيد الخدرى أن رجلا من اليهود أسلم فأصابته مصائب كذهاب البصر والمال والولد فتشاءم بالاسلام فاتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال أقلنى فقال ان الاسلام يسبك كما تسبك النار خبث الحديد والذهب والفضة والاسلام لا يقال ونزلت الآية والفتنة ههنا مخصوصة بالابتلاء بالشرور والآلام لوقوعها فى مقابلة الخير وهذا على الاستعمال الغالب والا فالخير أيضا قد يكون سببا للابتلاء كقوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة ثم حكى حاله فى الدارين بقوله (خسر الدنيا والآخرة) أما خسران الدنيا بعد أن أصابه ما أصاب ففقدان العزة والكرامة والغنيمة وأهلية الشهادة والامامة والقضاء وكون عرضه وماله ودمه مصونة وأما الآخرة فحرمان الثواب وحصول العقاب أبد الآباد ولا خسران أبين من هذا نعوذ بالله منه وفى قوله (يدعو من دون الله) الآية دلالة على أن المذكورة قبلها انما نزلت فى أهل النفاق من المشركين لا من اليهود فانهم لا يعبدون الأصنام نعم اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله قوله (يدعو لمن ضره) الآية فيه بحث لفظى وبحث معنوى أما الاول فهو أن يدعو بمعنى يقول والجملة بعده محكية ومن موصولة أو موصوفة وعلى التقديرين هو مع تمامه قال مبتدأ ما بعده وهو لبئس المولى خبره واللام الثانية فى الخبر لتأكيد اللام الاولى وهذا حسن بخلاف قوله أم الحليس لعجوز فانه أدخل لام الابتداء فى الخبر على سبيل الاستقلال ويجوز أن يكون يدعو تكرارا للاول وما بعده جملة مستأنفة على الوجه المذكور وفى حرف عبد الله من ضره بغير لام ووجهه ظاهر وعلى هذا يكون قوله لبئس المولى جملة مستقلة والمولى الناصر والعشير المعاشر أى الصاحب وأما البحث المعنوى فهو أنه نفى الضرر والنفع عن الاصنام أولا ثم أثبتهما لها ثانيا حين قال ضره أقرب من نفعه فما وجه ذلك والجواب أن المقصود فى الآية الثانية

وأصحابه الى الله فيرسل الله عليهم طيرا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الارض حتى يتركها كالزلفة وأما قوله وهم من كل حدب ينسلون فان أهل التأويل اختلفوا فى المعنى به فقال بعضهم عنى بذلك بنو آدم أنهم يخرجون من كل موضع كانوا دفنوا فيه من الارض وانما عنى بذلك الحشر الى موقف الناس يوم القيامة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله من كل حدب ينسلون قال جمع الناس من كل مكان جاؤا منه يوم القيامة فهو حدب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج وهم من كل حدب ينسلون قال ابن جريج قال مجاهد جمع الناس من كل حدب من مكان جاؤا منه يوم القيامة فهو حدب * وقال آخرون بل عنى بذلك يأجوج ومأجوج وقوله وهم كناية أسمائهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن سلمة بن كهيل قال ثنا أبو الزعراء عن عبد الله أنه قال يخرج يأجوج ومأجوج فيمرحون فى الارض فيفسدون فيها ثم قرأ عبد الله وهم من كل حدب ينسلون قال ثم يبعث الله عليهم دابة مثل النغف فتلج فى أسماعهم ومناخرهم فيموتون منها فتنتن الارض منهم فيرسل الله عز وجل ماء فيطهر الارض منهم * والصواب من القول فى ذلك ما قاله الذين قالوا عنى بذلك يأجوج ومأجوج وان قوله وهم كناية عن أسمائهم للخبر الذى حدثنا به ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن عاصم بن عمر عن قتادة الانصارى ثم الظفرى عن محمود ابن لبيد أخى بنى عبد الاشهل عن أبى سعيد الخدرى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يفتح يأجوج ومأجوج يخرجون على الناس كما قال الله من كل حدب ينسلون فيغشون الارض حدثنى أحمد بن ابراهيم قال ثنا هشيم بن بشير قال أخبرنا العوام بن حوشب عن حبيبة ابن سحيم عن مؤثر وهو ابن عفازة العبدى عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يذكر عن عيسى بن مريم قال قال عيسى عهد الى ربى أن الدجال خارج وأنه مهبطى اليه فذكر أن معه قضيبين فاذا رآنى أهلكه الله قال فيذوب كما يذوب الرصاص حتى ان الشجر والحجر ليقول يا مسلم هذا كافر فاقتله فيهلكهم الله تبارك وتعالى ويرجع الناس الى بلادهم وأوطانهم فيستقبلهم يأجوج ومأجوج من كل حدب ينسلون لا يأتون على شئ الا أهلكوه ولا يمرون على ماء الا شربوه حدثنى عبيد بن اسمعيل الهبارى قال ثنا المحاربى عن أصبغ بن زيد عن العوام بن حوشب عن حبيبة بن سحيم عن مؤثر بن عفازة عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه وأما قوله من كل حدب فانه يعنى من كل شرف ونشز وأكمة * وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله

رؤساؤهم الذين كانوا يفزعون اليهم فى الشدائد مستصوبين آراءهم لان وصف المولى والعشير لا يليق الا بالرؤساء سلمنا أنه أراد فى الموضعين الأصنام الا أنه أثبت الضر لها مجازا لانها سبب الضلال الذى هو سبب عذاب النار نظيره رب انهن أضللن كثيرا من الناس وأثبت لها النفع بناء على معتقدهم أنها شفعاؤهم عند الله والمراد بقول هذا الكافر بدعاء وصراخ حين يرى استضراره بالاصنام ولا يرى أثر الشفاعة لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير ذلك أو أراد بدعوه من دون الله ما لا يضره (٧٣) وما لا ينفعه ثم قال لمن ضره بكونه معبودا أقرب من نفعه بكونه شفيعا لبئس المولى ثم لما بين حال المنافقين والمشركين أتبعها حال المؤمنين الذين معبودهم قادر على ايصال كل المنافع فقال (ان الله يدخل) الآية قالت الأشاعرة فى قوله ان الله يفعل ما يريد دليل على أنه خالق الايمان وفاعله لأنه يريد الايمان من العبد بالاتفاق أجاب الكعبى بأنه يفعل ما يريده لا ما يريد أن يفعله غيره ورد بأن ما يريد أعم من قولنا ما يريده من فعله وما يريد من فعل غيره قوله سبحانه (من كان يظن أن لن ينصره الله) فى هذا الضمير وجهان الاول وهو قول ابن عباس والكلبى ومقاتل والضحاك وقتادة وابن زيد والسدى واختيار الفراء والزجاج أنه يرجع الى محمد صلى الله عليه وسلم للعلم به لان ذكر الايمان يدل على الايمان بالله ورسوله وعلى هذا فالظان من هو قيل كان قوم من المسلمين لشدة غيظهم على المشركين يستبطؤن النصر فنزلت وعندى فى هذا القول بعد وعن مقاتل نزلت فى نفر من أسد وغطفان قالوا نخاف أن الله لا ينصر محمدا فينقطع الذى بيننا وبين حلفائنا من اليهود والأولى العموم وكان حساده وأعداؤه يتوقعون أن لا ينصره الله وأن الله لا يغلبه على أعدائه فتى شاهدوا أن الله ينصره غاظهم ذلك والسبب

قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله من كل حدب ينسلون يقول من كل شرف يقبلون **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة من كل حدب ينسلون قال من كل أكمة **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وهم من كل حدب ينسلون قال الحدب الشئ المشرف وقال الشاعر

* على الحساب تمور *

حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون قال هذا مبتدأ يوم القيامة وأما قوله ينسلون فانه يعنى أنهم يخرجون مشاة مسرعين فى مشيهم كنسلان الذئب كما قال الشاعر

عسلان الذئب أمسى قاربا * برد الليل عليه فنسل

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واقترب الوعد الحق فاذا هى شاخصة أبصار الذين كفروا ياويلنا قد كنا فى غفلة من هذا بل كنا ظالمين﴾ يقول تعالى ذكره حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج واقترب الوعد الحق وذلك وعد الله الذى وعد عباده أنه يبعثهم من قبورهم للجزاء والثواب والعقاب وهو لا شك حق كما قال جل ثناؤه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا عمرو يعنى ابن قيس قال ثنا حذيفة لو أن رجلا افتلى فلوا بعد خروج يأجوج ومأجوج لم يركبه حتى تقوم القيامة **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واقترب الوعد الحق قال اقترب يوم القيامة منهم والواو فى قوله واقترب الوعد الحق مقحمة ومعنى الكلام حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج اقترب الوعد الحق وذلك نظير قوله فلما أسلما وتله للجبين وناديناه معناه ناديناه بغير واو كما قال امرؤ القيس

فلما أجزنا ساحة الحى وانتحى * بنا بطن خبت ذى قفاف عقنقل

يريد فلما أجزنا ساحة الحى انتحى بنا وقوله فاذا هى شاخصة أبصار الذين كفروا ففى هى التى فى قوله فاذا هى وجهان أحدهما أن تكون كناية عن الابصار وتكون الابصار الظاهرة بيانا عنها كما قال الشاعر

لعمرو أبيها لا تقول ظعينتى * ألا فرعنى مالك بن أبى كعب

فكنى عن الظعينة فى لعمرو أبيها ثم أظهرها فيكون تأويل الكلام حينئذ فاذا الأبصار شاخصة أبصار الذين كفروا والثانى أن تكون عمادا كما قال جل ثناؤه فانها لا تعمى الابصار وكقول الشاعر

* فهل هو مرفوع بما ههنا راس *

وقوله ياويلنا قد كنا فى غفلة من هذا يقول تعالى ذكره فاذا أبصار الذين كفروا قد شخصت عند مجئ الوعد الحق بأهواله وقيام الساعة بحقائقها وهم يقولون ياويلنا قد كنا قبل هذا الوقت فى الدنيا فى غفلة من هذا الذى نرى ونعاين ونزل بنا من

الجبل والسماء سماء البيت والقطع الاختناق لان المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه والمراد من كان يظن من حاسديه أن الله تعالى يفعل خلاف النصر والظفر وكان يغيظه نصرة الله اياه فليستفرغ جهده فى ازالة ما يغيظه وليس ذلك الا بأن يمد حبلا الى سماء بيته ثم يشده فى عنقه ويختنق فى عنقه وليصور فى نفسه أنه ان يفعل ذلك هل يذهبن كيده ما يغيظه سمى فعله كيدا حيث لم يقدر على غيره أو على سبيل الاستهزاء لانه لم يكد به محسوده وانما كاد به نفسه والحاصل ليس

في يده الا ما ليس بمذهب لما يغيظ ومنهم من قال السماء هي المظلة لان الاختناق حينئذ أبعد عن الامكان فيكون أصعب فيصرف الحاسد عن الغيظ الى طاعة الله ورسوله ومنهم من قال مع ذلك ان القطع هو قطع المسافة أي فليصعد على الحبل الى السماء والغرض تصوير مشقة من غير فائدة أو القطع قطع الوحي أو النصر أي فليصعد وليقطع الوحي أن ينزل عليه أو النصر أن يأتيه الوجه الثاني أن الضمير عائد الى من والنصر الرزق قال أبو عبيدة وقف علينا سائل من (٧٤) بني بكر فقال من ينصرني نصره الله أي من يعطيني أعطاه الله ووجه النظم من

كان يظن أن لن يرزقه الله في الدنيا والآخرة فلهذا الظن يعدل عن التمسك بدين محمد وينقلب على وجهه كافر فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق أو غير ذلك مما عدد نا فان الله لا يقلبه مرزوقا وحين بين الأحوال وضرب الأمثال أشار الى هذا المذكور بلفظ البعيد اما للتعظيم واما لان كل ما دخل في حيز الذكر وحصل في حيز كان فهو في حكم البعيد فقال (وكذلك أنزلناه) أي ومثل ذلك الانزال أنزلنا القرآن كله (آيات بينات وأن الله) حرف التعليل وكذا معلله محذوف للعلم به أي ولان الله (يهدي من يريد) أنزله كذلك مبينا قالت الاشاعرة المراد بالهداية اما وضع الأدلة أو خلق المعرفة والاول غير جائز لأن الله تعالى فعل ذلك في حق كل المكلفين ولان قوله يهدي من يريد يدل على أن الهداية غير واجبة عليه بل هي معلقة بمشيئته ووضع الأدلة واجب فتعين أن المراد خلق المعرفة أجاب القاضي عبد الجبار بأنه أراد تكليف من يريد لان التكليف لا يخلو من وصف ما كلف به ومن بيانه أو أراد يهدي الى الجنة والاثابة من يريد ممن آمن وعمل صالحا أو يهدي به الذين يعلم منهم الايمان أو يثبت الذين آمنوا ويزيدهم هدى والى هذين الوجهين أشار الحسن بقوله ان الله يهدي من قبل لا من لم يقبل واعترض بأن الله سبحانه وتعالى ذكر هذا الكلام بعد بيان الأدلة والجواب عن الشبهات فلا يجوز حمله على محض التكليف وأما الوجوه الاخر فخلاف الظاهر مع أن ما ذكرتموه واجب عندكم على الله وقوله من يريد ينافي الوجوب ثم أراد أن يميز بين المهدي من الفرق وبين الضال منهم فقال (ان الذين آمنوا) الآية قال مقاتل الاديان ستة واحد لله تعالى وهو الاسلام وخمسة للشيطان قلت فالمؤمنون واليهود والنصارى تشترك في القول بالاله والنبي وتفترق بالاعتراف بعموم نبوة محمد صلى الله عليه

عظيم البلاء وفي الكلام متروك ترك ذكره استغناء بدلالة ما ذكر عليه عنه وذلك يقولون من قوله فاذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا يقولون يا ويلنا وقوله بل كنا ظالمين يقول مخبرا عن قيل الذين كفروا بالله يومئذ ما كنا نعمل لهذا اليوم ما ينجينا من شدائده بل كنا ظالمين بمعصيتنا ربنا وطاعتنا ابليس وجنده في عبادة غير الله عز وجل ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون﴾ يقول تعالى ذكره انكم أيها المشركون بالله العابدون من دونه الاوثان والأصنام وما تعبدون من دون الله من الآلهة كما حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله انكم وما تعبدون من دون الله يعني الآلهة ومن يعبدها حصب جهنم واما حصب جهنم فقال بعضهم معناه وقود جهنم وشجرها ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله حصب جهنم شجر جهنم حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم يقول وقودها * وقال آخرون بل معناه حطب جهنم ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله حصب جهنم قال حطبها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وزاد فيه وفي بعض القراءة حطب جهنم يعني في قراءة عائشة حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة حصب جهنم قال حطب جهنم يقذفون فيها حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن الحر عن عكرمة قوله حصب جهنم قال حطب جهنم * وقال آخرون بل معنى ذلك أنهم يرمى بهم في جهنم ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله حصب جهنم يقول ان جهنم انما تحصب بهم وهو الرمي يقول يرمى بهم فيها * واختلف في قراءة ذلك فقرأته قراء الامصار حصب جهنم بالصاد وكذلك القراءة عندنا لاجماع الحجة عليه وروى عن علي وعائشة أنهما كانا يقرآن ذلك حطب جهنم بالطاء وروى عن ابن عباس أنه قرأه حضب بالضاد حدثنا بذلك أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا ابراهيم بن محمد عن عثمان بن عبد الله عن عكرمة عن ابن عباس أنه قرأها كذلك وكأن ابن عباس ان كان قرأ ذلك كذلك أراد أنهم الذين تسجرهم جهنم ويوقد بهم فيها النار وذلك أن كل ما هيجت به النار وأوقدت به فهو عند العرب حضب لها فاذ كان الصواب من القراءة في ذلك ما ذكرنا وكان المعروف من معنى الحصب عند العرب الرمي من قولهم حصبت الرجل اذا رميته كما قال جل ثناؤه انا أرسلنا عليهم حاصبا كان الاولى بتأويل ذلك قول من قال معناه أنهم تقذف جهنم بهم ويرمى بهم فيها وقد ذكر أن الحصب في لغة أهل اليمن الحطب فان يكن ذلك كذلك فهو أيضا وجه صحيح وأما ما قلنا من أن معناه الرمي فانه في لغة أهل نجد وأما

وسلم و بعدم الاعتراف به والصابئون قد تجعل من جنس النصارى وقد تجعل من غيرهم والمجوس قولهم فى البابين مضطرب لأن الاله عندهم اثنان ونبيهم ليس بنبى فى الحقيقة وانما هو متنبئ والمشركون لا نبى لهم ولا كتاب قال أهل البرهان قدم النصارى على الصابئين فى أوائل البقرة لانهم أهل كتاب وعكس ههنا لأن الصابئين مقدمة عليهم بالزمان وفى المائدة يحتمل الامران أى والصابئون كذلك أو هم والنصارى (ان الله يفصل بينهم) أى يقضى بين المؤمنين وغيرهم وتكريران فى الخبر لزيادة التأكيد والفصل مطلق يحتمل الفصل فى الاحوال وفى المواطن أيضا (ان الله على كل شئ شهيد) فلا يجرى فى قضائه ظلم ولا حيف (ألم تر) أى تعلم باخبار الله والمراد أن هذه الأجسام غير ممتنعة عما يريد الله احداثه فيها من أنواع تصرفاته وتدبيراته وهذا بين قال العلماء قوله (وكثير من الناس) ليس بمعطوف على ما قبله من المفردات لان السجود بالمعنى المذكور يتناول كل الناس ولا يختص ببعضهم لدليل العقل ولأن قوله ومن فى الارض يتناول الثقلين جميعا والعطف يوهم التخصيص بالبعض ولا يمكن أن يكون السجود بالنسبة الى كثير من الناس بمعنى وضع الجبهة وبالنسبة الى غيرهم بمعنى نفوذ مشيئة الله فيها لان اللفظ المشترك لا يصح استعماله فى مفهوميه معا فهو اذن مرفوع بفعل مضمر يدل عليه المذكور أى ويسجد له كثير من الناس بمعنى وضع الجبهة أيضا أو هو مبتدأ محذوف الخبر وهو مثاب لان الخبر دليل عليه وهو قوله حق عليه العذاب أو هو مبتدأ وخبر أى وكثير من المكلفين من الناس الذين هم الناس على الحقيقة فكأنه أخرج الذين وجب عليهم العذاب من جملة الناس لأنهم أشبه بالنسناس أولئك كالانعام بل هم أضل أو قوله ثانيا وكثير تكرار للاول لأجل المبالغة كأنه قيل وكثير من الناس حق عليهم العذاب وباقى الآية دليل على أن الكل بقضائه وقدره والاكرام والاهانة من عنده وبسابق علمه وسابق مشيئته فمن أهانه فى الأزل لم يكرمه أحد الى الأبد عن ابن عباس ان قوله (هذان خصمان) راجع الى أهل الأديان الستة أى هما فوجان أو فريقان خصمان والخصم صفة وصف بها المحذوف وانما قيل (اختصموا) نظرا الى المعنى وقيل ان أقل الجمع اثنان ومعنى (فى ربهم) أى فى دينه وصفاته فقال المؤمنون فى شأنه قولا وقال الكافرون قولا وروى أن أهل الكتاب قالوا للمؤمنين نحن أحق بالله

قوله أنتم لها واردون فان معناه أنتم عليها أيها الناس أو اليها واردون يقول داخلون وقد بينت معنى الورود فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون﴾ يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين الذين وصف صفتهم أنهم ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون وهم مشركو قريش أنتم أيها المشركون وما تعبدون من دون الله واردو جهنم ولو كان ما تعبدون من دون الله آلهة ما وردوها بل كانت تمنع من أراد أن يوردكموها اذ كنتم لها فى الدنيا عابدين ولكنها اذ كانت لا تنفع عندها الأنفسها ولا عندها دفع ضر عنها فهى من أن يكون ذلك عندها لغيرها أبعد ومن كان كذلك كان بينا بعده من الالوهة وان الاله هو الذى يقدر على ما يشاء ولا يقدر عليه شئ فأما من كان مقدورا عليه فغير جائز أن يكون الها وقوله وكل فيها خالدون يعنى الآلهة ومن عبدها أنهم ماكثون فى النار أبدا بغير نهاية وانما معنى الكلام كلكم فيها خالدون * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون قال الآلهة التى عبدها القوم قال العابد والمعبود ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله لهم المشركين وآلهتهم والهاء والميم فى قوله لهم من ذكر كل التى فى قوله وكل فيها خالدون يقول تعالى ذكره لكلهم فى جهنم زفير وهم فيها لا يسمعون يقول وهم فى النار لا يسمعون وكان ابن مسعود يتأول فى قوله وهم فيها لا يسمعون ما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن المسعودى عن يونس بن خباب قال قرأ ابن مسعود هذه الآية لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون قال اذا ألقى فى النار من يخلد فيها جعلوا فى توابيت من نار ثم جعلت تلك التوابيت فى توابيت أخرى ثم جعلت التوابيت فى توابيت أخرى فيها مسامير من نار فلا يرى أحد منهم أن فى النار أحدا يعذب غيره ثم قرأ لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون وأما قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون فان أهل التأويل اختلفوا فى المعنى به فقال بعضهم عنى به كل من سبقت له من الله السعادة من خلقه أنه عن النار مبعد ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى بشر عن يوسف بن سعد وليس بابن ماهك عن محمد بن حاطب قال سمعت عليا يخطب فقرأ هذه الآية ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون قال عثمان رضى الله عنه منهم * وقال آخرون بل عنى من عبد من دون الله وهو لله طائع ولعبادة من يعبده كاره ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله أولئك عنها مبعدون قال عيسى وعزير والملائكة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله

وأقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن أحق بالله منكم آمنا بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبنبيكم وبجميع الكتب وأنتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم تتركونه حسدا فنزلت وعن قيس بن عبادة عن أبي ذر الغفاري أنه كان يحلف بالله انها نزلت في ستة نفر من المسلمين علي وحمزة وعبيدة بن الحرث ومن المشركين عتبة وشيبة والوليد بن عتبة فقال علي رضي الله عنه أنا أول من يجثو للخصومة بين يدي الله تعالى يوم القيامة وعن عكرمة هما الجنة والنار قالت النار خلقني الله لعقوبته وقالت الجنة خلقني الله لرحمته فقص الله من خبرهما على محمد صلى الله عليه وسلم والأقرب هو الاول وقوله (فالذين كفروا) فصل الخصومة المعنى بقوله ان الله يفصل بينهم وقوله (قطعت لهم ثياب) فيه أنه تعالى يقدر لهم نيرانا على مقادير جثثهم تشتمل عليهم كما تقطع الثياب الملبوسة أو المراد أن تلك النيران مظاهرة عليهم كالثياب المظاهرة على اللابس بعضها فوق بعض وعن سعيد بن جبير أن قوله (من نار) أي من نحاس أذيب بالنار كقوله سرابيلهم من قطران والحميم الماء الحار عن ابن عباس لو سقطت منه نقطة على جبال الدنيا لأذابتها ومعنى (يصهر) يذاب صهرت الشئ فانصهر أي أذبته فذاب فهو صهير أي يذيب أمعاءهم وأحشاءهم كما يذيب جلودهم وهو أبلغ من قوله وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم لان تأثير الشئ من الظاهر في الباطن أبلغ من تأثيره في الباطن قال في الكشاف المقامع السياط وقال الجوهري المقمعة واحدة المقامع (من حديد) كالمحجن يضرب على رأس الفيل وفي الحديث لو وضعت مقمعة منها في الارض فاجتمع عليها الثقلان ما أقلوها والاعادة لا تكون الا بعد الخروج ففي الآية اضمار أي (كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم) فخرجوا (أعيدوا فيها) أو المراد بالارادة المداناة والمشارفة كقوله يريد أن ينقض وهذا أقرب كقوله لا يخفف عنهم العذاب ويؤيده ما روي عن الحسن أن النار تضربهم بلهبها فترفعهم حتى اذا كانوا في أعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا وانما اختصت هذه السورة بقوله من غم وهو الأخذ بالنفس حتى لا يجد صاحبه مخلصا لانه بولغ ههنا في أهوال النار بخلاف ما في السجدة وانما أضمر القول ههنا قبل قوله (وذوقوا) بخلاف السجدة وقيل لهم ذوقوا لأنه وقع الاختصار ههنا على (عذاب الحريق) وهناك أطنب فقيل ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون وأيضا

قال ابن جريج قوله انكم وما تعبدون من دون الله ثم استثنى فقال ان الذين سبقت لهم منا الحسنى

حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح عن الحسين بن يزيد عن عكرمة والحسن البصري قالا قال في سورة الانبياء انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون ثم استثنى فقال ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون فقد عبدت الملائكة من دون الله وعزير وعيسى من دون الله

حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد أولئك عنها مبعدون قال عيسى

حدثني اسمعيل بن سيف قال ثنا علي بن مسهر قال ثنا اسمعيل ابن أبي خالد عن أبي صالح في قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى قال عيسى وأمه وعزير والملائكة

حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني يوما مع الوليد بن المغيرة فجاء النضر بن الحرث حتى جلس معهم وفي المجلس غير واحد من رجال قريش فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض له النضر بن الحرث وكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه ثم تلا عليه وعليهم انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون الى قوله وهم فيها لا يسمعون ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل عبد الله بن الزبعرى بن قيس بن عدي السهمي حتى جلس فقال الوليد بن المغيرة لعبد الله بن الزبعرى والله ما قام النضر بن الحرث لابن عبد المطلب آنفا وما قعد وقد زعم أنا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم فقال عبد الله بن الزبعرى أما والله لو وجدته لخصمته فسلوا محمدا أكل من عبد من دون الله في جهنم مع من عبده فنحن نعبد الملائكة واليهود تعبد عزيرا والنصارى تعبد المسيح عيسى بن مريم فعجب الوليد بن المغيرة ومن كان في المجلس من قول عبد الله بن الزبعرى ورأوا أنه قد خاصم واحتج فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم من قول ابن الزبعرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده انما يعبدون الشياطين ومن أمرهم بعبادته فأنزل الله عليه ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون الى خالدون أي عيسى بن مريم وعزير ومن عبد من الاحبار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله فاتخذهم من بعدهم من أهل الضلالة أربابا من دون الله فأنزل الله فيما ذكروا أنهم يعبدون الملائكة وأنها بنات الله وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون الى قوله نجزي الظالمين

حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك قال يقول ناس من الناس ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون يعني من الناس أجمعين فليس كذلك انما يعني من يعبد من الآلهة وهو لله مطيع مثل عيسى وأمه وعزير والملائكة واستثنى الله هؤلاء من الآلهة المعبودة التي هي ومن يعبدها في النار

حدثنا

قد تقدم ذكر القول فى تلك السورة كثيرا بخلافه هنا والله تعالى أعلم ۞ التأويل ان زلزلة الساعة هلاك الاستعداد الفطرى شئ عظيم تذهل كل مرضعة هى مواد الاشياء فان لكل شئ مادة ملكوتية ترضع رضيعها من الملك وتربيه وتضع كل ذات حمل وهى الهيوليات حملها وهو الصور الكمالية التى خلقت الهيوليات لاجلها وترى الناس سكارى الغفلة والعصيان وحب الدنيا والجاه والرياسة وغيرها وما هم بسكارى العشق والمحبة والمعرفة فانا خلقناكم من تراب أى كنتم ترابا ميتا فبعثنا (٧٧) التراب بأن خلقنا منه آدم ثم أمتنا منه النطفة ثم بعثناها بأن جعلناها علقة ثم مضغة ثم خلقا آخر لنبين لكم أمر البعث والنشور ونقر فى الارحام أمهات العدم ما نشاء الى أجل مسمى وهو وقت ايجاده بحسب تعلق الارادة به وفيه دليل على أنه لا يبعد أن يكون الفاعل كاملا فى فاعليته ولكن لا تتعلق ارادته بالمقدور فيبقى فى حيز العدم الى حين تعلق الارادة به ومنه يظهر حدوث العالم ثم نخرجكم طفلا من أطفال المكونات خارجا من رحم العدم مستعدا للتربية والكمال ومنكم من يتوفى عن الشهوات فيحيا بحصول الكمالات ومنكم من يرد الى أسفل سافلين الطبيعة وترى أرض القالب هامدة فاذا أنزلنا عليها ماء حياة المعرفة والعلم اهتزت ذلك بان الله هو الحق فى الالهية وأنه يحيى القلوب الميتة وأن الساعة قيامة العشق والخدمة للطالبين الصادقين آتية وأن الله يبعث القلوب المحبوسة فى قبور الصدور عذاب الحريق بنار الشهوات لكنه لا يحس بها فى الدنيا لانه نائم بنوم الغفلة فاذا مات انتبه من كان يظن فيه أن العبد يجب أن يكون حسن الظن بالله ثم ليقطع مادة تقديرى فى الازل ونزول أحكامى فى القدر فلينظر هل ينقطع أم لا هذان خصمان يعنى النفس الكافرة والروح المؤمنة قطعت لهم ثياب بتقطيع خياط القضاء على قدرهم وهى ثياب نسجت من سدى مخالفات الشرع ولحمة موافقات الطبع يصب من فوق رؤسهم جميع الشهوات النفسانية وفى لفظ الفوق دلالة على أنهم مغلوبون تحتها وفيه أن الخيالات الفاسدة تنصب من الدماغ الى القلب يصهر به ما فى بطونهم من الاخلاق الحميدة الروحانية والجلود أى يفسد أحوالهم الباطنة والظاهرة بفساد تخيلاتهم ولا مخلص لهم عن دركات تلك الملكات لغاية رسوخها والله أعلم بالصواب ۞ ﴿ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى

حدثنا ابن سنان القزاز قال ثنا الحسن بن الحسين الاشقر قال ثنا أبو كدينة عن عطاء ابن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما نزلت انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون قال المشركون فان عيسى يعبد وعزير والشمس والقمر يعبدون فأنزل الله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لعيسى وغيره * وأولى الاقوال فى تأويل ذلك بالصواب قول من قال عنى بقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ما كان من معبود كان المشركون يعبدونه والمعبود لله مطيع وعابدوه بعبادتهم اياه بالله كفار لان قوله تعالى ذكره ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ابتداء كلام محقق لامر كان ينكره قوم على نحو الذى ذكرنا فى الخبر عن ابن عباس فكأن المشركين قالوا النبى الله صلى الله عليه وسلم اذ قال لهم انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ما الامر كما تقول لانا نعبد الملائكة ويعبد آخرون المسيح وعزيرا فقال عز وجل ردا عليهم قولهم بل ذلك كذلك وليس الذين سبقت لهم منا الحسنى هم عنها مبعدون لانهم غير معنيين بقولنا انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم فأما قول الذين قالوا ذلك استثناء من قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم فقول لا معنى له لان الاستثناء انما هو اخراج المستثنى من المستثنى منه ولا شك أن الذين سبقت لهم منا الحسنى انما هم املائكة واما انس أو جان وكل هؤلاء اذا ذكرتها العرب فان أكثر ما تذكرها بمن لا بما والله تعالى ذكره انما ذكر المعبودين الذين أخبر أنهم حصب جهنم بما قال انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انما أريد به ما كانوا يعبدونه من الاصنام والآلهة من الحجارة والخشب لا من كان من الملائكة والانس فاذا كان ذلك كذلك لما وصفنا فقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى جواب من الله للقائلين ما ذكرنا من المشركين مبتدأ وأما الحسنى فانها الفعلى من الحسن وانما عنى بها السعادة السابقة من الله لهم كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى قال الحسنى السعادة وقال سبقت السعادة لاهلها من الله وسبق الشقاء لاهله من الله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون﴾ يقول تعالى ذكره لا يسمع هؤلاء الذين سبقت لهم منا الحسنى حسيس النار ويعنى بالحسيس الصوت والحس فان قال قائل فكيف لا يسمعون حسيسها وقد علمت ما روى من أن جهنم يؤتى بها يوم القيامة فتزفر زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبى مرسل الا جثا على ركبتيه خوفا منها قيل ان الحال التى لا يسمعون فيها حسيسها هى غير تلك الحال بل هى الحال التى حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون يقول لا يسمع أهل الجنة حسيس النار اذا نزلوا منازلهم من الجنة وقوله وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون يقول وهم فيما تشتهيه نفوسهم من نعيمها ولذاتها ما كثون

من تحتها الانهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت أن لا تشرك بى شيأ وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع (٧٨) لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب لكم فيها منافع الى أجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام فالهكم اله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمى الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صوافّ فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين ان الله يدافع عن الذين آمنوا ان الله لا يحب كل خوان كفور أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع قوله

فيها لا يخافون زوالا عنهم ولا انتقالا عنها ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ لا يحزنهم الفزع الاكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون ﴾ * اختلف أهل التأويل فى الفزع الاكبر أى الفزع هو فقال بعضهم ذلك النار اذا أطبقت على أهلها ذكر من قال ذلك حدثنا أبو هشام قال ثنا يحيى بن يمان قال ثنا سفيان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير لا يحزنهم الفزع الأكبر قال النار اذا أطبقت على أهلها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قوله لا يحزنهم الفزع الأكبر قال حين تطبق جهنم وقال حين ذبح الموت * وقال آخرون بل ذلك النفخة الآخرة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله لا يحزنهم الفزع الاكبر يعنى النفخة الآخرة * وقال آخرون بل ذلك حين يؤمر بالعبد الى النار ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن رجل عن الحسن لا يحزنهم الفزع الاكبر قال انصراف العبد حين يؤمر به الى النار * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال ذلك عند النفخة الآخرة وذلك أن من لم يحزنه ذلك الفزع الاكبر وأمن منه فهو مما بعده أحرى أن لا يفزع وأن من أفزعه ذلك فغير مأمون عليه الفزع مما بعده وقوله وتتلقاهم الملائكة يقول وتستقبلهم الملائكة يهنئونهم يقولون هذا يومكم الذى كنتم توعدون فيه الكرامة من الله والجباء والجزيل من الثواب على ما كنتم تنصبون فى الدنيا لله فى طاعته * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال ابن زيد حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله هذا يومكم الذى كنتم توعدون قال هذا قبل أن يدخلوا الجنة ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين ﴾ يقول تعالى ذكره لا يحزنهم الفزع الاكبر يوم نطوى السماء فيوم من صلة يحزنهم * واختلف أهل التأويل فى معنى السجل الذى ذكره الله فى هذا الموضع فقال بعضهم هو اسم ملك من الملائكة ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان قال ثنا أبو الوفاء الاشجعى عن أبيه عن ابن عمر فى قوله يوم نطوى السماء كطى السجل للكتاب قال السجل ملك فاذا صعد بالاستغفار قال اكتبها نورا حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان قال سمعت السدى يقول فى قوله يوم نطوى السماء كطى السجل قال السجل ملك * وقال آخرون السجل رجل كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا نصر ابن على قال ثنا نوح بن قيس قال ثنا عمرو بن مالك عن أبى الجوزاء عن ابن عباس فى هذه الآية يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب قال كان ابن عباس يقول هو الرجل * قال ثنا نوح ابن قيس قال ثنا يزيد بن كعب عن عمرو بن مالك عن أبى الجوزاء عن ابن عباس قال السجل كاتب كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم * وقال آخرون بل هو الصحيفة التى يكتب فيها ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس

وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور ﴾ القرآت ولؤلؤا بهمزتين منصوبا نافع وحفص مثله ولكن بتخفيف الاولى واوا ساكنة أبو بكر وحماد وزيد وكذلك فى سورة فاطر وقرأ سهل ويعقوب والمفضل ههنا بالهمزة والنصب وفى فاطر بالهمز

والخفض الباقون بالهمز والخفض في السورتين سواء بالنصب حفص وروح وزيد الآخرون بالرفع والبادي بالياء في الحالين سهل ويعقوب وابن كثير وافق أبو عمرو وأبو جعفر ونافع غير قالون في الوصل بوأنا مثل أنشأنا بيتي بفتح الياء أبو جعفر ونافع وحفص وهشام تخففه بتشديد الطاء أبو جعفر ونافع الرياح يزيد طريق المفضل والمقيمي الصلاة بالنصب على تقدير النون عباس منسكا ونحوه بكسر السين حمزة وعلي وخلف لن تنال الله بتاء التأنيث يعقوب ولكن تناله بالتأنيث أيضا زيد يدفع من الدفع ابن كثير وأبو عمرو وسهل ويعقوب الباقون يدافع من المدافعة أذن مبنيا للمفعول أبو جعفر ونافع وأبو عمرو وسهل ويعقوب وعاصم يقاتلون مبنيا للمفعول أيضا أبو جعفر ونافع وابن عامر وحفص الآخرون مبنيا للفاعل فيهما دفاع بألف أبو جعفر ونافع وسهل ويعقوب لهدمت مخففا ابن كثير وأبو جعفر ونافع وقرأ ابن عامر وأبو عمرو وسهل وحمزة وعلي وخلف مشددا مدغما الباقون مشددا ۞ الوقوف ولؤلؤا ط من القول ج للعطف مع تكرار وهدوا الحميد ○ والباد ○ ط أليم ○ السجود ○ عميق ○ لا لتعلق اللام الانعام ج للابتداء بالامر مع الفاء الفقير ○ للعطف مع العدول العتيق ○ ذلك ق قد قيل لان المراد ذلك على ماذكر أو الأمر أو الشأن ذلك ثم يبتدأ بالشرط عندربه ط الزور ○ لا مشركين به ط سحيق ○ ذلك ق القلوب ○ العتيق ○ الانعام ط أسلموا ط المخبتين ○ لا لاتصال الوصف الصلاة ○ ينفقون ج ○ خير ق والوصل أحسن للفاء صواف ج للشرط مع الفاء والمعتر ط تشكرون ○ منكم ط هداكم ط المحسنين ○ آمنوا ط كفور ○ ظلموا ط لقدير ○ لا بناء على أن الذين بدل من الضمير في نصرهم ربنا الله ط كثيرا ○ ينصره ط عزيز ○ المنكر ط الامور ○ ۞ التفسير لما ذكر حال أحد الخصمين في الآخرة أراد أن يذكر حال الآخر وهو المؤمن ولهذا ألزم التكرار الا أنه يفطن بهذه الآية فائدة أخرى هي بيان أن أهل الجنة يحلون فيها وقد مر مثله في أوائل الكهف من قرأ لؤلؤا بالنصب فعلى تقدير ويؤتون لؤلؤا الأن السوار من اللؤلؤ غريب الا أن يكون شيأ منظوما منه (وهدوا الى الطيب من القول) عن ابن عباس هو قولهم الحمد لله الذي صدقنا وعده يلهمهم الله ذلك (وهدوا الى صراط الحميد) أي الى طريق المقام المحمود وهو الجنة

قوله كطي السجل للكتاب يقول كطي الصحيفة على الكتاب **حدثني** محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب يقول كطي الصحف **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال السجل الصحيفة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب قال السجل الصحيفة * وأولى الاقوال في ذلك عندنا بالصواب قول من قال السجل في هذا الموضع الصحيفة لان ذلك هو المعروف في كلام العرب ولا يعرف لنبينا صلى الله عليه وسلم كاتب كان اسمه السجل ولا في الملائكة ملك ذلك اسمه فان قال قائل وكيف تطوى الصحيفة بالكتاب ان كان السجل صحيفة قيل ليس المعنى كذلك وانما معناه يوم نطوي السماء كطي السجل على مافيه من الكتاب ثم جعل نطوي مصدرا فقيل كطي السجل للكتاب واللام في قوله للكتاب بمعنى على * واختلف القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الامصار سوى أبي جعفر القارئ يوم نطوي السماء بالنون وقرأ ذلك أبو جعفر يوم تطوى السماء بالتاء وضمها على وجه مالم يسم فاعله * والصواب من القراءة في ذلك ماعليه قراء الامصار بالنون لاجماع الحجة من القراء عليه وشذوذ ماخالفه وأما السجل فانه في قراءة جميعهم بتشديد اللام وأما الكتاب فان قراء أهل المدينة وبعض أهل الكوفة والبصرة قرؤه بالتوحيد كطي السجل للكتاب وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة للكتب على الجماع * وأولى القراءتين عندنا في ذلك بالصواب قراءة من قرأه على التوحيد للكتاب لما ذكرنا من معناه فان المراد منه كطي السجل على مافيه مكتوب فلا وجه اذ كان ذلك معناه لجميع الكتب الا وجه تتبعه من معروف كلام العرب وعند قوله كطي السجل انقضاء الخبر عن صلة قوله لا يحزنهم الفزع الاكبر ثم ابتدأ الخبر عما الله فاعل بخلقه يومئذ فقال تعالى ذكره كما بدأنا أول خلق نعيده فالكاف التي في قوله كما من صلة نعيد تقدمت قبلها ومعنى الكلام نعيد الخلق عراة حفاة غرلا يوم القيامة كما بدأناهم أول مرة في حال خلقناهم في بطون أمهاتهم على اختلاف من أهل التأويل في تأويل ذلك * وبالذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل وبه الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلذلك اخترت القول به على غيره ذكر من قال ذلك والاثر الذي جاء فيه **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أول خلق نعيده قال حفاة عراة غرلا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله أول خلق نعيده قال حفاة غلفا قال ابن جريج أخبرني ابراهيم بن ميسرة أنه سمع مجاهدا يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحدى نسائه يأتونه حفاة عراة غلفا فاستترت بكم درعها وقالت

أوالى صراط الله كقوله الى صراط العزيز الحميد الله الذى له مافى السموات ومافى الارض وقال السدى الطيب من القول هو القرآن وقيل شهادة أن لا اله الا الله وقال حكماء الاسلام (٨٠) هو كشف الغطاء عن الحقائق الروحانية والمعارف الربانية ثم كرر وعيد أهل الكفر ومن داناهم فقال (ان الذين كفروا ويصدون) انما حسن عطف المستقبل على الماضى لانه أراد به الاستمرار وأنه من شأنهم الصد وكأنه قيل كفروا واستمروا على الصد وقال أبو على الفارسى كفروا فى الماضى وهم الآن يصدون عن ابن عباس أنها نزلت فى أبى سفيان ابن حرب وأصحابه حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه عام الحديبية عن أن يحجوا ويعتمروا وينحروا الهدى ومن قرأ (سواء) بالنصب فعلى أنه مفعول ثان لجعلنا أى جعلناه مستويا (العاكف فيه والباد) ومن قرأ بالرفع فعلى أن العاكف مبتدأ وسواء خبر مقدم والجملة مفعول ثان ويجوز أن يكون للناس مفعولا ثانيا أى جعلناه متعبدا لكل من وقع عليه اسم الناس وقوله سواء الى آخره الجملة بيان لذلك الجعل أى لافرق بين الحاضر المقيم به وبين الطارئ من البدو واختلفوا فى أن المكى والآفاقى يستويان فى أى شئ فعن ابن عباس فى بعض الروايات أنهما يستويان فى سكنى مكة والنزول بها للآية بناء على أن المراد بالمسجد الحرام مكة ولما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال مكة مباحة لمن سبق اليها والى هذا ذهب أبو حنيفة وهو قول قتادة وسعيد بن جبير أيضا ولاجل ذلك زعموا أن كراء دور مكة حرام والأكثرون على أنهما مستويان فى العبادة فى المسجد ليس للمقيم أن يمنع البادى وبالعكس ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يابنى عبد مناف من ولى منكم من أمور الناس شيأ فلا يمنعن أحدا طاف بهذا البيت أو صلى أية ساعة شاء من ليل أو نهار وعلى هذا فلا منع من بيع دور مكة

واسوأتاه قال ابن جريج أخبرت أنها عائشة قالت يانبى الله لا يحشر الناس بعضهم بعضا قال لكل امرئ يومئذ شأن يغنيه **حدثنا** ابن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا سفيان قال ثنى المغيرة بن النعمان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يحشر الناس حفاة عراة غرلا فأول من يكسى ابراهيم ثم قرأ كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين **حدثنا** ابن بشار قال ثنا اسحق بن يوسف قال ثنا سفيان عن المغيرة بن النعمان عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فذكر نحوه **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن المغيرة بن النعمان النخعى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه **حدثنا** أبو كريب قال ثنا وكيع عن شعبة قال ثنا المغيرة بن النعمان النخعى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس نحوه **حدثنا** عيسى بن يوسف بن الطباع أبو يحيى قال ثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يخطب فقال انكم ملاقوا الله مشاة غرلا **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن ادريس عن ليث عن مجاهد عن عائشة قالت دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندى عجوز من بنى عامر فقال من هذه العجوز ياعائشة فقلت احدى خالاتى فقالت ادع الله أن يدخلنى الجنة فقال ان الجنة لا يدخلها العجز قالت فأخذ العجوز ما أخذها فقال ان الله ينشئهن خلقا غير خلقهن ثم قال يحشرون حفاة عراة غلفا فقالت حاش لله من ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى ان الله قال كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا الى آخر الآية فأول من يكسى ابراهيم خليل الله **حدثنى** محمد بن عمارة الاسدى قال ثنا عبيد الله قال ثنا اسرائيل عن أبى اسحق عن عطاء عن عقبة بن عامر الجهنى قال يجمع الناس فى صعيد واحد ينفذهم البصر ويسمعهم الداعى حفاة عراة كما خلقوا أول يوم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى عباد بن العوام عن هلال بن حبان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة مشاة غرلا قلت ياأبا عبد الله ما الغرل قال الغلف فقال بعض أزواجه يارسول الله أينظر بعضنا الى بعض الى عورته فقال لكل امرئ منهم يومئذ ما يشغله عن النظر الى عورة أخيه قال هلال قال سعيد بن جبير ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة قال كيوم ولدته أمه يرد عليه كل شئ انتقص منه مثل يوم ولد * وقال آخرون بل معنى ذلك كما كنا ولا شئ غيرنا قبل أن نخلق شيأ كذلك نهلك الأشياء فنعيدها فانية حتى لا يكون شئ سوانا ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس كما بدأنا أول خلق نعيده الآية قال نهلك كل شئ كما كان أول مرة وقوله وعدا علينا يقول وعدنا كم ذلك وعدا حقا علينا أن نوفى بما وعدنا انا كنا فاعلى ما وعدناكم من ذلك أيها الناس لانه قد سبق فى حكمنا وقضائنا أن نفعله على يقين بأن ذلك كائن واستعدوا وتأهبوا

﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادى الصالحون﴾ اختلف أهل التأويل فى المعنى بالزبور والذكر فى هذا الموضع فقال بعضهم عنى بالزبور كتب الانبياء كلها التى أنزلها الله عليهم وعنى بالذكر أم الكتاب التى عنده فى السماء ذكر من قال ذلك **حدثنى** عيسى بن عثمان بن عيسى الرملى قال ثنا يحيى بن عيسى عن الأعمش

قال

وإجارتها وهو مذهب الشافعي وقد جرت المناظرة بينه وبين اسحق الحنظلي وكان اسحق لا يرخص في كراء دور مكة فاحتج الشافعي بقوله تعالى الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق و بأن عمر اشترى دار السجن فسكت اسحق وانما ذهب الاولون الى أن المراد بالمسجد الحرام ههنا مكة كلها لانه جعل العاكف فيه بازاء البادى أجاب الأكثرون بأنه أراد بالعاكف المجاور للمسجد الممكن في كل وقت من التعبد فيه والالحاد العدول عن القصد كما مر في قوله وذر الذين يلحدون في أسمائه وقوله (بالحاد بظلم) حالان ومفعول يرد متروك ليفيد العموم أى ومن يرد فيه مرادا ما جائرا ظالما وفائدة الحال الثانية أن العدول عن القصد قد يكون بالحق كقوله وجزاء سيئة سيئة واختلفوا في الالحاد في الحرم فعن قتادة وسعيد بن جبير وابن عباس في رواية عطاء أنه الشرك يعني من لجأ الى حرم الله ليشرك به عذبه الله وقال مقاتل نزلت في عبد الله بن حنظلة حيث قتل الأنصاري وهرب الى مكة كافرا فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله يوم الفتح وهو العذاب الاليم وعن مجاهد أنه الاحتكار وقيل المنع من عمارته وعن عطاء هو قول الرجل في المبايعة لا والله وبلى والله ومثله ما روى عن عبد الله بن عمر أنه كان له فسطاطان أحدهما في الحل والآخر في الحرم فاذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم في الحل فقيل له في ذلك فقال كنا نحدث أن من الالحاد فيه أن يقول الرجل لا والله و بلى والله والاولى التعميم وفيه أن الواجب على من كان فيه أن يضبط نفسه ويسلك طريق السداد والعدل في مهامه ومقاصده وهذا وان كان واجبا في كل مكان الا أن وجوبه هناك أكد فللمكان خاصية كما للزمان ولهذا قال مجاهد تضاعف السيئات فيه كما تضاعف الحسنات عن ابن مسعود أن القصد الى الذنب يكتب

قال سألت سعيدا عن قول الله ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر قال الذكر الذى في السماء **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عيسى بن يونس عن الأعمش عن سعيد بن جبير في قوله ولقد كتبنا في الزبور قال قرأها الأعمش الزبر قال الزبور والتوراة والانجيل والقرآن من بعد الذكر قال الذكر الذى في السماء **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد الزبور قال الكتاب من بعد الذكر قال أم الكتاب عند الله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله الزبور قال الكتاب بعد الذكر قال أم الكتاب عند الله **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولقد كتبنا في الزبور قال الزبور الكتب التي أنزلت على الانبياء والذكر أم الكتاب الذى تكتب فيه الاشياء قبل ذلك (١) **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن سعيد في قوله ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر قال كتبنا في القرآن من بعد التوراة * وقال آخرون بل عنى بالزبور الكتب التي أنزلها الله على من بعد موسى من الانبياء وبالذكر التوراة ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر الآية قال الذكر التوراة والزبور الكتب **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر الآية قال الذكر التوراة ويعنى بالزبور من بعد التوراة الكتب * وقال آخرون بل عنى بالزبور زبور داود وبالذكر توراة موسى صلى الله عليهما ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن عامر أنه قال في هذه الآية ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر قال زبور داود من بعد الذكر ذكر موسى التوراة **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا ابن أبي عدى عن داود عن الشعبي أنه قال في هذه الآية ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر قال في زبور داود من بعد ذكر موسى * وأولى هذه الاقوال عندى بالصواب في ذلك ما قاله سعيد بن جبير ومجاهد ومن قال بقولهما في ذلك من أن معناه ولقد كتبنا في الكتب من بعد أم الكتاب الذى كتب الله كل ما هو كائن فيه قبل خلق السموات والارض وذلك أن الزبور هو الكتاب يقال منه زبرت الكتاب ولزبرته اذا كتبته وان كل كتاب أنزله الله الى نبي من أنبيائه فهو ذكر فاذ كان ذلك كذلك فان في ادخاله الألف واللام في الذكر الدلالة البينة أنه معنى به ذكر بعينه معلوم عند المخاطبين بالآية ولو كان ذلك غير أم الكتاب التي ذكرنا لم تكن التوراة بأولى من أن تكون المعنية بذلك من صحف ابراهيم فقد كان قبل زبور داود فتأويل الكلام اذا اذ كان ذلك كما وصفنا ولقد قضينا فأثبتنا قضاءنا في الكتب من بعد أم الكتاب أن الارض يرثها عبادى الصالحون يعنى بذلك أن أرض الجنة يرثها عبادى العاملون بطاعته المنتهون الى أمره ونهيه من عباده دون العاملين بمعصيته منهم المؤثرين طاعة الشيطان على طاعته ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن عبد الله الهلالي قال ثنا عبيد الله بن موسى قال ثنا اسرائيل عن أبي يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس قوله أن الأرض يرثها عبادى الصالحون قال أرض الجنة **حدثني** على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ولقد كتبنا

(١) هذا الأثر مناسب للقول بعده فلعله مقدم من تأخير فتنبه كتبه مصححه

عن ابن مسعود أن القصد الى الذنب يكتب

هنالك ذنبا وان لم يخرج الى الفعل وعنه لو أن رجلا يهم بأن يعمل سيئة عند البيت أذاقه الله تعالى عذابا أليما واعلم أن خبر إن محذوف لدلالة جواب الشرط عليه كأنه قيل ان الذين كفروا (٨٢) ويصدون نذيقهم من عذاب أليم ومن يرد فى الحرم بالحاد فهو كذلك وحين انجر الكلام الى ذكر المسجد الحرام أتبعه ذكر الكعبة وبعض ما يتعلق به من المناسك فقال (واذ بوأنا) أى واذكر حين جعلنا (لابراهيم مكان البيت) مباءة أى مرجعا يرجع اليه للعمارة والعبادة ويروى أن موضع البيت كان مطموسا فبعث الله تعالى ريحا كنست ما حوله حتى ظهر أسه القديم فبنى ابراهيم عليه وقد مر قصة ذلك فى البقرة وقيل بعث غمامة على قدر البيت الحرام فى العرض والطول وفيها رأس يتكلم وله لسان وعينان فقال يا ابراهيم ابن على قدرى فأخذ فى البناء وذهبت السحابة وأن فى (أن لا تشرك) هى المفسرة وذلك أن المقصود من التوبة هو العبادة فكأنه قيل تعبدنا لابراهيم قلنا له لا تشرك وطهر وقد مر مثله فى البقرة وانما قال ههنا (والقائمين) لان العاكف ذكر مرة فى قوله سواء العاكف والقائم اما بمعنى القيام فى الصلاة بدليل قوله والركع السجود أو بمعنى المقيم المتوطن والظاهر أن الخطاب فى (وأذن) لابراهيم أيضا أى ناد (فى الناس) وهو أن يقول حجوا أو عليكم (بالحج) يروى أنه صعد أبا قبيس فقال أيها الناس حجوا بيت ربكم قال مجاهد فما حج انسان ولا يحج الى القيامة الا وقد سمع ذلك النداء من فى أصلاب الرجال وأرحام النساء فمن أجاب مرة حج مرة ومن أجاب أكثر فأكثر ولعل الفائدة فى قوله (يأتوك) هى هذه لان الاتيان الى مكة بسبب ندائه اتيان اليه وأيضا هو أول من حج وغيره يقتدى به وكأنه يأتيه وعن الحسن

فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون قال أخبر سبحانه فى التوراة والزبور وسابق علمه قبل أن تكون السموات والارض أن يورث أمة محمد صلى الله عليه وسلم الارض ويدخلهم الجنة وهم الصالحون حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن سعيد بن جبير فى قوله ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادى الصالحون قال كتبنا فى القرآن بعد التوراة والارض أرض الجنة حدثنى على بن سهل قال ثنا حجاج عن أبى جعفر عن الربيع بن أنس عن أبى العالية أن الارض يرثها عبادى الصالحون قال الأرض الجنة حدثنى عيسى بن عثمان بن عيسى الرملى قال ثنا يحيى بن عيسى عن الأعمش قال سألت سعيدا عن قول الله أن الارض يرثها عبادى الصالحون قال أرض الجنة حدثنى محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله أن الارض قال الجنة يرثها عبادى الصالحون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أن الأرض يرثها عبادى الصالحون قال الجنة وقرأ قول الله جل ثناؤه وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين قال فالجنة مبتدؤها فى الارض ثم تذهب درجات علوا والنار مبتدؤها فى الارض وبينهما حجاب سور ما يدرى أحد ما ذاك السور وقرأ باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب قال ودرجها تذهب سفالا فى الارض ودرج الجنة تذهب علوا فى السموات حدثنا محمد بن عوف قال ثنا أبو المغيرة قال ثنا صفوان سألت عامر بن عبد الله أبا اليمان هل لأنفس المؤمنين بمجتمع قال فقال ان الارض التى يقول الله ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادى الصالحون قال هى الارض التى تجتمع اليها أرواح المؤمنين حتى يكون البعث وقال آخرون هى الارض يورثها الله المؤمنين فى الدنيا * وقال آخرون عنى بذلك بنو اسرائيل وذلك أن الله وعدهم ذلك فوفى لهم به واستشهد لقوله ذلك بقول الله وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التى باركنا فيها وقد ذكرنا قول من قال أن الارض يرثها عبادى الصالحون انها أرض الأمم الكافرة ترثها أمة محمد صلى الله عليه وسلم وهو قول ابن عباس الذى روى عنه على بن أبى طلحة ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴾ ﴿ ان فى هذا لبلاغا لقوم عابدين وما أرسلناك الا رحمة للعالمين ﴾ يقول تعالى ذكره ان فى هذا القرآن الذى أنزلناه على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لبلاغا لمن عبد الله بما فيه من الفرائض التى فرضها الله الى رضوانه وادراك الطلبة عنده * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن الجريرى عن أبى الورد بن ثمامة عن أبى محمد الحضرمى قال ثنا كعب فى هذا المسجد قال والذى نفس كعب بيده ان فى هذا لبلاغا لقوم عابدين انهم لأهل أو أصحاب الصلوات الخمس سماهم الله عابدين حدثنا الحسين بن يزيد الطحان قال ثنا ابن علية عن سعيد بن اياس الجريرى عن أبى الورد عن كعب فى قوله ان فى هذا لبلاغا لقوم عابدين قال صوم شهر رمضان وصلاة الخمس قال هى ملء اليدين والبحر عبادة حدثنا القاسم قال

معه فى حجة الوداع قولان وقيل انه ابتداء فرض الحج والرجال المشاة واحده راجل وقوله (وعلى كل ضامر) حال آخر كأنه قيل رجالا وركبانا والضامر البعير المهزول لطول السفر (ويأتين) صفة لكل ضامر لانه فى معنى الجمع والفج الطريق الواسع وقد مر فى السورة

المتقدمة والعميق البعيد ومثله معيق وبه قرأ ابن مسعود وفى تقديم المشاة تشريف لهم روى سعيد بن جبير باسناده عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الحاج الراكب له بكل خطوة تخطوها راحلته سبعون حسنة وللماشى سبعمائة من حسنات الحرم قيل يارسول الله وما حسنات الحرم قال الحسنة بمائة ألف حسنة قال جار الله نكر المنافع لانه أراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودنيوية لاتوجد فى غيرها من العبادات وقد كنى عن النحر والذبح بذكر اسم الله تعالى لان المسلمين لاينفكون عن التسمية اذا نحروا أو ذبحوا وفيه تنبيه على ان التسمية من الأغراض الأصلية المعتبرة خلاف ما كان يفعله المشركون من الذبح للنصب وفى قوله (على مارزقهم) اشارة الى أن نفس القربان وتيسير ذلك العمل من نعم الله تعالى ولو قيل لينحروا فى أيام معلومات بهيمة الانعام لم يكن شئ من هذه الفوائد والأيام المعلومات عند أكثر العلماء عشر ذى الحجة الأول آخرها يوم النحر لأنها معلومة عند الناس لحرصهم على أعمال الحج فيها ثم للمنافع أوقات من العشر معروفة كيوم عرفة والمشعر الحرام وكذلك للذبح وقت بعينه وهو يوم النحر وهذا قول مجاهد وعطاء وقتادة والحسن ورواية سعيد بن جبير عن ابن عباس واختيار الشافعى وأبى حنيفة وعن ابن عباس فى رواية أخرى أنها يوم النحر وثلاثة أيام بعدها وهو اختيار أبى مسلم وقول أبى يوسف ومحمد وعلى الأول يكون قوله فى أيام متعلقا بكلا الفعلين أعنى ليشهدوا ويذكروا وعلى الثانى يختص تعلقه بالثانى ومعنى

الحسين قال ثنا محمد بن الحسين عن الجريرى قال قال كعب الاحبار ان فى هذا البلاغ القوم عابدين لأمة محمد **حدثنى** على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ان فى هذا لبلاغا لقوم عابدين يقول عاملين **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله ان فى هذا لبلاغا لقوم عابدين قال يقولون فى هذه السورة لبلاغا ويقول آخرون فى القرآن تنزيل الفرائض الصلوات الخمس من أداها كان بلاغا لقوم عابدين قال عاملين **حدثنا** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ان فى هذا لبلاغا لقوم عابدين قال ان فى هذا المنفعة وعلما لقوم عابدين ذلك البلاغ وقوله وما أرسلناك الا رحمة للعالمين يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وما أرسلناك يا محمد الى خلقنا الا رحمة لمن أرسلناك اليه من خلقى * ثم اختلف أهل التأويل فى معنى هذه الآية أجميع العالم الذين أرسل اليهم محمد أريد بها مؤمنهم وكافرهم أم أريد بها أهل الايمان خاصة دون أهل الكفر فقال بعضهم عنى بها جميع العالم المؤمن والكافر ذكر من قال ذلك **حدثنى** اسحق بن شاهين قال ثنا اسحق بن يوسف الازرق عن المسعودى عن رجل يقال له سعيد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قول الله فى كتابه وما أرسلناك الا رحمة للعالمين قال من آمن بالله واليوم الآخر كتب له الرحمة فى الدنيا والآخرة ومن لم يؤمن بالله ورسوله عوفى مما أصاب الامم من الخسف والقذف **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عيسى بن يونس عن المسعودى عن أبى سعيد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله وما أرسلناك الا رحمة للعالمين قال تمت الرحمة لمن آمن به فى الدنيا والآخرة ومن لم يؤمن به عوفى مما أصاب الامم قبل * وقال آخرون بل أريد بها أهل الايمان دون أهل الكفر ذكر من قال ذلك **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وما أرسلناك الا رحمة للعالمين قال العالمون من آمن به وصدقه قال وان أدرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين قال فهو لهؤلاء فتنة ولهؤلاء رحمة وقد جاء الامر مجملا رحمة للعالمين والعالمون ههنا من آمن به وصدقه وأطاعه * وأولى القولين فى ذلك بالصواب القول الذى روى عن ابن عباس وهو أن الله أرسل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة لجميع العالم مؤمنهم وكافرهم فأما مؤمنهم فان الله هداه به وأدخله بالايمان به وبالعمل بما جاء من عند الله الجنة وأما كافرهم فانه دفع به عنه عاجل البلاء الذى كان ينزل بالأمم المكذبة رسلها من قبله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل انما يوحى الى أنما الهكم اله واحد فهل أنتم مسلمون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد ما يوحى الى ربى الا أنه لا اله لكم يجوز أن يعبد الا اله واحد لا تصلح العبادة الا له ولا ينبغى ذلك لغيره فهل أنتم مسلمون يقول فهل أنتم مذعنون له أيها المشركون العابدون الاوثان والاصنام بالخضوع لذلك ومتبرؤن من عبادة ما دونه من آلهتكم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فان تولوا فقل آذنتكم على سواء وان أدرى أقريب أم بعيد ما توعدون﴾ يقول تعالى ذكره فان أدبر هؤلاء المشركون يا محمد عن الاقرار بالايمان بأن لا اله لهم الا اله واحد فأعرضوا عنه وأبوا الاجابة اليه فقل لهم قد آذنتكم على سواء يقول أعلمهم أنك وهم على علم من أن بعضكم لبعض حرب لاصلح بينكم ولا سلم وانما عنى بذلك قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش كما **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى

(بهيمة الانعام) بهيمة من الأنعام لأن البهيمة تشمل كل ذات أربع فى البر والبحر فبينت بالانعام وهى الابل والبقر والضأن والمعز وقدم فى أول المائدة قال مقاتل اذا ذبحت فقل بسم الله والله أكبر اللهم منك واليك وتستقبل القبلة وزاد الكلبى ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين قال القفال كان المتقرب بها و باراقة دمائها متصور بصورة من يفدى نفسه بما يعادلها فكأنه يبذل تلك الشاة بذل مهجته طلبا لمرضاة الله واعترافا بأن تقصيره كاد يستحق مهجته أما قوله (فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير) فالبائس الذى أصابه بؤس أى شدة والفقير قدم فى آية الصدقات فى التوبة وفى غيرها ثم من الناس من قال الأمر ان للوجوب لأن أهل الجاهلية كانوا لا يأكلون منها فأمر المسلمون بمخالفتهم والاكثرون على أن الأكل ليس بواجب ثم منهم من قال يحسن أن يأكل النصف و يتصدق بالنصف رعاية للامرين ومنهم من قال يأكل الثلث و يتصدق بالثلثين لما يجىء من قوله فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر فجعلها على ثلاثة أقسام ومنهم من قال يأكل الثلث و يدخر الثلث و يتصدق بالثلث لما جاء فى الحديث من الأمر بالادخار والأولى وهو مذهب الشافعى أنه ان أطعم جميعها أجزأه وان أكل جميعها لم يجزئه واذا تصدق بأقل شئ من لحمها يكفى هذا اذا كان متطوعا وأما الواجبات كالنذور والكفارات وجبران النقصانات مثل دم القران ودم التمتع ودم الاساءة فلا يأكل منها لاهو ولا أغنياء الرفقة ولا فقراؤها لما روى عن هشام بن عروة عن أبيه عن ناجية الخزاعى قال قلت يارسول الله كيف أصنع بما عطب من البدن قال نناوه انحرها ثم اغمس نعلها فى دمها ثم خل بين الناس و بينها يأكلونها وقال أيضا صلى الله عليه وسلم فى مثله لا تأكل منها أنت ولا أحد من أهل

حجاج عن ابن جريج قوله فان تولوا فقل آذنتكم على سواء فان تولوا يعنى قريشا وقوله وان أدرى أقريب أم بعيد ما توعدون يقول تعالى ذكره لنبيه قل وما أدرى متى الوقت الذى يحل بكم عقاب الله الذى وعدكم فينتقم به منكم أقريب نزوله بكم أم بعيد * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج وان أدرى أقريب أم بعيد ما توعدون قال الأجل ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿انه يعلم الجهر من القول و يعلم ما تكتمون وان أدرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء المشركين ان الله يعلم الجهر الذى تجهرون به من القول و يعلم ما تخفونه فلا تجهرون به سواء عنده خفيه وظاهره وسره وعلانيته انه لا يخفى عليه منه شئ فان أخر عنكم عقابه على ما تخفون من الشرك به أو تجهرون به فما أدرى ما السبب الذى من أجله يؤخر ذلك عنكم لعل تأخيره ذلك عنكم مع وعده اياكم لفتنة يريدها بكم ولتمتعوا بحياتكم الى أجل قد جعله لكم تبلغونه ثم ينزل بكم حينئذ نقمته * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس وان أدرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين يقول لعل ما أقرب لكم من العذاب والساعة أن يؤخر عنكم لمدتكم ومتاع الى حين فيصير قولى ذلك لكم فتنة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل رب احكم بالحق ور بنا الرحمن المستعان على ما تصفون﴾ يقول تعالى ذكره قل يا محمد يارب افصل بينى و بين من كذبنى من مشركى قومى وكفر بك وعبد غيرك باحلال عذابك ونقمتك بهم وذلك هو الحق الذى أمر الله تعالى نبيه أن يسأل ربه الحكم به وهو نظير قوله جل ثناؤه ربنا افتح بيننا و بين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قال رب احكم بالحق قال لا يحكم بالحق الا الله ولكن انما استعجل بذلك فى الدنيا يسأل ربه على قومه حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد ابن ثور عن معمر عن قتادة أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا شهد قتالا قال رب احكم بالحق * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الامصار قل رب احكم بكسر الباء ووصل الالف ألف احكم على وجه الدعاء والمسألة سوى أبى جعفر فانه ضم الباء من الرب على وجه نداء المفرد وغير الضحاك بن مزاحم فانه روى عنه أنه كان يقرأ ذلك ربى أحكم على وجه الخبر بأن الله أحكم بالحق من كل حاكم فيثبت الياء فى الرب و بهمز الالف من أحكم و يرفع أحكم على أنه خبر للرب تبارك وتعالى * والصواب من القراءة عندنا فى ذلك وصل الباء من الرب وكسرها باحكم وترك قطع الالف من احكم على ما عليه قراء الامصار لاجماع الحجة من القراء عليه وشذوذ ما خالفه وأما الضحاك فان فى القراءة التى ذكرت عنه زيادة حرف على خط المصاحف ولا ينبغى أن يزاد ذلك فيها مع صحة معنى القراءة بترك زيادته وقد زعم بعضهم أن معنى قوله رب احكم بالحق قل رب احكم بحكمك الحق ثم حذف الحكم الذى الحق نعت له وأقيم الحق مقامه وذلك وجه غير أن الذى قلناه أوضح وأشبه بما قاله أهل التأويل فلذلك اخترناه وقوله ور بنا الرحمن المستعان على ما تصفون يقول جل

رفثك قوله (ثم ليقضوا تفثهم) لا يبعد أن يكون معطوفا على ليشهدوا فان هذه الأعمال كلها غايات للاتيان الا أن اسكان هذه اللامات في بعض القرا آت يدل على أنها لام الامر وعلى هذا تكون هذه الاوامر الغائبة معطوفة على الامرين الحاضرين قبلها والله أعلم

ثناؤه وقل يا محمد ربنا الذي يرحم عباده ويعمهم بنعمته الذي أستعينه عليكم فيما تقولون وتصفون من قولكم لي فيما أتيتكم به من عند الله ان هذا الا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون وقولكم بل افتراه بل هو شاعر وفي كذبكم على الله جل ثناؤه وقيلكم اتخذ الرحمن ولدا فانه هين عليه تغيير ذلك وفصل ما بيني وبينكم بتعجيل العقوبة لكم على ما تصفون من ذلك

(آخر تفسير سورة الانبياء عليهم السلام)

(تفسير سورة الحج)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

القول في تأويل قوله تعالى ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾ قال أبو جعفر يقول تعالى ذكره يا أيها الناس احذروا عقاب ربكم بطاعته فأطيعوه ولا تعصوه فان عقابه لمن عاقبه يوم القيامة شديد ثم وصف جل ثناؤه هول أشراط ذلك اليوم وبدوه فقال ان زلزلة الساعة شيء عظيم * واختلف أهل العلم في وقت كون الزلزلة التي وصفها جل ثناؤه بالشدة فقال بعضهم هي كائنة في الدنيا قبل يوم القيامة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان عن الأعمش عن ابراهيم عن علقمة في قوله ان زلزلة الساعة شيء عظيم قال قبل الساعة حدثني سليمن بن عبد الجبار قال ثنا محمد بن الصلت قال ثنا أبو كدينة عن عطاء عن عامر يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم قال هذا في الدنيا قبل يوم القيامة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج في قوله ان زلزلة الساعة فقال زلزلتها أشراطها الآيات يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء عن عامر يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم قال هذا في الدنيا من آيات الساعة وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحو ما قال هؤلاء خبر في اسناده نظر وذلك ما حدثنا أبو كريب قال ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي عن اسمعيل بن رافع المدني عن يزيد بن أبي زياد عن رجل من الانصار عن محمد بن كعب القرظي عن رجل من الأنصار عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ الله من خلق السموات والارض خلق الصور فأعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص ببصره الى العرش ينتظر متى يؤمر قال أبو هريرة يا رسول الله وما الصور قال قرن قال وكيف هو قال قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات الاولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة القيام لرب العالمين يأمر الله عز وجل اسرافيل بالنفخة الاولى فيقول انفخ نفخة الفزع فينفزع أهل السموات والارض إلا من شاء الله ويأمره الله فيديمها ويطولها فلا يفتر وهي التي يقول الله ما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة مالها من فواق فيسير الله الجبال فتكون سرابا وترج الارض بأهلها رجا وهي التي يقول الله يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة فتكون الارض كالسفينة الموبقة في البحر تضربها الامواج تكفأ

قال أبو عبيدة لم يجئ في الشعر ما يحتج به في معنى التفث وقال الزجاج ان أهل اللغة لا يعرفون التفث الا من التفسير وقال القفال قال نفطويه سألت أعرابيا فصيحا ما معنى قوله ثم ليقضوا تفثهم فقال ما أفسر القرآن ولكنا نقول للرجل ما أتفثك وما أدرنك ثم زعم القفال أن هذا أولى من قول الزجاج لان المثبت أولى من النافي وقال المبرد أصل التفث في كلام العرب كل قاذورة تلحق الانسان فيجب عليه نقضها وأجمع أهل التفسير على أن المراد ههنا ازالة الاوساخ والزوائد كقص الشارب والاظفار ونتف الابط وحلق العانة فتقدير الآية ثم ليقضوا ازالة تفثهم وليوفوا نذورهم أي الاعمال التي أوجبها الحج بالشروع فيه أو أعمال البر التي أوجبوها على أنفسهم بالنذر فان الرجل اذا حج أو اعتمر فقد يوجب على نفسه من الهدى وغيره ما لولا ايجابه لم يكن الحج يقتضيه (وليطوفوا) هو طواف الافاضة والزيارة التي هي ركن وقد شرحت حاله في البقرة في قوله فاذا أفضتم من عرفات وقيل هو طواف الوداع والصدر سمي (بالبيت العتيق) لانه أول بيت وضع للناس عن الحسن وقال قتادة لانه أعتق من تسلط الجبابرة عليه وهو قول ابن عباس وابن الزبير ورووه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عيينة لانه لم يملك قط وعن مجاهد لانه أعتق من الغرق أيام الطوفان وقيل معناه البيت الكريم من قولهم عتاق الخيل والطير والحرمة ما لا يحل هتكه وجميع التكاليف بهذه الصفة من مناسك الحج وغيرها ويحتمل أن يراد ههنا ما يتعلق بالحج عن زيد بن أسلم أن الحرمات

بأهلها أو كالقنديل المعلق بالعرش ترجحه الارواح فتميد الناس على ظهرها فتذهل المراضع وتضع الحوامل وتشيب الولدان وتطير الشياطين هاربة حتى تأتى الاقطار فتلقاها الملائكة فتضرب وجوهها فترجع ويولى الناس مدبرين ينادى بعضهم بعضا وهو الذى يقول الله يوم التناد يوم تولون مدبرين مالكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فماله من هاد فبينما هم على ذلك اذ تصدعت الارض من قطر الى قطر فرأوا أمرا عظيما وأخذهم لذلك من الكرب ما الله أعلم به ثم نظروا الى السماء فاذا هى كالمهل ثم خسف شمسها وخسف قمرها وانتثرت نجومها ثم كشطت عنهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والاموات لا يعلمون بشئ من ذلك فقال أبو هريرة فمن استثنى الله حين يقول ففزع من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله قال أولئك الشهداء وانما يصل الفزع الى الاحياء أولئك أحياء عند ربهم يرزقون وقاهم الله فزع ذلك اليوم وآمنهم وهو عذاب الله يبعثه على شرار خلقه وهو الذى يقول يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم الى قوله ولكن عذاب الله شديد وهذا القول الذى ذكرناه عن علقمة والشعبى ومن ذكرنا ذلك عنه قول لا مجيء الصحاح من الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بخلافه ورسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم بمعانى وحى الله وتنزيله * والصواب من القول فى ذلك ما صح به الخبر عنه ذكر الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما ذكرنا **حدثنى** أحمد بن المقدام قال ثنا المعتمر بن سليمن قال سمعت أبى يحدث عن قتادة عن صاحبه حدثه عن عمران بن حصين قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض مغازيه وقد فاوت السير بأصحابه اذ نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم قال فحثوا المطى حتى كانوا حول رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هل تدرون أى يوم ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال ذلك يوم ينادى آدم ينادى ربه ابعث بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين الى النار قال فأبلس القوم فما وضح منهم ضاحك فقال النبى صلى الله عليه وسلم ألا اعملوا وأبشروا فان معكم خليقتين ما كانتا فى قوم الا كثرتاهم فمن هلك من بنى آدم ومن هلك من بنى ابليس ويأجوج ومأجوج قال أبشروا ما أنتم فى الناس الا كالشامة فى جنب البعير أو كالرقة فى جناح الدابة **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا هشام بن أبى عبد الله عن قتادة عن الحسن عن عمران بن حصين عن النبى صلى الله عليه وسلم **حدثنا** ابن بشار قال ثنا معاذ بن هشام قال ثنا أبى **وحدثنا** ابن أبى عدى عن هشام جميعا عن قتادة عن الحسن عن عمران بن حصين عن النبى صلى الله عليه وسلم بمثله **حدثنا** أبو كريب قال ثنا محمد بن بشر عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن العلاء بن زياد عن عمران عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه **حدثنا** ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا عوف عن الحسن قال بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قفل من غزوة العسرة ومعه أصحابه بعد ما شارف المدينة قرأ يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم يوم ترونها الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون أى يوم ذاكم قيل الله ورسوله أعلم فذكر نحوه الا أنه زاد وانه لم يكن رسولان الا كان بينهما فترة من الجاهلية فهم أهل النار وانكم بين ظهرانى خليقتين لا يعدهما أحد من أهل الارض الا كثروهم

يأجوج

نفى الاشراك وان كان مقدما فى الرتبة اذ التخلية والتبرئة مقدمة على التحلية والتولية ليرتب عليه قوله (ومن يشرك بالله) الآية قال جار الله

خمس الكعبة الحرام والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمحرم حتى يحل وتعظيمها العلم بوجوبها والقيام بحقوقها وقوله (فهو خير) أى فالتعظيم له خير من التهاون بذلك وقوله (عند ربه) اشارة الى أن ثوابه مدخر لأجله قوله (وأحلت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم) قدم فى أول المائدة مثله أى الا ما يتلى عليكم آية تحريمه وهى حرمت عليكم الميتة أو قوله غير محلى الصيد وأنتم حرم أو قوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وحين حث على تعظيم الحرمات أتبعه الأمر بما هو أعظم أنواعها وأقدم أصنافها قائلا (فاجتنبوا الرجس) وبينه بقوله (من الاوثان) أى الرجس الذى هو الأوثان كقولك عندى عشرون من الدراهم والرجس العمل القبيح فى الغاية وقدم فى آخر المائدة فى تفسير قوله رجس من عمل الشيطان والزور من الزور الميل والاضافة كقولهم رجل صدق جمع بين القول الزور وبين الشرك لان عبادة الاوثان هى رأس الزور وملاكه قال الأصم وصف الاوثان بأنها رجس لان عادتهم فى القرابين أن يتعمدوا سقوط الدماء عليها والاقرب أنها وصفت بذلك لان عبادتها فعلة متمادية فى القبح والسماجة وللمفسرين فى قول الزور وجوه منها أنه قولهم هذا حلال وهذا حرام ومنها أنه شهادة الزور رفعوا هذا التفسير الى النبى صلى الله عليه وسلم ومنها أنه الكذب والبهتان ومنها أنه قول أهل الجاهلية فى الطواف لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك وقوله (حنفاء لله غير مشركين به) حالان مؤكدان والمراد الاخلاص فى التوحيد كقوله حنيفا ولم يك من المشركين وفائدة الحالين هى فائدة التولى والتبرى وانما أخر

ان كان تشبيها مركبا فمعناه من أشرك بالله فقد أهلك نفسه غاية الاهلاك وذلك بأن صور حاله بصورة من خر من السماء فاختطفته أى تتلقته الطير فتفرق مزعا أى قطعا من اللحم فى حواصلها أو بحال من خر فعصفت به الريح حتى هوت به فى بعض المطاوح السحيقة البعيدة وان كان مفرقا فقد شبه الايمان فى علوه بالسماء والذى تركه فأشرك فقد سقط منها والاهواء التى توزع أفكاره بالطير المتخطفة وفى المثل الآخر شبه الشيطان الذى يطرح به فى وادى الضلالة بالريح التى تهوى بالاشياء فى المهاوى المتلفة وتعظيم شعائر الله وهى الهدايا كما مر فى أول المائدة هى أن يختارها عظام الأجرام غالية الأثمان وقد مر وصفها الشرعى فى البقرة فى قوله فما استيسر من الهدى وقد أهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة بدنة فيها جمل لأبى جهل فى أنفه برة من ذهب قال فى الكشاف (فانها من تقوى القلوب) أى فان تعظيمها من أفعال ذوى تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات ولا يستقيم المعنى الا بتقديرها لانه لابد من راجع من الجزاء الى من ليرتبط به وأقول فى هذا الوجوب نظر لأنه ليس بشرعى ولا بعقلى على ما تزعم المعتزلة أما المضاف الاول فلانه يحتمل أن يعود الضمير الى التعظيم بمعنى الخلة وأما الآخران فلأن من للعموم فلا يلزم أن يقدر لفظة منه أو فاعل التعظيم موحدين حتى لا يطابقها لفظ القلوب بل يحتمل أن يقدر لفظة منهم أو يقدر فان تعظيمهم اياها فيرجع الكلام الى قولنا ومن يعظم شعائر الله فان تلك الخلة منهم من تقوى القلوب أى ناشئة من تقوى قلوبهم فان القلوب مراكز التقوى التى منها عيارها وعليها مدارها ولا عبرة بما يظهر من آثارها على سائر الجوارح دونها ثم كان لسائل أن يسأل ما بال هذه الحيوانات تذبح فيتقرب بها الى الله تعالى فلهذا قال (لكم فيها منافع) يعنى الدنيوية من الدر والركوب والظهر وسيشير الى الدينية بقوله

يأجوج ومأجوج وهم أهل النار وتكمل العدة من المنافقين **حدثنى** يحيى بن ابراهيم المسعودى قال ثنا أبى عن أبيه عن جده عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يقال لآدم أخرج بعث النار قال فيقول وما بعث النار فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين فعند ذلك يشيب الصغير وتضع الحامل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد قال قلنا فأين الناجى يا رسول الله قال أبشروا فان واحدا منكم وألفا من يأجوج ومأجوج ثم قال انى لأطمع أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبرنا وحمدنا الله ثم قال انى لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة فكبرنا وحمدنا الله ثم قال انى لأطمع أن تكونوا نصف أهل الجنة انما مثلكم فى الناس كمثل الشعرة البيضاء فى الثور الاسود أو كمثل الشعرة السوداء فى الثور الابيض **حدثنا** أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله لآدم يوم القيامة ثم ذكر نحوه **حدثنى** عيسى بن عثمان بن عيسى الرملى قال ثنا يحيى بن عيسى عن الاعمش عن أبى صالح عن أبى سعيد قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الحشر قال يقول الله يوم القيامة يا آدم فيقول لبيك وسعديك والخير بيديك فيقول ابعث بعثا الى النار ثم ذكر نحوه **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة عن أنس قال نزلت يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم حتى ثاب اليه أصحابه فقال أتدرون أى يوم هذا هذا يوم يقول الله لآدم يا آدم قم فابعث بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين فكبر ذلك على المسلمين فقال النبى صلى الله عليه وسلم سددوا وقاربوا وأبشروا فوالذى نفسى بيده ما أنتم فى الناس الا كالشامة فى جنب البعير أو كالرقمة فى ذراع الدابة وان معكم لخليقتين ما كانتا فى شئ قط الا كثرتاه يأجوج ومأجوج ومن هلك من كفرة الجن والانس **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن اسحق عن عمرو بن ميمون قال دخلت على ابن مسعود بيت المال فقال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة قلنا نعم قال أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة قلنا نعم قال فوالذى نفسى بيده انى لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة وسأخبركم عن ذلك انه لا يدخل الجنة الا نفس مسلمة وان قلة المسلمين فى الكفار يوم القيامة كالشعرة السوداء فى الثور الابيض أو كالشعرة البيضاء فى الثور الاسود **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ان زلزلة الساعة شئ عظيم قال هذا يوم القيامة والزلزلة مصدر من قول القائل زلزلت بفلان الارض أزلزله زلزلة وزلزالا بكسر الزاى من الزلزال كما قال الله اذا زلزلت الارض زلزالها وكذلك المصدر من كل سليم من الأفعال اذا جاءت على فعلال فبكسر أوله مثل وسوس وسوسة ووسواسا فاذا كان اسما كان بفتح أوله الزلزال والوسواس وهو ما وسوس الى الانسان كما قال الشاعر

يعرف الجاهل المضلل أن الدهر فيه النكراء والزلزال

وقوله تعالى ذكره يوم ترونها يقول جل ثناؤه يوم ترون أيها الناس زلزلة الساعة تذهل من

لكم فيها خير ولهذا أطلق ذلك وقيد هذه بقوله (الى أجل مسمى) وهو أوان النحر ثم بين أن وجوب نحرها أو وقت وجوب نحرها أو مكان نحرها منته الى البيت أو الى ما يجاوره و يقرب

منه وهو الحرم كما مر فى قوله هديا بالغ الكعبة ومثله قوله بلغنا البلد اذا شارفوه واتصل مسيرهم بحدوده قال القفال هذا انما يختص بالهدايا التى بلغت منى فاما اذا عطبت قبل بلوغ مكة فان محلها هو موضعها روى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم مر برجل يسوق بدنة وهو فى جهد فقال صلى الله عليه وسلم اركبها فقال يا رسول الله انها هدى فقال اركبها ويلك وعن جابر أنه صلى الله عليه وسلم قال اركبوا الهدى بالمعروف حتى تجدوا ظهرا وهذا هو الذى اختاره الشافعى وعن أبى حنيفة أنه لا يجوز الانتفاع بها لانه لا يجوز اجارتها ولو كان مالكا لمنافعها لملك عقد الاجارة عليها وضعف بأن أم الولد لا يمكنه بيعها و يمكنه الانتفاع بها وممن ذهب الى هذا القول من فسر الأجل المسمى بوقت تسميتها هديا والمراد أن لكم أن تنتفعوا بهذه الانعام الى أن تسموها أضحية وهديا فاذا فعلتم ذلك فليس لكم أن تنتفعوا بها وقد ينسب هذا القول الى ابن عباس ومجاهد وعطاء وقتادة والضحاك أجاب الأولون بأن الضمير فى قوله لكم فيها منافع عائد الى الشعائر وتسمية ما سيجعل شعيرة مجاز والأصل عدمه قال فى الكشاف ثم للتراخى فى الوقت فاستعيرت للتراخى فى الأحوال والمعنى ان لكم فى الهدايا منافع كثيرة فى دنياكم ودينكم وأعظم هذه المنافع وأبعدها شوطا فى النفع محلها منتهية الى البيت ومنهم من فسر الشعائر بالمناسك كلها وفسر الاجل المسمى بأوان انقطاع التكليف وزيفه جار الله بان محلها الى البيت يأباه ثم بين أن القرابين فى الشرائع القديمة وان اختلفت أمكنتها وأوقاتها فقال (ولكل أمة جعلنا منسكا) موضعا أو وقتا يذبح فيه وترى

عظمها كل مرضعة مولود عما أرضعت و يعنى بقوله تذهل تنسى وتترك من شدة كربها يقال ذهلت عن كذا أذهل عنه ذهولا وذهلت أيضا وهى قليلة والفصيح الفتح فى الهاء فأما فى المستقبل فالهاء مفتوحة فى اللغتين لم يسمع غير ذلك ومنه قول الشاعر

* صحا قلبه ياعز أو كاد يذهل * فأما اذا أريد أن الهول أنساه وسلاه قلت أذهله هذا الامر عن كذا يذهله اذهالا وفى اثبات الهاء فى قوله كل مرضعة اختلاف بين أهل العربية (١) وكان بعض نحويى الكوفيين يقول اذا أثبتت الهاء فى المرضعة فانما يراد أم الصبى المرضع واذا أسقطت فانه يراد المرأة التى معها صبى ترضعه لأنه أريد الفعل بها قالوا ولو أريد بها الصفة فيما يرى لقال مرضع قال وكذلك كل مفعل أو فاعل يكون للانثى ولا يكون للذكر فهو بغير هاء نحو مقرب وموقر ومشدن وحامل وحائض * قال أبو جعفر وهذا القول عندى أولى بالصواب فى ذلك لان العرب من شأنها اسقاط هاء التأنيث من كل فاعل ومفعل اذا وصفوا المؤنث به ولو لم يكن للمذكر فيه حظ فاذا أرادوا الخبر عنها أنها ستفعله ولم تفعله أثبتوا هاء التأنيث ليفرقوا بين الصفة والفعل منه قول الاعشى فيما هو واقع ولم يكن وقع قبل

أيا جارتا بينى فانك طالقه * كذاك أمور الناس غاد وطارقه

وأما فيما هو صفة نحو قول امرئ القيس

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع * فألهيتها عن ذى تمائم محول

ور بما أثبتوا الهاء فى الحالتين ور بما أسقطوها فيهما غير أن الفصيح من كلامهم ما وصفت فتأويل الكلام اذا يوم ترون أيها الناس زلزلة الساعة تنسى وتترك كل والدة مولود ترضع ولدها عما أرضعت كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت قال تترك ولدها للكرب الذى نزل بها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى بكر عن الحسن تذهل كل مرضعة عما أرضعت قال ذهلت عن أولادها بغير فطام وتضع كل ذات حمل حملها قال ألقت الحوامل ما فى بطونها لغير تمام وتضع كل ذات حمل حملها يقول وتسقط كل حامل من شدة كرب ذلك حملها وقوله وترى الناس سكارى قرأت قراء الامصار وترى الناس سكارى على وجه الخطاب للواحد كأنه قال وترى يا محمد الناس حينئذ سكارى وما هم بسكارى وقد روى عن أبى زرعة بن عمرو بن جرير وترى الناس بضم التاء ونصب الناس من قول القائل رؤيت ترى التى تطلب الاسم والفعل كظن وأخواتها * والصواب من القراءة فى ذلك عندنا ما عليه قراء الامصار لاجماع الحجة من القراء عليه واختلف القراء فى قراءة قوله سكارى فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة و بعض أهل الكوفة سكارى وما هم بسكارى وقرأته عامة قراء أهل الكوفة وترى الناس سكرى وما هم بسكرى * والصواب من القول فى ذلك عندنا أنهما قراءتان مستفيضتان فى قرأة الامصار متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فصيب الصواب ومعنى الكلام وترى الناس يا محمد من عظيم ما نزل بهم من الكرب وشدته سكارى من الفزع وما هم بسكارى من شرب الخمر * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى بكر عن الحسن

---

(١) يتأمل فى هذا المقام ويراجع اللسان فانه أبسط

النسائك الذبائح كسر السين سماع وفتحها قياس ويجوز أن يكون مصدرا بمعنى النسك والمراد شرعنا لكل أمة من الامم السالفة من زمن ابراهيم الى من قبله وبعده أن ينسكوا له أى يذبحوا لوجهه على جهة التقرب وجعل الغاية فى ذلك هى أن يذكر اسمه على نحرها ثم بين العلة فى تخصيص اسمه بذلك قائلا (فالهكم اله واحد) لان تفرده بالالهية يقتضى أن لا يذكر على الذبائح الا اسمه ويجوز أن يتعلق هذا الكلام بأول الآية والمعنى انما اختلفت التكاليف باختلاف الأزمنة والاشخاص لاختلاف المصالح لا لتعدد الاله ثم ذكر أن تفرده بالالهية يقتضى اختصاصه بالطاعة قائلا (فله أسلموا) أى خصوه بالانقياد الكلى والامتثال لأوامره ونواهيه خالصا لوجهه من غير شائبة اشراك ثم أمر نبيه عليه السلام بتبشير المخبتين وفسرهم بقوله (الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) والتركيب يدور على التواضع والخشوع ومنه الخبت للمطمئن من الارض وعن عمرو بن أوس هم الذين لا يظلمون واذا ظلموا لم ينتصروا وقال الكلبى هم المجتهدون فى العبادة ثم عطف على المخبتين قوله (والصابرين على ما أصابهم) أى من المكاره فى ذات الله كالأمراض والمحن فأما الذى يصيبهم من قبل الظلمة فقد قال العلماء انه لا يجب الصبر عليه ولكن لو أمكنه الدفع وجب دفعه ولو بالقتال ثم خص من أنواع التكاليف التى تشق على النفس وتكرهها نوعين هما أشرف العبادات البدنية والمالية أعنى الصلاة والزكاة وقوله (ومما رزقناهم) عطف على المقيمى الصلاة من حيث المعنى كأنه قيل والذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ثم عاد الى تعظيم شأن الضحايا بامرة أخرى وخص منها العظام الجسام بقوله (والبدن جعلناها) هى بضم الدال وسكونها جمع بدنة وهى الابل خاصة لعظم بدنها الا أن الشارع ألحق

وترى الناس سكارى من الخوف وماهم بسكارى من الشراب * قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله وماهم بسكارى قال ماهم بسكارى من الشراب ولكن عذاب الله شديد **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وترى الناس سكارى وماهم بسكارى قال ماشربوا خمرا ولكن عذاب الله شديد وقوله ولكن عذاب الله شديد يقول تعالى ذكره ولكنهم صاروا سكارى من خوف عذاب الله عند معاينتهم ما عاينوا من كرب ذلك وعظيم هوله مع علمهم بشدة عذاب الله * القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد ﴾ ذكر أن هذه الآية نزلت فى النضر بن الحرث **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم قال النضر بن الحرث ويعنى بقوله من يجادل فى الله بغير علم من يخاصم فى الله فيزعم أن الله غير قادر على احياء من قد بلى وصار ترابا بغير علم يعلمه بل يجهل منه بما يقول ويتبع فى قيله ذلك وجداله فى الله بغير علم كل شيطان مريد * القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه الى عذاب السعير ﴾ يقول تعالى ذكره قضى على الشيطان فعنى كتب ههنا قضى والهاء التى فى قوله عليه من ذكر الشيطان كما **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة كتب عليه أنه من تولاه قال كتب على الشيطان أنه من اتبع الشيطان من خلق الله كما **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله كتب عليه أنه من تولاه قال الشيطان اتبعه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد أنه من تولاه قال اتبعه وقوله فأنه يضله يقول فان الشيطان يضله يعنى يضل من تولاه والهاء التى فى يضله عائدة على من التى فى قوله من تولاه وتأويل الكلام قضى على الشيطان أنه يضل أتباعه ولا يهديهم الى الحق وقوله ويهديه الى عذاب السعير يقول ويسوق من اتبعه الى عذاب جهنم الموقدة وسياقه اياه اليه بدعائه اياه الى طاعته ومعصية الرحمن فذلك هدايته من تبعه الى عذاب جهنم * القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الارحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ﴾ وهذا احتجاج من الله على الذى أخبر عنه من الناس أنه يجادل فى الله بغير علم اتباعا منه للشيطان المريد وتنبيه له على موضع خطأ قيله وانكاره ما أنكر من قدرة ربه قال يا أيها الناس ان كنتم فى شك من قدرتنا على بعثكم من قبوركم بعد مماتكم وبلائكم استعظاما منكم لذلك فان فى ابتدائنا خلق أبيكم آدم صلى الله عليه وسلم من تراب ثم انشائنا كم من نطفة آدم ثم تصريفنا كم أحوالا حالا بعد حال من نطفة الى علقة ثم من علقة الى مضغة لكم معتبرا ومتعظا تعتبرون به فتعلمون أن من قدر على ذلك فغير متعذر عليه اعادتكم بعد فنائكم كما كنتم أحياء قبل الفناء * واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله مخلقة وغير مخلقة فقال بعضهم هى من صفة النطفة قال ومعنى ذلك فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة مخلقة وغير مخلقة قالوا فأما المخلقة فما كان خلقا سويا وأما غير مخلقة فما دفعته الارحام

البقرة بها حكما قال أبو حنيفة ومحمد لو قال علي بدنة يجوز له نحرها في غير مكة وقال أبو يوسف لا يجوز الا بمكة بناء على أن البدنة مختصة بناقة أو بقرة تذبح هنالك واتفقوا فيما اذا نذر هديا أنه يجب ذبحه بمكة وفيما اذا نذر جزورا أنه يذبحه حيث شاء وانتصب قوله والبدن

بفعل يفسره ما بعده ومعنى جعلها من شعائر الله أنها من أعلام الشريعة التي شرعها الله عن بعض السلف أنه لم يملك الا تسعة دنانير فاشترى بها بدنة فقيل له في ذلك فقال سمعت ربي يقول لكم فيها خير أي ثواب في الآخرة كما ذكرنا وبعضهم لم يفرق بين الآيتين فحمل كلا منهما على خير الدنيا والآخرة والأنسب ما فسرناه حذرا من التكرار ما أمكن ومعنى (صواف) قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن ولعل السر فيه تكثير سوادها للناظرين وتقوية قلوب المحتاجين (فاذا وجبت جنوبها) أي سقطت على الارض من وجبت الحائط وجبة سقطت ووجبت الشمس وجبة غربت والمعنى اذا زهقت روحها حل لكم الاكل منها واطعام القانع والمعتر فالقانع السائل والمعتر الذي لا يسأل تعففا وقيل بالعكس فهما من الاضداد كأن القانع قنع بالسؤال أو قنع بما قسم له فلا يسأل والمعتر رضي بعزه أي عيبه فلا يسأل أو يسأل ثم من على عباده بأن سخر لهم البدن أن يحتبسوها صافة قوائمها مطعونا في لباتها مثل التسخير الذي شاهدوا وعلموا يأخذ بخطامها صبي فيقودها الى حيث يشاء وليست بأعجز من بعض الوحوش التي هي أصغر جرما وأقل قوة لولا أنه سبحانه سخرها يروى أن أهل الجاهلية كانوا يلطخون الاوثان وحيطان الكعبة بلحوم القرابين ودمائها فبين الله تعالى ما هو المقصود منها فقال (لن ينال الله) أي لن يصيب رضا الله أصحاب اللحوم والدماء المهراقة بمجرد الذبح والتصدق (ولكن يناله التقوى منكم) بأن يكون القربان حلالا روعي فيها جهات الاجزاء لانه

من النطف وألقته قبل أن يكون خلقا ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا أبو معاوية عن داود بن أبي هند عن عامر عن علقمة عن عبد الله قال اذا وقعت النطفة في الرحم بعث الله ملكا فقال يا رب مخلقة أو غير مخلقة فان قال غير مخلقة محتها الارحام دما وان قال مخلقة قال يا رب فما صفة هذه النطفة أذكر أم أنثى ما رزقها ما أجلها أشقي أو سعيد قال فيقال له انطلق الى أم الكتاب فاستنسخ منه صفة هذه النطفة قال فينطلق الملك فينسخها فلا تزال معه حتى يأتي على آخر صفتها * وقال آخرون معنى ذلك تامة وغير تامة ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن بشار قال ثنا سليمن قال ثنا أبو هلال عن قتادة في قول الله مخلقة وغير مخلقة قال تامة وغير تامة **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة مخلقة وغير مخلقة فذكر مثله * وقال آخرون معنى ذلك المضغة مصورة انسانا وغير مصورة فاذا صورت فهي مخلقة واذا لم تصور فهي غير مخلقة ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد ابن عبد الرحمن عن القاسم بن أبي بزة عن مجاهد في قوله مخلقة قال السقط مخلقة وغير مخلقة **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله مخلقة وغير مخلقة قال السقط مخلوق وغير مخلوق **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا داود عن عامر أنه قال في النطفة والمضغة اذا نكست في الخلق الرابع كانت نسمة مخلقة واذا قذفتها قبل ذلك فهي غير مخلقة * قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي عن حماد بن أبي سلمة عن داود بن أبي هند عن أبي العالية مخلقة وغير مخلقة قال السقط * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال المخلقة المصورة خلقا تاما وغير مخلقة السقط قبل تمام خلقه لان المخلقة وغير المخلقة من نعت المضغة والنطفة بعد مصيرها مضغة لم يبق لها حتى تصير خلقا سويا الا التصوير وذلك هو المراد بقوله مخلقة وغير مخلقة خلقا سويا وغير مخلقة بأن تلقيه الأم مضغة ولا تصور ولا ينفخ فيها الروح وقوله لنبين لكم يقول تعالى ذكره جعلنا المضغة منها المخلقة التامة ومنها السقط غير التام لنبين لكم قدرتنا على ما نشاء ونعرفكم ابتداء خلقكم وقوله ونقر في الأرحام ما نشاء الى أجل مسمى يقول تعالى ذكره من كنا كتبنا له بقاء وحياة الى أمد وغاية فانا نقره في رحم أمه الى وقته الذي جعلنا له أن يمكث في رحمها فلا تسقطه ولا يخرج منها حتى يبلغ أجله فاذا بلغ وقت خروجه من رحمها أذنا له بالخروج منها فيخرج * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ونقر في الارحام ما نشاء الى أجل مسمى قال التمام **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ونقر في الارحام ما نشاء الى أجل مسمى قال الاجل المسمى اقامته في الرحم حتى يخرج وقوله ثم نخرجكم طفلا يقول تعالى ذكره ثم نخرجكم من أرحام أمهاتكم اذا بلغتم الأجل الذي قدرته لخروجكم منها طفلا صغارا ووحد الطفل وهو صفة للجميع

لانه مصدر مثل عدل وزور وقوله ثم لتبلغوا أشدكم يقول ثم لتبلغوا كمال عقولكم ونهاية قواكم بعمركم وقد ذكرت اختلاف المختلفين فى الأشد والصواب من القول فيه عندنا بشواهده فيما مضى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيأ وترى الارض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج﴾ يقول تعالى ذكره ومنكم أيها الناس من يتوفى من قبل أن يبلغ أشده فيموت ومنكم من ينسأ فى أجله فيعمر حتى يهرم فيرد من بعد انتهاء شبابه وبلوغه غاية أشده الى أرذل عمره وذلك الهرم حتى يعود كهيئته فى حال صباه لا يعقل من بعد عقله الاول شيأ ومعنى الكلام ومنكم من يرد الى أرذل العمر بعد بلوغه أشده لكيلا يعلم من بعد علم كان يعلمه شيأ وقوله وترى الأرض هامدة يقول تعالى ذكره وترى أيها المتدارسة الآثار من النبات والزرع وأصل الهمود الدروس والدثور ويقال منه همدت الأرض تهمد همودا ومنه قول الأعشى ميمون بن قيس

قالت قتيلة مالجسمك شاحبا * وأرى ثيابك بالبيات همدا

والهمد جمع هامد كالركع جمع راكع * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فى قوله وترى الارض هامدة قال لا نبات فيها وقوله فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت يقول تعالى ذكره فاذا نحن أنزلنا على هذه الارض الهامدة التى لا نبات فيها المطر من السماء اهتزت يقول تحركت بالنبات وربت يقول وأضعفت النبات بمجىء الغيث * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة اهتزت وربت قال عرف الغيث فى ربوها **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة اهتزت وربت قال حسنت وعرف الغيث فى ربوها وكان بعضهم يقول معنى ذلك فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت ويوجه المعنى الى الزرع وان كان الكلام مخرجه على الخبر عن الارض وقرأت قراء الامصار وربت بمعنى الربو الذى هو النماء والزيادة وكان أبو جعفر القارئ يقرأ ذلك وربأت بالهمز **حدثت** عن الفراء عن أبى عبد الله التيمى عنه وذلك غلط لانه لا وجه للربء ههنا وانما يقال ربأ بالهمز بمعنى حرس من الربيئة ولا معنى للحراسة فى هذا الموضع والصحيح من القراءة ما عليه قراء الامصار وقوله وأنبتت من كل زوج بهيج يقول جل ثناؤه وأنبتت هذه الارض الهامدة بذلك الغيث من كل نوع بهيج يعنى بالبهيج البهج وهو الحسن * وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وأنبتت من كل زوج بهيج قال حسن **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شئ قدير وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله ذلك الذى ذكرت لكم أيها الناس من بدئنا خلقكم فى بطون أمهاتكم ووصفنا أحوالكم قبل الميلاد وبعده طفلا وكهلا وشيخا هرما وتنبيهنا كم على فعلنا بالارض الهامدة بما ننزل عليها من الغيث

التقوى فعلا له والا كان بمنزلة الاجسام وأيضا انه قد شرط التقوى فى قبول العمل وصاحب الكبيرة غير متق فوجب أن لا يقبل عمله والجواب أنه لا يلزم من عدم انتفاعه ببعض ما ليس من أفعاله أن لا ينتفع بكل ما ليس من أفعاله وأيضا ان صاحب الكبائر اتقى الشرك فيصدق عليه أنه متق (وبشر المحسنين) الى أنفسهم بتوفير الثواب عليها والاحسان بالحقيقة أن تعبد الله كأنك تراه وفيه ترغيب لما شرط من رعاية الاخلاص فى القربين وغيرها وحين فرغ من تعداد بعض مناسك الحج ومنافعها وكان الكلام قد انجر الى ذكر الكفار وصدهم عن المسجد الحرام أتبعه ببيان ما يزيل ذلك الصد ويمكن من الحج وزيارة البيت فقال (ان الله يدفع) ومن قرأ يدافع فمعناه يبالغ فى الدفع (عن الذين آمنوا) فعل المغالب والمدفوع هو بأس المشركين وما كانوا يخونون الله ورسوله فيه يدل عليه تعليله بقوله (ان الله لا يحب كل خوان كفور) أى انه يدفع عن المؤمنين كيد من هذه صفته قال مقاتل أقروا بالصانع وعبدوا غيره فأى خيانة أعظم من هذا وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقون من المشركين أذى شديدا وكانوا يلقونه من بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فانى لم أومر بالقتال حتى هاجر فنزل (أذن) وفاعله الله سبحانه أم لم يسم والمأذون

له القتال بدليل قوله (للذين يقاتلون) ان فتح التاء فظاهر لان المشركين كانوا يقاتلون المؤمنين وانهم يؤمرون بالصبر وان كسرت فمعناه أذن لمن يحرصون على قتال المشركين فى المستقبل نزل حرصهم على القتال منزلة نفس القتال (بأنهم ظلموا) أى بسبب كونهم مظلومين وهى

أول آية أذن فيها بالقتال بعد ما نهى عنه فى نيف وسبعين آية وقيل نزلت فى قوم خرجوا مهاجرين فاعترضهم مشركو مكة فأذن لهم فى مقاتلتهم وفى قوله ان الله يدافع ثم فى قوله وان الله على نصرهم لقدير عدة كاملة باعلاء هذا الدين واظهار ذويه على أهل الاديان كلهم كما تقول لغيرك ان أطعتنى فانا قادر على مجازاتك لا تريد مجرد اثبات القدرة بل تريد أنك ستفعل ذلك ثم وصف ذلك الظلم بأن وصف الموعودين بالنصر بقوله (الذين أخرجوا من ديارهم) ومحل أن يقولوا جر على الابدال من حق أى بغير موجب سوى التوحيد الذى يوجب الاقرار والتمكين لا الاخراج والازعاج نظيره هل تنقمون منا الا أن آمنا بالله (ولولا دفع الله الناس) قدم فى أواخر البقرة وللمفسرين فيه عبارات قال الكلبى يدفع بالنبيين عن المؤمنين وبالمجاهدين عن القاعدين وعن ابن عباس يدفع بالمحسن عن المسئ وعن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله يدفع بالمسلم الصالح عن مائة من أهل بيته ومن جيرانه ثم تلا هذه الآية وقال الضحاك يدفع بدين الاسلام وأهله عن أهل الذمة وقال مجاهد يدفع عن الحقوق بالشهود وعن النفوس بالقصاص أما الصوامع والبيع والصلوات فعن الحسن أنها كلها أسماء المساجد فقد يتخذ المسلم لنفسه صومعة لاجل العبادة قال الجوهرى الأصمع الصغير الاذن ويقال أتانا بنريدة مصمعة اذا دققت وحدد رأسها وصومعة النصارى فوعلة من هذا لانها دقيقة الرأس وقد تطلق البيعة على المسجد للتشبيه وكذا الصلوات وسميت كنيسة اليهود صلاة لانها يصلى فيها ويحتمل أن يراد مكان الصلوات أو يراد الصلاة الشرعية نفسها وصح ايقاع الهدم عليها نظرا الى قرائنها كقوله * متقلدا سيفا ورمحا * وان كان الرمح لا يتقلد هذا كله توجيه

لتؤمنوا وتصدقوا بأن ذلك الذى فعل ذلك الله الذى هو الحق لا شك فيه وأن من سواه مما تعبدون من الأوثان والأصنام باطل لأنها لا تقدر على فعل شئ من ذلك وتعلموا أن القدرة التى جعل بها هذه الأشياء العجيبة لا يتعذر عليها أن يحيى بها الموتى بعد فنائها ودرسها فى التراب وأن فاعل ذلك على كل ما أراد وشاء من شئ قادر لا يمتنع عليه شئ أراده ولتوقنوا بذلك أن الساعة التى وعدتكم أن أبعث فيها الموتى من قبورهم جائية لا محالة لا ريب فيها يقول لا شك فى مجيئها وحدوثها وأن الله يبعث من فى القبور حينئذ من فيها من الأموات أحياء الى موقف الحساب فلا تشكوا فى ذلك ولا تمتروا فيه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير﴾ يقول تعالى ذكره ومن الناس من يخاصم فى توحيد الله وافراده بالألوهة بغير علم منه بما يخاصم به ولا هدى يقول وبغير بيان معه لما يقول ولا برهان ولا كتاب منير يقول وبغير كتاب من الله أتاه لحجة ما يقول منير يقول ينير عن حجته وانما يقول ما يقول من الجهل ظنا منه وحسبانا وذكر أنه عنى بهذه الآية والتى بعدها النضر بن الحرث من بنى عبد الدار ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ثانى عطفه ليضل عن سبيل الله له فى الدنيا خزى ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾ يقول تعالى ذكره يجادل هذا الذى يجادل فى الله بغير علم ثانى عطفه * واختلف أهل التأويل فى المعنى الذى من أجله وصف بأنه يثنى عطفه وما المراد من وصفه اياه بذلك فقال بعضهم وصفه بذلك لتكبره وتبختره وذكر عن العرب أنها تقول جاءنى فلان ثانى عطفه اذا جاء متبخترا من الكبر ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله ثانى عطفه يقول مستكبرا فى نفسه * وقال آخرون بل معنى ذلك لاوى رقبته ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ثانى عطفه قال لاوى رقبته حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة ثانى عطفه قال لاوى عنقه حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة مثله * وقال آخرون معنى ذلك أنه يعرض عما يدعى اليه فلا يسمع له ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ثانى عطفه يقول يعرض عن ذكرى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ثانى عطفه ليضل عن سبيل الله قال لاوى رأسه معرضا موليا لا يريد أن يسمع ما قيل له وقرأ واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا حدثنى القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ثانى عطفه قال يعرض عن الحق * قال أبو جعفر وهذه الأقوال الثلاثة متقاربات المعنى وذلك أن من كان ذا استكبار فى شأنه الاعراض عما هو مستكبر عنه ولى عنقه عنه والاعراض * والصواب من القول فى ذلك أن يقال ان الله وصف هذا المخاصم فى الله بغير علم أنه من كبره اذا دعى الى الله أعرض عن داعيه ولوى عنقه عنه ولم يسمع ما يقال له استكبارا وقوله ليضل عن سبيل الله يقول تعالى ذكره يجادل

تفسير الحسن والاكثرون على أنها متعبدات مختلفة فعن أبى العالية أن الصوامع للنصارى والبيع لليهود والصلوات للصابئين والمساجد

المسلمين وفى تخصيصها بقوله (يذكر فيها اسم الله كثيرا) تشريف لها وتفضيل على غيرها لان الظاهر عود الضمير اليها فقط وعن قتادة أن الصوامع للصابئين والبيع للنصارى والصلوات لليهود قال الزجاج وهى بالعبرانية صلوتا وقيل الصوامع والبيع كلتاهما للنصارى ولكن الاولى فى الصحراء والاخرى فى البلد وانما أخر متعبد أهل الاسلام لتأخر زمانهم ولاضير فان أول الفكر آخر العمل وقال صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون السابقون وتفسير الآية على قول الاكثرين لولا دفع الله لهدم فى شرع كل نبى المكان المعهود لهم فى العبادة فهدم فى زمن موسى الكنائس وفى زمن عيسى الصوامع والبيع وفى زمن محمد صلى الله عليه وسلم المساجد وعلى هذا الوجه انما رفع عنهم حين كانوا على الحق قبل التحريف والنسخ ويحتمل أن يراد لولا ذلك لاستولى أهل الشرك على أهل الاديان فى زمن أمة محمد صلى الله عليه وسلم من المسلمين وأهل الكتاب الذين فى ذمتهم وهدموا المتعبدات بأسرها وعلى هذا الوجه انما دفع عن سائر أهل الاديان لان متعبداتهم يجرى فيها ذكر الله فى الجملة ليست بمنزلة بيوت الاصنام ثم عزم على نفسه نصرة من ينصر دينه وأولياءه وأكد ذلك بقوله (ان الله لقوى عزيز) ومعنى القوة والعزة أنه لا يمتنع شئ من نفاذ أمره فيه مع أنه لا يتأثر عن شئ أصلا ونصرة الله العبد تقويته على أعدائه ووضع الدلائل على ما يفيد فى الدارين ونفث روح القدس بأمره داعية الخير والصلاح فى روعه ثم أتبع قوله الذين أخرجوا قوله (الذين ان مكناهم) وقيل بدل من قوله من ينصره وهو اخبار منه عز وجل عما ستكون عليه سيرة المهاجرين اذا مكنهم فى الارض وبسط لهم الدنيا وعن عثمان رضى الله عنه انما عرفت أن الله تعالى قد أثنى علينا قبل أن يحدث فى شأن الدين واعلائه ما أحدثوا قيل انه مخصوص من المهاجرين بالخلفاء

الشرك فى الله بغير علم معرضا عن الحق استكبارا ليصد المؤمنين بالله عن دينهم الذى هداهم له ويستزلهم عنه له فى الدنيا خزى يقول جل ثناؤه لهذا المجادل فى الله بغير علم فى الدنيا خزى وهو القتل والذل والمهانة بأيدى المؤمنين فقتله الله بأيديهم يوم بدر كما **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج له فى الدنيا خزى قال قتل يوم بدر وقوله ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق يقول تعالى ذكره ونحرقه يوم القيامة بالنار وقوله ذلك بما قدمت يداك يقول جل ثناؤه ويقال له اذا أذيق عذاب النار يوم القيامة هذا العذاب الذى نذيقكه اليوم بما قدمت يداك فى الدنيا من الذنوب والآثام واكتسبته فيها من الاجرام وأن الله ليس بظلام للعبيد يقول وانما ذاك لان الله ليس بظلام للعبيد فيعاقب بعض عبيده على جرم وهو يعفو مثله عن آخر غيره أو يحمل ذنب مذنب على غير مذنب فيعاقبه به ويعفو عن صاحب الذنب ولكنه لا يعاقب أحدا الا على جرمه ولا يعذب أحدا على ذنب يغفر مثله لآخر الا بسبب استحق به منه مغفرته ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين﴾ يعنى جل ذكره بقوله ومن الناس من يعبد الله على حرف أعرابا كانوا يقدمون على رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرين من باديتهم فان نالوا رخاء من عيش بعد الهجرة والدخول فى الاسلام أقاموا على الاسلام والا ارتدوا على أعقابهم فقال الله ومن الناس من يعبد الله على شك فان أصابه خير اطمأن به وهو السعة من العيش وما يشبهه من أسباب الدنيا اطمأن به يقول استقر بالاسلام وثبت عليه وان أصابته فتنة وهو الضيق بالعيش وما يشبهه من أسباب الدنيا انقلب على وجهه يقول ارتد فانقلب على وجهه الذى كان عليه من الكفر بالله * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ومن الناس من يعبد الله على حرف الى قوله انقلب على وجهه قال الفتنة البلاء كان أحدهم اذا قدم المدينة وهى أرض وبيئة فان صح بها جسمه ونتجت فرسه مهرا حسنا وولدت امرأته غلاما رضى به واطمأن اليه وقال ما أصبت منذ كنت على دينى هذا الا خيرا وان أصابه وجع المدينة وولدت امرأته جارية وتأخرت عنه الصدقة أتاه الشيطان فقال والله ما أصبت منذ كنت على دينك هذا الا شرا وذلك الفتنة **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا عنبسة عن أبى بكر عن محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد فى قول الله ومن الناس من يعبد الله على حرف قال على شك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله على حرف قال على شك فان أصابه خير رخاء وعافية اطمأن به استقر وان أصابته فتنة عذاب ومصيبة انقلب ارتد على وجهه كافرا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه قال ابن جريج كان ناس من قبائل العرب وممن حولهم من أهل القرى يقولون نأتى محمدا صلى الله عليه وسلم فان صادفنا خيرا من معيشة الرزق ثبتنا معه ولاحقنا بأهلنا **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة من يعبد الله

الراشدين لانه تعالى لم يعط التمكين ونفاذ الامر مع السيرة العادلة غيرهم وعن الحسن أنهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وعلى هذا فتمكينهم هو ابقاؤهم الى أوان التكليف وقد يشمل الاطفال أيضا اذا ماتوا قبل البلوغ لقوله الله أعلم بما كانوا عاملين ثم ختم الآية بقوله (ولله عاقبة الامور) أى مرجعها ومصيرها الى حكمه وتقديره وقد أراد تمكين أهل هذا الدين فى كل حين فيقع لامحالة ۞ التأويل ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام القلب سواء فيه من سبق اليه مدة طويلة والذى يصل اليه فى الحال لافضل الا بسبق مقامات القلب ومنازله واذبوأنا لابراهيم الروح مكان بيت القلب وطهر بيتى عن غيرى وهو كل مافيه حظ النفس دون الواردات المطيفة والاخلاق الثابتة والاحوال المتوالية كالرغبة والرهبة والقبض والبسط والانس والهيبة رجالا هى النفس وصفاتها وعلى كل ضامر هى البدن وجوارحه فان الاعمال الشرعية قد ركبت الجوارح المرتاضة فاعمال البدن مركبة من حركات الجوارح ونيات الضمير كما أن أعمال النفس بسيطة لانها نيات الضمير فقط من كل فج عميق هو مصالح الدنيا لان مصالحها بعيدة عن مصالح الآخرة ليشهدوا منافع لهم فنافع النفس وصفاتها بتبديل الاخلاق ومنافع القالب والجوارح بظهور أثر الطاعة عليها ويذكروا أى القلب والنفس والقالب شكرا على مارزقهم من تبديل الصفات البهيمية بالصفات الروحانية فانتفعوا بها وأفيضوا منها على الطالبين فهو خير لان العبد يصل بالطاعة الى الجنة ويصل بحرمة الطاعة الى الله وترك الخدمة يوجب العقوبة وترك الحرمة يوجب الفرقة وأحلت لكم استعمال الصفات البهيمية بقدر الضرورة الا مايتلى عليكم فى قولنا ولا تسرفوا وفى قول النبى صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام

على حرف قال شك فان أصابه خير يقول كثر ماله وكثرت ماشيته اطمأن وقال لم يصبنى فى دينى هذا منذ دخلته الاخير وان أصابته فتنة يقول وان ذهب ماله وذهبت ماشيته انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة نحوه **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ومن الناس من يعبد الله على حرف الآية كان ناس من قبائل العرب وممن حول المدينة من القرى كانوا يقولون نأتى محمدا صلى الله عليه وسلم فنتظر فى شأنه فان صادفنا خيرا ثبتنا معه والا لحقنا بمنازلنا وأهلينا وكانوا يأتونه فيقولون نحن على دينك فان أصابوا معيشة ونتجوا خيلهم وولدت نساؤهم الغلمان اطمأنوا وقالوا هذا دين صدق وان تأخر عنهم الرزق وأزلقت خيولهم وولدت نساؤهم البنات قالوا هذا دين سوء فانقلبوا على وجوههم **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خيرا طمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة قال هذا المنافق ان صلحت له دنياه أقام على العبادة وان فسدت عليه دنياه وتغيرت انقلب ولا يقيم على العبادة الا لما صلح من دنياه واذا أصابته شدة أو فتنة أو اختبار أو ضيق ترك دينه ورجع الى الكفر وقوله خسر الدنيا والآخرة يقول غبن هذا الذى وصف جل ثناؤه صفته دنياه لانه لم يظفر بحاجته منها بما كان من عبادته الله على الشك ووضع فى تجارته فلم يربح والآخرة يقول وخسر الآخرة فانه معذب فيها بنار الله الموقدة وقوله ذلك هو الخسران المبين يقول وخسارته الدنيا والآخرة هى الخسران يعنى الهلاك المبين يقول يبين لمن فكر فيه وتدبره أنه قد خسر الدنيا والآخرة * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته قراء الامصار جميعا غير حميد الاعرج خسر الدنيا والآخرة على وجه المضى وقرأه حميد الاعرج خاسرا نصبا على الحال على مثال فاعل ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يدعو من دون الله مالا يضره ومالا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد﴾ يقول تعالى ذكره وان أصابت هذا الذى يعبد الله على حرف فتنة ارتد عن دين الله يدعو من دون الله آلهة لا تضره ان لم يعبدها فى الدنيا ولا تنفعه فى الآخرة ان عبدها ذلك هو الضلال البعيد يقول ارتداده ذلك داعيا من دون الله هذه الآلهة هو الأخذ على غير استقامة والذهاب عن دين الله ذهابا بعيدا **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يدعو من دون الله مالا يضره ومالا ينفعه يكفر بعد ايمانه ذلك هو الضلال البعيد ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يدعو لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير﴾ يقول تعالى ذكره يدعو هذا المنقلب على وجهه من ان أصابته فتنة آلهة لضرها فى الآخرة له أقرب وأسرع اليه من نفعها وذكر أن ابن مسعود كان يقرؤه يدعو من ضره أقرب من نفعه واختلف أهل العربية فى موضع من فكان بعض نحويى البصرة يقول موضعه نصب بيدعو ويقول معناه يدعو آلهة ضرها أقرب من نفعها ويقول هو شاذ لانه لم يوجد فى الكلام يدعو لزيدا وكان بعض نحويى الكوفة يقول اللام من صلة ما بعدها من كأن معنى الكلام عنده يدعو من لضره أقرب من نفعه وحكى عن العرب سماعا منها عندى لما غيره خير منه بمعنى عندى ما لغيره خير منه وأعطيتك لما غيره خير منه بمعنى ما لغيره خير منه وقال جائز فى كل ما لم يتبين فيه الاعراب الاعتراض باللام دون الاسم * وقال آخرون منهم جائز أن يكون معنى ذلك هو الضلال

البعيد

المرء تركه مالا يعنيه فاجتنبوا مقتضيات الهوى وكونوا صادقين فى الطلب لا مزورين مائلين الى الحق غير طالبين معه غيره وخرمن سماء القلب فاستلبه طير الشياطين أو تهوى به ريح الهوى والخذلان الى أسفل سافلين البعد والحرمان لكم فى شواهد آثار صنع

البعيد يدعو فيكون يدعو صلة الضلال البعيد وتضمر فى يدعو الهاء ثم تستأنف الكلام باللام فتقول لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى كقولك فى الكلام فى مذهب الجزاء لما فعلت لهو خير لك فعلى هذا القول من فى موضع رفع بالهاء فى قوله ضره لأن من اذا كانت جزاء فانما يعربها ما بعدها واللام الثانية فى لبئس المولى جواب اللام الاولى وهذا القول الآخر على مذهب العربية أصح والاول الى مذهب أهل التأويل أقرب وقوله لبئس المولى يقول لبئس ابن العم هذا الذى يعبد الله على حرف ولبئس العشير يقول ولبئس الخليط المعاشر والصاحب هو كما **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولبئس العشير قال العشير هو المعاشر الصاحب وقد قيل عنى بالمولى فى هذا الموضع الولى الناصر وكان مجاهد يقول عنى بقوله لبئس المولى ولبئس العشير الوثن **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله ولبئس العشير قال الوثن ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد ﴾ يقول تعالى ذكره ان الله يدخل الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بما أمرهم الله فى الدنيا وانتهوا عما نهاهم عنه فيها جنات يعنى بساتين تجرى من تحتها الانهار يقول تجرى الانهار من تحت أشجارها ان الله يفعل ما يريد فيعطى ما شاء من كرامته أهل طاعته وما شاء من الهوان أهل معصيته ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ من كان يظن أن لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ ﴾ اختلف أهل التأويل فى المعنى بالهاء التى فى قوله أن لن ينصره الله فقال بعضهم عنى بها نبى الله صلى الله عليه وسلم فتأويله على قول بعض قائلى ذلك من كان من الناس يحسب أن لن ينصر الله محمدا فى الدنيا والآخرة فليمدد بحبل وهو السبب الى السماء يعنى سماء البيت وهو سقفه ثم ليقطع السبب بعد الاختناق به فلينظر هل يذهبن اختناقه ذلك وقطعه السبب بعد الاختناق ما يغيظ يقول هل يذهبن ذلك ما يجد فى صدره من الغيظ ذكر من قال ذلك **حدثنا** نصر بن على قال ثنى أبى قال ثنى خالد بن قيس عن قتادة من كان يظن أن لن ينصر الله نبيه ولا دينه ولا كتابه فليمدد بسبب يقول بحبل الى سماء البيت فليختنق به فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة من كان يظن أن لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة قال من كان يظن أن لن ينصر الله نبيه صلى الله عليه وسلم فليمدد بسبب يقول بحبل الى سماء البيت ثم ليقطع يقول ثم ليختنق ثم لينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة بنحوه ۞ وقال آخرون ممن قال الهاء فى ينصره من ذكر اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم السماء التى ذكرت فى هذا الموضع هى السماء المعروفة قالوا ومعنى الكلام **ما حدثنى** به يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله من كان يظن أن لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة فقر أحتى بلغ هل يذهبن كيده ما يغيظ قال من كان يظن أن لن ينصر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ويكايد هذا الامر ليقطعه عنه ومنعه فليقطع ذلك من أصله من حيث يأتيه فان أصله فى السماء فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع عن النبى صلى الله عليه وسلم الوحى الذى يأتيه من الله فانه لا يكايده حتى يقطع أصله عنه فكايد ذلك حتى

الارشاد منافع وهى لذة العبور على المقامات ولذة البسط ولذة الانس الى أجل مسمى وهو حد الكمال ثم انتهاء السلوك الى حضرة القديم ولكل سالك جعلنا منكم مقصدا وطريقا منهم من يطلب الله من طريق المعاملات ومنهم من يطلبه من طريق المجاهدات ومنهم من يطلبه بطريق المعارف ومنهم من يطلبه به فله أسلموا أى أخلصوا والاخلاص تصفية الاعمال من الآفات ثم الاخلاق من الكدورات ثم الاحوال من الالتفات ثم الانفاس من الاغيار وبشر المخبتين عنى المستقيمين على هذه الطريقة وجلت قلوبهم الوجل عند الذكر على حسب تجلى الحق للقلب والصابرين على ما أصابهم من غير تمنى ترحة ولا روم فرحة والمقيمى الصلاة الحافظين مع الله أسرارهم لا يطلبون اطلاع الخلق على أحوالهم وممارزقناهم ينفقون يبذلون الموجود فى طلب المقصود والوجود بشهود المعبود والبدن يعنى بدن الابدان الجسام جعلنا قربانها عند كعبة القلب بذبحها عن شهواتها من شعائر أهل الصدق فى الطلب فاذا ماتت عن طبيعتها فانتفعوا بها أنتم وغيركم من الطالبين والقانعين بما أفضتم عليه والمعترين المتعطشين الذين لا يرون من ماء حياة المعرفة شعر

شربت الحب كأسا بعد كأس
فما نفد الشراب وما رويت

كذلك سخرناها لكم فيه أن ذبح النفس بسكين الرياضة لا يتيسر الا بتسخير خالقها وتيسير موجدها يؤكده قوله ان الله يدافع خيانة النفس وهواها عن الذين آمنوا أذن للذين يقاتلون فيه أن قتال النفس يجب أن يكون باذن من الله تعالى وهو أن يكون على وفق الشرع

وفى أوان التكليف وعلى حسب ظلم النفس على القلب واخراجها اياه من ديار الطمأنينة ولولا دفع الله النفوس بالقلوب لضيعت صوامع أركان الشريعة وبيع آداب الطريقة وصلوات مقامات الحقيقة ومساجد القلوب التى يذكر فيها اسم الله كثيرا لاتساعها باشراق نور الله عليها ان مكناهم فى الارض البشرية أقاموا صلاة المواصلة وآتوا زكاة الاحوال وهى ايثار ربع عشر الاوقات على مصالح الخلق وأمروا بحفظ الحواس عن مخالفات الامر ومراعاة الانفاس مع الله ونهوا عن منا كير الرياء والاعجاب والى الله عاقبة الامور ﴿ وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وكذب موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير فكأين من قرية أهلكناها وهى ظالمة فهى خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد أفلم يسيروا فى الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون وكأين من قرية أمليت لها وهى ظالمة ثم أخذتها والى المصير قل يا أيها الناس انما أنا لكم نذير مبين فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا فى آياتنا معاجزين أولئك أصحاب الجحيم وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم

قطع أصله عنه فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ ما دخلهم من ذلك وغاظهم الله به من نصرة النبى صلى الله عليه وسلم وما ينزل عليه * وقال آخرون ممن قال الهاء التى فى قوله ينصره من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم معنى النصر ههنا الرزق فعلى قول هؤلاء تأويل الكلام من كان يظن أن لن يرزق الله محمدا فى الدنيا ولن يعطيه وذكروا سماعا من العرب من ينصرنى نصره الله بمعنى من يعطنى أعطاه الله وحكوا أيضا سماعا منهم نصر المطر أرض كذا اذا جادها وأحياها واستشهد لذلك ببيت الفقعسى

وانك لا تعطى امرأ فوق حظه * ولا تملك الشق الذى الغيث ناصره

ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن عطية قال ثنا اسرائيل عن أبى اسحق عن التيمى قال قلت لابن عباس أرأيت قوله من كان يظن أن لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ قال من كان يظن أن لن ينصر الله محمدا فليربط حبلا فى سقف ثم ليختنق به حتى يموت **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن أبى اسحق الهمدانى عن التيمى قال سألت ابن عباس عن قوله من كان يظن أن لن ينصره الله قال أن لن يرزقه الله فى الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء والسبب الحبل والسماء سقف البيت فليعلق حبلا فى سماء البيت ثم ليختنق فلينظر هل يذهبن كيده هذا الذى صنع ما يجد من الغيظ **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو بن مطرف عن أبى اسحق عن رجل من بنى تميم عن ابن عباس مثله **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن التيمى عن ابن عباس من كان يظن أن لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء قال سماء البيت **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا أبو داود قال ثنا شعبة عن أبى اسحق قال سمعت التيمى يقول سألت ابن عباس فذكر مثله **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله من كان يظن أن لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة الى قوله ما يغيظ قال السماء التى أمر الله أن يمد اليها بسبب سقف البيت أمر أن يمد اليه بحبل فيختنق به قال فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ اذا اختنق ان خشى أن لا ينصره الله * وقال آخرون الهاء فى ينصره من ذكر من وقالوا معنى الكلام من كان يظن أن لن يرزقه الله فى الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى سماء البيت ثم ليختنق فلينظر هل يذهبن فعله ذلك ما يغيظ أنه لا يرزق ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث(١) عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله أن لن ينصره الله قال يرزقه الله فليمدد بسبب قال بحبل الى السماء سماء مافوقك ثم ليقطع ليختنق هل يذهبن كيده ذلك خنقه أن لا يرزق **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فى قوله من كان يظن أن لن ينصره الله يرزقه الله فليمدد بسبب الى السماء قال بحبل الى السماء * قال ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس قال الى السماء الى سماء البيت قال ابن جريج وقال مجاهد ثم ليقطع قال ليختنق وذلك كيده ما يغيظ قال ذلك خنقه أن لا يرزقه الله **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فليمدد بسبب يعنى بحبل الى السماء يعنى سماء البيت **حدثنى** يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا أبو رجاء قال سئل عكرمة عن قوله فليمدد بسبب الى السماء قال سماء البيت ثم ليقطع قال يختنق * وأولى ذلك بالصواب عندى فى تأويل

(١) وقع اختصار فى السند ولعله من الناسخ فتنبه كتبه مصححه

ذلك قول من قال الهاء من ذكر نبي الله صلى الله عليه وسلم ودينه وذلك أن الله تعالى ذكره ذكر قوما يعبدونه على حرف وأنهم يطمئنون بالدين ان أصابوا خيرا في عبادتهم اياه وأنهم يرتدون عن دينهم لشدة تصيبهم فيها ثم أتبع ذلك هذه الآية فعلوم أنه انما أتبعها اياها تو بيخالهم على ارتدادهم عن الدين أو على شكهم فيه ونفاقهم استبطاء منهم السعة في العيش أو السبوغ في الرزق واذا كان الواجب أن يكون ذلك عقيب الخبر عن نفاقهم فمعنى الكلام اذا كان ذلك كذلك من كان يحسب أن لن يرزق الله محمدا صلى الله عليه وسلم وأمته في الدنيا فيوسع عليهم من فضله فيها ويرزقهم في الآخرة من سني عطاياه وكرامته استبطاء منه فعل الله ذلك به وبهم فليمدد بحبل الى سماء فوقه اما سقف بيت أو غيره مما يعلق به السبب من فوقه ثم يختنق اذا اغتاظ من بعض ما قضى الله فاستعجل انكشاف ذلك عنه فلينظر هل يذهبن كيده اختناقه كذلك ما يغيظ فان لم يذهب ذلك غيظه حتى يأتي الله بالفرج من عنده فيذهبه فكذلك استعجاله نصر الله محمدا ودينه ان يؤخر ما قضى الله له من ذلك عن ميقاته ولا يعجله قبل حينه وقد ذكر أن هذه الآية نزلت في أسد وغطفان تباطؤا عن الاسلام وقالوا نخاف أن لا ينصر محمد صلى الله عليه وسلم فينقطع الذي بيننا وبين حلفائنا من اليهود فلا يميرونا ولا يرفونا فقال الله تبارك وتعالى لهم من استعجل من الله نصر محمد فليمدد بسبب الى السماء فليختنق فلينظر استعجاله بذلك في نفسه هل هو مذهب غيظه فكذلك استعجاله من الله نصر محمد غير مقدم نصره قبل حينه * واختلف أهل العربية في ما التي في قوله ما يغيظ فقال بعض نحويي البصرة هي بمعنى الذي وقال معنى الكلام هل يذهبن كيده الذي يغيظه قال وحذفت الهاء لأنها صلة الذي لانه اذا صارا جميعا اسما واحدا كان الحذف أخف وقال غيره بل هو مصدر لا حاجة به الى الهاء هل يذهبن كيده غيظه وقوله وكذلك أنزلناه آيات بينات يقول تعالى ذكره وكما بينت لكم حجتي على من جحد قدرتي على احياء من مات من الخلق بعد فنائه فأوضحتها أيها الناس كذلك أنزلنا الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هذا القرآن آيات بينات يعني دلالات واضحات يهدين من أراد الله هدايته الى الحق وأن الله يهدي من يريد يقول جل ثناؤه ولأن الله يوفق للصواب ولسبيل الحق من أراد أنزل هذا القرآن آيات بينات فأن في موضع نصب ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ان الله على كل شيء شهيد ﴾ يقول تعالى ذكره ان الفصل بين هؤلاء المنافقين الذين يعبدون الله على حرف والذين أشركوا بالله فعبدوا الأوثان والأصنام والذين هادوا وهم اليهود والصابئين والنصارى والمجوس الذين عظموا النيران وخدموها وبين الذين آمنوا بالله ورسله الى الله وسيفصل بينهم يوم القيامة بعدل من القضاء وفصله بينهم ادخاله النار الأحزاب كلهم والجنة المؤمنين به وبرسله فذلك هو الفصل من الله بينهم وكان قتادة يقول في ذلك ما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا قال الصابئون قوم يعبدون الملائكة ويصلون القبلة ويقرؤن الزبور والمجوس يعبدون الشمس والقمر والنيران والذين أشركوا يعبدون الاوثان والاديان ستة خمسة للشيطان وواحد للرحمن وأدخلت ان في خبر ان الاولى لما ذكرت من المعنى وأن الكلام بمعنى الجزاء كأنه قيل من كان على دين من هذه الاديان ففصل ما بينه وبين من خالفه على الله والعرب تدخل أحيانا في خبر إن إذا كان خبر الاسم الاول في اسم مضاف الى ذكره فتقول ان عبد الله ان الخير عنده لكثير كما قال الشاعر

وان الظالمين لفي شقاق بعيد وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وان الله لهادي الذين آمنوا الى صراط مستقيم ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وان الله لهو خير الرازقين ليدخلنهم مدخلا يرضونه وان الله لعليم حليم ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله ان الله لعفو غفور ذلك بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وأن الله سميع بصير ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة ان الله لطيف خبير له ما في السموات وما في الارض وان الله لهو الغني الحميد ﴾

﴿ القراآت ﴾ نكيري باثبات الياء حيث كان في الحالين يعقوب وافق ورش وسهل وعباس في الوصل أهلكناها على التوحيد أبو عمرو وسهل ويعقوب الآخرون أهلكناها وبير بالياء أبو عمرو غير شجاع وأوقية ويزيد والاعشى

ان الخليفة ان الله سربله * سربال ملك به ترجى الخواتيم

وكان الفراء يقول من قال هذا لم يقل انك قائم ولا انك قائم لان الاسمين قد اختلفا فحسن رفض الاول وجعل الثانى كأنه هو المبتدا فحسن للاختلاف وقبح للاتفاق وقوله ان الله على كل شئ شهيد يقول ان الله على كل شئ من أعمال هؤلاء الاصناف الذين ذكرهم الله جل ثناؤه وغير ذلك من الاشياء كلها شهيد لا يخفى عنه شئ من ذلك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ألم تر يا محمد بقلبك فتعلم أن الله يسجد له من فى السموات من الملائكة ومن فى الارض من الخلق من الجن وغيرهم والشمس والقمر والنجوم فى السماء والجبال والشجر والدواب فى الارض ويسجود ذلك ظلاله حين تطلع عليه الشمس وحين تزول اذا تحول ظل كل شئ فهو سجوده كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب قال ظلال هذا كله وأما سجود الشمس والقمر والنجوم فانه كما حدثنا به ابن بشار قال ثنا ابن أبى عدى ومحمد بن جعفر قالا ثنا عوف قال سمعت أبا العالية الرياحى يقول ما فى السماء نجم ولا شمس ولا قمر الا يقع لله ساجدا حين يغيب ثم لا ينصرف حتى يؤذن له فيأخذ ذات اليمين وزاد محمد حتى يرجع الى مطلعه وقوله وكثير من الناس يقول ويسجد كثير من بنى آدم وهم المؤمنون بالله منهم كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وكثير من الناس قال المؤمنون وقوله وكثير حق عليه العذاب يقول تعالى ذكره وكثير من بنى آدم حق عليه عذاب الله فوجب عليه بكفره به وهو مع ذلك يسجد لله ظله كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وكثير حق عليه العذاب وهو يسجد مع ظله فعلى هذا التأويل الذى ذكرناه عن مجاهد وقع قوله وكثير حق عليه العذاب بالعطف على قوله وكثير من الناس ويكون داخلا فى عداد من وصفه الله بالسجود له ويكون قوله حق عليه العذاب من صلة كثير ولو كان الكثير الثانى ممن لم يدخل فى عداد من وصف بالسجود كان مرفوعا بالعائد من ذكره فى قوله حق عليه العذاب وكان معنى الكلام حينئذ وكثير أبى السجود لان قوله حق عليه العذاب يدل على معصية الله وإبائه السجود فاستحق بذلك العذاب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ومن يهن الله فما له من مكرم ان الله يفعل ما يشاء﴾ يقول تعالى ذكره ومن يهنه الله من خلقه فيشقه فما له من مكرم بالسعادة يسعده بها لان الأمور كلها بيد الله يوفق من يشاء لطاعته ويخذل من يشاء ويشقى من أراد ويسعد من أحب وقوله ان الله يفعل ما يشاء يقول تعالى ذكره ان الله يفعل فى خلقه ما يشاء من اهانة من أراد اهانته واكرام من أراد كرامته لان الخلق خلقه والامر أمره لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وقد ذكر عن بعضهم أنه قرأ فما له من مكرم بمعنى فما له من اكرام وذلك قراءة لا أستجيز القراءة بها لاجماع الحجة من القراء على خلافه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿هذان خصمان اختصموا فى ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤسهم الحميم يصهر به ما فى بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق﴾ اختلف أهل التأويل فى المعنى بهذين الخصمين اللذين ذكرهما الله فقال بعضهم أحد الفريقين أهل الايمان

والفريق

ووورش وروبعة وابن فليح وحمزة فى الوقف يعدون على الغيبة ابن كثير وحمزة وعلى وخلف معجزين بالتشديد حيث كان ابن كثير وأبو عمرو ثم قتلوا بالتشديد ابن عامر وأن مايدعون بياء الغيبة وكذلك فى سورة لقمان أبو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعلى وخلف وحفص ۞ الوقوف وثمود ○ ولوط ○ مدين ج لانقطاع النظم مع اتحاد المعنى أخذتهم ج لابتداء التهديد مع فاء التعقيب نكير ○ مشيد ○ يسمعون بها ○ للابتداء بان مع الفاء الصدور ○ وعده ط تعدون ○ أخذتها ط المصير ○ مبين ○ ج للابتداء مع الفاء كريم ○ الجحيم ○ أمنيته ج لانقطاع النظم مع اتحاد المعنى آياته ط حكيم ○ لا لتعلق اللام فلوبهم ط بعيد ○ لا قلوبهم ط مستقيم ○ عقيم ○ لله ط بينهم ط النعيم ○ مهين ○ حسنا ط الرازقين ○ يرضونه ط حليم ○ ذلك ج لينصرنه الله ط غفور ○ بصير ○ الكبير ○ ماء ز لنوع عدول مع العطف مخضرة ط خبير ○ وما فى الارض ط الحميد ○ ۞ التفسير انه سبحانه بعد ضمان النصر لنبيه صلى الله عليه وسلم والدفع عن أمته ذكر ما فيه تسليته وهو أنه ليس بأوحدى

والفريق الآخر عبدة الاوثان من مشركى قريش الذين تبارزوا يوم بدر ذكر من قال ذلك
حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو هاشم عن أبى مجلز عن قيس بن عباد قال سمعت
أباذر يقسم قسما أن هذه الآية هذان خصمان اختصموا فى ربهم نزلت فى الذين بارزوا يوم بدر
حمزة وعلى وعبيدة بن الحرث وعتبة وشيبة ابنى ربيعة والوليد بن عتبة قال وقال على انى لأول أو من
أول من يجثو للخصومة يوم القيامة بين يدى الله تبارك وتعالى حدثنا على بن سهل قال ثنا
مؤمل قال ثنا سفيان عن أبى هاشم عن أبى مجلز عن قيس بن عباد قال سمعت أباذر يقسم بالله
قسما لنزلت هذه الآية فى ستة من قريش حمزة بن عبد المطلب وعلى بن أبى طالب وعبيدة بن
الحرث رضى الله عنهم وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة هذان خصمان اختصموا
فى ربهم الى آخر الآية ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات الى آخر الآية حدثنا ابن
بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى هاشم عن أبى مجلز عن قيس بن عباد قال
سمعت أباذر يقسم ثم ذكر نحوه حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن محبب قال ثنا سفيان
عن منصور بن المعتمر عن هلال بن يساف قال نزلت هذه الآية فى الذين تبارزوا يوم بدر هذان
خصمان اختصموا فى ربهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة بن الفضل قال ثنى محمد بن اسحق
عن بعض أصحابه عن عطاء بن يسار قال نزلت هؤلاء الآيات هذان خصمان اختصموا فى ربهم فى
الذين تبارزوا يوم بدر حمزة وعلى وعبيدة بن الحرث وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن
عتبة الى قوله وهدوا الى صراط الحميد * قال ثنا جرير عن منصور عن أبى هاشم عن أبى مجلز عن
قيس بن عباد قال والله لأنزلت هذه الآية هذان خصمان اختصموا فى ربهم فى الذين خرج بعضهم
الى بعض يوم بدر حمزة وعلى وعبيدة رحمة الله عليهم وشيبة وعتبة والوليد بن عتبة * وقال آخرون
ممن قال أحد الفريقين فريق الايمان بل الفريق الآخر أهل الكتاب ذكر من قال ذلك حدثنى
محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله هذان خصمان
اختصموا فى ربهم قال هم أهل الكتاب قالوا للمؤمنين نحن أولى بالله وأقدم منكم كتابا ونبينا قبل
نبيكم وقال المؤمنون نحن أحق بالله آمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم وآمنا بنبيكم وبما أنزل الله من
كتاب فأنتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم تركتموه وكفرتم به حسدا وكان ذلك خصومتهم فى ربهم * وقال
آخرون منهم بل الفريق الآخر الكفار كلهم من أى ملة كانوا ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم
قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال ثنا أبو تميلة عن أبى حمزة عن جابر عن مجاهد وعطاء
ابن أبى رباح وأبى قزعة عن الحسين قال هم الكافرون والمؤمنون اختصموا فى ربهم * قال ثنا
الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثل الكافر والمؤمن قال ابن جريج خصومتهم
التى اختصموا فى ربهم خصومتهم فى الدنيا من أهل كل دين يرون أنهم أولى بالله من غيرهم
حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو بكر بن عياش قال كان عاصم والكلبى يقولان جميعا فى هذان
خصمان اختصموا فى ربهم قال أهل الشرك والاسلام حين اختصموا أيهم أفضل قال جعلا
الشرك ملة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث
قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله هذان خصمان
اختصموا فى ربهم قال مثل المؤمن والكافر اختصامهما فى البعث * وقال آخرون الخصمان
اللذان ذكرهما الله فى هذه الآية الجنة والنار ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا
الحسين قال ثنا أبو تميلة عن أبى حمزة عن جابر عن عكرمة فى هذان خصمان اختصموا فى ربهم

فى التكذيب له والقصص معلومة
مما سلف قال جار الله انما لم يقل
وقوم موسى لان موسى كذبه غير
بنى اسرائيل وهم القبط أو المراد
وكذب موسى أيضا مع وضوح آياته
وعظم معجزاته فما ظنك بغيره
والنكير معنى الانكار عبر به عن
الهلاك المعجل لانه يستلزمه أولا أن
الهلاك رادع لغيرهم فكأنه أنكر
به عليهم حتى ارتدعوا أو هو بمعنى
التغيير لأنه أبدلهم بالنعمة محنة
وبالحياة هلاكا وبالعمارة خرابا قوله
(وهى ظالمة فهى خاوية) الاولى فى
محل النصب على أنها حال والثانية
لا محل لها لانها معطوفة على
أهلكناها وهذه ليس لها محل قال
أبو مسلم أراد وهى كانت ظالمة فهى
الآن خاوية على عروشها وقد مر
تفسيرها فى البقرة فى قوله أو كالذى
مر على قرية وهى خاوية قوله (وبئر
معطلة) عطف على قرية أى وكم بئر
عطلناها عن سقائها مع أنها عامرة
فيها الماء ومعها آلات الاستقاء
وكم قصر مشيد مجصص أو مرتفع
أخليناه عن ساكنيه فحذف هذه
الجملة لدلالة معطلة عليها وقد يغلب
على الظن من هاتين القرينتين أن
على فى قوله على عروشها بمعنى مع
كأنه قيل هى خاوية أى ساقطة أو
خالية مع بقاء عروشها قاله فى
الكشاف وأقول اذا كانت القرى
المهلكة غير البئر والقصر فهذا الظن

قال هما الجنة والنار اختصمتا فقالت النار خلقني الله لعقوبته وقالت الجنة خلقني الله لرحمته فقد قص الله عليك من خبرهما ما تسمع . وأولى هذه الاقوال عندي بالصواب وأشبهها بتأويل الآية قول من قال عني بالخصمين جميع الكفار من أي أصناف الكفر كانوا وجميع المؤمنين وانما قلت ذلك أولى بالصواب لانه تعالى ذكره ذكر قبل ذلك صنفين من خلقه أحدهما أهل طاعة له بالسجود له والآخر أهل معصية له قد حق عليه العذاب فقال ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر ثم قال وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ثم أتبع ذلك صفة الصنفين كليهما وما هو فاعل بهما فقال فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار وقال الله ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار فكان بينا بذلك أن ما بين ذلك خبر عنهما فان قال قائل فما أنت قائل فيما روى عن أبي ذر في قوله ان ذلك نزل في الذين بارزوا يوم بدر قيل ذلك ان شاء الله كما روى عنه ولكن الآية قد تنزل بسبب من الاسباب ثم تكون عامة في كل ما كان نظير ذلك السبب وهذه من تلك وذلك أن الذين تبارزوا انما كان أحد الفريقين أهل شرك وكفر بالله والآخر أهل ايمان بالله وطاعة له فكل كافر في حكم فريق الشرك منهما في أنه لاهل الايمان خصم وكذلك كل مؤمن في حكم فريق الايمان منهما في أنه لاهل الشرك خصم فتأويل الكلام هذان خصمان اختصموا في دين ربهم واختصامهم في ذلك معاداة كل فريق منهما الفريق الآخر ومحاربته اياه على دينه وقوله فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يقول تعالى ذكره فأما الكافر بالله منهما فانه يقطع له قميص من نحاس من نار كما **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار قال الكافر قطعت له ثياب من نار والمؤمن يدخله الله جنات تجري من تحتها الانهار **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد في قوله فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار قال ثياب من نحاس وليس شيء من الآنية أحمى وأشد حرا منه **وحدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال الكفار قطعت لهم ثياب من نار والمؤمن يدخل جنات تجري من تحتها الانهار وقوله يصب من فوق رؤسهم الحميم يقول يصب على رؤسهم ماء مغلى كما **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا ابراهيم بن اسحق الطالقاني قال ثنا ابن المبارك عن سعيد بن زيد عن أبي السمح عن ابن حجيرة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الحميم ليصب على رؤسهم فينفذ الجمجمة حتى يخلص الى جوفه فيسلت ما في جوفه حتى يبلغ قدميه وهي الصهر ثم يعاد كما كان **حدثني** محمد بن المثنى قال ثنا يعمر بن بشر قال ثنا ابن المبارك قال أخبرنا سعيد بن زيد عن أبي السمح عن ابن حجيرة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله الا أنه قال فينفذ الجمجمة حتى يخلص الى جوفه فيسلت ما في جوفه وكان بعضهم يزعم أن قوله ولهم مقامع من حديد من المؤخر الذي معناه التقديم ويقول وجه الكلام فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار ولهم مقامع من حديد يصب من فوق رؤسهم الحميم ويقول انما وجب أن يكون ذلك كذلك لان الملك يضربه بالمقمع من الحديد حتى يثقب رأسه ثم يصب فيه الحميم الذي انتهى حره فيقطع بطنه والخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ذكرنا يدل على خلاف ما قال هذا القائل وذلك أنه صلى الله عليه وسلم أخبر أن الحميم اذا صب على رؤسهم نفذ الجمجمة حتى يخلص الى أجوافهم وبذلك جاء تأويل أهل التأويل ولو كانت المقامع قد تثقب رؤسهم قبل

مرجوح أو مساو لا غالب يروى أنها بئر نزل عليها صالح مع أربعة آلاف نفر ممن آمن به ونجاهم الله من العذاب وهي بحضرموت سميت بذلك لان صالحا حين حضرها مات وسميت بلدة عند البئر اسمها حاضوراء بناها قوم صالح وأقاموا بها زمانا ثم كفروا وعبدوا صنما وأرسل الله اليهم حنظلة بن صفوان نبيا فقتلوه فأهلكهم الله وعطل بئرهم وخرب قصورهم يحكى أن الامام أبا القاسم الانصاري قال هذا عجيب لاني زرت قبر صالح بالشام ببلدة يقال لها عكة فكيف قيل انه بحضرموت قلت لاغرو أن يتفق الموت بأرض والدفن بأرض أخرى ثم أنكر على أهل مكة عدم اعتبارهم بهذه الآثار قائلا (أفلم يسيروا) حثهم على السفر ليروا مصارع تلك الامم فيعتبروا ويحتمل أن يكونوا قد سافروا ولم يعتبروا فلهذا جاء الانكار كقوله وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون والمراد بالسماع سماع تدبر وانتفاع والا كان كلا سماع كما أن المراد بالابصار ابصار الاعتبار ولهذا قال (فانها) أي ان القصة (لا تعمى الابصار) أي أبصارهم (ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) وفي هذا التصوير زيادة التمكين والتقرير لغرابة نسبة العمى الى القلب وجوز في الكشاف

صب الحميم عليها لم يكن لقوله صلى الله عليه وسلم ان الحميم ينفذ الجمجمة معنى ولكن الامر فى ذلك بخلاف ما قال هذا القائل وقوله يصهر به ما فى بطونهم والجلود يقول يذاب بالحميم الذى يصب من فوق رؤسهم ما فى بطونهم من الشحوم وتشوى جلودهم منه فتتساقط والصهر هو الاذابة يقال منه صهرت الأليه بالنار اذا أذبتها أصهرها صهرا ومنه قول الشاعر

ترى لقى ألقى فى صفصف * تصهره الشمس ولا ينصهر

ومنه قول الراجز * شك السفافيد الشواء المصطهر * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله يصهر به قال يذاب اذابة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله قال ابن جريج يصهر به قال ماقطع لهم من العذاب حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة يصهر به ما فى بطونهم قال يذاب به ما فى بطونهم حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار الى قوله يصهر به ما فى بطونهم والجلود يقول يسقون ماء اذا دخل بطونهم أذابها والجلود مع البطون حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر وهرون بن عنترة عن سعيد بن جبير قال هرون اذا عام أهل النار وقال جعفر اذا جاع أهل النار استغاثوا بشجرة الزقوم فيأكلون منها فاختلست جلود وجوههم فلو أن مارا مر بهم يعرفهم يعرف جلود وجوههم فيها ثم يصب عليهم العطش فيستغيثوا فيغاثوا بماء كالمهل وهو الذى قد انتهى حره فاذا أدنوه من أفواههم انشوى من حره لحوم وجوههم التى قد سقطت عنها الجلود يصهر به ما فى بطونهم يعنى أمعاءهم وتساقط جلودهم ثم يضربون بمقامع من حديد فيسقط كل عضو على حاله يدعون بالويل والثبور وقوله ولهم مقامع من حديد تضرب رؤسهم بها الخزنة اذا أرادوا الخروج من النار حتى ترجعهم اليها وقوله كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها يقول كلما أراد هؤلاء الكفار الذين وصف الله صفتهم الخروج من النار مما نالهم من الغم والكرب ردوا اليها كما حدثنا مجاهد بن موسى قال ثنا جعفر بن عون قال أخبرنا الاعمش عن أبى ظبيان قال النار سوداء مظلمة لا يضئ لهبها ولا جمرها ثم قرأ كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وقد ذكر أنهم يحاولون الخروج من النار حين تجيش جهنم فتلقى من فيها الى أعلى أبوابها فيريدون الخروج فتعيدهم الخزان فيها بالمقامع ويقولون لهم اذا ضربوهم بالمقامع ذوقوا عذاب الحريق وعنى بقوله ذوقوا عذاب الحريق ويقال لهم ذوقوا عذاب النار وقيل عذاب الحريق والمعنى المحرق كما قيل العذاب الاليم بمعنى المؤلم ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد﴾ يقول تعالى ذكره وأما الذين آمنوا بالله ورسوله فأطاعوهما بما أمرهم الله به من صالح الاعمال فان الله يدخلهم جنات عدن تجرى من تحتها الانهار فيحليهم فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا * واختلفت القراء فى قراءة قوله ولؤلؤا فقرأته عامة قراء أهل المدينة وبعض أهل الكوفة نصبا مع التى فى الملائكة بمعنى يحلون فيها أساور من ذهب ولؤلؤا عطفا باللؤلؤ على موضع الأساور لان الاساور وان كانت مخفوضة من أجل دخول من فيها فانها

أن يكون الضمير فى فانها ضميرا مبهما يفسره الابصار وفاعل تعمى ضمير عائد الى الضمير الاول المبهم والمعنى على الوجهين أن أبصارهم صحيحة سالمة لا عمى بها وانما العمى بقلوبهم أولا تعتدوا بعمى الابصار وان فرض لانه ليس بعمى بالاضافة الى عمى القلوب وزعم بعضهم أن فى الآية ابطالا لقول من جعل محل الكفر الدماغ وليس بقوى فقد يتشاركان فى ذلك أو يكون سلطانه فى القلب والدماغ كالآلة ثم حكى من عظيم ما هم عليه من التكذيب أنهم يستهزؤن باستعجال العذاب العاجل والآجل كأنهم جوزوا الفوت فلهذا قال (ولن يخلف الله وعده) أو لعلهم طلبوا عذاب الآخرة فذكر أن استعجاله فى الدنيا كالخلف لأن موعده الآخرة (وان يوما عند ربك كألف سنة) قال أبو مسلم أراد أن العاقل لا ينبغى أن يستعجل عذاب الآخرة لان يوما واحدا من أيام عذاب الله فى الشدة كألف سنة من سنيكم لان أيام الشدائد مستطالة أو كألف سنة من سنى العذاب اذا عدها العاد وذلك لشدة العذاب أيضا وقيل أراد أن اليوم الواحد وألف سنة بالنسبة اليه على السواء لانه القادر الذى لا يعجزه شئ فاذا لم يستبعدوا امهال يوم فلا يستبعدوا أيضا امهال ألف سنة وقد يدور فى الخلد أن هذا اشارة

بمعنى النصب قالوا وهى تعد فى خط المصحف بالألف فذلك دليل على صحة القراءة بالنصب فيه وقرأت ذلك عامة قراء العراق والمصرين ولؤلؤ خفضا عطفا على اعراب الاساور الظاهر واختلف الذين قرؤا ذلك كذلك فى وجه اثبات الالف فيه فكان أبو عمرو بن العلاء فيما ذكر لى عنه يقول أثبتت فيه كما أثبتت فى قالوا وكالوا وكان الكسائى يقول أثبتوها فيه للهمزة لأن الهمزة حرف من الحروف والقول فى ذلك عندى أنهما قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء متفقتا المعنى صحيحتا المخرج فى العربية فبأيتهما قرأ القارئ فصيب وقوله ولباسهم فيها حرير يقول ولبوسهم التى تلى أبشارهم فيها ثياب حرير وقوله وهدوا الى الطيب من القول يقول تعالى ذكره وهداهم ربهم فى الدنيا الى شهادة أن لا اله الا الله كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وهدوا الى الطيب من القول قال هدوا الى الكلام الطيب لا اله الا الله والله أكبر والحمد لله قال الله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه حدثنا على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس وهدوا الى الطيب من القول قال ألهموا وقوله وهدوا الى صراط الحميد يقول جل ثناؤه وهداهم ربهم فى الدنيا الى طريق الرب الحميد وطريقه دينه دين الاسلام الذى شرعه لخلقه وأمرهم أن يسلكوه والحميد فعيل صرف من مفعول اليه ومعناه أنه محمود عند أوليائه من خلقه ثم صرف من محمود الى حميد

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم﴾ يقول تعالى ذكره ان الذين جحدوا توحيد الله وكذبوا رسله وأنكروا ما جاءهم به من عند ربهم ويصدون عن سبيل الله يقول ويمنعون الناس عن دين الله أن يدخلوا فيه وعن المسجد الحرام الذى جعله الله للناس الذين آمنوا به كافة لم يخصص منها بعضا دون بعض سواء العاكف فيه والباد يقول معتدل فى الواجب عليه من تعظيم حرمة المسجد الحرام وقضاء نسكه به والنزول فيه حيث شاء العاكف فيه وهو المقيم به والباد وهو المنتاب اليه من غيره * واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معناه سواء العاكف فيه وهو المقيم فيه والباد فى أنه ليس أحدهما بأحق بالمنزل فيه من الآخر ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن يزيد بن أبى زياد عن ابن سابط قال كان الحجاج اذا قدموا مكة لم يكن أحد من أهل مكة بأحق بمنزله منهم وكان الرجل اذا وجد سعة نزل ففشا فيهم السرق وكل انسان يسرق من ناحيته فاصطنع رجل بابا فأرسل اليه عمر أتخذت بابا من حجاج بيت الله فقال لا انما جعلته ليحرز متاعهم وهو قوله سواء العاكف فيه والباد قال الباد فيه كالمقيم ليس أحد أحق بمنزله من أحد الا أن يكون أحد سبق الى منزل حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى حصين قال قلت لسعيد بن جبير أعتكف بمكة قال أنت عاكف وقرأ سواء العاكف فيه والباد حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عمن ذكره عن أبى صالح سواء العاكف فيه والباد العاكف أهله والباد المنتاب فى المنزل سواء حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله سواء العاكف فيه والباد يقول ينزل أهل مكة وغيرهم فى المسجد الحرام حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله سواء العاكف فيه والباد قال العاكف فيه المقيم بمكة والباد الذى يأتيه هم فيه سواء فى البيوت حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة سواء العاكف فيه والباد سواء فيه أهله وغير أهله حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثنا ابن حميد

قال

الى لا تناهى طرف الابد المستتبع لازدياد امتداد الآحاد الاعتبارية لاجل سهولة الضبط والغرض أن من كانت أيامه فى الطول الى هذا الحد لا يفيد الاستجمال بالنسبة اليه شيأ فالاولى بل الواجب تفويض الامور الى أوقاتها المقدرة لها من غير تقدم ولا تأخر ثم كرر قوله (وكأين من قرية) وليس بتكرار فى الحقيقة لأن الأول سيق لبيان الاهلاك مناسبا لقوله فكيف كان نكير ولهذا عطف بالفاء بدلا عن ذلك والثانى سيق لبيان الاملاء مناسبا لقوله لن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كألف سنة فكأنه قيل وكم من أهل قرية كانوا مثلكم ظالمين قد أنظرتهم حينا ثم أخذتهم بالعذاب والمرجع للكل الى حكمى ثم أمر رسوله بأن يتلو عليهم جملة حاله فى الرسالة وهى أنه نذير مبين وجملة حالهم فى باب التكليف ما لا وانما اقتصر على النذارة لانها تتضمن البشارة فان كلام الحكيم لا يخلو عن ترغيب وان كان مبنيا على الترهيب بدليل يا أيها الناس وهو نداء للكفرة فى قول ابن عباس قال فى الكشاف هم الذين قيل فيهم أفلم يسيروا وصفوا بالاستعجال وانما أقحم المؤمنون وثوابهم ليغاظوا قالت الأشاعرة المغفرة اما للصغائر أو للكبائر بعد التوبة أو قبلها والأولان واجبان

قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد فى قوله سواء العاكف فيه والباد قال أهل مكة وغيرهم فى المنازل سواء * وقال آخرون فى ذلك نحو الذى قلنا فيه ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله سواء العاكف فيه قال الساكن والباد الجانب سواء حق الله عليهما فيه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فى قوله سواء العاكف فيه قال الساكن والباد الجانب * قال ثنا الحسين قال ثنا أبو تميلة عن أبى حمزة عن جابر عن مجاهد وعطاء سواء العاكف فيه قالا من أهله والباد الذين يأتونه من غير أهله هما فى حرمته سواء وانما اخترنا القول الذى اخترنا فى ذلك لان الله تعالى ذكره ذكر فى أول الآية صد من كفر به من أراد من المؤمنين قضاء نسكه فى الحرم عن المسجد الحرام فقال ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام ثم ذكر جل ثناؤه صفة المسجد الحرام فقال الذى جعلناه للناس فأخبر جل ثناؤه أنه جعله للناس كلهم فالكافرون به يمنعون من أراده من المؤمنين به عنه ثم قال سواء العاكف فيه والباد فكان معلوما أن خبره عن استواء العاكف فيه والباد انما هو فى المعنى الذى ابتدأ الله الخبر عن الكفار به أنهم صدوا عنه المؤمنين به وذلك لا شك طوافهم وقضاء مناسكهم به والمقام لا الخبر عن ملكهم اياه وغير ملكهم وقيل ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله نعطف بيصدون وهو مستقبل على كفروا وهو ماض لان الصد بمعنى الصفة لهم والدوام واذا كان ذلك معنى الكلام لم يكن الا بلفظ الاسم أو الاستقبال ولا يكون بلفظ الماضى واذا كان ذلك كذلك فمعنى الكلام ان الذين كفروا من صفتهم الصد عن سبيل الله وذلك نظير قول الله الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله وأما قوله سواء العاكف فيه فان قراء الامصار على رفع سواء بالعاكف والعاكف به وانما جعلناه فى الهاء المتصلة به واللام التى فى قوله للناس ثم استأنف الكلام بسواء وكذلك تفعل العرب بسواء اذا جاءت بعد حرف قد تم الكلام به فتقول مررت برجل سواء عنده الخير والشر وقد يجوز فى ذلك الخفض وانما يختار الرفع فى ذلك لان سواء فى مذهب واحد عندهم فكأنهم قالوا مررت برجل واحد عنده الخير والشر وأما من خفضه فانه يوجهه الى معتدل عنده الخير والشر ومن قال ذلك فى سواء فاستأنف به ورفع لم يقله فى معتدل لان معتدل فعل مصرح وسواء مصدر فاخراجهم اياه الى الفعل كاخراجهم حسب فى قولهم مررت برجل حسبك من رجل الى الفعل وقد ذكر عن بعض القراء أنه قرأه سواء نصبا على اعمال جعلناه فيه وذلك وان كان له وجه فى العربية فقراءة لا أستجيز القراءة بها لاجماع الحجة من القراء على خلافه وقوله ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم يقول تعالى ذكره ومن يرد فيه الحاد بظلم نذقه من عذاب أليم وهو أن يميل فى البيت الحرام بظلم وأدخلت الباء فى قوله بالحاد والمعنى فيه ما قلت كما أدخلت فى قوله تنبت بالدهن والمعنى تنبت الدهن كما قال الشاعر

بواد يمان ينبت الشث صدره * وأسفله بالمرخ والشبهان

والمعنى وأسفله ينبت المرخ والشبهان وكما قال أعشى بنى ثعلبة

ضمنت برزق عيالنا أرماحنا * بين المراجل والصريح الاجرد

يعنى ضمنت رزق عيالنا أرماحنا فى قول بعض نحويى البصريين وأما بعض نحويى الكوفيين فانه كان يقول أدخلت الباء فيه لان تأويله ومن يرد بأن يلحد فيه بظلم وكان يقول دخول الباء فى أن أسهل منه فى الحاد وما أشبهه لان أن تضمر الخوافض معها كثيرا وتكون كالشرط فاحتملت دخول

عند الخصم وأداء الواجب لا يسمى غفرانا فبقى الثالث ويلزم منه عفو صاحب الكبيرة من أهل القبلة أما الرزق فلا شك أنه الثواب وأما الكريم فاما أن يكون أمرا سلبيا وهو أن يكون الانسان معه بحيث يستغنى عن المكاسب وتحمل المتاعب والذل والدناءة وما يئول الى المآثم والمظالم واما أن يكون ثبوتيا وهو أن يكون رزقا كثيرا دائما خالصا عن شوائب الضرر مقرونا بالتعظيم والاجلال (والذين سعوا فى آياتنا) أى بذلوا جهدهم فى تكذيبها وارادة ابطالها كمن يسعى سعيا أى يمشى مشيا سريعا قال أهل اللغة عاجزه سابقه لان كل واحد منهما فى طلب اعجاز الآخر عن اللحاق به فاذا سبقه قيل أعجزه وعجزه والمراد معاجزين الله ورسوله أى مقدرين ذلك ظانا منهم أن كيدهم للاسلام يتم لهم وأن طعنهم فى القرآن وتثبيطهم الناس عن التصديق يبلغ بهم غرضهم ثم بين ان له اسوة بالأنبياء السالفة والرسل السابقة فى كل ما يأتى ويذر فقال (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى) خصص أولا ثم عمم فكل رسول نبى وليس كل نبى رسولا فقد لا يكون معه كتاب بل يؤمر بأن يدعو الى شريعة من قبله وقد لا ينزل عليه الملك ظاهرا وانما يرى الوحى فى المنام أو يخبره بذلك رسول فى عصره

ولابد للكل من المعجزة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن الأنبياء فقال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا قيل فكم الرسل منهم قال ثلثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا قال عامة المفسرين فى سبب نزول الآية انه صلى الله عليه وسلم لما شق عليه اعراض قومه عنه تمنى فى نفسه أن لا ينزل عليه شئ ينفرهم عنه لحرصه على ايمانهم وكان ذات يوم جالسا فى نادى من أنديتهم وقد نزل عليه سورة والنجم اذا هوى فأخذ يقرؤها عليهم حتى بلغ قوله أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى وكان ذلك التمنى فى نفسه فجرى على لسانه تلك الغرانيق العلى منها الشفاعة ترتجى فلما سمعت قريش ذلك فرحوا ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قراءته حتى ختم السورة فلما سجد فى آخرها سجد معه جميع من فى النادى من المسلمين والمشركين فتفرقت قريش مسرورين وقالوا قد ذكر محمد آلهتنا بأحسن الذكر فأتاه جبرائيل وقال ما صنعت تلوت على الناس مالم آتك به عن الله فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وخاف خوفا شديدا فأنزل الله تعالى هذه الآية واعترض المحققون على هذه الرواية بالقرآن والسنة وبالمعقول أما القرآن فكقوله ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين

الخافض وخروجه لان الاعراب لا يتبين فيها وقال فى المصادر يتبين الرفع والخفض فيها قال وأنشدنى أبو الجراح

فلما رجت بالشرب هزلها العصا * شحيح له عند الأداء نهيم

وقال امرؤ القيس

ألا هل أتاها والحوادث جمة * بأن امرأ القيس بن تملك بيقرا

قال فأدخل الباء على أن وهى فى موضع رفع كما أدخلها على الحاد وهو فى موضع نصب قال وقد أدخلوا الباء على ما اذا أرادوا بها المصدر كما قال الشاعر

ألم يأتيك والانباء تنمى * بما لاقت لبون بنى زياد

وقال وهو فى ما أقل منه فى أن لان أن أقل شبها بالاسماء من ما قال وسمعت أعرابيا من ربيعة وسألته عن شئ فقال أرجو بذاك يريد أرجو ذاك * واختلف أهل التأويل فى معنى الظلم الذى من أراد الالحاد به فى المسجد الحرام أذاقه الله من العذاب الاليم فقال بعضهم ذلك هو الشرك بالله وعبادة غيره به أى بالبيت ذكر من قال ذلك **حدثنى** على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ومن يرد فيه بالحاد بظلم يقول بشرك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد فى قوله ومن يرد فيه بالحاد بظلم هو أن يعبد فيه غير الله **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر بن سليمن عن أبيه قال ومن يرد فيه بالحاد بظلم قال هو الشرك من أشرك فى بيت الله عذبه الله **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله * وقال آخرون هو استحلال الحرام فيه أو ركوبه ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم يعنى أن تستحل من الحرام ما حرم الله عليك من لسان أو قتل فتظلم من لا يظلمك وتقتل من لا يقتلك فاذا فعل ذلك فقد وجب له عذاب أليم **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و**حدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ومن يرد فيه بالحاد بظلم قال يعمل فيه عملا سيئا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** أبو كريب ونصر بن عبد الرحمن الأودى قالا ثنا المحاربى عن سفيان عن السدى عن مرة عن عبد الله قال ما من رجل يهم بسيئة فتكتب عليه ولو أن رجلا بعدن أبين هم أن يقتل رجلا بهذا البيت لأذاقه الله من العذاب الاليم **حدثنا** مجاهد بن موسى قال ثنا يزيد قال ثنا شعبة عن السدى عن مرة عن عبد الله قال مجاهد قال يزيد قال لنا شعبة رفعه وأنا لا أرفعه لك فى قول الله ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم قال لو أن رجلا هم فيه بسيئة وهو بعدن أبين لأذاقه الله عذابا أليما **حدثنا** الفضل بن الصباح قال ثنا محمد بن فضيل عن أبيه عن الضحاك بن مزاحم فى قوله ومن يرد فيه بالحاد بظلم قال ان الرجل ليهم بالخطيئة بمكة وهو فى بلد آخر ولم يعملها فتكتب عليه **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم قال الالحاد الظلم فى الحرم * وقال آخرون بل معنى ذلك الظلم استحلال الحرم متعمدا ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس بالحاد بظلم قال الذى يريد استحلاله متعمدا ويقال الشرك * وقال آخرون بل ذلك

احتكار الطعام بمكة ذكر من قال ذلك حدثني هرون بن ادريس الاصم قال ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي عن أشعث عن حبيب بن أبي ثابت في قوله ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم قال هم المحتكرون الطعام بمكة * وقال آخرون بل ذلك كل ما كان منهيا عنه من الفعل حتى قول القائل لا والله و بلى والله ذكر من قال ذلك حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو قال كان له فسطاطان أحدهما في الحل والآخر في الحرم فاذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم في الحل فسئل عن ذلك فقال كنا نحدث أن من الالحاد فيه أن يقول الرجل كلا والله و بلى والله حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن أبي ربعي عن الأعمش قال كان عبد الله بن عمر و يقول لا والله و بلى والله من الالحاد فيه « قال أبو جعفر » وأولى الاقوال التي ذكرناها في تأويل ذلك بالصواب القول الذي ذكرناه عن ابن مسعود وابن عباس من أنه معني بالظلم في هذا الموضع كل معصية لله وذلك أن الله عم بقوله ومن يرد فيه بالحاد بظلم ولم يخصص به ظلما دون ظلم في خبر ولا عقل فهو على عمومه فاذ كان ذلك كذلك فتأويل الكلام ومن يرد في المسجد الحرام بأن يميل بظلم فيعص الله فيه نذقه يوم القيامة من عذاب موجع له وقد ذكر عن بعض القراء أنه كان يقرأ ذلك ومن يرد فيه بفتح الباء بمعنى ومن يرده بالحاد من وردت المكان أرده وذلك قراءة لا تجوز القراءة عندي بها لخلافها ما عليه الحجة من القراء مجمعة مع بعدها من فصيح كلام العرب وذلك أن يرد فعل واقع يقال منه هو يرد مكان كذا أو بلدة كذا غدا ولا يقال يرد في مكان كذا وقد زعم بعض أهل المعرفة بكلام العرب أن طيأ تقول رغبت فيك تريد رغبت بك وذكر أن بعضهم أنشده بيتا

وأرغب فيها عن لقيط ورهطه * ولكنني عن سنبس لست أرغب

بمعنى وأرغب بها فان كان ذلك صحيحا كما ذكرنا فانه يجوز في الكلام فأما القراءة به فغير جائزة لما وصفت ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت ألا تشرك بي شيأ وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم معلما عظيم ما ركب قومه من قريش خاصة دون غيرهم من سائر خلقه بعبادتهم في حرمه والبيت الذي أمر ابراهيم خليله صلى الله عليه وسلم ببنائه وتطهيره من الآفات والريب والشرك واذكر يا محمد كيف ابتدأنا هذا البيت الذي يعبد قومك فيه غيري اذ بوأنا لخليلنا ابراهيم يعني بقوله بوأنا وطأنا له مكان البيت كما حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قوله واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت قال وضع الله البيت مع آدم صلى الله عليه وسلم حين أهبط آدم الى الارض وكان مهبطه بأرض الهند وكان رأسه في السماء ورجلاه في الارض فكانت الملائكة تهابه فنقص الى ستين ذراعا وان آدم لما فقد أصوات الملائكة وتسبيحهم شكا ذلك الى الله فقال الله يا آدم اني قد أهبطت لك بيتا يطاف به كما يطاف حول عرشي ويصلى عنده كما يصلى حول عرشي فانطلق اليه فخرج اليه ومد له في خطوه فكان بين كل خطوتين مفازة فلم تزل تلك المفاوز على ذلك حتى أتى آدم البيت فطاف به ومن بعده من الانبياء حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال لما عهد الله الى ابراهيم واسمعيل أن طهرا بيتي للطائفين انطلق ابراهيم حتى أتى مكة فقام هو واسمعيل وأخذا المعاول لا يدريان أين البيت فبعث الله ريحا يقال لها ريح الخجوج لها جناحان ورأس في صورة حية فكنست لهما ما حول الكعبة عن أساس البيت الاول واتبعاها بالمعاول يحفران حتى وضعا الاساس فذلك حين يقول

ثم لقطعنا منه الوتين وقوله وما ينطق عن الهوى وقوله ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن نفي القرب من الركون فكيف به وأما السنة فهي ما روى عن ابن خزيمة أنه سئل عن هذه القصة فقال هذا وضع من الزنادقة وقد صنف فيه كتابا وقال الامام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل ثم أخذ يتكلم أن رواة هذه القصة مطعون فيهم وقد روى البخاري في صحيحه أنه صلى الله عليه وسلم قرأ سورة النجم وسجد فيها المسلمون والمشركون الانس والجن وليس فيه حديث الغرانيق وأما المعقول فهو أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث لنفي الأوثان فكيف يثبتها وأيضا انه بمكة لم يتمكن من القراءة والصلاة عند الكعبة ولا سيما في محفل غاص وأيضا ان معاداتهم اياه كانت أكثر من أن يغتروا بهذا القدر فيخروا سجدا قبل أن يقفوا على حقيقة الأمر وأيضا منع الشيطان من أصله أولى من تمكنه من الالقاء ثم نسخه وأيضا لو جوزنا ذلك لارتفع الأمان من الشرع ولناقض قوله بلغ ما أنزل اليك وحال الزيادة في الوحي كحال النقصان منه اذا عرفت هذا فالائمة في تأويل الآية

واذبوا نا لابراهيم مكان البيت و يعنى بالبيت الكعبة أن لا تشرك بى شيأ فى عبادتك اياى وطهر بيتى الذى بنيته من عبادة الاوثان كما حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن ليث عن مجاهد فى قوله وطهر بيتى قال من الشرك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير قال من الآفات والريب حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة طهر ابيتى قال من الشرك وعبادة الاوثان وقوله للطائفين يعنى للطائفين به والقائمين يعنى المصلين الذين هم قيام فى صلاتهم كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو تميلة عن أبى حمزة عن جابر عن عطاء فى قوله وطهر بيتى للطائفين والقائمين قال القائمون فى الصلاة حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة والقائمين قال القائمون المصلون حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة مثله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والقائمين والركع السجود قال القائم والراكع والساجد هو المصلى والطائف هو الذى يطوف به وقوله والركع السجود يقول والركع السجود فى صلاتهم حول البيت ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق﴾ يقول تعالى ذكره وعهدنا اليه أيضا أن أذن فى الناس بالحج يعنى بقوله وأذن أعلم ونادى فى الناس أن حجوا أيها الناس بيت الله الحرام يأتوك رجالا يقول فان الناس يأتون البيت الذى تأمرهم بحجه مشاة على أرجلهم وعلى كل ضامر يقول وركبانا على كل ضامر وهى الابل المهازيل يأتين من كل فج عميق يقول تأتى هذه الضوامر من كل فج عميق يقول من كل طريق ومكان ومسلك بعيد وقيل يأتين لجمع لانه أريد بكل ضامر النوق ومعنى الكل الجمع فلذلك قيل يأتين وقد زعم الفراء أنه قليل فى كلام العرب مررت على كل رجل قائمين قال وهو صواب وقول الله وعلى كل ضامر يأتين ينبئ عن صحة جوازه وذكر أن ابراهيم صلوات الله عليه لما أمره الله بالتأذين بالحج قام على مقامه فنادى يا أيها الناس ان الله كتب عليكم الحج فحجوا بيته العتيق ۞ وقد اختلف فى صفة تأذين ابراهيم بذلك فقال بعضهم نادى بذلك كما حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس قال لما فرغ ابراهيم من بناء البيت قيل له أذن فى الناس بالحج قال رب وما يبلغ صوتى قال أذن وعلى البلاغ فنادى ابراهيم أيها الناس كتب عليكم الحج الى البيت العتيق فحجوا قال فسمعه ما بين السماء والارض أفلا ترى الناس يجيئون من أقصى الارض يلبون حدثنا الحسن بن عرفة قال ثنا محمد بن فضيل بن غزوان الضبى عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما بنى ابراهيم البيت أوحى الله اليه أن أذن فى الناس بالحج قال فقال ابراهيم ألا ان ربكم قد اتخذ بيتا وأمركم أن تحجوه فاستجاب له ما سمعه من شئ من حجر وشجر وأكمة وتراب أو شئ يلبى اللهم لبيك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا ابن واقد عن أبى الزبير عن مجاهد عن ابن عباس قوله وأذن فى الناس بالحج قال قام ابراهيم خليل الله على الحجر فنادى يا أيها الناس كتب عليكم الحج فأسمع من فى أصلاب الرجال وأرحام النساء فأجابه من آمن ممن سبق فى علم الله أن يحج الى يوم القيامة لبيك اللهم لبيك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا قال وقرت فى قلب كل ذكر وأنثى حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن عطاء عن سعيد بن جبير قال لما فرغ

قولان الاول أن التمنى بمعنى القراءة كما سلف فى البقرة فى قوله ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أمانى وما المراد بهذه القراءة فيه وجهان أحدهما أنه ما يجوز أن يسهو النبى فيه ويشتبه على القارئ دون ما رووه من قوله تلك الغرانيق العلى وثانيهما أنه قراءة هذه الكلمة وانها قد وقعت بعينها وكيف وقعت ذهبت جماعة الى أنه لما قرأ سورة والنجم اشتبه على الكفار فتوهموا بعض ألفاظه ذلك وزيف بأن هذا التوهم من الجم الغفير بعيد وقيل ان شيطان الجن ألقاها فى البين فظنها الحاضرون من قول الرسول وضعف بأن هذا يفضى الى ارتفاع الوثوق عن كل ما يتكلم به النبى قلت الانصاف أنه غير ضعيف ولا يفضى الى ارتفاع الوثوق لقوله سبحانه فينسخ الله ما يلقى الشيطان وقيل ان المتكلم به شيطان الانس وهم الكفرة كانوا يقربون منه فى حال صلاته ويسمعون قراءته ويلقون فيها فى أثناء وقفاته وقيل ان المتكلم به الرسول قاله سهوا كما روى عن قتادة ومقاتل أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلى عند المقام فنعس وجرى على لسانه هاتان الكلمتان ولا ريب أنه يكون بالقاء الشيطان وضعف باستلزامه زوال

ابراهيم من بناء البيت أوحى الله اليه أن أذن فى الناس بالحج قال فخرج فنادى فى الناس يا أيها الناس ان ربكم قد اتخذ بيتا فحجوه فلم يسمعه يومئذ من انس ولا جن ولا شجر ولا أكمة ولا تراب ولا جبل ولا ماء ولا شئ الا قال لبيك اللهم لبيك * قال ثنا حكام عن عنبسة عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال قام ابراهيم على المقام حين أمر أن يؤذن فى الناس بالحج **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فى قوله وأذن فى الناس بالحج قال قام ابراهيم على مقامه فقال يا أيها الناس أجيبوا ربكم فقالوا لبيك اللهم لبيك فمن حج اليوم فهو ممن أجاب ابراهيم يومئذ **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا ابن أبى عدى عن داود عن عكرمة بن خالد المخزومى قال لما فرغ ابراهيم عليه السلام من بناء البيت قام على المقام فنادى نداء سمعه أهل الارض ان ربكم قد بنى لكم بيتا فحجوه قال داود فأرجو من حج اليوم من اجابة ابراهيم عليه السلام **حدثنى** محمد بن سنان القزاز قال ثنا حجاج قال ثنا حماد عن أبى عاصم الغنوى عن أبى الطفيل قال قال ابن عباس هل تدرى كيف كانت التلبية قلت وكيف كانت التلبية قال ان ابراهيم لما أمر أن يؤذن فى الناس بالحج خفضت له الجبال رؤسها ورفعت القرى فأذن فى الناس **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد قوله وأذن فى الناس بالحج قال ابراهيم كيف أقول يا رب قال قل يا أيها الناس استجيبوا لربكم قال وقرت فى قلب كل مؤمن * وقال آخرون فى ذلك ما **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن سلمة عن مجاهد قال قيل لابراهيم أذن فى الناس بالحج قال يا رب كيف أقول قال قل لبيك اللهم لبيك قال فكانت أول التلبية وكان ابن عباس يقول عنى بالناس فى هذا الموضع أهل القبلة ذكر الرواية بذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وأذن فى الناس بالحج يعنى بالناس أهل القبلة ألم تسمع أنه قال ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا الى قوله ومن دخله كان آمنا يقول ومن دخله من الناس الذين أمر أن يؤذن فيهم وكتب عليهم الحج فانه آمن فعظموا حرمات الله تعالى فانها من تقوى القلوب وأما قوله يأتوك رجالا وعلى كل ضامر فان أهل التأويل قالوا فيه نحو قولنا ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس يأتوك رجالا قال مشاة * قال ثنا الحسين قال ثنا أبو معاوية عن الحجاج بن أرطاة قال قال ابن عباس ما آسى على شئ فاتنى الا أن لا أكون حججت ماشيا سمعت الله يقول يأتوك رجالا * قال ثنا الحسين قال ثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال حج ابراهيم واسمعيل ماشيين **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة عن ابن عباس يأتوك رجالا قال على أرجلهم **حدثنى** محمد ابن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وعلى كل ضامر قال الابل **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس وعلى كل ضامر قال الابل **حدثنى** نصر بن عبد الرحمن الأودى قال ثنا المحاربى عن عمر بن ذر قال قال مجاهد كانوا لا يركبون فأنزل الله يأتوك رجالا وعلى كل ضامر قال فأمرهم بالزاد ورخص لهم فى الركوب والمتجر وقوله من كل فج عميق **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس من كل فج عميق يعنى مكان بعيد **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس من كل فج عميق قال بعيد **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فج عميق قال مكان بعيد

الامان عن الشرع وقد عرفت جوابه وبأن مثل هذا الكلام المطابق لفواصل السورة يستبعد وقوعها فى النعاس وزعم قوم أن الشيطان أجبره على ذلك ورد بنحو قوله تعالى انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وذهب جماعة الى أنه قال ذلك اختبارا ثم انها باطلة أم لا فيه وجهان أما الاول ففيه طريقان أحدهما قول ابن عباس فى رواية ان شيطانا يقال له الأبيض أتاه على صورة جبريل وألقاها اليه فقرأها فلما سمع المشركون ذلك أعجبهم فجاء جبريل واستعرضه فقرأها فلما بلغ الى تلك الكلمة أنكر عليه جبريل فقال انه أتانى آت على صورتك فألقاها على لسانى وثانيهما أنه لشدة حرصه على ايمان القوم أدخل هذه الكلمة من تلقاء نفسه ثم رجع عنها والطريقان منحرفان عند المحققين لان الاول يقتضى أن النبى لا يفرق بين الملك المعصوم والشيطان الخبيث والثانى أنه يؤدى الى كونه خائنا فى الوحى وأما الوجه الثانى فتصحيحه أنه أراد بالغرانيق الملائكة وقد كان قرآنا منزلا فى وصف الملائكة فلما توهم المشركون انه يريد آلهتهم نسخ الله تلاوته أو هو فى تقدير الاستفهام بمعنى الانكار أو المراد بالاثبات

حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله وقوله ليشهدوا منافع لهم اختلف أهل التأويل فى معنى المنافع التى ذكرها الله فى هذا الموضع فقال بعضهم هى التجارة ومنافع الدنيا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا عمرو عن عاصم عن أبى رزين عن ابن عباس ليشهدوا منافع لهم قال هى الاسواق حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو تميلة عن أبى حمزة عن جابر بن الحكم عن مجاهد عن ابن عباس قال تجارة حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن عاصم بن بهدلة عن أبى رزين فى قوله ليشهدوا منافع لهم قال أسواقهم * قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن واقد عن سعيد بن جبير ليشهدوا منافع لهم قال التجارة حدثنا عبد الحميد بن بيان قال أخبرنا اسحق عن سفيان عن واقد عن سعيد بن جبير مثله حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن واقد عن سعيد مثله حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا سنان عن عاصم بن أبى النجود عن أبى رزين ليشهدوا منافع لهم قال الاسواق * وقال آخرون هى الاجر فى الآخرة والتجارة فى الدنيا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار وسوار بن عبد الله قالا ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ليشهدوا منافع لهم قال التجارة وما يرضى الله من أمر الدنيا والآخرة حدثنا عبد الحميد بن بيان قال ثنا اسحق عن سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا عبد الحميد بن بيان قال ثنا سفيان قال أخبرنا اسحق عن أبى بشر عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ليشهدوا منافع لهم قال الأجر فى الآخرة والتجارة فى الدنيا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله * وقال آخرون بل هى العفو والمغفرة ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن جابر عن أبى جعفر ليشهدوا منافع لهم قال العفو حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى أبو تميلة عن أبى حمزة عن جابر قال قال محمد بن على مغفرة * وأولى الاقوال بالصواب قول من قال عنى بذلك ليشهدوا منافع لهم من العمل الذى يرضى الله والتجارة وذلك أن الله عم منافع لهم جميع ما يشهده الموسم ويأتى له مكة أيام الموسم من منافع الدنيا والآخرة ولم يخصص من ذلك شيأ من منافعهم بخبر ولا عقل فذلك على العموم فى المنافع التى وصفت وقوله ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام يقول تعالى ذكره وكى يذكروا اسم الله على ما رزقهم من الهدايا والبدن التى أهدوها من الابل والبقر والغنم فى أيام معلومات وهن أيام التشريق فى قول بعض أهل التأويل وفى قول بعضهم أيام العشر وفى قول بعضهم يوم النحر وأيام التشريق وقد ذكرنا اختلاف أهل التأويل فى ذلك بالروايات وبينا الاولى بالصواب منها فى سورة البقرة فأغنى ذلك عن اعادته فى هذا الموضع غير أنى أذكر بعض ذلك أيضا فى هذا الموضع حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فى قوله ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات يعنى أيام التشريق حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك فى قوله أيام معلومات يعنى أيام التشريق على ما رزقهم من بهيمة الانعام يعنى البدن حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى أيام معلومات قال أيام العشر والمعدودات أيام التشريق وقوله فكلوا منها يقول كلوا من

ههنا النفى كقوله يبين الله لكم أن تضلوا قال الجوهرى الغرنيق بضم الغين وفتح النون من طير الماء طويل العنق واذا وصف به الرجال فواحدهم غرنيق وغرنوق بكسر الغين وفتح النون وغرنوق وغرانق بالضم وهو الشاب السيد والجمع غرانق بالفتح والغرانيق * القول الثانى أن التمنى هو تمنى القلب ومعنى الآية ما من نبى الا وهو يحب اذا تمنى أمرا من الامور وسوس الشيطان اليه بالباطل ويدعوه الى ما لا ينبغى ثم ان الله تعالى ينسخ ذلك ويبطله ويهديه الى ما هو الحق وما تلك الوسوسة قيل هى أن يتمنى ما يتقرب به الى المشركين من ذكر آلهتهم بالخير وقد مر فساده وقال مجاهد انه كان يتمنى انزال الوحى بسرعة دون تأخير فعرفه الله تعالى أن ذلك خاطر غير رحمانى وانما المصلحة هى انزال الوحى على وفق الحوادث وقيل كان يتفكر فى تأويل المجمل فيلقى الشيطان الى جملته ما هو غير مراد وكان رد الله سبحانه الى المعنى المراد بانزال المحكمات وقيل معناه اذا أراد فعلا يتقرب به الى الله حال الشيطان بينه وبين مقصوده والله تعالى يثبته على ذلك نظيره ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من

بهائم الانعام التى ذكرتم اسم الله عليها أيها الناس هنالك وهذا الامر من الله جل ثناؤه أمر اباحة لا أمر ايجاب وذلك أنه لا خلاف بين جميع الحجة أن ذابح هديه أو بدنته هنالك ان لم يأكل من هديه أو بدنته أنه لم يضيع له فرضا كان واجبا عليه فكان معلوما بذلك أنه غير واجب ذكر الرواية عن بعض من قال ذلك من أهل العلم **حدثنا** سوار بن عبد الله قال ثنا يحيى بن سعيد عن ابن جريج عن عطاء قوله فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير قال كان لا يرى الاكل منها واجبا **حدثنا** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن مجاهد أنه قال هى رخصة ان شاء أكل وان شاء لم يأكل وهى كقوله واذا حللتم فاصطادوا واذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض يعنى قوله فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر * قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم فى قوله فكلوا منها قال هى رخصة فان شاء أكل وان شاء لم يأكل * قال ثنا هشيم قال أخبرنا حجاج عن عطاء فى قوله فكلوا منها قال هى رخصة فان شاء أكلها وان شاء لم يأكل **حدثنى** على بن سهل قال ثنا زيد قال ثنا سفيان عن حصين عن مجاهد فى قوله فكلوا منها قال انما هى رخصة وقوله وأطعموا البائس الفقير يقول وأطعموا مما تذبحون أو تنحرون هنالك من بهيمة الانعام من هديكم وبدنكم البائس وهو الذى به ضر الجوع والزمانة والحاجة والفقير الذى لا شئ له * وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير يعنى الزمن الفقير **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن رجل عن مجاهد البائس الفقير الذى يمد اليك يديه **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله البائس الفقير قال هو القانع **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى عمر بن عطاء عن عكرمة قال البائس المضطر الذى عليه البؤس والفقير المتعفف * قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله البائس الذى يبسط يديه وقوله ثم ليقضوا تفثهم يقول تعالى ذكره ثم ليقضوا ما عليهم من مناسك حجهم من حلق شعر وأخذ شارب ورمى جمرة وطواف بالبيت * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن أبى الشوارب قال ثنى يزيد قال أخبرنا الاشعث بن سوار عن نافع عن ابن عمر أنه قال ثم ليقضوا تفثهم قال ماهم عليه فى الحج **حدثنا** حميد بن مسعدة قال ثنا يزيد قال ثنى الأشعث عن نافع عن ابن عمر قال التفث المناسك كلها * قال ثنا هشيم قال أخبرنا عبد الملك عن عطاء عن ابن عباس أنه قال فى قوله ثم ليقضوا تفثهم قال التفث حلق الرأس وأخذ من الشارب ونتف الابط وحلق العانة وقص الأظفار والأخذ من المارضين ورمى الجمار والموقف بعرفة والمزدلفة **حدثنا** حميد قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا خالد عن عكرمة قال التفث الشعر والظفر **حدثنى** يعقوب قال ثنا ابن علية عن خالد عن عكرمة مثله **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى أبو صخر عن محمد بن كعب القرظى أنه كان يقول فى هذه الآية ثم ليقضوا تفثهم رمى الجمار وذبح الذبيحة وأخذ من الشارب واللحية والاظفار والطواف بالبيت وبالصفا والمروة **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد أنه قال فى هذه الآية ثم ليقضوا تفثهم قال هو حلق الرأس وذكر أشياء من الحج قال شعبة لا أحفظها * قال ثنا ابن أبى عدى عن شعبة عن الحكم عن مجاهد مثله **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا

الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله واعترض على هذا القول بأن تمنى القلب كيف يكون فتنة للذين فى قلوبهم مرض وهم المنافقون وللقاسية قلوبهم وهم المشركون وأجيب بأنه اذا قوى التمنى اشتغل الخاطر به فحصل السهو فى الافعال الظاهرة بسببه فصير ذلك فتنة لمن ضعفت عقيدته فى النبى والحاصل أن الرسل لا ينفكون عن السهو وان كانوا معصومين عن العمد فعلهم أن لا يتبعوا الا ما يقطعون به لصدوره عن علم وذلك هو المحكم وذهب أبو مسلم الى أن حاصل الآية هو أن كل نبى من جنس البشر الذين هم بصدد الخطا والنسيان من قبل وساوس الشيطان ووجه النظم بين هذه الآية والتى قبلها أنه أمر بأن يقول انى لكم نذير لكنى من البشر لا من الملائكة ولم يرسل الله قبلى ملكا بل أرسل رجالا يوسوس الشيطان اليهم وعلى هذا فالملائكة لعدم امكان استيلاء الشيطان عليهم أعظم درجة من الانبياء وأقوى حالا منهم وقال صاحب الكشاف المعنى أن الرسل والانبياء من قبلك كانت هجيراهم كذلك اذا تمنوا مثل ما تمنيت وهو

ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ثم ليقضوا تفثهم قال حلق الرأس وحلق العانة وقص الاظفار وقص الشارب ورمي الجمار وقص اللحية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله الا أنه لم يقل في حديثه وقص اللحية حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي قال ثنا المحاربي قال سمعت رجلا يسأل ابن جريج عن قوله ثم ليقضوا تفثهم قال الأخذ من اللحية ومن الشارب وتقليم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة ورمي الجمار حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا منصور عن الحسن وأخبرنا جويبر عن الضحاك أنهما قالا حلق الرأس حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله ثم ليقضوا تفثهم يعني حلق الرأس حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال التفث حلق الرأس وتقليم الظفر حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ثم ليقضوا تفثهم يقول نسكهم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ثم ليقضوا تفثهم قال التفث حرمهم حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ثم ليقضوا تفثهم قال يعني بالتفث وضع احرامهم من حلق الرأس ولبس الثياب وقص الاظفار ونحو ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء بن السائب قال التفث حلق الشعر وقص الاظفار والأخذ من الشارب وحلق العانة وأمر الحج كله وقوله وليوفوا نذورهم يقول وليوفوا الله بما نذروا من هدي وبدنة وغير ذلك * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وليوفوا نذورهم نحر ما نذروا من البدن حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وليوفوا نذورهم نذر الحج والهدي وما نذر الانسان من شئ يكون في الحج حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وليوفوا نذورهم قال نذر الحج والهدي وما نذر الانسان على نفسه من شئ يكون في الحج وقوله وليطوفوا بالبيت العتيق يقول وليطوفوا ببيت الله الحرام * واختلف أهل التأويل في معنى قوله العتيق في هذا الموضع فقال بعضهم قيل ذلك لبيت الله الحرام لان الله أعتقه من الجبابرة أن يصلوا الى تخريبه وهدمه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن الزهري أن ابن الزبير قال انما سمي البيت العتيق لان الله أعتقه من الجبابرة حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري عن ابن الزبير مثله حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال انما سمي العتيق لانه أعتق من الجبابرة * قال ثنا سفيان قال ثنا أبو هلال عن قتادة وليطوفوا بالبيت العتيق قال عتق من الجبابرة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله البيت العتيق قال أعتقه الله من الجبابرة يعني الكعبة * وقال آخرون قيل له عتيق لانه لم يملكه أحد من الناس ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن عبيد عن مجاهد قال انما سمي البيت العتيق لانه ليس لأحد فيه شئ * وقال آخرون سمي بذلك لقدمه ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله البيت العتيق قال العتيق

أن لا ينزل عليه ما ينفر أمته ولا يوافق هواهم مكن الله الشيطان ليلقي في أمانيهم مثل ما ألقى في أمنيتك حتى سبق لسانك فقلت تلك الغرانيق الخ وسبب التمكين ارادة امتحان من حولهم والله سبحانه له أن يمتحن عباده بما شاء من صنوف المحن وأنواع الفتن ليضاعف ثواب الثابتين ويزيد في عقاب المذبذبين فهذه جملة أقوال المفسرين في الآية وأما قوله (فينسخ الله) فالمراد ازالة تأثير ما يلقي الشيطان وهو النسخ اللغوي لا النسخ الشرعي المستعمل في الاحكام وقوله (ثم يحكم الله آياته) فالمراد بالآيات هي آيات القرآن أي يجعلها بحيث لا يختلط بها شئ من كلام غيره فتكون ثابتة في مظانها أو يجعلها بحيث لا يتطرق اليها تأويل فاسد معمول به عند الامة ويحتمل أن يكون المراد باحكام الآيات الارشاد الى أدلة الاحكام الشرعية وقوله (وان الظالمين) أراد المنافقين والمشركين المذكورين الا أنه وضع الظاهر موضع الضمير قضاء عليهم بالظلم والشقاق البعيد والمعاداة الكاملة واعلم أنه سبحانه ذكر لتمكين الشيطان من الالقاء في الامنية أثرين أحدهما

القديم لانه قديم كما يقال السيف العتيق لانه أول بيت وضع للناس بناه آدم وهو أول من بناه ثم بوأ الله موضعه لابراهيم بعد الغرق فبناه ابراهيم واسمعيل * قال أبو جعفر ولكل هذه الأقوال التي ذكرناها عمن ذكرناها عنه في قوله البيت العتيق وجه صحيح غير أن الذي قاله ابن زيد أغلب معانيه عليه في الظاهر غير أن الذي روى عن ابن الزبير أولى بالصحة ان كان ما حدثني به محمد ابن سهل البخاري قال ثنا عبد الله بن صالح قال أخبرني الليث عن عبد الرحمن بن خالد بن مسافر عن الزهري عن محمد بن عروة عن عبد الله بن الزبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما سمي البيت العتيق لان الله أعتقه من الجبابرة فلم يظهر عليه قط صحيحا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال الزهري بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما سمي البيت العتيق لان الله أعتقه ثم ذكر مثله وعنى بالطواف الذي أمر جل ثناؤه حاج بيته العتيق به في هذه الآية طواف الافاضة الذي يطاف به بعد التعريف اما يوم النحر واما بعده لا خلاف بين أهل التأويل في ذلك ذكر الرواية عن بعض من قال ذلك حدثنا عمرو بن سعيد القرشي قال ثنا الانصاري عن أشعث عن الحسن وليطوفوا بالبيت العتيق قال طواف الزيارة حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا خالد قال ثنا الاشعث أن الحسن قال في قوله وليطوفوا بالبيت العتيق قال الطوف الواجب حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وليطوفوا بالبيت العتيق يعني زيارة البيت حدثني يعقوب قال ثنا هشيم عن حجاج وعبد الملك عن عطاء في قوله وليطوفوا بالبيت العتيق قال طواف يوم النحر حدثني أبو عبد الرحمن البرقي قال ثنا عمرو بن أبي سلمة قال سألت زهيرا عن قول الله وليطوفوا بالبيت العتيق قال طواف الوداع * واختلف القراء في قراءة هذه الحروف فقرأ ذلك عامة قراء الكوفة ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بتسكين اللام في كل ذلك طلب التخفيف كما فعلوا في هو اذا كانت قبلها واو وفاء وهو عليم بذات الصدور فسكنوا الهاء وكذلك يفعلون في لام الامر اذا كان قبلها حرف من حروف النسق كالواو والفاء وثم وكذلك قرأت عامة قراء أهل البصرة غير أن أبا عمرو بن العلاء كان يكسر اللام من قوله ثم ليقضوا خاصة من أجل أن الوقوف على ثم دون ليقضوا حسن وغير جائز الوقوف على الواو والفاء وهذا الذي اعتل به أبو عمرو لقراءته علة حسنة من جهة القياس غير أن أكثر القراء على تسكينها * وأولى الأقوال بالصواب في ذلك عندي أن التسكين في لام ليقضوا والكسر قراءتان مشهورتان ولغتان سائرتان فبأيتهما قرأ القارئ فصيب الصواب غير أن الكسر فيها خاصة أقيس لما ذكرنا لأبي عمرو ومن العلة لان من قرأ وهو عليم بذات الصدور فهو بتسكين الهاء مع الواو والفاء ويحركها في قوله ثم هو يوم القيامة من المحضرين فذلك الواجب عليه أن يفعل في قوله ثم ليقضوا تفثهم فيحرك اللام الى الكسر مع ثم وان سكنها في قوله وليوفوا نذورهم وقد ذكر عن أبي عبد الرحمن السلمي والحسن البصري تحريكها مع ثم والواو وهي لغة مشهورة غير أن أكثر القراء مع الواو والفاء على تسكينها وهي أشهر اللغتين في العرب وأفصحها فالقراءة بها أعجب الي من كسرها ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الأنعام الا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور ﴾ يعني تعالى ذكره بقوله ذلك هذا الذي أمرته به من قضاء التفث والوفاء بالنذور والطواف بالبيت العتيق هو الفرض الواجب عليكم يا أيها الناس في حجكم ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه يقول ومن يجتنب ما أمره الله باجتنابه في حال احرامه

في حق غير أهل الايمان وهم أهل النفاق والشرك وذلك قوله (ليجعل) الآية وثانيهما في حق المؤمنين العارفين بالله وصفاته وهو قوله (وليعلم الذين أوتوا العلم انه الحق) قال مقاتل يعني القرآن وعن الكلبي أي النسخ قال جار الله أي تمكين الشيطان من الالقاء قلت أما عند الاشاعرة فلان المالك له أن يتصرف في ملكه كيف يشاء وأما عند المعتزلة فلان أفعاله جارية على وفق الحكمة والتدبير (فتخبت) تخضع وتطمئن (له قلوبهم) بناء على أصلي الفريقين والصراط المستقيم ههنا فسروه بالتأويلات الصحيحة والبيانات المطابقة للاصول قلت وتفسيره بمعنى أعم من ذلك غير ضائر ثم بين أن الأعصار الى قيام الساعة لا تخلو ممن يكون في شك من القرآن والرسول واليوم العقيم قيل يوم بدر لانه لا مثل له في عظم أمره لقتال الملائكة فيه أولانه لا خير فيه للكفار من قولهم ريح عقيم اذا لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا أو لأن يوم الحرب يقال له العقيم من حيث ان أولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كأنهن عقم لم يلدن أو من حيث ان المقاتلين يقال لهم أبناء الحرب فاذا قتلوا بقي

تعظيما منه لحدود الله أن يواقعها وحرمه أن يستحلها فهو خير له عند ربه في الآخرة كما **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد في قوله ذلك ومن يعظم حرمات الله قال الحرمة مكة والحج والعمرة وما نهى الله عنه من معاصيه كلها **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ومن يعظم حرمات الله قال الحرمات المشعر الحرام والبيت الحرام والمسجد الحرم والبلد الحرام هؤلاء الحرمات وقوله وأحلت لكم الأنعام يقول جل ثناؤه وأحل الله لكم أيها الناس الأنعام أن تأكلوها اذا ذكيتموها فلم يحرم عليكم منها بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حاما ولا ما جعلتموه منها آلهتكم الا ما يتلى عليكم يقول الا ما يتلى عليكم في كتاب الله وذلك الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع وما ذبح على النصب فان ذلك كله رجس كما **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة الا ما يتلى عليكم قال الا الميتة وما لم يذكر اسم الله عليه **حدثنا** الحسن قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله وقوله فاجتنبوا الرجس من الأوثان يقول فاتقوا عبادة الأوثان وطاعة الشيطان في عبادتها فانها رجس * وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فاجتنبوا الرجس من الأوثان يقول تعالى ذكره فاجتنبوا طاعة الشيطان في عبادة الأوثان **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج في قوله الرجس من الأوثان قال عبادة الأوثان وقوله واجتنبوا قول الزور يقول تعالى ذكره واتقوا قول الكذب والفرية على الله بقولكم في الآلهة ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقولكم للملائكة هي بنات الله ونحو ذلك من القول فان ذلك كذب وزور وشرك بالله * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله قول الزور قال الكذب **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به يعني الافتراء على الله والتكذيب **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عاصم عن وائل بن ربيعة عن عبد الله قال تعدل شهادة الزور بالشرك وقرأ فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور **حدثنا** أبو كريب قال ثنا أبو بكر عن عاصم عن وائل بن ربيعة قال عدلت شهادة الزور الشرك ثم قرأ هذه الآية فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور **حدثني** أبو السائب قال ثنا أبو أسامة قال ثنا سفيان العصفري عن أبيه عن خريم بن فاتك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عدلت شهادة الزور بالشرك بالله ثم قرأ فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور **حدثنا** أبو كريب قال ثنا مروان بن معاوية عن سفيان العصفري عن فاتك بن فضالة عن أيمن بن خريم أن النبي صلى الله عليه وسلم قام خطيبا فقال أيها الناس عدلت شهادة الزور بالشرك بالله مرتين ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور ويجوز أن يكون مراده اجتنبوا أن ترجسوا أنتم أيها الناس من الاوثان بعبادتكم اياها فان قال قائل

الحرب بلا أبناء وعن الضحاك أنه يوم القيامة لانهم لا يرون فيه خيرا أو لان كل ذات حمل تضع فيه حملها أو لانه لا ليل فيه فيستمر كاستمرار المرأة على عدم الولادة ولا تكرار على هذا القول لان المراد بالساعة مقدماته أو المراد حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذابها فوضع يوم عقيم مقام الضمير واستحسن بعض الأئمة قول الضحاك ورجحه لان الاول يلزم منه أن الكفار ينتهي شكهم في يوم بدر وليس كذلك فانهم في مرية بعد يوم بدر أيضا ويمكن أن يقال أو للعطف على أول الآية فيكون المراد بالذين كفروا في الاول الجنس وفي الثاني العهد سلمنا أنه للعطف على تأتيهم الا أن اللام في الذين كفروا للجنس فيقع على الذين ما انتهى شكهم الى يوم القيامة ويحتمل أن يراد بالساعة وقت موت كل واحد وبعذاب يوم عقيم القيامة ثم بين أنه لا مالك يوم تأتي الساعة الا الله وأنه يحكم بين الناس فيميز بين أهل الجنة وأهل النار ثم أفرد المهاجرين بالذكر تخصيصا لهم بمزيد التشريف يروى أن طوائف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا

وهل من الأوثان ما ليس برجس حتى قيل فاجتنبوا الرجس منها قيل كلها رجس وليس المعنى ما ذهبت اليه فى ذلك وانما معنى الكلام فاجتنبوا الرجس الذى يكون من الأوثان أى عبادتها فالذى أمر جل ثناؤه بقوله فاجتنبوا الرجس منها اتقاء عبادتها وتلك العبادة هى الرجس على ما قاله ابن عباس ومن ذكرنا قوله قبل ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق﴾ يقول تعالى ذكره اجتنبوا أيها الناس عبادة الأوثان وقول الشرك مستقيمين لله على اخلاص التوحيد له وافراد الطاعة والعبادة له خالصا دون الأوثان والأصنام غير مشركين به شيأ من دونه فانه من يشرك بالله شيأ من دونه فمثله فى بعده من الهدى واصابة الحق وهلاكه وذهابه عن ربه مثل من خر من السماء فتخطفه الطير فهلك أو هوت به الريح فى مكان سحيق يعنى بعيد من قولهم أبعده الله وأسحقه وفيه لغتان أسحقته الريح وسحقته ومنه قيل للنخلة الطويلة نخلة سحوق ومنه قول الشاعر

كانت لنا جارة فأزعجها * قاذورة يسحق النوى قدما

ويروى تسحق يقول فهكذا مثل المشرك بالله فى بعده من ربه ومن اصابة الحق كبعد هذا الواقع من السماء الى الأرض أو كهلاك من اختطفته الطير منهم فى الهواء * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فكأنما خر من السماء قال هذا مثل ضربه الله لمن أشرك بالله فى بعده من الهدى وهلاكه فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله فى مكان سحيق قال بعيد **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقيل فتخطفه الطير وقد قيل قبله فكأنما خر من السماء وخر فعل ماض وتخطفه مستقبل فعطف بالمستقبل على الماضى كما فعل ذلك فى قوله ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله وقد بينت ذلك هنالك ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب﴾ يقول تعالى ذكره هذا الذى ذكرت لكم أيها الناس وأمرتكم به من اجتناب الرجس من الأوثان واجتناب قول الزور وحنفاء لله وتعظيم شعائر الله وهو استحسان البدن واستسمانها وأداء مناسك الحج على ما أمر الله جل ثناؤه من تقوى قلوبكم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا اسمعيل بن ابراهيم قال ثنا محمد بن زياد عن محمد ابن أبى ليلى عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس فى قوله ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب قال استعظامها واستحسانها واستسمانها **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد ابن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد فى قوله ومن يعظم شعائر الله قال الاستسمان والاستعظام * وبه عن عنبسة عن ليث عن مجاهد مثله الا أنه قال والاستحسان **حدثنا** عبد الحميد ابن بيان الواسطى قال أخبرنا اسحق عن أبى بشر **وحدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ومن يعظم شعائر الله قال استعظام البدن واستسمانها واستحسانها **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** محمد بن المثنى

يا نبى الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما أعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا معك فانزل الله عز وجل (والذين هاجروا فى سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا) قال بعض المفسرين هم الذين هاجروا من مكة الى المدينة وقال بعضهم هم الذين خرجوا من الاوطان فى سرية أو عسكر ولا يبعد حمل الآية على الفريقين والرزق الحسن نعيم الجنة وعن الكلبى هو الغنيمة لأنها حلال وقال الأصم العلم والفهم كقول شعيب ورزقنى منه رزقا حسنا وضعف الوجهان بأنهما ممتنعان بعد القتل أو الموت قال العلماء وانما تظهر هذه الفضيلة للمهاجرين فى مزيد الدرجات والا فلا بد من شرط اجتناب الكبائر كما فى حق غيرهم (وان الله لهو خير الرازقين) لان رزق غيره ينتهى اليه وغيره لا يقدر على مثل رزقه ولأن رزقه لا يختلط بالمن والأذى ولا بغرض من الاغراض الفاسدة ولأنه يرزق ويعطى ما به يتم الانتفاع بالرزق من القوى والحواس وغير ذلك من الشرائط الوجودية والعدمية قالت المعتزلة فى الآية دلالة على أن غير الله يقدر على الفعل وهو الرزق ويمكن

قال ثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا داود بن أبي هند عن محمد بن أبي موسى قال الوقوف بعرفة من شعائر الله وبجمع من شعائر الله ورمي الجمار من شعائر الله والبدن من شعائر الله ومن يعظمها فانها من شعائر الله في قوله ومن يعظم شعائر الله فمن يعظمها فانها من تقوى القلوب **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ومن يعظم شعائر الله قال الشعائر الجمار والصفا والمروة من شعائر الله والمشعر الحرام والمزدلفة قال والشعائر تدخل في الحرم هي شعائر وهي حرم * وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال ان الله تعالى ذكره أخبر أن تعظيم شعائره وهي ما جعله أعلاما لخلقه فيما تعبدهم به من مناسك حجهم من الاماكن التي أمرهم بأداء ما افترض عليهم منها عندها والاعمال التي ألزمهم عملها في حجهم من تقوى قلوبهم لم يخصص من ذلك شيأ فتعظيم كل ذلك من تقوى القلوب كما قال جل ثناؤه وحق على عباده المؤمنين به تعظيم جميع ذلك وقال فانها من تقوى القلوب وأنث ولم يقل فانه لانه أريد بذلك فان تلك التعظيمة مع اجتناب الرجس من الأوثان من تقوى القلوب كما قال جل ثناؤه ان ربك من بعدها لغفور رحيم وعنى بقوله فانها من تقوى القلوب فانها من وجل القلوب من خشية الله وحقيقة معرفتها بعظمته واخلاص توحيده ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿لكم فيها منافع الى أجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق﴾ اختلف أهل التأويل في معنى المنافع التي ذكر الله في هذه الآية وأخبر عباده أنها الى أجل مسمى على نحو اختلافهم في معنى الشعائر التي ذكرها جل ثناؤه في قوله ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب فقال الذين قالوا عنى بالشعائر البدن معنى ذلك لكم أيها الناس في البدن منافع ثم اختلف أيضا الذين قالوا هذه المقالة في الحال التي لهم فيها منافع وفي الاجل الذي قال عز ذكره الى أجل مسمى فقال بعضهم الحال التي أخبر الله جل ثناؤه أن لهم فيها منافع هي الحال التي لم يوجبها صاحبها ولم يسمها بدنة ولم يقلدها قالوا ومنافعها في هذه الحال شرب ألبانها وركوب ظهورها وما يرزقهم الله من نتاجها وأولادها قالوا والأجل المسمى الذي أخبر جل ثناؤه أن ذلك لعباده المؤمنين منها اليه هو الى ايجابهم اياها فاذا أوجبوها بطل ذلك ولم يكن لهم من ذلك شئ ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا يحيى بن عيسى عن ابن أبي ليلى عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس في لكم فيها منافع الى أجل مسمى قال مالم يسم بدنا **حدثنا** عبد الحميد بن بيان قال أخبرنا اسحق بن يوسف عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله لكم فيها منافع الى أجل مسمى قال الركوب واللبن والولد فاذا سميت بدنة أو هديا ذهب ذلك كله **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد في هذه الآية لكم فيها منافع الى أجل مسمى قال لكم في ظهورها وألبانها وأوبارها حتى تصير بدنا * قال ثنا ابن أبي عدي قال ثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد مثله **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن ابن أبي نجيح وليث عن مجاهد لكم فيها منافع الى أجل مسمى قال في أشعارها وأوبارها وألبانها قبل أن تسميها بدنة * قال ثنا هرون بن المغيرة عن عنبسة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و**حدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله لكم فيها منافع الى أجل مسمى قال في البدن لحومها وألبانها وأشعارها وأوبارها وأصوافها قبل أن تسمى هديا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وزاد فيه وهي الأجل المسمى **حدثني** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا حجاج عن عطاء أنه قال في قوله لكم فيها منافع الى أجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق قال منافع

أن يجاب بأنه مجاز أو على سبيل الفرض والتقدير وليس في الآية دليل ظاهر على أن المهاجر المقتول والمهاجر الميت على فراشه هل يستويان في الاجر أم لا بل المعلوم منها هو الجمع بينهما في الوعد وقد يستدل على التسوية بما روى عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المقتول في سبيل الله والمتوفى في سبيل الله بغير قتل هما في الأجر شريكان فان لفظ الشركة مشعر بالتسوية وحسن بين رزقهم شرع في ذكر مسكنهم قيل في المدخل الذي يرضونه خيمة من درة بيضاء لا فصم فيها ولا وصم لها سبعون ألف مصراع وقال أبو القاسم القشيري هو أن يدخلهم الجنة من غير مكروه تقدم وقال ابن عباس يرون في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فيرضونه ولا يبغون عنها حولا (وان الله لعليم) بدرجات العاملين ومراتب استحقاقهم (حليم) عن تفريط المفرط منهم فيمهله حتى يتوب فيدخل الجنة ثم بين أنه مع اكرامه لهم في الآخرة لا يدع نصرهم في الدنيا قبل أن يقتلوا أو يموتوا فقال (ذلك) قال الزجاج أي

فى ألبانها وظهورها وأوبارها الى أجل مسمى الى أن تقلد حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا جويبر عن الضحاك مثل ذلك حدثنى يعقوب قال قال ابن علية سمعت ابن أبى نجيح يقول فى قوله لكم فيها منافع الى أجل مسمى قال الى أن توجبها بدنة * قال ثنا ابن علية عن ابن أبى نجيح عن قتادة لكم فيها منافع الى أجل مسمى يقول فى ظهورها وألبانها فاذا قلدت فمحلها الى البيت العتيق * وقال آخرون ممن قال الشعائر البدن فى قوله ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب والهاء فى قوله لكم فيها من ذكر الشعائر ومعنى قوله لكم فيها منافع لكم فى الشعائر التى تعظمونها لله منافع بعد اتخاذكموها لله بدنا أوهديا بأن تركبوا ظهورها اذا احتجتم الى ذلك وتشربوا ألبانها ان اضطررتم اليها قالوا والأجل المسمى الذى قال جل ثناؤه الى أجل مسمى الى ان تنحر ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن ابن أبى نجيح عن عطاء لكم فيها منافع الى أجل مسمى قال هو ركوب البدن وشرب لبنها ان احتاج حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال عطاء بن أبى رباح فى قوله لكم فيها منافع الى أجل مسمى قال الى أن تنحر قال له أن يحمل عليها المعيى والمنقطع به من الضرورة كان النبى صلى الله عليه وسلم يأمر بالبدنة اذا احتاج اليها سيدها أن يحمل عليها ويركب عند منهوكه قلت لعطاء ما(١) قال الرجل الراجل والمنقطع به والمتبع وان نتجت أن يحمل عليها ولدها ولا يشرب من لبنها الا فضلا عن ولدها فان كان فى لبنها فضل فليشرب من أهداها ومن لم يهدها وأما الذين قالوا معنى الشعائر فى قوله ومن يعظم شعائر الله شعائر الحج وهى الاماكن التى ينسك عندها لله فانهم اختلفوا أيضا فى معنى المنافع التى قال الله لكم فيها منافع فقال بعضهم معنى ذلك لكم فى هذه الشعائر التى تعظمونها منافع بتجارتكم عندها وبيعكم وشرائكم بحضرتها وتسوقكم والاجل المسمى الخروج من الشعائر الى غيرها ومن المواضع التى ينسك عندها الى ماسواها فى قول بعضهم حدثنى الحسن بن على الصداء قال ثنا أبو اسامة عن سليمن الضبى عن عاصم بن أبى النجود عن أبى رزين عن ابن عباس فى قوله لكم فيها منافع قال أسواقهم فانه لم يذكر منافع الا للدنيا حدثنى محمد بن المثنى قال ثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا داود بن أبى هند عن محمد بن أبى موسى قوله لكم فيها منافع الى أجل مسمى قال والاجل المسمى الخروج منه الى غيره * وقال آخرون منهم المنافع التى ذكرها الله فى هذا الموضع العمل لله بما أمر من مناسك الحج قالوا والأجل المسمى هو انقضاء أيام الحج التى ينسك لله فيهن ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله لكم فيها منافع الى أجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق فقرأ قول الله ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب لكم فى تلك الشعائر منافع الى أجل مسمى اذا ذهبت تلك الايام لم تر أحدا يأتى عرفة يقف فيها يبتغى الأجر ولا المزدلفة ولا رمى الجمار وقد ضربوا من البلدان لهذه الايام التى فيها المنافع وانما منافعها الى تلك الايام وهى الأجل المسمى ثم محلها حين تنقضى تلك الايام الى البيت العتيق * قال أبو جعفر وقد دللنا قبل على أن قول الله تعالى ذكره ومن يعظم شعائر الله معنى به كل ما كان من عمل أو مكان جعله الله علما لمناسك حج خلقه لم يخصص من ذلك جل ثناؤه شيأ فى خبر ولا عقل واذ كان ذلك كذلك فمعلوم أن معنى قوله لكم فيها منافع الى أجل مسمى فى هذه الشعائر منافع الى أجل مسمى فما كان من هذه الشعائر بدنا أو هديا فمنافعها لكم من حين تملكون الى أن أوجبتموها هديا أو بدنا وما كان منها أماكن ينسك لله عندها فمنافعها التجارة لله عندها والعمل لله بما أمر به الى الشخوص عنها وما كان منها أوقاتا

الامر ما قصصنا عليكم من انجاز الوعد للمهاجرين خاصة اذا قتلوا أو ماتوا عن مقاتل أن قوما من المشركين لقوا قوما من المسلمين فى الشهر الحرام فقالوا ان أصحاب محمد يكرهون القتال فى الشهر الحرام فاحملوا عليهم فناشدهم المسلمون أن يكفوا عن قتالهم لحرمة الشهر فأبوا وقاتلوهم فذلك بغيهم عليهم وثبت لهم المسلمون فنصروا فوقع فى أنفس المسلمين شئ من القتال فى الشهر الحرام فنزل (ومن عاقب) أى قاتل (بمثل ما عوقب به) أى كما ابتدئ بقتاله سمى الابتداء باسم الجزاء للطباق وللملابسة من حيث ان ذلك سبب وهذا مسبب عنه (ثم بغى عليه) أى ثم كان المجازى مبغيا عليه أى مظلوما ومعنى ثم تفاوت الرتبة لأن كونه مبدوأ بالقتال معه نوع ظلم كما قيل البادى أظلم وهو موجب لنصرته ظاهرا الا أن كونه فى نفس الأمر مظلوما هو السبب الأصلى فى النصرة وعن الضحاك أن الآية مدنية وهى فى القصاص والجراحات واستدل الشافعى بها فى وجوب رعاية المماثلة فى القصاص فقال من حرق حرقناه ومن غرق غرقناه وفى ختم الآية بذكر العفو والمغفرة وجوه

(١) لعله يريد ما المعيى قال الخ تأمل كتبه مصححه

بأن يطاع الله فيها بعمل أعمال الحج و بطلب المعاش فيها بالتجارة الى أن يطاف بالبيت فى بعض أو يوافى الحرم فى بعض و يخرج عن الحرم فى بعض وقد اختلف الذين ذكرنا اختلافهم فى تأويل قوله لكم فيها منافع الى أجل مسمى فى تأويل قوله ثم محلها الى البيت العتيق فقال الذين قالوا عنى بالشعائر فى هذا الموضع البدن معنى ذلك ثم محل البدن الى أن تبلغ مكة وهى التى بها البيت العتيق ذكر من قال ذلك **حدثنى** يعقوب بن ابراهيم قال أخبرنا هشيم قال أخبرنا حجاج عن عطاء ثم محلها الى البيت العتيق الى مكة **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و**حدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ثم محلها الى البيت العتيق يعنى محل البدن حين تسمى الى البيت العتيق **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال ثم محلها حين تسمى هديا الى البيت العتيق قال الكعبة أعتقها من الجبابرة فوجه هؤلاء تأويل ذلك الى ثم منحر البدن والهدايا التى أوجبتموها الى أرض الحرم وقالوا عنى بالبيت العتيق أرض الحرم كلها وقالوا وذلك نظير قوله فلا يقربوا المسجد الحرام والمراد الحرم كله * وقال آخرون معنى ذلك ثم محلكم أيها الناس من مناسككم الى البيت العتيق أن تطوفوا به يوم النحر بعد قضائكم ما أوجبه الله عليكم فى حجكم ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا داود بن أبى هند عن محمد بن أبى موسى ثم محلها الى البيت العتيق قال محل هذه الشعائر كلها الطواف بالبيت * وقال آخرون معنى ذلك ثم محل منافع أيام الحج الى البيت العتيق بانقضائها ذكر من قال ذلك **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ثم محلها الى البيت العتيق حين تنقضى تلك الايام أيام الحج الى البيت العتيق * وأولى هذه الاقوال عندى بالصواب قول من قال معنى ذلك ثم محل الشعائر التى لكم فيها منافع الى أجل مسمى الى البيت العتيق فما كان من ذلك هديا أو بدنا فمحله اذا أتاه الحرم فى الحرم وما كان من نسك فالطواف بالبيت وقد بينا الصواب فى ذلك من القول عندنا فى معنى الشعائر ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام فالهكم اله واحد فله أسلموا و بشر المخبتين﴾ يقول تعالى ذكره ولكل أمة ولكل جماعة سلف فيكم من أهل الايمان بالله أيها الناس جعلنا ذبحا يهريقون دمه ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام بذلك لان من البهائم ما ليس من الانعام كالخيل والبغال والحمير وقيل انما قيل للبهائم بهائم لانها لا تتكلم * و بنحو الذى قلنا فى تأويل قوله جعلنا منسكا قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و**حدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولكل أمة جعلنا منسكا قال اهراق الدماء ليذكروا اسم الله عليها **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقوله فالهكم اله واحد يقول تعالى ذكره فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور فالهكم اله واحد لا شريك له فاياه فاعبدوا وله أخلصوا الالوهة وقوله فله أسلموا يقول فلالهكم فاخضعوا بالطاعة وله فذلوا بالاقرار بالعبودية وقوله وبشر المخبتين يقول تعالى ذكره وبشر يا محمد الخاضعين لله بالطاعة المذعنين له بالعبودية المنيبين اليه بالتوبة وقد بينا معنى الاخبات بشواهده فيما مضى من كتابنا هذا * وقد اختلف أهل التأويل فى المراد به فى هذا الموضع فقال بعضهم أريد به و بشر المطمئنين الى الله ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان

منها أن المندوب للمجنى عليه هو أن يعفو عن الجانى كقوله فمن عفا وأصلح فأجره على الله وكأنه قال أنا ضامن لنصرته ان ترك الانتقام وطلب اكثار ما هو أولى به فانى عفو غفور ومنها أنه ضمن النصر على الباغى ولو حبذ كرهاتين الصفتين بما هو أولى بالمجنى عليه وهو العفو والصفح ومنها أنه دل بذكرهما على أنه قادر على العقوبة لان العفو عند المقدرة ثم بين أن ذلك النصر بسبب أنه قادر ومن كمال قدرته ايلاج الليل فى النهار والنهار فى الليل وذلك أن زيادة أحدهما تستلزم نقصان الآخر أو أراد تحصيل أحد العرضين الظلام والضياء فى مكان الآخر وقدمر فى أوائل آل عمران وفيه أن خالق الليل والنهار ومصرف الأدوار والاكوار لا يخفى عليه شئ من الزمانيات خيرا أو شرا انصافا أو بغيا وأكد هذا المعنى بقوله (ان الله سميع بصير) يسمع أقوال الخلائق و يبصر أفعالهم ثم بين أن كمال القدرة والعلم هو يقتضى وجوب الوجود فقال (ذلك) أى الوصف بخلق الملوين وبالاحاطة بما يجرى فيهما بسبب أن الحقيقة منحصرة فى ذاته وان وجود غيره ولا سيما الأوثان موسوم بالبطلان فلا نقص كالامكان و يعلم

عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وبشر المخبتين قال المطمئنين **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن ابن جريج عن مجاهد قوله وبشر المخبتين المطمئنين الى الله **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وبشر المخبتين قال المطمئنين **حدثنا** الحسن قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وبشر المخبتين قال المتواضعين * وقال آخرون في ذلك بما **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا محمد بن مسلم عن عثمان بن عبد الله بن أوس عن عمرو بن أوس قال المخبتون الذين لا يظلمون واذا ظلموا لم ينتصروا **حدثني** محمد بن عثمان الواسطي قال ثنا حفص بن عمر قال ثنا محمد بن مسلم الطائفي قال ثني عثمان بن عبد الله بن أوس عن عمرو بن أوس مثله ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾ فهذا من نعت المخبتين يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبشر يا محمد المخبتين الذين تخشع قلوبهم اذ ذكر الله وتخضع من خشيته وجلا من عقابه وخوفا من سخطه كما **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم قال لا تقسو قلوبهم والصابرين على ما أصابهم من شدة في أمر الله ونالهم من مكروه في جنبه والمقيمي الصلاة المفروضة ومما رزقناهم من الاموال ينفقون في الواجب عليهم انفاقها فيه في زكاة ونفقة عيال ومن وجبت عليه نفقته وفي سبيل الله ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون﴾ يقول تعالى ذكره والبدن وهي جمع بدنة وقد يقال لواحدها بدن واذا قيل بدن احتمل أن يكون جمعا وواحدا يدل على أنه قد يقال ذلك للواحد قول الراجز

على حين تملك الامورا * صوم شهور وجبت نذورا

وحلق رأسي وافيا مضفورا * وبدنا مدرعا موفورا

والبدن هو الضخم من كل شئ ولذلك قيل لامرئ القيس بن النعمان صاحب الخورنق والسدير البدن لضخمه واسترخاء لحمه فانه يقال قد بدن تبدينا فعني الكلام والابل العظام الاجسام الضخام جعلناها لكم أيها الناس من شعائر الله يقول من أعلام أمر الله الذي أمركم به في مناسك حجكم اذا قلدتموها وجللتموها وأشعرتموها علم بذلك وشعرأتكم فعلتم ذلك من الابل والبقر كما **حدثنا** ابن بشار قال ثنا يحيى عن ابن جريج قال قال عطاء والبدن جعلناها لكم من شعائر الله قال البقرة والبعير وقوله لكم فيها خير يقول لكم في البدن خير وذلك الخير هو الأجر في الآخرة بنحرها والصدقة بها وفي الدنيا الركوب اذا احتاج الى ركوبها * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله لكم فيها خير قال أجر ومنافع في البدن **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم لكم فيها خير قال اللبن والركوب اذا احتاج **حدثنا** عبد الحميد ابن بيان قال أخبرنا اسحق عن شريك عن منصور عن ابراهيم لكم فيها خير قال اذا اضطررت

مما ذكر أنه لا شئ أعلى منه شانا وأكبر سلطانا وانما قال ههنا (من دونه هو الباطل) بزيادة هو وفي لقمان من دونه الباطل لأن هذا وقع بين عشر آيات كل آية مؤكدة مرة أو مرتين ولهذا أيضا زيدت اللام في قوله (وان الله لهو الغني الحميد) بخلاف ما في لقمان وأيضا يمكن أن يقال تقدم في هذه السورة ذكر الشيطان فلهذا ذكرت هذه المؤكدات بخلاف لقمان فانه لم يتقدم ذكر الشيطان هناك بنحو ما ذكر هنا ثم ذكر أنواعا أخر من دلائل قدرته ونعمته فقال (ألم تر) قيل هي رؤية البصر لان نزول الماء من جهة السماء وأخضرار النبات من المبصرات وقيل بمعنى العلم لان الرؤية اذا لم يقترن بها العلم لم يعتد بها وفي قوله (فتصبح) دون أن يقول فأصبحت مناسبا لأن نزل اشارة الى بقاء أثر المطر زمانا طويلا وان كان ابتداء الاصباح عقيب النزول نظيره قول القائل أنعم فلان علي عام كذا فأروح وأغدو شاكرا له ولو قال فرحت وغدوت لم يقع ذلك الموقع وانما لم ينصب فتصبح جوابا للاستفهام لايهام عكس ما هو المقصود لانه يوهم نفي الاخضرار كما لو قلت

الى بدنتك ركبتها وشربت من لبنها **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن ابراهيم لكم فيها خير من احتاج الى ظهر البدنة ركب ومن احتاج الى لبنها شرب وقوله فاذكروا اسم الله عليها صوافى يقول تعالى ذكره فاذكروا اسم الله على البدن عند نحركم اياها صوافى * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الامصار فاذكروا اسم الله عليها صوافى بمعنى مصطفة واحدها صافة وقد صفت بين أيديها وروى عن الحسن ومجاهد وزيد بن أسلم وجماعة أخر معهم أنهم قرؤا ذلك صوافى بالياء منصوبة بمعنى خالصة لله لا شريك له فيها صافية له وقرأ بعضهم ذلك صواف باسقاط الياء وتنوين الحرف على مثال عوار وعواد وروى عن ابن مسعود أنه قرأه صوافن بمعنى معقلة * والصواب من القراءة فى ذلك عندى قراءة من قرأه بتشديد الفاء ونصبها الاجماع الحجة من القراء عليه بالمعنى الذى ذكرنا لمن قرأه كذلك ذكر من تأوله بتأويل من قرأه بتشديد الفاء ونصبها **حدثنا** أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح عن الأعمش عن أبى ظبيان عن ابن عباس فى قوله فاذكروا اسم الله عليها صوافى قال الله أكبر الله أكبر اللهم منك ولك صوافى قياما على ثلاث أرجل فقيل لابن عباس ما نصنع بجلودها قال تصدقوا بها واستمتعوا بها **حدثنى** محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا أيوب بن سويد قال ثنا سفيان عن الأعمش عن أبى ظبيان عن ابن عباس فى قوله صوافى قال قائمة قال يقول الله أكبر لا اله الا الله اللهم منك ولك **حدثنى** محمد بن المثنى قال ثنا ابن أبى عدى عن شعبة عن سليمن عن أبى ظبيان عن ابن عباس فاذكروا اسم الله عليها صوافى قال قياما على ثلاث قوائم معقولة باسم الله والله أكبر اللهم منك ولك **حدثنى** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله صوافى قال معقولة احدى يديها قال قائمة على ثلاث قوائم **حدثنى** على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله فاذكروا اسم الله عليها صوافى يقول قياما **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فاذكروا اسم الله عليها صوافى والصواف أن تعقل قائمة واحدة وتصفها على ثلاث فتنحرها كذلك **حدثنى** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا على بن عطاء قال أخبرنى بجير بن سالم قال رأيت ابن عمر وهو ينحر بدنته قال فقال صوافى كما قال الله قال فنحرها وهى قائمة معقولة احدى يديها **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا ليث عن مجاهد قال الصواف اذا عقلت رجلها وقامت على ثلاث * قال ثنا ليث عن مجاهد فى قوله فاذكروا اسم الله عليها صوافى قال صوافى بين أوظافها **حدثنى** محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد صوافى قال قيام صوافى على ثلاث قوائم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فاذكروا اسم الله عليها صوافى قال بين وظائفها قياما **حدثنا** ابن البرقى قال ثنا ابن أبى مريم قال أخبرنا يحيى بن أيوب عن خالد بن يزيد عن ابن أبى هلال عن نافع عن عبد الله أنه كان ينحر البدن وهى قائمة مستقبلة البيت تصف أيديها بالقيود قال هى التى ذكر الله فاذكروا اسم الله عليها صوافى **حدثنا** ابن حميد قال ثنى جرير عن منصور عن رجل عن أبى ظبيان عن ابن عباس قال قلت له قول الله فاذكروا اسم الله عليها صوافى قال اذا أردت أن تنحر البدنة فانحرها وقل الله أكبر لا اله الا الله اللهم منك ولك ثم سم ثم انحرها قلت فأقول ذلك للاضحية قال وللاضحية ذكر من تأوله بتأويل من قرأه صوافى بالياء **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر عن أبيه عن الحسن أنه قال فاذكروا اسم الله عليها

صوافى

لصاحبك ألم تر أنى أنعمت عليك فتشكران نصبته أو همت أنك ناف لشكره شاكك تفريطه فيه وان رفعته فأنت مثبت لشكره بطريق الاستمرار ولا يبعد أن تكون هذه الاية اشارة الى دليل الاعادة كما فى أول السورة وهذا قول أبى مسلم (ان الله لطيف خبير) قال الكلبى لطيف فى أفعاله خبير بأعمال خلقه وقال مقاتل لطيف باستخراج النبت خبير بكيفية خلقه وقال ابن عباس لطيف بأرزاق عباده خبير بما فى قلوبهم من القنوط وقد مر مثل هذه فى أواسط الانعام ثم بين أن كل ما فى السموات والارض ملكه وملكه لا يمتنع شئ منها من تصرفاته وهو غنى عن كل ذلك وانما خلقها لحاجة المكلفين اليها ومن جملتها المطر والنبات خلقها رحمة للحيوانات وانعاما عليها واذا كان انعامه خاليا عن غرض عائد اليه كان مستحقا للحمد بل هو حميد فى ذاته وان لم يحمده الحامدون ۞ التأويل وكأين من قرية قالب أهلكناها بضيق الصدر وسوء الخلق واستيلاء الغفلة وبئر معطلة هى القلب الفارغ عن أعمال القوى الروحانية فى طلب المعارف والحقائق وقصر مشيد

صوافى قال مخلصين * قال ثنا ابن ثور عن معمر قال قال الحسن صوافى خالصة حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال قال الحسن صوافى خالصة لله حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن قيس بن مسلم عن شقيق الضبى فاذكروا اسم الله عليها صوافى قال خالصة * قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا أيمن بن نابل قال سألت طاوسا عن قوله فاذكروا اسم الله عليها صوافى قال خالصا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فاذكروا اسم الله عليها صوافى قال خالصة ليس فيها شريك كما كان المشركون يفعلون يجعلون لله ولآلهتهم صوافى صافية لله تعالى ذكر من تأوله بتأويل من قرأه صوافن حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى حرف ابن مسعود فاذكروا اسم الله عليها صوافن أى معقلة قياما حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى حرف ابن مسعود فاذكروا اسم الله عليها صوافن قال أى معقلة قياما حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد قال من قرأها صوافن قال معقولة قال ومن قرأها صواف قال تصف بين يديها حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فاذكروا اسم الله عليها صواف يعنى صوافن والبدنة اذا نحرت عقلت يد واحدة فكانت على ثلاث وكذلك تنحر * قال أبو جعفر وقد تقدم بيان أولى هذه الاقوال بتأويل قوله صواف وهى المصطفة بين أيديها المعقولة احدى قوائمها وقوله فاذا وجبت جنوبها يقول فاذا سقطت فوقعت جنوبها الى الارض بعد النحر فكلوا منها وهو من قولهم قد وجبت الشمس اذا غابت فسقطت للتغيب ومنه قول أوس بن حجر

ألم تكسف الشمس والبدر والـ * ـكواكب للجبل الواجب

يعنى بالواجب الواقع * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنى عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فاذا وجبت جنوبها سقطت الى الارض حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فى قوله فاذا وجبت جنوبها قال اذا فرغت ونحرت حدثنى محمد بن عمارة قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا اسرائيل عن أبى يحيى عن مجاهد فاذا وجبت نحرت حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فاذا وجبت جنوبها قال اذا نحرت حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فاذا وجبت جنوبها قال فاذا ماتت وقوله فكلوا منها وهذا مخرجه مخرج الأمر ومعناه الاباحة والاطلاق يقول الله فاذا نحرت فسقطت ميتة بعد النحر فقد حل لكم أكلها وليس بأمر ايجاب وكان ابراهيم النخعى يقول فى ذلك ما حدثنا محمد ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم قال المشركون كانوا لا يأكلون من ذبائحهم فرخص للمسلمين فأكلوا منها فمن شاء أكل ومن شاء لم يأكل حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن حصين عن مجاهد قال ان شاء أكل وان شاء لم يأكل فهى بمنزلة اذا حللتم فاصطادوا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر يقول يأكل منها ويطعم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا يونس عن الحسن وأخبرنا مغيرة

هو الرأس الخالى عن نتائج الفكر الصافى والحواس السليمة أقلم يسيروا فى أرض البشرية عابرين على منازل السالكين الى أن يصلوا الى مقام القلب فتكون لهم قلوب يعقلون بها الرحمن بذاته أو آذان قلوب يسمعون بها أقواله أو أبصار بصائر يبصرون بها أفعاله واذا صح وصف القلب بالسمع والبصر صح وصفه بسائر وجوه الادراكات فقد يدرك نسيم الاقبال بمشام السر كقوله انى لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن وكقول يعقوب انى لأجد ريح يوسف ولن يخلف الله وعده ليس خلفه فى وعيد المؤمنين بخلف فى الحقيقة لانه تصديق قوله سبقت رحمتى غضبى وان يوما عند ربك كألف سنة قيل لانه موجد الزمان وليس عنده صباح ولا مساء فوجود الزمان وعدمه وكثرته وقلته سواء عنده والاستعجال وضده انما يتصور فى المتزمنات قلت ففيه أن الكل بارادته وأن ما أراد الله فأسبابه متهيئة يحصل فى يوم بارادته ما لا يحصل فى ألف سنة بحسب فرضنا وتقديرنا ومن هنا قيل جذبة من جذبات الرحمن توازى عمل الثقلين أمليت لها فيه أنه تعالى يمهل ولكنه لا يهمل لهم مغفرة أى

عن ابراهيم وأخبرنا حجاج عن عطاء وأخبرنا حصين عن مجاهد فى قوله فكلوا منها قال ان شاء أكل وان شاء لم يأكل قال مجاهد هى رخصة هى كقوله فاذا قضيتم الصلاة فانتشروا فى الارض ومثل قوله واذا حللتم فاصطادوا وقوله وأطعموا القانع والمعتر يقول فأطعموا منها القانع * واختلف أهل التأويل فى المعنى بالقانع والمعتر فقال بعضهم القانع الذى يقنع بما أعطى أو بما عنده ولا يسأل والمعتر الذى يتعرض لك أن تطعمه من اللحم ولا يسأل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فى قوله وأطعموا القانع والمعتر قال القانع المستغنى بما أعطيته وهو فى بيته والمعتر الذى يتعرض لك ويلم بك أن تطعمه من اللحم ولا يسأل وهؤلاء الذين أمر أن يطعموا من البدن **حدثنى** يعقوب قال ثنا ابن علية عن ليث عن مجاهد قال القانع جارك الذى يقنع بما أعطيته والمعتر الذى يتعرض لك ولا يسألك **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى أبو صخر عن القرظى أنه كان يقول فى هذه الآية وأطعموا القانع والمعتر القانع الذى يقنع بالشئ اليسير يرضى به والمعتر الذى يمر بجانبك لا يسأل شيأ فذلك المعتر * وقال آخرون القانع الذى يقنع بما عنده ولا يسأل والمعتر الذى يعتريك فيسألك ذكر من قال ذلك **حدثنى** على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله القانع والمعتر يقول القانع المتعفف والمعتر يقول السائل **حدثنا** ابن أبى الشوارب قال ثنا عبد الواحد قال ثنا خصيف قال سمعت مجاهدا يقول القانع أهل مكة والمعتر الذى يعتريك فيسألك **حدثنى** أبو السائب قال ثنا عطاء عن خصيف عن مجاهد فذكر مثله **حدثنا** ابن بشار قال ثنا مسلم بن ابراهيم قال ثنى كعب بن فروخ قال سمعت قتادة يحدث عن عكرمة فى قوله القانع والمعتر قال القانع الذى يقعد فى بيته والمعتر الذى يسأل **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا سعيد عن قتادة قال القانع المتعفف الجالس فى بيته والمعتر الذى يعتريك فيسألك **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال القانع والمعتر قال القانع الطامع بما قبلك ولا يسألك والمعتر الذى يعتريك ويسألك **حدثنى** نصر بن عبد الرحمن قال ثنا المحاربى عن سفيان عن منصور عن مجاهد وابراهيم قالا القانع الجالس فى بيته والمعتر الذى يسألك **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا سعيد عن قتادة فى القانع والمعتر قال القانع الذى يقنع بما فى يديه والمعتر الذى يعتريك ولكليهما عليك حق يا ابن آدم **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر قال القانع الذى يجلس فى بيته والمعتر الذى يعتريك * وقال آخرون القانع هو السائل والمعتر هو الذى يعتريك ولا يسأل ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا يونس عن الحسن قال القانع الذى يقنع اليك ويسألك والمعتر الذى يتعرض لك ولا يسألك **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور بن زاذان عن الحسن فى هذه الآية وأطعموا القانع والمعتر قال القانع الذى يقنع والمعتر الذى يعتريك قال وقال الكلبى القانع الذى يسألك والمعتر الذى يعتريك يتعرض ولا يسألك **حدثنى** نصر بن عبد الرحمن الأودى قال ثنا المحاربى عن سفيان عن يونس عن الحسن فى قوله وأطعموا القانع والمعتر قال القانع الذى يسألك والمعتر الذى يتعرض لك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن ادريس عن أبيه قال قال سعيد بن جبير القانع السائل **حدثنى** محمد بن اسمعيل الأحمسى قال ثنى غالب قال ثنى شريك عن فرات القزاز عن سعيد بن جبير فى قوله القانع

قال

ستر فمنهم من يستر زلته ومنهم من يستر عليه أعماله الصالحة صيانة له عن الملاحظة ومنهم من يستر عليه حاله لئلا يصيبه من الشهوة فتنة كما قيل شعر

لا تنكرن بحدى هواك فانما * ذاك الجحود عليك ستر مسبل

ومنهم من يستره بين أوليائه فى باب العزة كما قال أوليائى تحت قبابى لا يعرفهم غيرى ومنهم من يستر أنانيته بهويته فيقول أنا الحق وسبحانى والرزق الكريم هو الخالى عن شوائب الحدوث لانه من القديم الكريم الا اذا تمنى فيه أن النبى صلى الله عليه وسلم بل الولى لا يليق به التمنى بل ما على الرسول الا البلاغ ولا على الولى الا الرضا والتسليم فلو بقى فى أحدهم أدنى ملاحظة لغير الله كالحرص على ايمان القوم فوق ما أمر به ابتلاه الله ببلاء مجال الشيطان فى أمنيته بقول أو بعمل فتدركه العناية الازلية ويزيل الخاطر الشيطانى ويثبته على الخاطر الرحمانى ولا يكون لدخان الفتنة تأثير فى نور يقينه كما لا تأثير للضباب فى شعاع الشمس بخلاف من فى قلبه ظلم الشبهات فان ذلك الدخان يزيدها كدورة ورينا حتى تأتيهم ساعة سلب الاستعداد بالكلية

قال هو السائل ثم قال أما سمعت قول الشماخ

لمال المرء يصلحه فيغنى * مفاقره أعف من القنوع

قال من السؤال حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا يونس عن الحسن أنه قال في قوله وأطعموا القانع والمعتر قال القانع الذي يقنع اليك يسألك والمعتر الذي يريك نفسه ويتعرض لك ولا يسألك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشام قال أخبرنا منصور ويونس عن الحسن قال القانع السائل والمعتر الذي يتعرض ولا يسأل حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني عبد الله بن عياش قال قال زيد بن أسلم القانع الذي يسأل الناس * وقال آخرون القانع الجار والمعتر الذي يعتريك من الناس ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت ليثا عن مجاهد قال القانع جارك وان كان غنيا والمعتر الذي يعتريك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن ابن أبي نجيح قال قال مجاهد في قوله وأطعموا القانع والمعتر قال القانع جارك الغني والمعتر من اعتراك من الناس حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم في قوله وأطعموا القانع والمعتر أنه قال أحدهما السائل والآخر الجار * وقال آخرون القانع الطواف والمعتر الصديق الزائر ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثني أبي وشعيب بن الليث عن الليث عن خالد بن يزيد عن ابن أبي هلال قال قال زيد بن أسلم في قول الله تعالى القانع والمعتر فالقانع المسكين الذي يطوف والمعتر الصديق والضعيف الذي يزور * وقال آخرون القانع الطامع والمعتر الذي يعتر بالبدن ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله القانع قال الطامع والمعتر من يعتر بالبدن من غني أو فقير حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني عمر بن عطاء عن عكرمة قال القانع الطامع * وقال آخرون القانع هو المسكين والمعتر الذي يتعرض للحم ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وأطعموا القانع والمعتر قال القانع المسكين والمعتر الذي يعتر للقوم للحمهم وليس بمسكين ولا تكون له ذبيحة يجيء الى القوم من أجل لحمهم والبائس الفقير هو القانع * وقال آخرون بما حدثنا به ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن فرات عن سعيد بن جبير قال القانع الذي يقنع والمعتر الذي يعتريك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن يونس عن الحسن بمثله * قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم ومجاهد القانع والمعتر القانع الجالس في بيته والمعتر الذي يتعرض لك * وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال عنى بالقانع السائل لانه لو كان المعنى بالقانع في هذا الموضع المكتفي بما عنده والمستغني به لقيل وأطعموا القانع والسائل ولم يقل وأطعموا القانع والمعتر وفي اتباع ذلك قوله والمعتر الدليل الواضح على أن القانع معنى به السائل من قولهم قنع فلان اذا فلان بمعنى سأله وخضع اليه فهو يقنع قنوعا ومنه قول لبيد

وأعطاني المولى على حين فقره * اذا قال أبصر خلتي وقنوعي

وأما القانع الذي هو بمعنى المكتفي فانه من قنعت به بكسر النون أقنع قناعة وقنعا وقنعانا وأما المعتر فانه الذي يأتيك معتربا لتعطيه وتطعمه وقوله كذلك سخرناها لكم يقول هكذا سخرنا البدن لكم أيها الناس لعلكم تشكرون يقول لتشكروني على تسخيرها لكم ۞ القول

أو يأتيهم عذاب يوم عقيم هو الأبد لانه لا ليل له وهو عذاب قطيعة لا وصلة بعدها والذين هاجروا عن أوطان الطبيعة في طلب الحقيقة ثم قتلوا بسيف الصدق والرياضة حتى تزكوا أنفسهم أو ماتوا عن أوصاف البشرية ليرزقهم الله رزقا حسنا فرزق القلوب حلاوة العرفان ورزق الاسرار مشاهدات الجمال ورزق الارواح مكاشفات الجلال وان الله لهو خير الرازقين لانه يرزق من أوصاف ربوبيته كما قال صلى الله عليه وسلم أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني ومن عاقب بالمجاهدة نفسه بمثل ما عاقبت النفس بالمخالفة قلبه ثم بغى عليه أي غلبت النفس على القلب باستيلاء صفاتها لينصرنه الله باستئصال النفس وتحقيق صفاتها ان الله لعفو لما سلف غفور لما بقي في نفوس الطالبين من الانانية يولج ليل السر في نهار التجلي وبالعكس أو يولج ليل القبض في نهار

في تأويل قوله تعالى ﴿ لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين ﴾ يقول تعالى ذكره لم يصل الى الله لحوم بدنكم ولا دماؤها ولكن يناله اتقاؤكم اياه ان اتقيتموه فيها فأردتم بها وجهه وعملتم فيها بما ندبكم اليه وأمركم به في أمرها وعظمتم بها حرماته * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى عن سفيان عن منصور عن ابراهيم في قول الله لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم قال ما أريد به وجه الله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم قال ان اتقيت الله في هذه البدن وعملت فيها لله وطلبت ما قال الله تعظيما لشعائر الله ولحرمات الله فانه قال ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب قال ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه قال وجعلته طيبا فذلك الذي يتقبل الله فأما اللحوم والدماء فمن أين تنال الله وقوله كذلك سخرها لكم يقول هكذا سخر لكم البدن لتكبروا الله على ما هداكم يقول كي تعظموا الله على ما هداكم يعني على توفيقه اياكم لدينه وللنسك في حجكم كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد لتكبروا الله على ما هداكم قال على ذبحها في تلك الأيام وبشر المحسنين يقول وبشر يا محمد الذين أطاعوا الله فأحسنوا في طاعتهم اياه في الدنيا بالجنة في الآخرة ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ان الله يدافع عن الذين آمنوا ان الله لا يحب كل خوان كفور ﴾ يقول تعالى ذكره ان الله يدفع غائلة المشركين عن الذين آمنوا بالله وبرسوله ان الله لا يحب كل خوان يخون الله فيخالف أمره ونهيه ويعصيه ويطيع الشيطان كفور يقول جحود لنعمه عنده لا يعرف لمنعمها حقه فيشكره عليها وقيل انه عنى بذلك دفع الله كفار قريش عمن كان بين أظهرهم من المؤمنين قبل هجرتهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير ﴾ يقول تعالى ذكره أذن الله للمؤمنين الذين يقاتلون المشركين في سبيله بأن المشركين ظلموهم بقتالهم * واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة أذن بضم الالف يقاتلون بفتح التاء بترك تسمية الفاعل في أذن ويقاتلون جميعا وقرأ ذلك بعض الكوفيين وعامة قراء البصرة أذن بترك تسمية الفاعل ويقاتلون بكسر التاء بمعنى يقاتل المأذون لهم في القتال المشركين وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين وبعض المكيين أذن بفتح الالف بمعنى أذن الله ويقاتلون بكسر التاء بمعنى ان الذين أذن الله لهم بالقتال يقاتلون المشركين وهذه القراآت الثلاث متقاربات المعنى لان الذين قرؤا أذن على وجه ما لم يسم فاعله يرجع معناه في التأويل الى معنى قراءة من قرأه على وجه ما سمى فاعله وان من قرأ يقاتلون ويقاتلون بالكسر أو الفتح فقريب معنى أحدهما من معنى الآخر وذلك أن من قاتل انسانا فالذي قاتله له مقاتل وكل واحد منهما مقاتل فاذ كان ذلك كذلك فبأية هذه القراآت قرأ القارئ فمصيب الصواب غير أن أحب ذلك الي أن أقرأ به أذن بفتح الالف بمعنى أذن الله لقرب ذلك من قوله ان الله لا يحب كل خوان كفور أذن الله في الذين لا يحبهم للذين يقاتلونهم بقتالهم فيرد أذن على قوله ان الله لا يحب وكذلك أحب القراآت الي في يقاتلون كسر التاء بمعنى الذين يقاتلون من قد أخبر الله عنهم أنه لا يحبهم فيكون الكلام متصلا معنى بعضه ببعض وقد اختلف في الذين عنوا بالاذن لهم بهذه الآية في القتال فقال بعضهم عنى به نبي الله وأصحابه ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير يعني محمدا

البسط أوليل الهيبة في نهار الانس أنزل من سماء القلب ماء الحكمة فتصبح أرض البشرية مخضرة بالشريعة وأرض القلوب والارواح والاسرار بالعلوم والكشوف والانوار والله أعلم بالصواب ﴿ ألم تر أن الله سخر لكم ما في الارض والفلك تجري في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الارض الا باذنه ان الله بالناس لرؤف رحيم وهو الذي أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ان الانسان لكفور لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا ينازعنك في الامر وادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم وان جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والارض ان ذلك في كتاب ان ذلك على الله يسير ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم وما للظالمين من نصير واذا تتلى عليهم

وأصحابه اذ أخرجوا من مكة الى المدينة يقول الله فان الله على نصرهم لقدير وقد فعل **حدثنا** ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن الأعمش عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير قال لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة قال رجل أخرجوا نبيهم فنزلت أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا الآية الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه **حدثنا** يحيى بن داود الواسطي قال ثنا اسحق بن يوسف عن سفيان عن الاعمش عن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة قال أبو بكر أخرجوا نبيهم انا لله وانا اليه راجعون ليهلكن قال ابن عباس فأنزل الله أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير قال أبو بكر فعرفت أنه سيكون قتال وهي أول آية نزلت قال ابن داود قال ابن اسحق كانوا يقرؤن أذن ونحن نقرأ أذن **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا اسحق عن سفيان عن الأعمش عن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم ثم ذكر نحوه الا أنه قال فقال أبو بكر قد علمت أنه يكون قتال والى هذا الموضع انتهى حديثه ولم يزد عليه **حدثني** محمد بن خلف العسقلاني قال ثنا محمد بن يوسف قال ثنا قيس بن الربيع عن الأعمش عن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة قال أبو بكر انا لله وانا اليه راجعون أخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ليهلكن جميعا فلما نزلت أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا الى قوله الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق عرف أبو بكر أنه سيكون قتال **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا قال أذن لهم في قتالهم بعد ما عفا عنهم عشر سنين وقرأ الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق وقال هؤلاء المؤمنون **حدث** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق (١) * وقال آخرون بل عنى بهذه الآية قوم بأعيانهم كانوا خرجوا من دار الحرب يريدون الهجرة فمنعوا من ذلك ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا قال أناس مؤمنون خرجوا مهاجرين من مكة الى المدينة فكانوا يمنعون فأذن الله للمؤمنين بقتال الكفار فقاتلوهم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد في قوله أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا قال ناس من المؤمنين خرجوا مهاجرين من مكة الى المدينة وكانوا يمنعون فأدركهم الكفار فأذن للمؤمنين بقتال الكفار فقاتلوهم قال ابن جريج يقول أول قتال أذن الله به للمؤمنين **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة في حرف ابن مسعود أذن للذين يقاتلون في سبيل الله قال قتادة وهي أول آية نزلت في القتال فأذن لهم أن يقاتلوا **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا قال هي أول آية أنزلت في القتال فأذن لهم أن يقاتلوا وقد كان بعضهم يزعم أن الله انما قال أذن للذين يقاتلون بالقتال من أجل أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتل الكفار اذ آذوهم واشتدوا عليهم بمكة قبل الهجرة غيلة سرا فأنزل الله في ذلك ان الله لا يحب كل خوان كفور فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الى المدينة أطلق لهم قتلهم وقتالهم فقال أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وهذا قول ذكر عن الضحاك بن مزاحم من وجه غير ثبت وقوله وان الله على نصرهم لقدير يقول جل ثناؤه وان الله على نصر المؤمنين

آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيأ لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوي عزيز الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم والى الله ترجع الامور يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة

(١) لعله اختصره ان لم يكن سقط منه شيء من الناسخ والأصل هم النبي وأصحابه أو نحو ذلك فتنبه كتبه مصححه

الذين يقاتلون فى سبيل الله لقادر وقد نصرهم فأعزهم ورفعهم وأهلك عدوهم وأذلهم بأيديهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز ﴾ يقول تعالى ذكره أذن للذين يقاتلون الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق فالذين الثانية رد على الذين الاولى وعنى بالمخرجين من ديورهم المؤمنين الذين أخرجهم كفار قريش من مكة وكان اخراجهم اياهم من ديورهم وتعذيبهم بعضهم على الايمان بالله ورسوله وسبهم بعضهم بألسنتهم ووعيدهم اياهم حتى اضطروهم الى الخروج عنهم وكان فعلهم ذلك بهم بغير حق لانهم كانوا على باطل والمؤمنون على الحق فلذلك قال جل ثناؤه الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق وقوله الا أن يقولوا ربنا الله يقول تعالى ذكره لم يخرجوا من ديارهم الا بقولهم ربنا الله وحده لا شريك له فأن فى موضع خفض رد على الباء فى قوله بغير حق وقد يجوز أن تكون فى موضع نصب على وجه الاستثناء وقوله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك فقال بعضهم معنى ذلك ولولا دفع الله المشركين بالمسلمين ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض دفع المشركين بالمسلمين * وقال آخرون معنى ذلك ولولا القتال والجهاد فى سبيل الله ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض قال لولا القتال والجهاد * وقال آخرون بل معنى ذلك ولولا دفع الله بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن بعدهم من التابعين ذكر من قال ذلك حدثنا ابراهيم بن سعيد قال ثنا يعقوب بن ابراهيم عن سيف بن عمرو عن أبى روق عن ثابت بن عوسجة الحضرمى قال ثنى سبعة وعشرون من أصحاب على وعبد الله منهم لاحق ابن الأقمر والعيزار بن جرول وعطية القرظى أن عليا رضى الله عنه قال انما أنزلت هذه الآية فى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لولا دفاع الله بأصحاب محمد عن التابعين لهدمت صوامع وبيع * وقال آخرون بل معنى ذلك لولا أن الله يدفع عن أوجب قبول شهادته فى الحقوق تكون لبعض الناس على بعض عمن لا يجوز قبول شهادته وغيره فأحيا بذلك مال هذا ويوقى بسبب هذا إراقة دم هذا وتركوا المظالم من أجله لتظالم الناس فهدمت صوامع ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض يقول دفع بعضهم بعضا فى الشهادة وفى الحق وفيما يكون من قبل هذا يقول لولاهم لأهلكت هذه الصوامع وما ذكر معها * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب أن يقال ان الله تعالى ذكره أخبر أنه لولا دفاعه الناس بعضهم ببعض لهدم ما ذكر من دفعه تعالى ذكره بعضهم ببعض كفه المشركين بالمسلمين عن ذلك ومنه كفه ببعضهم التظالم كالسلطان الذى كف به رعيته عن التظالم بينهم ومنه كفه لمن أجاز شهادته بينهم ببعضهم عن الذهاب بحق من له قبله حق ونحو ذلك وكل ذلك دفع منه الناس بعضهم عن بعض لولا ذلك لتظالموا فهدم القاهرون صوامع المقهورين وبيعهم وما سمى جل ثناؤه ولم يضع الله تعالى دلالة فى عقل على أنه عنى من ذلك بعضا دون بعض ولا جاء بأن ذلك كذلك خبر يجب التسليم له فذلك على الظاهر والعموم على ما قد بينته قبل لعموم ظاهر ذلك جميع ما ذكرنا وقوله لهدمت صوامع اختلف أهل التأويل فى المعنى بالصوامع فقال بعضهم

واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير ۞ القراآت مالم ينزل من الانزال ابن كثير وأبو عمرو وسهل والآخرون بالتشديد يصطون بالصاد مثل بصطة فى البقرة الذين يدعون بياء الغيبة سهل ويعقوب ۞ الوقوف بأمره ط باذنه ط رحيم ○ أحياكم ز لان ثم الترتيب الاخبار بحييكم ○ ط لكفور ○ الى ربك ط مستقيم ○ تعملون ○ تختلفون ○ والارض ط فى كتاب ط يسير ○ علم ط نصير ○ المنكر ط آياتنا ط ذلكم ط النار ط كفروا ط المصير ○ فاستمعوا له ط اجتمعوا له ط منه ط والمطلوب ○ قدره ط عزيز ○ ومن الناس ط بصير ○ خلفهم ط الامور ○ تفلحون ○ ج للآية مع العطف جهاده ط حرج ط ابراهيم ط الناس ج للعطف مع الفاء بالله ط مولاكم ط النصير ○ ۞ التفسير ان من جملة نعم الله

عنى بها صوامع الرهبان ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن رفيع فى هذه الآية لهدمت صوامع قال صوامع الرهبان **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله لهدمت صوامع قال صوامع الرهبان **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد لهدمت صوامع قال صوامع الرهبان **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله لهدمت صوامع قال صوامع الرهبان **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله لهدمت صوامع وهى (١) صوامع الصغار يبنونها * وقال آخرون بل هى صوامع الصابئين ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة صوامع قال هى للصابئين **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله * واختلفت القراء فى قراءة قوله لهدمت فقرأ ذلك عامة قراء المدينة لهدمت خفيفة وقرأته عامة قراء أهل الكوفة والبصرة لهدمت بالتشديد بمعنى تكرير الهدم فيها مرة بعد مرة والتشديد فى ذلك أعجب القراءتين الى لان ذلك من أفعال أهل الكفر بذلك وأما قوله وبيع فانه يعنى بها بيع النصارى * وقد اختلف أهل التأويل فى ذلك فقال بعضهم مثل الذى قلنا فى ذلك ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن المثنى قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا داود عن رفيع وبيع قال بيع النصارى **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وبيع للنصارى **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول البيع بيع النصارى * وقال آخرون عنى بالبيع فى هذا الموضع كنائس اليهود ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال وبيع قال وكنائس **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **وحدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وبيع قال البيع الكنائس قوله وصلوات اختلف أهل التأويل فى معناه فقال بعضهم عنى بالصلوات الكنائس ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فى قوله وصلوات قال يعنى بالصلوات الكنائس **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وصلوات كنائس اليهود ويسمون الكنيسة صلوتا **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة وصلوات كنائس اليهود **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله * وقال آخرون عنى بالصلوات مساجد الصابئين ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا داود قال سألت أبا العالية عن الصلوات قال هى مساجد الصابئين * قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن رفيع نحوه * وقال آخرون هى مساجد للمسلمين ولأهل الكتاب بالطرق ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وصلوات قال مساجد لأهل الكتاب ولأهل الاسلام بالطرق **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن

تعالى على عباده تسخير الارضيات وتذليلها لهم فلا أصلب من الحديد والحجر ولا أشد نكاية من النار وقد سخرها للانسان وسخر لهم الانعام أيضا ينتفعون بها بالاكل والركوب والحمل عليها والانتفاع بالنظر اليها أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت وسخر لهم الدواب وغيرها وسخر لهم الفلك حال كونها جارية بأمره وهو تهيئة الاسباب المعاونة ودفع الاشياء المضادة لسهولة جريها ولا ريب أن الانتفاع بالارضيات لا يتأتى الا بعد الأمن من وقوع السماء على الارض فمن الله تعالى على المكلفين بأن حفظها كيلا تقع أو كراهة أن تقع على الارض وذلك بمحض الاقتدار عند أهل الظاهر أو بأن جعل طبعها هو الاحاطة بما فى ضمنها اذ لا خفة فيها ولا ثقل ولهذا خصت بالحركة على المركز وفى قوله الا باذنه اشارة الى أن الأفلاك ستنخرق وتنشق فتقع على الارض ويحتمل

(١) لعله وهى الصوامع الصغار أى المعابد الصغار الخ فتأمل

ابن جريج عن مجاهد نحوه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وصلوات قال الصلوات صلوات أهل الاسلام تنقطع اذا دخل العدو عليهم انقطعت العبادة والمساجد تهدم كما صنع بختنصر وقوله ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا اختلف في المساجد التي أريدت بهذا القول فقال بعضهم أريد بذلك مساجد المسلمين ذكر من قال ذلك حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن رفيع قوله ومساجد قال مساجد المسلمين حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور قال ثنا معمر عن قتادة ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا قال المساجد مساجد المسلمين يذكر فيها اسم الله كثيرا حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة نحوه * وقال آخرون عنى بقوله ومساجد الصوامع والبيع والصلوات ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله ومساجد يقول في كل هذا يذكر اسم الله كثيرا ولم يخص المساجد وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول الصلوات لا تهدم ولكن حمله على فعل آخر كأنه قال وتركت صلوات وقال بعضهم انما يعني مواضع الصلوات وقال بعضهم انما هي صلوات وهي كنائس اليهود تدعى بالعبرانية صلوتا * وأولى هذه الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال معنى ذلك لهدمت صوامع الرهبان وبيع النصارى وصلوات اليهود وهي كنائسهم ومساجد المسلمين التي يذكر فيها اسم الله كثيرا وانما قلنا هذا القول أولى بتأويل ذلك لان ذلك هو المعروف في كلام العرب المستفيض فيهم وما خالفه من القول وان كان له وجه فغير مستعمل فيما وجهه اليه من وجهه اليه وقوله ولينصرن الله من ينصره يقول تعالى ذكره وليعينن الله من يقاتل في سبيله لتكون كلمته العليا على عدوه فنصر الله عبده معونته اياه ونصر العبد ربه جهاده في سبيله لتكون كلمته العليا وقوله ان الله لقوي عزيز يقول تعالى ذكره ان الله لقوي على نصر من جاهد في سبيله من أهل ولايته وطاعته عزيز في ملكه يقول منيع في سلطانه لا يقهره قاهر ولا يغلبه غالب ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور﴾ يقول تعالى ذكره أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة والذين ههنا رد على الذين يقاتلون ويعني بقوله ان مكناهم في الارض ان وطنا لهم في البلاد فقهروا المشركين وغلبوهم عليها وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان نصرناهم على أعدائهم وقهروا مشركي مكة أطاعوا الله فأقاموا الصلاة بحدودها وآتوا الزكاة يقول وأعطوا زكاة أموالهم من جعلها الله له وأمروا بالمعروف يقول ودعوا الناس الى توحيد الله والعمل بطاعته وما يعرفه أهل الايمان بالله ونهوا عن المنكر يقول ونهوا عن الشرك بالله والعمل بمعاصيه الذي ينكره أهل الحق والايمان بالله ولله عاقبة الامور يقول ولله آخر أمور الخلق يعني أن اليه مصيرها في الثواب عليها والعقاب في الدار الآخرة * وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني الحرث قال ثنا الحسين الاشيب قال ثنا أبو جعفر عيسى بن ماهان الذي يقال له الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر قال كان أمرهم بالمعروف أنهم دعوا الى الاخلاص لله وحده لا شريك له ونهيهم عن المنكر أنهم نهوا عن عبادة الاوثان وعبادة الشيطان قال فمن دعا الى الله من الناس كلهم فقد أمر بالمعروف ومن نهى عن عبادة الاوثان وعبادة الشيطان فقد نهى عن

أن يقال توقيف الوقوع على الاذن لا يوجب حصول الاذن فالانخراق والانشقاق لا يستفاد من هذه الآية ثم ذكر الانسان مبدأه ومعاده فقال (وهو الذي أحياكم) نظيره قوله في أول البقرة كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم وقد سبق هنالك وفي قوله (ان الانسان لكفور) زجر لهم عن الكفران بطريق التوبيخ وعن ابن عباس أنه الكافر وبعضهم جعله أخص فقال هو أبو جهل وأضرابه والاولى ارادة الجنس ثم عاد الى بيان أن أمر التكاليف مستقر على ما في هذه الشريعة فقال (لكل أمة) الآية قال في الكشاف انما فقد العاطف ههنا بخلاف نظرائها في السورة لان تلك مناسبة لما تقدمها وهذه مباينة لها قلت وذلك لأن من ههنا الى آخر السورة عود ابعد ذكر المعاد الى الوسط الذي هو حالة التكليف والأقرب أن المنسك في هذه الآية هو الشريعة كقوله

تكر ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود
وقوم ابراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وكذب موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان
نكير ﴾ يقول تعالى ذكره مسليا نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم عما يناله من أذى المشركين بالله
وعاضاله على الصبر على ما يلحقه منهم من السب والتكذيب وان يكذبك يا محمد هؤلاء المشركون
فة على ما أتيتهم به من الحق والبرهان وما تعدهم من العذاب على كفرهم بالله فذلك سنة اخوانهم
ن الامم الخالية المكذبة رسل الله المشركة بالله ومنهاجهم من قبلهم فلا يصدنك ذلك فان العذاب
ين من ورائهم ونصرى ايالك وأتباعك عليهم آتيهم من وراء ذلك كما أتى عذابى على أسلافهم
ن الأمم الذين من قبلهم بعد الامهال الى بلوغ الآجال فقد كذبت قبلهم يعنى مشركى قريش
وم نوح وقوم عاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وهم قوم شعيب يقول كذب كل
ؤلاء رسلهم وكذب موسى فقيل وكذب موسى ولم يقل وقوم موسى لان قوم موسى بنو اسرائيل
ان قد استجابت له ولم تكذبه وانما كذبه فرعون وقومه من القبط وقد قيل انما قيل ذلك كذلك
نه ولد فيهم كما ولد فى أهل مكة وقوله فأمليت للكافرين يقول فأمهلت لأهل الكفر بالله من
هذه الامم فلم أعاجلهم بالنقمة والعذاب ثم أخذتهم يقول ثم أحللت بهم العقاب بعد الاملاء
كيف كان نكير يقول فانظر يا محمد كيف كان تغييرى ما كان بهم من نعمة وتنكرى لهم عما
كنت عليه من الاحسان اليهم ألم أبدلهم بالكثرة قلة وبالحياة موتا وهلاكا وبالعمارة خرابا يقول
كذلك فعلى بمكذبيك من قريش وان أمليت لهم الى آجالهم فانى منجز لك وعدى فيهم كما أنجزت
غيرك من رسلى وعدى فى أممهم فأهلكناهم وأنجيتهم من بين أظهرهم ﴿ القول فى تأويل قوله
عالى ﴿ فكأين من قرية أهلكناها وهى ظالمة فهى خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد ﴾
قول تعالى ذكره وكم يا محمد من قرية أهلكت أهلها وهم ظالمون يقول وهم يعبدون غير من
ينبغى أن يعبد ويعصون من لا ينبغى لهم أن يعصوه وقوله فهى خاوية على عروشها يقول فباد
طلها وخلت وخوت من سكانها فخربت وتداعت وتساقطت على عروشها يعنى على بنائها
سقوفها كما حدثنا أبو هشام الرفاعى قال ثنا أبو خالد عن جويبر عن الضحاك فهى خاوية
لى عروشها قال خواؤها خرابها وعروشها سقوفها حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور
ن معمر عن قتادة خاوية قال خربة ليس فيها أحد حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال
خبرنا معمر عن قتادة مثله وقوله وبئر معطلة يقول تعالى فكأين من قرية أهلكناها ومن بئر
طلناها بافناء أهلها وهلاك واردها فاندفنت وتعطلت فلا واردة لها ولا شاربة منها ومن قصر
شيد رفيع بالصخور والجص قد خلا من سكانه بما أذقنا أهله من عذابنا بسوء فعالهم فبادوا وبقى
صورهم المشيدة خالية منهم والبئر والقصر مخفوضان بالعطف على القرية وكان بعض نحويى
لكوفة يقول هما معطوفان على العروش بالعطف عليها خفضا وان لم يحسن فيهما على أن العروش
على البيوت والبئر فى الارض وكذلك القصر لان القرية لم تخو على القصر ولكنه أتبع بعضه
بعضا كما قال وحور عين كأمثال اللؤلؤ فعنى الكلام على ما قال هذا الذى ذكرنا قوله فى ذلك
فكأين من قرية أهلكناها وهى ظالمة فهى خاوية على عروشها ولها بئر معطلة وقصر مشيد ولكن
لم يكن مع البئر رافع ولا عامل فيها أتبعها فى الاعراب العروش والمعنى ما وصفت * وبنحو
الذى قلنا فى معنى قوله وبئر معطلة قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال
ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس وبئر معطلة

لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وهو قول ابن عباس فى رواية عطاء وقيل أراد مكانا معينا وزمانا لاداء الطاعات وقال مجاهد هو الذبائح ولا وجه للتخصيص ههنا والأمة أعم من أن تكون قد بقيت آثارهم أو لم تبق أما الضمير فى قوله (فلا ينازعنك) فلابد من رجوعه الى الامم الباقية آثارهم فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الزجاج انه نهى له عن منازعتهم كما تقول لا يضاربنك فلان أى لا تضاربه وذلك أن المفاعلة تقتضى العكس ضمنا وقال فى الكشاف هو نهى لرسول الله صلى الله عليه وسلم أى لا تلتفت الى قولهم ولا تمكنهم من أن ينازعوك أو هو زجر لهم عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالمنازعة فى أمر الدين وكانوا يقولون فى الميتة مالكم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله الله ومنه يعلم استقرار أمر الديانة على هذه الشريعة وأن على كل أمة من الامم

قال التى قد تركت وقال غيره لا أهل لها **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة و بئر معطلة قال عطلها أهلها تركوها **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله و بئر معطلة قال لا أهل لها * واختلف أهل التأويل فى معنى قوله وقصر مشيد فقال بعضهم معناه وقصر مجصص ذكر من قال ذلك **حدثنى** مطر بن محمد الضبى قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ثنا سفيان عن هلال بن خباب عن عكرمة فى قوله وقصر مشيد قال مجصص **حدثنا** أبو كريب قال ثنا يحيى بن يمان عن سفيان عن هلال بن خباب عن عكرمة مثله **حدثنى** محمد بن اسمعيل الاحمسى قال ثنى غالب بن فائد قال ثنا سفيان عن هلال بن خباب عن عكرمة مثله **حدثنى** الحسين بن محمد العنقزى قال ثنى أبى عن أسباط عن السدى عن عكرمة فى قوله وقصر مشيد قال مجصص **حدثنى** مطر بن محمد قال ثنا كثير بن هشام قال ثنا جعفر بن برقان قال كنت أمشى مع عكرمة فرأى حائط آجر مصهرج فوضع يده عليه وقال هذا المشيد الذى قال الله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عباد بن العوام عن هلال بن خباب عن عكرمة وقصر مشيد قال المجصص قال عكرمة والجص بالمدينة يسمى الشيد **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وقصر مشيد قال بالقصة أو الفضة **حدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وقصر مشيد قال بالقصة يعنى بالجص **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جريج عن عطاء فى قوله وقصر مشيد قال مجصص **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن الثورى عن هلال بن خباب عن سعيد بن جبير فى قوله وقصر مشيد قال مجصص هكذا هو فى كتابى عن سعيد بن جبير * وقال آخرون بل معنى ذلك وقصر رفيع طويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وقصر مشيد قال كان أهله شيدوه وحصنوه فهلكوا وتركوه **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وقصر مشيد يقول طويل * وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال عنى بالمشيد المجصص وذلك أن الشيد فى كلام العرب هو الجص بعينه ومنه قول الراجز (٣) * كحبة الماء بين الطى والشيد *

فالمشيد انما هو مفعول من الشيد ومنه قول امرئ القيس

وتيماء لم يترك بها جذع نخلة * ولا أجما إلا مشيدا بجندل

يعنى بذلك الا البناء بالشيد والجندل وقد يجوز أن يكون معنيا بالمشيد المرفوع بناؤه بالشيد فيكون الذين قالوا عنى بالمشيد الطويل نحوا بذلك الى هذا التأويل ومنه قول عدى بن زيد

شاده مرمرا وجلله كلـ * ـسا فللطير فى ذراه وكور

وقد تأوله بعض أهل العلم بلغات العرب بمعنى المزين بالشيد من شدته أشيده اذا زينته به وذلك شيه بمعنى من قال مجصص ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب

التى بقيت منها بقية أن يتبعوه ويتركوا مخالفته فلذلك قال (وادع الى ربك) أى لا تخص بالدعوة أمة دون أمة فان كلهم أمتك (انك لعلى هدى مستقيم) أى على دين وسط ودليل ظاهر وان أبوا الا الجدال فكل أمرهم الى الله قائلا (الله أعلم بما تعملون) وفيه وعيد وانذار مخلوط برفق ولكن (الله يحكم بينكم) أى يفصل بين المؤمنين والكافرين منكم ويحتمل أن يكون من تتمة المقول وأن يكون ابتداء خطاب من الله سبحانه للامم (ألم تعلم) خطاب لكل عالم أو للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد تقوية قلبه والا فالرسالة لا تكون الا بعد العلم بكونه تعالى عالما بكل المعلومات والا اشتبه عليه الصادق بالكاذب (ان ذلك) الذى ذكر وهو كل ما فى السماء والارض (فى كتاب) قال أبو مسلم أراد به الحفظ والضبط كالشئ المكتوب والجمهور على أنه حقيقة وقد كتبه فى اللوح قبل حدوثه

يعقلون

يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ﴾ يقول تعالى ذكره أفلم يسيروا هؤلاء المكذبون بآيات الله والجاحدون قدرته فى البلاد فينظروا الى مصارع ضرباتهم من مكذبى رسل الله الذين خلوا من قبلهم كعاد وثمود وقوم لوط وشعيب وأوطانهم ومساكنهم فيتفكروا فيها ويعتبروا بها ويعلموا بتدبرهم أمرها وأمر أهلها سنة الله فيمن كفر وعبد غيره وكذب رسله فينيبوا من عتوهم وكفرهم ويكون لهم اذا تدبر واذلك واعتبروا به وأنابوا الى الحق قلوب يعقلون بها حجج الله على خلقه وقدرته على ما بينا أو آذان يسمعون بها يقول أو آذان تصغى لسماع الحق فتعى ذلك وتميز بينه وبين الباطل وقوله فانها لا تعمى الابصار يقول فانها لا تعمى أبصارهم أن يبصروا بها الأشخاص ويروها بل يبصرون ذلك بأبصارهم ولكن تعمى قلوبهم التى فى صدورهم عن ابصار الحق ومعرفته والهاء فى قوله فانها لا تعمى هاء عماد كقول القائل انه عبد الله قائم وقد ذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله فانه لا تعمى الابصار وقيل ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور والقلوب لا تكون الا فى الصدور توكيد للكلام كما قيل يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون ﴾ يقول تعالى ذكره ويستعجلونك يا محمد مشركو قومك بما تعدهم من عذاب الله على شركهم به وتكذيبهم اياك فيما أتيتهم به من عند الله فى الدنيا ولن يخلف الله وعده الذى وعدك فيهم من احلال عذابه ونقمته بهم فى عاجل الدنيا ففعل ذلك ووفى لهم بما وعدهم فقتلهم يوم بدر * واختلف أهل التأويل فى اليوم الذى قال جل ثناؤه وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون أى يوم هو فقال بعضهم هو من الأيام التى خلق الله فيها السموات والارض ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون قال من الأيام التى خلق الله فيها السموات والارض **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فى قوله وان يوما عند ربك الآية قال هى مثل قوله فى الم تنزيل سواء هو هو الآية * وقال آخرون بل هو من أيام الآخرة ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال مقدار الحساب يوم القيامة ألف سنة **حدثنى** يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا سعيد الجريرى عن أبى نضرة عن سمير بن نهار قال قال أبو هريرة يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الاغنياء بمقدار نصف يوم قلت وما نصف يوم قال أوما تقرأ القرآن قلت بلى قال وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون **حدثنا** ابن بشار قال ثنى عبد الرحمن قال ثنا أبو عوانة عن أبى بشر عن مجاهد وان يوما عند ربك كألف سنة قال من أيام الآخرة **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن سماك عن عكرمة أنه قال فى هذه الآية وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون قال هذه أيام الآخرة وفى قوله ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون قال يوم القيامة وقرأ انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا وقد اختلف فى وجه صرف الكلام من الخبر عن استعجال الذين استعجلوا العذاب الى الخبر عن طول اليوم عند الله فقال بعضهم ان القوم استعجلوا العذاب فى الدنيا فأنزل الله ولن يخلف الله وعده فى أن ينزل ما وعدهم من العذاب فى الدنيا وان يوما عند ربك من عذابهم فى الدنيا والآخرة كألف سنة مما تعدون فى الدنيا * وقال آخرون قيل ذلك كذلك اعلاما من الله مستعجليه العذاب أنه لا يعجل ولكنه يمهل الى أجل أجله وأن البطىء عندهم قريب عنده فقال لهم مقدار اليوم عندى ألف سنة مما تعدونه

ولعل فى تلك الكتابة لطفا للملائكة لان مطابقة تلك الاشياء المكتوبة لما سيحدث الى الأبد من أدل دليل على كونه عالم الذات ولذلك قال (ان ذلك الكتب (على الله يسير) وهذا تصوير لضده وهو صعوبة مثل ذلك على غيره والا فلا مدخل للعسر والصعوبة فى كمال قدرته وحين بين كمال ألوهيته قطع شأن أهل الشرك بقوله (ويعبدون) الآية والمراد أنهم لم يتمسكوا فى صحة عبادته بدليل سمعى ولا علم ضرورى وقوله (وما للظالمين من نصير) الظلم الشرك والنصرة اما بالشفاعة أو بالحجة ولا حجة الا للحق وهو كقوله فى آخر آل عمران وما للظالمين من أنصار وقدم والمنكر دلائل الغيظ والحنق وقال جار الله هو الفظيع من التجهم والبسور أو هو الانكار كالمكرم بمعنى الاكرام وقال الكلبى أراد أنهم كرهوا القرآن مع

أنتم أيها القوم من أيامكم وهو عندكم بطيء وهو عندى قريب * وقال آخرون معنى ذلك وان يوما من الثقل ومايخاف كألف سنة والقول الثانى عندى أشبه بالحق فى ذلك وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر عن استعجال المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعذاب ثم أخبر عن مبلغ قدر اليوم عنده ثم أتبع ذلك قوله وكأين من قرية أمليت لها وهى ظالمة فأخبر عن املائه أهل القرية الظالمة وتركه معاجلتهم بالعذاب فبين بذلك أنه عنى بقوله وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون نفى العجلة عن نفسه ووصفها بالأناة والانتظار واذ كان ذلك كذلك كان تأويل الكلام وان يوما من الايام التى عند الله يوم القيامة يوم واحد كألف سنة من عددكم وليس ذلك عنده ببعيد وهو عندكم بعيد فلذلك لا يعجل بعقوبة من أراد عقوبته حتى يبلغ غاية مدته ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وكأين من قرية أمليت لها وهى ظالمة ثم أخذتها والى المصير﴾ يقول تعالى ذكره وكأين من قرية أمليت لها يقول أمهلتهم وأخرت عذابهم وهم بالله مشركون ولأمره مخالفون وذلك كان ظلمهم الذى وصفهم الله به جل ثناؤه فلم أعجل بعذابهم ثم أخذتها يقول ثم أخذتها بالعذاب فعذبتها فى الدنيا باحلال عقوبتنا بهم والى المصير يقول والى مصيرهم أيضا بعد هلاكهم فيلقون من العذاب حينئذ مالا انقطاع له يقول تعالى ذكره فكذلك حال مستعجليك بالعذاب من مشركى قومك وان أمليت لهم الى آجالهم التى أجلتها لهم فانى آخذهم بالعذاب فقاتلهم بالسيف ثم الى مصيرهم بعد ذلك فوجعهم اذا عقوبة على ماقدموا من آثامهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل يا أيها الناس انما أنا لكم نذير مبين فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا فى آياتنا معاجزين أولئك أصحاب الجحيم﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لمشركى قومك الذين يجادلونك فى الله بغير علم اتباعا منهم لكل شيطان مريد يا أيها الناس انما أنا لكم نذير مبين أنذركم عقاب الله أن ينزل بكم فى الدنيا وعذابه فى الآخرة أن تصلوه مبين يقول أبين لكم انذارى ذلك وأظهره لتنيبوا من شرككم وتحذروا ما أنذركم من ذلك لا أملك لكم غير ذلك فأما تعجيل العقاب وتأخيره الذى تستعجلونني به فالى الله ليس ذلك الى ولا أقدر عليه ثم وصف نذارته وبشارته ولم يجر للبشارة ذكر ولما ذكرت النذارة على عمل علم أن البشارة على خلافه فقال والذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات منكم أيها الناس ومن غيركم لهم مغفرة يقول لهم من الله ستر ذنوبهم التى سلفت منهم فى الدنيا عليهم فى الآخرة ورزق كريم يقول ورزق حسن فى الجنة كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قوله فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم قال الجنة وقوله والذين سعوا فى آياتنا معاجزين يقول والذين عملوا فى حججنا فصدوا عن اتباع رسولنا والاقرار بكتابنا الذى أنزلناه وقال فى آياتنا فأدخلت فيه فى كما يقال سعى فلان فى أمر فلان * واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله معاجزين فقال بعضهم معناه مشاقين ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد ابن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا حجاج عن عثمان بن عطاء عن أبيه عن ابن عباس أنه قرأها معاجزين فى كل القرآن يعنى بألف وقال مشاقين * وقال آخرون بل معنى ذلك أنهم ظنوا أنهم يعجزون الله فلا يقدر عليهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى آياتنا معاجزين قال كذبوا بآيات الله فظنوا أنهم يعجزون الله ولن يعجزوه حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله وهذان الوجهان من التأويل فى ذلك على قراءة من قرأه فى آياتنا معاجزين بالالف وهى قراءة عامة قراء المدينة والكوفة وأما بعض قراء أهل مكة والبصرة فانه قرأه معجزين بتشديد الجيم بغير ألف بمعنى أنهم عجزوا

وضوح دلائله وقال ابن عباس هو التحير والترفع وقال مقاتل أنكروا أن يكون من الله تعالى السطو الوثب والبطش أى يهمون بالبطش والوثوب لعظم انكار ما تلى عليهم وقوله (من ذلكم) اشارة الى غيظهم على التالين أو الى همهم ثم انه كأن سائلا قائلا ماذلك الشر فقيل (النار) أى هو النار قلت وذلك أن حرارة الغيظ والسطو تشبه حرارة النار ولكن هذه أقوى ولا سيما نار جهنم ثم استأنف للنار حكما فقال (وعدها) الآية ويحتمل أن تكون النار مبتدأ ووعدها خبرا ثم ضرب للأصنام مثلا فقال (يا أيها الناس ضرب مثل) انما قال بلفظ الماضى لانه معلوم من قبل لكل ذى عقل والمثل بمعنى المثل استعاروه لجملة من الكلام مستغربة مستفصحة متلقاة بالرضا والقبول

الناس ويثبطوهم عن اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم والايمان بالقرآن ذكر من قال ذلك
كذلك من قراءته حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني
الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله معجزين
قال مبطئين يبطؤن الناس عن اتباع النبي صلى الله عليه وسلم حدثنا القاسم قال ثنا
الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله والصواب من القول في ذلك أن يقال
انهما قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء متقاربتا المعنى وذلك أن من
عجز عن آيات الله فقد عاجز الله ومن معاجزة الله التعجيز عن آيات الله والعمل بمعاصيه وخلاف
أمره وكان من صفة القوم الذين أنزل الله هذه الآيات فيهم أنهم كانوا يبطؤن الناس عن الايمان
بالله واتباع رسوله ويغالبون رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبون أنهم يعجزونه ويغلبونه وقد
ضمن الله له نصره عليهم فكان ذلك معاجزتهم الله فاذ كان ذلك كذلك فبأي القراءتين قرأ القارئ
فمصيب الصواب في ذلك وأما المعاجزة فانها المفاعلة من العجز ومعناه مغالبة اثنين أحدهما صاحبه
أيهما يعجزه فيغلبه الآخر ويقهره وأما التعجيز فانه التضعيف وهو التفعيل من العجز وقوله أولئك
أصحاب الجحيم يقول هؤلاء الذين هذه صفتهم هم سكان جهنم يوم القيامة وأهلها الذين هم أهلها
القول في تأويل قوله تعالى ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في
أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم﴾ قيل ان السبب الذي من أجله
أنزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الشيطان كان ألقى على لسانه في بعض ما يتلوه
مما أنزل الله عليه من القرآن ما لم ينزله الله عليه فاشتد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم واغتم به
فسلاه الله مما به من ذلك بهذه الآيات ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال
ثنا حجاج عن أبي معشر عن محمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس قالا جلس رسول الله صلى الله
عليه وسلم في نادي من أندية قريش كثيرا أهله فتمنى يومئذ أن لا يأتيه من الله شيء فينفروا عنه فأنزل الله
عليه والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا بلغ
أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ألقى عليه الشيطان كلمتين تلك الغرانقة العلى وان
شفاعتهن لترجى فتكلم بهما ثم مضى فقرأ السورة كلها فسجد في آخر السورة وسجد القوم جميعا
معه ورفع الوليد بن المغيرة ترابا الى جبهته فسجد عليه وكان شيخا كبيرا لا يقدر على السجود فرضوا
بما تكلم به وقالوا قد عرفنا أن الله يحيي ويميت وهو الذي يخلق ويرزق ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا
عنده اذ جعلت لها نصيبا فنحن معك قالا فلما أمسى أتاه جبرائيل عليهما السلام فعرض عليه السورة
فلما بلغ الكلمتين اللتين ألقى الشيطان عليه قال ما جئتك بهاتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
افتريت على الله وقلت على الله ما لم يقل فأوحى الله اليه وان كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا اليك
لتفتري علينا غيره الى قوله ثم لا تجد لك علينا نصيرا فما زال مغموما مهموما حتى نزلت عليه وما أرسلنا
من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم
الله آياته والله عليم حكيم قال فسمع من كان من المهاجرين بأرض الحبشة أن أهل مكة قد أسلموا
كلهم فرجعوا الى عشائرهم وقالوا هم أحب الينا فوجدوا القوم قد ارتكسوا حين نسخ الله ما ألقى
الشيطان حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن يزيد بن زياد المدني عن محمد
ابن كعب القرظي قال لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم تولي قومه عنه وشق عليه ما يرى من
مباعدتهم ما جاءهم به من عند الله تمنى في نفسه أن يأتيه من الله ما يقارب به بينه وبين قومه وكان
يسره مع حبه وحرصه عليهم أن يلين له بعض ما غلظ عليه من أمرهم حين حدث بذلك نفسه وتمنى

أهل التسيير والارسال وذلك أنهم
جعلوا مضربها مثلا لمورديها ثم
استعاروا هذا المستعار للقصة أو
الحالة أو الصفة المستغربة لتماثلها في
الغرابة وهذا هو الذي قصد في الآية
(فاستمعوا له) أي تدبروه وحق له ذلك
فان السماع المجرد لا نفع له قال جار الله
محل (ولو اجتمعوا له) نصب على الحال
كأنه قال مستحيل أن يخلقوا
الذباب مشروطا عليهم اجتماعهم
جميعا فكيف لو انفردوا وأقول
الظاهر أن لو هذه للمبالغة وجوابه
محذوف للدلالة ما تقدم عليه تقديره
ولو اجتمعوا لخلق الذباب لن يخلقوه
أيضا وليس من شرط كل جملة أن
يكون لها محل ثم زاد لعجزهم وضعفهم
تأكيدا بقوله (وان يسلبهم الذباب)
الآية بمعنى اترك أمر الخلق والايجاد
وتكلم فيما هو أسهل من ذلك ان
هذا الحيوان الضعيف الذي لا قدرة

وأحبه فأنزل الله والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى فلما انتهى الى قول الله أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ألقى الشيطان على لسانه لما كان يحدث به نفسه ويتمنى أن يأتى به قومه تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن ترتضى فلما سمعت ذلك قريش فرحوا وسرهم وأعجبهم ماذكر به آلهتهم فأصاخوا له والمؤمنون مصدقون نبيهم فيما جاءهم به عن ربهم ولا يتهمونه على خطا ولا وهم ولا زلل فلما انتهى الى السجدة منها وختم السورة سجد فيها فسجد المسلمون بسجود نبيهم تصديقا لما جاء به واتباعا لامره وسجد من فى المسجد من المشركين من قريش وغيرهم لما سمعوا من ذكر آلهتهم فلم يبق فى المسجد مؤمن ولا كافر الا سجد الا الوليد بن المغيرة فانه كان شيخا كبيرا فلم يستطع فأخذ بيده حفنة من البطحاء فسجد عليها ثم تفرق الناس من المسجد وخرجت قريش وقد سرهم ما سمعوا من ذكر آلهتهم يقولون قد ذكر محمد آلهتنا بأحسن الذكر وقد زعم فيما يتلو أنها الغرانيق العلى وأن شفاعتهن ترتضى وبلغت السجدة من بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل أسلمت قريش فمضت منهم رجال وتخلف آخرون وأتى جبرائيل النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ماذا صنعت لقد تلوت على الناس ما لم آتك به عن الله وقلت ما لم يقل لك فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك وخاف من الله خوفا كبيرا فأنزل الله تبارك وتعالى عليه وكان به رحيما يعزيه ويخفض عليه الامر ويخبره أنه لم يكن قبله رسول ولا نبى تمنى كما تمنى ولا أحب كما أحب الا والشيطان قد ألقى فى أمنيته كما ألقى على لسانه صلى الله عليه وسلم فنسخ الله ما ألقى الشيطان وأحكم آياته أى فأنت كبعض الانبياء والرسل فأنزل الله وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته الآية فأذهب الله عن نبيه الحزن وأمنه من الذى كان يخاف ونسخ ما ألقى الشيطان على لسانه من ذكر آلهتهم أنها الغرانيق العلى وان شفاعتهن ترتضى يقول الله حين ذكر اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى الى قوله وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيأ إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى أى فكيف تنفع شفاعة آلهتكم عنده فلما جاءه من الله ما نسخ ما كان الشيطان ألقى على لسان نبيه قالت قريش ندم محمد على ما كان من منزلة آلهتكم عند الله فغير ذلك وجاء بغيره وكان ذلك الحرف الذى ألقى الشيطان على لسان رسوله قد وقعا فى فم كل مشرك فازدادوا شرا الى ما كانوا عليه

حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر قال سمعت داود عن أبى العالية قال قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم انما جلساؤك عبد بنى فلان ومولى بنى فلان فلو ذكرت آلهتنا بشئ جالسناك فانه يأتيك أشراف العرب فاذا رأوا جلساءك أشراف قومك كان أرغب لهم فيك قال فألقى الشيطان فى أمنيته فنزلت هذه الآية أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى قال فأجرى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق العلى وشفاعتهن ترجى مثلهن لا ينسى قال فسجد النبى صلى الله عليه وسلم حين قرأها وسجد معه المسلمون والمشركون فلما علم الذى أجرى على لسانه كبر ذلك عليه فأنزل الله وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته الى قوله والله عليم حكيم

حدثنا ابن المثنى قال ثنا أبو الوليد قال ثنا حماد بن سلمة عن داود بن أبى هند عن أبى العالية قال قالت قريش يا محمد انما يجالسك الفقراء والمساكين وضعفاء الناس فلو ذكرت آلهتنا بخير لجالسناك فان الناس يأتونك من الآفاق فقر أرسول الله صلى الله عليه وسلم سورة النجم فلما انتهى على هذه الآية أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى فألقى الشيطان على لسانه وهى الغرانقة العلى وشفاعتهن ترتجى فلما فرغ منها سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون والمشركون الا أبا أحيحة سعيد بن العاص أخذ كفا من تراب وسجد عليه وقال قد آن

لهم على خلقه لو سلب منهم شيأ لم يقدروا أيضا على استخلاص ذلك الشئ منه عن ابن عباس أنهم كانوا يطلون الأصنام بالزعفران ورؤسها بالعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فيأكله وقيل سمى الذباب ذبابا لأنه كلما ذب آب ثم عجب من ضعف الاصنام والذباب بقوله (ضعف الطالب والمطلوب) فالصنم كالطالب من حيث انه يطلب خلق الذباب أو يطلب استنقاذ ما سلبه منه وقيل الطالب عابد الصنم والمطلوب هو الصنم أو عبادته ويجوز أن يكون الطالب هو السالب والمطلوب المسلوب منه ثم بين أن المشركين الذين عبدوا من دون الله آلهة بهذه المثابة (ما قدروا الله حق قدره) أى ما عرفوه حق معرفته وقدر مثله فى الانعام (ان الله لقوى عزيز)

لابن أبي كبشة أن يذكر آلهتنا بخير حتى بلغ الذين بالحبشة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسلمين أن قريشا قد أسلمت فاشتد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ألقى الشيطان على لسانه فأنزل الله وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الى آخر الآية **حدثنا** ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال لما نزلت هذه الآية أفرأيتم اللات والعزى قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى فسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال المشركون انه لم يذكر آلهتكم قبل اليوم بخير فسجد المشركون معه فأنزل الله وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته الى قوله عذاب يوم عقيم **حدثنا** ابن المثنى قال ثنى عبد الصمد قال ثنا شعبة قال ثنا أبو بشر عن سعيد بن جبير قال لما نزلت أفرأيتم اللات والعزى ثم ذكر نحوه **حدثني** محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته الى قوله والله عليم حكيم وذلك أن نبي الله صلى الله عليه وسلم بينما هو يصلي اذ نزلت عليه قصة آلهة العرب فجعل يتلوها فسمعه المشركون فقالوا انا نسمعه يذكر آلهتنا بخير فدنوا منه فبينما هو يتلوها وهو يقول أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ألقى الشيطان ان تلك الغرانيق العلى منها الشفاعة ترتجى فجعل يتلوها فنزل جبرائيل عليه السلام فنسخها ثم قال له وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته الى قوله والله عليم حكيم **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الآية أن نبي الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة أنزل الله عليه في آلهة العرب فجعل يتلو اللات والعزى ويكثر ترديدها فسمع أهل مكة نبي الله يذكر آلهتهم ففرحوا بذلك ودنوا يستمعون فألقى الشيطان في تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم تلك الغرانيق العلى منها الشفاعة ترتجى فقرأها النبي صلى الله عليه وسلم كذلك فأنزل الله عليه وما أرسلنا من قبلك من رسول الى والله عليم حكيم **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني يونس عن ابن شهاب أنه سئل عن قوله وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الآية قال ابن شهاب ثنى أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحرث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة قرأ عليهم والنجم اذا هوى فلما بلغ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى قال ان شفاعتهن ترتجى وسها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقيه المشركون الذين في قلوبهم مرض فسلموا عليه وفرحوا بذلك فقال لهم انما ذلك من الشيطان فأنزل الله وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي حتى بلغ فينسخ الله ما يلقي الشيطان فتأويل الكلام ولم يرسل يا محمد من قبلك من رسول الى أمة من الأمم ولا نبي محدث ليس بمرسل الا اذا تمنى * واختلف أهل التأويل في معنى قوله تمنى في هذا الموضع وقد ذكرت قول جماعة ممن قال ذلك التمني من النبي صلى الله عليه وسلم ما حدثته نفسه من محبته مقاربة قومه في ذكر آلهتهم ببعض ما يحبون ومن قال ذلك محبة منه في بعض الاحوال أن لا تذكر بسوء * وقال آخرون بل معنى ذلك اذا قرأ وتلا أو حدث ذكر من قال ذلك **حدثني** علي قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن علي عن ابن عباس قوله اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته يقول اذا حدث ألقى الشيطان في حديثه **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله اذا تمنى قال اذا قال **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج

قادر غالب فكيف يسوى بينه وبين العاجز المغلوب في العبادة وهي نهاية التعظيم وذلك أنهم لو اعتقدوا كون تلك الاصنام طلسمات موضوعة على الكواكب فاذا لم تنفع نفسها في المقدار المذكور فلأن لا تنفع غيرها أولى وان اعتقدوا أنها تماثيل الملائكة أو الانبياء فلا يليق بها غاية الخضوع التي يستحقها خالق الكل وحين رد على أهل الشرك معتقدهم في الالهيات أراد أن يرد عليهم عقيدتهم في النبوات وهي أن الرسول لا يكون بشرا فقال (الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس) فالملك رسول الى النبي والنبي رسول الى سائر البشر قاله مقاتل * ههنا سؤالان الاول أن من للتبعيض فتفيد الآية أن بعض الملائكة رسل فيكون مناقضا لقوله جاعل الملائكة رسلا والجواب أن الموجبة

عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله الا اذا تمنى يعنى بالتمنى التلاوة والقراءة وهذا القول أشبه بتأويل الكلام بدلالة قوله فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته على ذلك لأن الآيات التى أخبر الله جل ثناؤه أنه يحكمها لاشك أنها آيات تنزيله فمعلوم بذلك أن الذى ألقى فيه الشيطان هو ما أخبر الله تعالى ذكره أنه نسخ ذلك منه وأبطله ثم أحكمه بنسخه ذلك منه فتأويل الكلام اذا وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تلا كتاب الله وقرأ أو حدث وتكلم ألقى الشيطان فى كتاب الله الذى تلاه وقرأه أو فى حديثه الذى حدث وتكلم فينسخ الله ما يلقى الشيطان يقول تعالى فيذهب الله ما يلقى الشيطان من ذلك على لسان نبيه ويبطله كما حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فينسخ الله ما يلقى الشيطان فيبطل الله ما ألقى الشيطان حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فينسخ الله ما يلقى الشيطان نسخ جبريل بأمر الله ما ألقى الشيطان على لسان النبى صلى الله عليه وسلم وأحكم الله آياته وقوله ثم يحكم الله آياته يقول ثم يخلص الله آيات كتابه من الباطل الذى ألقى الشيطان على لسان نبيه والله عليم بما يحدث فى خلقه من حدث لا يخفى عليه منه شئ حكيم فى تدبيره اياهم وصرفه لهم فيما شاء وأحب ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفى شقاق بعيد ﴾ يقول تعالى ذكره فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته كى يجعل ما يلقى الشيطان فى أمنيته نبيه من الباطل كقول النبى صلى الله عليه وسلم تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى فتنة يقول اختبارا يختبر به الذين فى قلوبهم مرض من النفاق وذلك الشك فى صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وحقيقة ما يخبرهم به * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يتمنى أن لا يعيب الله آلهة المشركين فألقى الشيطان فى أمنيته فقال ان الآلهة التى تدعى ان شفاعتها لترتجى وانها للغرانيق العلى فنسخ الله ذلك وأحكم الله آياته أفرأيتم اللات والعزى حتى بلغ من سلطان قال قتادة لما ألقى الشيطان ما ألقى قال المشركون قد ذكر الله آلهتهم بخير ففرحوا بذلك فذكر قوله ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة بنحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فى قوله ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض (١) يقول وللذين قست قلوبهم عن الايمان بالله فلا تلين ولا ترعوى وهم المشركون بالله * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج والقاسية قلوبهم قال المشركون وقوله وان الظالمين لفى شقاق بعيد يقول تعالى ذكره وان مشركى قومك يا محمد لفى خلاف لله فى أمره بعيد من الحق ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وان الله لهادى الذين آمنوا الى صراط مستقيم ﴾ يقول تعالى ذكره وكى يعلم أهل العلم بالله أن الذى أنزله الله من آياته التى أحكمها لرسوله ونسخ ما ألقى الشيطان فيه أنه الحق من عند ربك يا محمد فيؤمنوا به يقول فيصدقوا به فتخبت له قلوبهم يقول فتخضع للقرآن قلوبهم وتذعن بالتصديق به والاقرار بما فيه وان الله لهادى الذين آمنوا الى صراط مستقيم وان الله لمرشد الذين آمنوا بالله ورسوله الى الحق القاصد والحق الواضح بنسخ ما ألقى

الشيطان

الجزئية لا تناقض الموجبة الكلية أو أراد بهذا البعض من هو رسول الى بنى آدم وهم أكابر الملائكة ولا يبعد أن يكون بعض الملائكة رسلا الى بعض آخرين منهم وثانيهما أنه قال فى موضع آخر لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء وقد نص فى هذه الآية أن بعض الناس مصطفى فيلزم من مجموع الآيتين أنه قد اصطفى ولدا والجواب أن تلك الآية دلت على أن كل ولد مصطفى ولكن لا يلزم من هذه الآية أن كل مصطفى ولد فأين يحصل ما ادعيت والتحقيق ان الموجبتين فى الشكل الثانى لا ينتجان هذا ويحتمل أن تكون هذه الآية مسوقة للرد على عبدة الملائكة كما كانت الآية المتقدمة مسوقة للرد على عبدة الاصنام اذ يعلم من هذا أن علو درجة الملائكة ليس لكونهم

(١) يظهر أن هنا سقطا والاصل للذين فى قلوبهم مرض وهم المنافقون وقوله والقاسية قلوبهم يقول الخ تأمل كتبه مصححه

الشيطان فى أمنية رسوله فلا يضرهم كيد الشيطان والقاؤه الباطل على لسان نبيهم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك قال يعنى القرآن ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولا يزال الذين كفروا فى مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم﴾ يقول تعالى ذكره ولا يزال الذين كفروا بالله فى شك ثم اختلف أهل التأويل فى الهاء التى فى قوله منه من ذكر ما هى فقال بعضهم هى من ذكر قول النبى صلى الله عليه وسلم تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد قال ثنا شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير ولا يزال الذين كفروا فى مرية منه من قوله تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن ترتجى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولا يزال الذين كفروا فى مرية منه قال مما جاء به ابليس لا يخرج من قلوبهم زادهم ضلالة * وقال آخرون بل هى من ذكر سجود النبى صلى الله عليه وسلم فى النجم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الصمد قال ثنا شعبة قال ثنا أبو بشر عن سعيد بن جبير ولا يزال الذين كفروا فى مرية منه قال فى مرية من سجوده * وقال آخرون بل هى من ذكر القرآن ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج ولا يزال الذين كفروا فى مرية منه قال من القرآن * وأولى هذه الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال هى كناية من ذكر القرآن الذى أحكم الله آياته وذلك أن ذلك من ذكر قوله وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك أقرب منه من ذكر قوله فينسخ الله ما يلقى الشيطان والهاء من قوله أنه من ذكر القرآن فالحاق الهاء فى قوله فى مرية منه بالهاء من قوله أنه الحق من ربك أولى من الحاقها بما التى فى قوله ما يلقى الشيطان مع بعد ما بينهما وقوله حتى تأتيهم الساعة يقول لا يزال هؤلاء الكفار فى شك من أمر هذا القرآن الى أن تأتيهم الساعة بغتة وهى ساعة حشر الناس لموقف الحساب بغتة يقول فجأة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم * واختلف أهل التأويل فى هذا اليوم أى يوم هو فقال بعضهم هو يوم القيامة ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال ثنا شيخ من أهل خراسان من الازد يكنى أبا اسان قال سألت الضحاك عن قوله عذاب يوم عقيم قال عذاب يوم لا ليلة بعده حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو تميلة عن أبى حمزة عن جابر عن عكرمة أن يوم القيامة لا ليلة له * وقال آخرون بل عنى به يوم بدر وقالوا انما قيل له يوم عقيم أنهم لم ينظروا الى الليل فكان لهم عقيما ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن ليث عن مجاهد قال عذاب يوم عقيم يوم بدر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج أو يأتيهم عذاب يوم عقيم قال ابن جريج يوم ليس فيه ليلة لم ينظروا الى الليل قال مجاهد عذاب يوم عقيم * قال ثنا الحسين قال ثنا أبو تميلة عن أبى حمزة عن جابر قال قال مجاهد يوم بدر حدثنى أبو السائب قال ثنا أبو ادريس قال أخبرنا الأعمش عن رجل عن سعيد بن جبير فى قوله عذاب يوم عقيم قال يوم بدر حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قوله عذاب يوم عقيم قال هو يوم بدر ذكر عن أبى بن كعب حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله عذاب يوم عقيم قال هو يوم بدر عن أبى بن كعب وهذا القول الثانى أولى بتأويل الآية لانه لا وجه لأن يقال لا يزالون فى مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة أو تأتيهم الساعة وذلك أن الساعة هى يوم القيامة فان كان اليوم العقيم

آلهة بل لان الله اصطفاهم للرسالة حين كانوا أمناء على وحيه لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ثم بين علو شأنه وكمال علمه واحاطته بأحوال المكلفين ما مضى منها وما غبر وان مرجع الامور كلها اليه وفى كل ذلك زجر عن الاقدام على المعصية وبعث على الجد فى الطاعة فلا جرم صرح بالمقصود قائلا (يا أيها الذين آمنوا) والظاهر أنه خطاب مختص بالمؤمنين ويؤكده قوله بعد ذلك هو اجتباكم هو سماكم المسلمين وقيل عام لكل المكلفين لان المأمورات بعده لا تختص ببعض الناس دون بعض والتخصيص بالذكر للتشريف فانهم الذين قبلوا الخطاب ودل بالركوع والسجود على الصلاة لانهما ركنان معتبران وقيل كان الناس أول ما أسلموا يسجدون بلا

أيضا هو يوم القيامة فانما معناه ما قلنا من تكرير ذكر الساعة مرتين باختلاف الألفاظ وذلك مالا معنى له فاذ كان ذلك كذلك فأولى التأويلين به أصحهما معنى وأشبههما بالمعروف فى الخطاب وهو ماذكرناه من معناه فتأويل الكلام اذا ولا يزال الذين كفروا فى مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة فيصيروا الى العذاب الدائم أو يأتيهم عذاب يوم عقيم لهم فلا ينظروا فيه الى الليل ولا يؤخروا فيه الى المساء لكنهم يقتلون قبل المساء ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات فى جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين﴾ يقول تعالى ذكره السلطان والملك اذا جاءت الساعة لله وحده لا شريك له ولا ينازعه يومئذ منازع وقد كان فى الدنيا ملوك يدعون بهذا الاسم ولا أحد يومئذ يدعى ملكا سواه يحكم بينهم يقول يفصل بين خلقه المشركين به والمؤمنين فالذين آمنوا بهذا القرآن وبمن أنزله ومن جاء به وعملوا بما فيه من حلاله وحرامه وحدوده وفرائضه فى جنات النعيم يومئذ والذين كفروا بالله ورسوله وكذبوا بآيات كتابه وتنزيله وقالوا ليس ذلك من عند الله انما هو افك افتراه محمد وأعانه عليه قوم آخرون فأولئك لهم عذاب مهين يقول فالذين هذه صفتهم لهم عند الله يوم القيامة عذاب مهين يعنى عذاب مذل فى جهنم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿والذين هاجروا فى سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وان الله لهو خير الرازقين﴾ يقول تعالى ذكره والذين فارقوا أوطانهم وعشائرهم فتركوا ذلك فى رضا الله وطاعته وجهاد أعدائه ثم قتلوا أو ماتوا وهم كذلك ليرزقنهم الله يوم القيامة فى جناته رزقا حسنا يعنى بالحسن الكريم وانما يعنى بالرزق الحسن الثواب الجزيل وان الله لهو خير الرازقين يقول وان الله لهو خير من بسط فضله على أهل طاعته وأكرمهم وذكر أن هذه الآية نزلت فى قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا فى حكم من مات فى سبيل الله فقال بعضهم سواء المقتول منهم والميت * وقال آخرون المقتول أفضل فأنزل الله هذه الآية على نبيه صلى الله عليه وسلم يعلمهم استواء أمر الميت فى سبيله والمقتول فيها فى الثواب عنده وقد حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى عبد الرحمن بن شريح عن سلامان بن عامر قال كان فضالة بردس أميرا على الأرباع فخرج بجنازتى رجلين أحدهما قتيل والآخر متوفى فرأى ميل الناس مع جنازة القتيل الى حفرته فقال أراكم أيها الناس تميلون مع القتيل وتفضلونه على أخيه المتوفى فوالذى نفسى بيده ما أبالى من أى حفرتيهما بعثت اقرؤا قول الله تعالى والذين هاجروا فى سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا الى قوله وان الله لعليم حليم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ليدخلنهم مدخلا يرضونه وان الله لعليم حليم﴾ يقول تعالى ذكره ليدخلن الله المقتول فى سبيله من المهاجرين والميت منهم مدخلا يرضونه وذلك المدخل هو الجنة وان الله لعليم عمن يهاجر فى سبيله ممن يخرج من داره طلب الغنيمة أو عرض من عروض الدنيا حليم عن عصاة خلقه بتركه معاجلتهم بالعقوبة والعذاب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله ان الله لعفو غفور﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله ذلك لهذا الهؤلاء الذين هاجروا فى سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ولهم مع ذلك أيضا أن الله يعدهم النصر على المشركين الذين بغوا عليهم فأخرجوهم من ديارهم كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به قال هم المشركون بغوا على النبى صلى الله عليه وسلم فوعده الله أن ينصره وقال فى القصاص أيضا وكان بعضهم يزعم أن هذه الآية نزلت فى قوم من المشركين لقوا قوما من المسلمين للبلتين بقيتا من المحرم وكان المسلمون يكرهون

ركوع ويركعون بلا سجود فأمروا أن تكون صلاتهم بركوع وسجود ذكره ابن عباس قال جار الله عن عقبة بن عامر قال قلت يارسول الله فى سورة الحج سجدتان قال نعم ان لم تسجدهما فلا تقرأهما وعن عبد الله بن عمر فضلت سورة الحج بسجدتين وهو مذهب الشافعى وأما أبو حنيفة فلا يرى هذه سجدة لانه قرن الركوع بالسجود قال فدل ذلك على أنها سجدة صلاة لا سجدة تلاوة قدم الصلاة لانها أشرف العبادات ثم عم فأمر بالعبادة مطلقا ثم جعل الامر أعم وهو فعل الخيرات الشامل للنوعين التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله كأنه قال كلفتكم الصلاة بل كلفتكم ما هو أعم منها وهو العبادة بل كلفتكم أعم وهو فعل الخيرات على الاطلاق وقيل معناه

القتال يومئذ فى الاشهر الحرم فسأل المسلمون المشركين أن يكفوا عن قتالهم من أجل حرمة الشهر فأبى المشركون ذلك وقاتلوهم فبغوا عليهم وثبت المسلمون لهم فنصروا عليهم فأنزل الله هذه الآية ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغى عليه بأن بدئ بالقتال وهوله كاره لينصرنه الله وقوله ان الله لعفو غفور يقول تعالى ذكره ان الله لذو عفو وصفح لمن انتصر ممن ظلمه من بعد ما ظلمه الظالم بحق غفور لما فعل بباديه بالظلم مثل الذى فعل به غير معاقبه عليه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ذلك بأن الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وأن الله سميع بصير ﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله ذلك هذا النصر الذى أنصره من بغى عليه على الباغى لأنى القادر على ما أشاء فمن قدرته أن الله يولج الليل فى النهار يقول يدخل ما ينقص من ساعات الليل فى ساعات النهار فما نقص من هذا زاد فى هذا ويولج النهار فى الليل ويدخل ما انتقص من ساعات النهار فى ساعات الليل فما نقص من طول هذا زاد فى طول هذا وبالقدرة التى تفعل ذلك ينصر محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه على الذين بغوا عليهم فأخرجوهم من ديارهم وأموالهم وأن الله سميع بصير يقول وفعل ذلك أيضا بأنه ذو سمع لما يقولون من قول لا يخفى عليه منه شئ بصير بما يعملون لا يغيب عنه منه شئ كل ذلك منه بمرأى ومسمع وهو الحافظ لكل ذلك حتى يجازى جميعهم على ما قالوا وعملوا من قول وعمل جزاءه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلى الكبير ﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله ذلك هذا الفعل الذى فعلت من ايلاجى الليل فى النهار وايلاجى النهار فى الليل لأنى أنا الحق الذى لا مثل لى ولا شريك ولا ند وأن الذى يدعوه هؤلاء المشركون الها من دونه هو الباطل الذى لا يقدر على صنعة شئ بل هو المصنوع يقول لهم تعالى ذكره أفتتركون أيها الجهال عبادة من منه النفع وبيده الضر وهو القادر على كل شئ وكل شئ دونه وتعبدون الباطل الذى لا ينفعكم عبادته وقوله وأن الله هو العلى الكبير يعنى بقوله العلى ذو العلو على كل شئ هو فوق كل شئ وكل شئ دونه الكبير يعنى العظيم الذى كل شئ دونه ولا شئ أعظم منه وكان ابن جريج يقول فى قوله وأن ما يدعون من دونه هو الباطل

حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج فى قوله وأن ما يدعون من دونه هو الباطل قال الشيطان * واختلفت القراء فى قراءة قوله وأن ما يدعون من دونه فقرأته عامة قراء المدينة والحجاز تدعون بالتاء على وجه الخطاب وقرأته عامة قراء العراق غير عاصم بالياء على وجه الخبر والياء أعجب القراءتين الى لان ابتداء الخبر على وجه الخطاب ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة ان الله لطيف خبير ﴾ يقول تعالى ذكره ألم تر يا محمد أن الله أنزل من السماء ماء يعنى مطرا فتصبح الارض مخضرة بما ينبت فيها من النبات ان الله لطيف باستخراج النبات من الارض بذلك الماء وغير ذلك من ابتداع ما شاء أن يبتدعه خبير بما يحدث عن ذلك النبت من الحب وبه قال فتصبح الارض فرفع وقد تقدمه قوله ألم تر وانما قيل ذلك كذلك لان معنى الكلام الخبر كأنه قيل اعلم يا محمد أن الله ينزل من السماء ماء فتصبح الارض ونظير ذلك قول الشاعر

ألم تسأل الربع القديم فينطق * وهل تخبرنك اليوم بيداء سملق

لان معناه قد سألته فنطق ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ له ما فى السموات وما فى الارض وان الله لهو الغنى الحميد ﴾ يقول تعالى ذكره له ملك ما فى السموات وما فى الارض من شئ هم عبيده ومماليكه خلقه لا شريك له فى ذلك ولا فى شئ منه وان الله هو الغنى عن كل ما فى السموات وما فى الارض

واعبدوا ربكم افعلوا الخير وصلوا ربكم واسجدوا لربكم وافعلوا الخير وعن ابن عباس أن فعل الخير صلة الارحام ومكارم الأخلاق ومعنى (لعلكم تفلحون) افعلوا كل ذلك راجين الفلاح وهو الظفر بنعيم الآخرة لا متيقنين ذلك فان الانسان قلما يخلو فى أداء فرائضه من تقصير والعواقب أيضا مستورة ثم أمر بخلاف النفس والهوى فى جميع ما ذكر وهو الجهاد الاكبر فقال (وجاهدوا فى الله) أى فى ذاته ومن أجله (حق جهاده) أى حق الجهاد فيه أو حق جهادكم فيه فاضافة الجهاد الى الله من قبيل التوسعة ولأدنى ملابسة من حيث ان الجهاد فعل لوجهه وقيل هو أمر بالغزو أمروا أن يجاهدوا آخرا كما جاهدوا أولا فقد كان جهادهم فى الأول أقوى وكانوا فيه أثبت نحو

من خلقه وهم المحتاجون اليه الحميد عند عباده فى افضاله عليهم وأياديه عندهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ألم تر أن الله سخر لكم ما فى الارض والفلك تجرى فى البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الارض الا باذنه ان الله بالناس لرؤف رحيم ﴾ يقول تعالى ذكره ألم تر أن الله سخر لكم أيها الناس ما فى الارض من الدواب والبهائم فذلك كله لكم تصرفونه فيما أردتم من حوائجكم والفلك تجرى فى البحر بأمره يقول وسخر لكم السفن تجرى فى البحر بأمره يعنى بقدرته وتذليله اياها لكم كذلك واختلفت القراء فى قراءة قوله والفلك تجرى فقرأته عامة قراء الامصار والفلك نصبا بمعنى سخر لكم ما فى الارض والفلك عطفا على ما وعلى تكرير أن وأن الفلك تجرى وروى عن الاعرج أنه قرأ ذلك رفعا على الابتداء والنصب هو القراءة عندنا فى ذلك لاجماع الحجة من القراء عليه ويمسك السماء أن تقع على الارض يقول ويمسك السماء بقدرته كى لا تقع على الارض الا باذنه ومعنى قوله أن تقع أن لا تقع ان الله بالناس لرؤف بمعنى انه بهم لذو رأفة ورحمة فمن رأفته بهم ورحمته لهم أمسك السماء أن تقع على الأرض الا باذنه وسخر لكم ما وصف فى هذه الآية تفضلا منه عليكم بذلك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وهو الذى أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ان الانسان لكفور لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا ينازعنك فى الامر وادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم ﴾ يقول تعالى ذكره والله الذى أنعم عليكم هذه النعم هو الذى جعل لكم أجساما أحياء بحياة أحدثها فيكم ولم تكونوا شيأ ثم هو يميتكم من بعد حياتكم فيفنيكم عند مجىء آجالكم ثم يحييكم بعد مماتكم عند بعثكم لقيام الساعة ان الانسان لكفور يقول ان ابن آدم لجحود لنعم الله التى أنعم بها عليه من حسن خلقه اياه وتسخيره له ما سخر مما فى الارض والبر والبحر وتركه اهلاكه بامساكه السماء أن تقع على الارض بعبادته غيره من الآلهة والانداد وتركه افراده بالعبادة واخلاص التوحيد له وقوله لكل أمة جعلنا منسكا يقول لكل جماعة قوم هى خلت من قبلك جعلنا ما ألفا يألفونه ومكانا يعتادونه لعبادتى فيه وقضاء فرائضى وعملا يلزمونه وأصل المنسك فى كلام العرب الموضع المعتاد الذى يعتاده الرجل ويألفه لخير أو شر يقال ان لفلان منسكا يعتاده يراد مكانا يغشاه ويألفه لخير أو شر وانما سميت مناسك الحج بذلك لتردد الناس الى الاماكن التى تعمل فيها أعمال الحج والعمرة وفيه لغتان منسك بكسر السين وفتح الميم وذلك من لغة أهل الحجاز ومنسك بفتح الميم والسين جميعا وذلك من لغة أسد وقد قرئ باللغتين جميعا وقد اختلف أهل التأويل فى المعنى بقوله لكل أمة جعلنا منسكا أى المناسك عنى به فقال بعضهم عنى به عيدهم الذى يعتادونه ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه يقول عيدا * وقال آخرون عنى به ذبح يذبحونه ودم يهريقونه ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان قال ثنا ابن جريج عن مجاهد فى قوله لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه قال اراقة الدم بمكة حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله هم ناسكوه قال اهراق دماء الهدى حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة منسكا قال ذبحا وحجا * والصواب من القول فى ذلك أن يقال عنى بذلك اراقة الدم أيام النحر عنى لان المناسك التى كان المشركون جادلوا فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت اراقة الدم فى هذه الايام على أنهم قد كانوا جادلوه فى اراقة الدماء التى هى دماء ذبائح الانعام وقد أخبر الله عنهم فى سورة الأنعام غير أن تلك لم تكن مناسك

صنيعهم يوم بدر وعن عمر أنه قال لعبد الرحمن بن عوف أما علمت أنا كنا نقرأ وجاهدوا فى الله حق جهاده فى آخر الزمان كما جاهدتم فى أوله فقال عبد الرحمن ومتى ذلك يا أمير المؤمنين قال اذا كانت بنو أمية الأمراء وبنو المغيرة الوزراء قال العلماء لو صحت هذه الرواية فلعل هذه الزيادة من تفسير الرسول صلى الله عليه وسلم ليست من نفس القرآن والا لتواترت وأما عبارات المفسرين فعن ابن عباس حق جهاده أى لا تخافوا فى الله لومة لائم وقال الضحاك اعملوا لله حق عمله وقال آخرون استفرغوا ما فى وسعكم فى احياء دين الله واقامة حدوده باليد واللسان وجميع ما يمكن وردوا أنفسكم عن الهوى والميل وعن مقاتل والكلبى أن الآية منسوخة بقوله فاتقوا الله

فأما التى هى مناسك فانما هى هدايا وأضحايا ولذلك قلنا عنى بالمنسك فى هذا الموضع الذبح الذى هو بالصفة التى وصفنا وقوله فلا ينازعنك فى الامر يقول تعالى ذكره فلا ينازعنك هؤلاء المشركون بالله يا محمد فى ذبحك ومنسكك بقولهم أتأكلون ما قتلتم ولا تأكلون الميتة التى قتلها الله فانك أولى بالحق منهم لانك محق وهم مبطلون * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فلا ينازعنك فى الامر قال الذبح حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فلا ينازعنك فى الامر فلا تتعام لحمك وقوله وادع الى ربك يقول تعالى ذكره وادع يا محمد منازعيك من المشركين بالله فى نسكك وذبحك الى اتباع أمر ربك فى ذلك بأن لا يأكلوا الا ما ذبحوه بعد اتباعك وبعد التصديق بما جئتهم به من عند الله وتجنبوا الذبح للآلهة والأوثان وتبرؤا منها انك لعلى طريق مستقيم غير زائل عن محجة الحق والصواب فى نسكك الذى جعله لك ولأمتك ربك وهم الضلال عن قصد السبيل لمخالفتهم أمر الله فى ذبائحهم ومطاعمهم وعبادتهم الآلهة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وان جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان جادلك يا محمد هؤلاء المشركون بالله فى نسكك فقل الله أعلم بما تعملون ونعمل كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وان جادلوك قال قول أهل الشرك أما ما ذبح الله بيمينه فقل الله أعلم بما تعملون لنا أعمالنا ولكم أعمالكم وقوله الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون يقول تعالى ذكره والله يقضى بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه من أمر دينكم تختلفون فتعلمون حينئذ أيها المشركون المحق من المبطل ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ألم تعلم أن الله يعلم ما فى السماء والارض ان ذلك فى كتاب ان ذلك على الله يسير ﴾ يقول تعالى ذكره ألم تعلم يا محمد أن الله يعلم كل ما فى السموات السبع والارضين السبع لا يخفى عليه من ذلك شئ وهو حاكم بين خلقه يوم القيامة على علم منه بجميع ما عملوه فى الدنيا فمجازى المحسن منهم باحسانه والمسئ باساءته ان ذلك فى كتاب يقول تعالى ذكره ان علمه بذلك فى كتاب وهو أم الكتاب الذى كتب فيه ربنا جل ثناؤه قبل أن يخلق خلقه ما هو كائن الى يوم القيامة ان ذلك على الله يسير كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا ميسر بن اسمعيل الحلبى عن الاوزاعى عن عبدة بن أبى لبابة قال علم الله ما هو خالق وما الخلق عاملون ثم كتبه ثم قال لنبيه ألم تعلم أن الله يعلم ما فى السماء والارض ان ذلك فى كتاب ان ذلك على الله يسير حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى ميسر عن أرطاة بن المنذر قال سمعت ضمرة بن حبيب يقول ان الله كان على عرشه على الماء وخلق السموات والارض بالحق وخلق القلم فكتب به ما هو كائن من خلقه ثم ان ذلك الكتاب سبح الله ومجده ألف عام قبل أن يبدأ شيأ من الخلق حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى معتمر بن سليمن عن أبيه عن سيار عن ابن عباس أنه سأل كعب الاحبار عن أم الكتاب فقال علم الله ما هو خالق وما خلقه عاملون فقال لعلمه كن كتابا وكان ابن جريج يقول فى قوله ان ذلك فى كتاب ما حدثنا به القاسم قال ثنى حجاج عن ابن جريج ان ذلك فى كتاب قال قوله الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون وانما اخترنا القول الذى قلنا فى ذلك لأن قوله ان ذلك الى قوله ألم تعلم أن الله يعلم ما فى السماء والارض أقرب منه الى قوله الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون فكان الحاق ذلك بما هو أقرب اليه أولى منه بما بعد وقوله ان ذلك على الله يسير اختلف فى ذلك

ما استطعتم كما أن قوله اتقوا الله حق تقاته منسوخ بذلك وضعف بأن التكليف مشروط بالقدرة فلا حاجة الى التزام النسخ ثم عظم شأن المكلفين بقوله (هو اجتباكم) أى اختاركم لدينه ونصرته وفيه تشريف كقوله وكذلك جعلناكم أمة وسطا ثم كان لقائل أن يقول التكليف وان كان تشريفا الا أن فيه مشقة على النفس فقال (وما جعل عليكم فى الدين من حرج) أى ضيق وشدة وذلك بأنه فتح باب التوبة ووسع على المكلفين بأنواع الرخص والكفارات والديات والاروش روى أن أبا هريرة قال كيف قال سبحانه وما جعل عليكم فى الدين من حرج مع أنا منعنا عن الزنا والسرقة فقال ابن عباس بلى ولكن الاصر الذى كان على بنى اسرائيل وضع عنكم قالت

فقال بعضهم معناه ان الحكم بين المختلفين فى الدنيا يوم القيامة على الله يسير ذكر من قال ذلك
حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج ان ذلك على الله يسير قال
حكمه يوم القيامة ثم قال بين ذلك ألم تعلم أن الله يعلم ما فى السماء والارض ان ذلك فى كتاب * وقال
آخرون بل معنى ذلك أن كتاب القلم الذى أمره الله أن يكتب فى اللوح المحفوظ ما هو كائن على الله
يسير يعنى هين وهذا القول الثانى أولى بتأويل ذلك وذلك أن قوله ان ذلك على الله يسير الى قوله
ان ذلك فى كتاب أقرب وهوله مجاور ومن قوله الله يحكم بينكم يوم القيامة متباعد مع دخول قوله
ألم تعلم أن الله يعلم ما فى السماء والارض بينهما فالحاقه بما هو أقرب أولى ما وجد للكلام
وهو كذلك مخرج فى التأويل صحيح ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ويعبدون من دون الله
مالم ينزل به سلطانا ومالیس لهم به علم وما للظالمين من نصير ﴾ يقول تعالى ذكره ويعبد هؤلاء
المشركون بالله من دونه مالم ينزل به جل ثناؤه لهم حجة من السماء فى كتاب من كتبه التى أنزلها الى
رسله بأنها آلهة تصلح عبادتها فيعبدوها بأن الله أذن لهم فى عبادتها ومالیس لهم به علم أنها آلهة
وما للظالمين من نصير يقول وما للكافرين بالله الذين يعبدون هذه الاوثان من ناصر ينصرهم يوم
القيامة فينقذهم من عذاب الله ويدفع عنهم عقابه اذا أراد عقابهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى
﴿ واذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون
عليهم آياتنا قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير ﴾ يقول
تعالى ذكره واذا تتلى على مشركى قريش العابدين من دون الله مالم ينزل به سلطانا آياتنا يعنى آيات
القرآن بينات يقول واضحات حججها وأدلتها فيما أنزلت فيه تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر
يقول تتبين فى وجوههم ما ينكره أهل الايمان بالله من تغيرها السماعهم القرآن وقوله يكادون
يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا يقول يكادون يبطشون بالذين يتلون عليهم آيات كتاب الله من
أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم لشدة تنكرهم أن يسمعوا القرآن ويتلى عليهم * وبنحو ما قلنا
فى تأويل قوله يسطون قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله
قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله يكادون يسطون يقول يبطشون حدثنى محمد
ابن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله يكادون
يسطون يقول يقعون بمن ذكرهم حدثنا محمد بن عمارة قال ثنا عبد الله بن موسى قال
أخبرنا اسرائيل عن أبى يحيى عن مجاهد يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا قال يكادون
يقعون بهم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث
قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله يكادون يسطون قال
يبطشون كفار قريش حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن
مجاهد مثله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول
فى قوله يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا يقول يكادون يأخذونهم بأيديهم أخذا وقوله
قل أفأنبئكم بشر من ذلكم يقول أفأنبئكم أيها المشركون بأكره اليكم من هؤلاء الذين تتكرهون
قراءتهم القرآن عليكم هى النار وعدها الله الذين كفروا وقد ذكر عن بعضهم أنه كان يقول ان
المشركين قالوا والله ان محمدا وأصحابه لشر خلق الله فقال الله لهم قل أفأنبئكم أيها القائلون
هذا القول بشر من محمد صلى الله عليه وسلم أنتم أيها المشركون الذين وعدهم الله النار ورفعت
النار على الابتداء ولأنها معرفة لا تصلح أن ينعت بها الشر وهو نكرة وهو كما يقال مررت

المعتزلة لو خلق الله فيه الكفر ثم نهاه عنه كان ذلك من أعظم الحرج وعورض بأنه نهاه عن الكفر مع أنه علم ذلك منه وكأنه أمره بقلب علم الله جهلا وهو أعظم الحرج ثم أثنى على هذه الامة بقوله (ملة أبيكم أى أعنى الدين ملة أبيكم ويجوز أن ينتصب بمضمون ما تقدم كأنه قيل وسع دينكم توسعة ملة أبيكم فأقام المضاف اليه مقام المضاف وانما كان ابراهيم أبا هذه الأمة لأنه أبو الرسول صلى الله عليه وسلم وكل نبى أبو أمته والمراد أن التوحيد والحنيفية هى مما شرعه ابراهيم (هو) أى الله أو ابراهيم (سماكم المسلمين من قبل) أى فى سائر الكتب أو فى قوله ومن ذريتنا أمة مسلمة لك (وفى هذا) القرآن أما ان كان المسمى هو الله فظاهر وأما ان كان هو ابراهيم فلعله أراد أن

برجلين أخولك وأبولك ولو كانت مخفوضة كان جائزا وكذلك لو كان نصبا للعائد من ذكرها في وعدها وأنت تنوي بها الاتصال بما قبلها يقول تعالى ذكره فهؤلاء هم أشرار الخلق لا محمد وأصحابه وقوله وبئس المصير يقول وبئس المكان الذي يصير اليه هؤلاء المشركون بالله يوم القيامة * القول في تأويل قوله تعالى ﴿ يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيأ لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوي عزيز ﴾ يقول تعالى ذكره يا أيها الناس جعل لله مثل وذكر ومعنى ضرب في هذا الموضع جعل من قولهم ضرب السلطان على الناس البعث بمعنى جعل عليهم وضرب الجزية على النصارى بمعنى جعل ذلك عليهم والمثل الشبه يقول جل ثناؤه جعل لي شبه أيها الناس يعني بالشبه والمثل الآلهة يقول جعل لي المشركون الأصنام شبها فعبدوها معي وأشركوها في عبادتي فاستمعوا له يقول فاستمعوا حال ما مثلوه وجعلوه لي في عبادتهم اياه شبها وصفته ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا يقول ان جميع ما تعبدون من دون الله من الآلهة والأصنام لو جمعت لم يخلقوا ذبابا في صغره وقلته لانها لا تقدر على ذلك ولا تطيقه ولو اجتمع لخلقه جميعها والذباب واحد وجمعه في القلة أذبة وفي الكثير ذبان تطير غراب يجمع في القلة أغربة وفي الكثرة غربان وقوله وان يسلبهم الذباب شيأ يقول وان يسلب الآلهة والأوثان الذباب شيأ مما عليها من طيب وما أشبهه من شئ لا يستنقذوه منه يقول لا تقدر الآلهة أن تستنقذ ذلك منه * واختلف في معنى قوله ضعف الطالب والمطلوب فقال بعضهم عنى بالطالب الآلهة وبالمطلوب الذباب ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس في قوله ضعف الطالب قال آلهتهم والمطلوب الذباب وكان بعضهم يقول معنى ذلك ضعف الطالب من بني آدم الى الصنم حاجته والمطلوب اليه الصنم أن يعطي سائله من بني آدم ما سأله يقول ضعف عن ذلك وعجز * والصواب من القول في ذلك عندنا ما ذكرته عن ابن عباس من أن معناه وعجز الطالب وهو الآلهة أن تستنقذ من الذباب ما سلبها اياه وهو الطيب وما أشبهه والمطلوب الذباب وانما قلت هذا القول أولى بتأويل ذلك لان ذلك في سياق الخبر عن الآلهة والذباب فأن يكون ذلك خبرا عما هو به متصل أشبه من أن يكون خبرا عما هو عنه منقطع وانما أخبر جل ثناؤه عن الآلهة بما أخبر به عنها في هذه الآية من ضعفها ومهانتها تقريعا منه بذلك عبدتها من مشركي قريش يقول تعالى ذكره كيف يجعل لي مثل في العبادة ويشرك فيها معي ما لا قدرة له على خلق ذباب وان أخذه الذباب فسلبه شيأ عليه لم يقدر أن يمتنع منه ولا ينتصر وأنا الخالق ما في السموات والارض ومالك جميع ذلك والمحيي من أردت والمميت ما أردت ومن أردت ان فاعل ذلك لا شك أنه في غاية الجهل وقوله ما قدروا الله حق قدره يقول ما عظم هؤلاء الذين جعلوا الآلهة لله شريكا في العبادة حق عظمته حين أشركوا به غيره فلم يخلصوا له العبادة ولا عرفوه حق معرفته من قولهم ما عرفت لفلان قدره اذا خاطبوا بذلك من قصر بحقه وهم يريدون تعظيمه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وان يسلبهم الذباب شيأ الى آخر الآية قال هذا مثل ضربه الله لآلهتهم وقرأ ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره حين يعبدون مع الله ما لا ينتصف من الذباب ولا يمتنع منه وقوله ان الله لقوي يقول ان الله لقوي على خلق ما يشاء من صغير ما يشاء من خلقه وكبيره عزيز يقول منيع في ملكه لا يقدر شئ دونه أن يسلبه من ملكه شيأ وليس كآلهتكم أيها المشركون الذين تدعون من دونه الذين لا يقدرون على خلق ذباب ولا على

حكاية دعائه مذكورة في القرآن وقوله (ليكون الرسول) متعلق بقوله هو اجتباكم أي فضلكم على الأمم لهذا الغرض نظيره قوله في البقرة وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا والأصل تقديم الامة كما في البقرة لان الخطاب معهم وليقع الختم على شهادة الرسول كما هو الواقع الا أنه عكس الترتيب في هذه السورة لنباط به قوله (فأقيموا الصلاة) والمراد اذ خصكم بهذه الكرامة فاعبدوه واعتصموا بدلائله العقلية والسمعية أو بألطافه وعنايته قال ابن عباس سلوا الله العصمة عن كل المحرمات وقال آخرون اجعلوه عصمة لكم مما تحذرون فهو خير مولى وناصر استدلت المعتزلة بالآية في قولهم انه يريد الايمان من الكل من وجوه الاول أنه أراد أن يكونوا شهداء ولن يكونوا كذلك الا اذا آمنوا

الامتناع من الذباب اذا استلبها شيأ ضعفا ومهانة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير ﴾ يقول تعالى ذكره الله يختار من الملائكة رسلا كجبريل وميكائيل اللذين كانا يرسلهما الى أنبيائه ومن شاء من عباده ومن الناس كأنبيائه الذين أرسلهم الى عباده من بنى آدم ومعنى الكلام الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس أيضا رسلا وقد قيل انما أنزلت هذه الآية لما قال المشركون أأنزل عليه الذكر من بيننا فقال الله لهم ذلك الى وبيدى دون خلقى أختار من شئت منهم للرسالة وقوله ان الله سميع بصير يقول ان الله سميع لما يقول المشركون فى محمد صلى الله عليه وسلم وما جاءه به من عند ربه بصير بمن يختاره لرسالته من خلقه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم والى الله ترجع الامور ﴾ يقول تعالى ذكره الله يعلم ما كان بين أيدى ملائكته ورسله من قبل أن يخلقهم وما خلفهم يقول ويعلم ما هو كائن بعد فنائهم والى الله ترجع الامور يقول الى الله فى الآخرة تصير اليه أمور الدنيا واليه تعود كما كان منه البدء ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ﴾ يقول تعالى ذكره يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله اركعوا لله فى صلاتكم واسجدوا له فيها واعبدوا ربكم يقول وذلوا لربكم واخضعوا له بالطاعة وافعلوا الخير الذى أمركم ربكم بفعله لعلكم تفلحون يقول لتفلحوا بذلك فتدركوا به طلباتكم عند ربكم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس ﴾ * واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله وجاهدوا فى الله حق جهاده فقال بعضهم معناه وجاهدوا المشركين فى سبيل الله حق جهاده ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى سليمان بن بلال عن ثور بن زيد عن عبد الله بن عباس فى قوله وجاهدوا فى الله حق جهاده كما جاهدتم أول مرة فقال عمر من أمر بالجهاد قال قبيلتان من قريش مخزوم وعبد شمس فقال عمر صدقت * وقال آخرون بل معنى ذلك لا تخافوا فى الله لومة لائم قالوا وذلك هو حق الجهاد ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس فى قوله وجاهدوا فى الله حق جهاده لا تخافوا فى الله لومة لائم * وقال آخرون معنى ذلك اعملوا بالحق حق عمله وهذا قول ذكر عن الضحاك بعض من فى روايته نظر * والصواب من القول فى ذلك قول من قال عنى به الجهاد فى سبيل الله لان المعروف من الجهاد ذلك وهو الأغلب على قول القائل جاهدت فى الله وحق الجهاد هو استفراغ الطاقة فيه وقوله هو اجتباكم يقول هو اختاركم لدينه واصطفاكم لحرب أعدائه والجهاد فى سبيله وقال ابن زيد فى ذلك ما حدثنى به يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله هو اجتباكم قال هو هداكم وقوله وما جعل عليكم فى الدين من حرج يقول تعالى ذكره وما جعل عليكم ربكم فى الدين الذى تعبدكم به من ضيق لا مخرج لكم مما ابتليتم به فيه بل وسع عليكم بجعل التوبة من بعض مخرجا والكفارة من بعض والقصاص من بعض فلا ذنب يذنبه المؤمن الا وله منه فى دين الاسلام مخرج * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس ابن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى ابن زيد عن ابن شهاب قال سأل عبد الملك بن مروان على بن عبد الله بن عباس عن هذه الآية وما جعل عليكم فى الدين من حرج فقال على بن عبد الله الحرج الضيق جعل الله الكفارات مخرجا من ذلك سمعت ابن عباس يقول ذلك

الثانى أنه لا يمكن الاعتصام به الا اذا لم يوجد منه الشر البتة الثالث أنه لو خلق فى عباده الكفر والمعاصى لم يكن نعم المولى وأجيب بعد تسليم ارادة الايمان من الكل أن ارادة الشئ ان كانت مستلزمة لارادة لوازمه فارادة الايمان من الكفار تستلزم أن يكون الله تعالى مريدا لجهل نفسه وان لم تستلزم فقد سقط السؤال وأيضا الاعتصام به انما يكون منه كقوله أعوذ بك منك وأيضا انه خلق الشهوة فى قلب الفاسق وخلق المشتهى وقربه منه ودفع المانع وسلط عليه شياطين الانس والجن فلو لم تكن كل هذه مقتضية لكونه بئس المولى لم يكن خلق الكفر أيضا مقتضيا لذلك ۞ التأويل سخر لكم ما فى أرض البشرية من الصفات الحيوانية والشيطانية وسخر فلك الواردات

* قال

* قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى سفيان بن عيينة عن عبيد الله بن أبى يزيد قال سمعت ابن عباس يسأل عن ماجعل عليكم فى الدين من حرج قال ما شهنا من هذيل أحد فقال رجل نعم قال ما تعدون الحرجة فيكم قال الشئ الضيق قال ابن عباس فهو كذلك **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق عن ابن عيينة عن عبيد الله بن أبى يزيد قال سمعت ابن عباس وذكر نحوه الا أنه قال فقال ابن عباس أههنا أحد من هذيل فقال رجل أنا فقال أيضا ما تعدون الحرج وساق الحديث مثله **حدثنى** عمران بن بكار الكلاعى قال ثنا يحيى بن صالح قال ثنا يحيى بن حمزة عن الحكم بن عبد الله قال سمعت القاسم بن محمد يحدث عن عائشة قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية وما جعل عليكم فى الدين من حرج قال هو الضيق **حدثنا** حميد بن مسعدة قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا أبو خلدة قال قال لى أبو العالية أتدرى ما الحرج قلت لا أدرى قال الضيق وقرأ هذه الآية وما جعل عليكم فى الدين من حرج **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا حماد بن مسعدة عن عوف عن الحسن فى قوله وما جعل عليكم فى الدين من حرج قال من ضيق **حدثنا** عمرو بن بندق قال ثنا مروان بن معاوية عن أبى خلدة قال قال لى أبو العالية هل تدرى ما الحرج قلت لا قال الضيق ان الله لم يضيق عليكم لم يجعل عليكم فى الدين من حرج **حدثنى** يعقوب قال ثنا ابن علية عن ابن عون عن القاسم أنه تلا هذه الآية وما جعل عليكم فى الدين من حرج قال تدرون ما الحرج قال الضيق **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن يونس بن أبى اسحق عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال اذا تعاجم شئ من القرآن فانظروا فى الشعر فان الشعر عربى ثم دعا ابن عباس أعرابيا فقال ما الحرج قال الضيق قال صدقت **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى الدين من حرج قال من ضيق **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله * وقال آخرون معنى ذلك ما جعل عليكم فى الدين من حرج من ضيق فى أوقات فروضكم اذا التبست عليكم ولكنه قد وسع عليكم حتى تيقنوا محلها ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن عثمان بن بشار عن ابن عباس فى قوله وما جعل عليكم فى الدين من حرج قال هذا فى هلال شهر رمضان اذا شك فيه الناس وفى الحج اذا شكوا فى الهلال وفى الفطر والاضحى اذا التبس عليهم وأشباهه * وقال آخرون بل معنى ذلك ما جعل فى الاسلام من ضيق بل وسعه ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ما جعل عليكم فى الدين من حرج يقول ما جعل عليكم فى الاسلام من ضيق هو واسع وهو مثل قوله فى الانعام فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا يقول من أراد أن يضله يضيق عليه صدره حتى يجعل عليه الاسلام ضيقا والاسلام واسع **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وما جعل عليكم فى الدين من حرج يقول من ضيق يقول جعل الدين واسعا ولم يجعله ضيقا وقوله ملة أبيكم ابراهيم نصب ملة بمعنى وما جعل عليكم فى الدين من حرج بل وسعه كملة أبيكم فلما لم يجعل فيها الكاف اتصلت بالفعل الذى قبلها فنصبت وقد يحتمل نصبها أن تكون على وجه الامر بها لان الكلام قبله أمر فكأنه قيل اركعوا واسجدوا والزموا ملة أبيكم ابراهيم وقوله هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا يقول تعالى ذكره سماكم يا معشر من آمن بمحمد صلى الله عليه

المغيبة تجرى فى بحر القلب وعسك سماء القلب أن تقع على أرض النفس بأن تتصف بصفاتها الا باذنه بقدر ما أباحه الشرع من ضروريات المأكول والملبوس وغيرهما وهو الذى أحياكم بازدواج الروح الى القالب ثم يميتكم عن صفات البشرية ثم يحييكم بنور الصفات الرحمانية فلا ينازعنك فى أمرك فان لك مع الله وقتا لا يسعك فيه ملك مقرب ولا نبى مرسل ولكل قوم رتبة لا يتجاوزونها ان الذين يدعون من دون الله كالاصنام الظاهرة والباطنة لن يطلعوا على كيفية خلق الذباب وان يسلبهم ذباب هو اجس النفس شيأ من صفاء القلب وجمعية الوقت ضعف الطالب وهو القلب غير المؤيد بنور الايمان والمطلوب وهو النفس والشيطان اركعوا بالنزول عن

وسلم المسلمين من قبل * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله هو سماكم المسلمين يقول الله سماكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى عطاء بن أبى رباح أنه سمع ابن عباس يقول الله سماكم المسلمين من قبل حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة وحدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق جميعا عن معمر عن قتادة هو سماكم المسلمين قال الله سماكم المسلمين من قبل حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله هو سماكم المسلمين قال الله سماكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله هو سماكم المسلمين من قبل يقول الله سماكم المسلمين * وقال آخرون بل معناه ابراهيم سماكم المسلمين وقالوا هو كناية من ذكر ابراهيم صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد هو سماكم المسلمين قال ألا ترى قول ابراهيم واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك قال هذا قول ابراهيم هو سماكم المسلمين ولم يذكر الله بالاسلام والايمان غير هذه الامة ذكرت بالايمان والاسلام جميعا ولم نسمع بأمة ذكرت الا بالايمان ولا وجه لما قال ابن زيد من ذلك لانه معلوم أن ابراهيم لم يسم أمة محمد مسلمين فى القرآن لان القرآن أنزل من بعده بدهر طويل وقد قال الله تعالى ذكره هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ولكن الذى سمانا مسلمين من قبل نزول القرآن وفى القرآن الله الذى لم يزل ولا يزال وأما قوله من قبل فان معناه من قبل نزول هذا القرآن فى الكتب التى نزلت قبله وفى هذا يقول وفى هذا الكتاب * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا القرآن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال مجاهد من قبل قال فى الكتب كلها والذكر وفى هذا يعنى القرآن وقوله ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس يقول تعالى ذكره اجتباكم الله وسماكم أيها المؤمنون بالله وآياته من أمة محمد صلى الله عليه وسلم مسلمين ليكون محمد رسول الله شهيدا عليكم يوم القيامة بأنه قد بلغكم ما أرسل به اليكم وتكونوا أنتم شهداء حينئذ على الرسل أجمعين أنهم قد بلغوا أممهم ما أرسلوا به اليهم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة هو سماكم المسلمين من قبل قال الله سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم بأنه بلغكم وتكونوا شهداء على الناس أن رسلهم قد بلغتهم وبه عن قتادة قال أعطيت هذه الامة ما لم يعطه الا نبى كان يقال للنبى اذهب فليس عليك حرج وقال الله وما جعل عليكم فى الدين من حرج وكان يقال للنبى صلى الله عليه وسلم أنت شهيد على قومك وقال الله لتكونوا شهداء على الناس وكان يقال للنبى صلى الله عليه وسلم سل تعطه وقال الله ادعونى أستجب لكم حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال أعطيت هذه الامة ثلاثا لم يعطها الا نبى

مرتبة الانسانية الى خضوع الحيوانية ومنهم من يمشى على أربع واسجدوا بالنزول الى مرتبة الحيوانية والنجم والشجر يسجدان واعبدوا ربكم بجعل الطاعة خالصة له وافعلوا الخير بمراقبة الله فى جميع أحوالكم لعلكم تفلحون بالوصال وجاهدوا فى الله حق جهاده بجهاد النفس بتزكيتها بأداء الحقوق وترك الحظوظ وجهاد القلب بتصفيته وقطع تعلقه عن الكونين وجهاد الروح بتحليته بافناء الوجود فى وجوده هو اجتباكم لهذه الكرامات من بين سائر البريات ولولا أنه اجتباكم ما اهتديتم اليه كما قيل

* فلولاكم ما عرفنا الهوى *

وما جعل عليكم فى دين العشاق وهو السير الى الله من ضيق من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا والسير الى الله من سنة ابراهيم انى

كان يقال للنبي صلى الله عليه وسلم اذهب فليس عليك حرج فقال الله وما جعل عليكم في الدين من حرج قال وكان يقال للنبي صلى الله عليه وسلم أنت شهيد على قومك وقال الله لتكونوا شهداء على الناس وكان يقال للنبي صلى الله عليه وسلم سل تعطه وقال الله ادعوني أستجب لكم

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير ﴾ يعني تعالى ذكره بقوله فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة يقول فأدوا الصلاة المفروضة لله عليكم بحدودها وآتوا الزكاة الواجبة عليكم في أموالكم واعتصموا بالله يقول وثقوا بالله وتوكلوا عليه في أموركم فنعم المولى يقول فنعم الولي الله لمن فعل ذلك منكم فأقام الصلاة وآتى الزكاة وجاهد في سبيل الله حق جهاده واعتصم به ونعم النصير يقول ونعم الناصر هو له على من بغاه بسوء

(تم)

﴿ تم الجزء السابع عشر من تفسير ابن جرير الطبري ويليه الجزء الثامن عشر أوله (سورة المؤمنون) ﴾

ذاهب الى ربي سيهدين هو سماكم المسلمين في الازل وهو في هذا الطور وانما قدم الرسول لان روحه في طرف الازل مقدم أول ما خلق الله روحي فهو مشرف وقتئذ على أرواح أمته وبعد ذلك خلقت أرواح أمته مشرفين على أرواح غيرهم وفي سورة البقرة اعتبر طرف الابد فوقع الختم على الرسول وعلى شهادته فأقيموا الصلاة بدوام السير والعروج الى الله والتعظيم لامره وآتوا الزكاة بدعوة الخلق الى الله والشفقة عليهم واعتصموا بحبل الله حتى تصلوا اليه هو متولي افنائكم عنكم فنعم المولى في افناء وجودكم ونعم النصير في ابقائكم بربكم والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه الطيبين الطاهرين وذرياته وسلم تسليما كثيرا دائما أبدا الى يوم الدين

(تم)

﴿ فهرست الجزء السابع عشر من تفسير الامام ابن جرير الطبرى ﴾

صحيفة	
٢	﴿تفسير سورة الانبياء﴾
٣	تأويل قوله بل قالوا أضغاث أحلام الآية وبيان ما تقوله المشركون عليه
٦	بيان أن القرآن فيه شرف لمن اتبعه
٨	بيان أن اللهو يطلق على الزوجة
٩	بيان وجه استحالة أن يتخذ الله لهوا
١١	تأويل قوله أم اتخذوا من دونه آلهة الآية وبيان عجز المشركين عن الاتيان بالحجة
١٥	بيان كون السموات والارض كانتا خلوا من المطر والنبات فسخرهما الله لما هما عليه من المنافع وأن ذلك هو المراد بالرتق والفتق
١٦	تأويل قوله وجعلنا السماء سقفا محفوظا وبيان معنى الفلك
١٩	بيان ما فى طبع الانسان من العجل وأنه بودر بخلقه على عجل
٢٥	تأويل قوله ونضع الموازين القسط الآية وبيان أن خفة الميزان وثقله بماذا يكونان
٢٦	بيان الخلاف فى الفرقان الذى اتاه الله موسى
٢٨	بيان ما فعله ابراهيم عليه السلام بالآلهة وذكر السبب فى ذلك
٣١	بيان أن القوم لما عارضوا ابراهيم عليه السلام أتوا بما هو حجة له عليهم وهو معنى نكسهم على رؤسهم
٣٣	بيان ما فعله القوم فى احراق ابراهيم وما أكرمه الله به
٣٤	ذكر نزول ابراهيم بالشام وذكر طرف من فضائلها
٣٨	بيان ما حكم به داود وسليمن فى الحرث
٤١	ذكر ما علمه داود من صنعة الدروع
٤٢	ذكر ما أعطيه سليمن من تسخير الرياح
٤٢	ذكر قصة أيوب
٥٨	تأويل قوله واسمعيل وادريس وذا الكفل وبيان ذى الكفل من هو وذكر طرف من تاريخه

صحيفة	
٦١	ذكر مغاضبة يونس عليه السلام وسوق طرف من حكايته مع قومه
٦٦	ذكر طرف من أخبار زكريا عليه السلام
٦٩	ذكر طرف من أخبار يأجوج ومأجوج وما يكون قبل قيام الساعة
٧٥	تأويل قوله لهم فيها زفير وبيان ما قالته قريش للنبى ونزلت الآية بعده جوابا لهم
٧٩	ذكر طرف من أخبار يوم القيامة من طى السماء ونحوه وبيان الخلاف فى السجل
٨١	بيان أن الله كتب فى أم الكتاب والكتب التى أنزلها أن أرض الجنة يرثها الصالحون
٨٥	﴿تفسير سورة الحج﴾
٨٧	بيان مقدار من يدخل النار من الخليقة
٨٩	بيان ما يحصل للنطفة عند وقوعها فى الرحم
٩٢	بيان أن التكبر مما يمنع عن معرفة الله
٩٩	ذكر الذين بارزوا يوم بدر من المؤمنين والكافرين
١٠٢	تأويل قوله ان الذين كفروا ويصدون وبيان القول فى ملك بيوت مكة وما كان يصنع فى البيوت زمن السلف ومعنى الالحاد فى الحرم
١٠٥	بيان ما كان عليه آدم من عظم الخلقة وانزال البيت اليه
١٠٦	بيان ما فعله الخليل من التأذين بالحج
١١٤	تأويل قوله لكم فيها منافع وبيان ما فى البدن من المنافع
١١٨	بيان ما يفعل بالبدن عند ذبحها من عقلها وذكر الله عليها والتصدق بها
١٢٢	بيان أول آية نزلت فى القتال
١٣٢	ذكر ما قيل فى الغرانيق
١٣٨	تأويل قوله وهو الذى أحياكم ثم يميتكم وبيان معنى المنسك
١٤٢	بيان ما عليه الدين من السعة

﴿ تم فهرست الجزء السابع عشر من ابن جرير ﴾

﴿ فهرست الجزء السابع عشر من تفسير النيسابورى الموضوع بهامش ابن جرير ﴾

صحيفة	
٣	﴿ تفسير سورة الانبياء ﴾
٤	بيان تعلق آخر سورة طه بأول هذه السورة
٤	بيان ما احتجت به المعتزلة على أن القرآن محدث وما رد به عليهم
٦	بيان أن شبه الطاعنين فى نبوته باطلة
١٠	تأويل تلك الآيات
١٢	تفسير قوله أم اتخذوا آلهة من الارض الآية
١٣	بيان ما للمفسرين فى آية لو كان فيهما آلهة
١٥	بيان أن كلا من المعتزلة والاشاعرة قائل انه لا يقال لله لم فعلت وما فى ذلك من التعليل
١٧	بيان الرتق الذى كانت عليه السموات والارض
١٩	بيان الخلاف فى معنى الفلك
٢٠	بيان ما ذهب اليه الفخر من أن الحركة السماوية صنف واحد وما فى ذلك من الاشكال
٢٥	بيان المراد بحبة من خردل
٢٦	تأويل تلك الآيات
٢٩	تفسير قوله ولقد آتينا ابراهيم رشده الآيات
٣٣	بيان ما تمسك به الطاعنون فى عصمة الانبياء وردّ شبههم عليهم
٣٤	بيان ما قاله ابراهيم عليه السلام حين ألقى فى النار
٣٥	بيان كيفية برد النار على ابراهيم وما قيل فيه
٣٨	بيان حكومة داود وسليمن وجواز الاجتهاد لهما
٤٠	بيان كيفية تسبيح الجبال مع داود
٤١	بيان ما قاله الجبائى فى الجن والرد عليه
٤٢	ذكر حكاية أيوب عليه السلام
٤٨	بيان ما قيل فى ذى الكفل
٤٨	ذكر خبر يونس وانه المراد بذى النون
٥١	ذكر خبر زكريا عليه السلام
٥٢	تأويل تلك الآيات
٥٥	تفسير قوله ان هذه أمتكم الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
٥٦	بيان ما ورد فى افتراق الامة المحمدية
٥٩	ذكر ما جرى بين رسول الله وقريش فى قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم
٦٢	بيان الدليل على كون النبى أفضل من الملائكة
٦٣	تأويل تلك الآيات
٦٦	﴿ تفسير سورة الحج ﴾
٦٧	بيان ما استدل به على أن المعدوم شئ وجوابه
٦٨	بيان كون بعض الجدال ليس مذموما
٧١	بيان تحقيق فى قوله ان كنتم فى ريب الآية
٧٤	بيان أن الاديان ستة واحد لله والباقى للشيطان
٧٧	تأويل تلك الآيات
٧٨	تفسير قوله ان الله يدخل الذين آمنوا الآيات
٨٠	بيان ما يستوى فيه المكى والآفاقى ما هو
٨٢	ذكر الكعبة وبنائها
٨٤	بيان أن الاكل من الهدى واجب أم مندوب
٨٦	بيان ما للمفسرين فى قول الزور الخ
٨٩	بيان معنى المخبتين
٩٠	بيان ما فعله أهل الجاهلية من تلويثهم الاوثان وحيطان الكعبة بدم القرابين
٩٤	تأويل تلك الآيات
٩٦	تفسير قوله وان يكذبوك فقد كذبت الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
١٠٠	ذكر خبر حنظلة بن صفوان عليه السلام
١٠٢	بيان ما قالته الاشاعرة فى غفران الذنوب
١٠٤	ذكر خبر الغرانيق وما قيل فى حديثها
١١٥	بيان بعض ما استدل به الشافعى على رعاية وجوب المماثلة فى القصاص
١١٨	تأويل تلك الآيات
١٢٤	تفسير قوله ألم تر أن الله سخر الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
١٣٢	بيان ما كان يفعله المشركون بالاصنام من طليها بالزعفران والعسل
١٤٢	تأويل تلك الآيات

﴿ تم فهرست الجزء السابع عشر من تفسير النيسابورى ﴾

2993 - 1 - 10

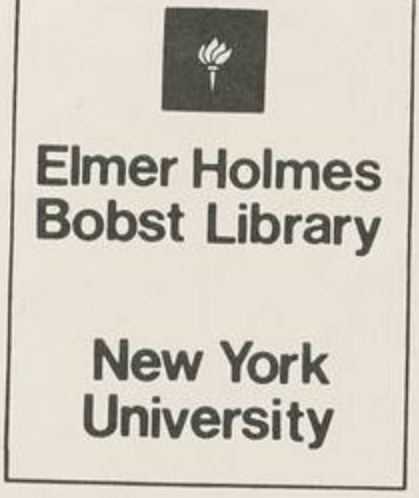
Elmer Holmes
Bobst Library
New York
University